الفصل
في
الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور محمد ابراهيم نصر

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة

عميد كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - فرع أسيوط

دار الجيل

بيروت

الفصل
في
الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦ﻫ

الجزء الأول

تحقيق

الدكتور محمد إبراهيم نصر

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة

كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الجيل

بيروت

فهرس الموضـوعات



مقدمــة

نحمدك اللهم حمدًا يوافى نعمك ، ويكافىء مزيدك ، ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائك ، وصفوة خلقك ، سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الهداة الراشدين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

اللهم إنا نبرأ إليك من الحول والطول ، ونسألك التوفيق لما ترضاه من العمل والقول ، ونعوذ بك أن نتكلف ما لا نحسن ، أو نقول ما لا نعلم ، أو نمارى فى الحق ، أو نجادل عن الباطل ، أو نتخذ العلم صناعة ، أو الدين بضاعة « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا(*) » « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلًا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم(**) » .

يسعدنا أن نقدِّم للقرّاء كتاب « الفِصل : فى الملل والأهواء والنّحل » لابن حزم الظاهرى .

ابن حزم نسبه وحياته

وابن حزم : هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم . لقب ألقابًا كثيرة منها الإمام الأوحد ، الحافظ ، العالم ، ناصر الدين .

ولد ابن حزم « بقرطبة » (٣٨٤هـ - ٩٩٤م) ، وكان أبوه وزيرًا للحاجب المنصور ،

(*) سورة البقرة رقم ٢٨٦ .
(**) سورة الحشرة آية رقم ١٠ .

وهو بحق كما ذكر ابن بشكوال : من أهل العلم والأدب والخير وكان له فى البلاغة يدقوية « ولا جرم أن هذه الخلال الكريمة التى أضفتها الأقدار على والد ابن حزم هى التى أهلته لمنصب الوزارة الذى اختاره له ابن أبى عامر الذى عرف بدقة حكمه ونفوذ بصيرته فى الحكم على الرجال وتمييز جواهرهم »[1].

فشب ابن حزم « فى منت ليشم » فى كورة « لبلة » فى حياة مترفة شأن أبناء الوزراء والأمراء الذين يجدون كل وسائل المتع والبذخ ميسرة لهم ، ويصور لنا ابن حزم جانب من حياته المترفة فى رحلة مع أصدقائه فيقول :

« تنزهت أنا وجماعة من إخوانى من أهل الأدب والشرف إلى بستان لرجل من أصحابنا ، فجلسنا ساعة ، ثم أفضى بنا القعود إلى مكان ، فتمددنا فى رياض أريضه وأرض عريضة ، للبصر فيها منفسح ، وللنفس لديها مسرح ، بين جداول تطرد كاباريق اللجين ، وأطيار تغرد بألحان تزرى بما أبدعه معبد[2].... وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها فتتصور بين أيدينا كرقاع الشطرنج ... وأنهار متدفقة تنساب كبطون الحيات لها خرير يقوم ويهدأ ... الخ[3]

غير أنَّ سقوط الدّولة العامرية – التى رفع الحاجب المنصور قواعدها – طوَّح فجأة بمجد أسرته وجاهها ، فقذفت به الحرب الأهلية بادىء الأمر إلى (ألْمَرِيَّة) ، حتى إذا غلب سليمان على أمره – اتُّهم بالتواطؤ مع الأمويين ، ونفى بعد اعتقال دام عدة شهور . وفى « بلنسية » اتصل بعبد الرحمن الرابع الأموى الذى استطاع أن يحتفظ بخلافته فترة من الزمان هناك ، فلما كانت (١٠١٨ م) تمكن ابن حزم من العودة إلى مسقط رأسه حيث وزر « لعبد الرحمن الخامس » الخليفة الأموى سبعة أسابيع بين أواخر سنة ١٠٢٣ م وأوائل سنة ١٠٢٤ م ، وفى سنة ١٠٢٧ م نجده فى شاطبة حيث اختتم صفحة شبابه برسالته فى الحب الإنسانى التى تحدث عنها فى كتابه « طوق الحمامة » ، وهو من أقدم المؤلفات التى شرحت نظرية الحب الإنسانى .

وما هى إلَّا فترة يسيرة حتى شرع فى وضع مؤلفه الدينى التاريخى العظيم « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » وهو كتاب لم يسبق إلى مثله فى الفكر العالمى ، عرض فيه لمختلف الفرق الإسلامية ، وللديانتين اليهودية والنصرانية أيضًا بأقسى النقد وألذعه .

وكان ابن حزم فى أول أمره شافعى المذهب ، ولكنه أصبح من الظاهرية الذين يرفعون لواء

---

(١) ابن حزم للأستاذ طه الحاجرى ص ٣٢ .
(٢) أحد رجال الغناء والموسيقى المميزين .
(٣) طوق الحمامة لابن حزم ص ١٣٣ وما بعدها .

الإسلام كما كان عليه منذ نشأته الأولى ، وشاركهم مواقفهم ضد الأشعرية ، وضد الصوفية ، وتقديس الأولياء وضدّ الخرافات جميعها .

وفى النصف الثانى من حياته وضع عددًا ضخمًا من المؤلفات التاريخية والفقهية وقد وجد الأمن عند حاكم جزيرة « ميورقة » أحمد بن شدياق طوال عشر سنوات تمكن فى نهايتها أبو الوليد الباجى أحد فقهاء المالكية من إبعاده عنها بسبب خلاف نشب بينهما .

ومهما يكن من أمر فقد قضى ابن حزم آخر سنى حياته مع أسرته حيث توفى عام ٤٥٦ هـ[٤].

(٤) راجع تاريخ الشعوب الإسلامية : لبروكلمان ص ٣١٣ ، ٣١٤ – نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكى ط دار العلم للملايين – بيروت وكذلك الإسلام والعرب لروم لاندو – ط دار العلم للملايين – بيروت ١٩٦٢ م وللاستزادة من التفاصيل التاريخية لحياة ابن حزم راجع كتابه (طوق الحمامة) .

شيوخ ابن حزم

ابن حزم الذى نشأ فى قصور الأمراء ، وتربى على موائد الوزراء ، وفتح عينيه على جهابذة الفكر والأدب ، فنهل من ينابيعهم وقطف من بساتينهم ، وعرف فى مقاعد الدرس شوارد اللغة وأسرار الشريعة وفقه الحياة ، ولقد اختار له والده مجموعة خيّرة من رجالات الإسلام وعمالقة الأدب . وكان ثمرة ذلك تكوين ابن حزم فقيه الإسلام وشيخ العلماء . ومن هؤلاء الشيوخ :

١ – أبو محمد الرهونى عبد الله بن يوسف بن نامى . وكان رجلًا صالحًا خيرًا فاضلًا لا يقف بباب أحد ، وكان مجودًا للقرآن ، حسن الخلق ، جيد العقل خاشعًا ، كثير البكاء متحريًا فيما يسمع متحفظًا ورعًا فى دينه[٥].

٢ – مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار – وعنه أخذ القول بالظاهر حتى صار فيه إمامًا متفردًا قال الضبى : مسعود فقيه عالم زاهر يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر ذكره أبو محمد ابن حزم وكان أحد شيوخه »[٦].

٣ – أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى الذى ذكره ابن حزم فقال : وأذكر فى مثل هذا إبان الاضطرابات السياسية أنى كنت مجتازًا فى بعض الأيام بقرطبة فى مقبرة باب عامر فى جماعة من الطلاب ونحن نريد مجلس الشيخ أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى بالرصافة أستاذى – رضى الله عنه[٧].

---

(٥) ابن حزم – طه الحاجرى ص ٧١ وما بعدها .

(٦) بغية الملتمس ص ٤٦٧ .

(٧) طوق الحمامة ص ١٠٢ .

٤ - أبو عمر أحمد بن محمد بن الجسور ، وكان أول من جلس بين يديه واستمع إلى حديثه ولا شك أنه كان عالمًا جليلًا حبب اليه العلم وقربه من العلماء ووضعه على أول الطريق .

٥ - محمد بن الحسن المذحجى القرطبى المعروف بابن الكنانى ، وكان أديبًا شاعرًا طبيبًا له فى الطب رسائل ، وكتب فى الأدب ، ومات بعد الأربعمائة ذكر ذلك ابن ماكولا فى كتاب « الأكمال » فى باب الكنانى نقلًا عن الحافظ أبى عبد الله الحميدى(٨) وابن حزم يدعوه باستاذه حين يعرض فى رسالته فى فضل علماء الأندلس . ويذكر كتبه فى الطب ويصفها بأنها « كتب رفيعة حسان » ويذكر رسائله الفلسفية ويصفها بأنها مشهورة متداولة وتامة الحسن ، فائقة الجودة ، عظيمة المنفعة » .

٦ - على عبد الله الأزدى المعروف بابن الفرضى ، وهذا الشيخ لم ير فعله بقرطبة فى سعة الرواية ، وحفظ الحديث ، ومعرفة الرجال والافتنان فى العلوم ، إلى الأدب البارع ، والفصاحة المطبوعة ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة(٩).

هؤلاء بعض شيوخ ابن حزم ولا نستطيع أن نحيط بهم جميعًا لأنهم فوق الحصر والعد ومن تلقى المعرفة على هؤلاء العلماء الأفذاذ يستحق ما وصفه به ابن بشكوال حيث قال :

كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم أهل الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار(١٠) .

(٨) ابن خلكان - الوفيات جـ ٣ ص ١٤ .
(٩) ابن بشكوال الصلة ١/٢٥٣ .
(١٠) ابن خلكان الوفيات جـ ١٤/٣ .

آثاره العلمية

آثاره العلمية

تحتل آثار ابن حزم العلمية مكانا هامًّا فى كل مجال من مجالات العلم والمعرفة ، ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نشير إلى أهم هذه الكتب والمؤلفات :

١ – إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد : بروكلمان « المعلمة الإسلامية »

٢ – الاتصال : هكذا ذكره فى كشف الظنون : ٢ / ٢٥٨ .

٣ – الإحكام لأصول الأحكام : بروكلمان : مطمع الأنفس ، كشف الظنون ، مطبوع فى مجلدين – طبع بالقاهرة ١٩٠٨ .

٤ – الأخلاق والسير : طبع بالقاهرة .

٥ – الاستقصاء : (لم يذكره أحد ، وإنما يوجد فى رسالة الزركشي : « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » ص ٧٩ – طبع المكتبة الهاشمية بدمشق .

٦ – أسماء الصحابة الرواة ، وما لكلٍّ منهم من الأحاديث : بروكلمان – الذيل .

٧ – أسماء الله الحسنى : بروكلمان : الذيل . قال الغزالى : « وجدت فى أسماء الله الحسنى كتابًا ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه . (تذكر الحفاظ) .

٨ – الأصول والفروع : بروكلمان – الذيل .

٩ – إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ، وبيان تناقض مابأيديهم من ذلك

مما لا يحتمل التأويل . : بروكلمان – الذيل – كشف الظنون .

١٠ – الإمامة والسياسة : إرشاد الأريب : فى قسم سير الخلفاء ومراتبها ، والندب والواجب منها : (ياقوت : المقرى – واسمه فى المقرى « الإمامة والخلافة » .

١١ – الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام : (بروكلمان – الذيل) . قال فى « كشف الظنون » بصدد الكلام على كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام : شرحه ابن حزم وسماه : « الإيصال إلى فهم كتاب الخصال ، وهو شرح كبير أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من الأئمة فى مسائل الفقه ودلائله ، زاد ابن خلكان : « والحجة لكل طائفة وعليها ، وهو كتاب كبير ، قال الإمام أبو محمد بن العربى ، أحد كبار تلاميذ ابن حزم القارئين عليه أكثر تواليفه : « كان عند الإمام أبى محمد بن حزم كتاب الإيصال فى أربعة وعشرين مجلدًا بخط يده ، وكان فى غاية الإبداع : (إرشاد الأريب) .

١٢ – البيان عن حقيقة الإيمان : الذيل .

١٣ – التحقيق فى نقد زكريا الرازى فى كتابه العلم الإلهى – الذيل – أشار إليه ابن حزم فى كتاب الفصل ١ : ٣ .

١٤ – التقريب لحدود المنطق : الذيل . صاعد . كشف الظنون ، والمدخل إليه بالألفاظ العامية ، والأمثلة الفقهية لا بألفاظ الفلاسفة ، جاء فى كشف الظنون : ١ / ٣١٩ تقريب فى المنطق لابن حزم الظاهرى ، وهو مختصر جعله مدخلًا إليه ، وأورد الأمثلة الفقهية بألفاظ عامية . بحيث أزال سوء الظن عنه .

وقد عاب هذا الكتاب كثير ممن ترجموا له ، فقال « صاعد » فى الطبقات ص ١١٨ : « بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقهية ، وجوامع شرعية ، وخالف « أرسطاطاليس » واضع هذا العلم فى بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض فى كتابه ، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط ، بيّن السقط » .

وقال أبو مروان بن حيان فى « إرشاد الأريب – فى ترجمة ابن حزم : وله فى بعض تلك الفنون ، يعنى المنطق والفلسفة ، كتب كثيرة ، غير أنه لم يخل فيها من غلط وسقط ، لجراءته فى التسوّر على تلك الفنون ، ولا سيما المنطق فإنهم زعموا أنه زلّ هنالك ، وضلّ فى شكول المسالك ، وخالف أرسطاطاليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض . وقد حقق

هذا الكتاب الدكتور إحسان عباس ، وسماه : « التقريب لحد المنطق ، والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية : « منشورات دار مكتبة الحياة – السودان » .

١٥ – التلخيص لوجود التخليص – الذيل . وفى بعض المصادر ، التلخيص والتخليص فى المسائل النظرية وفروعها التى لا نصّ عليها فى الكتاب والحديث .

١٦ – تنوير القياس : الذّيل ..

١٧ – التوفيق إلى شارع النجاة باختصار الطريق – الذيل .

١٨ – الجامع فى صحيح الحديث باختصار الأسانيد – الذيل ، زاد ياقوت : والاقتصار على أصحها ، واجتلاب أكمل ألفاظها ، وأصحّ معانيها .

١٩ – جمهرة الأنساب : بروكلمان – المعلمة الإسلامية – كشف الظنون . عينت المعلمة الإسلامية وضع هذا الكتاب فى سنة ٤٥٠ هـ ، وذكرت أن ابن خلدون يعتمد عليه ، ويذكره كثيرًا فى كتابه ، نشر وترجم فى مدريد عام ١٨٩٢ هـ – وحققه الاستاذ : عبد السلام هارون

وجاء فى النشرة الشهرية لدار الكتب يوليو سنة ١٩٣٨ م عن هذا الكتاب ما يلى :

أوله : الحمد لله مبيد القرون الأولى ، ومزيل الدول ، خالق الخلق ....

صدره بجملة من الأحاديث الدالة على فضل النسب ، وبيّن أنّ من فوائده اختيار الخليفة من القرشيين ، وذكر بابًا فى أقسام الفن جملة ، ثم ذكر أولاد عدنان من ولد إسماعيل ، وأولاد كنانة ، وأولاد النضر ، وأولاد فهر ، وأولاد عبد المطلب ، وأولاد أبى طالب ، وغيرهم على سبيل الإجمال ، ثم ذكر قبائل العرب ، وأنسابهم ، وبطونهم ، وأفخاذهم ، وما تفرّع منهم .

٢٠ – الدّرة : فى تدقيق الكلام فيما يلزم الإنسان اعتقاده ، والقول فى الملة والنحلة باختصار وبيان (الذيل) .

٢١ – طوق الحمامة ويعتبر من أوائل مصنفات ابن حزم كتبه فى شاطبه حوالى عام ٤١٨ .

٢٢ – الرد على ابن النغريلة حققه د . إحسان عباس .

٢٣ – المحلى حققه الشيخ أحمد شاكر وعبد الرحمن الجزيرى واتمه محمد منير الدمشقى فى أحد عشر مجلدًا عام ١٩٥٨ م .

٢٤ – الفصل فى الملل والأهواء والنحل : وهو موضوع هذا التحقيق .

هذا ثبت بأهم المؤلفات التى نسبت إلى ابن حزم وقد وجد بعضها عناية المحققين ، وما زال

بعضها الآخر فى حاجة إلى أن يعكف عليه بالدراسة والتحقيق لتحقيق الفائدة من علم هذا العالم الكبير . وقد اعتمدنا فى هذا الثبت على ما ذكره الأستاذ سعيد الأفغانى ورسالته المفاضلة بين الصحابة فى كتابه ابن حزم ، وعلى ما جاء فى كشف الظنون وما ذكره المحققون المحدثون .

عناية المسلمين بدراسة الأديان

عناية المسلمين بدراسة الأديان :

ويهمنا فى هذا التمهيد أن نكشف عن منزلة كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » بين الكتب التى ألفت فى الأديان ، وبالتالى نوضح عناية المسلمين بهذه الدراسة :

فكثير من المشتغلين بدراسة الأديان ـــ فى الشرق والغرب - يكادون يتفقون على أن المسلمين كانوا أول من وضع بعض القواعد المنهجية لدراسة الملل والنحل وأنَّ غيرهم ممّن اشتغل بهذه العلوم اتّبع قواعدهم ، واستفاد من محاولاتهم .

ولقد بدأ اهتمام المسلمين بدراسة كتب الأديان السماوية والعقائد المذهبية مبكرًا .

ويذكر صاحب كتاب الفهرست : أن أحمد بن عبد الله بن سلَّام ترجم للخليفة هارون الرشيد التوراةَ والإنجيل ، وأنه تحرَّى الدِّقة فى الترجمة[11] .

فإذا صحَّ ما يقوله أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادى المعروف بالوراق صاحب كتاب الفهرست فإنَّ معناه وجود ترجمة عربية للعهدين ؛ القديم والجديد فى أواخر القرن الثانى للهجرة .

---

(١١) كتاب الفهرست للنديم ط المطبعة التجارية : ٣٢٥

والمستعرض للجزء الأول من الكتاب المعروف بتاريخ اليعقوبى يجد بيانات عن الأناجيل الأربعة ، واستشهادات من نصوصها تدلّ على اطّلاعه عليها ، والعكوف على دراستها (١٢).

ويذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه أيضًا فقرات عن عيسى عليه السلام ، ونماذج من أقواله (١٣).

وأورد المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » بعضًا من أخبار ملوك الروم المتنصرة ، ذكر فيها المجامع الدينية التى أسماها « سندوسات (١٤) » .

وذكر فى موضع آخر من كتابه السابق أنه تناول دراسة الملل والنحل فى كتابه المسمى « المقالات فى أصول الديانات (١٥) » .

وقد أفرد « البيرونى » كتابًا فى ديانات الهند أسماه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » .

وعقد « البارون كاردى فو » موازنة بين ما كتبه كل من البيرونى والمسعودى عن المسيحية فقال :

(أما البيرونى : فكان أكثر معرفة من المسعودى بالمسيحية ، وقد أخذ عن « النساطرة » عندما صنّف كتابه « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، وكان يعرف كثيرًا من نصوص الأناجيل (١٦)) .

ومما يلفت النظر فى المؤلفات الخاصة « بالملل والنحل » الحيز الكبير نسبيًا الذى تشغله ديانات الفرس والهنود مما يدل على قوة التيارات الفكرية ، والمستعرض لكتاب الفهرست يرى صدق ما نرمى إليه :

ففى الجزء الخاص الذى عقده أبو الفرج الوراق للمذاهب والاعتقادات يستغرق أكثر من خمسين صحيفة ، ويخص الحديث عن التوراة والإنجيل خمس صفحات ، والفرق المسيحية صحيفة واحدة (١٧).

ومن القواعد التى التزمها المسلمون فى الدراسات المقارنة للملل والنحل الحيدة التامة فى عرض وجهة نظر الآخرين ، دون أية محاولة للرد عليها أو إظهار بطلانها أو تهافتها قبل إتمام العرض .

(١٢) تاريخ اليعقوبى : ٥٢ - ٦٣ .
(١٣) تاريخ الرسل والملوك : ٢ ص ٢٤ ، ٢٥
(١٤) سندوسات : أى مجمع دينى : مروج الذهب ط بولاق جـ ١ ص ١٥٢
(١٥) المصدر السابق : جـ ١ ص ١٧
(١٦) مقدمة كتاب الرد الجميل للغزالى - تحقيق الأستاذ/عبد العزيز عبد الحق : ٧٦
(١٧) المصدر السابق : ٧٧ بتصرف

ومما يصدق عليه ذلك كتاب « مقالات الإسلاميين » لأبى الحسن الأشعرى ت ٣٢٤ هـ . وكتاب « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى ٥٤٨ هـ ، وكتاب « مقاصد الفلاسفة » للغزالى .

أما فيما يتعلق بالمؤلفات الجدلية الخاصة بالمسيحية فمن أقدم ما ذكر منها رسالة الجاحظ « الردّ على النصارى » .

ونشطت الحركة الجدلية بين المسلمين والمسيحيين فى العراق والشام ومصر ولكنها بلغت ذروتها فى الأندلس لكثرة المسيحيين واليهود فى تلك البلاد .

ومن الرسائل الجدلية القصيرة التى كتبها علماء المسلمين فى الأندلس :

١ – الرَّد على اليهود : للرقيلى .
٢ – الرَّد على النصارى : لأبى القاسم القيسى .

وقد نشر « بلاثيوس » النصَّ العربىّ لهما مع ترجمته إلى الأسبانية . وكتابًا لابن أبى عبيدة فى الردّ على النصارى .

على أن أعظم ما ألف من الكتب الجدلية فى الأندلس هو كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لأبى محمد على بن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ .

كتـاب الفصـل

« كتاب الفصـل » :

حرص « ابن حزم » على أن يبدأ أيًا من مؤلفاته بتحديد موضوع بحثه ، وتعيين خطته فى الدراسة ، والنص على الهدف الذى قصد إليه من وراء تأليفه .

فقد نص فى مقدمة كتابه « الفصـل » على الغرض الذى من أجله تعرض لدراسة الديانات والملل فقال :

« إن كثيراً من الناس كتبوا فى افتراق الناس فى دياناتهم ، ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً ، فبعضهم أطال وأسهب ، وأكثر وهجّر واستعمل الأغاليط والشغب ، فكان ذلك شاغلًا عن الفهم ، قاطعاً دون العلم . وبعضٌ حذف وقصَّر ، وقلّل واختصر وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات ، فكان فى ذلك غير منصف لنفسه فى أن يرضى لها بالغبن فى الإبانة ، وظالماً لخصمه فى أنْ لم يوفه حقَّ اعتراضه ، وباخساً حق من قرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره ، وكلهم .. عقّد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم ، وحلّق على المعانى من بعد ، حتى صار ينسى آخر كلامه أوّله ، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم فكان هذا منهم غير محمود فى عاجله وآجله » .

وهذه المقدمة تدلنا على منهج « ابن حزم » الذى أخذ به نفسه منذ البداية منهج التزام الوضوح فى الرأى ، واجتناب التعقيد فى الفكر ، واستيفاء حجج الخصوم عند العرض .

وكتاب « الفصــل » مكوّن من خمسة أجزاء .

الجـزء الأول :

تحدَّث فيه بعد مقدمة مختصرة عن رءوس الفرق المخالفة ، ثم وضع البراهين الجامعة الموصلة إلى الحق ، وانتقل بعد ذلك إلى الكلام عمن أبطلوا الحقائق ، وهم السوفسطائية فعرض أقوالهم ، وناقشهم وردّ عليهم ، ثم تكلم بعد ذلك عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وعدد فرقهم ، وناقش الإنجيل والتوراة التى بين أيديهم ، وبيّن أنّها من وضع أفَّاكٍ جاهل غرَّو بهم وضحك على عقولهم .

وختم الجزء الأول بالحديث عن التناسخ ، مع عرض مستفيض لحقيقة الروح فى منهج الإسلام .

وبالإضافة إلى ما سبق نجد أنه فى عرضه للجزء الأول دافع عن الفلسفة بقوله :

« إنَّ الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها ، والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس ، وهذا نفسه لا غيره هو الغرض فى الشريعة ، هذا ما لا خلاف فيه بين أحدٍ من العلماء بالفسلفة ، ولا بين أحدٍ من العلماء بالشريعة .. اللهم إلا لمن انتمى إلى الفلسفة بزعمه وهو ينكر الشريعة بجهله على الحقيقة بمعانى الفلسفة ، وبعده عن الوقوف على غرضها ومعناها[١٨] » .

وخلاصة هذا النص : « أن ابن حزم يرى أن غاية الشريعة هى الحكمة العلمية أو إصلاح النفس » ، وهذا ما ترمى إليه الفلسفة .

ويدحض ابن حزم حجج السوفسطائيين بالأدلة العقلية المعروفة فيقرر أنه لا موجب للطعن فى شهادة الحواس بحجة أنها قد تخطىء أحياناً ، فإن الخطأ قد يكون لآفة داخلة على الحواس .

ويردّ على الشكَّاك منهم فيقول :

« أشكّكم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود .. ؟

فإن قالوا : هو موجود صحيح منّا أثبتوا أيضاً حقيقة مًّا ، وإن قالوا : هو غير موجود نفوا الشكَّ وأبطلوه ، وفى إبطال الشك إثبات الحقائق أو القطع على إبطالها[١٩] » .

---

(١٨) الفصل : جـ ١ ص ٩٤

(١٩) الفصل : ١ : ٩٠٨

والجزء الثانى :

يتكلم فيه عن الأناجيل الأربعة وبيان ما فيها من التناقض والكذب ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن فرق أهل الإسلام ، وخروج أكثر هذه الفرق عن دين الإسلام ، ثم يفرد الكلام عن التوحيد وقضايا الذات والصفات الإلهية وما يتصل بهذه القضايا من آراء وأفكار .

وابن حزم فى تفنيده لآراء الأناجيل أو التوراة يعتمد على الأوليات العقلية والمقدمات البدهية ، فيقدم بين يدى القارىء النصَّ من الإنجيل أو التوراة ثم يوضح ما فيها من تناقض أو استحالة أو خروج على قواعد العقل .

من ذلك ما أورده نقلا عن سفر الخروج من أن الله قال لموسى : « إنه سيهلك بنى إسرائيل ، وسيقدمه هو على أمة أخرى عظيمة ، وكان الله يكلم موسى فمًا لفم كما يكلم المرء صديقه ، فلم يزل موسى يتودّد إلى ربه ويطلب إليه المغفرة حتى أخذ الرب بقول موسى ، ورضى عن شعب إسرائيل » . ثم يعقب ابن حزم على هذه الواقعة بقوله .

« إنَّ فى هذا الفصل من السخف غير قليل ، لأن فيه البُداء ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ، وفيه التكليم فمًا لفم ، وتحقيق التجسيم والتناقض على البارى تعالى فى كلامه وفعله دون تأويل ، ولا مخرج لهم من هذا[٢٠] » .

وهو فى ردّه على أهل الكتب السماوية يتبع طريقته الظاهرية فى معالجة المواضيع بوضوح وصراحة بعيداً عن الغموض والتعمية والتزييف الفكرى ..

فهو لا يؤول كالباطنية ، ولا يقيس كالحنفية ، ولا يكنّى ولا يورّى ، ولا يغمغم بل يمشى قدماً واضحاً صريحاً ، ولا يحمّل اللفظ أكثر مما يطيق من معنىً ، ولا يدَّعى دعوى إلَّا أرفقها بشاهدها ، وأيّدها بمروى متسلسل الإسناد[٢١] » .

والجزء الثالث :

تناول فيه الكلام عن القرآن وإعجازه ، والقضاء والقدر ، والاستطاعة ، والهدى ، والتوفيق ، وخلق الله عزّ وجلّ لأفعال خلقه ، وعن الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، والوعد والوعيد ، ومكان المشيئة الإلهية من كفر الكافر وفسق الفاسق .

ولقد نالت مشكلة الجبر والاختيار اهتمام ابن حزم ، ويبدأ حديثه فيها بحصر الإجابات الممكنة على هذه المشكلة ، ورأى أنها تنقسم إلى رأيين أصليّين : رأى يرى أهله أن الإنسان مجبر

(٢٠) الفصل : ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢١) مقدمة كتاب حجة الوداع لابن حزم ، تحقيق ممدوح حقى ط دمشق دار اليقظة العربية ص ٨ .

على أفعاله ، وأنه لا استطاعة له أصلًا ، وهذا قول « جهم بن صفوان » ، وطائفة من الأزارقة .

ورأى آخر يرى أصحابه أن الإنسان ليس مجبراً بل هو يملك قوة أو استطاعة بها يفعل ما اختار فعله .

وأصحاب هذا الرأى الأخير منقسمون إلى فريقين : فريق يرى أن الاستطاعة التى يكون بها الفعل لا تكون إلا فى الفعل ولا تنفذ منه ألبتة . وهذا رأى الأشعرى وبعض طوائف المرجئة .

وفريق آخر : يرى أن الاستطاعة التى يكون بها الفعل موجود فى الإنسان قبل الفعل ، وهذا هو رأى المعتزلة .

وقد انقسم أصحاب هذا الرأى الأخير إلى فرق ، فقال بعضهم إنَّ الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل أيضاً ، وأنَّ فى وسع الإنسان أن يقبل على فعله أو أن يتركه ، وهو قول بشر ابن المعتمر ، بينما ذهب « أبو الهذيل العلّاف » إلى أنَّ الاستطاعة لا تكون مع الفعل ألبتة ، ولا تكون إلَّا قبله ، ثم تفنى مع أول وجود الفعل . فى حين ذهب آخرون وعلى رأسهم النّظام إلى أن الاستطاعة ليست شيئاً آخر غير نفس المستطيع[٢٢] » .

الجزء الرابع :

يتناول فيه الكلام عن الأنبياء والرسل ، والكلام عن الملائكة ، والكلام فى الشفاعة والميزان ، والكلام فى القيامة وتغيير الأجساد ، والإمامة ، والفضل والمفاضلة بين الصحابة ، ويتناول الكلام عن حرب على ومن حاربه من الصحابة ، وبم يصلح عقد الإمامة ؟ ، وذكر العظائم المخرجة إلى الكفر . ثم ذكر شنع الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة .

الجزء الخامس :

تكلم فيه عن السحر ، والمعجزات ، والجن ، والطبائع . ونبوة النساء ، وتكلم عن الرؤيا ، وأى الخلق أفضل ؟ وعن الفقر والغنى ، والاسم والمسمى ، وقضايا النجوم ، وفى البقاء والفناء ، وفى المعدوم ، والحركة والسكون ، وفى الجواهر والأعراض ، والجسم والنفس .

ويختم الكلام عن المعارف بعرض أقوال العلماء فيقول : « اختلف الناس فى المعارف فقال قائلون : المعارف كلها باضطرار إليها ، وقال آخرون : المعارف باكتساب لها ، وقال آخرون : بعضها باضطرار وبعضها باكتساب .

---

(٢٢) الفصل : ٢٢/٣ .

قال أبو محمد : والصحيح فى هذا الباب : أن الإنسان يخرج إلى الدنيا ليس عاقلًا ، لا معرفة له بشىء ، كما قال عزَّ وجل : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا[٢٣]» .

ثم يقول : العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد ، وهو اعتقاد الشىء على ما هو عليه ، وتيقنه به ، وارتفاع الشكوك عنه ، ويكون ذلك إمَّا بشهادة الحواسّ ، وأول العقل ، وإمَّا ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواسّ . أو أوّل العقل ، وإمّا باتفاق وقع له فى مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض الله عزَّ وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال .

وأما علم الله تعالى فليس محدودًا أصلًا ، ولا يجمعه مع علم الخلق حدّ ، فلا حسَّ ، ولا شىء أصلًا .

* * *

« رأى العلماء فى كتاب الفصل »

يقول « دى لابوليه » فى كتابه « الدراسات المقارنة للأديان » : « إن كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل يشهد بسعة اطلاع مؤلفه ابن حزم .. إذ أفرد فيه حيزاً كبيراً للمسيحية وفرقها ، أورد فيه ملخصاً عن نشأة كل فرقة ومدى انتشارها ، ثم اليهودية وأحبارها .. وأضاف أيضاً « دى لابوليه » « إن هذه البيانات على إيجازها تعدّ بالغة الدقة ، وأننا إزاء هذا الاستناد المستفيض إلى النصوص لا نعرف ما يرجع من هذه البيانات إلى أبحاثه الشخصية لتعذر مقارنة كتاباته بأبحاث من سبقه من العلماء العرب فى هذه الموضوعات[٢٤] » .

يقول « ابن حيان » : « ولهذا الشيخ أبى محمد مع اليهود – لعنهم الله ومع غيرهم من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام – مجالس محفوظة ، وأخبار مكتوبة » ثم إنه رأى أن الاطلاع على نصوص كتبهم يقوى موقفه ، وينفى عنه تهمة الجهل بما يوردونه عليه من آراء ، فقرأ التوراة وهى الأسفار الخمسة الأولى [٢٥]، ويبدو أنه كان منها نسخ مترجمة ترجمات مختلفة ، ولم تكن هنالك ترجمة واحدة معتمدة لقوله : « ورأيت فى نسخة أخرى منها[٢٦] » .

ويقول : « دى لابوليه » فى موضع آخر من كتابه السابق : « إن المسائل التى عالجها فيما بعد أحبار المسيحية سبق أن بحثها ابن حزم وناقشها فى كتابه « الفصل » .

---

(٢٣) سورة النحل : آية ٧٨

(٢٤) الدراسات المقارنة للديانات : جـ ١ ص ١٠٨ نقلا عن مقدمة كتاب الرّد الجميل ص ٨١ بتصرف .

(٢٥) الذخيرة : جـ ١ ص ١٤٣

(٢٦) كتاب الفصل جـ ١ ص (١٢١) .

ويؤيد ما ذهب إليه « دى لابوليه » : ما يقوله أحد الباحثين المعاصرين من أن ابن حزم سبق الكثير من علماء الأديان ، ورجالات النقد التاريخى إلى دراسة التوراة والإنجيل بروح الفيلسوف المتعمق ، والمؤرخ الفاحص المدقق حتى إننا لنجد فى تضاعيف كتبه الكثير من الآراء التى يردّدها من بعده خصوم المسيحية من أمثال « دافيد شتراوى » و « برونو باور » و « رنان » وغيرهم(٢٧)

وقد يكون من المسلم به إذا فكّر بعض الباحثين القيام بدراسة مقارنة لكتب ابن حزم فى نقد الديانتين : اليهودية والمسيحية ، ومؤلفات أنصار الفكر الحر من رجالات المدرسة الغربية المعاصرة – فإنه واجدّ بلا شك لدى فيلسوفنا العربى الكثير من الآراء المطابقة لما انتهى إليه أولئك المفكرون .

ويكاد يتفق معنا فى هذه النتيجة التى يقول بها المستشرق « مرجليوث » فى قوله : إن دراسات ابن حزم للأسفار الخمسة فى العهد القديم أدت به إلى السبق فى إيراد بعض الاعتراضات التى أدلى بها النقاد الحديثون من أمثال الأسقف « د . كولنو(٢٨) » .

وقال الشيخ « عبد الله الترجمان » فى كتابه « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » :

« وجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين رضى الله عنهم محتوية على ما لا مزيد عليه إلّا أنهم رحمهم الله – قد سلكوا فى معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من اليهود والنصارى مسالك مقتضيات المعقول إلا الحافظ إبا محمد بن حزم رحمه الله ، فإنه قد ردَّ عليهم بالمعقول والمنقول ، غير أنه لم يرد عليهم بمقتضى المنقول إلّا فى النادر من المسائل(٢٩) » .

ونحن نعتز بهذا الرأى ونقدر قيمته لأنه لم يصدر عن رجل قريب الصلة بالمسيحية فحسب بل كان واحداً من قسيسيها(٣٠) تلقى قبل تكريسه دراسة فى الكتاب المقدس .

ويقول الأستاذ « محمد محفوظ » :

« إن منهج بن حزم فى نقده يتمثل فى معارضة نصوص الكتاب المقدس بعضها ببعض ، وبيان ما فيها من اضطراب ، وتناقض واختلاف ، وردّ الروايات التاريخية التى تصادم مقررات العلوم على ما وصلت إليه فى عصره من الحساب والهندسة والجغرافية ، والحيوان ، والنبات ، والمعادن ،

---

(٢٧) ابن حزم الأندلسى المفكر الظاهرى الموسوعى . د . زكريا إبراهيم ص ١٥٣ .

(٢٨) موسوعة الدين والأخلاق مادة « أسفار العهدين ، القديم والجديد » ، ولهذا الأسقف كتاب ضخم عنوانه : « الفحص النقدى للأسفار الخمسة – وسفر يوشع هاجم فيه دعوى تأليف موسى للأسفار الخمسة .

(٢٩) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب – المقدمة : ٢ ط مطبعة التمدن بالقاهرة ١٩٠٤ م ونقل ذلك عنه الأستاذ عبد العزيز فى مقدمة كتاب الرد على الجميل ٨٤ .

(٣٠) كان الشيخ عبد الله الترجمان قبل إسلامه قسيسًا فى جزيرة « ميورقه » إحدى جزر البليار شرق أسبانيا ، قدم تونس فى زمن أبى العباس أحمد الحفصى وأسلم ، وأولاه أحمد الحفصى قيادة البحر بالديوان .

وبالجملة كل ما يتعارض مع القوانين اليقينية الثابتة المطردة التى يسير العالم والمجتمع الإنسانى على حسب مقتضياتها ، وهذا يعدّ عند ابن حزم كذباً ، ومحالًا من باب ما يتسلّى به العجائز من الخرافات والأسمار[٣١].

من ذلك ما يورده فى كتابه « الفصل » عن قصة تعبد بنى إسرائيل لعجل من ذهب صنعه لهم « هارون » أخو « موسى » ، وكيف أن « موسى » عليه السلام وجد بنى إسرائيل عراة بين يدى العجل يتغنون ويرقصون ، وكان « هارون » قد عرَّاهم بجهالة قلبه .

ويعقب على هذه القصة بقوله :

« هذه نصوص كتابهم ، أفتسوغ لمن له أدنى مسكة من عقل أن يكون نبى يعمل عجلا للعبادة من دون الله ، ويأمر قومه بعبادته ، ويرقص هو وهم تعظيماً للعجل على أنه إلههم ؟ ! ..

ثم يقول : « والذى لا شك فيه عندى أن من بدّل توراتهم ، وأدخل فيها مثل هذا إنما قصد إلى إبطال النبوة جملة[٣٢] » .

لماذا حرصنا على تحقيق كتاب الفصل مع أنَّه طبع مرتين أو ثلاث مرات ؟!

الحقيقة التى وقفنا عليها : أن هذا الكتاب من أهمّ الكتب التى يجب العناية بها ودراستها وتحقيقها ، لأنَّ مثله فى مجال العقائد كمثل ديوان المتنبى فى الشعر العربى ، غير أن ديوان المتنبى قد وجد عناية المحققين ، فأخرجوه محققًا مرَّات عدة وترك المهتمون بدراسة العقائد تحقيق هذا الكتاب حتى الآن ، وإخراجه فى الصورة التى تحقق الفائدة ، وتبعد عنه الخلط ، واللحن ، والتضارب .

لقد لقى ابن حزم اهتمامًا كبيرًا فى هذا العصر ، فدارت حوله دراسات متعدّدة تناولت نواحى التفكير التى اتجه إليها ، فقد ثبت أنه بين المؤرخين يحتل مكانة مرموقة ، وبين الأدباء أديب يشار إليه بالبنان ، وهو بين الفقهاء فقيه صاحب رأى واجتهاد ، وبين علماء الكلام عالم وصل إلى منزلة لا يتسنمها إلّا القلائل ، وها هى ذى الأُطروحات العلمية حول تفكير ابن حزم وآرائه تناقش فينال أصحابها الدرجات العلمية من (ماجستير أو دكتوراه) .

ولا ندرى لِمَ ترك المحققون هذا الكتاب حتَّى هذه الآونة . . ربّما كان ذلك لأن القدر أراد

---

(٣١) « بين ابن حزم وابن خلدون » مقال للأستاذ محمد محفوظ نشر فى مجلة الفكر التونسية . عدد يناير سنة ١٩٦٣ ص ٤٢ — ٤٨ نقلا عن الرد الجميل .

(٣٢) الفصل : جـ ١ ص ١٦١، ١٦٢

أن يقترن اسمنا بهذا العالم الكبير ، وبهذا العمل العظيم الذى نرجو أن نكون قد بذلنا فيه جهدًا يحقق الغاية التى نهدف إليها ، وهى تيسير هذا الكتاب وتيسير الانتفاع به أمام هذا الجيل الذى يتعرّض لأعتى ضروب التحدّى ، وأقسى حملات التشكيك من تلك المذاهب المادية التى انتشرت سمومها فى شتّى نواحى المعرفة بطريق مباشر أحيانًا ، وبطريق غير مباشر فى كثير من الأحايين ، والصحف المسمومة تغذى هذه الاتجاهات الضالة تحت شعارات براقة مرة باسم التقدمية ، ومرة تحت اسم التحرر الفكرى ، أو النضال من أجل التقدم ، أو الطلائع المبشرة بميلاد جديد ، أو غير ذلك من الأسماء البراقة التى تخفى وراءها الكفر والإلحاد ، والزّيغ والضلال .

وقد ظهر فى هذا العصر من يقول : « إنَّ الصراع الاقتصادى بين الفقراء والأغنياء هو العامل الأساسى فى تحريك الصراعات والثورات ، وكافة التطورات الاجتماعية ، ومن ثم يرى أن الديانات كلها – لم تكن إلا ثورات بشرية تمثل الصراع بين الأغنياء والفقراء على مصادر النتاج الاقتصادى ، وينتهى من هذا كله إلى أن الإسلام لم يكن دينا موحى به ، وإنما كان مجرد ثورة بشرية من اليسار الفقير على اليمين الغنى .

ومن المبتدعين الضالين من بشر بالفكرة المادية القائلة بأن العلم المادى التجريبى أبطل القول بوجود الإله ، وحلَّ هو محل الديانات والنبوّات فى قيادة البشرية وسيرها الحثيث نحو التقدم .

فما أشبه اللّيلة بالبارحة ! ! وما أشبه هذا القول المنكر بقول السوفسطائية ، وبقول القائلين بإثبات الحقائق ، وأن العالم لم يزل ، وكذلك القائلون بإثبات الحقائق وأنَّ للعالم مدبرين وأنهم أكثر من واحد . . إلى آخر الفرق الست التى ذكرها ابن حزم وفنّد آراءها ، وناقشها مناقشة علمية عقلية بطريق يتفق تمامًا مع المناهج العلمية الحديثة بعيدًا عن النصوص الدينية ، لا يأتى بها إلَّا بعد أن يستكمل البرهان ، ويقيم الدليل العقلى الواضح لأن أمثال هؤلاء ينكرون الديانات أصلًا ، فكيف يعتدّون بالنصوص التى أتت بها .

وممَّا أضفى أهمية بالغة على هذا الكتاب : أنَّ ابن حزم قرأ العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل) وأورد نصوصًا منها ، وبيَّن تضارب هذه النصوص وتعارضها ، كما أورد قصصًا منها وحكايات لا يمكن أن تصدر من إله ، بل لا تصدر إلَّا من مجموعة من البشر يضمهم مجلس يتناجون فيه أحيانًا أو يتبادلون فيه الشراب والتهديدات ، ثم يتصافون ويعود بعضهم إلى بعض بعد ذلك . . فكم عرضت التوراة صورًا لغضب الرَّب على بنى إسرائيل ، وتهديدهم بالويل والثبور ، وعظائم الأمور فلم يزل موسى معه يرضيه ويتودّده حتى ينقلب غضبه على بنى إسرائيل إلى رضى وتنقلب تهديداته لهم إلى وعدٍ بالأرض الموعودة ، وإلى تحقيق للنصر والغلب والفتح والاستعلاء .

إنَّ مناقشة ابن حزم لهذه الآراء ، وإبطالها ، وإقامة الحجج العقلية ، والبراهين المنطقية ، جعلت لهذا الكتاب أهمية كبرى ، وستظل أهميته قائمة على مدى الأيام ما دامت هناك فرق تعادى الإسلام ، وتتخذ منه موقف التحدِّى والإنكار .

* * *

بقى أن نذكر أن هذا الكتاب طبع مرات عدّة من غير أن يبذل فى تحقيقه جهد يذكر ، فقد اطلعنا على النسخ المطبوعة فظهر لنا فيها ما يأتى :

١ – اضطراب فى المعنى ، وتناقض فيه بسبب عبارات متروكة أو كلمات محرّفة .
٢ – الأعلام متروكة بغير تحقيق ولا ضبط .
٣ – الأحداث والبلدان التى وردت فى الكتاب تركت بغير تعريف بها ، أو إشارة إلى ما يوضح ما فيها من غموض وإبهام .
٤ – النصوص القرآنية وقع فى بعضها تحريف ، وفى بعضها الآخر تصحيف .
٥ – الأحاديث النبوية لم تُخَرَّج .
٦ – الكلمات التى يقع فيها لبس فى النطق لم تضبط بالشكل .
٧ – طبع الكتاب بدون مراعاة للترقيم ، فالعبارات التى تبدأ بفكرة جديدة لم تبدأ من أول السطر ولم يهتم بوضع النقط فى نهاية العبارة ، وكذلك الفصلات بين العبارات المتعاطفة .

وهكذا كان الكتاب فى حاجة ماسة إلى التنسيق والتبويب ، وملافاة هذه الأخطاء والعيوب .

الخطوات التى اتبعناها حتّى تمَّ تحقيق الكتاب

○ رجعنا إلى فهارس المخطوطات لنعثر على الأصل المخطوط ، وقد استعنا بفهارس دور الكتب المختلفة فى أنحاء العالم العربى والإسلامى والغربى ، ومن حسن الحظ وجدنا فى عمادة شئون المكتبات التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – نسخًا من هذه الفهارس ، وبعون من المشرفين على قسم المخطوطات – بعد عون الله تعالى – أمكننا أن نقف على النسخ الخطية الأصلية لهذا الكتاب ، ونتعرف على أمكنة وجودها .

وقد تبين لنا أن أوفى نسخة منه موجودة فى قسم المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة .. فيممنا وجوهنا نحو الجامعة العربية ، واستطعنا أن نحصل منها على صورة (بالميكروفيلم) ، ثم عدنا إلى الرياض ، واتصلنا بقسم المخطوطات فى جامعة الرياض وهو قسم معدٌّ إعدادًا جيدًا . . وتمكنا من تصوير هذا الفيلم على ورقٍ مصقول ، وحصلنا على نسخة واضحة .

○ لقد اتخذنا هذه النسخة المصورة أصلًا ، قابلنا عليها النسختين المطبوعتين (أ ، ب) وسيأتى وصف لهما ، وقد هالنا ما رأينا ..!!

وجدنا عبارات كاملة تتجاوز السطور الخمسة متروكة ، وقد تكرر هذا فى أكثر من موضع .. وكان يدفع إليها فى معظم الأحيان تكرار كلمة واحدة فى سطور متقاربة ، كأن تكون كلمة (المتمكن) مثلًا قد وردت فى السطر السادس ثم تكررت بعد ذلك فى السطر العاشر ، فتنتقل عين الناسخ من الأولى إلى الثانية وسوف نضرب أمثلة لذلك فى هذه المقدمة .

كما وقع كثير من التحريف فى الكلمات مما أدّى إلى فساد المعنى ، والبعد به عن الصواب ، فمثلا كلمة (تَحِلَّةُ القسم) بالتاء المثناه والحاء المكسورة واللام المشدّدة ، تكتب (نحلة) بالنون المكسورة ، والفرق كبير بين المعنيين . وكلمة (يُفَنِّد) تكتب (يُغْنِه) ، وكلمة (تَتَوَخَّوا) تكتب (تَبُوحوا) وهكذا مما وضحناه فى أثناء التحقيق .

وأحيانًا تكون الكلمة منفية فيسقط حرف النفى فتصبح مثبتة ، ويضطرب المعنى ويفسد .

وكما ذكرنا من قبل : تُركت الأعلام كلُّها من غير ضبط ولا ترجمة لها ، فقمنا بتلافى هذا النقص بقدر الإمكان ، وإخراج الكتاب على نحو يحقّق الفائدة المرجوّة منه إن شاء الله .

أمثلة لما وقع فى النسخ المطبوعة من قصور :

○ بدأت النسخة الخطية بـ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا ، قال الشيخ الإمام الأوحد ، الحافظ ، العلم ، ناصر الدين » .

وسقطت هذه البداية فى النسختين (أ ، ب) .

○ وفى (خ) فى المقدمة « أحمد بن سعيد بن حزم » وفى (أ ، ب) سقط من نسبه (سعيد ابن) . وفى « خ » (إلَّا تَحِلَّة القسم) وفى (أ ، ب) حرّفت فصارت (نِحْلة) بالنون . وقد ذيلنا ذلك بالتحقيق الذى يوضح المعنى حيث ورد فى قول الرسول عليه السلام : « لا يموت لأحدٍ من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلَّا تحلّة القسم » كأنه يريد قول الله تعالى : « وإن منكم إلَّا واردها كان على ربك حتمًا مقضيا » لأنه فى حكم القسم من الله تعالى .

○ وفى ص ١٧ فى النسخة (أ) جاء ، (وادَّعوا ما لا سبيل إلَّا معرفة) . وهو تحريف والصّواب كما جاء فى (خ) ، (وادَّعوا ما لا سبيل إلى مشاهدته) .

○ وفى ص ٥٠ سقطت عبارة كاملة وهى : « كلها فقط ، والبارى تعالى لا زمان له ، ولا هو من النّوامى» .

وقد سقطت هذه العبارة لأن كلمة (النوامى) مكررة فى سطرين متتالين فنسخ الناسخ الكلمة الأولى ، ثم سبقت عينه إلى الثانية فترك ما بينهما .

○ وفى ص ٥٤ سقطت عبارة (أم لا داخل ولا خارج) من (أ ، ب) . وهى ضرورية فى توضيح السؤال الذى يوجهه ابن حزم فى مناقشته للذين يقولون بقدم الزمان والمكان ، فيسألهما : أهما داخل الفلك أم خارجه ، (أم لا داخل ولا خارج ؟) وهو التصور الثالث للمسألة ، وحذفه يترتب عليه نقص فى المعنى .

○ وفى الصفحة نفسها جاء فى (أ) (التمكن) بدلًا من (المتمكن) وهو تحريف يؤدى إلى فساد المعنى .

○ وفى ص ٥٥ من (خ) : « وأنه مكان لا متمكن فيه » وقد سقط حرف النفى فى (أ) فجاء « وأنه مكان متمكن فيه » .

○ ويتحدث عن النار والهواء فيقول : (ولا يفارق هذا الطبع إلا بحركة قسر تدخل عليهمو) ، وهو تحريف صوابه (عليهما) كما فى (خ) .

○ وفى ص ٥٥ : جاء فى (أ ، ب) « ولا ينسفك » والصواب (ولا يسفل) حيث يقول : « يبقى الماء صعدًا ولا يسفل » فحرفت إلى « ولا ينسفك » .

○ وفى ص ٥٦ : حرفت كلمة (تمص) فكتبت (تمس) .

○ وفى ص ٥٧ : سقطت من (أ ، ب) عبارة : « وهذا القول يوجب وجود جسم لا نهاية له ، وكل ما أوجب كون ما لا يكون فهو باطل لا يكون أصلًا » .

وواضح أن هذه العبارة تحمل قضية تلخص رأى ابن حزم واستنتاجه ، وحذفه يؤدّى إلى ضياع رأيه فى هذه القضية .

وفى الصفحة نفسها : « ومن قال إنَّ فى خارج الفلك نارًا غير محرقة ليست من جنس هذه النار » . وفى (أ) سقطت كلمة (غير) . فأصبحت (نارًا محرقة) والمعنى على النفى .

○ وفى الصفحة نفسها سقط من (أ ، ب) عبارة كاملة وهى : « قال أبو محمد : وكل ما أدخلنا فى الباب من إبطال قولهم بأزلية المكان والزمان فهو لازم لهم فى قولهم بأزلية النفس أيضًا ، ولا فرق ، وبالله تعالى التوفيق » .

○ وفى ص ٥٩ : حرفت كلمة (الأصلين) فزادت ياء فأصبحت (الأصليين) فى (أ)

وفى الصفحة نفسها سقطت جملة يصف بها الكواكب السبعة ، والبروج الإثنى عشر من (أ ، ب) وهى جملة (ويقولون بقدمها) .

○ وفى صفحة ٦٢ : سقطت العبارة التالية من (أ ، ب) وهى (فإذا ثبت أنه تعالى واحد بطلت الأقوال التى ذكرنا كلها) .

وواضح أهمية هذه العبارة فى مساق الدليل والوصول إلى النتيجة .. كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه .

○ وفى (أ ، ب) : سقطت عبارة هامة حين يناقش ابن حزم من يقول : بأن خالق العالم ومدبره متعدّدون فيقول : ولا يخلو فاعل الخيرات عندكم من أن يكون قادرًا على تغيير الشّر والمنع منه (أو لا يكون قادرًا على ذلك ، فإن قلتم إنه قادر على تغييره والمنع منه) ، فالعبارة من أول (أو لا يكون ..) سقطت بأكملها وهى هامة فى إثبات الحقيقة التى يريدها المؤلف .

○ وفى ص ٦٩ تحريف يخل بالمعنى ويفسده ، فقد ناقش ابن حزم المانية فى زعمهم أن النور كان فى العلو إلى ما لا نهاية ، وأن الظلمة فى السفل إلى ما لا نهاية فيقول : « فكل علوٍّ فهو سفل لما فوقه حتى تنتهى إلى الصفحة العليا من الفلك الأعلى التى لا صفحة فوقها ، وهم يقرون بهذا .. » . وقد سقط فى (أ ، ب) كلمة (من الفلك الأعلى) . وزيد فيها حرف نفى فقال (وهم لا يقرون بهذا) بالنفى . وهو تحريف ظاهر لأنه أصل قضيتهم .

○ وثمة كلمات كثيرة محرّفة فكلمة (تبوحوا) حرّفت إلى (تتوخّوا) ، وكلمة (نبيَّة) حرفت إلى (نبتية) . وكلمة (يوآش) حرّفت إلى (بواس) .

وقد ساعدنا فى ضبط كثير من الأعلام المحرّفة رجوعنا إلى العهد القديم والعهد الجديد .

فقد حرصنا على مراجعة النصوص التى أوردها ابن حزم من التوراة والإنجيل على الأصل الحالى من التوراة والإنجيل ، ووقفنا على كثير من التحريفات ، وكثير من النقص ، فأشرنا إلى ذلك فى هامش الصفحات .

* * *

ولا نغالى إذا قلنا : إنَّ الكتاب المطبوع به مئات الأخطاء من حذف ، وتحريف ، وتصحيف ، وتبديل ، وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه من التحقيق .

* * *

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أننا قد أحدثنا بعض التعديلات التى تتعلق بتنسيق الكتاب ، وحسن إخراجه ، كالعناوين الجانبية التى استحدثناها ، وترقيم البدايات التى تحتاج إلى ترقيم ، حتى تظهر أهميتها وتتضح . وبدء كل فكرة جديدة من أول سطر جديد .. كما حرصنا على أن نضع العناوين الرئيسة فى وسط السطر بعد أن كانت مكتوبة فى ثنايا السطور أو كيفما اتفق .

* * *

طريقة ابن حزم فى المناقشة :

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن ابن حزم له فى هذا الكتاب نمط فريد فى المناقشة يعرف به ويدلّ عليه ، حتى أن من تمرّس بأسلوبه يستطيع أن يتعرف عليه من غير أن يدله أحد على أن هذا هو أسلوب ابن حزم .

ومن خصائص هذا الأسلوب : دقته فى المناقشة حتى يسدّ كل مسلك على معارضه ، ولا يترك له منفذاً ينفذ منه ، لاستيفاء الحجج العقلية والمنطقية ، وقد اتضح ذلك فى مناقشته نصوصًا من التوراة والإنجيل ، وبيان ما فيها من تحريف وخلط ، وتجلى ذلك فى إظهاره اضطراب التوراة فى الحساب والعدّ ، ففى سفر من الأسفار يعدّ أولاد لاوى ، والجنود الذين ينتسبون إليهم ، وفى سفر آخر يتحدث عن عددهم مرة ثانية فيذكرهم بالزيادة أو بالنقص .

وكذلك الحال بالنسبة للمدن ، ورؤساء العشائر .

ويكشف بدقة عن المبالغة التى تقع فى التوراة ، فقد ذكرت أن عدد بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر كان ستمائة ألف ونيف ، وقد ناقش ابن حزم ذلك وبيّن استحالة هذا العدد .

وكشف عن اضطراب وتناقض فى عدد المدن التى احتلها بنو إسرائيل . وناقش ما ذكرته التوراة من عدد بنى دان ، فقد ذكرت أنهم كانوا عند خروجهم من مصر اثنين وسبعين ألفًا وسبعمائة رجل لم يعد فيهم ابنٌ أقلّ من عشرين سنة . ويتساءل كيف تأتّى ذلك العدد كله ، وهم يرجعون إلى « حوشيم بن دان » وحده إذ لم يكن لدان غير « حوشيم » فكيف استطاع أن ينجب هذا العدد ؟

ويتساءل فى إنكار : كيف بلغ أحفاد يهوذا أربعًا وسبعين ألفًا وستمائة مع أن « يهوذا » لم يكن له إلّا ثلاثة أولاد فقط ؟

وكيف يزعمون أن بنى يوسف كانوا اثنين وسبعين ألفا وسبعمائة رجل وكلهم يرجع إلى « أفرايم » و « منسى » ولم يكن لأفرايم غير ثلاثة أولاد ، ولمنسى ولدان فقط . وقد زعمت

توراتهم أنهم أنجبوا فى مدة مائة وسبعة وعشرين عامًا نحو مائة وستين ألفًا ... ويتساءل ابن حزم قائلًا : فهل هذا معقول ؟ !

وذكرت التوراة أنَّ بنى جرشون بن « لاوى » من ابن شهر فصاعدًا كانوا خمسمائة وستة آلاف رجل ، ثم ذكرت أبناءهم تفصيلا ، فوقعت فى خطأ فى الحساب والعد .

وابن حزم حادّ اللسان فى مناقشة خصومه ، يستعمل معهم كلمات جارحة قاسية ، كقوله : (فعليهم ما يخرج من أسافلهم) وقوله : (لقد هان من بالت عليه الثعالب) . وقوله : (هؤلاء الأنذال الكفرة) ، (ولو لم يكن فى توراتهم إلّا هذه الكذبة وحدها لكفت فى أنها موضوعة مبدّلة من حمار فى جهله) ، (وأراد أن يخرج هذا الساقط من مزبلة فوقع فى كنيف عَذِرة) (وما افتراه الكفرة أسلافهم الأنتان) ، (لعنة الله وغضبه عدد كل شيء خلق الله) . (أتراه بلغ المسخم الوجه الذى كتب لهم هذا الكتاب الأحمق من الجهل بالحساب هذا المبلغ ؟) ، (لقد كان الثور أهدى منه ، والحمار أنبه منه بلا شك) .

وهكذا تظهر حدة انفعاله ، حتى يخرجه الغضب والحنق إلى استعمال هذه الشتائم ، وتلك الأساليب القاسية العنيفة .

وتكثر الجمل الاعتراضية فى أسلوبه ، ممّا يعوق فهم المعنى أحيانًا .

النّسخ التى اعتمدنا عليها

١ – النسخة (١) المصورة (الميكروفيلم) : برقم ١٧٨ توحيد ، وهى منقولة عن نسخة فى مكتبة رئيس الكتاب باستنبول تحت رقم ٥٥٥ ، و تقع فى اثنتين وعشرين وخمسمائة ورقة ، وقد نسخت سنة ٧٢٢ هـ ، وقوبلت على نسخة انتسخت وقوبلت على نسخة المؤلف[٢٤].

وهذه النسخة مكتوبة بخط النسخ الجميل ، ومضبوطة بالشكل ، وتدل التصويبات على هامشها على أنها قد روجعت بدقة .

وتبدأ هذه النسخة بـ : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا ، قال الشيخ الإمام الأوحد ، الحافظ ، العالم ، ناصر الدين ، أبو محمد على ابن أحمد بن سعيد بن حزم » .

وعدد السطور فى كل صفحة واحد وعشرون سطرًا ، يحوط الكتابة إطار يحدّد بداية السطور ونهايتها .

وفى آخر النسخة : « صور هذا المخطوط بالمكتبة السليمانية باستنبول فى يوم الاثنين الموافق ٢٠ من يونيه سنة ١٩٤٩ م .

وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز (خ) .

٢ – **النسخة** (**ب**) : وهى نسخة موجودة فى مكتبة الأزهر رقم ١٠٣٤٩/١٤٥١ توحيد وهى نسخة فى مجلد واحد بقلم معتاد بها أكل أرضه فى ٣٨٦ صفحة وتبدأ هذه النسخة ببسم الله الرحمن الرحيم ، عونك الهم . قال الفقيه الأصولى الفاضل الحافظ المحدث أبو محمد على أحمد بن حزم رضى الله عنه . الحمد الله رب العالمين كثيرًا وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخاتم أنبيائه . أما بعد .

فأن كثيرًا من الناس كتبوا فى افتراق الناس فى دياناتهم ومقالتهم كتبًا كثيرًا . الخ وفى آخرة « فكفروا وجحدوا نعمة الله عز وجل فحل بهم البلاء وزوال النعمة كما قال عز وجل : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وفى آخره تم الكلام عن الجزء الثانى وبه تم الكتاب ومسطرتها ٢٩ سطرًا ٢,٦ سم .

٣ – **النسخة** (أ) : وهى نسخة مطبوعة على ورق مساحته ٢٠ × ٢٨ سم وبهامشها « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، قام بطبعها ونشرها مطبعة ومكتبة محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر عام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م ، وعدد السطور فى كل صفحة اثنان وثلاثون سطرا ، وهذه النسخة لم تحقق تحقيقًا علميًا ، وبها كثير من العبارات المتروكة ، والكلمات المحرّفة ، وقد تركت فيها الأعلام بغير تحقيق ، وكل موضوع من موضوعاتها يبدأ فيه بعنوان (فصل) . وفى بداية كل كلام جديد : (قال أبو محمد رضى الله عنه) .

وانتهى الجزء الأول منها فى صفحة ١٦٠ ، وآخر الموضوعات التى انتهى بها الجزء الأول : « الكلام على أن التوراة لم تكن موجودة إلّا فى الهيكل عند الكوهن » . بينما انتهى الجزء الأول فى النسخة (ب) بانتهاء الحديث عن اليهود ، وبدأ الجزء الثانى بالحديث عن الإنجيل وكتب النصارى .

* * *

خاتمــة

وبعد : فلقد بذلنا فى تحقيق هذا الكتاب جهدنا ، وتخيّرنا الأوقات المباركة التى تنشط فيها النفس ، وينقدح فيها الخاطر للعمل فيه ، ولكن لا يسعنا فى نهاية المطاف إلّا أن نردّد ما قاله عماد الدّين الأصفهانى :

« إنه ما كتب كاتب فى يومه كتابًا إلّا قال فى غده ، لو زيد كذا لكان أحسن ، ولو حذف كذا لكان يستحسن ، ولو أضيف كذا لكان أفضل ، وهذا دليل على جملة النقص على جميع البشر » .

فالله نسأل أن ينفع بهذا الجهد ، وأن يبعث فينا العزم والقوة لإتمام هذا العمل الجليل . إنه سميع مجيب .

المحققان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا ، قال الشيخ الإمام الأوحد ، الحافظ ، العلم ، ناصر الدين(١)، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد(٢) ابن حزم (رضى الله عنه)(٣).

الحمد لله حمدًا(٤) كثيرًا ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخاتم أنبيائه بكرة وأصيلا ، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فإنّ كثيرًا من الناس كتبوا فى افتراق الناس فى دياناتهم ومقالاتهم كتبًا كثيرة جدًّا ، فبعضٌ أطال وأسهب ، وأكثر وهجَّر(٥)، واستعمل الأغاليط والشغب ، فكان(٦) ذلك شاغلًا عن الفهم ، وقاطعًا(٧) دون العلم ، وبعضٌ حذف وقصّر ، وقلّل واختصر ، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات فكان فى ذلك غير منصفٍ لنفسه فى آنٍ لا يرضى لها بالغبن فى الإبانة(٨) وظالمًا لخصمه فى آنٍ(٩)، لم يوفِّه حق اعتراضه ، وباخسًا حقَّ من قرأ كتابه ؛

---

(١) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول « بسم الله إلى ناصر الدين » . وذكر ذلك فى (خ)

(٢) فى (أ، ب) سقطت كلمة « سعيد » وذكرت فى (خ) .

(٣) راجع ترجمته فى مقدمة التحقيق .

(٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (حمدًا) .

(٥) هجَّر : قال الهُجْرَ من الكلام ، وهو البذىء الفاحش . وفى (خ) « أهجر » بمعنى أكثر الكلام فيما لا ينبغى .

(٦) فى (خ) « وكان » .

(٧) فى (أ ، ب) : [قاطعا] بدون واو العطف .

(٨) فى (أ ، ب) : [أن يرضى] .

(٩) فى (أ ، ب) : « أنْ » .

إذ لم يفنّد به[١٠] غيره . وكلهم – إلّا تحلّة القسم[١١] – عقّد كلامه تعقيدا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم ، وحلّق على المعانى من بعد حتى صار يُنسى آخرُ كلامه أوّله ، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم[١٢]، فكان هذا عملاً[١٣] منهم غيرَ محمود فى عاجله وآجله .

قال « أبو محمد رضى الله عنه » : فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عزَّ وجلَّ فى جمعه ، وقصدنا به[١٤] إيرادَ البراهين المنتجة عن المقدّمات الحسية أو الرّاجعة إلى الحسِّ من قرب أو من بُعدٍ على حسب قيام البراهين التى لا تخون أصلاً مخرِّجة[١٥] إلى ما أخرجت له ، وألّا يصح منه إلّا ما صححت البراهين المذكورة فقط ، إذ ليس الحق إلّا ذلك ، وبالغنا فى بيان اللفظ وترك التعقيد ، راجين من الله عزَّ وجل[١٦] على ذلك الأجر الجزيل ، وهو تعالى ولىّ من تولّاه ، ومعطى من استعطاه لا إله إلّا هو ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه)[١٧] فنقول وبالله التوفيق : رءوس الفرق المخالفة لدين الإسلام ستٌ ، ثم تتفرق كل فرقة من هذه الفرق السِّتِّ على فرق ، وسأذكر جماهيرها[١٨] إن شاء الله تعالى[١٩].

فالفرق السِّت التى ذكرناها على مراتبها فى البعد عنّا .

أولاها : مبطلو الحقائق : وهم الذين يسميهم المتكلمون « السوفسطائية »[٢٠].

---

(١٠) فى (أ ، ب) : « لم يغنه عن » .

(١١) فى (أ ، ب) « نحلة القسم » بالنون ، والصواب ما أثبتناه ، وقد وردت فى حديث الرسول ﷺ : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلّا تحلة القسم » كأنه يريد قوله تعالى : « وإن منكم إلّا واردها كان على ربك حتما مقضضيا ، لأنها فى حكم القسم من الله تعالى وهو مثل يضرب للقليل المفرط فى القلة ، والمعنى لا تمسه النار إلا مسة يسيرة (القرطبى : تفسير جـ ١١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٠ هـ) .

(١٢) يقصد بذلك : أنهم اتجهوا هذا الاتجاه سترا على معانيهم الفاسدة .

(١٣) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « عملا » . وفى « خ » سقطت كلمة « منهم » .

(١٤) فى « خ » « وقصدنا به قصد » .

(١٥) فى (أ ، ب) « مخرجها » .

(١٦) فى (أ ، ب) [تعالى] بدلًا من عز وجل .

(١٧) كلمة (رضى الله عنه) لم تذكر فى (خ) فهى من زيادات النساخ .

(١٨) أى رءوسها والمشهور منها .

(١٩) فى (أ ، ب) [عز وجل] .

(٢٠) السوفسطائية : أصل هذا اللفظ فى اليونانية (سوفسيا) وهو مشتق من لفظ « سوفوس » ومعناه : « الحكيم والحاذق ». وقيل إن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل ، ويقصد به خداع الآخرين أو خداع النفس ، و « السوفسطائى » هو المنسوب إلى السفسطة ، وتطلق هذه الكلمة على كل فلسفة ضعيفة الأساس متهافتة المبادىء ، وينقسم السوفسطائيون إلى ثلاث فرق : اللاأدرية : وهم القائلون بالتوقف فى وجود كل شيء وعلمه ، وثانيتهما : العنادية : وهم الذين يعاندون ويدّعون أنهم جازمون بأنه لا موجود أصلًا . وثالثتهما : العندية : وهم القائلون إن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات دون العكس (كشاف اصطلاحات الفنون : للتهانوى – نقلا عن المعجم الفلسفى – للدكتور جميل صليبا) .

وثانيتها : القائلون بإثبات الحقائق[٢١]، إلَّا أنهم قالوا : إنَّ العالَمَ لم يزل ، وأنه لا محدث له ولا مدبر .

وثالثتها : القائلون بإثبات الحقائق ، وأن العالم لم يزل ، وأنَّ له مدبِّرًا لم يزل .

ورابعتها : القائلون بإثبات الحقائق . وقال[٢٢]بعضهم : إنَّ العالم لم يزل ، وقال بعضهم[٢٣]: بل هو محدث . واتفقوا على أن له مدبِّرين لم يزالوا ، وأنهم أكثر من واحد ، واختلفوا فى عددهم .

وخامستها : القائلون بإثبات الحقائق ، وأن العالَمَ محدَث ، وأن له خالقًا واحدًا لم يزل ، وأبطلوا النبوَّاتِ كلَّها .

وسادستها : القائلون بإثبات الحقائق ، وأن العالم محدَث ، وأن له خالقًا واحدًا لم يزل ، وأثبتوا النبوَّات ، إلَّا أنهم خالفوا فى بعضها فأقروا ببعض الأنبياء عليهم السلام ، وأنكروا بعضهم .

* * *

قال : « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد تحدث فى خلال هذه الأقوال آراء هى منتَجةٌ من هذه الرءوس ، ومركبة منها ، فمنها ما قد قالت به طوائف من الناس مثل ما ذهبت إليه فرق من الأمم ، من القول بتناسخ الأرواح[٢٤]، أو القول بتواتر النبوّات فى كلِّ وقت ، وأنَّ[٢٥] فى كل نوع من أنواع الحيوان أنبياء[٢٦]، ومثل ما قد لقيت جماعة من القائلين به ، وناظرتهم عليه من القول بأن العالم محدَث ، وله مدبِّر لم يزل ، إلَّا أن النفس والمكان المطلق ، وهو الخلاء والزمان المطلق لم تزل معه .

قال « أبو محمد » : وهذا قول قد[٢٧] ناظرنى عليه عبد الله بن خلف بن مروان[٢٨] الأنصارى ، وعبد الله بن محمد السلمى الكاتب ، ومحمد بن على بن أبى الحسين الأصبحى

---

(٢١) أى إثبات الموجودات .

(٢٢) فى (أ ، ب) [فبعضهم قال] .

(٢٣) فى (أ ، ب) [وبعضهم قال] .

(٢٤) تناسخ الأرواح .: يؤمن به طائفة كبيرة من الهند ، وهم يعتقدون أن النفس لا تفنى ولكنها تنتقل فى أكثر من جسم حتى تصفو وتعلم ، وبعدها تصير إلى الله تعالى الذى إليه تصير الأمور . (تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة – للبيرونى ص ٧٢) طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٧٧ هـ .

(٢٥) فى (أ ، ب) « أو أنَّ » .

(٢٦) يعتمد من يقول بهذا الرأى من المسلمين على قوله تعالى : وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلَّا أمم أمثالكم » سورة الأنعام آية ٣٨ . ويستدل بقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » سورة غافر – آية ٢٤ ، على إرسال الرسل إلى هذه الأمم من الحيوان والطير ، وقد تحدَّث المؤلف عن ذلك فى هذا الكتابْ .

(٢٧) فى (أ ، ب) ذكرت « قد » وسقطت من (خ) .

(٢٨) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (ابن) .

الطبيب ، وهو قول يؤثر عن محمد بن زكريا الرازى الطبيب[٢٩]، ولنا عليه فيه كتاب مفرد فى نقد كتابه فى ذلك ، وهو المعروف بالعلم الإلهى ، وكمثل ما ذهب إليه قومٌ من أن الفلك لم يزل ، وأنه غير الله تعالى ، وأنه هو المدبر للعالم الفاعل له إجلالًا بزعمهم لله عزّ وجل عن أن يوصف بأنه فعل شيئًا من الأشياء وقد كنّى بعضهم عن ذلك بالعرش . ومنها مالا نعلم أن أحدًا قال به إلَّا أنه غير الله تعالى ، وأنه هو المدبر للعالم الفاعل له إجلالًا بزعمهم لله عزّ وجل عن أن يوصف بأنه فعل شيئًا من الأشياء وقد كنّى بعضهم عن ذلك بالعرش . ومنها ما لا نعلم أن أحدًا قال به إلَّا أنه مما لا يؤمن أن يقول به قائل من المخالفين عند تطبيق الحجج[٣٠] عليهم ، فيلجئون إليها ، فلابدَّ إن شاء الله تعالى من ذكر ما يقتضيه مساق الكلام منها .

وذلك مثل القول : بأنَّ العالم محدَث ولا محدَثَ له ، فلابدَّ بحول الله تعالى من إثبات المحدِث بعد الكلام فى إثبات الحدوث ، وبالله تعالى التوفيق والعون لا إله إلَّا هو[٣١].

* * *

البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق[٣٢].

« باب » مختصر جامع فى ماهية البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق فى كل ما اختلف فيه الناس وكيفية إقامتها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه)[٣٣]: هذا باب قد أحكمناه فى كتابنا المرسوم « بالتقريب فى حدود الكلام »[٣٤] وتقصيناه هنا لك غاية التقصى والحمد لله رب العالمين ، إلَّا أننا

---

(٢٩) هو محمد بن زكريا الرازى أبو بكر فيلسوف من الأئمة فى صناعة الطب ، ولد سنة ٢٥١ هـ وتوفى سنة ٣١١ هـ من أهل « الرى » ولد وتعلم بها ، وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين يسميه كتاب اللاتينية « رازيس » Razies أولع بالموسيقى والغناء ، ونظم الشعر فى صغره ، واشتغل بالسيمياء والكيمياء ثم عكف على الطب والفلسفة فى كبره ، له تصانيف ، سمى ابن أبى الأصيبعة منها : مائتين وثلاثين كتابا ورسالة ، ولخص كتاب « جالينوس » فى حيلة البرء – (الأعلام : حـ ٦ : ٣٦٤) .

(٣٠) فى (أ ، ب) « الحجج » .

(٣١) فى (خ) لم يذكر (والعون لا إله إلا هو) .

(٣٢) هذا العنوان من وضع المحقق ، وقد ذكر هذا الباب فى النسخة الخطية (خ) بعد القسم الأول الذى تحدث فيه عن السوفسطائية ، ولكن النسختين المطبوعتين (أ ، ب) أتتا به فى هذا المكان وقد تبعناهما فى هذا الترتيب لأن الترتيب المنطقى يقتضى ذكره فى هذا المكان لأنه قد أراد أن يجعل هذا الفصل أساسا يثبت فيه أولًا العقيدة الحقة ثم يبين بعد ذلك أن ما خالف ذلك من النحل الست التى سيذكرها باطل وفاسد .

(٣٣) فى (خ) : لم تُذكر (رضى الله عنه) وهذا يوحى بأن هذه النسخة الخطية نقلت عن نسخة المؤلف حيث لم يدع فيها لنفسه ، أما النسخ الأخرى التى ذكر فيها هذا الدعاء فيبدو أنها نقلت بعد وفاته بفترة طويلة .

(٣٤) حقق هذا الكتاب الدكتور « إحسان عباس » وسماه « التقريب لحدود المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية – نشرته دار مكتبة الحياة بالسودان عام ١٩٥٩ م .

نذكر هاهنا جملة كافية لتكون مقدمة لما يأتى بعدهم مما اختلف الناس فيه ، يرجع إليها إن شاء الله تعالى عزّ وجل[٣٥] فنقول وبالله التوفيق .

إن الإنسان يخرج إلى هذا العالم ونفسه قد ذهب ذكرها جملة فى قول من يقول : إنها كانت قبل ذلك ذاكرة[٣٦]، أو لا ذكر لها ألبتة فى قول من يقول : إنها حدثت حينئذ[٣٧]، أو أنها مزاج عرض[٣٨]، إلا أنه قد حصل[٣٩] أنه لا ذكر للطفل حين ولادته ولا تمييز إلّا ما لسائر الحيوان من الحسّ والحركة الإرادية فقط ، فتراه يقبض رجليه ويمدّهما ،ويقلب أعضاءه حسب طاقته ، ويألم إذا أحسَّ البرد ، أو الحرّ ، أو الجوع ، وإذا ضرب ، أو قرص ، وله سوى ذلك مما يشاركه فيه الحيوان والنوامى مما ليس حيوانًا[٤٠]، من طلب الغذاء لبقاء جسمه على ما هو عليه ، ولنمائه فيأخذ الثدى ويميزه بطبعه — من سائر الأعضاء[٤١] — بفيه دون سائر أعضائه ، كما تأخذ عروقُ الشجر والنبات رطوباتِ الأرض والماء لبقاء أجسامها على ما هى عليه ، ولنمائها ، فإذا قويت النفس على قول من يقول : إنها مزاج ، أو إنها حدثت حينئذ ، أو أخذت يعاودها ذكرها وتمييزها فى قول من يقول : إنها كانت ذاكرة قبل ذلك ، أو إنها كالمفيق من مرض فأول ما يحدث لها من التمييز الذى ينفرد به الناطق من الحيوان فهمُ ما أدركت بحواسّها الخمس[٤٢]، كعلمها : أن الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها ، والرائحة الرديئة منافرة لطبعها ، وكعلمها أن الأحمر مخالف للأخضر ، وللأصفر وللأبيض ، وللأسود ، وكالفرق بين الخشن والأملس ، والمكتنز والمتهيل واللزج ، والحار والبارد والدافىء ، وكالفرق بين الحلو والحامض ، والمرّ والمالح والعفص[٤٣]، والزاعق[٤٤] والتفه[٤٥]، والعذب والحريف ، وكالفرق بين الصوت الحادّ والغليظ ، والرقيق والمطرب والمفزع .

---

(٣٥) فى (آ ، ب) لم تذكر كلمة (عزّ وجل) .

(٣٦) وتوضيح ذلك : أن بعض الفلاسفة يرى أن النفس كانت تعرف كل شىء قبل حلولها فى الجسد فلما حلت فيه ، نسيت ما كانت تعلم ، وبدأت فى اكتساب معلومات جديدة عن طريق الحواس والعقل ، ومن هؤلاء ابن سينا ، وله قصيدة مشهورة فى النفس .

(٣٧) ويرى هؤلاء : أن النفس كانت صفحة بيضاء قبل حلولها فى الجسد ، وبدأت فى كسب المعلومات عندما حلّت فيه .

(٣٨) وأصحاب هذا الرأى يرون أن المعلومات التى تكتسبها النفس مزاج عارض وليست صفة ثابتة لها ، قال « بروقلس » : التذكر والنسيان خاصان بالنفس الناطقة ، وقد بان أنها لم تزل موجودة فوجب أن تكون لم تزل عالمة وذاهلة ، أما عالمة فعند مفارقتها البدن وأما ذاهلة فعند مقاربتها البدن ، فإنها فى المفارقة تكون من خير العقل ، فلذلك تكون عالمة ، وفى المقاربة تنحط عنه ، فيعرض لها النسيان لغلبة بالقوة عليها (تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة : للبيرونى ص ٤٤) .

(٣٩) لا معنى لهذا الاستثناء .

(٤٠) يقصد بالنّوامى مما ليس حيوانا عالم النبات .

(٤١) الأولى حذف قوله : « من سائر الأعضاء » ليستقيم المعنى ويتضح .

(٤٢) فى (خ) حُذفت كلمة (الخمس) .

(٤٣) المكتنز : الصلب كثير اللحم . المتهيّل : المترهل كالهباء المنبث . اللزج : الذى يتمطط ويتمدد . العفص : شجرة من البلوط تحمل سنة بلوطًا وتحمل سنة عفصا وهو دواء قابض مجفف يردّ المواد المنصبة ، ويشد الأعضاء الرخوة الضعيفة وإذا نقع فى الخل سوّد الشعر . . وعَفِصٌ ككتف .

(٤٤) الزاعق : من الشراب المر الذى لا يطاق ، ومن الطعام : كثير الملح (القاموس المحيط) .

(٤٥) التفه : الغث القليل ، والطعام التفه : ما ليس له طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة . المرجع السابق

قال « أبو محمد » : فهذه إدراكات الحواس لمحسوساتها .

والإدراك السادس : علمها بالبدهيات[٤٦]، فمن ذلك علمها بأن الجزء أقلُّ من الكل ، فإنَّ الصبىَّ الصغير فى أوّل تمييزه إذا أعطيته تمرتين بكى ، وإذا زدته ثالثة سُرَّ ، وهذا علم منه بأن الكل أكثرُ من الجزء ، وإن كان لا يتنبه لتحديد ما يعرف من ذلك ، ومن ذلك علمه بأن لا يجتمع المتضادَّان ، فإنك إذا وقَّفته قسرًا بكى ونازع[٤٧] إلى القعود ، علمًا منه بأنه لا يكون قائمًا قاعدًا معًا . ومن ذلك : علمه بأنه[٤٨] لا يكون جسم واحد فى مكانين ، فإنه إذا أراد الذهاب إلى مكان مّا فأمسكته قسرًا[٤٩] بكى ، وقال كلامًا معناه ، دعنى أذهب ، علمًا منه بأنه لا يكون فى المكان الذى يريد أن يذهب إليه ما دام فى مكان واحد . ومن ذلك : علمه بأنه لا يكون الجسمان فى مكان واحد ، فإنك تراه ينازع على المكان الذى يريد أن يقعد فيه ، علمًا منه بأنه لا يسعه ذلك المكان مع ما فيه ، فيدفع مَنْ فى ذلك المكان الذى يريد أن يقعد فيه إذ يعلم[٥٠] أنه ما دام فى المكان ما يشغله فإنه لا يسعه وهو فيه . وإذا قلت له ناولنى ما فى هذا الحائط وكان لا يدركه قال : لست أدركه وهذا علم منه بأن الطويل زائد على مقدار ما هو أقصر منه ، وتراه يمشى إلى الشىء الذى يريد ليصل إليه ، وهذا علم منه بأن ذا النهاية يحصر ويقطع بالعدو[٥١]، وإن لم يحسن العبارة بتحديد ما يدرى من ذلك ومنها : علمه بأنه لا يعلم الغيب أحد ، وذلك أنك[٥٢] إذا سألته عن شىء لا يعرفه أنكر[٥٣] ذلك وقال : لا أدرى . ومنها : فَرْقُه بين الحق والباطل فإنه إذا أخبر بخبر تجده فى بعض الأوقات لا يصدّقه حتى إذا تظاهر[٥٤] عنده بمخبر آخر وآخر[٥٥] صدّقه وسكن إلى ذلك . ومنها : علمه بأنه لا يكون شىء إلا فى زمان فإنك إذا ذكرت له أمرًا مّا قال : متى كان ؟. وإذا قلت له : لِمَ تفعل كذا وكذا ، قال : متى كنت أفعله[٥٦]؟ وهذا علم منه بأنه لا يكون شىء مما فى العالم إلّا فى زمان . ويَعْرِفُ أن للأشياء طبائع وماهية تقف عندها ولا تتجاوزها ، فتراه إذا رأى شيئًا لا يعرفه قال : أىّ شىء هذا ؟ فإذا شرح له سكت . ومنها : علمه بأنه لا يكون فعل إلّا من فاعل[٥٧]، فإنه إذا رأى شيئًا

(٤٦) فى (خ) قوله : « بالبديهيات فمن ذلك علمها » غير مذكور فيها .
(٤٧) فى (أ ، ب) : « ونزع » .
(٤٨) فى (أ ، ب) : « بأنّ » .
(٤٩) فى (خ) : « قهرا » .
(٥٠) فى (خ) : « أنّ » .
(٥١) فى (خ) : « بالعدد » .
(٥٢) فى (خ) : « أنه » .
(٥٣) فى (خ) : « أنكره » .
(٥٤) أى اجتمع معه خبر آخر يكون له ظهيرًا ومساعدًا فى تقرير الخبر .
(٥٥) فى (خ) : سقطت « وآخر » .
(٥٦) فى (أ ، ب) : « ما كنت أفعله » .
(٥٧) فى (أ ، ب) : « لفاعل » .

قال : من عمل هذا ؟ ولا يقنع ألبتة بأنه انعمل بدون عامل . وإذا رأى بيد آخر شيئًا قال : من أعطاك هذا ؟ ومنها : معرفته بأن فى الخبر[٥٨] صدقًا أو كذبًا ، فتراه يكذِّب بعض ما يُخْبَرُ به ، ويُصدِّق بعضه ، ويتوقف فى بعضه .

هذا كلّه مشاهد من جميع الناس فى مبدأ نشأتهم .

قال « أبو محمد » فهذه أوائل العقل التى لا يختلف فيها ذو عقل ، وهاهنا أيضًا أشياء غير ما ذكرنا إذا فُتِّشت وجدت وميزها كل ذى عقل من نفسه ومن غيره ، وليس يدرى أحد كيف وقع له العلم بهذه الأشياء كلها بوجه من الوجوه ؟

ولا يشك ذو تمييز صحيح فى أن هذه الأشياء كلها صحاح[٥٩] لا امتراء فيها ، وإنما يَشُكُّ فيها بعد صحة[٦٠] علمه بها من دخلت عَقْلَه آفةٌ وفسد تمييزه أو مال إلى بعض الآراء الفاسدة فكان ذلك أيضًا آفة دخلت على تمييزه كالآفة الدَّاخلة على من به هيجان الصفراء ، فيجد العسل مرًّا ، ومن فى عينه ابتداء نزول الماء[٦١] فيرى خيالات لا حقيقة لها ، وكسائر الآفات الدَّاخلة على الحواسِّ .

قال « أبو محمد » : فهذه المقدمات الصحاح [٦٢] التى ذكرنا هى التى لا شك فيها ، ولا سبيل إلى أن يَطلُب عليها دليلًا إلا مجنونٌ ، أو جاهلٌ لا يعلم حقائق الأشياء ومَنْ الطفل أهدى منه ، وهذا أمر يستوى فى الإقرار به كبارُ جميع بنى آدم عليه السلام[٦٣] وصغارهم ، فى أقطار الأرض ، إلَّا من غالط حسَّه ، وكابر عقلَه ، فيلحق بالمجانين ، لأن الاستدلال على الشىء ، لا يكون إلَّا فى زمان ، ولابدّ ضرورة أن يُعلم ذلك بأوّلِ العقل ، لأنه قد عُلِم بضرورة العقل : أنه لا يكون شىء مما فى العالم إلَّا فى وقت ، وليس بين أوّل[٦٤] أوقات تميز النفس فى هذا العالم ، وبين إدراكها لكل ما ذكرنا[٦٥] مهلة ألبتة ، لا دقيقة ولا أقل ولا أكثر فلا سبيل إلى الاستدلال عليها ، إذ لا وقت يمكن فيه الاستدلال[٦٦] على ذلك فصح أنها ضرورات أوقعها الله تعالى[٦٧] فى النفس ، ولا سبيل إلى الاستدلال ألبتة[٦٨] إلَّا من هذه المقدمات ، ولا يصح شىء

(٥٨) فى (خ) : سقطت « فى » .

(٥٩) فى (أ ، ب) : « صحيحة » .

(٦٠) وفى (خ) « وإنما شك فيها بعدم » .

(٦١) يقصد به ما يصيب العين من بعض الأمراض كالماء الأزرق ويسمى فى الطب الحديث « بالتراكوما » .

(٦٢) فى (أ ، ب) : « فهذه المقدمات التى ذكرناها هى الصحيحة » .

(٦٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « عليه السلام » .

(٦٤) فى (خ) : سقطت كلمة « أول » .

(٦٥) فى (خ) : سقطت كلمة « لكل ما ذكرنا » .

(٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت العبارة من أول : « ولا أقل . . إلى الاستدلال » .

(٦٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (تعالى) .

(٦٨) فى (خ) : لا توجد كلمة (ألبتة) .

إلّا بالردّ عليها[٦٩]، فما شهدت له مقدمة من هذه المقدمات بالصحة فهو صحيح متيقَّن ، وما لم تشهد له بالصحة فهو باطل ساقط ، إلّا أن الرجوع إليها قد يكون من قُرب ، وقد يكون من بُعد[٧٠]، فما كان من قُرب فهو أظهر إلى كل نفس ، وأمكن للفهم ، وكلما بعدت المقدّمات المذكورة صعب العمل فى الاستدلال حتى يقع فى ذلك الغلط إلّا للفَهم القوىّ الفهم والتمييز ، وليس ذلك مما يقدح فى أن ما رجع إلى مقدّمة من المقدّمات التى ذكرنا حق ، كما أن تلك المقدمة حق[٧١]، لا فرق بينهما فى أنهما حقٌّ ، وهذا مثل الأعداد فكلما قلّت الأعداد سهل جمعها ، ولم يقع فيها غلط حتى إذا كثرت الأعداد وكثر العمل فى جمعها صعب ذلك حتى يقع فيها الغلط إلّا[٧٢] للحاسب الكافى المجيد ، وكلٌّ[٧٣] ما قرب من ذلك وبعد فهو كلّه حق ، ولا نفاضل فى شىءٍ من ذلك ، ولا تُعارضُ مقدمة كما ذكرنا مقدمةً أخرى منها ، ولا يعارض ما يرجع إلى مقدِّمة أخرى منها رجوعًا صحيحًا ، وهذا كله يعلم بالضرورة . ومن علم النفس بأن علم الغيب لا يعرف[٧٤] صحَّ ضرورة : أنه لا يمكن أن يحكى أحد خبرًا كاذبًا طويلًا فيأتى من لم يسمعه فيحكى ذلك الخبر بعينه كما هو لا يزيد فيه[٧٥] ولا ينقص إذ لو أمكن ذلك لكان الحاكى لمثل ذلك الخبر عالـمًا بالغيب ، لأن هذا هو علم الغيب نفسه ، وهو الإخبار عما لا يعلم المخبر عنه بما هو عليه ، فإذ ذلك[٧٦] كذلك بلا شك فكل ما نقله من الأخبار اثنان فصاعدًا مفترقان قد أيقنا أنهما لم يجتمعا ولا تشاعرا ، فلم يختلفا فيه ، فبالضرورة يعلم أنه حقّ متيقّن مقطوع به[٧٧] على غيبه ، وبهذا علمنا صحّة موت من مات وولادة من ولد ، وعزل من عزل ، وولاية من ولى ، ومرض من مرض ، وإفاقة من أفاق ، ونكبة من نكب ، والبلاد[٧٨] الغائبة عنّا ، والوقائع والملوك ، والأنبياء عليهم الصلاة[٧٩] والسلام ، وديانتهم ، والعلماء وأقوالهم ، والفلاسفة وحكمهم ، لا شك عند أحدٍ يوفّى عقله حقه فى شىءٍ مما نقل من ذلك مما ذكرنا ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٦٩) فى (ا ، ب) : سقطت عبارة « ولا يصح شىء إلّا بالردّ عليها » .
(٧٠) فى (أ ، ب) : سقطت « وقد يكون » .
(٧١) أى ما قرره فى قوله : « وكلما بعدت المقدمات المذكورة صعب العمل فى الاستدلال » .
(٧٢) فى (أ ، ب) : « إلا مع الحاسب » .
(٧٣) فى الأصل « وكلما » .
(٧٤) فى (أ ، ب) : « لا يعارض » .
(٧٥) فى (أ ، ب) : زادت كلمة « فيه » .
(٧٦) فى (أ ، ب) : « وذلك كذلك » .
(٧٧) فى (أ ، ب) : زادت كلمة « به » .
(٧٨) أى وعرفنا البلاد الغائبة عنّا .
(٧٩) سقطت كلمة « الصلاة » فى (أ ، ب) .

القسـم الأوّل

« السوفسطائية »[1]

« باب الكلام على أهل القسم الأول ، وهم مبطلو الحقائق وهم السوفسطائية »

قال « أبو محمد » : ذكر من سلف من المتكلمين أنهم ثلاثة أصناف ؛ فصنف منهم نفى الحقائق جملة ، وصنف منهم شكوّا فيها ، وصنف منهم قالوا : هى حقٌّ عند من هى عنده حق ، وهى باطل عند من هى عنده باطل .

وعمدة ما ذكر من اعتراضهم : هو[2] اختلاف الحواس فى المحسوسات ، كإدراك البصر مَنْ بَعُدَ عنه – صغيرًا ، ومن قَرُبَ منه كبيرًا ، وكوجود من به حمى صفراء حلو المطاعم مرًّا ، وما يرى فى الرؤيا مما لا يشك فيه رائيه أنه حقٌّ من أنه فى البلاد البعيدة .

قال « أبو محمد » : وكل هذا لا معنى له ، لأن الخطاب ، وتَعاطى المعرفة إنما يكون مع أهل المعرفة ، وحسُّ العقل شاهد بالفرق بين ما يخيّل إلى النائم ، وبين ما يدركه المستيقظ ، إذ ليس فى الرؤيا من استعمال الجرى على الحدود المستقرة فى الأشياء المعروفة ، وكونها أبدًا على صفحة واحدة ما فى اليقظة ، وكذلك يشهد الحسُّ أيضًا بأنَّ تبدّل المحسوس عن صفته اللازمة له تحت الحس إنما هو لآفة فى حسِّ الحاسِّ له لا فى المحسوس ، جارٍ كل[3] ذلك على رتبة

---

(١) السوفسطائية : طائفة من المعلمين متفرقين فى بلاد اليونان – اتخذوا التدريس حرفة فكانوا يرحلون من بلد إلى بلد يلقون المحاضرات منهم « بروتا جوراس » كان يعلم قواعد النجاح فى السياسة ، و « هدياس » وكان يعلم التاريخ والطبيعة والرياضة ، والمقياس الذى قامت عليه فلسفتهم هو : الإنسان مقياس كل شىء ، وتكاد تكون فلسفة « البرجماتزم » التى لا تريد أن تعترف بحقيقة فى ذاتها قريبة الشبه جدًّا بتعاليم السوفسطائيين ، ولسنا نخطىء إذا قلنا ، إنها سوفسطائية العصر الحديث ، ولا ريب أن موضوع الخطأ عند « بروتا جوراس » قديما ، ومذهب « البرجماتزم » حديثا ، هو الاعتماد على الحواس وتجاهل العقل (قصة الفلسفة اليونانية ص ١٠٨ – أحمد أمين وزكى نجيب) . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٨ هـ .

(٢) فى (خ) : « فهو » .

(٣) فى (خ) لم تذكر كلمة « كل » .

واحدة لا تتحول[٤]، وهذه هى[٥] البداية والمشاهدات التى لا يجوز أن يطلب عليها برهان إذ لو طُلب على كل برهانٍ برهانٌ لاقتضى ذلك وجود موجودات لا نهاية لها ، ووجود أشياء لا نهاية لها محالٌ لا سبيل إليه ، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

والذى يطلب على البرهان برهانًا فهو ناطق بالمحال ، لأنه لا يفعل ذلك إلا وهو مثبت لبرهانٍ مّا ، فإذا وقف[٦] عند البرهان الذى ثبت لزمه الإذعان له .

فإن كان لا يُثبت برهانًا فلا وجه لطلبه ما لا يثبته لو وجده[٧]، والقول بنفى الحقائق مكابرة للعقل والحسّ .

ويكفى من الردّ عليهم : أن يقال لهم[٨]: « قولُكم إنه لا حقيقة للأشياء » ، أحقٌّ هو أم باطل ؟ فإن قالوا « هو »[٩] حق أثبتوا حقيقة مّا ، وإن قالوا ليس « هو »[١٠] حقًّا ، أقرُّوا ببطلان قولهم ، وكفوا خصومهم أمرهم .

ويقال للشّكاك منهم[١١]: – وبالله تعالى التوفيق – أشكُّكم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود ؟ فإن قالوا : هو موجود صحيح منّا أثبتوا أيضًا حقيقة[١٢] مّا ، وإن قالوا : هو غير موجود نفوا الشك وأبطلوه .

وفى إبطال الشك إثبات الحقائق أو القطع على إبطالها[١٣].

وقد قدّمنا بعون الله تعالى – إبطال قول من أبطله فلم يبق إلا الإثبات .

ويقال – وبالله التوفيق – لمن قال هى[١٤] حق عند من هى عنده حق ، وهى باطل عند من هى عنده باطل :

« إن الشىء لا يكون حقًّا باعتقاد من اعتقد أنه حق ، كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل » .

---

(٤) فى (خ) : « لا تستحيل » .
(٥) فى (خ) : لم تذكر كلمة « هى » .
(٦) فى (أ ، ب) : « وقفنا » .
(٧) لأن الذى لا يعترف بالبرهان أصلًا لا وجه لأن يطلب البرهان وهو غير معترف به .
(٨) فى (أ ، ب) : زادت كلمة « لهم » .
(٩) أى قولهم : لا حقيقة للأشياء ، فإن قالوا : إن قولهم هذا حق ، فقد أثبتوا حقيقة مّا وإذًا فقولهم منقوض .
(١٠) فى (أ ، ب) : زادت كلمة (هو) .
(١١) أى الذين يقفون موقف الشك والتوقف إزاء حقائق الأشياء ، فلا يقولون : إنها موجودة أو غير موجودة ، ويقولون عن الأشياء التى تقع تحت حكم الحواس : إنها من خداع هذه الحواس .
(١٢) وهى الشك ، فالشك معنى يمثل حقيقة هو الحكم بالشك .
(١٣) ذلك أنه إذا كان الشك لا يثبت حقيقة ولا ينفيها ، كان إبطاله إما إثباتًا للحقائق أو نفيا لها .
(١٤) أى الحقائق .

وإنما يكون الشيء حقًا بكونه موجودًا ثابتا ، سواء اعتُقد أنه حق أو اعتُقِد أنه باطل .

ولو كان غير هذا لكان معدومًا موجودًا فى حال واحدة فى ذاته . وهذا عين المحال .

وإذا أقروا بأن الأشياء حق عند من هى عنده حق ، فمن جملة تلك الأشياء التى تُعتَقد أنها حق عند من يعتقد أن الأشياء حق – بطلانُ قولِ من قال إن الحقائق باطل ، وهم قد أقروا أن الأشياء حق عند من هى عنده حق . وبطلان قولهم من جملة تلك الأشياء ، فقد أقروا[١٥] بأن بطلان قولهم حق ، مع أن هذه الأقوال لا سبيل إلى أن يعتقدها ذو عقل ألبتة ، إذ حسُّه يشهد بخلافها .

وإنما يمكن أن يلجأ إليها بعض المُتَنَطِّعين على سبيل الشغب . وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٥) أى أن الذين يعتقدون أن الأشياء حق داخل فى اعتقادهم بطلان من يقولون ببطلان الحقائق وهذا حق . .

القسم الثانى

من قال بأن العالم لم يَزَل وأنه لا مدبر له

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا يخلو العالم من أحد وجهين : إمّا أن يكون لم يزل أو أن يكون مُحدَثًا لم يكن ثم كان .

فذهبت طائفة إلى أنه لم يزل وهم الدّهرية[1].

وذهبت طائفة من الناس[2] إلى أنه مُحدَث .

فنبتدىء بحول الله تعالى وقوته بإيراد كل حجة شغب بها القائلون بأن العالم لم يزل ، وتوفية اعتراضهم بها ، ثم نبين بحول الله[3] تعالى نقضَها وفسادَها ، فإذا بطل القول بأن لم يزل وجب القول بالحدوث وصح ، إذ لا سبيل إلى وجه ثالث ، لكنا لا نقنع بذلك حتى نأتى بالبراهين

---

(١) الدهرية : هم فرقة خالفت ملة الإسلام ، وادعت قدم الدهر ، وأسندت الحوادث إليه ، كما حدث القرآن الكريم عنهم فقال : « إن هى إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر » . وذهبوا أيضا إلى ترك العبادات لزعمهم أنها لا تفيد ، والدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة على ما هو عليه فما ثم إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وسماء تقلع ، وسحاب يقشع ، وهواء يقمع ، ويسمون بالملاحدة . ويمكن ردّ أصل الدهرية إلى مدارس الفلسفة الإغريقية ، ويفرق الإمام الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) بين الدهرية والطبيعيين ، وتقول « دائرة المعارف الإسلامية » تقدم علماء المشرق تقدما كبيرا نحو الدهرية عندما تغلغل بينهم العلم الطبيعى الأوربى كمذهب « داروين » ومذهب المادية وغير ذلك . . وقد ردّ على الدهرية « جمال الدين الأفغانى » فى رسالته بعنوان « رسالة فى إبطال مذهب الدهريين » ويتضح من ذلك إذن أن المادية مرادفة للدّهرية ، ويجيز فقهاء اللغة أيضا النطق بكلمة (الدُّهرية) بضم الدال عملًا بقاعدة تغير الحركة ، وهو أمر مألوف فى النسبه .
راجع :

١ –دائرة المعارف للبستانى – مجلد ٨ مؤسسة مطبوعاتى – إسماعيليان .
٢ – مفاتيح العلوم – لطاش كبرى زاده – طبعة فان فلتن ص ٣٥ .
٣ – الملل والنحل : للشهرستانى .
٤ – الحيوان للجاحظ حـ٢ ص ٥٠ .
٥ – دائرة المعارف الإسلامية بتصرف حـ ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٢) وفى (أ ، ب) [وذهب سائر الناس] .
(٣) وفى (أ ، ب) [بحوله تعالى] .

الظاهرة والنتائج الموجبة ، والقضايا الضرورية على إثبات حدوث العالم . ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم .

الاعتراض الأول

فمما اعترضوا به : أن قالوا :لم نر شيئاً حدث إلّا من شيء أو فى شيء ، فمن ادّعى غير ذلك فقد ادَّعى ما لا يُشاهَد ولم يُشَاهَد .

الاعتراض الثانى

وقالوا أيضًا : لا يخلو مُحدِثُ الأجسام – الجواهر[٤] والأعراض ، وهى كل ما فى العالم – إن كان العالَم مُحدَثًا من أن يكون أحْدثه لأنه[٥]، أو أحدثه لعلّة ، فإن كان أحدثه[٦] لأنّه ؛ فالعالم لم يزل لأنَّ محدِثه لم يزل[٧] إذ هو علة خلقه فالعلّة لا تفارق المعلول ، وما لم يفارق من لم يزل فهو أيضًا لم يزل ، إذ هو مثله بلا شك ، فالعالم لم يزل .

وإن كان أحدثه لعلة ، فتلك العلّة لا تخلو من أحد وجهين ؛ إما أن تكون لم تزل ، وإمَّا أن تكون محدَثة .

فإن كانت لم تزل فمعلولها لم يزل ، فالعالم لم يَزَل .

وإن كانت تلك العلة مُحدَثة لزم من [٨] حدوثها ما لزم فى حدوث سائر الأشياء من أنه أحدثها لأنه [٩]، أو لعِلة .

فإن كانت لم تزل فمعلولها لم يزل ، فالعالم لم يَزَل .

وإن كانت تلك العلة مُحدَثة لزم من [٨] حدوثها ما لزم فى حدوث سائر الأشياء من أنه أحدثها لأنه [٩]، أو لعِلة .

فإن كان لعلة لزم ذلك أيضًا فى علة العلة ، وهكذا أبدًا .

---

(٤) وفى (خ) : [والأعراض والجواهر] .

(٥) قوله « أحدثه لأنه » هكذا فى الأصل بدون خبر إن ، وقد تكرر هذا الأسلوب فى مواضع أخرى ، وضمير لأنه يعود على البارى ، وخبر إنْ محذوف يفهم مما بعده والتقدير « أحدث البارى العالم لأنه – أى البارى – هو هو وصورته التى يتجلى فيها ، أو أحدثه لعله أخرى » .

(٦) سقطت كلمة [أحدثه] من النسختين (أ ، ب) .

(٧) فى النسختين (أ ، ب) [وإذ] .

(٨) وفى (أ) و (ب) [فى] .

(٩) (لأنه) أى هو نفس الأشياء ، وما الأشياء إلا انعكاس الصورة ، كما تنعكس الأشياء على صفحة المرآة ، وهذا مذهب الذين يقولون بوحدة الوجود ، فلا خالق ولا مخلوق فالكل خالق والكل مخلوق ، والكل عابد والكل معبود .

وهذا يوجب وجوب [١٠] محدثات لا أوئل لها . قالوا وهذا قولنا .

قالوا[١١]: وإن كان أحدثها لأنه ، فهذا يوجب أن العلّة لم تزل . كما بينا آنفًا .

الاعتراض الثالث

وقالوا أيضًا : إن كان للأجسام مُحدِث لم يخل من أحد ثلاثة أوجه :

إمّا أن يكون مثلها من جميع الوجوه .

وإمّا أن يكون خلافها من جميع الوجوه .

وإمّا أن يكون مثلَها من بعض الوجوه[١٢] وخلافَها من بعض الوجوه .

قالوا : فإن كان مثلَها من جميع الوجوه لزم أن يكون محدَثًا مثَلها ، وهكذا فى مُحْدَثه أيضًا أبدًا .

وإن كان مثَلها فى بعض الوجوه لزمه أيضًا من مماثلتها فى ذلك البعض ما يلزمه من مماثلته لها فى جميع الوجوه ، من الحدوث ، إذ الحدوث لازم[١٣] للبعض كلزومه للكل ولا فرق .

وإن كان خلافَها من جميع الوجوه فمحال أن يفعلها ، لأن هذا هو حقيقة الضد والتناقض[١٤] إذ لا سبيل إلى أن يفعل الشّئُ ضدّه من جميع الوجوه كما لا تفعل النارُ التبريد .

الاعتراض الرابع

وقالوا أيضًا : لا يخلو إن كان للعالم فاعل من أن يكون فَعلَه لإحراز منفعة ، أو لدفع مضرة ، أو طباعًا ، أو لشيء من ذلك .

قالوا : فإن كان فعله لإحراز منفعة ، أو لدفع مضرة ، فهو محل المنافع[١٥] والمضار ، وهذه صفة المحدثات عندكم فهو محدَث مثلُها .

---

(١٠) وفى (أ) و (ب) [وجود] .
(١١) ليست فى (خ) .
(١٢) سقطت كلمة (الوجود) من (خ) .
(١٣) فى (أ) و (ب) : اللازم .
(١٤) فى (أ) و (ب) : والمناقض .
(١٥) فى (أ) و (ب) : للمنافع.

قالوا : وإن كان فعله [١٦]. طباعًا فالطباع موجبة لما حدث بها فالفعل[١٧] لم يَزَل معه[١٨].

قالوا : وإن كان فعله لا لشىء أصلًا [١٩] فهذا لا يعقل ، وما خرج عن المعقول فمحال .

الاعتراض الخامس

وقالوا أيضًا : لو كانت الأجسام محدَثة لكان مُحدِثها قبل أن يحدثها فاعلًا لتركها ، قالوا وتركها لا يخلو من أن يكون[٢٠] جسمًا أو عرضًا . وهذا يوجب أن الأجسام والأعراض لم تزل موجودة .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : فهذه المشاغب الخمس هى كل ما عوّل عليه القائلون بالدّهر قد تقصيناها لهم . ونحن إن شاء الله نبدأ بحول الله وقوته فى مناظرتهم فننقضها واحدًا واحدًا .

إفساد الاعتراض الأول

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : يقال وبالله التوفيق والعون : لمن قال لم نر شيئًا حدث إلّا من شىء أو فى شىء :

« هل تُدرَك حقيقة شىء عندكم من غير طريق الرؤية والمشاهدة ، أو لا يدرك شىء من الحقائق إلّا من طريق الرؤية فقط ؟

فإن قالوا : إنه قد تدرك حقائق[٢١] من غير طريق الرؤية والمشاهدة تركوا استدلالهم وأفسدوه ، إذ قد أوجبوا وجود أشياء من غير طريق الرؤية والمشاهدة ، وقد نفوا ذلك قبل هذا[٢٢] .

فإذا صاروا إلى الاستدلال نوظروا فى ذلك إلّا أن دليلهم هذا على كل حال قد بطل بحمد الله تعالى .

---

(١٦) فى (خ) : فعلها .

(١٧) فى (أ ، ب) ففعله .

(١٨) وتوضيح ذلك : أن الطبائع حادثة متغيرة ، فكل ما يصدر عنها ينعكس عليه صفاتها من الحدوث والتغيير ، وتكون النتيجة اللازمة لذلك أن يكون الفعل الذى يصدر عنها لم يزل مثلها حادثا متغيرًا .

(١٩) فى (أ ، ب) : من ذلك .

(٢٠) أى المتروك ، وهو اسم يكون ، وهذا يعنى فى زعمهم أن ترك الخالق سبحانه خلق الأشياء أزلا ، كان ذلك منه سبحانه فعلا هو الترك للأجسام ، والأعراض الموجودة أزلًا من غير خلق ، فالأجسام والأعراض موجودة فى زعمهم ، وإن لم تكن موجودة على الصورة التى لبستها بعد ذلك .

(٢١) فى (أ ، ب) : الحقائق .

(٢٢) لأنهم يقولون : إنه لا تدرك الحقائق إلّا عن طريق الرؤية والمشاهدة ، فإذا قالوا : إنه قد تدرك الحقائق بدون الرؤية والمشاهدة فقد أبطلوا بهذا القول ، ما قام عليه مذهبهم من أن الحقائق لا تدرك إلّا بالرؤية والمشاهدة ، وما لا يدرك بالرؤية والمشاهدة لا وجود له عندهم .

فإن قالوا :[٢٣] لا يدرك شيء إلَّا من طريق الرؤية[٢٤] والمشاهدة .

قيل لهم : فهل شاهدتم شيئًا قط لم يَزَل ؟

فلابدَّ من نَعَم . أو لا . فإن قالوا لا .[٢٥] صدقوا وأبطلوا استدلالهم . وإن قالوا : نعم . كابروا . وادّعوا ما لا سبيل إلى[٢٦] مشاهدته ، إذ مشاهدة قائل هذا القول للأشياء هى ذاتُ أوَّلٍ بلا شك ، وذو الأول هو غير الذى لم يزل ، لأن الذى لم يزل هو الذى لا أول له ، ولا سبيل إلى أن يُشاهِدَ ماله أوَّل ما لا أوَّل له مشاهدة متصلة[٢٧]. فبطل هذا الاستدلال على كل وجه . والحمد لله رب العالمين .

إفساد الاعتراض الثانى

قال « أبو محمد » : (رضى الله عنه) : ويقال : لمن قال لا يخلو من أن يفعَل لأنَّه ، أو لعلّه : هذه قسمة ناقصة .

وينقص منها القسم الثالث وهو الصحيح وهو أنه فَعَل لا لأنّه ، ولا لعلّه أصلا ، لكن كما شاء[٢٨].

لأن كلا القسمين المذكورين أوَّلًا ، وهما : أنّه فعل لأنّه ، أو لعلّة ، قد بطلا بما قدّمنا هنالك ، لأن[٢٩] العلّة توجب إمَّا الفعل وإمّا الترك[٣٠]، وهو تعالى يفعل ولا يفعل فصحّ بذلك أنّه لا علّة لِفعله أصلًا ، ولا لتركه ألبتة .

فبطل هذا الشغب ، والحمد لله رب العالمين .

فإن قالوا : إنَّ تركَ البارى تعالى فى الأزل فِعْلٌ منه للترّك ، فَفِعلُه الذى هو الترك لم يزل – قلنا – وبالله تعالى التوفيق : إنَّ ترك البارى تعالى الفعلَ ليس فعلًا أصلا على ما نبين فى إفساد الاعتراض الخامس . إن شاء الله تعالى .

(٢٣) فى (أ ، ب) : [لا . بل] .
(٢٤) سقطت كلمة (الرؤية) من (أ ، ب) .
(٢٥) فى (أ) : وصدقوا .
(٢٦) فى الأصل : إلَّا معرفة .
(٢٧) وهذا القول يشبه فى دلالته ما نسب إلى قدماء المصريين من قولهم : « محال على من يفنى أن يكشف النقاب الذى تنقب به من لا يفنى » .
(٢٨) إذ أن القسمة المنطقية ، تقتضى هذه الفروض الثلاثة : الفرض الأول : أنه فَعَل لأنّه لا عِلَّةَ للفعل ، إذ كانت الأشياء موجودةً من غير فعِل ، بمعنى أنها موجودةٌ لذاتها ، والفرض الثانى أنه فَعَلَ لعِلَّة اقتضت أن يفعل . . والفرض الثالث . . وهو الذى فَرُّوا منه – أنه سبحانه فَعَلَ ما شاءَ كما شاء .
(٢٩) فى (أ ، ب) [إذ] .
(٣٠) فى (أ ، ب) [أو] .

إفساد الاعتراض الثالث

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : يقال لمن قال لو كان للأجسام محدِث لم يخل من أحد ثلاثة أوجه :

إمَّا أن يكون مثلَها من جميع الوجوه . أو من بعض الوجوه لا من كلّها ، أو خلافها من جميع الوجوه .. إلى انقضاء كلامهم .. بل هو تعالى خلافُها من جميع الوجوه ، وإدخالكم على هذا الوجه – أنه حقيقة الضد والتناقض[٣١] والضد لا يفعل ضدّه ، كما لا تفعل النار التبريد إدخال فاسد[٣٢].

لأن البارى تعالى لا يوصف بأنه ضدٌّ لخلقه ، لأن الضد : ما حُمِل على[٣٣] التضاد ، والتضادّ : هو اقتسام الشيئين طرفى البعد تحت جنس واحد ، فإذا وقع أحد الضدّين ارتفع الآخر[٣٤].

وهذا الوصف بعيد عن البارى تعالى .

وإنما التضادّ كالخضرة والبياض اللذين يجمعهما اللون .

أو الفضيلة والرذيلة اللتين تجمعهما الكيفية والخُلُق .

ولا يكون الضدّان إلَّا عَرَضين تحت جنس واحد ولا بدّ .

وكل هذا منفى عن الخالق عزّ وجل ، فبطل بالضرورة أن يكون عزّ وجل ضدًّا لخلقه .

وأيضًا فإنَّ قولهم : لو كان خِلَافًا لخلقه من جميع الوجوه ، لكان ضدًّا لهم قول فاسد . إذ ليس كلُّ خلاف ضدًّا ؛ فالجوهر خلاف العرض من كل وجه – حاشا الحدوث فقط[٣٥] وليس ضدًّا له .

ويقال أيضًا لمن قال هذا القول : هل تثبت فاعلًا وفعلًا على وجه من الوجود ؟

أو تنفى أن يوجَد فاعل وفعل ألبتة . ؟

---

(٣١) فى (أ ، ب) : والنقيض .

(٣٢) قوله : « على هذا الوجه » معترضة ، وقوله : « إنه حقيقة الضد والتناقض » ، متعلق بقوله (وإدخالكم) ، وتكون العبارة حينئذ هكذا (وإدخالكم هذه المقولة أنه حقيقة الضدّ والتناقض ، على هذا الوجه الذى صورتموه إدخال فاسد لأن الضدّ لا يفعل ضدّه ، كما لا تفعل النار التبريد .

(٣٣) فى (أ ، ب) : هو ما حَمَل حَمْلٌ .

(٣٤) النقيضان لا يجتمعان معا ، ولا يرتفعان معا ، فإذا وجد أحدهما ارتفع الآخر كالوجود والعدم ، فلابدّ من بقاء أحدهما ، أما الضدّان فلا يجتمعان معا ، وقد يرتفعان كالأبيض والأسود .

(٣٥) فى (خ) سقطت كلمة (فقط) .

فإن نفى الفاعل والفعل ألبتة - كابر العيان لإنكاره الماشى والقائم ، والقاعد ، والمتحرك والساكن .

ومن دفع هذا[٣٦] كان فى نصاب[٣٧] من لا يُكَلَّم .

وإن أثبت الفعل والفاعل فيما بيننا - قيل له :

هل يَفْعَلُ الجسمُ إلّا الحركةَ والسكون ؟ فلابدّ من نَعم .

والحركة والسكون خلاف الجسم - وليسا ضدًّا له ؛ إذ ليسا معه تحت جنس واحد أصلًا ، وإنما يجمعهما وإيّاه الحدوث فقط .

فلو كان كلُّ خلاف ضدًّا لكان الجسم فاعلًا لضدّه ، وهو الحركة أو السكون .

وهذا[٣٨] نفس ما أبطلوا .

فصحّ بالضرورة أنه ليس كل خلاف ضدًّا .

وصحّ أن الفاعل يفعل خلافه[٣٩]، لابدَّ من ذلك .

فبطل اعتراضهم ، والحمد لله رب العالمين .

إفساد الاعتراض الرابع

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) ويقال لمن قال : لا يخلو من أن يكون محدِث الأجسام أحدثها لإحراز منفعة ، أو لدفع مضرة ، أو طباعًا أو لا لشيء من ذلك إلى انقضاء كلامهم .

أمّا الفعل لإحراز منفعة ، أو لدفع مضرة فإنما يوصف به المخلوقون المختارون - وأمّا فعل الطباع فإنما يوصف به المخلوقون غير المختارين[٤٠].

وكل صفات المخلوقين فهى منفية عن الله تعالى الذى هو خالق لكل ما دونه .

وأمّا القسم الثالث[٤١]: وهو أنه فعل لا شيء من ذلك فهذا هو قولنا[٤٢].

---

(٣٦) فى (أ ، ب) : بهذا .
(٣٧) أى كان فى عداد من لا يخاطب لأنه ليس أهلًا للخطاب ، لفقدانه أهلية الخطاب .
(٣٨) فى « أ ، ب) : هو نفس .
(٣٩) فى (أ ، ب) : ولابدّ .
(٤٠) كالملائكة فإنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .
(٤١) فى (أ ، ب) « الثانى » .
(٤٢) أى أنه سبحانه يفعل ما يفعل لحكمة اقتضتها مشيئته ، وليس لعلة لأن الذى يفعل لعلة واقع تحت ضرورة هذه العلة ، وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا .

ثم نقول لمن قال : إنَّ الفعل لا لشيء من ذلك أمر غير معقول : ماذا تعنى بقولك غير معقول ؟

أتريد أنه لا يُعقل حسًّا أو مشاهدة ؟ أم تقول : إنه لا يعقل استدلالا ؟ فإن قلت : إنه لا يعقل حسًّا ومشاهدة ، قلنا لك صدقت ؛ كما أن أزلية الأشياء لا تُعقل حسًّا ومشاهدة .

وإن قلت : إنه لا يعقل استدلالًا .

كان ذلك دعوى منك مفتقرة إلى دليل ، والدَّعوى إذا كانت هكذا فهى ساقطة ، فالاستدلال بها ساقط ، فكيف والفعل لا لشيء من ذلك مُتَوَهم[٤٣] ممكن متشكل[٤٤] غير داخل فى الممتنع . وما كان هكذا فالمانع منه مُبطل ، والقول به يُعقل . فسقط هذا الاعتراض .

ثم نقول ، لما كان البارى تعالى – بالبراهين الضرورية – خلافًا لجميع خلقه من جميع الوجوه – كان فعله خلافًا لجميع أفعال خلقه من جميع الوجوه ، وجميع خلقه لا يفعل إلَّا طباعًا ، أو لاجتلاب منفعة أو لدفع مضرة – فوجب أن يكون فعله تعالى بخلاف ذلك . وبالله التوفيق .

إفساد الاعتراض الخامس

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ويقال لمن قال إنَّ ترك الفاعل أن يفعل الأجسام – لا يخلو[٤٥] من أن يكون جسمًا أو عرضًا إلى منتهى كلامهم .

إنّ هذه قسمة فاسدة بينة العَوَار ، وذلك أن الجسم هو الطويل العريض العميق ، وترك الفعل ليس طويلًا ، ولا عريضًا ، ولا عميقًا ، فترك الفعل من الله تعالى للجسم والعرض ليس جسمًا ، والعرض هو المحمول فى الجسم ، وترك فعل الله تعالى للجسم والعرض ليس محمولًا فليس عرضًا ، فترك فعل الله تعالى للجسم والعرض ليس[٤٦] جسمًا ولا عرضًا ، وإنما هو عدم ، والعدم ليس معنًى ولا هو شيئًا ، وترك الله تعالى للفعل ليس فعلًا ألبتة بخلاف صفة خلقه[٤٧]، لأن الترك من المخلوق للفعل فعل .

برهان ذلك : أن ترك المخلوق للفعل لا يكون إلَّا بفعل آخر منه ضرورة ، كتارك الحركة لا يكون إلا بفعل السكون .

---

(٤٣) قوله « متوهم » صفة لشيء .

(٤٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « متشكل » .

(٤٥) أى المتروك فعله .

(٤٦) فى (أ ، ب) [ليس هو] .

(٤٧) أى بخلاف ما يوصف به المخلوقون من ترك الفعل ، فإن تركهم للفعل ، فعل .

وتارك الأكل ، لا يكون إلا باستعمال آلات الأكل فى مقاربة بعضها بعضًا ، أو فى مباعدة بعضها بعضًا ، وبتعويض الهواء وغيره من الشىء المأكول .

وكتارك القيام لا يكون إلا باشتغاله بفعل آخر من قعودٍ أو غيره .

فصحّ أن فعل البارى تعالى بخلاف فعل خلقه ، وإن تركه للفعل ليس فعلا أصلًا . فبطل استدلالهم ، وبالله التوفيق .

البراهين الضرورية على إثبات حدوث العالم

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فإذ قد بطل جميع ما تعلقوا به ، ولم يبق لهم شغب أصلًا بعون الله وتأييده ، فنحن مبتدئون بتأييده – عزّ وجل – فى إيراد البراهين الضرورية على إثبات حدوث العالم ، بعد أن لم يكن ، وتحقيق أن له محدِثًا لم يزل لا إله إلّا هو .

برهان أول

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فنقول – وبالله التوفيق – « إن كل شخص فى العالم ، وكل عرض فى شخص ، وكل زمان – وكل ذلك متناهٍ ذُو أوَّل نشاهد ذلك حسًا وعيانًا ، لأن تناهى الشخص ظاهر بمساحته بأول جرمه وآخره ، وأيضًا بزمان وجوده .

وتناهى العرض المحمول ظاهر بيِّنٌ بتناهى الشخص الحامل له .

وتناهى الزمان موجود باستئناف ما يأتى منه بعد الماضى . وفناء كل وقت بعد وجوده ، واستئناف آخر يأتى بعده ، إذ كل زمانٍ نهايته[1] الآن ، وهو حد الزمانين فهو نهاية الماضى ، وما بعده ابتداء للمستقبل ، وهكذا أبدًا يفنى زمان ويأتى[2] آخر .

وكل جملة من جمل الزمان فهى مركبة من أزمنة متناهية ، ذات أوائل كما قدمنا .

وكل جملة أشخاص فهى مركبة من أشخاص[3] متناهية بعددها ، وذوات أوائل كما قدمنا ، وكل مركب من أجزاء متناهية ذات أوائل فليس هو شيئًا غير أجزائه ؛ إذ الكل ليس هو شيئًا غير

---

(١) فى (أ ، ب) [إذ كل زمان فنهايته الآن] ولا ضرورة لوجود الفاء ، وثمة نقص لهذه القضية ؛ إذ كيف يكون (الآن) نهاية لكل زمان ؟ وهناك من الأزمنة الحاضر والمستقبل ؟ ! الصحيح أن [الآن] نهاية للماضى – وحدّ الزمانين كما ذكر فيما بعد ، وأعتقد أن ثمة كلمة محذوفة وهى كلمة [مضى] وتكون الجملة : « إذ كل زمان مضى نهايته الآن » وبذلك يستقيم المعنى .

(٢) وفى (أ ، ب) [ويبتدىء] .

(٣) فى (أ ، ب) : « أجزاء » .

الأجزاء التى ينحل إليها ، وأجزاؤه متناهية كما بينا ذات أوائل ، فالجُمل كلها بلا شك متناهية ذات أوائل ، والعالم كله إنما هو أشخاصه ، ومكانه ، وأزمانها ، ومحمولاتها ، ليس العالم كله شيئًا غير ما ذكرناه وأشخاصه ، ومكانها ، وأزمانها ، ومحمولاتها ، ذات أوائل كما ذكرنا ، فالعالم كله متناهٍ ذو أول ولابدَّ .

فإن كانت أجزاؤه كلها متناهية ذات أول بالمشاهدة والحس ، وكان هو غير ذى أول . وقد أثبتنا بالضرورة والعقل والحس إنه ليس شيئًا غير أجزائه فهو إذا ذو أوّل ، لا ذو أوّل[٤]، وهذا عين المحال .

ويجب من ذلك أيضًا أن لأجزائه أوائل محسوسة ، وأجزاؤه ليست غيره وهو غير ذى أول ، فأجزاؤه إذن « لها أول[٥] ليس لها أول » وهذا محال وتخليط .

فصحّ بالضرورة أن للعالم أولًا ، إذ كل أجزائه لها أول ، وليس هو شيئًا غير أجزائه . وبالله تعالى التوفيق .

برهان ثان

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : كل موجود بالفعل فقد[٦] حصره العدد ، وأحصته طبيعته .

ومعنى الطبيعة وحدّها : هو أن تقول : الطبيعة هى القوة التى تكون فى الشىء ، فتجرى بها كيفيات ذلك الشىء على ما هى عليه .

وإن أوجزت قلت : هى قوة فى الشىء يوجد بها على ما هو عليه ، وحصر العدد وإحصاء الطبيعة نهاية صحيحة ، إذ ما لا نهاية له فلا إحصاء له ولا حصر له ، إذ ليس معنى الحصر والإحصاء إلا ضم ما بين طرفى المحصى والمحصور[٧]، (والعالم موجود بالفعل[٨]) ، وكل محصور بالعدد محصى بالطبيعة فذو[٩] نهاية ، فالعالم كله ذو نهاية ، وسواء فى كل[١٠] ذلك ما وجد فى مدة

(٤) أى هو – أى العالم – ذو أول أى له أول ، وهو من جهة أخرى لا أول له كما تزعمون ، الأمر الذى يجمع بين المتناقضات وهذا محال .

(٥) سقطت كلمة « لها أول » من (خ) .

(٦) فى الأصل « فقد » . هذا هو أسلوب المؤلف يدخل الفاء على الخبر وهى التى تسمى « فاء الفصيح » .

(٧) فى (خ) [المحصور والمحصى] .

(٨) جملة [والعالم موجود بالفعل] ليست فى (خ) ، وإنما ذكرت فى (أ ، ب) .

(٩) فى (أ ، ب) [فهو ذو] .

(١٠) سقطت [كل] فى (أ ، ب) .

ـ حدة أو فى مدد كثيرة إذ ليست تلك المدد إلّا مدة محصاة إلى جنب مدة محصاة ، فهى مركبة من مدد محصاة وكل مركب من أشياء فهو تلك الأشياء التى ركب منها ، فهى كلها مدد محصاة كما قدمنا فى الدليل الأول . فصحّ من كل ذلك أنَّ ما لا نهاية له فلا سبيل إلى وجوده بالفعل ، وما لم يوجد إلا بعد ما لا نهاية له فلا سبيل إلى وجوده أبدًا ، لأن وقوع البَعديَّة فيه هو وجود نهاية له . وما لا نهاية له فلا بَعْدَ له[١١]، فعلى هذا لا يوجد شيء أبد الآبدين . والأشياء كلها موجودة بعضها بعد بعض فالأشياء كلها ذات نهاية .

وهذان الدليلان قد نبه الله تعالى عليهما وحصرهما بحجته البالغة إذ يقول : « وكل شيء عنده بمقدار[١٢]» .

برهان ثالث

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ما لا نهاية له فلا سبيل إلى الزيادة فيه ، إذ معنى الزيادة إنّما هو أن نضيف إلى ذى النهاية شيئًا من جنسه يزيد ذلك فى عدده أو فى مساحته .

فإن كل الزمان لا أول له يكون به[١٣] متناهيًا فى عدده الآن ، فإذن كل ما زاد فيه ويزيد مما يأتى من الأزمنة منه فإنه لا يزيد ذلك فى عدد الزمان شيئًا .

وفى شهادة الحس أن كل ما وجد من الأعوام على الأبد إلى زماننا هذا الذى هو وقت ولاية هشام المعتد[١٤] بالله هو أكثر من كل ما وجد من الأعوام على الأبد إلى وقت هجرة رسول الله ﷺ .

فإن لم يكن هذا صحيحًا فيجب إذن أنه إذا دار زحل[١٥] دورة واحدة فى كل ثلاثين سنة

---

(١١) فى (خ) [فلا سبيل إلى وجود بعد له] .

(١٢) سورة الرعد : آية ٨ .

(١٣) أى يكون لا أول له ، بمعنى أنه يكون بكونه لا أول له متناهيا فى عدده الآن .

(١٤) هو : هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، أبو بكر المعتدّ بالله ، آخر ملوك بنى أمية بالأندلس ، بويع بعد وفاة المستكفى بالله سنة ٤١٨ هـ ، ثارت به طائفة من الجند فخلعوه وأخرجوه من قصره سنة ٤٢٢ هـ فلجأ إلى جامع قرطبة بمن معه وأقام أياما يعطف عليه الناس بالطعام والشراب ، مات عقيما فى جهة لارده سنة ٤٢٨ هـ ، وانتهت بموته الدولة الأموية فى الأندلس (ابن الأثير ٩ : ٩٧ بتصرف) .

(١٥) زحل : أحد الكواكب الكبرى ترتيبه السادس من الشمس ، ويدور حولها فى ثلاثين عاما ، ويبلغ حجمه ٧٣٤ مرة من حجم الأرض ، وكتلته ٩٤,٩ مرة ، ويبدو قرصا منبعجا لامعا عند الاستواء ، وقطره الاستوائى حوالى ١٢٠,٠٠٠ كم ، وتوجد على سطحه مناطق موازية لخط الاستواء لكنها أقل وضوحا من المشترى ، وفى غلافه الجوى غاز « الميثان » و « النوشادر » ، ويدور حوله تسعة أقمار ، اكتشف الأول منها « كرستيان هاينجز » فى القرن السابع عشر ، واكتشف « كاسينى » أربعة و « وليم هرشل » اثنين ، وعثر على القمر الثامن كل من « وليم كراس » و « وليم لاسيل » سنة ١٨٤٨ م ، والقمر التاسع اسمه « فيوبا » ذو حركة تراجعية اكتشفه « وليم هنرى » الذى أعلن سنة =

– وزحل لم يزل يدور – دار الفلك الأكبر فى تلك الثلاثين سنة إحدى عشرة ألف دورة غير خمسين دورة – والفلك لم يزل يدور – وإحدى عشرة ألف غير خمسين دورة أكثر من دورة واحدة بلا شك . فإذن ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له بنحو إحدى عشرة ألف مرة ، وهذا محال لما قدمنا[١٦].

ولأن ما لا نهاية له فلا يمكن ألبتة أن يكون عدد أكثرَ منه بوجه من الوجوه ، فوجبت النهاية[١٧] فى الزمان من قبل ابتدائه ضرورة ولا مخلص منها .

ويجب أيضًا من ذلك : أن الحس يوجب ضرورةً أن أشخاص الإنس مضافة إلى أشخاص الخيل أكثرُ من أشخاص الإنس مفردة عن أشخاص الخيل ، ولو كانت الأشخاص لا نهاية لها لوجب أنَّ ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له ، وهذا محال ممتنع لا يتشكل فى العقل ولا يمكن .

وأيضًا فلا شك فى أنَّ الزمان مذ كان إلى وقت الهجرة جزء للزمان مذ كان إلى وقتنا هذا .

ولا شك أيضًا فى أن الزمان مذ كان إلى وقتنا هذا كلٌّ للزمان مذ كان إلى وقت الهجرة ، ولما بعده إلى وقتنا هذا .

فلا يخلو الحكم فى هذه القضية من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها :

إما أن يكون الزمان مذ كان موجودًا إلى وقتنا هذا أكثر من الزمان مذ كان إلى عصر الهجرة .

وإمّا أن يكون أقل منه .

وإمّا أن يكون مساويًا له .

فإن كان الزمان مذ كان إلى وقتنا هذا أقل من الزمان مذ كان إلى وقت الهجرة فالكل أقل من الجزء ، والجزء أكثر من الكل ، وهذا هو الاختلاط وعين المحال . إذ لا يخيل[١٨] على أحد أن الكل أكثر من الجزء ، وهذا ما لا شك فيه ببديهة العقل وضرورة الحس .

وإن كان مساويًا له ، فالكل مساوٍ للجزء ، وهذا عين المحال والتخليط .

= ١٩٠٥ م عن قمر عاشر لا زال قيد البحث ، وأكبر أقمار زحل يسمى « تيتان » وهو فى حجم عطارد ، ثبت عام ١٩٤٤ أن له غلافا جويا ، وتوجد حول « زحل » مجموعة حلقات فى مستوى خط الاستواء واكتشفها « جاليليو » (راجع الموسوعة العربية الميسرة إشراف د .محمد شفيق غربال ص ٩٢٠ ط مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر) .

(١٦) أى أنه إذا كان زحل لا نهاية له ، وكان الفلك الأكبر لا نهاية له فكيف يكون زمن أحدهما أكثر من زمن الآخر ، وكلاهما لا نهاية له – إن هذا محال .

(١٧) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « النهاية » .

(١٨) أى لا يختلط على أحد ، وقد استعمل لفظة « يخيل » لأن الخيال أكثره متصيَّد من عالم الوهم ولو استعمل كلمة « يغيب » بدلًا منها لكان أنسب .

وإن كان أكثر منه ، وهذا هو الذى لا شك فيه ، فالزمان مذ كان إلى وقت الهجرة ذو نهاية[١٩].

ومعنى الجزء إنما هو أبعاض الشيء ، ومعنى الكل إنما هو جملة تلك الأبعاض فالكل والجزء واقعان فى كلٍّ ذى أبعاض . والعالم ذو أبعاض هكذا توجد حاملاته[٢٠] ومحمولاته وأزمانها ومكانها[٢١]، فالعالم كل لأبعاضه ، وأبعاضه أجزاء له ، والنهاية – كما قدمنا لازمة لكل ذى كل ، وذى أجزاء . والزمان إنما هو مدة بقاء الجرم ساكنًا ، أو متحركًا ، ولو فارقه[٢٢] لم يكن الجرم موجودًا ، ولا كان الزمان أيضًا موجودًا ،[٢٣] والجرم والزمان موجودان فكلاهما لم يفارق صاحبه . والزمان ذو أول ، فالجرم ذو أول ، وهذا مما لا إنفكاك[٢٤] له ألبتة .

وأمّا ما لم يأت بعدُ من زمانٍ أو شخص أو عَرَض فليس كل ذلك شيئًا ، فلا يقع على شيءٍ من ذلك عدد ولا نهاية ، ولا يوصف بشيء أصلا لأنه لا وجود له بعد . فإذا وجد لزمه حينئذ ما لزم سائر ما قد وجد من أجناسه وأنواعه ، من النهاية والعدد وغير ذلك من الصفات .

وأيضًا فلا شك فى أن ما وقع[٢٥] ووجد من الزمان إلى يومنا هذا مساوٍ لما هو من يومنا هذا إلى ما وقع من الزمان معكوسا[٢٦]. وواجب فيه الزيادة بما يأتى من الزمان . والمساوى لا يقع إلّا فى ذى نهاية ، فالزمان متناهٍ ضرورة .

وقد ألزمت بعض الملحدين وهو ثابت[٢٧] بن محمد الجرجانى فى هذا البرهان ، فأراد أن

---

(١٩) أى أن وقت الهجرة كان نهاية للزمان الذى سبقها ، وما له نهاية فلابد أن تكون له بداية ، ومحال أن يكون أزليا .

(٢٠) الحامل والمحمول : هما المسند والمسند إليه ، فالفاعل مسند إليه والفعل مسند ، والفعل لا يفعل إلا فى زمن ، والفاعل لا يفعل إلا فى زمن .

(٢١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « ومكانها » .

(٢٢) أى لو فارقه التحرك والسكون كان عدما .

(٢٣) لأن الزمان هو الوعاء الحامل للموجودات فى حركتها وسكونها ، فإذا لم تكن موجودات لم يكن للزمان وجود ، أما والأشياء موجودة فالزمان موجود .

(٢٤) فى (خ) : « لا انفصال » .

(٢٥) فى « أ ، ب » : ما وقع من الزمان .

(٢٦) أى أن ما مضى من الزمان إلى يومنا هذا فهو مساو للذى يبدأ من يومنا هذا إلى ما مضى من الزمان طردًا وعكسا .

(٢٧) ثابت بن محمد الجرجانى : ولد فى سنة ٣٥٠ هـ وتوفى سنة ٤٣١ هـ قتله باديس بن حبوس أمير « صنهاجة » لتآمره عليه ، قدم الأندلس سنة ٤٠٦ هـ ولقى ملوكها ، وكان إمامًا فى العربية متمكنا فى الأدب والمنطق ، أملى فى الأندلس كتابا فى شرح الجمل لأبى القاسم الزجاجى (راجع ترجمته فى الصلة لابن بشكوال جـ ١ ص ١٢٣ – ط الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م) .

يعكسه على[٢٨] بقاء البارى عزّ وجل ووجودنا إياه[٢٩]. فأخبرته بأن هذا شغب ضعيف مضمحل ساقط ، لأن البارى تعالى ليس فى زمان ، ولا له مدة ولا فناء[٣٠] لأن الزمان إنما هو حركةُ كلِّ ذى الزمان وانتقاله من مكان إلى مكان ، أو مدة بقائه ساكنًا فى مكانٍ واحد . والبارى تعالى ليس متحركًا ولا ساكنًا ، فلا شك أنه ليس فى زمان ولا له مدة ولا فناء[٣١] ولا هو فى مكان أصلًا ، وليس هو جرمًا ، ولا جوهرًا ، ولا عرضًا ، ولا عددًا ، ولا جنسًا ، ولا نوعًا ، ولا فصلًا ، ولا شخصًا ، ولا متحركًا ، ولا ساكنًا[٣٢]، وإنما هو تعالى حق فى ذاته ، موجود مطلق بمعنى إنه معلوم لا إله غيره ، واحدٌ لا واحدَ فى العالم سواه ، مخترع للموجودات كلها دونه ، لا يشبه شيئًا من خلقه بوجه من الوجوه . وبالله تعالى التوفيق .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل وحصره فى قوله تعالى : « يزيد فى الخلق ما يشاء[٣٣]» .

برهان رابع

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : إن كان العالم لا أول له ولا نهاية له ، فالإحصاء منّا له بالعدد والطبيعة إلى ما لا نهاية له من أوائل العالم الماضية محال لا سبيل إليه ؛ إذ لو أحصى ذلك[٣٤] كله لكان له نهاية ضرورة ، فإذن لا سبيل إليه[٣٥].

فكذلك أيضًا هو محالٌ أن تكون الطبيعة والعدد أحصيا ما لا نهاية له من أوائل العالم الخالية حتى يبلغا إلينا ، وإذا كان ذلك محالا فالعدد والطبيعة إذن لم يبلغا إلينا ، وقد تيقّنا وقوع العدد والطبيعة فى كل ما خلا[٣٦] من العالم حتى بلغا إلينا بلا شك . فإذًا قد أحصى العددُ والطبيعة كلَّ ما خلا من أوائل العالم إلى أن بلغا إلينا ، فكذلك الإحصاء (منا)[٣٧] إلى أوّلية العالم صحيح موجود ضرورة بلا شك .

---

(٢٨) فى (خ) « علىّ فى بقاء البارى » .

(٢٩) أى أن هذا المجادل أراد أن يرد هذا الدليل ، وهو أن الزمان له بدء ونهاية ويعكسه على البارى سبحانه فيجعل له بدءا ونهاية ، فقوله « إياه » يشير به إلى هذا الوجود الذى للمخلوقات من حيث أن لها بدءا ولها نهاية .

(٣٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « ولا فناء » .

(٣١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « ولا فناء » .

(٣٢) يلاحظ التكرار فى أسلوبه ، والظاهر أنه كان يملى كتابه ثم لا يراجعه حتى ينقيه من التكرار .

(٣٣) سور فاطر : آية رقم ١ – ومعنى الزيادة فى الخلق أنها كانت ناقصة قابلة لتلك الزيادة ، وما كان قابلا للزيادة فهو محتاج إلى من يمنحه إياها .

(٣٤) فى (خ) : « لو حصر ذلك لكانت » .

(٣٥) أى لا سبيل إلى إحصاء العالم والطبيعة إذا كان العالم لا أوّل له كما يزعم القائلون بأزليته .

(٣٦) أى ما مضى منه .

(٣٧) فى (خ) : لم تذكر كلمة « منا » .

وإذ ذلك كذلك فللعالَم أوّل ضرورة . وبالله تعالى التوفيق .

برهان خامس

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا سبيل إلى وجود ثانٍ إلا بعد أول ، ولا إلى وجود ثالث إلّا بعد ثانٍ ، وهكذا أبدًا . ولو لم يكن لأجزاء العالم أول لم يكن ثان . ولو لم يكن ثان لم يكن ثالث . ولو كان الأمر هكذا لم يكن عدد ولا معدود .

وفى وجودنا جميعَ الأشياء التى فى العالم معدودةً إيجابٌ[٣٨] أنها ثالث بعد ثان ، وثانٍ بعد أوّل .

وفى صحة هذا وجوبُ أوّلٍ ضرورة . وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل ، وعلى الذى قبله وحصرهما فى قوله تعالى : « وأحصى كل شىء عددًا[٣٩] » .

وأيضًا فالآخِر والأوّل من باب المضاف ، فالآخر آخر للأول ، والأول أوّل للآخر . ولو لم يكن أوّل لم يكن آخر .

ويومنا هذا بما فيه ، آخِرٌ لكل موجودٍ (قبله)[٤٠]؛ إذ ما لم يأت بعدُ فليس شيئًا ، ولا وقع عليه بَعْدُ شىء من الأوصاف فله أوّل ضرورة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد أخبرنى بعض أصدقائنا وهو : « محمد بن عبد الرحمن بن عقبة » رحمه الله تعالى : أنه عارض بهذا البرهان بعض الملحدين ، وهو : « عبد الله بن عبد الله بن شنيف » فعارضه الملحد فى قوله بخلود الجنة والنار وأهلهما فقال له ابن عقبة ، إنما أخذنا خلود دارى الجزاء ، وخلود أهلهما بلا نهاية على غير هذا الوجه .

لكن على أنَّ الله تعالى ينشىء لكل ذلك بقاء محدودًا ، وحركات حادثة ، ولذّاتٍ مترادفة أبدًا وقتًا بعد وقت ، إلّا أن الأول والآخر جاريان حادثان[٤١] فى كل موجود من ذلك[٤٢]، وإذا ثبت الأوّل[٤٣] فغير ممتنع تمادى الزمان حينا بعد حين أبدًا بلا نهاية ، وهذا مثل العدد فإنه لو لم يكن له

---

(٣٨) أى أن ذلك يوجب أنها ثالث بعد ثان ، وثان بعد أول . . وإيجابٌ : مبتدأ مؤخر ، خبره : وفى وجودنا . . .

(٣٩) سورة الجن : آية ٢٨ .

(٤٠) كلمة [قبله] ليست مذكورة فى (خ) ، واعتمدنا على ذكرها فى (أ ، ب) .

(٤١) فى (خ) : لا توجد كلمة « حادثان » ، وقد اعتمدنا فى ذكرها على (أ ، ب) .

(٤٢) أى من ذلك النعيم ، فهو نعيم متجدد حادث ، ولا خلود لما يتولد منه حالًا بعد حال .

(٤٣) أى أول ما يرد على أهل الجنة من نعيم .

أول لم يقدر أحد على عدّ أى[٤٤] شيءٍ أبدًا ؛ فالعدد له أول ضرورة ، يعرف ذلك بالحس والمشاهدة ، وهو قولنا واحد فإنَّ هذا مبدأً العدد الذى لا عدد قبله ، ثم الأعداد يمكن فيها الزيادة أبد الأبد لا إلى غاية ، لكن كلما خرج منه جزء إلى حَدّ الوجود ، وُجدَ للفعل فله نهاية[٤٥]، وهكذا أبدًا سرمدًا . وبالله تعالى التوفيق .

فانقطع الشنيفى ، ولم يكن عنده إلّا الشغب .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد قال بعض أهل الإلحاد فى هذه البراهين التى أوجبنا بها : استحالة[٤٦] وجود موجودات لا أوائل لها : أتقولون[٤٧] إن الله تعالى يوفى أهل الجنة ما وعدهم من النعيم الذى لا آخر له ولا نهاية أم لا يوفيهم ما وعدهم من ذلك ؟

فإن قلتم : إنه تعالى يوفيهم إياه . دخل عليكم كل ما أدخلتموه علينا فى هذه البراهين ، ولا فرق[٤٨].

وإن قلتم : إنه تعالى لا يوفيهم ذلك – ألزمتموه خلف الوعد والكذب[٤٩]؛ وهو كفر عندكم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه شغيبة قد طالما حذرنا من مثلها فى كتبنا التى جمعناها فى حدود المنطق[٥٠]. وهى منفسخة من وجهين[٥١]:

أحدهما[٥٢]: أن تعلق المرء بما يقول خصمه ضعف ، وإنما يلزم المرء أن يخلِّص قوله مجردًا ، ولا أسوة له فى تناقض خصمه ، بل لعل خصمه لا يقول ذلك .

---

(٤٤) فى (خ) لا توجد كلمة (آى) .

(٤٥) يعني أن الواحد وإن كان أصل الأعداد فإنه غير ما تركب منه أعداد ، فالثانى غير الأول ، والثالث غير الثانى ، وهكذا إلى ما لا نهاية من الأعداد ، ولكل عددٍ مبدأ عند ظهوره بالعدّ ، ونهاية عند الوقوف عنده ، أو تجاوزه إلى غيره ، وقد أراد بعض فلاسفة الغرب المعاصرين أن يدلل على وجود الله بمثل هذا المثل فجعل الله واحدًا ، ثم جعل المخلوقات منتظمة فى سلسلة الأعداد بعد الواحد ، قائلا : إن لكل موجود قيمة خاصة مثله فى أى عدد بعد الواحد وإن كان الواحد أصلًا لوجودها ، فلا يتصور عدد إلّا والواحد أصل له ، وهذا تصور باطل يؤدى إلى القول بوحدة الوجود من جهة ، ثم يجعل الواحد وهو الذى يمثل به الإله أقل درجة مما تعده من أعداد .

(٤٦) « استحالة » مفعول به لقوله « وقد قال بعض أهل الإلحاد » .

(٤٧) قوله « أتقولون » هو مقول لقول محذوف ، أى فقلنا لهم « أتقولون » .

(٤٨) وهو قولهم : استحالة وجود موجودات لا أوائل لها ، لأن الله تعالى إذا وفّى أهل الجنة ما وعدهم به كان النعيم الذى يلقونه حادثا ، وإذًا بطل قولهم باستحالة وجود موجوداتٍ لا أوائل لها .

(٤٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « والكذب » .

(٥٠) راجع ما ذكرناه سابقا ص ٤ .

(٥١) فى (خ) « من وجوه » .

(٥٢) فى (خ) « أوحدها » .

الثانى[٥٣]: أن المسئول بها إن كان جهميًا[٥٤] سقط عنه هذا السؤال المذكور .

وأمّا نحن فعلينا بحول الله تعالى بيان فساد هذا الاعتراض وتمويهه ، فنقول – وبالله التوفيق[٥٥]– إنّ من شغب أهل السفسطة إدخال كلمة لا يؤبه لها يجعلونها مقدمة وهى كذب ، فيموّهون بها على الجهّال مما[٥٦] يبنون عليها

وهذا الاعتراض من هذا الباب .

وذلك أنهم أرادوا إلزامنا بأن الله عزّ وجل وعد أهل الجنة أن يوفيهم نعيمًا لا نهاية له ، وهذا خطأ وكذب ، وما[٥٧] وعدهم الله عزّ وجل قط بأن يوفيهم ذلك النعيم ، ولو وعدهم بذلك لكان ذلك النعيم إذا استوفى بطل وفنى وانقضى[٥٨]، وإنما وعدهم تعالى بنعيم لا نهاية له[٥٩]. وكل ما ظهر ووجد من ذلك النعيم فهو محصور ذو نهاية ، وما لم يخرج إلى حدّ الفعل فهو عدم بَعْدُ ، ولا يقع عليه عدد ولا صفة ، وهكذا أبدًا . فقد ظهر أن لفظة « يوفيهم » هى الشغبية المفسدة[٦٠] التى موّهوا بها ، فإذا أسقطها المعترض من كلامه سقط اعتراضه جملة وصحت القضية . وبالله التوفيق .

فإن قال قائل : فإن الله عزّ وجل يقول[٦١]: « وإنا لموفّوهم نصيبهم غير منقوص[٦٢]» ؟

قلنا : صدق الله تعالى[٦٣] وهذا لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إمّا أن يكون أراد بذلك نصيبهم من الجزاء ، أو يكون أراد نصيبهم من مساحة الجنة .

فإن كان عنى – عزّ وجل – بذلك نصيبهم من الجزاء والنعيم فهو صحيح ، لأن كل ما خرج من ذلك إلى حد الوجود فهو مستوفى بيقين وهكذا أبدًا . وإن كان تعالى عنى بذلك

---

(٥٣) فى (خ) « وأيضا فإن » بدلًا من « الثانى أن » .

(٥٤) الجهمية : هم أتباع « جهم بن صفوان » الذى قال بالإجبار والاضطرار ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وكان « جهم » تلميذًا للجعد بن درهم الذى كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، وكان « يحمل « جهم » السلاح ويقاتل السلطان ، وقتله « سلم بن أحوذ المازنى » ، فى آخر زمان بنى مروان (راجع الفرق بين الفرق للبغدادى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – نشر مطبعة محمد على صبيح – القاهرة) .

(٥٥) فى (خ) « وبالله تعالى نتأيد » .

(٥٦) فى (أ ، ب) « وما » .

(٥٧) فى (خ) : « وإنما وعدهم » .

(٥٨) لأنه لا يجتمع استيفاء النعيم واستمراره ، لأن استيفاءه نهاية له .

(٥٩) أى نعيما متجددًا لا يشبه سابقه لاحقه ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، وأتوا به متشابها » .

(٦٠) فى (أ ، ب) : « الفاسدة » .

(٦١) فى (أ ، ب) : « إن الله تعالى يقول » .

(٦٢) سورة هود : آية : ١٠٩ .

(٦٣) سقطت كلمة « صدق الله تعالى » من (أ ، ب) .

نصيب كل واحد من الجنة والنار ، فهذا صحيح ، لأن كل مكانٍ منها متناهٍ من جهة المساحة ، وإنما نفينا التوفية التى توجب الانقضاء بلا زيادة فيها . وقد قال – عزّ وجل – « فأمَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ فيوفِّيهم أجورَهم ويزيُدهم من فضله[٦٤] » . وقال تعالى : « إنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب[٦٥] » .

وهاتان الآيتان تبينان أن الأجر المستوفى هو كل[٦٦] ما يعطونه من مساحة الجنة ، وكل[٦٧] ما خرج إلى الوجود من النعيم ، ثم لا يزال تعالى يزيدهم من فضله كما قال تعالى : « بغير حساب » فهذا لا يستوفى أبدًا لأنه لا نهاية له ، ولا كل ، ولو استوُفِى لم يمكن أن تكون فيه زيادة ، إذ بالضرورة يعلم أن ما استوُفِى فلا زيادة فيه ، وما تُمكن الزيادة فيه فلم يستوف بعد .

والله تعالى قد نص على أن بعد تلك التوفية زيادة فصح أنها توفية لشىء محدود متناهٍ ، وإن ما لا نهاية له فلا يستوفى أبدًا .

فقد ثبت بكل ما ذكرنا أن العالم ذو أول ، وإذا كان ذا أول فلا بدّ ضرورة من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها ، وهى :

١ – إما أن يكون أحدث ذاته .

٢ – وإما أن يكون حدث بغير أن يحدثه غيره ، وبغير أن يحدث هو نفسه .

٣ – وإما أن يكون أحدثه غيره .

فإن كان هو أحدث ذاته ، فلا يخلو من أحد أربعة أوجه لا خامس لها وهى :

١ – إمّا أن يكون أحدث ذاته وهو معدوم وهى موجودة .

٢ – أو أحدث ذاته وهو موجود وهى معدومة .

٣ – أو أحدثها وكلاهما موجود .

٤ – أو أحدثها وكلاهما معدوم .

وكل هذه الأربعة الأوجه محال ممتنع لا سبيل إلى شىء منها ؛

---

(٦٤) سورة النساء : اية ١٧٣ . ففى قوله تعالى : « ويزيدهم من فضله بعد قوله » : « فيوفيهم أجورهم إشارة إلى أن التوفية ليس معناها استقصاء كل ما لهم ، وإنما لهم زيادة بعد هذه التوفية » .

(٦٥) سورة الزمر : آية ١٠ ، ففى قوله تعالى : « بغير حساب » إشارة إلى أن التوفية لا تنقطع بمالهم عند الله تعالى من أجر ، كما يقول سبحانه : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » يونس : ٢٦ .

(٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « كل » .

(٦٧) كلمة [كل] ليست مذكورة فى (خ) .

لأن الشى، وذاته هى هو ، وهو هى .

وكلّ ما ذكرنا من الوجوه يوجب أن يكون الشيء غير ذاته .

وهذا محال وباطل بالمشاهدة والحس[٦٨].

فهذاوجه قد بطل .

ثم نقول :

إن كل ما[٦٩] خرج عن العدم إلى الوجود بغير أن يُخرِج هو ذاته ، أو يُخرِجه غيره .

فهو[٧٠] أيضًا محال ، لأنه لا حال أولى بخروجه إلى الوجود من حال أخرى ، ولا حال أصلا هناك .

فإذًا لا سبيل إلى خروجه ، وخروجه مشاهد ممكن[٧١]. فحال الخروج غير حال اللا خروج ، وحال الخروج هى علّة كونه .

وهذا لازم فى تلك الحال ، أعنى أن حال الخروج يلزم فى حدوثها مثل ما لزم فى حدوث العالم من أن تكون أخرجت نفسها ، أو أخرجها غيرها ، أو خرجت بغير هذين الوجهين ، وهكذا فى كل حال .

فإن تمادى الكلام يوجب[٧٢] ألا نهاية .

ولا نهاية[٧٣] فى العالم من مبدئه باطل ممتنع محال بما قدمنا[٧٤].

فإذًا قد بطل أن يخرج العالم بنفسه ، وبطل أن يخرج دون أن يخرجه غيره ، فقد ثبت الوجه الثالث ضرورة ، إذ لم يبق غيره ألبتة فلا بدّ من صحته ، وهو أن العالَمَ أخرَجَه غيرُه من العدم إلى الوجود وبالله تعالى التوفيق .

---

(٦٨) لان ذات الشيء ، هى الشيء ، فذات الإنسان هو الإنسان ، وذات الشجرة هى الشجرة .
(٦٩) وفى (أ ، ب) [وإن كان] .
(٧٠) وفى (أ ، ب) [فهذا] .
(٧١) وفى (أ ، ب) [متيقن] .
(٧٢) فى (أ ، ب) [وجب بما قدمناه ألا نهاية] .
(٧٣) وفى (أ ، ب) [وألا] .
(٧٤) كلمة [بما قدمنا] غير مذكورة فى (أ ، ب) .

أدلة أخرى على حدوث العالم

وأيضًا فإن الفلك[٧٥] بكل ما فيه ذو آثارٍ محمولة فيه من نُقْلةٍ زمانية ، وحركة دورية ؛ فى كون[٧٦] كل جزء من أجزائه فى مكان الذى يليه ، والأثرُ مع المؤَّثِّر من باب المضاف فإن لم يكن أثر لم يكن مؤَّثِّر ، وإن لم يكن مؤثِّر لم يكن أثر ، فوجب بذلك أنه لابد لهذه الآثار الظاهرة من مؤثر أثَّرها ، ولا سبيل إلى أن يكون الفلك أو شىء مما فيه هو المؤثر ، لأنه هو[٧٧] المؤثر فيه ، والمؤثَّر فيه مع المؤثِّر والأثَر من باب المضاف أيضًا ، ومعنى قولنا أنَّ المؤثِّر والأثر والمؤثَّر فيه من باب المضاف إنما هو أنَّ الأثر والمؤثَّر فيه يقتضيان مؤثِّرًا ولابد .

ولم يَرِد أن البارى تعالى يقع تحت الإضافة فلابدَّ ضرورة[٧٨] من مؤثِّر ليس مؤثَّرًا فيه ، وليس هو شيئًا مما فى العالم ، فهو بالضرورة الخالق الأول ، الواحد تبارك وتعالى .

فصحّ بهذا أنّ العالَم كلَّه محدَث ، وأنَّ له محدِثاً هو غيره .

هذا إلى ما نراه ونشاهده بالحواس من آثار الصنعة التى لا يشك فيها ذو عقل .

ومن بعض ذلك .

تراكيب الأفلاك وتداخلُها ، ودوام دورانها على اختلاف مراكزها ، ثم أفلاك تداويرها ، والبون بين حركة أفلاك التداوير[٧٩]، والأفلاك الحاملة لها ، ودوران الأفلاك كلها من غرب إلى شرق ، ودوران الفلك التاسع الكلى بخلاف ذلك من شرق إلى غرب ، وإدارته لجميع الأفلاك مع نفسه كذلك ، فحدث من ذلك حركتان متعارضتان فى حركة واحدة .

فبالضرورة نعلم أن لها محركا على هذه الوجوه المختلفة .

ثم تراكيب أعضاء الإنسان والحيوان من إدخال العظام المحدَّبة فى المقعّرة ، وتركيب العضل على تلك المداخل ، والشدّ على ذلك بالعصب والعروق .

صناعة ظاهرة لا شك فيها ، لا ينقصها إلا رؤية الصانع فقط[٨٠].

---

(٧٥) يقصد بالفلك هذا الوجود الواقع تحت الحسّ والمشاهدة من أرض وسماء ، وكواكب ونجوم .

(٧٦) كلمة [كون] غير موجودة فى (خ) .

(٧٧) جاءت العبارة فى (أ ، ب) على النحو التالى [لأنه يصير هو المؤثِّر والمؤثر فيه ، مع أن المؤثِّر والأثر من باب المضاف أيضا] .

(٧٨) كلمة [ضرورة] غير موجودة فى (خ) .

(٧٩) يقصد بأفلاك التداوير الأفلاك (أى الكواكب) التى تدور حول مركز كوكب آخر ، كالمجموعة الشمسية التى تدور حولها الأرض ، والقمر ، وزحل ، وعطارد ، والمريخ ، وغيرها ، ويسمّى المؤلف الكواكب المركزية بالحاملة لمجموعتها التى تدور فى فلكها .

(٨٠) أى لاينقصها إلا العقل المتدبّر الذى يرى قدرة الصانع سبحانه فيما صنع .

ومن ذلك ما يظهر فى الأصباغ الموضوعة فى جلود كثير من الحيوان وريشه ووبره ، وشعره ، وظفره ، وقِشْره ، على رتبة واحدة ، ووضع واحد لا تخالف فيه ، كأصباغ الحَجَل[٨١]، والشفانين (اليمام) ، والسِّمان ، والبزاة[٨٢]، وكثير من الطير والسلاحف ، والحشرات والسمك ، لا يختلف تنقيطه ألبتة ، ولا تكون أصباغه موضوعة إلّا وضعًا واحدًا كأذناب الطواويس – وفى السمك والجراد[٨٣] والحشرات – نوعًا واحدًا كالذى يصوّره المصور بيننا[٨٤].

ثم منها ما يأتى مختلفًا كأصباغ الدّجاج والحمام والبط وكثير من الحيوان .

فبالضرورة والحس نعلم أنّ لذلك صانعًا مختارًا يفعل ذلك كله كما شاء ، ويحصيه إحصاءً لا يضطرب أبدًا عمّا شاء من ذلك ، وليس يمكن ألبتة في حسّ العقل أن تكون هذه المختِلفات المضبوطة ضبطًا لا تفاوت فيه من فعل الطبيعة ؛ ولابد لها من صانع قاصد إلى صنعة كل ذلك .

ومن درى ما الطبيعة ؛ علم أنها قوة موضوعة فى الشيء تجرى بها صفاته على ما هى عليه فقط ، وبالضرورة يعلم أن لها واضعًا ، ومرتِّبا ، وصانعًا ، لأنها لا تقوم بنفسها ، وإنما هى محمولة على[٨٥] ذى الطبيعة .

ومنها ما يُرى فى لِيف النخل ، والدّوْم من النسج المصنوع يقينًا بِنيرين[٨٦] وسُدًى كالذى يصنعه النسَّاج ، ما تنقصنا إلا رؤية الصانع فقط ، وليس هذا ألبتة من فعل طبيعة ، ولا بنسج ناسج ، ولا بنَّاء ، ولا صانع أصباغ مرتبة . بل هو صنعة صانع مختار قاصد إلى ذلك غير ذى طبيعة لكنه قادر على ما يشاء .

هذا أمر معلوم بضرورة العقل وأوله[٨٧] يقينًا ، كما نعلم أن الثلاثة أكثر من الاثنين . فصحّ أنه خالق أوّل واحدٌ حقٌ لا يشبه شيئًا من خلقه ألبتة لا إله إلّا هو الواحد الأول الخالق عزّ وجل .

* * *

(٨١) الحَجل : واحدة حجلة – الذكر من القبج ، لحمه معتدل ، وابتلاع نصف مثقال من كبدة ينفع فى الصرَع ، والاستعاط بمرارته كل شهر مرة يذكى الذهن جدًّا ، ويقوّى البصر (قاموس المحيط) .

(٨٢) البُزاة : جمع البازى : ضرب من الصقور .

(٨٣) كلمة (والجراد) غير مذكورة فى (خ) .

(٨٤) أى كالذى يفعله المصور فى تصوير منظر من أشجار الورد مثلا ، فيصبغ بألوانه التى بين يديه كل شجرة بلون ما عليها من أزهار .

(٨٥) فى (خ) : فى .

(٨٦) واحدها « نير » وهو الحبل ، و « السُّدى » : واحدتها « سداة » وهى ما تقابل « اللحمة » فى عملية النسيج .

(٨٧) أى أول المعارف التى هى البديهيات .

القسم الثالث

« الفرقة الثالثة : القائلون بأن العالم لم يزل وأن له فاعلًا لم يزل »★

باب الكلام : على من قال : إن العالم لم يزل ، وله مع ذلك فاعل لم يزل .

قال « أبو محمد » : (رضى الله عنه) : قد أفسدنا بحول الله وقوته بالبراهين التى قدمنا هذه المقالة . ولكن بقى لهم اعتراض وجب إيراده تقصِّيًا لكلِّ ما موَّهوا به .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : اعتمد أهل هذه المقالة على أن قالوا : إنَّ علة فعل البارى تعالى لما فعل[1] إنما هو : جوده[2]، وحكمته ، وقدرته ، وهو تعالى لم يزل جوادًا حكيمًا قادرًا . فالعالم لم يزل ، إذ علته لم تزل .

وهذا[3] فاسدٌ ألبتة بالأدلة[4] التى قدمنا التى لا تضطر[5] إلى المعرفة والتيقن بحدوث العالم .

ثم نقول : إنه إنما يلزم هذا من أقر بهذه المقدمة أعنى أن للعالم علة ، وأما نحن فإنّا نقول : إنه لا علّة لتكوين الله عزّ وجل كلَّ ما كوَّنه ، وأنه لا شىء غير الخالق وخلقه ، ثم نقول على علم هؤلاء قولًا كافيًا إن شاء الله تعالى :

وهو أن المفعول[6] هو المتنقل من العدم إلى الوجود ، بمعنى مِنْ ليسَ ، إلى شيءٍ[7]، فهذا هو المحدَث .

---

(١) كلمة « لما فعل » غير مذكورة فى (خ) .

(٢) فى الأصل : « وجوده » .

(٣) فى (أ ، ب) : فهذا .

(٤) فى (أ ، ب) : بالدلالة .

(٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لا) .

(٦) المفعول : هو المخلوق ، وهو الذى له فاعل .

(٧) أى أنه المتنقل من ليس موجودًا أو شيئًا إلى شىء موجود .

★ هذا العنوان ليس فى الأصل .

ومعنى المحدَث : هو ما لم يكن ثم كان .

وهم يقولون : إنه الذى لم يزل ، وهذا هو خلاف المعقول ، لأن الذى لم يكن ثم كان هو غير الذى لم يزل ، فالعالم إذن هو غير نفسه ، وهذا هو[٨] عين المحال ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال لنا قائل :

لما كان البارى تعالى غير فاعل على قولكم ثم صار فاعلًا ، فقد لحقته استحالة ، وتعالى الله عن ذلك .

قلنا له وبالله التوفيق :

هذا السؤال راجع عليكم إذ صححتموه فهو لكم لازم[٩]، لا لنا لأنا لا نصححه ، وذلك أنه إن كان عندكم الفعل منه بعد أن كان غيرَ فاعل يوجب الاستحالة على الفاعل تعالى ، فإنّ فعله لِما أحدثَ من الأعراض عندكم بعد أن كان غير محدِث لها ، وإعدامُه ما أعدم منها بعد أن كان غير معدم لها موجب عليه الاستحالة .

فأجيبوا عن سؤالكم الذى صححتموه ، ولا جواب لكم إلا بإفساده .

وأمّا نحن فنقول : إنَّ الاستحالة ليست ما ذكرتم .

وإنما معنى الاستحالة : أنه حدوث شيءٍ فى المستحيل ، لم يكن فيه قبل ذلك ثم صار فيه[١٠] مستحيلًا عن صفته المحمولة عليه إلى غيرها .

وهذا المعنى منفى عن الله تعالى ، أى أنه تعالى يجل عن أن يكون حاملا لصفة فيه[١١]. بل بذاته لم يفعل إن كان غير فاعل ، وبذاته فَعَل إن فَعل ، ولا علة لما فعل ، ولا علّة لما لم يفعل .

وأيضًا : فإنَّ الذى لم يزل هو الذى لا فاعل له ، ولا مخرج له من عدم إلى وجود ، فلو كان العالَم لم يزل لكان لا مخرج له ولا فاعل له .

وقد أقرّ أهل هذه المقالة بأنَّ العالم لم يزل ، وأن له فاعلًا لم يزل يفعل وهذا عين المحال والتخليط والفساد . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٨) سقطت كلمة (هو) من (أ ، ب) .

(٩) أى أن هذا السؤال يجب عليكم أنتم أن تسألوه أنفسكم ، وأن تجيبوا عليه وسيظهر لكم من الإجابة أن الله تعالى فاعل مختار ، والفاعل المختار لا يستحيل أن يفعل ، « وربك يفعل ما يشاء ويختار » : ٩٨ سورة القصص .

(١٠) فى (أ ، ب) : « إذ لا »وسقطت كلمة (ثم) .

(١١) فى (أ ، ب) : صار به .

القسم الرابع

« الفرقة الرَّابعة : رأيها فى خلق العالم والنفس والمكان والزمان »

باب الكلام على من قال إن للعالم خالقًا لم يزل ، وإن النفس والمكان المطلق الذى هو الخلاء[1]، والزمان المطلق الذى هو المدة لم تزل موجودة ، وأنها غير محدثة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : والنفس[2] عند هؤلاء جوهر قائم بنفسه ، حامل لأعراضه لا متحرك ، ولا منقسم ، ولا متمكن أى لا فى مكان .

وقد ناظرنى قوم من أهل هذا الرأى ، ورأيته كالغالب على ملحدى أهل زماننا ، فألزمتهم إلزامات لم ينفكوا عنها[3]. أظهرت[4] بطلان قولهم بعون الله تعالى وقوّته . ولم نر واحدًا ممن تكلم قبلنا ذكر هذه الفرقة ، فجمعت ما ناظرتهم به وأضفت إليه ما وجبت إضافته إليه مما فيه تزييف قولهم . وما توفيقنا إلَّا بالله تعالى .

وهذا الزمان والمكان عندهم هما غير الزمان والمكان المعهودين عندنا لأن المكان المعهود عندنا : هو المحيط بالمتمكِّن فيه من جهاته أو من بعضها .

وهو ينقسم قسمين :

إمّا مكان يتشكل المتمكِّن فيه بشكله كالبرا[5]، أو الماء فى الخابية ، أو ما أشبه ذلك .

وإمَّا مكان يتشكل هو[6] بشكل المتمكِّن فيه كالماء لما حلَّ فيه من الأجسام ، وما أشبهه .

---

(١) فى النسخة (ب) والمكان المطلق هو الخلاء .

(٢) فى (أ ، ب) [النفس] بغير واو . ويشير المؤلف إلى العطار أحد رؤساء المعتزله كما صرح بذلك فى الفصل ٥/٧٠

(٣) فى (أ ، ب) [منها] .

(٤) فى (خ) [وظهر] .

(٥) فى (ب) « كالبر » والبرى : التراب (محيط) .

(٦) أى المكان ، والمكان الذى يتشكل بما هو فيهٰ إنما يظهر فى الآنية الشفافة الملونة حيث يأخذ الإناء لون الشراب الذى يوضع فيه .

والزمان المعهود عندنا : هو مدة وجود الجرم ساكنًا أو متحركًا ، أو مدة وجود العرض فى الجسم .

ويعُمُّه أن نقول : هو مدة وجود جرم[٧] الفلك وما فيه من الحوامل والمحمولات .

وهم يقولون : إنَّ الزمان المطلق ، والمكان المطلق هما غير ما حدّدناه[٨] آنفًا من الزمان والمكان[٩].

ويقولون : إنهما شيئان متغايران .

ولقد كان يكفى فى بطلان[١٠] قولهم – إقرارهم بمكانٍ غير ما يعهد ، وزمانٍ غير ما يعهد بلا دليل على[١١] ذلك .

ولكن لابدَّ من إيراد البراهين على إبطال دعواهم فى ذلك بحول الله وقوته .

○ فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق :

أخبرونا عن هذا الخلاء الذى أثبتم وقلتم إنه كان موجودًا قبل حدوث الفلك[١٢] وما فيه .

هل بطل بحدوث الفلك[١٣] ما كان منه فى مكان الفلك قبل أن يحدث الفلك ؟ أو لم يبطل ؟ .

فإن قالوا لم يبطل – وبذلك أجابنى بعضهم

فيقال لهم :

فإن كان لم يبطل ، فهل انتقل عن ذلك المكان بحدوث الفلك فى ذلك المكان أو لم ينتقل ؟

فإن قالوا : لم ينتقل – وهو قولهم –

قيل لهم :

---

(٧) كلمة « جرم » سقطت من (أ ، ب) .
(٨) وفى (ب) « حددنا » .
(٩) أى من أنهما غير مطلقين .
(١٠) فى (أ) « من » بدلًا من « فى » .
(١١) فى (أ) « بدليل على ذلك » وفى (ب) « بلا دليل على ذلك » .
(١٢) يقصد به المؤلف « العالم وما فيه من مخلوقات » .
(١٣) سقطت من (خ) كلمة « الفلك » .

فإذا لم يبطل ، ولا انتقل ، فأين حدث الفلك ؟ وقد كان فى موضعه قبل حدوثه عندكم معنى ثابتًا قائمًا بنفسه موجودًا ؟ .

وهل حدث الفلك فى ذلك المكان المطلق الذى هو الخلاء أم فى غيره ؟

فإن كان حدث فى غيره

فها هنا إذًا(١٤) مكان آخر غير الذى سميتموه خلاء ..

وهو إمّا مع الذى ذكرتم فى حيز واحد .. أم هو فى حيّز آخر .

فإن كان معه فى حيز واحد ، فالفلك فيه حدث ضرورة ، وقد قلتم إنه لم يحدث فيه .

فهو إذًا حادث فيه غير حادث فيه ، وهذا تناقض ومحال .

○ وإن كان فى حيز آخر فقد أثبتم النهاية(١٥) للخلاء ، إذ(١٦) الحيز الآخر الذى حدث فيه الفلك ليس هو فى ذلك الخلاء ، وهذا ينطوى فيه بالضرورة نهاية الخلاء الذى ذكرتم فهو متناهٍ لا متناه ، وهذا تناقض وتخليط .

وإذا بطل أن يكون غير متناهٍ ، وثبت أنه متناه ، فهو المكان المعروف(١٧) المعهود المضاف إلى المتمكن فيه ، وهذا هو المكان الذى لا يَعرف ذو عقل سواه .

○ وإن كان الفلك حدث فيه والفلك ملاء بلا شك ، ولم ينتقل الخلاء عندكم ولا بطل .

فالفلك إذًا خلاء وملاء معًا فى مكانٍ واحد . وهذا محال وتخليط .

○ فإن قالوا بطل بحدوث الفلك ما كان منه فى موضع الفلك قبل حدوث الفلك .

أو قالوا(١٨): انتقل .

فقد أوجبوا له النهاية ضرورة ؛

إمّا من طريق الوجود بالبطلان ؛ إذ لا يَفْسُد ويبطل إلّا ما كان حادثًا لا ما لم يزل .

وإمّا من طريق المساحة بالنقلة ، إذ لو لم يجد أين ينتقل لم تكن له نقلة ، إذ معنى النقلة

---

(١٤) فى (خ) « الآن » بدلا من « إذا » .
(١٥) كلمة (النهاية) سقطت من النسخة (أ) وهى موجودة فى (ب) .
(١٦) فى النسخة (أ) [إذًا] وفى (ب) : [إذ] .
(١٧) سقطت كلمة [المعروف] من (أ ، ب) .
(١٨) فى النسخة (أ) [أى قالوا] وفى (ب) « أو » .

إنما هو تصيير الجرم إلى مكان لم يكن فيه قبل ذلك ، أو إلى صفة لم يكن عليها قبل ذلك .

ووجوده مكانًا ينتقل إليه موجِبٌ أنه لم يكن فى ذلك المكان الذى انتقل إليه قبل انتقاله إليه وهذا هو إثبات النهاية ضرورة فهذا هو الذى أبطلوا[١٩].

○ ويلزمهم فى ذلك أيضًا أن يكون متحيزًا ضرورة لأن الذى بطل منه هو غير الذى لم يبطل . والذى انتقل هو غير الذى لم ينتقل .

وهو إذا كان كذلك[٢٠]:

فإمّا هو جسم ذو أجزاء .

وإمّا هو محمول فى جسم فهو ينقسم بانقسام الجسم .

وقد أثبتنا النهاية للجسم فى غير هذا المكان من كتابنا هذا بما فيه البيان الضرورى . والحمد لله رب العالمين .

ب وأيضًا ، فإن كان لم يبطل :

فالذى كان منه فى موضع الفلك ثم لم يبطل ، ولا انتقل لحدوث الفلك فيه .

فهو والفلك إذًا موجودان فى حيز واحدٍ معًا .

فهو إذًا ليس مكانًا للفلك لأن المكان لا يكون مع المتمكن فيه فى مكان واحد ، وهذا يعرف بأولية العقل .

ولو كان ذلك لكان المكان مكانًا لنفسه ، ولما كان واحدٌ منهما أولى بأن يكون مكانًا للآخر من الآخر بذلك .

ولا كان أحدهما أولى أيضًا بأن يكون متمكنًا فى الآخر من الآخر فيه .

وكل هذا فاسد ومحال بالضرورة .

○ وأيضًا فإن الخلاء عندهم مكان لا متمكّن فيه ، والفلك عندهم موجود فى الخلاء إذ لا نهاية للخلاء عندهم من طريق المساحة ، فإذا كان الفلك متمكنًا فى الخلاء عندهم والخلاء عندهم مكان لا متمكّن فيه ، فالخلاء إذن مكان فيه متمكن ليس فيه متمكن .

---

(١٩) وهو نهاية الموجودات ، وعدم أزليتها ، فقد قالوا بأزلية العالم وموجوداته .

(٢٠) فى (ب) « ذلك » .

وهذا محال وتخليط .

○ وهذا بعينه لازم فى قولهم إن ذلك الجزء من الخلاء لم ينتقل[٢١] لحدوث الفلك فيه ، فإن قالوا انتقل ، فإنما صار إلى مكان لم يكن فيه قبل ذلك خلاء ولا ملاء[٢٢] فقد ثبت عدم الخلاء والملاء فيما فوق الفلك ضرورة ، وهذا خلاف قولهم .

○ وإن قالوا بطل ، لزمهم أيضًا أنه قد عدَّته المدد ضرورة ، فإذا عدَّته المدد فقد تناهى من أوله بالمبدأ ضرورة .

فإن قالوا بل لم يحدث الفلك فى شىء من ذلك المكان الذى هو الخلاء .

فقد أثبتوا حيزًا آخر ، ومكانًا للفلك غير الخلاء الشامل عندهم .

وإذا كان ذلك فقد تناهى كلا المكانين[٢٣] من جهة تلاقيهما ضرورة ، وإذا تناهيا من جهة تلاقيهما لزمتهما المساحة ، ووجب تناهيهما لتناهى ذرعهما[٢٤] ضرورة[٢٥].

○ ويُسألون أيضًا عن هذا الخلاء الذى هو عندهم مكان لا متمكّن فيه :

هل له مبدأ متصل بصفحات الفلك العليا[٢٦] أم لا مبدأ له من هنالك ؟

ولابد من أحد الأمرين ضرورة ؛ فإن قالوا : لا مبدأ له – وهو قولهم – قيل لهم إنّ قول القائل « مكان » ، إنما يفهم منه ما يتمثل فى النفس من المقصود بهذه اللفظة وموضعها فى اللغة لتكون عبارة عن التفاهم[٢٧] بالمراد بها أنه[٢٨] مساحة ، ولابدّ للمساحة من الذرع ضرورة ، ولا بد للذرع[٢٩] من مبدأ لأنه كمية ، والكمية أعداد مركبة من الآحاد .

فإن لم يكن له مبدأ من واحد ، اثنين ، ثلاثة ، لم يكن عدد ، وإذا لم يكن عدد لم يكن ذرع أصلًا .

وإذا لم يكن ذرع لم تكن مساحة ، ولا انفساح ولا مسافة .

---

(٢١) لم يتغيّر ، ولم ينتقل من حال إلى حال ، مع أنه قد انتقل فعلا بحدوث الفلك فيه .
(٢٢) الخلاء : الفضاء المطلق الذى لا شىء فيه ، والملاء : ما يحلّ فى الخلاء ، ويملأ جزءًا منه ، أو يملؤه كلّه .
(٢٣) المراد بالمكانين هنا : المكان الذى حلّ فيه الفلك ، والمكان الذى لم يحلّ فيه الفلك ، وهو الخلاء أصلًا .
(٢٤) الذّرع : المساحة ، وأصله ما يقاس بالذراع « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه » .
(٢٥) كلمة [ضرورة] غير مذكورة فى (خ) .
(٢٦) فى (أ ، ب) [الأعلى] .
(٢٧) فى (أ ، ب) : للتفاهم عن المراد بها .
(٢٨) فى (أ ، ب) : أنه ساحة .
(٢٩) فى (أ) : للزروع .

وكل هذه ألفاظ واقعة إما على ذرع المذروع ، وإما على مذروع بالذرع ضرورة ، فإن قالوا : له مبدأ من هنالك :

وجبت له النهاية ضرورة لحصر العدد لمساحته بوجود المبدأ له .

○ ويسألون أيضًا :

أمماس هو[٣٠] للفلك أم غير مماس ، وباين عنه أم غير باين[٣١]؟

فإن قالوا : لا مماس ولا مباين .

فهذا أمر لا يعقل بالحس ، ولا يتشكل فى النفس ، ولا يقوم على صحته برهان أبدًا إلّا فى الأعراض المحمولة فى الأجسام[٣٢].

وهم يقولون[٣٣]: إن الخلاء عرض محمول فى جسم .

وكل دعوى لم يقم عليها دليل فهى باطلة مردودة .

وإن أثبتوا المماسة أو المباينة وجب عليهم ضرورة إثبات النهاية له .

كما لزم بإثبات المبدأ ، إذ النهاية منطوية فى ذكر المبدأ ، والمماسة أو[٣٤] المباينة ضرورة لا شك فيها[٣٥]. وبالله التوفيق .

○ ويُسألون أيضًا عن هذا الخلاء الذى يذكرون ، والزمان الذى يثبتون :

أمحمولان هما أم حاملان ؟ أم أحدهما محمول والثانى حامل ؟ أم كلاهما لا حامل ولا محمول ؟

فأيهما أجابوا فيه : بأنه[٣٦] حامل فلا شك[٣٧] فى أن محموله غيره ؛ إذ لا يكون الشيء حاملًا لنفسه ، فله إذًا محمول لم يزل وهو غير الزمان ، فإن قالوا ذلك : كُلِّموا بما قدّمنا قبلُ على أهل الدّهر القائلين بأزلية العالم .

○ وأيضًا فإن كان المكان حاملًا فلا يخلو ضرورة من أحد وجهين :

---

(٣٠) فى (أ ، ب) : هذا الفلك .
(٣١) باين : منفصل بعيد .
(٣٢) الأعراض المحمولة فى الأجسام : هى الصفات التى تخص الأجسام من طول وعرض ولون ، وطعم ورائحة .
(٣٣) فى (أ ، ب) : لا يقولون .
(٣٤) وفى (ب) : والمباينة ، وفى (أ) (أو) .
(٣٥) فى (أ ، ب) : فيه .
(٣٦) فى (أ ، ب) : فإنه
(٣٧) فى (أ ، ب) : بلا شك .

إما أن يكون حاملًا لجرم متمكن فيه ، وهذا يوجب النهاية له لوجوب نهاية الجرم المتمكن فيه بالدلائل[٣٨] التى قدمنا فى إثبات نهايات الأجرام ، وإمَّا أن يكون حاملًا لكيفياته ، فإن كان حاملًا لكيفياته فهو مركب من هيولاه[٣٩] وأعراضه ، وجنسه وفصوله .

وبالضرورة يعلم كل ذى حس سليم أن كل مركب فهو متناه بالجرم والزمان بالدلائل التى قدمنا .

ولا سبيل إلى حَمْلٍ ثالث .

وأيهما قالوا فيه إنه محمول فإنه يقتضى حاملًا ، وبعكس الدليل الذى ذكرنا آنفًا سواء بسواء .

وأيهما قالوا فيه إنه حامل محمول وجب كل ما ذكرنا فيه أيضًا بعكسه .

وأيهما قالوا فيه لا حامل ولا محمول ، فلا يخلو من أن يكون باقيًا أو يكون بقاء .

فإن كان باقيًا فهو مفتقر إلى بقاء وهو مدته إذ لا باقى إلا ببقاء .

وإذا[٤٠] كان بقاء فلا بدّ له من باق به ، وهذا[٤١] من باب الإضافة .

والمدة وهى البقاء إنما هى محمولة ، وباعثة للباقى بها ضرورة ، هذا الذى لا يقوم فى العقل سواه ، ولا يقوم برهان إلّا عليه .

○ ويُسألون أيضًا عن هذا الزمان الذى يذكرون :

هل زاد فى مدة اتصاله مذ حدث الفلك إلى يومنا هذا ؟

أو لم يزد فى أمده ؟

فإن قالوا : لم يزد ذلك فى أمده ، كانت مكابرة لأنها مدة متصلة بها[٤٢]، مضافة إليها وعدد زائد على عدد .

---

(٣٨) فى (أ ، ب) : بالدلالة .

(٣٩) : الهيولى : لفظ مرادف للمادة ، وقد ردّ « رستو » الأشياء إلى مبدأين : الصورة والهيولى ، وكل شىء هو جزء من المادة الأولية ، اكتسب صفات معينة حدّدت طبيعته ووظيفته ، وهى صورته ، والهيولى : لا تكون أبدًا بغير صورة إلا فى التحليل العقلى والصورة لا تكون إلّا فى هيولى ، مع بعض الاستثناءات كالله والنفس قبل حلولها فى الجسد ، وبعد مفارقتها له . والهيولى : مستعدة أن تكون أى شىء على حسب الصورة التى تحل فيها ، ويعبّر عن هذا بأن الهيولى تكون أى شىء بالقوّة ، فإذا حلت بها صورة معينة أصبحت شيئا معينا بالفعل (راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٣٣) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : وإن .

(٤١) فى (أ ، ب) : وهو .

(٤٢) أى مدة متصلة بالزيادة .

فإن قالوا : زاد ذلك فى أمده : سئلوا : متى كانت تلك المدة أطول ؟

أقبل الزيادة أم هى وهذه الزيادة معًا ؟

فإن قالوا : هى والزيادة معها ، فقد أثبتوا النهاية ضرورة ، إذ ما لا نهاية له فلا يقع فيه زيادة ولا نقص ، ولا يكون شىء مساويًا له ، ولا أكثر منه ، ولا أنقص منه . ولا يكون هو أيضًا منفصلًا[٤٣] أصلًا ، فلا يكون مساويًا لنفسه كما هو ، ولا أكثر من نفسه ولا أقل منه .

فإن قالوا : ليست هى[٤٤] والزيادة معها أطول منها قبل الزيادة ، فقد أثبتوا أن الشىء وغيره معه ليس أكثر منه وحده ، وهذا باطل .

وهم يقولون : إن الخلاء والزمان المطلق شيئان متغايران ، فيقال لهم : فإذا هما كذلك .

فبأى شىء انفصل بعضهما من بعض ؟

فإن قالوا : انفصلا بشىء مّا وذكروا فى ذلك أىَّ شىء ذكروه ، فقد أثبتوا لهما التركيب من جنسهما وفصلهما .

وأيضًا فجعلهم لهما شيئين إيقاع منهم للعدد عليهما ، وكل عدد فهو متناه محصور ، وكل محصور فقد سلكته الطبيعة[٤٥]، وكل ما سلكته الطبيعة فهو متناهٍ ضرورة .

فإن أرادوا إلزامنا فى البارى تعالى مثل ما ألزمناهم فى هذا السؤال :

فقالوا : أيما أكثر : البارى تعالى وحده أم البارى وخلقه معًا ؟

قلنا : هذا سؤال فاسد بالبرهان الضرورى ؛ لأن هذا البرهان إنما هو على وجوب حدوث الزمان ، وما لم ينفك من الزمان ، وعلى حدوث النوامى كلها فقط . والبارى تعالى لا زمان له ولا هو من النوامى[٤٦].

وأيضًا فإن البارى تعالى ليس عددًا ، ولا بعض عدد ، ولا هو أيضًا معدودًا ولا بعض المعدود ، لأن واحدًا ليس عددًا[٤٧] بالبرهان الذى نورده فى الباب[٤٨] الذى يتلو هذا الباب إن شاء الله تعالى .

---

(٤٣) فى (أ ، ب) : مفصلا ، وسياق الكلام يدل على أن الأرجح (منفصلا) أذ هى مقابلة للاتصال .
(٤٤) أى المدة .
(٤٥) سلكته الطبيعة : أى انتظمته فى سلكها ، واحتوته فيه .
(٤٦) سقط الكلام فى (أ ، ب) من أول [كلها فقط إلى النوامى] .
(٤٧) أى لأن الواحد لا يكون عددًا .
(٤٨) سقطت [الذى نورده فى الباب] من (خ) .

ولا واحد على الحقيقة إلّا الله عزّ وجل فقط . فهو الذى لا يتكثر ألبتة ولا ينضاف إلى سواه ، إذ لا يجمعه مع شىء سواه عدد ، ولا صفة ألبتة ، لأن كل ما وقع عليه اسم واحد مما دونه تعالى ، فإنما هو مجاز لا حقيقة .

لأنه إذا قَسِّم(٤٩) استبان أنه كان كثيرًا لا واحدًا .

فلذلك وقع العدد على الأجرام والأعداد المسماة آحادًا فى العالم . وأما الواحد فى الحقيقة فهو الذى ليس كثيرًا أصلًا ، ولا يتكثر بوجه من الوجوه فلا يقع عليه عدد بوجه من الوجوه ، لأنه يكون حينئذ واحدًا لا واحدًا كثيرًا وهذا تخليط ، ومحال وممتنع لا سبيل إليه .

فلا يجوز أن يضاف الواحد الأول إلى شىء مما دونه لا فى عدد ، ولا كمية ، ولا فى جنس ، ولا فى صفة ، ولا فى معنى من المعانى أصلًا .

وبالله تعالى التوفيق .

○ فإن ذكر ذاكر قول الله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا(٥٠) » .

فمعنى قوله تعالى : « هو رابعهم ، وهو سادسهم » ، إنما هو فعل فَعَلَه فيهم وهو أنه ربَّعهم بإحاطته بهم لا بذاته ، وسَدَّسهم بإحاطته بهم لا بذاته ، أو قد يُربِّعهم بِمَلَكٍ يشرف عليهم ، ويُسدِّسهم كذلك .

وبرهان هذا القول : أن الله تبارك وتعالى إنما عنى بهذه الآية – بلا خلاف بل بضرورة العقل من كل سامع – أنه لا تخفى(٥١) عليه نجواهم ، وهذا نص الآية لأنه تعالى افتتحها بذكر نجوى المتناجين ، إنما أراد عزّ وجلّ علمه بنجواهم لا أنه معدود معهم بذاته إلى ذواتهم ، حاشالله من ذلك .

إذ من المحال الممتنع الخارج عن رتبة الأعداد والمعدودين أن يكون الله عزَّ وجل معدودًا بذاته مع ثلاثة بالهند ، ومع ثلاثة بالسند ، ومع ثلاثة بالعراق ، ومع ثلاثة بالصين فى وقت واحد ، لأنه لو كان ذلك لكان الذين هو رابعهم بالهند ، مع الثلاثة الذين هو رابعهم بالصين ، ثمانية كلهم لأنهم أربعة وأربعة بلا شك ، فكان تعالى حينئذ يكون اثنين وأكثر وهذا محال .

---

(٤٩) أى إذا قُسّم الواحد فى الأشياء تكثرت أجزاؤه ، فكان كلّ جزءٍ منها عددًا يمكن قسمته أيضًا ، كما تقسم القصاصة مثلًا .
(٥٠) سورة المجادلة : آية ٧ .
(٥١) فى النسخة (أ) لا يخفى .

وكذلك إذا كان بذاته سادسًا لخمسة ها هنا فهم ستة ، ورابعًا لثلاثة هنالك فهم أربعة فهم كلهم بلا شك عشرة فهو إذًا اثنان .

وكذلك قوله تعالى فى الآية نفسها « إلَّا هو معهم أينما كانوا »

إنما أضاف تعالى(٥٢) الأينية إليهم لا إلى نفسه تعالى – معناه أينما كانوا فهو تعالى معهم بإحاطته ، إذ محال أن يكون بذاته فى مكانين .

فبطل اعتراضهم والحمد لله رب العالمين كثيرًا .

○ وليس قول القائل : الله ورسوله ، أو الله وعمر(٥٣)، مما يعترض به علينا ، لأننا لم نمنع من ضم اسمه تعالى إلى اسم غيره معه ، لأن الإسم كلمة مركبة من حروف الهجاء ، وإنما منعنا من أن تُعد ذاته تعالى مع شيء غيره ، إذ العدد إنما هو جمع شيءٍ إلى غيره فى قضية مَّا والله تعالى لا يجمعه وخلقه شيء أصلًا .

فصح انتفاء العدد عنه تعالى . وإذا صحّ انتفاء العدد عنه صح أنه ليس معدود(٥٤) ألبتة ، والحمد لله رب العالمين .

○ ويُسألون أيضًا : أهذا الزمان والمكان اللذان يذكران ، أهما واقعان تحت الأجناس والأنواع أم لا ؟

وهل هما واقعان تحت المقولات العشر(٥٥) أم لا ؟

فإن قالوا : لا فقد نفوهما أصلًا ، وأعدموهما ألبتة ، إذ لا مقول من الموجودات إلَّا هو واقع تحتها ، وتحت الأجناس والأنواع . حاشا الحق الأول الواحد الخالق عزَّ وجل الذى عُلِم بضرورة الدلائل ، ووجب بها خروجه عن الأجناس والأنواع والمقولات .

وبالجملة شاءوا أو أبوا ، فالخلاء والزمان المطلق اللذان يذكران إن كانا موجودين فهما واقعان

---

(٥٢) سقطت كلمة (تعالى) من النسخة (أ) .

(٥٣) فى النسخة (ب) و « عمرو » .

(٥٤) أى ليس هناك معدودٌ – فمعدود اسم ليس ، وخبرها محذوف لدلالة الحال عليه .

(٥٥) المقولات العشر : فى المنطق عند أرسطو أن المقولات هى المحمولات التى لا يمكن للفكر نسبتها إلى أىّ موضع يحكم عليه ، وهى عنده عشرة :

١ – الكمية ٢ – الكيفية ٣ – الإضافة ٤ – المكان ٥ – الزمان ٦ – الوضع ٧ – الملك ٨ – الفعل ٩ – الانفعال ١٠ – الجوهر . ومقولات العقل عند « كونت » الفيلسوف الفرنسى هى وسائل إدراك العقل لعالم الظواهر ، ولما كانت المقولات بمثابة تبويب لجوانب معرفة الإنسان للوجود اختلفت عند الفلاسفة باختلاف مذاهبهم فى المعرفة راجع « المواقف » : لعضد الدين الإيجى حـ ٨ ص ١٨ ط ١٨٥٠م حجر ، وراجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٣١ ، ١٧٣٢ والمنطق الصورى د . محمد سامى النشار الطبعة الثالثة – كلية الآداب جامعة الاسكندرية ص ٢١٨ ، ص ١٩٦٨م .

تحت جنس الكمية والعدد ضرورة ، فإذا كان ذلك كذلك فهذا الزمان الذى ندريه نحن وهم ، وذلك الزمان الذى يدَّعونه هما واقعان جميعًا تحت جنس « متى » .

وكذلك المكان الذى يدَّعونه واقع مع المكان الذى نعرفه نحن وهم تحت جنس « أين » .

وبالضرورة يجب أن ما لزم بعض ما تحت الجنس مما يوجبه له الجنس - فإنه لازم لكل ما تحت ذلك الجنس ، وإذ لا شك فى هذا فهما مركبان ، والنهاية فيهما موجودة ضرورة إذ المقولات كلها كذلك .

○ وأيضًا فإن المكان لابدّ له من مدّة يوجد فيها ضرورة ، فنسألهم ، هل تلك المدة هى الزمان الذى يدّعونه أم هى غيره ؟

فإن كانت هى هو - فهو زمان للمكان فهو محمول فى المكان ، فهو ككل زمان لذى الزمان[٥٦] فلا فرق .

وإن كانت غيره ، فها هنا إذن زمان ثالث غير مدة ذلك المكان ، وغير الزمان الذى ندريه نحن وهم ، وهذه وساوس لا يعجز عن ادّعائها كل من لم يبال بما يقول ولا استحيا من فضيحة .

ويقال لهم : إذ ليس المكان الذى تدّعونه ، والزمان الذى تدّعونه واقعين مع المكان المعهود ، والزمان المعهود تحت جنس وحَدّ واحد .. فلم سميتموه مكانًا وزمانًا ؟ وهلّا سميتموهما باسمين مفردين لهما ليبعدا بذلك عن الاشكال والتلبيس والسفسطة بالتخليط بالأسماء المشتركة .

فإن كانا مع الزمان والمكان المعهودين تحت جنس[٥٧] واحد ، فقد بطلت دعواكم زمانًا ومكانًا غير الزمان والمكان المعهودين بالضرورة .

وبالله تعالى التوفيق .

○ ويُسألون أيضًا عن هذا الزمان والمكان غير المعهودين :

أهما داخل الفلك أم خارجه ؟ أم لا داخل ولا خارج[٥٨]؟

فإن قالوا : هما داخل الفلك فالخلاء إذًا هو الملاء ، والمكان إذًا فى المتمكن[٥٩] يعنى فى داخله .

وهذا محال ، والزمان إذن هو الذى لا يُعرف غيره .

(٥٦) أى لما يحويه الزمان ، أو يقع فى الزمان .
(٥٧) فى (أ ، ب) [تحت حدٌ] .
(٥٨) سقطت [أم لا داخل ولا خارج] من (أ ، ب) .
(٥٩) فى (أ) « التمكن » .

وإن قالوا : هما خارج الفلك – أوجبوا لهما نهايةً ابتداءً مما هو خارج الفلك .

وإن قالوا : لا خارج ولا داخل ، فهذه دعوى مفتقرة إلى برهان ، ولا برهان على صحتها فهى باطل .

فإن قالوا أنتم تقولون هذا فى البارى تعالى ؟ قلنا لهم : نعم ، لأن البرهان قد قام على وجوده ، فلما صحّ وجوده تعالى قام البرهان بوجوب خلافه لكل ما فى العالم على أنه لا داخل ولا خارج ، وأنتم لم يصح لكم برهان على وجود الخلاء والزمان الذى تدّعونه ، فصار كلامكم كله دعوى .

وبالله التوفيق .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولم نجد لهم سؤالًا أصلًا ، ولا أتونا قط بدليل فنورده عنهم[٦٠]، ولا وجدنا لهم شيئًا يمكن الشغب به فى أزلية الخلاء والمدة . فنورده عنهم ، وإن لم يتنبهوا له[٦١]، وإنما هو رأى قلدوا فيه بعض قدماء الملحدين فقط .

وبالله التوفيق .

○ قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ومما يَبْطُل به الخلاء الذى سموه مكانًا مطلقًا ، وذكروا أنه لا يتناهى ، وأنه مكان لا متمكن[٦٢] فيه ، [وأنه][٦٣] برهان ضرورى لا انفكاك منه .

وأطرف شيء أنه برهانهم الذى موّهوا به وشغبوا بإيراده ، وأرادوا به إثبات الخلاء ، وهو أننا نرى الأرض والماء والأجسام الترابية من الصخور والزئبق ، ونحو ذلك طباعها السفل أبدًا ، وطلب الوسط والمركز ، وأنها لا تفارق هذا الطبع فتصعد إلّا بقسر يغلبها ، ويدخل عليها كرفعنا الماء والحجر قهرًا ، فإذا رفعناهما ارتفعا ، فإذا تركناهما عادا إلى طبعهما بالرسوب ، ونجد النار والهواء طبعهما الصعود والبعد عن المركز والوسط ، ولا يفارقان هذا الطبع إلا بحركة قسر تدخل عليهما[٦٤]. ويرى ذلك عيانًا كالزق المنفوخ ، والإناء المجوف المصوب فى الماء ، فإذا زالت تلك الحركة القسرية رجعا إلى طبعهما ، ثم نجد الإناء المسمى سارقة الماء يبقى الماء فيها صعدًا

(٦٠) فى (خ) : عليهم .
(٦١) سقطت : (له) من (أ ، ب) .
(٦٢) فى (أ) : متمكن بغير « لا » النافية .
(٦٣) ليست هذه الكلمة : « وأنه » موجودة فى (أ ، ب) .
(٦٤) فى (أ) : « عليهمو » .

ولا يسفل[٦٥]، ونجد الزرّاقة ترفع التراب ، والزئبق والماء ، ونجد إذا حفرنا بئرًا امتلأ هواء وسفل الهواء حينئذ . ونجد المحجمة تمص[٦٦] الجسم الأرضى إلى نفسها .

فليس كل هذا إلّا لأحد وجهين لا ثالث لهما ؛ **إمَّا عدم** الخلاء جملة كما نقول نحن **وإمَّا لأن** طبع الخلاء يجتذب هذه الأجسام إلى نفسه – كما يقول من يثبت الخلاء .

فنظرنا فى قولهم : إن طبع الخلاء يجتذب هذه الأجسام إلى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء . فوجدناه دعوى بلا دليل فسقط .

ثم تأملناه أخرى : فوجدناه عائدًا عليهم ، لأنه إذا اجتُذبت الأجسام ولابد فقد صار ملاء ، فالملاء حاضر موجود ، والخلاء دعوى لا برهان عليها فسقطت ، وثبت عدم الخلاء .

ثم نظرنا فى قولنا ، فوجدناه يُعلم بالمشاهدة ، وذلك أننا لم نجد لا بالحس ، ولا بتوهم العقل بالإمكان مكانًا يبقى خاليًا قط دون متمكّن ، فصحّ الملاء بالضرورة وبطل الخلاء ، إذ لم يقم عليه دليل ولا وجد قط ، وبالله تعالى التوفيق .

ثم نقول لهم : إن كان خارج الفلك خلاء على قولكم فلا يخلو من أن يكون من جنس هذا الخلاء الذى تدّعون أنه يجتذب الأجسام بطبعه ، أو يكون من غير جنسه ، لابد من أحد هذين الوجهين ضرورة ، ولا سبيل إلى ثالث ألبتة .

فإن قالوا : هو من جنسه – وهو قولهم – فقد أقروا بأن طبع هذا الخلاء الغالب بجميع الطبائع هو أن يجتذب[٦٧] المتمكنات إلى نفسه فيمتلىء بها ، حتى أنه يحيل قوى العناصر عن طباعها ، فوجب أن يكون ذلك الخلاء الخارج عن الفلك كذلك (أيضًا)[٦٨] ضرورة .

لأن هذه صفة طبعه وجنسه ، فوجب بذلك ضرورة أن يكون متمكنًا فيه ولابدّ وإذا كان هذا – وذلك الخلاء عندهم لا نهاية له – فالجسم المالىء له أيضًا لا نهاية له ، وقد قدَّمنا البراهين الضرورية : أنه لا يجوز وجود جسم لا نهاية له[٦٩] وهذا القول يوجب وجود جسم لا نهاية له ، وكل ما أوجب كون مالا يكون فهو باطل لا يكون أصلًا فالخلاء باطل .

ولو كان ذلك أيضًا لكان ملاء لا خلاء ، وهذا خلاف قولهم .

---

(٦٥) فى (أ ، ب) : « ولا ينسفك » .
(٦٦) فى (أ) (تمس) .
(٦٧) فى (ب) « يجذب » .
(٦٨) كلمة [أيضًا] غير موجودة فى (خ) .
(٦٩) سقط الكلام فى (أ ، ب) من « وهذا القول إلى . . أصلًا » .

عرفتموه ؟ وبم(٧٠) استدللتم عليه ؟ وكيف وجب أن تسموه خلاء ، وهو ليس خلاء . وهذا لا مخلص لهم منه . وبالله تعالى التوفيق . وهم فى هذا سواء .

ومن قال : إنَّ فى مكان خارج من العالم ناسا لا يحدُّون بحدّ الناس ، ولا هم كهؤلاء الناس ، أو من قال : إنَّ فى خارج الفلك نارًا غير(٧١) محرقة ليست من جنس هذه النار وكل هذا حمق وهوس .

قال « أبو محمد » : وكل ما أدخلنا فى الباب من إبطال قولهم بأزلية المكان والزمان ، فهو لازم فى قولهم بأزلية النفس أيضًا ولا فرق ، وبالله تعالى التوفيق(٧٢).

« مَنْ قال من الفرقة الرابعة بتعدّد فاعل العالم ومدبّره » .

باب : الكلام على من قال : إن فاعل العالم ومدبّره أكثر من واحد .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : افترق القائلون بأن فاعل العالم أكثر من واحد فرقًا ، ثم ترجع هذه الفرق إلى فرقتين :

(أ) **فإحدى الفرقتين** تذهب إلى أن العالم غير مدبّرية ، وهم القائلون بتدبير الكواكب(٧٣) السبعة ، وأزليتها ، وهم المجوس(٧٤)؛ فإن المتكلمين ذكروا عنهم أنهم يقولون : إن البارى عزّ وجل لما طالت وحدته استوحش ، فلما استوحش فكر فكرة سوء فتجسمت فاستحالت ظلمة ، فحدث منها « اهرمن » وهو إبليس ، فرام البارىء تعالى إبعاده عن نفسه فلم يستطع ، فتحرز منه بخلق الخيرات ، وشرع « اهرمن » فى خلق الشر ، ولهم فى ذلك تخليط كثير .

○ قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا أمر لا تعرفه المجوس بل قولهم الظاهر هو أن البارى تعالى ، وهو « أورمن » و« إبليس » وهو « اهرمن » و« كام » وهو الزمان ، و« جام » وهو المكان ، وهو الخلاء أيضًا ، و« توم » وهو الجوهر ، وهو أيضًا « الهيولى » ،

(٧٠) فى (خ) : وبأى شيء .
(٧١) فى (أ) : سقطت كلمة (غير) .
(٧٢) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول (قال أبو محمد إلى . . وبالله تعالى التوفيق) .
(٧٣) الكواكب السبعة : تسمى الكواكب المتحيرة ، وهى القمر ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس ، والمريخ ، والمشترى ، وزحل ، وهى تدور حول الأرض فى أفلاك تدور (الموسوعة العربية الميسرة) .
(٧٤) المجوس : عبدة النار ، ولهم شبهة كتاب ، ولهذا ألحقوا بأهل الكتاب فى فرض الجزية عليهم إذا لم يقبلوا الإسلام ، وفى هذا يقول الرسول ﷺ فيهم : « سنُّوا بهم سنة أهل الكتاب » .

وهو أيضًا « الطينة » و« الخميرة » خمسة لم تزل . وأن « أهرمن » هو فاعل الشرور . وأن « أورمن » فاعل الخيرات(٧٥). وأن «توم » هو المفعول فيه كل ذلك .

وقد أفردنا فى نقض هذه المقالة كتابًا فى نقض كلام محمد بن زكريا الرازى الطبيب(٧٦)، فى كتابه « الموسوم بالعلم الإلهى » .

والمجوس يعظمون الأنوار ، والنيران ، والمياه إلَّا أنهم يقرون بنبوّة « زرادشت »(٧٧)، ولهم شرائع يضيفونها إليه .

ومنهم « المزدكية(٧٨)» : وهم أصحاب مزدك الموبذ ، وهم القائلون بالمساواة فى المكاسب ، والنساء .

والخُرَّمية(٧٩): أصحاب بابك : وهم فرقة من فرق المزدكية ، وهم أيضًا سر مذهب الإسماعيلية(٨٠)، ومن كان على قول القرامطة(٨١)، وبنى عبيد(٨٢) وعنصرهم .

---

(٧٥) فى (خ ، ب) [الخير] .

(٧٦) سبقت ترجمته راجع ص من هذا الكتاب . ونسب ابن أبى اصيبعه إلى الرازى رسالة لطيفة فى العلم الالهى سماها ابن النديم « رسالة فى العلم الالهى لطيفة »

(٧٧) زرادشت ابن يورشب : ظهر فى زمان « كشتاسف » بن « لوهاسب » الملك ، وأبوه من أذربيجان ، وأمه من الرى ، واسمها « دغد » ، وزعموا أن لهم أنبياء وملوكا أولهم « كيومرس » وكان أول من ملك الأرض ، ونزل « زرادشت » « بابل » وأقام بها ، وزعموا أن موسى عليه السلام ظهر فى زمانه « راجع الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٨٨ » .

(٧٨) المزدكية : هم أصحاب مزدك الذى ظهر فى أيام « قباز » والد أنو شروان ، ودعا « قباز » إلى مذهبه فأجابه واطلع أنو شروان على كذبه وافترائه فقتله ، حكى الوراق أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية فى الكونين والأصلين ، إلا أن « مزدك » كان يقول : إن النور يفعل بالقصد والاختيار . والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس . والظلام جاهل أعمى ، وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط ، لا بالقصد والاختيار . « راجع الملل والنحل : للشهرستانى حـ ٢ ص ٨٦ والتبصرة : ص ٧٩ لفخر الدين الرازى .

(٧٩) الخرَّمية : أصحاب « بابك » الخرّمى وهو رجل فارسى مجوسى الأصل ، دخل فى الإسلام وتسمّى الحسن وكان قِوىّ النفس ، شديد البطش ، وحدّثته نفسه الخبيثة بأن يسترجع ملك فارس وديتها ، فاستعصم بالجبل المعروف « بالبُدين » من أصل « الران » . وفى سنة ٢٠١هـ فى عهد المأمون العباسى ظهر أمره ، وأعلن العصيان ، وفى سنة ٢١٢ هـ جهز له المأمون جيشا بقيادة محمد بن حميد الطوسى ، فهزم « بابك » جيش الخليفة ، وقتل قائده ، وفى سنة ٢٢٠ هـ جهّز المعتصم جيشا بقيادة « الأفشين » ، فالتقى الجيشان ، فهزم « الأفشين » جيش « بابك » ، وقتل من الخرَّمية نحو الألف ، ثم هرب « بابك » إلى « موقان » بلدة فى فارس ، فلم يزل « الأفشين » يتحين له حتى أسره فى جبالْ أرمينية ، ثم أخذه إلى المعتصم فأمر بقطع أطرافه وصلبه : (راجع الفرق بين الفرق : للامام البغدادى ص ٢٦٧ ، والعبر : لابن خلدون حـ ١ ص ٢٢٠ ، ومروج الذهب حـ ٤ ص ٥٥ .

(٨٠) الاسماعيلة : فرقة من فرق الشيعة الباطنية تنسب إلى إسماعيل الإبن الأكبر لجعفر الصادق ، انتشروا فى « نهاوند ، وخراسان ، وقندهار ، والهند ، والشام ، وبلاد المغرب ، ومن أشهر دعاتهم ميمون القدّاح وكان ولده « عبد الله » إماما للقرامطة ، و « الحسن بن الصباح » وكان زعيمًا لطائفة الحشاشين ، وراشد الدين سنان بن سليمان ، وأغاخان زعيم الاسماعيلية سنة ١٩٥٧ ، ولهم أتباع كثير فى فارس ، وأواسط آسيا ، وأفغانستان ، والهند ، وعمان ، والشام ، « وزنجبار » ، وتنجانيقا ، وللاسماعيلية كتب كثيرة تصور فلسفتهم ، وأكثرها ما يزال مخطوطا وسرًيا ،أهمها كتاب راحة العقل للدّاعى أحمد حميد الدين الكرمانى [الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٠] ، وفهرست النديم حـ ١ ص ١٨٦ وما بعدها . ومقدمة ابن خلدون حـ ١ ص ٣٦٢] .

(٨١) القرامطة : أصحاب دعوة انتشرت فى بعض البلاد الإسلامية سنة ٩٠١ هـ بزعامة « حمدان » ولقبه « قِرْمِيطى » أى أحمر العينين ، وانتشرت فى اليمن ، حينما بعث ميمون « القداح الكوفى اثنين من دعاته إلى اليمن سنة ٩٠٤ هـ ، وهما على ابن الفضل الحميرى اليمنى ، ومنصور بن حسن الكوفى ، ونجح الأول نجاحا كبيرًا ، واستولى سنة ٩٠٦ هـ على « زمار » و « صنعاء » وتغلب على جيوش الإمام الهادى ، ـــ

(٨٢) بنى عبيد : أصحاب عُبَيْد المكتّب ، حكى عنه أنه قال : « ما دون الشرك مغفورٌ لا محالة ، وإن العبد إذا مات على توحيده لم =

وقد يضاف إلى جملة من قال إن مدبّر العالم أكثر من واحد الصابئون[٨٣]، وهم يقولون بقدم الأصلين[٨٤] على ما قدمنا من نحو[٨٥] قول المجوس ، إلّا أنهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة ، والبروج الإثنى عشر[٨٦]، ويصورونها فى هياكلهم ويقولون بقدمها[٨٧]، ويقربون الذبائح ، والدخن[٨٨]، ولهم صلوات خمس فى اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين ، ويصومون شهر رمضان ، ويستقبلون فى صلاتهم الكعبة والبيت الحرام ، ويعظمون مكة والكعبة ، ويحرمون الميتة ، والدّم ، ولحم الخنزير ، ويحرمون من القرائب ما يحرم على المسلمين ، وعلى نحو هذه الطريقة تفعل الهند بالبِدَدة[٨٩] فى تصويرها على أسماء الكواكب وتعظيمها ، وهو كان أصل الأوثان فى العرب ، والدقاقرة[٩٠] فى السودان ، حتى آل الأمر طول الزمان إلى عبادتهم إيّاها . وكان الذى ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر ، والغالب على أهل الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث ، وبدّلوا شرائعه بما ذكرنا ، فبعث الله عزَّ وجل إليهم إبراهيم خليله ﷺ بدين الإسلام الذى نحن عليه

=واستباح كثيرًا من المحرمات ، ذكر بعض مؤرخى اليمن أنه ادّعى النبوة ، ولم تهدأ الحالة إلا فى سنة ٩١٥ هـ عندما مات مسمومًا بيد أحد الأشراف ، وبموته انتهت دولة القرامطة فى اليمن ، ولكن بقى من أتباعهم عدد كثير كانوا يقطنون فى « حرار » على مقربة من « صنعاء » . وقد قضى على نفوذهم الإمام ابن حميد الدين ، بعد تولّيه الملك ، واستولى على ما كان لديهم من مخطوطات ، تشرح مذهبهم وتعاليمهم ، [الفرق بين الفرق : للبغدادى ص ٢٨١ والملل والنحل : ص ٢٩ حـ ٢ والموسوعة العربية الميسرة ١٣٧٣] .

=يضره ما اقترف من الآثام ، وحكى « اليمان » عن عبيد المكتّب وأصحابه أنهم قالوا : أنّ علم الله تعالى لم يزل شيئًا غيره ، وزعم أن الله تعالى عن قولهم – على صورة إنسان وحمل عليه قوله ﷺ : « خلق آدم على صورة الرحمن » ، [الملل والنحل : للشهرستانى حـ ١ ص ٢٢٤ مكتبة الحسين التجارية ط ١٣٦٨ هـ] .

(٨٣) الصابئة : هذه الكلمة آرامية الأصل تدل على التطهير ، وتطلق على فرقتين : أولاهما جماعة « المِنْدائيين » أتباع يوحنا المعمدان ، وثانيهما : صابئة « حرَّان » الذين عاشوا زمنا فى كنف الإسلام ، ورد ذكرهم فى القرآن ثلاث مرات يحرمون الختان ، ويمنعون تعدّد الزوجات ، ويؤدون ثلاث صلوات كل يوم ، مركزهم الرئيسى « حرَّان » ولغتهم السريانية ، منهم « ثابت بن قرة » وابنه « سنان » ، و « أبو إسحاق بن هلال » ، انقرضوا فى القرن الحادى عشر الهجرى بعد استيلاء الفاطميين على « حرَّان » ولم يبق لهم إلا آثار قليلة ، عنى بهم المؤرخون الإسلاميون وبخاصة الشهرستانى ، والدمشقى فى نخبة الدهر فى عجائب البحر . [راجع الملل والنحل : للشهرستانى حـ ٢ ص ٩٥] ودائرة المعارف الإسلامية . مادة صبأ .

(٨٤) فى النسخة (أ) : الأصليين .

(٨٥) وفى النسخة (أ) « على ما قدمنا نحن قول المجوس » .

(٨٦) البروج الاثنا عشر : تسمى الكوكبات البروجية ، وتوجد حول دائرة البروج ، وقد أطلق عليها أسماء أبطال الأساطير ، مثل « هرقل » و « فرساوس » ، وأسماء حيوانات « كالتنين » والأسد وفى سنة ١٣٠٣ هـ أطلق « يوهان باير » عليها الحروف اليونانية ، بالإضافة إلى اسم كوكبه للإشارة إلى نجومها على حسب لمعانها : [الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٠٧] .

(٨٧) فى (أ ، ب) سقطت « ويقولون بقدمها » .

(٨٨) الدُّخن : والدُّخن : بالضم حب الجاوَرْس ، أو حَبٌّ أصغر منه أملس جدًا بارد يابس حابس للطبع .

(٨٩) البِدَدة : جمع بِدٌّ : قيل إنه صورة البارى عند بعض طوائف الهند ، وقيل إنه صورة رسوله . وقالت طائفة هو صورة « يوسداف » الحكيم وصفته إنسان جالس على كرسى مغموس الذقن فى الفم ، عاقد بيده اثنين وثلاثين ، وبدٌّ هو « بوذا » [دائرة المعارف للبستانى] .

(٩٠) الدقاقرة : ليس لها وجود فى القاموس ، ولكن فيه : الدّكر بالدال : لعبة للزنج والحبش ، وربما كانت الكلمة [الدكاكرة] جمع [دكره] بالدال فقلبت قافًا وبعض القبائل تقلب الكاف قافا .

الآن . وتصحيح ما أفسدوه بالحنفية السمحة التى أتى بها محمد ﷺ ، من عند الله تعالى .

فبيّن لهم كما نصّ فى القرآن بطلان ما أحدثوه ، من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الأوثان ، فلقى منهم ما نصّه الله فى كتابه ، وكانوا فى ذلك الزمان وبعده يسمّون بالحنفاء(٩١)، ومنهم اليوم بقايا « بحرّان(٩٢)» ، وهم قليل جدًّا فهذه فرقة ويدخل فى هذه الفرقة من وجه ، ويخرج منها من وجه آخر النصارى(٩٣).

---

(٩١) الحنفاء : وهم قوم من العرب كانوا على ملة إبراهيم قبل بعثة الرسول ﷺ ، منهم « زيد بن عمرو بن نفيل » ، الذى كان يستقبل القبلة ، ويقول : لبيك حقًّا حقًّا ، تعبّدًا ورقًّا ، البرَّ أرجو لا الخال ، وهل مُهجِّر كمن قال [أى جلس تحت الظل] . وكانوا يعتزلون عبادة الأوثان ، ويمتنعون عن أكل ما ذبح باسمها ، وكثيرًا ما كانوا ينكرون على قريش ذبحها على غير اسم الله . ويقول « زيد بن عمرو » يا معشر قريش ، أيرسل الله قطرَ السماء ، وينبت بقل الأرض ، ويخلق السائمة فترعى فيه ، وتذبحوها لغيره ، ومنهم « أمية بن أبى الصلت » الشاعر المشهور ، يقول عنه صاحب كتاب الأغانى : نظر فى الكتب وقرأها ، ولبس المُسوح تعبّدا ، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل ، والحنفية وحرَّم الخمر ، وشك فى الأوثان ، ومن شعره :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

ومنهم « خالد بن سنان » ، يقول ابن قتيبة : إن رسول الله (ﷺ) قال : ذلك نبى أضاعه قومه ، وأتت ابنته رسول الله (ﷺ) فسمعته يقرأ « قل هو الله أحد » فقالت : كان أبى يقول ذا . [المعارف : لابن قتيبة ص ٢٨ ط دار المعارف سنة ١٩٥٩م] . والتفكير الفلسفى فى الإسلام : للدكتور عبد الحليم محمود حـ ١ ص ٢٥ منشورات دار الكتاب اللبنانى – بيروت ١٩٧٤م .

(٩٢) حرَّان : هى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة « أقور » بينها وبين « الرّهايوم » ، وبين « الرقة » يومان وهى على طريق الموصل والشام والروم ، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان ، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون – وقال المفسرون فى قوله تعالى « إنى مهاجر إلى ربى » إنه أراد « حرَّان » وقالوا فى قوله تعالى : « ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين.» هى حرّان وقول « سديف بن ميمون » .

قد كنت أحسبنى جلدًا فضعضعنى قبر بحرَّان فيه عصمة الدِّين

يريد إبراهيم بن الإمام محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وكان مروان بن محمد حبسه « بحران » حتى مات بها بعد شهرين فى الطاعون ، وفتحت فى أيام عمر بن الخطاب على يد عياض ابن غنم (راجع معجم البلدان : للإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى – البغدادى – المجلد الثانى – دار صادر بيروت) .

(٩٣) النصارى : جمعٌ واحدة « نَصْرانِى » ، وقيل « نصران » بإسقاط الياء ، وهذا قول سيبويه ، والأنثى « نصرانة » كنَدْمَان وندمانة ، وهو نكرة يعرف « بأل » قال الشاعر :

صدَّت كما صدّ عما لا يحل له ساق نصارى قبيل الفصح صوّام

فوصفه بالنكرة ، وقال الخليل : واحد النصارى نصْرِى ، كمَهْرِى ومَهَارى ، وأنشد سيبويه شاهدًا على قوله :

تراه إذا دار العشا مُتحنِّفًا ويُضْحى لديه وهو نصرانُ شامس

وأنشد :

فكلتاهما خرَّت وأسجد رأسُها كما أسجدت نصرانةٌ لم تحنَّف

يقال : أسجد إذا مال ، ولكن لا يستعمل نصران ونصرانة إلا بياءى النسب ، لأنهم قالوا : رجل نصرانى ، وامرأة نصرانية ونصَّره : جعله نصرانيا ، وفى الحديث : « فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه » . وقال عليه السلام : « لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار » . وقد جاءت جموع على غير ما يستعمل واحدها ، وقياسه « النصرانيون » . ثم قيل . سمّوا بذلك نسبة إلى قرية تسمى « ناصرة » كان ينزلها عيسى عليه السلام فنسب إليها ، فقيل : عيسى النَّاصرى ، فلما نسب أصحابه إليه قيل النصارى ، قاله ابن عباس وقتاده . وقال الجوهرى : ونصران : قرية بالشام ينسب إليها النصارى ، ويقال : « ناصرة وقيل : سمّوا بذلك لنصرة بعضهم بعضا : قال الشاعر :

لما رأيت نَبَطًا أنصارًا شمّرت عن ركبتى الإزارا

كنت لهم من النصَّارى جارا

وقيل سموا بذلك لقوله : « مَنْ أنصارى إلى الله ، قال الحواريون : نحنُ أنصار الله » (راجع : الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – حـ ١ ١٠١١ مة الثالثة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤) .

فأما الوجه الذى يدخلون به فهو قولهم بالتثليث ، وأن خالق الخلق ثلاثة .

وأمّا الوجه الذى يخرجون به فهو أنَّ للصابئين شرائع يسندونها إلى « هرمس[٩٤] » ويقولون إنه « إدريس » ، وإلى قوم آخرين ، يذكرون أنهم أنبياء « كايلون » ويقولون إنه « نوح » عليه السلام ، و« اسفلانيوس » صاحب الهيكل الموصوف و« عاظيمون » و« يوداسف[٩٥] » وغيرهم . والنصارى لا يعرفون هؤلاء ، لكن يقرون بنبوة كل[٩٦] نبى تعرفه من بنى إسرائيل ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب عليهم السلام ، ولا يعرفون نبوة إسماعيل ، وصالح ، وهود ، وشعيب . وينكرون نبوة محمد ﷺ ، وعلى إخوته الأنبياء عليهم السلام ، والصابئون لا يقرون بنبوة أحد ممن ذكرنا أصلًا ، وكذلك المجوس لا يعرفون إلّا زرادشت فقط .

* * *

(ب) **وأما الفرقة الثانية** فإنها تذهب إلى أنَّ العالم هم[٩٧] مدبروه لا غيرهم ألبتة ، وهم : الديصانية[٩٨]، والمرقونية[٩٩]، والمانية[١٠٠]: القائلون بأزلية الطبائع الأربع [وأنها] بسائط غير ممتزجة ،

---

(٩٤) هرمس : هو إدريس النبى عليه السلام ، وقد ذكر أهل التاريخ والتفاسير من أخباره الكثير فقال بعضهم ولد بمصر ، وسمّوه « هرمس الهرامسة » ، وكان مولده بمدينة « منف » وهو باليونانية « أرميس » أى عطارد ، وعند العبرانيين « أخنوخ » وقالوا إن معلمه « غموثا – زيمون » ، وقد خرج من مصر وجاب الأرض كلها ، وقيل إنه ولد فى « بابل » وأخد بعلم « شيث بن آدم » ، وهو أول من استخرج الحكمة ، وعلم النجوم ، وأول من نظر فى الطب ، وأول من بنى الهياكل ، ومجد الله ، وأول من خاط الثياب ولبسها وأول من أنذر بالطوفان ، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صفحة ثم مات ورفعه الله إليه بعد اثنين وثمانين سنة من عمره [راجع الفهرست للنديم ص ٤٩٢ : ودائرة المعارف للبستانى] .

(٩٥) يوداسف : هو « يوسداف » الحكيم سبقت الإشارة إليه .

(٩٦) فى (أ) سقطت كلمة (كل) .

(٩٧) فى (ب) : « هو » ، ولعلها « له مدبروه » ليستقيم المعنى .

(٩٨) الديصانية : أصحاب « ديصان » وسمى صاحبهم « بديصان » نسبة إلى نهر ولد عليه ، وهو قبل « مانى » والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وبينهما خلاف فى اختلاط النور بالظلمة ، وهما فرقتان ، وزعم ابن « ديصان » أن النورجنس واحد ، والظلمة جنس واحد ، وزعم بعض الدياصنة أن الظلمة أصل النور ، وأصحاب ابن ديصان بالبطائح الآن من بلاد فارس ، وكانوا قديما بالصين ، ولا يعرف لهم مجمع ولا بيعة ، ولابن ديصان كتاب « النور والظلمة » وكتاب « روحانية الحق » ، وكتاب « المتحرك والجماد » [راجع الملل والنحل : للشهرستانى حـ ٢ ص ٩٠] .

(٩٩) المرقونية : بالراء لا بالزين ، وقد وقع التحريف فى نسخ الكتاب ، وهى نسبة إلى « مرقيون » أحد زعماء النصرانية ، وقد وجدت هذه الفرقة قبل الديصانية ، وتكاد تكون مبادئهم قريبة من المانانية ، وهم يعترفون بالأصلين ، النور والظلمة ، ويقولون بأن معهما كون ثالث مزجها وخالطها ، وقالت بتنزيه الله تعالى عن الشرور ، وأنه خالق جميع الأشياء ، واختلفوا في الكون الثالث ، فقالت طائفة منهم هو الحياة ، وهو عيسى عليه السلام . وللمرقونية كتاب يختصون به ، ويكتبون به ديانتهم ، ولمرقيون هذا كتاب أسماه الإنجيل ، ولأصحابه عدة كتب غير موجودة ، وهم يتسترون بالنصرانية ، ويوجد منهم بخراسان خلق كثير [الفهرست للنديم ص ٤٧٤] .

(١٠٠) المانية : أصحاب « مانى بن فتق بابك » الثنوى صاحب القول بالنور والظلمة ، ظهر أيام « سابور بن أردشير » ملك الفرس ، فاتبعه قليلا ثم رجع إلى المجوسية ، ويقال : إن « مانى » من « همدان » انتقل أبوه إلى « بابل » وكان ينزل المدائن فتوجه فيها إلى بيت الأصنام فسمع من الهيكل هاتفا يقول : يا فتق : لا تأكل لحما ، ولا تشرب خمرًا ، فدان بهذا المذهب ، وكانت امرأته حاملًا « بمانى » فلما ولد نشأ على دين أبيه ، وكان على صغره ينطق بالحكمة ، ولما تم له اثنتا عشرة سنة زعموا أن الوحى يأتيه ، ودعا إلى ديانة وتبعه خلق كثير من المجوس ، فقتله « سابور بن بهرام » وقيل : إن قاتله هو « بهرام بن هرمز بن سابور » [راجع الفرق بين الفرق : ٢٧١ ، الملل والنحل : حـ ٢ ص ٧٣] .

ثم حدث الامتزاج فحدث العالم بامتزاجها – فأمّا المانية فإنهم يقولون إنَّ أصلين لم يزالا وهما نور وظلمة[١٠١]، وأن النور والظلمة حيان[١٠٢]، وأن كليهما غير متناه إلَّا من الجهة التى لاقى منها الآخر ، وأما من جهاته الخمس فغير متناه ، وأنهما جرمان ، ثم لهم فى وصف امتزاجهم أشياء شبيهة بالخرافات ، وهم أصحاب « مانى » . وقال المتكلمون : إن « ديصان » كان تلميذ « مانى » وهذا خطأ بل كان أقدم من « مانى » لأن « مانى » ذكره فى كتبه وردّ عليه . وهما متفقان فى كل ما ذكرنا إلَّا أنَّ الظلمة عند « مانى » حية . وقال « ديصان » : هى موات .

وكان « مانى » راهبًا بحرَّان ، وأحدث هذا الدّين ، وهو الذى قتله الملك « بهرام[١٠٣] ابن بهرام » وإذ ناظره بحضرته « أذرباذ[١٠٤] بن ماركسفند موبذ موبذان » فى مسألة قطع النسل ، وتعجيل فراغ العالم ، فقال له « الموبذ » : أنت الذى تقول بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم ، ورجوع كل شكل إلى شكله ، وأن ذلك حقٌّ واجب ؟

فقال له « مانى » : واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج .

فقال له : « أذرباذ » فمن الحق الواجب أن يُعجَّل لك هذا الخلاص الذى تدعو إليه ، وتعان على إبطال هذا الامتزاج المذموم .

فانقطع « مانى » . فأمر « بهرام » بقتل « مانى » فقتل هو وجماعة من أصحابه وهم لا يرون الذبائح ، ولا إيلام الحيوان ، ولا يعرفون من الأنبياء عليهم السلام إلا عيسى عليه السلام وحده ، ويقرون[١٠٥] بنبوة « زرادشت » و يقولون بنبوة « مانى » .

وقالت : « المزدقية[١٠٦]» أيضًا كذلك إلَّا أنهم قالوا : نور وظلمة لم يزالا ، وثالث أيضًا بينهما لم يزل ، إلَّا أن هؤلاء كلهم متفقون على أن هذه الأصول لم تحدث شيئًا هو غيرها ، لكن حدث من امتزاجها ، ومن أبعاضها بالاستحالة صور العالم كله ، فهذه الفرق كلها مطبقة على أن الفاعل أكثر من واحد ، وإن اختلف فى العدد والصفة ، وكيفية الفعل ، وإلزامات الشرائع .

(١٠١) فى (أ) : نور الظلمة .
(١٠٢) فى النسخة أ ، ب [حيَة] .
(١٠٣) « بهرام بن بهرام » : كان ملكا على الفرس ، جمع الناس لامتحان « مانى » فلما ظهر له كذبه أمر بقتله وبقى فى الملك ثلاث سنين وثلاثة أشهر (الملل والنحل : ٧٤) .
(١٠٤) هو فقيه الفرس ، ورئيس الديانة عندهم كقاضى القضاة عند المسلمين ، و « الموبذان » جمعه « موابَذه » و « المُوبَذ » : القاضى (المرجع السابق : ٥٥) .
(١٠٥) فى (أ ، ب) [وهم يقرون] .
(١٠٦) فى (أ ، ب) [المرقونية] .

وكلامنا هذا كلام اختصار وإيجاز وقصد إلى استيعاب قواعد الاستدلال ، والبراهين الضرورية ، والنتائج الواجبة من المقدمات الأولية الصحيحة ، وإضراب عن الشغب والتطويل الذى يكتفى بغيره عنه ، فإنما وعدنا(١٠٧) بعون الله تعالى أن نبين بالبراهين الضرورية : أن الفاعل واحد لا أكثر ألبتة ، ونبين بطلان أن يكون أكثر من واحد كما فعلنا بتأييد الله عزّ وجل، إذ بينا بالبراهين الضرورية أن العالم محدَث ، كان بعد أن لم يكن . وأن له مخترِعا ومدبرًا لم يزل فإذا ثبت أنه تعالى واحد بطلت الأقوال التى ذكرنا كلها(١٠٨) وسقطت خرافاتهم المضافة إلى الأوائل الفاسدة فى وصفهم الفاعلين ، وكيفية أفعالهم ، إذ لا تكون صفة إلَّا لموصوف ، فإذا بطل الموصوف بطلت الصفة التى وصفوه بها .

وأما الاشتغال بأحكامهم الشرعية فلسنا من ذلك فى شىء ، لأنه ليس من الشرائع العلمية شىء يوجبه العقل ، ولا شىء يمنع منه العقل ، بل كلها من باب الممكن ، فإذا قامت البراهين(١٠٩) الضرورية على صحة(١١٠) قول الآمر بها ، ووجوب طاعته ، وجب قبول كل ما أتى به كائنًا ما كان من الأعمال ، ولو أنه قتل أنفسنا ، وأبناءنا ، وآباءنا ، وأمهاتنا ، وإذا لم يصح قول الآمر بها ، ولم يصح وجوب طاعته لا يلتفت إلى ما يأمر به أى شىء كان من الأعمال .

وكل شريعة كانت على خلاف هذا فهى باطلة .

فكلامنا مع الفرق التى ذكرنا فى إثبات أن(١١١) الفاعل الأول واحد لا أكثر ، وإبطال أن يكون أكثر من واحد . وهو حاسم لكل شغب يأتون به بعد ذلك ، وكاف من التكلف لما قد كفته المرء بيسير من البيان . وما توفيقنا إلا بالله تعالى .

ونبدأ بحول الله تعالى وقوته بإيراد عمدة ما موَّهوا به فى إثبات أن الفاعل أكثر من واحد . ثم ننقضه بحول الله تعالى وقوّته بالبراهين الواضحة ، ثم نشرع إن شاء الله تعالى فى إثبات أنه تعالى واحد بما لا سبيل إلى ردّه ، ولا اعتراض فيه . كما فعلنا فيما خلا من كتابنا والحمد لله رب العالمين .

فنقول وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٠٧) فى (أ ، ب) [وكدنا] أى همنا وقصدنا .
(١٠٨) سقطت العبارة من أول [فإذا ثبت إلى كلها] من (أ ، ب) .
(١٠٩) فى النسخة (خ) [الدلائل] .
(١١٠) كلمة [صحة] سقطت فى (أ ، ب)
(١١١) سقطت [أنّ] فى (ب) .

حجج القائلين بأن الفاعل أكثر من واحد .

إنَّ[1] عمدةَ ما عوّل عليه القائلون بأن الفاعل أكثر من واحد ، استدلالان فاسدان .

أحدهما : هو استدلال : المانية ، والديصانية ، والمجوس ، والصابئة ، والمزدكية ومن ذهب مذاهبهم ، وهو أنهم قالوا : وجدنا الحكيم لا يفعل الشر ، ولا يخلق خلقًا ثم يسلط عليه غيره ، وهذا عيب فى المعهود[2]. ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين ، كل قسم منهما ضد الآخر كالخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والحياة والموت ، والصدق والكذب .

فعلمنا أن الحكيم لا يفعل إلَّا الخير ، وما يليق فعله به ، وعلمنا أن الشرور لها فاعل غيره ، وهو شر مثلها .

والاستدلال الثانى

وهو استدلال من قال بتدبير الكواكب السبعة ، والإثنى عشر برجا ، ومن قال بالطبائع الأربع . وهو أن قالوا :

لا يفعل الفاعل أفعالًا مختلفة إلَّا بأحد وجوهٍ أربعة :

إمَّا أن يكون ذا قوى مختلفة .

وإمَّا أن يفعل بآلات مختلفة .

وإما أن يفعل باستحالة[3].

وإما أن يفعل فى أشياء مختلفة .

---

(١) سقطت [إن] من (أ ، ب) .

(٢) أى فيما هو معهود ومعلوم فى واقع الناس .

(٣) أى بتحويل الأشياء بالحلّ والتركيب ، كما يفعل ذلك فى الكيمياء .

قالوا : فلما بطلت هذه الوجوه كلها ، إذ[٤] لو قلنا : إنه يفعل بقوى مختلفة لحكمنا عليه بأنه مركب ، فكان يكون من أحد المفعولات .

ولو قلنا : إنه يفعل باستحالة ، لوجب أن يكون منفعلا للشىء الذى أحاله ، فكان يدخل فى جملة المفعولات .

ولو قلنا إنه يفعل فى أشياء مختلفة لوجب أن تكون تلك الأشياء معه . وهو لم يزل . فتلك الأشياء لم تزل فكان حينئذ لا يكون مخترعًا للعالم ولا فاعلًا له .

قالوا فعلمنا بذلك أن الفاعلين كثير ، **وأن كل واحد**[٥] يفعل ما يشاكله .

إبطال هذه الأدلة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فهذه عمدة ما عوّل عليه من لم يقل بالتوحيد ، وكلا هذين الاستدلالين خطأ فأحش[٦] على ما نبين إن شاء الله تعالى .

فيقال وبالله تعالى التوفيق ، لمن احتج بما احتجت به المانية ، من أنه لا يفعل الحكيم الشر ، ولا العبث :

– لا[٧] يخلو علمكم بأن هذا الشىء شر وعبث من أحد وجهين لا ثالث لهما :

○ إمّا أن تكونوا علمتموه بسمع وردكم وخبر .

○ وإمّا أن تكونوا علمتموه بضرورة العقل .

فإن قلتم : إنكم علمتموه بطريق السمع . قيل لكم : هل معنى السمع شىء[٨] غير أنَّ مبتدع الخلق ومرتبه سمّى هذا الشىء شرًّا وأمر باجتنابه ، وسمّى هذا الشىء الآخر خيرًا وأمر بإثباته ؟

– فلابدّ من نعم ، إذ هو هذا معنى اللازم[٩] عند كل من قال بالسمع .

---

(٤) فى النسخة (أ) : « وإذ » .
(٥) فى النسخة (أ) [وإن كان واحد] .
(٦) سقطت كلمة [فاحش] من (خ) .
(٧) فى الأصل [هل] .
(٨) أى الوارد عليكم ممن أسمعكم هذا . وفى (أ ، ب) [الآتى] بدلا من [شىء] .
(٩) اللازم : ينقسم قسمين ؛ ذهنى وخارجى ، فاللازم الذهنى كون الشىء بحيث يلزم من تصوره فى الذهن تصور شىء آخر . كالزوجية للاثنين ، واللازم الخارجى : كون الشىء بحيث يلزم من تحققه فى الخارج شىء آخر معه كوجود النهار لطلوع الشمس ، واللازم علاقة منطقية بين المبادىء والنتائج [المعجم الفلسفى حـ ٢ ص ٢٨٣ د . جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى – بيروت] .

فيقال لهم : فإنما صار الشرّ شرًّا لنهي الواحد الأول عنه .

وإنما صار الخير خيرًا لأمره[١٠] به .

فلابدّ من نعم . فإذا كان هذا ، فقد ثبت أن مَن لا مبدع ولا مدبّر له ولا آمر فوقه لا يكون شيء من فعله شرًّا ، إذ السبب في كون الشرّ شرًّا هو الإخبار بأنه شر ، ولا مخبر يلزم طاعته إلا الله تعالى .

فإن قالوا : فكيف يفعل هو شيئًا قد أخبر أنه شر ؟

قيل لهم[١١]: ليس يفعل الجسم فيما يشاهد غير الحركة والسكون ، والحركة كلها جنس واحد في أنها نقلة مكانية ، وكذلك السكون جنس واحد كله ، فإنما أمرنا تعالى بفعل بعضها ، ونهانا عن فعل بعضها ، ولم يفعل هو تعالى[١٢] الحركة قط على أنه متحرك بها ، ولا السكون على أنه ساكن به ، وإنما فعلهما على سبيل الإبداع . فتَحرُّكنا نحن بحركة نهينا عنها ، وسكوننا بسكون نهينا عنه هو الشر . لا شر غيره أصلًا[١٣].

وكذلك اعتقاد النفس ما نهيت عنه – وهذا كله غير موصوف به البارى تعالى .

وإن قالوا : علمنا ذلك ببداهة العقل .

قيل لهم : وبالله التوفيق .

أليس العقل[١٤] قوة من قوى النفس وداخلًا تحت الكيفية على الحقيقة أو تحت الجوهر[١٥]

---

(١٠) فى النسخة (ب) « لأمر » بدون الهاء .

(١١) فى (خ) : [له] .

(١٢) سقطت كلمة [تعالى] من (أ ، ب) .

(١٣) ليس فى النسخة (أ) [لا شر غيره أصلا] . وهى مذكورة فى (ب) والمعنى وغيره أصلًا هو الخير .

(١٤) العقل : عند الفلاسفة يطلق على عدة معانٍ ، أولهما : أن العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها ، (الكندى رسالة فى حدود الأشياء ورسومها) . ويقول ابن سينا فى كتابه « الاشارات » إنه جوهر ليس مركبا من قوة قابلة للفساد . ويقول الجرجانى فى تعريفاته : هو جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله ، ويقول الفارابى فى كتابه « عيون المسائل » : إنّ القوة العاقلة جوهر بسيط مقارن للمادة يبقى بعد موت البدن ، وهو جوهر أَحَدِىٌّ وهو الإنسان على الحقيقة ، ويقول : ابن سينا فى كتابه « النجاة » : وهو النفس الناطقة التى يشير إليها كل أحد بقوله (أنا) [راجع : عقيدة أهل التوحيد الكبرى للإمام السنوسى : حـ ١ ص ٢١٥ – تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ط محمد صبيح سنة ١٩٧٤م] .

(١٥) الجوهر : عند الفلاسفة يطلق على معان : منها الموجود القائم بنفسه حادثًا كان أو قديمًا ، ويقابله العرض ، ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها . قال ابن سينا : الجوهر هو كل ما وجد ذاته ليس فى موضوع أى فى محل قريب قد قام بنفسه دونه لا بتقويمه (النجاة لابن سينا ص ١٢٦) .

والجوهر عند ديكارت هو الشيء الدائم الثابت الذى يقبل توارد الصفات المتضادة عليه من دون أن يتغير كاللون والرائحة واللبن والطعم والبرودة والحرارة التى تتوارد على قطعة الشمع فهى اعراض متغيرة ، أما جوهر الشمعة فدائم لا يتغير .

على قول من لا عَقِل(١٦) فلابد من نعم . إنما يُؤْثِرُ العقل ما هو من شكله فى باب الكيفيات(١٧) فيميز بين خطئها وصوابها ، ويعرف أحوالها ومراتبها .

وأمَّا فيما هو فوقه ، وفيما لم يزل والعقل معدوم(١٨)، وفى مخترع العقل ومرتبه كما هو ، فلا تأثير للعقل فيه ، إذ لو أثّر فيه لكان مُحدِثا ، لما قدّمنا(١٩) من أنَّ الأثر من باب المضاف ، فهو يقتضى(٢٠) مؤثرًا فكان يكون البارى تعالى منفعلًا للعقل ، وكان يكون العقل فاعلًا فيه تعالى ، وحاكمًا عليه جلّ الله عن ذلك .

وقد بيّنا فى كتابنا هذا أن البارى تعالى لا يشبهه شىء من خلقه بوجه من الوجوه ، ولا يجرى مجرى خلقه فى معنى ولا حكم .

وذكرنا أيضًا فيه إبطال قول من قال بتسمية البارى حيًّا ،أو حكيمًا ، أو قادرًا ، أو غير ذلك من سائر الصفات من جهة الاستدلال حاشا أربعة أسماء فقط .

وهى : الأول ، الواحد ، الحق ، الخالق فقط . وهذه(٢١) الأسماء هى التى لا يستحقها شىء فى العالم غيره ، فلا أول سواه ألبتة . ولا واحد سواه ألبتة . ولا خالق سواه ألبتة ، ولا حق سواه ألبتة . على الإطلاق . وكل ما دونه تعالى فإنما هو حق بالبارى تعالى ، ولولا البارى تعالى ما كان شىء فى العالم حقًا ، وما دونه تعالى فإنما حُقَّ بالإضافة .

ولولا أن السمع قد ورد بسائر الأسماء التى ورد الخبر الصادق بها ، ما جاز أن يسمى الله عزَّ وجل بشىء منها ، ولكن قد بيّنا فى مكانه من هذا الكتاب على أى شىءٍ تسميته بما ورد السمع ، وأنَّ ذلك تسمية لا يراد بها غيره تعالى ، ولا يرجع منها إلى شىء سواه ألبتة .

وأيضًا فإنَّ دليلهم فيما سموا به البارى تعالى ، وأجروا عليه إقناعى شغبى وفيه تشبيه للخالق بخلقه .

---

(١٦) فى (أ ، ب) [لا يحصل] .

(١٧) الكيفيات : ينقسم إلى أولية وثانوية .

فالكيفيات الأولية عند فلاسفة القرون الوسطى هى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة .

والكيفيات الثانوية : هى الكيفيات المشتقة من الكيفيات الأولى أما عند المحدثين فإن الكيفيات الأولية . هى الخواص الهندسية والميكانيكية التى تتصف بها الأجسام كالصلابة والامتداد والشكل والعدد ، والحركة والسكون .

[كتاب التأملات للفيلسوف ديكارت تحقيق د . عثمان أمين ص ١٢٥] .

(١٨) فى (أ ، ب) [وفيما لم يزل العقل معدومًا] .

(١٩) فى (أ ، ب) [على ما قدمنا] .

(٢٠) فى (أ ، ب) [فهى تقتضى] .

(٢١) فى (أ) : [وهى] .

وفى تشبيههم له بخلقه حكم عليه بالحدوث ، وأن يكون الفاعل مفعولًا ، وقد قدمنا إبطال ذلك .

ويقال لهم : إن التزمتم أن يكون فاعل الشر[٢٢] فيما عندنا عابثا فقررتم بذلك على أن يكون فاعل[٢٣] العالم واحدًا ، فقد[٢٤] علمنا فيما بينا أن تارك الشيء لا يغيره وهو قادر على تغييره – عابث ظالم .

ولا يخلو فاعل الخيرات عندكم من أن يكون قادرًا على تغيير الشر[٢٥] والمنع منه[٢٦] أو لا يكون قادرًا على ذلك ، فإن قلتم إنه قادر على تغييره والمنع منه ولم يغيّره ، فقد صار عندكم عابثًا ضرورة ، فقد وقعتم فيما عنه فررتم ضرورة

وإن قلتم : إنه غير قادر على تغييره ، ولا المنع منه ، فهو بلا شك عاجز ضعيف . وهذه صفة سوء عندكم ، فهلا تركتم القول بأنه أكثر من واحد لهذا الاستدلال ، فإنه أصح على أصولكم ومقدّماتكم .

وأما نحن فمقدمتكم عندنا فاسدة بالبرهان الذى ذكرناه .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : والمانية تزعم أن النور كان فى العلو إلى ما لا نهاية له ، وأن الظلمة فى السفل إلى ما لا نهاية له ، وأن كل واحدٍ منها متناهى المساحة من الجهة التى لاقى منها الآخر ، وغير متناهٍ من جهاته الخمس[٢٧]، وأن اللذة للنور خاصة لا للظلمة ، وأن الأذى للظلمة خاصة لا للنور .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فأما بطلان هذا القول فى عدم التناهى من الجهات الخمس ، فيفسد بما أوجبنا به تناهى جسم العالم .

وأمّا قولهم بالعلو والسفل فظاهر الفساد ، لأن السفل لا يكون إلا بالإضافة[٢٨]، وكذلك العلو .

---

(٢٢) سقطت كلمة [الشر] فى (أ) .
(٢٣) فى (ب) [عن] .
(٢٤) فى (أ ، ب) [وقد] .
(٢٥) فى (أ ، ب) [تغييره] .
(٢٦) سقطت العبارة من أول [أو لا يكون إلى والمنع منه] فى (أ ، ب) .

(٢٧) الجهات ست ، هى الجهات الأربع المعروفة ، شمال وجنوب ، وشرق ، وغرب ، يضاف إليها جهتان أخريان هما العلو والسفل . . فإذا التقى النور والظلام فى جهة من تلك الجهات الست كان كلّ منهما – على زعم المانوية – متناهيا من الجهة التى التقى فيها مع الآخر ، وغير متناهٍ فى الجهات الخمس الباقية .
(٢٨) أى لا يكون سفلا إلا بالإضافة إلى العلو .

فكل علو فهو سفل لما فوقه حتى تنتهى إلى الصفحة العليا من الفلك الأعلى[٢٩] التى لا صفحة فوقها ، وهم يقرون بهذا[٣٠].

وكل سفل فهو علو لما تحته حتى تنتهى إلى المركز .

وهم يقرون بهذا[٣١].

فصح ضرورة أن فى الظلمة على قولهم - علوًّا وأن فى النور سفلا .

وأمَّا قولهم فى اللّذة والأذى ففاسدٌ جدًّا ؛

لأن اللذة لا تكون إلَّا بالإضافة ، وكذلك الأذى .

فإنَّ الإنسان لا يلتذ بما يلتذ به الحمار ، ويتأذى بما لا تتأذى به الأفعى فبطل هَوَسُهم بيقين . والحمد لله رب العالمين .

سؤال على المانية دامغ لقولهم بحول الله وقوته ، وهو أن يقال لهم :

- ألهذه الأجساد أنفس أم لا ؟

فإن قالوا : لا .

قيل لهم :

فهذه الأجساد لا تخلو على أصولكم من أن يكون فى كل جسد منها نور وظلمة أو يكون بعض الأجساد نورًا محضا ، وبعضها ظلمة محضة .

فإن قالوا : فى كل جسد نور وظلمة - قيل لهم :

فهل يجوز من الظلمة فعل الخير - فلا بدَّ من لا .

لأنه لو فعلت[٣٢] الخير لانتقلت إلى النور ، وكذلك لا يجوز أن يفعل النور شرًّا لأنه كان يصير ظلمة .

فيقال لهم : فأى معنى لدعائكم إلى الخير ، ونهيكم عن النكاح[٣٣] والقتل .

وأخبرونا ، من تدعون إلى كل ذلك ؟

(٢٩) سقطت [من الفلك الأعلى] من (أ ، ب) .
(٣٠) فى (أ ، ب) [وهم لا يقرون بها] .
(٣١) فى (أ ، ب) [وهم لا يقرون بها] .
(٣٢) فى (أ ، ب) [لو فعل] .
(٣٣) أى الزواج ، لأن من مذهب المانية ترك الزواج حتى ينقطع النسل ، ويفنى العالم ، ذلك طريق الخلاص عندهم .

فإن كنتم تدعون النور فهو طبعه ، وهو فاعل له بطبعه قبل أن تدعوه إليه ، لا يمكنه أن يحول عنه . فدعاؤكم له إلى ما يفعله ، وأمركم له بترك مالا يفعله عبث من النور ، داع إلى المحال . وهذا خلاف أصلكم .

وإن كنتم تدعون للظلمة(٣٤) فذلك عبث من النور الداعى لها(٣٥) إلى ذلك . إذ لا سبيل لها إلى ترك طبعها .

وهكذا(٣٦) يقال لهم سواء بسواء ، إن قالوا : إنَّ من الأجساد ما هو نور محض ، ومنها ما هو ظلمة محضة .

وهكذا يسألون فى الأرواح إن أقروا بها .

ثم يسألون عمن رأيناه ينكح ، ويقتل ، ويظلم ، ويكذب ثم تاب(٣٧) عن كل ذلك . مَنْ القاتل الظالم ؟ أهو النور أم الظلمة ؟ ومن التائب ؟ النور أم الظلمة ؟

فأىّ ذلك قالوا فهو هدم مذهبهم ، وقد جوَّزوا الاستحالة .

فإن قالوا : معنى دعائنا إلى ما ندعو إليه من ذلك إنما هو حض للنوّر على المنع للظلمة من ذلك .

قيل لهم : أكان النور قادرًا على منعها قبل دعائكم أم لا ؟

فإن قالوا : كان قادرًا .

قيل لهم : فقد ظَلَمَ بتركه إيّاها تظلم وهو يقدر على منعها قبل دعائكم .

وإن قلتم : لم يَذْكُرْ حتى نُبِّه .

قيل لهم : فهذا نقص منه وجهل ، وصفات شر لا تليق بالنور على قولكم .

وهذا ما لا انفكاك لهم(٣٨) منه .

وأيضًا فيقال لهم : إنَّ الدَّاعى منكم إلى دينه لا يقول لمن دعاه كف غيرك عن ظلمه . إنما يقول له : كفّ عن ظلمك ، وارجع عن ضلالك . ولقد أحسنت فى رجوعك عن الباطل إلى الحق .

---

(٣٤) فى النسخة (ب) [الظلمة] .
(٣٥) سقطت كلمة [الداعى] من (أ ، ب) .
(٣٦) فى (أ ، ب) [وكذلك] .
(٣٧) فى (أ ، ب) [ثم يتوب] .
(٣٨) فى (أ) سقطت كلمة (لهم) .

فإن كنتم تأمرون بأن يخاطب بذلك الظلمة فالآمر بذلك كاذب آمر بالكذب .

وإن كنتم تأمرون بأن يخاطب بذلك النور ، فالآمر بذلك أيضًا كاذب آمر بالكذب .

فإن قالوا : فأى معنى لدعائكم إلى الخير ، وقد سبق علم الله تعالى فيمن يعلمه ومن لا يعلمه .

قيل لهم : جواب بعضنا فى هذا هو : أنَّ كل من يُدعى إلى الخير فممكن وقوعه منه ، وممكن أيضًا فعل الشر منه ، ومتوهم كل ذلك منه ، فوجه دعائنا له معروف ، وليس علم الله تعالى إجبارًا ، وإنما هو أنه تعالى علم ما يختاره العبد .

وجواب بعضنا فى ذلك هو : أن فاعل كل ما يبدو فى العالم فعل خلق وإبداع فهو الله عزَّ وجل لا يتعقب عليه ، فهو خالق دعائنا من ندعوه[٣٩]. فإذ ذلك كذلك فلا يجوز سؤال الخالق لما شاء بلِمَ فعلت ؟ وهذا هو الجواب الذى نختاره .

ويقال لهم أيضًا : أخبرونا عن « مانى » و « المسيح » و « زرادشت » وأنتم تعظمونهم . أفيهم ظلمة ؟ أم كانوا أنوارًا محضة ؟

فمن قولهم ولابد[٤٠]: إن فيهم ظلمة ، لأنهم يتغوّطون ، ويجوعون[٤١] ويألمون[٤٢] فيقال لهم : فبعض من تعظمون ظلمة مسخوطة ، ويقال لهم من فعل تلك العجائب التى تنسبون إليهم فمن قولهم : النور الذى فيهم .

فيقال لهم : فلم عجز النور الذى فيكم[٤٣] عن مثل ذلك ؟

فإن قالوا : لقلّته .

قيل لهم : فكان يجب أن يأتى من المعجزات ولو بيسير على قدره . وهذا ما لا مخلص لهم منه ألبتة[٤٤] أصلا .

ويقال لهم أيضًا : إنَّ من العجائب التزامكم[٤٥] ترك النكاح لتعجلوا قطع التناسل[٤٦] فهبكم

---

(٣٩) أى هو سبحانه خالق دعائنا الذى ندعوه به . وعبارة المؤلف مضطربة ولعل ذلك من سوء النقل عنه .

(٤٠) ليست فى (خ) .

(٤١) فى (أ ، ب) [ويجزعون] .

(٤٢) سقطت العبارة من قوله [فيقال لهم : فبعض من تعظمون إلى قوله : النور الذى فيهم] من (أ ، ب) .

(٤٣) سياق المعنى يقضى بأن يكون اللفظ « فيهم » بدلاً من « فيكم » .

(٤٤) سقطت كلمة [ألبتة] من (أ ، ب) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : إلزامكم .

(٤٦) فى (أ ، ب) : النسل .

قدرتم على ذلك فى الناس[٤٧]. فكيف تصنعون فى الوحش ، والطير[٤٨]، وسائر الحيوان البرى ، والحشرات ، وحيوان المياه والبحار التى تقتل بعضها بعضًا أشدّ من قتل بعض الناس لبعض وأكثر . فكيف السبيل إلى قطع تناسلها وفراغ امتزاجها ؟

وهذا ما لا سبيل لكم إليه أصلًا .

فإن كان النور عاجزًا عن قطعها عن ذلك[٤٩] فلا سبيل له إلى خلاص أجزائه أبد الأبد . وإن كان على ذلك[٥٠] قادرًا فلِمَ لم يعجل خلاص أجزائه ؟ ولِمَ يتركها تردَّد فى الظلمات ؟

وأعجب شيء مَنْعُهم من القتل ، وهذا عون منهم على بقاء المزاج ، وعلى منع الخلاص وتأخره ، وكان القتل أبلغ شيء فى تمام مرادهم ، وبغيتهم من تعجيل الخلاص[٥١] واستنقاذ النور ، وقطع المزاج . وهذا تناقض ظاهر منهم لا خفاء به ، وبالله تعالى نتأيد .

وكل ما قدمنا من البراهين على حدوث العالم ، وإيجاب النهاية فى جرمه وأشخاصه وأزمانه فهو لازم للأصلين ؛ النور والظلمة على أصول المانية ، وعلى كل من يقول بأن الفاعل أكثر من واحد ، وأنه لم يزل مع الفاعل غيره لزوم ضرورة[٥٢]. وبالله تعالى التوفيق .

وأمَّا الاستدلال الثانى : الذى عوّلوا فيه على أقسام من يفعل أفعالًا مختلفة فهو استدلال فاسدٌ أيضًا ؛ لأنهم إنما عوّلوا[٥٣] فيه على الأقسام الموجودة فى العالم .

وقد قدمنا البراهين الضرورية على حدوث العالم ، وعلى أنَّ محدِثه لا يشبهه[٥٤] فى شيء من الأشياء ، فلا سبيل إلى أن يدخل تحت شيء من أقسام العالم ، لكنه تعالى يفعل الأشياء المختلفة والأشياء المتفقة مختارًا لكل ذلك كما شاء[٥٥] وحين شاء ، لا علة لشيء من ذلك ؛ إذ قدّمنا أنَّ كل[٥٦] ما حصرته الطبيعة فهو متناهٍ ، والمتناهى محدَث على ما قدّمنا[٥٧] وكل من فعل فعلًا واحدًا لا يفعل غيره ، فإنما يفعل بطباعه كالنار التى لا تفعل إلا فعلًا واحدًا وهو الإحراق ، وتصعيد الرطوبات ، وسائر ما يفعل بطباعه ، فلو كان البارى تعالى لا يفعل إلا فعلًا واحدًا

---

(٤٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة [فى الناس] .
(٤٨) فى (خ ، ب) الوحوش والطيور .
(٤٩) فى (أ ، ب) : سقطت [عن ذلك] .
(٥٠) فى (خ) : لم تذكر كلمة [على ذلك] .
(٥١) فى (أ) : سقط الكلام من أول (وتأخره – إلى الخلاص) .
(٥٢) مفعول مطلق لاسم الفاعل الوارد فى قوله : فهو لازم .
(٥٣) فى (خ) : كلمة (إنما) غير مذكورة .
(٥٤) فى النسخة (أ) : [لا يشبه] .
(٥٥) سقطت [كما شاء] من (أ ، ب) .
(٥٦) سقطت كلمة [كل] من (أ ، ب) .
(٥٧) العبارات من أول [وكل من فعل إلى قوله الأربعة التى قدمنا] غير موجودة فى (أ ، ب) .

لوجب أن يكون ذا طبيعة ، وإذ ليس ذا طبيعة فواجب فى العقل ألا يكون يفعل فعلًا واحدًا بل أفعالًا مختلفة ، وبطلت الأقسام الأربعة التى قدمنا من أن يكون ذا قوة مختلفة[٥٨] أو فاعلًا بآلات ، أو فاعلًا باستحالة ، أو فاعلًا فى أشياء ، لأن هذا كله يقتضى أن يكون محدَثا . تعالى الله عن ذلك وهو لم يزل فقد وجب ضرورة أن يكون البارى تعالى يفعل ما يشاء من مختلِف ومتفق ، مختارًا دون علة موجبة عليه شيئًا من ذلك ، ولا بقوة هى غيره . وبالله تعالى التوفيق .

وكلُّ ما ألزمناه[٥٩] مَنْ يقول إنَّ العالَم لم يزل من البراهين الضرورية فهو لازم للمانية ، والدَّيصانية ، والمرقونية[٦٠] ، والقائلين بأزلية الطبائع والهيولى ، لأن العالم عند هؤلاء ليس هو شيئًا غير تلك الأصول التى لم تزل عندهم ، وإنما حدثت فيهم عندهم الصورة فقط .

ويدخل أيضًا عليهم القول بتناهى الأصلين لأنهما عندهم جسمان ، والجسم متناهٍ ضرورة لبرهانين نوردهما إن شاء الله تعالى .

وذلك أننا نقول :

لا يخلو كل جرم من الأجرام من أن يكون متحركًا أو ساكنًا .

فإن كان متحركًا فقد علمنا أن المسافة التى لا تتناهى لا تُقطع أصلًا ، لا فى زمانٍ متناهٍ ، ولا فى زمانٍ غير متناهٍ .

ثم لا تخلو حركته[٦١] من أن تكون ، إمَّا باستدارة ، وإمَّا إلى جهة من الجهات ، ولا ثالث لهذين الوجهين .

فإن كان متحركًا باستدارة ، وهو غير متناه فهذا محال ؛ لأن الخطّين الخارجين من الوسط إلى الشرق وإلى العلو غير متناهيين إذن !! فكان يجب أن يكون الجزء الذى فى سمت المشرق منه لا يبلغه إلى العلو الذى هو سمت الرأس منه أبدًا ، فقد بطلت الحركة إذن[٦٢] على هذا ، فهو متحرك لا متحرك ، وهذا محال مع مشاهدة العيان ، لقطع كل جزءٍ من الفلك الكلى جميع مسافته ، ورجوعه إلى حيث ابتدأ منه فى كل أربع وعشرين ساعة[٦٣].

---

(٥٨) فى (أ ، ب) [قوى] وسقطت كلمة [قوة مختلفة] منهما .

(٥٩) فى (ب) : [وكل ما ألزمنا] .

(٦٠) وفى (أ) : [المزقونية] بالزاى لا بالراء ، وقد سبق أن رجحنا أنها بالراء .

(٦١) أى الجرم .

(٦٢) فى (أ ، ب) : فقد بطلت الحركة على هذا ، فهذا إذن متحرك لا متحرك .

(٦٣) لابن حزم مفهوم فى علم الفلك يقوم على ما كان معروفا فى عصره ، ولهذا تستغلق علينا معارفه الجغرافيا والفلكية فى كثير من المواضع فهو هنا مثلا يتحدث عن الجرم المتحرك فى الفلك العالم ، ويحدّد لدورته أربعاً وعشرين ساعة ، وذلك الزمن هو المعروف لدورة الأرض ، فهل هو يقصد بالجرم هنا الأرض ، أم أى جرم اخر ؟ فإن كان الأول فصحيح ما ذهب إليه ، وإن كان الثانى فلا ، لأن لكل جرم زمنه الذى تتم فيه حركته .

وإن كان متحركًا إلى جهة من الجهات فهذا[٦٤] أيضًا محال ؛ لأن الحركة نقلة من مكانٍ إلى مكان ، فإذًا وَجَد هذا الجسم مكانًا ينتقل إليه لم يكن فيه قبل ذلك – فقد ثبتت النهاية له ضرورة ، لأن وجوده غير كائن فى المكان الذى انتقل اليه[٦٥] موجب لانقطاعه قبله .

وإن كان لم يزل فى المكان الذى انتقل إليه ، وهكذا فيما بعده من الأمكنة فلم يزل غير منتقل ، وقد قلتم : إنه لم يزل منتقلًا ، فهو إذن متحرك لا متحرك ، وهذا محال .

وإن قلتم : ساكنٌ .

قلنا لكم : اقطعوا من هذا الجرم قطعة بالوهم ، فإذا توَهّموا ذلك سألناهم : متى كان هذا الجرم أعظم ؟ أقبل أن تقطع منه هذه القطعة ؟ أو بعد أن قطعت ؟

فأيًّا مّا قالوا : أو إن قالوا : إنه مساوٍ لنفسه قبل أن تقطع منه هذه القطعة ، فقد أثبتوا النهاية ، إذ لا تقع الكثرة والقلة ، والتساوى إلّا فى ذى نهاية .

وأيضًا فإن المكان والجرم مما يقع تحت العدد كوقوع الزمان تحت العدد إلّا فى نهاية ، وأيضًا فإن كان المكان والجرم مما يقع تحت العدد[٦٦] فكل ما أدخلناه – فيما خلا من[٦٧] تناهى الزمان – من طريق العدد فهو لازم فى تناهى المكان والجرم من طريق العدد بالمساحة . وبالله تعالى التوفيق .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكل ما ألزمناهمَنْ يقول بأن الأجسام لم تزل فهو لازم بعينه لمن يقول : بأن[٦٨] السبعة الكواكب ، والإثنى عشر برجًا لم تزل لأنها أجسام جارية تحت أقسام الفلك وحركته ، فانظر هنالك ما ألزمناه فى حدوث الأجسام وأزمانها فهو لازم لهؤلاء ، وتركنا ما يلزم المنانية وغيرها فى فروع[٦٩] أقوالهم ، كقولهم فى المزاج والخلاص وصفات النور والظلمة إذ إنما قصدنا اجتثاث أصول المذاهب الفاسدة فى أن الفاعل أكثر من واحد . واعتمدنا البيان فى إثبات الواحد فقط ، فإذ قد ثبت ذلك ببراهين ضرورية بطل كل ما فرعوه[٧٠] من هذا الأصل الفاسد[٧١]، إذ إنما قصدنا ما تدفع إليه الضرورة من الاستيعاب لما لابدّ منه بإيجاز بحول الله تعالى وقوته .

---

(٦٤) أى القول بعدم تناهى الجرم .
(٦٥) والمعنى يقتضى ذكر كلمة « بعد ذلك » أى أنه لم يكن موجوداً قبل ذلك فى المكان الذى انتقل إليه .
(٦٦) فى (أ ، ب) سقطت العبارة من أول [إلاّ فى نهاية – حتى – العدد] .
(٦٧) فى (خ): فى .
(٦٨) فى (أ ، ب) : إنَّ .
(٦٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمات من هذه العبارة ووردت هكذا [وتركنا ما ألزمناه فى حدوث الأجسام فى فروع . . ألخ] .
(٧٠) فى (أ ، ب) : عرفوه .
(٧١) فى (أ) : سقطت كلمة [إذ] .

وأمَّا من جعل الفاعل أكثر من واحد إلَّا أنهم جعلوهم غير العالم كالمجوس والصابئين ، والمزدكية[٧٢]، ومن قال بالتثليث من النصارى[٧٣]، فإنه يدخل عليهم من الدلائل الضرورية بحول الله وقوته ما نحن نورده[٧٤] إن شاء الله تعالى .

فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إنَّ ما كان أكثر من واحد ، فهو[٧٥] واقع تحت **جنس** العدد ، وما كان واقعًا تحت جنس العدد فهو **نوع**[٧٦] من أنواع العدد ، وكل ما كان نوعًا فهو مركب من جنسه العام له ولغيره ، ومن **فصل** خصه ليس فى غيره[٧٧]، وله موضوع وهو الجنس القابل لصورته وصورة غيره من أنواع ذلك الجنس ، وله محمول وهو الصورة التى خصته دون غيره ، فهو ذو موضوع وذو محمول[٧٨]،

---

(٧٢) فى (أ ، ب) : المزقونية – بالزاى .

(٧٣) فى (أ) : النارى .

(٧٤) فى (أ ، ب) : [موردوه] .

(٧٥) فى (أ) سقطت كلمة (فهو) .

(٧٦) فى (أ) سقطت كلمة (من) .

(٧٧) فى (أ ، ب) « فله] .

(٧٨) كلمات : الجنس ، والفصل ، والمحمول ، والموضوع ، والمركب ،من كلمات المناطقة التى تبين بها حدود الأشياء ، فالجنس يدخل تحته الفصل ، والموضوع يقصد به الصفات التى تتعلق بالموجود ، والمحمول هو الموجود فى المحمول عليه تلك الصفات .

والجنس : لفظ كلى أعلى فى الماصدق من النوع ، وهو أول الكليات الخمس فى المنطق ، وهى : الجنس والنوع ، والفصل ، والخاصة ، والعرض العام . ويشترك فى الجنس أنواع عدة ، وإذا تدرجنا صعوداً فى سلسلة الأجناس والأنواع انتهينا إلى جنس ليس فوقه جنس ، وهذا هو جنس الأجناس ، وهو أوفرها حظًا من الكلية ، أما إذا تدرجنا نزولاً – انتهينا إلى نوع تحته نوع آخر ، وهذا هو نوع الأنواع الذى يقرب أكثر من غيره من الجزء ، ويطلق فلاسفة العرب اسم الجنس على مقولات أرسطو ، أو يسمونها الأجناس العشرة ، وما يذكر فى المنطق العربى عن الجنس والنوع مستقى من أيساغوجى فرفريوس [راجع كتاب النجاة لابن سينا : تحقيق طه حسين وآخرين حـ ٢ ص وراجع دائرة المعارف الإسلامية مادة جنس] .

والنوع : فى اللغة الصنف من كل شيء ، وفى اصْطلاح المناطقة هو الكلى المقول على كثيرين مختلفين بالعدد فى جواب ما هو ؟ وقيل إنه المعنى المشترك بين كثيرين متفقين بالحقيقة ويندرج تحت كلى أعم منه وهو الجنس فإنه جنس للإنسان ، [المعجم الفلسفى : حـ ٢ ص ٥١١] .

والفصل : للفصل عند المنطقيين معنيان ، أحدهما ما يتميز به شيء عن شيء ذاتيا كان أو عرضيا لازما أو مفارقا ، شخصيا أو كليا ، وثانيهما : ما يتميز به الشيء فى ذاته وهو الجزء الداخل فى الماهية ، كالناطق مثلا فهو داخل فى ماهية الإنسان ، ويسمى هذا بالفصل المقوِّم ، وهذا المعنى الثانى هو الذى أشار إليه ابن سينا فى قوله : « وأمّا الفصل فهو الكلى الذاتى الذى يقال على نوع تحت جنس فى جواب أى شيء هو منه كالناطق للإنسان ، [النجاة ص ١٤ تحقيق طه حسين وآخرين – طبعة دار المعارف بمصر] .

والموضوع : فى المنطق هو الذى يحكم عليه بأن شيئا آخر موجود له ، أو ليس بموجود له ، والموضوع بهذا المعنى مقابل للمحمول ، قال الخوارزمى : الموضوع : هو الذى يسميه النحويون المبتدأ والموضوع عند ديكارت ، وعند من تقدّمه من الفلاسفة هو الأمر الذى تتمثله فى الذهن والحقيقة الموضوعية هى الحقيقة التى نتمثلها ذهنيا ، بخلاف الحقيقة الصورية المستقلة فى الذهن وموضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ككذب الإنسان لعلم الطب ، ومثل المقدار للهندسة ، ومثل العدد للحساب ، ولكلٍّ منها أعراض ذاتية تخصه [راجع : النجاة : لابن سينا ص ١٠٩ ، ١١٠ ، والقاموس الفلسفى حـ ٢] .

فالمحمول : عند المنطقين هو المحكوم به فى القضية الحملية دون الشرطية ، أما فى الشرطية فيسمى تاليا ، والموضوع والمحمول عند المنطقيين بمنزلة المسند والمسند إليه عند النحاة قال ابن سينا ، والمحمول هو المحكوم به إنه موجود أو ليس بموجود لشيء آخر [النجاة ص ١٩] والقضية الحملية مقابلة للقضية الشرطية ، وأرسطو يسمى المقولات محمولات لأنها تحمل على الجوهر ، وهو لا يحمل على شيء ، والمحمولات الجدلية عند « فرفريوس » وغيره من القدماء هى الألفاظ الخمسة : الجنس – النوع – الفصل – الخاصة – العرض العام [راجع المعجم الفلسفى ص ٣٥٧ حـ ٢] .

فهو مركب من جنسه وفصله ، والمركب مع المركب من باب المضاف الذى لا بد لكل واحد منهما من الآخر ، فأما المركب فإنما يقتضى وجود المركب من وقت تركبه ، وحينئذ يسمى مركبًا لا قبل ذلك .

وأمَّا الواحد فليس عددًا لما سنبينه إن شاء الله تعالى . بعد انقضاء[٧٩] الكلام فى هذا الباب وبالله تعالى التوفيق .

ومن البرهان على أن الفاعل للعالم ليس إلَّا واحدًا : أن العالم لو كان مخلوقًا لاثنين فصاعدًا لم يخل من أن يكون لم يزالا مشتبهين أو مختلفين ، فأيًّا مّا قالوا فقد أثبتوا معنى فيهما ، أو فى أحدهما به اشتبها أو به اختلفا ، فإن نفوا ذلك فقد نفوا الاختلاف والاشتباه معًا ، ولا يجوز ارتفاعهما معًا أصلًا ، لأن ذلك محال وموجب للعدم ، لأن وجود شيئين لا يشتبهان فى شىء ولا يختلفان بوجه من الوجوه محال ، إذ فى ذلك عدمهما ، لأن هذه الصفة معدومة وإذا كانت الصفة معدومة[٨٠] فحاملها معدوم ، وهم قد أثبتوا وجودها[٨١] فيلزمهم القول بموجود معدوم فى وقت واحد من وجه واحد وهذا محال . وهم إذا أثبتوهما موجودين لم يزالا فقد أثبتوا لهما معانى قد اشتبها فيها ، وهى كونهما مشتبهين فى الوجود ، مشتبهين فى الفعل ، مشتبهين فى أن لم يزالا . ولا يجوز أن تكون هذه الأشياء ليست غيرهما لأنها صفاتٌ عَمَّتْهما : أعنى اشتباههما فى المعانى المذكورة ، فإن كان اشتباههما هو هما فهما شىء واحد ، وكذلك أيضًا يلزم فى كونهما مختلفين فى أن كلَّ واحدٍ منهما غير صاحبه ، فإن كان هذا الاختلاف فيهما هو غيرهما ، فها هنا ثالث ، وهكذا أيضًا أبدًا .

وسنذكر ما يدخل فى هذا إن شاء الله تعالى .

وإن كان التغاير هو هما ، والاشتباه هو هما فالتغاير هو الاشتباه ، وهذا هو عين المحال ، لأنه لابدّ من معنى موجود فى المتغاير ليس اشتباهًا لأن معنى التغاير هو أن هذا هو غير هذا[٨٢] ولا يجوز أن يكون الشيئان مشتبهين بالتغاير ، فإذ قد ثبت ما ذكرناه ، ولم يكن بد من اشتباه

= والمركب : هو المؤلف من أجزاء كثيرة ، ويقابله البسيط كالجسم فإنه إذا كان مؤلفا من أجزاء كثيرة ، كان مركبا ، واللفظ المركب أو المؤلف عند المنطقيين هو الذى يدل على معنى وله أجزاء منها يلتئم ، ومن معانيها يلتئم معنى الجملة ، وقيل أيضا إن المركب هو ما أريد بجزء لفظه : الدلالة على جزء معناه وهى خمسة : مركب إسنادى كقام زيد ، ومركب إضافى كغلام زيد ، ومركب تعدادى كخمسة عشر ، ومركب مزجى كبعلبك ، ومركب صوتى كسيبويه . والحد المركب بوجه عام هو المؤلف من عدة حدود يربط بينها حرف عطف كقولنا زيد وعمرو صادقان وكريمان ، فإن كلًا من الموضوع والمحمول فى هذه القضية مركب من حدّين [راجع تعريفات الجرجانى – مادة مركب ، والنجاة لابن سينا ص ٧ ، والمعجم الفلسفى حـ ٢ ص ٣٦٢ ، ٣٦٣] .

(٧٩) فى (أ ، ب) « فقد انقضى » .

(٨٠) فى (أ ، ب) سقطت جملة « وإذا كانت الصفة معدومة » .

(٨١) وفى (أ) « فيلزم » .

(٨٢) سقطت الجملة من [لأن معنى . . إلى هذا] من (أ ، ب) .

أو اختلاف هو معنى غيرهما ، فقد ثبت ثالث ، وإذ ثبت ثالث لزم فيهم ثلاثتهم مثل ما لزم فى الاثنين من السؤال ، وهكذا أبدًا . وهذا يوجب ضرورة أن كل واحد منهما أو أحدهما مركب من ذاته ، ومن المعنى الذى بان به عن الآخر ، أو به أشبه الآخر .

فإن أثبتوا ذلك لهما جميعًا ، وكلاهما مركب ، والمركب محدث فهما مخلوقان لغيرهما ولابدّ .

وإن أثبتوا ذلك لأحدهما فقط كان مركبًا ، وكان الآخر هو الفاعل له(٨٣)، فقد عاد الأمر إلى واحد غير مركب ولابدّ ضرورة .

ويوجب أيضًا إن تمادوا على ما ألزمناهم من وجود معنى به بان كُلٌّ من الآخر وجود قدماء لم يزالوا ، ووجود فاعلين آلهة أكثر من المألوهين(٨٤) وهذا محال . لأنه لا سبيل إلى وجود أعدادٍ قائمة ظاهرة فى وقت واحد لا نهاية لها ، لأنه إن كان لها عدد فقد حصرها ذلك العدد على ما قدّمنا ، وكل ما حصر فهو متناه ، وقد أوجبنا عليهم القول بأنها غير متناهية ، فلزمهم القول بأعداد متناهية لا متناهية ، وهذا من أعظم المحال .

فإن لم يكن لها عدد فليست موجودة ، لأن كلّ موجود فله عدد ، وكل ذى عدد متناهٍ كما قدمنا .

فإن قال قائل : فبأىِّ شىء انفصل الخالق عن الخلق ؟ وبأى شيءٍ انفصل الخلق بعضه من بعض ؟

وأراد أن يلزمنا فى ذلك مثل الذى ألزمناه فى الأدلة(٨٥) المتقدمة ..

قيل له وبالله التوفيق .

الخلق كله **حامل ومحمول**(٨٦)، فكل حامل فهو منفصل من خالقه ، ومن غيره من الحاملين بمحموله(٨٧) وبما هو عليه مما باين به سائر الحاملين من فصله ، ونوعه(٨٨)، وجنسه ، وخواصه ، وأعراضه ، فى مكانه وسائر كيفياته .

---

(٨٣) أى الفاعل لهذا التركيب .
(٨٤) فى (أ) [المأهولين] .
(٨٥) فى النسخة (أ) [الدلالة] .
(٨٦) أى مضاف ، ومضاف إليه .
(٨٧) سقطت جملة [وبما هو عليه إلى الحاملين] من (أ ، ب) .
(٨٨) فى (أ ، ب) [فصوله وأنواعه] .

وكل محمول فهو منفصل من خالقه ومن غيره من المحمولات بحامله ، وبما هو عليه مما باين فيه سائر المحمولات ، من نوعه ، وجنسه ، وفصله .

والبارى تعالى غير موصوف بشيء من ذلك كله . وبالله تعالى التوفيق .

وقد ذكرنا فى باب الكلام فى بقاء الجنة والنار ، وبقاء الأجسام فيها بلا نهاية ، وفيما خلا من كتابنا – الانفصالَ ممن أراد أن يلزمنا هنالك ، ما ألزمناهم نحن هنالك من القول[٨٩] بالأعداد التى لا تتناهى . إلا أننا نذكر هنا من ذلك إن شاء الله تعالى طرفًا كافيًا . وبالله تعالى التوفيق وبه نستعين . فنقول :

إن الفرق بين المسألتين المذكورتين أننا لم نوجب نحن فى الجنة والنار وجود أعدادٍ لا تتناهى . بل قولنا : إن أعدادهم متناهية لا تزيد ولا تنقص . وأن مساحة النار والجنة محدودة متناهية لا تزيد ولا تنقص ، وأن كل[٩٠] ما ظهر من حركاتهم ومددهم فيها فمحصورة متناهية . وإنما نفينا عنها النهاية بالقوة بمعنى أن البارى تعالى محدِث لهم فى كلتا الدارين بقاء ومددًا ، ونعيمًا وعذابًا ، أبدًا لا إلى غاية . وليس ما ظهر من ذلك بعضًا لما لم يظهر ، فيلزمنا أن يكون اسم كل ما يقع على الموجود والمعدوم لأن الموجود[٩١] لا يكون بعضًا للمعدوم ، وإنما هو بعض لموجود مثله ، هذا يعلم بالحس لأن الأسماء إنما تقع على معانيها . ومعنى الوجود إنما هو ما كان قائمًا فى وقت من الأوقات ، ماضٍ من الأوقات أو حالٍ منها . فما لم يكن هكذا فليس موجودًا ، وأبعاض الموجودات كلها موجودة ، فكلها موجود ، وكلها كان موجودًا فليس الموجود بعضًا للمعدوم ، والعدم هو إبطال الوجود ونفيه ، ولا سبيل إلى أن تكون أبعاض الشيء التى يلزمها اسمه الذى لا اسم لها سواه يبطل بعضها بعضًا .

وقد يمكن أن يشغب[٩٢] مشغب فى هذا المكان فيقول : قد وجدنا أبعاضًا لا يقع عليها اسم كلها كاليد والرجل والرأس ، وسائر الأعضاء ليس شيء منها يسمى إنسانا فإذا اجتمعت وقع عليها كلها اسم إنسان .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا شغب لأننا إنما تكلمنا على الأبعاض المتساوية التى كان بعض منها يقع عليه اسم الكل كالماء الذى كل بعض منه ماء ، وكله ماء ،

---

(٨٩) سقطت كلمة [القول] فى (أ ، ب) .
(٩٠) فى (أ) : وإن كان .
(٩١) فى النسخة (أ) سقط [كل ما يقع على الموجود والمعدوم لأن الموجود لا يكون بعضا للمعدوم] .
(٩٢) فى (أ ، ب) [شغب] .

وليس الإنسان[٩٣] الجزء من هذا الباب . وكل بعض من أبعاض الموجود فإنه يقع عليه اسم موجود .

وقد يمكن أن يشغب أيضًا مشغب فى قولنا : إن الأبعاض لا تتنافى ، فيقول إن الخضرة[٩٤] تنافى البياض ، وكلاهما بعض للون الكلى ، فهذا أيضًا ليس مما أردناه فى شيء ، لأن قولنا موجود ليس جنسا ، فيقع على أنواع المتضادات ، وإنما هو إخبار عن وجود أشياء قد تساوى كلها فى وجودنا إياها حقًا ، فهو يعم بعضها كما يعم كلها ، وأيضًا فإن الخضرة لا تضاد البياض فى أن هذا لون ، بل يجتمعان فى هذا المعنى اجتماعًا واحدًا لا يختلفان فيه ، وإنما اختلفا بمعنى آخر ، وكذلك لا يخالف موجود موجودًا فى أنه موجود . والموجود يخالف المعدوم فى هذا المعنى نفسه ، وليس بعضًا للمعدوم . والمعدوم ليس شيئًا ، ولا له معنى حتى يوجد ، فإذا وجد كان حينئذ شيئًا موجودًا .

وقد تخلصنا أيضًا فى باب التجزى ، وكلامنا[٩٥] فى هذا الديوان من مثل الإلزام هنالك .

(٩٣) سقطت كلمة [الإنسان] من (أ ، ب) .
(٩٤) فى (أ ، ب) [لا تنافى] .
(٩٥) فى (أ) : [فيه] .

الكلام على النَّصارى

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : النصارى وإن كانوا أهل كتاب ، ويقرون بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام ، فإن جماهيرهم وفرقهم لا يقرون بالتوحيد مجردًا . بل يقولون بالتثليث ، فهذا[1] مكان الكلام عليهم .

والمجوس أيضًا **وإن كانوا أهل كتاب** لا يقرون ببعض الأنبياء عليهم السلام ، ولكنا أدخلناهم فى هذا المكان لقولهم بفاعلين لم يزالا .

فالنصارى أحق منهم بالإدخال هاهنا ، لأنهم يقولون بثلاثة لم يزالوا .

والنصارى فرق :

منهم أصحاب « أريوس[2] » وكان قسيسًا بالإسكندرية : ومن قوله : التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وأنه كلمة الله تعالى التى بها خلق السموات والأرض . وكان فى زَمن قسطنطين الأول ، بانى القسطنطينية ، وأول من تنصر من ملوك الروم ، وكان على مذهب « أريوس » هذا .

ومنهم أصحاب « **بولس[3] الشمشاطى** » : وكان بطريركًا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية .

---

(١) فى النسخة (أ) [فهو] ومعناه فهذا القول بالتثليث هو موضوع الكلام .

(٢) أريوس : هو ابن أصفانوس بن بطلينس ويلقب برشيد قومه ، وكان من علماء الروم بالعزائم وله من الكتب : كتاب يذكر فيه أولاد إبليس ، وتفرقهم فى البلاد ، وما يختص به كل جنس منهم فى العلل والأرواح ، والاستهلاكات ، والأفعال ، وأنساب الجن (٤٤٥ الفهرست لابن النديم المكتبة التجارية – مطبعة الاستقامة بالقاهرة) . وهو أكبر تلاميذ « ماربطرس » « بطريرك الإسكندرية ، ومن خريج المدرسة اللاهوتية ، وخالف أستاذه كثيرا فسخطه وطرده وجرده من كهنوته ، ولما مات « بطرس » رجع أريوس عن المخالفة فأدخله « اسكندروس » إلى الكنيسة وصيره قسا ، ولكن مجمع الأساقفة قرر نفيه فنفاه القيصر وأمر بقتله ، ولكن اختفى وظهر بعد موت القيصر (راجع تاريخ ابن خلدون حـ ١ ص ٣٢٠ ، وخلاصة تاريخ المسيحية بمصر ص ٨١) .

(٣) بولس : هو « بولس » القديس ولد فى « طرسوس » بآسيا الصغرى ، واسمه الأصلى شاءول رومانى الجنسية ، نشأ نشأة يهودية ، فكان يضطهد المسيحيين الأول ، كلف بمقاومة المسيحيين فى دمشق سنة ٣٥ م فلما ذهب إليها سمع وهو فى الطريق صوتا يقول له « شاءول شاءول لِمَ تضطهدنى ؟ فقال من أنت ؟ فأجابه الصوت : أنا « ياسوع » الذى تضطهده فذهب إلى دمشق ، وانضم إلى المسيحية ، وسمى =

وكان قوله : التوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله تعالى فى بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا إلهية فيه ألبتة . وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ؟ ولا روح القدس ؟ .

وكان منهم أصحاب « مقدونيوس[٤] » وكان بطريركا فى « القسطنطينية[٥] » بعد ظهور النصرانية أيام « قسطنطين[٦] » بن « قسطنطين » بانى « القسطنطينية » ، وكان هذا الملك « أريوسيا » كأبيه . وكان من قول « مقدونيوس » هذا : التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، إنسان نبى ، رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام . وأن عيسى هو روح القدس ، وكلمة الله عزَّ وجل . وأن روح القدس والكلمة مخلوقان ، خلق الله كل ذلك .

ومنهم « **البربرانية** » : وهم يقولون إن عيسى وأمه إلها من دون الله عزَّ وجل . وهذه الفرقة قد بادت .

وعمدتهم[٧] اليوم ثلاث فرق :

فأعظمها فرقة « **الملكانية**[٨] » : وهى مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشا

=نفسه « بولس » وأصبح أنشط المبشرين بالمسيحية فى القرن الاول . ثار اليهود ضده ، وقبض عليه فى « أورشليم » وسيق إلى روما وحكم عليه بالإعدام ، وصلب وقطع رأسه بالسيف ، تتلخص آراؤه فى [الرسائل] انظر العهد الجديد - الموسوعة العربية الميسرة : ٤٤٠ بإشراف محمد شفيق غربال] وبولس هذا هو الذى أفسد المسيحية وأدخل فيها التثليث ، وأحلّ الخمر ، وعدم الختان ، فخرج بهذا عن شريعة موسى التى هى شريعة عيسى .

(٤) « مقدونيوس » : وهو ممن تأثر بآراء « آريوس » وقد رقى كرسى البطريركية بالقسطنطينية بعد ما نزل « بولس » بطريركها الشرعى بأمر « قسطنطين » القيصر ، وقد ذهب إلى أن الروح القدس أثر الإله منتشر فى الكون ، ينماز عن الله ، وأن روح القدس مخلوق فهو ممن يعتقدون التوحيد (راجع هامش الملل والنحل حـ ٢ ص ٥١ تحقيق الشيخ أحمد فهمى محمد - طبعة مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة) .

(٥) القسطنطينية : عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ، والامبراطورية العثمانية سابقا ، سميت باسم « قسطنطين » الذى أنشأها بموضع « بيزنطة » لم ينجح ممن حاولوا حصارها إلا ثلاثة ، جيش الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م ، وميخائيل الثانى ١٢٦١م ، والسلطان محمد الثانى ١٤٥٣م ، أقيمت المدينة على سبعة تلال على « البسفور » ، وأقيم حولها ثلاثة خطوط من الحصون ، كانت أكبر مدينة فى أوربا فى العصور الوسطى ، بلغ مجموع سكانها فى القرن العاشر مليون نسمة ، أشهر معالمها كنيسة القديسة صوفيا ، والبوابة الذهبية ، وتعد مركزاً سياسياً وتجاريا عظيما فى أوربا ، احتلها الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م ، وفى ١٩٢٣م حلت « أنقره » محلها عاصمة لتركيا (الموسوعة العربية الميسرة ١٣٨٠) .

(٦) قسطنطين : ابن قسطانش الأول ، وأمه القديسة « هيلانة » نودى به امبراطوراً بعد وفاة أبيه ٣٠٦م فقنع بلقب « قيصر » فقط ، مال إلى المسيحية ، وأصدر منشور « ميلان » الذى أقر التسامح مع المسيحية ، ومع ذلك فلم يعمّد إلا وهو على فراش الموت . دعا مجمع « نيقية » المشهور إلى الانعقاد ، وبذلك أوجد تلك المجامع الدينية ، نقل عاصمته إلى « بيزنطة » التى أعاد بناءها وسماها « القسطنطينية » ، وكرسها للعذراء (راجع الموسوعة الميسرة ١٣٨٠) .

(٧) الضمير يرجع إلى النصارى .

(٨) الملكانية : طائفة مسيحية من الطقس البيزنطى منتشرة فى سورية ومصر وفلسطين ، ومنها جالية هامة فى أمريكا وكنيستهم تسمى أيضا كنيسة الروم ، ويتكلم معظمهم العربية ، ويرأسهم بطريرك يقيم فى دمشق والقاهرة . سمُّوا الملكيين لأنهم أيدوا القرار الذى اتخذه مجمع **خلقدونية** عام ٤٥١م ضد بدعة أوطيخا المونوفيزية القائلة بطبيعة واحدة للمسيح ، فلقبهم مخالفوهم ازدراء لهم بالملكيين لوقوفهم فى صف مرقيانوس الذى كان يعاضد المجمع ، ومنهم كاثوليك يعترفون برياسة بابا روما ، ويسمون الروم الكاثوليك . (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٤٢) .

الحبشة ، والنوبة . ومذهب عامة أهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشا الحبشة ، والنوبة ، ومذهب جميع نصارى إفريقية ، وصقلية ، والأندلس وجمهور الشام ، وقولهم : إن الله تعالى — عبارة عن قولهم — ثلاثة أشياء[٩]: أب وابن ، وروح القدس . كلها لم تزل ، وأن عيسى عليه السلام : إله تام كله ، وإنسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الإنسان منه هو الذى صلب وقتل ، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معًا شيء واحد ابن الله .

تعالى الله عن كفرهم .

وقالت النسطورية : مثل ذلك سواء بسواء ، إلَّا أنهم قالوا : إنَّ مريم لم تلد الإله ، وإنما ولدت الإنسان ، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله . تعالى الله عن كفرهم . وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس ، وخراسان . وهم منسوبون إلى « **نسطور**[١٠]» وكان بطريكًا بالقسطنطينية .

وقالت « **اليعقوبية**[١١]» : إن المسيح هو الله تعالى نفسه ، وأن الله — تعالى عن عظيم كفرهم — مات وصلب وقتل ، وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر ، والفلك بلا مدبر ، ثم قام ورجع كما كان ، وأن الله تعالى عاد محدثا ، وأن المحدث عاد قديما ، وأنه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولًا به .

وهم فى أعمال مصر ، وجميع النوبة ، وجميع الحبشة ، وملوك الأمتين المذكورتين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولولا أن الله تعالى وصف قولهم فى كتابه إذ يقول تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم[١٢]» وإذ يقول تعالى حاكيًا عنهم :

---

(٩) فى (أ) « أسباب » .

(١٠) النسطورية : بدعة ظهرت فى القرن الخامس قال بها « نسطوريوس » بطريرك القسطنطينية حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله ، وقد عارضه « كيرلس » الإسكندرى ، وانعقد بسبب هذه المشكلة ثلاثة مجامع دينية متلاحقة : مجمع « أفسوس » عام ٤٣١م ، ومجمع « **خلقيدونة** » ٤٥٠م ، ومجمع القسطنطينية ٥٥٣م وقررت كلها أن للمسيح طبيعتين : إلهية وإنسانية متحدتين فى أقنوم واحد ، وقوام إلهي واحد . ناصرت كنيسة أنطاكية مذهب « نسطوريوس » ولكن لم يبق معه إلى النهاية إلا كنيسة فارس التى صارت الكنيسة النسطورية ، ولا يزال لها أتباع فى العراق ، وإيران ، وبلابار والهند طقوسها سريانية شرقية ، وتدعى أحيانا بالكنيسة الآشورية ورد ذكرها عند الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل ، والبّاقلانى فى التمهيد (الموسوعة العربية الميسرة ١٨٣٢) .

(١١) اليعقوبية : فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب ، وهى إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح . . عاش اليعاقبة فى مصر والنوبةوالحبشة ، يدور مذهبهم على القول بأن المسيح هو الله والإنسان اتحدا فى طبيعة واحدة هى المسيح ، واشتغل كثير من اليعاقبة فى ظل الإسلام بنقل الفلسفة اليونانية وكتبها إلى السريانية ثم إلى العربية ، ولقوا من الخلفاء والمسلمين كل تشجيع وتقدير فكان لذلك أثره فى تاريخ الحياة العقلية الإسلامية ولا سيما من الناحيتين الكلامية والفلسفية (الموسوعة العربية الميسرة) .

(١٢) سورة المائدة : ١٧ .

« إن الله ثالث ثلاثة[١٣]» وإذ يقول تعالى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله[١٤]» – لَمَا انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع ، السمج ، السخيف ، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن فى العالم عقلًا يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان .

فأما « اليعقوبية » : فإنهم ينسبون إلى « يعقوب » البرذعانى ، وكان راهبًا بالقسطنطينية ، وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشية تامّة ، **لأن الاستحالة نقلة[١٥]، والنقلَة والاستحالة لا يوصف بهما الأول** الذى لم يزل تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ولو كان كذلك لكان مخلوقًا ، والمحدَث يقتضى محدِثًا خالقًا له ، ويكفى من بطلان هذا القول دخوله فى باب المحال والممتنع ، الذى أوجب العقل والحس بطلانه ، وليس فى باب المحال أعظم من أن يكون الذى لم يزل يعود محدِثا لم يكن ثم كان ، وأن يصير[١٦] غير المؤلف مؤلَّفًا ، ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السماوات والأرض ، وأدار الفلك هذه الثلاثة الأيام التى كان فيها ميتا ؟! – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ثم يقال للقائلين بأن البارى تعالى ثلاثة أشياء : أب وابن وروح القدس : أخبرونا : إذ هذه الثلاثة الأشياء لم تزل كلها ، وأنها مع ذلك شىء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم ؟ فبأى معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى أبًا والثانى ابنًا والثالث : روح القدس[١٧] وأنتم تقولون : إن الثلاثة واحد ، وأن كل واحد منها هو الآخر . فالأب هو الإبن . والإبن هو الأب وهما روح القدس ، وليس روح القدس سواهما[١٨] وهذا هو عين التخليط . وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه « سأقعد عن يمين أبى[١٩]» .

وبقولهم فيه :

« إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده ، وأن الإبن لا يعلمها[٢٠]» .

فهذا يوجب أن الإبن ليس هو الأب .

---

(١٣) سورة المائدة : ٧٣ .

(١٤) سورة المائدة : ١١٦ .

(١٥) الاستحالة : أى التحول من حال إلى حال ، والانتقال من وجود إلى وجود ، وفى ميلاد المسيح إلها فى صورة بشر – كما يفترى المسيحيون – معناه أن الله تحول من صورة إلى صورة تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً .

(١٦) فى (أ) [يشير] .

(١٧) فى (أ ، ب) : سقط [والثالث روح القدس] .

(١٨) فى (أ ، ب) : سقطت جملة [وهما روح القدس ، وليس روح القدس سواهما] .

(١٩) إنجيل لوقا – الإصحاح الثانى والعشرون (٧٠) ونصه : منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله .

(٢٠) إنجيل متّى : الإصحاح الرابع والعشرون (٣٦) ونصه : « وأما ذلك اليوم – يوم القيامة – وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ، ولا ملائكة السماوات إلا أبى وحده » .

وإن كانت الثلاثة متغايرة - وهم لا يقولون بهذا - فيلزمهم أن يكون فى الإبن معنى من الضعف ، أو من الحدوث ، أو من النقص به وجب أن ينحط عن درجة الأب .

والنقص ليس من صفة الذى لم يزل ، مع ما يدخل على من قال بهذا من وجوب أن تكون[٢١] محدثة لحصر العدد ، وجَرْىِ طبيعةِ النقص والزيادة فيها ، على حسب ما قدمناه فى حدوث العالم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد لفق بعضهم أشياء (قالوا إنها)[٢٢] لا معنى لها ، إلا أننا ننبّه عليها ليتبين هجنة قولهم وضعفه بحول الله تعالى وقوّته ، وذلك أنَّ بعضهم قال : لما وجب أن يكون البارى تعالى حيًّا[٢٣] وعالمًا وجب أن تكون له حياة وعلم ، فحياته هى التى تسمى روح القدس ، وعلمه هو الذى يسمى الإبن .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا من أغث ما يكون من الاحتجاج ، لأننا قد قدّمنا أن البارى تعالى : لا يوصف بشىء من هذا من طريق الاستدلال ، لكن من طريق السمع خاصة ، ولا يصح[٢٤] لهم دليل - لا من إنجليهم ولا من غيره من الكتب - أن العلم يسمّى ابنا ، و لا فى كتبهم أن علم الله هو ابنه : وقد ادّعى بعضهم أنَّ هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أنَّ علم العالِم يقال فيه : إنَّه ابنه[٢٥].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا باطل ظاهر الكذب ؛ لأن الإنجيل الذى كان فيه ذكر الأب والإبن وروح القدس - لا يختلف أحدٌ من الناس فى أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها . فعبّر عن (معانى) تلك الألفاظ العبرانية ، وبها كان فيه[٢٦] ذكر الأب ، والإبن ، وروح القدس . وليس فى اللغة العبرانية شىء مما ذكر وادّعى .

وإن كانوا ممن يقولون : بتسمية البارى عزّ وجل من طريق الاستدلال ، فقد أسقطوا صفة القدرة ، إذ ليس الاستدلال على كونه عالمًا بأصح[٢٧] ولا أولى من الاستدلال على كونه قادرًا . لاسيما مع قول « بولس » وهو عندهم فوق الأنبياء - « أن المسيح قدرة الله وعلمه تعالى[٢٨]» .

---

(٢١) أى أى الصفة ، فالضمير هنا اسم تكون .
(٢٢) ما بين القوسين كلام زائد لا معنى له .
(٢٣) فى (ب) [حيًّا عالما] بغير الواو .
(٢٤) فى (خ) : وليس يصح .
(٢٥) أى على سبيل المجاز .
(٢٦) أى فى هذا الإنجيل .
(٢٧) سقط حرف العطف [و] فى (أ) .
(٢٨) فى رسالة بولس إلى العبرانيين : « لله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثًا لكل شىء الذى به أيضا عمل العالمين » والذى هو بهاء مجده ، ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (الإصحاح الأول) .

قال هذا النص فى رسالته الأولى إلى أهل قونية[٢٩]، فليضيفوا إلى هذه الثلاث صفة رابعة وهى القدرة ، وأخرى وهى السمع ، وأخرى وهى البصر ، وأخرى وهى الكلام ، وأخرى وهى العقل ، وأخرى وهى الحكمة ، وأخرى وهى الجود .

فإن قالوا : القدرة هى الحياة .

قيل لهم : والعلم هو الحياة .

فإن قالوا : ليس العلم الحياة لأنه قد يكون حىّ ليس عالمًا كالمجنون ، قيل لهم : قد يكون حى ليس قادرًا كالمغشىّ عليه . ونحو ذلك ، فالقدرة ليست الحياة .

وأيضًا فإن كان الإبن هو العلم ، وروح القدس هو الحياة . فما بال إقحامهم المسيح عليه السلام فى أنه الإبن ، وروح القدس .

أترى المسيح هو حياة الله وعلمه ؟ وما بال قول بعضهم إنَّ مريم ولدت ابن الله ؟ أتراها ولدت علم الله ؟!.

أيكون فى التخليط أكثر من هذا ، وهل حظ المسيح عليه السلام من علم الله وحياته إلّا كحظ غيره ولا فرق .

وهذا لا مخلص منه – وبالله التوفيق .

وقال بعضهم : لما وجدنا الأشياء قسمين حيًّا ولا حيًّا ، وجب أن يكون البارى عزَّ وجل حيًّا ، ولما وجدنا الحىَّ ينقسم قسمين ؛ ناطقًا وغير ناطق ، وجب أن يكون البارى تعالى ناطقًا .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا الكلام فى غاية الكلال[٣٠] لوجهين : أحدهما : أن هذه القسمة قسمة طبيعية واقعة تحت جنس ؛ لأنه إذا كان تسمية البارى تعالى حيًّا إنما هو من هذا الوجه[٣١]، فهو إذًا يقع مع سائر الأجسام[٣٢] تحت جنس الحى . ويُحدّ بحدّ الحى ، وبحد الناطق .

وإذا كان كذلك فهو مركب من جنسه وفصله ، وكل ما كان محدودًا فهو متناهٍ ، وكل ما كان مركبًا فهو محدث .

---

(٢٩) فى (أ ، ب) [قريته] .
(٣٠) أى الضعف والتخاذل وفى (خ) (الفساد) .
(٣١) هذه الجملة واقعة صفة لقوله « حيًّا » .
(٣٢) فى (أ ، ب) [الأحياء] .

والوجه الثانى : أن هذه القسمة التى قسموها[٣٣] منقوضة مموّهة ، لأنه يلزمهم أن يبدءوا بأول القسمة الذى هو أقرب إلى الطبيعة[٣٤].

فيقولوا : وجدنا الأشياء جوهرًا ولا جوهرًا . ثم يدخلوه تحت أى القسمين شاءوا ، وهم إنما يدخلونه تحت الجوهر ، فإذا أدخلوه تحت الجوهر فقد وجب ضرورة أن يحدوه بحد الجوهر .

فإذا كان ذلك وجب أن يكون محدثًا ، إذ كل محدود فهو محدث كما قدمنا[٣٥].

ثم نعترضهم فى قسمتهم من قبل أن يبلغوا إلى الحى الناطق[٣٦].

وعلى بعض القسم قبله يقع الثانى .

وهذه كلها مخلوقات .

فلو كان البارى تعالى بعضها ، أو كانت هذه الصفات واقعة عليه من طريق وجوب وقوعها علينا – لكان مخلوقًا .

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

وقال بعضهم : لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد ، وهذا أكمل الأعداد ، وجب أن يكون البارى تعالى كذلك لأنه غاية الكمال .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا من أغث الكلام لوجوه ضرورية **أحدها** : أن البارى تعالى لا يوصف بكمالٍ ولا تمام ، لأن الكمال والتمام من باب الإضافة ، لأن التمام والكمال لا يقعان ألبتة إلا فيما فيه النقص ، لأن معناهما إنما هو إضافة شيءٍ إلى شيءٍ به كملت صفاته ، ولولاه لكان ناقصًا . ولا معنى للكمال والتمام إلّا هذا فقط .

والوجه الثانى : أن كل عددٍ بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة ، لأنه يجمع إما زوجًا وفردًا[٣٧] وإمّا زوجًا وزوجا ، وإمّا زوجًا وزوجًا وفردًا ، وإمّا أكثر من ذلك .

وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع إلا زوجًا وفردًا فقط ،

---

(٣٣) فى النسخة (ب) [قسموا] .

(٣٤) أى كان عليهم أن يبدءوا القسمة من المبادىء الأولى ، وهى الجواهر ، لا الأعراض ، كما فعلوا هنا فقالوا : « وجدنا الأشياء قسمين حيًّا ولا حيا » والحياة ليست مَبْدأ ولا جوهراً ، بل هى عرض يدخل على الجوهر .

(٣٥) فى (أ ، ب) [قد بيناه] .

(٣٦) أى نعترض على قسمتهم الموجودات إلى جوهر ، وغير جوهر ، إذ لا يصح أن يقال عن الله تعالى إنه جوهر فالجواهر ، وما يتعلق بها من أعراض كالحياة والنطق ، هى مخلوقات .

(٣٧) سقطت عبارة [زوجا فردا وإما] من (أ ، ب) .

فيلزمه أن يقول : إن ربّه أعداد لا تتناهى ، أو أنه أكثر الأعداد ، وهذا أيضًا ممتنع محال لو قاله ، ويكفى فسادًا بقولٍ يؤدى إلى المحال .

والوجه الثالث : أن هذا الاستدلال مضاد لقولهم[٣٨]: إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد هى غير الثلاثة التى هى عندكم واحد بلا شك ؛ لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذى هو فيها ، وهى جامعة له ولغيره بل ذلك الفرد بعض لها ، وهى كل له ولغيره والبارى تعالى لا كل له ولا بعض[٣٩]، والكل[٤٠] ليس هو الجزء ، والجزء ليس هو الكل ، والفرد جزء للثلاثة والثلاثة كل للفرد وللزوج معه ، فالفرد غير الثلاثة ، والثلاثة غير الفرد ، والعدد مركب من واحد يراد به الفرد ، وواحد كذلك[٤١]، وواحد كذلك إلى نهاية العدد المنطوق به ، فالعدد ليس الواحد ، والواحد ليس هو العدد ، لكن العدد مركب من الآحاد التى هى الأفراد ، وهكذا كل مركب من أجزاء ، فذلك المركب ليس هو جزء من أجزائه ، كالكلام الذى هو مركب من حرف وحرف حتى يقوم المعنى المعبر عنه ؛ فالكلام ليس هو الحرف ، والحرف ليس هو الكلام .

والوجه الرابع : أنَّ هذا المعنى السخيف الذى قصده هذا الجاهل نجده فى الاثنين ، لأن الاثنين عدد يجمع فردًا وفردًا ، وهو زوج مع ذلك ، فقد وجدنا فى الاثنين الزوج والفرد ، فيلزمه أن يجعل ربه اثنين .

والوجه الخامس : أن كلَّ عدد فهو محدث ، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضًا محدث ، على ما قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا .

والمعدود لم يوجد قط إلا ذا عدد ، والعدد لا[٤٢] يوجد قط إلَّا ذا [٤٣] معدود ، والواحد ليس عددًا على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى ، وبه يتم الكلام فى التوحيد بحول الله وقوته .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهم يقولون : إن الإله اتحد مع الإنسان بمعنى أنهما صارا شيئًا واحدًا .

---

(٣٨) أى النصارى الذين يقولون بالتثليث : الأب ، والابن ، وروح القدس . . ثم يقولون عن هذه الثلاثة هى الإله الواحد ، كما يقولون فى دعائهم : باسم الأب والإبن وروح القدس ، إله واحد ، أمين ... وهذا الإله الواحد عندهم ، هو واحد فى ثلاثة ، ففى الأب يختفى الإبن وروح القدس ، وفى الابن يختفى الأب وروح القدس وفى روح القدس يختفى الأب والإبن .

(٣٩) سقطت العبارة من قوله : [ذلك الفرد إلى ولا بعض] فى (أ ، ب) .

(٤٠) فى (أ ، ب) [فالكل] .

(٤١) أى واحد يراد به الفرد كذلك ، لأن العدد إنما يتركب من آحاد يضاف بعضها إلى بعض .

(٤٢) فى (أ ، ب) [لم يوجد] .

(٤٣) فى (أ ، ب) [فى] بدلا من [ذا] .

فقالت اليعقوبية : كاتحاد الماء يلقى فى الخمر فيصيران شيئًا واحدًا[٤٤].

وقالت النسطورية : كاتحاد الماء يلقى فى الزيت فكل واحدٍ منهما باق بحسبه[٤٥].

وقالت الملكية : كاتحاد النار فى الصفيحة المحماة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكل هذا فى غاية الفساد .

أول ذلك : أنها دعاوى لا يعجز عن مثلها متحامق ، وليس فى إنجليهم شىء من هذه الأقسام[٤٦].

والثانى : أنها كلها محال ، لأن قول الملكية فى تمثيلهم بما مثلوا إنما هو عرض فى جوهر لا يجوز ولا يمكن إلا من عرض فى جوهر[٤٧] ولا يتوهم غير ذلك ، فالإله على قولهم عرض ، والإنسان جوهر وهذا فى غاية الفساد[٤٨].

وقول اليعقوبية : أفسد ، لأننا نقول لهم إن كان استحال الإله إنسانًا ، فالمسيح إنسان وليس إلهًا ، وإن كان الإنسان استحال إلهًا ، فالمسيح إله وليس بإنسان ، وإن كان كلاهما لم يستحل واحد منهما إلى الآخر فهذا قول النسطورية لا قولهم . وإن كان كل واحد منهما استحال إلى الآخر فقد صار الإله إنسانا لا إلهًا ، وصار الإنسان إلهًا لا إنسانًا ، وحصلوا بعد هذا الحمق على قول النسطورية ولا مزيد . وإن كانا استحالا إلى غير الإنسان والإله ، فالمسيح لا إله ولا إنسان ، وكل هذا خلاف قولهم .

وأما قول[٤٩] النسطورية : فلم يزيدوا على أن قالوا : إن الإنسان إنسان ، والإله إله . وهكذا كل فاضل وفاسق فى العالم هو إنسان والإله إله ، فالمسيح وغيره من الناس سواء .

وأيضًا فإنَّ ما قالوا محال ، لأن البارى عزَّ وجل[٥٠] الذى لم يزل لا يستحيل إلى طبيعة الإنسان المحدث ، ولا يستحيل المحدث إلها لم يزل ، وهذا محال بذاته لا يتشكل[٥١] وكذلك

---

(٤٤) لأن الخمر يمتزج بالماء ويخالطه ، فيصيران معاً شيئاً واحداً ، لا يمكن فصلهما إلا بعملية كيميائية .

(٤٥) والماء والزيت لا يمتزجان أبداً ، حيث يطفو الزيت فوق الماء ولا يتخلّله .

(٤٦) بل إن الأناجيل الأربعة التى فى أيديهم لم تذكر على لسان المسيح أو حوارييه أكثر من أنه رسول من عند الله ، وكان المسيح يقول عن نفسه أنه ابن الانسان ، وكان أتباعه يقولون له : يا معلم . ففى إنجيل لوقا : وسأله رئيس قائلا : أيها المعلم الصالح : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله (الإصحاح الثانى عشر) .

(٤٧) العبارة من [لا يجوز ولا يمكن إلى جوهر] غير مذكورة فى (أ ، ب) .

(٤٨) لأنهم يقولون إن الله اتحد فى الإنسان كاتحاد النار فى الصفيحة المحماة ، والصفيحة جوهر وما اتصل بالحديدة من حرّ النار هو عرض .

(٤٩) كلمة [قول] سقطت من (أ ، ب) .

(٥٠) كلمة [البارى عز وجل] ليست مذكورة فى (أ ، ب) .

(٥١) فى (أ ، ب) [وهذا محال بذاته ممتنع لا يتشكك] .

الإنسان : لا يجاور الإله مجاورة مكانية ؛ لأنه محال أيضًا ، وكذا لا يتوهم ولا يمكن أن يكون الإله عرضًا يحمله جوهر الإنسان .

ولا يمكن أيضًا[٥٢] أن يكون الإنسان عرضًا يحمله الإله فى ذاته ، كما تدعى الملكية من[٥٣] تشبيه ذلك الاتحاد بضوء الشمس فى البيت ، وبالنار فى الحديدة المحماة ، فقد صح أنَّ كل ما قالوا محال وباطل وسخف لا يقبله إلَّا مخذول .

ولا يمكنهم ادعاء وجود شيء من هذا فى كتب الأنبياء أصلًا .

وأيضًا فإنهم يضيفون إلى ذكرهم الأب ، والإبن وروح القدس شيئًا رابعًا وهو الكلمة ، وهى المتحدة عندهم بالإنسان ، الملتحمة فى مشيمة مريم عليها السلام . فإنَّ أمانتهم التى اتفقوا عليها كلهم هى كما نورده نصًا : « نؤمن بالله الأب مالك كل شيءٍ ، صانع ما يرى وما لايرى ، وبالرَّب الواحد يسوع المسيح ، بكر الخلائق كلها ، وليس بمصنوع « الإله حق من الإله حق[٥٤]» من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت[٥٥] العوالم كلها وخلق كل شيء ، الذى من أجلنا معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وصار إنسانا ، وولد من مريم البتول ، وألم[٥٦] وصلب أيام « **قيطوش بلاطش**[٥٧]»، ودفن وقام فى اليوم الثالث ، كما هو مكتوب ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين الأب ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد ، روح الحق الذى هو مشتق من أبيه روح محبة ، وبمعمودية[٥٨] واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة قدسية **سليحية جاثليقية** ، وبقيامة أبداننا ، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين .

وقال فى أول إنجيل « يوحنا التلميذ » : « فى البدء كانت الكلمة ، والكلمة عند الله ، والله كان الكلمة[٥٩]» .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : فهذه أقوال إذا تأملها ذو عقل علم أنها وساوس ،

---

(٥٢) سقطت كلمة [أيضا] فى النسخة (أ) وذكرت فى (ب) .
(٥٣) فى (أ ، ب) [فى] .
(٥٤) الذى عند النصارى فى صلاتهم : « إله حق من إله حق » .
(٥٥) فى (أ) : [انقنت] بالنون .
(٥٦) الذى عند النصارى فى صلاتهم : « وتألم » .
(٥٧) « بيلاطس » هو الحاكم الرومانى على اليهودية ، وهو الذى قدم إليه اليهود المسيح ليحاكمه فلما رأى بيلاطس أن المسيح لم يفعل شيئاً يمسّ سلطان الحاكم قال لليهود حاكموه أنتم حسب شريعتكم ، وجاء بطشت فيه ، وغسل يديه ، وقال أنا برىء من دم هذا البار ، فقال اليهود : دمه علينا وعلى أبنائنا (انجيل متى : الاصحاح :٢٧) .
(٥٨) فى (أ) [وبمعبودية] .
(٥٩) الذى فى إنجيل يوحنا : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » (الإصحاح الأول) .

أو جنون ملقًى من الشيطان لا يمتحن به إلَّا مخذول مشهودٌ له ببراءة الله تعالى منه .

ويقال لهم : الكلمة هى الأب ، أو الإبن أو روح القدس(٦٠)؟ أم شيء رابع ؟

فإن قالوا : شيء رابع . فقد خرجوا عن التثليث إلى التربيع .

وإن قالوا : إنها أحد الثلاثة . سئلوا عن الدليل على ذلك ؛ إذ الدعوى لا يعجز عنها أحد .

ثم يقال لهم : الأب هو الإبن أم هو غيره ؟

فإن قالوا : هو غيره . سئلوا أيضًا :

من الملتحم فى مشيمة مريم ، المتحد مع طبيعة المسيح ، الأب أم الإبن ؟ فإن قالوا : الإبن . فقد بطل أن يكون هو الأب .

وخالفوا « يوحنا(٦١) » إذ يقول فى أول إنجيله : إن الكلمة هى الله والتحمت(٦٢). فإذا كانت هى الله ، والكلمة التحمت فى مشيمة مريم فالله تعالى هو نفسه التحم فى مشيمة مريم فعلى هذا فالأب والإبن والكلمة كلهم التحموا فى مشيمة مريم(٦٣) وفى أمانتهم : أن الإبن هو الذى التحم فى مشيمة مريم .

وهذه وساوس لا نظير لها .

ويقال لهم أيضًا : هل معنى التحم إلَّا صار لحمًا ؟ وهذا غير قول النسطورية والملكية .

وإن قالوا : بل الأب ، فقد بطل أن يكون هو الإبن ، وخالفوا « يوحنا » والأمانة .

وإن قالوا : هو الأب وهو الإبن . تركوا قولهم : إن الإبن يقعد عن يمين أبيه ، وأن الأب يعلم وقت القيامة ، والإبن لا يعلمها ، وقولهم فى إنجيل « يوحنا » : الأب فوّض الأمر إلى ابنه(٦٤)، والأب أكبر من الإبن ، فهذه نصوص على أن الإبن غير الأب ، إذ لا يقعد المرء عن يمين نفسه ، ولا يفوض الأمر إلى نفسه ، ولا يجهل ما يعلم ، وهذا كله يبطل قولهم : إن الإبن هو العلم والقدرة

---

(٦٠) فى (ب) : [الكلمة هى أو الأب ، الإبن ، أو روح القدس] .

(٦١) يوحنا : ولد فى بيت « صيدا » من أعمال الجليل ، وكان المسيح يحبه ، وقد لبث يبشر بالمسيحية حتى توفى شيخا ، وفى أواخر أيامه ضعف وعجز عن الوعظ فلم يجد ما يقوله لسامعيه ، وكتب إنجيله ورسائله الثلاث ، وسفر الرؤيا باللغة اليونانية . [هامش الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٧] .

(٦٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [والتحمت] .

(٦٣) سقطت العبارة من أول [فعلى هذا إلى مريم] من (أ ، ب) .

(٦٤) فى إنجيل يوحنا ، على لسان المسيح : « إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل ، فان لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال ، لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ ، وأنا فيه » .

أو غير ذلك . لأن هذه الصفات لا تقعد عن يمين حاملة ، ولا يفوّض إليها شىء .

وإن قالوا : لا هو هو ، ولا[٦٥] هو غيره – دخل عليهم من الجنون ما يدخل على من ادّعى أنَّ الصفات لا هى الموصوف ولا هى غيره .

وإن قالوا : الأب هو الإبن وهو غيره – لم يكن ذلك ببدع من سخافاتهم وخروجهم عن المعقول ، ولزمهم أن الإبن ابن لنفسه ، وأب لنفسه ، وأن الأب أب لنفسه وابن لنفسه ، وليس فى الحمق والهوس أكثر من هذا . ولا متعلق لهم بشىء مما فى « **الزبور**[٦٦] » ، ولا فى كتاب « **شعياء**[٦٧] » وغيره ، لأنه ليس فى شىءٍ منها أن المراد بما ذكر هنالك هو عيسى ابن مريم عليهما السلام .

وقد قال « لوقا[٦٨] » فى آخر إنجيله : « إنه كان نبيًّا مقتدرًا عبد الله[٦٩] » ، وهذا كله بيِّن عظيم مناقضتهم ، وما توفيقنا إلا بالله عزَّ وجل .

فإن تعلقوا بما فى الإنجيل من ذكر المسيح أنه ابن الله ، قيل لهم : فى الإنجيل أيضًا : أبى وأبيكم الله ، « إلهى وإلهكم » ، وأمرهم إذا دعَوْا أن يقولوا : يا أبانا السماوى ، فله من ذلك كالذى لهم ولا فرق .

فإن قالوا : إنه أتى بالعجائب . قيل لهم : **والحواريون**[٧٠] أيضًا عندكم أتوا بالعجائب ، وموسى قبله « **وإلياس**[٧١] » وسائر الأنبياء عليهم السلام قد أتوا بمثل ما أتى به من إحياء الموتى وغيره ، فأى فرق بينه وبينهم .

---

(٦٥) فى النسخة (ب) : [وإلّا] .

(٦٦) الزبور : كتاب الله المنزل على داود : عرفت الكلمة فى الشعر الجاهلى ، وورد ذكره فى القرآن غير مرة ، ويطلق عليه المفسرون أيضا اسم « مزامير داود » المعروفة لدى اليهود والمسيحيين . عرفت له ترجمة عربية فى تاريخ مبكر من القرن السادس الميلادى ، بذكر الكندى أجزاء منه فى رسالته (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٦٧) اشعياء بن آموص ، صاحب أحد الأسفار الملحقة بالتوراة . ويقع فى ستة وستين إصحاحاً ، وهو عبارة عن رُؤى رآها ، وتنبؤات تنبأ بها ، وفيها وعيد لبنى إسرائيل بما يحل بهم من غضب الله وقد عاصر ملوك اليهود : عُزّيا ، ويوثام ، وآحاز ، وحِزْقَيا .

(٦٨) لوقا : ولد فى أنطاكية ودرس الطب ومارسه بنجاح ، ورافق « بولس » فى أسفاره وشاركه فى أعماله ، وهو كاتب سفر أعمال الرسل ، قتل فى حكم نيرون سنة ٧٠ م وكتب إنجيله باليونانية (هامش الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٦) .

(٦٩) النص كما فى انجيل لوقا : « يسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبيا مقتدرًا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب ٢٤ / ٢٠ » .

(٧٠) الحواريون : وهم اثنا عشر حواريا تتلمذوا للمسيح عليه السلام ، وهم : بطرس الذى اسمه سمعان ، وقد غيره المسيح وسماه بطرس ، واندراوس أخو بطرس ، ويعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه ، و « فيلبس » و « برثوكاوس » و « توما » و « متى العشار » و « يعقوب » بن خَلْفَى الملقب « تَدَّاوس » ، و « سمعان » القانَوِىّ ، و « يهوذا الاسخريوطى » الذى يقال إنه دل اليهود على المسيح ليلة أن قبضوا على المسيح ليحاكموه . وقد جاء ذكر الحواريين فى القرآن الكريم : (أنظر سورة المائدة : ١١٢ ، وسورة الصف : آخر آية فيها) .

(٧١) إلياس عليه السلام من أنبياء الله الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم ، وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام (انظر سورة الأنعام : ٨٥ ، وسورة الصافات : ١٢٣) .

على أنه ليس فى شيء من الإنجيل نص الأمانة[٧٢] التى لا يصح الإيمان عندهم إلّا بها من ذكر أب وابن وروح القدس معًا وسائر ما فيها . وإنما هى تقليد لأسلافهم من الأساقفة ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأمانتهم التى ذكروا أنهم متفقون عليها موجبة أن الإبن هو الذى نزل من السماء وتجسّد من روح القدس ، وصار إنسانًا ، وقتل وصلب ، فيقال لهم : هذا الإبن الذى فى أمانتكم أنه نزل من السماء وتجسّد من روح القدس ، وصار إنسانًا ، أخبرونا قبل أن ينزل من السماء أمخلوقًا كان أو غير مخلوق ؟ أم كان لم يزل ، فإن قالوا : كان مخلوقًا . فقد تركوا قولهم : لاسيما إن قالوا : إنه ليس هو غير الأب . بل يصير الأب وروح القدس مخلوقين .

وإن قالوا : كان قبل أن ينزل غير مخلوق . قيل لهم : فقد صار مخلوقًا إنسانًا . وهذا محال وتناقض .

وأيضًا فقد لزم من هذا أن الإبن مخلوق ، وروح القدس مخلوق ، إذ صار إنسانًا ، ثم يقال لهم : أخبرونا عن هذا الإبن الذى أخبرتم عنه بما لم تخبروا عن الأب ، والذى يقعد عندكم عن يمين أبيه[٧٣]، ثم ينزل لفصل القضاء[٧٤] أله علم وحياة أم لا علم له ولا حياة .

فإن قالوا : لا علم له ولا حياة ، فارقوا إجماعهم ، ولزمهم ضرورة إنْ قالوا مع ذلك إنه غير الأب الذى له حياة وعلم ، إذ ما لا علم له هو بلا شك غير الذى له علم ، والذى لا حياة له هو بلا شك غير الذى له حياة . وهذا ترك منهم للنصرانية .

وإن قالوا : بل له علم وحياة لزمهم أن الأزليين خمسة . الأب وعلمه وحياته ، والإبن الذى هو علم الأب وعلمه وحياته ، وهكذا يسألون أيضًا عن روح القدس ، ولا فرق .

وقد قال « يوحنا » فى أول إنجيله : فمن تقبله منهم وآمن به أعطاهم سلطانًا أن يكونوا أولاد الله ، أولئك المؤمنون باسمه الذين لم يتوالدوا من دم ولا شهوة اللحم ، ولا باه رجل ، ولكن توالدوا من الله[٧٥].

---

(٧٢) الأمانة : هى أشبه بشهادة التوحيد عند المسلمين ، وهى ليست فى الأناجيل الأربعة ، وإنما هى من تلفيقات رجال الكنيسة ، وقد ذكر المؤلف نصها فى ص ٩٥ من هذه المسوّدة .

(٧٣) فى (أ ، ب) [عن يمين الرب] .

(٧٤) فى إنجيل متى على لسان المسيح : « وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء ، (الإصحاح : ٢٦) .. وفى إنجيل متى أيضا وعلى لسان المسيح : « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيضم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره ... » (الإصحاح : ٢٥) .

(٧٥) الذى فى إنجيل « يوحنا » على لسان المسيح ، وهو يتحدث عن نفسه : « وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يكونوا أولاد الله ، أى المؤمنون به ، الذين ولدوا ليس من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل ، بل من الله » (الاصحاح الأول : ١٣)

فصح بهذا أن لكل نصرانى من ولادة الله والأزلية[٧٦]، والكون من جوهر الأب كالذى للمسيح سواء بسواء . ولا فرق .

وإلّا فقد كذب « يوحنا » اللعين قائل هذا الكفر ، وأهل الكذب هو . وهذا ما لا انفكاك منه .

وهذا يلزم الأشعرية الذين يقولون بأن علم الله تعالى وقدرته هما غير الله . تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

وممّا يعترض به علينا اليهود والنصارى ومن ذهب إلى إسقاط **الكواف**[٧٧] من سائر الملحدين : أن قال قائلهم : قد نقلت اليهود والنصارى أن المسيح عليه السلام قد صلب وقتل ، وجاء القرآن بأنه ﷺ لم يقتل ولم يصلب . فقولوا لنا كيف كان هذا ؟

فإن جوّزتم على هذه الكواف العظام المختلفة الأهواء والأديان والأزمان ، والبلدان والأجناس نقل الباطل ، فليست بذلك أولى من كافتكم التى نقلت أعلام نبيكم وشرائعه وكتابه .

فإن قلتم[٧٨]: اشتبه عليهم ، فلم يتعمدوا[٧٩] نقل الباطل ، فقد جوّزتم التلبيس على الكواف ، فلعل كافتكم أيضًا ملتبس عليها . فليس سائر الكواف أولى بذلك من كافتكم .

وقولوا لنا[٨٠]: كيف فرض الإقرار بصلب المسيح عندكم قبل ورود الخبر عليكم ببطلان صلبه وقتله . فإن قلتم كان الفرض على الناس الإقرار بصلبه – وجب من قولكم : الإقرار[٨١] أن الله تعالى فرض على الناس الإقرار بالباطل ، وأن الله تعالى فرض على الناس تصديق الباطل والتدين به ، وفى هذا ما فيه .

وإن قلتم كان الفرض عليكم الإنكار لصلبه ، فقد أوجبتم أن الله تعالى فرض على الناس تكذيب الكواف ، وفى هذا إبطال قول كافتكم ، بل إبطال جميع الشرائع ، بل إبطال كل خبر كان فى العالم عن كل بلد وملك ونبى وفيلسوف وعالم ووقعتم – وفى هذا ما فيه .

---

(٧٦) (هكذا فى الأصل . وأرجح أن تكون [كل] بدون لام الجر) المعنى أن لكل نصرانى نسبة الولادة من الله والأزلية والكون من جوهر الأب ...

(٧٧) الكوافّ : جمع للكافة ، أى الغالبية العظمى فى الناس ، والمراد بإسقاط الكواف إسقاط أخبارهم ، وعدم الأخذ بها ، وهذا ما يقضى العقل ببطلانه ، لأن إجماع الناس على خبر واحد ، مع اختلاف مذاهبهم وأوطانهم وأزمانهم يقضى بصحة هذا الخبر .

(٧٨) خطاب من اليهود والنصارى فى الاحتجاج على المؤمنين .

(٧٩) فى النسخة (أ) [فلم يعتمدوا] .

(٨٠) خطاب من اليهود والنصارى أيضًا فى الاحتجاج على المؤمنين .

(٨١) « الإقرار » فاعل للفعل « وجب » وهى مذكورة فى (أ ، ب) ولم تذكر فى (خ) .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : هذه الإلزامات كلها فاسدة فى غاية الحوالة[٨٢] والاضمحلال بحمد الله تعالى . ونحن مبينون ذلك بالبراهين الضرورية بيانًا لا يخفى على من له أدنى فهم بحول الله تعالى وقوته .

فنقول وبالله التوفيق : إن صلب المسيح عليه السلام لم يقله قط كافَّةً ، ولا صحَّ بالخبر قط ؛ لأن الكافّة التى يلزم قبول نقلها هى : **إمَّا الجماعة التى** يوقن أنها لم تتواطأ[٨٣] لِتَنَابُذِ طرقهم[٨٤]، وعدم التقائهم ، وامتناع اتفاق خواطرهم على الخبر الذى نقلوه عن مشاهدة ، أو رجع إلى مشاهدة ولو كانوا اثنين فصاعدًا .

وإمّا أن يكون عدد كثير يمتنع منه الاتفاق فى الطبيعة على التمادى على سنن ما تواطئوا عليه ، فأخبروا بخبر شاهدوه ولم يختلفوا فيه ، فما نقله أحد أهل هاتين الصفتين عن مثل إحداهما وهكذا حتى يبلغ إلى مشاهدة ، فهذه صفة الكافة التى يلزم قبول نقلها ، ويضطر خبرها سامعها[٨٥] إلى تصديقه ، وسواء كانوا عدولًا أو فساقًا أو كفَّارًا وما عدا هذا من الخبر فليس كافة ، ولا يضطر سامعه إلى تصديقه ، وسواء أكانوا عدولًا أم غير عدول[٨٦] ولا يقطع[٨٧] على صحته إلا ببرهان . فلما صح ذلك نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح عليه السلام فوجدناه كواف عظيمة صادقة بلا شك فى نقلها جيلًا بعد جيل إلى الذين ادّعوا مشاهدة صلبه . فإنَّ هنالك تبدّلت الصفة ورجعت إلى شُرَطٍ مأمورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل[٨٨].

والنصارى مقرون[٨٩] بأنهم لم يقدموا على أخذه نهارًا خوف العامة ، وإنما أخذوه ليلًا عند افتراق الناس عن الفصح ، وأنه لم يبق فى الخشبة[٩٠] إلَّا ست ساعات من النهار ، وأنه أنزل إثر ذلك ، وأنه لم يصلب إلَّا فى مكان نازح عن المدينة فى بستان فخار متملك للفخار ، ليس موضعًا معروفًا بصلب من يصلب ولا موقوفًا لذلك ، وأنه بعد هذا كله رُشِىَ[٩١] الشُّرَط

---

(٨٢) الحوالة : أى الاستحالة .

(٨٣) فى النسخة (أ) تتوطأ .

(٨٤) أى لم يقع بينها تواطؤ على أمرٍ ما لاختلاف فى مذاهبهم فى هذا الأمر ، فإذا اجتمعوا جميعًا على قول واحدٍ فى أمرٍ ما – مع تفرق مذاهبهم – كان هذا الأمر أقرب إلى القبول والأخذ به .

(٨٥) لعل « سامعها » أن تكون « سامعه » أو « سامعيه » .

(٨٦) فى (أ ، ب) : سقطت العبارة من قوله : [وماعدا هذا – إلى – غير عدول] .

(٨٧) معنى يقطع هنا : يطعن أى ولا يطعن على صحة هذا الخبر إلا ببرهان .

(٨٨) أى أن نقل أخبار الصلب صحيحة ، ولكن المصدر الأول الذى نقل عنه هذا الخبر هو المطعون فيه ، إذ كان مرجعه إلى شرطة مجتمعين يمكن أن يتواطؤوا على الكذب وشهادة الزور ، فنقل عنهم هذا الزور .

(٨٩) فى (أ) : يقرّون .

(٩٠) أى خشبة الصلب التى قيل إنه صلب عليها .

(٩١) أى قدمت لهم رشوة فحُملوا على أن يقولوا إن أهله سرقوه .

على أن يقولوا إن أصحابه سرقوه ففعلوا ذلك ، وأن **مريم المجدلانية**[٩٢] وهى امرأة من العامة[٩٣] لم تقدم على حضور[٩٤] موضع صلبه ، بل كانت واقفة على بعد تنظر ، هذا كله فى نص الإنجيل عندهم[٩٥] فبطل أن يكون صلبه منقولًا بكافة ، بل بخبر يشهد ظاهره على أنه مكتوم متواطأ عليه .. وما كان الحواريون ليلتذ بنص الإنجيل إلا خائفين على أنفسهم ، غُيَّبًا عن ذلك المشهد ، هاربين بأرواحهم مستترين[٩٦]. وأنَّ « **شمعون**[٩٧] **الصفا** » غرَّر ودخل دار « **قيقان** » الكاهن أيضًا بضوء النهار فقال له : أنت من أصحابه فانتفى وجحد ، وخرج هاربًا عن الدار . فبطل أن ينقل خبرَ صلبه أحدٌ تطيب النّفس عليه على أن تظن[٩٨] به الصدق . فكيف أن ينقله كافة . وهذا معنى قوله تعالى : « ولكن شُبِّه لهم[٩٩]» . إنما عنى بذلك تعالى[١٠٠]: أنّ أولئك الفساق الذين دبّروا هذا الباطل وتواطئوا عليه ، هم شبهوا على من قلّدهم . فأخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه وهم كاذبون فى ذلك ، عالمون أنهم كذبة . ولو أمكن أن يشبه ذلك على ذى حاسة سليمة لبطلت النبوات كلها ، إذ لعلها شبهت على الحواس السليمة[١٠١] ولو[١٠٢] أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها ، ولأمكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل ويلبس ، وفيمن يجالس ، وفى حيث هو[١٠٣] فلعله نائم أو مشبه على حواسه . وفى هذا خروج إلى السخف ، وقول السفسطائية والحماقة .

وقد شاهدنا نحن مثل ذلك ، وذلك أننا أندرنا[١٠٤] للجبل لحضور دفن المؤيد هشام ابن الحكم المستنصر فرأيت أنا وغيرى نعشا فيه شخص مكفن ، وقد شاهد غسله رجلان شيخان

---

(٩٢) مريم المجدلية : قديسة مسيحية ، من أوائل من رأين المسيح عند قيامه من الأموات كما فى إنجيل متى ٢٧ : ٥٦ - ٦١ ، وإنجيل مرقس ١٥ : ٤٧ ، ١٦ . وإنجيل لوقا : ٨ ، ٢ ، ٢٤ . وإنجيل يوحنا ٢٩ / ٢٥ ، ٣٠ . شفاها المسيح من مرضها وكانت بالقرب منه عند صلبه ، أجمعت الآثار على أنها المرأة الزانية التائبة التى مسحت قدمى يسوع بالعطر (لوقا ٢ / ٣٦ - ٥٠) يرمز بها للتوبة ، ومن هنا صار اسم المجدلية ، كانت قصتها باعثة على رسم لوحات فنية ممتازة . (راجع الموسوعة العربية الميسرة - ص ١٦٩٠ - إشراف محمد شفيق غربال - القاهرة - دار القلم ١٩٥٩ م) .

(٩٣) فى (أ) سقطت « لم » .

(٩٤) فى (أ) (حضورمه) .

(٩٥) الذى فى إنجيل مرقس : « وكانت أيضًا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ، ويُوسِى وسالومة ، اللواتى أيضًا تبعنه وخدمنه حين كان فى الجليل (الإصحاح ١٥ / ٤١ ، ٤٢) .

(٩٦) فى إنجيل متى خبر عن بطرس - أحد الحواريين - حين أخذ المسيح للمحاكمة ، وهذا الخبر يقول : « وأما بطرس فكان جالسا خارج الدار - دار رئيس الكهنة - الذى يحاكم المسيح فجاءته جارية وقالت : وأنت كنت مع يسوع الجليلى فأنكر ذلك قدّام الجميع وقال : لا أعرف ما تقولين » (إنجيل متى - إصحاح ٢٦) .

(٩٧) شمعون الصفا : هو أحد الحواريين الإثنى عشر ، واسمه سَمْعان ، وقد سماه المسيح بطرس .

(٩٨) فى (ب) : « نظن » بالنون بدلًا من التاء .

(٩٩) الآية : ١٥٧ من سورة النساء .

(١٠٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « بذلك » .

(١٠١) فى (أ) [السلمية] .

(١٠٢) سقطت [الواو] فى (أ) .

(١٠٣) أى فى وجوده ذاته .

(١٠٤) لعلها أتينا للجبل . وفى (خ) [انذرنا الجفل] .

جليلان حكيمان من حكام المسلمين ، ومن عدول القضاة في بيت ، وخارجَ البيت أبي رحمه الله وجماعة عظماء البلد ، ثم صلينا في ألوف من الناس عليه . ثم لم يلبث إلّا[١٠٥] شهورًا نحو السبعة حتى ظهر حيًّا ، وبويع بعد ذلك بالخلافة . ودخلت عليه أنا وغيرى وجلست بين يديه ورأيته ، وبقى ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأما قوله[١٠٦] قد جوزتم التمويه على الكافة فقد بينا أنها لم تكن كافة قط ، وحتى لو صح أنها كانت[١٠٧] كافة فكيف[١٠٨] لا يجوز ذلك فى كل آية تحيل الطبائع والحواس ؟ فهو ضرورة لا يحمل على الممكنات ، فلو صحّ أنها كانت كافة لكان خبر الله تعالى إنه شُبِّه لهم حاكماً على حواسهم ومحيلًا لها كخروج النبى ﷺ ليلة هاجر بحضرة مائة رجل من قريش ، وقد حجب الله سبحانه أبصارهم عنه فلم يروه .

وأما ما لم يأت خبر عن الله عزَّ وجل بأنه شُبِّه على الكافة فلا يجوز أن يقال ذلك[١٠٩] لأنه قطع بالمحال[١١٠]، وإحالة طبيعة ، وإحالة الطبائع لا تدخل فى الممكن إلا أن يأتى بذلك يقين عن الله عزَّ وجل فيلزم قبوله .

وأمّا التشبيه على الواحد والاثنين ونحو ذلك فإنه جائز ، وكذلك فَقدُ العقل والسخافةُ يجوز ذلك على الواحد والاثنين ونحو ذلك ، ولا يجوز على الجماعة كلها .

وقوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم[١١١]» إنما هو إخبار عن الذين يقولون بتقليد أسلافهم[١١٢] من النصارى واليهود : أنه عليه السلام قتل وصلب ، فهؤلاء شُبِّه لهم القول أى أُدخلوا فى شبهة منه . وكان المشبهون لهم شيوخ السوء فى ذلك الوقت وشُرَطهم المدَّعون لهم[١١٣] أنهم قتلوه وصلبوه وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك ، وإنما أَخذوا من أمكنهم فقتلوه ، وصلبوه فى استتار ومنع من حضور الناس ، ثم أنزلوه ودفنوه تمويهًا على العامة الذين شُبِّه لهم الخبر[١١٤].

---

(١٠٥) سقطت إلّا فى النسخة (أ) .

(١٠٦) الأصح أن تكون اللفظة « قولهم » أى اليهود والنصارى الذين هم أصحاب هذا الحجاج .

(١٠٧) سقطت كلمة [كانت] من (أ ، ب) .

(١٠٨) فى (خ) [ولا يجوز ذلك] بغير كلمة [فكيف] .

(١٠٩) المعنى أنّ هذا الخبر بصلب المسيح الذى تواردت عليه الكافة ، فإنه قد يكون موضع تصديق ما لم يأت خبر من الله تعالى بأنه شبه على الكافة .

(١١٠) فى (أ ، ب) [على المحال] .

(١١١) النساء : ١٥٧ .

(١١٢) فى (أ ، ب) [تقليدًا لأسلافهم] .

(١١٣) سقطت [لهم] فى (أ ، ب) .

(١١٤) فى (أ ، ب) [التى تشبه الخبر لها] وقصة صلب المسيح كما وردت فى الأناجيل تقطع بأن الذى صلب لم يكن المسيح ، لأن هذا الذى صلب على أنه المسيح ، كان قد صلب بين لصين ، وكان يصرخ فى جزع شديد ، حتى إن اللصين كانا يتهكمان عليه ويسخران منه . ! ففى إنجيل مرقس : « وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : أَلُوِى ، أَلُوِى لماذا سبقتنى ، الذى تفسيره : إِلَهى إِلَهى =

ثم نقول لليهود والنصارى بعد أن بينا بحول الله وقوته فساد ما شغبوا به[١١٥] فى هذه المسألة : إنَّ كوافّكم قد نقلت عن بعض أنبيائكم فسوقًا ووطء إماء وهو حرام عندكم ، وعن هارون عليه السلام : أنه هو الذى عمل العجل لبنى إسرائيل وأمرهم بعبادته والرقص أمامه[١١٦]، وقد نزه الله تعالى الأنبياء عليهم السلام عن عبادة غيره ، وعن الأمر بذلك ، وعن كل معصية ورذيلة ، فإذا جوَّزوا كلهم هذا على أنبياء منهم موسى عليه السلام وسائر الأنبياء كان كل ما أمروهم به من جنس عمل العجل والرقص والأمر بعبادته ، ومن جنس وطء الإماء وسائر ما نسبوه إلى داود وسليمان عليهما السلام ، وسائر أنبيائهم لا سيما وهم يقرون بأن العجل كان يخور بطبعه .

وأمّا نحن فجوابنا فى هذا كله بأن ليس شىء منه نقل كافة ، ولكن نقل آحاد كذبوا فيه ، وأمّا[١١٧] خوار العجل فإنما هو على ما روينا عن **ابن عباس**[١١٨] رضى الله عنه من أنه إنما كان صفير الريح تدخل من فيه وتخرج من دبره ، لا أنه خار بطبعه قط ، وحتى لو صح أنه خار بطبعه لكان ذلك من أجل القوة التى كانت فى القبضة التى قبضها **السامرى**[١١٩] من أثر جبريل عليه السلام ، والذى يعتمد عليه قول ابن عباس رضى الله عنه الذى ذكرناه[١٢٠]، وبالله تعالى التوفيق .

وأمّا قوله : كيف كان الغرض قبل ورود النص ببطلان صلبه ؟ الإقرار بصلبه أم الإنكار له ؟

= لماذا تركتنى ؟ » (الإصحاح الخامس عشر :٢٤) وفى إنجيل متى مثل هذا النص (الإصحاح السابع والعشرون : ٤٥) .. أفهذا الجزع والصراخ يكون ممن أقاموه إلّها ، أو ابن إلّه ؟ إن كثيرا من الشهداء استقبلوا الموت فرحين مستبشرين .

(١١٥) فى (أ ، ب) [بيان ما شنعوه] .

(١١٦) فى التوراة جاء هذا النص : « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل - حيث كان فى ميقات ربه - اجتمع الشعب على هرون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنع عجلًا مباركا ، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك مصر ... » (سفر الخروج : ٣٢) .

(١١٧) فى (أ) « حوار » بالحاء المهملة .

(١١٨) ابن عباس (٣ هـ - ٦٨ هـ) : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمي أبو العباس حبر الأمة الصحابى الجليل ، ولد بمكة ونشأ فى بدء عصر النبوة ، وشهد مع الإمام على موقعة الجمل وصفين ، وكف بصره فى آخر عمره فسكن الطائف ، وتوفى بها . له فى الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا . ينسب إليه كتاب فى التفسير ، جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه فى كل آية ، فجاء تفسيرًا حسنا وأخباره كثيرة (معجم الأدباء جـ ٤ ص ٢٢٨) .

(١١٩) السامرى : إسرائيلى أضل قومه فى غياب موسى ، فقد أمرهم أن يقذفوا بحليهم فى النار ، وأخرج لهم عجلًا جسدًا من ذهب عبدوه برغم تحذير هارون عليه السلام لهم (الموسوعة العربية الميسرة) . وفى هذا يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام : « قالَ فما خطبك يا سامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى » (طه : ٩٥ ، ٩٦) . وقبل هذا يقول الله تعالى : « قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ، ولكنا حملنا أوزارًا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار ، فقالوا هذا إلٰهكم وإله موسى فنسى » (طه : ٨٧ ، ٨٨) .

(١٢٠) وهذا الخبر ذكره ابن كثير فى تفسيره بسنده حـ ٣ : ١٦٢ ، وذكره القرطبى أيضاً فى تفسيره حـ ٢٣٥/١١ .

فهذه قسمة فاسدة شغبية قد حذَّر منها الأوائل كثيرًا ، ونبه عليها أهل المعرفة بحدود الكلام ، وذلك أنهم أوجبوا فرضًا ثم قسموه على قسمين : إمَّا فرض بإنكار وإمّا فرض بإقرار ، وأضربوا عن القسم الصحيح فلم يذكروه ، وهذا لا يرضى به لنفسه إلَّا جاهل أو سخيف مغالط غابن لنفسه غاشٌ لمن اغتر به . وإنما الحقيقة هاهنا أن يقول :

هل لزم[١٢٠] الناس قبل ورود القرآن فرض بالإقرار بصلب المسيح أو بإنكار صلبه ، أو لم يلزمهم فرض بشيء من ذلك ؟

فهذه هي القسمة الثابتة من[١٢١] السؤال الصحيح .

وحق الجواب : أنه لم يلزم الناس قط قبل ورود القرآن فرض بشيء من ذلك لا بإقرار ولا بإنكار ، وإنما كان خبرًا لا يقطع العذر ولا يوجب العلم الضروري ، ممكن صدق قائله ، فقد قتل أنبياء كثيرة ، وممكن أن يكون ناقله كذب في ذلك ، وهو بمنزلة شيء مغيب في دار . فيقال لهذا المعرِّض بهذا السؤال الفاسد : ما الفرض على الناس فيما في هذا الدار ؟ الإقرار بأن فيها رجلًا أم الإنكار لذلك ؟ فهذا كله لا يلزم منه شيء ، ولم ينزل الله عزَّ وجل كتابًا قبل القرآن بفرض إقرار بصلب المسيح ﷺ ولا بإنكاره . وإنما لزم[١٢٢] الفرض بعد نزول القرآن بتكذيب الخبر بقتله وصلبه[١٢٣]. فإن قالوا : قد نقل الحواريون صلبه ، وهم أنبياء وعدول .

قيل لهم : وبالله التوفيق .

الناقلون لنبوتهم وإعلامهم ، ولقولهم بصلبه عليه السلام هم الناقلون عنهم الكذب في نسبه ، والقول بالتثليث الذى من قال به فهو كاذب على الله تعالى مفتر عليه كافر به .

فإن كان الناقل لذلك عنهم صادقًا ، أو كانوا كافة ، فما كان « يوحنا » و« متّى[١٢٤]» و« بولس » إلَّا كفارًا كاذبين . وما كانوا قط من صالحي الحواريين[١٢٥].

وإن كان ناقل ما ذكرنا عنهم كاذبًا فالكاذب لا يقوم بنقله حجة . فبطل التمويه المتقدم . والحمد لله رب العالمين .

---

(١٢١) في (أ ، ب) [يلزم] .
(١٢٢) في (أ، ب) [الصحيحة والسؤال] .
(١٢٣) في النسخة (ب) [ألزم] .
(١٢٤) في (أ ، ب) [بصلبه] بدون كلمة [بقتله] .
(١٢٥) متّى : ويدعى « لاوى » بن « حلفى » من « خان الجليل » ، وكان من العاشرين (جباة العشور للدولة الرومانية) في « كفر ناحوم » من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها ، كان اليهود يحقرون تلك الوظيفة لظلم صاحبها وخضوعه لدولة أجنبية ، غير أن المسيح اختاره تلميذًا من تلاميذه ، ولما صعد المسيح جال للتبشير في بلاد كثيرة ، وقد قتل بإثيوبيا سنة ٦٢م وكتب إنجيله بالعبرية (راجع هامش الملل والنحل للشهرستاني في حـ ٢ ص ٣٦) .

طبيعة المسيح

وقال متكلموهم : إن الاتحاد المذكور إنما هو تقليد للإنجيل ، ولم يكن نقله ولا حركة ، ولا فارق البارى ولا العلم ما كانا عليه ولا انتقلا .

فيقال لهم : هذا إبطال للاتحاد ، وقول منكم بأن حظه وحظ غيره فى ذلك سواء وخلاف لأمانتكم التى فيها أن الإبن نزل من السماء ، وتجسّد وولد ، وقتل ودفن .

وقالت طائفة منهم : المسيح حجابٌ خاطبنا الله تعالى منه[١٢٦]:

فيقال لهم : أنتم تقولون إن المسيح رب معبود ، وإله خالق ، والحجاب عندكم مخلوق ، والمسيح عند بعضكم طبيعة واحدة ، وعند بعضكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتية . فأخبرونا أتعبدون الطبيعتين معًا اللاهوتية والناسوتية أم تعبدون إحداهما دون الأخرى ؟

فإن قالوا : نعبدهما جميعًا أقروا بأنهم يعبدون إنسانًا وحجابًا مخلوقًا مع الله تعالى . وهذا أقبح ما يكون من الشرك .

وإن قالوا : بل نعبد اللاهوت وحده قيل لهم فإنما تعبدون نصف المسيح لا كله لأنه طبيعتان عندكم[١٢٧] ولستم تعبدون الَّا إحداهما دون الأخرى .

وكذلك يسألون عن موت المسيح وصلبه ؟

فمن قول الملكية والنسطورية : إن الموت والصلب إنما وقع على الناسوت خاصة . فيقال لهم : فأنتم فى قولكم « مات المسيح وصلب » : كاذبون ، لأنه إنما مات نصفه فقط وصلب نصفه فقط ، لأن اسم المسيح عندكم واقع على اللاهوت والناسوت كليهما معًا لا على أحدهما دون الآخر .

وكل من قال من اليعقوبية : الإنسان والإله شيء واحد فإنه يلزمه أن يعبد إنسانًا لأنه إذا عبد الإله ، والإله هو الإنسان فقد عبد إنسانًا وربه إنسان مخلوق .

وكل من قال منهم : الإله غير الإنسان فقد أبطل الاتحاد . وهكذا يقال لهم فى الحجاب

---

(١٢٦) لأن هذا المنقول عنهم وافتراه على الله كان الناقل عنهم صادقًا فيما نقل حكم عليهم بأنهم كذبة كفار . . وأما وهم الحواريون ، فإن الناقل عنهم كاذب . .

(١٢٧) فى (أ ، ب) [حجاب الله خاطبنا الله تعالى منه] .

مع الله تعالى سواء بسواء ، ويلزمهم جميعهم إذ قد أقروا بعبادة المسيح هكذا جملة ، وأنه رب خالق ، وفى الإنجيل إنه جاع وأكل الخبز والحيتان[١٢٨] وعرق ، وضُرب – أن ربهم أكل وجاع ، وأن الإله ضرب ولطم وصلب وكفى بهذا رذالة وفحش قول وبيان بطلان .

ويقال للملكية واليعقوبية القائلين : بأن المسيح ابن الله وابن مريم وقد أقررتم أن المسيح إنسان وإله ، فالإنسان هو ابن الله وابن مريم ، والإله هو ابن مريم وابن الله[١٢٩] وهذه غاية الشناعة .

فإن قالوا : ما تقولون فيما فى كتابكم : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحيا أو من وراء حجاب[١٣٠] ». وأنه تعالى كلم موسى من جانب **الطور**[١٣١] من الشجرة من شاطىء الوادى .

قلنا : التكليم فعل الله تعالى مخلوق ، والحجاب إنما هو للتكليم ، والتكليم هو الذى حدث فى الشجرة وشاطىء الوادى ، وجانب الطور ، وكل ذلك مخلوق محدث وكذلك تحوّل جبريل عليه السلام فى صورة **دحية**[١٣٢] إنما هو أن الله تعالى جعل للملائكة والجن قوى يتحولون بها فيما شاءوا من الصور ، وكلهم مخلوق تعاقب عليهم الأعراض بخلاف الله تعالى فى ذلك .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ووما يعترض به على النصارى – وإن كان ليس برهانًا ضروريًا لكنه يقرب من فهم كل ذى فهم ، وينقض عليهم به جميع شرائعهم نقضًا ضروريًا[١٣٣] على جميعهم لكنه برهان ضرورى على كل من تقلد منهم الشرائع التى يعمل بها الملكيون والنساطرة واليعاقبة والمارونية[١٣٤] – قاطع لهم ، وهى مسألة جرت لنا مع بعضهم ، وذلك أنهم لا يخلون من

---

(١٢٨) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [عندكم] .

(١٢٩) فى إنجيل لوقا : ولما كانت الساعة – اى المسيح – والإثنى عشر رسولًا معه ، وقال لهم – شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم » (الإصحاح : ٢٣) .

وفى إنجيل لوقا أيضًا أن المسيح بعد أن خرج فى اليوم الثالث من قبره – كما يزعمون – دخل على تلاميذه : « وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون ، قال لهم أعندكم ها هنا طعام ، فناولوه جزءاً من سمك مشوى وشيئًا من شهد عسل ، فأخذوا أكل قدامهم » (الإصحاح : ٢٤) .

(١٣٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « وابن الله » .

(١٣١) سورة الشورى : آية ٥١ .

(١٣٢) الطور : بلدة بمصر فى شبه جزيرة سيناء على خليج السويس جنوبى جبل موسى بها محجر صحى للحجاج . و « طور سينين » ورد ذكره فى القرآن ، وفى جوار جبل الطور حيث كلم الله موسى قبل أن يبعثه تعالى إلى فرعون . ويقوم « دير سانت كاترين على الجانب الشمالى من الجبل » [الآن جبل موسى] فى الوادى الذى يعرف فى الوقت الحاضر بجبل شعيب .

وقال الفلقشندى : إن الطور كانت أهم ثغر مصرى لسفن الحجيج إلى مكة حتى سنة ٤٥٠ هـ وهناك حلت محلها مدينة « عيذاب » ولم يصلح ثغر الطور إلا سنة ٧٨٠ هـ ، ومن ثم عاد الحجاج إلى اتخاذ الطريق الشمالى منه . (دائرة المعارف الإسلامية – مادة طور) .

وقد ورد ذلك فى سورة « مريم » حيث يقول الله تعالى : « وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا – مريم : ٥٢ » . وفى سورة القصص : « فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى : إلى أنا الله رب العالمين – آي٣٠) .

(١٣٣) دحية : هو الصحابى الجليل دحية الكلبى ، وكان جبريل عليه السلام يأتى النبى ﷺ فى صورة بشر ، على صورة دحية الكلبى .

(١٣٤) سقطت العبارة من أول [لكنه إلى ضروريا] من (أ ، ب) .

أحد وجهين ؛ إمّا أن يكونوا يقولون ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام ، وإمّا أن يقولوا بإمكانها بعده عليه السلام .

فإن قالوا بإمكان النبوة بعده عليه السلام لزمهم الإقرار بنبوة محمد ﷺ إذ ثبت نقل أعلامه بالكواف التى بمثلها نقلت أعلام عيسى وغيره عليهم الصلاة والسلام ، وإن قالوا ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام لزمهم ترك جميع شرائعهم من صلاتهم ، وتعظيمهم الأحد ، وصيامهم ، وامتناعهم من اللحم ومناكحهم ، وأعيادهم ، واستباحتهم الخنزير والميتة ، والدّم ، وترك الختان ، وتحريم النكاح على أصل المراتب[١٣٥] فى دينهم ، إذ كل ما ذكرنا ليس منه فى أناجيلهم الأربعة شيء ألبتة ، بل أناجيلهم مبطلة لكل ما هم عليه اليوم ، إذ فيها أنه عليه السلام قال : « لم آت لأغير شيئًا من شرائع التوارة[١٣٦] ». وأنه كان يلتزم هو وأصحابه بعده السبت ، وأعياد اليهود من الفصح وغيره[١٣٧]، بخلاف كل ما هم عليه اليوم ، فإذا منعوا من وجود النبوة بعده وكانت الشرائع لا تؤخذ إلّا عن الأنبياء عليهم السلام ، وإلّا فإنّ شارعها عن غير الأنبياء عليهم السلام حاكم على الله تعالى وهذا أعظم ما يكون من الشرك والكذب والسخف ، فشرائعهم التى هى دينهم غير مأخوذة عن نبى أصلًا فهى معاص مفتراة على الله عزّ وجل بيقين لا شك فيه . وبالله تعالى التوفيق[١٣٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا حين نبدأ بعون الله وتوفيقه وتأييده إن شاء الله لا إله إلّا هو فى تبيين أن الواحد ليس عددًا فنقول وبالله تعالى التوفيق .

« إن خاصة العدد هو أن يوجد عدد آخر مساو له ، وعدد آخر ليس مساويًا له ، هذا شيء لا يخلو منه عدد أصلًا » .

والمساواة هى : أن تكون أبعاضه كلها مساوية له إذا جزئت ، ألا ترى أن الفرد والفرد مساويان للاثنين ، وأن الزوج والفرد ليسا مساويين للزوج الذى هو الاثنان . والخمسة مساوية للاثنين والثلاثة ، غير مساوية للثلاثة وهكذا كل عدد فى العالم ، فهذا معنى قولنا : إن المساوى وغير المساوى هو خاصة العدد ، وهذه المساواة أردنا لا غيرها ، فلو كان للواحد أبعاض مساوية له لكان كثيرًا بلا شك ؛ لأن الواحد المطلق عل الحقيقة هو الذى ليس كثيرًا ، هذا ما لا شك فيه عند كل ذى حس سليم . وكان ما كان له أبعاض فهو مركب كثير[١٣٩] بلا شك ،

---

(١٣٥) فى (أ ، ب) [والمارقية] .

(١٣٦) فى (أ ، ب) [على أهل المراكب] .

(١٣٧) الذى فى إنجيل متى على لسان المسيح قوله : « ولا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لاكمّل » (الإصحاح الخامس : ١٧) .

(١٣٨) وذلك لأنه لم يكن للمسيح شريعة ، وإنما شريعته شريعة موسى عليه السلام ، وإنما جاء المسيح بوصايا وعظات ، ليخلص اليهود من كثير من الأدواء التى أصابتهم ، فرفضوه ليموتوا بدائهم .

(١٣٩) سقطت فى (أ ، ب) [وبالله تعالى التوفيق] .

فهو إذًا بالضرورة ليس واحدًا ، فالواحد ضرورة هو الذى لا أبعاض له ، فإذ لا شك فيه فالواحد الذى لا أبعاض له تساويه عددًا ، وهو الذى أردنا أن نبين ، وأيضًا فإن الحسّ وضرورة العقل يشهدان بوجود الواحد إذ لو لم يكن الواحد موجودًا لم يُقْدَر على عدد أصلًا ، إذ الواحد مبدأ[١٤٠] العدد والمعدود الذى لا يوصل إلى عدد ولا معدود إلّا بعد وجوده ، ولو لم يوجد الواحد لما وجد فى العالم عدد ولا معدود أصلًا ، والعالم كله أعداد ومعدودات موجودة ، فالواحد موجود ضرورة ، فلما نظرنا فى العالم كله نظرًا طبيعيًا ضروريًا لم نجد فيه واحدًا على الحقيقة البته بوجه من الوجوه ، لأن كل جرم من العام فمنقسم محتمل للتجزئة متكثر بالانقسام أبدًا بلا نهاية ، وكل حركة فهى أيضًا منقسمة بانقسام المتحرك بها والزمان حركة الفلك فهو منقسم بانقسام الفلك ، فكل مدة فمنقسمة أيضًا بانقسام المتحرك بها الذى هو المدة ، وكذلك كل معقول من جنس أو نوع أو فصل ، وكذلك كل عرض محمول فى جرم فإنه منقسم بانقسام حامله ، هذا أمر يعلم بضرورة العقل والمشاهدة ، وليس العالم كله شيئًا غير ما ذكرنا ، فصح ضرورة أنه ليس فى العالم واحد ألبتة .

وقد قدمنا ببرهان ضرورى آنفًا أنه لابدّ من وجود الواحد ، فإذ لابدّ من وجود الواحد[١٤١]، وليس هو فى شيء من العالم ألبتة ، فهو إذًا بالضرورة شيء غير العالم ، فإذ ذلك كذلك فالبضرورة التى لا محيد عنها فهو الواحد[١٤٢] الأول الخالق للعالم ، إذ ليس يوجد بالعقل ألبتة شيء غير العالم إلا خالقه ، فهو الواحد الأول الله لا إله إلّا هو الذى لا يتكثر ألبتة أصلًا لا بعدد ولا صفة ،، ولا بوجه من الوجوه ، ولا واحد سواه ألبتة ، ولا أول غيره أصلًا ، ولا مخترع فاعلًا خالقًا إلا هو وحده لا شريك له .

وإنما قلنا فى كل فرد فى العالم ، وهو الذى يسمى فى اللغة عند العد واحدًا على المجاز ، أنه كثير بمعنى أنه يحتمل أن يقسم ، وأن له مساحة كثيرة الأجزاء فإذا قسم ظهرت الكثرة فيه ، وأمّا ما لم يقسم فهو يعد فردًا حقيقيًا ، وقد ذكرنا برهان وجوب احتمال الانقسام لكل جزء فى العالم فى آخر كتابنا هذا ببراهين ضرورية لا محيد عنها ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : فما تقول فى الباء والتاء وسائر حروف الهجاء ؟ أليس كل واحد منها واحدًا لا ينقسم ؟ قيل له وبالله التوفيق : إنَّ هذا شغب ينبغى أن يتحفظ من مثله ؛ لأن الحرف

---

(١٤٠) سقطت فى (أ ، ب) كلمة [مركب] .
(١٤١) فى (خ) [منه] بدلا من [مبدأ] .
(١٤٢) فى (أ ، ب) سقطت [الواحد ،] .

إنما هو هواء يندفع من مخرج ذلك الحرف بعصر بعض آلات الصوت له من الرئة ، وأنابيب الصدر والحلق ، والحنك واللسان والأسنان والشفتين ، فإذ لا شك فى هذا فذلك الهواء المندفع جسم طويل عريض عميق ، فهو محتمل الانقسام ضرورة ، فذلك الهواء هو الحرف ، فالحروف هو جسم محتمل للقسمة ضرورة ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

الكلام على من يقول إن البارىء خلق العالم جملة كما هو بجميع أحواله بلا زمان

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : رأينا من يقر بالخالق تعالى ولا يقر بالنبوة ، ومن يذهب إلى ذلك ، وناظرناه على ذلك : فقلت : إنَّ الذى تقول ممكن فى قوة الله تعالى . والذى نقول نحن من أنه تعالى خلق من النوع الإنسانى[1] ذكرًا واحدًا وأنثى واحدة تناسل الناس كلهم منهما لا يمكنك إخراجه عن الإمكان[2]. فمن أين ملت إلى تلك الحيثية دون هذه ؟ فتردد ساعة فلما لم يجد دليلًا قال : فمن أين ملتم أنتم إلى هذه الحيثية دون تلك ؟ . فقلت لبراهين ضرورية توجب ما قلنا وتنفى ما قلتم .

منها : أنه لو كان ما قلتَ – لكان كل من [3] أخرجه الله تعالى حينئذ من العدم إلى الوجود ، من الشبان والشيوخ يعلمون ذلك ويحسونه من أنفسهم ، ويوقنون أنهم الآن به حدثوا ، وأنهم لم يكونوا قبل ذلك ، لكن حدثوا الآن فى حال توليهم لصناعاتهم وتجاراتهم وأعمالهم من حرث وحصاد ونسج وخياطة وخبز وطبخ وغير ذلك .

ولو كان هذا لنقلوه إلى أولادهم نقلا يقتضى لهم العلم الضرورى بذلك ولابد ، كما يقتضى العلم الضرورى كل نقل جاء بأقل من هذا المجىء مما كان قبلنا من الملوك والدول والوقائع ، ولبلغ الأمر إلينا كذلك ، ولعلمه جميع الناس علمًا ضروريًا ، لأن شيئًا ينقله جميع أهل الأرض عن مشاهدتهم له لا يمكن التشكك فيه أبدًا ، كما نقل طلوع الشمس وغروبها والموت والولادة[4] وغير ذلك .

---

(١) فى (خ) [إنسانا] .
(٢) فى (أ ، ب) [ممكن أيضا] بدلا من [لا يمكنك إخراجه عن الإمكان] .
(٣) فى (خ) [ما] .
(٤) فى (أ) [والولاد] .

ونحن نجد الأمر بخلاف هذا لأنا نجد جميع أهل الأرض قاطبة لا يعرفون هذا ، بل لا يدريه أحد منهم ، وإنما قلتَه أنت ومن وافقته أو من وافقك[٥] برأى وظن ، لا بخبر ونقل أصلًا .

هذا ما لا تخالفنا فيه أنت ولا أحد من الناس ، فمن المحال الممتنع أن يكون خبرٌ نقلَه جميعُ سكان العالم ، أولهم عن آخرهم إلى كل من حدث بعدهم عما شاهدوه يخفى حتى لا يعرفه أحدٌ من سكان الأرض ، هذا أمر يُعرف كذبه بأول العقل وبديهته .

فقال : والذى تحكونه أنتم أيضًا قد وجدنا جماعات ينكرونه فينبغى أن يبطل بما عارضتنا به ، فقلت بين النقلين فرق لا خفاء فيه[٦]؛ لأن نقلنا نحن لما قلناه إنما يرجع إلى خبر رجل واحد ، وامرأة واحدة فقط ، وهما أول من أحدثهم الله تعالى من النوع الإنسانى ، وما كان هكذا فإنه لا يوجب[٧] العلم الضرورى ، إذ التواطؤ ممكن فى ذلك ، ولولا أن الأنبياء عليهم السلام[٨] الذين جاءوا بالمعجزات أخبروا بتصحيح ذلك ما صحّ قولنا من جهة النقل وحده ، بل كان ممكنا أن يكون الله تعالى ابتدأ خلق جماعة تناسل الخلق منهم ، لكن لما أخبر من صممت المعجزة قوله بأن الله تعالى لم يبتدىء من النوع الإنسانى إلا رجلًا واحدًا وامرأة واحدة وجب تصديق قولهم .

وبرهان آخر : وهو أنكم قد أثبتم ضرورة صحة قولنا من أن الله ابتدأ النوع الإنسانى بأن خلق ذكرًا وأنثى ، ثم ادعيتم زيادة أن الله تعالى خلق سواهما جماعات ولم تأتوا على ذلك ببرهان أصلًا ولا بدليل إقناعى فضلًا عن برهانى . وقد صحت البراهين التى قدمنا قبل ؛ أنه لابد من مبدأ ضرورة ، فوجب ولا بدَّ حدوثُ ذكر وأنثى ، وكان من ادّعى حدوث أكثر من ذلك مدّعيًا لما لا دليل له عليه أصلًا ، وما كان هكذا فهو باطل بيقين لا مرية فيه ، وكل ما ذكرت عنه نبوة فى الهند والمجوس والصابئين واليهود والنصارى والمسلمين فلم يختلفوا فى أن الله تعالى إنما أحدث الناس من ذكر وأنثى ، وما جاء هذا المجىء فلا يجوز الاعتراض عليه بالدّعوى . وإنما اختلف عنهم فى الأسماء فقط وليس فى هذا معترض لأنه قد يكون للمرء أسماء كثيرة فلم يمنع من هذا ما نع وبالله تعالى التوفيق .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فلم نجد عندهم فى ذلك معارضة أصلًا ، وما علمنا أحدًا من المتكلمين ذكر هذه الفرقة أصلًا .

---

(٥) فى النسخة (أ) [وافقت] .
(٦) فى النسخة (ب) : [به] .
(٧) فى النسخة (أ) : [لا يوجد] .
(٨) فى (أ ، ب) [ولولا أن الأنبياء والذين جاءوا . . الخ] .

قال « أبو محمد[٩]» وقلت له فى خلال كلامى معه : أترى العالم إذا خرج دفعة أخرج فيه الحوامل يطلقن ، والطباقون قعودًا على أطباقهم يبيعون التين والسِّرقين[١٠]؟ فضحك وعلم أنى سلكت به مسلك السخرية فى قوله لفساده ، وقال لى : نعم . فقلت : ينبغى أن يكونوا كلهم أنبياء يوحى إليهم أولهم عن آخرهم بما هم عليه من العلوم والصناعات ، أو يلهمون ذلك .

وفى هذا من بطلان الدّعوى ما لا خفاء به .

وكان مما اعترض به : أن ذكر الجزائر المنقطعة فى البحار ، وأنه يوجد فيها النمل والحشرات ، وكثير من الطير ، وكثير من حشرات[١١] الأرض ، فقلت : إن كل ذلك لا ينكر ذو حس دخوله فى جملة رحالات المسافرين الداخلين إلى تلك البلاد فقد شاهدنا دخول الفيران فى جملة الرحل كذلك ، وليس فى ذلك ما يوجب ما ذكرتَ أصلًا . مع أن الحيوان نوعان ، نوع متولد يخلقه الله تعالى من عفونات الأبدان ، وعفونات الأرض ، فهذا لا ينكر تولده بإحداث الله تعالى له فى كل حين .

وقسم آخر متوالد قد رتب الله تعالى فى بنية العالم أنه لا يخلقه إلّا عن منىٍّ ذكر وأنثى ، فهذا هو الذى صار فى تلك الجزائر عن دخول المسافرين[١٢] إليها بلا شك وبالله تعالى التوفيق .

وما ننكر فى كل نوع ما عدا الإنسان أن يخلق الله منه أكثر من اثنين ، فهذا ممكن فى قدرة الله تعالى ، ولم يأت خبر صادق بخلافه ، لأن الله تعالى قد قال فى أمر نوح عليه السلام وسفينته حين الطوفان : « واحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين ، وأهلك إلّا من سبق عليه القول[١٣]» . ومع هذا فقد يمكن أن يكون نوح عليه السلام مأمورًا بأن يحمل من كلٍّ زوجين اثنين ، ولا يمنع ذلك من بقاء بعض أنواع نبات الماء وحيوانه فى غير السفينة والله أعلم .

وإنما نقول فيما لا يخرجه العقل إلى الوجوب والامتناع بما جاءت به النبوة فقط .

وبرهان آخر : وهو أنه لو كان إخراج الله تعالى لكل ما فى العالم ، من المعلوم ، والعلماء بها ، والصناعات ، والصانعين لها ، دفعة واحدة لكان ذلك بضرورة العقل وأوله لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما :

---

(٩) فى (أ ، ب) سقطت [قال أبو محمد] .
(١٠) السرِّقين بكسر السين : الزبل معربا سرّكين بالفتح . وفى (خ) [والسردين] .
(١١) فى (خ) [خشاش] بدلًا من [حشرات] .
(١٢) سقطت فى (أ ، ب) كلمة [المسافرين] .
(١٣) سورة هود : آية : ٤٠ .

○ إمَّا أن يكون ذلك بوحى إعلام وتوقيف منه تعالى .

○ وإمّا بطبع مركب فيهم يقتضى لهم ما علموا من ذلك ما صنعوا .

فإن كان بوحى إعلام وتوقيف فقد صحت النبوة لجميعهم ؛ إذ ليست النبوة معنى غير هذا ، وهذه دعوى ممن[١٤] قال بهذا القول بلا دليل ، وما لا دليل عليه فهو باطل ، لا يجوز القول به ، لا سيما والقائلون بها منكرون للنبوة ، فلاح تناقض قولهم .

وإن كان كل ذلك عن طبيعة تقتضى لهم كونهم عالمين بالعلوم ، متكلمين باللغة متصرفين فى الصناعات بلا تعليم ولا توقيف ، فهذا محال ضرورة ، وممتنع فى العقل وفى الطبيعة ؛ إذ لو كان ذلك لوجدوا أبدًا كذلك ، إذ الطبيعة واحدة لا تختلف وبالضرورة ندرى أنه لا يوجد أحدٌ أبدًا[١٥] فى شيء من الأزمان ، ولا فى مكان أصلًا يأتى بعلم من العلوم لم يُعلِّمه إياه أحد . ولا يتكلم بلغة لم يعلِّمه إيَّاها[١٦] أحد ، ولا بصناعة من الصناعات لم يوقفه عليها أحد .

وبرهان ذلك ما قدمنا قبل من أن البلاد التى ليست فيها العلوم ، وأكثر الصناعات كأرض الصقالبة ، والسودان ، والبوادى التى فى خلال المدن ليس يوجد فيها أبدًا أحد يدرى شيئًا من العلوم ولا من الصناعات حتى يعلمه ذلك معلم ، وأنه لا ينطق أحد حتى يعلمه معلم ، فظهر فساد هذا القول ببرهان . وقبل البرهان بتعرية من البرهان ، وبالله تعالى التوفيق[١٧].

---

(١٤) فى النسخة (أ) [من] .
(١٥) سقطت فى (خ) كلمة [أبدًا] .
(١٦) فى النسخة (أ) [إياه] .
(١٧) سقطت [وبالله تعالى التوفيق] من (أ ، ب) .

الكلام على من ينكر النبوّة والملائكة

البراهمة : وإبطال آرائهم

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذهبت **البراهمة** وهم قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ، ويقولون إنهم من ولد برهمى ملك من ملوكهم قديم ، ولهم علامة ينفردون بها ، وهى خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف ، وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلّا أنهم أنكروا النبوات .

وعمدة احتجاجهم فى دفعها أن قالوا : لما صحّ أن البارى[1] عز وجلّ حكيم ، وكان من بعث رسولًا[2] إلى من يدرى أنه لا يصدقه فلا شك فى أنه متعنت عابث فوجب نفى بعث الرسل عن الله عز وجل لنفى العبث والعنت عنه .

وقالوا أيضًا إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان فقد كان أولى به فى حكمته ، وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به ، قالوا فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضًا .

ومجىء الرسل عندهم من باب الممتنع . وأمّا نحن فنقول : إنَّ مجىء الرسل قبل أن يبعثهم الله تعالى واقع فى باب الإمكان ، وأمّا بعد أن بعثهم الله عزَّ وجل ففى حدّ الوجوب .

ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى : أنه لا نبىّ بعده ، فقد جدَّ الامتناع ولسنا نحتاج إلى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين : إن مجىء الرسل من باب الواجب واعتلالهم فى ذلك بوجوب الإنذار فى الحكمة إذ ليس هذا القول صحيحًا .

---

(١) فى (أ ، ب) [الله] .

(٢) فى (أ) [لى] بحذف الهمزة .

وإنما قولنا الذى بيناه فى غير موضع أنه تعالى لا يفعل شيئًا لعلّة ، وأنه تعالى يفعل ما يشاء ، وأن كل ما فعله فهو عدل وحكمة أى شيء كان .

فيقال وبالله تعالى[٣] التوفيق لمن احتج بالحجة الأولى : من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل ، وأن الحكيم لا يبعث الرسل إلى من يدرى أنه يعصيه ، إنكم اضطركم هذا الأصل الفاسد الحاكم بذلك إلى موافقة المانية[٤] على أصولها فى أن الحكيم لا يخلق من يعصيه ، ولا من يكفر به ويقتل أولياءه . وهم يقولون : إن الله تعالى خلق الخلق ليدلَّهم به[٥] على نفسه .

ويقال لهم : قد علمنا وعلمتم أنَّ فى الناس كثيرًا يجحدون الربوبية[٦] والوحدانية فقولوا : إنه ليس حكيمًا مَنْ خلق دلائل لمن يدرى أنه لا يستدل بها .

فإن قالوا : إنه قد استدلَّ بها كثير ، قيل لهم : وقد صدَّق الرسل أيضًا كثير .

فإن قالوا : إنه خلق الخلق كما شاء . قيل لهم : وكذلك بعث الرسل أيضًا كما شاء ، فبعثته تعالى الرسل هى بعض دلائله التى خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به[٧] تعالى ، وعلى توحيده .

ويقال لمن احتج بالحجة الثانية من أن الأولى به أنه كان يضطر العقول إلى الإيمان به : أن هذا قول مرذول مردود عليكم فى قولكم : إن الله عز وجل خلق الخلق ليدلَّهم بهم على[٨] نفسه ووحدانيته .

فليزمكم على ذلك الأصل الفاسد أنه كان الأولى إذ خلقهم أن لا يدعهم والاستدلال ، وقد علم أن فيهم من لا يستدل ، وأن فيهم من يغمض عليه الاستدلال . فكان الأولى فى الحكمة أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به ، ولا يكلفهم مئونة الاستدلال ، وأن يلطف بهم ألطافًا يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وملاك هذا كله ما قد قلناه فى غير موضع من أن الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل إلَّا لعلة ، ووجب بالبراهين الضرورية أن البارىء تعالى بخلاف[٩] جميع خلقه من جميع الجهات ، وجب أن يكون فعله لا لعلة بخلاف أفعال جميع

(٣) سقطت كلمة [تعالى] فى (أ ، ب) .
(٤) فى النسخة (ب) [المانية] .
(٥) فى النسخة (ب) [بهم] .
(٦) الربوبية : الرب من أسماء الله تعالى ، والنسبة إليه ربِّىّ وربانى ، وربوبى ، وعلم الربوبية هو العلم الإلهى ، ويسمى عند الفلاسفة بعلم الإلهيات وهى طبيعية وعقلية ويشتمل على الموضوعات التالية ، البرهان على وجود الله ، والصفات الإلهية ، والعناية الإلهية ، ووجود الشر ، ومصير الإنسان ، وخلود النفس ، والأخلاق الدينية (المعجم الفلسفى ٦٠٨ حـ ١) .
(٧) فى (، ب) [بها] .
(٨) فى النسخة (أ) سقطت كلمة [على] . وفى (خ) [إن الله تعالى خلق الخلق ليدل بهم على نفسه] .
(٩) فى (خ) [خلاف] .

الخلق ، وأنه لا يقال فى شىءٍ من أفعاله تعالى أنه فعل كذا لعلّة ، ولا إذ جاء الإنسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان ، وخلق بعض الحيوان ضائدًا وبعضه مصيدًا ، وباين بين جميع مفعولاته كما شاء ، فليس لأحدٍ أن يقول لم خلق الإنسانَ ناطقًا وحرم الحمار النطق . وجعل الحجر جامدًا لا حياة فيه[١٠] ولا نطق[١١]، وهذا أصل قد وافقتنا البراهمة عليه ، وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد وهكذا إذا بعث الله تعالى الرسل[١٢] ليس لأحد أن يقول : لم بعثهم ؟ أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ؟ ولا لِمَ بعثهم فى هذا الزمان دون غيره من الأزمان ؟ ولا لِمَ بعثهم فى هذا المكان دون غيره من الأمكنة ؟ كما لا يقال لم حبا هذا المكان بالخصب دون غيره ، ولا لِمَ حبا هذا الإنسان بالجمال دون غيره ، ولا لِمَ[١٣] حباه بالسَّعد فى الدنيا دون غيره ؟ وهكذا كل ما فى العالم إذا نظر فيه تعالى الذى لا يسأل عن شىء . قال تعالى : لا يسأل[١٤] عما يفعل وهم يسألون .

ضرورة النبوّة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وإذ قد نقضنا شغبهم بحول الله تعالى وتأييده ، فلنقل الآن بعون الله تعالى وتأييده فى إثبات النبوة إذا[١٥] وجدت قولًا بينا وبالله تعالى التوفيق : فنقول وبالله تعالى نستعين[١٦]: قد قدّمنا فيما خلا إثبات حدوث الأشياء وأن لها محدِثًا لم يزل واحدًا لا مبدأ له ، ولا كان معه غيره ، ولا مدبّر سواه ، ولا خالق غيره . فإذ قد ثبت هذا كله وصح أنه تعالى أخرج العالم كله إلى الوجود بعد أن لم يكن بلا كلفة ، ولا معاناة ، ولا طبيعة ، ولا استعانة ، ولا مثال سلف ، ولا علّةٍ موجبة ، ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى ، فقد ثبت أنه لم يفعل إذ لم يشأ ، وفعل إذ شاء ، كما شاء ، فيزيد ما شاء ، ويُنقِص ما شاء ، فكل منطوق به مما يتشكك فى النفس أو لا يتشكك فهو داخل له تعالى فى باب الإمكان على ما بيّنا فى غير هذا المكان ، إلّا أننا نذكر منه[١٧] ها هنا طرفًا إن شاء الله عزّ وجل فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إن الممكن ليس واقعًا فى العالم وقوعًا واحدًا ؛ ألا ترى أن نبات اللحية للرِّجال ما بين الثمانى

---

(١٠) فى (أ ، ب) [له] .
(١١) فى (أ) : [نطلق] وهو تحريف .
(١٢) فى (أ) [بعث تعالى الأنبياء] .
(١٣) فى (أ ، ب) سقط الكلام من قوله [لم حبا هذا المكان إلى بالجمال دون غيره ، ولا] .
(١٤) فى (أ ، ب) سقطت العبارة [عن شىء ، قال تعالى لا يُسأل] . والآية : ٢٣ من سورة الأنبياء .
(١٥) المرجح أن تكون [إذ] حيث يكون المعنى : « وجدتُ قولاً بينا فى هذا الشأن » .
(١٦) فى (أ ، ب) سقطت العبارة [فنقول ، وبالله تعالى نستعين] .
(١٧) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [منه] .

عشرة إلى عشرين سنة ممكن ؟ وهو فى حدود الإثنى عشرة سنة إلى العامين ممتنع ، وأن فك الإشكالات العويصة ، واستخراج المعانى الغامضة ، وقول الشعر البديع ، وصناعة البلاغة الرائقة ممكن لذى الذهن اللطيف ، والذكاء النافذ ، وغير ممكن من ذى البلادة الشديدة والغباوة المفرطة .

فعلى هذا ما كان ممتنعًا بيننا ، إذ ليس فى بنيتنا ولا فى طبيعتنا ، ولا من عادتنا فهو غير ممتنع على الذى لا بنية له ، ولا طبيعة له ، ولا عادة عنده ، ولا رتبة لازمة لفعله ، فإذ قد صح هذا ، فقد صح أنه لا نهاية لما يقوى عليه تعالى ، فصح أن النبوة فى الإمكان .

النبوة فى نظر ابن حزم

وهي بعثة قوم قد خصهم الله تعالى بالحكمة والفضيلة والعصمة[١٨] لا لعلة إلَّا أنه شاء ذلك ، فعلَّمهم الله تعالى العلم بدون تعلم ، ولا تنقل فى مراتبه ، ولا طلب له ، ومن هذا الباب ما يراه أحدنا فى الرؤيا فيخرج صحيحًا ، وما هو من باب تقدّم المعرفة ، فإذ قد أثبتنا أن النبوّة قبل مجيء الأنبياء عليهم السلام واقعة فى حدِّ الإمكان ، فلننقل الآن بحول الله تعالى وقوته على وجوبها إذا وقعت ولا بدّ . فنقول :

إذ قد صحّ أن الله تعالى ابتدأ العالم ولم يكن موجودًا حتى خلقه الله تعالى فبيقين ندرى أن العلوم والصناعات لا يمكن ألبتة أن يهتدى أحد إليها بطبعه فيما بيننا دون تعليم كالطب ، ومعرفة الطبائع ، والأمراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل إلى تجريبها كلها أبدًا ، وكيف يجرِّب كل عقار فى كل علة ؟ ومتى يتهيأ هذا ؟ ولا سبيل له إلا فى عشرة آلاف من السنين ؟ ومشاهدة كل مريض فى العالم ، وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بدّ منه من أمر المعاش وذهاب الدول ، وسائر العوائق . وكعلم النجوم ، ومعرفة دورانها وقطعها وعودها إلى أفلاكها مما لا يتم إلَّا فى عشرة آلاف من السنين ، ولا بدّ من أن يَقْطع دون ضبط ذلك العوائقُ التى قلنا . وكاللغة التى لا يصح تربيةٌ ولا عيشٌ ولا تصرف إلا بها ، ولا سبيل إلى الاتفاق عليها إلا بلغة أخرى ولابد ، فصحّ أنه لا بدّ من مبدأ مّا للغة[١٩].

وكالحرث والحصاد ، والدراس ، والطحن وآلاته ، والعجن ، والطبخ والحلب وحراسة المواشى ، واتخاذ الأنسال منها ، والغرس واستخراج الأدهان ، ودق الكتان والقنب ، والقطن[٢٠] وغزله ، وحياكته ، وقطعه ، وخياطته ، ولبسه وآلات كل ذلك ، وآلات الحرث والأرحاء ،

---

(١٨) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [بالحكمة .. والعصمة] .

(١٩) فى النسخة (ب) [للغة مّا] .

(٢٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [القطن] .

والسفن ، وتدبيرها فى القطع بها للبحار ، والدواليب ، وحفر الآبار ، وتربية النحل ودود الخز ، واستخراج المعادن ، وعمل الأبنية منها ، ومن الخشب والفخار .

وكل هذا لا سبيل إلى الاهتداء[٢١] إليه دون تعليم . فوجب بالضرورة ولا بدّ أنه لا بدّ من إنسان واحد فأكثر علّمهم الله تعالى ابتداءً كلَّ هذا دون معلم ، لكن بوحى حققه عنده . وهذه صفة النبوة . فإذًا لا بدّ من نبيٍّ أو أنبياء ضرورة . فقد صح وجود النبوّة والنبى فى العالم بلا شك .

ومن البرهان على ما ذكرنا : أننا نجد كل من لم يشاهد هذه الأمور لا سبيل له إلى اختراعها ألبتة ، كالذى يولد وهو أصم فإنه لا يمكن له ألبتة الاهتداء إلى الكلام ، ولا إلى مخارج الحروف .

وكالبلاد التى ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة[٢٢] ، وأكثر الأمم ، وسكان البوادى نعم والحواضر لا يمكن ألبتة منذ أول العالم إلى وقتنا هذا ، ولا إلى انقضائه اهتداء أحدٍ منهم إلى علم لم[٢٣] يعرفه ، ولا إلى صناعة لم يُعرَّف بها ، فلا سبيل إلى تهدّيهم إليها ألبتة حتى يعلَّمُوها ، ولو كان ممكنًا فى الطبيعة التهدّى إليها دون تعليم لوُجد من ذلك فى العالم على سعته وعلى مرور الأزمان من يهتدى إليها ، ولو واحدًا ، وهذا أمر يقطع على أنه لا يوجد ولم يوجد .

وهكذا القول فى العلوم ، ولا فرق ، ولسنا نعنى بهذا ابتداء جمعها فى الكتب لأن هذا أمر لا مئونة فيه ، إنما هو كتاب مَا سمعه الكاتب وإحصاؤه فقط كالكتب المؤلفة فى المنطق وفى الطب ، وفى الهندسة وفى النجوم ، وفى الهيئة والنحو ، واللغة ، والشعر ، والعروض . إنما نعنى ابتداءَ مئونة اللغة والكلام بها ، وابتداءَ معرفة الهيئة وتعلمها ، وابتداء تعلم[٢٤] أشخاص الأمراض وأنواعها وقوى العقاقير ، والمعاناة بها ، وابتداءَ معرفة الصناعات . فصح بذلك أنه لا بدّ من وحى الله تعالى فى كل[٢٥] ذلك .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا أيضًا برهان ضرورى على حدوث العالم ، وأن له محدثا مختارًا ولا بدّ . إذ لا بقاء للعالم ألبتة إلا بنشأة ومعاش . ولا نشأة ولا معاش

---

(٢١) فى (خ) [لا سبيل إليه ولا التهدّى له إلا بتعليم] .

(٢٢) الصقالبة : شعوب تسكن بين جبال الأورال ، والبحر الأدرياتى فى أوروبا الشرقية والوسطى ، ويتكلمون بلغات تنتمى إلى عائلة الهندو ، ويقسمون عادة إلى ثلاثة أقسام : كبرى ، وهم صقالبة الغرب ، ويشملون البولنديين ، والتشيكيين ، وعناصر أخرى صغيرة فى غرب ألمانيا ، وصقالبة الشرق وهم الروس وصقالبة الجنوب ويضمون المقدونيين والبلغاريين (دائرة المعارف الميسرة ص ١١٢٦) .

(٢٣) فى (ب) سقطت [لم] .

(٢٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [تعلم] .

(٢٥) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [كل] .

إلا بهذه الأعمال والصناعات والآلات ، ولا يمكن وجود شيء من هذه كلها إلا بتعليم البارى تعالى . فصح أن العالم لم يكن موجودا ، إذ لا سبيل إلى بقائه إلا بما ذكرنا . ثم أوجد[٢٦] معلما مدبرا مبتدأ بتعليمه على ما ذكرنا – وبالله تعالى التوفيق .

البراهين الدالة على صدق النبوّة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وإذ قد تكلمنا على أنه لا بدّ من نبوّة وصحّ ذلك ضرورة – فلنتكلم على براهينها التى صحّ[٢٧] بها علم صدق مدّعيها إذ وقعت فنقول : إنه قد صح أن البارى تعالى هو فاعل كل شيء ظهر . وأنه قادر على إظهار كل متوهَّم لم يظهر ، وعلمنا بكل ما قدمنا أنه تعالى مرتب هذه المراتب[٢٨] التى فى العالم ومجريها على طبائعها المعلومة منا ، الموجودة عندنا ، وأنه لا فاعل على الحقيقة غيره تعالى ، ثم رأينا خلافاً لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ، ووجدنا طبائع قد أحيلت ، وأشياء فى حدّ الممتنع قد وجبت ووجدت ، **كصخرة انفلقت[٢٩] عن ناقة ، وعصا انقلبت[٣٠] حية ، وميّت أحياه[٣١] إنسان ، ومئين من الناس رووا[٣٢] وتوضئوا** كلهم من ماء يسير فى قدح صغير يضيق عن بسط اليد فيه ، لا مادة له ، فعلمنا أن محيل[٣٣] هذه الطبائع ، وفاعل هذه المعجزات هو الأول الذى أحدث كل شيء . ووجدنا هذه القوى قد أصحبها الله تعالى رجالًا يدعون إليه ، ويذكرون أنه تعالى أرسلهم إلى الناس ، ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى ، فى حين[٣٤]، رغبة هؤلاء القوم

---

(٢٦) فى النسختين [أ ، ب] [وجد] والمعنى لا يصح إلاّ على [أوجد] أى أن الله أوجد بعد ذلك المعلم المدبر الذى بدأ تعليمه ليهدى الناس وهو النبى .

(٢٧) فى (أ ، ب) [يصح] .

(٢٨) فى (أ ، ب) [الرتب] .

(٢٩) طلب قوم صالح من نبيهم آية تخرج من صخرة صماء ، عينوها بأنفسهم وهى صخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها « الكاتبة » ، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم ، ليؤمنن به ، وليتبعنه ، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ، ودعا الله عزّ وجل فتحركت تلك الصخرة ، ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها – كما سألوا – فعند ذلك آمن رئيسهم « جندع بن عمر » وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا ، فصدّهم « ذؤاب بن عمرو بن لبيد » اقرأ القصة كاملة فى تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٢٨) .

(٣٠) وهى معجزة موسى عليه السلام .

(٣١) معجزة عيسى عليه السلام التى أشارت إليها الآية الكريمة : « ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنّى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيى الموتى بإذن الله .. الآية ٤٩ – آل عمران .

(٣٢) قال أنس بن مالك رضى الله عنه : « رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه ، فأتى النبى ﷺ بوضوء فوضع فى الإناء يده وأمر الناس أن يتوضأوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس عن آخرهم ، فقيل : كم كنتم ، قال : زهاء ثلاثمائة (نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين – للشيخ محمد الخضرى ص ٣٠٦ – دار الأدب العربى للطباعة ١٩٥٥) .

(٣٣) فى (ب) : « محل » .

(٣٤) فى (ب) : « فى عين » والمعنى أنه حين يرغب هؤلاء القوم إلى الله أن يمدهم بهذه المعجزات ، فإنه يمدهم بها ويشهد لهم بصدقهم .

إليه فيها ، وضراعتهم إليه فى تصديقهم بها ، فعلمنا علما ضروريا يقينيا[٣٥] لا مجال للشك فيه أنهم مبعوثون من قبله عزّ وجل ، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى ، إذ لا سبيل فى طبيعة مخلوق فى العالم إلى التحكم على البارىء ، ولا على طبائع خلقه مثل هذا ، ووجوب النبوة إذ ظهر على مدّعيها معجزة من إحالة الطبائع المخالفة لما بُنى عليه العالم .

وقد تكلمنا فى غير هذا المكان على أنّ هذه الأشياء لها طرق توصل إلى صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق . وهى نقل الكافة التى قد استشعرت العقول ببدايتها ، والنفوس بأوّل معارفها أنه لا سبيل إلى جواز الكذب ولا الوهم عليها ، وأن ذلك ممتنع فيها . فمن تجاهل وأجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول ، ولزمه أن لا يصدق أن من غاب عن بصره من الإنس بأنهم أحياء ناطقون كمن شاهد ، وأن صورهم على حسب الصورة التى عاين ، ولزم أن يكون عنده ممكنًا فى بعض من غاب عن بصره من الناس أن يكونوا بخلاف ما عهد من الصورة ، إذ لا يعرف أحد أن كل من غاب عن حسه فإنه[٣٦] فى مثل كيفية ماشاهد من نوعه إلا بنقل الكواف ذلك، كما نقلت أن بعضهم بخلاف ذلك فى بعض الكيفيات ، فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك . ويلزم من لم يصدق خبر الكافة ، ويجيز فيه الكذب والوهم أن لا يصدق ضرورة بأن أحدًا كان قبله فى الدنيا ، ولا أن فى الدنيا أحدا إلّا من شاهد بحسه . فإن جوّز هذا عرف بعقله[٣٧] أنه كاذب . وخرج عن حدود من يتكلم معه ، لأن هذا الشىء لا يعرف ألبتة إلّا من طريق الخبر لا غير ، فإن نفر عن هذا وأقر بأنه قد كان قبله ملوك وعلماء ، ووقائع وأمم ، وأيقن بذلك ، ولم يكن فى كثير منها شك بل هى عنده فى الصحة كما شاهد ولا فرق – سئل من أين عرفت ذلك وكيف صح عندك ؟ فلا سبيل له أصلا إلى أن يصح ذلك عنده إلا بخبر منقول نقل كافة . وبالله تعالى التوفيق . فنقول له حينئذ فرّق بين ما نقل إليك من كل ذلك ، وبين كل[٣٨] ما نقل إليك من علامات الأنبياء عليهم السلام ولا سبيل اه إلى الفرق بين شىء من ذلك أصلًا . فإن قال الفرق بينها وبينها أنه لا ينكر أحد هذه الأمور . وكثير من الناس ينكرون أعلام الأنبياء ، قيل له وبالله تعالى التوفيق[٣٩]: إن كثيرا من الناس لا يعرفون كثيرا مما صح عندك من الأخبار العارضة لمن كان فى بلادك قبلها فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجا لها عن الصحة ، وكذلك جحد من جحد أعلام الأنبياء ليس مخرجًا لها عن الوجوب والصحة .

---

(٣٥) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « يقينا » .

(٣٦) فى (خ) [فإن] .

(٣٧) فى (أ ، ب) [بقلبه] .

(٣٨) فى (خ) سقطت كلمة [كل] .

(٣٩) فى (خ) سقطت العبارة [وكثير من الناس ينكرون أعلام الأنبياء ، قيل له وبالله تعالى التوفيق : إن] .

فإن قال : إنه ليس نجد الناس على الكذب فيما كان قبلنا من الأخبار ما نجدهم على الكذب فى أعلام النبوة . قيل له وبالله التوفيق .

هذا كذب ، بل الأمران سواء لا فرق بينهما . ومن الملوك من يشتد عليهم وصف أسلافهم بالجور والظلم والقبائح ، ويحمى هذا الباب بالسيف فما دونه ، فما انتفعوا بذلك فى كتمان الحق .

قد نقل ذلك كله وعرف ، كما نقلت فضائل من تغضب ملوك الزمان من مدحه كفضائل على بن أبى طالب[٤٠] رضى الله عنه ، ما قَدِر قط ملوك بنى مروان على سترها وطيها .

وقد رام **المأمون**[٤١] **والمعتصم**[٤٢] **والواثق**[٤٣] على سعة ملكهم لأقطار الأرض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك .

وكل نبى فله عدو من الملوك والأمم يكذبونهم ، فما قدروا قط على طىّ أعلامهم . ولا على تحقيق ما زادوا على ذلك لمن يغضب له من لا دين له . فصح أن الأمرين سواء ، وأن الحق حق . فإن قال قائل : فلعلَّ هذا الذى ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قدر معها على إظهار ما أظهر . قيل له وبالله التوفيق :

إنَّ الخواصَّ قد عُلِمت ، ووجوه الحِيل قد أُحكمت ، وليس فى شىء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختراع الماء الذى لم يكن ، ولا فى شىء منه إحالة نوع

---

(٤٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [ابن أبى طالب] .

(٤١) المأمون العباسى (١٧٠ - ٢١٨ هـ) - (٧٨٦ - ٨٣٣ م) : وهو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، أبو العباس سابع الخلفاء من بنى العباس فى العراق ، وأحد أعاظم الملوك فى سيرته وعلمه وسعة ملكه ، نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند ، وعرفه المؤرخ ابن دحية بالإمام العالم المحدث النحوى اللغوى ، ولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ فتمم ما بدأ به المنصور من ترجمة كتب الفلسفة ، وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة . قامت دولة الحكمة فى أيامه ، وقرب العلماء والفقهاء ، والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة وأطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة لولا المحنة بخلق القرآن . وأخباره معروفة جمع بعضها فى مجلد مطبوع صفحاته ٣٨٤ من تاريخ بغداد لابن أبى طيفور وكتاب عصر المأمون لأحمد فريد الرفاعى توفى « بدندون » ودفن فى « طرسوس » (الاعلام - ٤ / ٢٨٧) .

(٤٢) المعتصم : هو محمد بن هارون الرشيد ، خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه ، وكان بطرسوس ، وعاد إلى بغداد بعد سبعة أسابيع فى السنة نفسها ، وكان قوىَّ الساعد يكسر زند الرجل بين إصبعيه ، وكره التعليم فى صغره فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميًا ، وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية فى خبر مشهور ، وهو بانى مدينة « سامرا » سنة ٢٢٢ هـ حين ضاقت بغداد بجنده ، وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى من الخلفاء فقيل المعتصم بالله ، وكان لين العريكة ، قوى الخلق ، اتسع ملكه جدًا ، وكان له سبعون ألف مملوك ، خلافته ثمانى سنوات وثمانية أشهر ، مات وعمره ثمان وأربعون سنة بسامرًا ، وكان أصهب ، حسن الجسم ، مربوعا طويل اللحية (الأعلام ٧ / ٣٥١) .

(٤٣) الواثق (٢٠٠ - ٢٣٢) هـ - (٨١٥ - ٨٤٧) م : هو الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد العباسى أبو جعفر - من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ، ولد ببغداد ، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧ هـ فامتحن الناس فى خلق القرآن وسجن جماعة وقتل فى ذلك أحمد بن نصر الخزاعى بيده سنة ٢٣١ هـ ، قال أحد مؤرخيه : كان فى كثير من أموره يذهب مذهب المأمون ، وشغل نفسه بمحنة الناس فى الدين فأفسد قلوبهم ، ومات فى « سامرا » . قيل بعلة الاستسقاء ، وقال ابن دحية : كان مسرفا فى حب النساء ، ووصف له دواء للتقوية فمرض منه ، وعولج بالنار فمات محترقا . وخلافته خمس سنين ، وكان كريما عارفا بالآداب والأنساب ، طروبا يميل إلى السماع ، عالما بالموسيقى (الاعلام - ٩ / ٤٤ ، ٤٥) .

إلى نوع آخر دفعة على الحقيقة ، ولا جنس إلى جنس[٤٤] آخر دفعة على الحقيقة ، وهذا كله قد ظهر على أيدى الأنبياء عليهم السلام فصح أنه من عند الله تعالى ، لا مدخل لعلم إنسان ولا حيلته[٤٥] فيه .

الفرق بين المعجزة والسحر

ونحن نبين إن شاء الله تعالى الفرق الواضح بين معجزات الأنبياء عليهم السلام وبين ما يقدر عليه بالسحر ، وبين حيل العجائبيين . فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إن العالم كله جوهر وعرض ، لا سَبيل إلى وجود قسم ثالث فى العالم دون الله تعالى .

فأمَّا الجواهر فاختراعها مِنْ ليس[٤٦] إلى إنس وهو من العدم إلى الوجود فممتنع غير ممكن ألبتة لأحد دون الله تعالى ، مبتدىء العالم ومخترعِه . فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله ﷺ بحضرة الجيش فهى معجزة شاهدة من الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلاً[٤٧].

وكذلك[٤٨] إحالة الأعراض التى هى جوهريات ذاتيات ، وهى الفصول التى تؤخذ من الأجناس ، وذلك كقلب العصاحية ، وحنين الجذع ، وإحياء الموتى الذين رمّوا وصاروا عظاماً ، والبقاء فى النار ساعات لا تؤذيه ، وما أشبه ذلك .

وكذلك الأعراض التى لا تزول إلا بفساد حاملها **كالغطس** والرزق ونحو ذلك . فهذا لا يقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه .

وأما إحالة الأعراض من الغيرات التى تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر . ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوان عن مكان مَّا فلا يقرب أصلًا ، وَكإبعاد البرد ببعض

---

(٤٤) سقطت كلمة [إلى جنس] فى (أ) .

(٤٥) فى النسخة (ب) [ولا حيلة] .

(٤٦) [مِنْ ليس] تعبير فلسفى معناه [من العدم] . وفى (خ) [من لا أيْشٍ إلى أيْشٍ] ويترجح أنها من [لا أى شىء إلى أى شىء] وأن التحريف فى الكتابة والنسخ .

(٤٧) نبع الماء من بين أصابعه .

وقال ابن مسعود : بينما نحن مع النبى ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأُتى به فصبه فى إناء ثم وضع كفّه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، وقال جابر : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما فى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قيل كَم كنتم .. ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .. وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة .

(نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين الشيخ محمد الخضرى بك المفتش بوزارة المعارف ومدرس التاريخ الإسلامى بالجامعة المصرية ص ٣٠٦ ط ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م دار الأدب العربى للطباعة) .

(٤٨) فى (ب) [ولذلك] .

الصناعات ، وما أشبه هذا ، وقد يزيد الأمر ويفشو العلم ببعض هذا النوع حتى يحسبه أكثر الناس كالطب[٤٩] والأصباغ وما أشبه هذا .

وأمّا التخييل بنوع[٥٠] من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها أنها دخلت فى جسد المضروب بها ، فى حيل غير هذه من حيل أرباب العجائب **كالحلاج**[٥١] وأشباهه فأمر يقدر عليه من تعلمه ، وتعلمه ممكن لكل من أراده . فالذى يأتى به الأنبياء عليهم السلام هو إحالة الذاتيات ، ومن ذلك صرف الحواس[٥٢] عن طبائعها كمن أراك ما لا يراه غيرك ، أو مسح يده على مريض فأفاق ، أو سقاه ما يضر علته فبرىء ، أو أخبر عن الغيوب فى الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة ، فهذه كلها إحالة الذاتيات وما ثبت ، إذ ثباتها لا يكون إلّا لنبى ، فإذا[٥٣] قد تكلمنا على إمكان[٥٤] النبوة قبل مجيئها ، ووجوبها حين وجودها فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك . فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إذ قد صح كل ما ذكرناه من المعجزات الظاهرة من الأنبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم مصدقا[٥٥] بها أقوالهم ، فقد وجب علينا الانقياد لما أتوا به، ولزمنا تيقن كل ما قالوا . وقد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكواف التى نقلت نبوته وأعلامه وكتابه إنه أخبر أنه لا نبى بعده ، إلّا ما جاءت الأخبار الصحاح عن نزول عيسى عليه السلام الذى بعث إلى بنى إسرائيل وادّعى اليهود قتله وصلبه ، فوجب الإقرار بهذه الجملة ، وصحّ أن وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لا يكون ألبتة .

وبهذا يبطل أيضًا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبدًا وبكل ما قدمناه مما أبطلنا به

(٤٩) فى (أ ، ب) [كالطير] .

(٥٠) فى النسخة (ب) [نوع] .

(٥١) الحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩) هـ (٩٢٢) م .
أبو مغيث فيلسوف ، يعد تارة فى كبار المتعبدين والزهاد ، وتارة فى زمرة الملحدين ، أصله من بيضاء فارس ، ونشأ بواسط العراق أو بتستر وانتقل إلى البصرة وحج ودخل بغداد وعاد إلى تستر وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ فاتبع الناس طريقته فى التوحيد والإيمان قالوا : إنه كان يأكل يسيرًا ويصلى كثيرًا ويصوم الدهر ، وأنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك العباسيين ومذهب الصوفية للعامة ، وهو فى تضاعيف ذلك يدعى حلول الإلهية فيه..
قال ابن خلكان : قطعت أطرافه الأربعة ثم حزّ رأسه وأحرقت جثته ولما صارت رماداً ألقيت فى دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد .
وقال ابن النديم كان محتالاً يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعى كل علم ، جسور على السلاطين مرتكبًا للعظائم يقول بالحلول من كتبه : طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية والظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية ، وقرآن الفرقان ، والسياسة والخلفاء والأمراء ، وعلم البقاء والفناء ، ووضع المستشرق غولدزيهر رسالة فى الحلاج وأخباره وتعاليمه ، وكذلك صنف المستشرق لويس مسينيون كتابا فى الحلاج وطريقته ومذهبه . الاعلام جـ ٢ ص ٢٨٥ .

(٥٢) فى (أ ، ب) (على) .

(٥٣) فى النسخة (أ) [فإذا] .

(٥٤) فى (أ ، ب) [مكان] .

(٥٥) فى النسخة (ب) [يصدق] . وفى (أ) [يصدقون] .

قول من قال بامتناعه ألبتة ؛ إذ عمدة حجة هؤلاء هى قولهم : إن الله حكيم ، والحكيم لا يجوز فى حكمته أن يترك عباده هملًا دون إنذار .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد أحكمنا بحول الله تعالى وقوته قبل هذا أن الله تعالى عز وجل لا شرط عليه ، ولا علة عليه أن يفعل شيئًا ، ولا ألا يفعله[٥٦] وأنه تعالى لو أهمل الناس لكان حقًا ، وحسنا لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذى لم يلزمه شريعة ، ولا حَظر عليه شيء ، وأنه تعالى لو واتر الرسل والنذارة أبدًا لكان حقًا وحسنا ،[٥٧] كما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبدًا ، وأنه تعالى لو خلق الخلق كفارًا كلهم لكان ذلك منه حقا وحسنا ، أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقًا وحسنا ، كما أن الذى فعل تعالى من كل ذلك حق وحسن ، وأنه لا يقبح شيء إلَّا مِنْ مأمورٍ منهى قد تقدّمت الأوامر وجوده وسبقت الحدود المرتَّبة للأشياء كونَه ، وأما من سبق كلّ ذلك فله أن يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء لا معقب لحكمه .

وأمّا **الملائكة** فكل من له معرفة ببنية العالم والأفلاك والعناصر فإنه يعلم أن الأرض وعمقها أقرب إلى الفساد من سائر العناصر ، ومن سائر الأجرام العلوية . وأنها مواتية كلها ، وأن الحياة إنما هى فى النفس[٥٨] المنزلة قسرًا إلى مجاورة البدن[٥٩] الترابى المواتى[٦٠] من سائر[٦١] جميع الحيوان . فقد ثبت يقينا بضرورة المشاهدة أن محلَّ الحياة وعنصرها ، ومعدنها ، وموضعها إنما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما فى طبعها من مجاورة هذه الأجساد ، والتشبث بها عن كمال ماخُصَّ بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضلُه وصفاؤه بمجاورة الأجساد الكدرة المملوءة آفاتٍ ودرنًا وعيوبًا ، فصحَّ أن العلو الصافى هو محل الأحياء الفاضلين السالمين من كل رذيلة ، ومن كل نقص ، ومن كل مزاج فاسد ، المحبُوِّين بكل فضيلة فى الخلق ، وهذه صفة الملائكة عليهم السلام . وصح بهذا أن على قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من أهله وعُمّاره ، وأنه لا نسبة لما فى هذا المحل الضيق والنقطة الكدرة[٦٢] مما هنالك كما لا نسبة لمقدار هذا المكان من ذلك ، وبهذا صحت النبوة[٦٣] وهكذا أخبر رسول الله ﷺ عن كثرة الملائكة فى الأخبار المسندة الثابتة عنه ﷺ ، وبهذا وجب أن يكونوا هم الرسل والوسائط بين الأول تعالى الذى خصهم بالنبوّة والرسالة وتعليم العلوم ، وبين إنقاذ النفوس من الهلكة .

---

(٥٦) فى النسخة (أ) [ولا أن يفعله] .
(٥٧) فى النسختين (أ) و (ب) [لما] .
(٥٨) فى (أ ، ب) [النفوس] .
(٥٩) فى (أ ، ب) [الأجساد] .
(٦٠) فى (أ) سقطت هذه الكلمة ، وهى نسبة إلى الموت .
(٦١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [سائر] .
(٦٢) فى (أ ، ب) [الكدراء ومما] .
(٦٣) فى (أ ، ب) [الرواية] .

الكلام على من قال إنَّ فى البهائم رسلًا

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذهب **أحمد بن حابط**[1] وكان من أهل البصرة من تلاميذ إبراهيم النظام يظهر الاعتزال ، وما نراه الكافر كان إلا منانيا[2].

وإنما استجزنا[3] إخراجه عن الإسلام لأن أصحابه حكوا عنه وجوهًا من الكفر ، منها التناسخ ، والطعن على رسول الله ﷺ وسلم بالنكاح ، وكان من قوله إن الله عز وجل نبأ أنبياء من كل نوع من أنواع الحيوان ، حتى البق والبراغيث والقمل وحجته فى ذلك قول الله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلَّا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء »[4]، ثم ذكر قوله تعالى : « وإن من أمة إلَّا خلا فيها نذير »[5].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله عزّ وجل يقول « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[6] » ، وإنما يخاطب الله بالحجة من يعقلها قال الله تعالى : « يا أولى الألباب » . وقد علمنا بضرورة الحس أن الله تعالى إنما خص بالنطق الذى هو التصرف فى العلوم ، ومعرفة الأشياء على ما هى عليه ، والتصرف فى الصناعات على اختلافها — الإنسانَ خاصة . وأضفنا إليهم بالخبر الصادق مجرد الجن ، وأضفنا إليهم بالخبر الصادق ، وببراهين أيضًا ضرورية الملائكة ، وإنما شارك من ذكرنا سائر الحيوان فى الحياة خاصة وهى الحس والحركة الإرادية ،

---

(١) احمد بن حابط
من أصحاب النظام وينتسب إليه ، ويقول بالطفرة ، وينفى الجزء الذى لا يتجزأ وذهب إلى التناسخ ، وزعم أن المسيح تذرع بالجسد الجسمانى ، وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى . ثم إنه شبه عيسى بن مريم بربه وزعم أنه الإله الثانى ، وأنه هو الذى يحاسب الخلق فى القيامة . مات أيام الواثق بالله (الفرق بين الفرق ص ٢٢٨ ، والملل والنحل ص ٨٢ ج ١) .

(٢) فى (أ ، ب) « وما نراه إلا كافرًا لا مؤمنا » .

(٣) فى (أ ، ب) « استخرنا » .

(٤) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٥) سورة فاطر : ٢٤ .

(٦) سورة النساء : ١٦٥ .

فعلمنا بضرورة العقل أن الله تعالى لا يخاطب بالشرائع إلّا من يعقلها ويعرف المراد بها . وبقوله تعالى : « لا يكلف الله نفسًا إلّا وسعها[٧] » . ووجدنا جميع الحيوان حاشا الناس يجرى على رتبة واحدة فى تصرفها فى معاشها[٨] وتناسلها ، لا يجتنب منها واحد شيئًا يفعله غيره . هذا الذى يدرك حسًا فيما يعاشر الناس فى منازلهم من المواشى والخيل والبغال والحمير والطير وغير ذلك . وليس الناس فى أحوالهم كذلك ، فصح أن البهائم غير مخاطبة بالشرائع وبطل قول ابن حابط . وصح أن معنى قول الله تعالى : « أمم أمثالكم » أى أنواع أمثالكم ، إذ كل نوع يسمى أمة . وأن معنى قوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » إنما عنى تعالى تلك[٩] الأمم من الناس ، وهم القبائل والطوائف . ومن الجن لصحة وجوب العبادة عليهم . فإن قال قائل : فما يدريك لعل سائر الحيوان له نطق وتمييز ؟

قيل له وبالله التوفيق : بقضية العقول وبديهها عرفنا الأشياء على ما هى عليه . وبها عرفنا الله عز وجل[١٠] وصحة النبوات[١١] وهى التى لا يصح شيء إلّا بموجبها . فما عرف بالعقل وجوبه[١٢] فهو واجب بيننا نريد فى الوجود فى العالم – وما عرف بالعقل أنه محال فهو محال فى العالم ، وما وجد بالعقل إمكانه[١٣] فجائز أن يوجد ، وجائز أن لا يوجد ، وبضرورة العقل والحس علمنا أن كل نوعين[١٤] واقعين تحت جنس واحد فإن ذلك الجنس يعطيهما اسمه وحدَّه عطاء مستويًا . فلما كان جنس الحى يجمعنا مع سائر الحيوان استوينا معها كلها استواء لا تفاضل فيه ، فما اقتضاه اسم الحياة من الحس والحركة الإرادية ، وهذان المعنيان هما الحياة لا حياة غيرهما أصلًا . وعلمنا ذلك بالمشاهدة لأننا رأينا الحيوان يألم بالضرب والنخس ، ويحدث لهما من الصوت والقلق ما يحقق ألمها كما نفعل نحن ولا فرق . ولذلك لما تشاركنا[١٥] والحيوان وجميع الشجر والنبات فى النماء استوى جميع الحيوان فيما اقتضاه اسم النمو من طلب الغذاء ، واستحالته فى المتغذّى به إلى نوعه ، ومن طلب بقاء النوع مع جميع الشجر والنبات استواء واحدًا لا تفاضل فيه .

ولما شاركنا وجميع الحيوان والشجر والنبات وسائر الجمادات فى أن كل ذلك أجسام طويلة عريضة ، عميقة – جميعَ الأجرام استوى كل ذلك فيما اقتضاه له اسم الجسمية فى ذلك استواء

(٧) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(٨) فى النسخة (ب) [معايشها] .
(٩) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [تلك] .
(١٠) فى (أ ، ب) [تعالى] .
(١١) فى (أ ، ب) [النبوة] .
(١٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [وجوبه] .
(١٣) فى (خ) : [وما وجدنا إمكانه بالعقل] .
(١٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [نوعين] .
(١٥) فى (أ ، ب) [شاركنا] .

لا تفاضل فيه :

ولم يدخل ما لم يشارك شيئًا مما ذكرنا في الصفة التى انفرد بها عنه . هذا كله يعلمه ضرورة من وقف عليه مما له حس سليم . فلما كان النطق الذى هو التصرف فى العلوم والصناعات قد خصنا دون سائر الحيوان وجب ضرورة أن لا يشاركنا شيء من الحيوان فى شيء منه ، إذ لو كان فيه شيء منه لما كنا أحق بكله من سائر الحيوان . كما أنا لسنا بالحياة أحق منها ، ولا بالنمو ولا بالحركة ولا بالجسمية ، فصح بهذا أنه لا نطق لها أصلًا .

فإن قال قائل : لعل نطقها بخلاف نطقنا ؟ قيل له وبالله التوفيق :

لا يتشكل فى العقول ألبتة حياة على غير صفة الحياة عندنا . ولا نماء على غير صفة النماء عندنا ، ولا حمرة على غير الحمرة عندنا . ولا جسم على خلاف الأجسام عندنا ، وهكذا فى كل شيء ، ولو كان شيء بخلاف ما عندنا لم يقع عليه ذلك الإسم أصلًا ، وكان كمن سمّى الماء نارًا ، والعسل حجرًا ، وهذا هو الحمق والتخليط فبالضرورة وجب أن كل صفة هى بخلاف نطقنا فليس نطقًا . والنطق عندنا هو التصرف فى العلوم والصناعات ومعرفة الأشياء على ما هى عليه ، فلو كان ذلك النطق بخلاف هذا لكان ليس معرفة للأشياء على ما هى عليه ، ولا تصرفًا فى العلوم والصناعات . فهو إذًا ليس نطقًا ، فبطل هذا الشغب السخيف[١٦] والحمد لله رب العالمين .

فإن اعترض معترض بفعل النحل ، ونسج العنكبوت قيل له وبالله التوفيق :

إنَّ هذا طبيعة ضرورية ، لأن العنكبوت لا يتصرف فى غير تلك الصفة من النسج ولا توجد أبدًا إلَّا لذلك . وأمّا الإنسان فإنه يتصرف فى عمل الديباج والوشى والقباطى . وأنواع الأصباغ والدباغ ، والخرط والنقش ، وسائر الصناعات من الحرث والحصاد والطحن والطبخ والبناء والتجارات . وفى أنواع العلوم من النجوم ومن الأغانى والطب والنبل[١٧] والجبر ، والعبارة والعبادة وغير ذلك .

ولا سبيل لشيء من الحيوان إلى التصرف فى غير الشيء الذى اقتضاه له طبعه . ولا إلى مفارقة تلك الكيفية ، فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « عُلِّمنا منطق الطير[١٨]» . وبما ذكر الله تعالى من قول النملة : « يأيها النمل ادخلوا مساكنكم[١٩]» الآية . وقصة الهدهد . قيل وبالله تعالى التوفيق :

لم ندفع أن يكون للحيوان أصوات عند معاناة ما تقتضيه له الحياة من طلب الغذاء ، وعند

---

(١٦) فى النسخة (ب) [المسخف] .
(١٧) فى (أ ، ب) [والقبل] .
(١٨) سورة النمل : ١٦ .
(١٩) سورة النمل : ١٨ .

الألم ، وعند المضاربة ، وطلب السّفاد ، ودعاء أولادها ، وما أشبه ذلك فهذا هو الذى علمه الله تعالى سليمان رسوله عليه السلام . وهذا الذى يوجد فى أكثر الحيوان ، وليس هذا من تمييز دقائق العلوم والكلام فيها ، ولا من عمل وجوه الصناعات كلها فى شيء . وإنما عنى الله تعالى : « بمنطق الطير » أصواتها التى ذكرنا . لا تمييز العلوم والتصرف فى الصناعات التى[٢٠] من ادعاها لها أكذبه العيان ، والله تعالى لا يقول إلّا الحق .

وأما قصة النملة والهدهد : فهما معجزتان خاصتان لذلك النمل ولذلك[٢١] الهدهد . وآيتان لسليمان رسول الله ﷺ . « ككلام[٢٢] الذراع وحنين الجذع ، وتسبيح الطعام لمحمد ﷺ آيات لنبوته عليه السلام ، وكذلك حياة عصا موسى عليه السلام آية لرسول الله موسى عليه السلام ، لأن هذا النطق شامل لأنواع هذه الأشياء .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : وقد قاد السخف والضعف والجهل من يُقَدِّر فى نفسه أنه عالم وهو المعروف بخويز منداد المالكى[٢٣] إلى أن جعل للجمادات تمييزاً .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : ولعلّ معترضا يعترض بقول الله تعالى : « وإن من شيءٍ إلّا يسبح بحمده[٢٤] » ، وبقوله تعالى : « ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض[٢٥] » الآية . وبقوله تعالى : « إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان[٢٦] » الآية . وبقوله تعالى حاكيًا أنه قال للسماوات والأرض : « ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين[٢٧] » وبقول رسول الله ﷺ : « يوم يقتص للشاة[٢٨] الجماء

---

(٢٠) فى (أ ، ب) : « الذى » .

(٢١) فى النسخة (ب) [وكذلك] . وقد أشار إليها القرآن الكريم فى سورة النمل فى قوله تعالى : « حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة : يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون – الآية ١٨ – سورة النمل » .

(٢٢) بعد فتح خيبر أهدت زينب ابنة الحرب لرسول الله ﷺ شاة مصلية وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله فقيل لها : الذراع فأكثرت فيه السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله فلفظها ثم قال : « إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » ثم دعابها فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك . قالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها (سيرة ابن هشام حـ ٣ / ٣٩٠ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مطبعة حجازى بالقاهرة) .

(٢٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد عبد الله خويز منداد المالكى من كبار المالكية صنف كتاباً كبير فى الخلاف ، وآخر فى أصول الفقه – كان يجانب الكلام وينافر أهله – توفى سنة ٣٩٠ هـ تقريباً : طبقات المالكية ١٠٣ .

(٢٤) سورة الإسراء : آية ٤٤ .

(٢٥) سورة الحج : آية رقم ١٨

(٢٦) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(٢٧) سورة فصلت : ١١ .

(٢٨) فى النسخة (أ) [للشتاة] . قال الرسول ﷺ : « لتؤدون الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلماء من الشاة القرناء تنطحها .

(رواه أحمد فى مسنده ، ورواه البخارى فى كتاب الأدب ، ورواه مسلم فى صحيحه ، ورواه الترمذى ، وأشار إليه السيوطى فى جامعه الصغير بالصحة حـ ٢ / ١٢٢) .

من الشاة القرناء » فهذا كله حق ولا حجة لهم فيه والحمد لله رب العالمين . لأن القرآن واجب أن يحمل على ظاهره ، كذلك كلام رسول الله ﷺ ، ومن خالف ذلك كان عاصيًا لله عزَّ وجل مبدلًا لكلماته ، ما لم يأت نص فى أحدهما ، أو إجماع متيقن ، أو ضرورة حسٍّ على خلاف ظاهره ، فيوقف عند ذلكم ، ويكون مَنْ حَمَله على ظاهره حينئذ ناسبًا الكذب إلى الله عزَّ وجل ، أو(٢٩)كاذبًا عليه ، وعلى نبيه عليه السلام نعوذ بالله من كلا الوجهين . وإذ قد بينا قبلُ بالبراهين الضرورية أن الحيوان غير الإنس والجن والملائكة لا نطق له نعنى أنه لا تصرف له فى العلوم والصناعات . وكان هذا القول مشاهدًا بالحس معلومًا بالضرورة لا ينكره إلا وقح(٣٠) مكابر لحسه ، وبينا أن كل ما(٣١) كان بخلاف التمييز المعهود عندنا فإنه ليس تمييزًا ، وكان هذا أيضًا يعلم بالضرورة والعيان والمشاهدة ، فوجب أنه بخلاف ما يسمى فى الشريعة واللغة نطقًا وقولًا وتسبيحًا وسجودًا ، فقد وجب أنها أسماء مشتركة اتفقت ألفاظها ، وأما معانيها فمختلفة لا يحل لأحد أن يحملها على غير هذا ، لأنه إن فعل كان مخبرًا أن الله تعالى قال ما يبطله العيان والعقل الذى به عرفنا الله تعالى . ولولاه ما عرفناه ، ومن أجاز هذا كان كافرًا مشركًا ، ومن أبطل العقل ، فقد أبطل التوحيد إذ كذب شاهده عليه ، إذ لولا العقل لم يَعرف الله عزّ وجل أحد ، ألا ترى المجانين والأطفال لا يلزمهم شريعة لعدم عقولهم ؟ ومن جوّز هذا فلا ينكر على النصارى ما يأتون به من(٣٢) خلاف المعقول . ولا على الدهرية ، ولا على السوفسطائية ما يخالفون به المعقول ، لكنا نقول : إنَّ اللفظ مشترك والمعنى هو ما قام الدليل عليه ، كما فعلنا فى النزول وفى الوجه واليدين والأعين ، وحملنا كل ذلك على أنه حق بخلاف ما يقع عليه اسم « ينزل » عندنا ، واسم « يد » و « عين » عندنا ، لأن هذا عندنا فى اللغة واقع على الجوارح والنقلة(٣٣). وهذا منفى عن الله تعالى .

فإذ لا شك فى هذا فلننقل الآن على معانى الآيات التى ذكرنا أنه ربما اعترض بها من لايمعن النظر بحول الله وقوته فنقول وبالله تعالى التوفيق .

أما تسبيح كل شيء فالتسبيح عندنا إنما هو قول « سبحان الله وبحمده » . وبالضرورة نعلم أن الحجارة والخشب والهوام والحشرات والحيوان غير(٣٤) الناطق لا تقول « سبحان الله » بالسين والباء والحاء والألف والنون ، واللام والهاء . هذا ما لا يشك فيه من له مسكة عقل ، فإذ لا شك فى هذا فباليقين علمنا أن التسبيح الذى ذكره الله تعالى هو حق ، وهو معنى غير تسبيحنا نحن

---

(٢٩) فى (خ) سقطت [أو] .
(٣٠) فى (خ) [إلا وقاح] .
(٣١) فى (أ) سقطت [كل ما] .
(٣٢) سقطت [من] فى (أ) .
(٣٣) يشير إلى المعنى اللغوى لكلمة [ينزل] وما شابهها مما يدل على الانتقال من مكان إلى مكان .
(٣٤) فى (أ ، ب) [والألوان] .

بلا شك . فإذ لا شك فى هذا فإن التسبيح فى أصل اللغة هو تنزيه الله تعالى عن السوء . فإذ قد صح هذا فإن كل شيء فى العالم بلا شك منزه لله تعالى عن السوء الذى هو صفة الحدوث ، وليس فى العالم شيء إلا وهو دال بما فيه من دلائل الصنعة ، واقتضائه صانعًا لا يشبه شيئًا(٣٥) مما خلق تعالى ، على أن الله تعالى منزه عن كل سوء ونقص . وهذا هو الذى لا يفهمه ولا يفقهه كثير من الناس ، كما قال تعالى : « ولكن لا تتفقهون تسبيحهم »(٣٦) .

فهذا هو تسبيح كل شيء بحمد الله تعالى بلا شك . وهذا المعنى حق لا ينكره موحد .

فإن كان قولنا هذا متَّفَقًا على صحته وكانت الضرورة توجب أنه ليس هو التسبيح المعهود عندنا ، فقد ثبت قولنا ، وانتفى قول من خالفنا بظنه الكاذب .

وأيضًا فإن الله تعالى يقول : « وإن من شيءٍ إلا يسبّح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم(٣٧)» والكافر الدّهرى شيء ، لا يُشَكّ فى أنه شيء ، وهو لا يسبح بحمد الله تعالى ألبتة . فصح ضرورة أن الكافر يسبح إذ هو من جملة الأشياء التى تسبح بحمد الله تعالى ، وأن تسبيحه ليس هو قوله سبحان الله وبحمده بلا شك ، ولكنه تنزيه الله تعالى بدلائل خلقه وتركيبه عن أن يكون الخالق مشبهًا لشيء مما خلق . وهذا يقين لا شك فيه . فصح بما ذكرنا أن لفظة التسبيح هى من الأسماء المشتركة . وهى التى تقع على نوعين فصاعدًا .

وأما السجود الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله : « ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعًا وكرهًا(٣٨)» .

فقد علمنا أن السجود المعهود عندنا فى الشريعة واللغة هو وضع الجبهة واليدين والركبتين ، والرجلين ، والأنف فى الأرض بنية التقرب بذلك إلى الله تعالى .

هذا ما لا يشك فيه مسلم ، وكذلك نعلم ضرورة لا شك فيها أن الحمير والهوام والخشب والحشيش والكفار لا تفعل ذلك ؟ لا سيما من ليس له هذه الأعضاء . وقد نص تعالى على صحة ما قلنا ، وأخبر تعالى أن فى الناس من لا يسجد له السجود المعهود عندنا بقوله تعالى : « واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم أياه تعبدون ، فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون(٣٩)» .

فأخبر تعالى أن فى الناس من يستكبر عن السجود له فلا يسجد ، وقال تعالى : « ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعًا وكرهًا(٤٠)» .

---

(٣٥) سقطت كلمة [شيئا مما خلق] . وفى (خ) [لا يشبهه شيء] .
(٣٦) الإسراء : ٤٤ .
(٣٧) السورة السابقة .
(٣٨) سورة الرعد : آية رقم ١٥ .
(٣٩) سورة فصلت : آية ٣٧ .
(٤٠) سورة الرعد : آية ١٥ .

فبين تعالى أن السجود كرهًا غير السجود بالطوع الذى هو السجود المعهود عندنا . وإذ قد أخبر الله تعالى بهذا وصح أيضاً بالعيان، فقد علمنا بالضرورة أن السجود الذى أخبر الله تعالى أنه يسجده له من فى السموات والأرض هو غير السجود الذى يفعله المؤمنون طوعا، ويستكبر عنه بعض الناس ، ويمتنع منه أكثر الخلق . هذا مما لا يشك فيه مسلم ، فإذ هذا كذلك بلا شك فواجب علينا أن نطلب معنى هذا السجود ما هو ؟ ففعلنا فوجدناه مبينا بلا إشكال فى آيتين من كتاب الله وهما قوله تعالى : « وظلالهم بالغدو والآصال[٤١]» .

وقوله تعالى : « أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلالُه عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون[٤٢]» .

فبين تعالى فى هاتين الآيتين بيانًا لا إشكال فيه : أن ميل الفيء والظل بالغدوات والعشيات[٤٣] من كل ذى ظل هو معنى السجود المذكور فى الآية ، لا السجود المعهود عندنا . وصح بهذا أن لفظة السجود هى من الأسماء المشتركة التى تقع على نوعين فأكثر . وأما قوله تعالى : « قالتا أتينا طائعين » .

فقد علمنا بالضرورة والمشاهدة أن القول فى اللغة التى نزل بها القرآن إنما هو دفع آلات الكلام من أنابيب الصدر والحلق والحنك ، واللسان والشفتين والأضراس بهواء يصل إلى أذن السامع فيفهم به مرادات القائل ، فإذ لا شك فى هذا فكل من لا لسان له ولا شفتين ولا أضراس ولا حنك ولا حلق فلا يكون منه القول المعهود منا . هذا[٤٤]ما لا يشك فيه ذو عقل ، فإذ هذا هكذا كما قلنا بالعيان . فكل قول ورد به نص ولفظ مخبَر به عمن ليست هذه صفته فإنه ليس هو القول المعهود عندنا ، لكنه معنى آخر فإذ هذا كما ذكرنا فالبضرورة قد صح أن معنى قوله تعالى : « قالتا أتينا طائعين » إنما هو الجرى[٤٥] على نفاذ حكمه عز وجل فيهما وتصريفه لهما . وأما « عرضه تعالى الأمانة على السماوات والأرض والجبال وإباية كل واحدٍ منها وإشفاقها[٤٦] فلسنا نعلم نحن ولا أحد من الناس كيفية ذلك .

وهذا نص قوله تعالى : « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم »[٤٧] فمن تكلف أو كلف غيره معرفة ابتداء الخلق وأن له مبدأ لا يشبهه ألبتة ، فأراد معرفة كيف كان فقد دخل فى قوله تعالى : « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم[٤٨]» .

---

(٤١) سورة الرعد : ١٥ .
(٤٢) سورة النحل : ٤٨ .
(٤٣) فى (خ) [والعشايا] .
(٤٤) فى (أ ، ب) [مما] .
(٤٥) سقطت كلمة [الجرى] من (ب) .
(٤٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [وإشفاقها] .
(٤٧) الكهف : ٥١ .
(٤٨) سورة النور : آية ١٥ .

إلَّا أننا نوقن أنه تعالى لم يعرض على السماوات والأرض والجبال الأمانة إلَّا وقد جعل فيها تمييزًا لما عرض عليها ، وقوة تفهم بها الأمانة فيما عرض عليها ، فلما أبتها وأشفقت منها سلبها ذلك التمييز ، وتلك القوة ، وأسقط عنها تكليف الأمانة . هذا ما يقتضيه كلامه عزَّ وجل ، ولا مزيد عندنا على ذلك . وأمّا ما كان بعد ابتداء الخلق فمعروف الكيفيات قال تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلًا لا مبدّل لكلماته[٤٩]» .

فصح أنه لا تبديل لما رتبه الله تعالى مما أجرى عليه خلائقه . حاشا ما أحال فيه الرتب والطبائع للأنبياء عليهم السلام ، فإن اعترضوا أيضًا بقول الله تعالى يصف الحجارة : « وإنَّ من الحجارة لما يتفجَّر منه الأنهار ، وإنَّ منها لما يَشَّقَّق فيخرجُ منه الماء ، وإنَّ منها لما يهبُط من خشية الله[٥٠]» .

فقد علمنا بالضرورة أن الحجارة لم تؤمر بشريعة ولا بعقل ولا بعث إليها نبى قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا[٥١]» .

فإذ لا شك فى هذا فإن القول المذكور[٥٢] منه تعالى يخرج على أحد ثلاثة أوجه :

إحداها أن يكون الضمير فى قوله تعالى : « وإنَّ منها لما يهبط » راجع إلى القلوب المذكورة فى أوّل الآية فى قوله تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » الآية .

فذكر تعالى : أن من تلك القلوب القاسية ما يقبل الإيمان يومًا ما فيهبط عن القسوة إلى اللين من خشية الله تعالى . وهذا أمر يشاهد بالعيان فقد تلين القلوب القاسية بلطف الله تعالى ويخشى العاصى .

وقد أخبر عزّ وجل : أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليهم[٥٣]. وكما أخبر تعالى : أن من الأعراب من يؤمن بالله من بعد أن أخبر تعالى أن « الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا ، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله[٥٤]» .

فهذا وجه ظاهر متيقّن الصحة .

---

(٤٩) سورة الانعام : ١١٥ .
(٥٠) سورة البقرة : ٧٤ .
(٥١) سورة الإسراء آية : ١٥
(٥٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [المذكور] .
(٥٣) الآية التى تشير إلى ذلك قول الله تعالى فى سورة آل عمران آية : ١٩٩ : « وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله » . . الآية .
(٥٤) سورة التوبة آية : ٩٧ .

والوجه الثانى : أن الخشية المذكورة فى الآية إنما هى التصرف بحكم الله تعالى وجرى أقداره[٥٥] كما قلنا فى قوله تعالى عزَّ وجل حاكيًا عن السماء والأرض : « قالتا أتينا طائعين » . وقد بيّن جل وعز ذلك موصولًا بهذا اللفظ فقال جل وعزَّ : « فَقَضَاهنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فى يَوْمَيْنِ وأَوْحَى فى كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها[٥٦] » فبين الله تعالى بيانًا رفع كل إشكال : أن تلك الطاعة من السماوات والأرض إنما هى تصرفه لها ، وقضاؤه تعالى « إياهن سبع سماوات ، ووحيه فى كل سماء أمرها ، فصح قولنا نصًا جليًا ببيان الله تعالى لذلك والحمد لله رب العالمين .

وصح بهذا أن إباية السماوات والأرض والجبال من قبول الأمانة إنما هو لما ركبها الله تعالى عليه من الجمادية وعدم التمييز ، وقد علم كل ذى عقل امتناع قبول ما هذه صفته للشرائع والأوامر والنواهى ، وقد ذم الله تعالى « من ينعق بما لا يسمع إلَّا دعاء ونداء[٥٧] » .

ولا يحل لمسلم أن ينسب إلى الله تعالى فعلًا ذمه .

والوجه الثالث : أن يكون الله تعالى عنى بقوله : « وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله » : الجبل الذى صار دكًا إذ تجلى الله تعالى له يوم سأله كليمه عليه السلام الرؤية ، فذلك الجبل من جملة الحجارة ، وقد هبط عن[٥٨] مكانه من خشية الله تعالى . وهذه معجزة وآية وإحالة طبيعة فى ذلك الجبل خاصة . ويكون « يهبط » بمعنى « هبط » كما قال الله عزَّ وجل « وإذ يمكر بك الذين كفروا[٥٩] » .

ومعناه بلا شك وإذ مكر .

وبين قوله تعالى مصدقًا إبراهيم خليله ﷺ فى إنكاره على أبيه عبادة الحجارة « ياأبتِ لِمَ تعبدُ مَا لَا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ[٦٠] » .

وقوله[٦١] تعالى : أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون » ما هى عليه من الجمادية وعدم التمييز[٦٢].

---

(٥٥) فى (خ) [وجرى أحكامه] .

(٥٦) سورة فصلت : آية رقم ١٢ .

(٥٧) قال تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلَّا دعاء ونداء » البقرة ١٧١ .

(٥٨) فى (أ) : [من] .

(٥٩) سورة الأنفال : آية ٣٠ .

(٦٠) سورة مريم : آية ٤٢ .

(٦١) فى النسخة (ب) [وبقوله] والآية سورة الزمر آية ٤٣ وصوابها : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء » وقد ذكرت فى النسختين [واتخذوا] .

(٦٢) سقطت فى (ب) [ما هى عليه من الجمادية وعدم التمييز] .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فصح بهذا صحة لا مجال للشك فيها أن الحجارة لا تعقل لأنها التى كانوا يعبدون مما يعقل

وأما سائر ما كانوا يعبدون من الملائكة ، والمسيح وأمه عليهما السلام ، ومن الجن ، فكل هؤلاء عاقلون مميزون ، فلم يبق إلا الحجارة فصح بالنص أنها لا تعقل ، وإذ تيقن ذلك بالنص وبالضرورة وبالمشاهدة ، فقد انتفى عنها النطق والتمييز والخشية المعهود كل ذلك عندنا وصحَّ أن هذه الألفاظ واقعة على معان غير المعهودة عندنا[٦٣] وهذا نص قولنا « والحمد لله رب العالمين » .

وأما الأحاديث المأثورة فى أن الحجر له لسان وشفتان ، والكعبة كذلك ، وأن الجبال تطاولت ، وخشع جبل كذا فخرافات موضوعة نقلها كل كذاب وضعيف لا يصح شيء منها من طريق الإسناد ولا يصح شيء من ذلك[٦٤] أصلًا .

ويكفى من التطويل فى ذلك أنه لم يُدخل شيئًا منها من انتدب من الأئمة لتصنيف الصحيح من الحديث . أو ما يستجاز روايته مما يقارب الصحة .

قال «أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكل من يخالفنا فى هذا فإنه إذا أقر لنا أن القول المذكور فى الآيات التى تلونا ، والسجود والتسبيح والخشية ليس شيء منه على الصفة المعهودة بيننا ، قد وافقنا أحب أو كره ، وهم كلهم مقرون بذلك ، وقد جاء ذلك فى أشعار العرب :

قال الشاعر : شكى إلىَّ جملى طول السُّرى[٦٥].

وقال آخر : فقالت له العينان سمعًا وطاعة[٦٦].

وقال الراعى : قلق الفئوس إذا أردن نصولًا[٦٧].

ومن هذا الباب قوله تعالى : « جدارًا يريد أن ينقض فأقامه[٦٨]» .

---

(٦٣) فى (أ ، ب) سقطت العبارة من [وصح أن هذه الألفاظ . . . عندنا] .

(٦٤) فى (أ ، ب) سقطت جملة [ولا يصح شيء من ذلك] . والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه الوليد بن عباد وهو مجهول وبقية رجاله ثقات كذلك رواه الطبرانى فى الكبير من طريق بكر بن محمد القرش عن الحارث ابن غسان وكلاهما غير معروف .

(٦٥) هذا صدر بيت وعجزه : « صبر جميل فكلانا مبتلى » . وقد استشهد به الأشمونى فى حذف المبتدأ إذا كان الخبر مصدرًا ينوب عن فعله ولم ينسبه بل قال : « وقال الراجز » . واستشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : « وقولوا حطة » فى سورة البقرة ولم ينسبه ، ورجعت إلى معجم شواهد العربية لعبد السلام هارون فلم يذكره .

(٦٦) هذا صدر بيت وعجزه : « وإن كنت قد حمّلت ما لم أحمَّل » .

(٦٧) وهذا عجز بيت للراعى وصدره : « فى مهمه قلقت به هاماتها : « قلق الفئوس إذا أردن نصولا » .

(٦٨) سورة الكهف : آية ٧٧ .

وهذا بلا شك غير الإرادة المعهودة من الحيوان . فصح قولنا بالنص والضرورة ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قول رسول الله ﷺ : « يوم يقنص للشاة الجمّاء من الشاة القرناء[٦٩] » فقد قال الله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرّطنا فى الكتاب من شىء ، ثم إلى ربهم يحشرون[٧٠] » . وقال تعالى : « وإذا الوحوش حشرت[٧١] » .

فصح أنها تحشر بلا شك ، ويسلط الله تعالى ما يشاء من خلقه على من يشاء فإذا سلط القرناء على الجماء فى الدنيا فله تعالى أن يسلط الجماء على القرناء فى الآخرة يوم القيامة . ولم يأت نص ولا إجماع ولا دليل عقل ، ولا دليل خبر على أن المواشى متعبدة بشريعة . وهذا مما نُقِرُّ به ونقول :

يفعل الله ما يشاء ، ولا علم لنا إلا ما علمنا . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٦٩) نص الحديث كما رواه أحمد فى مسنده : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلماء من الشاة القرناء تنطحها » . وقد رواه البخارى فى كتابه الأدب ورواه الإمام مسلم ، والترمذى ، والسيوطى فى الجامع الصغير حـ ٢ ص ١٢٢ .

(٧٠) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٧١) سورة التكوير : آية رقم ٥ .

الرد على من زعم أن الأنبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلًا

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : حديث فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ﷺ ليس هو الآن[1] رسول الله ﷺ ، ولكنه كان رسول الله ﷺ ، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية[2].

وأخبرنى « سليمان بن خلف الباجى[3]» وهو من مقدميهم اليوم أن « محمد بن الحسن ابن فورك[4]» الأصبهانى على هذه المسألة قتله بالسم « محمود بن سبكتكين[5]» صاحب ما دون وراء النهر من خراسان رحمه الله .

---

(١) فى (خ) [اليوم] .

(٢) نسبة إلى أبى الحسن الأشعرى (٢٦٠ - ٣٢٤ هـ - ٨٧٤ - ٩٣٦م) وهو :
على بن إسماعيل إسحاق ، أبو الحسن من نسل الصحابى أبى موسى الأشعرى مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ولد بالبصرة - وتلقى مذهب المعتزلة ثم رجع وجاهر بخلافهم وتوفى ببغداد قيل بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب منها الرد على المجسمة ، ومقالات الإسلاميين (الاعلام حـ ٥ ص ٦٩) . وهذا القول الذى نسبه ابن حزم إلى الأشعرية لم يقل به أحد منهم ، وإنما نسبه إليهم بعض من تحاملوا عليهم ، ولهذا يقول أبو القاسم القشيرى فى كتابه « شكاية أهل السنة » : فأمّا ما حكى عنه (أى عن الأشعرى) وعن أصحابه من أنهم يقولون : إن محمداً ﷺ ليس بينى فى قبره ، ولا رسول بعد موته - فبهتان عظيم ، وكذب محض لم ينظر به أحد منهم ، ولا سمع فى مجلس مناظرة ذلك عنهم - ولا وجد فى كتاب لهم » وكذلك قال الباقلانى فى كتابه (رسالة الحرة - المسمى بالإنصاف ص ٥٥ - فراجع ذلك ليتبين لك براءة الأشعرى وأصحابه من هذا الإفك .

(٣) أبو الوليد الباجى ٤٠٣ - ٤٧٤ هـ - ١٠١٢ - ١٠٨١م
سليمان بن خلف الباجى ، فقيه مالكى كبير من رجال الحديث أصله من بطليوس ومولده فى باجه بالأندلس رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦ هـ فمكث ثلاثة أعوام وأقام ببغداد ثلاثة أعوام وبالموصل عاما وفى دمشق وحلب مدة وعاد إلى الأندلس فولى القضاء فى بعض أنحائها وتوفى بالمرية شرح موطأ مالك وشرح المدونة وله « التعديل والتجريح لمن روى عنه البخارى فى الصحيح (الاعلام حـ ٣ ص ١٨٦) .

(٤) محمد بن الحسن بن فورك (٤٠٦ هـ - ١٠١٥ م)
الأنصارى الأصبهانى أبو بكر : واعظ عالم بالأصول والكلام ، من فقهاء الشافعية سمع بالبصرة وبغداد . وحدث بنيسابور ، وبنى فيها مدرسة ،، وتوفى على مقربة منها فنقل إليها وفى النجوم الزاهرة : قتله محمود بن سبكتكين بالسم لقوله : كان رسول الله ﷺ فى حياته فقط ، وأن روحه قد بطل وتلاشى له كتب كثيرة قال ابن عساكر بلغت تصانيفه فى أصول الدين وأصول الفقه ومعانى القرآن قريبًا من المئة منها مشاكل الحديث وغريبه ، والنظامى فى أصول الدين ألفه لنظام الملك (الاعلام حـ ٦ ص ٣١٢) .

(٥) السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين الغزنوى (٣٦١ - ٤٢١ هـ - ٩٧١ - ١٠٣٠م)
يمين الدولة أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبى منصور فاتح الهند وأحد كبار القادة امتدت سلطنته من أقاصى الهند إلى نيسابور وكانت عاصمته غزنة بين خراسان والهند وفيها ولادته ووفاته ، مات أبوه سبكتكين صاحب غزنة ناصر الدولة أمير غزاة الهند أبو منصور سنة ٣٨٧ هـ =

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله ﷺ ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام مذ كان الإسلام إلى يوم القيامة ، وإنما حملهم على هذا قولهم الفاسد أن الروح عرض ، والعرض يفنى أبدًا ، ويحدث ولا يبقى وقتين ، فروح النبى ﷺ عندهم قد فنيت وبطلت ، ولا روح له الآن عند الله تعالى . وأما جسده ففى قبره موات فبطلت نبوته عندهم[٦] بذلك ورسالته .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ونعوذ بالله من هذا القول فإنه كفر صراح لا تردد[٧] فيه ، ويكفى من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع أنه مخالف لما أمر الله عزَّ وجلَّ به ، ورسوله ﷺ ، واتفق عليه جميع أهل الإسلام من كل فرقة وكل نحلة من الأذان فى الصوامع كل يوم خمس مرَّات فى كل قرية من شرق الأرض إلى غربها بأعلى أصواتهم ، وقد قرنه الله تعالى بذكره : أشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فعلى قول هؤلاء الموكلين إلى أنفسهم يكون الأذان كذبًا ، ويكون من أمر به[٨] كاذبًا وإنما كان يجب أن يكون الأذان على قولهم أشهد أن محمدًا كان رسول الله . وإلا فمن أخبر عن شيء كان وبطل أنه كائن الآن فهو كاذب ، فالأذان كذب على قولهم ، وهذا كفر مجرد ، وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الإسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتاهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإنه باطل على قول هؤلاء ، وكذلك ما عمل به رسول الله ﷺ مدة قتاله الأمة ، وأمره عن الله عز وجل بأن يُعمل به بعده أبدًا ، وأجمع على القول به والعمل جميعُ أهل الإسلام من أول الإسلام إلى آخره ، ومن شرق الأرض إلى غربها ، إنسهم وجنهم بيقين مقطوع به دون مخالف فيما تخرج به الدماء من[٩] التحليل إلى التحريم ، أو إلى الحقن[١٠] بالجزية من أن يعرض على أهل الكفر أن يقولوا : لا إله إلَّا الله محمد رسول الله ، فيجب على قول هؤلاء المخذولين[١١] أن هذا باطل وكذب ، وإنما كان يجب أن يكلفوا أن يقولوا

=وخلف ثلاثة أولاد هم محمود وإسماعيل ونصر وجرت بينهم حروب ظفر بها محمود واستولى على الامارة سنة ٣٨٩ هـ وأرسل إليه القادر بالله العباسى خلعة السلطنة فقصد بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدى السامانية ، وحمد لقتال ملك الترك بما وراء النهر وجعل دأبه غزوة الهند مرة فى كل عام فافتتح بلادًا شاسعة واستمر إلى أن أصيب بمرض عاناه مدة سنتين لم يضطجع فيها على فراش بل كان يتكىء جالسًا حتيمات وهو كذلك وقبره فى غزنه وهو تركى الأصل مستعرب (الاعلام جـ ٨ ص ٤٨) .

(٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [عندهم] .

(٧) فى (خ) [لا تردّد] .

(٨) فى (أ) [ربه] بدلا من [به] .

(٩) فى (خ) : (يخرج به إلى الدنيا)

(١٠) الحقن بالجزية : يقصد المحافظة على أهل الذمة بسبب دفعهم الجزية ، جاء فى لسان العرب : حقن دم الرجل : حل به القتل فأنقذه .

(١١) فى (أ ، ب) [المحرومين] .

محمد كان رسول الله ، وكذلك قوله تعالى : « ورسلًا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلًا لم نقصصهم عليك[١٢] » .

وكذلك قوله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم[١٣] » .

وقوله تعالى : « وجيء بالنبيين والشهداء[١٤] » .

فسماهم الله رسلًا وقد ماتوا ، وسماهم نبيين ورسلًا وهم فى القيامة ، وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مُصَلٍّ فرضًا أو نافلة : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فلو لم يكن روحه عليه السلام موجودًا قائمًا لكان السلام على العدم هذرًا .

فإن قالوا : كيف يكون ميتًا رسول الله ؟ وإنما الرسول هو الذى يخاطب عن الله بالرسالة .

قيل لهم : نعم يكون من أرسله الله تعالى مرة واحدة فقط رسولًا لله تعالى أبدًا ، لأنه حاصل على مرتبة جلالة لا يحطه عنها شيء أبدًا . ولا يسقط عنه هذا الإسم أبدًا .

ولو كان ما قلتم لوجب ألا يكون رسول الله ﷺ رسولًا إلى أهل اليمن فى حياته لأنه لم يكلمهم ولا شافههم .

ويلزم أيضًا أن لا يكون رسولَ اللهإلا ما دام يكلم الناس ، فإذا سكت أو أكل أو نام أو جامع لم يكن رسول الله . وهذا حمق مشوب بكفر ، وخلافٌ للإجماع المتيقن ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأيضًا فإن خبر الإسراء الذى ذكره الله عز وجل فى القرآن وهو منقول نقل التواتر ، وأحدُ أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله ﷺ أنه رأى الأنبياء عليهم السلام فى سماء سماء فهل رأى إلّا أرواحهم التى هى أنفسهم ؟ ! ومن كذَّب بهذا أو بعضه فقد انسلخ عن الإسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان . وهذه براهين لا محيد عنها .

وقد صح عن رسول الله ﷺ : أنه أخْبرَ أن لله ملائكة يبلِّغونه منّا السلام ، وأنه من رآه

---

(١٢) سورة النساء : ١٦٤ .
(١٣) سورة المائدة : ١٠٩ .
(١٤) سورة الزمر : ٦٩ .

فى النوم فقد رآه حقًا[١٥]، ولقد بلغنى عن بعضهم أنهم يقولون : « إنَّ أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن لسن الآن أمهات المؤمنين ، لكنهن كن أمهات المؤمنين » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ، ولو كان هذا لوجب أن لا تكون أم المرء التى ولدته ، وأبوه الذى ولده أباه ، ولا أمه ، إلَّا فى حين الولادة والحمل من الأم فقط ، وفى حين الإنزال من الأب فقط لا بعد ذلك ، وهذا من السخف الذى لا يرضى به لنفسه ذو مسكة .

فإن قالوا أتقولون إن عمر أمير المؤمنين أو عثمان أيضاً كذلك ؟

قلنا لهم : لا ، وهذا إجماع لأنه لا يكون أمير المؤمنين إلَّا مَنْ يكون[١٦] الائتمارُ بأمره واجب ، وليس هذا لأحد بعد موته إلَّا للنبى ﷺ وإنما هو لخليفة بعد خليفة طول حياته فقط .

فبطل أن يكون لهم فيها متعلق . وبالله تعالى التوفيق[١٧].

---

(١٥) عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » . (رواه أحمد فى مسنده ، والترمذى والبخارى ، وذكره السيوطى فى (الجامع الصغير حـ ٢ ص ١٧١) .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتزيًا بى » رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم . وعن أبى قتادة : « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى » رواه البخارى ومسلم وأبو داود فى سننه .

(١٦) فى (أ ، ب) سقطت [المؤمنين ويكون] .

(١٧) فى (أ ، ب) سقطت جملة [وبالله تعالى التوفيق] .

الكلام على من قال بتناسخ الأرواح

قال « أبو محمد (رضى الله عنه) : افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين : فذهبت الفرقة الواحدة إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر ، وإن لم تكن من نوع الأجساد التى فارقت . وهذا قول « أحمد بن حابط » تلميذ النظام[1] و « أحمد بن نانوس »[2] تلميذ أحمد بن حابط و « أبى مسلم الخراسانى » و « محمد بن زكريا الرازى » الطبيب . صرّح بذلك فى كتابه الموسوم بالعلم الإلهى ، وهو قول « **القرامطة** من الاسماعيلية ، وغالية الرافضة الذين رفضوا الإسلام جملة ، لا أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، ومنهم النضرية والمحمدية وانقسمت النضرية على فرق تزيد على خمس عشر فرقة ، أولها : السبابية ، وكل هذه الفرق تقول بألوهية على رضى الله عنه ، وسنذكر فى الكلام على الشيعة طرفا من أمرهم ، وقد صرح بهذا محمد بن زكريا الرازى فى كتابه الموسوم بالعلم الإلهى ، فقد قال[3] فى بعض كتبه : لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح عن الأجسام المتصوّرة بالصور البهيمية إلى الأجساد المتصوّرة بصور الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان ألبتة . وقد ادّعى بعضهم : أن النسخ لا يكون إلا فى الأنفس فقط ، فنجد الإنسان يتخلق بأخلاق غير نوع الإنسان ، قال فهذا هو النسخ .

والمسخ : هو تغيير الصورة ونفسها معاً ، والنسخ هو تغيير النفس عن أخلاقها فقط ، ولهم فى هذا خباط كثير لا يحصى ، وبالله تعالى التوفيق[4].

---

(١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [تلميذ النظام] .

(٢) أحمد بن أيوب بن مانوس : كان من تلاميذ النظام . وافق أحمد بن حابط وفضل الحدثى على القول بالتناسخ ، وفى كثير مما ذهب إليه . راجع الوافى بالوفيات ٢٦١/٦ .

(٣) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول قوله [من الإسماعيلية إلى فقد قال] وهو يقرب من أربعة أسطر .

(٤) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول قوله [وقد ادّعى بعضهم : أن النسخ لا يكون إلا فى الأنفس إلى وبالله تعالى التوفيق] وهو ثلاثة أسطر أو أكثر .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذه كما ترى دعاوى وخرافات بلا دليل .

وذهب هؤلاء إلى أن التناسخ إنما هو على سبيل العقاب والثواب ، قالوا فالفاسق المسىء الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة فى الأقذار ، والمسخرة المؤْلَمة الممتهنة بالذبح .

واختلفوا فى الذى كانت أفاعيله كلها شرًّا لا خير فيها ، فقال بعضهم : أرواح هذه الطبقة هى الشياطين . وقال « أحمد بن حابط » : إنها تنتقل إلى جهنم فتعذَّب بالنَّار أبد الأبد .

واختلفوا فى الذى كانت أفاعيله كلها خيرا لا شرَّ فيها ، فقال بعضهم : أرواح هذه الطبقة هى الملائكة . وقال « أحمد بن حابط » : إنها لا شك أنها تنتقل إلى الجنة فتنعم فيها أبد الأبد . واحتجت هذه الطائفة المرتسمة بالإسلام أعنى « أحمد بن حابط » و « أحمد بن نانوس » بقول الله تعالى : « يأيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم ، الذى خلقك فسوَّاك فعدلك ، فى أىِّ صورة ما شاء ركبك[٥] » .

وبقوله تعالى : « جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ، ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه[٦] » .

واحتج من هذه الطائفة من لا يقول بالإسلام بأن قالوا : إن النفس لا تتناهى ، والعالم لا يتناهى لأمده[٧]، فالنفس متنقلة أبدًا ، وليس انتقالها إلى نوعها بأولى من انتقالها إلى غير نوعها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وذهبت الفرقة الثانية إلى أن منعت[٨] انتقال الأرواح إلى غير أنواع أجسادها التى فارقت ، وليس من هذه الفرقة أحد يقول بشىء من الشرائع ، وهم من الدهرية . وحجتهم هى حجة الطائفة التى ذكرنا قبلها ، القائلة إنه لا تناهى للعالم فوجب أن تتردد النفس فى الأجساد أبدًا . قالوا ولا يجوز أن تنتقل إلى غير النوع الذى أوجب لها طبعها الإشراف عليه وتعلقها به .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : أما الفرقة المرتسمة باسم الإسلام فيكفى من الردّ عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم ، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام ، وأن النبى ﷺ أتى بغير هذا ، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلَّا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة ، ثم بالجنة أو بالنَّار فى موقف الحشر فقط ، إذا جُمعت أجسادُها مع أرواحها التى كانت فيها .

(٥) سورة الانفطار : آية رقم ٦ – ٨ .
(٦) سورة الشورى : آية رقم ١١ .
(٧) فى (أ ، ب) [لأمد] .
(٨) فى (أ ، ب) [من] انتقال .

وأما احتجاجهم بالآيتين فكفى من بطلان قولهم أيضًا ما ذكرناه من الإجماع وأن الأمّة كلها مجمعون بلا خلاف على أن المراد بهاتين الآيتين غيرُ ما ذكر هؤلاء الملحدون ، وأن المراد بقوله تعالى : « فى أى صورة ما شاء ركَّبك » أنها[٩] الصورة التى ركّب[١٠] الإنسان عليها من طول أو قصر ، أو حسن أو قبح ، أو بياض أو سواد ، وما أشبه ذلك .

وأما الآية الأخرى فإنَّ معناها أن الله تعالى امتنَّ علينا فى أن خلق لنا من أنفسنا أزواجًا نتولّد منها ، ثم امتنَّ علينا بأن خلق لنا من الأنعام ثمانية أزواج ، ثم أخبر تعالى أنه يذرؤنا فى هذه الأزواج يعنى التى هى من أنفسنا فتبيّن ذلك بيانًا ظاهرًا لا خفاء به أن الله تعالى أخبرنا فى هذه الآية نفسها أن الأزواج المخلوقة لنا ، إنما هى من أنفسنا ، ثم فرَّق بين أنفسنا وبين الأنعام ، فلا سبيل إلى أن يكون لنا أزواج نتولد فيها غير أنفسنا ، ويكفى من هذا أن قولهم : إنما هو دعوى بلا برهان ، وإنّما رتبوه على أصلهم فى العدل فأخرجوا هذا الوجه لما[١١] شاهدوه من إيلام الحيوان ، وكل قولٍ لم يوجبه برهان فهو باطل ، ولم يأت هذا القول قط عن أحد من الأنبياء . وهؤلاء القوم مقرُّون بالأنبياء عليهم السلام فلاح يقينًا فساد قولهم .

وأما الفرقة الثانية القائلة بالدّهر ، فإننا نقول وبالله التوفيق :

« إنه يكفى من فساد قولهم هذا أنّه دعوى بلا برهان لا عقلى ولا حسى ، وما كان هكذا فهو باطل بيقين لا شك فيه ، لكننا لا نقنع بهذا بل نبيّن عليهم بيانًا لائحًا ضروريًا بحول الله وقوته ، فنقول وبالله تعالى نستعين :

إنَّ الله تعالى خلق الأنواع والأجناس ، ورتب الأنواع تحت الأجناس ، وفَصَل كل نوع من النوع الآخر بفصله الخاص له الذى لا يشاركه فيه غيره ، وهذه الفصول المذكورة لأنواع الحيوان إنما هى لأنفسها التى هى أرواحها ، فنفس الإنسان حية ناطقة ، ونفس الحيوان حية غير ناطقة هذا هو طبيعة كل نفس وجوهرُها الذى لا يمكن استحالته عنه ، فلا سبيل إلى أن يصير غير الناطق ناطقًا ، ولا الناطق غير ناطق ، ولو جاز هذا لبطلت المشاهدات ، وما أوجبه الحس وبديهة العقل والضرورة من[١٢] انقسام الأشياء على حدودها .

وأما الفرقة الثالثة : التى قالت : إن الأرواح تنتقل إلى أجساد نوعها ، فيبطل قولهم بحول

(٩) فى (خ) [إنما هى] .
(١٠) فى (أ ، ب) [رتّب] .
(١١) فى (خ) [على ما شاهدوه] .
(١٢) فى (أ ، ب) [لانقسام] .

الله تعالى وقوَّته بطلانًا ضروريًا بكل ما كتبناه فى إثبات حدوث العالم ووجوب الابتداء له ، والنهاية من أوله[١٣].

وبما كتبناه فى إثبات النبوة ، وأن جميع النبوات وردت بخلاف قولهم ، وببرهان ضرورى عليهم ، وهو أنه ليس فى العالم كله شيئان يشتبهان بجميع أعراضهما اشتباهًا تامًّا من كل وجه ، يعلم هذا من تدبَّر اختلاف الصور ، واختلاف الهيئات ، وتباين الأخلاق ، وإنما يقال هذا الشىء يشبه هذا على معنى أن ذلك فى أكثر أحوالهما لا فى كلها ، ولو لم يكن ما قلنا ما فرَّق أحد بينهما ألبتة .

وقد علمنا بالمشاهدة أن كل من يتكرر عليه ذلك الشيئان المشتبهان تكررًا كثيرًا متصلًا أنه لابد أن يفصل بينهما ، وأن يُميِّز أحدهما عن[١٤] الثانى ، وأن يجد فى كل واحد منهما أشياء بَانَ بها عن الآخر ، لا يشبهه فيها - فصحَّ بهذا أنه لا سبيل إلى وجود شخصين يتفقان فى أخلاقهما كلها حتى لا يكون بينهما فرق فى شىء منها ، وقد علمنا بيقين أن الأخلاق محمولة فى النفس ، فصح بهذا أن نفس كل ذى نفس من الأجساد من أىّ نوع كانت غيرُ النفس التى فى غيره من الأجساد كلها ضرورة .

وقال أيضًا بعض من ذهب إلى التناسخ من الحاملين ذلك على سبيل الجزاء : إن الله تعالى عدل حكيم رحيم كريم ، فإذ هو كذلك ، فمحال أن يعذّب من لا ذنب له ، قال : فلما وجدناه تعالى يقطع أجسام الصبيان الذين لا ذنب لهم بالجدرى والقروح ويأمر بذبح بعض الحيوان الذى لا ذنب له ، وبطبخه وأكله ، ويسلط بعضها على بعض فيقطعه ويأكله ، ولا ذنب له علمنا أنه تعالى لم يفعل ذلك إلّا وقد كانت الأرواح عصاة مستحقة للعقاب فركبت[١٥] فى هذه الأجساد لتعذّب فيها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد تكلمنا على إبطال هذا الأصل الفاسد فى غير هذا المكان فى باب الكلام على « البراهمة » فى كتابنا هذا بما يكفى ، وقد ردَّدنا الكلام أيضًا فى بيان بطلانه فى غير ما موضع من كتابنا ، وفى باب الكلام على من أبطل القدر من المعتزلة فى كتابنا هذا ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١٣) فى (خ) نقصت العبارة من [حدوث العالم إلى أوله] .

(١٤) فى (أ ، ب) [من] .

(١٥) فى (أ ، ب) [بكسب هذه الأجساد] وهو تحريف ظاهر .

ويكفى من بطلان هذا الأصل الفاسد أن يقال لهم : إن طردتم هذا الأصل وقعتم فى مثل ما أنكرتم ولا فرق ، وهو أن الحكيم العدل الرحيم على أصلكم لا يخلق من يعرضه للمعصية حتى يحتاج إلى إفساده بالعذاب بعد إصلاحه ، وقد كان قادرًا على أن يطهر كل نفس خلقها ولا يعرضها للفتن ، ويلطف بها ألطافًا فيصلحها بها ، حتى تستحق كلُّها إحسانه والخلود فى النعيم ، وما كان ذلك يُنقض شيئًا من ملكه ، فإن كان عاجزًا عن ذلك فهذه صفة نقص ، ويلزم حاملها أن يكون من أجل نقصه محدَثًا مخلوقًا ، فإن طردوا هذا الأصل خرجوا إلى قول المانوية[١٦] فى أن للأشياء فاعِلَيْن . وقد تقدّم إبطالنا لقولهم وبالله تعالى التوفيق .

وبينا أن الذى لا آمر فوقه ولا مرتب عليه فإن كل ما يفعله فهو حق وحكمة ، وإذ قد تعلق هؤلاء القوم بالشريعة فحكم الشريعة أن كل قولٍ لم يأت عن نبى تلك الشريعة فهو كذب وفرية ، فإذ لم يأت عن أحد من الأنبياء عليهم السلام القول بتناسخ الأرواح فقد صار قولهم به خرافة وكذبًا وباطلًا . وبالله تعالى التوفيق .

(١٦) ف (خ) [المنانية] .

فصل فى الكلام على
من أنكر الشرائع من المنتمين إلى الفلسفة بزعمهم
وهم أبعد الناس عن العلم بها جملة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : نبين فى هذا الفصل بحول الله تعالى وقوته وجوب صحة الشرائع على ما توجبه أصول الفلاسفة على الحقيقة أولهم عن آخرهم على[1] اختلاف أقوالهم فى غير ذلك إن شاء الله تعالى .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ، ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس ، بأن تَستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها فى المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرّعية ، وهذا نفسه لا غيره هو الغرض فى الشريعة ، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد العلماء بالفلسفة ، ولا بين أحد من العلماء بالشريعة ، فيقال لمن انتمى إلى الفلسفة بزعمه وهو ينكر الشريعة بجهله على الحقيقة بمعانى الفلسفة ، وبعده عن الوقوف على غرضها ومعناها .

أليست الفلسفة بإجماع من الفلاسفة مبينة للفضائل من الرذائل ؟ ، موقفة على البراهين المفرِّقة بين الحق والباطل ؟ فلا بد من بلى[2] ضرورة . فيقال له أليس الفلاسفة كلهم قد قالوا : صلاح العالم بشيئين : أحدهما باطن والآخر ظاهر ؟ . فالباطن : هو استعمال النفس للشرائع الزاجرة عن تظالم الناس وعن القبائح . والظاهر : هو التحصين بالأسوار ، واتخاذ السلاح لدفع العدو الذى يريد ظلم الناس والإفساد ، ثم أضافوا إلى إصلاح النفوس بما ذكرنا إصلاحَ الأجساد بالطب ؟ فلا بدَّ من بلى[3] ضرورة . فيقال لهم : فهل صلاح العالم وانكفاف الناس عن القتل

(١) فى (خ) [مثل] بدلًا من [على] .
(٢) فى (أ ، ب) [نعم] بدلًا من [بلى] وهو خطأ لغوى لأن الجواب فى الاثبات بعد الاستفهام المنفى يكون بـ [بلى] .
(٣) فى (أ ، ب) [نعم] .

الذى فيه فناء الخلق ، وعن الزنى الذى فيه فساد النسل وخراب المواريث ، وعن الظلم الذى فيه الضرر على الأنفس والأموال وخراب الأرض ، وعن الرذائل من البغى والحسد والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش ، والخيانة وسائر الرذائل إلّا بشرائع زاجرة للناس عن كل ذلك ؟ فلابد من نعم ضرورة ، وإلّا وجب الإهمال الذى فيه فساد كل ما ذكرنا[٤]، فإذًا لا بدَّ من ذلك ، ولولا ذلك لفسد العالم كله ، ولفسدت العلوم كلها ، ولكان الإنسان قد بطلت فضيلة الفهم والنطق والعقل الذى فيه صار كالبهائم ، فلا تخلو تلك الشرائع من أحد وجهين :

إمَّا أن تكون صحاحًا من عند الله عزّ وجل الذى هو خالق العالم ومدبره كما يقول أصحاب الشرائع .

وإمَّا أن تكون موضوعة باتفاق من أفاضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفّهم عن التظالم والرذائل .

فإن كانت موضوعة كما يقول هؤلاء المخاذيل ، فقد تيقنا أن ما ألزموا الناس من ذلك كذب لا أصل له ، وزور مختلق ، وإيجاب لما لا يجب ، وباطل لا حقيقة له ، ووعيد ووعد كلاهما كذب ، فإن كان ذلك كذلك فقد صار الكذبُ الذى هو أرذل الرذائل ، وأعظم الشر لا يتم صلاح العالم الذى هو الغرض من طلب الفضائل إلّا به ، وإذ ذلك كذلك ، فقد صار الحق باطلًا ، والصدق رذيلة وصار الباطل حقًا وصدقا ، والكذب فضيلة ، وصار لا قوام للعالم أصلًا إلا بالباطل ، وصار الكذب نتيجة الحق ، وصار الباطل ثمرة الصدق ، وصار الغرور والغش والخديعة فضائل ونصيحة ، وهذا أعظم ما يكون من المحال والممتنع والخلف الذى لا مدخل له فى العقل ، فإن قالوا إنه لو كُشف السرُّ فى ذلك إلى[٥] العامة لم ترغب فى الفضائل ، فوجب لذلك أن يُؤتى بما تَرهبُه وتتقيه ، فاضْطُرَّ فى ذلك إلى الكذب لهم كما يُفعل بالصبيان ، وكما أبحتم أنتم فى شرائعكم كذب الرجل لامرأته ليستصلحها بذلك ، وفى دفاع الظالم على سبيل التقية ، وفى الحرب كذلك[٦] فيلزمكم فى هذا ما ألزمتموه إيانا من أن الكذب صار حقا وفضيلة .

* * *

(٤) فى النسخة (أ) [ذكرناه] .

(٥) فى النسخة (ب) [أبى] .

(٦) عن النّواس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ : « مالى أراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النّار ، كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلّا أن يكذب الرجل فى الحرب ، فإن الحرب خدعة ، أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما ، أو يحدث امرأته يرضيها » رواه الطبرانى راجع إحياء علوم الدين للإمام الغزالى حـ ٣ ص ١٣٤ ، ١٣٥ – ورواه الإمام مسلم عن أم كلثوم بلفظ آخر .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فيقال لهم وبالله التوفيق :

أما نحن فقولنا : إنه ليس – كما ذكرتم – قبيحًا ، إذ أباحه الله عزَّ وجل الذى لا حسن إلَّا ما حسَّن وما أمر به ، ولا قبيح إلا ما قبَّح وما نهى عنه ، ولا آمر فوقه ، فلا يلزمنا ما أردتم إلزامنا إياه .

ثم أيضًا[٧] على أصولكم فإنه ليس ما ذكرتم معارضة ، ولا ماشبهتم به مُشْبِهًا لما شبهتموه به ، لأننا إنما أبحنا الكذب فى الوجوه التى ذكرتم للضرورة الدافعة إلى ذلك بالنص الوارد علينا بذلك كما جاز بالنص عند الضرورة دفع القتل عن النفس بقتل المريد لقتلها ، ولو أمكننا كفُّ الصبى والمرأة بغير ذلك لما جاز أصلًا فإذا ارتفعت الضرورة وجب الرجوع إلى استعمال الصدق على كل حال ، ولولا النص لم نبح شيئًا من ذلك ولا حرمناه[٨]، وأنتم فيما تدعونه من مداراة[٩] الناس كلهم مبتدئون لاختيار الكذب دون أن يأمركم به من يسقط عنكم اللوم بطاعته ، فأنتم لا عذر لكم على خلاف حكمنا فى ذلك .

ثم أنتم[١٠] لا تخلون من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إما أن تطووا هذا السر عن كل أحد فتصيرون إلى ما ألزمناكم من أن قطع الصدق جملة فضيلة ، وأن الكذب على الجملة حق واجب ، وهذا هو الذى ألزمناكم ضرورة .

وإمّا أن تبوحوا[١١] بذلك لمن وبحتم به فهذا إن قلتم به يوجب ضرورة كشف سركم فى ذلك ، لأنه لا يجوز ألبتة أن ينكتم أصلًا على كثرة العارفين به ، هذا أمر يعلم بالضرورة ، أن الشىء إذا كثر العارفون به فبالضرورة لابد من انتشاره ، فإن كنتم تقولون إن طيَّه واجب إلا عمن يوثق به ، وفى كشفه إلى من يوثق به ما يوجب انتشاره إلى[١٢] من لا يوثق به فقد رجعتم إلى وجوب كشفه ، لأن كشفه ألبتة هو نتيجة كشفه إلى خاص دون عام ، وفى كشفه بطلان ما دبرتموه صلاحًا ، فقد بطل حكمكم بالضرورة ، لا سيما والقائلون بهذا القول مجدون فى كشف سرهم هذا إلى الخاص والعام ، فقد أبطلوا عِلّتهم جملة وتناقضوا أقبح تناقض ، وعلى كل ذلك فقد صار الباطل والكذب لا يتم الخير والفضائل ألبتة فى شىء من الأشياء إلّا بهما ، وهذا خلاف الفلسفة جملة .

---

(٧) فى (خ) [ليس على أصولكم] وهو واضح الخطأ ، إذ لا يستقيم المبنى معه .
(٨) هكذا فى الأصل ، ويبدو أنّ اللام لام التوكيد ، وهو يريد أن يقول [ولحرمناه] إذ أن المعنى عليه .
(٩) فى (خ) [مراعاة] .
(١٠) فى (ب) [ثم إنكم] .
(١١) فى (خ) [تتوخّوا] .
(١٢) فى (أ ، ب) [إلا] بدلا من إلى .

وأيضًا فإن كانت الشرائع موضوعة فليس ما وضعه واضع مَّا بأحق بأن يُتّبع ممَّا وضعه واضع آخر ، هذا أمر يعلم بالضرورة .

وقد علمنا بموجب العقل وضرورته أن الحق لا يكون من الأقوال المختلفة والمتناقضة إلَّا فى واحد ، وسائرها باطل . فإذ لا شك فى هذا فأى تلك الموضوعات هو الحق أم أيها هو الباطل ؟ ولا سبيل إلى أن يأتوا بما يحق منها شيئًا دون سائرها أصلًا ، فإذ لا دليل على صحة شيء منها بعينه فقد صارت كلها باطلة ، إذ ما لا[١٣] دليل على صحته فهو باطل ، وليس لأحد أن يأخذ بقول ويترك غيره بلا دليل فبطل بهذا بطلانًا ضروريًا كل ما تعلقوا به والحمد لله رب العالمين ، وبطل بهذا البرهان الضرورى ما توهمه هؤلاء الجهال المجانين ، وصح يقينا أن الشرائع صحاح من عند منشىء العالم ومدبره الذى يريد بقاءه إلى الوقت الذى سبق فى علمه تعالى أنه بيقيه إليه كما هو ، وإذ ذلك كذلك ضرورة لا يخلو الحكم فى ذلك من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إمَّا أن تكون الشرائع كلها حقًا – قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) – وقد رأيت منهم من يذهب إلى هذا .

وإمَّا أن يكون بعضها حقًا وسائرها[١٤] باطلًا . لابدَّ من أحد هذين الوجهين ضرورة .

فإن كانت كلها حقا ، فهذا محال لا سبيل إليه ، لأنه لا شريعة منها إلَّا وهى تكذب سائرها ، وتخبر بأنها باطل وكفر وضلال وإلحاد[١٥].

فوجدنا هذا المخذول الذى أراد بزعمه موافقةِ جميع الشرائع ، قد حصل على خلاف جميعها أولها عن آخرها ، وحصل على تكذيب جميع الشرائع له[١٦] كلها بلا خلاف ، وعلى تكذيبه هو لجميعها ، وما كان هكذا وهو يقول إنها كلها حق ، وهى كلها مكذبة له وهو مصدق لها كلها فقد شهد على نفسه بالكذب وبطلان قوله ، وصحَّ باليقين أنه كاذب فيه .

وأيضًا فإن كل شريعة فهى مضادّة فى أحكامها لغيرها ، تحرّم هذه ما تحلُّ هذه ، وتوجب هذه ما تسقط هذه ، ومن المحال الفاسد أن يكون الشيء وضده حقًا معًا فى وقت واحد . حرامًا حلالًا فى حين واحد على إنسان واحد ووجه واحد ، واجبًا غير واجب كذلك ، وهذا أمر يعلمه

---

(١٣) سقطت (لا) فى (أ) .

(١٤) فى (أ ، ب) [وبعضها] بدلا من [وسائرها] .

(١٥) هذه دعوى يعوزها الدليل ، وفيها مبالغة لأن كثيرًا من الشرائع تدعو إلى القيم والفضائل والمثل ، ولا تتعارض فى الأصول ، وإن اختلفت فى الفروع ، وبخاصة الشرائع السماوية وقد صدق القرآن الكريم ذلك فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحا . . . » وقال : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا . . . »

(١٦) سقطت [له] فى (أ) .

باطلًا كل ذى حسٍّ سليم ، وليس فى العقل تحريم شىء مما جاء فيها تحريمه ، ولا إيجاب شىء مما جاء فيها إيجابه ، فبطل أن يرجح بما فى العقل ، إذ كل ذلك فى حدِّ الممكن فى العقل ، فإذ قد بطل هذا الوجه ضرورة فقد وجبت صحة الوجه الآخر ضرورة ، وهو أن فى الشرائع شريعة واحدة صحيحة[١٧] عند الله عزَّ وجل ، وأن سائر الشرائع كلها باطل . فإذ ذلك كذلك فَفَرضٌ على كل ذى حس طلب تلك الشريعة ، واطِّراحُ كل شريعة دون ذلك وإن جلت ، حتى يوقف عليها بالبراهين الصحاح ، إذ بها يكون صلاح النفس فى الأبد ، وبجهلها يكون هلاك النفس فى الأبد .

فالحمد لله الذى وفقنا لتلك الشريعة ، ووفقنا عليها ، وهدانا إلى طريقها وعرفناها ، حمدًا كثيرًا طيبًا كما هو أهله . ونحن نسأله تعالى أن يثبتنا عليها حتى نلقاه ونحن من أهلها وحَمَلَتها آمين يارب العالمين . وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

فمن نازعنا فى هذا القول وادعاه لنفسه فنحن فى ميدان النظر وحمل الأقوال على السير بالبراهين ، فسنزيف الباطل والدعاوى التى لا دليل عليها حيثما كانت ، وبيد مَنْ كانت ، ويلوح الحق ثابتًا حيثما كان وبيد مَنْ كان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

(١٧) فى (أ ، ب) [من عند الله] .

« الكلام على اليهود وعلى من أنكر التثليث من النصارى و[1]مذهب الصابئين وعلى من أقر بنبوة زرادشت من المجوس ، وأنكر من سواه من الأنبياء عليهم السلام »

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : إن أهل هذه الملّة يعنى اليهود ، وأهل هذه النحلة يعنى من أنكر التثليث من النصارى موافقون لنا فى الإقرار بالتّوحيد ، ثم بالنبوة وبآيات الأنبياء عليهم السلام ، وبنزول كتب من عند الله عزّ وجل إلّا أنهم فارقونا فى بعض الأنبياء عليهم السلام دون بعض . وكذلك وافقتنا الصابئة والمجوس على الإقرار ببعض الأنبياء دون بعض فأمّا اليهود فإنهم افترقوا على خمس فرق وهى :

١ – **السَّامِرِيَّة** : وهم يقولون إنَّ مدينة القدس هى : « نابلس[2] » وهى من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلًا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ، ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ، ويبطلون كل نبوَّة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وبعد « يوشع[3] » عليه السلام فيكذبون بنبوة « شمعون » و« داود » و« سليمان » و« إشْعِيَا[4] »

---

(١) سقطت [الواو] فى (ب) .

(٢) نابلس : تقع على الضفة الغربية لنهر الأردن وعلى بعد ٦٥ ك م من بيت المقدس ، يعيش بها عدد قليل من السَّامريين القدامى الذين لا يزالون يحافظون على طقوس عبادتهم وتقاليدهم القديمة ، وذكرتها التوراة باسم « شكيم » بمعنى منكب ، ويقع قربها قبر يوسف وعين يعقوب ، فتحها العرب ووصفها كثير من رحالتهم كالمقدسى وابن حوقل . . غالبية أهلها مسلمون (الموسوعة العربية الميسرة – إشراف محمد شفيق غربال ص ١٨١١) . « يلاحظ أن هذه الموسوعة أشرفت على طبعها مؤسسة فرانكلين ، وقد لحظنا أنها تدس كثيرًا من المعلومات التى تغزو عقول العرب فكريا كعنايتها بتاريخ البلاد اليهودى ، وتراخيها فى تاريخها الاسلامى . ويدل على ذلك ما كتبته عن نابلس وغيرها فليفطن إلى ذلك » .   « المحققان »

(٣) يوشع : هو ابن نون من أنبياء بنى إسرائيل ، دعا بنى إسرائيل ، وأخبرهم أن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فقاتلهم يوم الجمعة قتالًا شديدًا حتى غربت الشمس فدعا الله تعالى فردت عليه فهزمهم (راجع الطبرى حـ ١ ص ٢٢٧ ، هامش الملل والنحل حـ ٢ ص ١٠ نشر محمود توفيق صاحب مكتبة الحسين التجارية سنة ١٩٤٨ – مطبعة حجازى) .

(٤) « إشْعِيا » : أشهر أنبياء العبرانيين الكبار ، واسمه بالعبرانية « يشعيا » ومعناه خلاص الرب ، ويقال « إن والده اسمه آموص » كان من نسب الملوك ، والظاهر أنه صرف حياته فى « أورشليم » وتنبأ نحو ٦٠ سنة من ٧٥٩ ق م إلى ٧٠٠ ق م ، ويستدل من سفره أنه كان وديعا حليما شفوقا متواضعا ، وظل يتنبأ إلى أيام « منسى » الملك ، وأن هذا الملك قتله نشرًا فى جذع شجرة عندما تبوأ تخت الملك . (دائرة المعارف : للبستانى) .

و« اليسع[٥]» و« إلياس[٦]» ، و« عاموص[٧]» ، و« حبقوق[٨]» و« زكريا[٩]» و« إرميا[١٠]» وغيرهم ، ولا يقرون بالبعثُ ألبتة . وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها .

٢ - **والصدوقية** : ونسبوا إلى رجل يقال له « صدوق » وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزيز هو ابن الله تعالى الله عن ذلك . وكانوا بجهة اليمن .

٣ - **والعنانية** : وهم أصحاب « عانان » الداودى اليهودى ، وتسميهم اليهود القرَّايين والمين[١١]، وقولهم إنهم لا يتعدون شرائع التوراة ، وما جاء فى كتب الأنبياء عليهم السلام ، ويتبرءون من قول الأحبار ، ويكذبونهم ، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام ، وهم من الأندلس « بطليطلة[١٢]» ، و« طلبيرة[١٣]» .

٤ - **والربانية** : وهم الأشعنية ، وهم القائلون بأقوال الأحبار ، ومذاهبهم وهم جمهور اليهود .

(٥) « اليسع » هو اليسع بن أخطوب بن العجوز ، وقد اختلف فى قراءة اسمه فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (وَالْيَسع » بلام مخففة ، وقرأه جماعة من الكوفة (واللَّيْسع) بلامين وبالتشديد ، وأنكروا التخفيف ، وقالوا لا نعرف اسما فى كلام العرب على وزن « يفعل » فيه ألف ولام . وقال : أبو جعفر : هو اسم أعجمى فينطق على ما هو عليه (راجع تفسير الطبرى حـ ١١ تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧) .

(٦) إلياس : هو « إدريس » راجع تحقيقه ص

(٧) عاموص : كتب فيه سفر من العهد القديم ، فى عهد « يربعام الثانى » كتبه « نبى راع » ينقسم إلى ثلاثة أجزاء ، حكم الله على الوثنيين ، وعلى إسرائيل ، وثلاث عظات خاصة بحساب إسرائيل وخمس رؤى فى الهلال فى آخرها وعد بالخلاص . وهو نبى من صغار أنبياء بنى إسرائيل الإثنى عشر كان يرعى الغنم فى مدينة « نقوع » ثم تنبأ بأيام الملك « رحبعام » وأنذر بقدوم ملوك آشور إلى أرض إسرائيل ويقال إنه مات سنة ٧٨٤ أو ٧٨٥ ق م ، وقد ورد ذكره فى كتاب ابن خلدون باسم (آموص » (راجع : الموسوعة الميسرة - إشراف شفيق غربال ودائرة المعارف للبستانى) .

(٨) حبقوق : نبى من الأنبياء الصغار ، اختلف فى زمن تنبؤه ، والتقليدات اليهودية تقول : إنه ابن المرأة الشوناتية التى أقام اليشع النبى ابنها من الموت ، وكذلك الحكم فى التقليد ، يذكر أنه كان الديدبان الذى أقامه « إشعيا » للسهر على خراب « بابل » . ويقال : إنه دفن فى « كالح » فى سبط يهوذا . ونبوءة « حبقوق » تتضمن ثلاثة إصحاحات فى التوراة تندرج فى ثلاثة فصول ، الأول يتضمن نبوءات بالمصائب المزمعة أن تدهم اليهود من جراء شرورهم . والثانى يتضمن نبوءات بإبادة مملكة الكلدانيين من جراء كبرهم وظلمهم وعبادتهم الأصنام . والثالث يتضمن صلاة شعرية نظمها « حبقوق » وبها يحرص على إلقاء اتكالهم على الله ، ويبين قوة إيمانه وثقته بالله (راجع - دائرة المعارف : للبستانى - المجلد السادس) .

(٩) زكريا : الكاهن والد « يوحنا » المعمدانى ، ظهر له ملاك بشَّره بإنجاب « يوحنا » يعد هو وزوجته « اليصابات » من القديسين ، ورد ذكره فى سورة آل عمران (آية ٣٧ - ٤٠) وفى سورة أخرى (الموسوعة العربية الميسرة) .

(١٠) إرْميا : إرْمياء ثانى الأنبياء الكبار ، والعامة تقول « إرْميا » بكسر ففتح ، ومعنى « يرميا » هو الذى رفعه الرب ، أو الذى عينه الرب ، وأخبَاره فى السفر المنسوب إليه (دائرة المعارف للمعلم بطرس البستانى) .

(١١) فى (أ ، ب) [العراس والمس] وهو تحريف .

(١٢) طليطلة : مدينة فى إسبانيا ، عاصمة مقاطعة طليطلة بإقليم قشتالة الجديد ، ومن أهم مدن أسبانيا من الناحية التاريخية والثقافية - يرجع تاريخها إلى ما قبل الرومان ، ازدهرت كعاصمة بعد ٥٠٧ ق م . وبلغت قمة ازدهارها إبان حكم العرب من (٧١٢ - ١٠٨٥) (الموسوعة الميسرة . إشراف شفيق غربال) (يلاحظ عناية الموسوعة بتاريخ هذه المدينة قبل العهد الإسلامى ، والمرور السريع على تاريخها فى ظل الإسلام ! ! غزو فكرى) المحقق .

(١٣) طَلَبِيرة : بفتح الطاء واللام ، بلدة فى مقاطعة طليطلة من أعمال أسبانيا على مسافة ٣٧ ميلا عن طليطلة ، وعلى بعد ٦٤ ميلا من مدريد ، تقع على نهر تاجه ، تتخلل أبنيتها الأبراج العربية على الطراز المغربى ، وقد جدَّد بناءها عبد الرحمن الناصرى الأموى . وهناك بلدتان بهذا الاسم أولاهما (طَلَبيرة لارال) على نهر غواديانة ، والثانية (طَلَبيرة لافياها) فى أسبانيا أيضا (دائرة المعارف : للمعلم بطرس البستانى) .

٥ – **والعيسوية** : وهم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى ، رجل من اليهود كان بأصبهان وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ، ومحمد ﷺ ، ويقولون : إن عيسى بعثه الله عزَّ وجل إلى بنى إسرائيل على ما جاء فى الإنجيل ، وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل . ويقولون إن محمدًا ﷺ نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل عليهم السلام ، وإلى(١٤) سائر العرب ، كما كان أيوب نبيا فى « بنى عيص(١٥) » . وكما كان «بلعام(١٦)» نبيًا فى «بنى مواب » بإقرار من جميع فرق اليهود .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد لقيت من ينحو إلى هذا المذهب من خواص اليهود كثيرًا ، وقرأت فى تاريخ لهم جمعه رجل هارونى كان قديمًا فيهم ، ومن كبارهم وأئمتهم ، وممن عصبت(١٧) به ثلث بلدهم ، وثلث حروبهم ، وثلث جيوشهم أيام حرب « طيطوس » وخراب البيت ، وكان له فى تلك الحروب آثار عظيمة . وكان قد أدرك أمر المسيح عليه السلام ، واسمه يوسف ابن هارون فذكر ملوكهم وحروبهم إلى أن وصل إلى قتل « يحيى بن زكريا » عليه السلام فذكره أجمل ذكر ، وعظّم شأنه ، وأنه قتل ظلمًا لقوله الحق ، وذكر أمر « المعمودية(١٨) » ذكرًا حسنًا ، لم ينكرها ولا أبطلها ، ثم قال فى ذكره لذلك الملك « هردوس ابن هردوس » : وقبل(١٩) هذا الملك من حكماء بنى إسرائيل وخيارهم جماعة ، ولم يذكر من شأن المسيح بن مريم عليهما السلام أكثر من هذا .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وإنما ذكرت هذا الكلام لأرى أن هذا المذهب كان فيهم ظاهرًا ، فاشيًا فى أئمتهم من حينئذ إلى الآن ، ثم انقسم اليهود جملة على قسمين :

قسم أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكنًا .

والقسم الثانى أجازوه ، إلَّا أنهم قالوا لم يقع .

---

(١٤) وفى النسخة (أ) سقط حرف العطف (الواو) .

(١٥) بنى عيص : هو عيص بن إسحاق عليه السلام ، أبو الروم (لسان العرب) .

(١٦) بلعام : هو بلعم أو بلعام بن باعورا ، وقيل هو لقمان بن باعور ، وذكر بعض المفسرين أن القرآن أشار إليه فى سورة الأعراف فى الآيتين ١٧٣ ، ١٧٤ ، وقد أشار الطبرى فى تفسيره الجزء التاسع ص ٧٦ وما بعدها أنه كان يدعى « بَلْعم » بفتح الباء أو بضمها من بنى إسرائيل ، وقال آخرون : إنه أمية بن أبى الصلت ، وزعم غيرهم أنه أبو عامر بن النعمان الراهب ، ويذكر الفخر الرازى أنه كان رجلا هداه الله ثم زاغ إلى الكفر (دائرة المعارف الإسلامية – انتشارات جهان نقلها إلى العربية : محمد ثابت الفندى وآخرون) .

(١٧) أحاطت به .

(١٨) المعمودية : طائفة مسيحية يعتقد أصحابها بأن المعمودية هى للمؤمنين فقط وأنها تتم عن طريق التغطيس بالماء ، وأسس جون سميث أول طائفة معمدانية انجليزية بأمستردام سنة ١٦٠٨ ، وتأسست طائفة منهم فى لندن سنة ١٦١١ ، وأسس أول كنيسة معمدانية أمريكية روجر وليامز سنة ١٦٣٩ فى مدينة بروفيدانس ، والكنائس المعمدانية ، كنائس جمهورية بنظّامها ، ولها مجامع عامة غير حاكمة (الموسوعة العربية الميسرة) .

(١٩) وفى النسخة (أ) : [وقيل] بالياء وهى توقع فى لبس .

وعمدة من أبطل النسخ أن قالوا : إن الله عزّ وجل يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه ، ولو كان كذلك لعاد الحق باطلًا ، والطاعة معصية ، والباطل حقًا ، والمعصية طاعة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا نعلم لهم حجة غير هذه ، وهى من أضعف ما يكون من التمويه الذى لا يقوم على ساق ، لأن من تدبّر أفعال الله كلّها ، وجميع أحكامه وآثاره تعالى فى هذا العالم تيقن بطلان قولهم هذا ؛ لأن الله تعالى يحيى ثم يميت[٢٠] ثم يحيى ، وينقل الدولة من قومٍ أعزّه فيذلهم ، إلى قوم أذلّةٍ فيعزّهم ، ويمنح من شاء ما شاء من الأخلاق الحسنة والقبيحة ، « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون[٢١] » .

ثم نقول لهم وبالله التوفيق : ما تقولون فيمن كان قبلكم من الأمم المقبول دخولها فيكم إذا غزوكم ؟ أليس دماؤهم لكم حلالًا ، وقتلهم حقا وفرضا وطاعة ؟ فلا بدّ من بلى[٢٢].

فنقول لهم : فإن دخلوا فى شريعتكم أليس قد حرمت دماؤهم ، وصار عندكم قتلُهم حرامًا ، وباطلًا ومعصية بعد أن كان فرضًا وحقًا وطاعة ؟

فلا بدّ من بلى[٢٣].

ثم إن عدوا فى السبت وعملوا أليس قد عاد قتلهم فرضا بعد أن كان حرامًا ؟ فلابدَّ من بلى[٢٤].

فهذا إقرارٌ ظاهر منهم ببطلان قولهم ، وإثباتٌ منهم لما[٢٥] أنكروه من أن الحق يعود باطلًا ، والأمر يعود نهيًا ، وأن الطاعة تعود معصية ، وهكذا القول فى جميع شرائعهم ؛ لأنها إنما هى أوامر فى وقت محدود بعمل محدود ، فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهيا عنه ، كالعمل هو عندهم مباح فى الجمعة محرم يوم السبت ، ثم يعود مباحا يوم الأحد ، وكالصيام والقرابين وسائر الشرائع كلها ، وهذا بعينه هو نسخ الشرائع الذى أبوه وامتنعوا منه ، إذ ليس معنى النسخ إلا أن يأمر الله عزّ وجل بأن يُعمل عمل مّا ، مدة مّا ، ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة ، ولا فرق فى شيء من العقول بين أن يعرف الله تعالى ، ويخبر عباده بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به ، ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك ، وبين ألّا يعرفهم به إذ ليس عليه تعالى شرط أن يعرف عباده بما يريد أن يأمرهم قبل أن يأتى الوقت الذى يريد إلزامهم فيه الشريعة .. وأيضاً فإن جميعهم مقر بأن

---

(٢٠) فى (خ) [ويميت ثم يحيى] .
(٢١) الأنبياء : ٢٣ .
(٢٢) فى (أ ، ب) [ولابد من نعم] .
(٢٣) فى (أ ، ب) [نعم] .
(٢٤) فى (خ) سقط الكلام من أول [ثم إن عدوا فى السبت . . إلى فلابد من بلى] .
(٢٥) وفى النسخة (أ) (ما أنكروه) بغير اللام .

شريعة يعقوب عليه السلام كانت غير شريعة موسى عليه السلام ، وأن يعقوب تزوج « ليًا » و « راحيل » ابنتى « لابان » وجمعهما معا فى عصمته[٢٦]، وهذا حرام فى شريعة موسى عليه السلام .

هذا مع قولهم : إن أم موسى عليه السلام كانت عمة أبيه أخت جدّه ، وهى « يوحا نذا » بنت « لاوى » وهذا فى شريعة « موسى » حرام ، ولا فرق فى العقول بين شىء أحلّه الله تعالى ثم حرَّمه ، وبين شىء حرَّمه الله ثم أحلَّه .

والمفرق بين هذين مكابر للعيان ، مجاهر بالقِحة[٢٧]، ولو قلب عليه قالب كلامه ما كان بينهما فرق ، وفى توراتهم أن الله تعالى ؛ افترض عليهم بالوحى إلى موسى عليه السلام ، وأوهم موسى بذلك فى نص توراتهم : ألَّا يتركوا من الأمم السبعة الذين كانوا سكانًا فى فلسطين والأردن أحدًا أصلًا إلا قتلوه ثم إنه لما اختدعتهم الأمة التى يقال لها« عباوون » : وهى إحدى تلك الأمم التى افْتَرض عليهم قتلَهم ، واستئصالهم فتحيَّلوا عليهم ، وأظهروا لهم أنهم أتَوا من بلادٍ بعيدةٍ حتى عاهدوهم ، فلما عرفوا بعد ذلك أنهم من السكان فى الأرض التى أُمروا بقتل أهلها حرَّم الله عزَّ وجلَّ عليهم قتلهم على لسان « يوشع » النبى بنص كتاب « يوشع » عندهم ، فأبقوهم ينقلون الماء والحطب إلى مكان التقديس ، وهذا هو النسخ الذى أنكروا بلا كلفة .

وفى تواراتهم « البَداء » الذى هو أشدُّ من النسخ ، وذلك أنَّ فيها : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : سأهلك هذه الأمة ، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة ، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى فى أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم ، وهذا هو « البداء » بعينه ، والكذب المنفيان عن الله تعالى ، لأنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم ، ويقدمه على غيرهم ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه تعالى الله عنه[٢٨]. وفى سفر « إشْعِيَا » أن الله تعالى سيرتب فى آخر الزمان من الفرس خدَّامًا لبيته .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا هو النسخ بعينه لأن التوراة موجبة أن لا يخدم فى البيت المقدس أحد غير « بنى لاوى » بن يعقوب على حسب مراتبهم فى الخدمة . فعلى أىِّ وجه أنزلوا هذا القول من « إشْعَيَا » ؟ . فهو نسخ لما فى التوراة على كل حال ، وأما فى الحقيقة فهو

---

(٢٦) فى (أ ، ب) سقطت [فى عصمته] .

(٢٧) القِحَه : بكسر القاف وفتحها : قلة الحياء .

(٢٨) النص، كما فى سفر الخروج : « فتضرّع موسى أمام الرب إلهه وقال . . . ارجع عن حموّ غضبك ، واندم على الشر بشعبك ، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أُكثرّ نسلكم كنجوم السماء ، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد ، فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه » سفر الخروج – الإصحاح ٣٢ – الفقرات من ١١ – ١٥) فهل بعد هذه الجرأة على الرب جرأة !؟! إن كل كلمة فى هذا النص تشهد بالكذب والانتحال (المحقق) .

إنذار بالملة الإسلامية التى صار فيها الفرس والعرب وسائر الأجناس فى المساجد ببيت المقدس وغيره ، التى هى بيوت الله تعالى .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأمّا الطائفة التى أجازت إلّا أنها أخبرت أنه لم يكن فإنه يقال لهم – وبالله تعالى التوفيق – بأىّ شىءٍ علمتم صحة نبوة موسى عليه السلام ، ووجوب طاعته ؟

فلا سبيل إلى أن يأتوا بشىء غير إعلامه وبراهينه ، وأعلامه الظاهرة .

فيقال لهم – وبالله تعالى التوفيق – إذا وجب تصديق موسى ، والطاعة لأمره لما ظهر من إحالة الطبائع على ما بيناه فى باب الكلام فى بيان إثبات النبوات ، فلا فرق بينه وبين من أتى بمعجزات غيرها ، وبإحالة لطبائع أخر ، وبضرورة العقل يعلم كل ذى حس أن ما أوجبه لنوع فإنه واجب لأجزائه كلها . فإذا كانت إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسى وعيسى ومحمد ﷺ واجب وجوبا مستويا ، ولا فرق بين شىء منه بالضرورة .

ويقال لهم : ما الفرق بينكم فى تصديقكم بعض من ظهرت عليه المعجزات وتكذيبكم بعضهم ؟ وبين من صدق من كذبتم ، وكذب من صدقتم كالمجوس المصدقين بنبوة « زرادشت » المكذبين بنبوة موسى ، وسائر أنبيائكم ، أو « المانوية » المصدقة بنبوة « عيسى » و« زرادشت » المكذبة بنبوة موسى ، أو « الصابئين » المكذبين بنبوة إبراهيم عليه السلام ، فمن دونه المصدقين بنبوة « إدريس » وغيره .

وكل هذه الفرق والملل تقول فى « موسى » عليه السلام ، وفى سائر أنبيائكم أكثر مما تقولون أنتم فى « عيسى » و« محمد » عليهما السلام ، تنطق بذلك تواريخهم وكتبهم ، وهى مرجوده مشهورة . وأقرب ذلك إليكم[٢٩] « السامرية » الذين ينكرون نبوّة كل نبى لكم بعد موسى عليه السلام ، ولا سبيل إلى أن تأتوا على جميع من ذكرنا بفرق إلا أتوكم بمثله ، ولا أن تدَّعوا عليهم دعوى إلّا ادعوا عليكم بمثلها ، ولا أن تطعنوا فى نقلهم بشىء إلا أروكم فى نقلكم مثله سواء بسواء .

وقد نبه الله تعالى على هذا البرهان بقوله تعالى :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلّا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون[٣٠]» .

فنص تعالى على أن طريق الإيمان بما آمنوا به من النبوة ، وطريق ما آمنا به نحن منها واحد ،

(٢٩) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [إليكم] .
(٣٠) العنكبوت : ٤٦ .

وأنه لا فرق بين شيء من ذلك ، وأن الإيمان بالإله الباعث لموسى هو الإيمان بالإله الباعث لمحمد ﷺ . وأن طريق كل ذلك طريق واحدة ، لا فرق فيها . وبالله التوفيق .

وأما شغب من شغب منهم بأننا نؤمن بموسى ، وهم لا يؤمنون بمحمد ﷺ ، فهو شغب ضعيف بارد . لأنها لا يخلون من أن يكونوا إنما صدّقوا بنبوة موسى من أجل تصديقنا نحن ، ولولا ذلك لم يصدقوا به ، أو يكون[٣١] إنما صدّقوا به لما أظهر من البرهان[٣٢] فقط .

فإن كانوا إنما صدّقوا به من أجل تصديقنا نحن فواجب عليهم أن يصدقوا بمحمد ﷺ من أجل تصديقنا نحن به ، وإلا فقد تناقضوا .

وإن كان إنما صدّقوا به لما أظهر من الآيات فلا معنى لتصديق من صدّقه ولا لتكذيب من كذبه ، والحق حق صدقه الناس أو كذّبوه ، والباطل باطل صدّقه الناس أو كذبوه ، ولا يزيد الحق درجة فى أنه إطباقُ الناس كلّهم على تصديقه . ولا يزيد الباطل[٣٣] مرتبة فى أنه باطل تكذيب الناس كلهم له .

ولا يظن ظانٌ أننا فى مناظرتنا من نناظره من أهل ملتنا المخالفين لنا فى بعض أقوالنا بالإجماع قد[٣٤] نقضنا كلامنا فى هذا المكان ، فليعلم أننا لم ننقضه لأن الإجماع حجة قد قام البرهان على صحتها فى الفتيا فى دين الإسلام . وما قام على صحته البرهان فهو حجة قاطعة على من خالفه ، وعلى من وافقه . وأمّا أن نحتج على مخالفنا بأنه موافق لنا فى بعض ما نختلف فيه فليس حجة علينا ، فإن وجد لنا يومًا من الأيام[٣٥] فإنما نخاطب به جاهلًا نَسْتَكِفُّ تخليطه بذلك ، أو نبكته لنريه تناقضه فقط .

وأيضًا فإنا إنما آمنَّا بنبوة « موسى » الذى أنذر بنبوة محمد ﷺ وبالتوراة التى فيها الإنذار برسالة محمد ﷺ باسمه ونسبه وصفة أصحابه رضى الله عنهم .

وهكذا نقول فى « عيسى » والإنجيل حرفًا حرفًا ، لا بنبوة من لم ينذر بنبوة النبى ﷺ . ولا نؤمن « بموسى » و« عيسى »[٣٦] اللذين لم ينذرا برسالة محمد ﷺ ولا نؤمن بتوراة ولا إنجيل ليس فيهما الإنذار برسالة محمد ﷺ ، وبصفة أصحابه بل نكفر بكل ذلك ، ونبرأ منهم ، فلم نوافقهم قط على ما يدّعونه . فبطل شغبهم الضعيف وبالله تعالى التوفيق .

(٣١) وفى الأصل [ويكون] وهو ظاهر البعد عن الصواب لما هو واضح من التقسيم بين حالهم .
(٣٢) فى (خ) [من الآيات] .
(٣٣) سقطت كلمة [الباطل] من (ب) .
(٣٤) فى الأصل [وقد نقضنا] والكلام لا يستقيم إلا بحذف الواو .
(٣٥) يبدو أن هنا محذوفا تقديره [مثل هذا] حتى يستقيم المعنى .
(٣٦) فى (أ ، ب) سقط الكلام من [اللذين لم ينذرا برسالة محمد ﷺ] .

وجملة القول فى هذا أن نقل اليهود والنصارى فاسدٌ لما ذكرنا ، ونذكر إن شاء الله تعالى من عظيم [المفتريات] الداخلة فى كتبهم المبينة أنها مفتعلة ، و[نبين](٣٧) فساد نقلهم .

فإنما صدّقنا بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام لأن محمدًا ﷺ صدَّقهما وأخبرنا عنهما وعن أعلامهما ، ولولا ذلك لما صدقنا بهما ولا قطعنا بصحتهما ، وكذلك نقول(٣٨) فى « إلياس » و« اليسع » و« يونس(٣٩) » و« لوط(٤٠) » فى ذلك .

كما أننا لا نقطع بصحة نبوة « سموال » و« حقاى » و« حبقوق » وسائر الأنبياء الذين عندهم كموسى وسائر من ذكرنا ولا فرق .

ولكن نقول « آمنا بالله وكتبه ورسله » فإن كان المذكورون أنبياء فنحن نؤمن بهم ، وإن لم يكونوا أنبياء فلا نُدخل فى أنبياء الله تعالى من ليس منهم بأخبار اليهود والنصارى الكاذبة التى لا أصل لها ، الراجعة إلى قوم كفار كاذبين ، وبالله تعالى نتأيد .

وقال تعالى : « وإنْ من أُمَّةٍ إلَّا خلا فيها نذير(٤١) » .

وقال تعالى فى الرسل : « منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك(٤٢) » .

فنحن نؤمن بالأنبياء جملة ، ولا نسمى منهم إلَّا من يسمى محمدًا ﷺ فقط .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ويقال لسائر فرق اليهود حاشا السامرية : ما الفرق بينكم وبين السامرية الذين كذبوا بنبوة كل نبى صدقتم أنتم به بعد يوشع ؟ بمثل ما كذبتم أنتم به « عيسى » و« محمدًا » ﷺ ؟.. وهذا ما لا انفكاك منه بوجه من الوجوه .

---

(٣٧) ما بين القوسين [ ] من وضع المحقق حيث أن الكلام لا يستقيم فى نظرنا إلا بهذه الزيادة .

(٣٨) فى النسخة (ب) [ولكانا] .

*فى النسخة (أ) سقط حرف العطف (الواو) . فى (أ ، ب) سقط الكلام [ولا قطعنا بصحتهما وكذلك نقول فى إلياس] .

(٣٩) يونس : أحد أنبياء بنى إسرائيل نسب إلى أمه حتى قال أبو الفداء لم يشتهر نبى بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام ، وذكره أيضا ابن الأثير ، وقيل إنه من بنى إسرائيل وإنه من سبط « بنياموس » وبعث الله « يونس » إلى أهل « نينوى » وهى قبالة « الموصل » بينهما دجلة ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وأوعدهم العذاب فى يوم معين ، ولما لم ينزل العذاب ذهب مغاضبا ودخل فى سفينة ولكنها لم تتحرك فقال رئيسها فيكم من له ذنب ، وتساهموا على من يلقونه فى البحر ، ووقعت المساهمة على « يونس » فرموه فالتقمه الحوت ، وسار به إلى « الأُبُلَّه » وكان من شأنه ما أخبر الله به تعالى فى القرآن (دائرة معارف القرن العشرين حـ ١٠ ص ١٠٥٥) .

(٤٠) لوط : عليه السلام هو ابن أخى إبراهيم عليه السلام ، فهو ابن « هارون بن آزر » وكان « لوط » ممن آمن بعمه إبراهيم ، وهاجر معه إلى مصر ، وعاد إلى الشام فأرسله الله تعالى إلى أهل « سدوم » فظل يدعوهم إلى الحق وينهاهم عن الفحشاء ، ويقول لهم كما حكى الله عنه فى التنزيل : « أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين » (٨٠ سورة الاعراف) فكانت هذه المواعظ لا تزيدهم إلا مضيا فى عملهم فأهلكهم الله كما أهلك الجبارين قبلهم (المرجع السابق حـ ٨ ص ٣٨٤) .

(٤١) سورة فاطر : ٢٤ .

(٤٢) سورة غافر : ٧٨ .

فإن ادَّعوا أن عيسى ومحمدًا ﷺ لم يأتيا بالمعجزات[٤٣] بان كذبهم ومجاهرتهم ، إذ قد نقلت الكواف[٤٤] عن النبى ﷺ : أنه سقى العسكر فى « تبوك » وهم ألوف كثيرة من قدح صغير نبع فيه الماء من بين أصابعه عليه السلام . وفعل أيضًا مثل ذلك بالحديبية ، وأنه أطعم عليه السلام فى منزل « أبى طلحة » أهل الخندق حتى شبعوا . وفى منزل « جابر » أيضًا[٤٥].

ورمى « هوازن[٤٦]» فى جيش فعميت عيون جميعهم بتراب يده ، وفيها أنزل الله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى[٤٧]» .

وشق القمر إذ سأله قومه آية فأنزل الله تعالى فى ذلك :

« اقتربت السَّاعةُ وانشقَّ القمر ، وإنْ يَرَوْا آية يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكَذّبوا واتَّبعوا أهواءَهم وكلُّ أمر مُستَقِر ، ولقد جاءهُم من الأنباء ما فيه مُزدَجر[٤٨]» .

وكذلك حنين الجذع الذى سمعه كل من حضره من الصحابة رضوان الله عليهم[٤٩]. ومن أبهر ذلك وأعظمه قوله لليهود الذين كانوا فى وقته وهم زيادة على ألف بلا شك ، ولعلهم كانوا ألوفا

---

(٤٣) فى (أ) [بأن] .

(٤٤) الكواف : الجمع من الناس المتصفون بالعدالة .

(٤٥) روى البيهقى بسنده مرفوعا « أن جابر بن عبد الله دعا النبى ﷺ إلى طعام يوم الخندق ، فلما علم النبى ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميا ، قوموا إلى جابر فقاموا ، قال فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله ، ودخلت على امرأتى أقول : افتضحت . . جاءك رسول الله بالخندق أجمعين فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم ، قال : فكشفت عنى غما شديدا ، فدخل رسول الله ﷺ فقال : خدِّمى ودعينى من اللحم ، وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ، ويقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ، ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا ، ثم قال رسول الله ﷺ : كلى واهدى ، فلم تزل تأكل وتهدى يومها » . (البداية والنهاية : لابن كثير حـ ٤ ص ٩٧ ، ٩٨ ط الأولى سنة ١٩٦٦ مكتبة المعارف بيروت) .

وجابر : هو ابن عبد الله بن عمر بن حرام الأنصارى السلمى ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير ، وشهد بدراً ، وأحداً ، والخندق ، وتوفى سنة ٧٤ هـ .

(٤٦) هوازن : إحدى قبائل العرب التى جمعت لحرب الرسول بعد فتح مكة فى غزوة حنين حيث انضم معها قبائل ثقيف وجشم كلها ، وسعد بن بكر وناس من بنى هلال ، ملكها مالك بن عوف المضرى ، ومن رجالاتها دريد بن الصمة . . وقد انتصروا على المسلمين فى أول الأمر ، ولكن النصر كان للمسلمين فى النهاية وأشار القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا . . الآية » وفى هذه المعركة قبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : الوجوه ، وأقبل أصحابه إليه سراعا يبتدرون فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها » . (البداية والنهاية لابن كثير حـ ٤ ص ٣٣٠) .

(٤٧) الأنفال : ١٧ .

(٤٨) سورة القمر : ٤ . قال البخارى عن قتادة عن أنس بن مالك : أن أهل مكة سألوا النبى ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما ، وأخرجه مسلم من حديث شعبة عن قتادة (البداية والنهاية : حـ ٦ ص ٧٤ ، تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ٢٧٩) .

(٤٩) عن جابر بن عبد أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً قال إن شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ، ثم نزل النبى ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبى الذى يسكن قال كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها (رواه البخارى فى غير ما موضع من صحيحه راجع البداية والنهاية : حـ ٦ ص ١٢٧) .

وهم **بنو قريظة**[٥٠]، **وبنو النضير**[٥١]، **وبنو إهدل**[٥٢]، **وبنو قينقاع**[٥٣]، أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين فى تكذيبهم نبوته ، وأعلمهم أنهم لا يستطيعون ذلك أصلًا ، فعجزوا عن ذلك أى عن تمنى الموت ، وحيل بينهم وبين النطق بذلك ، وهذه قصة منصوصة فى سورة الجمعة يقرأ بها كل يوم جمعة فى جميع جوامع المسلمين من شرق الدنيا إلى غربها[٥٤]. وقد كان أسهل الأمور عليهم أن يَكْذِبُوا بأن يتمنّوا الموت لو استطاعوا ، وهم يسمعونه يقول : « فتمنّوا الموتَ إن كنتم صادقين ، ولا يتمنّونه أبدًا بما قدَّمت أيديهم[٥٥]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا أمر لا يدفعه إلّا وَقَاحٌ جاهل مكابر للعيان ، لأن القرون والأعصار نقلت هذه الآيات جيلًا جيلًا يخاطبون بها . فكل أذعن وأقر ، ولم يمكن أحدٌ دفعه .

ودعا عليه السلام من حين مبعثه العرب كلهم – على فصاحة ألسنتهم ، وكثرة استعمالهم لأنواع البلاغة من الإطالة والإيجاز ، والتصرف فى أفانين البلاغة ، والألفاظ المركبة على وجوه المعانى – إلى أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ثم ردّهم إلى سورةٍ فعجزوا كلُّهم عن ذلك على سَعة بلادهم طولًا وعرضًا ، وأنه ﷺ أقام بين أظهرهم ثلاثةً وعشرين عاما ، يستسهلون قتله ، والتعرضَ لسفك دمائهم ، واسترقاق ذراريهم ، وقد أضربوا عمَّا دعاهم إليه من المعارضة للقرآن جملة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا لا يخفى على من له أقل فهم : أنه إنما حملهم على ذلك – العجزُ عما كلفهم من ذلك – وارتفاعُ القوة عنهم[٥٦]، وأنه قد حيل بينهم وبين

---

(٥٠) بنو قريظة : إحدى قبائل اليهود كانت تقطن المدينة ، أمر جبريل رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ألا يضع سلاحه بعد غزوة الخندق حتى يصل إلى بنى قريظة ، فحاصرهم مدة عشرين يوما ، وحكم فيهم الرسول سعد بن معاذ فأمر بقتلهم وسبى زراريهم وتقسيم أموالهم ، وكان سبب حربهم نقضهم العهد ، وتعاونهم مع المشركين فى غزوة الأحزاب ضد المسلمين ، تزوج الرسول منهم « ريحانة بنت عمرو » (المرجع السابق ص ١١٦) بتصرف .

(٥١) بنو النضير : إحدى قبائل اليهود ، كانت تقطن المدينة ، غزاهم النبى فى شوال سنة ٣ هـ حين أرادوا الغدر به ، وتدبير قتله بإلقاء حجر عليه ، حاصرهم الرسول ست ليال فتحصنوا بحصونهم فأمر بقطع النخيل وتحريقها فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فطلبوا الجلاء على أن يكف الرسول عن قتلهم ، نزلت فيهم سورة الحشر (المرجع السابق ص ٧٥ ، ٧٦ جـ ٤) بتصرف .

(٥٢) بنو إهدل : فى (خ) [بنو هذل] . إحدى البطون الصغيرة لليهود .

(٥٣) بنو قينقاع : إحدى قبائل اليهود ، كانت تقطن المدينة غزاهم الرسول ﷺ فى شهر شوال فى السنة الثانية من الهجرة وحاصرهم خمس عشرة ليلة ، تشبث « عبد الله بن أبى » زعيم المنافقين بهم وردّ ولاءهم إليهم « عبادة بن الصامت » أنزل الله فيهم قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » (البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٣) .

(٥٤) لعل ذلك كان متبعا فى عصر المؤلف .

(٥٥) سورة الجمعة : ٦ ، ٧ .

(٥٦) فى (خ) [وارتفاع قوّتهم عنه] .

ذلك ، ثم عمر[٥٧] الدنيا من البلغاء الذين يتخللون بألسنتهم تخلل الباقر [٥٨] ويطيلون فى المعنى التافه إظهارًا لاقتدارهم على الكلام ، جماعاتٌ لا بصائر لهم فى دين الإسلام منذ أربعمائة عام وعشرين عاما ، فما منهم أحد يتكلَّف معارضته إلا افتضح وسقط ، وصار مهزأة ومعيرة يُتَماجَنُ به ، ويتطايب[٥٩] عليه ،منهم« **مسيلمة**[٦٠]» بن حبيب الحنفى ، لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بما يضحك الثكلى ، وقد تعاطى بعضهم ذلك يومًا فى كلام جرى بينى وبينه ، فقلت له : اتق الله على نفسك ، فإن الله تعالى قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقتَ بها ، ووالله لئن تعرضت لهذا الباب بإشارة ليسلبنك الله هذه النعمة ، وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضُحكة . كما فعل بمن رام هذا من قبلك . فقال لى صدقت ، والله وأظهر الندم ، والإقرار بقبحه .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا الذى ذكرنا مُشَاهد ، وهى آية باقية إلى اليوم ، وإلى انقضاء الدنيا ، وسائرُ آيات الأنبياء عليهم السلام قد فنيت بفنائهم فلم يبق منها إلّا الخبر عنها فقط .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد ظنَّ قوم أن عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن[٦١] أعلى طبقات البلاغة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا خطأ شديد ولو[٦٢]، كان ذلك وقد أبى الله عزَّ وجل أن يكون لما كان حينئذ معجزة ، لأن هذه صفة كل[٦٣] باسق فى طبقته والشيء الذى هو كذلك ، وإن كان قد سبق فى وقت مّا ، فلا يؤمن أن يأتى فى غدٍ ما يقاربه بل ما يفوقه . ولكن الإعجاز فى ذلك إنما هو أنّ الله عزَّ وجل حال بين العباد ، وبين أن يأتوا بمثله ، ورفع عنهم القوة فى ذلك جملة ، وهذا مثل : لو قال قائل إنِّى أمشى اليوم فى هذا الطريق ، ثم لا يمكن أحدٌ بعدى

---

(٥٧) فى (أ ، ب) [عم] .

(٥٨) فى (خ) [الباق] وفى (أ) [الناقد] . وفى الحديث : إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل الكلام كما تتخلل الباقرة الكلأ بلسانها قال ابن الأثير : هو الذى يتشدق فى الكلام ويفخم به لسانه ، ويلفه كما تلف الكلأ بلسانها لفا .

(٥٩) فى (ب) [ويتطاءب] .

(٦٠) مسيلمة : هو ابن حبيب اليمامى الكذاب من بنى حنيفة ادّعى النبوة ، وكتب للرسول ﷺ كتابا قال فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد ، فإنى أشركت معك فى الأمر ، فلك المدر ، ولى الوبر . ويروى فلكم نصف الأرض ولنا نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون » . فكتب إليه رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ؛ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . ومن أقواله التى ادّعى أنه أوحى إليه بها لسجاح بنت الحارث : حتى اختلى بها قال لها : بماذا يوحى إليك ؟ فقالت : وهل يكون النساء يبتدئن ، بل أنت ماذا أوحى إليك فقال : « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاقٍ وَحَشا ، قالت وماذا ؟ فقال : إنَّ الله خلق للنساء أفراجا ، وجعل الرجال لهن أزواجا ، فنولج فيهن قعسا إيلاجا ، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجا ، فينتجن لنا سخالا إنتاجا ، فقالت : أشهد أنك نبى ، فقال لها هل لك أن أتزوجك وآكل بقومى وقومك العرب . . قالت : نعم . . (البداية والنهاية حـ ٦ ص ٣٢١) :

(٦١) فى (أ ، ب) [فى أعلى] .

(٦٢) سقطت واو العطف فى (أ) فكتب (لو كان ذلك) بغير الواو .

(٦٣) فى (أ) [كل من باسق] .

أن يمشي فيها ، وهو ليس بأقوى من سائر الناس ، وأما لو كان العجز عن المشي لصعوبة الطريق وقوة هذا الماشي لما كانت آيةً ولا معجزة ، وقد بيَّنا في غير هذا المكان أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس لأن فيه الأقسامَ التي في أوائل السور والحروفَ المقطعة التي لا يعرفُ أحد معناها[٦٤]، وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة وقد روينا عن « أُنَيْس[٦٥] » أخي أبي ذي الغفاري رضي الله عنهما : أنه سمع القرآن فقال : لقد وَضَعْتُ هذا الكلام على ألسنة البلغاء ، وألسنة الشعراء ، فلم أجده يوافق ذلك ، أو كلامًا هذا معناه . فصح بهذا ما قلناه من أن القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين ، وأنه على رتبةٍ قد منع الله تعالى جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله ، ولنا في هذا رسالةٌ مستقصاة كتبنا بها إلى « **أبي عامر أحمد ابن عبد الملك بن شهيد**[٦٦] » . وسنذكر منها هنا إن شاء الله تعالى ما فيه كفاية في كلامنا مع المعتزلة ، والأشعرية في خلق القرآن من ديواننا هذا . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال « أبو محمد » (رضي الله عنه) : فإن قال قائل : إنّه مُنع المعارضون حينئذ من المعارضة أو عارضوا فسُتر ذلك . قيل له وبالله التوفيق : لو أمكن ما تقول لأمكن لغيرك أن يدّعي في آيات موسى عليه السلام مثل ذلك ، بل كان يكون أقربَ إلى التلبيس ؛ لأن في توراتكم أن السحرة عملوا مثل ما عمل موسى عليه السلام حاشا البعوض[٦٧] خاصة فإنهم لم يطيقوه .

قال « أبو محمد » (رضي الله عنه) : وهذا هو الباطل والتبديل الظاهر ، لأن السحر لا يحيل عينًا ولا يقلبها ، ولا يحيل طبيعة ، إنما هو حيل قد بينا الكلام فيها بعون الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب وفي غيره .

قال « أبو محمد » (رضي الله عنه) : وهذا الاعتراض هو على[٦٨] سبيل إبطال الكواف

---

(٦٤) الحقيقة أن كثيراً من العلماء تحدثوا عن دلالة هذه الحروف ، فمنهم من قال إنها للتحدى فكأن الله يقول : القرآن مكون من هذه الحروف التي تعرفونها فأتوا بمثله ما دمتم تعرفونها ، ومنهم من قال : إنها تهيىء الذهن لأهمية ما بعدها . . وغير ذلك من الأقوال التي حفلت بها كتبُ التفاسير .

(٦٥) أنيس : بضم الهمزة هو ابن جُنادة الغفاري أخو أبي ذر الغفاري ، أسلم مع أخيه قديما ، وأسلمت أمهما ، وكان شاعراً . حديثهما عند حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر حديث طويل ، حسن إسلامهما رضي الله عنهما . (الاستيعاب في معرفة الأصحاب حـ ١ تحقيق علي محمد البيجاوي ص ١١٣ ط مكتبة نهضة مصر) .

(٦٦) هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شُهَيد الأشجعي من بني الوضاح من أشجع من قيس عيلان أبو عامر وزير من كبار الأندلسيين أدبًا وعلمًا ، ولد وتوفي بقرطبة ، له شعر جيد يهزل فيه ويجد ، وله تصانيف بديعة منها « كشف الدّك وإيضاح الشك » و « حانوت عطار » و « التوابع والزوابع » قطعة منه مصدرة بدراسة تاريخية لبطرس البستاني ، وكانت بينه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ومداعبات ولد سنة ٤٨٢ هـ وتوفي سنة ٤٢٦ هـ . بغيه الملتمس ١٧٨ نقلا عن الأعلام : للزركلي حـ ١) .

(٦٧) في سفر الخروج النص التالي : « ثم قال الرب لموسى قل لهارون مدَّ عصاك واضرب الأرض ليصير بعوضًا في جميع أرض مصر ، وفعل كذلك العرَّافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا (الإصحاح ١٦/٨ – ١٠) .

(٦٨) في النسخة (أ) سقطت كلمة (على) .

لا سبيل[٦٩] من أقر بشيء منها ، ثم يقال كل من وَلِىَ الأمر بعده عليه السلام معروف ليس منهم أحدٌ إلا وله أعداء يخرجون من عداوته إلى الغايات من الحنق والغيظ فأبو بكر وعمر تعاديهما « **الرافضة**[٧٠]» وتبلغ فى عداوتها وتكفيرها أقصى الغايات . وما قال قط أحدٌ مؤمن ولا كافر عدوٌّ لهما ولا وَلِىّ : إن أحدًا منهما أجبر أحدًا على الإقرار بآيات محمد ﷺ ، ولا على ستر شيء عورض به ، ولا قدر أن يقول هذا أيضًا يهودىٌّ ولا نصرانى .

وكذلك عثمان أيضًا وعلىّ تعاديهما الخوارج ، وتخرج فى عداوتهما وتكفيرهما إلى أبعد الغايات ، ما قال قط قائل فى أحدهما شيئًا من هذا ، وحتّى لو رام أحدٌ من الملوك ذلك لما قدر عليه ، لأنه لا يملك أيدى الناس ولا ألسنتهم ، يصنعون فى منازلهم ما أحبُّوا ، وبينشرونه عند من يثقون به حتى ينتشر .

وهذا أمر لا يقدر على ضبطه ، والمنع منه أحدٌ ، لا سيما مع[٧١] انخراق الدنيا وسعة أقطارها من أقصى السند[٧٢] إلى أقصى الأندلس ، فلو أمكنت معارضته ما تأخر عن ذلك من له أدنى حظ من استطاعة عند نفسه على ذلك ممن لا بصيرة له فى الإسلام فى شرق الأرض وغربها . فإن قال قائل من اليهود : إن موسى عليه السلام قال لهم فى التوراة : « لا تقبلوا من نبى أتاكم بغير هذه الشريعة وإن جاءكم بآيات[٧٣]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : قلنا له وبالله تعالى التوفيق :

لا سبيل إلى أن يقول موسى عليه السلام هذا بوجه من الوجوه ، لأنه لو قال ذلك لكان مبطلا لنبوة نفسه ، وهذا كلام[٧٤] ينبغى أن يتدبَّر ؛ وذلك أنه لو قال لهم : لا تصدقوا من دعاكم إلى غير شريعتى وإن جاء بآيات ، فإنه يلزمه إذا كانت الآيات لا توجب تصديق غيره إذا أتى بها

---

(٦٩) فى (أ ، ب) [لا سبيل إلى من أقر] وهى زيادة تفسد المعنى .

(٧٠) تبلغ فرق الروافض عشرين فرقة منها ثلاث زيدية ، وفرقتان من الكيّسانية ، وخمس عشرة فرقة من الإمامية ، أما الروافض السبئية فقد أظهروا بدعتهم فى زمن على رضى الله عنه فقال بعضهم لعلى أنت الإله ، فأحرق قومًا منهم ، ونفى زعيمهم « ابن سبأ » إلى « ساباط المدائن » ولا تعد هذه الفرقة من المسلمين لتسميتهم عليًا إلهاً . ثم افترقت الرافضة بعد على أربعة أصناف زيدية ، وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة ، وكل منها افترقت فرقا ، وكل فرقة منها تكفر سائرها ، وسموا الرافضة لرفضهم الاعتراف أولًا بأبى بكر وعمر ثم لرفضهم بعد ذلك ما اتفق عليه الاجماع . [الفرق بين الفرق – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة على صبيح وأولاده – القاهرة] .

(٧١) فى النسخة (أ) سقطت كلمة [مع] .

(٧٢) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ، قالوا : السند والهند كانا أخوين من ولد بوبقر بن يقطن بن حام بن نوح ، وهى خمس كور ، وفتحت فى أيام الحجاج بن يوسف ومذهب أهلها الغالب عليها هو مذهب أبى حنيفة (معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

(٧٣) فى (أ ، ب) : لم يذكر [وإن جاءكم بآيات] . والنص كما فى التوراة الحالية : « إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلًا : لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم » .. (سفر التثنية – الإصحاح ١٣ الفقرات من ١ – ٥) .

(٧٤) فى (خ) [وهذا مكان] .

فى شىء دعا إليه ، فهى غير موجبة تصديق موسى عليه السلام فيما أتى به ، إذ لا فرق بين معجزاته ومعجزات غيره ، إذ بالآيات صحَّت الشرائع ، ولم تصح الآيات بالشرائع ، لأن تصديق الشريعة موجبة للآية ، والآية موجبة تصديق الشريعة ، ومن قال خلاف هذا ممن يدين بشريعة وبنبوة فهو عظيم المجاهرة بالباطل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأيضًا فإنَّ هذا القول المنسوب إلى موسى علبه السلام كذب موضوع ليس فى التوراة شىء منه ، وإنما فيها : « من أتاكم يدّعى نبوةً وهو كاذب فلا تصدقوه » ، فإن قلتم من أين نعلم كذبه من صدقه ؟ فانظروا فإذا قال عن الله شيئًا ، ولم يكن كما قال فهو كاذب . هذا نص ما فى التوراة فصح بهذا أنه إذا أخبر عن الله تعالى بشىء فكان كما قال فهو صادق ، وقد وجدنا كلّ[٧٥] ما أخبر به النبى ﷺ فى غلبة الروم على كسرى ، وإنذاره بقتل الكذاب العنسى[٧٦]. ويوم ذى قار[٧٧]، وبخلع كسرى ، وبغير ذلك فإن قالو : إن فى التوراة أن هذه الشريعة لازمة لكم فى الأبد ، قلنا : هذا محال فى التأويل ، لأنه كذلك أيضًا فيها : أن هذه البلاد يسكنونها أبدًا ، وقد رأيناهم بالعيان خرجوا عنها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فإن قال قائل : فقد قال لكم محمد ﷺ : لا نبى بعده . قيل لهم : وبالله تعالى نتأيد : ليس هذا الكلام مما ادعيتموه على موسى عليه السلام ، لأننا قد علمنا من أخباره عليه السلام أنه لا سبيل إلى أن يظهر أحد آيةً بعده أبدًا ، ولو جاز ظهورُها لوجب تصديق من أظهرها ، ولكنا قد أيقنا أنه لا تظهر آية على أحدٍ بعده عليه السلام بوجه من الوجوه .

فإن قال قائل : وكيف تقولون فى « الدجال » وأنتم ترون أنه يظهر له عجائب ؟

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : إن المسلمين فيه على أقسام ، فأما « ضرار[٧٨] بن عمرو » وسائر فرق الخوارج ، فإنهم ينفون أن يكون الدجال[٧٩] جملة فكيف أن يكون له آية[٨٠].

---

(٧٥) فى (أ) و (ب) [كلما] .

(٧٦) الأسود العنسى : اسمه عبهله بن كعب بن غوث من بلد يقال لها كهف حنان ، ادّعى النبوة وحارب المسلمين فى اليمن ، واسترد منهم نجران ، وصنعاء ، ودانت له اليمن بكاملها ، وكان كاهنا يخدع الناس بكلام مسجوع من أعمال الكهانة ، وفتن الناس به لأنه كان مسخا مشوها . قتله فيروز الديلمى (راجع ترجمته وأخباره فى البداية والنهاية لابن كثير حـ ٦ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ مكتبة المعارف ببيروت ١٩٦٦) .

(٧٧) كانت وقعة ذى قار لتمام أربعين سنة من مولد رسول الله ﷺ وهو بمكة بعد أن بعث وقيل بعد أن هاجر ، وفى رواية أخرى أنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله بالمدينة وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهرمزان صاحب كسرى أبرويز (مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودى حـ ١ ص ٢٧٨ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) .

(٧٨) « ضرار بن عمرو » ، القاضى معتزلى جلد ، له مقالات خبيثة ذكره ابن النديم وذكر له ثلاثين كتابًا فيها الرد على المعتزلة ، والخوارج والروافض ، ولكنه كان معتزليا له مقالات ينفرد بها ، وشهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه فهرب ، وأخفاه يحيى بن خالد وهو من رجال منتصف القرن الثالث (لسان الميزان حـ ٣ ص ٢٠٣ نقلا عن الملل والنحل حـ ١ ص ٣٩) .

(٧٩) يكون : هنا تامة بمعنى يوجد .

(٨٠) تجمع الأقوال على أن الدجال « مسيخ » ولكنها تختلف فى صفته وهويته ومكان ظهوروه فى آخر الزمان ، يقول الطبرى عنه ، هو رجل =

وأما سائر فرق المسلمين فلا ينفون ذلك . والعجائب المذكورة عنه إنما جاءت بنقل الآحاد .

وقال بعض أصحاب الكلام : إن الدَّجال إنما يدّعى الربوبية ، ومدَّعى الربوبية فى نفس قوله بيان كذبه .

قالوا فظهور الآية عليه ليس موجبًا لضلال من له عقل .

وأمَّا مدَّعى النبوة فلا سبيل إلى ظهور الآيات عليه . لأنه كان يكون ضلالًا لكل ذى عقل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأما قولنا فى هذا فهو أن العجائب الظاهرة من الدجال إنما هى حيل من نحو ما صنع سحرة فرعون ، ومن باب أعمال « الحلَّاج » وأصحاب العجائب ، يدل على ذلك حديث « المغيرة بن شعبة[٨١] » إذ قال للنبى ﷺ : إن معه نهر ماء ونهر خبز ، فقال له رسول الله ﷺ : هو أهون على الله من ذلك .

حدثنا « يونس بن عبد الله بن مغيث[٨٢] » حدثنا « أحمد بن عبد الرحيم[٨٣] » ، حدثنا « محمد بن عبد السلام الخُشْنِى[٨٤] » ، حدثنا « محمد بن بشار بندار[٨٥] » ، حدثنا « يحيى

= كذى القرنين ، وملك من ملوك إسرائيل ، سيحكم العالم كله ، ويظهر ممتطيا حمارًا فى مثل حجمه عندما ينفذ يأجوج ومأجوج من السد ، ولن يدوم حكمه أكثر من ٤٠ يومًا ، ومع ذلك فإن وقته سيتسع بحيث يحوم العالم من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، وسيذهب بأسه ويتلاشى جسمه الجبار أمام المسيح والمهدى ، وأن المهدى سيقتله فى النهاية ، وتذهب رواية الطبرى إلى أن اسمه « عبد الله الصيانيد » ، وتصفه كتب الأحاديث بأنه أحمر جعد ، جسيم عريض النحر أعور ، أجلى الجبهة كأن عينيه عنبة طافية ، ومكتوب بين عينيه كافر . (دائرة المعارف الإسلامية - بتصرف حـ ٩ ص ١٤٧ ، ١٤٨) .

(٨١) المغيرة بن شعبة : هو ابن أبى عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس وهو ثقيف الثقفى يكنى أبا عبد الله ، وأمه من بنى نصر بن معاوية ، أسلم عام الخندق ، وكان رجلًا طوالًا ذا هيبة ، أصيبت عينه يوم اليرموك توفى سنة ٥٠م بالكوفة ، وهو أحد دهاة العرب الأربعة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة ، وزياد كما روى ذلك خالد عن الشعبى (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر تحقيق : على محمد البجاوى - مكتبة نهضة مصر حـ ٤ بتصريف) .

(٨٢) هو أبو الوليد ، يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن الصفار القرطبى ، شيخ الأندلس وقاضى الجماعة ، توفى عن إحدى وتسعين سنة . (تذكرة الحفاظ حـ ٣ ص ١٠٠ : للذهبى) .

(٨٣) أحمد بن عبد الرحيم : هو أبو جعفر الجرجانى - روى عن جرير بن عبد الحميد ، وعن أبى الدهماء ، وحميد بن هلال ، وطبقته ، وسمع منه ابن عدى حديثا ، يقولون عنه : إنه يحدّث عمن لم يدركهم ، بل ماتوا قبله بدهر طويل (لسان الميزان - حـ ١ ص ٢١٣ ، ٢١٤) .

(٨٤) محمد بن عبد السلام الخُشْنى : الحافظ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرطبى اللغوى ، صاحب التصانيف ، كان ثقة كبير الشأن ، يذكر مع « بقًا » وذويه ، أريد على قضاء الجماعة فامتنع ، وقد بث بالأندلس أحاديث كثيرة ، ومات سنة ٢٨٦ هـ (المرجع السابق حـ ٢ ص ٦٤٩) .

(٨٥) محمد بن بشار بندار : هو ابن عثمان العبدى ، البصرى ، النساج ، كان عالما بحديث البصرة ، لم يرحل برًّا بأمه ، ثم ارتحل بعدها ، سمع ابن عبد العزيز العطار ، ويحيى بن سعيد وطبقتهما ، حدّث عنه الجماعة والبغوى ، وأبو العباس السَّراج ، وكان يقول « ولدت عام توفى « حماد بن سلمة » . وتوفى هو سنة ٢٥٢ هـ . وجلس للحديث وهو ابن ١٨ عاما ، وقال عنه « أبو حاتم » « صدوق » ، وقال العجلى : « فقيه كثير الحديث » . (المرجع السابق) .

بن سعيد القطان[٨٦] » ، حدثنا « هشام بن حسان الفردوسى[٨٧] » ، حدثنا « حميد بن هلال[٨٨] » عن « أبى الدّهماء[٨٩] » ، عن « عمران بن حصين[٩٠] » عن النبى ﷺ قال : « من سمع من أمتى الدَّجال فلينأ عنه ، فإن الرجل يأتيه وهو يحسبه مؤمنًا فيتبعه مما يرى من الشبهات[٩١] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وبهذا تتألف الأحاديث . وقد بيَّن رسول الله ﷺ فى هذا الحديث أن ما يظهر الدَّجال من نهر ماء ونار وقتل إنسان وإحيائه – أن هذا حيل .

ولكل ذلك وجوه إذا طلُبت وُجدت . فقد تَحيَّل ببعض الأجساد المعدنية إذا أذيب أنه ماء ، وتَحَيَّل بالنفط الكاذب أنه نار ، ويُقتَل إنسان ويُغَطى وآخر معد مخبوء فيظهر ليرى أنه قتل ثم أحيى كما فعل « الحسين بن منصور الحلاج » فى الجدى الأبلق[٩٢] ، وكما فعل « الشريعى[٩٣] » و « النميرى » بالبغلة ، وكما فعل « زيروب » بالزرزور .

وأنا أدرى من يطعم الدجاج الزرنيخ فتخدَّر ولا يشك فى موتها ثم يُصبُّ فى حلوقها الزيت فتقوم صحاحًا .

وإنما كانت معجزة لو أحيا عظامًا قد أرمّت ، فيظهر نبات اللحم عليها ، فهذه كانت تكون معجزة ظاهرة لا شك فيها ، ولا يقدر غير نبى عليها ألبتة يظهرها الله عزَّ وجل على يديه آية له[٩٤] .

---

(٨٦) يحيى بن سعيد القطان : هو ابن فاروخ الإمام العلم سيد الحفاظ ، ولد سنة ١٢٠ هـ سمع هشام بن عروة ، وعطاء ابن السائب ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، والأعمش وطبقتهم ، قال أحمد : ما رأيت بعينى مثل « يحيى » بن سعيد القطان » ، وقال « بندار » هو إمام أهل زمانه ، واختلفت إليه عشرين سنة فما أظن أنه عصى الله قط ، وقال « ابن معين » : أقام « يحيى القطان » عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة (المرجع السابق) .

(٨٧) هشام بن حسان الفردوسى : هو الإمام أبو عبد الله الأزدى الفردوسى ،روى عن الحسن ومحمد وعكرمة ، قال « ابن عيينة » ، كان أعلم الناس بحديث الحسن ، وكان « حماد بن سلمة » لا يختار عليه أحدًا فى حديث ابن سيرين ، وقيل كان له ألف حديث مات فى أول صفر سنة ١٤٨ هـ . (تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ١٦٣ ، ١٦٤) .

(٨٨) حميد بن هلال : هو ابن هبيرة ، ويقال ابن سويدا بن هبيرة العدوى روى عن عبد الله بن مغفل ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وأنس بن مالك ، وهشام بن عامر الأنصارى قال القطان : كان ابن سيرين لا يرضاه ، وكان فى الحديث ثقة ، قال ابن عدى : له أحاديث كثيرة وقد حدث عنه الأئمة . (تهذيب التهذيب : حـ ٣ ص ٥١) .

(٨٩) هو : قرفة بن بهيث العدوى ، أبو الدهماء البصرى : روى عن هشام بن عامر ، وعمران بن حصين وروى عنه حميد بن هلال . قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث ، له عند مسلم حديث فى عظم خلق الدجال ، وعند أبى داود حديث عمران : من سمع الدجال فلينبأ عنه (المصدر السابق : (٨ – ٣٦٩) .

(٩٠) عمران بن حصين : هو ابن عبيد بن خلف أبو نجيد أسلم عام خيبر ، وعين قاضيا على البصرة ، وهو من فضلاء الصحابة ، توفى سنة ٥٢ هـ فى خلافة معاوية وروى عنه جماعة من تابعى البصرة والكوفة (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لابن عبد البر تحقيق على محمد البيجاوى – نهضة مصر) .

(٩١) رواه مسلم فى صحيحه ، ورواه أبو داود فى سننه بلفظ مختلف عن مسلم .

(٩٢) الجدى الأبلق : المعز الذى فيه بياض وسواد (وسيطر ١/ ٧٠ ، ١١٢ .

(٩٣) هو زعيم فرقة تنسب وتعزف بالشريعة وقد زعم أن الله حل فى خمسة أشخاص من أتباعه ادعى أن الاله حل فيه . التبصير ٧٥ .

(٩٤) فى (أ ، ب) سقطت العبارة [يظهرها الله عز وجل على يديه آية له] .

وقد رأينا الدّبر[٩٥] يلقى فى الماء حتى لا يشك أحد أنها ميتة ، ثم كنا نضعها للشمس فلا تلبث أن تقوم وتطير ، وقد بلغنا مثل ذلك فى الذباب المسترخى فى الماء إذا ذُرَّ عليه سحق الآجر الجديد .

وآيات الأنبياء عليهم السلام لا تكون من وراء حائط ، ولا فى مكان بعينه ، ولا من تحت ستارة ، ولا تكون إلّا بادية مكشوفة .

وقد فضحت أنا حيلة « أبى محمد » المعروف بالمحرق فى الكلام المسموع بحضرته ولا يُرى المتكلم ، وسُمْت[٩٦] بعض أصحابه أن يُسمعنى ذلك فى مكان آخر ، أو بحيث الفضاء دون بنيان ، فامتنع من ذلك ، فظهرت الحيلة ، وإنما هى قصبة مثقوبة توضع وراء الحائط على شق خفى ، ويتكلم الذى طرف القصبة على فيه على حين غفلة ممن فى المسجد – كلماتٍ يسيرة ، الكلمتين والثلاث لا أكثر من ذلك ، فلا يشك من فى البيت مع المحرّق الملعون فى أن الكلام اندفع بحضرتهم . وكان المتكلم فى ذلك « محمد بن عبد الله الكاتب » صاحبه .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى :

« وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرسل بالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بها الْأَوَّلون »[٩٧].

قيل له وبالله تعالى التوفيق : « هذا يُخرَّج على وجهين ، أحدهما أنَّ معنى قوله تعالى : « ومَا منعنا أن نُرسِل بالآياتَ إلّا أن كذَّبَ بها الأوَّلون » إنما هو على معنى التبكيت لمن قال ذلك ، وأورد تعالى كلامهم ، وحذف ألف الاستفهام ، وهذا موجود فى كلام العرب كثيرًا .

والثانى : أنه إنما عنى تعالى بذلك الآيات المشترطة فى الرُّقى إلى السماء وأن يكون معه ملك[٩٨]، وما أشبه هذا ، وليس على الله تعالى شرط لأحد .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : والقول الأول هو جوابنا ، لأن الله تعالى لا شىء يمنعه عما يريد .

وكذلك إن اعترض معترض بقول النبى ﷺ : « ما منَ الأنبياء إلّا من قد أُوتى ما على مثله

---

(٩٥) الدّبَر : بالفتح جماعة النحل والزنابير ، ويكسر فيها جمع أدبُر ودُبور (محيط) .

(٩٦) ساوَم الشىء سِوَامًا : فى المبايعة أى طلب المفاصلة فى الثمن والمراد هنا المراهنة .

(٩٧) الإسراء : ٥٩ .

(٩٨) وقد أشار إلى ذلك قول الله تعالى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرًا ، أو تسقط السماء كما زعمتَ علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترق فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . الآيات الإسراء (٩٠ – ٩٢) .

آمن البشر ، وإنَّما كان الَّذى أوتيته وَحْيًا أُوحىَ إلىَّ ، وإنِّى لأرجو أنْ أكونَ أَكثَرهم تبعًا يوم القيامة[٩٩] » .

قيل لهم – وبالله التوفيق : إنما عنى رسول الله ﷺ بهذا القول آيته الكبرى الثابتة الباقية أبد الآباد التى هى أول معجزته حين بعث وهى القرآن ؛ لبقاء هذه الآية على الآباد . وإنما جعلها عليه السلام بخلاف سائر آيات الأنبياء عليهم السلام ، لأن تلك الآيات يستوى فى معرفة إعجازها العالم والجاهل . وأما إعجاز القرآن فإنما يعرفه العلماء بلغة العرب ، ثم يعرفه سائر الناس بإخبار العلماء لهم بذلك . مع ما فى التوراة من الإنذار البيِّن برسول الله ﷺ من قوله تعالى فيها :

« سأُقيمُ لبِنى إسرائيل نبيًّا مِنْ إخْوتِهِم ، أجعلُ على لِسانِه كَلامى فَمَنْ عَصَاه انتقمتُ مِنْه »[١٠٠].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولم تكن هذه الصفة لغير محمد ﷺ . وأخوةُ بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل . وقوله فى السفر الخامس منها : « جاء الله مِن سيناء ، وأشرق مِنْ سَاعِير[١٠١]، واستعلن مِنْ جبال فاران[١٠٢]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وسيناء هو موضع مبعث موسى عليه السلام بلا شك . و« ساعير » هو موضع مبعث « عيسى » عليه السلام ، و« فاران » بلا شك هى مكة موضع مبعث « محمد » ﷺ . بيان ذلك : أن « إبراهيم » عليه السلام أسكن « إسماعيل » « فاران » ، ولا خلاف بين أحد فى أنه إنما أسكنه مكة . فهذا نصٌّ على مبعث النبى ﷺ .

والرؤيا التى فسرها « دانيال »[١٠٣] فى أمر الحجر الذى رأى الملك فى نومه الذى دق الصنم الذى كان بعضه ذهبًا ، وبعضه فضة ، وبعضه نحاسًا ، وبعضه حديدًا ، وبعضه فخارًا ، وخلطه

---

(٩٩) رواه البخارى فى فضائل القرآن : رقم (١) ، ومسلم فى الإيمان : ٢٣٩ ، وأحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٣٤١ .

(١٠٠) النص كما فى التوراة الحالية : « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه (سفر التثنية – الإصحاح ١٨ – الفقرة ١٨) .

(١٠١) ساعير : فى التوراة اسم لجبال فلسطين ، ذكره عند « فاران » وهو من حدود الروم ، وذكره فى التوراة : « جاء من سينا يريد مناجاته لموسى على طورسينا ، وأشرق من ساعير . . إشارة إلى ظهور عيسى بن مريم عليه السلام من الناصرة . . واستعلن من جبال فاران : وهو جبال الحجاز يريد النبى عليه السلام » . وهذا فى الجزء العاشر – السفر الخامس من التوراة . (معجم البلدان لياقوت الحموى حـ ٣ ص ١٧١) دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٥٧ .

(١٠٢) فاران : كلمة عبرية معربة ، ذكرت فى التوراة قيل إنها تطلق على جبال مكة ، وقيل إنها من أعمال سمرقند وقال « عبد الله القضاعى » فاران والطور » كورتان من كور مصر القبلية (معجم البلدان : حـ ٤ ص ٢٢٥) .

(١٠٣) دانيال : عن الأجلح الكندى عن عبد الله بن أبى الهذيل قال : ضرب بختنصر أسدين فألقاهما فى جب ، وجاء « بدنيال » فألقاه عليهما يهيجاه فمكث ما شاء ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله إلى « أرميا » وهو بالشام : أن أعدد طعاما وشرابا لدانيال فقال يارب : أنا بالأرض المقدسة ، و « دانيال » بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله إليه أن افعل ما أمرناك به فإنا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت ففعل وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب ، فقال « دانيال » من هذا ؟ قال أنا « أرميا » أرسلنى إليك ربك فقال « دانيال » الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ، والحمد لله الذى من وثق به لم يكله إلى غيره (البداية والنهاية : حـ ٢ ص ٤٠) .

كله وطحنه وجعله شيئًا واحدًا ثم ربا الحجر حتى ملأ الأرض ، ففسره « دانيال » : أنه نبى يجمع الأجناس ، ويبلغ ملك أمره ملء الآفاق ، فهل كان نبى قط غير « محمد » ﷺ جمع الأجناس كلها على اختلافها ، واختلاف لغاتها ، وأديانها ، وممالكها ، وبلادها ، فجعلهم جنسًا واحدًا ، ولغة واحدة ، وأمة واحدة ، ومملكة واحدة ، ودينًا واحدًا ؟

فإن العرب ، والفرس ، والنبط[١٠٤]، والأكراد[١٠٥]، والترك ، والديلم[١٠٦]، والجبل ، والبربر[١٠٧]، والقبط[١٠٨]، ومن أسلم من الروم والهند والسودان ، على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرءون القرآن ، وقد صار كل من ذكرنا أمة واحدة والحمد لله رب العالمين . فصحت النبوة المذكورة بلا إشكال ، والحمد لله رب العالمين .

وكل ما ذكرنا فى هذا الباب أنه يدخل على النصارى الذين يقولون بنبوة « عيسى » عليه السلام فقط من « الأريوسية[١٠٩] » ، و« المقدونية » و« البولقانية » سواء بسواء مع ما فى الإنجيل من دعاء المسيح عليه السلام فى قوله : « اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس أن ابن البشر إنسان » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا غاية البيان لمن عقل ؛ لأن المسيح عليه السلام علم إنه سيغلو قومه فيه ، فيقولون : إنه الله ، وإنَّه ابن الله ، فدعا الله فى أن يبعث الذى يبين للناس أنه ليس إلهًا ، ولا ابن إله ، وإنما هو إنسان ولد[١١٠] من امرأة من البشر . فهل أتى بعده

---

(١٠٤) النبط : هو شعب من شعاب هذيل ، قال ساعدة بن جؤية :

أضرَّ به ضاح فنبطَا أسالة ... فمرٌّ فأعلى حوزها فحصورُها

ضاح ، ونبط ، ومر : مواضع (معجم البلدان : حـ ٥ ص ٢٥٨) .

(١٠٥) الأكراد : يتركز الأكراد فى أذربيجان وخراسان ، وبعضهم فى فارس وفى تركيا فى المنطقة المحيطة ببحيرة « فان » وفى العراق يتركزون حول الموصل وكركوك ، ومعظم الكرد مسلمون سنيون وهم شعب محارب لم يقبلوا الحكم الأجنبى ، وقد نصت معاهدة « سيفر » ١٩٢١ على إنشاء دولة كردية تتمتع بالحكم الذاتى ، وفى ١٩٤٦ قام أكراد إيران بثورة ضد الحكومة الإيرانية ، ولكنها أخمدت وأعدم زعماؤها . (دائرة المعارف الإسلامية - كرد) .

(١٠٦) الديلم : قال ابن الأثير : جبال الديلم جبال منيعة وبهذه الجبال أمم عظيمة من الديلم والصحيح أنهم أمة نسبت البلاد إليهم ، وهى قسم من بلاد « جيلان » ، وقد خرج منهم بعض دول كبيرة فى الشرق ، وفى الخلافة العباسية كانت دولة بنى بويه العظيمة بالعراق ، وكانت أيضًا قبلها دولة بنى مرداويج جرجان ، وقد ذكر ابن الأثير وابن خلدون من أخبارهم شيئًا كثيرًا (دائرة المعارف للبستانى - بتصرف) .

(١٠٧) البربر : استقر البربر فى شمال إفريقيا منذ عهد سحيق ، وقد ذكرهم المؤرخون والجغرافيون الأقدمون إلى الجنوب ، فالبربر مفرقون فى مساحة شاسعة من الأرض تحدها من الشرق واحة « سيوه » وصحراء ليبيا ، ومن الغرب المحيط الأطلسى ، ومن الجنوب بلاد هَوْسا ، ونظام البربر السياسى ينقسم إلى قسمين : نظام ارستوقراطى ، ونظام ديموقراطى . واتبع البربر منذ الفتح الإسلامى مذهب أهل السنة ، ولكنهم أخيرًا أخذوا بمذهب الخوارج (دائرة المعارف الإسلامية حـ ٣ ص ٥١٩) .

(١٠٨) القبط : كلمة يونانية الأصل معناها سكان مصر ، والأقباط من سلالة قدماء المصريين ، واللغة القبطية تطورت فى اللغة المصرية القديمة ، وكانت هى اللغة المستعملة فى عهود المسيحية الأولى (الموسوعة العربية الميسرة - ١٣٦٩) .

(١٠٩) فى (أ) [الأويوسية] .

(١١٠) فى الأصل [من ولد امرأة] .

نبى يبين هذا إلا « محمد » ﷺ ؟ وهذا أمر[١١١] لا يَحيل بيانه على ذى حسٍّ سليم وإنصاف ، ونسأل الله إيزاع الشكر على ما وفق له من الهدى .

فإن قال قائل : فإن المجوس تصدّق بنبوة « زرادشت » . وقوم من اليهود يصدقون[١١٢] بنبوة « أبى عيسى الأصبهانى » ، وقوم من كفرة الغالية يصدّقون بنبوة « بزيع الحائك » ، و« المغيرة بن سعيد » ، و« بنان بن سمعان التميمى » وغيرهم من كلاب الغالية .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أن أبا عيسى ، وبنان ، وبزيعا وسائر من تدَّعى له الغالية بنبوة أو إلهية ، من خيار الناس وشرارهم . لم تظهر لواحد منهم آية بوجه من الوجوه . والآيات لا تصح إلّا بنقل الكواف ، وكل هؤلاء كان بعد رسول الله ﷺ . وقد أخبر الذى جاءت البراهين بصدقه ﷺ – أنه لا نبى بعده ، فقد صحّ البرهان ببطلان ما ادُّعى لهؤلاء من النبوة . وأمّا « زرادشت » فقد قال كثير من المسلمين بنبوته .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ لمن صحت عنه معجزة . قال الله عزَّ وجل : « وإن مِنْ أمَّةٍ إلَّا خَلَا فيها نَذِير[١١٣] » . وقال عزَّ وجل : ورُسلا قد قَصَصْناهُم عَليكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرُسُلا لم نَقْصُصْهم عليك[١١٤] » .

وقالوا : إن الذى ينسب إليه المجوس من الأكذوبات باطل مفترى منهم . وبرهان ذلك أن « المانية[١١٥] » تنسب إليه مقالتهم ، وأقوال هؤلاء كلهم متضادة لا سبيل إلى أن يقول بها قائل واحد صادق ولا كاذب فى وقت واحد .

وكذا المسيح عليه السلام ينسب إليه « الملكانية[١١٦] » قولهم فى التثليث . وتنسب إليه « النسطورية[١١٧] » قولهم أيضًا . وكذلك « اليعقوبية[١١٨] » وتنسب إليه « المانية » أيضًا قولهم . وكذلك « المرقونية[١١٩] » . وهذا برهان ظاهر على كذب جميعهم عليهما بلا شك .

وقد رامت الغالية مثل هذا فى القرآن ، ولكن قد تولّى الله حفظه ، وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلهما ، وكانا محظورين على من سواهما فالتبديل[١٢٠]

(١١١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (أمر] .
(١١٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [يصدقون] .
(١١٣) سورة فاطر ٢٤٠ .
(١١٤) سورة النساء : ١٦٤ .
(١١٥) فى النسخة (ب) [المنانية] .
(١١٦) سبق الحديث عنها
(١١٧) سبق الحديث عنها
(١١٨) تحدثنا عنها قبل ذلك
(١١٩) راجع ص ١٠٢ من هذا الكتاب
(١٢٠) وفى (أ) [بالتبديل] .

والتحريف مضمون فيهما . وكتاب المجوس وشريعتهم إنما كانا طول مدة دولتهم عند « المؤبذ[١٢١] وعند ثلاثة وعشرين « هربذا[١٢٢]» لكل « هربذ » سفر قد أفرد به وحده لا يشاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم ، ولا يباح بشيء من ذلك لأحد سواهم . ثم دخل فيها الخرم بإحراق « الإسكندر[١٢٣]» لكتابهم أيام غلبته « لدار ابن دارا[١٢٤]» وهم مقرون بلا خلاف منهم أنه ذهب منه مقدار الثلث . ذكر ذلك « بشير الناسك » وغيره من علمائهم .

وكذلك التوراة ، إنما كانت طول مدة ملك بنى إسرائيل عند « الكوهن الأكبر » الهارونى وحده ، لاينكر ذلك منهم إلّا كذاب مجاهر .

وكذلك الإنجيل : إنما هى كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال ، فأمكن فى كل ذلك التبديل ، وقد نقلت كواف المجوس الآيات المعجزات عن زرادشت « كالصفر » الذى أفرغ وهو مذاب على صدره فلم يضره ، وقوائم الفرس التى غاصت فى بطنه فأخرجها . وغير ذلك .

وممن قال : إنّ المجوس أهل كتاب على بن أبى طالب ،و« حذيفة » رضى الله عنهما ، و« سعيد بن المسيب[١٢٥]» ، و« قتادة[١٢٦]» ، و« أبو ثور[١٢٧]» ، وجمهور أصحاب أهل الظاهر . وقد بينا البراهين الموجبة لصحة هذا القول فى كتابنا المسمى « الإيصال[١٢٨]» فى كتاب الجهاد

---

(١٢١) المؤبذ : جمعه الموبذان وهو للمجوس كقاضى القضاة للمسلمين ، والموبذ : القاضى ذكر فى حديث « سطيح » عندما أرسل إلى الملك كسرى . (الملل والنحل : حـ ٢ ص ٨٦) .

(١٢٢) الهرابذة : فارسى معرب ، وهم عظماء (الملة وعلماؤها) ، أو خدم نار المجوس وهم قَوَمة بيت النار ، الواحد « هربذ » كزبرج (المرجع السابق ص ٨٦) .

(١٢٣) الإسكندر : هو ابن فيليب وقيل إنه ابن « دارا الأكبر » وأخو « دارا الأصغر » آخر ملوك الفرس ، قيل إن دارا الأكبر غزا الملك « فيليب » وأرغمه على أن يدفع أتاوة سنوية من بيض الذهب ، وقد تزوج ابنته « هلاى » وأنجبت منه « الإسكندر » الذى نشأ فى بلاط جده وعلمه « رستم » فلما توفى أبوه خلفه على العرش ، وامتنع عن دفع الأتاوة إلى ملك الفرس ، وعندما طلب ملك الفرس هذه الأتاوة ردّ الإسكندر الرسول وحاربه واقتتل الجيشان فى معركة حامية عند الفرات خرج منها الإسكندر منتصرًا ، ومن ثم أصبح الإسكندر الحاكم الشرعى لبلاد الفرس ثم غزا بلاد الهند ، وقيل إنه فتح الصين وبلاد التبت ، ودخل أرض الظلمات ، وقابل الخضر ثم توفى فى عودته إلى فارس عند « شهر زور » أو عند « بابل » أو فى بيت المقدس وعمره ٦٣ سنة بعد أن حكم ثلاثة عشر عاما ، ويقول المسعودى : إن قبره كان لا يزال موجودا عام ٣٢٢ هـ (دائرة المعارف الإسلامية – محمد ثابت الفندى وآخرون – بتصرف) .

(١٢٤) دارا بن دارا : هو ابن بهمن بن اسفنديار ، والفرس تسمى « دارا » هذا باللغة الأولى من لغاتهم « داريوس » وهو الذى قتله الإسكندر ابن فيلبس المقدونى وكان ملكه إلى أن قتل ثلاثين سنة (مروج الذهب : للمسعودى حـ ١ ص ٢٣٢ تحقيق محمد محيى الدين) .

(١٢٥) سعيد بن المسيب : (١٣ – ٩٤ هـ) : هو ابن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى أبو محمد ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمى رواية عمر توفى بالمدينة (الاعلام حـ ٣ ص ١٥٥) .

(١٢٦) قتادة : هو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسى البصرى ، مفسر ، حافظ ضرير ، قال الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة ، وكان مع علمه بالحديث رأسا فى العربية ومفردات اللغة وأيام العرب ، والنسب ، مات بواسط فى الطاعون ولد سنة ٦١ هـ وتوفى سنة ١١٨ هـ (المصدر السابق حـ ٦ ص ٢٧) .

(١٢٧) أبو ثور : هو إبراهيم بن خالد بن أبى اليمان الكلبى البغدادى أبو ثور الفقيه ، صاحب الإمام الشافعى ، قال ابن حبان كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا ، صنف الكتب ، وفرّع على السنن ، وذبّ عنها ، يتكلم فى الرأى فيخطىء ويصيب ، مات ببغداد شيخا ، وقال ابن عبد البر له مصنفات كثيرة منها كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعى وذكر مذهبه فى ذلك ، وهو أكثر ميلا إلى الشافعى فى هذا الكتاب وفى كتبه كلها توفى سنة ٢٤٠ هـ (المصدر السابق ح ١ ص ٣١) .

(١٢٨) « الإيصال » : اسمه بالكامل الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام ، ذكره =

منه ، وفى كتاب الذبائح منه ، وفى كتاب النكاح منه ، والحمد لله رب العالمين ، ويكفى من ذلك صحة أخذ رسول الله ﷺ الجزية منهم وقد حرّم الله عز وجل فى نص القرآن فى آخر سورة نزلت منه وهى براءة أن تؤخذ الجزية من غير كتابى .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأما العيسوية من اليهود فإنه يقال لهم : إذا صدقتم الكافة فى نقل القرآن عن النبى ﷺ ، وفى نقل معجزاته ، وصحة نبوته فقد لزمكم الانقياد لما فى القرآن من أنه عليه السلام بعث إلى الناس كافة بقوله تعالى فيه آمرا لرسوله ﷺ أن يقول :

« يأيها النَّاسُ إنِّى رسول الله إليكم جميعًا[١٢٩] » .

وقوله تعالى : « وَمَنْ يَبْتغِ غيرَ الإسْلامِ دينًا فلن يُقبل مِنْه وهُو فى الآخرةِ مِنَ الخاسرين[١٣٠] » .

وقوله تعالى فيه : « قَاتِلُوا الَّذين لَايُؤْمِنونَ بالله ولَا بالْيَومِ الآخر – إلى قوله حتَّى يُعطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون[١٣١] » .

وما فيه من دعاء اليهود إلى ترك ما هم عليه ، والرجوع إلى شريعته عليه السلام وهذا ما لامخلص منه . فإن اعترضوا بما فى القرآن مما حُرِّم عليهم يعنى اليهود وحضهم على التزام السبت ، فإنَّما هو تبكيت لهم فيما سلف من أسلافهم الذين قفوا هم آثارهم ، يبين هذا نص القرآن فى قوله تعالى عن عيسى عليه السلام : « أنه رسول الله ﷺ إلى بنى إسرائيل ليحل لهم بعض الذى حُرِّم عليهم[١٣٢] » وهذا نصٌّ جلىٌّ على نسخ شريعتهم وبطلانها ، ثم ما لاينكره أحد[١٣٣] مؤمن ولا كافر من أنه عليه السلام حارب يهود بنى إسرائيل من « بنى قريظة » و« النضير » و« هذل » و« بنى قينقاع » وقتلهم وسباهم ، وإلزامهم الجزية ، وسمَّاهم كفَّارًا إذا لم يرجعوا إلى الإسلام ، وقَبِل إسلام من أسلم منهم ، فلو لم يكن دينهم منسوخًا[١٣٤] ما حل له إجبارهم على تركه ، أو الجزية والصغار . ولا جاز له قبول ترك ما ترك منهم بدين بنى إسرائيل . ومن المحال الممتنع

= « بروكلمان » فى الذيل ، قال صاحب كتاب « كشف الظنون » بصدد الكلام عن هذا الكتاب شرحه ابن حزم ، وسماه « الإيصال إلى فهم كتاب الخصال » وهو كتاب كبير قال الإمام محمد بن العربى أحد كبار تلاميذ ابن حزم : « كان عند الإمام محمد بن أبى حزم كتاب الإيصال فى أربعة وعشرين مجلدًا بخط يده وكان فى غاية الإيضاح (كشف الظنون : حاجى خليفة) .

(١٢٩) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(١٣٠) سورة آل عمران : ٨٥

(١٣١) سورة التوبة : ٢٩ .

(١٣٢) النص القرآنى هو : « ورسولًا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله . . . » إلى قوله تعالى : « ومصدقا لما بين يدىَّ من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرّم عليكم » (آل عمران : ٤٩ ، ٥٠) .

(١٣٣) فى (أ ، ب) [ثم ما لم ينكره أحد من مؤمن ولا كافر] .

(١٣٤) فى (أ ، ب) [فلو لم يكن نسخ دينهم] .

أن يكون عند العيسويين رسولًا صادقًا نبيًا ، ثم يجور ويظلم ويبدل دين الحق . فوضح فساد قولهم وتناقضُه بيقين لا إشكال فيه ، والحمد لله رب العالمين .

وهكذا يقال لمن أقر بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام من فرق الصابئين « كإدريس » وغيره ممن لا يوقن بصحة قولهم فيه « كعادمون » و« اسقلابيوس » و« أيلون » ، وغيرهم . وللمجوس المقتصرين على « زرادشت » فقط ؛ أخبرونا بأى شىءٍ صحت نبوة من تدَّعون له النبوة ؟ فليس ها هنا إلَّا صحة ما أتوا به من المعجزات .

فيقال لهم : فإنّ النقل إلى محمد ﷺ فى معجزاته أقرب عهدًا ، وأظهر صحة ، وأكثر عدد ناقلين ، وأدخل فى الضرورة . ولا فرق ولا مخلص لهم من هذا أصلًا ، لأنه نقل ونقل ، إلَّا أنَّ نقلنا أفشى وأظهر وأقوى انتشارًا ، ومبدأ هذا مع ذهاب الصّابئين وانقطاعهم ، ورجوع نقلهم إلى من لا يقوم بهم حجة لقلتهم ولعلهم اليوم فى جميع الأرض يبلغون أربعين[١٣٥]، وأما المجوس فإنهم معترفون مقرون بأن كتابهم الذى فيه دينهم أحرقه « الاسكندر » ، إذ قتل « دارا ابن دارا » ، وأنه ذهب منه الثلثان وأكثر ، وأنه لم يبق منه إلا أقلّ من الثلث ، وأنَّ الشرائع كانت فيما ذهب ، فإذ هذا صفة دينهم فقد بطل القول به جملة لذهاب جمهوره ، وأنَّ الله تعالى لا يكلف أحدًا ما لا يتكفل بحفظه حتى يبلغ إليه . وفى كتاب لهم اسمه « خذاى نامة[١٣٦]» يعظمونه جدًّا – أن « أنوشروان » الملك منع من أن يتعلم دينهم فى شىء من البلاد إلَّا فى « أزدشيرخَره » و« فشا » من « داتجرد » فقط ، وكان قبله لا يُتَعلَّم إلا « باصطخر » فقط ، وكان لا يباح إلا لقوم خصائص . وكتابهم الذى بقى بعد ما أحرق « الإسكندر » ثلاثة وعشرين سفرًا – فلهم ثلاثة وعشرون « هربذًا » لكل « هربذ » سفر لا يتعداه إلى غيره . و« موبذ موبذان » يشرف على جميع تلك الأسفار . وما كان هكذا فمضمون تبديله وتحريفه . وكل نقل هكذا فهو فاسد لا يوجب القطع بصحته . هذا إلى ما فى كتبهم التى لا يصح دينهم إلَّا بالإيمان بها من الكذب الظاهر ، كقولهم إن جرم الملك كان يركب إبليس حيث شاء . وأن مبدأ الناس من بقلة « الريباس » وهى « الشرالية » وأنَّ من وِلادة « بيروان سياوش بن كيفاوش » من بنى مدينة « كنكدر[١٣٧]» بين السماء والأرض ، وأسكنها ثمانين ألف راجل من أهل البيوتات هم فيها إلى اليوم ، فإذا ظهر « بهرام هماوند[١٣٨]» على البقرة ليرد ملكهم نزلت تلك المدينة إلى الأرض ، ونصروه وردّوا دينهم وملكهم .

(١٣٥) نرى أن مثل هذا التحديد العددى من « أبى محمد » لا معنى له إذ كيف تأتى له أن يحصر عددهم ، ولعله يقصد أنهم قليلو العدد .

(١٣٦) خذاى نامه : وفى (أ ، ب) [خذاى بانه] .

(١٣٧) كنكدر : اسم مدينة بناها « كيخسرو » فى بلاد الصين وسكنها خلق كثير ، وقيل إن « كنكدر » هذه هى مدينة « أنمو » . وقد تحدث المسعودى عن ذلك بالتفصيل فى (مروج الذهب حـ ١ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣) .

(١٣٨) فى (خ) [بهرام سماوند] .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكل كتاب دوِّن فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله عزّ وجل ، فظهر من فساد دين المجوس كالذى ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء بسواء ، والحمد لله رب العالمين .

فصل فى مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة فى الكتاب الذى تسميه اليهود التوراة ، وفى سائر كتبهم وفى الأناجيل الأربعة يُتيَقَّنُ بذلك تحريفها وتبديلها وأنها غير الذى أنزل الله عزّ وجل

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : نذكر إن شاء الله تعالى ما فى الكتب المذكورة من الكذب الذى لا يشك كل ذى مُسكةِ تمييزٍ فى أنه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة عليهم السلام وعلى الأنبياء عليهم السلام . إلى أخبارٍ أوردها لا يخفى الكذب فيها على أحد كما لا يخفى ضوء النهار على ذى بصر .

وقد كنا نعجب من إطباق[1] النصارى على تلك الأقوال الفاسدة المتناقضة التى لا يخفى فسادها على أحدٍ به رمق ، إلى أن وقفنا[2] على ما بأيدى اليهود فرأينا أن سبيلهم وسبيلِ النصارى واحدة كشق الأبلمة[3]. وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا : إنَّ كل من خالف دين الإسلام ، ونحلة السُّنة ومذهب أصحاب الحديث ، فإنه عارف بضلال ما هو[4] عليه ، إلَّا أنهم بخذلان الله تعالى إياهم مكابرون لعقولهم ، مغلِّبون لأهوائهم وظنونهم على يقينهم تقليدًا لأسلافهم وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية . وهكذا وجدنا أكثر من شاهدناه من رؤسائهم .

فنحمد الله كثيرًا على ما هدانا له من الإسلام ، ونحلة السنة ، واتباع الآثار الثابتة ، ونسأله تثبيتنا على ذلك ، وأن يجعلنا من الدُّعاة إليه حتى يدعونا إلى رحمته ورضوانه عند لقائه آمين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وليعلم كلٍ من قرأ كتابنا هذا أننا لم نُخْرِج من الكتب المذكورة شيئًا يمكن أن يُخرَّج على وجهٍ مًّا وإن دقَّ وبعد ، فالاعتراض بمثل هذا لا معنى

---

(١) فى (خ) [إصفاق] .

(٢) فى النسخة (أ) [وفقنا] بالفاء لا القاف .

(٣) وقد جاءت محرفة فى الأصل فذكرها (كشق الأنملة) . والأبلمة : الخوصة جاء فى لسان العرب : « المال بيننا شق الأبلمة » أى نحن متساوون فيه ، وذلك أن الخوصة إذا شقت طولا انشقت نصفين متساويين .

(٤) فى (أ ، ب) [ما هم عليه] .

له ، وكذلك أيضًا لم نُخْرِج منه كلامًا لا يفهم معناه وإن كان ذلك موجودًا فيها ، لأن للقائل أن يقول قد أصاب الله به ما أراد ، وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلًا إلا الدَّعاوى الكاذبة التى لا دليل عليها أصلًا لا مُحتَملًا ولا خفيًا .

فصـــل

التوراة السامرية

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : أول ذلك أن بأيدى السَّامرية توراةً غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزَّلة ، ويقطعون أن التى بأيدى اليهود محرفةٌ مبدّلة . وسائر اليهود يقولون إنَّ التى بأيدى السّامريّة محرَّفةٌ مبدّلة[٥]، إلى آخره ، ولم يقع إلينا توراة السّامرية لأنَّهم لا يستحلّون الخروج عن فلسطين والأردن أصلًا ، إلَّا أننا أتينا ببرهان ضرورى على أن التوراة التى بأيدى السَّامرية أيضًا محرَّفةٌ مبدّلة مكذوبة[٦] عندما ذكرنا فى آخر هذه الفصول أسماء ملوك بنى إسرائيل ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلى العظيم .

فصـــل

عدم الاختلاف فى توراة اليهود

فى أول ورقة من توراة اليهود التى عند ربَّانيهم ، وعانانيهم ، وعيسويهم حيث كانوا فى مشارق الأرض ومغاربها – لا يختلفون فيها على صفة واحدةً ولو رام أحد[٧] أن يزيد فيها لفظة أو ينقص أخرى لا فتضح عند جميعهم مبلغة ذلك إلى أحبارهم الذين كانوا أيام ملك الهارونية لهم قبل « الخراب الثانى » بدهر ، يذكرون أنها مبلغة ذلك من أولئك إلى عذراء الوراق الهارونى ، ففى صدرها قال الله تعالى :

« أَصْنَعُ بنَاء آدَمَ كَصُورَتِنَا كشَبَهِنَا[٨]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح ، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق ، كما تقول هذا عمل الله ، وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة الله ، أى تصوير الله ، والصفة التى انفرد بملكها وخلقها ،

---

(٥) وفى النسخة (ب) زيادة كلمة [ولم] بعد [مبدّلة] .

(٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [مكذوبة] .

(٧) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [أحد] .

(٨) النص كما فى التوراة الحالية : « وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . . . فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكرًا وأنثى خلقهم (سفر التكوين الإصحاح (١) الفقرات من ٢٦ – ٢٨) .

لكن قوله « كشبهنا » منع التأويلات ، وسدَّ المخارج ، وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عزَّ وجل ولابد ضرورة .

وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل ؛ إذ الشبه والمثل معناهما واحد ، وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبيه .

فصـــل

الكلام عن الأنهر فى التوراة

وبعد ذلك قال :

« ونَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدَنٍ فيسقِى الجنانَ ، ومِنْ ثَمَّ يَفْتَرِقُ فيصيرُ أربعةَ أرؤُس ، اسْمُ أحدِها النيل ، وهو محيْط بجميع بلادِ زُويله[٩] الذى به الذَّهب ، وذَهبُ ذلك البلد جيد ، وبها اللُّؤلُؤ وحجارة البلور . واسم الثانى « جيحان[١٠] » وهو محيط بجميع بلاد الحبشة . واسم الثالث الدّجلة ، وهو السائر شرق « الموصل » . واسم الرابع الفرات « وأخذ الله آدم ووضعه فى جنّات عدن[١١] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزىء .

أول ذلك : إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الذى يخرج من جنات عدن التى أسكن الله فيها آدم ، إذ خلقه ثم أخرجه منها إذ أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عن أكلها ، وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبصفة[١٢] الرُّبع المعمور من الأرض الذى هو فى شمال[١٣] الأرض أو من مشى إلى مصر والشام والموصل – يدرى أن هذا كلَّه كذب فاضح ، وأن مخرج النيل من عين الجنوب

---

(٩) بلاد زويلة : قال البكرى « زويلة » مدينة غير مسورة فى وسط الصحراء ، وهى أول حدود بلاد السودان ، ولما فتح « عمرو ابن العاص » برقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ « زويلة » وصار ما بين « برقة » و « زويلة » للمسلمين ، وبزويلة قبر « دعبل بن على الخزاعى » الشاعر و « زويلة » أيضا من « طرابلس » بين المغرب والقيلة ، ويجلب من « زويلة » الرقيق إلى ناحية أفريقية ، والأخرى « زويلة » المهدية : مدينة بإفريقية بناها المهدى عبيد الله و « زويلة » محلة وباب بالقاهرة (معجم البلدان لياقوت الحموى حـ ٣ ص ١٦٠) .

(١٠) نهر جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامى ومخرجه من بلاد الروم ، ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكَفَرْبيًّا بإزاء المصيصة ، وعليه عند المصيصة قنطرة من حجارة رومية قديمة عريضة ويمتد هذا النهر أربعة أميال ثم يصب فى بحر الشام قال أبو الطيب المتنبى :

سريت إلى جيحـــان من أرض آمـــد ثلاثـــا لقـــد أدنـــاك ركض وأبعـــدا

(معجم البلدان : حـ ٢ ص ١٩٦) .

(١١) الكتاب المقدس : الإصحاح الثانى : سفر التكوين . ولم ينص صراحة على أن اسم النهر الأول منها النيل ، وإنما نص على أنه « فيشون : وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب الجيد . . الخ ، ويبدو أنه عبر عن هذه الأسماء بالعبرية أو بالمصرية القديمة .

(١٢) فى النسخة (ب) [وبنصبة] بالباء والنون والصاد .

(١٣) فى (أ ، ب) [سماك] وهو تحريف ظاهر .

من خارج المعمور ، ومصبه قبالة « تنيس[١٤] » ، وقبالة الإسكندرية فى آخر أعمال مصر فى البحر الشامى . وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال .

فأما « جيحان » فيخرج من بلاد الروم ، ويمر ما بين « المصيصة[١٥] » وربضها المسمى « كَفَرْبَيَّا[١٦] » حتى يصب فى البحر الشامى على أربعة أميال من « المصيصة ». وأما « دجلة » فمخرجها من أعين بقرب « خِلَاط[١٧] » من عمل « أرمينية[١٨] » بقرب « آمد » من ديار بكر ، وتصب مياهها فى البطائح المشهورة بقرب البصرة فى أرض العراق متاخمة أرض العرب .

وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من « قالى قلا[١٩] » قرب « أرمينية » ثم يخرج إلى « ملطية » ، ثم يأخذ على أعمال « الرقة » إلى العراق ، وينقسم إلى قسمين : كلاهما يقع فى « دجلة » .

فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلص منها . والله تعالى لا يكذب . وأخرى وهى قوله : إنَّ النيل محيط ببلد « زويلة » . و« جيحان » محيط ببلد الحبشة ، وهذه كذبة شنيعة ما فى جميع

---

(١٤) تِنِّيس : جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين « الفرما » و « دمياط » قال الحسين ابن محمد المهلبى : أما تِنِّيس : فالحال فيها كالحال فى دمياط إلّا أنها أجمل وأوسط ، وبها تعمل الثياب الملونة والفرش ، ويكون ماؤها أكثر السنة ملحا لدخول ماء البحر الأبيض المتوسط إليه ، وليس « بتنيس » هوام مؤذية ، لأن أرضها سبخة شديدة الملوحة وحكى عن يوسف بن صبيح : أنه رأى بها خمسمائة صاحب محبرة يكتبون الحديث ، وسميت باسم « تِنِّيس » بنت « دلوكة » الملكة صاحبة حائط العجوز بمصر . وكانت « تنيس » تعرف بذات الأخصاص إلى نهاية دولة بنى أمية (معجم البلدان : حـ ٢ ص ٥٢) .

(١٥) المصيصة : مدينة على شاطىء « جيحان » من ثغور الشام بين « أنطاكية » وبلاد الروم تقارب « طرسوس » وكانت ثغراً من ثغور المسلمين وهى مسماة فيما زعم أهل السير باسم الذى عمرها ، وهو « مصيصة » بن الروم بن اليمن بن ساج بن نوح عليه السلام ، وكان يعمل بها الفراء قديما ، و « المصيصة » أيضا قرية من قرى دمشق قرب بيت « لهيا » وينسب إلى « المصيصة » أبو القاسم على بن محمد المصيصى الفقيه الشافعى (معجم البلدان : حـ ٥ ص ١٤٤ – ١٤٥ بتصرف) .

(١٦) كَفَرْبيًّا : هى مدينة بإزاء « المصيصة » على شاطىء جيحان ، وكانت مدينة كبيرة ذات أسواق كثيرة ، وقد خربت قديمًا ثم جدَّد بناءها الرشيد، ثم رفع المأمون غلة كانت على منازلها ، وأمر فجعل لها سوراً ، ثم مات قبل إتمامه ، فأمر المعتصم بإتمامه (معجم البلدان : حـ ٤ ص ٤٦٨) .

(١٧) خِلَاط : البلدة العامرة المشهورة ، ذات الخيرات الواسعة ، والثمار اليانعة وهى من فتوح « عياض بن غنم » سار من الجزيرة إليها ، فصالحه أهلها على الجزية ، ومال يؤدونه ، وفيها البحيرة التى ليس لها فى الدنيا نظير ، قال ابن الكلبى : « من عجائب الدنيا بحيرة خِلاط ، فإنها عشرة أشهر لا يكون فيها ضفدع ولا سرطان ، ثم يظهر بها السمك مدة شهرين فى كل سنة (معجم البلدان : حـ ٢ ص ٣٨١) .

(١٨) أرمينية : اسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال ، والنسبة إليها « أَرمِنى » على غير قياس ، بفتح الهمزة ، وكسر الميم ، سميت « أرمينية » بأرمينا بن لنطا بن يافث بن نوح عليه السلام ، وبها قبر « صفوان بن المعطل » صاحب رسول الله ﷺ ، وهو قرب حصن زياد ، ووجد فى كتاب الملحمة المنسوب إلى « بطليموس » كلام كثير عن « أرمينية » . وقيل هما « أرمينيتان » الكبرى والصغرى ، الكبرى هى خلاط ونواحيها ، والصغرى : هى « تفليس » ونواحيها ، ومنها « أبو عبدالله عيسى بن مالك بن شمر الأرمنى » سافر إلى مصر والمغرب (معجم البلدان : حـ ١ ص ١٦٠) .

(١٩) قالى قلا : بأرمينية العظمى من نواحى خلاط ، قال « أحمد بن يحيى » ولم تزل « أرمينية » فى أيدى الفرس منذ أيام « أنو شروان » حتى جاء الإسلام ، وكانت أمور الدنيا تتشتت فى بعض الأحايين ، وصاروا كملوك الطوائف حتى ملك « أرمينية » قس من أهل أرمينية ثم مات فملكتهم بعده امرأة تسمى « قالى » فبنت مدينة وسمتها « قالى قاله » وصورت نفسها على باب من أبوابها ، فعربت العرب « قالى قاله » فقالوا « قاليقلا » ويعمل بها البسط المسماة بـ (القالى) وإليها ينسب الأديب العالم أبو إسماعيل بن القاسم القالى (معجم البلدان : ص ٢٩٩) .

أرض السودان[٢٠] والحبشة وغير الحبشة – نهر غير النيل وما ثم غيره[٢١] أصلًا ، ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ، ثم يجتمع فوق بلاد النوبة .

وكذبة ثالثة : وهى قوله : إن ببلد[٢٢] « زويلة » اللؤلؤ الجيد وهذا كذب ، وما للؤلؤ بها مكان أصلًا إنما اللؤلؤ فى مغاصاته فى بحر فارس ، وبحر الهند والصين ، وهذه فضائح لاخفاء بها لم يقلها الله تعالى قط ، ولا إنسان يهاب الكذب .

فإن قال قائل : فقد صح عن نبيكم ﷺ أنه قال : النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة[٢٣]: قلنا نعم . هذا حق لا شك فيه ، ومعناه هو على ظاهره بلا تكلف تأويل أصلًا ، وهى أسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسبيل .

فإن قيل قد صح عنه عليه السلام أنه قال :

« ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

وروى عنه : « مقبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة[٢٤]» .

قلنا : هذا حق ، وهو من أعلام نبوته ، لأنه أنذر بمكان قبره فكان كما قال ، وذلك المكان لفضله وفضل الصلاة فيه يؤدى العمل فيه إلى دخول الجنة ، فهى روضة من رياضها ، وباب من أبوابها . ومعهود اللغة أن كل شيء فاضل طيب فإنه يضاف إلى الجنة . ونقول لمن بشرنا بخبر حسن هذا من الجنة . وقال الشاعر : « روائح الجنة فى الشباب » .

وليس كذلك هذا الذى فى توراة اليهود لأن واضعها لم يدعنا[٢٥] فى لبس من كذبه بل بين أنه عنى النيل المحيط بأرض زويله بلد الذهب الجيد ، ودجلة التى بشرق « الموصل » . و« جيحان » المحيط ببلاد الحبشة الذى[٢٦] لم يخلق بعد ، فلم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلةً ولا مخرجًا . وأيضًا فإنهم لا يمكنهم ألبتة تخريج ما فى توراتهم المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن فى نص توراتهم . . إن الجنة التى أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التى فيها إنما هى شرق عدن ، فى الأرض لا فى السماء كما نقول نحن . فثبتت الكذبة لا مخرج منها أصلًا ، ولو لم يكن فى توراتهم

(٢٠) فى النسخة (ب) [بغير واو العطف] .

(٢١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [وما ثم غيره] .

(٢٢) وفى النسخة (ب) [بلد] بغير باء الجر .

(٢٣) الحديث رواه مسلم فى صحيحه من حديث عبيد الله بن عمربسنده عن أبى هريرة وقال الإمام أحمد فى مسنده حدثنا ابن نمير ويزيد ، أنبأنا محمد بن عمر وعن أبى سلمة عن أبى هريرة – وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية حـ ١ ص ٢٦ .

(٢٤) رواه الإمام أحمد بن حنبل ، والبخارى ومسلم والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى ، ورواه الترمذى عن الإمام على وأبى هريرة رضى الله عنهما (الجامع الصغير حـ ٢ ص ١٤٤) .

(٢٥) فى (أ ، ب) [لم يدعها] .

(٢٦) فى (أ ، ب) [التى لم تخلق بعد] .

إلا هذه الكذبة وحدها لكفت فى بيان أنها موضوعة لم يأت بها « موسى » قط ، ولا هى من عند الله تعالى ، فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر ؟

فإن قيل : فى القرآن ذكر سد « يأجوج » و« مأجوج[٢٧]» ولا يدرى مكانه ولا مكانهم . قلنا : مكانه معروف فى أقصى الشمال فى آخر المعمور منه . وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج فى كتب اليهود التى يؤمنون بها ، ويؤمن بها النصارى وقد ذكر يأجوج ومأجوج والسد « أرسطاليس[٢٨]» فى كتابه فى الحيوان عند كلامه على « الغرانيق[٢٩]» ، وقد ذكر سدَّ يأجوج ومأجوج « بطليموس » فى كتابه المسمى « جغرافيا » وذكر طول بلادهم وعرضها . وقد بعث إليه « الواثق » أمير المؤمنين « سلام الترجمان » فى جماعة معه حتى وقفوا عليه . ذكر ذلك « أحمد بن الطيب السرخسى[٣٠]» وغيره ، وقد ذكره « قدامة بن جعفر[٣١]» والناس ، فهيهات خبر من خبر . وحتى لو خفى مكان « يأجوج » و« مأجوج » والسدّ فلم يعرف فى شىء من المعمور مكانه لما ضر ذلك خبرنا شيئًا ، لأنه كان يكون مكانه حينئذ خلف خط الاستواء حيث يكون ميل الشمس ورجوعها وبعدها كما هو فى الجهة الشمالية ، بحيث تكون الآفاق كبعض آفاقنا المسكونة ، والهواء كهواء بعض البلاد التى يوجد فيها النبات والتناسل .

---

(٢٧) يأجوج ومأجوج : قيل إنهما من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت فى الصحيحين فى حديث طويل أن الله تعالى يقول : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك ، وفى نهاية الحديث : إن فيكم أمتين ما كانا فى شىء إلا كثرتاه : « يأجوج ومأجوج » . وفى مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام : أبو السودان ، ويافث : أبو الترك ، قال بعض العلماء : يأجوج ومأجوج من نسل يافث أبى الترك وقال : إنما سمى هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد (تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٣ ص ١٠٣) .

(٢٨) أرسطاليس : هو ابن نيوقر ماقوس : من أهل اصطخر ، ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد فى مدينة « اصطخر » كان أبوه طبيبا للملك المقدونى « أمنتاس » الثانى جد الإسكندر ، وتعلم مع « فيلبس » أبى الإكسندر ، والتحق بأكاديمية « أفلاطون » فلزمها عشرين سنة إلى أن توفى « أفلاطون » من كلماته المشهورة : أحب الحق ، وأحب أفلاطون ، وأوثر الحق على أفلاطون ، استدعاه « فيلبس » المقدونى ليتولى تربية ابنه الإسكندر ، وأنشأ مدرسة المشائين ، وأنشأ مكتبة كانت الأولى من نوعها فى العصر القديم ، واتهم بالإلحاد ، وألف كتبا كثيرة فى المنطق والعلوم الطبيعية والأخلاق والسياسة . مات عام ٣٢٢ ق م (الملل والنحل : حـ ٢ ص ٣٦٢ هامش) .

(٢٩) الغرانيق : هى الأصنام التى كان المشركون يتجهون إليها بالعبادة ، وقد وقع فى روع المشركين أن الرسول امتدحها وهو يتلو قول الله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى » قالوا لقد زاد قوله : « هن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى » وقد ذكرت الأسانيد المختلفة أن الحديث الذى روى هذه القصة حديث مرسل ، والحقيقة أنه لما نزل فى روع المشركين ذلك كذبهم الله بنزول قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم » (فى ظلال القرآن : سيد قطب – المجلد الخامس ص ٦١٢) .

(٣٠) هو أحد العلماء الفهماء ، له فى علم الأثر الباع الطويل ، وفى علوم الحكماء الذهن الثاقب أحد فلاسفة الإسلام ، تلميذ يعقوب ابن إسحاق الكندى ، له تآليف جليلة فى الموسيقى والمنطق ، كان معلما للمعتضد بالله ، ثم نديما وصديقا له ، وقد قتله المعتضد لأنه أفضى إليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبد الله ، وبدر غلام المعتضد ، فأفضى به إليهما ، ومن كتبه : كتاب الأعشاش والمدخل إلى صناعة النجوم ، قتل فى المحرم سنة ٢٨٦ هـ (هامش الملل والنحل حـ ٣ ص ٣٠) .

(٣١) قدامة بن جعفر : هو ابن قدامة بن زياد البغدادى ، أبو الفرج ، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين فى علم المنطق والفلسفة ، كان فى أيام المكتفى بالله العباسى ، وأسلم على يده ، يضرب به المثل فى البلاغة من كتبه : الخراج ، ونقد الشعر ، ونقد النثر ، والرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام (الأعلام : للزركلى حـ ٦ ص ٣١) .

*فى النسخة (ب) أو [مجاهل] .

واعلموا أن كل ما كان فى عنصر الإمكان فأدخله مُدخِلٌ فى عنصر الامتناع بلا برهان فهو كاذب مبطل جاهل أو متجاهل* ، لا سيما إذا أخبر به من قد قام البرهان على صدق خبره ، وإنما الشأن فى المحال الممتنع الذى تكذبه الحواس والعيان أو بديهة العقل ، فمن جاء بهذا فإنما جاء ببرهان قاطع على أنه كذاب مفتر ونعوذ بالله من البلاء .

فصــل

ادعاء التوراة أن آدم إله من الآلهة

ثم قال : وقال الله : « هذا آدم قد صار كواحدٍ منا معرفة فى الخير والشر والآن كيلا يمدَّ يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الدَّهر فطرده الله من جنات عدن(٣٢) » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) :

حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحدٍ منَّا مصيبة من مصائب الدّهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهه أكثر من واحد ، ولقد أدّى هذا القول الخبيث المفترى كثيرًا من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذى خلق آدم لم يكن إلَّا خلقًا خلقه الله تعالى قبل آدم ، وأكل من الشجرة التى أكل منها آدم فعرف الخير والشر ، ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهًا من جملة الآلهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق ، ونحمده إذ هدانا للملَّة الزاهرة الواضحة التى تشهد سلامتُها من كل دَخَل بأنَّها من عند الله تعالى .

فصــل

وبعد ذلك ، « وأسْكِنَ فى شرقىِّ جنَّة عدن » الكروبيم ، ولهيب سيف متقلب بحراسة شجرة الحياة(٣٣).

---

(٣٢) النص كما فى التوراة التى بين أيدينا الآن هو : « وقال الرَّب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا ، عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن » الإصحاح الثالث : سفر التكوين ، ويلحظ أن هذا النص قد تحرّف عن النص الذى ذكره ابن حزم ، مما يدل على أن الترجمة والنقل من وقت إلى آخر يعتريهما التغيير والتبديل ، وظاهر الفرق فى المعنى بين النص الذى أورده ابن حزم وبين النص المذكور الآن فى هذه العبارة فابن حزم نقل [كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة] والنص الحالى [لعله يمد يده] .

(٣٣) الذى فى التوراة الحالية : « وأقام شرق جنة عدنٍ الكروبيم ، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (الإصحاح الثالث : سفر التكوين) .

ورأيت فى نسخة أخرى منها . « ووكل بالجنان المشتهر «إسرافيل[٣٤]» ونصب بين يديه رمحًا ناريًا ليحفظ طريق شجرة الحياة » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم وإلا فلا أدرى كيف هذا ؟

فصل
عن قاتل قابيل

وبعد ذلك قال الله تعالى : « كل من قتل قابيل يقاد به إلى سبعة »[٣٥]. ولا تناكر بين جميعهم فى أن « لامَك بن متوشائيل »[٣٦] بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قابين « هو الذى قتل قابين جد جدِّ أبيه ، وأنه لم يقد به ، فنسبوا إلى الله تعالى الكذب لأنه وعده أن يَقيد[٣٧] به إلى السبعة ولم يُقدبه ، وأيضًا فإن ذكر السبعة هنا حمق ، لأن « لامَك » الذى قتله هو الخامس من ولد قابين . و« قابين » هو الخامس من آباء « لامك » ، فلا مدخل للسبعة ها هنا .

فصل
كلام التوراة عن هابيل

وقبل هذا ذكر « هابيل » بن آدم وأنه راعى غنم ، ثم قال قبل ذلك بنحو ورقتين : « إن « لامك » المذكور آنفًا اتخذ امرأتين اسم إحداهما « عادة » والثانية « صِلَّة » وولدت « عادة » « يابال » وهو أول من سكن الأخبية ، وملك الماشية[٣٨]».

وهاتان قضيتان تكذب إحداهما الأخرى ولا بد .

---

(٣٤) فى (خ) [إسرائيل] .

(٣٥) النص الذى فى التوراة الحالية : « كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه » (الإصحاح الرابع : سفر التكوين) .

(٣٦) لامك بن متوشائيل : ذكر فى مروج الذهب باسم : لامك بن متوشلخ ، وهو ابن متوشلخ بن أخنوخ بن لود بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، كانت فى أيامه كوائن ، واختلاط فى النسل ، وتوفى وعمره ٧٩٠ سنة ، وهو والد نوح عليه السلام (مروج الذهب : للمسعودى المتوفى ٣٤٦ هـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد حـ ١ ص ٤٠) .

(٣٧) فى (أ ، ب) : [أن يفديه] ولم يفد ، وهو ظاهر التحريف والفساد .

(٣٨) النص فى التوراة الحالية : « واتخذ لامَك لنفسه امرأتين ، واسم الواحدة (عادة) ، واسم الأخرى (صِلَّة) فولدت عادةُ يَابَالَ ، الذى كان أبًا لساكنى الخيام ورعاة المواشى » . (سفر التكوين – الإصحاح : ٤ الفقرات من ٢٠ – ٢١) .

فصــل

ادعاء التوراة أن أولاد الله اتخذوا نساء

وبعد ذلك قال : « فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الأرض ، وولد لهم البنات فلما رأى أولاد الله بنات آدم أنهن حسان اتخذوا منهن نساءً .

وقال بعد ذلك : « كان يدخل بنو الله إلى بنات آدم ، ويولد لهم حرامًا ، وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم أسماء[٣٩]» .

وهذا حمق ناهيك به ، وكذب عظيم إذ جعل لله أولادًا ينكحون بنات آدم ، وهذه مصاهرة تعالى الله عنها ، حتى أن بعض أسلافهم قال : إنما عنى بذلك الملائكة ، وهذه كذبة إلَّا أنها دون الكذبة الأولى[٤٠] فى ظاهر اللفظ .

فصــل

وفى خلال هذا قال : « لا يدين روحى فى الإنسان إلى الدّهر إذ هم منتشرون لزيغانه هو بشر فتكون أعمارهم مائة وعشرون سنة[٤١]» .

وهذا كذب فاحش ، ومصيبة الأبد ، لأنه ذكر بعد هذا القول أن « سام بن نوح » عاش بعد ذلك ستمائة سنة . و« أرفخشاذ[٤٢] بن سام » عاش أربعمائة وخمسًا وستين سنة ، و« شالخ[٤٣]» بن أرفخشاذ عاش أربعمائة سنة وثلاثًا وثلاثين سنة . و« عابر[٤٤]» بن شالخ عاش أربعمائة سنة وأربعًا وستين سنة . و« فالغ » بن « عابر » عاش مائتى سنة وسبعًا وثلاثين سنة . و« رعو بن فالغ » عاش مائتى سنة وتسعًا وعشرين سنة . و« سروغ » ابن « رعو » عاش مائتى سنة وثلاثين سنة . و« ناحور بن سروغ » عاش مائة وثمان وأربعين سنة . و« تارح بن ناحور »

(٣٩) النص كما فى التوراة الحالية : « . . دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا ، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوواسم » . ويلحظ أن وصف الأولاد بأنهم من حرام غير مذكور فى هذه التوراة الحالية ، مما يدل على أن اليهود قد استدركوا هذه الاعتراضات فأسقطوا هذا الوصف فى إعادة الطبعات (راجع الإصحاح السادس : التكوين) .

(٤٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [الأولى] .

(٤١) الإصحاح السادس : سفر التكوين .

(٤٢) فى (أ) « أرفخشاذ » .

(٤٣) فى النسخة (أ) « شالح » بالحاء المهملة بدلا من الخاء .

(٤٤) فى النسخة (ب) « عار » بدون الباء .

عاش مائتى سنة وخمسين سنة[٤٥]، و« إبراهيم بن تارح » عاش مائة سنة وخمسًا وسبعين سنة[٤٦] و« إسحاق بن إبراهيم » عاش مائة سنة وثمانين سنة[٤٧]، و« إسماعيل بن إبراهيم » عاش مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة ، و« يعقوب بن إسحاق » عاش مائة وسبعًا وأربعين سنة[٤٨]. و« لاوى بن يعقوب » عاش مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة . و« عمران بن فهث[٤٩]» عاش كذلك أيضًا ، و« فهث ابن لاوى » عاش مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة . وأن « سارح بنت أشر » و« مريم بنت عمران » و« هارون بن عمران » عاش كل واحد منهم أزيد من مائة وعشرين سنة بسنيهم . فاعجبوا لهذه الفضائح ولعقول تتابعت على التصديق والتدين بمثل هذا الإفك الذى لا خفاء به .

فصــل

اضطراب التوراة فى أعمار البشر

وبعد ذلك ذكر أنّ « متوشالح بن حنوك بن مارد » عاش تسعمائة سنة وتسعًا وستين سنة ، وأنه ولد له « لامك » وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة . وأن « لامك » المذكور إذ بلغ مائة سنة واثنين وثمانين سنة ولد له « نوح » عليه السلام . فلا شك من أن « متوشالح » كان إذ ولد له نوح ابن ثلاثمائة سنة وتسع وستين سنة . فوجب من هذا ضرورة أن نوحًا عليه السلام كان ابن ستمائة سنة إذ مات « متوشالح » فاضبطوا هذا[٥٠].

ثم قال : « إن فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من سنة ستمائة من عمر « نوح » ، اندفعت المياه بالطوفان[٥١]» . ثم قال : « إن فى اليوم سبعة وعشرين يومًا من الشهر الثانى من سنة إحدى وستمائة لنوح ، خرج نوح من التابوت – يعنى السفينة – هو ومن كان معه . فوجب من هذا ضرورة لا محيد عنها أن « متوشالح بن حنوك » دخل السفينة ، وأنه فيها مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة أيام ، وقد قطع فيها وبتَّ على أنه لم يدخل التابوت أحد من الناس إلّا نوح

---

(٤٥) (سفر التكوين – الإصحاح ١١ الفقرات من ١١ – إلى آخر السفر) .
(٤٦) (سفر التكوين – الإصحاح ٢٥ – الفقرات من ٧ – ٨) .
(٤٧) (سفر التكوين – الإصحاح ٣٥ – الفقرة ٢٩) .
(٤٨) (سفر التكوين – الإصحاح ٤٧ – الفقرة ٢٩) .
(٤٩) فى النسخة (أ) [فاهث] .
(٥٠) ما ورد بالتوراة الحالية عن أعمار الذين ذكرهم ابن حزم يختلف قليلًا عن تلك الأعمار التى ذكرها ، مما يدل على أنهم يحرصون على التحريف والتبديل من وقت إلى آخر . وربما فعلوا ذلك ليتفادوا ما يرد عليهم من نقض واعتراض . وقد تعقب التوراة والإنجيل كثير من علماء المسلمين وأظهروا ما فيها من تحريف وتبديل ومن هؤلاء غير ابن حزم بن قدامة ، وأبو حامد الغزالى ، وابن تيمية ، وغيرهم .
(٥١) (التوراة – سفر التكوين – الإصحاح ٧ – الفقرات من ٧ – ١٤) .

وبنوه الثلاثة وامرأة نوح ، وثلاثة نساء لأولاده[٥٢]، وقد قطع فيها وبتَّ ، على أنه لم ينج من الغرق إنسى أصلًا . ولا حيوان فى غير التابوت .

وهذه كذبات فواضح نعوذ بالله من مثلها ، لأن فى نصوص توراتهم كما أوردنا : أن « متوشالح » لم يغرق ، لأنه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية ستمائة سنة « لنوح » . وفى نصها أنه استوفاها . وأيضًا فإنه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط . وأبطلوا أيضًا أن يكون دخل التابوت إذ قطعوا بأنه لم يدخلها إنسىٌّ أعنى السفينة[٥٣] إلا نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم ، وأبطلوا أن ينجو فى غير التابوت بقطعهم أنه لم ينج إنس ولا حيوان فى غير التابوت . ولابد « لمتوشالح » من أحد هذه الوجوه الثلاثة ، فلاح الكذب البحت فى نقل توراتهم ضرورة . وتيقن كل ذى عقل أنها غير منزلة من الله تعالى ولا جاء بها نبى أصلًا ، لأن الله تعالى لا يكذب ، والأنبياء لا تأتى بالكذب ، فصح يقينًا أنها من عمل زنديق جاهل ، أو مُستَخِفٍّ متلاعب بها . ونعوذ بالله من مثل مقامهم ، وفى هذا الفصل كفاية فكيف ومعه أمثاله كثيرة .

فصــل

مباركة نوح لابنه سام

وبعد ذلك ذكر أن نوحًا إذ بلغه فعل ابنه حام أبى كنعان فقال : ملعون « كنعان » عبد العبيد يكون لإخوته مستعبدًا يكون لأخويه[٥٤]. يبارك الإله ساما ويكون أبو كنعان عبدًا لهم . إحسان الله « ليافث » ، ويسكن فى أخبية سام ، ويكون أبو كنعان عبدًا لهم . ثم نسى[٥٥] المحرف أو تعاظم استخفافًا بهم فلم يطل لكنه بعد ستة أسطر قال إذ ذكر أولاد حام فقال : بنو حام « كوش » و« مصرايم » و« فوحا[٥٦]» و« كنعان » . وبنو كوش : « وصبان » و« زويلة » و« رغاوة » و« رعمة » و« سفتحا[٥٧]» . وبنو « رعمه » : « السند » و« الهند » و« كوش ولد

(٥٢) (التوراة – سفر التكوين – الإصحاح من ١٣ – ١٥) .

(٥٣) فى (أ ، ب) سقطت [أعنى السفينة] .

(٥٤) الذى فى نص التوراة الحالية : « وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ابنه الصغير : فقال ملعون كنعانُ عبدَ العبيد يكون لإخوته ، وقال مبارك الربّ إله سام ، وليكن كنعان عبدًا لهم ، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبدًا لهم » وواضح اختلاف النص فى التوراة الحالية عن النص الذى ذكره ابن حزم ، وأنه لعن كنعان ولم يلعن أبا كنعان الذى وقع منه الفعل ، وهو دليل التحريف الثانى – (سفر التكوين – الإصحاح ٩ – الفقرات من ٢٠ – إلى آخره) .

(٥٥) فى النسخة (ب) بزيادة [نفسه] بعد « نسى » .

(٥٦) فى التوراة الحالية : « وفوط » بدلًا من « فوحا » .

(٥٧) الذى فى التوراة الحالية : وبنو كوش : سبَا وحويله ، وسبته ، ورَعْمة ، وسبتكا .

نمرود » الذى ابتدأ يكون جبارًا فى الأرض الذى كان جبار صيد بين يدى الله عزَّ وجل ، وكان أول مملكته « بابل[٥٨] » . فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح فى خبره ، وهو بإقرارهم نبى معظم جدًّا . وإذ وصف أن ولد أبى كنعان صاروا ملوكًا على إخوة بنى كنعان وعلى بنيهم ، ثم العجب كله أن على ما توجبه توراتهم كان ملك نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام - على جميع الأرض . ونوح حى ، وسام بن نوح حى ، لأن فى نص توراتهم أن نوحًا عاش إلى أن بلغ إبراهيم بن تارح عليه السلام ثمانية وخمسين عامًا . وأنَّ سام بن نوح عاش إلى أن بلغ يعقوب وعيصا[٥٩] ابنا إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام خمسًا وأربعين سنة ، على ما ذكره من مواليدهم أبًا فأبًا .

فما لنا نرى خبر نوح معكوسًا ؟ فإن قالوا : إنَّ السودان[٦٠] تملكوا اليوم قلنا وفى السودان ملك عظيم جدًّا ، وممالك شتى « كخانة[٦١] » و« الحبشة » و« النوبة » و« الهند » و« التبت » ، والأمر بينهم سواء يملكون طوائف[٦٢] من بنى سام . كما يملك « بنو سام » طوائف منهم ، وحاش لله أن يكذب نبى .

فصل

اضطراب التوراة فى أعمار أبناء نوح

وقالت[٦٣] توراتهم : إن نوحًا لما بلغ خمسمائة سنة ، ولد له « يافث وسام وحام » ثم ذكرت[٦٤] أن نوحًا إذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ، ولسام يومئذ مائة سنة . وقالت بعد ذلك : إن « سام بن نوح » لما كان ابن مائة سنة ولد « أرفخشاذ[٦٥] » لسنتين بعد الطوفان ، وهذا كذب فاحش ، وتلون سمج ، وجهل مظلم ، لأنه إذا كان نوح إذ ولد له « سام » ابن خمسمائة سنة ، وبعد مائة سنة كان الطوفان ، فسام حينئذ ابن مائة سنة ، وإذ ولد له بعد الطوفان بسنتين « أرفخشاذ » فسام كان إذ ولد له « أرفخشاذ » ابن مائة سنة وسنتين . وفى نص توراتهم أنه كان ابن مائة سنة ، وهذا كذب لاخفاء به حاش لله من مثله .

---

(٥٨) (التوراة - سفر التكوين - الإصحاح العاشر ، الفقرات من ٦ - ١١) .
(٥٩) فى النسخة (أ) [وعصيا] بتقديم الصاد على الياء .
(٦٠) فى (خ) [لا لعلة يتملكون] .
(٦١) فى النسخة (ب) [كعانه] بالعين المهملة .
(٦٢) فى النسخة (ب) [طوايف] بالياء بدلًا من الهمز .
(٦٣) وفى النسخة (ب) [وقال] بغير تاء التأنيث . (راجع سفر التكوين الإصحاح ٥ - الفقرة ٢٢) .
(٦٤) وفى النسخة (ب) [ذكر] بغير تاء التأنيث .
(٦٥) وفى النسخة (ب) [أرفكشاد] (راجع سفر التكوين - الإصحاح ١١ ، الفقرات ١٠ ، ١١) .

فصل

التوراة وتشريد نسل إبراهيم عليه السلام

وبعد ذلك : أن الله تعالى قال لإبراهيم : أعلم علمًا أنه سيكون نسلك[٦٦] غريبًا فى بلد ليس له ، ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمائة سنة ، وأيضًا القوم الذين يعذبونهم يحكم لهم ... وبعد ذلك يخرجون بسرح عظيم[٦٧] وأنت تسير لآبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة ، والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ها هنا[٦٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل على قلته كذبتان فاحشتان شنيعتان منسوبتان إلى الله تعالى ، وحاش لله من الكذب والخطأ .

فأحدهما قوله : « والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ها هنا » .

وهذا كذب فاحش لا خفاء به ، لأن الجيل الأول من بنى إبراهيم عليه السلام هم « إسحاق » واخوته عليهم السلام ، والجيل الثانى هم : « يعقوب وعيصا » وبنو أعمامهما ، والجيل الثالث : أولاد يعقوب لصلبه ، وهم « دوبان » و« شمعون » و« يهوذا » و« لاوى » و« ساخار » و« زابلون » و« يوسف » و« بنيامين » و« داى » و« هباد » و« عاذ » و« أشاد[٦٩]» وأولاد « عيصا » ، ومن كان فى تعدادهما من سائر عقب إبراهيم ، والجيل الرابع : هم أولاد هؤلاء المذكورين ، وهم الجيل الثالث آباؤهم ، ويعقوب جدهم هم الداخلون مصر لا الخارجون منها بنص توراتهم وإجماعهم كلهم بلا خلاف من أحد منهم . وإنما رجع إلى الشام بنص توراتهم ، وإجماعهم كلهم الجيلُ السادسُ من أبناء إبراهيم ، وهم أولاد الجيل الرابع المذكور ، وما رجع من الجيل الرابع ولا من الجيل الخامس ولا واحد إلى الشام . وحاش لله من أن يكذب فى خبره .

فإن قيل : إنما تعد الأجيال من الجيل المعذب – قلنا هذا خلاف نص توراتهم ، لأن نصها : « الجيل الرابع من الأبناء » .

وأيضًا : فإنه لم يعذّب أحد من أولاد يعقوب بل كانوا مبرورين ، وهم الجيل الثالث بنص توراتهم حرفًا حرفًا ، على ما نورد بعد هذا إن شاء الله تعالى .

فإنما ابتدأ التعذيب فى أبناء يعقوب ، وهم الداخلون مع آبائهم ، وهم الجيل الرابع ، فعدّ

---

(٦٦) وفى النسخة (ب) [نسك] بدون لام .

(٦٧) فى (أ ، ب) [بشرح عظيم] وهو تحريف ظاهر .

(٦٨) (سفر التكوين – الإصحاح ١٥ – الفقرات من ١٢ – ١٦) .

(٦٩) فى النسخة (أ) [وأشار] بالراء .

من حيث شئت لست تخرج من شرك الكذب الفاضح وفى هذا كفاية .

والكذبة الثانية : طامة من الطامات ، وهى قوله لإبراهيم : « إن نسلك سيكون غريبًا ، فى بلد ليس له ، ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمائة سنة وبعد ذلك يخرجون » .

فهذه سوءة وعار الدهر ، لأنه إذا عذب الأربعمائة سنة من وقت بدأ بتعذيب بنى إسرائيل بمصر ، فإنما ذلك بعد موت يوسف عليه السلام إلى أن خرج بهم موسى عليه السلام نصًا ، إذ فى سياق توراتهم :

« ولما مات يوسف وجميع(٧٠) إخوته ، وذلك الجيل كله كثر بنو إسرائيل وتكاثروا وتقوّوا ، فملكوا الأرض ، وولى عند ذلك بمصر ملك جديد لم يعرف يوسف فقال لأهل مملكته : إن بنى إسرائيل قد كثروا ، وصاروا أقوى منا فأذلّوهم بيننا لئلا يزدادوا كثرة ويكونوا عونًا لمن رام محاربتنا(٧١)، فقدّم عليهم أصحاب صناعته لسخرتهم(٧٢)» .

هذا نص توراتهم شاهدة بما قلنا . وقد ذكر فى توراتهم إذ ذكر : من دخل مع « يعقوب » من ولده ، وولد ولده :

أن « فاهث(٧٣)» بن لاوى بن يعقوب والد عمران بن « فاهث » وهو جد موسى عليه السلام – كان ممن ولد بالشام ودخل مصر مع أبيه « لاوى » وجده « يعقوب » – وذكر فيها أيضًا : أن جميع عمر « فاهث » المذكور ابن لاوى كان مائة سنة وثلاثًا وثلاثين سنة ، وأن جميع عمر « عمران بن فاهث » المذكور كان مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة . وذكر فيها نصًا : « أن موسى عليه السلام كان إذ خرج ببنى إسرائيل من مصر ابن ثمانين سنة » .

هذا(٧٤) كله نص توراتهم حرفًا بحرف بإجماع منهم أولهم عن آخرهم ، فهبك أن « فاهاث » كان إذ دخلها ابن أقل من شهر ، وأن « عمران » ولد له سنة موته ، وأن « موسى » ولد لعمران سنة موته . فالمجتمع من هذا العدد كله ثلاثمائة سنة وخمسون سنة ؟ وهذه كانت مدتهم بمصر من يوم دخولها إلى أن خرجوا منها(٧٥). على هذا الحساب فأين الأربعمائة سنة ؟ فكيف ولابد أن يسقط سن « فاهاث » إذ دخل مصر مع أبيه « لاوى » والمدة التى كانت من ولادة « عمران » لفاهث إلى

---

(٧٠) فى (أ ، ب) [وجمع] .
(٧١) فى (أ ، ب) [محاورتنا] .
(٧٢) راجع (سفر الخروج – الإصحاح الأول – الفقرات من ٦ – ١١) .
(٧٣) فى النسخة (ب) [فاهث] مرة و [فاهاث] مرة أخرى . وفى النسخة (أ) [قاهاث] بالقاف الممدودة فى كل مرة .
(٧٤) فى النسخة (ب) [هكذا] .
(٧٥) فى النسخة (ب) [عنها] .

موت « فاهث » . والمدة التى كانت من ولادة « موسى » عليه السلام إلى موت أبيه[٧٦] « عمران » .

وفى كتب اليهود : أن « فاهث » دخل مصر وله ثلاث سنين ، وأنه كان إذ ولد له « عمران » ابن ستين سنة ، وأن « عمران » كان إذ ولد له موسى عليه السلام ابن ثمانين سنة .

فعلى هذا لم يكن بقاء بنى إسرائيل بمصر مذ دخلوها مع « يعقوب » إلى أن خرجوا منها مع موسى إلا مائتى عام وسبعة عشر عامًا فأين الأربعمائة عام ؟

فكيف ولابد أن يسقط من هذا العدد الأخير مدة حياة يوسف مذ دخل إخوته وأبوهم وبنوهم مصر إلى أن مات يوسف عليه السلام ؟

فطول هذا الأمد لم يكونوا مستخدمين ، ولا معذبين ، ولا مستعبدين بل كانوا أعزّاء مكرّمين .

وفى نصّ توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ دخل على فرعون ابن ثلاثين سنة ، ثم كانت سنو الخصب سبع سنين ، وبدأت سنو الجوع ودخل[٧٧] يعقوب ونسله مصر بعد سنتين من سنى الجوع ، فليوسف حينئذ تسع وثلاثون سنة .

وفى نص توراتهم : أن يوسف كان إذ مات ابن مائة سنة وعشر سنين[٧٨]، فصح أن مدّتهم مذ دخلوا مصر إلى أن مات يوسف عليه السلام كانت إحدى وسبعين سنة فقط ولابد . فالباقى مائة سنة وست وأربعون سنة يسقط منها ولابد بنص توراتهم مدة بقاء من بقى من إخوة يوسف بعده ، ولم نجد من ذلك إلّا عمر « لاوى » فقط على نص التوراة كان يزيد على يوسف ثلاثة أعوام أو أربعة ، فعاش بعد يوسف ثلاثة وعشرين عامًا فقط تسقط ولابد من هذا العدد ، فالباقى مائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، هذه مدة عذابهم واستخدامهم واستعبادهم على أبعد الأعداد ، وقد تكون أقل ، فأين الأربعمائة سنة ؟!

ولعل وقاح الوجه[٧٩] أن يقول : ما أَعُدُّ ذلك إلّا من دخول يوسف مصر مستعبدًا مستخدما معذبا ثم مسجونا ، فاعلم أنه لا يزيد على المائتى عام وسبعة عشر عامًا التى ذكرنا قبلُ إلا اثنين وعشرين عامًا فقط . فذلك مائتا عام وتسعة وثلاثون عامًا . فأين الأربعمائة سنة ؟ فظهر الكذب المفضوح الذى لا يدرى كيف خفى عليهم جيلا بعد جيل .

---

(٧٦) فى (أ ، ب) [ابنه] .
(٧٧) فى النسخة (أ) [ودخله] .
(٧٨) راجع : (الإصحاح الخمسين : سفر التكوين . الفقرة ٢٦) .
(٧٩) سقطت كلمة [أن] من النسخة (أ) .

ورأيت لنذل منهم مقالة ظريفة ، وهى أنه ذكر هذه القصة وقال : إنما ينبغى أن تعد هذه الأربعمائة سنة من حين خاطب الله عز وجل إبراهيم بهذا الكلام .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأراد هذا الساقط الخروج من مزبلة فوقع فى كنيف عذرة لأنه جاهر بالباطل وتعجل الفضيحة ونسبة الكذب إلى الله تعالى . إذ نص ما حكوه عن الله تعالى أنه قال لإبراهيم :

« إنَّ نسلك يستعبد أربعمائة سنة[٨٠] » .

ولم يقل له قط « من الآن إلى انقضاء استخدامهم أربعمائة سنة » . وأيضًا فإنَّ نص توراتهم :

أن الله تعالى إنما قال هذا الكلام لإبراهيم قبل ولادة إسماعيل هذا أيضًا فكان إبراهيم حينئذ ابن أقل من ستة وثمانين عامًا ثم عاش بعد ذلك أربعة عشر عامًا وولد له إسحاق ، وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة[٨١]، ومات إسحاق وليعقوب مائة وعشرون سنة ، ودخل يعقوب مصر وله مائة وثلاثون سنة ، كل هذا نصوص توراتهم بلا اختلاف منهم ، فمات[٨٢] إسحاق قبل دخول يعقوب مصر بعشرة أعوام فمن حين ادعوا أن الله تعالى قال هذا الكلام لإبراهيم إلى دخول يعقوب مصر مائتا عام وأربعة أعوام ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى عنها كما ذكرنا مائة عام وسبعة عشر عامًا ، فحصلنا على أربعمائة عام وأربعة وعشرين عامًا فلا منجى من الكذب إما بزيادة أو نقصان ، وحاش لله أن يكذب فى حساب بدقيقة فكيف بأعوام ؟

والله خالق الحساب ومعلمه عباده ، ومعاذ الله أن يكذب موسى عليه السلام أو يخطىء فيما أوحى الله تعالى إليه به ، فوضح يقينا لكل من له أدنى فهم وضوحًا يقينيًّا[٨٣] كما أن أمس قبل اليوم – أنها ليست من عند الله تعالى ، ولا من أخبار نبى ولا من تأليف عالم يتقى الكذب ، ولا من عمل من يحسن الحساب ، ولا يخطىء فيما لا يخطىء فيه صبى يحسن الجمع والطرح والقسمة والتسمية ، ولكنها بلا شك من عمل كافر مستخف ماجن سخر بهم ، وتطايب عليْهم[٨٤]، وكتب لهم ما سخّم الله به وجوههم عاجلًا فى الدنيا بالفضيحة ، وآجلًا فى الآخرة بالنار والخلود فيها ، أو من عمل تيس أرعن تكلف إملاء ما لم يقم بحفظه جاهل مع ذلك مظلم

---

(٨٠) النص كما فى التوراة الحالية : « اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم ، فيذلونهم أربعمائة سنة » (الإصحاح : ١٥ سفر التكوين) .

(٨١) فى النسخة (ب) [وسنه] بزيادة الواو . (راجع سفر التكوين – الإصحاح ٣٥ الفقرة ٢٨) .

(٨٢) فى النسخة (ب) [ممات] .

(٨٣) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [وضوحا] .

(٨٤) فى (أ ، ب) [وتطايب منهم] .

الجهل بالهيئة وصفة الأرض ، وبالحساب وبالله تعالى وبرسله ﷺ ، فأملى ما خرج إلى فهمه من خبيث وطيب ، ولقد كان فى هذا الفصل كفاية لمن نصح نفسه لو لم يكن غيره فكيف ومعه عجائب جمة ، ونحمد الله تعالى على نعمة الإسلام كثيرًا .

فصل

ادعاء التوراة بأن نسل إبراهيم يملكون من النيل إلى الفرات

وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام :

« لنسلك أعطى هذا البلد من نهر مصر النهر الكبير إلى نهر الفرات[٨٥]» وهذا كذب وشهرة من الشهر ، لأنه إن كان عنى بنى إسرائيل ، وهكذا يزعمون فما ملكواقط من نهر مصر ، ولا على نحو عشرة أيام منه شبرًا مما فوقه ، وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس ، وفى هذه المسافة الصحارى المشهورة الممتدة ، والحضار[٨٦]، ثم « رفح » و « غزة »[٨٧] و« عسقلان[٨٨]» و« جبال الشراة » التى لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم ، وتذيقهم[٨٩] الأمرين إلى انقضاء دولتهم ، ولا ملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أيام منه ، بل بين آخر حوز بنى إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات إليهم نحو تسعين فرسخا فيها « قنسرين[٩٠]» و« حمص[٩١]» التى لم يقربوا منها قط ، ثم

---

(٨٥) التوراة : الإصحاح : ١٥ سفر التكوين الفقرة : ١٨ ، ١٩ .

(٨٦) فى (خ) [الجفار] .

(٨٧) غزة : مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين « عسقلان » فرسخان أو أقل ، وهى من نواحى فلسطين غربى « عسقلان » وفيها مات « هاشم بن عبد مناف » جد رسول الله ﷺ ، وبها قبره ، ولذلك يقال لها « غزة هاشم » وبها ولد الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، رضى الله عنه ، وإليها ينسب أبو عبد الله محمد بن عمرو بن الجراح الغزى (معجم البلدان : حـ ٤ ص ٢٠٢) .

(٨٨) عسقلان : مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها قديما عروس الشام ، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين ، استولى عليها الإفرنج عام ٥٤٨ هـ ، واستردّها « صلاح الدين الأيوبى » عام ٥٨٣ هـ (معجم البلدان : حـ ٤ ص ١٢٢) .

(٨٩) فى (أ) [ونذيقهم] .

(٩٠) قنسرين : فتحت على يد أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه سنة ١٧ هـ ، وكانت هى و « حمص » شيئًا واحدًا ، وهى مأخوذة من قول العرب « قنسرى » أى مسّ ، وقيل سميت « قنسرين » لأن ميسرة بن مسروق العبسى مرّ عليها فلما نظر إليها قال ما هذه ؟ فسميت له بالرومية فقال : والله لكأنها قن نسر ، سميت قنسرين وبها قبر صالح النبى عليه السلام على أحد الأقوال ، وتاريخها مفصل فى معجم البلدان (معجم البلدان : حـ ٤ ص ٤٠٣ – ٤٠٤) .

(٩١) حمص : بلد قديم كبير مسور ، وهى بين دمشق وحلب فى منتصف الطريق ، يذكر ويؤنث ، بناه رجل قديم يقال له : حمص ابن المهر بن جان بن مكنف ، قال أبو مخنف أول راية وافت للعرب حمص ، ونزلت حول مدينتها راية « ميسرة بن مسرور العبسى » وأول مولود ولد فى الإسلام بحمص « أدهم بن محرز » وبحمص من المزارات مشهد على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وبها دار خالد بن الوليد رضى الله عنه . (معجم البلدان : حـ ٢ ص ٣٠٣) .

« دمشق » و« صور[٩٢] » و« صيدا[٩٣] » التى لم يزل أهلها يحاربونهم ، ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم ، وحاش لله عز وجل أن يخلف وعده فى قدر دقيقة من سرابه فكيف فى تسعين فرسخًا فى الشمال ونحوها فى الجنوب .

ثم قوله : « النهر الكبير » وما فى بلادهم التى ملكوا نهر يذكر إلا الأردن وحده ، وما هو بكبير ، إنما مسافة مجراه من بحيرة الأردن إلى مسقطه فى البحيرة المنتنة نحو ستين ميلًا فقط ، فإن قال قائل إنما عنى الله بهذا الوعد بنى إسماعيل عليه السلام ، قلنا وهذا أيضًا خطأ ، لأن هذا القدر المذكور ها هنا من الأرض أقل من جزء من مائة جزء مما ملّك الله عز وجل بنى إسماعيل عليه السلام . وأين يقع ما بين مصب النيل عند « تِنِّيس » وبين الفرات ، ومن[٩٤] آخر الأندلس على ساحل البحر المحيط ، وبلاد البربر كذلك إلى آخر « السند » و« كابل[٩٥] » مما يلى بلاد الهند . ومن ساحل اليمن إلى ثغور « أرمينية » و« أذربيجان » فما بين ذلك والحمد لله رب العالمين .

فكيف وهذه الدعوى باطلة لأن ذلك الكلام بعضه معطوف على بعض ، فالموعودون بملك ذلك البلد هم المتوعدون بأنهم يتملكون ويعذبون فى البلد الآخر . وقد أكرم الله تعالى بنى إسماعيل وصانهم عن ذلك فوضح الكذب الفاحش فى الأخبار المذكورة ، وصح أنه ليس من عند الله عز وجل ، ولا من كلام نبى أصلًا بل من تبديل وغد جاهل كالحمار بلادة ، أو متلاعب بالدين ، وفاسد المعتقد ونعوذ بالله من الخذلان .

فصل

إخراج إبراهيم من أتون الكردانيين إلى بلد آمن

ومنها أن الله تعالى قال لإبراهيم :

« أنا الله الذى أخرجتك من أتون الكردانيين لأعطيك من هذا البلد حوزًا . فقال له

---

(٩٢) صور : مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء ، وهى ثغر من ثغور المسلمين ، مشرفة على بحر الشام ، داخلة فيه مثل الكف على الساعد ، يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الربع الذى منه شروع بابها ، افتتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب ، وهى معدودة من أعمال الأردن قديما ، بينها وبين « عكا » ستة فراسخ ، من علمائها أبو عبد الله محمد بن على الصورى الحافظ ، وهى الآن مدينة تابعة للبنان (معجم البلدان : حـ ٣ ص ٤٣٣) .

(٩٣) صيدا : مدينة على ساحل بحر الشام ، من أعمال دمشق ، شرقى صور بينهما ستة فراسخ ، وسميت بذلك نسبة إلى « صيدون ابن صادوقاء بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام » ، وممن نسب إليها أبو الحسن محمد بن أحمد الصيداني ، افتتحها الصليبيون عام ٥٠٤ هـ ، وبقيت فى أيديهم إلى أن استعادها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ (المرجع السابق : ٣ : ٤٣٨) .

(٩٤) فى النسخة (ب) سقطت [الواو] .

(٩٥) مدينة بين الهند ونواحى « سجستان » فى ظهر الغور ، و « كابل » اسم يشمل الناحية ، ومدينتها العظمى ، غزاها المسلمون فى أيام بنى مروان وافتتحوها ، وأهلها مسلمون ، وينسب إليها أبو مجاهد على بن مجاهد الكابلى الرازى (معجم البلدان : ٤ ص ٤٢٦) . وهى العاصمة الحالية لأفغانستان .

إبراهيم : يارب بماذا أعرف أنى أرث هذا البلد ؟[٩٦]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : حاش لله أن يقول إبراهيم عليه السلام لربه هذا الكلام ، فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل حتى طلب على ذلك برهانا . فإن قال قائل جاهل ففى القرآن قال : « رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحيِى الموتَى[٩٧]» ؟ وأن زكريا قال لله تعالى إذ وعده بابن يسمى « يحيى » « رب اجعل لى آية[٩٨]» . قلنا بين المراجعات المذكورة فرق كما بين المشرق والمغرب ، أما طلب إبراهيم عليه السلام رؤية إحياء الموتى فإنما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له إلى رؤية الكيفية فى ذلك فقط .

بيان ذلك قوله تعالى له : «أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قال : بلى . ولكِنْ ليطمئِنَّ قَلبى » فوضح أن إبراهيم لم يطلب ذلك برهانًا على شك أزاله عن نفسه ، لكن ليرى الهيئة فقط . وأما زكريا عليه السلام فإنما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكذبوه ، هذا نص كلامه ، والذى ذكروه عن إبراهيم عليه السلام كلام شاكٍّ يطلب برهانًا يعرف به صحة وعد ربه له . تعالى الله عن ذلك ، وحاش لإبراهيم منه .

فصــل

التقاء إبراهيم بالملائكة عليهم السلام

وبعد ذلك قال :

وتجلّى الله لإبراهيم عند بلّوطات مَمْرأ وهوجالس عند باب الخباء عند حمى النهار ، ورفع عينيه ونظر فإذا بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الأرض ، وقال يا سيدى : إن كنت قد وجدتَ نعمةً فى عينك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء ، واغسلوا أرجلكم ، واستندوا تحت الشجرة ، وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون ، فمن أجل ذلك مررتم على عبدكم فقالوا : اصنع كما قلت ، فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة ، وقال لها : اصنعى ثلاث صيعانٍ من دقيق سميذ ، اعجنيه واصنعى خبز ملّة ، وحضر إبراهيم إلى البقر ، وأخذ عجلًا رخيصًا سمينًا ودفعه للغلام واستعجل بإصلاحه ، وأخذ سمنًا ولبنًا ، والعجل الذى صنعوه وقُدِّم بين أيديهم وهو واقف عليهم تحت الشجرة وقال : كلوا [٩٩].

(٩٦) التوراة : (الإصحاح : ١٥ فقرة : ٧ - ٩ من سفر التكوين) .
(٩٧) سورة البقرة : ٢٦٠ .
(٩٨) سورة آل عمران : ٤١ .
(٩٩) (راجع التوراة : سفر التكوين : الإصحاح : ١٨ الفقرات من ١ - ٨) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره :

فأوّل ذلك إخباره أن الله تعالى تجلّى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة النفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية ، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة بل هو أشد من التثليث ؛ لأنه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص ، وقد رأيت فى بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية فى إثبات التثليث ، وهذا كما ترى فى غاية الفضيحة ، فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم فى ذلك أيضًا فضائح عظيمة ، وكذب فاحش من وجوه .

أولها : من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلّى له ، وإنما تجلّى له ثلاثة من الملائكة .

وثانيها : أنه يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد[١٠٠]، وهذا مما يزيد فى ضلال النصارى فى هذا الفصل ، وهذا أيضًا محال فى الخطاب .

وثالثها : سجوده للملائكة فإنّ من الباطل أن يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله ، فهذه كذبة . وإن قالوا بل لله سجد فهذه كذبة ولابد ، أو يكون الله عندهم هم الثلاثة المتجلون ، لابدّ من إحداها . وعادت البلية أشد ما كانت .

ورابعها : خطابه لهم بأنه عبدهم ؛ فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلى له فقد عادت البلية ، وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاش لله أن يخاطب إبراهيم عليه السلام بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقًا مثله ، مع أن من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد[١٠١].

وخامسها : قوله : « يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم ، وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم[١٠٢]» .

فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهى التى لا سوى لها ولا بقية بعدها ، والتى تملأ الفم ، وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب ، لأن إبراهيم عليه السلام لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز . فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة .

---

(١٠٠) حيث يقول للثلاثة : يا سيدى .

(١٠١) هكذا فى النسختين (أ) و (ب) والأولى أن يقول [بخطاب الواحد] .

(١٠٢) نقل النص هنا محرفا عما ذكره سابقا ، ففى النص السابق يقول : « ليؤخذ قليل من ماء ، واغسلوا أرجلكم ، واستندوا تحت الشجرة ، وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم » . والذى فى التوراة الحالية مختلف قليلا عن ذلك ، ولكن المعنى واحد (راجع الإصحاح : ١٨ : فقرة ٤ ، ٥ .

فإن قالوا : ظنهم ناسًا . قلنا : هذا أكذب لأن فى أول الخبر يخبر أن الله تجلّى له ، وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق[١٠٣]؟ حاش له من هذا الضلال .

وسادسها : إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن ، وحاش له أن يكون هذا خبرا عن الله تعالى ، لا ولا عن الملائكة ، أين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به ؟ من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز وجل فى هذه القصة نفسها :

« ولقد جاءت رُسُلُنا إبراهيم بالبُشْرى قالوا : سَلامًا ، قال : سَلامٌ ، فما لَبِثَ أن جاء بعجل حنيذ ، فلمَّا رأى أيْدِيَهم لا تصلُ إليهِ نَكِرهم ، وأوجَس مِنهُم خيفةً قالوا لا تخفِ إنَّا أُرْسِلْنا إلى قوم لوط »[١٠٤] الآيات .

هيهات نور الحق من ظلمات الكذب ؟ ! والحمد لله رب العالمين كثيرًا .

وفيها أيضا وجه سابع ليس كهذه الوجوه فى الشناعة : وهو إقرارهم بأن إبراهيم أطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معًا . والربانيون منهم يحرّمون هذا اليومَ . فأقل ما فيه النسخ على أن يكون سلامته من أطم الدّواهى ، والسلامة والله منهم بعيدة .

فصــل

بشرى إبراهيم بإنجاب ولد

ثم قال متصلا بهذا الفصل : « وقالوا له : أين سَارَة زوجتك ؟ فقال : ها هى ذه فى الخباء . قال : سأرجع إليك مثل هذا الوقت من قابل ويكون لها ابن ، وسارة تسمع فى الخباء وهو وراءها ، وكان إبراهيم وسارة شيخين قد طعنا فى السن ، وانتهى لسارة أن لا يكون لها عادة كالنساء فضحكت سارة فى نفسها قائلة : أبعد أن بليت[١٠٥] يصير لى ذا وسيدى شيخ ؟ ! قال الله لإبراهيم : لماذا ضحكت سارة قائلة هل لى أن ألد وأنا عجوز وهل يخفى عن الله أمرى فى هذا الوقت إذ قال عزَّ من قائل : يكون لسارة ابن فجحدت سارة وقالت : لم أضحك لأنها خافت ، وقال السيد : ليس كما تقولين بل قد ضحكت فقام القوم من ثُمَّ[١٠٦]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : عاد الخبر بين سارة وإبراهيم وبين الله عزَّ وجل وعاد

---

(١٠٣) أى لعابر طريق .
(١٠٤) سورة هود : ٧٠ .
(١٠٥) فى النسختين (أ) و (ب) [نليت] بالنون وهو تحريف .
(١٠٦) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح : ١٨ ، فقرات : ٩ - ١٦) .

الحديث الماضى ، ثم فى هذا زيادة : أن الله تعالى قال : « إنَّ سارة ضحكت » وقالت سارة : لم أضحك . فقال الله : بلى ، قد ضحكت . فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء ، حاش لسارة الفاضلة المنبأة من الله عز وجل بالبشارة من أن تكذب الله عزَّ وجل فيما يقول ، وتكذب هى فى ذلك فتجحد ما فعلت ، فتجمع بين سوأتين ، إحداهما : كبيرة من الكبائر ، قد نزه الله عزَّ وجل الصالحين عنها ، فكيف الأنبياء ؟ والأخرى : أدهى وأمر ، وهى التى لا يفعلها مؤمن ، ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ، ونعوذ بالله من الضلال .

فصـــل

وبعد ذلك وصف أن الملكين باتا عند لوط ، وأكلا عنده الخبز الفطير ، وأن لوطا سجد لهما على وجه الأرض وتعبد لهما(١٠٧)، وقد مضى مثل هذا وأنه كذب . وأن الملائكة لا تأكل فطيرًا ، ولا مختمرًا ، وأن الأنبياء عليهم السلام لا يسجدون لغير الله تعالى ، ولا يتعبدون لسواه .

فصـــل

طلب إبراهيم من ربه عدم هلاك قوم لوط جميعًا

وذكر أن إبراهيم عليه السلام قال لله عزَّ وجل إذ ذكر له هلاك قوم لوط فى كلام كثير : « أنت معاذ من أن تصنع هذا الأمر لا تقتل الصالح مع الطالح فيكون الصالح كالطالح فأنت معاذ يا حاكم جميع العالم من هذا(١٠٨)» .

ولم ينكر الله تعالى عليه هذا القول . وقال بعد ذلك :

« إن الملكين قَالا لِلُوطٍ انظر مَنْ لَكَ هُنا من صهر بنيك وبناتك وكل مالك فى القريةِ أَخْرِجْهم مِن هَذا الموضِع لأنَّا مهلكون هذا الموضع(١٠٩)» .

وقال بعد ذلك : « إن لوطًا كلَّم أصهاره(١١٠) المتزوجين بناته» وقال لهم : « اخرجُوا من هذا الموضِع فإنَّ الله مُهلكهم ، وأنَّه صَارَ عِندهم كاللّاعب » .

---

(١٠٧) التوراة : (الإصحاح : ١٩ فقرات ١ - ٤ من سفر التكوين) .
(١٠٨) التوراة : (الإصحاح : ١٨ فقرات ٢٢ الخ) .
(١٠٩) التوراة : (الإصحاح : ١٩ - الفقرات من ١٢ - ١٤ من سفر التكوين) .
(١١٠) التوراة : (الإصحاح : ١٩ فقرات من ١٦ - ١٨ سفر التكوين)

ثم قال بعد ذلك :

« إن الملائكة أمسكوا بيد لوطٍ وبيدِ زوجته ، وابنتيه لشَفقة الله عليهم وأخرجوهم خارج القرية ، ثم ذكر هلاك القرية بكل ما فيها[١١١] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا يخلو أصهار لوط وبنوه وبناته الناكحات من أن يكونوا صالحين أو طالحين ، فإن كانوا صالحين فقد هلكوا مع الطالحين ، وبطل عقد الله تعالى مع إبراهيم فى ذلك ، وحاش لله من هذا . وإن كانوا طالحين فكيف تأمر الملائكة بإخراج الطالحين ، وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم ، فلابدّ من الكذب فى أحد الوجهين ، وبالجملة فأخبارهم معفونة جدًا .

فصل

ادعاء التوراة على لوط عليه السلام بمضاجعة ابنتيه

وبعد ذلك قال : « وأقام لوط » فى المغارةِ هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى : أبونا شَيخٌ وليس فى الأرضِ أحدٌ يأتينا كسبيل النساء ، تعالى نسق أبانا الخَمْرَ ونضاجعه ونستبق منه نسلاً فسقتا أباهما خمرًا فى تلك الليلة فأتت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعلم بنومها ولا بقيامها فلما كان من الغد قالت الكبرى للصغرى قد ضاجعت أبى أمس تعالى نسقيه الخمر هذه الليلة وضاجعيه أنت ، ونستبقى من أبينا نسلاً فسقتاه تلك الليلة خمرًا ، وأتت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنومها ولا بقيامها ، وحملت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت الكبرى ابنا وسمته « مواب » ، وهو أبو الموابين إلى اليوم ، وولدت الصغرى ابنًا سمته « عمون » وهو أبو العمونيين إلى اليوم[١١٢] . وفى السفر الخامس من التوراة بزعمهم أن موسى قال لبنى إسرائيل : « إن الله تعالى قال : لما انتهينا إلى صحراء بنى مواب قال لى : لا تحارب بنى مواب ولا تقاتلهم فإنى لم أجعل لكم فيما تحت أيديهم سهمًا لأنى قد ورثت بنى لوط (ادوا) وجعلتها مسكنًا لهم ، ثم ذكر أن موسى قال لهم : إن الله تعالى قال له أيضًا أنت تخلف اليوم حوز بنى مواب المدينة التى تدعى عاد ، وتنزل فى حوز بنى عمون فلا تحاربهم ، ولا تقاتل أحدًا منهم فإنى لم أجعل لكم تحت أيديهم سهمًا لأنهم من بنى لوط ، وقد ورثتهم تلك الأرض[١١٣] .

---

(١١١) التوراة : (أ ، ب) [كلهم أصحابه] راجع : سفر التكوين - الإصحاح ١٩ - الفقرات من ١٥ - ٢٩) .

(١١٢) التوارة : (سفر التكوين - الإصحاح التاسع عشر الفقرات من ٣٠ - ٣٨) .

(١١٣) التوراة : (سفر التثنية : الإصحاح الثانى - الفقرات من ١٦ - ٢٠) . والنصّ الذى فى التوراة يتفق فى المعنى ويختلف فى كثير من الألفاظ مما يدل على أن التحريف ما زال ملازمًا لهم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذه الفصول فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام :

فأولها : ما ذكر عن بنتى لوط عليه السلام من قولهما « ليس أحد فى الأرض يأتينا كسبيل النساء ، تعالَىْ نسق أبانا خمرًا ، ونضاجعه ونستبق منه نسلًا » فهذا كلام أحمق فى غاية الكذب والبرد ؛ أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق فى الأرض أحد يضاجعهما ؟ إنَّ هذا لعجب فكيف والموضع معروف إلى اليوم ؟ ليس بين تلك المغارة التى كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه ، وبين قرية سكنى إبراهيم عليه السلام إلّا فرسخ واحد لا يزيد ، وهو ثلاثة أميال فقط — فهذه سوأة .

والثانية : إطلاق الكذاب الواضع لهم هذه[114] الخرافة لعنه الله – هذه الطومة — على الله عز وجل من أنه أطلق نبيَّه ورسوله ﷺ على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد أخرى .

فإن قالوا : لا ملامة عليهم فى ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران ، وهو لا يعلم من هما ، قلنا : فكيف عمل إذ رآهما حاملتين ؟ وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة ؟ وإذ رآهما تربيان أولاد الزنى ؟

هذه فضائح الأبد ، وتوليد الزنادقة المبالغين فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام .

والثالثة : إطلاقهم على الله تعالى : أنه نسب أولادَ ذينك الزنيمين فرخى الزنى إلى ولادة لوط عليه السلام ؟ حتى ورثهما بلدين كما ورث بنى إسرائيل وبنى عيسو ابنى إسحاق سواء بسواء . تعالى الله عن هذا علوًا كبيرًا .

فإن قالوا : كان مباحًا حينئذ . قلنا : فقد صح النسخ الذى تنكرونه بلا كلفة وقال قبل هذا : « إن إبراهيم إذ أمره الله تعالى بالمسير من حران إلى أرض كنعان أخذ مع نفسه امرأته سارة ، وابن أخيه لوط بن هاران ، وذكروا فى بعض توراتهم أنه كلمته الملائكة ، وأن الله تعالى أرسلهم إليه ، فصح بإقرارهم أنه نبى الله عزّ وجل ، وهم يقولون : إنه بقى فى تلك المغارة شريدًا طريدًا فقيرًا لا شىء له يرجع إليه . فكيف يدخل فى عقل من له أقل إيمان أن إبراهيم عليه السلام يترك ابن أخيه الذى تغرب معه ، وآمن به ، ثم تنبأ مثله يضيع ويسكن فى مغارة مع ابنتيه فقير هالكا . وهو على ثلاثة أميال منه ؟ ! وإبراهيم على ما ذكر فى التوراة عظيم المال ، مفرط الغنى ، كثير

(١١٤) فى (أ ، ب) سقطت (لهم) .

اليسار من الذهب والفضة ، والعبيد والإماء ، والجمال والبقر والغنم والحمير ، ويقولون فى توراتهم : إنه ركب فى ثلاثمائة مقاتل وثمانية عشر مقاتلًا لحرب الذين سبَوْا لوطا وماله حتى استنقذوه وماله . فكيف يضيعه بعد ذلك هذا التضييع ؟ ليست هذه صفات الأنبياء ولا كرامتهم[١١٥]، ولا صفات من فيه شيء من الخير ؟ لكن صفات الكلاب الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التى لا فائدة فيها ، ولا موعظة ، ولا عبرة حتى ضلوا بها ، ونعوذ بالله من الخذلان .

فصــل

فرعون يأسر سارة زوجة إبراهيم عليه السلام

وفى موضعين من توراتهم المبدَّلة : « أنَّ سارة امرأة إبراهيم عليه السلام أخذها فرعون ملك مصر[١١٦]، وأخذها ملك الخِلْص أبو مالك مرة ثانية ، وأن الله سبحانه وتعالى أرى الملكين فى منامهما ما أوجب ردّها إلى إبراهيم عليه السلام . وذكر أن سنَّ إبراهيم عليه السلام إذ انحدر من « حران » خمسة وسبعون عامًا[١١٧]، وأن إسحاق ولد له وهو ابن مائة سنة ، ولسارة إذ ولد تسعون عامًا[١١٨] فصح أنه كان يزيد عليها عشر سنين . وذكر أن ملك الخِلْص أخذها بعد أن ولدت إسحاق — وهى عجوز مسنة بإقرارها بلسانها إذ بشرت بإسحاق فكيف بعد أن ولدته وقد جاوزت تسعين عامًا ، ومن المحال أن تكون فى هذا السن تفتن ملكًا ، وأن إبراهيم قال فى كلتا المرتين هى أختى ، وذكر عن إبراهيم أنه قال للملك هى أختى بنت أبى لكن ليست من أمى فصارت لى زوجة . فنسبوا فى نص توراتهم إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوّج أخته . وقد وقفت على هذا الكلام من بعض من شاهدناه منهم ، **وهو إسماعيل ابن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالى**[١١٩] فقال لى : إن نصَّ اللفظة فى التوراة « أخت » وهى لفظة تقع فى العبرانية على الأخت وعلى القريبة ، فقلت يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القريبة ها هنا قوله : « لكن ليست من أمى وإنما بنت أبى[١٢٠]» .

فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب . وأقل ما فى هذا إثبات النسخ الذى تفرون منه فخلط ولم يأت بشيء .

(١١٥) فى الأصل « ولا كرامة » .
(١١٦) التوراة : (سفر التكوين : الإصحاح : ١٢ – الفقرات من ١١ – ٢٠) .
(١١٧) التوراة : سفر التكوين – الإصحاح ١٢ – الفقرة ٤) .
(١١٨) المرجع السابق – (الإصحاح ١٧ الفقرة ١٧ – إلى آخر الإصحاح) .
(١١٩) وقد ناظر ابن حزم اسماعيل بن يوسف هذا ، وألف فى نقده كتابا أسماه « الرد على ابن النغريلة » ، وقد طبع هذا الكتاب منذ سنوات عدة .
(١٢٠) بمراجعة نصوص التوراة الحالية لم نجد هذا التعبير ، وهذا يدل على أن اليهود ، حين وجدوا بعض الاعتراضات عليهم حاولوا =

فصـــل

إبراهيم عليه السلام له أكثر من زوجة

ثم ذكرت موت سارة وقال : « تزوّج إبراهيم عليه السلام امرأة اسمها « قطورة » وولدت له « زِمْرَان » و« يقشان » و« مدان » و« مديان » و« يِشْبق[١٢١] » و« شوحا » وأعطى إبراهيم جميع ماله لإسحاق ، وأعطى بنى الإماء عطايا وأبعدهم عن إسحاق[١٢٢] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا نص الكلام كله متتابعًا مرتبًا ، ولم يذكر له زوجة فى حياة « سارة » ، ولا أمة لها ولد إلا « هاجر » أم إسماعيل عليه السلام ، ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولا أمة ، ولا ولدًا غير « قطورة » وبنيها ، وفى كتبهم أن « قطورة » هذه بنت ملك « الربذ[١٢٣] » وهو موضع « عمان » اليوم بقرب البلقاء[١٢٤] ، وهذه أخبار يكذب بعضها بعضا .

فصـــل

ثم ذكر أن « رفقة[١٢٥] » بنت شوال[١٢٦] بن تارح زوجة إسحاق عليه السلام كانت عاقرًا . قال فشفعه الله وحملت ، وازدحم الولدان فى بطنها وقالت : لو علمت أن الأمر هكذا كان يكون ما طلبته . ومضت لتلتمس علما من الله عز وجل . فقال لها الله فى بطنك أُمَّتان وحزبان[١٢٧] يفترقان منه ، أحدهما أكبر من الآخر ، والكبير يخدم الصغير ، فلما كانت أيام الولادة إذا بتوأمين فى بطنها وخرج الأول أحمر كله كفروة من شعر فسمى «عيسو » وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب « عيسو » فسماه « يعقوب[١٢٨] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا مئونة على هؤلاء السفلة فى أن ينسبوا الكذب إلى الله عز وجل ، وحاش لله أن يكذب ، ولا خلاف بينهم فى أن « عيسو » لم يخدم قط « يعقوب » ، وأن بنى عيسو لم تخدم قط بنى يعقوب ، بل فى التوراة نصًا : أن « يعقوب » سجد

= تنقية نصوص التوراة من مواضع النقد فحذفوها وهكذا يستمر التغيير والتبديل فى التوراة (راجع النص الخاص بزوجة إبراهيم وادعائه أنها أخته فى الاصحاح : ١٢ من سفر التكوين : فقرات ١١ ، إلى آخر الإصحاح) .

(١٢١) فى (خ) و « يزباق » . وفى التوراة الحالية [يِشْبَاق] .

(١٢٢) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح : ٢٥ الفقرات من ١ - ٦) .

(١٢٣) فى (خ) [الربة] بدلًا من [الربذ] .

(١٢٤) فى النسخة (ب) [البلقا] بغير همز .

(١٢٥) فى النسخة (ب) [رفعة] بالعين بدلًا من القاف .

(١٢٦) فى (أ ، ب) [بنت بتوئيل] وكذلك فى التوراة الحالية .

(١٢٧) الذى فى التوراة الحالية : « ومن أحشائك يفترق شعبان ، شعب يقوى على شعب ، وكبير يُستَعبدُ لصغير » (سفر التكوين - الإصحاح ٢٥ - الفقرات من ٢٢ الخ) .

(١٢٨) التوراة : (سفر التكوين : الإصحاح : ٢٥ الفقرات من ١٩ - ٢٦) .

على الأرض سبع مرات « لعيسو » إذ رآه . وأن يعقوب لم يخاطب « عيسو » إلا بالعبودية والتذلل المفرط وأن جميع أولاد يعقوب حاش « بنيامين » الذى لم يكن ولد بعد – كلهم سجدوا لعيسو . وأن « يعقوب » أهدى لعيسو – مداراة له خمسمائة رأس وخمسين رأسا من إبل وبقر وحمير وضأن ومعز ، وأن يعقوب رآها منة عظيمة إذ قبلها منه(١٢٩)، وأن بنى عيسو لم تزل أيديهم على أقفاء بنى إسرائيل من أول دولتهم إلى انقطاعها ، إما يتملكون عليهم ، أو يكونون على السواء معهم ، وأن بنى إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بنى عيسو فاعجبوا لهذه الفضائح أيها المسلمون ، واحمدوا الله على السلامة مما ابتلى به غيركم من الضلال والعمى .

فصـــل

طلب إسحاق من ابنه عيسو أن يصيد صيدًا

ثم ذكر أن إسحاق قال لابنه « عيسو » يا بنى قد شخت ولا أعلم يوم موتى فاخرج وصد لى صيدًا ، واصنع لى منه طعامًا كما أحب ، وائتنى به لآكله كى تباركك نفسى قبل أن أموت ، وأن « رفقة » أم عيسو ويعقوب ، أمرت يعقوب ابنها أن يأخذ جديين ، وتصنع هى منهما طعاما ، ويأتى يعقوب إلى إسحاق أبيه ليأكله ويبارك عليه ، وأن يعقوب قال لأمه : إن عيسو أخى أشعر وأنا أجرد ، لعل أبى أن يحس بى وأكون عنده كاللاعب وأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، فقالت له أمه علىّ استدفاع لعنتك ، وأن يعقوب فعل ما أمرته به أمه . فأخذت هى ثياب عيسو ابنها الأكبر وألبستها يعقوب ، وجعلت جلود الجديين على يديه وعلى حلقه ، وأعطته الطعام . وجاء به إلى أبيه : فقال له يا أبى : فقال له إسحاق : من أنت يا ولدى قال يعقوب : أنا ابنك عيسو بكرك صنعت جميع ما قلت لى ، فاجلس وتأكل من صيدى لتبارك علىّ . وأن إسحاق قال ليعقوب : تقدم حتى أجسّك يا بنى . هل أنت ابنى عيسو أم لا ؟ فتقدم يعقوب فجسه إسحاق وقال : الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو . وقال : هل أنت هو ابنى عيسو ؟ فقال : أنا . فبارك عليه وقال له فى بركته تلك : تخدمك الأمم وتخضع لك الشعوب ، وتكون مولى إخوتك ، وتسجد لك بنو أمك . ثم ذكر أن « عيسو » أتى بالصيد إلى إسحاق ، فلما عرف إسحاق القصة قال لعيسو عن يعقوب : قد صيّرته سلطانًا وجعلت جميع إخوته عبيدًا ، فرغب إليه عيسو فى أن يباركه أيضًا ففعل وقال فى بركته : « هو ذا بلا دَسَمِ الأرض يكون مسكنك ، وبلا نَدَى السماء من فوق ، وبسيفك تعيش ، ولأخيك تستعبد ، ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك(١٣٠) » .

(١٢٩) التوراة : (سفر التكوين – الإصحاح ٣٠ – الفقرات من ١ – ٢٠) .
(١٣٠) التوراة : (سفر التكوين – الإصحاح : ٢٧ الفقرات من ١ – ٤٠) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وفى هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات :

فأول ذلك : إطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه ، وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء . فكيف من نبى مع أبيه النبى أيضًا . هذه سوءات مضاعفات . أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق فى قوله تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلّا أنفسهم[١٣١]» .

وثانية : وهى إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث . وحاش للأنبياء عليهم السلام من هذا . ولعمرى إنها لطريقة اليهود فما تلقى منهم إلّا الخبيث المخادع إلّا الشاذ[١٣٢].

وثالثة : وهى إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة . وحاش لله من هذا .

ورابعة : وهى التى لا يشك أحد فى أن إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب إذ خدعه — يزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس إنما قصد بتلك البركة عيسو . وله دعا ، لا ليعقوب فأى منفعة للخديعة ها هنا لو كان لهم عقل . وما أشبه هذه العقول فى هذه القضية[١٣٣] بحمق الغالية من الرافضة القائلين : إن الله تعالى بعث جبريل إلى على فأخطأ جبريل وأتى إلى محمد ، وهكذا بارك إسحاق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب . فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله . فهذه وجوه الخبث والغش فى هذه القضية .

وأمّا وجوه الكذب فكثيرة جدًّا من ذلك : نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام وهو نبى الله تعالى ورسوله فى أربعة مواضع :

أولها : قوله لأبيه إسحاق أنا ابنك « عيسو » وبكرك . فهذه كذبتان فى نسق لأنه لم يكن ابنه « عيسو » ولا كان بكره .

وثالثة[١٣٤]: قوله لأبيه : صنعت جميع ما قلت لى فاجلس وكل من صيدى فهذه كذبتان فى نسق ، لأنه لم يكن قال له شيئًا ولا أطعمه من صيده .

---

(١٣١) سورة البقرة : ٩ .

(١٣٢) سقطت كلمة [إلّا] فى (أ) . والمعنى : « أنك لا تجد من بين اليهود إلا الخبيث المخادع إلّا ما ندر منهم وشذ عن هذا السلوك .

(١٣٣) فى (أ ، ب) [وما أشبه هذه القضية إلا بحمق] .

(١٣٤) فى (أ) [وثانية] .

وكذبات أخر : وهى بطلان بركة إسحاق إذ قال له « تخدمك الأمم ، وتخضع الشعوب وتكون مولى إخوتك ، ويسجد لك بنو أبيك[١٣٥] » – وقوله لعيسو :

« ولأخيك تستعبد » وهذه كذبات متواليات ، والله ما خدمت الأمم قط « يعقوب » ولا بنيه بعده ، ولا خضعت لهم الشعوب ، ولا كانوا موالى إخوتهم ، ولا سجد لهم ولا له بنو أبيه بل بنو إسرائيل[١٣٦] خدموا الأمم فى كل بلدة وفى كل أمة ، وهم خضعوا للشعوب قديمًا وحديثًا فى أيام دولتهم وبعدها . فإن قالوا سيكون هذا قلنا لهم :

قد حصلتم على الصَّغار قديمًا[١٣٧] والأمانى بضائع السخفاء

هيهات :

تَرَجَّى ربيع أن ستحيا[١٣٨] صغارها بخير وقد أعيا ربيعًا كبارُها[١٣٩]

لا سيما مع تقضى جميع الآماد التى كانوا ينبئون بأنها لا تنقضى حتى يرجع أمرهم ، واعلموا أن كل أمة أدبرت فإنهم ينتظرون من العودة ، ويمنون أنفسهم من الرجعة بمثل ما تمنى به بنو إسرائيل أنفسها ، ويذكرون فى ذلك مواعيد كمواعيدهم ، فأمل كأمل ولا فرق ، كانتظار مجوس الفرس « بهرام هماوند » راكب البقرة ، وانتظار الروافض للمهدى[١٤٠] ، وانتظار النصارى الذين ينتظرون فى السحاب ، وانتظار الصابئين أيضًا لقصة أخرى ، وانتظار غيرهم للسفيانى .

تمنٍّ يلــذ المستهام بمثلــه وإن كان لا يغنى فتيلًا ولا يجدى
وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا ولكنَّه غيظ الأسير على القِدِّ[١٤١]

---

(١٣٥) فى (أ ، ب) [بنو أملك] .
(١٣٦) فى (أ ، ب) [بل بنو بنى إسرائيل] .
(١٣٧) فى (أ ، ب) [يقينا] .
(١٣٨) فى (ب) : [تحيا] .
(١٣٩) هذا البيت للراعى وصوابه :

أترجـو ربيـع أن يجىء صغارهـا بخير وقـد أعيـا ربيعـا كبارهـا

وقبله :

كأنَّ ربيعـا فى عمايـة مسفـر أأن دعاهـا للسفـاد حمارهـا

وقد أخذه من قول الفرزدق :

أترجـو كلـيب أن يجىء صغارهـا بخيـر وقـد أعيـا كليبـا كبارهـا

(١٤٠) ينقسم الروافض إلى خمس عشرة فرقة وكلها تنتظر مهْديا معينا ، وأكثر هذه الفرق غلوًّا الفرقة المحمُدية الذين ينتظرون محمد ابن عبد الله ابن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولا يصدقون بقتله ولا بموته ، ويزعمون أنه فى جبل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج ، وكان المغيرة ابن سعيد العجلى يقول لأصحابه : إن المهدىّ المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن ويستدل على ذلك بأن اسمه محمد كاسم رسول الله ﷺ ، واسم أبيه « عبد الله كاسم أبى رسول الله ﷺ ، وقال فى الحديث عن النبى عليه السلام قوله فى المهدى : « إن اسمه يوافق اسمى ، واسم أبيه اسم أبى » والمعروف عن المغيرة بن سعيد أنه من أهل الضلالة ومن وضاع الحديث الأمر الذى جعل خالد بن عبد الله القسرى يقتله ثم يصلبه (الفرق بين الفرق : للبغدادى – ص ٥٦ ، ٥٧ – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) .
(١٤١) فى (ب) : [الجد] .

وأما قوله [تكون مولى إخوتك ويسجد لك بنو أبيك] فلعمرى لقد صح ضد ذلك جهارًا ، إذ فى توراتهم أن « يعقوب » كان راعى ابن عمه « لابان » بن ناحور بن لامك وخادمه عشرين سنة ، وأنه بعد ذلك سجد له وجميع ولده حاش من لم يكن خلق منهم بعد لأخيه « عيسو » مرارًا كثيرة ، وما سجد « عيسو » قط ليعقوب قط[١٤٢] ولا ملك قط أحد من بنى يعقوب بنى عيسو ، وأن يعقوب تعبد لعيسو فى جميع خطاب له ، وما تعبد قط عيسو ليعقوب ، وسأله « عيسو » عن أولاده فقال له يعقوب : هم أصاغر منَّ الله بهم على عبدك ، وأن يعقوب طلب رضاء « عيسو » وقال له : « إنى نظرت إلى وجهك كمن نظر إلى بهجة الله فارض عنّى واقبل ما أهديت إليك[١٤٣] » . وأن عيسو بالحرَّا[١٤٤] قبل هدية يعقوب حينئذ ، فما نرى عيسو وبنيه إلَّا موالى يعقوب وبنيه ، وكذلك ملك بنو عيسو بإقرار توراتهم ميراثهم بساعير وهى جبال الشراة ، وبنو لوط ميراثهم بمواب وعمان ، قبل أن يملك بنو إسرائيل ميراثهم بفلسطين والأردن بدهرٍ طويل ، ثم لم يزالوا يتغلبون على بنى إسرائيل أو يساوونهم طول دولة بنى إسرائيل بإقرار كتبهم ، وما ملك بنو إسرائيل قط بنى عيسو ، ولا بنى لوط ، ولا بنى إسرائيل بإقرارهم ، ولقد بقى بنو عيسو وبنو لوط بإقرار كتبهم فى ميراثهم بساعير ومواب وعمان بعد هلاك دولة بنى إسرائيل ، وأخرجهم عن ميراثهم ثم ملكهم بنو إسماعيل إلى اليوم ، فما نرى تلك البركة كانت إلَّا معكوسة . ونعوذ بالله من الخذلان ، ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث فى زعمهم أن تخرج معكوسة منكوسة .

فصــل

ذكر خدمة يعقوب لخاله لابان

ثم ذكر أن يعقوب إذ مضى إلى خاله[١٤٥] « لا بان بن بثوال[١٤٦] » خطب إليه ابنته « راحيل » وقال له : أخدمك سبع سنين فى « راحيل » ابنتك الصغرى ، فقال له « لابان » : « أن[١٤٧] أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها رجلًا آخر . أقم عندى » .

وخدم « يعقوب » فى « راحيل » سبع سنين ، وصارت عنده أيامًا يسيرة فى محبته لها ،

(١٤٢) سقطت كلمة [قط] فى (أ) .

(١٤٣) وفى التوراة الحالية : « بعد أن سجد يعقوب وزوجاته وأبناؤه لعيسو قال له : « إنى رأيت وجهك كما يرى وجه الله فرضيت على ، خذ بركتى التى أتى بها إليك : إصحاح : ٣٣ - ٩ - ١١) .

(١٤٤) فى (خ) [بالحزى] .

(١٤٥) فى النسخة (ب) [خله] .

(١٤٦) فى التوراة اسمه [لابان بن ناحور] راجع سفر التكوين - ٢٩ : ٥) .

(١٤٧) فى النسخة (أ) سقطت كلمة [أن] .

وقال « يعقوب » « للابان » : أعطنى زوجتى إذ قد كملت أيامى ، فأدخل بها ، وجمع « لابان » جميع أهل الموضع وصنع وليمة ، فلما كان بالعشى أخذ « ليئة » ابنته وزفها إليه ودخل بها ، فلما كان بالغد ورأى أنها « ليئة » قال « للابان » : ماذا صنعت ؟ أليس فى « راحيل » خدمتك ؟ فلم خدعتنى[١٤٨]؟ فقال : « لابان » : لا نصنع هكذا فى موضعنا : أن نزوج الصغرى قبل الكبرى ، أكمل أسبوع هذه ، وأعطيك أيضًا هذه بخدمة تخدمها سبع سنين أخرى ، وصنع « يعقوب » كذلك ، وأكمل أسبوع « ليئة » وأعطى راحيل ابنته لتكون له زوجه[١٤٩]»

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل آبدة[١٥٠] الدهر : وهى إقرارهم أن « يعقوب » عليه السلام تزوج « راحيل » ، فأدخلت عليه غيرها ، فحصلت « ليئة » إلى جنبه بلا نكاح ، وولد لها منه ستة ذكور وابنة ، وهذا هو الزنى بعينه ، أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة ، وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوأة ، وأعاذ أنبياءه عليهم السلام « موسى وهارون وداود وسليمان » من أن يكونوا من مثل هذه الولادة ، وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات .

فإن قالوا : لابد أنه قد تزوجها إذ يعلم أنها ليست التى تزوج . قلنا فعلى أن يسمح لكم بهذا فقد دخل بها بغير نكاح ، لأنه ذكر أنه لم يدر أنها « ليئه » إلا بالغداة ، وقد صرّح بالدخول بها ، إلا أن يقولوا : لم يدخل بها بل علم أنها ليست « راحيل » فإن قلتم هذا كذبتم النص ، فى قوله « دخل بها » فلما كان بالغداة « فليس لكم من الفضيحة بد ، وإن سكتُّم عن هذا[١٥١] فالنسخ ثابت ولابدّ ، لأن نكاح أختين معًا حرام فى توراتكم ، وقد قال لى بعضهم فى هذا لم تكن الشرائع نازلة من الله تعالى قبل موسى . فقلت هذا كذب ، أليس فى نص توراتكم : أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام : « كل دبيب حى يكون لكم أكله كخضراء العشب أعطيتكم ، لكن اللحم بدمه لا تأكلوه ، وأمّا دماؤكم فى أنفسكم فسأطلبها[١٥٢]» .

فهذه شريعة إباحة وتحريم ، قبل موسى عليه السلام .

---

(١٤٨) فى (خ) [فلمَ واريتنى ؟] .
(١٤٩) التوراة : سفر التكوين : الإصحاح : ٢٩ الفقرات من ٩ - ١٣) .
(١٥٠) الآبدة : الداهية التى تبقى أبدا [قاموس] .
(١٥١) سقط كلام كثير فى (أ ، ب) من أول [فقد دخل بها بغير نكاح إلى قوله : فليس لكم من الفضيحة بد وإن سكتم عن هذا] .
(١٥٢) سفر التكوين - الإصحاح التاسع ، الفقرات ٣ ، ٤ .

فصـــل

عودة يعقوب من رحلته

وبعد ذلك ذكر أن « يعقوب » رجع من عند خاله « لابان » بنسائه[١٥٣] وأولاده قال : ولما أصبح أجاز[١٥٤] امرأتيه وجاريته وأحد عشر من ولده المخاضة ، وبقى وحده ، وصارعه رجل إلى الصبح ، فلما عجز عنه ضرب حُقَّ فخذه فانخلع حقُّ فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال له خلّنى لأنه قد طلع الفجر ، قال : لست أدعك حتى تبارك علىّ ، فقال له كيف اسمك ؟ قال : « يعقوب » . قال له : لست تدعى من اليوم « يعقوب » بل « إسرائيل » من أجل أنك كنت قويًا على الله[١٥٥]، فكيف على الناس ؟ فقال له « يعقوب » : عرفنى باسمك . فقال له : لم تسألنى عن اسمى ؟. وبارك عليه فى ذلك الموضع ، فسمّى يعقوبُ ذلك الموضعَ « فنيئيل » وقال : رأيت الله تعالى مواجهة وسلمت نفسى ، وبزغت له الشمس بعد أن جاور « فنيئيل » وهو يعرج من رجله ولهذا لا يأكل بنو إسرائيل العقب الذى على حُقِّ الفخذ إلى اليوم ، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب لمسّ الله وانقباضه[١٥٦].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل شنعة عفت على كل ما سلف يقشعر منها جلود أهل العقول ، وبالله العظيم لولا أن الله عزَّ وجل قصَّ علينا كفرهم بقولهم « يد الله مغلولة[١٥٧]» وبقولهم : « إن الله فقير ونحن أغنياء[١٥٨]» لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم ، لكنا نحكيه منكرين له ، كما نتلوه فيما نصّه عزَّ وجل تحذيرًا من إفكهم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذكر فى هذا المكان أن يعقوب صارع الله عزَّ وجل تعالى الله عن ذلك ، وعن كل شبهة لخلقه ، فكيف عن لعب الصراع الذى لا يفعله إلّا أهل البطالة ؟! وأما أهل العقول فلا يفعلونه[١٥٩] لغير ضرورة ثم لم يكتفوا بهذه الشوهة[١٦٠] حتى قالوا : إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع « يعقوب » بنص كلام توراتهم ، وحقق ذلك قولهم عن[١٦١] الله تعالى أنه قال له : « كنت قويًا على الله تعالى فكيف على الناس ؟! » .

---

(١٥٣) فى (ب) : [نسائه] بغير حرف الجر .

(١٥٤) أجاز : اجتاز بهم المخاضة .

(١٥٥) الذى فى التوراة الحالية : « لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » (راجع الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين – الفقرة ٢٨) .

(١٥٦) التوراة : سفر التكوين – الإصحاح : ٣٢ من ٢٢ إلى ٣٣) .

(١٥٧) سورة المائدة : ٦٤ .

(١٥٨) سورة آل عمران : ١٨١ .

(١٥٩) سقطت كلمة [يفعلونه] فى (ب) .

(١٦٠) فى (أ ، ب) [الشهرة] .

(١٦١) فى النسخة (أ) [من] بدلا من [عن] .

ولقد أخبرنى بعض أهل البصر[١٦٢] بالعبرانية أنه لذلك سمّاه إسرائيل . و« إيل » بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف . فمعناه « إسْرُ الله » تذكيرًا بذلك الضبط الذى كان بعد المصارعة ، إذ قال له : دعنى . فقال له « يعقوب » : لا أدعك حتى تبارك علىَّ . ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال فى كل محفل ، فثبتوا على أن نصَّ التوراة أن « يعقوب » صارع « الوهيم[١٦٣] » وقال : إن لفظ « الوهيم » يعبر بها عن الملك ، فإنما صارع مَلَكًا من الملائكة . فقلت لهم : سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة أن[١٦٤] فيه : « كنت قويًا على الله فكيف على الناس » ؟. وفيه أن « يعقوب » قال : « رأيت الله مواجهة وسلّمت نفسى[١٦٥] » . ولا يمكن ألبتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ؟! ولا يبلغ من مَسّ الملك — كما نصَّ يعقوب أن يُحرّم على بنى إسرائيل أُكل عروق الفخذ فى الأبد من أجل ذلك . وفيه : أنه سمّى الموضع بذلك « فنيئيل » لأنه قابل فيه « إيل » وهو الله عز وجل بلا احتمال عندكم .

ثم لو كان ملكًا كما تدعون عن المناظرة لكان أيضًا من الخطأ تصارع نبى وملك لغير معنى . فهذه صفة المتحدين فى العنصر[١٦٦] لا صفة الملائكة والأنبياء .

فإن قيل : قد رويتم أنّ نبيكم صارع « ركانة بن عبد يزيد[١٦٧] » . قلنا : نعم لأن « ركانة » كان من القوة بحيث لا يجد أحدًا يقاومه فى جزيرة العرب ولم يكن رسول الله ﷺ : موصوفًا بالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام فقال له : إن صرعتنى آمنت بك ، ورأى أن هذا من المعجزات فأمره عليه السلام بالتأهب لذلك ، ثم صرعه للوقت وأسلم « ركانة » بعد مدة . فبين الأمرين فرق ، كما بين العقل والحمق ، ولكل[١٦٨] مقام مقال ، ولكن إذا أكل الملائكة عندكم كسر[١٦٩] الخبز حتى تشتد بها قلوبهم ، والشواء[١٧٠] واللبن والسمن والفطائر فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس فى الطرقات ! ! وهذه مصائب شاهدة بضلالهم ، وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدّلة .

---

(١٦٢) فى النسخة (أ) [البصرة] .

(١٦٣) الذى فى التوراة الحالية : « وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر » الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين ، والظاهر أنهم كلما رأوا فيها مطعنا حاولوا تغييره وتبديله ، فيد التحريف جارية فيها من وقت إلى آخر .

(١٦٤) سقطت [أنْ] من النسخة « ب » .

(١٦٥) النص كما فى التوراة الحالية : « . . لأنى نظرت الله وجها لوجه ونُجّيتْ نفسى » (الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين فقرة ٣٠) .

(١٦٦) فى (ح) [فهذه أخبار العيّارين فى العنصر] .

(١٦٧) هو ركانة بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى القرشى . كان من مسلمة الفتح وكان من أشد الناس قوة ، وقد سأل رسول الله ﷺ . أن يصارعه ، وذلك قبل اسلامه ففعل ، وصرعه رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ مرتين أو ثلاثا ، طلق امرأته « سهيمة بنت عويمر » بالمدينة ألبتة ، فسأله رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ما أردت بها ؟ فقال : أردت واحدة ، فردّها عليه النبى ﴿ ﷺ ﴾ توفى فى أول خلافة معاوية سنة ٧٢ هـ وفى (خ) [ركانة عبد يزيد] .

(١٦٨) فى النسخة (ب) [ولكن لكل مقام] .

(١٦٩) فى (أ ، ب) [كسور] .

(١٧٠) فى (أ ، ب) [والشاى] وهو تحريف ظاهر .

فصـــل

الفصل المذكور أن الله تعالى قال ليعقوب : « لست تدعى من اليوم يعقوب لكن إسرائيل[١٧١]» .

ثم فى السفر الثانى من توراتهم : قال الله تعالى : « قل لآل يعقوب وعرف بنى إسرائيل[١٧٢]» . فقد سماه بعد ذلك « يعقوب » وهذه نسبة الكذب إلى الله تعالى .

فصـــل

ثم قال : وبينا « إسرائيل » بذلك الموضع ضاجع رؤوبينُ ، بن ليئة سرّيةَ أبيه « بلهةَ[١٧٣]» وهى أم « دان » و« نفثالى » وهما أخواه ، وابنا يعقوب ثم أكد هذا بأن ذكر فى قرب آخر السفر الأول ذكر موت « يعقوب » عليه السلام ، ومخاطبته لبنيه ابنا ابنا ، وأن[١٧٤] يعقوب قال « لرؤوبين » ابنه : « إنك صعدت على سرير أبيك ، ووسخت فراشه ، وليس مما ابتذلت فراشى تخلص[١٧٥]» .

بعد أن ذكر فى توراتهم : « أن شكيم[١٧٦] بن حمور الحوى أخذ « دَيْنَة » بنت يعقوب عليه السلام ، واضطجع معها وأذلها ، ثم بعد ذلك خطبها إلى « يعقوب » أبيها ، إلى أن ذكر قتل « لاوى » و« شمعون » لحمور وشكيم[١٧٧] ابنه ، وجميع أهل مدينته ، وإنكار « يعقوب » على ابنيه قتلهما لهم[١٧٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : معاذ الله أن يخذل الله نبيه ولا يعصمه فى حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح ، ثم لا ينكر ذلك بأكثر من التعزير الضعيف فقط .

---

(١٧١) النص فى التوراة الحالية : « لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل » الإصحاح : ٣٢ من سفر التكوين فقرة ٢٩) .
(١٧٢) سفر الخروج – الإصحاح ٣ – الفقرات ١٥ ، ١٦) .
(١٧٣) سفر التكوين – الإصحاح : ٣٥ الفقرات ٣١ ، ٣٢) .
(١٧٤) سقطت [واو العطف] فى (ب) .
(١٧٥) النص كما فى التوراة الحالية : « رؤوبين أنت بكرى ، قوّتى وأول قدرتى ، فضلُ الرفعة وفضل العز فائرا كالماء لا تتفضل ، لأنك صعدت على مضجع أبيك ، حينئذ دنسته ، على فراشى صعد (سفر التكوين : الإصحاح ٤٩ الفقرات من ٣ ، ٤) .
(١٧٦) فى (خ) [سحيم] .
(١٧٧) فى (خ) [قتل لاوى وشمعون لسحيم وابنه] .
(١٧٨) التوراة : سفر التكوين – الإصحاح ٣٤ من ١ – ٣١) .

فصـــل

بعد ذلك قال : « وأولاد يعقوب اثنا عشر فأولاد ليئة :رؤوبين بكر يعقوب ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، ويساخر[١٧٩]، وزبولون ، وأبناء راحيل : يوسف وبنيامين . وابنا بلهة أمة راحيل : دان ، ونفثالى . وابنا زلفة أمة ليئة جادا[١٨٠] وأشير هؤلاء بنو[١٨١] يعقوب الذين ولدوا له بفدان آرام[١٨٢]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كذب ظاهر ، لأنه ذكر قبلُ : أنّ بنيامين لم يولد ليعقوب إلّا « بأقراشا » بقرب بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس بعد رحيله من « فدان آرام » بدهر . والله تعالى لا يتعمد الكذب ولا ينسى هذا النسيان .

فصـــل

محبة يعقوب لابنه يوسف عليه السلام

وبعد ذلك قال : « وكان إسرائيل يحب يوسف لأنه كان ولد له فى شيخوخته[١٨٣]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه العلة توجب محبة بنيامين لأنه ولد له بعد يوسف بأزيد من ست سنين بنص توراتهم . وتوجب مشاركة « يساكر » و« زبولون » فى المحبة ليوسف لأنه ذكر قبل هذا أن يعقوب قال « للابان » خاله : « خدمتك عشرين سنة من ذلك أربع عشرة سنة لابنتيك وست سنين لأذواتك[١٨٤]» وذكر أن بعد سنين أعطاه « ليئة » ، وبعد سبعة أيام أعطاه « راحيل » ، لم يكن بينهما إلا سبعة أيام وهو أسبوع « ليئة » فقط ، وأن « ليئة » ولدت له « رؤوبين » ثم « شمعون » ثم « لاى » ثم « يهوذا » ثم قعدت عن الولد[١٨٥].

وأنَّ « راحيل » أعطت بعد ذلك يعقوب أمتها « بلهة » فتزوجها فولدت له « دانا » ثم « نفثالى » ثم أعطت « ليئة » أمتها « زِلْفَة » ليعقوب فتزوجها فولدت له « جادا » ثم « أشير » ثم

---

(١٧٩) فى النسخة (ب) [ويساكر] .
(١٨٠) فى النسخة (ب) [جاد] .
(١٨١) فى (خ) [أولاد] .
(١٨٢) التوراة : (سفر التكوين – الإصحاح ٣٥ الفقرات من ٢٣ – ٢٦) .
(١٨٣) التوراة : (سفر التكوين – الإصحاح : ٣٧ الفقرة : ٤) .
(١٨٤) التوراة : (سفر التكوين – الإصحاح ٣١ الفقرات من ٤١) .
(١٨٥) التوراة : (سفر التكوين : الإصحاح : ٢٩ الفقرات من ٢١ – ٣٥) .

أطلقت له « راحيل » مماسة « ليئة » فى لُفّاح[١٨٦] أخذته منها فولدت له « راحيل » « يوسف » . ثم بعد ولادة « يوسف » ابتدأ « يعقوب » بمعاملة خاله « لابان » على أجرة ذكرها لرعاية غنمه فرعاها له ست سنين ، هذا كله نص توراتهم ، فصح أنّ « يوسف » كان له عند تمام الست سنين ست سنين فقط بلا شك . وأن جميع أولاد يعقوب حاشا بنيامين فإنما ولدوا ولابدّ فى السبع سنين التى كانت قبل الست سنين المذكورة بلا شك . والأولاد سبعة ، ففى كل عشرة أشهر ولدت ولدًا لا يمكن أقل من هذا فلا شك فى أن « زبولون » لا يزيد على « يوسف » إلّا سنة واحدة فقط ، ولا يزيد عليه « يساكر » إلا سنتين فقط ، وأقل[١٨٧] من هذا على أن تلغى[١٨٨] المدة التى ذكرنا أن « ليئة » قعدت فيها عن الولد ، والمدة التى اعتزلها فيها « يعقوب » ولابدّ أن لها مقدارًا ما . فعلى هذا « فزبولون » و«يوسف » ولدا معا ، والمدة المذكورة تضيق عن هذه القسمة . ففى هذا الخبر كذب مقطوع به ضرورة ولابدّ . ولا يجوز قليل الكذب ولا كثيره على الله تعالى ، ولا على الأنبياء . فصح أنها مفتعلة مبدلة ولو كان لهذا الخبر وجه وإن غمض ، ومخرج وإن بعد، أو أمكنت فيه حيلة أو ساغ فيه تأويل ما ذكرناه . ونسأل الله تعالى العافية .

وفى توراتهم عند ذكر أولاد « عيسو » خبال شديد ، وتخليط فى الأسماء والوالدات ، إلّا أنه ربما خُرِّج على وجوه بعيدة ضعيفة ، فلم نعتن بإيراده لذلك . ولكن نبهنا عليه فالأظهر الأغلب فيه الكذب وأنه إيراد جاهل بتلك القضية بلا شك . وبالله تعالى نستعين .

فصل

ذكر بيع يوسف عليه السلام

ثم ذكر بيع إخوة يوسف ليوسف ، وأن إخوته كانوا مجتمعين حينئذ يرعون أذوادهم[١٨٩]. ثم قال : « وفى ذلك الزمان اعتزل «يهوذا » عن إخوته وكان مع رجل من أهل « عَدُلَّام » يدعى اسمه « حيرة » فبصر فى ذلك الموضع بابنة رجل كنعانى اسمه « شوع » فتزوجها وضاجعها فحملت وولدت ولدًا اسمه « عيرا » ثم حملت ووضعت ثانيًا وسماه « أونان[١٩٠]» ، ثم حملت ووضعت وسمته

---

(١٨٦) فى (ح) [فى تفاح] فى التوراة : « أن رؤوبين فى أيام حصاد الحنطة وجد لفّاحا فى الحقل وجاء به إلى ليئة أمه ، فقالت راحيل لليئة أعطنى من لفاح ابنك ، فقالت لها أقليل أنك أخذت رجلى فتأخذين لفّاح ابنى أيضا ، فقالت راحيل إذاً يضطجع معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك (الإصحاح : ٣٠ الفقرات من ١٤ - ١٦) .

(١٨٧) سقطت [من] فى (ب) .

(١٨٨) فى النسخة (ب) [تلفى] بالفاء المقصورة .

(١٨٩) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح : ٣٧) .

(١٩٠) فى النسخة (ب) [أونان] بزيادة الواو بعد الهمزة .

« شيلة » ثم أمسكت عن الولد فزوج « يهوذا » « عيرا » بكر ولده امرأة ، وكان « عيرا[١٩١] » بكر « يهوذا » مذنبًا بين يدى السيد ، ولذلك قتل . فقال « يهوذا » لابنه « أونان » : « ادخل إلى امرأة أخيك وضاجعها[١٩٢] لتحيي نسله » فلما علم أنه لا ينسب إليه مَنْ ولد منها دخل إلى امرأة أخيه وكان يعزل عنها لئلا يولد لأخيه منه ، ولذلك أهلكه السيد للفاحشة التى اطلع عليها منه فعند ذلك قال « يهوذا » « لثامار » كَنَّتِه[١٩٣] كونى أرملة فى بيت أبيك إلى أن يكبر ابنى « شيله » . وكان يتوقع أن يصيبه من الموت ما أصاب أخاه إن ضاجعها ، فسكنت فى بيت أبيها ، وبعد أيام كثيرة توفيت بنت « شوع » امرأة « يهوذا » فتصبَّر « يهوذا » وتسلى عن حزنها[١٩٤]. وتوجه إلى جُزّازِ أغنامه مع « حيرة » صديقه العَدُلَّامِى إلى « تِمْنَة » . وقيل « لثامار » إن ختنك صاعد إلى « تِمْنَة[١٩٥] » ليجُزَّ أغنامه ، فألقت عن نفسها ثياب الأرامل وتقنعت وقعدت فى مجمع الطرق المسلوكة الى « تمنة » فعلت ذلك مذ كبر « شيلة » ولم تزوج منه . فلما رآها « يهوذا » ظنها زانية ، وكانت غطت وجهها لئلا تعرف فمال إليها ، وقال : ائذنى لى فى مضاجعتك ، وكان يجهل أنها كنته . فقالت له : ماذا تعطينى إن أمكنتك من مضاجعتى ؟ قال لها : أبعث إليك جديًا من الغنم ، فقالت : نعم ، إن أعطيتنى رهنًا إلى أن تبعث ما وعدت . فقال لها « يهوذا » : وما أرهنه لك ؟ قالت : ارهن لى خاتمك وحزامك ، والعصا التى بيدك فحبلت من مضاجعة واحدة ، ثم انطلقت وألقت الشكل التى كانت فيه ، وعادت إلى شكل الأرامل ، وبعث « يهوذا » الجدى مع صديقه العَدُلَّامى ليأخذ من المرأة الرهن الذى وضعه عندها . فسأل عنها إذ لم يجدها من سكان ذلك الموضع . فقال : أين المرأة القاعدة فى مجمع الطرق ؟ فقالوا له : لم تكن فى هذا الموضع زانية ، فانصرف إلى « يهوذا » فقال له : لم أجدها . وقال لى سكان ذلك الموضع لم تكن هاهنا زانية . فقال له « يهوذا » تأخذ ما عندها مخافة أن تكون ضحكة فإنى قد أرسلت الجدى إليها ، وأنت تقول لم أجدها .

وبعد ثلاثة أشهر قيل ليهوذا : إنَّ كنَّتك « ثامار » قد زنت ، وقد بدا بطنها يظهر . فقال « يهوذا » أخرجوها لتحرق ، فلمّا أخرجت بعثت إلى « يهوذا » إنما حبلت من الذى له هذا .

---

(١٩١) [عير] فى (ب) بغير مدّ . وفى (خ) [عَيْبَر] .

(١٩٢) الذى فى التوراة الحالية [وتزوّج بها ، وأقم نسلًا لأخيك] (الإصحاح ٣٨ الفقرات من ٦ الخ) من سفر التكوين ، وواضح اختلاف التعبير بين و (ضاجعها) وبين (وتزوج بها) مما يدل على أن اليهود يحرصون على التحريف دائما .

(١٩٣) الكنَّة : زوجة الإبن .

(١٩٤) فى (أ ، ب) : [عنه] . والمعنى : وتسلّى عن حزنه عليها .

(١٩٥) قال صاحب معجم البلدان : « تمنة » : أرض إذا انحدرت إلى « هرش » تريد المدينة صرت فى « تمنة » وبها جبال يقال لها « البيض » (معجم البلدان حـ ٢ ص ٤٦) .

فاعرف هذا الخاتم والزنار والعصا . فلما عرف : قال : هى أعدل منى إذ منعتها « شيلة » ولدى . ولم يضاجعها بعد ذلك .

فلما أدركتها الولادة ظهر فيها توأمان ، ففى وقت خروجهما بدر أحدهما وأخرج يده ، فربطت القابلة فى يده خيطًا أرجوانا ، وقالت هذا يخرج أولا . فأدخل يده إلى نفسه وأخرج الولد الآخر . فقالت له القابلة : لم افترصت[١٩٦] أخاك ، فسمى « فارصا » وبعده خرج الذى ربط فى يده الخيط الأرجوان ، وسمى « زارح[١٩٧] » . تم الفصل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) . ثم بعد فصول وقصص ذكر أولاد يعقوب المولودين بالشام الذين دخلوا معه مصر إذ بعث يوسف عليه السلام فيهم كلهم . فذكر « يهوذا » وبنيه الثلاثة الأحياء « شيلة » و « فارص » و « زارح » . وذكر لفارص هذا نفسه اثنين ، وهما « حصرون » و « حامول » ابنا « فارص » بن « يهوذا » المذكور .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ففى هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة وكذب فاحش مفرط القبح ؛ فأمّا العار فالذى ذكر عن « يهوذا » من طلبه الزنى بامرأة لقيها فى الطريق على أن يعطيها جديًا ، ثم جوره فى الحكم عليها بالحرق ، فلما علم أنه صاحب الخَصْلَة[١٩٨] أسقط الحكم عن نفسه وعنها .

ثم شنعة أخرى وهى قوله : إن « ونان »[١٩٩] بن « يهوذا » لما عرف أنه لا ينسب إليه من يولد له من امرأته التى تزوجها بعد موت أخيه جعل يعزل عنها . وهذا عجب جدًّا أن تلد امرأة رجل من زوجها من لا ينسب إليه لكن إلى غيره ممن قد مات قبل أن يتزوجها هذا . فلعل فيهم الآن ولادات وأنساب فى كتبهم مثل هذه .

فهذه والله أمور سمجة .

ثم دع « يهوذا » فليس نبيًا ، ولا ينكر ممن ليس نبيًا مثل هذا ، إنما الشأن كله والعجب فى أنهم مطبقون بأجمعهم قطعًا على أن « سليمان بن داود » عليهما السلام ابن « إشماى » ابن « عونين » بن « يوغز » بن « بشاى » بن « مخشون » بن « عمينا ذاب » ابن « نورام »[٢٠٠] بن « حصرون » بن « فارص » المذكور بن « يهوذا » فجعلوا الرسولين الفاضلين مولودين من تلك

---

(١٩٦) افترصت : بالصاد المهملة أى انتهزت الفرصة ، والفرصة فى اللغة النهزة يقال وجد فلان فرصة ، وانتهز فلان الفرصة : اغتنمها وفاز بها .

(١٩٧) التوراة : (سفر التكوين : الإصحاح : ٣٨) .

(١٩٨) الخصلة : بفتح الخاء : الخلة والصفة ، وبالضم : لفيفة من الشعر .

(١٩٩) فى النسخة (ب) [أونان] .

(٢٠٠) فى (خ) [ابن أرم] .

لولادة الخبيثة راجعين إلى ولادة الزنى .

ثم أقبح ما يكون من الزنى رجل مع امرأة ولده – حاش لله من هذا الإفك المفترى !! ولقد قال لى بعضهم إذ قررته على هذا الفصل : إن هذا كان مباحًا حينئذ ، فقلت له فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك ؟ وكيف يكون مباحًا وهى لم تعرفه بنفسها ولا عرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدى المسخوط ، والرهن الملعون ؟ وإنما وطئها على أنها زانية ، إذ اغتلم[٢٠١] إليها لا على أنها امرأة الميت ولده ، إلّا إن قلتم إن الزنى جملة كان مباحًا حينئذ فقد قرت عيونكم فسكت خزيان كالحا .

وتالله ما رأيت أمة تقر بالنبوّة وتنسب إلى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الأنذال الكفرة[٢٠٢]، فتارة ينسبون إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته فولدت له إسحاق عليهما السلام[٢٠٣]. ثم ينسبون إلى « يعقوب » أنه تزوج إلى امرأة فدست إليه أخرى ليست امرأته فولدت له أولادًا منهم انتسل « موسى » و « هارون » و « داود » و « سليمان » وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام[٢٠٤]. ثم ينسبون إلى « روبان » بن « يعقوب » أنه زنى بربيبته زوج النبى أبيه ، وأم أخويه[٢٠٥]، ثم ينسبون إلى أبيه[٢٠٦] « يعقوب » عليه السلام أنه فسق بها كرها ، وافتضها غلبة . ثم ينسبون إلى « يهوذا » ما ذكرنا من زناه بامرأة ولديه . فحبلت وولدت من الزنى ولدًا منه انتسل « داود » و « سليمان » عليهما السلام[٢٠٧]. ثم ينسبون إلى « يوشع بن نون » أنه تزوج « رحب » الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنى لكل من دبّ ودرج[٢٠٨] فى مدينة « أريحا » . ثم ينسبون إلى « عمران بن فهث ابن لاوى » أنه تزوّج عمته أخت والده واسمها « يوحانذ » ولدت لجده بمصر فولد له منها « هارون وموسى » عليهما السلام . هكذا ذكر نسبها فى قرب آخر السفر الرابع[٢٠٩] ثم ينسبون إلى داود عليه السلام أنه زنى جهارا بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حى . وأنها ولدت منه من ذلك الزنى ابنا ذكرا ، ثم مات ذلك الفرخ الطيب ثم تزوجها ، وهى أم سليمان بن داود عليهما السلام . ثم ينسبون إلى « أمثون » بن داود عليهما السلام أنه فسق بسرارى أبيه علانية أمام الناس ، ثم ينسبون إلى سليمان عليه السلام العهر ، وأنه تزوج نساء لا يحل له زواجهن ، وأنه بنى لهن بيوت الأوثان ،

(٢٠١) اغتلم : هاجت شهوته .

(٢٠٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « الأنذال » .

(٢٠٣) سفر التكوين – الإصحاح ١٧ – الفقرة ١٩ .

(٢٠٤) سفر التكوين – الإصحاح ٢٩ – الفقرات ٢١ – ٣٥ .

(٢٠٥) سفر التكوين – الإصحاح ٤٩ – الفقرة ٣ – ٥ .

(٢٠٦) فى (أ ، ب) : [نبيه] .

(٢٠٧) سفر التكوين – الإصحاح ٣٨ – الفقرات (١٢ – ٢٦) .

(٢٠٨) فى (أ ، ب) : [لكل من هبَّ ودب] (سفر يشوع – الإصحاح السادس – ٢٥ .

(٢٠٩) النص كما فى الإصحاح الثانى من سفر الخروج : « وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى فحبلت المرأة وولدت ابنا ، ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر ، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سَفَطا من البردى وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ، ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر . (الفقرات من ١ إلى ١٠) وفى موضع آخر من الإصحاح السادس سفر الخروج الفقرات ٣٠ ، ٣١ « وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى » .

وقرَّب لهن القرابين للأوثان . مع ما ذكرنا قبل ، ونذكر إن شاء الله تعالى من نسبتهم الكذب إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام . ولكن أين هذا مما فى توراتهم من نسبتهم لعب الصراع إلى الله تعالى مع « يعقوب » ، والكذب المفضوح[٢١٠] فيما وعده وأخبر به ، فعلى من يصدق بشىء من كل هذا الإفك لعنة الله وغضبه ، فاعجبوا لعظيم كفر هؤلاء القوم ، وما افتراه الكفرة أسلافهم الأنتان على الله تعالى وعلى رسله عليهم السلام . ثم على كل كتاب حقق فيه شىء من هذا ، وعلى كاتبه لعنة الله وغضبه عدد كل شىء خلق الله . فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ما هداكم له من الملة الزهراء التى لم يشبها تبديل ولا تحريف ، والحمد لله رب العالمين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأما الكذبة الفاحشة المفضوحة التى هى من المحال المحض ، والافتراء المجرد فهى ما أذكره إن شاء الله تعالى ، فتأملوه تروا عجبًا .

ذكر فى توراتهم نصًا : أنَّ « يهوذا بن يعقوب » كان مع إخوته يرعون أذوادهم إذ باعوا أخاهم « يوسف » وأن « يهوذا » أشار عليهم ببيعه وإخراجه من الجب ليخلصه بذلك من الموت . ثم ذكر بعد ذلك أن « يهوذا » اعتزل عن إخوته وصار مع « حيرة العدلامى » ، ورأى ابنة رجل كنعانى اسمه « شوع » فتزوجها ، وولدت له ولدًا اسمه « عير[٢١١]» ثم ولدًا آخر اسمه « أونان » ، ثم ولدًا آخر اسمه « شيلة » كما ذكرنا آنفًا حرفًا حرفًا . وذكر بعد ذلك : أن « عير » تزوج امرأة اسمها « ثامار » ودخل بها وكان مذنبًا ولذلك قتله الله تعالى . فزوجها من أخيه « أونان » فكان يعزل عنها فمات لذلك ، وبقيت أرملة ليكبر « شيلة » وتَزَوَّجُ منه ، وأن « شيلة » كبر ولم تزوج منه . وقد اعترف بذلك « يهوذا » إذ قال : هى أعدل منى إذ منعتها « شيلة » ابنى ، وذكر بعد ذلك أنها تحيّلت حتى زنت « بيهوذا » نفسه والد زوجها وحبلت منه ، وولدت منه توأمين « فارص » و « زارح » كما ذكرنا قبل . ثم ذكر بعد ذلك نسل يعقوب وأولاد أولاده المولودين بالشام ، ودخلوا معه مصر فذكر فيهم « حصرون » و « حامول » ابنى فارص بن يهوذا ، فاضبطوا هذا .

وذكر فى توراتهم : ان يوسف عليه السلام إذ بلغ ست عشرة[٢١٢] سنة كان يرعى ذودًا مع إخوته عند أبيه ، وأنهم باعوه ، فصح أنه كان ابن سبع عشرة سنة إذ باعوه ، وهكذا ذكر فى توراتهم .

(٢١٠) فى (خ) [والكذب المحض] .

(٢١١) فى (خ) [عُيَير] .

(٢١٢) فى (خ) [سبع عشرة سنة] وفى التوراة فى (الإصحاح السابع والثلاثين من ١ – الخ سفر التكوين) : سبع عشر سنة أيضا .

ثم ذكر فى توراتهم : أن « يوسف » عليه السلام كان إذ دخل على فرعون وفسر له رؤياه فى البقرات والسنابل وولاه أمر مصر ابن ثلاثين سنة(٢١٣).

ثم ذكر فى توراتهم : أن « يوسف » عليه السلام كان إذ دخل أبوه يعقوب مصر مع جميع أهله ابن تسع وثلاثين سنة . هذا منصوص فيها بلا خلاف من أحد منهم . فصح يقينًا أنه لم يكن بين دخول يعقوب مع نسله مصر ، وبين بيع يوسف إلا اثنان وعشرون سنة وربما أشهر يسيرة زائدة لا أقل ولا أكثر . هذا حساب ظاهر لا يخفى على جاهل ولا عالم .

وقد ذكر فى توراتهم أن فى هذه المدة تزوج « يهوذا » بنت « شوع » وولدت له ولدًا ثم ثانيًا ثم ثالثًا(٢١٤). وأن الأكبر بلغ فزُوِّج زوجة ثم مات بعد دخوله بها ، فزُوِّجت بعده من أخيه فكان يعزل عنها فمات ، وبقيت مدة حتى كبر الثالث ولم تزوّج منه(٢١٥) فزنت « بيهوذا » والد زوجها فولد له منها توأمان(٢١٦) ثم وُلِد لأحد ذينك التوأمين ابنان وهذا محال ممتنع لا خفاء به ، ولا يمكن ألبتة فى طبيعة بشر ولا سبيل إليه فى الجبلة والبنية بوجه من الوجوه .

هبك أن « يهوذا » اعتزل عن إخوته ، وتزوج بنت شوع بإثر بيع يوسف بيوم وحبلت زوجته ، وولدت له الولد الأكبر فى عامها الثانى ، ثم الثانى فى عام آخر ثم الثالث فى عام ثالث .

وهبك أن الأكبر زُوِّج وله اثنا عشر عاما فهذه ثلاثة عشر عامًا(٢١٧) من جملة اثنين وعشرين عاما وبقى معها ما بقى . ثم زوجت من الثانى وله اثنا عشر عامًا فبقى يعزل عنها لئلا ينسب إلى أخيه من يولد له منها ، ثم مات وبقيت تنتظر أن يكبر « شيلة » وتَزَوَّج منه ، حتى طال عليها ، ورأت أنه قد كبر ولم تزوج منه . وهذا لا يكون ألبتة فى أقل من عام . فهذه أربعة عشر عامًا . ثم زنت « بيهوذا » فحملت فولدت ، فهذا عام أو أقل بيسير ، فلم يبق من الاثنين وعشرين عامًا إلا سبعة أعوام إلى ثمانية أعوام لا أكثر ألبتة . فمن المحال الممتنع فى العقل أن يوجد لرجل ابن ثمان سنين أو سبع سنين ولدان ؟!

ما رأيت أجهل بالحساب من الذى عمل لهم التوراة . وحاش لله أن يكون هذا الخبر البارد الكاذب عن الله تعالى أو عن موسى عليه السلام ، ولا عن إنسان يعقل ما يقول ، ويستحى من تعمد الكذب الفاضح . ونسأل الله العافية .

---

(٢١٣) التوراة - (سفر التكوين - الإصحاح ٤١ الفقرات من ٤٦ الخ) .
(٢١٤) التوراة - سفر التكوين - (الإصحاح ٣٨ - الفقرات من ١ - ٦) .
(٢١٥) الإصحاح ٣٨ - الفقرات من ٨ - ١٢) .
(٢١٦) المرجع السابق من ١٣ - ٣٠ .
(٢١٧) فى (أ ، ب) سقطت [فهذه ثلاثة عشر عاما] .

فصــل

أولاد يعقوب المولودين بالشام

وبعد ذلك ذكر عدد بنى يعقوب المولودين بالشام عند خاله « لابان » الداخلين معه مصر ، فذكر الذين ولدت له « ليئة » وهم ستة ذكور ، وابنة واحدة . وذكر أولاد هؤلاء الستة وسماهم ، فذكر لرؤوبين أربعة ذكور . ولشمعون ستة ذكور ، وللاوى ثلاثة ذكور . و « ليهوذا » ثلاثة ذكور ، وابنى ابن له . فهم خمسة ، و « ليساخر » : أربعة ذكور ، و « لزابلون » ثلاثة ذكور ، المجتمع من بنى « ليئة » ستة ذكور وابنة سابعة ، وخمسة وعشرون أولاد الأولاد فهؤلاء اثنان وثلاثون ، وقال[٢١٨] فى نص توراتهم بعقب تسميتهم :

« هؤلاء بنو ليئة ، وعدد أولادها وبناتها ثلاثة وثلاثون[٢١٩]» ، هكذا نص توراتهم . وهذا خطأ فى الحساب تعالى الله عن أن يخطىء فى الحساب أو أن يخطىء فيه موسى عليه السلام . فصح أنها من توليد جاهل غث أو من عابث سخر بهم ، وكشف سوءاتهم .

فصــل

ثم ذكر بعد هذا أولاد « راحيل » فذكر « يوسف » و « بنيامين » وبنيهما قال : وهم أربعة عشر ذكرًا ، أولاد « زلفى » : « عاد » و « أشار » وبنيهما قال : وهم ستة عشر . وذكر أولاد « بلهة » : « دان » و « نفتالى » وبنيهما . وقال : وهم سبعة . ثم وصل ذلك بأن قال : وعدد نسل « يعقوب » الذين دخلوا معه مصر سوى نساء أولاده ستة وستون . وابنا[٢٢٠] يوسف اللذان ولدا له بمصر اثنان . فجميع الداخلين إلى مصر سبعون[٢٢١].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا خطأ فاحش لأن المجتمِعَ من الأعداد المذكورة تسعة وستون[٢٢٢]، فإذا أسقطت منهم ولدى يوسف اللذين ولدا له بمصر بقى سبعة وستون ، وهو يقول : ستة وستون . فهذه كذبة . ثم قال : فجميع الدّاخلين معه إلى مصر سبعون ، فهذه كذبة ثانية .

---

(٢١٨) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول [ستة ذكور إلى وقال] .

(٢١٩) التوراة – (سفر التكوين – الإصحاح ٤٦ الفقرات من ٨ – ١٦) .

(٢٢٠) فى النسخة (ب) : [وأبناء] .

(٢٢١) سفر التكوين – الإصحاح ٤٦ – الفقرات من ١٩ – ٢٧) .

(٢٢٢) لأن أولاد ليئة : ٣٢ ، وأولاد راحيل وزلفى وبلهة : ٣٧ فيكون مجموعهم ٦٩ .

وقد قلنا[٢٢٣] إن الذى عمل لهم التوراة كان ضعيف البصارة بالحساب وليست هذه صفة الله عزّ وجل ، ولا صفة من معه مسكة عقل تردعه عن الكذب وتعمده على الله تعالى ، وعن تكلف ما لا يحسن ولا يقوم به .

وذكر فى هذا الفصل قصة أخرى فيها الاعتراض إلّا أنها تُخرَّج على وجه مّا فلذلك لم نفرد لها فصلًا .

وهى : أنه ذكر أولاد « بنيامين » فقال : « بالع » و« باكر » و« أشبيل » و« أجير[٢٢٤] » و« نعمان » و« أيجى » و« روش » و« مُفّيم » و« حُفّيم » و« أرْد[٢٢٥] » .

فصــل

بركة يعقوب عليه السلام لأولاده

ثم ذكر بركة « يعقوب » عليه السلام على بنيه ، وأنه وضع يده اليمنى على رأس « أفرايم » ابن « يوسف » ، واليسرى على رأس « مَنَسَّى » بن « يوسف » ، وأن ذلك شق على « يوسف » عليه السلام ، وقال لا يحسن هذا يا أبت لأن هذا بكر ولدى فاجعل يمينك على رأسه ، يعنى مَنَسَّى ، فكره ذلك « يعقوب » وقال : علمت يا بنى ، علمت وستكثر ذرية هذا وتعظم ، ولكنَّ أخاه الأصغر يكون أكثر نسلًا وعددًا[٢٢٨]. يعنى أن « أفرايم » يكون عدد نسله أكثر من عدد « منسى » .

ثم ذكر فى مصحف[٢٢٩] « يوشع أن بنى « مَنَسَّى » كانوا إذا دخلوا الشام وقسمت

(٢٢٣) فى (أ ، ب) : [قدّمنا] .
(٢٢٤) فى النسخة (ب) [جير] وفى التوراة (جيرا) (سفر التكوين - الإصحاح ٤٦ - الفقرات من ١٩ - ٢٣) .
(٢٢٥) فى النسخة (ب) [ارد] بالراء المهملة .
(٢٢٦) فى النسخة (ب) [وأبناء] .
(٢٢٧) سفر العدد - الإصحاح ٢٦ - الفقرات من ٣٨ - ٤٢) .
(٢٢٨) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح ٤٨ الفقرات من ١٢ - ٢٠) .
(٢٢٩) يطلق عليه (سفر) فى الكتاب المقدس .

عليهم الأرض اثنين وخمسين ألف مقاتل وسبعمائة . وأن بنى « أفرايم » كانوا حينئذ اثنين وثلاثين ألفًا وخمسمائة ، وذكر فى كتاب لهم مُعظَّم عندهم اسمه « سفطيم[٢٣٠] » أنه ذكر بنى إسرائيل قبل داود عليه السلام أربعة من ملوك بنى « منسى » وأربعة من بنى « أفرايم » ، وأن من جملة بنى « منسى » المذكورين رجلًا اسمه « مفتاح بن علفاذ » قتل من بنى « أفرايم » اثنين وأربعين ألف مقاتل حتى كاد يستأصلهم ، وفى كتاب لهم آخر معظَّم عندهم أيضًا اسمه « ملاخيم[٢٣١] » : أنه ملك عشرة أسباط[٢٣٢] من بنى إسرائيل بعد سليمان عليه السلام ، إلى أن ذهب الأسباط المذكورون وسبوا من بنى « أفرايم » ملكين كانت مدتهما جميعًا ستة وعشرين سنة فقط . وهما « باريعام » وابنه « باباط » ووليهم من بنى « منسى[٢٣٣] » خمسة ملوك ، واتصلت دولتهم مائة عام وعامين وهما « زحريا » بن « باريعام[٢٣٤] » بن « نواس[٢٣٥] » بن « يهويا[٢٣٦] » « حار[٢٣٧] » بن « يهو[٢٣٨] » كلهم ملك ابن ملك ابن ملك ابن ملك ابن ملك ، ولم يكن فيمن ملك الأسباط العشرة أقوى ملكًا من هؤلاء المنسانين[٢٣٩] ، وهذا ضد قول « يعقوب » الذى حكوه عنه . وحاش لله أن يكذب نبى فيما ينذر به عن الله عز وجل .

فإن قالوا : إن « يوشع » بن « نون » و« دبور » أنسه ، وميخا المورشى النبى كلهم كان من بنى « أفرايم » ، وكان بنو « أفرايم » إذا أخرجوا من مصر أربعين ألف مقاتل ، وخمسمائة مقاتل ومائتى مقاتل . وكان بنو « منسى[٢٤٠] » يومئذ اثنين وثلاثين ألف مقاتل ومائتى مقاتل . قلنا لم تذكروا أن « يعقوب » قال : « يكون الشرف فى نسل أفرايم » . إنما حكيتم أنه قال : إن « أفرايم » يكون أكثر نسلًا وعددًا من « منسى[٢٤١] » على التأبيد والعموم ، وإيصال البركة لا على وقت خاص قليل ، ثم يعود الأمر بخلاف ذلك فتبطل البركة ، ويصير المبارك مدبرًا ، والمدبر مباركًا فى الأبد .

---

(٢٣٠) فى (خ) [شفطيم] بالشين .
(٢٣١) فى التوراة الحالية (اسمه ملاخى] .
(٢٣٢) الأسباط : جمع سِبْط بكسر السين ، وهم ولد الولد ، والأسباط من بنى إسرائيل كالقبائل من العرب .
(٢٣٣) فى النسخة (أ) [منشا] بالشين .
(٢٣٤) فى النسخة (أ) [بريعم] .
(٢٣٥) فى النسخة (أ) [يؤاش] .
(٢٣٦) فى النسخة (ب) [نهريا] .
(٢٣٧) فى النسخة (أ) [حاز] .
(٢٣٨) فى النسخة (ب) [بهو] بالباء .
(٢٣٩) فى النسخة (أ) [المنشانين] .
(٢٤٠) فى النسخة (أ) [منشا] .
(٢٤١) النص كما فى التوراة : فلما رأى يوسف أن أباه وضع يده اليمنى على رأس أفرايم ساء ذلك فى عينه فأمسك بيد أبيه لينقلها عن رأس « أفرايم » إلى رأس « منسى » وقال يوسف لأبيه : ليس هكذا يا أبى لأن هذا هو البكر ، ضع يمينك على رأسه فأبى أبوه وقال : علمت يا ابنى علمت ، هو أيضا يكون شعبا وهو أيضا يصير كبيرًا ، ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه ، ونسله يكون جمهورًا من الأمم . . الخ (سفر التكوين : الإصحاح ٤٨ الفقرات من ١٧ - الخ الإصحاح) .

فصـــل

ثم ذكر عن « يعقوب » عليه السلام أنه قال لرؤوبين فى ذلك الوقت : أنت أول المواهب مفضل فى الشرف ، مفضل فى العز ، ولا تَفْضُلُ منهملة ماء[٢٤٢].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كلام يكذب أوَّله آخره .

فصـــل

تنبأ التوراة بإعطاء أولاد يهوذا القيادة

ثم ذكر أنه عليه السلام قال « ليهوذا » حينئذ : لا تنقطع من « يهوذا » المخصرة[٢٤٣] ولا من نسله قائد حتى يأتينى المبعوث الذى هو رجاء الأمم[٢٤٤].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا كذب قد انقطعت من ولد « يهوذا » المخصرة وانقطعت من نسله القواد ، ولم يأت المبعوث الذى هو رجاؤهم . وكان انقطاع الملك من ولد « يهوذا » من عهد « بخت نصر » مذ أزيد من ألف عام وخمسمائة عام إلا مدة يسيرة ، وهى مدة « زرباثيل » بن « صلثائيل[٢٤٥]» فقط . وقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجدلهم ، وهو « أشموال بن يوسف اللاوى » الكاتب المعروف بابن النغرال[٢٤٦] فى سنة أربع وأربعمائة فقال لى لم تزل رءوس الجواليت[٢٤٧] ينتسلون من ولد داود وهم من بنى « يهوذا » وهى قيادة وملك ورياسة ، فقلت هذا خطأ لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم ، وإنما هى

---

(٢٤٢) النص كما جاء فى التوراة : . . . رأوبين : أنت بكرى ، قوّتى وأول قدرتى ، فضل الرفعة وفضل العز فائرًا كالماء لا تتفضل : لأنك صعدت على مضجع أبيك ، حينئذ دنسته على فراشى صعد » . (الإصحاح ٤٩ من سفر التكوين – الفقرات من ٣ – ٥) .

(٢٤٣) المخصرة : بكسر الميم كالسوط ، وكل ما اختصر الإنسان بيده من عصا ونحوه ، والمراد الحكم والسلطان .

(٢٤٤) النص فى الإصحاح ٤٩ من سفر التكوين : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع ، من بين رجليه حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » الفقرات من ٨ - ١٢) .

(٢٤٥) فى (ح) [ابن صلتيال] .

(٢٤٦) اختلفت المصادر فى رسم اسمه : ففى الفِصَل ابن « ابن النفرال » بالفاء مرة وبالغين مرة أخرى ، وصحف إلى الغزال فى طبقات صاعد ، وابن « نغراله » فى التبيان وأعمال الأعلام ، ويكتبه الأستاذ غرسيه غومس بلام خفيفة ، وابن « النغريلى » فى ذخيرة ابن بسام ، وابن « نغداله » عند دوزى ، وابن « نغريلة » فى الأصل المخطوط من رسالة ابن حزم (الرد على ابن النغريله اليهودى لابن حزم الأندلسى – تحقيق د . احسان عباس) (ص ٨ ، ٩ من المقدمة بتصرف) .

(٢٤٧) الجالوت : معناه بالعبرانية (مُسْبِى) اسم لبطل جبار فلسطينى من مدينة (جت) اشتهر بالمحاربة التى قام بها ضد إسرائيل ، فأراد أن يكفى أصحابه مئونة الحرب بأن يصارع بنفسه أشجع رجال إسرائيل ، على أنه إذا قتل خضع الفلسطينيون لإسرائيل ، وإن قتل خصمه خضع إسرائيل لهم ، فبقى « جليات » هكذا مدة ، وهو يعير إسرائيل فى الصباح وفى المساء ، ويطلب من يبارزه ، فأتى « داود » ورماه بحجر فشق جبينه ، ووقع صريعا ، فاحتز « داود » رأسه وحمله أمام الشعب ، وقد ذكر تفصيل قصته فى الإصحاح السابع عشر ، من سفر صموئيل الأول (دائرة المعارف : للبستانى حـ ٦ ص ٥٠٤) .

تسمية لا حقيقة لها ، ولا له قيادة ، ولا بيده مِخْصرة ، فكيف وبعد أحزيا[٢٤٨] بن بورام لم يكن من بنى « يهوذا » والٍ أصلًا مدة [٢٤٩] ستة أعوام ، ثم بعده نشأ الملقب « صدقيا » بن « يوشيا » ، لم يكن منهم لأحد له معين ، ولا من يملك على أحد اثنين وسبعين عامًا متصلة حتى ولى « زربائيل » ثم انقطع الولادة منهم جملة ، لا رأس « جالوت » ولا غيره مدة ولاة الهارونيين[٢٥٠] ملكًا ملكًا مئين من السنين ليس لأحد من « يهوذا » فى ذلك أمر إلى دولة المسلمين أو قبلها بيسير ، فأوقعوا اسم رأس الجالوت على رجل من بنى « داود » إلى اليوم ، إلَّا أنَّ بعض المؤرخين القدماء ذكر أن « هردوس » وابنيه ، وابن[٢٥١] ابنه « اعريفاس » ابن « أعريفاس » كانوا من بنى « يهوذا » ، والأظهر أنهم من الروم عند كل مؤرخ ، فظهر كذب هؤلاء الأنذال بيقين ، وحاش لله أن يكذب نبى .

فصل

ثم ذكر أن « يعقوب » عليه السلام قال « للاوى » و « شمعون » سأبددهما فى « يعقوب » وأفرقهما فى « إسرائيل[٢٥٢] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : أما لاوى فكان نسله مبددًا فى بنى إسرائيل كما ذكر ، وأما « بنو شمعون » فلا ، بل كانوا مجتمعين فى البلد الذى وقع لهم كسائر الأسباط ولا فرق ، وليس إنذار النبوة مما يكذب فى قصة ويصدق فى أخرى ، هذه صفات إنذارات الحسَّاب القاعدين على الطرق للنساء ولمن لا عقل له .

فصل

إرسال موسى عليه السلام لفرعون

وقال فى السفر الثانى من توراتهم : إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : قل لفرعون السيد يقول « إسرائيل[٢٥٣] » بكر ولدى ، ويقول لك ائذن لولدى ليخدمنى ، وإن كرهت الإذن[٢٥٤]

(٢٤٨) فى (أ ، ب) [فكيف وبعد أحرب – ابن برام] .
(٢٤٩) فى (أ ، ب) [مدة من] .
(٢٥٠) نسبة إلى هارون .
(٢٥١) سقطت [وابن ابنه] من النسخة (أ) .
(٢٥٢) النص كما فى الإصحاح ٤٩ من سفر التكوين : « أقسمهم فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل . الفقرات من ٥ – ٨) .
(٢٥٣) فى النسخة (أ) [لإسرائيل] ، وفى (ب) [الإسرائيل] .
(٢٥٤) فى (أ ، ب) [وإن كرهت الآن] .

سأهلك بكر ولدك[٢٥٥].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا عجب ناهيك به ، ليت شعرى ماذا ينكرون على النصارى بعد هذا ؟ وهل طرق للنصارى سبيل الكفر فى أن يجعلوا لله ولدًا ، ونهج لهم طريق التثليث -- على ما ذكرنا قبل هذا -- إلا هذه الكتب الملعونة المبدّلة ؟!

إلّا أنّ النصارى لم يدعوا بنوّة لله تعالى إلا لواحد أتى بمعجزات عظيمة وأما هذه الكتب السخيفة ، وكل من تَدَيَّن[٢٥٦] بها فإنهم ينسبون بنوّة لله إلى جميع بنى إسرائيل ، وهم أوسخ الأمم وأرذلهم جملة[٢٥٧]، وكفرهم أوحش ، وجهلهم أفحش .

فصـــل

معجزات موسى أمام فرعون

ثم ذكر أن « هارون » ألقى العصا بين يدى فرعون وعبيده فصارت حية فدعا فرعون بالعلماء والسحرة ، وفعلوا بالرقى[٢٥٨] المصرى مثل ذلك ، ولكن عصا موسى ازدردت عصيهم . ثم ذكر أن « موسى » و « هارون » فعلا ما أمرهما السيد ، فرفع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدى فرعون وعبيده فعاد دمًا ومات كل حوت فيه ، ونتن النهر ، ولم يجد المصريون سبيلًا إلى الشرب منه ، وصار الماء فى جميع أرض مصر دمًا ، ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم[٢٥٩].

ثم ذكر أن « هارون » مدّ يده على مياه مصر وخرجت الضفادع منها ، وغطت أرض مصر ، ففعل السحرة برقاهم مثل ذلك ، وأقبلوا بالضفادع على أرض مصر[٢٦٠] ثم ذكر أن « هارون » مدّ يده بالعصا وضرب بها غبار الأرض ، فتخلق منها بعوض فى الآدميين والأنعام وعاد جميع الغبار بعوضًا فى جميع أرض مصر ، فلم يفعل السحرة مثل ذلك برقاهم ، وراموا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه ، فقال السحرة لفرعون هذا صنع الله[٢٦١].

---

(٢٥٥) النص كما فى سفر الخروج -- الإصحاح الرابع : « يقول الرب : إسرائيل ابنى البكر ، فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه ، هأنا أقتل ابنك البكر » (الفقرات ٢٢ -- ٢٤) .

(٢٥٦) فى (خ) [وكل من يؤمن بها] .

(٢٥٧) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (جملة) .

(٢٥٨) الرقى : جمع رقية ، التعاويذ التى يستخدمونها فى السحر .

(٢٥٩) التوراة : سفر الخروج -- (الإصحاح السابع -- الفقرات من ٩ -- ٢٤) .

(٢٦٠) التوراة : سفر الخروج : (الإصحاح الثامن -- الفقرات من ١ -- ٨) .

(٢٦١) التوراة : (سفر الخروج -- الإصحاح الثامن -- الفقرات من ١٦ -- ٢٠) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه الآبدة المصمئِلة[٢٦٢]، والصَّيلَم المطبقة ولو صحّ هذا لبطلت نبوة موسى عليه السلام ، بل نبوة كلِّ نبى .

ولو قدر السحرة على شىء من جنس ما يأتى به النبى لكان باب السحرة ، وبابُ مدَّعى النبوة واحدًا ، ولما انتفع موسى بازدراد[٢٦٣] عصاه لعصيهم ، ولا بعجزهم عن البعوض وقد قدروا على قلب العِصِىِّ حياتٍ ، وعلى إعادة الماء دمًا ، وعلى المجىء بالضفادع ولما كان لموسى عليه السلام عليهم بنبوته أكثر من أنه أعلم بذلك العمل منهم فقط ، ولو كان كما قال هؤلاء الكذابون الملعونون لكان فرعون صادقًا فى قوله : « إنه لكبيركم الذى علمكم السحر ، ولا منفعة لهم فى قول السحرة فى البعوض : « هذا صنع الله » ، لأنه يقال لبنى إسرائيل فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية ، والماء دمًا ، والمجىء بالضفادع ، بل من غير صنع الله .

وهذه عظيمة تقشعر منها الجلود . أين هذا الإفك المفترى البارد من نور الحق الباهر ؟! إذ يقول الله عزّ وجل : « إنَّما صنعوا كيْد ساحر[٢٦٤]» وإذ يقول تعالى : « وجاء السَّحَرةُ فِرْعون قالوا : أئِنَّ لنا لأجرًا إن كُنَّا نحن الغالبين ، قال : نعم ، وإنّكم لمن المقرَّبين ، قالوا : إمَّا أن تُلقىَ وإمّا أن نكون نحن الملقين ، قال : أَلْقُوا ، فلمَّا أَلقوْا سحروا أعين الناس واسْتَرْهَبوهم ، وجاءوا بسحرٍ عظيم ، وأَوْحَيْنا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفِكُون ، فوقع الحقُّ وبَطَلَ ما كانُوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

وأُلْقِىَ السحرة ساجدين ، قالوا آمَنَّا بِرَبِّ العالمينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارون[٢٦٥]» .

وإذ يقول تعالى : « فإذا حِبَالُهم وعِصِيُّهم يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنَّها تسعى[٢٦٦]. فأخبر عزّ وجل أن الذى عمل موسى حق . وأن عصاه صارت ثعبانًا على الحقيقة بقوله تعالى : « فإذا هى ثعبانٌ مبين[٢٦٧]» .

فصح أنه تبين ذلك لكل من رآه يقينًا . وأخبر أن الذى عمل السحرة إنما هو إفك وتخييل وكيد ، وهذا هو الحق الذى تشهد به العقول ، لا فى الكتاب المبدّل المحرّف ، فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها ، وهذا الذى يصححه البرهان ، إذ لا يحيل الطبائع إلَّا خالقها ،

---

(٢٦٢) الآبدة : الداهية التى يبقى ذكرها أبدًا ، و « اصْمَأَل » اصْمِئْلالًا : اشتد ، والمصمئلة الداهية ، والصامل ، والصميل ، اليابس ، والصَّيْلَم ، الأمر الشديد .

(٢٦٣) فى النسخة (ب) [بازدراه] بالهاء فى آخره وفى النسخة (أ) [بازدراء] بالهمز فى آخره .

(٢٦٤) سورة طه : ٦٩ .

(٢٦٥) سورة الأعراف : ١١٣ – ١٢٢ .

(٢٦٦) سورة طه : ٦٦ .

(٢٦٧) سورة الأعراف : ١٠٧ . والشعراء : ٣٢ .

شهادة لرسله وأنبيائه ، وفرْقا بين الصدق والكذب ، لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى فى وقت تكليفه برهانا[٢٦٨] على صدق قوله ، وعند تحديه لهم على أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين وهو كاذب ، فأتوْا بمثله ، فانظروا النتيجة يرحمكم الله .

هذه سوأة تشهد شهادة قاطعة صادقة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذى يسمونه « الحماش[٢٦٩]» ويدّعون أنه توراة موسى عليه السلام إنما كان زنديقًا مستخفًا بالبارى تعالى ورسله وكتبه ، وحاش لموسى عليه السلام منه ، وأنهم إلى الآن يزعمون أن إحالة الطبائع ، وقلب الأجناس عن صفاتها الذاتية إلى أجناسٍ أُخر ، واختراع الأمور فى المعجزات[٢٧٠] البينية يقدر على ذلك بالرُّقى والصّناعات . واعلموا[٢٧١] أنَّ من صدّق بهذا فهو[٢٧٢] مبطل للنبوة بلا مرية ، إذ لا فرق بين النبى وغيره إلّا فى هذا الباب ، فإذا أمكن لغير النبى فلم يبق إلّا دعوى لا برهان عليها ، ونعوذ بالله من الضلال .

ولقد شاهدناهم متفقين إلى اليوم على أن رجلًا من علمائهم ببغداد دخل من بغداد إلى قرطبة[٢٧٣] فى يوم واحد ، وأنبت قرنين فى رأس رجل من بنى الاسكندرانى[٢٧٤] كان ساكنا بقرب دار اليهود عند فَنْدَق الحرقة كان يؤذى يهود تلك الجهة ويسخر منهم ، وهذه كذبة وفضيحة لا نظير لها ، والموضع مشهور عندنا **بقرطبة** [٢٧٥] داخل المدينة ، وبنو عبد الواحد بن يزيد الاسكندرى من بيئة رفيعة مشهورة أدركنا آخرهم . كانت فيهم وزارة وعمالة ليس فيهم مغمور ولا خفى إلى أن بادوا ما عرف قط أحدٌ منهم ولا من جيرانهم هذه الأحموقة المختلقة[٢٧٦].

والقوم بالجملة أكذب البرية ، أسلافهم وأخلافهم ، وعلى كثرة ما شاهدنا منهم ، ما رأيت فيهم قط متحريًا إلّا رجلين فقط .

---

(٢٦٨) فى الأصل (أ ، ب) [برهان] بالرفع والأصح نصبها على الحال .

(٢٦٩) فى (أ ، ب) [الحماس] بالسين المهملة .

(٢٧٠) فى النسخة (ب) [واختراع الأمور المعجزات فى البنية] .

(٢٧١) فى النسخة (أ) [وعلموا] .

(٢٧٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (فهو) .

(٢٧٣) فى (أ ، ب) [قريظة] .

(٢٧٤) فى النسخة (أ) [الإسكندرى] .

(٢٧٥) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس ، وسط بلادها ، وبها كان ملوك بنى أمية وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم ، منهم أحمد ابن محمد بن عبد البر ، وله كتاب مؤلف فى الفقهاء بقرطبة ، وقد هدمت فى زمن بنى عباد ، وحلت محلها فى العاصمة والملك « أشبيلية » ، وقد رثاها الشعراء والأدباء من ذلك :

ذكّرنه الزمن الماضى بقرطبة   بين الأحبة فى لهو وإيناس

(معجم البلدان : ٤ – ٣٢٤) .

(٢٧٦) فى النسخة (ب) [المختلفة] بالفاء وفى (أ ، ب) سقطت كلمة [ولا من جيرانهم] .

فصـــل

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وفى قصة قلب الماء دمًا فضيحة أخرى ظاهرة الكذب وهى : أن فى نص الكلام الذى يزعمونه التوراة : « ثم قال السيد لموسى قل لهارون ، مدَّ يدك بالعصا على مياه مصر ، وأنهارها وأوديتها ، ومروجها ، وجناتها ، لتعود دمًا ، **وتصير ماء فى آنية** (٢٧٧) **التراب والخشب دمًا** . ففعل موسى وهارون كل ما أمرهما به السيد » إلى قوله « وصار الماء فى جميع أرض مصر دمًا . ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم ، واشتد قلب فرعون ، ولم يسمع لهما على حال ، ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه إلى هذا أيضًا ، وحفر جميع المصريين حوالى النهر ليصيبوا الماء منها لأنهم لا يقدرون على شرب الماء من النهر(٢٧٨) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا نص كتابهم فأخبر أن كلَّ ماء كان بمصر فى أنهارها وأوديتها ، ومروجها وجناتها ، وأوانى الخشب والتراب ، والماء كله فى جميع أرض مصر صار دمًا . فأى ماء بقى حتى تقلبه السحرة دمًا ، كما فعل موسى وهارون ؟ أبى الله إلا فضيحة الكذابين وخزيهم .

فإن قالوا قلبوا ماء الآبار التى(٢٧٩) حفرها المصريون حول النهر . قلنا لهم : فكيف عاش الناس بلا ماء أصلًا ؟ أليت هذه فضائح مرددة ؟ وهل يخفى أن هذا من توليد ضعيف العقل أو زنديق مستخف لا يبالى بما أتى به من الكذب . ونعوذ بالله من الضلال .

فصـــل

ذكر بعض المعجزات لموسى

وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى أمر موسى أن يقول لفرعون : « ستكون يدى على مكسبك الذى لك فى الفحوص(٢٨٠) وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك وأغنامك بوباء شديد ، ويظهر السيد أعجوبة فيما يملكه بنو إسرائيل ، ووقت السيد لذلك وقتًا ، وقال غدًا يفعل السيد(٢٨١) هذا فى

---

(٢٧٧) يبدو أن فى العبارة تحريفا ، والذى نراه صوابا أن تكون هكذا [ويصير الماء فى آنية التراب والخشب دما] .

(٢٧٨) الذى فى التوراة الحالية : « . . . ثم قال الرب لموسى : قل لهارون خذ عصاك ومدّ يدك على مياه المصريين على أنهارهم ، وعلى سواقيهم وعلى آجامهم ، وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دما ، فيكونَ دم فى كل أرض مصر فى الأخشاب وفى الأحجار ، ففعل هكذا موسى وهارون كما أمر الرب . . الخ (سفر الخروج - الإصحاح السابع - الفقرات من ١٤ - ٢٤) .

(٢٧٩) فى النسخة (أ) [حتى] بدلًا من [التى] .

(٢٨٠) الفحص : معظم القطاة . والفحوص : يقصد بها الأماكن .

(٢٨١) فى (أ ، ب) سقطت العبارة من أول [أعجوبة فيما يملكه بنو إسرائيل إلى وقال غدا يفعل السيد] .

الأرض ، ففعل السيد ذلك فى يوم آخر ، وماتت جميع دواب المصريين ، ولم يمت لبنى إسرائيل دابة فاشتد قلب فرعون ولم يأذن لهم[٢٨٢]» .

ثم ذكر بعد ذلك أمر الله تعالى موسى بأن يأخذ ما حملت الكف من رماد الكانون ويلقيه إلى السماء بين يدى فرعون ليصير غبارًا فى جميع أرض مصر فيكون فى الآدميين والأنعام خرّاجات[٢٨٣] ونفاطات[٢٨٤]، فأخذ رمادًا من كانون ووقف بين يدى فرعون ورماه موسى إلى السماء وصارت منه نفاطات فى الآدميين والأنعام ، ولم تقدر السحرة على الوقوف عند موسى لما كان أصابهم من ألم النفاطات ، وكان مثل ذلك فى جميع أرض مصر والسحرة ، فشدّد الله قلب فرعون ، ولم يسمع لهما على حال ما عهد السيّد إلى موسى[٢٨٥].

وبعد ذلك قال : إن الله أمر موسى أن يقول لفرعون : غدًا هذا الوقت أمطر بردًا كثيرًا جدًّا لم ينزل مثله على مصر من اليوم الذى أسست فيه إلى هذا الوقت ، فابعث واجمع أنعامك ، وكل من تملكه فى الفدّان ، فكل ما أدركه البرد فى الفدان ولم يدخل البيوت يموت[٢٨٦] فمن خاف وعيد السيّد من عبيد فرعون أدْخَلَ عَبيدَه وأنعامه فى البيوت ، ومن استهان بوعيد السيد أبقى عبيده وأنعامه فى الفدّان .

وقال السيد لموسى : مُدَّ يدك إلى السماء لينزل البرد فى جميع أرض مصر فمدَّ موسى يده بالعصا ، فأتى السيّد بالرّعد ، والبرد المختلف على الأرض ، ثم أمطر السيّد البرد فى جميع أرض مصر مخلوطا بنار ، ولم ينزل بعظمة فى تلك الأرض من حين سكن ذلك الجنس فأهلك البرد فى جميع أرض مصر كلّ ما ظهر به فى الفدادين من الآدميين والأنعام وجميع عشبهما ، وكسر جميع شجرها ، ولم ينزل منه بشيء فى أرض قوص[٢٨٧] حيث كان بنو إسرائيل[٢٨٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : تأمّلوا هذا الكذب الهجين اللّائح . ذكر أولًا أنّ موسى أتى بالوباء وأخبر عن الله تعالى أنه قال لفرعون سأهلك مكسبك الذى فى الفحوص ،

---

(٢٨٢) التوراة : (سفر الخروج الإصحاح التاسع - الفقرات من ١ - ٧) .

(٢٨٣) خراجات : بثور ودمامل .

(٢٨٤) نفاطات : الفعل (نفط) كفرح ، وكَفٌّ نفيطة : قَرِحَتْ عَمَلًا .

(٢٨٥) (ما) مفعول به ليسمع . سفر الخروج - الإصحاح التاسع ، الفقرات من ٨ - ١٢) .

(٢٨٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [يموت] .

(٢٨٧) قوص : مدينة كبيرة عظيمة قصبة صعيد مصر ، وأهلها أرباب ثروة واسعة ، وكانت قديما محط التجار القادمين من « عدن » ، وأكثرهم من هذه المدينة ، وهى شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية ، وتقع على الضفة الشرقية للنيل ، وهى قريبة من البحر الأحمر وكان يعدها الجغرافيون فى الزمن القديم فى الإقليم الأول (معجم البلدان - بتصرف حـ ٤ - ٤١٣) .

(٢٨٨) فى النص الذى ذكر فى التوراة الحالية استعمل كلمة (الحقل) بدلًا من (الفدان) واستعمل كلمة (جاسان) بدلًا من (قوص) . (راجع النص فى سفر الخروج الإصحاح ٩ - الفقرات من ١٢ - ٢٦) .

وخيلك وحميرك وجمالك ، وبقرك ، وأغنامك فعمّم جميع الناس ، ما أُدْخِل فى البيوت وما لم يدخل ، يعم جميع الحيوان صنفًا صنفًا ، ثم أخبر : أن جميع دواب المصريين ماتت ولم تمت لبنى إسرائيل ولا دابة . ثم ذكر أمر « النفاطات » ثم ذكر أمر « البرد » ، وأن موسى أنذر فرعون عن الله تعالى ، وأمره بإدخال أنعامه فى البيوت وأن ما أدرك البرد منها فى الفحص يهلك .

فليت شعرى !! أى دابة بقيت لفرعون وأهل مصر ، وقد ذكر أن الوباء أهلك جميعها ؟ وأين[٢٨٩] الإبل والحمير والخيل والغنم والبقر ؟ أليس هذا عجبا !! وليس يمكن أن يقول : إنَّ دواب بنى إسرائيل هلكت آخرًا إذ سلمت أولًا ، لأنه قد بيّن أنه لم يقع من البرد شىء فى أرض « قوص » حيث سكنى بنى إسرائيل ، ولم يكن بين آية وآية بإقرارهم وقت يمكن فيه جلب أنعام إليهم من بلد آخر ؛ لأنه لم يكن بين الآية والآية إلَّا يوم أو يومان أو قريب من ذلك ، ومصر واسعة الأعمال ، ولا تتصل بشىء من العمائر ، بل بين جميع انتهاء أقطارها من كل جهة ، وبين أقرب العمائر إليها مسيرة أيام كثيرة ، كالشام وبلاد الغرب ، وأرض النوبة والسودان ، وأفريقية ، فظهر كذب من عمل ذلك الكتاب المبدّل المحرّف المفترى الذى يزعمونه التوراة وحاش لله من ذلك ، والحمد لله على السلامة من مثل عملهم وضلالهم كثيرًا .

فصـــل

اضطراب التوراة فى ذكر مدة بقاء بنى إسرائيل بمصر

وبعد ذلك قال : « وكان مسكن بنى إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثين سنة ، فلما انقضت هذه السنون خرج ذلك اليوم معسكر السيد من أرض مصر[٢٩٠] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه فضيحة الدهر ، وشهرة الأبد ، وقاصمة الظهر ، يقول هاهنا : إنَّ مسكن بنى إسرائيل بمصر أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، وقد ذكر قبل : أن « فاهاث[٢٩١] » بن « لاوى » دخل مصر مع جده « يعقوب » ومع أبيه « لاوى » ومع سائر أعمامه وبنى أعمامه ، وأن عمر « فاهاث » بن « لاوى » المذكور كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة . وأن « عمران بن فاهاث بن لاوى » المذكور كان عمره مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة . وأن « موسى بن عمران بن فاهاث بن لاوى » المذكور كان إذ خرج ببنى إسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة .

---

(٢٨٩) فى النسخة (ب) [وبين] .
(٢٩٠) راجع (سفر الخروج – الإصحاح ١٢ – الفقرات من ٤٠ – ٤٢) .
(٢٩١) فى النسخة (ب) [فاهاث بنى لاوى] وفى النسخة (أ) [قاهاث] بالقاف .

هذا كله منصوص كما نذكره فى الكتاب الذى يزعمون أنه التوراة ، فهبك أن « فاهاث » دخل مصر ابن شهر أو أقل ، وأن « عمران » ابنه ولد بعد موته ، وأن « موسى بن عمران » ولد بعد موت أبيه ليس يجتمع من كل ذلك إلا ثلاثمائة عام وخمسون عامًا فقط . فأين الثمانون عامًا الباقية من جملة أربعمائة سنة وثلاثين سنة .

فإن قالوا نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه وإخوته ، قلنا : قد بيّن فى التوراة أنه كان إذ دخلها[٢٩٢] ابن سبع عشرة سنة ، وأنه كان إذ دخلها أبوه وإخوته ابن تسع وثلاثين سنة ، فإذن[٢٩٣] كان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته اثنين وعشرين سنة ، ضمها إلى ثلاثمائة سنة وخمسين سنة يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة . أين الثمانى والخمسون الباقية من أربعمائة وثلاثين سنة ؟ هذه شهرة لا نظير لها ، وكذب لا يخفى على أحد ، وباطل نقطع بأنه لا يمكن ألبتة أن يعتقده أحد فى رأسه شىء من دماغ صحيح ، لأنه لا يمكن أن يكذب الله تعالى فى دقيقة . ولا أن يكذب رسوله ﷺ عامدًا ، ولا مخطئًا فى دقيقة فيقره الله تعالى على ذلك ، فكيف ؟ ولابد أن يسقط من هذه المدة سنّ « فاهاث[٢٩٤] » إذ ولد له « عمران » وسنّ « عمران » إذ ولد له « موسى » عليه السلام ، والصحيح الذى يُخَرَّج على نصوص كتبهم : أنّ مدة بنى إسرائيل مذ دخل « يعقوب » وبنوه مصر إلى أن خرجوا منها مع « موسى » عليه السلام ، لم تكن إلا مائتى عام وسبعة عشر عاما ، فهذه كذبة فى مائتى عام وثلاثة عشر عامًا ، ولو لم يكن فى توراتهم إلّا هذه الكذبة وحدها لكفت فى أنها موضوعة مبدلة من حمار فى جهله ، أو مستخف سخر بهم ولابد .

فصــل

التوراة المحرفة تصف الاله بألفاظ لا تليق

وبعد ذلك قال : وعند ذلك مجد « موسى » و« بنو إسرائيل » بهذه السورة ، وقالوا : مجد بنا السيد فإنه يعظم ويشرف ، وأغرق فى البحر الفرس وراكبه ، قوّتى ومديحى للسيّد الذى صار لى مُسلما[٢٩٥]، هذا إلهى أمجده ، وإله أبى أعظمه ، السيد قاتل كالرجل القادر[٢٩٦].

وفى السفر الخامس : « اعلموا أن السيّد إلهكم الذى هو نار أكول[٢٩٧] » .

---

(٢٩٢) فى النسخة (ب) [دخله] .

(٢٩٣) فى النسخة (ب) [فاما] .

(٢٩٤) فى النسخة (أ) [قاهاث] بالقاف .

(٢٩٥) فى (أ ، ب) [ومديحى للسيد وقد صار خلاصى . .] .

(٢٩٦) التوراة - سفر الخروج - (الإصحاح ١٥ الفقرات من ١) والذى فى النص الحالى : « الربُّ رجل الحرب » .

(٢٩٧) النص كما فى التوراة الحالية : « لأن الرّب إلهك هو نار آكلة إله غيور » (سفر التثنية - الإصحاح الرابع - الفقرة - ٢٤) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه سوأة من السوءات لتشبيه الله عزّ وجل بالرجل القادر ، ويخبر بأنه نار ، هذه مصيبة لا تجبر ، ولقد قال بعضهم : أليس الله تعالى يقول عندكم : « الله نور السّماوات والأرض[٢٩٨] » ؟

قلت : بلى . وقد قال رسول الله ﷺ : إذ سأله « أبو ذر[٢٩٩] » : هل رأيت ربك ؟ . فقال : « نورٌ أنّى أراه » .

وهذا بيّنٌ ظاهرٌ أنه لم يعن النور المرئى ، لكن نور لا يرى . فلاح أن معنى « نور السماوات والأرض » إذا ثبت ، أنه ليس هو النور المرئُ الملون ، إنّه الهادى لأهلهما فقط . وأن النور اسم من أسماء الله تعالى فقط .

وأما قوله تعالى : « مَثَلُ نورِهِ كمِشكاةٍ فيها مِصْباح ، المصباحُ فى زجاجة – إلى قوله – ولَوْ لَمْ تَمسَسْه نار » .

فإنه شبه نوره الذى يهدى به أولياءه بالمصباح الذى ذكر ، فإنه شبه مخلوقًا بمخلوق .

وبيان ذلك : قوله تعالى متصلًا بالكلام المذكور فى الآية نفسها :

« نورٌ عَلَى نورٍ يَهْدِى الله لنورِهِ مَنْ يشاء[٣٠٠] » .

فصح ما قلناه يقينا من أنه تعالى : إنما عنى بنوره هداه للمؤمنين فقط ، وهذا أصح تشبيه يكون ، لأن نور هداه فى ظلمة الكفر كالمصباح فى ظلمة الليل .

فصــل

وصف التوراة للمن النازل من السماء

ثم وصف المنَّ النازل عليهم من السماء فقال : وكان أبيض شبيهًا بزريعة الكزبر[٣٠١] ومذاقه كمذاق السميذ[٣٠٢] المعسل ، ثم قال فى السفر الرابع :

---

(٢٩٨) سورة النور : آية ٣٥ .

(٢٩٩) أبو ذر الغفارى : هو جندب بن جنادة أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، وكان رأسًا فى العلم والزهد والجهاد ، قال عنه الرسول ﷺ : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر - مات رضى الله عنه عام ٣٢ هـ » (تذكرة الحفاظ للذهبى - حـ ١ ص ١٧ ، ١٨) .

(٣٠٠) النور : ٣٥ .

(٣٠١) فى القاموس المحيط « الكُزْبُرَة » وقد تفتح الباء وهى من الأبازير .

(٣٠٢) فى (أ ، ب) [كالسميد المعل] وهو تحريف ظاهر . والنص كما فى التوراة الحالية « وهو كبِزْر الكزْبَرَة أبيض وطعمه كرقاقٍ بعسل » (سفر الخروج - الإصحاح ١٦ - الفقرة ٣١) .

« كان المَنّ شبيهًا بزريعة الكُزْبر ، ولونه إلى الصُّفره ، وكان طعمه كطعم الخبز[٣٠٣] المعجون بالزيت » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا تناقض فى الصفة واللّون والطعم ، وإحدى الصفتين تكذّب الأخرى بلا شك .

فصــل

تجسيم التوراة للاله ووصفه بصفات البشر

وبعد ذلك قال : إنّ الله عزّ وجل قال لبنى إسرائيل : لقد رأيتمونى كلكم من السماء ، فلا تتخذوا معى آلهة الفضة . ثم قال بعد ذلك : ثم صعد « موسى » و« هارون » و« ناداب » و« أبيهو » وسبعون رجلًا من المشايخ[٣٠٤] ونظروا إلى إله إسرائيل ، وتحت رجليه كلَبنَةٍ من زمرد فيروزى ، وكسماء صافية ، ولم يمدّ الرّبُّ يده إلى خيار بنى إسرائيل الذين نظروا إلى الله ، وأكلُوا وشربوا وقال بمقربة من ذلك : « وكان منظر عظمة السيد كنارٍ آكلةٍ فى قرن الجبل يراه جماعة منْ بنى إسرائيل[٣٠٥] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا تجسيم لا شك فيه ، وتشبيه لا خفاء به . وليس هذا كقول الله تعالى :

« وجاء ربُّك والملكُ صفًّا صفًّا[٣٠٦] » .

ولا كقوله تعالى :

« إلّا أنْ يأتيهم الله فى ظُلَل منَ الغَمَام والملائكَةُ[٣٠٧] » .

ولا كقول رسول الله ﷺ : « ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة فى ثلث اللّيل الباقى إلى سماء الدنيا » ، لأن هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل ، إنما هى أفعال يفعلها الله عزّ وجل تسمّى مجيئا وإتيانا وتنزلا ، ولا مثل قوله تعالى :

---

(٣٠٣) النص كما فى التوراة : « وأما المن فكان كبزر الكزبرة ، ومنظره كمنظر المُقْل ، كان الشعب يطوفون ليلتقطوه ، ثم يطحنونه بالرّحى ، أو يدقونه فى الهاون ، ويطحنونه فى القدور ، ويعملونه ملّات ، وكان كطعم قطائف بزيت . . (سفر العدد - الإصحاح ١١ - الفقرات من ٧ ١٠) .

(٣٠٤) التوراة : (سفر العدد - الإصحاح ١١ - ١٦ الخ الإصحاح) .

(٣٠٥) النص كما فى الإصحاح ١٤ من سفر العدد « . . . يارب قد ظهرت لهم عينا لعين ، وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارًا ، وبعمود نار ليلًا . . . » الفقرة ١٤ - وهذا يدل على استمرار التحريف فى التوراة من وقت إلى آخر .

(٣٠٦) سورة الفجر : ٢٢ .

(٣٠٧) سورة البقرة : ٢١٠ .

« يد الله فوق أَيْدِيهم[٣٠٨] » « ويبقى وجه ربك[٣٠٩] » .

وسائر ما فى القرآن من مثل هذا ، فكله ليس بمعنى الجارحة ، لكن على وجوهٍ ظاهرة فى اللغة قد بيناها فى غير هذا المكان ، عمدتها أن كل ذلك خبر عن الله تعالى لا يرجع بشىء من ذلك إلى سواه أصلًا ، ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توراتهم مع قوله فى السفر الخامس : « كلمكم الله من وسط اللهيب فسمعتم صوته ، ولم تروا له شخصا[٣١٠] » .

وهاتان قضيتان تكذب كلُّ واحدةٍ منهما الأخرى ولابد .

فصــل

التوراة تتهم هارون عليه السلام بصناعة العجل

وبعد ذلك قال : فلما أطال موسى المقام اجتمع بنو إسرائيل إلى « هارون » وقالوا : قم واعمل لنا إلهًا يتقدمنا ، فإننا لا ندرى ما أصاب موسى الرجل الذى أخرجنا من مصر . فقال لهم هارون : اقلعوا أقراط الذهب عن آذان نسائكم وأولادكم وبناتكم ، وائتونى بها ، ففعلوا ما أمرهم به وأَتَوْه بالأقراط ، فلمَّا قبضها هارون أفرغها وعمل لهم منها عجلًا ، وقال : هذا إلهكم يا بنى إسرائيل الذى أخرجكم من مصر فلما بصر بها هارون بنى مذبحًا بين يدى العجل ، وبرح مسمعًا : غدًا عيد السيد ، فلما قاموا صباحًا قربوا له قربانًا ، وأهدَوا له هدايا ، وقعدت العامة تأكل وتشرب وقاموا للّعب[٣١١].

ثم ذكر إقبال موسى ، وأنه لما تدانى من المعسكر بصر بالعجل وجماعات تتغنى . وبعد ذلك ذكر أنه قال لهارون : « ماذا فعلت بك هذه الأمة إذ جعلتم تذنبون ذنبًا عظيمًا ؟

فقال له هارون : لا تغضب سيدى ، فإنك تعرف رأى هذه الأمة فى الشر ، قالوا لى : اعمل لنا إلهًا يتقدمنا لأننا نجهل ما أصاب موسى الذى أخرجنا من مصر ، فقلت لهم : من كان عنده منكم ذهب فليقبل به إلىَّ وألقيته فى النار ، وخرج لهم منه هذا العجل ، فلما رأى

---

(٣٠٨) سورة الفتح : ١٠ .

(٣٠٩) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٣١٠) النص كما جاء فى التوراة الحالية : « قال لى الرب اجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى لكى يتعلموا أن يخافونى كل الأيام التى هم فيها أحياءٌ على الأرض ويعلّموا أولادهم ، فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل ، والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب ، مكملكم الرّب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ، ولكن لم تروا صورة بل صوتًا . . الخ » (سفر التثنية ٤ /١٠ - ١٦) .

(٣١١) سفر الخروج - (الإصحاح ٣٢ الفقرات من ١ - ٧) والعبارات مختلفة ولكن المعنى واحد .

« موسى » القوم قد تعرّوا ، وكان « هارون » قد عرّاهم بجهالة قلبه ، وصيَّرهم بين يدى أعدائهم عراة[٣١٢].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا الفصل عفا على ما قبله ، وطم عليه أن يكون « هارون » وهو نبى مرسل يتعمد أن يعمل لقومه إلهًا ، يعبدونه من دون الله عز وجل وينادى عليه غدا « عيد السيد » ويبنى للعجل مذبحًا ، ويساعدهم على تقريب القربان للعجل ، ثم يجردهم ويكشف أستاههم للرقص وللغناء أمام العجل إلا أن تكون أحق إستاه كشفت[٣١٣]، إن هذا لعجب !! نبى مرسل كافر مشرك[٣١٤] يعمل لقومه إلهًا من دون الله ، أو يكون العجل ظهر من غير أن يتعمد « هارون » عمله ، فهذه والله معجزة كمعجزات موسى ولا فرق . إلّا أنّ هذا هو الضلال والتلبيس ، والإشكال والتدليس المبعد عن الله تعالى ، إذ لو كان هذا لما كان موسى أولى بالتصديق من عابد العجل الملعون . أترى بعد استخفاف النذل الذى عمل لهم هذه الخرافة بالأنبياء عليهم السلام استخفافا . حاش لله[٣١٥] من هذا ؟ أوَترون بَعْد حمق من يؤمن بأن هذا من عند « موسى » رسول الله وكليمه عن الله تعالى – حمقًا ؟! نحمد الله على العافية .

أين هذا الهوس البارد والكذب المفترى من نور الحق الذى يشهد له العقل بالصحة الذى جاء به « محمد رسول الله ﷺ عن الله عز وجل حقًا ؟ »

إذ يقول فى هذه القصة نفسها ما لا يمكن سواه :

« واتخذ قومُ مُوسَى من بَعْدِه من حُلِيِّهم عجْلًا جسدًا له خُوار ، ألم يَرَوْا أنّه لا يُكَلِّمُهم ولا يَهْديهم سبيلًا ، اتّخذوه وكانوا ظالمين[٣١٦] » .

وقوله عزّ وجل :

فكذلك ألْقى السامرىّ فأخرجَ لهم عجْلًا جسدًا له خُوار ، فقالُوا : هذا إلهكم ، وإله مُوسى فنسى أفلا يرون ألّا يَرْجع إليهم قولًا ، ولا يملكُ لهم ضرًّا ولا نفعًا ، ولقد قال لهم هارون من قبل : يا قوم إنّما فُتِنْتُم به ، وإنّ ربَّكُم الرَّحْمنُ فاتَّبعونى وأطيعوا أمْرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال « يا هارون » : ما منعك إذ رأيتهم ضلُّوا ألّا تتبعن

(٣١٢) سفر الخروج (الإصحاح ٣٢ – الفقرات من ٢١ – ٢٦) .
(٣١٣) يقصد : أم أحق الناس بكشف إسته هو ذلك الذى وضع هذه الخرافة .
(٣١٤) فى النسخة (أ) [مشترك] .
(٣١٥) فى النسخة (ب) [لله] .
(٣١٦) الأعراف : ١٤٨ .

فَعَصَيْت أمرى . قال : يا ابن أمَّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنِّى خشيت أن تقولَ فرقْتَ بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى[٣١٧]» .

وقوله :

« يا ابن أمَّ إنَّ القومَ استضعفونى وكادوا يقتلوننى[٣١٨]» .

فهذا هو الصدق حقًّا ، إنما عمل لهم العجلَ الكافرُ الضالُّ السامرى ، وأما « هارون » فنهاهم عنه جهده ، وأنهم عصوه ، وكادوا يقتلونه ، وقد تبين الصبُّحُ لذى عينين ، ولاح صدق قوله تعالى من كذب الآفكين .

وأما « الخوار » فقد صح عن ابن عباس ما لا يجوز سواه ، وأنه إنما كان دوى الريح تدخل من قبله وتخرج من دبره[٣١٩]، وهذا هو الحق لأنه تعالى أخبر أنه لا يكلمهم ، ولو خار من عند نفسه لكان ضربًا من الكلام ، ولكانت حياة فيه ، وهو محال ، إذ لا تكون معجزة ، ولا إحالة لغير نبى أصلًا . وبالله تعالى التوفيق .

فصـــل

الإله يستجيب لموسى فى العفو عن بنى إسرائيل

وفى خلال هذه الفصول ذكر أن الله عزّ وجل قال لموسى : دعنى أغضب عليهم وأهلكهم ، وأُقْدِمُك على أمة عظيمة ، وأن موسى رغب إليه وقال له : تَذَكَّرْ إبراهيم وإسرائيل وإسحاق عبيدك الذين خلقتهم بيدك ، وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى يكونوا كنجوم السماء ، وأورثتهم جميع هذه الأرض التى وعدتهم بها ويملكونها ، فحنَّ السيد ولم يتم ما كان أراد إنزاله من المكروه بأمته .

---

(٣١٧) طه : ٨٨ : ٩٤ .

(٣١٨) الأعراف : ١٥٠ .

(٣١٩) روى حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « مر هارون بالسامرى ، وهو يصنع العجل فقال : ما هذا ؟ فقال : ينفع ولا يضر ، فقال : اللهمّ اعطه ما سألك على ما فى نفسه فقال : اللهم إنى أسألك أن يخور فكان الخوار من أجل دعوة هارون ، قال ابن عباس خار كما يخور الحىّ من العجول . . وروى أن موسى قال : يارب هذا السّامرى أخرج لهم عجلا جسدًا له خوار من حليهم ، فمن جعل الجسد والخوار ، قال الله تبارك وتعالى : أنا . وفى رواية عن معمر عن ابن عباس أيضا : لما انسكبت الحلى فى النار جاء السامرى وقال لهارون : يا نبى الله أألقى ما فى يدى ؟ وهو يظن أنه كبعض ما جاء به غيره من الحلى ، فقذف التراب فيه وقال : كن عجلا جسدًا له خوار فكان كما كان للبلاء والفتنة ، وقيل خواره وصوته كان بالريح لأنه كان عمل فيه خروقًا فإذا دخلت الريح فى جوفه خار ولم تكن فيه حياة ، وهذا قول مجاهد . وعلى القول الأول ، كان عجلًا من لحم ودم وهو قول الحسن وقتادة والسدى . (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ١١ ص ٢٣٥ - ط دار الكتب العربية سنة ١٩٦٧) . وفى ذكر هذه الروايات دلالة على أن ابن حزم لم يتحر الدقة فى النقل عن ابن عباس (المحقق) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل عجائب .

أحدها : إخباره بأن الله تعالى لم يتم ما أراد إنزاله من المكروه بهم ، وكيف يجوز أن يريد الله عزّ وجل إهلاكَ قوم قد تقدّم وعده لهم بأمور ولم يتمها لهم بعد ؟ وحاش لله منْ أن يريد إخلاف وعده فيريد الكذب .

وثانيها : نسبتهم البداء[٣٢٠] إلى الله عز وجل ، وحاش لله من ذلك ، والعجب من إنكار من أنكر منهم النسخ بعد هذا ، ولا نكرة فى النسخ لأنه فعل من أفعال الله أتبعه بفعل آخر من أفعاله مما قد سبق فى علمه كونه[٣٢١] كذلك ، وهذه صفة كل ما فى العالم من أفعاله تعالى :

وأما البداء : فمن صفات من يهم بالشيء ثم يبدو له غيره ، وهذه صفة المخلوقين ولا صفة من لم يزل ، ولا يخفى عليه شيء فى المستأنف .

وثالثها : قوله فيها : (ويملكونها) ، وهذا كذب ظاهر ما ملكوها إلّا مدة ثم خرجوا عنها إلى الأبد ، والله تعالى لا يكذب ، ولا يخلف وعده .

فصـــل

طلب الإله لموسى أن يذهب وقومه لفلسطين

وبعد هذا ذكر أن الله تعالى قال لموسى : اذهب واصعد من هذا الموضع أنت وأمتك التى أخرجت من مصر إلى الأرض التى وعدت بها مقسمًا « إبراهيم » و« إسحاق » و« يعقوب » لأورثها نسلهم ، وأبعث بين يديك ملكًا لإخراج « الكنعانيين » ، و« الأموريين » ، و« الحيثيين » ، و« الفرزيين » ، و« الحويين » ، و« اليبوسيين » – تدخل فى أرض تفيض لبنًا وعسلًا ، لست أنزل معكم لأنكم أمة قساة الرقاب لئلا تهلك بالطريق[٣٢٢]، فلما سمعت العامة هذا الوعيد الشديد عجبت ولم تأخذ زينتها ، فقال السيد لموسى : قل لبنى إسرائيل أنتم أمة قد قست رقابكم سأنزل عليكم مرة وأهلككم ، فضعوا زينتكم لأعلم ما أفعل بكم[٣٢٣].

---

(٣٢٠) البداء : له معان ، البداء فى العلم وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكى ، والبداء فى الأمر ، وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بعده بخلافه ومن لم يجوز النسخ أن الأوامر المختلفة فى الأوقات المختلفة متناسخة ، وقد قال بالبداء على الله تعالى المختار ابن أبى عبيد الثقفى لأنه كان يدّعى علم ما يحدث من الأحوال وإن لم يوافق قوله ، قال قد بدا لربكم وكان لا يفرق بين النسخ والبداء (الملل والنحل : للشهرستانى حـ ١ ص ٢٣٨) .

(٣٢١) ف (خ) [وكونه] .

(٣٢٢) سفر الخروج الإصحاح ٢٣ الفقرات من ٢٠ – إلى نهاية الإصحاح .

(٣٢٣) سفر الخروج (الإصحاح ٣٣ – الفقرات من ١ – ٧) .

وبعد ذلك بفصول قال : « إن موسى قال لله تعالى إن كنت سيدى عنى راضيًا فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا[٣٢٤] » .

وبعد ذلك : « إنَّ الله تعالى قال لموسى : سأخرج بنفسى بين يديك »

* * *

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل كذبتان وتشبيه محقق أما الكذبتان :

فإحداهما قوله : إنه سيبعث بين يدى موسى ملكًا لإخراج الأعداء ، وأما هو تعالى فليس ينزل معهم ثم نزل معهم ، وهذا كذب لا مخلص منه تعالى الله عن هذا ، وحاش له من أن يقول سأفعل ثم لا يفعل ، وأن يقول لا أفعل ثم يفعل .

والثانية قوله : « إنى سأنزل إليكم مرة وأهلككم » ثم لم يفعل . حاش لله من هذا .

وأما التشبيه المحقق : فامتناعه من أن ينزل بنفسه ، واقتصاره على أن يبعث مَلَكًا لنصرتهم ، ثم أجاب إلى النزول معهم ، وهذا لا يسوغ فيه ما يسوغ[٣٢٥] فى حديث التنزيل من أنه فعل بفعله تعالى ، لأنه لو كان هذا لكان إرسال الملك أقوى ما يوجد فى العالم ، فإذا قد بطل فقد صح أنه نزول نقلة ولابد .

فصـــل

إدعاء التوراة أن الله وعد موسى أن يراه من ظهره لا من وجهه

وفى خلال هذه الفصول قال : وكان السيد يكلم « موسى » مواجهة فمًا بفم كما يكلم المرء صديقه[٣٢٦]، وأن موسى رغب إلى الله تعالى أن يراه ، وأن الله تعالى قال له : سأدخلك فى حجر ، وأحفظك بيمينى حتى أجتاز ثم أرفع يدى وتبصر ورائى لأنك لا تقدر أن ترى وجهى[٣٢٧].

ففى هذين الفصلين تشبيه شنيع قبيح جدًّا من إثبات آخر بخلاف الوجه وهذا ما لا مخرج منه .

---

(٣٢٤) سفر الخروج - الإصحاح ٣٣ - الفقرات من ١٢ - إلى آخر الإصحاح .

(٣٢٥) سقطت فى النسخة (أ) كلمة [فيه ما يسوغ] . وفى (أ ، ب) فمن حديث التنزيل .

(٣٢٦) النص كما فى التوراة : « ويكلم الرَّب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » (سفر الخروج - الإصحاح ٣٣ - الفقرة - ١١) .

(٣٢٧) النص : « ويكون متى أجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز ، ثم أرفع يدى فتنظر ورائى ، وأما وجهى فلا يُرى » (سفر الخروج - ٢١/٣٣ - ٢٣) .

فصـــل
تخبط كتب اليهود فى عددهم حين خروجهم من مصر

وفى السفر الثالث : أن البارى تعالى قال له : من ضاجع امرأة عمه أو خاله ، أو كشف عورة بنته فيحملان جميعًا ذنوبهما ويموتان من غير أولاد[٣٢٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : كنا ذكرنا أننا لا نخرّج عليهم من توراتهم كلامًا لا يفهم معناه ، إذ للقائل أن يقول : قد أصاب الله به ما أراد ، لكن هذا المكان لم يتخلف فيه وعدنا ، لأنها شريعة مكلّفة ملزمة ، ومن المحال أن يكلّف الله الناسَ عملًا لا يفهمونه ولا يعقلون معنى الأمر به .

فصـــل
ذكر التوراة لقبائل بنى إسرائيل الخارجين من مصر

وفى السفر الرابع : ذكر أن عدد بنى إسرائيل الخارجين من مصر ، القادرين على القتال خاصة من كان ابن عشرين سنة فصاعدًا - كانوا ستمائة ألف مقاتل وثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة مقاتل ، وخمسين مقاتلا ، وأنه لا يدخل فى هذا العدد من كان له أقل من عشرين ولا من لا يطيق القتال[٣٢٩]، ولا النساء جملة ، وأن عددهم إذ دخلوا الأرض المقدسة ستمائة ألف رجل ، وألف رجل ، وسبعمائة رجل وثلاثون رجلًا . لم يَعُدّ فيهم من له أقل من عشرين سنة ، وأن على هؤلاء قسمت الأرض المغنومة ، وعلى النساء وعلى من كان دون العشرين أيضًا[٣٣٠].

وفى كتبهم : أن « داود » عليه السلام أحصى فى أيامه بنى إسرائيل فوجد بنى « يهوذا » خاصة : خمسمائة ألف مقاتل . ووجد التسعة الأسباط الباقية . حاش بنى لاوى ، وبنى بنيامين فلم يحصهما ألف ألف مقاتل غير ثلاثين ألفا سوى النساء ، وسوى من لا يقدر على القتال من صبى أو شيخ أو معذور ، وكل هؤلاء ، إنما كانوا فى « فلسطين » و« الأردن » وبعض عمل « الغور » فقط . والبلد المذكور بحالته كما كان لم يزد بالاتساع ولا نقص .

وفى كتبهم أيضا : أن إبيا بن رحبعام[٣٣١] بن سليمان بن داود عليه السلام قتل من العشرة

(٣٢٨) النص كما فى التوراة : « وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه ، يحملان ذنبهما ، يموتان عقيمين وإذا أخذ رجل امرأة أخيه ذلك نجاسة قد كشف عورة أخيه يكونان عقيمين . . ألخ (سفر لاويين - الإصحاح العشرون - ٢٠ - ٢٢) .

(٣٢٩) (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٤٥ - ٤٧) .

(٣٣٠) التوراة (سفر العدد - الإصحاح ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) .

(٣٣١) فى (أ ، ب) [ابنا بن ربعام] .

الأسباط من بنى إسرائيل خمسمائة ألف رجل . وأن ابنه « انتيا بن إبيا » كان معه من بنى يهوذا خاصة ثلاثمائة ألف مقاتل ومن بنى بنيامين خاصة[٣٣٢] اثنين وخمسين ألف مقاتل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : البلد المذكور باق لم ينقص ولا صغرت أرضه . وَحَدُّه[٣٣٣] بإقرارهم فى الجنوب « غزة » و« عسقلان » و« رفح[٣٣٤]» وطرف[٣٣٥] من جبال الشراة — بلد « عيسو » ، ولا خلاف بينهم فى أنهم لم يملكوا قط قرية فما فوقها من هذه البلاد ، وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها محاربين مرة لبنى إسرائيل ومرارًا عليهم . وحد ذلك البلد فى الغرب[٣٣٦]: البحر الشامى . وحدّه فى الشمال : « صور » و« صيدا » وأعمال « دمشق » التى لا يختلفون فى أنهم لم يملكوا قط منها مضرب وتد ، وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها محاربين لهم ، فمرة عليهم ومرة لهم ، وفى أكثر ذلك يملكون بنى إسرائيل ويسومونهم سوء العذاب ، ومرة يخرج بنو إسرائيل عن ملكهم فقط ، وحدّ البلد المذكور فى الشرق بلاد « مواب » و« عمون » وقطعة من صحراء العرب التى هى الفلوات والرمال ، ولا خلاف بينهم فى أن نصّ توراتهم أن الله تعالى قال لموسى وبنى إسرائيل : (إلى هنا[٣٣٧] لا تحاربوا بنى « عيسو » ، ولا « بنى مواب » ، ولا « بنى عمون » فإنى لم أورثكم من بلادهم وطأة[٣٣٨] قدم فما فوقها ، لأنى قد ورثت بنى عيسو ، وبنى لوط هذه البلاد ، كما ورثت بنى إسرائيل تلك التى وعدتهم بها ، وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها يحاربونهم ، فمرة يملكهم « بنو عمون » و« بنو مواب » ، ومرة يخرجون عن رقهم فقط ، وطول بلاد بنى إسرائيل المذكورة بمساحة الحلفاء[٣٣٩] المحققة من « عقبة أفيق[٣٤٠]» ، وهى على أربعة وخمسين ميلًا من دمشق إلى **طبرية** ، ثمانية أميال ، وهى « **جبل أفرايم** » إلى الطور اثنى عشر ميلًا ، إلى « **اللجون**[٣٤١]» اثنى عشر ميلًا ، إلى **علمين**[٣٤٢]» عندهما ينقطع عمل الأردن ،

(٣٣٢) فى (أ ، ب) سقط الكلام من [ابنه انتيابن ابيا إلى بنيامين خاصة] .
(٣٣٣) وفى (خ) [حدة] .
(٣٣٤) وفى (أ ، ب) [رجح] .
(٣٣٥) وفى (أ ، ب) [وطرق] .
(٣٣٦) وفى (أ ، ب) : فى [القرب] بالقاف .
(٣٣٧) فى (خ) سقطت [إلى هنا] .
(٣٣٨) فى النسخة (ب) [وطاءة] (سفر التثنية — الإصحاح الثانى — الفقرات من ٤ — ١٥) .
(٣٣٩) [الحلفاء] وهى النبات المعروف الذى ينبت على شواطىء القنوات ، وفوق الجبال وفى (أ ، ب) [الخلفاء] بالخاء بدلًا من الحاء المهملة .
(٣٤٠) فى (أ ، ب) [أنيق] بالنون بدلًا من الفاء .
(٣٤١) اللجون : بلد بالأردن ، بينه وبين « طبرية » عشرون ميلا ، وفى « اللجون » صخرة مدورة فى وسط المدينة ، وعليها قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم عليه السلام وتحت الصخرة عين غزيرة الماء ، وذكروا أن إبراهيم عليه السلام دخل هذه المدينة فى وقت مسيره إلى مصر ، ومعه غنم له ، وكانت المدينة قليلة الماء ، فسألوا إبراهيم أن يرتحل عنهم لقلة الماء ، فيقال : إنه ضرب بعصاه هذه الصخرة فخرج منها ماء كثير ، واللجون أيضا : موضع فى طريق مكة من الشام قرب « تيماء » معجم البلدان : ٥ — ١٣ ، ١٤) .
(٣٤٢) علمين : علمان من قرى زمار باليمن ، ويضاف إليها «،ذو » فيقال « وذو علمان » (المرجع السابق — ٤ : ١٤٧) .

ومبدأ عمل فلسطين ميل واحد ، إلى **الرملة**[٣٤٣] نحو أربعين ميلًا ، إلى عسقلان ثمانية عشر ميلًا . وموضع الرملة هو كان آخر عمل بنى اسرائيل . فذلك ثلاثة وسبعون ميلًا . وعرضه من البحر الشامى إلى أول عمل **جبل الشراة** ، وأول عمل مواب ، وأول عمل « **عمان** » ، نحو ذلك أيضا . وعمل صغير شرقى الأردن يسمى « الغور » فيه مدينة « **بيسان**[٣٤٤] » يكون أقل من ثلاثين ميلًا فى ثلاثين ميلا ولا يزيد ، وكان هذا العمل الذى بشرقى الأردن بزعمهم وقع لبنى رءوبين و« بنى جاد[٣٤٥] » ونصف بنى منسى[٣٤٦] ابن **يوسف عليه السلام** ، لأنه كان يصلح لرعى المواشى وكان هؤلاء أصحاب بقر وغنم .

فاعجبوا لهذا الكذب الفاحش المفضوح ، وهذا المحال الممتنع أن تكون المسافة المذكورة تقسم أرضها على عدد يكون أبناء العشرين منهم فصاعدًا خاصة أزيد من ستمائة ألف فأين من دون العشرين ؟ وأين النساء ؟ والكل بزعمهم أخذ سهمه من الأرض المذكورة ليعيش من زرعها وثمرتها ، واعلموا أنه لا يمكن ألبتة أن يكون فى المساحة المذكورة على أن تكون مساحة كل قرية ميلًا فى ميل ، مزارعها ومشاجرها إلا ستة آلاف قرية ومائتى قرية ، هذا على أن يكون جميع العمل المذكور عمرانًا متصلًا ، لا مرج فيه ولا شجر ، ولا أرض محجرة لا تعمر ، ولا أرض مرملة كذلك ، ولا سبخة ملح كذلك ، وهذا محال أن يكون . فعلى هذا يقع لكل قرية من الرجال المذكورين مائة رجل أو نحو ذلك ، سوى من هو دون العشرين منهم[٣٤٧] ، وسوى النساء ، ولا سبيل ألبتة على هذا أن يدركوا فيها المعاش ، وهذا كذب لا خفاء به ، لاسيما إذ بلغوا ألف ألف مقاتل وخمسمائة مقاتل ، سوى من لا يقاتل ، وسوى النساء .

أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح فى قوله تعالى حاكيًا عن فرعون أنه قال إذ تبع بنى إسرائيل : « **إِنَّ هؤلاءِ لشِرْذِمَةٌ قليلُون**[٣٤٨] » .

---

(٣٤٣) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، وكانت رباطا للمسلمين ، وهى كورة فلسطين وكانت دار ملك « داود » و « سليمان » واستنقذها « صلاح الدين » سنة ٥٨٣ هـ من الفرنجة ، وقد خرَّبها خوفا من الاستيلاء عليها مرة أخرى ، والرملة أيضا محلة خربت نحو شاطىء دجلة . والرملة : قرية لبنى عامر من بنى عبد القيس بالبحرين ، وينسب إلى رملة فلسطين أبو خالد يزيد بن خالد الرملى الهمدانى (المرجع السابق حـ ٣ : ٦٩ ، ٧٠) .

(٣٤٤) بيسان : هى مدينة فى الأردن بالغور الشمالى ، ويقال لها لسان الأرض ، وهى بين حوران وفلسطين ، وتوصف بكثرة النخل ، وبيسان أيضا موضع فى جهة خيبر بالمدينة ، قال رسول الله ﷺ فى غزاة ذى قرد على ماء يقال له بيسان، فسأل عن اسمه فقالوا يا رسول الله اسمه بيسان وهو ملح فقال ﷺ : بل هو نعمان ، وهو طيب ، فاشتراه طلحة وتصدق به . و « بيسان » أيضا موضع معروف بأرض اليمامة . و « بيسان » أيضا قرية من قرى الموصل (معجم البلدان – ١/٥٢٨) .

(٣٤٥) فى النسخة (أ) [جادا] .

(٣٤٦) فى (أ) [بنى منشا] .

(٣٤٧) فى (أ ، ب) [بينهم] .

(٣٤٨) سورة الشعراء : ٥٤ .

هذا الذى لا يجوز غيره ، ولا يمكن سواه أصلاً .

وكذبة أخرى : وهى أنهم ذكروا فى كتاب « **يوشع** » : أن البلد المذكور كان فيه من المدن فى سهم بنى يهوذا مائة مدينة وأربعة مدن[٣٤٩]، وفى سهم بنى شمعون سبع عشرة مدينة . وفى سهم بنيامين ثمان وعشرون مدينة[٣٥٠]، وفى سهم بنى زبلون اثنتا عشرة مدينة[٣٥١]، وفى سهم بنى نفتالى تسع عشرة[٣٥٢] مدينة . وفى سهم بنى دان ثمانى عشرة مدينة[٣٥٣] فذلك مائتا مدينة ، واثنتان وست وثلاثون مدينة . قال فى الكتاب المذكور — سوى قراها » لا يحصيها إلا الله عزّ وجل .

وذكر فيه أنه وقع لنصف « بنى منسى[٣٥٤]» بن يوسف بشرق الأردن « باشان[٣٥٥]» وعملها ، وأن مدائنهم المحصنة ستون مدينة سوى قراها لا يحصيها إلا الله . فالمجتمع من هذه المدن المذكورة ثلاثة مائة مدينة غير أربع مدن ، ولم يذكر عدد مدائن بنى « رءوبين » ولا عدد مدائن بنى عاد ، ولا عدد مدائن نصف بنى منَسّى الذى بغرب الأردن ، ولا مدائن بنى أفرايم .

وهذه الأسباط التى لم تذكر مدنها تقع على ما توجبه تواريثهم فى الربع من جميع بنى إسرائيل ، يقع لهم على هذا الحساب نحو مائة مدينة . إذا ضمت إلى العدد الذى ذكرنا فتمام الجميع نحو أربعمائة مدينة . فاعجبوا لهذه الشهرة أن تكون البقعة التى قد ذكرنا مساحتها على قلتها وتفاهتها تكون فيها هذه المدن . وقد ذكر أن نصف سبط بنى منسى الذين وقعوا بشرقى الأردن ، ووقع فى خطهم ستون مدينة كانوا ستة وعشرين ألف رجل مقاتلين كلهم ليس فيهم ابن أقل من عشرين سنة[٣٥٦]. والعمل باق إلى اليوم لعله إثنى عشر ميلا فى مثلها ، ما رأيت أقل

---

(٣٤٩) سفر يشوع – الإصحاح ١٥ الفقرات من ١ – إلى آخر الإصحاح .

(٣٥٠) فى سفر يشوع – الإصحاح ١٨ – « وكانت مدن سبط بنى بنيامين حسب عشائرهم . . . . . ست عشرة مدينة مع ضياعها . . ثم أربع عشرة مدينة مع ضياعها فيكون المجموع كما فى هذا النص ٣٠ ثلاثين مدينة لا ثمان وعشرين مدينة كما ذكر ابن حزم (راجع الإصحاح المذكور الفقرات من ٢١ – إلى آخر الإصحاح) .

(٣٥١) سفر يشوع – (الإصحاح ١٩ – الفقرات من ١٠ – ١٦) .

(٣٥٢) سفر يشوع – (الإصحاح ١٩ – الفقرات من ٣٢ – ٣٩) .

(٣٥٣) سفر يشوع – الإصحاح ١٩ – الفقرات من ٤٠ إلى آخر الإصحاح .

(٣٥٤) فى النسخة (أ) [بنى منشا] .

(٣٥٥) سفر يشوع – الإصحاح ١٧ .

(٣٥٦) النص كما فى التوراة : « ولنصف سبط منسّى أعطى موسى فى ناشان ، وأما نصفه الآخر فأعطاهم يشوع مع إخوتهم فى عبر الأردن غربا ، وعندما ما صرفهم يشوع أيضا إلى خيامهم باركهم . . . الخ (سفر يشوع – الإصحاح ٢٢ – الفقرات من ٧ – إلى آخر الإصحاح) .

حياء من الذى كتب لهم تلك الكتب المرذولة ، وسخم بها وجوههم . ونعوذ بالله من الضلال .

« فصـــل »

ويتصل بهذا الفصل فصل آخر هو أشنع منه فى شهرة الكذب وشنعة المحال ، وظهور التوليد ، وبشاعة الافتعال :

ذكر فى صدر السفر الثانى إذ ذكر خروج بنى إسرائيل عن مصر مع موسى عليه السلام : أن الله تعالى أمر موسى أن يعد بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر بسنة واحدة ، وشهر واحد فقط ، فعدّ جميع قبائلهم فقال : هؤلاء أكابر البيوت فى قبائلهم « حنوك » و« فلو » و« **حصرون** » و« **كرمى** » وهم بنو « **رؤوبين** » بكر ولد « **إسرائيل** » ، هذه قبائل « رؤوبين[٣٥٧] » .

وذكر فى أول السفر الرابع : أن مُقدّمهم كان « **اليصور بن شديئور** » ، وأن عددهم كان ستة وأربعين ألف رجل ، لم يعدّ فيهم[٣٥٨] من له أقل من عشرين سنة ولا من لا يطيق الحرب .

وذكر فى صدر السفر الثانى فقال : « **وبنو شمعون** » « **يموئيل**[٣٥٩] » ، و« **يامين** » و« **أوهد** » و« **ياكين** » و« **صوحر** » و« **شأول** » بن الكنعانية . هذه قبائل شمعون .

وذكر فى أول السفر الرابع : « أن مُقدَّمهم كان **شلو ميئيل** بن صور يشداى » . وأن عددهم كان تسعة وخمسين ألف رجل ، لم يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة ، ولا من لا يطيق الحرب[٣٦٠] .

وقال فى صدر السفر الثانى : هذه تسمية بنى لاوى فى قبائلهم « جرشون » و« قهاث[٣٦١] » و« مرارى » و« ابنا جرشون » و« لبنى » و« شمعى » فى قبائلهم ، و« بنو

(٣٥٧) فى النسخة (ب) [روابين] (راجع سفر التكوين - الإصحاح ٤٦ - الفقرات من ٨ - ١٠) .
(٣٥٨) فى (أ ، ب) [لم يعد منهم] (راجع سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات ٥ ، ١٨ ، ٢١) .
(٣٥٩) فى (خ) [يموال] (راجع سفر التكوين - الإصحاح ٤٦ - الفقرات من ١٠ - ١١) .
(٣٦٠) راجع سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات : ٦ ، ٢٢ ، ٢٣) .
(٣٦١) فى النسخة (ب) [قهات] بالتاء المتناة بدلًا من التاء المثلثة (راجع سفر التكوين ٤٦ الفقرات ١١) .

قهاث » : « عمرام » و« يصهار » و« حبرون » و« عزيئيل » . وابنا مرارى : « محلى » و« موشى » . هذه أنساب بنى لاوى فى قبائلهم . فتزوج « عمران » « يوكابد » عمته ، فولدت له « موسى » و« هارون » وبنو يصهار : « قورح » و« نافج » و« ذكرى » وبنو قورح : « أشير[٣٦٢] » و« القانة » و« أبياساف » . وبنو عزيئيل : « ميشائيل » و« الصافان » ، و« سترى » . فتزوج « هارون » إلى « يشيع[٣٦٣] » بنت « عميناداب » أخت نخشون ، فولدت له « ناداب » و« أبيهوا » و« العازار » و« إيثامار » فتزوج « العازار » بن هارون فى بنات بنى « فوطيئيل[٣٦٤] » فولدت « فيحاس[٣٦٥] » .

وقال فى صدر السفر الرابع : فكلم السيد موسى فى مغار سينا ، وقال له : عدّ بنى لاوى فى بيوت آبائهم وأهاليهم ، فكل ذكر ابن شهر فصاعدًا حسبهم موسى كما عهد إليه السيد فوجد ولد « لاوى » على أسمائهم مسمين : « جرشون » و« قهاث » و« مرارى » . وولد جرشون « لبنى » و« شمعى » . وولد « قهاث » « عمرام » و« يصهار[٣٦٦] » و« عزيئيل » . وولد مرارى : « محلى » و« موشى » . وأنه عدّ عامة ذكور بنى « جرشون » ابن شهر فصاعدا فكانوا ستة آلاف[٣٦٧] وخمسمائة ، كانوا فى ساقة القبة فى الغرب تحت أيدى « الياساف » ابن « لايل[٣٦٨] » . وبعد ذلك ذكر أنه حسب ألفى رجل وستمائة رجل ، وثلاثين رجلًا . ثم قال : هذه نسبة « قهاث » خرج منه رهط « عمرام » و« يصهار » و« حبرون » و« عزيئيل » فحسب من كان منهم ذكرًا ابن شهر فصاعدًا ، فوجدهم ثمانية آلاف رجل وستمائة ذكر مقدّمهم « لصافان[٣٦٩] » ابن « عزيئيل » المذكور . وأمرهم أن يكونوا فى جنوب القبة[٣٧٠]. حاش موسى و« هارون » وأولادهما ، فإنهم يكونون أمام القبة فى الشرق ، وأنه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة إلى ابن خمسين سنة فقط فوجدهم ألفى رجل وسبعمائة رجل وخمسين رجلًا . وذكر أنه حسب بنى مرارى « محلى » و« موشى » بنى مرارى ومن كان منهم ابن شهر فصاعدًا من الذكور فوجدهم ستةآلاف ومائتين مقدّمهم : « صوريئيل » ابن « أبيحايل[٣٧١] » وأمرهم أن يكونوا فى شمال القبة ،

(٣٦٢) فى النسخة (ب) [أسير] بالسين المهملة .
(٣٦٣) فى (أ ، ب) [اليشابع] .
(٣٦٤) فى (خ) [أبو طيبال] بدلًا من [بنى فوطيئيل] .
(٣٦٥) راجع سفر الخروج - (الإصحاح السادس الفقرات من ١٤ - ٢٦) .
(٣٦٦) فى التوراة : « وحبرون » فولد « قهاث » أربعة لا ثلاثة كما فى سفر العدد الذى أشار إليه ابن حزم (راجع سفر العدد - الإصحاح الثالث - الفقرة ١٩) .
(٣٦٧) فى التوراة الحالية : « سبعة آلاف وخمسمائة » لا ستة آلاف كما ذكر ابن حزم (راجع السفر السابق - الإصحاح الثالث - الفقرة ٢٣) .
(٣٦٨) راجع سفر العدد - (الإصحاح الثالث - الفقرات من ١٤ - ٢٥) .
(٣٦٩) فى النسخة (ب) [ليصافان] .
(٣٧٠) راجع المرجع السابق - (الفقرات من ٢٧ - ٣٢) .
(٣٧١) راجع المرجع السابق - (الفقرات من ٣٣ - ٣٦) .

وأنه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة فصاعدًا إلى خمسين سنة فوجدهم ثلاثة آلاف رجل ، ومائتى رجل . وبعد أن ذكر من كان من بنى لاوى ابن شهر فصاعدًا من الذكور كما أوردنا قال : فجميع اللاويين(٣٧٢) الذين حسب موسى وهارون من كل ذكر من ابن شهر فصاعدًا اثنان وعشرون ألفًا .

وأن السيد أوحى إلى موسى : احسب بكور ذكور ولد إسرائيل المذكور(٣٧٣) من ابن شهر فصاعدًا ، وتأخذ لى اللاويين عن بكور جميع ولد إسرائيل فعدَّ موسى بكور ولد بنى إسرائيل الذكور(٣٧٤) من ابن شهر فصاعدًا فوجدهم اثنين وعشرين ألفًا ، ومائتين وثلاثة وسبعين(٣٧٥). فقال السيد لموسى : خذ « بنى لاوى » عن بكور ذكور ولد إسرائيل ليكون « بنى لاوى » لى ، وعن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين عن عدد بنى لاوى ، تأخذ عن كل واحد خمسة أثقال بوزن الهيكل ، فأخذ موسى دراهم الزائدين فبلغت ألفًا وثلاثمائة وخمسة وستين ثقلًا ، وأعطاها لهارون وولده على ما عهد عليه السيد(٣٧٦).

ثم ذكر فى سفر « يوشع » أن « العازار بن هارون » بنفسه أتى إلى « يوشع بن نون » إذ فتحت الأرض المقدسة ، وكلمه فى أن يعطى « بنى لاوى » مدائن للسكنى ففعل . وأنه وقع لبنى هارون خاصة ثلاث عشرة مدينة من مدائن بنى « يهوذا » و« بنيامين » و« شمعون » . وأنه وقع لسائر بنى « قاهات » ابن « لاوى » عشر مدائن من مدائن(٣٧٧) بنى دان وبنى أفرايم ، ونصف سبط منسى(٣٧٨) الذين مع سائر الأسباط ، وأنه وقع لبنى جرشون بن لاوى ثلاث عشرة مدينة من مدائن « يساخر(٣٧٩) » ، و« أشار(٣٨٠) » ، و« نفتالى » ونصف سبط « منسى » الذى بشرق الأردن . وأنه وقع لبنى مرارى بن لاوى اثنتى عشرة مدينة من مدائن بنى زابلون ، وبنى رؤوبين ، وجاد بن يعقوب بشرق الأردن فذلك لبنى لاوى ثمان وأربعون مدينة(٣٨١).

وذكر فى السفر الرابع : أنه أحصى أيضًا بنى جاد بن يعقوب الرجال خاصة من كان منهم

---

(٣٧٢) فى النسخة (ب) [اللاوايين] .
(٣٧٣) فى النسخة (أ) [الذكور] بدون ميم .
(٣٧٤) فى النسخة (ب) [المذكور] .
(٣٧٥) سفر العدد (الإصحاح الثالث - الفقرات من ٤٠ - ٤٣) .
(٣٧٦) راجع سفر العدد - (الإصحاح الثالث ، الفقرات من ٤٤ - ٥١) .
(٣٧٧) فى (أ ، ب) سقطت [من مدائن] .
(٣٧٨) فى النسخة ب (أ) [منشا] .
(٣٧٩) فى النسخة (ب) [يساخار] .
(٣٨٠) فى النسخة (ب) و [أشير] .
(٣٨١) راجع سفر يشوع - (الإصحاح ٢١ الفقرات من ١ - ٧) .

ابن عشرين سنة فصاعدًا ، المبارزين للحرب فوجدهم خمسة وأربعين ألف رجل وخمسين[٣٨٢] رجلًا ، مقدمهم « ألياساف بن رعوئيل » وأنه أحصى بنى « يهوذا » الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة فوجدهم أربعة وسبعين ألفًا وستمائة رجل[٣٨٣]، وقد ذكر قبل وبعد أن هذا العدد كله إنما هم من ولد « شيلة » ، و« فارص » و« زارح » بنى يهوذا فقط ، مقدمهم « نحشون » بن عميناداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن إسرائيل .

وأنه أحصى بنى يساكر[٣٨٤] الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم أربعة وخمسين ألف رجل وأربعمائة رجل ، مقدمهم « نثنائيل ابن صوغر[٣٨٥]» ، وأنه أحصى « بنى زبلون » الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة فوجدهم سبعة وخمسين ألف رجل وأربعمائة رجل ، مقدمهم « ألباب بن حيلون[٣٨٦]» ، وأنه حسب بنى « يوسف » عليه السلام الذكور خاصة ، من كان منهم ابن عشرين فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم اثنين وسبعين ألف رجل وسبعمائة رجل منهم من ولد « أفرايم بن يوسف » أربعون ألف رجل ، وخمسمائة رجل ، ومقدمهم « اليشمع[٣٨٧] بن عميهود » ومن ولد « منسى[٣٨٨]» بن يوسف اثنان وثلاثون ألف رجل ، ومائتا رجل ، مقدمهم « جمليئيل بن فدهصور[٣٨٩]» ، وأنه حسب بنى « بنيامين » الذكور خاصة ، من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة فكانوا خمسة وثلاثين ألف رجل ، وأربعمائة رجل مقدّمهم « أبيدن بن جدعونى[٣٩٠]» . وأنه حسب « بنى دان » الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا من المبارزين للحرب خاصة فكانوا : اثنين وستين ألف رجل وسبعمائة رجل ، مقدمهم « أخيعزر بن عميشداى » وكلهم من ولد « حوشيم ابن دان[٣٩١]» وأنه حسب « بنى أشير » الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا من

(٣٨٢) الذى فى السفر الرابع سفر العدد أن عدد بنى جاد خمسة وأربعون ألفا وستمائة وخمسون (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٢٤ - ٢٥) و (الإصحاح الثانى ١٤ ، ١٥) .
(٣٨٣) راجع (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٢٦ ، ٢٧) .
(٣٨٤) فى (أ) [يساكر] .
(٣٨٥) فى (أ) : [منشا] .
(٣٨٦) سفر العدد ، الإصحاح الأول - الفقرات (٣٠ ، ٣١) والإصحاح الثانى (٧ ، ٨) .
(٢٨٧) فى (خ) : (اليسماع] .
(٢٨٨) سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٢٨ ، ٢٩ ، والإصحاح الثانى (٥) .
(٣٨٩) راجع (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٣٣ - ٣٥) و (الإصحاح الثانى : ١٨ ، ١٩ ، ٢١) .
(٣٩٠) راجع (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات ٣٦ ، ٣٧) و (الإصحاح الثانى : ٢٢ - ٢٤) .
(٣٩١) راجع (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات ٢٨ ، ٢٩) و (الإصحاح الثانى : ٢٥ - ٢٧) .

المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم واحدا وأربعين ألف رجل وخمسمائة رجل ، مقدمهم « فجعيئيل ابن عكران[٣٩٢]» وأنه حسب « بنى نفتالى » من كان منهم من الذكور خاصة ابن عشرين فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم ثلاثة وخمسين ألف رجل وأربعمائة رجل ، مقدمهم « أخيرع ابن عينن[٣٩٣]» وأن هذا الحساب كان بعد عام واحد وشهر واحد من خروجهم من مصر حاش قسمة المدائن المذكورة ، وأنها بعد دخولهم فلسطين والأردن .

فليتأمل كل ذى تمييز صحيح من الخاصة والعامة هذا الكذب الفاحش الذى لا خفاء به ، والمحال الممتنع ، والجهل المفرط الموجب كل ذلك ضرورة أنها كتب محرفة مبدّلة من تحريف فاسق سخر بهم ، وأنها لا يمكن ألبتة أن تكون من عند الله ، ولا من عند نبى ، ولا من عمل صادق اللهجة .

فمن ذلك إخباره : بأن رجال « بنى دان » كانوا إذ خرجوا من مصر اثنين وسبعين ألفًا وسبعمائة رجل ، لم يعد فيهم من كان منهم ابن أقل من عشرين سنة ، ولا من لا يطيق البروز للحرب ، ولا النساء ، وأنهم كلهم راجعون إلى « حوشيم بن دان » وحده . ولم يكن « لدان » بإقرارهم ولد غير « حوشيم » مع قرب أنسابهم من « حوشيم » ، لأن فى نصٍّ توراتهم : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : أن الجيل الرابع من الأولاد يرجعون إلى الشام ، فاضبطوا هذا يظهر لكم الكذب علانية لا خفاء به ، وأن « بنى يهوذا » كانوا أربعة وسبعين ألفًا وستمائة رجل ، ليس يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة ، وكلهم راجعون كما ذكرنا إلى ثلاثة أولاد ليهوذا لم يعقب له غيرهم . وفى الحياة يومئذ رئيسهم : « نحشون » بن عميناداب بن أرام[٣٩٤] بن حصرون بن فارص ابن يهوذا . وأن « بنى يوسف » عليه السلام : كانوا اثنين وسبعين ألف رجل ، وسبعمائة رجل ، ليس يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة وكلهم راجع إلى « أفرايم » و« منسى » لم يعقب ليوسف غيرهما ، وفيهم يومئذ فى الحياة « صلفحاد ابن حافر بن جلعاد بن منسى بن يوسف » عليه السلام .

وقد ذكر أيضًا فى توراتهم أولاد « أفرايم » فلم يجعل له إلا ثلاثة ذكور ، ولم يجعل « لمنسى » إلا ولدين . وذكر أولاد « جلعاد » المذكور ابن « منسى » ولم يجعل له إلا ستة ذكور فقط ، فاجعلوا « لمنسى » و« أفرايم » أقصى ما يمكن أن يكون للرجل من الأولاد ، ثم لجلعاد وإخوته وبنى

---

(٣٩٢) راجع (سفر العدد – الإصحاح الأول – الفقرات ٤٠ ، ٤١) و (الإصحاح الثانى : ٢٧ – ٢٩) .
(٣٩٣) راجع (سفر العدد – الإصحاح الأول – الفقرات ٤٢ ، ٤٣) و (الإصحاح الثانى : ٢٩ – ٣١) .
(٣٩٤) فى النسخة (أ) [رام] .

عمه مثل ذلك . ثم « لحافر » وطبقته مثل ذلك . وانظروا هل يمكن أن يبلغ ذلك ثلث هذا العدد . والأمر فى ولد « دان » أفحش من سائر ما فى ولد إخوته ، وإن كان الكذب فى كل ذلك فاحشا ، لأن البضع والسبعين ألف رجل وزيادة لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة ، يرجعون إلى ثلاثة من ولد « يهوذا » ، واثنين من ولد « يوسف » وأما الاثنان وستون ألف رجل ونيف لا يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة ، فإنما يرجع إلى واحد فقط لم يكن « لدان » غيره بلا خلاف منهم ، فكيف إذا أضيف إلى هذا العدد من له أقل من عشرين سنة من الرجال ؟ والأغلب أنهم قريب من عدد المتجاوزين عشرين سنة أو أقل بيسير ، وجميع النساء والأغلب أنهن فى عدد الرجال أو قريبًا من ذلك ، فيجتمع من ولد « حوشيم بن دان » وحده فى مدة مائتى عام وسبعة عشر عامًا نحو مائة ألف وستين ألف إنسان .

هذا المحال الممتنع الذى لم يكن قط فى العالم على حسب بنيته ورتبته[٣٩٥].

ويجتمع من ولد « يوسف » عليه السلام على هذا أرجح من مائتى ألف إنسان ومن ولد « يهوذا » نحو ذلك ، وليس يمكنهم أن يقولوا إن الطبقات من الولادات كانت كثيرة جدًا لوجهين :

أحدهما : قوله فى توراتهم إن الجيل الرابع من الأولاد يرجعون إلى الشام .

والثانى : أن[٣٩٦] الذى ذكر أنسابهم من « بنى لاوى » ، و« بنى يهوذا » ، و« بنى يوسف » و« بنى رؤوبين » كانوا متقاربين فى التعداد[٣٩٧] « كموسى » و« هارون » و« مريم » بنى « عمران ابن فاهاث[٣٩٨] بن لاوى بن إسرائيل » . و« اليصافان بن عزيئيل ابن فاهاث بن لاوى بن إسرائيل » . وقورح وإخوته[٣٩٩] « بنو يصهار بن فاهاث بن لاوى ابن إسرائيل » . و« نحشون وإخوته[٤٠٠] بنو عميناداب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا ابن إسرائيل » . و« أحار بن كرمى بن سيداى ابن شيلة بن يهوذا بن إسرائيل » .

و« دابان » و« أبيرام » ابنا « الباب بن ملوكن بن روبان بن إسرائيل » وإخوتهم ، وأولادهم وأولاد أولادهم ، هذا نص ذكر أنسابهم فى توراتهم ، فوضح أن الأمر متقارب فى تعدادهم[٤٠١]، وظهر بهذا عظيم الكذب الفاحش فى الأعداد التى ذكروا ، ولا يمكنهم ألبتة أن يقولوا : إنه كان لإسرائيل غير من سمينا من الأولاد الإثنى عشر ، ولا أنه كان لأولاد إسرائيل المذكورين غير من سمينا

(٣٩٥) سقطت هذه الكلمة فى (أ) وفى (ب) [وتربيته] وهو تحريف ظاهر .
(٣٩٦) فى النسخة (أ) [أو] بدلا من (أن) .
(٣٩٧) فى النسخة (ب) [التعدد] .
(٣٩٨) فى النسخة (ب) [قاهاث] بالقاف المثناة .
(٣٩٩) فى النسخة (أ) [وأخواته] .
(٤٠٠) فى النسخة (أ) [وأخواته] .
(٤٠١) فى النسخة (ب) [فى تعددهم] .

من الأولاد ، وعددهم واحد وخمسون رجلًا فقط ، « لبنيامين » عشرة ، و« لجادا[٤٠٢] سبعة ، و« لشمعون » ستة . و« لرؤوبين » و« أشير » و« يساخر[٤٠٣]» و« نفتالى » لكل واحد منهم أربعة أربعة . و« ليهوذا » و« لاوى » و« زبلون » لكل واحد منهم ثلاثة ثلاثة . و« ليوسف » اثنان ولدان[٤٠٤].

فياللناس !! كيف يمكن أن يتناسل من ولادة واحد وخمسين رجلًا فقط فى مدة مائتى عام وسبعة عشر عاما فقط أزيد من ألفى ألف إنسان ؟

هذا غاية المحال الممتنع ، لأنه نص فى توراتهم : أنه انتسل منهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف رجل كلهم لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة . ولعلَّ من دون العشرين عامًا منهم يقاربون هذا العدد . ثم النساء ولعلهن نحو هذا العدد . فاعجبوا لهذه الفضائح . وقد رام بعض من صككت وجهه من علمائهم بهذه الفضيحة أن يلوذ بهذا الشغب . فقلت : دع عنك هذا التمويه فقد سدّت عليك توراتك كل المذاهب[٤٠٥]، لأن فيها — بعلمك[٤٠٦]— حيث ذكر خروجهم من مصر ، وحيث ذكر دخولهم إلى الشام ، وحيث ذكر قسمة الأرض عليهم فى سفر « يوشع » ذكر أفخاذ قبائلهم ، وتسمية أسباطهم اسمًا اسمًا ، فلم يزد على من سمينا ولا واحدًا .

فلو كان ما تقول : لكانت أيضًا قد كَذَبَتْ فى هذا الموضع إذ ذكرت بزعمك هذا ، قسمة الأرض ، ورتبة الجيوش ، وأعداد الأسباط بخلاف ما تزعم . فلابدَّ فيها من الكذب المتيقن كيفما تصرفت الحال ، فسكت خاسئًا .

فإن قيل : ألم يقل « يعقوب » إذ عرض عليه « يوسف » ابنه « أفرايم » و « منسى[٤٠٧]» فقال له « يعقوب » : « أفرايم » و « منسى » يكونان لى ، وينسبان إلىّ ، ومن ولد لك بعدهما ينسبان إليك .

قلنا : لا يخلو « يوسف » عليه السلام من أن لا يكون له ولد غيرهما ممّن أعقب خاصة ، كما نقول نحن ، وتشهد به نصوص توراتكم ، وجميع كتبكم ، أو يكون ليوسف ولد أعقب غير أفرايم و « منسى[٤٠٨]» ، فلو كان ذلك فكتبكم كلها كاذبة أولها عن آخرها من التوراة فما

---

(٤٠٢) فى النسخة (ب) [جاد] .
(٤٠٣) فى النسخة (ب) [يساكر] بالكاف .
(٤٠٤) فى النسخة (ب) [والدان واحد] بغير واو العطف ، وفى (خ) ولدان ولدا فى واحد] . ويبدو أن فى الكلام حذف والتقدير [ولدا فى يوم واحد] .
(٤٠٥) فى (خ) [كل الطرق] .
(٤٠٦) فى (ب) [بغلمك] بالغين بدلًا من العين المهملة .
(٤٠٧) فى النسخة (أ) [ومنشا] .
(٤٠٨) فى النسخة (أ) [ومنشا] وقد تكررت فيها على هذا النحو .

وراءها . لأنه فى كل مكان ذكر فيه رتبة معسكر الأسباط سبطا سبطا ، وعددهم إذ خرجوا من مصر ، وعددهم إذ دخلوا الشام ، وعددهم إذ أهدوا الكباش والعجول وحقاق[٤٠٩] الذهب . وعددهم إذ وقفوا على الجبلين للبركة واللعنة ، وعددهم إذ نقشت أسماؤهم فى الفصوص المرتبة على صدر هارون فى أزيد من ألف موضع فى سائر كتبهم . ولم يذكر ليوسف إلا سبطين فقط ؛ سبط « منسّى » ، وسبط « أفرايم » فبطل الاعتراض بذلك الكلام المذكور . وبالله التوفيق .

وقد علم كل من يميز من الرجال والنساء أن الكثرة الخارجة من الأولاد لم توجد فى العالم لصعوبة الأمر فى تربية أطفال الناس ولكون الإسقاط فى الحوامل ، ولإبطاء حمل المرأة بين بطن وبطن ، ولكثرة الموت فى الأطفال .

فهذه أربع عوارض قواطع دون الكثرة الخارجية فى الأولاد للناس ، ثم كون الإناث فى الولادات أيضًا . ولو طلبنا أن نعد من عاش له عشرون ولدًا فصاعدا من الذكور وبلغوا الحلم فما وجدناهم إلّا فى الندرة ، ثم فى القليل من الملوك وذوى اليسار المفرط الذين تنطلق أيديهم على[٤١٠] الكثير من النساء والإماء ، ثم على الخدام اللواتى هن العون على التربية والكفاية . وعلى كثرة المال الذى لا يكون المعاش إلّا به ، وأمّا من لا يجد إلا الكفاف[٤١١] وفوقه مما لا يبلغ الإكثار من الوفر ، ولا يقدر إلّا على المرأة والمرأتين ونحو ذلك ، فلا يوجد هذا فيهم ألبتة بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك أصلًا لهم لما ذكرنا آنفًا من القواطع الموانع ، وقد شاهدنا الناس وبلغتنا أخبار أهل البلاد البعيدة ، وكثر بحثنا عما غاب عنا منا ، ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة فى أخبار من سلف من عرب وعجم فى كثير من الأمم ، فما وجدنا فى كل[٤١٢] ذلك المعهود من عدد أولاد الذكور فى المكثرين الذين يتحدث بهم عند كثرة الولد إلّا من أربعة عشر ذكرا فأقل ، وأمّا ما زاد إلى العشرين فنادر جدًّا .

هذه الحال فى جميع بلاد أهل الإسلام ، والذى بلغنا عن ممالك النصارى إلى أرض الروم ، وممالك الصقالبة[٤١٣] والترك والهند والسودان قديما وحديثا ، وأما الثلاثون فأكثر فما بلغنا ذلك إلّا عن نفر يسير عمن سلف . منهم « **أنس بن مالك**[٤١٤] الأنصارى » ، وخليفة **ابن أبى السعدى** ، **وأبو بكرة** ، فإن هؤلاء لم يموتوا حتى مشى بين يدى كل واحد منهم مائة

---

(٤٠٩) فى (خ) [وجفان] بالجيم .
(٤١٠) فى النسخة (ب) [عن] .
(٤١١) فى النسخة (ب) [الكتاب] .
(٤١٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [كل] .
(٤١٣) فى (ب) : « الصقالية » بالياء .
(٤١٤) هو : أنس بن مالك الأنصارى الخزرجى ، أبو ثمامة صاحب رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ وخادمه ، ولد بالمدينة عام ١٠ هـ وأسلم صغيرا ، وخدم النبى ﷺ إلى أن قبض ، ثم رحل إلى دمشق والبصرة فمات بها سنة ٩٣ هـ وقد مشى أمامه مائة رجل من ولده يرجعون نسبهم إليه ، من ذكور ولده ، وولده خاصة (راجع جمهرة أنساب العرب ص ٣٥١) .

ذكر من ولده . **وعمر بن عبد الملك**[٤١٥] فإنه كان يركب معه ستون رجلًا من ولده ، وجعفر ابن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، فإنه عاش له أربعون ذكرًا من ولده سوى أبنائهم ، وعبد الرحمن بن الحكم بن هشام[٤١٦] بن عبد الرحمن ابن معاوية فإنه ولد له خمسة وأربعون ذكرًا عاش منهم نيف وثلاثون ، وموسى بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فإنه بلغ له منهم مبلغ الرجال واحد وثلاثون ابنًا ذكورًا كلهم ، وكان أبوه أميرًا على اليمن مرة قائمًا ومرة واليًا للمأمون ، ووصيف مولى المعتصم التركى كان له خمسة وخمسون ذكرًا بالغين من ولده الأدنين ، و « تامرت » مولى بن مناد صاحب « طرابلس » فإنه كان يركب معه[٤١٧] ثمانون ذكرًا من أولاده الأدنين ، إلا أن هذا كان يغتصب كل امرأة أعجبته من أمة أو حرة ويولدها ، ورجل من ملوك البربر من « بنى دمر » معتزلى كان يركب معه مائتا فارس من ولده وولد ولده ، وتميم[٤١٨] بن زيد بن يزيد بن يعلى بن محمد العرنى ، فإنه بلغنا أنه كان له نيف وخمسون ذكرًا بالغين وكان ملك بنى نفر ممن[٤١٩] ملك بلادًا عظيمة . وأبو النهار ابن زيرى[٤٢٠] بن منكاد فكان يركب معه ثلاثون ذكرًا من ولده الأدنين . ومرزوق بن أشكر ابن الثغرى بجهة « لارده » — فكان يركب معه ثلاثون فارسًا من ولده الأدنين . وبلغنا عن ملك من ملوك الهند أنه كان له ثمانون ولدًا ذكرًا بالغون .

وتذكر اليهود فى تواريخهم أن رئيسًا كان يدبر أمرهم كلهم يسمى « جدعون بن بواش » من بنى منسى[٤٢١] بن يوسف عليه السلام كان له سبعون ولدًا ذكورًا ، وأن آخر من مدبريهم[٤٢٢] أيضًا من سبط منسى يسمى « بايين بن جلعاد » كان له اثنان وثلاثون ولدًا ذكورًا ، وآخر من مدبريهم اسمه « عبدون بن هلال » من بنى أفرايم بن يوسف كان له أربعون ابنًا ذكرًا بالغون . وآخر من مدبريهم من سبط يهوذا اسمه « أفصان » من سكان بيت لحم كان له ثلاثون زوجة ، وثلاثون ابنًا ذكورًا ، وثلاثون بنتًا . وتزعم الفرس أن « جودرز » الملك على كرمان كان له تسعون

---

(٤١٥) هو : ابن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج المعروف بابن ملاك ، أحد من ولى الإسكندرية ، استخلفه بها محمد ابن هبيرة ، قتله أنصاره فى قصره بالاسكندرية عام ٢٠٠ هـ (الأعلام) .

(٤١٦) عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية : رابع ملوك بنى أمية فى الأندلس ولد فى طليطلة عام ١٧٦ هـ ، وكان أبوه واليا فيها قبل ولايته ، وبويع بقرطبة سنة ٢٠٦ هـ وهو أول من جرى على سنن الخلفاء فى الزينة والشكل وترتيب الخدمة ، كان مطلعا على علوم الشريعة ، وبعض فنون الفلسفة ، توفى بقرطبة عام ٢٣٨ هـ وقد ولد له مائة ولد ، وخمسون أنثى (جمهرة أنساب العرب ص ٩٨) (والأعلام : للزركلى) .

(٤١٧) فى (ب) : ومعه .

(٤١٨) فى (ب) : وتيم .

(٤١٩) فى النسخة (ب) [من] . وفى (خ) [بنى يفرن] .

(٤٢٠) فى (خ) [وأبو البهار بن زيرى بن مناد] .

(٤٢١) فى (أ) : [بنى منشا] .

(٤٢٢) فى (أ ، ب) [منهم] .

ابنًا ذكورًا بالغون . فإذا كانت هذه الصفة لم نجدها منذ نحو ثلاثة آلاف عام إلَّا فى أقل من عشرين إنسانا فى مشارق الأرض ومغاربها فى الأمم السالفة والخالفة ممن علت حاله ، وامتد عمره ، وكثرت أمواله وعياله ، فكيف يتأتى من هذا العدد ما لم يسمع بمثله قط فى الدّهر ، لا فى نادر ولا فى شاذ لبنى إسرائيل كافة بمصر ؟ وحالهم فيها معروفة مشهورة لا يقدر أحد على إنكارها ، وهى أنهم كانوا فى حياة يوسف عليه السلام فى كفاف من العيش أصحاب غنم فقط ، ولم يكونوا فى يسار فائض ، ثم كانوا بعد موت يوسف وإخوته عليه السلام فى فاقة عظيمة وعذاب ونصب ، وسخرة متصلة ، وذلٍّ راتب[٤٢٣]، وبلاء دائب ، وتعب زاهق ، يكاد يقطع عن الشبع ، فكيف عن الاتساع فى العيال ، والأشر[٤٢٤] فى الاستكثار من الولد ؟ فهذه كذبة عظيمة مطبقة فاضحة .

وثانية : وهى أن فى توراتهم أنهم كانوا ساكنين فى أرض « قوس » فقط وأن معاشهم كان من المواشى فقط .

وذكر فى توراتهم : أنهم إذ خرجوا من مصر خرجوا بجميع مواشيهم ، فاعجبوا أيها السامعون وتفكروا ما الذى يكفى ستمائة ألف وثلاثة آلاف لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة ، سوى النساء – للقوت والكسوة من المواشى ، ثم اعلموا يقينا أن أرض مصر كلها تضيق عن مسرح هذا المقدار من المواشى فكيف أرض قوص وحدها[٤٢٥]؟

وهم يقولون فى توراتهم : إن إبراهيم ولوطا عليهما السلام لم تحمل كثرة مواشيهم أرض واحدة ، ولا أمكنهما أن يسكنا معا ، فكيف بمواشٍ تقوّم بأزيد من ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان ؟ لقد كان الذى عمل لهم هذه الكتب الملعونة المكذوبة ضعيف العقل ، قليل الفكرة فيما يطلق به قلمه ، فهذه كذبة فاحشة ثانية عظيمة جدًّا .

وثالثة : أنه ذكر فى توراتهم أنهم كانوا كلهم يسخرون فى عمل (الطوب) وتالله إن ستمائة ألف طواب لكثير جدًا ، لا سيما فى « قوص » وحدها ، وليس يمكنهم أن يقولوا : إنهم كانوا متفرقين ، فإن توراتهم تقول غير هذا وتخبر أنهم كانوا مجتمعين ، ذكر ذلك فى مواضع جمة منها ، حيث أمرهم بذبح الخرفان ومس العنب بالدم ، ومنها حيث أباح لهم فرعون الخروج مع موسى عليه السلام ، فكانوا كلهم مجتمعين بمواشيهم يوم خروجهم . وهذه كذبة عظيمة ثالثة لاخفاء بها .

والرابعة : أنه ذكر « بنى لاوى » ثلاثة رجال فقط : « فهات[٤٢٦]» و« جرشون » ،

---

(٤٢٣) فى النسخة (ب) [رابت] بتقديم الباء على التاء .

(٤٢٤) الأشَرُ : النشاط .

(٤٢٥) راجع (سفر الخروج – الإصحاح ١٢ – الفقرات من ٣٧ – ٣٩) .

(٤٢٦) « قهات » بالتاء المثناه بدلًا من الثاء فى النسخة (ب) .

و« مرارى » ، وأن ذكور نسل هؤلاء الثلاثة فقط كانوا : اثنين وعشرين ألفا من الذكور خاصة من ابن شهر فصاعدًا ، من جملتهم ثمانية آلاف رجل وخمسمائة رجل وثمانون رجلًا ليس فيهم ابن أقلّ من ثلاثين سنة ، ولا ابن أكثر من خمسين سنة ، ثم ذكر أولاد « مرارى » فلم يذكر له إلّا ولدين : « محلّى » و« موشى » فقط ، وذكر أولاد « جرشون » بن « لاوى » فلم يذكر له إلّا ولدين فقط : « لبنى » و« شمعى » وذكر أولاد « فهاث » بن « لاوى » فلم يذكر إلّا أربعة فقط : « عمرام » و« يصهار » و« حبرون » و« عزيئيل » . فرجع نسل « لاوى » كله إلى هؤلاء الثمانية فقط . ثم لم يجعلوا لتوجيه التأويل فى كذبهم مساغًا ، بل عدَّ أولاد « عمرام » بأنهم « موسى » و« هارون » عليهما السلام فقط ، و« العازار » و« فرصوم » ابنى « موسى » عليه السلام وكانا صغيرين حينئذ جدًّا ، وأربعة أولادٍ لهارون عليه السلام ، وعد أولاد « يصهار » فذكر « قورح » وإخوته ، وثلاثة أولاد لقورح وبقى سائر العدد المذكور من الألوف وهى : ثمانية آلاف رجل ، وستمائة رجل ، لا يعدُّ فيهم ابن أقل من شهر من بنى « فهاث » خاصة ، راجعا إلى أولاد « حبرون » و« عزيئيل » وأخوى « قورح » فقط ، هذا و« الصافان » بن « عزيئيل » حى مقدم طبقته سوى النساء ، ولعلَّ عددهن كعدد الرجال ، وهذا من الحمق الذى لا نظير له ، ومن قلة الحياء فى الدرجة العليا ، ومن الكذب البحت فى المقدمة ، ومن المحال فى المحل الأقصى ، وجارٍ مجرى الخرافات التى تقال عند السمر بالليل ، ولعمرى لو ضل بتصديق هذا الهوس[٤٢٧] الفاجر واحد واثنان لكان عجبا ، فكيف أن يضل به عالم عظيم ، وجيل بعد جيل مذ أزيد من ألف وخمسمائة عام مذ كتب لهم « عزرا[٤٢٨] » الوراق هذا السخام الذى أضلهم به ؟ ونحمد الله على عظيم نعمته علينا حمدًا كثيرا . ونسأله العصمة فى باقى أعمارنا مما امتحن به من شاء إضلاله آمين آمين .

والخامسة قوله فى سفر يوشع : أنه وقع لبنى هارون ثلاث عشرة مدينة ، و« العازار ابن هارون » حى قائم ، فياللناس !! أفى المحال أكثر من أن يدخل فى عقل أحد أن نسل « هارون » بعد موته بسنة وأشهر يبلغ عددًا لا يسعه للسكنى إلا ثلاث عشرة مدينة ؟ هل لهذا الحمق دواء إلا الغل والقيد والمجمعة[٤٢٩] ، وما يتبع ذلك من الكى والسوط ؟ ونعوذ بالله من الخذلان .

وكذبة سادسة ظريفة جدًّا : وهى أنه ذكر فى توراتهم أن عدد ذكور « بنى جرشون »

(٤٢٧) فى النسخة (ب) [المهوس] .
(٤٢٨) فى (أ ، ب) [عزر] .
(٤٢٩) فى (خ) [والجامعة] .

ابن لاوى من ابن شهر فصاعدًا كانوا ستة آلاف وخمسمائة ، وأن عدد ذكور « بنى فهاث » ابن « لاوى » من ابن شهر فصاعدًا كانوا ثمانية آلاف وستمائة ، وأن عدد ذكور بنى مرارى ابن لاوى من ابن شهر فصاعدًا[٤٣٠] كانوا ستة آلاف ومائتين ، ثم قال : فجميع الذكور من بنى لاوى من ابن شهر فصاعدًا اثنان وعشرون ألفًا ، فكان هذا ظريفًا جدًّا ، وشيئًا تندى منه الآباط . وهل يجهل أحد أن الأعداد المذكورة إنما هى يجتمع منها واحد وعشرون ألفًا وثلاثمائة ؟

هذا أمر لا ندرى كيف وقع ؟ أتراه بلغ المسخم الوجه الذى كتب لهم هذا الكتاب الأحمق من الجهل بالحساب هذا المبلغ ؟ إن هذا لعجب !!

ولقد كان الثور أهدى منه ، والحمار أنبه منه بلا شك . أترى ؟ لم يأت بعده من اليهود مذ أزيد من ألف عام وخمسمائة عام من تبين له أن هذا خطأوباطل ؟ ولا يمكن أن يدعى هنا غلط من الكاتب ، ولا وهم من الناسخ ، لأنه لم يدعنا فى لبس من ذلك ، ولا فى شك من فساد ما أتى به ، بل أكد ذلك وبينه وفضحه وأوضحه بأن قال : إن بكور ذكور بنى إسرائيل كانوا اثنين وعشرين ألفًا ومائتين وثلاثة وسبعين ، وأن الله تعالى أمر « موسى » أن يأخذ بنى لاوى الذكور عن بكور ذكور بنى إسرائيل ، وأن يأخذ عن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين من بكور ذكور بنى إسرائيل عن الإثنين وعشرين ألفًا من بنى لاوى عن كل رأس خمسة أشقال فضة ، فاجتمع من ذلك ألف شقل وثلاثمائة شقل ، وخمسة وستون شقلا ، فارتفع الإشكال جملة . (وبالله التوفيق)[٤٣١].

وتالله ما سمعنا قط بأخبث طينة ، ولا أفسد جبلة ممن كتب لهم هذا الضلال إلا من اتبعه وصدّق بضلاله . فهذه ست كذبات فى نسق ، لو لم يكن فى توراتهم منها إلّا واحدة لكان برهانا قاطعا موجبا لليقين بأنها كتاب موضوع بلا شك ، مبدّل محرّف مُغير[٤٣٢] مكذوب . فكيف بجميع ما أوردنا من ذلك ونورد إن شاء الله ، ونعوذ بالله من الخذلان .

ويتلو هذا كذبة سابعة[٤٣٣] بشيعة شنيعة ، وهى أنهم لا يختلفون فى أن داود عليه السلام هو ابن « أبشباى بن عونيذ بن بوعز بن شلومون[٤٣٤] بن نحشون بن عميناداب بن أرام ابن حصرون » لا يختلفون فى أن « عونيذ » المذكور جد داود أبا أبيه كانت أمه « روث » العمونية

---

(٤٣٠) فى (أ ، ب) سقط الكلام من قوله [كانوا ثمانية آلاف وستمائة ... فصاعدًا] .
(٤٣١) فى (خ) سقطت عبارة [وبالله التوفيق] .
(٤٣٢) فى (أ ، ب) [صغير] بدلًا من [مغير] .
(٤٣٣) فى (أ ، ب) [شائعة] بدلًا من [سابعة] .
(٤٣٤) فى النسخة (ب) [أشلومون] .

التى لها عندهم[٤٣٥] كتاب مفرد من كتب النبوة ، ولا يختلفون فى أن من خروجهم من مصر إلى ولاية « داود » عليه السلام كانت ستمائة سنة ، وستا وستين .

وفى نص التوراة عندهم وبلا خلاف منهم : أن مقدم[٤٣٦] بنى يهوذا إذ خرجوا من مصر كان « نحشون بن عميناداب » المذكور ، وأنه أخو امرأة « هارون » عليه السلام .

وفى نص توراتهم أنهم قالوا : قال الله تعالى : إنه لا يدخل الأرض المقدسة أحد خرج من مصر ، وله عشرون سنة فصاعدًا إلا « يهوشع بن نون » الأفرايمى ، و« كالب بن يُفَنَّة اليهوذانى » ، فصح ضرورة أن « نحشون » مات فى التيه ، وأن الدّاخل فى أرض الشام هو ابنه « شلومون[٤٣٧] » . فاقسموا الآن ستمائة وستا وستين على أربع ولادات فقط . وهذه ولادة « بوعز ابن شلومون » الداخل ثم ولادة « داود » عليه السلام ، ثم « أبشاى » ثم لا تختلف كتبهم فى أن « داود » عليه السلام ولى وله ثلاث وثلاثون سنة عند تمام الستمائة سنة وست وستين ، فينبغى أن تسقط سنو « داود » إذ ولى من العدد المذكور -- يكون الباقى خمسمائة سنة وثلاثا وسبعين سنة لثلاث ولادات . وهى ولادة « أبشاى » وولادة « عونيذ » وولادة « بوعز » . فتأملوا : ابن كم كان [عمر[٤٣٨]] واحد منهم إذ ولد له ابنه المذكور ؟ تعلموا أنه كذب مستحيل فى نسبة ذلك من أعمارهم يومئذ لأن فى كتبهم نصًّا أنه لم يعش أحد بعد موسى عليه السلام فى بنى إسرائيل مائة وثلاثين سنة إلا « يهوياراع » الكوهن الهارونى وحده ، بالضرورة يجب أن كلَّ واحدٍ ممن ذكرنا كان له أزيد من مائة ونيف وأربعين إذ ولد له ابنه المذكور .

وهذه أقوال يكذب بعضها بعضا ، فصح ضرورة لا محيد عنها أنها كلها مبدلة مستعملة محرفة مكذوبة ملعونة ، وثبت أن ديانتهم المأخوذة من هذه الكتب ديانة فاسدة مكذوبة من عمل الفسّاق ضرورة كالشيء المدرك بالعيان واللمس ، ونحمد الله على السلامة .

فصــل

شوق بنى إسرائيل إلى خضروات الأرض

ثم وصف قيام بنى إسرائيل على موسى عليه السلام ،وطلبهم منه اللحم للأكل وذكروا شوقهم[٤٣٩] إلى القرع ، والقثاء ، والبصل ، والكرات ، والثوم الذى تشبه رائحته فى الروائح عقولهم

(٤٣٥) فى (أ ، ب) لا توجد كلمة [عندهم] .
(٤٣٦) فى النسخة (ب) [مقدمهم] .
(٤٣٧) فى النسخة (ب) [سلومان] .
(٤٣٨) ليست فى النسخ التى اعتمدنا عليها ، ولكن المعنى يقتضيها .
(٤٣٩) فى النسخة (ب) [أشواقهم] .

فى العقول ، وذكروا ضجرهم من المنّ ، والله عزَّ وجل قال لموسى عليه السلام : « تقول للعامة تقدسوا غدًا تأكلوا اللحم ، هأنا أسمعكم قائلين : من ذا يطعمنا أكل اللحم(٤٤٠)؟ قد كنا بخير بمصر ليعطينكم السيد اللحم فتأكلون ، ليس يومًا واحدًا ولا يومين ، ولا خمسة ، ولا عشرة حتى تكمل أيام الشهر ، حتى يخرج على مناخركم ، ويصيبكم التخم لما تخليتم عن السيّد الذى هو فى وسطكم ، ويبكون قدامه قائلين : لماذا خرجنا من مصر ؟ فقال موسى لله تعالى : هم ستمائة ألف رجل ، وأنت تقول : أنا أعطيهم اللحوم شهرا طعما ؟ أترى تكثر بذبائح البقر والغنم فيقتاتون بها ؟ أم تجمع حيتان البحر معًا لتشبعهم ؟. فقال له الرب : أترى يد السيد عاجزة ؟! سترى أن يوافيك كلامى أم لا » ؟.

ثم ذكر أن الله تعالى : أرسل ريحا فأتت بالسمّانى من خلف البحر إلى بنى إسرائيل فأكلوها ، ودخل اللحم بين أضراسهم ، وأصابتهم التخم ، وأخذهم وباء شديد مات منهم به كثير ، وأن هذا كان فى الشهر الثانى من السنة الثانية(٤٤١) من خروجهم من مصر(٤٤٢).

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذكر(٤٤٣) فى هذا الفصل آيات من الله رب العالمين ، وما تأتى له طامة إلَّا تكاد تنسى ما قبلها : فأول ذلك : أخبار اللعين المبدل للتوراة بأن الله تعالى إذ قال لموسى : غدًا تأكلون اللحم إلى تمام الشهر . قال له موسى : هم ستمائة ألف رجل وأنت تقول : أنا أعطيهم اللحوم(٤٤٤) طعاما شهرًا(٤٤٥). أترى تكثر بذبائح البقر والغنم يقتاتون بها ، أو تجمع حيتان (٤٤٦) البحر معًا لتشبعهم ؟

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : حاش لله أن يراجع رجل له مسكة عقل(٤٤٧) ربه عز وجل هذه المراجعة ، وأن يشك فى قوته على ذلك ، وعلى ما هو أعظم منه . فكيف رسول نبى ؟ أترى « موسى » عليه السلام دخله قط شك فى أن الله تعالى قادر على أن يكثر بذبائح البقر والغنم حتى يشبعهم ؟ أو على أن يأتيهم من حيتان البحر بما يشبعهم منه ؟ حاش لله من ذلك . أتراه خفى على « موسى » عليه السلام : أن الله تعالى هو الذى يرزق جميع بنى آدم فى شرق الأرض وغربها اللحم وغير اللحم ؟ وأنه تعالى رازق سائر الحيوانات كلها من الطائر والعائم والمنساب ،

---

(٤٤٠) فى (خ) [من ذا يعطينا اللحم لنأكل] .
(٤٤١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [من السنة الثانية] .
(٤٤٢) راجع (سفر العدد - الإصحاح الحادى عشر من أوله إلى آخره) .
(٤٤٣) سقطت كلمة (ذكر) فى (ب) .
(٤٤٤) سقطت كلمة [اللحوم] من النسخة (أ) .
(٤٤٥) (أ ، ب) [شهيًا] .
(٤٤٦) فى النسخة (ب) [تجتمع] .
(٤٤٧) فى (أ ، ب) : [له من العقل مسكة] .

والماشى على رجلين ، وأربع ، وأكثر ، حتى يستنكر أن يشبع شرذمة قليلة لا قدر لها من اللحم . حاش له من ذلك !! فكيف يقول « موسى » عليه السلام هذا الكلام الأحمق ؟ حاش له من ذلك .

وقبل ذلك بعام وشهر وبعض آخر طلبوا اللحم فأتاهم بالسمانى ، والمنّ ، وأكلوا ذلك بنص توراتهم ، أتراه نسى ذلك فى هذه المدة اليسيرة ؟ أو يظن أنه قدر على الأولى ويعجز عن الثانية ؟ حاش له من هذا الهوس . ثم زيادة فى بيان هذا الكذب : أن فى توراتهم أن بنى إسرائيل إذ خرجوا من مصر مع « موسى » خرجوا بجميع مواشيهم من البقر والغنم ، وأن أهل كل[٤٤٨] بيت منهم ذبحوا جديًا أو خروفًا فى تلك الليلة[٤٤٩].

وذكر فى مواضع منها : أنهم أهدوا الكباش والتيوس والخرفان والجديان والبقر والعجول إلى قبة العهد .

وذكروا فى آخرها : أن « بنى رؤوبين » و« بنى جادا[٤٥٠]» ونصف سبط « بنى منسى[٤٥١]» كان معهم غنم كثير ، ومن البقر عدد لا يحصى ، فى حين ابتداء قتالهم ، وفتحهم لأرض الشام ، فأى عبرة فى إشباعهم من اللحم ، واللحم حاضر معهم كثير لا قليل ؟ ثلاثة من الغنم كانت تكفى الواحد منهم شهرًا كاملًا ، وثور واحد كان يكفى أربعة منهم شهرًا كاملًا . على أن يأكلوا اللحم قوتا حتى يشبعوا بلا خبز ، فكيف إذا تأدموا به ؟ فأى عجب فى إشباعهم باللحم ؟ حتى يراجع « موسى » ربه تعالى بإنكار ذلك من قوة ربه عزَّ وجل ، فهل فى العالم أحمق ممن كتب هذه الكذبة الشنيعة الباردة السخيفة الممزوجة بالكفر ؟ اللهم لك الحمد على تسليمك لنا مما امتحنتهم به .

فإن قالوا : إنَّ فى كتابكم أن الله تعالى قال لزكريا : « إنَّا نبشرك بغلامٍ اسمه يحيى[٤٥٢]» الآية .

وأن زكريا قال لربه تعالى : « أنَّى يكونُ لى غلامٌ وكانت امرأتى عَاقرًا وقد بلغت من الكِبر عتيًّا ، قال كذلك قال ربك هو علىَّ هين[٤٥٣]» الآية « قال ربِّ اجعلْ لى آيةً : قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويًا[٤٥٤]» . وفى كتابكم أيضًا : أن الملك قال لمريم : « أنا رسولُ

(٤٤٨) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة [كل] .
(٤٤٩) راجع (سفر الخروج - الإصحاح الثانى عشر - ١ - ١٤) .
(٤٥٠) فى النسخة (ب) [جاد] بدون مد أمام الدال .
(٤٥١) فى (أ) : [بنى منشا] وتكرر ذلك فيها .
(٤٥٢) سورة مريم : آية : ٧ .
(٤٥٣) سورة مريم : ٩ .
(٤٥٤) سورة مريم : ١٠ .

ربّكِ لأَهَبَ لَكِ غلَامًا زكيًا[٤٥٥]» قالت : ربِّ أنّى يكون لى غلام ؟ الآية « قال : كذلك قال ربك هو علىَّ هين[٤٥٦]» الآية .

قلنا : ليس فى جواب زكريا ومريم عليهما السلام اعتراض على بشرى البارى عزّ وجل لهما ، كما فى كتابكم عن موسى عليه السلام ، ولا فى كلام زكريا ومريم عليهما السلام إنكار على أن يعطيهما ولدين ، وهما عقيم وبكر ، إنما سألا أن يعرفا الوجه الذى منه يكون الولد فقط . لأن « أنّى » فى اللغة العربية التى بها نزل القرآن بلا خلاف معناها « من أين » . فصح ما قلنا من أنهما سألاه أن يعرفهما الله تعالى من أين[٤٥٧] يكون لهما الولدان ؟ أو من أى جهة ؟ أبنكاح زكريا لامرأة أخرى ؟ أم نكاح رجل لمريم ؟ أم من اختراعه تعالى وقدرته ؟ . فإنما سأل زكريا الآية ليظهر صدقه عند قومه ، ولئلا يظن أنهما أخذاه وادعياه ، هذا هو ظاهر الآيتين اللتين ذكرنا من القرآن دون تكلف تأويل بنقل لفظ أو زيادة أو حذف[٤٥٨]، بخلاف ما حكيتم عن موسى من الكلام الذى لا يحتمل إلا التكذيب فقط .

فصــل

معاندة هارون ومريم لموسى عليهم السلام

وبعد ذلك ذكر قيام « مريم » و« هارون » أخى موسى عليه السلام معاندين « لموسى » من أجل امرأته الحبشية[٤٥٩].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكيف تكون حبشية ؟ وقد قال فى أول توراتهم أنها بنت « يثرون » المديانى[٤٦٠]، وهو بلا شك من ولد « مدين بن إبراهيم » عليه السلام فأحد هذين القولين يكذب الآخر .

---

(٤٥٥) سورة مريم : ١٩ ، ٢٠ .
(٤٥٦) سورة مريم : ٢١ .
(٤٥٧) فى النسخة (ب) [من أنىّ] .
(٤٥٨) فى (خ) : [أو زيادة حرف] .
(٤٥٩) فى النسخة (ب) [الحبشة] . وذكر فى هامشها أن فى التوراة التى وقعت بيديه [الكوشيه] .
(٤٦٠) فى (خ) : [يثرو المديني] – راجع (سفر الخروج – الإصحاح الثانى – الفقرات من ١٦ – ٢٢) . وراجع أيضًا (سفر العدد – الإصحاح الثانى عشر – الفقرات من ١ وفيه يقول : « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها ، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا : هل كلم الربّ موسى وحده ، ألم يكلمنا نحن أيضًا . . الخ » .

فصـــل

طلب موسى من الأسباط أن يخرجوا للأرض المقدسة

ذكر كما ذكرنا أن فى الشهر الثانى من السنة الثانية من خروجهم من مصر كان طلبهم اللحم كما ذكرنا ، وأنه بعد ذلك وقع لهارون و« مريم » الشغب مع « موسى » أخيهماعليه السلام – كما ذكرنا – وأن « مريم » مرضت وأخرجت من المعسكر سبعة أيام حتى برئت ثم رجعت ، وأن بعد ذلك وجه « موسى » عليه السلام الإثنى عشر رجلا الذين كان من جملتهم « هوشع بن نون » الأفرايمى ، و« كالب بن يفته » اليهوذانى ، ليروا الأرض المقدسة وذكر أنهم طافوها فى أربعين يوما ، ثم رجعوا ، وخوّفوا بنى إسرائيل ، حاش « كالب » و« هوشع[٤٦١]» ، وأن الله تعالى سخط عليهم ، وأهلكهم ، وأوحى إلى موسى : « أما جيفكم فستكون ملقاة فى المفاز ، ويكون أولادكم سابحين فى المفاز أربعين سنة على عدد الأربعين يوما التى دوختم فيها البلد ، أجعل لكم كل يوم سنة ، وتكافئون أربعين سنة بخطاياكم[٤٦٢]». وأنهم بقوا فى التيه أربعين سنة ، فلما أتموها أمرهم الله عزّ وجل بالحركة فتحركوا ، ثم ماتت « مريم » أخت « موسى » عليها السلام[٤٦٣]، ثم مات « هارون » عليه السلام[٤٦٤]، ثم حارب « موسى » « عوج » و« سحون » الملكين ، وأخذ بلادهما[٤٦٥]، وأعطى بلادهما لبنى رؤوبين ، و« بنى جادا[٤٦٦]» ، ونصف سبط

---

(٤٦١) (سفر العدد – الإصحاح الثالث عشر كله فيه : « لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال : إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها ، وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا : لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا . . الخ » .

(٤٦٢) النص كما فى التوراة : « يقول الربّ لأفعلنَّ بكم كما تكلمتم فى أذنىّ ، فى هذا القفر تسقط جثثكم ، جميع المعدومين منكم حسب عددكم من ابن ٢٠ سنة فصاعدًا الذين تذمّروا علىَّ ، لم تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكننكم فيها ما عدا كالب بن يَفُنَّه ، ويشوع بن نون ، وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإنى سأدخلكم فيعرفون الأرض التى أحتقرتموها ، فجثثكم أنتم تسقط فى القفر ، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر » (سفر العدد – الإصحاح ١٤ – الفقرات من ٢٦ – الخ) .

(٤٦٣) ماتت ودفنت بقادش راجع (سفر العدد – الإصحاح ٢٠ ، الفقرة ١) .

(٤٦٤) مات هارون فى جبل هور على تخم أرض أدوم فى الطريق من قادش ، وقد ذكر ذلك فى (سفر العدد – الإصحاح العشرون – الفقرات من ٢٥ – إلى آخر الإصحاح) .

(٤٦٥) راجع (سفر العدد – الإصحاح الحادى والعشرون – الفقرات من ٢١ – آخر الإصحاح) .

(٤٦٦) فى النسخة (ب) [وبنى جاد] .

« منسى[٤٦٧] » ثم حارب المدنيين[٤٦٨] وقتل ملوكهما ، ثم إنه عليه السلام مات وله مائة سنة وعشرون سنة[٤٦٩].

وفى صدر توراتهم : أنه عليه السلام إذ خرج عن مصر كان له ثمانون سنة هذا كله نص توراتهم حرفًا حرفًا .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كذب فاحش ، وقد قلنا : إن الذى عمل لهم التوراة التى بأيديهم كان قليل العلم بالحساب ، ثقيل اليد فيه جدًّا ، أو عيَّارًا[٤٧٠] ماجنًا مستخفًّا لا دين له سخر منهم بأمثال التيوس والحمير . لأنه إذا خرج وله ثمانون سنة وبقى بعد خروجه سنة[٤٧١] وشهرًا ، ثم تاهوا أربعين سنة ، ثم قاتلوا ملوكًا عدة وقتلوهم وأخذوا بلادهم[٤٧٢] وأموالهم ، فقد اجتمع من ذلك ضرورة زيادة على المائة والعشرين سنة أكثر من سنة ولا بد ، والأغلب أنهما سنتان زائدتان ، فكذب ولا بدّ فى سنِّ موسى إذ مات ، أو كذب الوعد الذى أخبر عن الله تعالى بتيههم أربعين سنة ، حاش للبارى تعالى أن يكذب ، أو أن يغلط فى دقيقة أو أقل ، وحاش لنبيه ﷺ من مثل ذلك ، وصحَّ أنها مولدة موضوعة .

فصــل

طلب موسى من قومه عدم السماع لأدعياء النبوة

ثم ذكر فى السفر الخامس فقال : إن طلع فيكم نبى وادّعى أنه رأى رؤيا وأتاكم بخبر ما يكون ، وكان ما وصفه ثم قال لكم بعد ذلك : اتبعوا أبناء آلهة الأجناس فلا تسمعوا له[٤٧٣].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل شنعة من شنع الدّهر ، وتدسيس كافر مبطل للنبوات كلها ، لأنه أثبت النبوة بقوله : إن طلع فيكم نبى ويصدقه فى الأخبار

---

(٤٦٧) فى النسخة (أ) [منشا] (راجع سفر العدد – الإصحاح ٣٢ – الفقرات من ١ – ٣٤) .

(٤٦٨) فى الأصل (المدينتين) وهو تحريف ظاهر – وفى التوراة : (لا ضايقوا المديانيين وأضربوهم لأنهم ضايقوكم بمكايدهم) (راجع سفر العدد – الإصحاح ٢٥ – الفقرات من ١٦ – إلى آخر الإصحاح) .

(٤٦٩) مات موسى فى أرض موآب ، ودفن فى الجواء مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان ابن مائه وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته (سفر التثنية – الإصحاح ٣٤) .

(٤٧٠) العيّار : الذكى الكثير التطواف .

(٤٧١) فى (ب) [سنة أو شهرًا] .

(٤٧٢) فى النسخة (أ) [لبلادهم] .

(٤٧٣) النص كما فى (سفر التثنية الإصحاح ١٣ – الفقرات من ١) : « إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلًا : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم لأن الرّب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرّب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم ، وراء الرّب إلهكم تسيرون » .

بما يكون ثم أمرهم بمعصيته إذا دعاهم إلى اتباع آلهة الأجناس ، وهذا تناقض فاحش ، ولئن جاز أن يكون نبى يصدقّ فيما ينذر به يدعو إلى الباطل والكفر ، فلعل موسى(٤٧٤) صاحب هذه الوصية من أهل هذه الصفة ، وما الذى يؤمننا من ذلك ؟ وهل ها هنا شيء يوجب تصديقه واتباعه ، ويبينه من الكذابين إلا ما صحح نبوته من المعجزات ؟ فلما لزمت معصيته إذا أمر بباطل فإن معصية موسى لازمة وغير جائزة فى شيء مما أمر به ، إذ لعلَّه أمر بباطل إذ كان فى الممكن أن يكون نبى يأتى بالمعجزات يأمر بباطل ، وحاش لله من أن يقول موسى عليه السلام هذا الكلام . والله ما قاله قط ، ولقد كذب عليه الكذاب(٤٧٥) المبدل للتوراة . وكذلك حاش لله من أن يكون نبى من الأنبياء يكذب أو يأمر بباطل ، وحاش لله(٤٧٦) أن تظهر آية على يدى من يمكن أن يكذب ، أو يأمر بباطل ، هذا هو التلبيس من الله على عباده ، ومزج الحق بالباطل ، وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حق ولا إبطال باطل .

واعلموا أن هذا الفصل من توراتهم ، والفصل الملعون الذى فيه أن السحرة عملوا مثل بعض ما عمل « موسى » عليه السلام ، فإنهما مبطلان على اليهود المصدقين بهما نبوة كل نبى يقرون له بنبوة قطعًا ، لأنه لا فرق فيهما بين « موسى » وسائر أنبيائهم ، وبين الكذابين والسحرة ، وحاش لله من هذا ، وبه تعالى نعوذ من الخذلان .

هذا مع قوله بعد ذلك : « وأيما نبى أحدث فيكم من ذاته نبوة ممّا لم نأمر به ، ولم أعهد إليه به ، أو تنبأ فيكم يدعو للآلهة والأوثان فاقتلوه » .

فإن قلتم فى أنفسكم : من أين يعلم أنه من عند الله ؟ أو من ذاته ؟ فهذا علمه فيكم ؛ إذا أنبأ بشيء ولم يكن ، فاعلموا أنه من ذاته(٤٧٧).

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كلام صحيح ، وهذا مضادٌّ للذى قبله من أنه ينبيء بالشيء فيكون كما قال ، وهو مع ذلك يدعو إلى عبادة غير الله ، والقوم مخذولون نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لا مؤنة عليهم أن ينسبوا إلى الأنبياء عليهم السلام الكفر والضلال والكذب

---

(٤٧٤) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (موسى) .

(٤٧٥) فى النسخة (ب) [الكذب] .

(٤٧٦) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « من أن يكون نبى – وحاش لله » .

(٤٧٧) أول الكلام الذى ورد عن الأنبياء بعد موسى كما فى سفر التثنية – الإصحاح ١٨ – الفقرات من ١٥ « يقيم لك الربّ إلهك نبيًا من وسطك من إخوانك مثلى ، له تصنعون ، حسب كل ما طلبت من الرُّب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلًا : لا أعود أسمع صوت الرُّب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت ، قال لى الرُّب قد احسنوا فيما تكلموا ، أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يُطغِى فيتكلم باسمى كلامًا لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى ، وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ! فما تكلم به النبى باسم الرّب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه) .

والعهر[٤٧٨] كالذى ذكرنا قبلُ ، وكنسبتهم إلى « هارون » عليه السلام : أنه هو الذى عمل العجل لبنى إسرائيل ، وبنى له مذبحًا ، وقرب له القربان ، وجرَّد أستاه قومه للرقص والغناء قدام العجل عراة .

وكما نسبوا إلى سليمان عليه السلام : أنه قرَّب القرابين للأوثان على الكدى[٤٧٩]، وأنه قتل « يواب بن صوريا » صبرًا ، وهو نبى مثله .

وكما نسبوا إلى « شاول » وهو نبى عندهم يوحى إليه قتل النفوس ظلمًا .

ونسبوا إلى » بلعام بن ناعورا » وهو نبى عندهم يوحى الله تعالى إليه مع الملائكة العون على الكفر ، وأن « موسى » وجيشه قتلوه .

ثم نسبوا النبوة إلى « منسى[٤٨٠] بن حزقيا » الملك ، وهو بإقرارهم كافر ملعون يعبد الأوثان ، ويقتل الأنبياء .

وينسبون المعجزات إلى « شمشون » الدابى[٤٨١]، وهو عندهم فاسق مشهور بالفسق ، متعشق للفواسق ملم بهنَّ .

وينسبون المعجزات إلى السحرة ، فاعجبوا لعظيم بليتهم ، واحمدوا الله على السلامة ، واسألوه العافية لا إله إلَّا هو .

فصـــل

ثم قال فى آخر توراتهم : فتوفى « موسى » عبد الله بذلك الموضع فى أرض « مواب » مقابل بيت « فغور » ، ولم يعرف آدمى موضع قبره إلى اليوم ، وكان موسى يوم توفى ابن مائة وعشرين سنة لم ينقص بصره ، ولا تحركت أسنانه فنعاه بنو إسرائيل فى أوطنة « مواب » ثلاثين يومًا ، وأكملوا نعيه .

---

(٤٧٨) فى (أ ، ب) [والعمد] : لا ن ، والعهر] وهو تحريف ظاهر .
(٤٧٩) الكُدَى : جمع كُدية وهى : الأرض الغليظة والصفات العظيمة الشديدة ، والشىء الصلب بين الحجارة والطين .
(٤٨٠) فى النسخة (أ) [منشا] .
(٤٨١) فى (خ) [الدالى] .

ثم إن « يشوع بن نون » امتلأ من روح الله ، إذ جعل موسى يديه عليه وسمع له بنو إسرائيل ، وفعلوا ما أمر الله به ، « موسى » ، ولم يخلف « موسى » فى بنى إسرائيل نبى مثله ، ولا من يكلمه الله مواجهة فى جميع عجائبه التى فعل على يديه بأرض مصر فى فرعون مع عبيده ، وجميع أهل مملكته ، ولا من صنع ما صنع موسى فى جماعة بنى إسرائيل[٤٨٢].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا آخر توراتهم وتمامها ، وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ، ودليل قاطع ، وحجة صادقة فى أن توراتهم مبدّلة ، وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرّص[٤٨٣] بجهله ، أو تعمّد بكفره[٤٨٤]، وأنها غير منزلة من عند الله تعالى ، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلًا على موسى فى حياته ، فكان يكون أخبارًا عنهما ، لم يكن بمساق ما قد كان ، وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك .

وقوله « لم يعرف قبره آدمى إلى اليوم » بيان لما ذكرنا كاف ، وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولا بد .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ها هنا انتهى ما وجدنا من التوراة لليهود التى اتفق عليها الربانيون ، والعانانيون ، والعيسويون ، والصدوقيون منهم مع النصارى أيضًا بلا خلاف منهم فيها من الكذب الظاهر فى الأخبار وفيما يخبر به عن الله تعالى ثم عن ملائكته ، ثم عن رسله عليهم السلام من[٤٨٥] المناقضات الظاهرة ، والفواحش المضافة إلى الأنبياء عليهم السلام ، ولو لم يكن فيها إلّا فصل واحد من الفصول التى ذكرنا لكان موجبا ولا بدّ لكونها موضوعة محرفة مبدّلة مكذوبة ، فكيف وهى سبعة وخمسون فصلًا ، من جملتها فصول يجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات فأقل ، سوى ثمانية عشر فصلًا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعيانها عند النصارى ، والكذب لائح ولا بد فى إحدى الحكايتين ، فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة فى مقدار توراتهم ؟ وإنما هى مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق فى كل صفحة منها ثلاثة[٤٨٦] وعشرون سطرًا إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساح أقرب يكون فى السطر بضع عشرة كلمة .

---

(٤٨٢) راجع (سفر التثنية – الإصحاح ٤٣ – الفقرات من ٥ – إلى آخر الإصحاح) .
(٤٨٣) فى (أ ، ب) : [تخرّص] .
(٤٨٤) فى (أ ، ب) : [بفكره] .
(٤٨٥) فى (خ) : [ومن] .
(٤٨٦) فى النسخة (ب) [من ثلاثة وعشرين] .

كيف حُرِّفت التـــوراة ؟

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ونحن نصف إن شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بنى إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم ، إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم « عزرا » الوراق بإجماع من كتبهم ، واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم فى ذلك ، وما اختلفوا فيه من ذلك ، نبهنا عليه ليتيقن كل ذى فهم أنها محرفة مبدلة – وبالله تعالى نستعين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : دخل بنو إسرائيل الأردن ، وفلسطين والغور[1] مع « يوشع بن نون » مدبر أمرهم عليه السلام إثر موت « موسى » عليه السلام ، ومع « يوشع » « العازار بن هارون عليه السلام » صاحب السرادق بما فيه ، وعنده التوراة لا عند أحدٍ غيره بإقرارهم ، فدبر « يوشع » عليه السلام أمرهم فى استقامة وألزمهم[2] للدّين إحدى وثلاثين سنة مذ مات « موسى » عليه السلام إلى أن مات « يوشع[3]» ثم دبرهم « فينحاس بن العازار[4] ابن هارون » وهو صاحب السرادق ، والكوهن الأكبر ، والتوراة عنده لا عند أحد غيره خمسًا وعشرين سنة فى استقامة والتزام للدين ، ثم مات وطائفة منهم عظيمة يزعمون أنه حيٌّ إلى اليوم وثلاثة أنفس إليه ، وهم « إلياس » النبى الهارونى عليه السلام ، وملكيصيدق بن قالع بن عامر[5]

---

(١) الغور : المنخفض من الأرض ، وقال الزجاج : « الغور » أصله ما تداخل وما هبط ، ، « الغور » غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض بيت المقدس فيه نهر الأردن ، وعلى طرفه طبرية وبحيرتها ، وأشهر بلاده « بيسان » وهو وخم شديد الحر ، وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر ومن قراه « أريحا » مدينة الجبارين ، وفى طرفه البحيرة المنتنة (معجم البلدان : ٢١٧/٤) .

(٢) فى (خ) : [والتزامهم] .

(٣) راجع (سفر يوشع – الإصحاح الرابع والعشرون) .

(٤) فى (ب) : [ابن الغزر] .

(٥) فى النسخة (ب) [عابر] .

ابن أرفخشاذ بن سام بن نوح عليه السلام ، والعبد الذى بعثه إبراهيم عليه السلام ليزوّج اسحاق عليه السلام « رفقة بنت بتوئيل بن ناخور » أخى إبراهيم عليه السلام ، فلما انقضت المدة المذكورة « لفينحاس[٦] » «بن العازار[٧] » ، كفر بنو إسرائيل ، وارتدوا كلهم ، وعبدوا الأوثان علانية ، فملكهم كذلك ملك « صور » و« صيدا » مدة ثمانية أعوام على الكفر ، ثم دبّر أمرهم « عثنيال[٨] بن قنار بن أخى كالب بن يفنة بن يهوذا » أربعين سنة على الإيمان ، ثم مات فكفر بنو إسرائيل كلهم ، وارتدُّوا ، وعبدوا الأوثان علانية ، فملكهم كذلك « عغلون[٩] » ملك « بنى موآب » ثمانى عشرة سنة على الكفر ، ثم دبر أمرهم « أهوذ بن قار[١٠] » ، قيل إنه من سبط « أفرايم » ، وقيل من سبط « بنيامين » ، واختلف أيضًا فى مدة رياسته ، فقيل ثمانون سنة ، وقيل خمس وخمسون سنة على الإيمان إلى أن مات . ثم دبرهم « سمعان بن غاث بن سبط أشار » خمسًا وعشرين سنة على الإيمان[١١]، ثم مات فكفر بنو إسرائيل كلهم ، وعبدوا الأوثان جهارًا ، فملكهم كذلك « مراش » الكنعانى عشرين سنة على الكفر[١٢]، ثم دبّرت أمرهم « دبور » النبتية[١٣] من سبط « يهوذا » ، وكان زوجها رجلًا يسمى « السدوث[١٤] » من سبط أفرايم إلى أن ماتت وهم على الإيمان ، فكان مدة تدبيرها لهم أربعون سنة ، فلما ماتت كفر بنو إسرائيل كلهم وارتدوا وعبدوا الأوثان جهارًا ، فملكهم « عوزيب[١٥] » و « زاب » ملك بنى مدين سبع سنين على الكفر . ثم دبّر أمرهم « جدعون بن يوآش » من سبط « أفرايم » ، وقيل بل من سبط « منسى[١٦] » وهم يصفون أنه كان نبيًا وكان له واحد وسبعون ابنًا ذكورًا ، فملكهم على الإيمان أربعين سنة[١٧]، ثم مات وولى ابنه أبو مالك بن جدعون ، وكان فاسقًا خبيث السيرة ، فارتد جميع بنى إسرائيل ، وكفروا وعبدوا الأوثان جهارًا[١٨]، وأعانه أخواله من أهل « نابلس » من بنى إسرائيل من سبط يوسف بتسعين ديرًا من بيت « ماعل » الصنم ، ومضوا معه فقتل جميع إخوته ، حاش

---

(٦) فى النسخة (ب) [ليفخاس] .

(٧) فى النسخة (ب) [العزار] وفى النسخة (أ) [العزر] .

(٨) فى النسخة (ب) [عسال بن كنار] وفى التوراة : « عشيئيل بن قناز » (سفر القضاة : ٣/٩) .

(٩) فى النسخة (ب) [عقلون] . وفى التوراة : عجلون « سفر القضاة -- الإصحاح ٣ -- ١٢ -- الخ » .

(١٠) واسمه فى التوراة : « إهودَ بن جيرا البنياميني » (سفر القضاة - الإصحاح ٣ -- الفقرات من ١٥ - ٣٠) .

(١١) الذى فى التوراة : « أن الذى جاء بعد (إهود) شمجر بن عناة ، وأنه ضرب من الفلسطينيين ستمائة رجل بمنساس البقر » (راجع سفر « قضاة » الإصحاح ٣ الفقرات ٣١) .

(١٢) واسمه فى التوراة « يابين » ملك كنعان وكان له تسعمائة مركبة من حديد » (سفر قضاة الإصحاح ٤ الفقرات من ١ - ٣) .

(١٣) فى (خ) : [نور النبيذ] وفى التوراة اسمها (دبورة) امرأة نبية زوجة ايفدُوث (سفر قضاة : ٤/٤ الخ) .

(١٤) فى (خ) : [اليندوث] (فى التوراة اسمه لفيدوث) (المرجع السابق) .

(١٥) فى النسخة (أ) [عوزيب] بباءين مفردتين . فى التوراة اسمها (غراب وذئب) (سفر قضاة : ٧/٣٥) .

(١٦) فى النسخة (أ) [منشا] .

(١٧) راجع سفر قضاة – الإصحاح السادس من ١١ إلى آخر الإصحاح) .

(١٨) راجع سفر القضاة : (الإصحاح التاسع -- الفقرات من ١ -- إلى آخر الإصحاح) .

واحدًا منهم أفلت وبقى كذلك ثلاث سنين إلى أن قتل ، ودبّرهم بعده « مولع بن قوا[١٩] » من سبط « يساخر » ، ولم نجد بيانًا هل كان على الإيمان أو على الكفر خمسًا وعشرين سنة[٢٠] ، ثم مات ، ثم دبّر أمرهم بعده « بابين بن جلعاد » من سبط « منسى[٢١] » اثنين وعشرين عامًا على الإيمان إلى أن مات . وكان له اثنان وثلاثون ولدًا ذكورًا[٢٢] قد ولى كل واحدٍ منهم مدينة من مدائن بنى إسرائيل ، فارتد بنو إسرائيل كلهم بعد موته ، وعبدوا الأوثان جهارًا ، وملكهم « بنو عمون » ثمان[٢٣] عشرة سنة متصلة على الكفر ، ثم قام فيهم رجل من سبط « منسى » اسمه « هيلع » بن « جلعاد[٢٤] » ، ولا يختلفون فى أنه كان ابن زانية ، وكان فاسقًا خبيث السيرة ، نذر إن أظفره الله بعدوه ، أن يقرب لله سبحانه وتعالى أول من يلقاه من منزله ، فأول من لقيه ابنته ، ولم يكن له ولدٌ غيرها فوفى بنذره وذبحها قربانًا ، وكان فى عصره نبى فلم يلتفت إليه ، وأنه قتل من « بنى أفرايم » اثنين وأربعين ألف رجل ، فملكهم ست سنين ، ثم مات[٢٥] ، فوليهم بعده « أفصان[٢٦] » من سبط « يهوذا » من سكان بيت لحم ، وكان له ثلاثون ابنًا ذكورًا ، فوليهم سبع سنين ، وقيل ست سنين ، ثم مات ، والأظهر من حاله على ما توجبه أخبارهم الاستقامة ، ووليهم بعده « أيلون » من سبط « زبلون » عشر سنين إلى أن مات[٢٧] . وولى بعده عبدون بن هلال[٢٨] من سبط « أفرايم » ثمانى سنين على الإيمان ، وكان له أربعون ولدًا ذكورًا ، فلما مات ارتد بنو إسرائيل كلهم ، وكفروا وعبدوا الأوثان جهارًا ، فملكهم الفلسطينيون وهم الكنعانيون ، وغيرهم أربعين سنة على الكفر[٢٩] ، ثم دبرهم « شمشون بن مانوح » من سبط « دانى » وكان مذكورًا عندهم بالفسق واتباع الزوانى ، فدبّرهم عشرين سنة ، وينسبون إليه المعجزات ، ثم أُسِرَ ومات[٣٠] ، فدبر بنو إسرائيل بعضهم بعضًا فى سلامة وإيمان أربعين سنة بلا رئيس يجمعهم ، ثم دبرهم الكاهن

---

(١٩) فى التوراة : « تولع بن فواة بن دودو » (راجع سفر قضاة – الإصحاح العاشر – الفقرات من ١) .
(٢٠) فى التوراة : « ثلاثا وعشرين سنة » (سفر قضاة – الإصحاح العاشر – الفقرة ٣) .
(٢١) فى النسخة (أ) [منشا] . وفى التوراة اسمه : « يائير الجلعاوى » (سفر قضاة : ٣/١٠) .
(٢٢) فى التوراة : « وكان له ثلاثون ولدًا يركبون على ثلاثين جحشا » .
(٢٣) فى (أ ، ب) : [ثلاث عشرة] .
(٢٤) فى التوراة الحالية اسمه « يفتاح بن جلعاد » وسيرته وتاريخه فى (سفر قضاة – الإصحاح الحادى عشر) .
(٢٥) راجع (سفر قضاة – الإصحاح الحادى عشر – والثانى عشر إلى نهاية الفقرات ٧) .
(٢٦) فى التوراة اسمه (إبصان) من بيت لحم (سفر القضاة – ٨/١٢ – ١٠) .
(٢٧) راجع (سفر قضاة – الإصحاح ١١/١٢ – ١٢) .
(٢٨) فى النسخة (ب) [ابن سبط] وفى التوراة اسمه « عبدون بن هلّيل الفِرْعَتونى) (سفر قضاة ١٣/١٢) .
(٢٩) راجع (سفر قضاة – الإصحاح ١٣ – الفقرات من ١ – ٢) .
(٣٠) قصته مذكورة فى (سفر قضاة – الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر) .

الهارونى على الإيمان عشرين سنة إلى أن مات[٣١]، ثم دبّرهم « شمويل[٣٢]» بن « فتان » النبى من سبط « أفرايم » قيل عشرين سنة ، وقيل أربعين سنة ، كل ذلك فى كتبهم على الإيمان . وذكروا أنه كان له ابنان « يوهال » و« أبيا[٣٣]» يجوران فى الحكم ويظلمان الناس[٣٤]، وعند ذلك رغبوا إلى « شمويل[٣٥]» أن يجعل لهم ملكا ، فولّى عليهم « شاول الدّباغ بن قيش بن أنيل بن شارون ابن بورات بن آسيا بن خس » من سبط « بنيامين » وهو « طالوت » ، فوليهم عشرين سنة ، وهو أول ملك كان لهم ، ويصفونه بالنبوة وبالفسق والظلم والمعاصى معا ، وأنه قتل من بنى « هارون » نيفًا وثمانين شابا[٣٦] وقتل نساءهم ، وأطفالهم ؛ لأنهم أطعموا « داود » عليه السلام خبزًا فقط .

فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت « موسى » عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو « شاول » المذكور سبع ردّات فارقوا فيها الإيمان ، وأعلنوا عبادة[٣٧] الأصنام :

فأولها : بقوا فيها ثمانية أعوام . والثانية : ثمانية عشر عاما . والثالثة : عشرين عاما . والرابعة : سبعة أعوام . والخامسة : ثلاثة أعوام وربما أكثر . والسادسة : ثمانية عشر عاما . والسابعة : أربعين عامًا .

فتأملوا !! أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ، ورفض الإيمان هذه المدد الطوال فى بلد صغير مقدار ثلاثة أيام فى مثلها فقط ، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحدٌ على ظهر الأرض غيرهم .

ثم مات « شاول » المذكور مقتولا ، وولى أمرهم « داود » عليه السلام وهم ينسبون إليه الزنى علانية بأم سليمان عليه السلام ، وأنها ولدت منه من « الزنى » ابنا مات قبل ولادة سليمان .

فعلى من يضيف هذا إلى الأنبياء عليهم السلام ألف ألف لعنة .

وينسبون إليه أنه قتل جميع أولاد « شاول » لذنب أبيهم . حاش صغيرا مقعدا كان فيهم فقط . وكانت مدته عليه السلام أربعين سنة .

---

(٣١) فى التوراة اسمه (عالى) « وكان له ابنان (حُفنى وفينحاس) وقد مات عن ثمان وتسعين عامًا حين أخبر بأن الفسطينيين كسروا إسرائيل كسرة عظيمة وأخذوا تابوت الله فسقط عن الكرسى فانكسرت رقبته بعد أن قضى لإسرائيل ٤٠ سنة (سفر صموئيل الأول والإصحاح الرابع — الفقرات من ١٢ — ١٨) .

(٣٢) فى النسخة (ب) [مشمواك] . وفى (خ) [شمواك بن « قانا »] وفى التوراة اسمه (صموئيل الأول) .

(٣٣) فى النسخة (ب) [ببايجوران] . وفى (أ ، ب) [قوهاك وبيا] .

(٣٤) وفى التوراة اسمه (صموئيل الأول وكان له ابنان ، البكر اسمه (يوئيل) والثانى اسمه (أبيًا) (راجع تاريخ حياتهم فى سفر صموئيل الأول — الإصحاح الرابع من الفقرات ١٩ — الخ الإصحاح السابع) .

(٣٥) فى (ب) [شموال] .

(٣٦) فى (أ ، ب) : [إنسانا] .

(٣٧) فى النسختين (أ ، ب) [بعبادة] .

ثم ولى « سليمان » عليه السلام ، وقد وصفوه بما ذكرنا قبل . وذكروا عنه أن نفقته فرضها على الأسباط ، لكل سبط شهر من السنة . وأن جنده كانوا اثنى عشر ألف فارس على الخيل ، وأربعين ألفا على الرمك(٣٨)، خلافا لما فى التوراة ، أن لا يكثروا من الخيل ، وهو الذى(٣٩) بنى الهيكل فى بيت المقدس وجعل فيه السرادق والمذبح والمنارة الآن والقربان والتوراة ، والتابوت وسكنه(٤٠) بنى هارون ، فكانت ولايته أربعين سنة . ثم مات عليه السلام ، فافترق أمر بنى إسرائيل ، فصار « بنو يهوذ » ، و« بنو بنيامين » لبنى « سليمان بن داود » عليه السلام فى بيت المقدس . وصار مُلْكُ الأسباط العشرة الباقية إلى مَلِكٍ آخر منهم يسكن « بنابلس » على ثمانية عشر ميلًا من « بيت المقدس » ، وبقوا كذلك إلى ابتداء إدبار أمرهم على ما نبين إن شاء الله تعالى ، فنذكر بحول الله تعالى وقوته أسماء ملوك بنى سليمان عليه السلام وأديانهم ، ثم نذكر ملوك الأسباط العشرة ، وبالله عزّ وجل نتأيد ، ليرى كل واحد كيف كانت حال التوراة ، والديانة فى أيام دولتهم .

ملوك الأسباط العشرة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولى إثر موت « سليمان بن داود » عليه السلام ابنه « رحبعام بن سليمان » : وله ست عشرة سنة . وكانت ولايته سبعة عشر عامًا ، فأعلن الكفر طول ولايته ، وعبد الأوثان جهارًا هو وجميع رعيته ، وجنده بلا خلاف منهم . ويقولون : إن جنده كانوا مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، وفى أيامه غزا ملك مصر فى سبعة آلاف فارس ، وخمسة عشر ألف رجل بيت المقدس(٤١)، فأخذها عنوة بالسيف وهرب « رحبعام » ، وانتهب ملك مصر المدينة والقصر ، والهيكل وأخذ كل ما فيها ، ورجع إلى مصر سالمًا غانمًا .

ثم مات « رحبعام » على الكفر ، فولى مكانه ابنه « أبيا » وله ثمانى عشرة سنة ، فبقى على الكفر هو وجنده ورعيته ، وعلى عبادة الأوثان علانية . وكانت ولايته ست سنين . ويقولون : قتل من الأسباط العشرة فى حروبه معهم خمسمائة ألف انسان .

ثم ولى بعد موته ابنه « أشا بن(٤٢) أبيا » : وله عشر سنين ، وكان مؤمنًا ، فهدم بيوت الأوثان ، وأظهر الإيمان ، وبقى فى ولايته إحدى وأربعين سنة على الإيمان . وذكروا أن جنده

---

(٣٨) الرّمك : محرك الفرس والبرذون تتخذ للنسل .
(٣٩) فى النسخة (ب) سقطت كلمة [الذى] .
(٤٠) فى (أ ، ب) : [وسكينة] .
(٤١) فى النسختين (أ ، ب) [إلى بيت المقدس] بزيادة حرف الجر [إلى] .
(٤٢) فى النسخة (أ) [أسا] بالسين المهملة .

كانوا ثلاثمائة آلاف مقاتل من « بنى يهوذا » ، واثنين وخمسين ألفًا من « بنى بنيامين » .

ومات وولى بعده ابنه : « يهوشافاط بن أشا » وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، فكانت ولايته : خمسًا وعشرين سنة ، وذكروا عنه أنه كان على الإيمان إلى أن مات .

فولى ابنه « يهورام بن يهوشافاط » : ولم نجد أمر سيرته ودينه إلا أنه كان مؤلفًا لعبادة الأوثان من ملوك سائر الأسباط . وولى وله اثنان وثلاثون سنة ، وكانت ولايته ثمانية أعوام ، ومات .

فولى مكانه ابنه « أحزياهو[٤٣] » . وله اثنان وعشرون سنة فأظهر الكفر ، وعبادة الأصنام فى جميع رعيته ، وكانت ولايته سنة وقتل . فوليت أمه « عثلياهو[٤٤] بنت عمرى ملك العشرة الأسباط ، فتمادت على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان ، وقتلت الأطفال ، وأمرت بإعلان الزنى فى البيت المقدس ، وجميع عملها ، وعهدت ألا تمنع امرأة ممن أراد الزنى معها ، وعهدت أن لا ينكر ذلك أحد ، فبقيت كذلك ست سنين إلى أن قتلت .

فولى ابن ابنها « يؤاش[٤٥] بن أحزياهو » : وله سبع سنين ، فاتصلت ولايته أربعين سنة ، وأعلن الكفر ، وعباد الأوثان ، وقتل « زكريا » النبى عليه السلام بالحجارة ، ثم قتله غلمانه فولى بعده ابنه « أمصياهو[٤٦] بن يؤاش » : وله خمس وعشرون سنة ، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته فبقى كذلك إلى أن قتل وهو على الكفر ، وكانت ولايته تسعًا وعشرين سنة ، وفى أيامه انتهب ملك الأسباط العشرة البيت المقدس ، وأغاروا على كل ما فيه مرتين .

ثم ولى بعده « عزياهو[٤٧] بن أمصياهو » ، وله ست عشرة سنة ، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته إلى أن مات . وكانت ولايته اثنتين وخمسين سنة وهو قتل « عاموص » النبى عليه السلام الداوودى .

فولى بعده ابنه « يوثام بن عزياهو » وله خمس وعشرون سنة ولم نجد له سيرة ، وكانت ولايته ست عشرة سنة فمات .

فولى مكانه ابنه « أحاز بن يوثام » وله عشرون سنة ، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان ، وكانت ولايته ست عشرة سنة إلى أن مات[٤٨].

---

(٤٣) (ب) [أحزيا] .
(٤٤) فى النسخة (ب) [عثليا] فقط بدون زيادة [هو] .
(٤٥) فى النسخة (ب) [يواش] بالواو بغير همز وفيها [أحزيا] .
(٤٦) فى النسخة (ب) [أمصيا] بدون [هو] .
(٤٧) فى النسخة (ب) [عزيا] بدون [هو] .
(٤٨) فى النسخة (أ ، ب) [فأعلن الكفر وعبادة الأوثان] قبل قوله [إلى أن مات] وهى مكررة ولهذا حذفناها من الأصل .

فولى بعده ابنه « حزقيا بن أحاز » ، وله خمس وعشرون سنة ، وكانت ولايته تسعًا وعشرين سنة فأظهر الإيمان ، وهدم بيوت الأوثان ، وقتل خدمتهما ، وبقى على الإيمان إلى أن مات هو وجميع رعيته ، وفى السنة السابعة من ولايته انقطع ملك العشرة الأسباط من بنى إسرائيل ، وغلب عليهم : « سليمان » الأعسر ملك « الموصل[٤٩]» ، وسباهم ونقلهم إلى « آمد » و « بلاد الجزيرة » .

وسكن فى بلاد الأسباط العشرة أهل « آمد » والجزيرة ، فأظهروا دين « السّامرة » الذين هناك إلى اليوم .

ثم مات « حزقيا » ، وولى بعده ابنه « منسى[٥٠] بن حزقيا » ، وله اثنتا عشرة سنة ففى السنة الثالثة من ملكه أظهر الكفر ، وبنى بيوت الأوثان ، وأظهر عبادتها هو وجميع أهل مملكته . وقتل « شعيا » النبى ، قيل نشره بالمنشار من رأسه إلى مخرجه ، وقيل قتله بالحجارة وأحرقه بالنار ، والعجب كله أنهم يصفون فى بعض كتبهم بأن الله أوحى إليه مع ملك من الملائكة ، وأن ملك « بابل » كان أسره وحمله إلى بلده وأدخله فى ثور نحاس ، وأوقد النار تحته ، فدعا الله فأرسل إليه ملكًا فأخرجه من الثور ، وردّه إلى بيت المقدس ، وأنه تمادى مع ذلك كله على كفره حتى مات ، وكانت ولايته خمسًا وخمسين سنة ، فقولوا يا معشر السامعين ، بلد تعلن فيه عبادة الأوثان ، وتبنى هياكلها ، ويقتل من وجد فيه من الأنبياء ، كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالما ؟ أم كيف يمكن هذا ؟

فلما مات « منسى[٥١] » ولى مكانه ابنه « آمون بن منسى » وهو ابن اثنين وعشرين عامًا ، فكانت ولايته سنتين على الكفر ، وعبادة الأوثان إلى أن مات .

فولى مكانه ابنه « يوشيا بن آمون » وهو ابن ثمان سنين . ففى السنة الثالثة من ملكه أعلن الإيمان ، وكسر الصلبان وأحرقها ، واستأصل هياكلها ، وقتل خدامها ، ولم يزل على الإيمان إلى أن قتل ، قتله ملك مصر . وفى أيامه أخذ « أرميا » النبى السرادق والتابوت والنار ، وأخفاها حيث لا يدرى أحد لعلمه بفوت ذهاب أمرهم .

ثم ولى بعده ابنه « يهوياحوز[٥٢] بن يوشيا » ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، فأعلن الكفر

---

(٤٩) الموصل : هى إحدى قرى بلاد الإسلام ، وهى باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد إلى « أذربيجان » وسميت بذلك لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل وصلت بين دجلة والفرات وهى مدينة قديمة على طرف دجلة ، ومقابلها من الجانب الشرق « نينوى » وفى وسطها قبر « جرجس » النبى ، وكان أول من عظمها وألحقها بالأمصار « مروان بن محمد » (معجم البلدان : ٥/٢٢٤) .

(٥٠) و (٥١) فى النسخة (أ) [منشا] وقد تكررت .

(٥٢) فى النسخة (ب) [يهوخار] .

وردّ(٥٣) عبادة الأوثان ، وأخذ التوراة من الكاهن الهارونى ونشر منها أسماء الله حيث وجدها ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر ، وأسره ملك مصر .

فولى مكانه « يهوياقيم(٥٤) بن يوشيا » أخوه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة فأعلن الكفر وبنى بيوت الأوثان هو وجميع أهل مملكته ، وقطع الدين جملة ، وأخذ التوراة من الهارونى فأحرقها بالنار ، وقطع أثرها ، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة ، ومات .

فولى مكانه ابنه « يهوياكين بن يهوياقيم(٥٥) » وتلقب « بنخيا(٥٦) » وهو ابن ثمانى عشرة سنة فأقام على الكفر وأعلن عبادة الأوثان . وكانت ولايته ثلاثة أشهر ، وأسره « بختنصر » .

فولى مكانه عمه « متنيا(٥٧) بن يوشيا » وتلقب « صدقيا » وهو ابن إحدى وعشرين سنة فثبت على الكفر ، وأعلن عبادة الأوثان هو وجميع أهل مملكته ، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة ، وأسره « بختنصر » وهدم البيت والمدينة ، واستأصل جميع بنى إسرائيل ، وأخلى البلد منهم ، وحملهم مسبيين إلى بلاد « بابل » . وهو آخر ملوك بنى إسرائيل ، وبنى سليمان جملة ، فهذه كانت صفة ملوك بنى « سليمان بن داود » عليهما السلام .

فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلّا عند الهارونى الكوهن الأكبر وحده فى الهيكل فقط .

وأما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه ، بل كانوا كلهم معلنين عبادة(٥٨) الأوثان ، مخيفين للأنبياء ، مانعين القصد إلى « بيت المقدس » ، لم يكن فيهم نبى قط إلّا مقتولًا ، أو هاربًا مخافا .

فإن قيل : أليس قد قتل « إلياس » جميع أنبياء « بابل » لأجل الوثن الذى كان يعبده الملك ، والنخلة التى كانت تعبدها بنى إسرائيل ، وهم ثمانمائة وثمانون رجلا ؟ قلنا : إنما كان(٥٩) بإقرار كتبهم فى مشهد واحد ، ثم هرب من وقته وطلبته امرأة الملك لتقتله ، وما أبصره(٦٠) أحد .

فأول ملوك الأسباط العشرة « يربعام بن ناباط » الأفرايمى ، وليهم إثر موت « سليمان »

---

(٥٣) فى النسخة (ب) [إلى عبادة] بزيادة [إلى] . وفى (أ ، ب) [فرد الكفر وأعلن عبادة الأوثان] .
(٥٤) فى النسخة (ب) [الياقيم] .
(٥٥) فى النسخة (ب) [يهو ياكين بن الياقيم] .
(٥٦) فى النسخة (ب) [نخيا] بدون حرف الجر .
(٥٧) فى النسخة (ب) [متينا] بتقديم الياء على النون . وفى (خ) [متنيا بن يوسف] .
(٥٨) فى النسخة (أ ، ب) [بعبادة] .
(٥٩) فى النسخة (ب) : [ذلك] بعد كلمة [كان] وهى ساقطة من النسخة (أ) .
(٦٠) فى النسخة (ب) : [بصره] .

النبى ﷺ ، فعمل من حينه عجلين من ذهب وقال : هذان إلاهاكم اللذان خلصاكم من مصر ، وبنى لهما هيكلين ، وجعل لهما سدنة من غير « بنى لاوى » وعبدهما هو وجميع أهل مملكته ، ومنعهم من المسير إلى بيت المقدس ، وهو كان شريعتهم لا شريعة لهم غير القصد إليه والقربان فيه ، فملك أربعًا وعشرين سنة ، ثم مات .

وولى ابنه « ناداب[٦١] بن يربعام » على الكفر المعلن سنتين ثم قتل[٦٢] هو وجميع أهل بيته .

وولى « بعشابن إيلا » من « بنى يساخر » على عبادة الأوثان علانية أربعًا وعشرين سنة .

وولى ولده « إيلا بن بعشا » على الكفر وعبادة الأوثان سنتين إلى أن قام عليه رجل من قواده اسمه « زمرى » فقتله وجميع أهل بيته .

وولى « زمرى » سبعة أيام ، فقتل وأحرق عليه داره ، وافترق أمرهم على رجلين ، أحدهما يسمى « تبنى بن جينة[٦٣] » والآخر « عمرى » فبقيا كذلك إثنى عشر عامًا ، ثم مات « تبنى » وانفرد بملكهم « عمرى » فبقى كذلك ثمانية أعوام على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات .

وولى بعده ابنه « أحاب[٦٤] بن عمرى » على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان إحدى وعشرين سنة . وفى أيامه كان إلياس النبى عليه السلام هاربًا عنه فى الفلوات ، وعن امرأته بنت ملك « صيدا » وهما يطلبانه للقتل ، ثم مات « أحاب[٦٥] » وولى ابنه « أحزيا[٦٦] بن أحاب » على الكفر وعبادة الأوثان ثلاث سنين ثم مات . وولى مكانه أخوه « يهورام بن أحاب » على الكفر وعبادة الأوثان اثنتى عشرة سنة إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته .

وفى أيامه كان « اليسع » عليه السلام وولى مكانه « باهو بن نمشى » من سبط « منسى[٦٧] » فكان أقلهم كفرًا ، هدم هياكل ما على الوثن ، وقتل سدنته ، إلا أنه لم ينقض[٦٨] قطع عبادة الأوثان بل ترك الناس عليها ، ولم يظهر[٦٩] الإيمان ، فولى كذلك ثمانيًا وعشرين سنة ومات .

---

(٦١) فى (خ) [ناباط بن يربعا] .
(٦٢) فى النسخة (أ) [قتله] .
(٦٣) فى (خ) [تبنى بن حسّاب] .
(٦٤) فى النسخة (ب) : [أخاب] بالخاء .
(٦٥) فى النسخة (ب) : [أخاب] بالخاء .
(٦٦) فى النسخة (ب) : [أخزيا] بالخاء .
(٦٧) فى النسخة (أ) [منشيا] .
(٦٨) فى النسختين (أ ، ب) [ينقص] بالصاد المهملة .
(٦٩) فى النسخة (ب) [يطهر] بالطاء المهملة .

وولى مكانه ابنه « يهوياحاز[٧٠] بن ياهو » سبع عشرة سنة فبنى بيوت الأوثان ، وأعلن عبادتها هو ورعيته إلى أن مات . وفى كتبهم أن أمر الأسباط العشرة ضعف فى أيامه ، حتى لم يكن معه من الجند إلا خمسون فارسًا وعشرة آلاف رجل فقط ، لأن ملك « دمشق » غلب عليهم وقتلهم .

وولى مكانه ابنه « يواش بن يهوياحاز » ست عشرة سنة على أشد من كفر أبيه ، وأخذ فى عبادة الأوثان ، وهو الذى غزا « بيت المقدس » وأغار عليه ، وعلى الهيكل ، وأخذ كل ما فيه ، وهدم من سور المدينة أربعمائة ذراع ، وهرب عنه ملكها[٧١] « يهوذا » ثم مات .

وولى مكانه ابنه « ياربعام[٧٢] بن يؤاش » خمسًا وأربعين سنة على مثل كفر أبيه ، وعبادة الأوثان ، وغزا أيضًا « بيت المقدس » وهرب أمامه ملكها الداوودى ، فأتبعه فقتله ثم مات .

وولى مكانه ابنه « زخريا بن ياربعام[٧٣] بن يؤاش بن يهوياحاز بن ياهو بن نمسى[٧٤] » ستة أشهر على الكفر وعبادة الأوثان ، إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته .

وولى مكانه « شلوم بن نامس » من سبط « نفتالى » فملك شهرًا واحدًا على الكفر وعبادة الأوثان ، ثم قتل .

وولى بعده « مياخيم » بن « قارا » من سبط « يساخر[٧٥] » عشرين سنة على عبادة الأوثان والكفر ومات .

وولى مكانه ابنه « محيا بن مياخيم » على الكفر وعبادة الأوثان سنتين إلى إن قتل هو وجميع أهل بيته .

وولى مكانه « ناجح بن مليا » من سبط « دانى » فملك ثمانيًا وعشرين سنة على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته .

وفى أيامه أجلى « تباشر » ملك الجزيرة « بنى رءوبين » و« بنى جادا[٧٦] » ونصف سبط « منسى[٧٧] » من بلادهم « بالغور » وحملهم إلى بلاده وسكّن بلادهم قومًا من بلاده .

---

(٧٠) فى النسخة (ب) : [يهو أحاز] .
(٧١) فى (أ ، ب) [ملك] .
(٧٢) فى النسخة (ب) [بارنعام] بالباء المفردة والنون الفوقية .
(٧٣) فى النسخة (ب) [بارنعام] كالسابقة .
(٧٤) فى النسخة (أ) [نمشى] .
(٧٥) فى النسخة (ب) [يساكر] .
(٧٦) فى النسخة (ب) [بنى جاد] .
(٧٧) فى النسخة (أ) [منشيا] .

ثم ولى مكانه « هوسيع بن أيلا » من سبط « جادا » على الكفر وعبادة الأوثان سبع سنين إلى أن أسره كما ذكرنا « سليمان » الأعسر ملك « الموصل » ،وحمله والتسعة الأسباط ، ونصف سبط « منسى » إلى بلاده أسرى وسكّن بلادهم قوما من أهل بلده ، وهم « السامرية » إلى اليوم . و « هوشيع » هذا آخر ملوك الأسباط العشرة . وانقضى أمرهم .

فبقايا المنقولين من « آمد » و« الجزيرة » إلى بلاد بنى إسرائيل هم الذين ينكرون التوراة جملة ، وعندهم توراة(٧٨) أخرى غير هذه التى عند اليهود ، ولا يؤمنون بنبى بعد « موسى » عليه السلام ،ولا يقولون بفضل بيت المقدس ، ولا يعرفونه ، ويقولون : إن المدينة المقدسة هى « نابلس » فأمر توراة أولئك أضعف من توراة هؤلاء ، لأنهم لا يرجعون فيها إلى نبى أصلا ولا كانوا هنالك أيام دولة بنى إسرائيل ، وإنما عملها لهم رؤساؤهم أيضًا فقد صح يقينًا أن جميع أسباط بنى إسرائيل حاش سبط « يهوذا » و« بنيامين » ومن كان بينهم من بنى هارون بعد « سليمان » عليه السلام مدة مائتى عام وواحد وسبعين عامًا لم يظهر فيهم قط إيمانٌ ولا يومًا واحدًا فما فوقه ، وإنما كانوا عباد أوثان ، ولم يكن قط فيهم نبى إلا مخاف ، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ، ولا رسم ، ولا أثر ، ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلًا ، مضى على ذلك جميع عامتهم ، وجميع ملوكهم ، وهم عشرون ملكًا ، قد سميناهم إلى أن جاءوا(٧٩) ودخلوا فى الأمم وتدينوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم متملكين ، وانقطع اسمهم(٨٠) ورسمهم إلى الأبد ، فلا يُعرَف منهم عينُ أحد ، وظهر يقينا أن « بنى يهوذا » و« بنى بنيامين » كانت مدة ملكهم بعد موت « سليمان » عليه السلام أربعمائة سنة غير(٨١) أعوام على اختلاف من كتبهم فى ذلك فى بضعة عشر عامًا ، وقد قلنا : إنها كتب مدخولة فاسدة . ملك هذين السبطين فى هذه المدة من « بنى سليمان بن داود » عليهما السلام تسعة عشر رجلًا . ومن غيرهم امرأة تمّوا بها عشرين ملكًا ، قد سميناهم كلهم آنفا ، كانوا كفارًا معلنين عبادة(٨٢) الأوثان ، حاش خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد ، وهم « أشا بن أسا » ولى إحدى وأربعين سنة ، وابنه « يهوشافاط » ابن « أشا » ولى خمسًا وعشرين سنة . فهذه ست وستون سنة اتصل فيهم الدين ظاهرا بعد ثلاث وعشرين سنة اتصل فيها(٨٣) الكفر ظاهرا وعبادة الأوثان ، ثم ثمانية أعوام « ليورام بن يهوشافاط » لم نجد له حقيقة دين ، فحملناه على الإيمان لسبب أبيه . ثم اتصل الكفر ظاهرًا وعبادة الأوثان

(٧٨) فى النسخة (ب) [نذارة] .
(٧٩) فى (أ ، ب) [أوجلوا] وهو تحريف ظاهر .
(٨٠) فى (أ ، ب) [وانقطع رسم رميهم] .
(٨١) فى النسخة (ب) [على] .
(٨٢) فى الأصل [بعبادة] .
(٨٣) فى (أ ، ب) سقط قوله [الدين ظاهراً بعد ثلاث وعشرين سنة اتصل فيها] .

فى ملوكهم وعامتهم مائة عام وستين عامًا ، مع كفر سائر أسباطهم ، فعمهم الكفر وعبادة الأوثان فى أولهم وآخرهم . فأىّ كتاب أو أى دين يبقى مع هذا ؟

ثم ولى « حزقيا » المؤمن تسعا وعشرين سنة ، ثم اتصل الكفر بعده فى عامتهم وملوكهم ، وعبادة الأوثان سبعًا وخمسين سنة .

ثم ولى « يوشا » المؤمن الفاضل إحدى وثلاثين سنة ، ثم لم يل بعده إلّا كافر معلن عبادة[٨٤] الأوثان مدة اثنين وعشرين عامًا وستة أشهر منهم من نشر أسماء الله من التوراة ، ومنهم من أحرقها وقطع أثرها ، ولم نجد بعد هؤلاء من ظهر فيهم[٨٥] إلا الكفر ، وقتل الأنبياء عليهم السلام إلى أن انقطع أمرهم جملة بغارة « بختنصر » وسبوا كلهم ، وهدم البيت ، واستأصل أثره ، هذا إلى غارات كانت على مدينة « بيت المقدس » وهيكلها الذى لم تكن التوراة عند أحد إلا فيه ، لم يترك فيها شيء ، مرة أغار عليهم صاحب مصر أيام « رحبعام[٨٦] بن سليمان » ، ومرتين فى أيام « أمصياهو[٨٧] » الملك من قبل صاحب العشرة الأسباط إلى أن أملاها[٨٨] عليهم من حفظه « عزرا » الوراق الهارونى ، وهم مقرون أنه وجدها عندهم ، وفيها خلل كثير فأصلحه ، وهذا يكفى ، وكان كتابة « عزرا » للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس ، وكتبهم تدل على أن « عزرا » لم يكتبها لهم ولم[٨٩] يصلحها إلا بعد نحو أربعين عامًا من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عامًا التى كانوا فيها خالين[٩٠] ، ولم يكن فيهم حينئذ نبى أصلًا ، ولا القبة ولا التابوت ، واختلف فى المنارة[٩١] كانت عندهم أم لا ؟

ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت ، وظهرت ظهورًا ضعيفا أيضًا ولم تزل تتداولها الأيدى مع ذلك إلى أن جعل « أنطاكيوس » الملك الذى بنى « أنطاكية » وثنا للعبادة فى « بيت المقدس » ، وأخذ بنى إسرائيل بعبادته ، وقربت الخنازير على مذبح البيت ، ثم تولى أمرهم قوم من « بنى هارون » بعد مئين من السنين ، وانقطعت القرابين فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التى بأيديهم اليوم ، وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلًا من القرابين ، وعملوا لهم دينًا جديدًا ، ورتبوا لهم الكنائس فى كل قرية ، بخلاف حالهم طول دولتهم ،

---

(٨٤) فى الأصل [بعبادة] .
(٨٥) فى الأصل [ولم نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم إيمان إلا الكفر] .
(٨٦) فى النسخة (ب) [رخبعام] بالخاء الفوقية .
(٨٧) فى النسخة (ب) [أمصيا] بدون [هو] .
(٨٨) فى النسخة (ب) [أملها] .
(٨٩) فى النسخة (ب) سقطت كلمة [لم] .
(٩٠) فى (خ) [جالين] بالجيم التحتية .
(٩١) فى (أ ، ب) [النار] .

وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة عام ، وأحدثوا لهم اجتماعا فى كل سبت على ما هم عليه اليوم بخلاف ما كانوا طول دولتهم ، فإنه لم يكن لهم فى شىء من بلادهم بيت عبادة ، ولا مجمع ذكر وتعلم ، ولا مكان قربان قربة ألبتة إلا بيت المقدس وحده ، وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط ، وبرهان هذا أن فى سفر « يوشع بن نون » بإقرارهم أن « بنى رءوبين » و« بنى جادا[٩٢]» ونصف سبط « منسى[٩٣]» إذ[٩٤] رجعوا بعد فتح بلاد الأردن و« فلسطين » إلى بلادهم بشرقى الأردن بنوا مذبحا ، فهمّ « يوشع بن نون » وسائر بنى إسرائيل بغزوهم من أجل ذلك ، حتى أرسلوا إليه : إننا لم نُقمْه لا لقربان ولا لتقديس أصلًا . ومعاذ الله أن نتخذ موضع تقديس غير المجتمع عليه الذى فى السرادق وبيت الله . فحينئذ كف عنهم ، ففى دون هذا كفاية لمن عقل فى أنها كتاب مبدّل مكذوب موضوع ، ودين معمول خلاف الدين الذى يقرون أن « موسى » عليه السلام أتاهم به ، وما يريد[٩٥] الشيطان منهم أكثر من هذا ، ولا فى الضلال فوق هذا ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأيضا فإن فى التوراة التى ترجمها السبعون شيخًا « لبطليموس » الملك بعد ظهور التوراة ، وأفشوها[٩٦] مخالفة للتى كتبها لهم « عزرا » الوراق ، وتدّعى النصارى أن تلك التى ترجم السبعون شيخًا فى اختلاف أسنان الآباء بين آدم ونوح عليهما السلام التى من أجل ذلك الاختلاف تولد بين تاريخ اليهود وتاريخ النصارى زيادة ألف عام ونيف على ما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

فإن كان هو كذلك فقد وضح اليقين ، بكذب[٩٧] السبعين شيخًا ، وتعمدهم لنقل الباطل ، وهم الذين عنهم أخذوا دينهم ، وأفٍّ أفٍّ لدين أخذ عن متيقن كذبه .

وأيضًا فإن فى السفر الخامس من أسفار التوراة الذى يسمونه التكرار : أن الله تعالى قال لموسى : « اصنع لوحين على حال الأولين ، واصعد إلى الجبل ، واعمل تابوتًا من خشب لأكتب فى اللوحين العشر كلمات التى أسمعكم السيد فى الجبل من وسط اللهيب عند اجتماعكم إليه ، وبرى[٩٨] بهما إلىّ فانصرفت من الجبل ، وجعلتهما فى التابوت ، وهما فيه إلى اليوم » .

وفى السفر المذكور أيضًا بعد هذا الفصل قال : ومن بعد أن كتب « موسى » هذه العهود فى مصحف ، واستوعبها ، أمر « بنى لاوى » حاملى تابوت عهد الرب ، وقال لهم : خذوا

---

(٩٢) فى (ب) [جاد] .
(٩٣) فى (أ) [منشا] .
(٩٤) فى (أ) [إذا] .
(٩٥) فى (أ ، ب) [وما يزيد] بالزاى بدلا من الراء المهملة .
(٩٦) فى النسخة (ب) وفشوها [هى] وقد سقطت من النسخة (أ) .
(٩٧) فى (أ ، ب) [وكذب السبعون] .
(٩٨) فى النسخة (أ) [ويرى] بالياء المثناة — ويرى بمعنى ألقى .

هذا المصحف ، واجعلوه فى المذبح ، واجعلوا عليه تابوت عهد الرب إلٰهكم ليكون عليكم شاهدًا .

وقال قبل ذلك فى السفر المذكور أيضًا : إذا استجمعتم على تقديم ملك عليكم على حال ملوك الأجناس فلا تقدموا إلَّا من ارتضاه الرب من عدد إخوتكم ، ولا تقدموا أجنبيًا على أنفسكم إلى أن قال : فإذا قعد على سرير ملكه فليكتب من هذا التكرار فى مصحف ما يعطيه الكوهن المتقدم من « بنى لاوى » بما يشاكله ويكون ذلك معه ، فيقرأه كل يوم طول ولايته ليخاف الرب إلاهه ، ويذكر كتابه وعهده ، فهذا كله بيان واضح بصحة ما قلنا من أن العشر كلمات ومصحف التوراة إنما كان فى الهيكل فقط تحت تابوت العهد ، وفى التابوت فقط عند الكوهن الأكبر وحده ، لأنه بإجماعهم لم يكن يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه .

وفيه أيضًا : أنه أمر أن يكتب الكوهن المذكور من السفر الخامس فقط شيئا يمكن أن يقرأه الملك كل يوم ، ومثل هذا لا يكون إلا يسيرًا جدًا ورقة أو نحو ذلك . مع أنهم لا يختلفون فى أنه لم يلتفت إلى ذلك ألبتة بعد « سليمان » عليه السلام أحد من ملوكهم إلا أربعة أو خمسة كما قدمنا فقط ، من جملة أربعين ملكًا .

وأيضًا فإنه قال فى السفر المذكور : ثم كتب « موسى » هذا الكتاب وبرى به إلى الكهنة من « بنى لاوى » الذين كانوا يحسنون عهد الرب ، وقال لهم « موسى » : إذا اجتمعتم للتقديس بين يدى الرب إلٰهكم فى الموضع الذى تخيره الرب ، فاقرءوا ما فى هذا المصحف فى جماعة « بنى إسرائيل » عند اجتماعهم فقط يسمعوا ما يلزمهم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وفى نصِّ توراتهم : أنهم كانوا لا يلزمهم المجىء إلى « بيت المقدس » إلَّا ثلاث مرات فى كل سنة فقط ، فإنما أمر بنص التوراة كما أوردنا أن يقرأها عليهم الكوهن الهارونى عند اجتماعهم فقط . فثبت أنها لم تكن إلَّا فى الهيكل فقط ، عند الكوهن الهارونى فقط لا عند أحد سواه .

وقد أوضحنا قبل أنَّ العشرة الأسباط لم يدخل قط « بيت المقدس » منهم أحد بعد موت « سليمان » عليه السلام إلى أن انقطعوا ، وأن « بنى يهوذا » و« بنيامين » لم يجتمعوا إليه إلَّا فى عهد الملوك الخمسة المؤمنين فقط فظهر بهذا – كما قلنا – وصح تبديلها بيقين ، ولا شك فى أن تلك المدة الطويلة التى هى أربعمائة سنة غيرُ شىء ، قد كان فى الكهنة الهارونيين ما كان فى غيرهم من[99] الكفر والفسق ، وعبادة الأوثان كالذى يذكرون عن ابنى الكوهن[100] عالى

(٩٩) فى النسخة (ب) [فى] .
(١٠٠) سقطت كلمة [الكوهن] فى النسخة (ب) . و (خ) .

الهاروني ، وغيرهما ، ممن يقرُّون(١٠١) في كتبهم أنهم خدموا الأوثان ، وبيوتها من « بني هارون » و« بني لاوي » . ومَنْ هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به ، وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها .

قال « أبو محمد » (رضي الله عنه) : إلّا سورة واحدة ذكر في توراتهم أنَّ « موسى » عليه السلام أمر بأن تكتب وتعلم جميعُ « بني إسرائيل » ليحفظوها ويقوموا بها ، ولا يمتنع أحد من نسلهم من حفظها ، وهذا نصها حرفا بحرف : « اسمعي يا سماوات ، قولي وتسمع الأرض كلامي ، يكثر كالمطر ، ويسيل(١٠٢) كالرذاذ كلامي ، ويكون كالمطر على العشب ، وكالرذاذ على الخصب لأني أنادي باسم الرّب ، فيعظمه الرّب إلهنا الذي أكمل خلقته(١٠٣) واعتدلت أحكامه ، الله الأمين ، الذي لا يجور ، العدل القيوم ، أذنب لديه غير أوليائه ، ومحت(١٠٤) الأمة العاصية المستحيلة ، وهذا شكر للرّب يا أمة جاهلة نهمة(١٠٥)، أما هو : أبوكم الذي خلقكم ، ومليككم ، فتذكروا القديم ، وفكروا في الأجناس ، وسلوا آباءكم(١٠٦) فيعلمونكم ، وأكابركم فيعرفونكم ، إذا كان يقسم العلي الأجناس ، ويميز بين بني آدم(١٠٧) جعل قسمة الأجناس على حساب بني إسرائيل ، فهم الربُّ أمته ، ويعقوب قسمته ، وجده في الأرض المقفرة ، وفي موضع قبيح غير مسلوك فأطلقه وأقبل به وحفظه كحفظ الشعر للعين ، وأطارهم كما يستطير العقاب بفراخها ، وتحوم عليها ، وتبسط جناحها حفظا لها ، فأقبل بهم وحملهم على منكبيه ، فالرب وحده كان قائدهم ، ولم يكن معه إله غيره ، فجعلهم في أشرف أرضه ليأكلوا خبزها ، ويصيبوا عسل حجارتها ، وزيت جنادلها ، وسمن مواشيها ، ولبن ضأنها ، وشحوم خرفانها ، وكباش « بني باسان(١٠٨)، ولحوم التيوس ، بلباب(١٠٩) البرّ ، ودم العنب ، وتعاموا(١١٠) سمنوا ، ودبروا ، واتسعوا(١١١)، ثم تخلوا من الله خالقهم ، وكفروا بالله مسلمهم ، فألجئوه بعبادتهم(١١٢) الأوثان إلى أن سخط عليهم ، ولسجودهم للشيطان لا لله ، ولسجودهم لآلهة الأجناس كانوا يجهلونها ،

---

(١٠١) في (أ ، ب) [يقرءون] وفي (خ) سقطت [في كتبهم] .
(١٠٢) في (أ ، ب) [ويل] بدلا من [ويسيل] .
(١٠٣) في النسخة (أ) [خليقته] .
(١٠٤) في (خ) [وتنجست] .
(١٠٥) في (أ ، ب) [قيمة] وفي (خ) [فهمة] وهو تحريف .
(١٠٦) في الأصل [أباكم] .
(١٠٧) في (ب) [بدى] .
(١٠٨) في (أ ، ب) [بلسان] .
(١٠٩) في (ب) [ولبان] بالنون الفوقية . وفي (أ) [ولباب] .
(١١٠) في (أ ، ب) [وتعاصوا] .
(١١١) في (أ ، ب) [واشعوا] وهو تحريف ظاهر .
(١١٢) في (أ ، ب) [فالجوه لعبادتهم] .

ولم يعبدها[١١٣] قبلهم آباؤهم فتخلوا من الله الذى ولدهم ، فنسوا[١١٤] الرب خالقهم ، فبصر الرب بهذا ، وغضب له ، إذ تخلى[١١٥] بنوه وبناته ، فقال : أخفى وجهى عنهم حتى أعلم آخر أمرهم ، فإنها أمة كافرة عاصية ، وقد أسخطونى بعبادة من ليس إلها ، وأغضبونى بفواحشهم ، وسأغيرهم على يدى أمة ضعيفة ، وأخسف بهم على يدى أمة جاهلة ، ويتقدم غضبى نارٌ تحرق إلى الهواء ، فيأتى على الأرض بمعاقبته[١١٦] ، وتذهب أصول الجبال فأجمع عليهم بأسى ، وأثقبهم بنبلى ، وأهلكهم جوعًا ، وأجعلهم طعامًا للطير ، وأسلط عليهم أنياب السباع ،وأصعب[١١٧] عليهم الحياة ، فإن برزوا أهلكتهم رماحًا ، وإن تحصنوا أهلكت الشاب منهم ، والعذار ، والطفل ، والشيخ ، رعبا حتى أقول : أين هم ؟ فأقطع من الأرض ذكرهم ، لكنى رفّهت عنهم لشدة حرد أعدائهم لئلا يزهوا ويقولوا أيدينا القوية[١١٨] فعلت لا الرب ، فهذه الأمة لا رأى[١١٩] لها ، ولا تمييز فليتها عرفت وفهمت ، وأبصرت ما يدركها فى آخر أمرها ، كيف يتبع واحدًا منهم ألف[١٢٠] ويفر عن اثنين عشرة آلاف ؟

أما هذا بأن ربهم أسلمهم ، وربهم أعلق فيهم ، ليس إلٰهنا مثل آلهتم ، وصارحكما ، كَرْمهم من كَرْم « سدوم » ، وعناقيدهم من أرباض « عامورا » ، فعناقيدهم عناقيد المرارة ، وشرابهم مرارة الثعابين ، ومن السم الذى لا دواء له ، أما هذا فى علمى ، ومعروف فى خزائنى لى الانتقام ، وأنا أكافىء فى وقته ، فترهق أرجلكم ، فكان قد حان وقت خرابهم ، وإلى ذلك تسرع الأزمنة ، سيحكم الربُّ على أمته ، ويرحم عبيده إذا أبصرهم قد ضعفوا ، وأغلق عليهم وذهب أواخرهم ، وقال : أين آلهتهم التى يتقون ، ويأكلون من قربانهم ، ويشربون منه ، فليقوموا ، وليغيثوهم فى وقت حاجتهم . فتبصَّروا تبصروا : أنا وحدى ولا إله غيرى ، أنا أميت ، وأنا أحيى ، وأنا أمرض ، وأنا أبرى ، ولا ينخلص شىء من يدى ، فأرفع إلى السماء يدى ، وأقول : بحياتى الدائمة ، لئن حددت رمحى كالصاعقة ، وابتدأت يمينى بالحكم ، لا كافانى أعدائى ، وأهل السنان ، ولأسكرن نبلى دمًا ، ولأقطعن برمحى لحومًا ، فامدحوا يا معشر الأجناس أمة ، فإنه سيأخذ بدماء عبيده ، وينتقم من أعدائهم ، ويرحم أرضهم .

---

(١١٣) فى الأصل [ولم بعدها] .
(١١٤) فى (ب) [فنسبوا] .
(١١٥) فى (ب) [تحلى] بالحاء المهملة .
(١١٦) فى (أ ، ب) [بمعانسته] .
(١١٧) فى (ب) [وأعصب] . وفى (خ) [وأغضب عليهم الحيَّات] .
(١١٨) فى (ب) [القوة] .
(١١٩) فى (ب) [لا أرى] .
(١٢٠) فى (أ ، ب) [ألفا] بالنصب .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه السورة التى أبيحت لهم ، وأمروا بحفظها وكتابتها لا ماسواها بنص توراتهم بزعمهم ، وقد بينا قبل أنهم لم يشتغلوا بعد موت « سليمان » عليه السلام ، لا بهذه السورة ولا بغيرها إلا مدة الملوك الخمسة فقط ، لأنهم(١٢١) قد عبدوا كلهم الأوثان ، وقتلوا الأنبياء وأخافوهم ، وشردوهم ، هذا ما لا يشك فيه كافر ولا مؤمن .

على أن فى هذه السورة من الفضائح ما لا يجوز أن ينسب إلى الله عز وجل ، مثل قوله : إن الله تعالى هو أبوهم الذى ولدهم ، وأنهم بنوه وبناته حاش لله من هذا ، وهل طرق للنصارى وسهّل عليهم أن يجعلوا لله ولدًا إلّا ما وجدوا فى هذه الكتب الملعونة المكذوبة المبدّلة بأيدى اليهود ؟!

وليس فى العجب أكثر من أن يجعلهم أنفسهم أولاد الله تعالى ، وكل من عرفهم يعرف أنهم أوضر(١٢٢) الأمم بزة ، وأبردهم طلعة ، وأغثهم مفاظع(١٢٣)، وأتمهم خبثًا ، وأكثرهم غشًا ، وأجبنهم نفوسًا ، وأشدهم مهانة ، وأكذبهم لهجة ، وأضعفهم همة ، وأرعنهم شمائل ، بل حاش لله من هذا الاختيار الفاسد .

ومثل قوله فى هذه السورة : أنه تعالى حملهم على منكبيه .

ومثل قوله : أنه قد قسم الأجناس من بنى آدم ، وجعل قسمة الأجناس على حساب بنى إسرائيل ، وجعلهم سهمه ، فهذا كذب ظاهر حاش لله منه لأن أولاد بنى إسرائيل كانوا اثنى عشر ، فعلى هذا يجب أن يكون أجناس « بنى آدم » اثنى عشر ، وليس الأمر كذلك ، فإن كان عنى من تناسل من(١٢٤) أولاد إسرائيل ، فالكذب(١٢٥) حينئذ أشنع وأبشع ، لأن عددهم لا يستقر على قدر واحد ، بل كل يوم يزيدون وينقصون بالولادة والموت ، هذا ما لا شك فيه ، فكل هذه براهين واضحة بأنها محرّفة مبدّلة مكذوبة ، فإذ(١٢٦) هى كذلك فلا يجوز ألبتة فى عقل أحد أن يشهد فى تصحيح شريعة ، ولا فى نقل معجزة ، ولا فى إثبات نبوة ، بنقل مكذوب مفترى موضوع . هذا ما لا شك فيه .

وقد قلنا أو نقول : إنّ نقل اليهود فاسدٌ مدخول ، لأنه راجع إلى قوم اتبعوا من أخرجهم من الذل والبلاء والسخرة ، والخدمة فى عمل الطوب ، وذبح أولادهم عند الولادة ، ومن(١٢٧) حال

---

(١٢١) فى النسخة (ب) [قد لأنهم] .
(١٢٢) الوضَرَ محركة : وسخ الدسم واللبن . وغسالة السقاء ، والقصعة ونحوهما ، وما تشمه من ريح تجدها من طعام فاسد .
(١٢٣) فى (أ) [مقاطع] بالقاف والطاء المهملة .
(١٢٤) فى (أ ، ب) [من تناسل بنى إسرائيل] .
(١٢٥) فى (أ ، ب) [فكذب] .
(١٢٦) فى (ب) [فإن] .
(١٢٧) سقطت [من] فى (ب) .

لا يصبر عليها كلب مطلق ، ولا حمار مسيب إلى العزّ ، والراحة ، والعافية ، والتملك للأموال ، وأن يكونوا آمرين مخدومين ، آمنين على أولادهم وأنفسهم . ولا ينكر فى مثل هذا الحال أن يشهد المخلص للمخلص بكل ما يريد منه .

ومع هذا كله فإنّ اتباعهم « لموسى » عليه السلام الذى أخرجهم من تلك الحالة إلى هذه الأخرى ، وطاعتهم(١٢٨) له كانت مدخولة ضعيفة مضطربة .

وقد ذكر فى نص توراتهم : أنهم(١٢٩) إذ عملوا العجل نادوْا هذا إله « موسى » الذى يخلصهم من « مصر » .

ومرة أخرى أرادوا قتله ، وتصايحوا : قدّم على أنفسنا قائدا ونرجع إلى مصر ، ومع هذا كله قولهم : إن السحرة عملوا مثل كثير مما عمل موسى ، وأن كل ذلك بيان(١٣٠) ممكن بصناعة معروفة ، وفى هذا كفاية .

وهم مقرون بلا خلاف من أحد منهم : أنه لم يتبع « موسى » أمةٌ سواهم ، ولا نقلت لهم معجزة طائفة غيرهم ، وأمّا النصارى : فعنهم أخذوا نبوّة موسى ومعجزاته ، وأما سائر الأمم والملل ، كالمجوس والفرس والصابئين ، والسريانيين ، والمانية(١٣١)، والسمنية ، والبراهمة ، والهند والصين ، والترك - فلا ، أصلا . ولا على أديم الأرض مصدق بنبوة « موسى » وبالتوراة التى بأيديهم إلاهم ، ومن هو شعبة منهم كالنصارى .

وأمّا نحن - المسلمين - فإنما قبلنا نبوة « موسى » ، و« هارون » ، و« داود » و« سليمان » ، و« إلياس » ، و« اليشع » عليهم السلام ، وصدقنا بذلك وآمنا بهم ، وأنَّ « موسى » الذى أنذر « بمحمد » ﷺ لإخبار رسول الله ﷺ بصحة نبوتهم ، ومعجزاتهم فقط ، ولولا إخباره عليه السلام بذلك ما كانوا عندنا إلا « كشموال » ، و« إيراث » ، و« حداث » ، و« حقاى » ، و« حبقوق » ، و« عدوا » ، و« يؤال » ، و« عاموص » ، و« عوبديا » ، و« ميسخا » ، و« ناحوم » ، و« صفينا » ، و« ملاخى » وسائر من تقر اليهود بنبوتهم ، كإقرارهم بنبوة « موسى » سواء بسواء ، ولا فرق بين طرق نقلهم لنبوة جميعهم ، ونحن لا نصدق نقل اليهود فى شىء من ذلك ، بل نقول : إنه قد كان لله تعالى أنبياء فى « بنى إسرائيل » أخبر بذلك الله تعالى فى كتابه المنزل ، على نبيه الصادق المرسل ، فنحن

---

(١٢٨) فى (ب) [وطاعته] .
(١٢٩) سقطت [أنهم] فى (ب) .
(١٣٠) فى (خ) لا توجد كلمة [بيان] .
(١٣١) فى (ب) [والمنانية] .

نقطع بنبوة من سمّى لنا منهم • ونقول فى هؤلاء الذين لم يسم لنا محمد ﷺ أسماءهم : الله عزّ وجل أعلم ، إن كانوا أنبياء فنحن نؤمن بهم ، وإن لم يكونوا أنبياء فلسنا نؤمن بهم •

آمنا بالله ، وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحدٍ من رسله[١٣٢]»

وهكذا نقر بنبوة « صالح[١٣٣] »، و« هود » ، و« شعيب[١٣٤] »، و« إسماعيل[١٣٥] » وبأنهم رسل الله يقينًا ، ولا نبالى بإنكار اليهود لنبوتهم ، ولا بجهلهم بهم ، لأن الصادق عليه السلام شهد برسالتهم . وأما التوراة فما وافقنا قط عليها ، لأننا نحن نقر بتوراة حق أنزلها الله تعالى على « موسى » عليه السلام وأصحابه ، لأنه تعالى أخبرنا بذلك فى كتابه الناطق على لسان رسول الله ﷺ الصادق ، ونقطع بأنها[١٣٦] ليست هذه التى بأيديهم بنصها ، بل حرف كثير منهم وبدّل ، وهم يقرون بهذه التى بأيديهم ، ولا يعرفون التى نؤمن نحن بها ، وكذلك لا نصدّق بشريعتهم التى هم عليها الآن ، بل نقطع بأنها محرفة مبدَّلة مكذوبة ، وهم لا يؤمنون « بموسى » الذى بشر « بمحمد » ﷺ ، وبرسالته وبأصحابه .

فاعلموا أننا لم نوافقهم قط على التصديق بشىء من دينهم ، ولا مما هم عليه ، ولا مما بأيديهم من الكتاب ، ولا بالنبى الذى يذكرونه لما قد أوضحناه من فساد نقلهم ، ووضوح الكذب فيه ، وعموم[١٣٧] الدواخل فيه[١٣٨].

---

(١٣٢) الآية كما فى سورة البقرة ٢٨٥ « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله » •

(١٣٣) صالح : نبى أرسله الله إلى قوم ثمود من العرب ، وقد طلب من قومه أن يستمعوا إليه ، وأن يعبدوا الله وحده فرفضوا دعوته ، وطلبوا آية على صدقه ، وهى ناقة تخرج من صخرة عينوها له ، فأجابهم إلى ماطلبوا ، ولكنهم لجوا فى كفرهم ، وعقروا ناقة نبيهم فعاقبهم الله على ذلك فأرسل عليهم ريحا طاغية اقتلعتهم (دائرة المعارف الإسلامية حـ ٤ ص ١٠٦) •

(١٣٤) شعيب : هو حمو موسى عليه السلام : وجاء فى الآية ٩١ من سورة هود : أنه أرسل بعد هود وصالح ولوط ، وجاء فى سورة الشعراء الآيات ١٧٩ ـ ١٨٩ : أنه أرسل إلى أصحاب الأيكة فدعاهم إلى التوحيد ، وحثهم على إقامة القسط فى الميزان والكيل ، وحذرهم من العبث بالنظام فاستجاب إليه بعضهم ، ولج الباقون فى كفرهم ، وقبر سعيب اختلف فيه : أهو فى قرية « حطين » أو بين « مدين » التى خربت و« مدين » الحديثة (دائرة المعارف الإسلامية) •

(١٣٥) إسماعيل : هو ابن إبراهيم عليه السلام ، وجاء فى الآية ٥٥ من سورة مريم : أنه كان رسولًا نبيا ، وقد ذكر فى الآية ١٢٧ من سورة البقرة : أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق من آباء يعقوب ، وجاء أيضا أن إبراهيم أولد « هاجر » إسماعيل ، وكان أول بنيه ، وأنه كان سببا فى النزاع بين « هاجر » و « سارة » ، وقد أعان إسماعيل أباه فى بناء البيت الحرام ، ويقال بأن إبراهيم وهاجر دفنا فى الحجر فى بيت الله الحرام . (دائرة المعارف الإسلامية) .

(١٣٦) فى (ب) [على أنها] .

(١٣٧) فى (أ) [عموم] بغير واو العطف .

(١٣٨) إلى هنا انتهى الكلام فى النسخة (أ) من الجزء الأول من الفصل . أما النسخة (ب) فقد استمرت حتى انتهى الحديث عن اليهود والتوراة ، وبدأ الجزء الثانى بالحديث عن النصارى ونحن قد سرنا على هذا التقسيم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ونذكر إن شاء الله تعالى طرفًا مما فى سائر الكتب التى عندهم ، التى يضيفونها إلى الأنبياء عليهم السلام من الفساد كالذى ذكرنا فى توراتهم ، ولا خلاف فى أن اهتبالهم بالتوراة كان أشد وأكثر أضعافا مضاعفة من اهتبالهم(١٣٩) بسائر كتب أنبيائهم .

أما كتاب « يوشع » فإن فيه براهين قاطعة بأنه أيضا تاريخ ألفه لهم بعض متأخريهم بيقين ، وأن « يوشع » لم يكتبه قط ، ولا عرفه ولا أنزل عليه ، فمن ذلك أن فيه نصًا : (فلما انتهى ذلك إلى « دوسراق » ملك « بيوس » التى بنى فيها « سليمان بن داود » بيت المقدس ، فعل أمرًا ذكره) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ومن المحال الممتنع أن يخبر « يوشع » أن « سليمان » بنى بيت المقدس ، و« يوشع » قبل سليمان بنحو ستمائة سنة ، ولم يأت هذا النص فى كتاب « يوشع » المذكور على سبيل الإنذار أصلًا ، إنما مساقه — بلا خلاف منهم — مساق الأخبار عما قد مضى(١٤٠) . وفيه قصة بشيعة جدًا ، وهى أن « عخار » ابن « كرمى » بن « شذان(١٤١) » ابن « شيلة » بن « يهوذا » بن « يعقوب » عليه السلام غل(١٤٢) من الغنم خيطًا أرجوانًا ، وحق ذهب فيه خمسون مثقالا ، ومائتا درهم فضة ، فأمر « يوشع » برجمه ، ورجم بنيه ، ورجم بناته حتى يموتوا كلهم بالحجارة ، وأمر بإحراق مواشيه كلها ، وحاش لله أن يحكم نبى بهذا الحكم فيعاقب بأغلظ العقوبة من لا ذنب له من ذريه لم تجن شيئًا بجناية أبيهم ، مع أن نصّ التوراة : لا يقتل الأبُ بذنب الإبن ، ولا الإبن بذنب الأب . فلابدّ ضرورة من أن يقولوا نسخ « يوشع » هذا الحكم ، فيثبتوا النسخ من نبى لشريعة نبى قبله ، وفى شريعة « موسى » أيضًا ، أو ينسبوا الظلم وخلاف أمر الله إلى « يوشع » فيجعلوه ظالما عاصيا لله مبدلًا لأحكامه ، وما فيها حظ لمختارٍ منهم . وبالله تعالى التوفيق .

وفيه : أن كل من دخل من بنى إسرائيل الأرض المقدسة ، فإنهم كانوا مختونين ، وفيه أبناء تسعة وخمسين عامًا ، وأقل ، وأن « موسى » عليه السلام لم يختن ممن ولد بعد خروجه من مصر أحدًا ، هذا مع إقرارهم أن الله تعالى شدّد فى الختان ، وقال : « من لم يختتن فى يوم أسبوع ولادته فلتنف نفسه من أمته » بمعنى : فليقتل .

---

(١٣٩) اهتبل الصيد : بغاه ، والصياد يهتبل الصيد أى يغتنمه ويفتره . جاء فى اللسان . جاء فى اللسان : الاهتبال : الاغتنام وفى الحديث من اهتبل جوعه مؤمن كان له كيت وكيت . والمراد هنا : الطلب والعناية .

(١٤٠) فى (ب) [مضوا] .

(١٤١) فى (ب) [سلوان] .

(١٤٢) غل : غلولًا « خان » كأغل أو خاص بالفىء ومنه قول الله تعالى : « وما كان لنبى أن يغلّ ، ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة » (آل عمران : ١٦١) .

فكيف يضيع « موسى » هذه الشريعة الوكيدة ؟ حتى يختنهم كلهم « يوشع » بعد موت « موسى » بدهر ؟

ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم . فقال لى : كانوا فى التيه فى حل وارتحال ، فقلت له : فكان ماذا ؟ فكيف وليس كما تقولون ؟ بل كانوا يبقون المدة الطويلة فى مكان واحد .

وفى نص كتاب « يوشع » بزعمكم : أنه إنما ختنهم إذ جازوا الأردن قبل الشروع فى الحرب ، وفى أضيق وقت ، وختنهم كلهم حينئذ ، وهم رجال كهول ، وشبان ، وتركوا الختان إذ لا مئونة فى ختانهم أطفالا تحمله أمه مختونًا كما تحمله غير مختون ، ولا فرق ، فسكت منقطعًا .

وأما الكتاب الذى يسمونه (الزبور) : ففى المزمور الأول منه : « قال لى الرَّب : (أنت ابنى أنا[١٤٣] اليومَ ولدتك) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فأى شىء تنكرون على النصارى فى هذا الباب ؟ ما أشبه الليلة بالبارحة ؟! وفيه أيضًا : « أنتم بنو الله ، وبنو العلى كلكم » .

وهذه أطم من التى قبلها . ومثل ما عند النصارى أو أنتن .

وفيه[١٤٤] فى المزمور الرابع والأربعين منه : (عرشك يا الله فى العالم ، وفى الأبد ، قضيت[١٤٥] العدل ، قضيت[١٤٦] ملكك ، أحببت الصلاح ، وأبغضت المكروه ، من أجل[١٤٧] ذلك دهنك إلهك بزيت القرح[١٤٨] بين أشراكك) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه سوأة الأبد ، ومضيعة الدهر ، وقاصمة الظهر ، وإثبات إله آخر على الله تعالى دَهَنَه بالزيت إكرامًا له ، ومجازاة على محبته الصلاح ، وإثبات أشراك الله تعالى ، وهذا دين النصارى بلا مئونة - [ولكن[١٤٩]] إثبات إله دون الله - وقد ظهر عند اليهود هذا علانية على ما نذكر بعد أن شاء الله تعالى .

وبعده بيسير يخاطب الله تعالى : « وقفت زوجتك عن يمينك وعقاصها من ذهب ، أيتها

---

(١٤٣) فى (ب) [أنت ابن اليوم ولدتك » .

(١٤٤) فى (أ) [وهو] .

(١٤٥) فى (أ) [قضيب] بالباء التحتية المفردة .

(١٤٦) فى (أ) [قضيب] بالباء التحتية المفردة .

(١٤٧) فى (ب) [وكذلك] .

(١٤٨) فى (أ) [الفرح] بالفاء الموحدة . والقرح : البثر إذا ترامى إلى فساد وجرب شديد ، يهلك فصلان الإبل ، وأقرحوا أصاب إبلهم ذلك . وزيت القرح : الذى يستعمل فى علاج الجرب .

(١٤٩) هكذا فى الأصل ، والكلام لا يفهم بوجودها ، والأصح - عندنا - بدون لكن ، وتكون الجملة اعتراضية - لبيان دين النصارى بلا مئونة .

الإبنة : اسمعى ، وميلى بأذنيك ، وأبصرى ، وآنسى عشيرتك ، وبيت أبيك ، فيهواك الملك وهو الرب والله فاسجدى له طوعًا » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ما شاء الله كان . أنكرنا الأولاد فأتونا بالزوجة ، والأختان !! تبارك الله ، فما نرى لهم على النصارى فضلاً أصلًا ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وفيه فى المزمور الموفى مائة وسبعا(١٥٠): « قال الرَّب لربِّى : اقعد على يمينى حتى أجعل أعداءك كرسى قدميك » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كالذى قبله فى الجنون والكفر ، رب فوق ربٍّ ، وربٌّ يقعد عن يمين ربٍّ ، وربٌّ يحكم على ربٍّ . ونعوذ بالله من الخذلان .

وفيه فى المزمور السادس والثمانين منه : « يقول روح القدس لصهيون : يقال رجل ، ورجل ولد فيها ، وهو(١٥١) الذى أسسها الرب العلى ، الذى خلقها عند مكتنه الأمة » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا دين النصارى الذى يشنعون به عليهم ، من أن الله ولد « صهيون » ، لو انهدمت الجبال من هذا ما كان عجبا .

وفيه فى المزمور السابع والسبعين منه : « الرَّب قام كالمنتبه من نومه كالجبار الذى يقربه(١٥٢) أثر الخمار كما يقوم الجريش(١٥٣) » .

وفيه : « اتقوا ربكم الذى قوته كقوة الجريش » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ما سمع فى الحمق اللفيف ، ولا فى الكفر السخيف بمثل هذا الفعل(١٥٤)، مرة يشبه قيام الله تعالى بالمنتبه من نومه ، وقد علمنا أنه لا يكون المرء أكسل ولا أحوج إلى التمدد ، ولا أثقل حركة منه حين قيامه منه ، ومرة يشبهه بجبار ثمل ، وما عهد للمرء وقت يكون فيه أنكد ولا أثقل عينين ، ولا أخبث نفسا ، ولا آلم صداعًا ، ولا أضعف عويلا منه فى حان(١٥٥) الخمار . ومرة يمثله بالجريش ، وما الجريش والله ما هو إلَّا ثور من الثيران بقرن فى وسط رأسه ، حاش لله من هذه النحوس التى حَقُّ من يؤمن بها السوط حتى يعتدل دماغه ، أو يحمق بالكل ويقذف الناس بالحجارة ، ويسقط عنه الخطاب ونعوذ بالله من البلاء .

---

(١٥٠) فى (خ) [وتسعا] .
(١٥١) فى (أ) [وهى العلى أسسها الرب الذى خلقها بعد عند مكتبة الأمة أن هذا ولد هناك] .
(١٥٢) فى (أ) [يفر به] .
(١٥٣) الجريش : الشىء لم ينعم دقه فهو جريش .
(١٥٤) فى (خ) [الفصل] .
(١٥٥) فى (خ) [فى حين] .

وفيه من المزمور الحادى والثمانين : « قام الله فى مجتمع الآلهة ، وقف إله العزة فى وسطهم يقضى[١٥٦]» .

وهذه حماقة ممزوجة بكفر سمج ، مجتمع الآلهة ، وقيام الله بينهم ، ووقوفه فى وسط أصحابه . ما شاء الله كان !! ألا إنَّ هذا أخبث من قول النصارى ؛ لأن الآلهة عند النصارى[١٥٧] ثلاثة ، وهم عند هؤلاء السفلة الأراذل[١٥٨] جماعة . ونعوذ بالله من الخذلان .

وفيه[١٥٩] من المزمور الثامن والثمانين : « من ذا يكون مثل الله فى جميع بنى الله » ؟ وبعده يقول : « إن داود يدعونى والدًا وأنا جعلته بكر بنيَّ » وبعده :« إن عرش داود يبقى ملكه سرمدًا أبدًا » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه كالتى قبلها صارت الآلهة قبيلة وبنى أبَ ، وكان فيهم واحد هو سيدهم ليس فيهم مثله ، والآخرون فيهم نقص بلا شك ، تعالى الله عن ذلك ونحمده كثيرًا على نعمة الإسلام ، ملّة التوحيد الصادقة التى تشهد العقول بصحتها ، وصحة كل ما فيها ، مع كذب الوعد فى بقاء ملك « داود » سرمدًا .

وفيها مما يوافق قول الملحدين الدهرية : الناس كالعشب إذا خرجت أرواحهم نسوا ، ولا يعلمون مكانهم ، ولا يفهمون بعد ذلك .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وإن دين اليهود ليميل إلى هذا ميلًا شديدًا ، لأنه ليس فى توراتهم ذكر المعاد[١٦٠] أصلًا ، ولا الجزاء[١٦١] بعد الموت . وهذا مذهب الدَّهرية بلا كلفة ، فقد جمعوا الدَّهرية ، والشك ، والتشبيه ، وكل حمق فى العالم ، على أن فيه بما أطلعهم الله على[١٦٢] تبديل ما شاء رفعه من كتابهم ، وكف أيديهم عما شاء إبقاءه حجة لنا عليهم ، ومعجزة لنبينا ﷺ .

وفى المزمور الحادى والستين منه : « أن العرب وبنى سبأ يؤدون إليه المال ويتبعونه ، وأن الدم يكون له عنده ثمن » . وهذه صفة الدِّية التى ليست إلَّا فى ديننا . وفيه أيضًا : « ويظهر

(١٥٦) سقطت [يقضى] من (ب) .
(١٥٧) فى (أ ، ب) [من ثلاثة] .
(١٥٨) فى (ب) [الأرذال] .
(١٥٩) فى (ب) [فى] .
(١٦٠) فى (ب) [معاد] .
(١٦١) فى (ب) [لجزاء] .
(١٦٢) وفى (ب) [لم يطلقهم الله على تبديله وإبقائه حجة لنا عليهم] . وسقط منها [ماشاء رفعه من كتابهم ، وكف أيديهم عما شاء] .

من المدينة » هكذا نصا[١٦٣]. وهذا إنذار بيّن برسول الله ﷺ .

وأمّا الكتب التى يضيفونها إلى « سليمان » عليه السلام . فهى ثلاثة :

أحدها[١٦٤]: يسمى « شارهسير » ثم معناه شعْر الأشعار ، وهو على الحقيقة هوس الأهواس ، لأنه كلام أحمق لا يعقل ، ولا يدرى أحدٌ منهم مراده ، إنما هو مرة يتغزل بمذكر ، ومرة يتغزل بمؤنث ، ومرة يأتى منه بَلْغم لزج بمنزلة ما يأتى به المصدوع والذى فسد دماغه . وقد رأيت بعضهم يذهب إلى أنه رموز على الكيميا ، وهذا وسواس آخر ظريف .

والثانى : يسمى : « مثلا معناه الأمثال » ، فيه مواعظ ، وفيه أن قال : « قبل أن يخلق الله شيئًا فى البدء من الأبد : أنا صرت . ومن القديم قبل أن تكون الأرض ، وقبل أن تكون النجوم : أنا قد كنت استلمت ، وقد كنت ولدت ، وليس كان خلق الأرض بعد ، ولا الأنهار ، وإذ خلق الله السماوات قد كنت حاضرا ، وإذ كان يجعل للنجوم حدّا صحيحا ، ويدق بها ، وكان يوثق السماوات فى العلو ، ويقدر عيون المياه ، وإذ كان يحدق على البحر بتخمة[١٦٥]، ويجعل للمياه تخما[١٦٦] لئلا تجاوز جوزها ، وإذ كان يعلق أساسات الأرض ، أنا معه كنت مهيئًا للجميع .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فهل فى الملحدة أكثر من هذا ؟ وهل يضاف هذا الحمق إلى رجل معتدل ؟ فكيف إلى نبى مرسل[١٦٧]؟ وهل هذا الإشراك صحيح ؟ وحاش لله أن يقول « سليمان » عليه السلام هذا الكلام . تالله ما غبط[١٦٨] أهل الإلحاد بإلحادهم إلّا هذا ومثله . ورأيت بعضهم يخرج هذا على أنه إنما أراد علم الله تعالى .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولا يعجز من لا حياء له عن أن يقلب كل كلام إلى ما اشتهى بلا برهان ، وصرف[١٦٩] الكلام عن موضعه ومعناه إلى معنى آخر لا يجوز إلّا بدليل صحيح غير ممتنع المراد فى اللغة .

والثالث : يسمى : « فوهلث » ، معناه الجوامع .

فيه أن قال مخاطبا لله تعالى : « اخترنى أميرًا لأمتك ، وحاكما على بنيك وبناتك » .

---

(١٦٣) فى (خ) [أيضًا] .
(١٦٤) فى (ب) [واحدها] .
(١٦٥) فى (ب) [تنجمه] . وفى (أ) [بنجمه] .
(١٦٦) وفى (أ ، ب ([نحى] .
(١٦٧) فى (أ ، ب) [بنى إسرائيل] وهو تحريف سيء .
(١٦٨) فى (ب) (عبط) بالعين المهملة .
(١٦٩) فى (أ ، ب) [ووصف] .

وهذا كالذى سلف . وحاش لله أن يكون له بنات وبنون ، لا سيما مثل بنى إسرائيل فى كفرهم فى دينهم ، وضعفهم فى دنياهم ، ورذالتهم فى أحوالهم النفسية والجسدية .

وفى كتاب « حزقيا » يقول السيد : « سأمدّ يدى على « بنى عيسو » وأُذْهِبُ عن أرضهم الآدميين والأنعام ، وأُفْقِرهم ، وأنتقم منهم على يدى أمتى بنى إسرائيل » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا ميعاد قد ظهر كذبه يقينا ، لأن « بنى إسرائيل » قد بادوا جملة ، و« بنو عيسو » باقون فى بلادهم بنص كتبهم ، ثم بعد ذلك باد « بنو عيسو » فما على أديم الأرض منهم أحد نعرف أنه منهم ، وصارت بلادهم للمسلمين ، وسكانها[١٧٠] « لخم » وغيرها من العرب ، وبطل بذلك أن يدعوا : أن هذا يكون فى المستأنف .

وفى كتاب « لشعيا » : أنه رأى الله عزَّ وجل شيخا أبيض الرأس واللحية ، وهذا تشبيه . حاش لنبى أن يقوله .

وفيه : « قال الرب من سمع قط مثل هذا ! أنا أعطى غيرى أن يلد ، ولا ألد أنا ؟! وأنا الذى أرزق غيرى البنين أفأكون[١٧١] أنا بلا ابن » ؟

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا أطم ما سُمِعَ به أن يقيس الله عزَّ وجل نفسه فى كون البنين على خلقه ، وكل هذا أشنع من قول النصارى فى إضافة الشرك ، والولد ، والزوجة إلى الله تعالى . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لم نكتب مما فى الكتب التى يضيفونها إلى الأنبياء عليهم السلام إلّا طرفا يسيرًا ، دالًّا على فضيحتها أيضًا وتبديلها ، وقد قلنا : إنهم كانوا فى بلد صغير محاطٍ به ، ثم لا ندرى كيف يمكنهم اتصال شىء من ذلك إلى نبى من أنبيائهم ؟ لاسيما من لم يكن إلّا فى أيام كفرهم مخافًا ومقتولا ، فصح بلا شك أنها من توليد مَنْ عمل لهم الصلوات التى هم عليها ، والشرائع التى يقرون أنها من عمل أحبارهم فى دولتهم[١٧٢] الثانية ، إذ ظهر دينهم ، وانتشرت بيوت عبادتهم ، فصارت لهم مجامع يتعلمون فيها دينهم ، وعلماء يعلمونهم فى كلّ بلد ، بخلاف ما أوضحنا أنهم كانوا عليه أيام دولتهم الأولى ، من كونهم كلّهم كفارا مئين[١٧٣] من السنين ، وكونهم لا مسجد لهم أصلًا إلا بيت المقدس ، ولا مجمع بعلم لهم

---

(١٧٠) فى (ح) [وسكنها لخم وغيرهم] . ولخم : حى باليمن كانت منهم ملوك العرب فى الجاهلية . ولزيادة الإيضاح راجع كلمة عرب فى (دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدى) .

(١٧١) فى (أ) [فأكون] بغير همزة الاستفهام . وفى (أ ، ب) سقطت كلمة [البنين] .

(١٧٢) فى (أ) سقطت كلمة [فى دولتهم] وحرفت كلمة [الثانية] فكتبت [الثابتة] .

(١٧٣) فى (أ ، ب) [أميين] وهو تحريف ظاهر .

أصلًا ، ولا عالمًا يعلمهم بوجه من الوجوه ، ولا جامع لشىء من كتبهم - والحمد لله رب العالمين .

ولو تقصينا ما فى كتب أنبيائهم من المناقضات والكذب لكثر ذلك جدًّا . وفيما أوردناه كفاية .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد اعترض بعضهم فيما كان يدّعى عليهم من تبديل التوراة ، وكتبهم المضافة[١٧٤] إلى الأنبياء قبل أن نبين لهم أعيان ما فيها من الكذب البحت ، فقال : قد كان فى مدة دولتهم أنبياء ، وبعد دولتهم ومن المحال أن يقر أولئك الأنبياء على تبديلها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فجواب هذا القول أن يقال : إن كان يهوديًّ كذبت ، ما فى شىء من كتبكم أنه رجع إلى البيت مع « زربائيل » بن « صيلئال » ابن « صدقيا » الملك بنبى[١٧٥] أصلًا ، ولا كان معه فى البيت نبى بإقرارهم أصلًا ، وكان ذلك قبل أن يكتبها لهم « عزرا » الوراق بدهر ، وقبل رجوعهم إلى البيت مع « زربائيل » مات « دانيال آخر أنبيائهم فى أرض « بابل » ، وأما الأنبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل بعد « سليمان » فكلهم كما بينا إما مقتول بأشنع القتل ، أو مخاف مطرود منفى لا يسمع منهم كلمة إلاَّ خفية ، حاش مد الملوك المؤمنين الخمسة فى « بنى يهوذا » أو « بنى بنيامين » خاصة ، وذلك قليل تلاه ظهور الكفر ، وحرق التوراة ، وقتل الأنبياء . وهو كان خاتمة الأمر ، وعلى هذا الحال وافاهم انقراض دولتهم .

وأيضاً : فليس كل نبى يبعث بتصحيح كتاب من قبله ، فبطل اعتراضهم بكون الأنبيا فيهم جملة . وإن كان نصرانيا يقر بالمسيح و « زكريا » و « يحيى » عليهم السلام ، قيل له : إن المسيح بلا شك كانت عنده التوراة المنزلة كما أنزلها الله تعالى ، وكان عنده الإنجيل المنزل . قال الله تعالى : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل[١٧٦] » . إلاَّ أنه عرض فى النقل عنه بعد رفعه عارض أشد وأفحش من العارض فى النقل إلى « موسى » عليه السلام فلا كافة فى العالم متصلة إلى المسيح عليه السلام أصلا ، والنقل إليه راجع إلى خمسة فقط وهم « متى » ، و « باطرة » بن نونا ، و « يوحنا بن سبذاى » ، و « يعقوب » ، و « يهوذا » ، أبناء

---

(١٧٤) فى (ب) [والمضافة] .
(١٧٥) فى (ب) [نبى] .
(١٧٦) سورة آل عمران : ٤٨ ، ٤٩ .

« يوسف » فقط . ثم لم ينقل عن هؤلاء إلا ثلاثة فقط ، وهم : « لوقا » الطبيب الأنطاكى ، و « مارقس » الهارونى و « بولس » البنيامينى . وهؤلاء كلهم كذابون ، وقد وضح عليهم الكذب جهاراً على ما نوضحه بعد هذا إن شاء الله تعالى . وكل هؤلاء مع ما صح من كذبهم وتدليسهم فى الدين ، فإنما كانوا متسترين(١٧٧) بإظهار دين اليهود ، ولزوم السبت بنص كتبهم ، ويدعون إلى التثليث سرًّا ، وكانوا مع ذلك مطلوبين حيث ما ظفروا بواحدٍ منهم ظاهراً قتل . فبطل الإنجيل والتوراة برفع المسيح عليه السلام بطلانا كليا . وهذا الجواب إنما كان يحتاج إليه قبل أن يظهر من كذب توراتهم وكتبهم ما قد أظهرنا ، وأما بعد ما أوضحنا من عظيم كذب هذه الكتب بما لا حيلة فيه فاعتراضهم(١٧٨) ساقط ، لأن يقين الباطل لا يصححه شىء أصلاً ، كما أن يقين الحق لا يفسده شىء أبداً .

فاعلموا الآن أن كل ما عورض به الحق المتيقن ليبطل به ، أو عورض به دون الكذب المتيقن ليصحح به ، فإنما هو شغب(١٧٩) وتمويه ، وإيهام(١٨٠) وتخييل(١٨١) فاسد بلا شك ، لأن يقينين لا يمكن ألبتة فى البنية أن يتعارضا أبداً ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قيل : فإنكم تقرون بالتوراة والإنجيل ، وتستشهدون(١٨٢) على اليهود والنصارى بما فيها من ذكر صفات نبيكم ، وقد استشهد نبيكم عليهم بنصها فى قصة الراجم للزانى المحصن .

وروى أن « عبد الله بن سلام(١٨٣) » ضرب يد « عبد الله بن صوريا » إذ وضعها على آية الرجم . وروى أن النبى ﷺ : أخذ التوراة ، وقال : آمنت بما فيك . وفى كتابكم :

« يأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليكم من ربكم(١٨٤) » .

وفيه أيضاً : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين(١٨٥) » .

وفيه أيضاً : « إنَّا أنزلنا التوراة فيها هدًى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ، للذين هادوا ،

---

(١٧٧) فى (ب) [منتشرين] .
(١٧٨) فى (أ) [فاعتراض] .
(١٧٩) فى (ب) [سغب] بالسين المهملة .
(١٨٠) فى (أ) [وإبهام] بالباء الموحدة التحتية .
(١٨١) فى (ب) [وتحيل] بالحاء المهملة .
(١٨٢) فى (ب) [وتشهدون] .
(١٨٣) وهو ابن الحارث الإسرائيلى ، صحابى قيل إنه من نسل ابن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبى إلى المدينة ، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وفيه نزلت الآية وشهد من بنى إسرائيل ، شهد مع عمر رضى الله عنه فتح المقدس والجابية ، له خمسة وعشرون حديثا مات سنة ٤٣ هـ (الأعلام : للزركلى) .
(١٨٤) المائدة : ٦٨ .
(١٨٥) آل عمران : ٩٣ .

والربانيون ، والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء[١٨٦] » .

وفيه : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون[١٨٧] » .

وفه أيضاً : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم[١٨٨] » .

وفيه : « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم[١٨٩] » .

وفيه : « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ؟[١٩٠] » .

قلنا وبالله التوفيق : كل هذا حق . حاش قوله عليه السلام «آمنت بما فيك » فإنه باطل لم يصح قط ، وكله موافق لقولنا فى التوراة والإنجيل بتبديلهما ، وليس شىء منه حجة لمن ادّعى أنهما بأيدى اليهود والنصارى كما أنزلا[١٩١]، على ما نبين الآن إن شاء الله تعالى بالبرهان الواضح .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : أما إقرارنا بالتوراة والإنجيل فنعم ، وأى معنى لتمويهكم بهذا ، ونحن لم ننكرهما قط بل نكفر من أنكرهما ؟ إنما قلنا إن الله تعالى : أنزل التوراة على « موسى » عليه السلام حقا ، وأنزل الزبور على « داود » عليه السلام حقا ، وأنزل الإنجيل على « عيسى » عليه السلام حقا ، وأنزل الصحف على « إبراهيم » و « موسى » عليهما السلام حقا ، وأنزل كتبا لم تسم[١٩٢] لنا على أنبياء لم يُسمَّوْا لنا حقا ، نؤمن بكل ذلك .

قال تعالى : « صحف إبراهيم وموسى[١٩٣] » .

وقال تعالى : « وإنه لفى زبر الأولين[١٩٤] » .

وقلنا ، ونقول : إن كفار بنى إسرائيل بدّلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا ، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء « لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون[١٩٥] » . لا معقب

---

(١٨٦) المائدة : ٤٤ .
(١٨٧) المائدة : ٤٧ .
(١٨٨) المائدة : ٦٦ .
(١٨٩) النساء : ٤٧ .
(١٩٠) المائدة : ٤٣ .
(١٩١) فى (أ) [نزلا] .
(١٩٢) فى (أ ، ب) [يسم] .
(١٩٣) سورة الأعلى : ١٩ .
(١٩٤) سورة الشعراء : ١٩٦ .
(١٩٥) الأنبياء : ٢٣ .

لحكمه[١٩٦] » ، وبدل كفار النصارى الإنجيل كذلك فزادوا ونقصوا ، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء ، « لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون[١٩٧] » ، فدرس ما بدَّلوا من الكتب المذكورة ، ورفعه الله تعالى ، كما درست الصحف وكتب سائر الأنبياء جملة فهذا هو الذى قلنا . وقد أوضحنا البرهان على صحة ما أوردنا من التبديل والكذب فى التوراة والزبور . ونورد إن شاء الله تعالى فى الإنجيل ، وبالله تعالى نتأيّد ، فظهر فساد تمويههم بأننا نقر بالتوراة والإنجيل والزبور ، ولم ينتفعوا بذلك فى تصحيح ما بأيديهم من الكتب المكذوبة المبدَّلة ، والحمد لله رب العالمين .

وأما استشهادنا على اليهود والنصارى بما فيهما من الإنذار لنبينا ﷺ فحق ، وقد قلنا آنفا إن الله تعالى أطلعهم على تبديل ما شاء رفعه من ذينك[١٩٨] الكتابين ، كما أطلق أيديهم على قتل من أراد كرامته بذلك من الأنبياء الذين قتلوهم بأنواع المثل ، وكفّ أيديهم عما شاء إبقاءه من ذينك الكتابين حجة عليهم ، كما كف أيديهم الله تعالى عمن أراد أيضاً كرامته بالنصر من أنبيائه الذين حال بين الناس وبين أذاهم ، وقد أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام ، وقوم فرعون نكالاً لهم ، وأغرق آخرين شهادة لهم ، وأملى لقوم ليزدادوا إثما ، وأملى لقوم آخرين ليزدادوا فضلا وهذا ما لا ينكره أحد من أهل الأديان جملة ، وكان ما ذكرناه زيادة فى أعلام النبى ﷺ الواضحة ، وبراهينه اللائحية ، والحمد لله رب العالمين . فبطل اعتراضهم علينا باستشهادنا عليهم بما فى كتبهم المحرفة من ذكر نبينا ﷺ ، وأما استشهاد رسول الله ﷺ بالتوراة فى أمر رجم الزانى المحصن ، وضرب « ابن سلام » رضى الله عنه يد « ابن صوريا » إذ جعلها على آية الرجم فحق ، وهو مما قلناه آنفا : إن الله تعالى أبقاه خزيا لهم وحجة عليهم ، وإنما يحتج عليهم بهذا كله بعد إثبات رسالته ﷺ بالبراهين الواضحة الباهرة بالنقل القاطع للعذر على ما قد بينا ، ونبين إن شاء الله تعالى . ثم نورد ما أبقاه الله تعالى فى كتبهم المحرَّفة من ذكره عليه السلام إخزاء لهم وتبكيتا وفضيحة لضلالهم ، لا لحاجة منا إلى ذلك أصلاً ، والحمد لله رب العالمين .

وأما الخبر بأن النبى عليه السلام أخذ التوراة وقال : « آمنت بما فيك » فخبر مكذوب ، موضوع ، لم يأت قط من طرق فيها خير ، ولسنا نستحل الكلام فى الباطل لو صح ، فهو من التكلف الذى نهينا عنه ، كما لا يحل توهين الحق ، ولا الاعتراض فيه . وأما قول الله عزَّ وجل : « يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليكم من ربكم[١٩٩] ».

---

(١٩٦) الرعد : ٤١ .
(١٩٧) الأنبياء : ٢٣ .
(١٩٨) فى النسخة (أ) [ديك] بالدال المهملة .
(١٩٩) المائدة : ٦٨ .

فحق لا مرية فيه ، وهكذا نقول ، ولا سبيل لهم إلى إقامتهما أبداً لرفع ما أسقطوا منهما ، فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد ﷺ . فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل ، كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله منهما وُجِدَ ، أو عُدِم ، ويكذبون بما بُدِّل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما ، وهذه هى إقامتهما حقا ، فلاح صدق قولنا موافقاً لنص الآية بلا تأويل ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قوله تعالى : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين[٢٠٠] » فنعم إنما هو فى كذب كذبوه ونسبوه إلى التوراة على جارى عادتهم زائد على الكذب الذى وضعه أسلافهم فى توراتهم ، فبكّتهم عليه السلام فى ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين فظهر كذبهم .

وكم عرض لنا هذا مع علمائهم فى مناظراتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة ، فالقوم لا مئونة عليهم من الكذب حتى الآن إذا طمعوا بالتخلص من مجلسهم لا يكون ذلك إلاّ بالكذب ، وهذا خلق خسيس ، وعارٌ لا يرضى به مصحح ، ونعوذ بالله من مثل هذا .

وأما قوله تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون، والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله[٢٠١] » .

فنعم . هذا حق على ظاهره كما هو ، وقد قلنا : إن الله تعالى أنزل التوراة ، وحكم بها النبيون الذين أسلموا « كموسى » و « هارون » و « داود » و « سليمان » ومن كان بينهم من الأنبياء عليهم السلام ، ومن كان فى أزمانهم من الربانيين والأحبار الذين لم يكونوا أنبياء بل كانوا حكاماً من قبل الأنبياء عليهم السلام ، قبل حدوث التبديل ، هذا نص قولنا ، وليس فى هذه الآية أنها لم تبدّل بعد ذلك أصلاً ، لا بنصٍ ولا بدليل ، وأمّا من ظن الجهله من المسلمين أن هذه الآية نزلت فى رجم النبى ﷺ لليهوديين اللّذين زنيا وهما محصنان فقد ظن الباطل ، وقال بالكذب ، وتأوّل المحال ، وخالف القرآن ، لأن الله تعالى قد نهى نبينا عليه السلام عن ذلك نصًّا بقوله : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة[٢٠٢] » .

---

(٢٠٠) آل عمران : ٩٣ .
(٢٠١) المائدة : ٤٤ .
(٢٠٢) المائدة : ٤٨ .

وقال عز وجل : « ولا تَتَّبع أهواءَهم ، واحْذَرهم أنْ يفتنوك عن بعضِ ما أنْزَل الله إلَيْكَ » .

قال « بو محمد » (رضى الله عنه) : فهذا نص كلام الله عزّ وجل الذى ما خالفه فهو باطل ، وأما قوله تعالى : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه(٢٠٤) » .

فحق على ظاهره لأن الله تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمد ﷺ ، واتباع دينه ، ولا يكونون أبداً حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه إلَّا باتباعهم دين محمد ﷺ ، فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل فى الإنجيل الذى ينتمون إليه ، فهم أهله ، ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلاً ، وليس بإنجيل ، ولا أنزله الله تعالى كما هو(٢٠٥) قط . فالآية موافقة لقولنا ، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدَّل لا بنص ولا بدليل ، إنما فيها(٢٠٦) إلزام النصارى الذين يتسمَّوْن بأهل الإنجيل : « أن يحكموا بما أنزل الله فيه ، وهم على خلاف ذلك » . وأما قوله تعالى : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم(٢٠٧) » .

فحق كما ذكرناه قبل ، ولا سبيل إلى إقامة التوراة والإنجيل المنزّلين بعد تبديلهما إلا بالإيمان بمحمد ﷺ ، فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل حقاً لإيمانهم بالمنزَّل فيهما . وجحدهم ما لم ينزل فيهما ، وهذه هى إقامتهما حقاً .

وأما قوله تعالى : « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدِّقا لما معكم(٢٠٨) » .

فَنَعَم ، هذا عموم قام البرهان على أنه مخصوص ، وأنه تعالى ، إنما أراد مصدقاً لما معكم من الحق ، لا يمكن غير هذا ، لأننا بالضرورة ندرى أن معهم حقاً وباطلاً ، ولا يجوز تصديق الباطل ألبتة ، فصح أنه إنما أنزله تعالى مصدقاً لما معهم من الحق .

وقد قلنا : إن الله تعالى أبقى فى التوراة والإنجيل حقاً ليكون حجة عليهم وزائداً فى خزيهم ، وبالله تعالى التوفيق ، فبطل تعلقهم بشىء مما ذكرنا والحمد لله رب العالمين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بأن التوراة والإنجيل اللذين بأيدى اليهود والنصارى محرفان وإنما حملهم على هذا قلة اهتبالهم بنصوص القرآن والسنن ، أترى هؤلاء ما سمعوا قول الله تعالى : « يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل

---

(٢٠٣) المائدة : ٤٩ .
(٢٠٤) المائدة : ٤٧ .
(٢٠٥) فى النسخة (أ) سقطت [كما هو] .
(٢٠٦) فى (أ ، ب) : [فيه] .
(٢٠٧) المائدة : ٦٦ .
(٢٠٨) النساء : ٤٧ .

وتكتمون الحق وأنتم تعلمون[٢٠٩] » . وقوله تعالى : « وإن فريقا منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون[٢١٠] » . وقوله تعالى : « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله[٢١١] » إلى آخر الآية .

وقوله تعالى : « يحرفون الكلم عن مواضعه[٢١٢] » .

ومثل هذا فى القرآن كثير جدًّا . ونقول لمن قال من المسلمين : إن نقلهم نقل تواتر يوجب العلم وتقوم به الحجة ، لا شك فى أنهم لا يختلفون فى أن ما نقلوه من ذلك عن « موسى » و « عيسى » عليهما السلام لا ذكر فيه لمحمد ﷺ أصلاً ، ولا إنذار بنبوته ، فإن صدّقهم هؤلاء الغافلون[٢١٣] فى بعض نقلهم فواجب أن يصدقهم فى سائره ، أحبُّوا أم كرهوا ، وإن كذّبوهم فى بعض نقلهم ، وصدقوهم فى بعض فقد تناقضوا ، وظهرت مكابرتهم . ومن الباطل أن يكون نقل واحد جاء مجيئا واحداً بعضه حق وبعضه باطل ، فقد تناقضوا وما ندرى كيف يستحيل مسلم إنكار تحريف التوراة والإنجيل ، وهو يسمع كلام الله عز وجل « محمد رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهُم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار[٢١٤] » .

وليس شىء من هذا فيما بأيدى اليهود والنصارى مما يدعون أنه التوراة والإنجيل ، فلابدّ لهؤلاء الجهال من تصديق ربهم عزَّ وجل أن اليهود والنصارى : بدّلوا التوراة والإنجيل ، وألا[٢١٥] يرجعوا إلى الحمق ويكذبوا ربهم عزَّ وجل ، ويصدقوا اليهود والنصارى فَيَلْحَقُوا بهم ، ويكون السؤال عليهم كلهم حينئذ واحداً فيما أوضحناه من تبديل الكتابين وما أوردناه مما فيهما من الكذب المشاهد عياناً مما لم يأت نص بأنهم بدلوهما لعلمنا بتبديلهما يقيناً ، كما نعلم ما نشهده بحواسنا مما لا نصَّ فيه فكيف[٢١٦] قد اجتمعت المشاهدة والنص ؟ !

حدثنا أبو سعيد الجعفرى ، حدثنا أبو بكر الأدفوى ، محمد بن على المصرى حدثنا

---

(٢٠٩) ال عمران : ٧١ .
(٢١٠) البقرة : ١٤٦ .
(٢١١) آل عمران : ٧٨ .
(٢١٢) المائدة : ١٣ .
(٢١٣) فى (أ ، ب) [القائلون] .
(٢١٤) سورة الفتح : ٢٩ .
(٢١٥) فى (ب) [فيرجعون] .
(٢١٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (فكيف) .

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس . حدثنا أحمد بن شعب[٢١٧] عن محمد ابن المثنى[٢١٨] عن عثمان بن عمر[٢١٩]. حدثنا على هو ابن[٢٢٠] المبارك . حدثنا يحيى بن أبى كثير[٢٢١] عن أبى سلمة بن عبد الرحمن[٢٢٢] بن عوف عن أبى هريرة رضى الله عنه[٢٢٣] قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمَنَّا بالذى أُنْزِلَ إلينَا وأنزلَ إليكُم ، وإلَهُنَا وإلَهُكُمْ وَاحِد[٢٢٤] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا نص قولنا ، والحمد لله رب العالمين .

ما نزل القرآن والسنة عن النبى ﷺ بتصديقه[٢٢٥] صدَّقنا به . وما نزل النص بتكذيبه ، أو ظهر كذبه كذّبنا به ، وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً لم نصدقهم ولم نكذبهم ، وقلنا ما أمرنا رسول الله ﷺ أن نقوله كما قلنا فى نبوّة من لم يأتنا باسمه نصٌّ ، والحمد لله رب العالمين .

حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن[٢٢٦] بن خالد . حدثنا إبراهيم بن أحمد البلخى . حدثنا

---

(٢١٧) هو أحمد بن شعيب بن على بن سنان النسائى ، القاضى الحافظ صاحب كتاب السنن ، قال عنه ابن حبان : ثبت ثقة ، سمع من خلائق لا يحصون ، توفى سنة ٣٠٣ هـ بفلسطين (تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلانى حـ ١ ص ٣٨ ، ٣٩) .

(٢١٨) هو : ابن عبيد بن قيس أبو موسى ، البصرى ، الحافظ المعروف بالزّمن ، روى عن عبد الله بن إدريس ، وأبى معاوية ، وعثمان ابن عمر بن فارس ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، ولد سنة ١٦٧ هـ وتوفى سنة ٢٥٢ هـ ، روى عنه مسلم ٧٧٢ حديثا . (تهذيب التهذيب . حـ ٩ ص ٤٢٥) .

(٢١٩) هو عثمان بن عمر بن فارس ، البصرى ، قيل أصله من بخارى ، روى عن ابن عون ، وعلى بن المبارك ، ومالك بن أنس وطائفة ، قال أحمد وابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم صدوق ، مات سنة ٢٠٩ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٧ ص ١٤٢) .

(٢٢٠) هو : على بن المبارك الهنائى البصرى ، روى عن عبد العزيز بن صهيب ، وأيوب وهشام بن عروة ، ويحيى بن كثير ، قال النسائى : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان فى الثقات (تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٣٧٦) .

(٢٢١) هو يحيى بن أبى كثير الطائى ، مولاهم ، روى عن أنس وإبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وهلال بن أبى ميمونة ، قال عمرو بن على مات سنة ١٢٩ هـ ، قال ابن حبان : كان يدلس ، لم يسمع من أنس ، ولا من صحابى . (المرجع السابق : حـ ١١ — ص ٢٦٨) .

(٢٢٢) هو : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، الزهرى ، المدنى ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، روى عن أبيه ، وعن عثمان ابن عفان ، وطلحة ، وعبادة بن الصامت ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من المدنيين ، وقال : كان ثقة فقيها ، كثير الحديث (المرجع السابق : ١١ — ١١٥) .

وفى (أ ، ب ، ج) [سلمة] بدلًا من [أبو سلمة] .

(٢٢٣) أبو هريرة الدوسى اليمنى ، صاحب رسول الله ﷺ هو : عبد الرحمن بن صخر ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد شمس ، قال : كنانى أبى بأبى هريرة لأنى كنت أرعى غنما فوجدت أولاد هرة وحشية ، فلما أبصرهن وسمع أصواتهن أخبرته فقال : أنت أبو هر ، قدم مهاجرًا ليالى فتح خيبر ، وحفظ عن النبى ﷺ ، وعن أبى بكر وعمر ، وكان من أصحاب الصفة ولى أمر المدينة ، وناب عن مروان فى إمرتها ، وتوفى سنة ٥٨ هـ (تذكرة الحفاظ : للذهبى حـ ١ ص ٣٢ — ٣٦) .

(٢٢٤) العنكبوت : ٤٦ .

(٢٢٥) فى (ب) [بتصديق صدقابه] .

(٢٢٦) هو عبدالرحمن بن خالد : الهمذانى أحد سيوخ ابن حزم ، روى عنه صحيح البخارى .

الفربرى . حدثنا البخارى[٢٢٧]. حدثنا إبراهيم[٢٢٨] بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . حدثنا ابن شهاب عن عبيد الله[٢٢٩] بن عبد الله بن عتبه بن مسعود قال ابن عباس[٢٣٠]: « كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء ، وكتابكم الذى أنزل على رسوله ﷺ حَدَثٌ تقرءونه محضاً لم يُشَب ، وقد حدَّثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله تعالى وغيّروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقد قالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا أصح إسناد عن ابن عباس رضى الله عنه ، وهو نفس قولنا ، وما له فى ذلك من الصحابة مخالف .

وقد روينا أيضاً عن عمر رضى الله عنه : أنه أتاه « كعب الحبر » بسفر وقال له : هذه التوراة أفأقرؤها ؟ فقال له عمر بن الخطاب : إن كنت تعلم أنها التى أنزل الله على « موسى » فاقرأها آناء الليل والنهار . فهذا عمر لم يحققها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ونحن إن شاء الله تعالى نذكر طرفاً يسيراً من كثير جدًا من كلام أحبارهم الذين أخذوا كتابهم ودينهم ، وإليهم يرجعون فى نقلهم لتوراتهم ، وكتب الأنبياء ، وجميع شرائعهم ، ليرى كل ذى فهم مقدارهم من الفسق والكذب ، فيلوح له[٢٣١] أنهم كانوا كذابين مستخفين بالدين . وبالله تعالى التوفيق . ولقد كان يكفى من هذا إقرارهم بأنهم عملوا هذه الصلوات شريعة[٢٣٢] عوضاً مما أمر الله تعالى به من القرابين ، وهذا تبديل الدّين جهاراً .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذكر أحبارهم وهو فى كتبهم مشهور لا ينكرونه عند من يعرف كتبهم : أن إخوة يوسف إذا باعوا أخاهم طرحوا اللعنة على كل من بلَّغ إلى أبيهم حياة

---

(٢٢٧) البخارى : هو شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفى البخارى ، صاحب الصحيح ، ولد سنة ١٩٤ هـ ، وحفظ تصانيف ابن المبارك وهو صبى ، ونشأ يتيما ، ورحل إلى عديد من البلدان ، قال : كتبت عن أكثر من ألف رجل ، وقال محمد ابن خميروية : سمعت البخارى يقول : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح . مات سنة ٢٥٦ هـ رحمه الله (تذكرة الحفاظ : للذهبى حـ ٢ – ص ٥٥٥ ، ٥٥٦) .

(٢٢٨) هو : الزهرى نزيل بغداد ، روى عن أبيه ، وصالح بن كيسان ، والزهرى قال أبو داود : ولى بيت المال ببغداد ، وقال : عبد الله ابن أحمد : ولد سنة ١٠٨ هـ ومات سنة ١٨٣ هـ . (تهذيب التهذيب : لابن حجر حـ ١ ص ١٢٢) .

(٢٢٩) هو : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى : روى عن أبيه وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وعن أبى هريرة وعائشة ، قال الواقدى : كان ثقة ، وقال العجلى : كان أعمى ، وكان أحد فقهاء المدينة مات سنة ٩٩ هـ . (تهذيب التهذيب : لابن حجر : حـ ٧ ص ٢٣) .

(٢٣٠) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ ، كان يقال له : الحبر والبحر لكثرة علمه ، روى عن النبى ﷺ ، وعن أبيه ، وأمه أم الفضل ، وخالته ميمونة ، مات سنة ٦٨ هـ وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وكان موته بالطائف (تهذيب التهذيب : حـ ٥ ، ص ٢٧٧) .

(٢٣١) فى (ب) [فيلوح أنهم له] .

(٢٣٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [شريعة] .

ابنه يوسف ، ولذلك لم يخبره الله عزَّ وجلَّ بذلك ، ولا أحد من الملائكة . فاعجبوا لجنون أمة تعتقد أن الله خاف أن يقع عليه لعنة قوم باعوا النبي أخاهم ، وعقُّوا النبيَّ أباهم أشدَّ العقوق ، وكذبوا أعظم الكذب ، فوالله لو لم يكن فى كتبهم إلَّا هذا الكذب ، وهذا الحمق ، وهذا الكفر لكانوا به أحمق الأمم ، وأكفرهم ، وأكذبهم ، فكيف ولهم ما قد ذكرنا ونذكر إن شاء الله تعالى ؟

وفى بعض كتبهم أن « هارون » عليه السلام قال لله تعالى إذا أراد أن يسخط على بنى إسرائيل : يارب لا تفعل ، فلنا عليك ذِمامٌ وحق لأن أخى وأنا أقمنا لك مملكة عظيمة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذه طامة أخرى حاش لهارون عليه السلام ، أن يقول هذا الجنون . أين هذا الهوس وهذه الرُّعونة من الحق النير إذ يقول الله تعالى : « يمنون عليك أن اسلموا ، قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين[٢٣٣] » .

وفى بعض كتبهم أن الصورتين اللتين أمر الله تعالى « موسى » أن يصورهما على التابوت خلف الحجلة فى السرداق[٢٣٤] إنما كانتا صورة الله وصورة « موسى» عليه السلام معه تعالى الله عن كفرهم علوًّا كبيرا .

وفى بعض كتبهم : أن الله تعالى قال لبنى إسرائيل : من تعرض لكم فقد تعرض حدقة عينى .

وفى بعض كتبهم : أن علة تردد بنى إسرائيل مع « موسى » فى التيه أربعين سنة حتى ماتوا كلهم ، إنما كانت لأن فرعون كان بنى على طريق مصر إلى الشام صنما سمّاه « باعل صفون » وجعله طلسما لكل من هرب من مصر يحيّره ولا يقدر على النفاذ[٢٣٥].

فاعجبوا لمن يجيز أن يكون طلسم فرعون يغلب الله تعالى !! ويحيّر نبيَّه[٢٣٦] « موسى » ومن معه حتى يموتوا !! فأين كان فرعون من[٢٣٧] هذه القوة إذ غرق فى البحر . ؟

وفى بعض كتبهم : أن « دينه » بنت يعقوب عليها السلام إذ غصبها « شكيم بن حمور » وزنى بها حملت وولدت ابنة ، وأن عقاباً خطف تلك الفرخة من[٢٣٨] الزنى ، وحملها إلى مصر ،

---

(٢٣٣) الحجرات : ١٧ .
(٢٣٤) ف (أ) [السرداق] .
(٢٣٥) ف (ب) [النفاد] بالدال المهملة .
(٢٣٦) ف (أ ، ب) [ويجيز بنيه موسى] وهو تحريف ظاهر .
(٢٣٧) ف (أ ، ب) [عن] .
(٢٣٨) سقطت (من) ف (ب) .

ووقعت فى حجر « يوسف » فربَّاها وتزوجها ، وهذه تشبه الخرافات التى يتحدث بها النساء بالليل إذا غزلن .

وفى بعض كتبهم : أن « يعقوب » إنما قال فى ابنه « نفتال[٢٣٩] » : « أيل مطلق » لأنه قطع من قرية « إبراهيم » عليه السلام التى بقرب بيت المقدس إلى « منف » التى بمصر ، ورجع إلى قرية الخليل فى ساعة من النهار لشدة سرعته[٢٤٠] لا لأن الأرض طويت له . ومقدار ذلك مسيرة نيف وعشرين يوماً .

وفى بعض كتبهم ممّا لا يختلفون فى صحته : أن السحرة يحيون الموتى على الحقيقة . وأن ها هنا أسماء لله تعالى ودعاء وكلاماً ومن عرفه من صالح أو فاسق أحال الطبائع ، وأتى بالمعجزات وأحيا الموتى وأن عجوزاً ساحرة أحيت لشاول الملك وهو « طالوت » شمؤال النبى بعد موته ، فليت شعرى إذا كان هذا حقاً !! فما يؤمنهم : أن « موسى » وسائر من يقرون بنبوته كانوا من أهل هذه الصفة . ولا سبيل إلى فرق بين شىء من هذا أبداً .

وفى بعض كتبهم : أن بعض أحبارهم المعظمين عندهم ذكر لهم أنه رأى طائرا يطير فى الهواء ، وأنه باض بيضة وقعت على ثلاث عشرة مدينة فهدمتها كلها .

وفى بعض كتبهم : أن المرأة المدنية التى ذكر فى التوراة التى زنى بها زمرى بن خالوا من سبط « شمعون » طعنه « فينحاس[٢٤١] بن العزار بن هارون » برمحه فنفذه ، ونفذ المرأة تحته ثم رفعهما فى رمحه إلى السماء كأنهما طائران فى سفود ، وقال هكذا نفعل بمن عصاك .

قال كبير من أحبارهم ، معظم عندهم : إنه كان تكسير عَجُزِ تلك المرأة مقدارَ مزرعة مُدى خردل[٢٤٢].

وفى كتبهم : أن طول لحية فرعون كان سبعمائة ذراع ، وهذه والله مضحكة تسلى الثكالى ، وترد[٢٤٣] الأحزان .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : عن مثل هؤلاء فلينقل الدين !! وتبًّا لقومٍ أخذوا كتبهم ودينهم عن مثل هذا الرقيع الكذاب وأشباهه .

---

(٢٣٩) فى (أ) [نفثال] بالثاء المثلثة .
(٢٤٠) فى (ب) [سرعة] .
(٢٤١) فى (ب) [فنخاس] بالخاء الموحدة .
(٢٤٢) الخردل : فارسى : نبات بمصر يعرف بحشيشة السلطان .
(٢٤٣) فى (خ) [وتطرد] .

وفى بعض كتبهم المعظمة : أن جباية سليمان عليه السلام فى كل سنة كانت ستمائة ألف قنطار ، وستة وثلاثين ألف قنطار من ذهب ، وهم مقرون أنه لم يملك قط إلا فلسطين والأردن ، والغور فقط . وأنه لم يملك قط « رفح[٢٤٤] » ولا « غزة » ولا « عسقلان » ولا « صور » ولا « صيدا » ، ولا « دمشق » ، ولا « عمان » ، ولا « البلقاء[٢٤٥] » ولا « مواب » ، ولا جبال « الشراة ». فهذه الجباية التى لم جُمِع كُل الذهب الذى بأيدى الناس لم يبلغها ، من أين خرجت ؟ .

وقد قلنا : إن الأحبار الذين علموا لهم هذه الخرافات كانوا ثقالًا فى الحساب ، وكان الحياء فى وجوههم قليلا جدًّا .

وذكروا أنه كان لمائدة سليمان عليه السلام فى كل سنة أحد عشر ألف ثور ، وخمسمائة ثور وزيادة ، وستة وثلاثين ألف شاه سوى الإبل والصيد ، فانظروا ماذا يكفى لحوم من ذكرنا من الخبز ؟ وقد ذكروا عدداً مبلغه ستة آلاف مدى[٢٤٦] فى العام لمائدته خاصة .

واعلموا أن بلاد بنى إسرائيل تضيق عن هذه النفقات . هذا مع قوله : إنه عليه السلام كان يهدى كل سنة ثلثى هذا العدد من بُرٍّ ، ومثله من زيت إلى ملك « صور » . فليت شعرى !! لأى شىء كان يهاديه بذلك ؟ هل ذلك إلاَّ لأنه كفؤه ونظيره فى الملك ؟ ! وهذه كلمات كذبات ، ورعونة لا خفاء بها ، وأخبار متناقضة .

وذكروا : أنه كانت توضع فى قصر « سليمان » عليه السلام كل يوم مائة مائدة ذهب ، على كل مائدة مائة صفحة ذهب ، وثلاثمائة طبق ذهب ، على كل طبق ثلاثمائة كأس ذهب ، فاعجبوا لهذه الكذبات الباردة ، واعلموا أن الذى عملها كان ثقيل الذهن فى الحساب مقصراً فى علم المساحة ، لأنه لا يمكن أن يكون قطر دائرة الصحفة أقل من شبر ، وإن لم تكن كذلك فهى صحيفة لا صحفة طعام ملك ، فوجب ضرورة أن تكون مساحة كل مائدة من تلك الموائد عشرة أشبار فى مثلها لا أقل سوى حاشيتها وأرجلها .

صحيفة لا صحفة طعام ملك ، فوجب ضرورة أن تكون مساحة كل مائدة من تلك الموائد عشرة أشبار فى مثلها لا أقل سوى حاشيتها وأرجلها .

واعلموا أن مائدة من ذهب هذه صفتها لا يمكن ألبتة أن يحركها إلاَّ فيل ، لأن الذهب أوزن الأجسام وأثقلها ، ولا يمكن ألبتة أن يكون فى كل مائدة من تلك الموائد أقل من ثلاثة آلاف رطل

---

(٢٤٤) فى (ب) [رفج] بالجيم .

(٢٤٥) فى (ب) [البلقا] بغير همز .

(٢٤٦) المدى : بالضم مكيال للشام ومصر ، وهو غير المدّ .

ذهب ، فمن يرفعها ؟ ومن يضعها ؟ ومن يغسلها ؟ ومن يمسحها ؟ ومن يديرها ؟ فهذا الذهب كله ، وهذه(٢٤٧) الأطباق من أين ؟

فإن قيل : أنتم تصدقون بأن الله تعالى آتاه مُلْكاً لا ينبغى لأحد مِنْ بَعدِه ، وأن الله سخّر له الريح والجن والطير ، وعلمه منطق الطير والنمل ، وأن الريح تجرى بأمره ، وأن الجن كانوا يعلمون(٢٤٨) له المحاريب والتماثيل ، والجفان ، والقدور . قلنا : نعم ونكفر من لم يؤمن بذلك ، وبين الأمرين فرق واضح ، وهو أن الذى ذكرتَ مما نصدِّق به نحن هو من المعجزات التى تأتى بمثلها الأنبياء عليهم السلام داخل كله تحت الممكن فى بنية العالم ، والذى ذكروه هو خارج(٢٤٩) عن هذا الباب داخل فى حدِّ الكذب والامتناع فى بنية العالم .

وفى بعض كتبهم المعظمة عندهم أن « زارح » ملك السودان غزا بيت المقدس فى ألف ألف مقاتل ، وأن « أسابن » ابن الملك(٢٥٠) خرج إليه فى ثلاثمائة ألف مقاتل من « بنى يهوذا » وخمسين ألف مقاتل من « بنى بنيامين » فهزم ملك(٢٥١) السودان . وهذا كذب فاحش ممتنع ، لأن من أقرب موضع من بلد السودان ، وهو(٢٥٢) النوبة إلى « مسقط » النيل فى البحر نحو مسيرة ثلاثين يوماً ، ومن مسقط النيل إلى بيت المقدس نحو عشرة أيام صحارى ومفاوز ، وألف ألف مقاتل لا تحملهم إلا البلاد المعمورة الواسعة ، وأما الصحارى الجرد فلا ، ثم فى مصر جميع أعمال مصر فكيف يخطوها إلى بيت المقدس هذا ممتنع فى رتبة الجيوش وسيرة الممالك ، ومن البعيد أن يكون عند ملك السودان حيث يتسع بلدهم ، ويكثر عددهم اسم بيت المقدس ، فكيف أن يتكلفوا غزوها لبعد تلك البلاد عن النوبة ، وأما بلد النوبة والحبشة والبجاة فصغير الخطة(٢٥٣) قليل العدد . وإنما هى خرافات مكذوبة باردة .

وفى كتاب لهم يسمى « شعر توما » من كتاب « التلمود » ، والتلمود هو معولهم وعمدتهم فى فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم . وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم ، ففى الكتاب المذكور أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع حاش لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات .

---

(٢٤٧) فى (ب) [وذا] .
(٢٤٨) فى (ب) [يعلمون] .
(٢٤٩) فى (أ) [وهم] .
(٢٥٠) فى (أ ، ب) [ابنا] .
(٢٥١) سقطت كلمة [ملك] فى (ب) .
(٢٥٢) فى النسختين (أ ، ب) [وهم] .
(٢٥٣) فى (خ) [الخطب] .

وفى كتاب آخر من التلمود يقال له « سادر ناشيم » ومعناه تفسير أحكام الحيض أن فى رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قنطار من ذهب ، وفى إصبعه خاتم له فص[٢٥٤] تضىء منه الشمس والكواكب ، وأن الملك الذى يخدم ذلك التاج اسمه « صندلفون[٢٥٥] » تعالى الله عن هذه الحماقات .

ومما أجمع عليه أحبارهم – لعنهم الله – أنَّ من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدب ، ومن شتم الأحبار يموت أى يقتل . فاعجبوا لهذا ، واعلموا أنهم ملحدون لا دين لهم ، يفضلون أنفسهم على الانبياء عليهم السلام ، وعلى الله عزَّ وجل : [ومن الأحبار[٢٥٦]] فعليهم ما يخرج من أسافلهم ، وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ، ولا يتناكرونه ، معنى أن أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم ، والتوراة ، وكتب الأنبياء عليهم السلام . اتفقوا على أن رشوا « بولس » البنياميني – لعنه الله – وأمروه بإظهار دين « عيسى » عليه السلام ، وأن يضل أتباعهم ، ويدخلهم إلى القول بالإلهية ، وقالوا له : نحن نتحمل إثمك فى هذا ، ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر .

واعلموا يقيناً أن هذا عمل لا يستسهله ذو دين أصلًا ، ولا يخلو أتباع المسيح عليه السلام عند[٢٥٧] أولئك الأحبار – لعنهم الله – من أن يكونوا على حق أو على باطل ، لابدَّ من أحدهما . فإن كانوا عندهم على حق فكيف استحلّوا ضلال قوم محقين . وإخراجهم عن الهدى والدين إلى الضلال المبين . هذا والله لا يفعله مؤمن بالله تعالى أصلًا ، وإن كانوا عندهم على ضلال وكفر فحسبهم ذلك منهم . وإنما يسعى المؤمن ليهدى الكافر والضال[٢٥٨]. وإما أن يقوى بصيرته فى الكفر ويفتح له فيه أبواباً أشد وأفحش مما هو عليه فهذا لا يفعله أيضاً من يؤمن بالله تعالى قطعا ، ولا يفعله إلا ملحد يريد أن[٢٥٩] يسخر بمن سواه ، فعن هؤلاء أخذوا دينهم وكتب أنبيائهم بإقرارهم ، فاعجبوا لهذا ، وهذا أمر لا نبعده عنهم لأنهم قد راموا ذلك فينا وفى ديننا ، فبعد عليهم بلوغ أربهم من ذلك ، وذلك بإسلام « عبد الله بن سبأ »[٢٦٠] المعروف بابن السوداء اليهودى

---

(٢٥٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [له فص] .
(٢٥٥) فى (ب) [صندلفوت] بالتاء المثناة .
(٢٥٦) فى (خ) بزيادة [ومن الأحبار] والكلام معها لا ينسجم .
(٢٥٧) فى (أ) [منه] .
(٢٥٨) فى (أ) [أو] .
(٢٥٩) سقطت [أن] فى (ب) .
(٢٦٠) هو رأس الطائفة السبئية التى كانت تقول بألوهية على رضى الله عنه ، أصله من اليمن كان يهوديا قبل الإسلام رحل إلى الحجاز والبصرة والكوفة ، ودخل دمشق فى أيام عثمان بن عفان فأخرجه أهلها فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته ، وقال للإمام على : أنت خلقت الأرض ، وبسطت الرزق فنفاه إلى « ساباط » وكان يقال له « ابن السوداء » لسواد أمه ، ويقال للطائفة السبئية : الطيارة لأنهم يعتقدون أنهم لا يموتون ولكنهم يطيرون ، ويقولون بالتناسخ والرجعة (الاعلام ٤ / ٢٢٠) .

الحميرى لعنه الله ليضل من أمكنه من المسلمين . فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيّعون فى علىٍّ رضى الله عنه أن يقولوا بالإلهية على ، كما[٢٦١] نهج « بولس » لأتباع المسيح عليه السلام أن يقولوا بإلهيته ، وهم الباطنية ، والغالية إلى اليوم ، وأخفهم كفراً الإمامية[٢٦٢] – على جميعهم لعائن الله تترى – .

وأشنع من هذا كله نقلُهم الذى لا تمانع بينهم[٢٦٣] فيه عن كثير من أحبارهم المتقدمين الذين عنه وعن أصحابه[٢٦٤] أخذوا دينهم ، ونقلوا[٢٦٥] توارتهم ، وكتب الأنبياء – بأن رجلاً اسمه « اسماعيل » كان إثر خراب البيت إذ خربه طيطش فيذكرون عنه أنه أخبرهم عن نفسه أنه كان ماشياً فى خراريب ببيت[٢٦٦] المقدس فسمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة ، ويبكى وهو يقول : « الويل لمن أخرب بيته ، وضعضع ركنه ، وهدم قصره ، وموضع سكينته ، وَيْلى على ما أخربت من بيتى وَيْلى على ما فرقت من بنىَّ وبناتى ، قامتى[٢٦٧] منكتسة ، حتى أبنى بيتى وأردّ[٢٦٨] إليه بنىَّ وبناتى » .

قال هذا النذل الموسخ ابن الأنذال إسماعيل : فأخذ الله تعالى بثيابى ، وقال لى : أسمعتنى يا بنى يا إسماعيل ؟ قلت : لا يارب . فقال لى : يا بنى يا إسماعيل ، بارك على ، قال هذا الكلب[٢٦٩] والجيفة المنتنة فباركت عليه ومضيت .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : «لقد هان من بالت عليه الثعالب» والله ما فى الموجودات أرذل ولا أنتن ممن احتاج إلى بركة هذا الكلب الوضر ، فاعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع .

فمنها : إخباره عن الله تعالى أن يدعوَ على نفسه بالويل مرة بعد مرة ، الويل حقا على من يصدّق بهذه القصة ، وعلى الملعون الذى أتى بها .

---

(٢٦١) فى (ب) [ونهج] وسقطت [كما] منها ، وفى (خ) [كالذى] .

(٢٦٢) الباطنية والإمامية والغلاة : مختلطة بعضها ببعض ، نشأ مذهبهم فى منتصف القرن الثالث ، من دعاتهم : ميمون بن ديصان القداح الثنوى ، وظاهر مذهبهم فروع الشريعة ، ولكن عقيدتهم عقيدة الفلاسفة والملاحدة ، وكان ميمون يسر اليهودية ويظهر الإسلام ، وكان يخدم إسماعيل بن جعفر ، وظهر أيام قرمط فاجتمعا ، وأخذا ناموسا يدعون إليه ، فسمُّوا بالقرامطة ، وألقابهم : الاسماعيلية الباطنية الإباحية ، القرامطة الملاحدة ، الزنادقة ، نادوا بإلهين قديمين ؛ العقل والنفس ، وذهبوا إلى أنه لابد من إمام معصوم يرجع إليه ، وهو كالنبى فى عصمته إلّا أنه لا ينزل عليه الوحى ، أباحوا جملة اللذات والشهوات ، وأباحوا لهم نكاح البنات والأخوات ، وأسقطوا فرائض العبادات . (الملل والنحل : للشهرستانى حـ ١ ص ٣٣٣) .

(٢٦٣) سقطت كلمة [بينهم] فى (أ) .

(٢٦٤) فى (أ ، ب) [عنهم] وسقط [وعن أصحابه] .

(٢٦٥) فى (ب) [ونعل] .

(٢٦٦) سقط الكلام من [إذ خربه إلى خراريب بيت] فى (أ ، ب) .

(٢٦٧) فى (أ ، ب) [فأمتى] وهو .

(٢٦٨) فى (ب) [وأردد] .

(٢٦٩) سقطت كلمة [الكلب] فى (ب) .

ومنها : وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعل !! وما الذى دعاه إلى الندامة ؟ أتراه كان عاجزًا عن أن يردّهم[٢٧٠]؟ هذا عجب آخر ، وإذا كان نادما على ذلك – فلِمَ تمادى على تبديدهم ، وإلقاء النجس عليهم حتى يبلغ ذلك إلى إلقاء الحكة فى أدبارهم ، كما نص فى آخر توارتهم ؟

ما فى العالم صفة أحمق من صفة من يتمادى على من يندم عليه هذه الندامة .

ومنها : وصفه الله تعالى – بالبكاء والأنين .

ومنها : وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أم لا ؟ حتى سأله عن ذلك .

ثم أظرف شيء إخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب ، وأن الله تعالى قنع بكذبه ، وجاز عنده ولم يدر أنه كاذب .

ومنها : كونه بين الخرب ، وهى مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط[٢٧١] البرية ونحوهما .

ومنها : وصفه الله تعالى بتنكيس القامة .

ومنها : طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنه والمنتن .

وبالله الذى لا إله إلّا هو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ التى بلغها هذا اللعين ، ومن يعظمه . وبالله تعالى نتأيد .

ولو ما وصفه الله تعالى من كفرهم وقولهم : « يد الله مغلولة[٢٧٢]» و« الله فقير ونحن أغنياء[٢٧٣]» . ما انطلق لنا لسان بشيء مما أوردنا . ولكن سهَّلَ علينا حكاية كفرهم ما ذكره الله تعالى لنا من ذلك . ولا أعجب من أخبار هذا الكلب – لعنة الله – عن نفسه بهذا الخبر ، فإن اليهود كلهم يعنى الربانيين منهم مجمعون على الغضب على الله ، وعلى تعييبه[٢٧٤] وتهوين أمره عزَّ وجلّ فإنهم يقولون ليلة « عيد الكبود[٢٧٥]» وهى العاشرة من تشرين الأول وهو أكتوبر يقوم « الميططرون » ومعنى هذه اللفظة عندهم « الرب الصغير » – تعالى الله عن كفرهم .

قال : ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكى قليلا قليلا : « ويْلي إذ خرّبت بيتى ، وأيتمت

---

(٢٧٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [عن أن يردهم] .

(٢٧١) وفى (خ) [والقطاط] .

(٢٧٢) جزء من آية فى سورة المائدة : ٦٤ .

(٢٧٣) جزء آية فى سورة آل عمران : ١٨١ .

(٢٧٤) فى (ب) [تلعيبه] .

(٢٧٥) فى (ب) [الكبور] بالراء . وفى (خ) [الكبير] .

بنّى وبناتى ، قامتى[٢٧٦] منكسة لا أرفعها حتى أبنى بيتى ، وأردّ[٢٧٧] إليه بنّى وبناتى » . ويردّد هذا الكلام .

واعلموا أنهم أفرادوا عشرة أيام من أول « أكتوبر » يعبدون فيه ربًّا آخر غير الله عزَّ وجل . فحصلوا على الشرك المجرّد .

واعلموا أن الرَّب الصغير الذى أفردوا له الأيام المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عزَّ وجل هو عندهم « صندلفون » الملك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم ، وهذا أعظم من شرك النصارى ، ولقد أوقفت بعضهم على هذا فقال لى : « ميططرون » مَلَكٌ من الملائكة . فقلت : وكيف يقول ذلك الملك ؟ وَيْلِى على ما خرَّبت من بيتى ، وفرَّقت بنىَّ وبناتى !! وهل فعل هذا إلا الله عزَّ وجل ؟

فإن قالوا : تولّى ذلك الملك ذلك الفعل بأمر الله تعالى .

قلنا : فمن المحال الممتنع ندامة الملك على ما فعله بأمر الله تعالى ، هذا كفر من الملك لو فعله . فكيف أن يحمد ذلك منه ؟ وكل هذا إنما هو تحيُّل منهم عند صكّ وجوههم بذلك . وإلّا فهم فيه قسمان : قسم يقول : إنه الله[٢٧٨] تعالى نفسه فيصغرونه ويحقرونه ، ويعيبونه ، وقسم يقول : إنه ربٌّ آخر دون الله تعالى .

واعلموا أن اليهود يقومون فى كنائسهم أربعين ليلة متصلة من « أيلول » و« تشرين الأول » وهما : « سبتمبر ، وأكتوبر » فيصيحون ويولولون بمصائب ، منها قولهم : « لأى شىء تسلمنا يا الله هكذا ، ولنا الدين القيم ، والأثر الأول ؟ لم يا ألله تتصمَّمُ عنا وأنت تسمع ؟! وتعمى وأنت مبصر ؟! هذا جزاء من تقدم إلى عبوديتك ، وبدر إلى الإقرار بك ؟! لم يا ألله : لا تعاقب من يكفر النعم ؟ ولا تجازى بالإحسان ثم تبخسنا حظنا ، وتسلمنا لكل معتد ، وتقول : إن أحكامك عدلة .

فاعجبوا لوغادة هؤلاء الأوباش !! ولرذالة هؤلاء الأنذال الممتنين على ربهم عزَّ وجلّ ، المستخفِّين به وبملائكته وبرسله .

وتالله ما بخسهم ربّهم حظهم ، وما حقهم[٢٧٩] إلا الخزى فى الدنيا ، والخلود فى النار فى الآخرة ، وهو تعالى موفيهم نصيبهم غير منقوص .

---

(٢٧٦) فى (ب) [فامتى] بالفاء الموحدة .
(٢٧٧) فى (ب) [وأردد] بفك الإدغام .
(٢٧٨) فى (أ) سقطت كلمة [الله] .
(٢٧٩) فى (أ) [وما حظهم] .

واحمدوا الله على عظيم منته علينا بالإسلام الملّة الزهراء[٢٨٠] التى صححتها العقول ، وبالكتاب المنزل من عنده تعالى بالنور المبين ، والحقائق الباهرة ، نسأل الله تثبيتنا على ما منحنا من ذلك بمنّه إلى أن نلقاه مؤمنين غير مغضوب علينا ولا ضالين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر ، والمناقضات اللّائحة التى لا شك معه فى أنها كتب مبدَّلة محرَّفة مكذوبة ، وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم ، ولم يبق بأيديهم بعد هذا شىء أصلًا ، ولا بقى فى فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه والحمد لله رب العالمين . وإيّاكم أن يجوز عليكم تمويه من يعارضكم بخرافة أو كذبة ، فإننا لا نصدّق فى ديننا بشىء أصلًا ، إلّا ما جاء فى القرآن ، أو ما صح بإسناد الثقات ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلى رسول الله ﷺ فقط وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل لا نلتفت إليه[٢٨١].

واعلموا أننا لم نكتب من فضائحهم إلّا قليلا من كثير ، ولكن فيما كتبنا كفاية قاطعة فى بيان فساد كلّ ما هم عليه ..

وبالله تعالى التوفيق .

تمّ الجزء الأول من كتاب « الفِصَل فى المِلَل والأهواء والنّحل » للإمام « أبو محمد على ابن حزم الظاهرى المتوفى ٤٥٦ هـ » فى اليوم الثانى والعشرين من صفر ١٣٩٧ هـ الموافق ١٠ من فبراير سنة ١٩٧٧ م . بالرياض . والله الموفق والهادى سواء السبيل .

---

(٢٨٠) فى (خ) [البيضاء] .
(٢٨١) سقطت فى (أ ، ب) [لا نلتفت إليه] .

فهرس الآيات القرانية

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٨	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	فاطر	٢٤	١٣٩
١٩	لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل	النساء	١٦٥	١٣٩
٢٠	لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها	البقرة	٢٨٦	١٤٠
٢١	علمنا منطق الطير	النمل	٦٦	١٤١
٢٢	يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم	النمل	١٨	١٤١
٢٣	وإن من شيء إلا يسبح بحمده	الأسراء	٤٤	١٤٢
٢٤	ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض	الحج	١٨	١٤٢
٢٥	انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان	الأحزاب	٧٢	١٤٢
٢٦	ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طاعين	فصلت	١١	١٤٢
٢٧	ولكن لا تفقهون تسبيحهم	الإسراء	٤٤	١٤٤
٢٨	وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم	الإسراء	٤٤	١٤٤
٢٩	ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعًا وكرهًا	الرعد	١٥	١٤٤
٣٠	واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون	فصلت	٣٧	١٤٤
٣١	ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعًا وكرهًا	الرعد	١٥	١٤٤
٣٢	وظلالهم بالغدو والآصال	الرعد	١٥	١٤٥
٣٣	أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون	النحل	٤٨	١٤٥
٣٤	ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم	الكهف	٥١	١٤٥
٣٥	وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم	النور	٤٨	١٤٥
٣٦	وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله	البقرة	٧٤	١٤٦
٣٧	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	الإسراء	١٥	١٤٦
٣٨	فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها	فصلت	١٢	١٤٧
٣٩	ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء	البقرة	١٧١	١٤٧
٤٠	وإذ يمكر بك الذين كفروا	الأنفال	٣٠	١٤٧
٤١	يا أبت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر	مريم	٤٢	١٤٧

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٢	أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون	الزمر	٤٣	١٤٧
٤٣	جدارًا يريد أن ينقض فأقامه	الكهف	٧٧	١٤٨
٤٤	وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون	الأنعام	٣٨	١٤٩
٤٥	وإذا الوحوش حشرت	التكوير	٥	١٤٩
٤٦	ورسلاً قد قصصنا هم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك	النساء	١٦٤	١٥٣
٤٧	يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم	المائدة	١٠٩	١٥٣
٤٨	وجىء بالنبين والشهداء	الزمر	٦٩	١٥٣
٤٩	يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك	الانفطار	٦ — ٨	١٥٦
٥٠	جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه	الشوره	١١	١٥٦
٥١	لا يسأل عما يفعل وهم يسألون	الأنبياء	٢٣	١٧٠
٥٢	ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون	العنكبوت	٤٦	١٧٢
٥٣	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	فاطر	٢٤	١٧٤
٥٤	منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك	غافر	٧٨	١٧٤
٥٥	وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى	الأنفال	١٧	١٧٥
٥٦	اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر	القمر	٤	١٧٥
٥٧	فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم	الجمعة	٦ ، ٧	١٧٦
٥٨	وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون	الإسراء	٥٩	١٨٣
٥٩	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	فاطر	٢٤	١٨٦
٦٠	ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك	النساء	١٦٤	١٨٦
٦١	يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا	الأعراف	١٥٨	١٨٨
٦٢	ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين	آل عمران	٨٥	١٨٨
٦٣	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر : إلى قوله : حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون	التوبة	٢٩	١٨٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٦٤	رب أرنى كيف تحيى الموتى	البقرة	٢٦٠	٢٠٩
٦٥	رب اجعل لى آية	آل عمران	٤١	٢٠٩
٦٦	أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى	البقرة	٢٦٠	٢٠٩
٦٧	ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلامًا ، قال سلام فمالبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط	هود	٧٠	٢١١
٦٨	يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم	البقرة	٩	٢١٨
٦٩	يد الله مغلولة	المائدة	٦٤	٢٢٢
٧٠	إن الله فقير ونحن أغنياء	آل عمران	١٨١	٢٢٢
٧١	إنما صنعوا كيد ساحر	طه	٦٩	٢٣٨
٧٢	وجاء السحرة فرعون قالوا أئن لنا أجراً إن كنا نحن الغالبين ، قال : نعم وإنكم لمن المقربين قالوا إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال : ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ، وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون .	الأعراف	١١٢ ، ١١٣	٢٣٨
٧٣	فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى	طه	٦٦	٢٣٨
٧٤	فإذا هى ثعبان مبين	الأعراف	١٠٧	٢٣٨
٧٥	الله نور السموات والأرض	النور	٣٥	٢٤٤
٧٦	مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة إلى قوله : لم تمسسه نار	النور	٣٥	٢٤٤
٧٧	نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء	النور	٣٥	٢٤٤
٧٨	وجاء ربك والملك صفًا صفًا	الفجر	٢٢	٢٤٥
٧٩	إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة	البقرة	٢١٠	٢٤٥
٨٠	يد الله فوق أيديهم	الفتح	١٠	٢٤٦
٨١	ويبقى وجه ربك	الرحمن	٢٧	٢٤٦
٨٢	واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسدًا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين .	الأعراف	١٤٨	٢٤٧

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٨٣	فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال « يا هارون » ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يا ابن أمَّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى	طه	٨٨ ، ٩٤	٢٤٨
٨٤	يا ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى	الأعراف	١٥٠	٢٤٨
٨٥	إن هؤلاء لشرذمة قليلون	الشعراء	٥٤	٢٥٣
٨٦	إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى	مريم	٧	٢٦٩
٨٧	أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين .	مريم	٩	٢٦٩
٨٨	قال رب اجعل لى آية قال آتيك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا .	مريم	١٠	٢٦٩
٨٩	أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيا قالت ربى أنى يكون لى غلام	مريم	١٩ ، ٢٠	٢٧٠
٩٠	قال كذلك قال ربك هو على هين	مريم	٢١	٢٧٠
٩١	ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل	آل عمران	٤٨ ، ٤٩	٣٠٢
٩٢	يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم	المائدة	٦٨	٣٠٣
٩٣	قل فأتوا بالتوراة فأتلوها إن كنتم صادقين	آل عمران	٩٣	٣٠٣
٩٤	إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء	المائدة	٤٤	٣٠٤
٩٥	وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون	المائدة	٤٧	٣٠٤
٩٦	ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم	المائدة	٦٦	٣٠٤
٩٧	يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم	النساء	٤٧	٣٠٤
٩٨	وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله	المائدة	٤٣	٣٠٤

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٩٩	صحف ابراهيم وموسى	الأعلى	١٩	٣٠٤
١٠٠	وإنه لفى زبر الأولين	الشعراء	١٩٦	٣٠٤
١٠١	يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم	المائدة	٦٨	٣٠٥
١٠٢	قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين	آل عمران	٩٣	٣٠٦
١٠٣	إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله	المائدة	٤٤	٣٠٦
١٠٤	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة	المائدة	٤٨	٣٠٦
١٠٥	ولا تتبع أهواءهك واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك	المائدة	٤٩	٣٠٧
١٠٦	وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه	المائدة	٤٧	٣٠٧
١٠٧	ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم	المائدة	٦٦	٣٠٧
١٠٨	يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم	النساء	٤٧	٣٠٧
١٠٩	يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون	آل عمران	٧١	٣٠٨
١١٠	وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون	البقرة	١٤٦	٣٠٨
١١١	وإن منهم لفريقًا يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله	آل عمران	٧٨	٣٠٨
١١٢	يحرفون الكلم عن مواضعه	المائدة	١٣	٣٠٨
١١٣	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار	الفتح	٢٩	٣٠٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١١٤	يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين	الحجرات	١٧	٣١١
١١٥	وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرًا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرا وألقينا بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين	المائدة	٦٤	٣١٧
١١٦	لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق	آل عمران	١٨١	٣١٧

فهرس الأحاديث

فهرس الفرق والملل والمذاهب

فهرس الأشعار

فهرس البلدان والأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

فهرس الكتب

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حروف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الكنى

ثبت بالمراجع

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١	القرآن الكريم	كتاب الله جل من أنزل
٢	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب من المكتبة السلفية
٣	صحيح مسلم	حقق نصوصه ورقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقى نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية
٤	سنن الترمذى	حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف [دار الفكر ١٣٨٤ هـ]
٥	سنن ابن ماجه	حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقى [عيسى البابى الحلبى وشركاه]
٦	سنن الدارمى	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى [دار الفكر ش سليمان الحلبى القاهرة ١٣٩٨ هـ]
٧	سنن أبى داود	راجعه على عدة نسخ محمد محيى الدين عبد الحميد [دار إحياء السنة النبوية]
٨	جامع الأصول فى أحاديث الرسول	حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤطى [مكتبة دار لبنان ١٣٩٢ هـ]
٩	كشف الخفا ومزيل الألباس	أحمد القلاس [مكتبة التراث الإسلامى – حلب]
١٠	المسند للإمام أحمد بن حنبل	شرحه – أحمد محمد شاكر [دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ]
١١	الموطأ للإمام مالك	صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقى [دار إحياء الكتب العربية]
١٢	سنن النسائى	بشرح الحافظ السيوطى [المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ]
١٣	الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة	الشوكانى – تحقيق عبد الرحمن بن يحيى [مطبعة جدة ١٣٨٠ هـ]
١٤	مفتاح كنوز السنة د . ا . ى فنسنك	نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى ادارة ترجمان السنة – لاهور ١٣٩٧ هـ

١٥	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى	ابتدأ ترتيب وتنظيمه ونشره [أ . ى . ونسنك و ى . ب . منسخ [مطبعة بريل لندن ١٩٦٧]
١٦	ابداية والنهاية لابن كثير	الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف بيروت
١٧	·ائرة المعارف الإسلامية	أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية جماعة من المستشرقين النسخة العربية إعداد إبراهيم زكى خورشيد [دار الشعب بالقاهرة]
١٨	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر	تحقيق على محمد البيجاوى [مكتبة نهضة مصر بالقاهرة]
١٩	الطبقات الكبرى لابن سعد	دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة
٢٠	وفيات الأعيان لابن خلكان	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مكتبة نهضة مصر ١٩٤٨ م]
٢١	تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلانى	للإمام ابن حجر العسقلانى
	المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مطبعة المدنى بالقاهرة]
٢٢	الإعلام للزركلى	الطبعة الثالثة
٢٣	جمهرة أنساب العرب لابن حزم	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون [دار المعارف ١٩٦٢ م]
٢٤	جوامع السيرة لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس [دار المعارف بمصر]
٢٥	طوق الحمامة فى الألفة والآلاف	تحقيق الدكتور الطاهر مكى [دار المعارف بمصر]
٢٦	المفاضلة بين الصحابة لابن حزم	تحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى [بيروت سنة ١٩٤٠ م]
٢٧	نقط العروس لابن حزم	تحقيق الدكتور شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٥١ م
٢٨	أعلام النساء لعمر كحالة	الطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨ هـ
٢٩	الإحاطة فى أخبار غرناطة	لسان الدين الخطيب تحقيق عبد الله عنان القاهرة ١٩٥٥ م
٣٠	بغية الملتمس	أحمد بن يحيى العتبى دار الكتاب العربى ١٩٦٧ م
٣١	تراجم إسلامية	محمد عبد الله عنان [مكتبة الخانجى]
٣٢	تذكرة الحفاظ	الذهبى [طبعة حيدر أباد الهند]
٣٣	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى بيروت
٣٤	تاريخ الفكر الأندلسى	ترجمة الدكتور حسين مؤنس [القاهرة ١٩٥٥ م]
٣٥	تاريخ الشعوب الإسلامية	بركلمان الطبعة السابعة دار العلم للملايين
٣٦	ابن حزم – حياته وعصره وآراؤه وفقهه	الشيخ محمد أبو زهرة [دار الفكر العربى]
٣٧	ابن حزم الأندلسى	الدكتور زكريا إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٦٦ م اعلام العرب
٣٨	دولة الإسلام فى الأندلس	الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ
٣٩	طبقات الشافعية للأسنوى	تحقيق عبد الله الجابورى بغداد ١٣٩١ هـ
٤٠	عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعه	دار مكتبة الحياة بيروت
٤١	معجم الأدباء لياقوت الحموى	طبعة دار المأمون
٤٢	مروج الذهب للمسعودى	تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – كتاب التحرير سنة ١٣٨٦ هـ
٤٣	المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى	تحقيق محمد العريان – القاهرة – سنة ١٣٦٨ هـ

٤٤ تفسير الطبرى : لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى — حققه محمود محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م

٤٥ تفسير القرآن العظيم : لأبى الفداء اسماعيل ابن كثير — طبع دار احياء الكتب العربية

٤٦ التفسير الكبير : للإمام محمد الرازى — المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ

٤٧ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين السيوطى — دار المعرفة للطباعة – بيروت – لبنان

٤٨ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل — للإمام محمود بن عمر الزمخشرى – ط مصطفى حسين أحمد مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ

٤٩ الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى — ط . دار الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٧ هـ

٥٠ زاد المسير فى علم التفسير – عبد الرحمن ابن الجوزى — المكتب الإسلامى – على نفقه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى – أمير دولة قطر المعظم

٥١ فى ظلال القرآن — سيد قطب دار الشروق ١٣٩٤ هـ بيروت

٥٢ تفسير القرآن الحكيم — محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة النجاح الطبعة الأولى

٥٣ تفسير النسفى — للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : مكتبة محمد على صبيح ١٣٨٥ هـ

٥٤ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز — مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى – تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٣٨٩ هـ

٥٥ التفسير والمفسرون — د . محمد حسين الذهبى – دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٨١ هـ

٥٦ معترك الأقران فى أعجاز القرآن — للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى – تحقيق : على محمد البجاوى – دار الفكر العربى

٥٧ تأويل مشكل القرآن — شرحه ونشره : السيد أحمد صقر – الطبعة الثانية – دار التراث – القاهرة ١٣٩٣ هـ

٥٨ فتح القدير : الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير — تأليف : محمد بن على الشوكانى : دار الفكر ١٣٩٣ هـ

كتب العقيدة

٥٩ المواقف — للقاضى : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى . الطبعة الأولى : مطبعة السعادة بمصر – ١٣٢٥ هـ

٦٠ المقاصد — سعد الدين التفتازانى . نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحمل رقم ٥٣٣١٣ علم الكلام

٦١	التقريب لحد المنطق والمدخل إليه	نشر وتحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت ١٩٥٩ م
٦٢	الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار العروبة – ١٣٨٠ هـ
٦٣	رسالة فى ابطال القياس والرأى والاستحسان لابن حزم	تحقيق الاستاذ سعيد الأفغانى سنة ١٩٦٠ دمشق
٦٤	أصول الفكر الفلسفى عند الرازى	د . عبد اللطيف محمد العبد – مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٧ م
٦٥	الأسفار المقدسة	د . على عبد الواحد وافى – دار نهضة مصر سنة١٩٧١ م .
٦٦	آراء بن العربى الكلامية	عمار طالبى : الشركة الوطنية – الجزائر
٦٧	إغاثة اللهفان	لابن القيم الجوزيه – تحقيق محمد حامد الفقى
٦٨	أصول الدين	للبغدادى : الطبعة الأولى – استنابول – مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ
٦٩	تحقيق ما للهند من مقولة	للبيرونى ط حيدر أباد بالهند ، ١٣٧٧ هـ
٧٠	تبين كذب المفترى	لابن عساكر : ط دار الكتاب العربى : بيروت ١٣٩٩ هـ
٧١	التلمود	ظفر الإسلام خان ط . الثالثة – دار النفائس
٧٢	التوراه السامرية	ترجمة الكاهن السامرى – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا – دار الأنصار : الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ
٧٣	تهافت الفلاسفة	لحجة الإسلام الغزالى – طبعة دار المعارف تحقيق الدكتور سليمان دنيا
٧٤	جذوة المقتبس	للحميدى : الدار القومية – ١٩٦٦ م
٧٥	رسائل فلسفية	للرازى : منشورات دار الإنسان الجديد : بيروت ١٣٩٣ هـ
٧٦	الرد الجميل	للغزالى : ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٣ هـ تقديم وتحقيق الأستاذ : عبد العزيز عبد الحق .
٧٧	الإشارات لابن سينا	ط دار المعارف . تحقيق د . سليمان دنيا
٧٨	الفكر الدينى الإسرائيلى	د . حسن ظاظا : ط . معهد البحوث سنة ١٩٧١ هـ
٧٩	الفرق بين الفرق	للبغدادى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة ومطبعة محمد على صبيح – القاهرة
٨٠	ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى	د . عوض الله حجازى : سنة ١٣٨٠ هـ
٨١	مناهج الجدل فى القرآن الكريم	د . زاهر عواض الألمعى : مطابع الفرزدق التجارية – الرياض
٨٢	المعجم الفلسفى	د . جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى – بيروت
٨٣	محاضرات فى النصرانية	للشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى
٨٤	الملل والنحل	للشهرستانى : تخريج الدكتور محمد بن فتح الله بدران مكتبة الأنجلو – القاهرة – ١٣٦٦ هـ
٨٥	المسيحية	للدكتور أحمد شلبى : الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م مكتبة النهضة
٨٦	مقالات الإسلاميين	لأبى الحسن الأشعرى : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – ط ثانية ١٣٨٩ هـ
٨٧	المغنى	للقاضى عبد الجبار – الدار المصرية للتأليف والترجمة – بإشراف د . طه حسين

٨٨	نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	د . على سامى النشار . دار المعارف الطبعة السابعة – ١٩٧٧ م
٨٩	مذاهب الإسلاميين	د . عبد الرحمن بدوى . دار العلم للملايين بيروت ط الثانية – ١٩٧٩ م
٩٠	معارج القبول لشرح سلم الوصول فى التوحيد	للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى من مطبوعا الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية
٩١	الحقيقة فى نظر الغزالى	د . سليمان دنيا : دار المعارف بمصر ط ثالثة
٩٢	الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة . من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية
٩٣	فتح المجيد – شرح كتاب التوحيد	للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – محمد حامد الفقى – دار الكتب العلمية بيروت
٩٤	المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية	للاستاذ الدكتور محمد الصادق – دار التراث الإسلامى – بيروت
٩٥	فى التوحيد ، ديوان الأصول	لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابورى : تحقيق محمد عبد الهادى أبو ريدة . مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م
٩٦	الصلة بين التصوف والتشيع	د . كامل مصطفى الشيبى – دار المعارف مصر ط ثانية
٩٧	الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى	د . محمد البهى – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر
٩٨	الابانة عن أصول الديانة	لأبى الحسن الأشعرى . تقديم وتحقيق د . فوقية حسين محمود – دار الأنصار – مصر
٩٩	شرح العقيدة الطحاوية	حققها جماعة من العلماء : المكتب الإسلامى ط : الرابعة ١٣٩٩ هـ
١٠٠	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسوانى الهندى – مطابع نجد التجارية – الرياض

الخطأ والصواب

لفهارس : « الآيات » و« الأحاديث » و« الفرق » و« البلدان » و« الكتب » و« الأعلام »

رقم الصفحة	الصواب	رقم الصفحة	الصواب	رقم الصفحة	الصواب	رقم الصفحة	الصواب	رقم الصفحة	الصواب
١	٣	١٠٤	١١٤	١٧١	١٨١	٢٢٠	٢٣٠	٢٦٩	٢٧٩
٢	٣ و ٤ و ٥	١٠٧	١١٧	١٧٢	١٨٢	٢٢١	٢٣١	٢٧٠	٢٨٠
٣	٣	١٠٨	١١٨	١٧٣	١٨٣	٢٢٢	٢٣٢	٢٧١	٢٨١
٥	١٣ و ١٤	١٠٩	١١٩	١٧٤	١٨٤	٢٢٣	٢٣٣	٢٧٢	٢٨٢
٦	١٤ و ١٥	١١٠	١٢٠	١٧٥	١٨٥	٢٢٤	٢٣٤	٢٧٣	٢٨٣
٧	٢١ و ٢٢	١١١	١٢١	١٧٦	١٨٦	٢٢٥	٢٣٥	٢٧٤	٢٨٤
٨	٢٢	١١٣	١٢٣	١٧٧	١٨٧	٢٢٦	٢٣٦	٢٧٥	٢٨٥
٩	١٨ و ١٩	١١٤	١٢٤	١٧٨	١٨٨	٢٢٧	٢٣٧	٢٧٧	٢٨٧
١٠	١٩	١١٥	١٢٥	١٧٩	١٨٩	٢٢٨	٢٣٨	٢٧٨	٢٨٨
١١	١٩ و ٢٠	١١٦	١٢٦	١٨٠	١٩٠	٢٢٩	٢٣٩	٢٧٩	٢٨٩
١٢	٢٠	١١٧	١٢٧	١٨١	١٩١	٢٣٠	٢٤٠	٢٨٠	٢٩٠
١٣	٢٣	١١٨	١٢٨	١٨٢	١٩٢	٢٣١	٢٤١	٢٨١	٢٩١
١٤	٢٤	١١٩	١٢٩	١٨٣	١٩٣	٢٣٢	٢٤٢	٢٨٢	٢٩٢
١٥	٢٥	١٢٠	١٣٠	١٨٤	١٩٣ و ١٩٤	٢٣٣	٢٤٣	٢٨٣	٢٩٣
١٧	٢٧	١٢٤	١٣٤	١٨٥	١٩٥	٢٣٤	٢٤٤	٢٨٤	٢٩٤
١٩	٢٩	١٢٥	١٣٥	١٨٦	١٩٦	٢٣٥	٢٤٥	٢٨٥	٢٩٥
٢٢	١٠	١٢٦	١٣٦	١٨٧	١٩٧	٢٣٦	٢٤٦	٢٨٦	٢٩٦
٢٣	١١	١٢٧	١٣٧	١٨٨	١٩٨	٢٣٧	٢٤٧	٢٨٧	٢٩٧
٢٤	١٢	١٢٨	١٣٨	١٨٩	١٩٩	٢٣٨	٢٤٨	٢٨٨	٢٩٨
٢٧	٣٧	١٣١	١٤١	١٩٠	٢٠٠	٢٣٩	٢٤٩	٢٨٩	٢٩٩
٢٨	٣٨	١٣٣	١٤٣	١٩١	٢٠١	٢٤٠	٢٥٠	٢٩٠	٣٠٠
٣٣	٤٣	١٣٤	١٤٤	١٩٢	٢٠٢	٢٤١	٢٥١	٢٩١	٣٠١
٣٧	٤٧	١٣٥	١٤٥	١٩٣	٢٠٣	٢٤٢	٢٥٢	٢٩٢	٣٠٢
٤٩	٥٩	١٣٦	١٤٦	١٩٤	٢٠٤	٢٤٣	٢٥٣	٢٩٣	٣٠٣
٥١	٦١	١٣٧	١٤٧	١٩٥	٢٠٥	٢٤٤	٢٥٤	٢٩٤	٣٠٤
٥٤	٦٤	١٣٩	١٤٩	١٩٦	٢٠٦	٢٤٥	٢٥٥	٢٩٥	٣٠٥
٥٦	٦٦	١٤٠	١٥٠	١٩٧	٢٠٧	٢٤٦	٢٥٦	٢٩٦	٣٠٦
٦٣	٧٣	١٤١	١٥١	١٩٨	٢٠٨	٢٤٧	٢٥٧	٢٩٧	٣٠٧
٧١	٨١	١٤٢	١٥٢	١٩٩	٢٠٩	٢٤٨	٢٥٧ و ٢٥٨	٢٩٩	٣٠٩
٧٦	٨٦	١٤٣	١٥٣	٢٠٠	٢١٠	٢٤٩	٢٥٩	٣٠٠	٣١٠
٧٧	٨٧	١٤٤	١٥٤	٢٠١	٢١١	٢٥٠	٢٦٠	٣٠١	٣١١
٧٨	٨٨	١٤٥	١٥٥	٢٠٢	٢١٢	٢٥١	٢٦١ و ٢٦٢	٣٠٢	٣١٢
٧٩	٨٩	١٤٦	١٥٦	٢٠٣	٢١٣	٢٥٢	٢٦٢	٣٠٣	٣١٣ و ٣١٥
٨٠	٩٠	١٤٧	١٥٧	٢٠٤	٢١٤	٢٥٣	٢٦٣	٣٠٤	٣١٣ و ٣١٤
٨١	٩١	١٤٨	١٥٨	٢٠٥	٢١٥	٢٥٤	٢٦٤	٣٠٥	٣١٥
٨٣	٩٣	١٤٩	١٥٩	٢٠٦	٢١٦	٢٥٥	٢٦٥	٣٠٦	٣١٦
٨٤	٩٤	١٥١	١٦١	٢٠٧	٢١٧ و ٢١٨	٢٥٦	٢٦٦	٣٠٧	٣١٧
٨٧	٩٧	١٥٢	١٦٢	٢٠٨	٢١٨	٢٥٧	٢٦٧	٣٠٨	٣١٨
٨٨	٩٨	١٥٣	١٦٣	٢٠٩	٢١٩	٢٥٨	٢٦٨	٣٠٩	٣١٩
٩٠	١٠٠	١٥٤	١٦٤	٢١٠	٢٢٠	٢٥٩	٢٦٩	٣١٠	٣٢٠
٩١	١٠١	١٥٥	١٦٥	٢١١	٢٢١	٢٦٠	٢٧٠	٣١١	٣٢١
٩٢	١٠٢	١٥٦	١٦٦	٢١٢	٢٢٢	٢٦١	٢٧١	٣١٢	٣٢٢
٩٣	١٠٣	١٥٨	١٦٨	٢١٣	٢٢٣	٢٦٢	٢٧٢	٣١٣	٣٢٣
٩٤	١٠٤	١٥٩	١٦٩	٢١٤	٢٢٤	٢٦٣	٢٧٣	٣١٤	٣٢٤
٩٩	١٠٩	١٦٥	١٧٥	٢١٥	٢٢٥	٢٦٤	٢٧٤	٣١٥	٣٢٥
١٠٠	١١٠	١٦٧	١٧٧	٢١٦	٢٢٦	٢٦٥	٢٧٥	٣١٦	٣٢٦
١٠١	١١١	١٦٨	١٧٨	٢١٧	٢٢٧	٢٦٦	٢٧٦	٣١٧	٣٢٧
١٠٢	١١٢	١٦٩	١٧٩	٢١٨	٢٢٨	٢٦٧	٢٧٧	٣٥٣	٣٦٣
١٠٣	١١٣ و ١١٤	١٧٠	١٨٠	٢١٩	٢٢٩	٢٦٨	٢٧٨		

الفصل
في
الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦هـ

الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور محمد ابراهيم نصر

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة

كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الجيل

بيروت

الطبعة الثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئـــة

هذا هو الجزء الثانى من كتاب « الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل » لأبى محمد على ابن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ .

تحدث فيه أبو محمد عن الأناجيل الأربعة ، وعن الرسائل التى يقدسها النصارى ، ويستمدون منها عقيدتهم ، وقد أثبت بالبرهان القاطع أن هذه الأناجيل ليست من عند الله ، ولا يصحُّ أن تكون أساسًا يُعتمد عليه فى التماس العقيدة والدين .

وقد أقرَّ النصارى أنفسهم أولهم وآخرهم ، أريوسيهم وملكِيهُم ، نسطوريُّهم ويعقوبيُهم ، مارونيهم وبولفانيهُم – أن هذه الأناجيل تواريخ ألّفها أربعة رجالٍ معروفون فى أزمان مختلفة .

فالأول : ألّفه « متّى » اللاوانى تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام .

والثانى : ألّفه « مرقس » الهارونى تلميذ شمعون بن يونا المسمَّى « باطرة » بعد اثنين وعشرين عامًا من رفع المسيح .

والثالث : ألّفه « لوقا » الطبيب الأنطاكى تلميذ « شمعون باطره » بعد تأليف « مرقس » .

والرابع : تاريخ ألّفه « يوحنا بن سبذاى » تلميذ المسيح بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة .

وليس لهم بعد هذه الأناجيل كتب يعظمونها إلا « الأفركسيس » وهو كتاب ألّفه « لوقا » الطبيب المذكور فى أخبار الحواريين ، وأخبار صاحبه « بولس » البنياميني وسيرهم . وكتاب « الوحى والإعلان » الذى ألّفه « يوحنا بن سبذاى » ذكر فيه ما رآه من الأحلام وخرافات كثيرة .

والرسائل القانونية : وهى سبع رسائل ، ثلاث منها ليوحنا بن سبذاى ، ورسالتان لباطرة ، ورسالة ليعقوب بن يوسف النجار ، والسابعة لأخيه « يهوذا بن يوسف » . ورسائل بولس : وهى خمس عشرة رسالة .

ووضع لهم الملك « دكريد » كتابًا من تأليف المتأخرين من أساقفتهم وبطاركتهم كان يسير عليه نصارى الأندلس .

فجميع نقل النصارى يرجع إلى ثلاثة فقط وهم : بولس ، ومارقس ، ولوقا وهؤلاء الثلاثة لم ينقلوا إلّا عن خمسة فقط وهم : باطرة ، ومتّى ، ويوحنا ، ويعقوب ويهوذا .

وكل هؤلاء أثبت أبو محمد أنهم أكذب البريّة وأخبثهم .

فالذين آمنوا برسالة المسيح فى حياته مائة وعشرون رجلًا وامرأة فقط ، وكل من آمن به كان مستترا يدعو إلى دينه سرًّا ، ومن أظهر دينه قتل أو رجم أو صلب ، وبقى النصارى على هذا الحال مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح ، وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله تعالى إلّا فصولًا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم .

فلما تنصّر « قسطنطين » ملك الروم أظهر النصارى دينهم ، وكشفوا أمرهم ، فانتشر فيهم دخول « المنّانية » تقية ، ولم يكن فيهم غير منّانية مدلّسون عليهم فأمكنهم بذلك أن يدخلوا من الضلال ما شاءوا . وبالنظر السّريع إلى ما ورد فى الأناجيل يتضح التناقض بينها وبين التوراة من جهة ، وبين كل إنجيل وإنجيل من جهة أخرى ، بل فى الإنجيل الواحد يظهر التضارب والتباين ، وقد ضرب أبو محمد أمثلة كثيرة نشير إلى بعضها فى هذه المقدمة .

ففى التوراة : لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة ولد له ولد كشبهه وجنسه يسمى « شيث » .

وفى الأناجيل : لما أتى لآدم مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث ...

وفى التوراة : فلما عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد « إينوش » .

وعند النصارى : لما عاش شيث مائتى سنة وخمس سنين ولد « إينوش » .

وأورد « أبو محمد » كثيرًا من هذه المناقضات .

وبين التوراة وإنجيل متَّى تناقض واضح فى سلسلة نسب المسيح ، ففيهما اختلاف فى العدد ، واختلاف فى الأسماء ، وسقْط لبعض الأسماء ، فإن صدقت كتب اليهود فقد كذب « متَّى » ، وإن صدق « متَّى » فقد كذبت التوراة .

وفى أول إنجيل « متَّى » نسب المسيح بن داود بن إبراهيم ، ثم لم يأت إلا بنسب يوسف النجار روج مريم .!! والمسيح عنده ليس هو ولد يوسف أصلًا ، فهم يقولون إنه ابن الله من مريم ، وإنه إله وابن إله وامرأة .

فقد تناقض مع نفسه ، وناقض العيسوية من اليهود ، والآريوسية والمقدونية من النصارى فهم يقولون كالمسلمين : إنه عبد آدمى حلقه الله تعالى فى بطن مريم عليها السلام من غير ذكر .

ويختلف إنجيل « لوقا » مع إنجيل « متى » فى نسب يوسف النجار ، فمتَّى ينسبه إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام ، و« لوقا » ينسبه إلى آباء آخرين .

وفى الأناجيل كثير من الحمق والباطل :

ففى إنجيل « لوقا » أن إبليس فاد المسيح فانقاد له المسيح ، ثم طلب إليه أن يلقى نفسه من فوق صنخرة عالية ، والله سيحفظه ، فلم يستجب . وطلب منه أن يسجد له ليعطيه ملكًا عظيمًا فلم يستجب !!

فكيف ينقاد المسيح – وهو إله على زعمهم -- إلى أبليس ؟! وكيف يمنِّيه إبليس بملك أشياء – وهو صاحب الملك فى نظرهم ، وواهب الملك لإبليس ولغيره !!.

ومن التناقض بين إنجيل « متَّى » وإنجيل « مرقس » :

يقول « متَّى » : إن أول صحبة « باطرة » وأخيه « أندرياش » للمسيح كانت بعد سجن يحيى بن زكريا » .

ويقول « مرقس » : « إن أول صحبتهما له كانت قبل أن يسجن يحيى بن زكريا » .

واختلفت الأناجيل فى تحديد الموضع الذى التقيا فيه بالمسيح .

وأورد أبو محمد نصوصًا كثيرة يكذب بعضها بعضا ، فالمسيح يقول : « ما جئت لأنقض التوراة بل جئت لأتممها » .. وأكّد فى غير موضع أن ما جاء فى التوراة لا يُنْسخ ثم ينسب إليه ما يخالف ذلك ، وما يدعو إلى نقض ما جاء فى التوراة ، ونسخ ما ورد فيها من أحكام .

فالمسيح يحرِّم الطلاق إلَّا لزنى ، ويحرّم الزواج بالمطلقة ، والتوراة تبيح الطلاق ، ففى التوراة : « من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق » .

وفى إنجيل « بولس » نهى عن الختان ، وفى التوراة تأكيد على ضرورة الختان .

وباطرة : أباح أكل لحم الخنزير وكل حيوان حرّمته التوراة .

ونقضوا شرائع التوراة من تحريم السبت ، وأعياد اليهود ، وغير ذلك .

وفى التوراة أمر بالقصاص ، ونُسِب إلى المسيح أنه قال : « قد قيل العين بالعين ، والسِّنُّ بالسن ، وأنا أقول : لا تكافئوا أحدًا بسيئة ، ولكن من لطمك على خدّك الأيمن فانصب له الآخر » .

وفى التوراة – التى قال عنها المسيح : « لا تبيد منها (ياء) واحدة قبل أن تبيد السماء والأرض أو حرف واحد – فيها : « أنَّ مَنْ صُلب فى خشبة فهو ملعون » وفى الأناجيل كلها : أن المسيح صلب فى خشبة هو وباطرة ، وشمعون ، وأندرياش وفلبسُّ ، وبولس » فعلى قول المسيح – المفترى عليه – أنه هو وأصحابه ملعونون .

وفى إنجيل « متّى » أن المسيح قال لهم : ليكن دعاؤكم على ما أصف لكم : يا أبانا السماوى تقدّس اسمك » ، ثم قال بعد ذلك : « وقد علم أبوكم أنكم ستحتاجون إلى جميع هذا » وفى آخر الإنجيل قال : « إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ، وإلهى وإلهكم » فمن أين خصوه بأنه ابن الله دون سائرهم كلهم ..؟ !!

وينسب إلى المسيح : » أنه قال : إنما جئت لألقى فى الأرض السلام والمحبة » ثم ينسب إليه أنه قال : ما جئت لأصنع فى الأرض سلاما ، ولكنى جئت لأفرق بين المرأة وزوجها ، وبين الابن وأبيه .

والتناقضات كثيرة تجل عن الحصر ، ويمكن أن نشير إجمالًا إلى ما جاء خاصًّا بالمسيح عليه السلام ، فهو فى أناجيلهم مرة : ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف النجار ، وثالثة هو ابن داود ، وهو ابن الإنسان مرة ، وهو إله يخلق ويرزق ، ومرة هو خروف الله ، ومرة هو الله والله فيه ، ومرة هو فى تلاميذه وهم فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ومرة لا يحكم على أحد ، ولا تنفذ إرادته ، ومرة هو نبى وغلام ، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه ، ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولّاه هو ، وصار يشرّف الله تعالى ، ويعطى مفاتيح السماوات ، ويولى أصحابه خطة التحريم والتحليل فى السماوات وفى الأرض ، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعطش ويشرب ، ويعرق من الخوف ، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تيناً يأكله ، ويفشل فيركب حمارة ، ويؤخذ فيلطم وجهه ، ويضرب رأسه بالقصبة ، ويبزق فى وجهه ، ويضرب ظهره بالسياط ، وتمر به الشرُط ويتهكمون به ؛ ويُسقى الخل فى الحنظل ، ويصلب بين سارقين ، وتسمّر يداه ، ومات ودفن ، ثم يحيا بعد الموت ، ولم يكن له همّ إذ عاد إلى

الحياة بعد الموت حين اجتمع بأصحابه إلَّا أن يطلب شيئًا يأكله فأطعموه الحوت المشوى ، وسقوه العسل ، ثم انطلق إلى شغله .

هذا كله ورد فى أناجيلهم .

أمَّا كتبهم الأخرى فحافلة بالكذب والكفر والهوس .

ففى رسائل يوحنا اللّاهوتى يتحدث عن المسيح بعد صلبه – على زعمهم – فيقول : إنه رآه فى وسط سبعة منابر من ذهب ، متسربلًا بثوب إلى الرجلين ، ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون ، وصوته كصوت مياه كثيره ، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب ، وسيف ماض ذو حدين ، فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى علىَّ قائلا لا تخف ، أنا هو الأول والآخر . فهل هذا القول إلا استخفاف وتماجن أهكذا يكون الإله فى نظرهم !!

وفى رسائل يهوذا ويعقوب ، يقولون : « قال الله والد ربنا المسيح ، وفعل الله والد سيدنا المسيح » كأنهم يخبرون عن نسب من الأنساب ، وولادة من الولادات !!! ويقول « بولس » فى إحدى رسائله : « إن اختتنتم فإن المسيح لا ينفعكم » وسائر التلاميذ كانوا مختونين فوجب أن المسيح لا ينفعهم ، فإن كان بولس صادقًا فإن المسيح لن ينفعهم ، وإن كان كاذبًا فكيف يأخذون دينهم عن كذّاب ..؟ !!

ومن هوسهم قولهم : « إن المسيح أتى ليأخذ بجراحة آلامنا ، وبكلومه ذنوبنا » وهذا كلام لا مدلول له فأىّ ألم أخذ المسيح بجراحه ، وكيف تؤخذ ذنوب الناس بكلومه وفى طيات هذا القول دعوة إلى ارتكاب الذنوب ، وعمل الآثام دون خوف ، مادام المسيح سيكفر عن هذه الخطايا ، ويأخذ بكلومه ذنوب الناس .. أين هذا التماجن من قول الله تعالى : « وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى » . (فاطر : ١٨) ومن قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينه » (المدثر : ٣٨) .

ومضى ابن حزم يفند ما ورد فى الأناجيل ، وفى رسائل القديسين – على زعمهم – ويثبت بالدليل والبرهان أنها محرّفة مبدّلة ، ولا يمكن أن تكون من عند الله – جلَّ الله تعالى – عن هذا التناقض .

ثم يتحدَّث ابن حزم بعد ذلك عن المتشابه فى القرآن الكريم ، ويذكر ما أورده بعض اليهود والنّصارى من اعتراضات ، ويردُّ عليها بالأدلة النقلية والعقلية التى تبدّد كل شك ، وتمحو كلَّ غموض .

من ذلك ما ردّدوه من اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن ، فبعض القرّاء يزيد حرفا ، وبعضهم يسقطه . وبعض الصحابة والتابعين قرءوا القرآن بألفاظ زائدة ومبدّلة لا يستحل جمهور المسلمين القراءة بها .

وأنَّ مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحف المسلمين ، وأن عثمان بن عفان أبطل قراءات كثيرة صحيحة وأسقطها حين كتب المصحف الذى جمع المسلمين عليه .

والرَّوافض يزعمون أنَّ أصحاب النبى عليه السلام بدّلوا القرآن ، وأسقطوا منه وزادوا فيه ... وغير ذلك من الاعتراضات التى انبرى لها ابن حزم ووضَّحها ، وأزال ما دار حولها من لبس وغموض .

فقد بيَّن أنَّ القراءات كلّها منقولة « نقلًا صحيحًا فبأىِّ قراءة من هذه القراءات قرأنا القرآن فهى قراءة صحيحة لأن الخلاف بينها لا يعدو أن يكون خلافًا فى اللهجات العربية .

وأمَّا أننا لا نستحل ما قرأه الصحابة والتابعون بالزيادة أو بالنقص – فهذا صحيح ، لأن الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ ، ونحن لا نقلدهم فى شىءٍ مما قالوه ، وإنما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله ﷺ بالمشافهة أو بالسماع لما ثبت من عدالتهم وصدقهم ، أمَّا ما قالوه برأى أو بظن فلسنا مكلفين به .

وأمّا ما قيل من أن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفنا فباطلٌ وظنٌّ لا يقوم على دليل ، لأن مصحف عبد الله بن مسعود فيه قرآته ، وهى قراءة عاصم المشهورة عند المسلمين .

وما قيل من أن مصحف عثمان مختلف عن بقية المصاحف فهذا باطل أيضًا لأن عثمان لم يل الخلافة إلا وكل بلدٍ من بلاد المسلمين فيها مصحف – وإنما خشى عثمان أن يأتى فاسق يسعى فى كيد الدّين ، أو يهِم واهم فيبدّل شيئًا من المصحف عمدًا – فيكون اختلافاً يؤدى إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجتَمعًا عليها ، وبعث بها إلى الأمصار ...

وأمَّا دعوى الرَّوافض تبديل القرآن فالرَّوافض ليسوا من المسلمين بل هم فرقة ضلّت وزاغت عن الدّين .

ثم تحدَّث أبو محمد عن نقل القرآن الكريم وكيف تمَّ ، وأثبت أنه نقل صحيح متواتر لم يتهيأ مثله لليهود فى نقل التوراة ، كما لم يتهيأ للنصارى فى نقل الإنجيل .

وذكر فصولًا اعترض بها جهال الملحدين على ضعفة المسلمين ، وحَمَل على بعض المسلمين الذين لا يفقهون من الأحاديث غير ما يتعلق بالإسناد ، وجمع الغرائب دون أن يتعمقوا فى فقه المعنى ، وتعرّف الأحكام .

ففى أيام ابن حزم كثر اشتغال الناس بعلم الفلك ، والنجوم ، ونسب إليها بعضُهم أمورًا تتعلّق بحياة الإنسان ومصيره ، ووهبوها النطق والقدرة والتدبير ولم يجد هؤلاء الملحدون من علماء الدين فى عصره من تمكنه ثقافته وعلمه من الرّد عليهم وتفنيد حججهم .. فرأى أبو محمد أنَّ من عظيم الأجر أن يتصدَّى لهذه الفئة ، ويبين لهم ما أشكل عليهم ، ويوضح للمسلمين وَهَن ما أوردوه .. فبين أن هذه الكواكب مخلوقات لا تنطق ولا تدبّر وإن كان لها تأثير فى العالم فلا يعدو أن يكون تأثيرها كتأثير النار فى الإحراق ، والماء فى الرِّى ، والسمّ فى إفساد المزاج ، والطعام فى التغذية ، والفلفل فى حذو اللسان ، والإهليج فى القبض .. وكل ذلك غير ناطق والكواكب والأفلاك تجرى هذا المجرى فلا تدبير لها ولا تصرف .

وتعرّض أبو محمد للحديث عن كروية الأرض ، فساق أدلة من القرآن والسنة على أنها كروية ، ومن ذلك قول الله تعالى : « يكوِّرُ اللَّيلَ على النهارِ ، ويكوِّر النهارَ على الليل » . (الزمر : ٥) .

وقوله تعالى : « كلٌ فى فلك يسبحون » (الأنبياء : ٣٣) .

فقد أخبر سبحانه وتعالى أن الشمس والقمر والنجوم تسبح فى الفلك ، ولم يخبر أن لها سكونًا ، فلو لم تستدر لكانت على آباد الدّهور بل فى الأيَّام اليسيرة تغيب عنَّا حتَّى لا نراها أبدًا . ولو مشت على طريق واحد وخط مستقيم أو معوج غير مستدير لكنَّا أمامها أبدًا . وهذا باطل بالمشاهدة ، فصحَّ بما نراه من كرورها من غرب إلى شرق ، ومن شرق إلى غرب أنها دائرة ضرورة .

وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : « والشَّمسُ تجرى لمستقرٍّ لها » (يس : ٣٨) فقال عليه السلام : « مستقرُّها تحت العرش »[١] .

وقد علمنا أن مستقر الشيء هو موضعه الذى يلزم فيه ، ولا يخرج عنه ، وإن مشى فيه من جانب إلى جانب .

وتحدث أبو محمد عن الملل المخالفة لدين الإسلام ، التى تخالف عقيدة التوحيد ، فأثبت فسادها وبطلانها ، وبيَّن بالبراهين القطعية إثبات الأشياء ووجودها ، وحدوثها كلها جواهر وأعراضا ، ثم إنَّ لها محدِثًا واحداً مختاراً لم يزل لا شيء معه ، وأنه فعل لا لعلة ، وترك لا لعلّة بل كما شاء لا إله إلَّا هو . ثم أقام الدليل على صحة النبوّات ، ثم على صحة نبوّة محمد عليه السلام ، وأنَّ ملته هى الحق ، وكل ملة سواها باطل ، وأنه آخر الأنبياء عليهم السلام ، وملّته آخر الملل وخاتمها .

وتحدث أبو محمد حديثًا ضافيًا عن الفرق الإسلامية : أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والخوارج ، والشيعة ، وذكر ما تميزت به كل فرقة وعمدتها فيما اتجهت إليه .

فالمرجئة عمدتهم الكلام على الإيمان والكفر ما هما ؟ وعن الوعيد ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

والمعتزلة عمدتهم الكلام فى التوحيد ، وصفات البارى ، ويزيد بعضهم الكلام فى القدر ، والتسمية بالفسق والإيمان والوعيد .

والشيعة عمدتهم الكلام فى الإمامة ، والمفاضلة بين أصحاب النبى عليه السلام وعليهم الرضوان – واختلفوا فيما عدا ذلك .

والخوارج عمدتهم : الكلام فى الإيمان والكفر ما هما ؟ والوعيد ، والإمامة واختلفوا فيما عدا ذلك .

وقد تحدَّث أبو محمد عن كل فرقة ، وناقشهم فى آرائهم ، وانتهى إلى أن أهل السنة هم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدع والضلال .

ولم يقف أبو محمد عند هذا الحدِّ بل تحدَّث عن كلِّ موضوع من الموضوعات التى أثارت الشبه والاعتراضات فأورد فيه آراء الفرق الإسلامية ، ثم أنهى الحديث فيه ببيان الرأى الصحيح بسنده الوثيق .

فتكلّم فى التوحيد ، ونفى التشبيه ، وأسماء الله تعالى ، وانتهى فى ذلك إلى أنه لا يجوز أن يسمَّى الله تعالى ولا أن يخبر عنه من طريق الاستدلال باسم يشاركه فيه شىء من خلقه ، ولكنا نقول : إنه تعالى لا يجهل شيئًا أصلًا ، وهذه صفة لا يستحقها أحدٌ دونه تعالى . ونقول : لا يغفل ألبتة ، ولا يضل ، ولا يسهو ولا ينام ، ولا يتحيّر ، ولا ينحلُّ ، ولا يخفى عليه متوهَّم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، ولا ينسى ، وكل هذا لا يستحقه مخلوق دونه تعالى أصلًا . ثم نقر بما جاء به القرآن والسنة لا نزيد فيه ولا ننقص ، ولا نحيله ، فنؤمن بأنه بخلاف المعهود فيما يقع عليه ذلك اللفظ من خلقه .

وتكلم أبو محمد عن كل ما ورد فى القرآن أو فى السنة منسوبا إلى الله تعالى ، من الوجه ، واليد ، والعين ، والجنب ، والقدم ، والتنزل فبيّن أن ذلك كله يراد به ذات الله تعالى لا ما تقوله المجسّمه والمشبهة فهو مثل قوله تعالى : « وما ملكت أيمانكم » فهو لا يريد اليمين حقيقة ولكنه يقصد و « ما ملكتم » .

ثم تحدث عن الماهية فقال : ما هية الله هى أنيته نفسها – ولا جواب لمن سأل : ما هو

البارى ؟ غير ما أجاب به موسى عليه السلام على فرعون حين سأله وما رب العالمين ؟ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين » . لأن الله حمد منه هذا الجواب ومدحه .

وختم حديثه فى هذا الجزء بالحديث عن : السخط ، والرضا ، والعدل ، والصدق ، والملك ، والخلق ، والجود ، والإرادة ، والسخاء ، والكرم ، وما يخبر عنه بالقدرة عليه ، وكيف يصح السؤال فى ذلك كله .

ولم يختلف فى تناوله هذه الصفات ، فهو يورد الآراء المختلفة لذوى النحل ثم ينهى ذلك بالرّد عليها ، وبيان الرأى الصحيح الذى يعتمد على البراهين النقلية والعقلية .

بقى أن نختم هذه المقدّمة بأننا حرصنا كل الحرص على تقديم هذا الكتاب للقارىء فى صورة خالية من الأخطاء ، ومن السقط ، ومن التحريف – على قدر جهودنا المتواضعة .

وقد عنينا فى هذا الجزء وفى بقية الأجزاء بالترجمة للأعلام التى وردت فيه ترجمات مختصرة ، وأرشدنا إلى مراجع هذه الترجمات ليستزيد من أراد الاستزادة ، كما عنينا بضبط الألفاظ المشتبهة ، والأعلام ، ونقيناه من الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى الطبعتين السابقتين (أ ، ب) .

هذا فضلا عن التبويب والتنسيق ، والتنظيم ، والعناية بالترقيم ، وغير ذلك مما يحبب القارىء فى قراءته ، وييسر له السبيل إلى المعنى .

والله سبحانه وتعالى – ينفع بهذا العمل – ويجعل قطوفه دانية الجنى ، قريبة التناول إنه سميع مجيب .

المحققان

ابتداء ذكر الأناجيل

قال أبو محمد : وأما الإنجيل وكتب النصارى فنحن إن شاء الله عزّ[1] وجل موردون[2] من الكذب المنصوص فى أناجيلهم ومن التناقض الذى فيها أمرًا لا يشك كل من رآه فى أنهم لا عقول لهم وأنهّم مخذولون جملة .

وأما فساد دينهم فلا إشكال فيه على من له مُسْكَةُ عقل ، ولسنا نحتاج إلى تكلف برهان فى أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عزّ وجلّ ،ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك فى التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء[3]، التى عند اليهود لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التى بأيديهم منزلة من[4] الله عز وجل على موسى عليه السلام . فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم فى ذلك . وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها لأنّهم لا يدعون أنّ الأناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح ، ولا أن المسيح عليه السلام[5] أتاهم بها ، بل كلهم أولهم عن آخرهم أريوسيهم ، وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبهم ومارونيهم[6]، وبولقانيّهم لا يختلفون فى[7] أنها أربعة تواريخ ألّفها أربعة رجال معرفون فى أزمان مختلفة .

فأوّلها تاريخ ألّفه متّى اللاّوانى (تلميذ المسيح) بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام

---

(١) فى (أ ، ب) : تعالى بدلا من (عر وجل) .
(٢) فى (خ) : [موردون ما من الكذب] بزيادة [ما] .
(٣) فى (أ ، ب) : عليهم السلام .
(٤) فى (أ ، ب) : [من عند الله] .
(٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عليهم السلام) .
(٦) ترجمنا لهذه الطوائف فى الجزء الأول .
(٧) فى (أ ، ب) « من » بدلًا من « فى » .

وكتبه بالعبرانية فى بلد يهوذا[٨] بالشام يُكوِّن نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط ، والآخر تاريخ ألّفه مارقش الهارونى[٩] (تلميذ شمعون[١٠] بن يونا[١١] المسمّى باطرة) بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح[١٢]. وكتبه باليونانية فى بلد أنطاكية[١٣]، من بلاد الروم ويقولون : إن شمعون المذكور هو ألّفه ثم محا اسمه من أوله ، ونسبه إلى تلميذه مارقش ، يُكوِّن أربع عشرة[١٤] ورقة بخط متوسط ، وشمعون المذكور تلميذ المسيح .

والثالث تاريخ ألّفه لوقا[١٥] (الطبيب الأنطاكى تلميذ شمعون باطرة[١٦]) كتبه باليونانية فى بلدة إقاية[١٧]، بعد تأليف مارقش المذكور يُكوِّن من قدر إنجيل[١٨] متّى .

والرابع تاريخ ألّفه يوحنا[١٩] بن سبذاى تلميذ المسيح ، بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية فى بلد استيه[٢٠] يكوّن أربعًا وعشرين ورقة بخط متوسط . ويوحنا هذا نفسه هو ترجم إنجيل متّى صاحبه من العبرانية إلى اليونانية .

ثم ليس النصارى كتاب قديم يعظّمونه بعد الأناجيل[٢١] إلّا الأفركسيس وهو كتاب ألّفه لوقا

---

(٨) يهوذا : أحد حوارى يسوع ، خانه وأسلمه إلى أعدائه مقابل ثلاثين قطعة من الفضة ، شنق نفسه بعد خيانته . وهو غير (يهوذا) الرسول أحد الرسل الاثنى عشر ، فهذا يدعى تداوس أولباس ويكتنى بآخر يعقوب تمييزًا له عن يهوذا الاسخريوطى الذى أسلم المسيح لخصومه (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٩) مارقس : هو المسمّى فى الإنجيل الحالى (مرقس) ، وإنجيله الحالى مكون من ثلاث وثلاثين صفحة ، وعدد أصحاحاته ستة عشر إصحاحًا .

(١٠) فى (أ) : شمعون الصفا .

(١١) فى (أ) : توما .

(١٢) فى (أ) : عليه السلام .

(١٣) أنطاكية : بالفتح ثم السكون ، والياء مخففة ، أول من بناها « انطيخس » وهو الملك الثالث بعد الإسكندر وهى قصبة العواصم من الثغور الشامية ، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء ، وعذوبة الماء ، دخلها الرشيد فى بعض غزواته فاستطابها ، ولكنه خرج منها بنصيحة من أهلها ، وبها قبر حبيب النجار الذى نزل فيه قول الله تعالى : « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى » وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم (معجم البلدان : ١/٢٦٩) .

(١٤) فى (أ ، ب) : أربعا وعشرون ورقة .

(١٥) إنجيل لوقا الحالى مكون من تسع وثمانين صفحة ، وأربعة وعشرين إصحاحًا .

(١٦) فى (أ ، ب) : بزيادة (أيضًا) .

(١٧) إقاية :

(١٨) أى يبلغ مقداره إنجيل متّى ، وقد أشار أبو محمد إلى أن إنجيل متّى ثمان وعشرون ورقة ، ولكن إنجيل متّى الحالى مكون من ثمانية وعشرين إصحاحًا ، وعدد صفحاته ست وخمسون صفحة .

(١٩) إنجيل يوحنا مكون من واحد وعشرين إصحاحًا ، وعدد صفحاته أربع وأربعون صفحة .

(٢٠) فى (ب) : (أشنيه) بالشين . وأستيا : بالفتح ثم السكون وكسر التاء وياء وألف من أشهر مدن الغُور بضم المعجمة ، وهى جبال بين هراة وغزنة (معجم البلدان : ظ/١٧٦) .

(٢١) فى (أ ، ب) : (الأناجيل الأربعة) .

الطبيب المذكور ، فى أخبار الحواريين[٢٢] وأخبار صاحبه بولش[٢٣] البنيامينى ، وسيرهم وقتلهم يكوّن نحو خمسين ورقة بخط مجموع .

وكتاب الوحى والإعلان[٢٤] ألّفه يوحنا بن سبذى المذكور ، وهو كتاب فى غاية السخف والركاكة ، ذكر فيه مارأى[٢٥] من الأحلام وإذ أسرى به وخرافات باردة .

والرسائل القانونية وهى سبع رسائل فقط منها ثلاث رسائل ليوحنا بن سبذاى المذكور ، ورسالتان لباطرة شمعون المذكور ، ورسالة واحدة ليعقوب ابن يوسف النجار ، وأخرى لأخيه يهودى بن يوسف تكوّن كل رسالة من ورقة إلى ورقتين فى غاية البرد والغثاثة . ورسائل بولش تلميذ شمعون باطرة وهى خمس عشرة رسالة تكوّن كلها نحو أربعين ورقة ، مملوءة حمقا ورعونة وكفرًا ، ثم[٢٦] كتاب لهم بعد ذلك فلا خلاف بينهم[٢٧] أنه من تأليف المتأخرين من أساقفتهم ، وبطاركتهم كمجامع البطاركة والأساقفة الكبار البتة ، وسائر مجامعهم الصغار وفقهم فى أحكامهم الذى عمله لهم « دكريد[٢٨]» الملك وبه يعمل نصارى الأندلس ، ثم لسائر النصارى أحكام أخرى[٢٩] أيضاً عملها لهم من شاء الله تعالى أن يعملها من أساقفتهم لا يختلفون فى هذا كله ، إنه كما قلنا : ثَمَّ أخبار شهدائهم فقط فجميع نقل[٣٠] النصارى أوله عن آخره حيث كانوا هو راجع إلى الثلاثة الذين[٣١] سمينا فقط ، وهم بولش ومارقش ولوقا ، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط ، وهم باطره ومتّى ويوحنا وبعقوب ويهوذا ولا مزيد .

وكل هؤلاء فأكذب البرية وأخبثهم على ما نبين بعد هذا[٣٢] إن شاء الله تعالى . على أن بولش حكى فى الأفركسيس وفى إحدى رسائله ، أنه لم يبق مع باطرة إلا خمسة عشر يوما ، ثم لقيه

(٢٢) الحواريون هم : بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، وأندراوس ، وفيلبس ، وتوما ، وبرثولماوس ، ومتّى ، ويعقوب بن حلفَى ، وسِمْعان الغيور ، ويهوذا أخو يعقوب . وقد ترجم عنوان الكتاب ترجمة حالية تحت اسم أعمال الرسل بدلًا من أخبار الحواريون . (راجع أعمال الرسل فى الكتاب المقدس : الإصحاح الأول · ططا ، ذظ) . ولكن القرآن الكريم لم يذكر أسماءهم .

(٢٣) بولش البنيامينى · هو بولس الرسول كما فى الإنجيل الحالى .

(٢٤) كتاب الوحى والإعلان · جاء فى الترجمة الحالية ضمن الكتاب المقدس بعنوان : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، ويقع فى اثنين وعشرين إصحاحًا .

(٢٥) فى (أ ، ب) : « ما رآه فى الأحلام » .

(٢٦) فى (أ ، ب) · « ثم كل » .

(٢٧) فى (أ ، ب) : « فى أنه » .

(٢٨) فى (أ ، ب) : ركويد .

(٢٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (أخرى)

(٣٠) فى (ح) · (نفل) بالفاء المفردة .

(٣١) فى (أ ، ب) : (الذى) . وقد أورد النديم فى مقالته الأولى الفن الثانى فصلًا عن الكلام على التوراة التى فى يد اليهود وأسماء كتبهم وأخبار علمائهم ومصنفيهم ، كما أورد فصلا آخر عن (الكلام على إنجيل النصارى وأسماء كتبهم وعلمائهم ومصنفيهم ، فليرجع إليه من أراد الوضوح والاستزادة الفهرست المقالة الأولى – الفن الثانى ص ٢٥ فى الطبعة دانشكاه طهران) .

(٣٢) فى (أ ، ب) : « ذلك » .

مرة أخرى وبقى معه أيضًا يسيرًا ، ثم لقيه الثالثة فأخذا جميعًا وصلبًا إلى لعنة الله . إلا أن الأناجيل الأربعة والكتب التى ذكرنا أن عليها معتمدهم فإنها عند جميع فرق النصارى فى شرق البلاد[٣٣] وغربها على نسخة واحدة ، ورتبة واحدة ، لا يمكن أحد أن يزيد فيها كلمة ولا أن ينقص منها أخرى ، إلا افتضح عند جميع النصارى . لأنها مبلغة كما هى إلى مارقس ولوقا ويوحنا لأن يوحنا[٣٤] هذا هو الذى نقل إنجيل متى عن متّى ورسائل بولش مبلغة كذلك إلى بولش .

واعلموا أن أمر النصارى أضعف من أمر اليهود بكثير لأن اليهود كانت لهم مملكة ، وجمع عظيم مع موسى عليه السلام وبعده ، وكان فيهم أنبياء كثير ، ظاهرون آمرون مطاعون ، كموسى[٣٥] وهرون ويوشع[٣٦] وشموال[٣٧] وداود وسليمان عليهم السلام . وإنّما دخلت الداخلة فى التوراة بعد سليمان عليه السلام ، إذ ظهر فيهم الكفر وعبادة الأوثان ، وقتل الأنبياء وحرق التوراة ونهب البيت مرة بعد مرة ، واتصل كفر جميعهم إلى أن تلفت دولتهم على ذلك .

وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم فى أنه لم يؤمن بالمسيح فى حياته إلا مائة وعشرون رجلا فقط ، هكذا فى الإفركسيس ، ونسوة منهن امرأة وكيل هردوس وغيرها ، كن ينفقن عليه أموالهن ، هكذا فى نص إنجيلهم وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين فى حياته ، وبعده يدعون إلى دينهم[٣٨] سرا لا يكشف منهم[٣٩] أحد وجهه إلى الدعاء إلى ملته ، ولا يظهر دينه ، وكلّ من ظفر به منهم فإنّه[٤٠] قتل بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسف النجار ، وأشطيبن الذى يسمونه بكر الشهداء وغيره ، وإما صلب كما صلب باطرة واندرياش أخوه وشمعون أخو يوسف النجار ، وفلبش[٤١] وبولش وغيرهم[٤٢] أو قتلوا بالسيف كما قتل يعقوب أخو يوحنا

---

(٣٣) فى (أ ، ب) : « شرق الأرض » .

(٣٤) فى (أ ، ب) : « هو الذى » .

(٣٥) فى (خ) : « لموسى » .

(٣٦) يوشع : هو ابن نون من أنبياء بنى إسرائيل بعثه الله نبيا ، فدعا بنى إسرائيل وأخبرهم أنه نبى ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فقاتلهم يوم الجمعة قتالًا شديدًا حتى أمسوا وغربت الشمس ، ودعا الله تعالى فردت عليه الشمس فهزم الجبارين (الطبرى : ٢٢٧/١) نقلا عن هامش الملل والنحل جـ ٢ ص ١٠ نشر مكتبة الحسين التجارية سنة ١٩٤٨م .

(٣٧) ورد فى الكامل لابن الأثير : تحت اسم (أشموئيل) وذكر أنه ابن بالى.، وقد بعثه الله فى بنى إسرائيل لما طال عليهم البلاء ، وأخذ التابوت منهم ، وضرب جالوت ملك الكنعانيين الجزية ، فدعو الله أن يبعث لهم نبيا يقاتلون معه ، فأرسل إليهم أشموئيل ومعناه (سمع الله دعائى) ، وقدور فى الكتاب المقدس تحت اسم « صموئيل » . وقد دعا الله أن يرسل إليهم ملكا قويا يقاتلون معه جالوت ، فاستجاب الله دعاءه وأرسل إليهم لجالوت فحاربوا تحت لوائه وانتصروا . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القصة فى قوله تعالى « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله . . (الآيات من ٢٤٦ - ٢٥١) البقرة . وخبر هذا النبى ورد فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ١٢١/١ - ط : دار الكتاب العربى ببيروت ١٩٦٧ .

(٣٨) فى (أ ، ب) : (دينه) .

(٣٩) فى (أ ، ب) : (أحد منهم) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (فإنه) .

(٤١) فى (أ ، ب) : (فليش) .

(٤٢) فى (أ ، ب) : « وغيرهما » وهو خطأ .

وطوما[٤٣] وبرتلوما ويهوذا بن يوسف النجار ، ومتّى . أو بالسم كما قتل يوحنا بن سيذاى ، وبقوا[٤٤] على هذه الحال لا يظهرون ألبتة ، ولاهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة ، بعد رفع المسيح عليه السلام .

وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله تعالى إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم ، وخزيًا لهم ، فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين الملك ، فمن حينئذ ظهر النصارى وكشفوا دينهم ، واجتمعوا وأمنوا ، وكان سبب تنصره أن أمه هلانى كانت بنت نصرانى فعشقها أبوه وتزوجها ، فولدت له قسطنطين ، فربته على النصرانية سرًّا ، فلما مات أبوه وولى هو أظهر النصرانية ، بعد أعوام كثيرة من ولايته ، ومع ذلك فما قدر على إظهارها حتى رحل عن رومية مسيرة شهر إلى القسطنطينية وبناها ، ومع ذلك فإنما كان أريوسيا هو وابنه بعده يقولان : إن المسيح عبد مخلوق ، نبى الله تعالى فقط وكل دين كان هكذا فمحال أن يصح فيه نقل متصل ، لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يوجد[٤٥] إلا سرًا تحت السيف ، لا يقدر أهله على حمايته ، ولا على المنع من تبديله ، ثم لما ظهر دينهم بتنصر[٤٦] قسطنطين كما ذكرنا فشا فيهم دخول المنّانية تقية[٤٧] ولم يكن فيهم غير[٤٨] منانية مدلسون عليهم ، فأمكنهم بهذا أن يُدخلوا[٤٩] من الضلال ما أحبّوا ، ولا يمكن ألبتة أن ينقل أحد عن شمعون باطرة ولا عن يوحنا ، ولا عن متّى ولا مارقش[٥٠] ولا لوقا[٥١] ولا بولش[٥٢] آية ظاهرة ، ولا معجزة فاشية[٥٣]، لما ذكرنا أنهم كانوا مختفين مستترين مظاهرين بدين اليهود من التزام السبت وغيره ، طول حياتهم . إلى أن ظفر بهم فقتلوا .

وكل ما يضيفه النصارى إلى هؤلاء من المعجزات فأكذوبات موضوعة ، لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد ، كالذى تدّعى اليهود لأحبارهم ، ورءوس مثانيهم ،وكالذى تدعيه المنانية لمانى سواء بسواء[٥٤] وكالذى تدّعيه الزوافض لمن يعظمونه وكالذى تدّعيه طوائف من المسلمين لقوم صالحين

---

(٤٣) فى (أ ، ب) : (طومار) .
(٤٤) فى (أ ، ب) : (فيقوا) .
(٤٥) فى (أ ، ب) : « يؤخذ » بدلا من (يوجد) .
(٤٦) فى (أ ، ب) : « تنصُّر » وهوتحريف .
(٤٧) فى (أ ، ب) : « بغته » وهو تحريف .
(٤٨) فى (خ) : غير ما بطريارك منانية » الخ . وفى الأصل : « وكان فيهم »".
(٤٩) فى الأصل : « أم يدخلوا بهذا من الضلال فيما أحبوا » .
(٥٠) فى (أ ، ب) : « عن » .
(٥١) فى (أ ، ب) : « عن » .
(٥٢) فى (أ ، ب) : « عن » .
(٥٣) فى (أ ، ب) : باهرة .
(٥٤) فى (خ) : سقطت كلمة (بسواء) .

كإبراهيم[٥٥] بن أدهم ، وأبى مسلم[٥٦] الخولانى ، وشيبان[٥٧] الراعى ، وغيرهم وكل ذلك كذب وإفك وتوليد لأن[٥٨] من ذكرنا فإنما نقله راجع إلى من لا يدرى ، ومن لا يقوم بكلامه حجة ، ولا صح برهان سمعى ولا عقلى بصدقه .

وهكذا كان أصحاب مانى مع مانى إلا أنه ظهر نحو ثلاثة أشهر إذ مكر به بهرام بن[٥٩] بهرام الملك ، وأوهمه أنه قد آمن به حتى ظفر بجميع أصحابه ، فصلب مانى وصلب جميع[٦٠] أصحابه ، إلى لعنة الله . فكل معجزة لم تنقل نقلا يوجب العلم الضرورى كافة عن كافة حتى تبلغ إلى المشاهدة فالحجة لا تقوم بها على أحد ، ولا يعجز عن توليدها من لا تقوى[٦١] له .

قال أبو محمد : معتمد النصارى كله الذى لا معتمد لهم غيره فى[٦٢] قولهم بالتثليث ، وأن المسيح إلاه وابن الله ، واتحاد اللاهوت[٦٣] بالناسوت ، والتحامه به إنما هو كله على أناجيلهم وعلى ألفاظ تعلقوا بها مما فى كتب اليهود ، كالزبور وكتاب أشعيا ، وكتاب أرميا ، وكلمات يسيرة من التوراة ، وكتب[٦٤] سليمان ، وكتاب زخريا ، وقد نازعهم اليهود فى تأويلها فحصلت دعوى مقابلة لدعوى ، وما كان هكذا فهو باطل ومموّه[٦٥]، لأنَّ التوراة وكتب الانبياء بأيديهم وبأيدى اليهود سواء ، لا يختلفون فيها ليصححوا نقل اليهود لسواد تلك الكتب ، ثم يجعلوا

---

(٥٥) إبراهيم بن أدهم : هو ابن منصور التيمى أبو إسحاق ، زاهد كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد ، وجال فى العراق والشام والحجاز ، وأخذ عن كثير من العلماء ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين ، جاءه عبد لأبيه يحمل عشرة آلاف درهم إليه ، ويخبره أن أباه قد مات فى بلخ ، وخلف له مالًا عظيما ، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ، ولم يعبأ بمال أبيه . مات فى سوفنن (حصن من بلاد الروم) توفى عام ١٦١ هـ (الأعلام : ٢٤/١) .

(٥٦) هو : عبد الله بن ثوب الخولانى ، تابعى ، فقيه ، عابد ، زاهد ، نعته الذهبى بريحانة الشام ، أصله من اليمن ، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبى ﷺ ، ولم يره ، فقدم المدينة فى خلافة أبى بكر ، وهاجر إلى الشام ، وفى أكثر المصادر : كانت وفاته بدمشق سنة ٦٢ هـ ، وقبره بداريا ، وكان يقال له : أبو مسلم حكيم هذه الأمة (الأعلام : ٢٠٣/٤) .

(٥٧) هو : شيبان أبو محمد الراعى ، كان فى العبادة فائقًا ، وبالتوكل على ربه عز وجل واثقا ، حدث أحمد بن نصر عن محمد بن حمزة المرتضى قال : كان شيبان الراعى إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل ، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه ثم يعود إليها فيجدها على حالتها لم تتحرك .

(حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء : للحافظ الأصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، المجلد ٣١٧/٨) .

(٥٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (كل) .

(٥٩) هو بهرام بن هرمز مزين سابور : قتل مانى الزنديق ، وقد حكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، ثم ولى ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز .

(٦٠) فى (أ ، ب) : وصلبهم كلهم .

(٦١) فى (أ ، ب) : (من لا يقوم له) .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (من) بدلا من (فى) .

(٦٣) فى (أ ، ب) : « اللاهوتية بالناسوتية » .

(٦٤) فى (أ ، ب) : « كتاب سسليمان » .

(٦٥) فى (أ ، ب) : (وموهوا بأن) .

تلك الألفاظ(٦٦) حجة لهم ، دعواهم وتأويلهم ليس بأيديهم حجة غير هذا أصلًا . ولا جملة سوى هذه .

وقد أوضحنا بحول الله وقوته فساد أعيان تلك الكتب ، وأوضحنا أنها مفتعلة مبدلة لكثرة ما فيها من الكذب ، وأوضحنا(٦٧) فساد نقلها وانقطاع الطريق منهم إلى من نسبت إليه تلك الكتب بما لا يمكن أحد دفعه ألبتة بوجه من الوجوه . وبيَّنا أيضًا(٦٨) بحول الله وقوته فساد نقل النصارى جملة ، وإقرارهم بأن أناجيلهم ليست منزلة ولكنها(٦٩) مؤلفة لرجال ألفوها فبطل كل تعلق لهم والحمد لله رب العالمين .

* * *

ثم نورد إن شاء الله تعالى تكذيبهم فى دعواهم أن التوراة عند اليهود وعندهم سواء ، ونورد ما يخالفون فيه نص التوراة التى بأيدى اليهود ؛ حتى يلوح لكل أحد كذب دعواهم الظاهرة فى(٧٠) تصديقهم لنصوص التوراة التى عند اليهود . وترى(٧١) تكذيبهم لنصوصها ، فيبطل بذلك تعلقهم بما فيها ، وبما(٧٢) نقل اليهود ، إذ لا يصح لأحد الاحتجاج بتصحيح ما يكذب .

ثم نذكر بعون الله وقوته مناقضات الأناجيل والكذب الفاحش المفضوح الموجود فى جميعها ، وبالله تعالى التوفيق .

فيرتفع الإشكال جملة فى ذلك ويستوى فى معرفة بطلان كل ما بأيدى الطائفتين كل من اغترّ بكتمانهم لما فضحناه منا ومنهم من الخاصة والعامة ، ومن سائر الملل أيضًا ، ويصحح عند كل من طالع كلامنا هذا أن الذين كتبوا الأناجيل وألفوها(٧٣) كانوا كذابين ، مجاهرين بالكذب لتكاذبهم فيما أوردوه فيها من الأخبار ، وأنهم كانوا مستخفين مهلكين لمن اغترّبهم والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالإسلام ، السالم من كلّ غش ، البرىء من كل توليد ، الوارد من عند الله تعالى لا من عمل(٧٤) أحد دونه .

---

(٦٦) فى (أ ، ب) : (التى فيها الحجة لهم) .
(٦٧) فى (أ ، ب) : بزيادة (أيضًا) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : [آنفا] .
(٦٩) فى (أ ، ب) : « ولكنها كتب » .
(٧٠) فى (أ ، ب) : (من) بدلا من (فى) .
(٧١) فى (خ) : (وقوى تكذيبهم) .
(٧٢) فى (أ ، ب) : (وبما فى) .
(٧٣) فى (خ) : (والقوها) وهو تصحيف .
(٧٤) فى (أ ، ب) : « لا من عند » .

« ذكر ما تثبته النصارى بخلاف نص التوراة وتكذيبهم لنصوصها التى بأيدى اليهود »

وادعاء بعض علماء النصارى أنهم اعتمدوا فى ذلك على التوراة التى ترجمها السبعون شيخًا ، لبطليموس لا على كتب عزرا الوراق ، و اليهود مؤمنون بكلتا النسختين ، والخلاف عند النصارى موجود فيهما .

قال أبو محمد : فى توراة اليهود التى لا اختلاف فيها بين الربانية والعنانية والعيسوية منهم : « لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة سنة ، ولد له ولد كشبهه وجنسه وسماه شيث[1] » .

وعند النصارى بلا خلاف[2] من أحد منهم ولا من جميع فرقهم « لما أتى لآدم[3] مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث ». وفى التوراة التى عند اليهود كما ذكرنا : « فلما[4] عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد إينوش[5] » وعند النصارى كلهم : « لما عاش شيث مائتى سنة وخمس سنين ولد إينوش ».

وفى التوراة[6] عند اليهود كما ذكرنا : « أن إينوش لما عاش تسعين سنة ولد قِينَان[7] » وعند النصارى كلهم « أن إينوش لما عاش تسعين سنة ومائة[8] ولد قينان » وفى التوراة[9] عند اليهود كما ذكرنا : « أن قينان لما عاش سبعين سنة ولد مهللال[10] » وعند النصارى كلهم « أن قينان

(١) سفر التكوين : (الإصحاح ٥/٦) .
(٢) فى (أ ، ب) : (بلا اختلاف بين) .
(٣) فى (أ ، ب) : (على آدم) .
(٤) فى (أ ، ب) : (لما) .
(٥) فى (أ ، ب) : (نيوش) . وفى التوراة الحالية : (أنوش) (راجع سفر التكوين : الإصحاح ٥/٦ ، ٧) .
(٦) فى (أ) : التى عند اليهود . فى (ب) : (عند التى) .
(٧) سفر التكوين : (٥/٩) .
(٨) فى (أ ، ب) : التى عند .
(١٠) فى التوراة الحالية اسمه : (مَهْلَلْئِيل) راجع سفر التكوين : ٥/١٢ ، ١٣) .

لما عاش مائة سنة وسبعين سنة ولد مهللال » وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا : « أن مهللال لما بلغ خمسًا وستين سنة ولد يارد[١١]» وعند النصارى كلهم : « أن مهللال لما بلغ مائة سنة وخمسًا وستين ولد يارد » واتفقت الطائفتان[١٢] فى عمر يارد إذ[١٣] ولد له خنوخ[١٤] وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن خنوخ لما بلغ خمسًا وستين سنة ولد له[١٥] مَتُوشالخ وأن جميع عمر خنوخ كان ثلاثمائة سنة وخمسًا وستين سنة ، وعند النصارى كلهم أن خنوخ لما بلغ مائة سنة وخمسًا وستين سنة ، ولد متوشالخ وأن جميع عمر خنوخ كان خمسمائة سنة وخمسًا وستين سنة . ففى هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين فى موضعين .

أحدهما : سن خنوخ إذ ولد له متوشالخ والثانى كمية عمر خنوخ ، واتفقت الطائفتان على عمر متوشالخ إذ ولد له لامخ[١٦]، وعلى عمر لامخ إذ ولد له نوح ، وعلى عمر نوح إذ ولد له سام وحام ، ويافث ، وعلى عمر سام إذ ولد له أرفخشاذ[١٧].

وفى التوراة التى أن عند اليهود كما ذكرنا أن أرفخشاذ لما بلغ خمسًا وثلاثين سنة ولد له متشالخ[١٨] وأن عمر أرفخشاذ كان أربعمائة سنة وخمسًا وثلاثين سنة . وعند النصارى كلهم ان أرفخشاذ لما بلغ مائة سنة وخمسًا وثلاثين سنة ولد له قينان ، وأن عمر أرفخشاذ كان أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة ، وأن قينان لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له شالخ ، فبين الطائفتين فى هذا الفصل وحده اختلاف فى ثلاثة مواضع .

أحدها : عمر أرفخشاذ جملة ، والثانى : سن أرفخشاذ إذ ولد له ولده . والثالث : زيادة النصارى من[١٩] أرفخشاذ وشالخ قينان وإسقاط اليهود له ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن شالخ لما بلغ ثلاثين سنة ولد له عابر[٢٠] وأن عمر شالخ كان أربعمائة سنة وثلاثين سنة ، وعند النصارى كلهم أن شالخ لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له عابر ، وأن عمر شالخ كله كان أربعمائة سنة وستين سنة .

---

(١١) فى (خ) (يازد) بالزاى . وفى التوراة الحالية (يَارَد) (التكوين : ٥/١٦ – ١٨) .
(١٢) فى (خ) : الطائفة .
(١٣) فى (خ) : (وإذ) .
(١٤) فى التوراة الحالية اسمه : (أَخْنُوخ) (سفر التكوين : ٥/١٨ – ٢١) .
(١٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (له) .
(١٦) فى التوراة الحالية : (لامك) (سفر التكوين : ٥/٢٦ ، ٢٨) .
(١٧) فى التوراة الحالية : أَرْفكشاد .
(١٨) فى (أ ، ب) [شالخ] بالخاء . ولكن اسمه فى التوراة الحالية : [شَالَح] بالحاء المهملة .
(١٩) فى (أ ، ب) (بين) بدلًا من (من) .
(٢٠) سفر التكوين : (١١ : ١٤) .

ففى هذا الفصل تكاذب من[٢١] الطائفتين فى موضعين :

أحدهما : سن شالخ إذ ولد له عابر والثانى : كمية عمر شالخ : وعند اليهود كما ذكرنا فى التوراة أن قالع[٢٢] إذ بلغ ثلاثين سنة ولد له « راغو[٢٣] » وعند النصارى كلهم أن قالع لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له « راغو » وفى توراة اليهود كما ذكرنا أن راغو لما بلغ اثنين وثلاثين سنة ولد له ساروع[٢٤] وعند النصارى كلهم أن راغو لما بلغ مائة سنة واثنتين وثلاثين سنة ولد له شاروع ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن شاروع إذ بلغ ثلاثين سنة ولد له ناحور . وكان عمر شاروع كله مائتى عام وثلاثين عاما . وعند النصارى كلهم ، أن شاروع إذ بلغ ثلاثين سنة ومائة سنة ولد له ناحور ، وأن عمر شاروع كله كان ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة ،ففى هذا الفصل بين الطائفتين تكاذب فى موضعين :

أحدهما : عمر شاروع جملة والثانى : سن شاروع إذ ولد له ناحور ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن ناحور لما بلغ تسعا وعشرين سنة ولد له تارَحْ[٢٥]، وأن عمر ناحور كله كان مائة سنة وثمانيا وأربعين سنة . وعند النصارى أن ناحور لما بلغ تسعا وسبعين سنة ولد له تارح ، وأن عمر ناحور كله كان مائتى عام وثمانية أعوام ، ففى هذا الفصل بين[٢٦] الطائتين تكاذب فى موضعين :

أحدهما : عمر ناحور كله والثانى : سن ناحور إذ ولد له تارح . وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن تارح كان عمره كله مائتى عام وخمسة أعوام ، وعند النصارى كلهم أن نارح كان عمره كله مائتى عام وثمانية أعوام .

قال أبو محمد : فتولد بين الطائفتين[٢٧] من الاختلاف المذكور زيادة[٢٨] ألف عام وثلاثمائة عام وخمسين عامًا عند النصارى ، فى تاريخ الدنيا على ما هو عند اليهود فى تاريخها ، وهى تسعة عشر موضعًا كما ذكرنا[٢٩] فوضح اختلاف التوراة عندهم .

ومثل هذا من التكاذب لا يجوز أن يكون من عند الله عزَّ وجل أصلًا ، ولا من قول نبى ألبتة . ولا من قول صادق عالم من عرض الناس ، فبطل بهذا بلا شك أن تكون التَّوراة وتلك

---

(٢١) فى (أ ، ب) (بين) .

(٢٢) فى (أ ، ب) (فالغ) وفى التوراة الحالية (فالَج) : (سفر التكوين : ١١/١٧ ، ١٨) .

(٢٣) فى التوراة الحالية اسمه : (رَعُو) (تكوين : ١١/١٨ ، ١٩) .

(٢٤) فى (أ ، ب) : (شاروع) بالشين . واسمه فى التوراة الحالية : (سَرُوج) تكوين : ١١/٢٠ .

(٢٥) فى (أ ، ب) : (تارخ) بالخاء ، وهو فى التوراة الحالية المهملة .

(٢٦) فى (أ ، ب) : (تكاذب بين) . (راجع سفر التكوين : من الإصحاح الخامس إلى الإصحاح ١١) .

(٢٧) فى (أ ، ب) : (فتولد من الاختلاف المذكور بين) .

(٢٨) فى (أ ، ب) : (زيادة عن) .

(٢٩) فى (أ ، ب) : (كما أوردنا) .

الكتب منقولة نقلا يوجب صحة العلم . لكن نقلا فاسدًا مدخولًا مضطربًا . ولابدّ للنصارى ضرورة من أحد خمسة أوجة ، لا مخرج لهم عن أحدها .

إما أن يصدقوا نقل اليهود للتوراة وأنها صحيحة عن موسى عليه السلام عن الله تعالى ، ولكتبهم وهذه طريقتهم فى الحجاج والمناظرة ، فإن فعلوا فقد أقرّوا على أنفسهم وعلى أسلافهم الذين نقلوا عنهم دينهم بالكذب ، إذ خالفوا قول الله عز وجل وقول موسى عليه السلام ، أو يكذبوا موسى[٣٠] فى ما نقل عن الله تعالى وهم لا يفعلون ذلك[٣١].

أو يكذبوا نقل اليهود للتوراة ولكتبهم ، فيبطل تعلقهم بما فى تلك الكتب مما يقولون إنه إنذار بالمسيح عليه السلام ، إذ لا يجوز لأحد أن يحتج بما لا يصح نقله .

أو يقولوا كما قال بعضهم : إنهم إنما عوّلوا فيما عندهم على ترجمة السبعين شيخًا ، الذين ترجموا التوراة وكتب الأنبياء لبطليموس . فإن قالوا هذا فإنهم لا يخلون ضرورة من أحد وجهين :

إما أن يكونوا صادقين فى ذلك ، أو يكونوا كاذبين فى ذلك ، فإن كانوا كاذبين[٣٢] فقد سقط أمرهم والحمد لله رب العالمين ، إذ لم يرجعوا إلا إلى المجاهرة بالكذب .

وإن كانوا صادقين فى ذلك فقد حصلت توراتان مختلفتان[٣٣] متكاذبتان متعارضتان ؛ توراة السبعين شيخًا وتوراة عزرا . ومن الباطل المحال[٣٤] الممتنع كونهما جميعًا حقًا من عند الله عز وجل . واليهود والنصارى كلهم مصدق مؤمن بهاتين التوراتين معًا ، سوى توراة السامرة[٣٥] فلابد ضرورة من أن تكون إحداهما حقًا ، والأخرى مكذوبة . فأيهما كانت المكذوبة فقد حصلت الطائفتان على الإيمان بالباطل ضرورة ، ولا خير فى أمة تؤمن بيقين الباطل ، ولئن[٣٦] كانت توراة السبعين شيخًا هى المكذوبة فلقد كانوا شيوخ سوء كذّابين ملعونين ، إذ حرّفوا كلام الله وبدلوه ، ومَنْ هذه صفته فلا يحل أخذ الدين عنه ولا قبول نقله ، ولئن[٣٧] كانت توراة عزرا المكذوبة فقد

---

(٣٠) فى (أ ، ب) : (عليه السلام) .
(٣١) فى (أ ، ب) : (هذا) .
(٣٢) فى (أ ، ب) : (فى ذلك) .
(٣٣) فى (أ ، ب) : (متخالفتان) .
(٣٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (المحال) .
(٣٥) فى (أ ، ب) : السامرية . والسامرة : لهم توراة خاصة تخالف توارة اليهود ، ولا يعرف زمن ظهورها ، وقد اجتهد العلماء فى تحديد زمانها فلم يوفقوا له ، والذى يعرف أنه كان إلى القرن السادس عشر مجهولًا ، وفى السابع عشر جلب العالم « أيسريوس » نسخا منها من الشرق ، وفى الوقت نفسه جلب المسيو « هارلى دوسانس » سفير فرنسا لدى تركيا نسخة منها مع كتب أخرى . (دائرة معارف القرن العشرين) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (وإن) .
(٣٧) فى (أ ، ب) : (وإن) . وقد ذكر النديم فى فهرسته أن جميع ما أنزل الله تعالى من الكتب مائة كتاب وأربعة وقد أنزل الكتاب الخامس على موسى وعو عشرة صحائف ، ثم نزل التوراة على موسى عليه السلام بعد الصحف بزمان فى عشرة ألواح ، فلما نزل موسى من الجبل ووجد أصحابه قد عبدوا العجل رمى بها فتكسرت ثم ندم فسأل الله عز وجل أن يردها عليه فأوحى الله له أنى أردها فى لوحين ، وفعل الله ذلك فأحد اللوحين لوح الميثاق ، والآخر لوح الشهادة (الفهرست : الفن الثانى من المقالة الأولى) .

كان كذّابا إذ حرف كلام الله ولا يحل أخذ شيء من الدين عن كذاب ولابد من أحد الأمرين .

أو تكون كلتاهما كذبًا وهذا هو الحق اليقين الذى لا شك فيه لما قدمنا ممَّا فيها[٣٨] من الكذب ، الفاضح الموجب للقطع بأنها مبدلة محرفة وسقطت الطائفتان معًا ، وبطل دينهم الذى إنما مرجعه إلى هذه[٣٩] الكتب المكذوبة . ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

قال أبو محمد : فتأملوا هذا الفصل وحده ، ففيه كفاية فى تيقن بطلان دين الطائفتين فكيف سائر[٤٠] ما أوردناه .. إذا استضاف إليه .. ؟ !!

وفى التوراة وعند اليهود وعند النصارى اختلاف آخر اكتفينا منه بهذا القدر ، والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالإسلام المنقول إلينا نقل الكواف ، إلى رسول الله ، المعصوم ﷺ ، البرىء من كل كذب وكل[٤١] محال ، الذى تشهد له العقول بالصحة[٤٢].

* * *

(٣٨) فى (خ) : (فيه كذب) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : (تلك) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : (بسائر) .
(٤١) فى (أ ، ب) : (ومن كل) .
(٤٢) فى (أ ، ب) : (والحمد لله رب العالمين) .

« ذكر مناقضات الأناجيل الأربعة والكذب الظاهر الموجود [1] فيها » .

قال أبو محمد : أول ذلك[2] أن أول مبدأ إنجيل متى اللوانى ، الذى هو أول الأناجيل بالتأليف والرتبة ، مُصَحِّفٌ نِسبةَ يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم وإبراهيم ولَدَ إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، وليهوذا وُلِدَ مِنْ ثامار[3]: فارض[4] وتارح ، ثم إن فارض ولد حصروم[5]، وحصروم ولد إدام[6]، وإدام ولد عميناذاب[7]، وعميناذاب ولد نجشون[8]، ونجشون ولد أشلومون[9] وأشلومون ولد له من راحاب : بوعز ، وبوعز ولد له مِنْ ذوث[10]: عوبيذ[11]، وعوبيذ ولد له أيشاى[12]، وإيشاى ولد له داود الملك ، وولد داود الملك أشلومون[13]، وأشلومون ولد رحبعام[14]، ورحبعام ولد أبيوب[15]، وأبيوب ولد أشا[16]، وأشا ولد يهوشافاط ، ويهوشافاط ولد يهورام[17]، ويهورام

---

(١) فى (أ ، ب) : (الموضوع) .
(٢) فى (أ ، ب) زيادة (مبدأ الخلق) وهى زيادة تخل بالمعنى .
(٣) فى (أ ، ب) : ثامان .
(٤) فى إنجيل متى الحالى اسمهما : « فَارِص وزَارَح » (الإصحاح ٣/١) .
(٥) فى (أ ، ب) : حضروم بالضاد ، ولكن اسمه فى إنجيل متى الحالى : (حَصْرُون) (الإصحاح : ٣/١) .
(٦) فى (أ ، ب) : إرام ، ولكنه فى إنجيل متى (أرام) بفتح الهمزة .
(٧) فى إنجيل متّى : (عميناداب) بالدال المهملة .
(٨) فى إنجيل متى : (نَحْشُون) بالنون والحاء . وفى (أ ، ب) زاد (الخارج من مصر أخو زوجة هارون) .
(٩) فى إنجيل متى : (سلمون) .
(١٠) فى إنجيل متى اسمها (رَاعُوث) . وفى (أ ، ب) : (روث) .
(١١) اسمه فى إنجيل متى : (عُوبيد) بالدال المهملة .
(١٢) فى إنجيل متى : (يسَّى) .
(١٣) فى إنجيل متى : (سليمان) .
(١٤) فى (أ ، ب) : (رجيعام) .
(١٥) فى إنجيل متى : (أبيًّا) .
(١٦) فى إنجيل متى : (آسا) بالسين المهملة .
(١٧) فى إنجيل متى : (يورام) .

ولد أحزياهو[١٨]، وأحزياهو ولد يوثام ، ويوثام ولد أحاز ، وأحاز ولد أحزياهو[١٩]، وأحزياهو ولد منشا[٢٠]، ومنشا ولد آمون ، وأمون ولد يوشيَّاهو[٢١]، ويوشياهو ولد يخنيا[٢٢]، وإخوته وقت الرحلة إلى بابيل[٢٣]، وبعد ذلك ولد لنحنيا صلثاييل[٢٤]، ولصلثاييل ولد زربابيل[٢٥]، وزربابيل ولد أبيوب[٢٦]، ولأبيوب ولد الياجيم[٢٧]، ولألياجيم ولد آزور[٢٨]، وآزور ولد صدوق ، وصدوق ولد أجيم[٢٩]، واجيم ولد اليوث[٣٠]، واليوث ولد العَزار[٣١]، والعَزار ولد شان[٣٢]، وشان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف خطيب[٣٣] مريم التى ولدت يسوع الذى يدعى مسيحًا ، فصار من إبرهيم إلى داود أربعة عشرأبا[٣٤]. ومن داود إلى وقت[٣٥] الرحلة أربعة عشرأبا ، ومن الرحلة إلى المسيح أربعة عشرأبا ، فجميع الموالد من إبرهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودا .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل خلاف لما فى كتب[٣٦] اليهود والتوراة ، التى هى عندهم فى النقل كالتوراة ، وهما كتاب ملاخيهم[٣٧]، وكتاب وبراهياشيم[٣٨] فقال ههنا تارح بن يهوذا . وفى التوراة زارح بن يهوذا ، وهذا اختلاف فى الإسم ، وكذب من أحد الخبرين ، والأنبياء لا يكذبون .

وقال ههنا احزياهو بن بهورام ، وفى كتب اليهود أحزيا بن يورام ، وهذا اختلاف فى الأسماء ووحى الله تعالى لا يحتمل هذا ، فأحد النقلين كاذب بلا شك . وقال ههنا يوثام بن أحزياهو وفى كتب اليهود المذكورة يوثام بن عزريا ، بن أمصيا بن يواش[٣٩] بن أحزيا ، فأسقط ثلاثة آباء

(١٨) فى إنجيل متى : (عُزِيًّا) .
(١٩) فى إنجيل متى : (حِزْقِيا) . وفى (أ ، ب) (أحزيا) بدون (هو) .
(٢٠) فى إنجيل متّى : (منسَّى) .
(٢١) فى إنجيل متى : (يُوشِيًّا) بدون (هو) .
(٢٢) فى إنجيل (يَكُنْيَا) . وفى (أ ، ب) : (ولد نحنيا) .
(٢٣) فى إنجيل متى : (عند سبى بابل) .
(٢٤) فى إنجيل متى : (شَأَلْتِيئيل) .
(٢٥) فى إنجيل متى : (زَرُبَّابل) . وفى (أ ، ب) : (روبابيل) .
(٢٦) فى إنجيل متى : (أَبِيهُود) . وفى (أ ، ب) : (أبيوس) .
(٢٧) فى إنجيل متّى : (أَلِيَاقيم) .
(٢٨) فى إنجيل متى : (عَازور) .
(٢٩) فى إنجيل متّى : (أَخيم) بالخاء .
(٣٠) فى إنجيل متى : (أَلِيُود) .
(٣١) فى إنجيل متّى : (أَلِيعَازَر) .
(٣٢) فى إنجيل متى : (مَتَّان) . (أ ، ب) : (مثان) .
(٣٣) فى إنجيل متّى : (رَجُل مريم) .
(٣٤) فى إنجيل متى : (جيلًا) .
(٣٥) فى إنجيل متى : (إلى سبى بابل) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (فى التوراة وكتب اليهود) .
(٣٧) فى (أ ، ب) : ملاخيم .
(٣٨) فى (أ ، ب) : (وبراهياميم) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : (ابن أس) .

مما فى كتب اليهود وهذا عظيم جدا . فإن صدقوا كتب اليهود وهم مصدقون لها[٤٠] فقد كذب متَّى وجهل .

ولئن صدقوا متى فإن كتب اليهود كاذبة ، لا بدّ من أحد ذلك . فقد حصلوا على التصديق بالشيء وضدّه معًا . وقال ههنا : أحزياهو بن أحاز بن يوثام . وفى كتب اليهود المذكورة حزقيا ابن أحاز بن يوثام ، وهذا اختلاف فى الاسم . والوحى لا يحتمل هذا . فأحد النقلين كاذب بلاشك . وقال ههنا : يخنيا[٤١] بن يوشياهون بن امون ، وفى كتب اليهود التى ذكرنا يخنيا بن الياقيم ابن يوشيا بن آمون ، فأسقط متى الياقيم وخالف فى اسم يوشيا بن آمون[٤٢]، وهذا عظيم وكما قدمنا من كذبهم ولابدّ . إذ يصدقون بالشيء والضدِّ له معًا . وهم لا يختلفون فى أن متَّى رسول معصوم أجلُّ عند الله من موسى ومن سائر الأنبياء كلهم عليهم السلام ، وهو قد قال فى أول كلمة من إنجيله : « مصحف نسبة المسيح بن داود بن إبرهيم » ثم لم يأت إلا بنسب يوسف النجار زوج مريم الذى هو[٤٣] عندهم ربيب إلههم زوج أمه . فكيف يقول : إنه يذكر نسبة المسيح ثم يأتى بنسبة يوسف النجار ؟ والمسيح عند هذا التيس البوَّال ليس هو ولد يوسف أصلًا . فقد كذب هذا القذر كذبًا لا خفاء به ، ولا مدخل للمسيح فى هذا النسب أصلًا بوجه من الوجوه . إلا أن يجعلوه ولد يوسف النجار وهم لا يقولون هذا ولا نحن ولا جمهور اليهود .

أما هم فيقولون : إنه ابن الله من مريم ، وإنه إله وابن إله وامرأة ، تعالى الله عن هذا . وأما نحن والعيسوية من اليهود معنا ، والآريوسية والبولقانية والمقدونية من النصارى ، فنقول إنه عبد آدمى خلقه الله تعالى ، فى بطن مريم عليها السلام ، من غير ذكر .

وأما جمهور اليهود[٤٤] فيقولون إنه لغير رَشْدَةٍ حاشا له من ذلك ، بل إن طائفة قليلة من اليهود يقولون انه ابن يوسف النجار ، وما نرى متَّى إلا شاهدًا لقولهم ومحققًا له . وإلا فكيف يبدأ بأنه يذكر نسب المسيح إلى داود ثم لا يذكر إلا يوسف النجار إلى داود .. ؟ ولو أنه ذكر نسبة[٤٥] أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر ، لكنه لم يذكر نسب مريم أصلًا ، ثم لم يَستح النذل من أن يحقق ما ابتدأ به[٤٦]، فبعد أن أتم نسب يوسف النجار قال : من الرحلة إلى المسيح أربعة عشرأبا ، فجميع المواليد من إبرهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا ، فأكدَّ هذا الملعون كذبه

---

(٤٠) فى (أ ، ب) : (بها) .
(٤١) فى (أ ، ب) : (نحليا) .
(٤٢) فى (خ) : سقطت كلمة (ابنَ آمون) .
(٤٣) فى (أ ، ب) : (عندهم هو) .
(٤٤) فى (أ ، ب) : (لعنهم الله) .
(٤٥) فى (أ ، ب) : (نسب) .
(٤٦) فى (خ) : (يحقق ابتدأ) .

وأن[٤٧] المسيح ولد يوسف ، لابد ضرورة من أحدهما ، وإلا فكيف يكون من الرحلة إلى المسيح أربعة عشرأبا .. ؟ والمسيح ليس هو ابنا لأحدهم ، ولا هم آباء له . وكيف يكون من إبرهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا ولا مدخل للمسيح فى تلك الولادات إلا كمدخله فى ولادات أهل الهند ، وأهل الصين وأهل ططفه[٤٨]، وسقر وسقرال ولا فرق .. ؟

هذه فضائح الدهر ومالا يأتى به إلا أفحش[٤٩] البرية .ونعوذ بالله من الخذلان . ثم كذب آخر وجهل زائد ، وهما قوله فمن[٥٠] إبرهيم إلى داود أربعة عشرأباً .

قال أبو محمد : هذا كذب إنما هم على ما ذكرنا ثلاثة عشر : إبرهيم وإسحق ، ويعقوب ، ويهوذا ، وزارح ، وحصروم ، وآرام ، وعميناذاب ، ونجشون ، واشلومون ، وبوعز ، وعوبيذ ، وانشأى فهؤلاء ثلاثة عشرأبا . ثم داود ولا يجوز ألبتة أن يعد داود فى آباء نفسه ، فيجعل أبا لنفسه وهذه ملحَنة ، ثم قال : ومن داود إلى الرحلة أربعة عشرأبا ، وليس كذلك لأن نخنيا هو الراحل بنص قول متّى ، وأنه لم يولد له على قوله صلشيال[٥١] إلا بعد الرحلة ، فهم : أشلومون ورحبعام[٥٢] وأبيوب[٥٣] وأشا ، ويهوشافاظ ، ويهورام وأحزياهو ، ويوثام ، وأحاز ، وأجزياهو ، ومنشا[٥٤] وآمون ويوشاهو ويخنيا .

وقد عدّ داود قبل فإن عدّة ههنا فقد حققوا الكذب فى الفصل الذى قبله ، وإن لم يعدوه[٥٥] ههنا فقد كذبوا فى هذا العدد[٥٦] الثانى ، أو جعلوا يخنيا أبا لنفسه وهذا هوس .

ثم قال : ومن الرحلة إلى المسيح أربعة عشرأبا ، وهذا فصل جمع كذبتين عظيمتين .

إحداهما : أنه إذا عد صلشيال من بعده إلى يوسف النجار فليسوا إلا اثنى عشر رجلا فقط . وهم صلشيال[٥٧] وأبيوب والياجيم ، وازور ، وصدوق ، واجيم واليوث ، والعزار ، وزربابيل[٥٨]، وماثان ، ويعقوب ويوسف . فإن عدّ فيهم يخنيا كانوا ثلاثة عشر ، وهو يقول أربعة

---

(٤٧) فى (خ) : (أو أن) .
(٤٨) فى (أ ، ب) : (أهل طلعة) .
(٤٩) فى (أ ، ب) : (أبخس) .
(٥٠) فى (أ ، ب) : (فبين) .
(٥١) فى (أ ، ب) : (صلشائيل) .
(٥٢) فى (أ ، ب) : (ورجيعام) .
(٥٣) فى (أ ، ب) : (وأبيوس) .
(٥٤) فى (أ) : (وميشا) .
(٥٥) فى (أ ، ب) : (وإن عدوه هناك) .
(٥٦) فى (خ) : (سقطت كلمة العدد) .
(٥٧) فى (أ ، ب) : (وروبابيل) .
(٥٨) فى (أ ، ب) : لم يذكر (زربابيل) .

عشر فاعجبوا لهذا الحمق ولهذا الضلال ، واعجبوا من رعونة كل[٥٩] من جاز هذا عليه واعتقده ديناً ..؟ !

ثم إن كان عنى أنهم آباء المسيح فيوسف والد المسيح وكفى ، وهذا[٦٠] عندهم كفر ، فقد كفر متّى أو كذب وجهل لابد من أحد ذلك ، ثم قوله فمن إبرهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا ، وهذا كذب فاحش وجهل مفرط ، لأنه إذا عَدَّ إبرهيم ومن بعده إلى يوسف ، وعد يوسف أيضًا فإنما هم أربعون فقط . فإن عدَّ المسيح وجعله ولد يوسف لم يكونوا أيضًا إلا واحدًا وأربعين فقط . فاعجبوا ممن يدين الله تعالى بهذا الحمق واحمدوه على السلامة .

هذا إلى الكذب المفضوح الذى فى نسب داود عليه السلام إلى بخشون[٦١] بن عميناذاب ، لأن بخشون بنص توراتهم هو الخارج من مصر ، وهو مقدم بنى يهوذا ، ولم يدخل بنص التوراة أرض القدس . لأن كل من خرج من مصر ابن عشرين سنة فصاعدًا ، ماتوا كلهم فى التيه بنص التوراة .فإذا عدّت الولادات من أشلومون بن بخشون الذى دخل أرض القدس[٦٢] إلى داود عليه السلام وجدوا أربعة فقط . وهم داود بن إنشاى[٦٣] بن عوبيذ ابن يوعز[٦٤] بن أشلومون ، الداخل مصر المذكور ولا يختلفون يعَنى اليهود والنصارى معًا ، أن من دخول أشلومون المذكور مع يوشع وبنى إسرائيل الأرض المقدسة إلى مولد داود عليه السلام خمسمائة سنة وثلاثا وسبعين سنة . فيجب على هذا أن يقول : إن أشلومون لم يدخل الأرض المقدسة إلا[٦٥] ابن أقل من سنة ، وإنه لم يولد لكل واحد منهم ولده المذكور إلا وله مائة سنة ونيف وأربعون سنة ، وكتبهم تشهد ككتاب مّلاجيم[٦٦] وديراهيّاميم[٦٧] وغيرهما ، ونقطع أنه لم يعش أحد من بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام مائة سنة وثلاثين سنة إلا يهويااراع[٦٨] الكوهين[٦٩] الهاروبى وحده . فكم هذا الكذب وهذا الإفضاح فيه .. ؟ وهذه الشهرة العظيمة لا ينفكون من كذبة إلا إلى أخرى ، ومن سوأة إلا إلى سوأة ، ونعوذ بالله من البلاء . فاعجبوا لما افتتح به هذا الكذاب كتابه[٧٠].. ؟؟ وتأليفه ماذا جمع هذا الفصل على صغره وأنه أسطار يسيرة من الكذب والجهل .. ؟

(٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .
(٦٠) فى (أ ، ب) : (وكفى بهذا عندهم كفرا) .
(٦١) فى (أ ، ب) : (بخشون) بالخاء .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (المقدس) .
(٦٣) فى (أ) : (ابن آشان) .
(٦٤) فى (أ ، ب) : (بوعر) بالراء المهملة .
(٦٥) فى (أ ، ب) : « إلا وهو أقل » .
(٦٦) فى (أ ، ب) : (ملاخيم) بالخاء .
(٦٧) فى (أ ، ب) : (براهياميم) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : « يهوراع » .
(٦٩) فى (أ ، ب) : (الكوهن) .
(٧٠) فى (أ) : سقطت كلمة (كتابه) .

« وأحسن ما فى خالد وجهه .. فقس على الغائب بالشاهد » .

ثم ذكر لوقا الطبيب فى الباب الثالث منه نسب المسيح عليه السلام ، فقال : إنه كان يظن أنه ابن يوسف النجار ، المنسوب إلى على(٧١) إلى ناثان(٧٢)، إلى لاوى ، إلى مَلْكِى إلى يمتاع(٧٣) إلى يوسف إلى متّاثيا إلى حاموص(٧٤) إلى ناحُوم إلى أشلا(٧٥) إلى أبجا(٧٦) إلى ماهات(٧٧) إلى متشيا(٧٨) إلى صمغى(٧٩) إلى يصداق(٨٠) إلى يهندع(٨١) إلى يوحنا إلى رشا(٨٢) إلى زربابيل(٨٣) إلى صلثيال(٨٤) إلى ملكى(٨٥) إلى نادى(٨٦) إلى مـرا(٨٧) إلى أربـع(٨٨) إلى قرصام(٨٩) إلى اليمدان(٩٠) إلى هار(٩١) إلى يشوع(٩٢) إلى اليعزار(٩٣) إلى يوريم(٩٤) إلى ماثا(٩٥) إلى لاوى(٩٦) إلى شمعون(٩٧) إلى يهوذا(٩٨)

* * *

(٧١) فى الانجيل الحالى للوقا : (هَالى) (راجع إنجيل لوقا : الإصحاح ٣/ من ٢٣ – إلى آخره) .
(٧٢) فى الإنجيل الحالى (مَتّثات) (المرجع السابق) .
(٧٣) فى إنجيل لوقا : (ينّا) .
(٧٤) فى إنجيل لوقا : (عَامُوس) .
(٧٥) فى إنجيل لوقا : (حَسْلى) .
(٧٦) فى إنجيل لوقا : (نجّاىَ) . وفى (أ ، ب) (أنجا) وهو تحريف .
(٧٧) فى إنجيل لوقا : (مآث) . وفى (أ ، ب) : (فاهات) .
(٧٨) فى إنجيل لوقا : (مَتّاثيا) . وفى (أ ، ب) : (منيشا) .
(٧٩) فى لوقا : (شِمْعِى) . وفى (أ ، ب) : (صمغا) .
(٨٠) فى لوقا : (ابن يوسف) . وفى (أ ، ب) : (مصداق) .
(٨١) فى لوقا : (ابن يهوذا) .
(٨٢) فى لوقا : (ريسَا) .
(٨٣) فى لوقا : (زَرُبَّابَل) . وفى (أ ، ب) : (روبابيل) .
(٨٤) فى لوقا : (شَألْتِيل) .
(٨٥) فى لوقا : (ابن نِيرِي) .
(٨٦) فى لوقا : (ابن أدّمى) . وفى (أ ، ب) : (بادى إلى ملكى) .
(٨٧) فى لوقا : (ابن قُصمَ) .
(٨٨) فى لوقا : (ابن ألمُودام) . وفى (أ ، ب) : (اليران) .
(٨٩) فى لوقا : (ابن عِير) .
(٩٠) فى لوقا : (ابن يُوسى) .
(٩١) فى لوقا : (ابن أليعَازر) .
(٩٢) فى لوقا : (ابن يُوريم) .
(٩٣) فى لوقا : (ابن مَتّثات) .
(٩٤) فى لوقا : (ابن لاوى) .
(٩٥) فى لوقا : (ابن شِمْعون) .
(٩٦) فى لوقا : (ابن يهوذا) .
(٩٧) فى لوقا : (ابن يوسف) .
(٩٨) فى لوقا : (ابن يونان) .

إلى يوسف[٩٩] إلى يونا[١٠٠] إلى الياجيم[١٠١] إلى ملكـان[١٠٢] إلى أنـان[١٠٣] إلى عيشاع[١٠٤] إلى مناثا[١٠٥] إلى ناثان[١٠٦] إلى داود[١٠٧] النبى عليه السلام ، ثم ذكر نسب داود كما نسبه[١٠٨] متّى حرفًا حرفًا .

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ما أفحشها وأوحشها ، وأقذرها وأوضرها ، وأرذلها وأنذلها ، متّى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار[١٠٩] .. ؟؟ ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبا فأبا . ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متّى حتى يخرجه إلى ناثان بن داود ، أخى سليمان بن داود ، ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبًا فيكذب متّى أو لوقا ، ولابد أن يكون كلا النسبتين كذبًا فيكذب الملعونان لوقا[١١٠] ومتّى جميعًا ، ولا يمكن ألبتة أن تكون كلا النسبتين حقًا ، ولوقا عندهم — لوّق الله صورهم وألاق وجوهم ولقّاهم البلاء ، وألقى عليهم الدمار واللعنة ، فى الحالة[١١١]— فوق جميع الأنبياء عليهم السلام فهذه صفة أناجيلهم . فاحمدوا الله تعالى أيها المسلمون[١١٢] على السلامة والعصمة .

وقال بعض أكابر من سلف منهم من مُضلِّيهم : إن أحد هذين النسبتين هو نسب الولادة ، والنسب الآخر نسب إلى إنسان تبنّاه على ما كان فى قديم زمن بنى إسرائيل من أن من مات ولا ولد له تزوج[١١٣] أخوه امرأته ، وينسب[١١٤] إلى الميت من ولدت من هذا

---

(٩٩) فى لوقا : (ابن أَلْيَاقيم) .

(١٠٠) فى لوقا : (ابن مَلَيَا) .

(١٠١) فى لوقا : (ابن مَيْنان) .

(١٠٢) فى لوقا : (ابن متّاثا) .

(١٠٣) فى لوقا : (ابن ناثان) .

(١٠٤) فى لوقا : (ابن داود) .

(١٠٥) فى لوقا : (ابن يسّى) .

(١٠٦) فى لوقا : (ابن عوبيد) .

(١٠٧) فى لوقا : (ابن لوعز) .

(١٠٨) فى (أ ، ب) : كما ذكره .

(١٠٩) راجع إنجيل متى الإصحاح الأول . وفيه « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من روح القدس ، فيوف رجاها إذ كان بارًا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرًا ، ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذ ملاك الرب قد ظهر له فى حلن قائلا : يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . . الخ (الفقرات من ١٨ – ٢٤) .

وهذا يخالف ما قرره ابن حزم ، فلعل الإنجيل قد تعرّض لتغيير وتبديل آخر . .

(١١٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لوقا ومتى) .

(١١١) فى (أ ، ب) : (فى الجلالة) .

(١١٢) فى (أ ، ب) : (المؤمنون) .

(١١٣) فى (أ ، ب) : وتزوج آخر .

(١١٤) فى (أ ، ب) :(نسب) .

الحى ، فقلنا لمن عارضنا منهم بهذا الهوس ، من لك بهذا ؟ وأين وجدته للوقا أو لمتّى ؟ والدعوى لا يعجز عنها أحد وهى باطلة ، إلا أن يُعضِّدها برهان . وبعد هذا فأىّ النسبتين هو نسب الولادة .. ؟ وأيهما هو نسب الإضافة لا الحقيقة ؟ فأيهما قال قلب عليه قوله ، وقيل له هذه دعوى بلا برهان . فإن قال : إن لوقا لم يقل إن فلانا ولد فلانا كما قاله متّى لكن قال : المنسوب إلى على قلنا : وهكذا قال فى آباء على أبا فأبا إلى داود ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى نوح ثم إلى آدم عليهم السلام سواء سواء ، فى اسم بعد اسم وفى أب بعد أب ولا فرق . أفَتَرى نسب داود إلى إبرهيم ، وإبرهيم إلى نوح ، ونوح إلى آدم ، كان أيضًا على الإضافة لا على الحقيقة.. ؟ كما قلت فى نسب يوسف إلى على ، هذا عجب .فإذ لا سبيل إلى ما يصحح[115] هذه الدعوى فهى كذب ، ووضح الكذب فى أحد النسبين ضرورة عيانًا ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١١٥) فى (أ ، ب) : (تصحيح) .

« فصــل »

وفى الباب الثالث من إنجيل متى فلحق يسوع – يعنى المسيح – بالمفاز وساقه الروح إلى هنالك ، ولبث به[116] ليقيس إبليس نفسه فيه ، فلما أن صام[117] أربعين يوما بلياليها – جاع فوقف إليه الجساس وقال له : إن كنت ولد الله فأمر هذه الجنادل تصير لك[118] خبزا . فقال : يسوع قد صار مكتوبًا بأن عيش المرء ليس بالخبز وحده ، لكن فى كل كلمة تخرج من فم الله تعالى .

وبعد هذا أقبل إليه[119] إبليس فى المدينة المقدسة[120]، وهو واقف فى أعلى بنيانها وقال له : إن كنت ولد الله فترام من فوق ، فإنه قد صار مكتوبًا بأنه سيبعث ملائكته[121] يرفدونك ، ويدفعون عنك ، حتى لا يصيب قدمَك مكروه ، فأجابه يسوع وقال له : قد صار مكتوبًا أيضًا ألا يقيس أحد العبيد[122] إلاهه . ثم عاد إليه إبليس وهو فى أعلى جيل منيف فأظهر له زينة جميع الدنيا . وشرفها وقال له : إنى سأملكك كل[123] ما ترى إن سجدت لى . فقال له يسوع : اذهب يا منافق مقهقرا ، فقد كتب إلا يُعْبَد أحدٌ غيرُ السيِّد الإله ،[124] ولا يُخدمَ سواه ، فتأيس عنه إبليس عند ذلك وتنحى عنه ، وأقبلت الملائكة وتولت خدمته[125].

---

(١١٦) فى (أ ، ب) : (فيه) .

(١١٧) فى (أ ، ب) : « مضى » بدلًا من (صام) .

(١١٨) فى (خ) : سقطت « لك » .

(١١٩) فى (أ ، ب) : سقطت (إليه) .

(١٢٠) فى (خ) : سقطت « المقدسة » .

(١٢١) فى (أ ، ب) : « ملائكة » .

(١٢٢) فى (خ) : « السيد » .

(١٢٣) فى (خ) : سقطت كلمة ' كل » .

(١٢٤) فى (أ ، ب) : « الهه » .

(١٢٥) راجع إنجيل متى (الإصحاح الرابع الفقرات من ظ – ١١) .

وفى الباب الرابع من إنجيل لوقا : « فانصرف يسوع من الأردن محشوًا من روح القدس ، وقاده الروح إلى القفار ، ومكث به[١٢٦] أربعين يوما ، وقايسه إبليس فيه ، ولم يأكل شيئًا فى تلك الأربعين يوما ، فلما كملها جاع فقال له إبليس : إن كنت ابن الله فأمر هذا الحجر أن يصير خبزًا فأجابه يسوع وقال له : قد[١٢٧] صار مكتوبًا أنه ليس عيش الآدمى فى الخبز وحده إلا فى كل كلمة لله ، ثم قاده إبليس إلى جبل منيف عال ، وعرض عليه ملك جميع الدنيا فى[١٢٨] وقته . وقال له : سأملكك هذا السلطان ، وأبرأ إليك[١٢٩] بعظمته لأنى قد ملكته وأنا أعطيه من وافقنى ، فأن سجدت لى كان لك أجمع . فأجابه يسوع[١٣٠]: قد صار مكتوبًا أن تعبد السيد إلاهك ، وتخدمه وحده ، ثم ساقه إلى برشلام[١٣١] وصعده ووقفه على صخرة البيت فى أعلاه وقال له : إن كنت ولد الله فتسيب[١٣٢] من ههنا ، لأنه مكتوب أنه[١٣٣]، يبعث ملائكته لحرزك وحملك فى الأكف حتى لا تعثر بقدمك فى حجر ، ولا يصيبك مكروه ، فأجابه يسوع وقال له : قد كتب أيضًا أن لا تقيس السيد إلاهك[١٣٤]» .

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل عجائب لم يسمع بأطم منها .

أولها :إقرار الصادق عندهم بأن إبليس قاد المسيح عليه السلام مرة إلى جبل منيف وانقاد له ومضى معه ، وقاده مرة أخرى إلى أعلى صخرة[١٣٥] ببيت المقدس ، فما تراه إلا ينقاد لإبليس حيث قاده ، ولا يخلو من أن يكون قاده فانقاد له مطيعًا سامعًا ، فما تراه إلا منصرفًا تحت حكم الشيطان وهذه والله منزلة رذلة جدًا ، أو يكون قاده كرهًا فهذه منزلة المصروعين ، الذين يتخبطهم الشيطان من المس ،وحاشا للأنبياء من كلتا الصفتين فكيف إله وابن إلهٍ بزعمهم .. ؟ وما سمع قط بأحمق من هذا الهوس ،ونحمد الله تعالى على عظيم نعمته ثم الطامَّة الأخرى ، كيف يطمع إبليس عند هؤلاء النوكى فى أن يسجد له خالقه وفى أن يعبده ربه وفى أن يخضع له من فيه روح

---

(١٢٦) فى (أ ، ب) : « فيه » .
(١٢٧) فى (خ) : سقطت كلمة (قد) .
(١٢٨) فى (أ ، ب) : « من » بدلًا من (فى) .
(١٢٩) فى (أ ، ب) : « وقال له » .
(١٣٠) فى (أ ، ب) : (وأنزلك) .
(١٣١) فى التوراة الحالية (أورشليم) راجع (إنجيل لوقا : ٤/٩) .
(١٣٢) فى (أ ، ب) : « فتسبب » وهو تحريف .
(١٣٣) فى (أ ، ب) : « أن يبعث ملائكة » .
(١٣٤) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح ٤ الفقرات من ٨ – ١٤) .
(١٣٥) فى (أ ، ب) : « صخرة فى » .
(١٣٦) فى (أ ، ب) : (لم) .

اللاهوت .. ؟ أم كيف يدعو إبليس ربه وإلهه إلى أن يعبده .. ؟والله إنى لأقطع أن كفر إبليس وحمقه لما[١٣٦] يبلغا قط هذا المبلغ . فهذه آبدة الدهر ، ثم عجب آخر كيف يُمَنِّى إبليس رب الدنيا وخالقها وخالقه[١٣٧]، ومالكها ومالكه ، وإلهها وإلهه فى أن يملكه زينة الدنيا .. ؟ فهذه كما تقول عامتنا « أعطه من خبزة كسيرة » ما هذه الوساوس التى لا ينطق بها الإنسانُ مَن حقّه سكنى المارستان ؟ أو عيَّار كافر مستخف بقوم نوكى يوردهم ولا يصدرهم !! ما شاء الله كان .

فإن قالوا : إنما دعا الناسوت وحده وإياه عنى إبليس[١٣٨].

قلنا : فإن اللَّاهوت والناسوت عندكم متَّحدان بمعنى أنهما صارا شيئًا واحدًا ، والمسيح عندكم إله معبود وقد قلتم ههنا : إن إبليس قاد المسيح فانفقاد له المسيح ، ودعاه إبليس إلى عبادته والسجود له ، ومّناه إبليس بملك الدنيا ، وقال للمسيح وقال له المسيح أو قال ليسوع وقال له يسوع ، وعلى قولكم إنه إنما خاطب الناسوت وحده[١٣٩] فإنما دعا نصف المسيح ونصف يسوع ، وإنما منّى بزينة الدنيا نصف المسيح ، فقد كذب لوقا ومتى على كل حال ، وأهل الكذب هما فكيف ونص كلامهما – جُذَّت ألسنتهما فى لظى – يمنع من هذا .. ؟ ويوجب أن إبليس إنما دعا اللاهوت لأنه قال له : إن كنت ابن الله فافعل كذا ، ولو لم يكن[١٤٠] فى الأناجيل إلا هذا الفصل الأبخر وحده[١٤١] لكفى ، فكيف وله فيها نظائر جمَّه .. ؟ !! ونحمد الله على السلامة .

(١٣٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وخالقه) .
(١٣٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (وحده) .
(١٣٩) فى (أ) : سقطت كلمة (وحده) .
(١٤٠) فى (أ ، ب) : « ولو لم يكن هذا » بزيادة (من هذا) .
(١٤١) فى (خ) : سقطت كلمة (وحده) .

« فصــل »

قال أبو محمد : وذكر فى الفصل الذى تكلمنا عليه أن المسيح عليه السلام أحشى[١٤٢] من روح القدس ، وفى أول باب من إنجيل لوقا أن يحيى بن زكريا أحشى من روح القدس فى بطن أمه ، وأن أم يحيى احشيت أيضًا من روح القدس[١٤٣]، فما ترى للمسيح من روح القدس إلا كالذى ليحيى ، ولأم يحيى من روح القدس ولا فرق فأى فضل له عليهما .

(١٤٢) فى (أ ، ب) : « احتشى » . وفى إنجيل (فرجع من الأردن ممتلئًا) (٤/١) .
(١٤٣) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح الأول الفقرات من ٨ - ١٦) .

لقاء باطرة وأندرياش بالمسيح

« فصــل »

قال أبو محمد : وفى الباب الثالث من إنجيل متَّى فلما بلغه عن[١٤٤] حبس يحيى بن زكريا تنحى إلى جلجال ، وتخلى من مدينة الناصرة ، ورحل وسكن فى كفر « ناحوم » ، على الساحل فى زابلون[١٤٥] وتفتالى ، ليتم قول شِعْيا النبى حيث قال : أرضُ زابلون وتفتالى وطريق البحر خلف الأردن وجلجال الأجناس ، وكل من كان بها فى ظلمة يبصرون نورًا عظيمًا ، ومن كان ساكنًا فى ظلل الموت فيها يطلع النور عليهم ، ومن ذلك الموضع ابتدأ يسوع بالوصية ، وقال : توبوا فقد تدانى ملكوت السماء . وبينا[١٤٦] هو يمشى على ريف[١٤٧] بحر جلجال إذ بصر بأخوين . أحدهما : يدعى شمعون المسمى باطرة . والآخر : اندرياش وهما يدخلان شباكهما فى[١٤٨] البحر ، وكانا صيادين فقال لهما : اتبعانى اجعلكما صيادى الآدميين ، فتخليا وقتهما[١٤٩] من شباكهما واتَّبعاه ، ثم تحرك من ذلك الموضع وبصر بأخوين أيضًا[١٥٠] وهما يعقوب ويوحنا ابنى سيذاى ، فى مركب مع أبيهما يعدان شباكهما فدعاهما ، فتخليا ذلك الوقت من شباكهما ومن أبيهما ومتاعهما ، واتَّبعاه . هذا نص كلام متّى فى إنجيله حرفًا[١٥١] حرفًا .

---

(١٤٤) فى (أ ، ب) : سقطت (عن) .
(١٤٥) فى (أ ، ب) : (رابلون) بالراء .
(١٤٦) فى (خ) : (وبيناه) .
(١٤٧) فى (أ ، ب) : (ريف البحر بحر حلجال) .
(١٤٨) فى (خ) : سقطت كلمة (فى) .
(١٤٩) فى الأصل : (فتخلبا وقتهما ذلك) .
(١٥٠) فى (خ) : سقطت كلمة (أيضًا) .
(١٥١) إنجيل متى : (الإصحاح الرابع الفقرات من ١٣ – ٢١) وفيه اختلاف فى الأسماء فيحيى فى التوراة يوحنا ، وباطره هو بطرس والأخوان هما : سمعان وأندراوس .

وفى أول باب من إنجيل مارقش قال : فبعد أن ثل بيحيى أقبل يسوع إلى جلجال ملك الله ، وقال : إن الزمان قد تمَّ وتدانى ملك الله ، فتوبوا وتقبلوا الإنجيل . فلما خطر جوار بحر[١٥٢] جلجال ، نظر إلى شمعون واندرياش وهما يدخلان شباكهما فى البحر ، وكانا صيادين ، فقال لهما : يسوع اتبعانى أجعلكما صيادين للآدميين ، فتركا ذلك[١٥٣] الشبكة واتبعاه ، ثم تمادى قليلا وأبصر يعقوب ابن سيذاى ، وأخاه يوحنا وهما فى المركب يهندمان شباكهما[١٥٤]، فدعاهما فتركا والدهما مع العمالين بأجرة فى المركب ،واتبعاه . هذا نص كلام مارقش فى إنجيله[١٥٥] حرفًا حرفًا .

وقال فى الباب الرابع من إنجيل لوقا : وبينما الجماعات يومًا تزدحم عليه رغبة فى استماع كلام الله ، وكان فى ذلك الوقت واقفًا على ريف بُحَيرَة بُشيرات[١٥٦] إذ بصر بمركبين فى البحيرة ،قد نزل عنهما أصحابهما لغسل شباكهم ، فدخل يسوع أحدهما الذى كان لشمعون[١٥٧]، وسأله أن يتنحى به عن الريف قليلًا ، فقعد فى المركب وجعل يوصى الجماعات منه ، فلما أمسك عن الوصية قال لشمعون : لجج وألقوا جرافاتكم للصيد[١٥٨]، فقال له شمعون : يا معلم قد عنينا طول الليل ولم نصب شيئًا ، ولكن سنلقى الجرافة بأمرك وقولك : فلما ألقاها قبَضت على حيتان كثيرة جليلة ، فكادت تنقطع الجرافة من كثرتها ، فاستعانوا بأصحاب المركب الثانى ، وسألوهم أن يعينوا على إخراجهم لها ، فاجتمعوا عليها وشحنوا منها المركبين حتى كادا أن يغرقا . فلما بصر بذلك شمعون الذى يدعى باطرة سجد ليسوع ،وقال : اخرج عنِّى يا سيدى لأنى إنسان مذنب .

وكان قد حارو كل من كان معه لكثرة ما (جمعا) من الحبتان ، وحار يعقوب ويوحنا ابن سيذاى[١٥٩]، قال يسوع لشمعون : لا تخف فإنك ستصطاد اليوم الآدميين ، فأخرجوا إلى الريف الآخر مركبهم ، وتخلوا من جميع ما كان معهم[١٦٠] وابتعوه ، هذا نص كلام لوقا[١٦١] فى إنجيله حرفًا حرفًا .

وفى أول باب من إنجيل يوحنا بن سيذاى قال : وفى يوم آخر كان يحيى بن زكريا المعمد

---

(١٥٢) فى (خ) : سقطت كلمة (بحر) .
(١٥٣) فى (أ ، ب) : بزيادة (الوقت) .
(١٥٤) فى (أ ، ب) : (شبكتهما) .
(١٥٥) راجع إنجيل مَرْقس (الإصحاح الأول . الفقرات من ٩ – ٢١) .
(١٥٦) فى (خ) : بخيزه « ببشرات » . وفى إنجيل « لوقا » (بحيرة جَنِّيَارَت) (الإصحاح ٥/١) .
(١٥٧) فى إنجيل لوقا : (لِسِمْعَان) المرجع السابق .
(١٥٨) فى (أ ، ب) : (الصيد) وهو تحريف ظاهر .
(١٥٩) فى إنجيل لوقا : (ابنا زَبْدى) (الإصحاح ٥/١٠) .
(١٦٠) فى (أ ، ب) : (لهم) .
(١٦١) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح الخامس . الفقرات من ١ – ١٢) .

واقفًا ومعه تلميذان من تلاميذه ، فبصر يسوع ماشيًا فقال : هذا خروف الله فسمع ذلك منه التلميذان ، واتّبعا يسوع فالتفت إليهما يسوع إذ رآهما يتبعانه وقال لهما : ما الذى طلبتما .. ؟ قالا له يا معلم أين مسكنك ؟ فقال لهما : أقبلا فأبصراه فتوجها معه ورأيا مسكنه وباتا عنده ذلك اليوم .

وكانوا(١٦٢) فى الساعة العاشرة وكان أحد التلميذين اللذين اتبعاه أندرياش(١٦٣) أخو شمعون المسمى باطرة ، أحد الاثنى عشر فلقى أخاه شمعون ، وهو أحد اللَّذَيْن سمعا من يحيى واتبعاه ، إذ نظر إليه وقال له : وجدنا المسيح . ثم أقبل إليه به فلما بصر به المسيح قال له : أنت شمعون بن يونا ، وأنت تسمى كيفا(١٦٤) وترجمته الحجر . وهذا نص كلام يوحنا فى إنجيله(١٦٥) حرفًا حرفًا .

* * *

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه الفضائح وتأملوها ، اتفق متى ومارقش ، على أن أول ما كانت صحبة شمعون باطرة ، وأخيه أندرياش ابنى يونا للمسيح عليه السلام ، فإنها كانت بعد أن سجن يحيى بن زكريا عليه السلام ، إذ وجدهما المسيح وهما يدخلان شبكتهما فى البحر للصيد ، وقال لوقا : إنه وجدهما أول ما صحباه ، إذ وجدهما قد نزلا من المركب لغسل شباكهما ، وأنهما كانا قد تعبا طول الليل ولم يصيدا شيئًا .

وقال يوحنا : إن أول ما صحباه إذ رآه أندرياش أخو شمعون باطرة وهو واقف مع يحيى بن زكريا ، وأنه كان تلميذًا ليحيى ، وأن يحيى حينئذ كان يعمد الناس ، فلما سمع اندرياش قول يحيى إذ رأى المسيح هذا خروف الله ، ترك يحيى وصحب المسيح ، وذلك فى الساعة العاشرة ، وبات عنده تلبك الليلة ، ثم مضى إلى أخيه شمعون باطرة وأخبره ، وأتى به إلى المسيح فصحبه ، وهى(١٦٦) أول صحبته له فبعضهم يقول : أول صحبة باطرة وأخيه أندرياش للمسيح كانت بعد سجن يحيى بن زكريا ،وهو قول متى ومارقش.، وبعضهم يقول : إن أول صحبة شمعون باطرة واندرياش للمسيح كانت قبل أن يسجن يحيى بن زكريا(١٦٧) وهو قول يوحنا ، وبعضهم يقول : أول

---

(١٦٢) فى (أ ، ب) : (وكانا) .
(١٦٣) فى إنجيل يوحنا (أَنْدَرَاوُس أخو سِمْعان بطرس) .
(١٦٤) فى إنجيل يوحنا (تدعى صفا) .
(١٦٥) راجع إنجيل يوحنا - (الإصحاح الأول . الفقرات من ٣٥ - ٤٢) .
(١٦٦) فى (خ) : (وهو) .
(١٦٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « ابن زكريا » .

صحبة باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ وجدهما يدخلان شبكتهما للصيد جميعًا ، فتركاها وصحباه من حينئذ ، وهو قول متّى ومارقش .

وبعضهم يقول : أول صحبة باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ رآه أندرياش وهو واقف مع يحيى ، وهو تلميذ ليحيى يومئذ ، فرأى المسيح ماشيًا فقال يحيى : هذا خروف الله ، فترك أندرياش يحيى وصحب المسيح من حينئذ ، ثم مضى إلى أخيه شمعون وعرفه أنه وجد المسيح وأتى به إليه فصحبه من حينئذ ، وهو قول يوحنا . فهذه أربع كذبات فى نسق .

إحدهما : فى الوقت الذى كان ابتدا صحبتهما للمسيح فيه .

والأخرى فى الموضع الذى كانت فيه أول صحبتهما للمسيح عليه السلام .

والثالثة : فى رتبة صحبتهما للمسيح أمعا[١٦٨] أم أحدهما قبل الثانى .. ؟

والرابعة : فى صفة الحال التى وجدهما عليها أول ما صحباه وبالضرورة ندرى أن أحد هذه الاختلافات الأربعة كذب بلا شك ، ومثل هذا لا يمكن ألبتة أن يكون من عند الله عزّ وجل ، ولا من عند نبى ولا من عند صادق ، بل من كذّاب عيّار لا يبالى بما حدث ، وأغرب شيء فى ذلك قولهم كلهم : إن يوحنا بن سيذاى هو ترجم إنجيل متّى من العبرانية إلى اليونانية ، فإذا رأى هذه القصص فى إنجيل متّى بخلاف ما عنده فلابد ضرورة من أن يكون عرف أن قول متّى كذب[١٦٩] أو عرف أنه حق ، لابدّ من أحدهما ضرورة .

فإن كان قول متّى كذبا فقد استجاز يوحنا أن يورد الكذب عن صاحبه المقدس ، الذى هو عندهم أكبر من موسى ، ومن سائر الأنبياء عليهم السلام ، وإن كان قول متّى حقًا فقد قصد يوحنا إيراد الكذب فيما أخبر هو به فى إنجيله ، لابدَّ من أحدهما ، ولقد كانت هذه وحدها تكفى فى بيان أن الأناجيل من عمل كذابين ملعونين ، شاهت وجوههم ، وحاقت بهم لعنةُ الله تعالى .

---

(١٦٨) فى (أ) : (معا) .

(١٦٩) فى (خ) : سقط من قوله (أو عرف أنه حق إلى قوله : كذبا) .

فصــل

وفى الباب الرابع من إنجيل متَّى ، أن المسيح قال : لتلاميذه : لا تحسبوا أنى أتيت[١٧٠] لنقض التوراة وكتب الأنبياء ، إنما اتيت لإتمامها آمين . أقول : لكم إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد « يا » واحدة ، ولا حرف واحد من التوراة ، حتى يتم الجميع فمن حلَّل عهدًا من هذه العهود الصغيرة وحمل الناس على تحليله ، فسيدعى فى ملكوت السموات صغيرًا ، ومن أتمه وحضر الناس على إتمامه فسيدعى فى ملكوت السموات عظيمًا[١٧١].

وفى الباب السادس عشر من إنجيل متَّى : ستحول السموات والأرض ولا يحول كلامى .

قال أبو محمد : وهذه نصوص تقتضى التأبيد وتمنع من النسخ جملة ، ثم لم يمض بعد الفصل الأول المذكور إلا أسطار يسيرة حتى ذكر متّى أنه قال لهم :المسيح[١٧٢] قد قيل من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق . قال : وأنا أقول لكم : من فارق امرأته إلا لزنا فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا ، ومن تزوج مطلقة فهو فاسق . وهذا نقض لحكم التوراة الذى ذكر أنه لم يأت لنقضها لكن لإتمامها .

ثم يحكون عن بولش الملعون أنه نهى عن الختان ، وهو أوكد شرائع التوراة ، وعن شمعون

---

(١٧٠) ى (أ) : « جئت » .

(١٧١) راجع إنجيل متى – (الإصحاح ١٧/٥ – ٢٠) .

(١٧٢) الذى ى إنجيل متى : « قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتطلق . قال لهم : إنَّ موسى من أجل فساد قلوبكم أذن لكن أن تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هكذا . وأقول لكم : إن من طلقّ امرأته إلا بسبب الزنا ، وتزوح بأخرى يزنى ، والذى يتزوّج بمطلقة يزنى . . الخ (الإصحاح ٣/١٩ – ١٢) .

باطرة المسخوط أنه أباح أكل الخنزير ، وكل حيوان وطعام حرمته التوراة ، ثم هم قد نقضوا شرائع التوراة كلها أولها عن آخرها .

من السبت وأعياد اليهود وغير ذلك ، وهم مع هذا العمل لا يختلفون فى أن المسيح وجميع تلاميذه بعده(١٧٣) لم يزالوا يلتزمون السبت وأعياد اليهود وفصحهم إلى أن ماتوا على ذلك ، وأن المسيح إنما أخذ ليلة الفصح وهو يفصح على سنة اليهود ، وشريعتهم فكيف هذا .. ؟ ولابد لهم من أن يضيفوا الكذب إلى المسيح جهارًا إذْ(١٧٤) أخبر أنه لم يأت لنقض التوراة ثم نقضها ، فصح أنه أتى لما أخبر أنه لم يأت له من نقضها ، وهذا كذب لا مرحل(١٧٥) عنه . ولا بدّلهم من أن يقروا أن المسيح مسخوط ، يدعى فى ملكوت السموات صغيرًا لا عظيمًا لأنه هكذا أخبر(١٧٦) عن من حلّل عهدًا صغيرًا من عهودها ، وهو قد حل عهودًا كبارًا من عهودها ، إذ حرم الطلاق وقد أباحته التوراة ونهى عن القصاص ، الذى جاءت به التوراة وقال قد قيل : العين بالعين ، والسن بالسن ، وأنا أقول لا تكافؤوا أحدًا بسيئة ، ولكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الآخر(١٧٧).

* * *

قال أبو محمد : ولابد لهم من أن يشهدوا على أنفسهم أولهم عن آخرهم ، وسالفهم عن خالفهم(١٧٨) بمعصية الله تعالى ومخالفة المسيح ، وأنهم يدعون فى ملكوت السموات صغارًا ، إذ نقضوا حكم التوراة ، أولها عن آخرها ، ولا يمكنهم ههنا دعوى النسخ ألبتة ،لأنهم حكوا كما أوردنا عن المسيح أنه قال : أقول لكم : إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد « يا » واحدة ولا حرف واحد ، من التوراة حتى يتم الجميع . فمنع من النسخ جملة ،وإن فى هذا لعجبًا لا نظير له ، وحمقًا وضلالًا ما كنا نصدق بأن أحدا يدين به ، لولا أنا(١٧٩) شاهدناهم ونسأل الله السلامة .

ثم ذكر فى الباب الثامن عشر من إنجيل متى أن المسيح قال للحواريين الاثنى عشر بأجمعهم وفى جملتهم يهوذا الاشكريوطا الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما : كل ما حرمتموه على(١٨٠)

---

(١٧٣) فى (خ) : سقطت كلمة (بعده) .
(١٧٤) فى (خ) : (إذا) .
(١٧٥) فى (أ ، ب) : (لا مدخل) وهو تحريف .
(١٧٦) فى (أ ، ب) : (أخبر هو) .
(١٧٧) فى (أ ، ب) : [الأيسر] .
(١٧٨) فى (خ) : سقطت (عن خالفهم) .
(١٧٩) فى (خ) : (ولو أننا شاهدناهم) .
(١٨٠) فى (أ ، ب) : (فى) بدلًا من (على) .

الأرض يكون محرمًا فى السماء ، وكل ما حللتموه على الأرض يكون محللا فى السماء .

وفى الباب السادس عشر من إنجيل متّى أنه قال هذا القول لباطرة وحده .

قال أبو محمد : وهذا تناقض عظيم ، كيف يكون التحليل والتحريم للحواريين ، أو لباطرة مع قوله إنه لم يأت لتبديل التوراة لكن لإتمامها .. ؟ وأنه من نقض عهدًا من عهودها صغيرًا دُعى فى ملكوت السموات صغيرًا ، وأن السماء والأرض تبيدان قبل أن تبيد من التوراة « يا » واحدة أو حرف واحد ، ولئن كان صدق فى هذا فإن فى نص التوراة أن الله قد لعن من صُلب فى خشبة ، وهم يقولون إنه صلب فى خشبة ، ولا شك فى أن باطرة وشمعون أخوا يوسف ، وأندرياش أخو باطرة ، وفليش وبولش صلبوا فى الخشب . فعلى قول المسيح عليه السلام لا يبيد شىء من التوراة حتى يتم جميعها ، فكل هؤلاء ملعونون بلعنة الله تعالى . فاعجبوا لضلال هذه الفرقة المخذولة ، فما سمع بأطمّ من هذه الفضائح أبدًا(١٨١).

(١٨١) سقطت كلمة (أبدًا) من (خ) .

« فصــل »

وفى الرابع[١٨٢] من إنجيل متّى :أن المسيح قال لهم أنا أقول لكم : كل من سخط على أخيه بلا سبب فقد استوجب القتل ، وإن أضرت إليك عينك اليمنى فافقأها وأذهبها عن نفسك ، فذهابها عنك أحسن من إدخال جميع[١٨٣] جسدك الجحيم . وإن أضرّت يدك اليمنى إليك فابرأ منها ، فذهابها منك أحسن من إدخال جميع[١٨٤] جسدك النّار .

قال أبو محمد : وهذه شرائع يقرّون أن المسيح عليه السلام أمرهم بها كلهم[١٨٥] بلا خلاف من أحد منهم لا يرون القضاء بشيء منها ، فهم على مخالفة المسيح بإقرارهم ، وهم لا يرون الختان ، والختان كان ملة المسيح ، وكان مختونا . والمسيح وتلاميذه لم يزالوا إلى أن ماتوا يصومون صوم اليهود ، ويفحصون فحصهم ، ويلتزمون السبت إلى أن ماتوا ، وهم قد بدّلوا هذا كله ،وجعلوا مكان السبت الأحد وأحدثوا صومًا آخر[١٨٦]، « بعد أزيد من مائة عام بعد رفع المسيح ، فكفى بهذا كله ضلالا وكفرًا ، وليس منهم أحد يقدر على إنكار شيء من هذا .

فإن قالوا : إن المسيح أمرهم باتباع أكابرهم قلنا : لا عليكم ، أرأيتم لو أن بطارقتكم اليوم أجمعوا على إبطال ما أحدثته بطارقتكم بعد مائة عام من رفع المسيح وأحدثوا صيامًا آخر ويوما آخر

(١٨٢) فى (أ ، ب) : (وفى الرابع عشر) وقد جاء هذا النص فى إنجيل متى الحالى فى (الإصحاح الخامس لا الرابع ولا الرابع عشر : الفقرات من ٢٢ - ٣١) .
(١٨٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (جميع) .
(١٨٤) فى (أ) : سقطت كلمة (جميع) .
(١٨٥) فى (أ ، ب) : (وكفهم) وهو تحريف ظاهر .
(١٨٦) فى (خ) : سقط الكلام من قوله (بعد أن أزيد إلى صيامًا آخر) .

غير يوم الأحد وفصحا آخر ، وردّوكم[١٨٧] إلى ما كان عليه المسيح من تعظيم السبت وصوم اليهود ، وفصحهم أكان يلزمكم اتباعهم ؟ فإن قالوا : لا ، قلنا :ولم ؟ وأى فرق بين اتباع أولئك – وقد خالفوا ما مضى[١٨٨] عليه – الحواريين وبين اتباع هؤلاء فيما أحدثوه آنفا ؟ فإن قالوا : إن أولئك لعنوا ومنعوا من تبديل ما شرعوا . قلنا لهم : وأىّ لعن وأى منع أعظم من منع المسيح من تبديل شيء من عهود التوراة ؟ ثم قد بدّله من أطعتموه فى تبديله له ، فقد صار منع من بعد المسيح أقوى من منع المسيح .

وإن قالوا : نعم كنا نتبعهم . أقرّوا أن دينهم لا حقيقة له ، وأنه إنما هو اتباع ما شرعه أكابرهم ، من تبديل ما كانوا عليه . ويقال لهم : أرأيتم إن أحدث بعض بطارقتكم شرائع وأحدث الآخرون منهم شرائع[١٨٩] أخرى ، ولعنت كل طائفة منهم من عمل بغير ما شرعت ، كيف تكون الحال ؟ فأىّ دين أنتن وأوسخ ، أو أضل أو أفسد ، مِنْ دينٍ هذه صفته ؟ ولقد كان لهم فيما أوردناه فى هذا الفصل كفاية فى بطلان كل ما هم عليه لو كان لهم مسكة عقل ، وحق لكل دين مرجعه إلى متّى الشرطى ويوحنا المستخف ، ومارقش المزيد[١٩٠] ولوقا الزنديق ، وباطرة اللعين ، وبولش المدسوس[١٩١] للإضلال لهم فى دينهم أن تكون هذه صفته ، والحمد لله على عظيم نعمته علينا .

---

(١٨٧) فى (خ) : زيادة (ويقال لهم : أرأيتم لو أن غيرهم ردوكم) .
(١٨٨) فى (أ ، ب) : (ما نص) .
(١٨٩) العبارة فى الأصل (وأحدث الآخرون منهم آخر) والمعنى عليه لا يستقيم .
(١٩٠) فى (أ ، ب) : (المرتد) .
(١٩١) فى (أ ، ب) : (الموسوس) .

« فصــل »

وفى الباب الخامس من إنجيل متّى : أن المسيح عليه السلام قال لهم : ليكن دعاؤكم على ما أصف لكم : يا أبانا السماوى تقدس اسمك ثم قال بعد ذلك[١٩٢]: وقد علم أبوكم أنكم ستحتاجون[١٩٣] إلى جميع هذا . وفى آخر الإنجيل أنه قال لهم : إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ، إلهى وإلهكم فما ترى للمسيح من البُنُوة لله تعالى إلا ما لسائر الناس ولا فرق ، فمن أين خصوه[١٩٤] بأنه ابن الله دون سائرهم كلهم ؟ إلا أن كذبوه فى هذا القول . فليختاروا أحد الأمرين ولا بد . ثم من أين خصوا كل من سوى المسيح بأن الله تعالى إلهه ، ولم يقولوا : إن الله إله المسيح كما قال هو بلسانه ، فلابدّ ضرورة من الإقرار بأن الله هو إله المسيح ، وأن سائر الناس أبناء الله أو يكذبوا[١٩٥] المسيح فى نصف كلامه ،وحسبك بهذا فسادًا وضلالًا تعالى الله أن يكون أبا لأحد ، أو أن يكون له ابن لا المسيح ولا غيره ،بل هو تعالى إله المسيح ، وإله كل من هو غير المسيح أيضًا .

---

(١٩٢)فى (خ) : سقطت كلمة (ذلك) .

(١٩٣) فى (خ) : ستحاجون .

(١٩٤) فى (أ ، ب) : (حصره) .

(١٩٥) فى (خ) : (أو مكذبوه) .

« فصـــل »

وكثيرًا ما يحكمون[١٩٦] فى جميع الأناجيل فى غير ما موضع أنه إذا أخبر المسيح عن نفسه سمى نفسه ابن الإنسان ، ومن المحال والحمق أن يكون إله[١٩٧] ابن إنسان ، أو أن يكون ابن إله وابن إنسان معًا ، أو أن يلد إنسان إلها ، ما فى الحمق والمحال والكفر أكثر من هذا . ونعوذ بالله من الضلال .

---

(١٩٦) فى (أ ، ب) : (يحكون) .
(١٩٧) فى (أ ، ب) : (الإله) .

إحياء المسيح الموتى بإذن الله

« فصــل »

وفى الباب التاسع من إنجيل متّى « فبينا يسوع يقول هذا[١٩٨]: أقبل إليه أحد أشراف ذلك الموضع وقال له : إن ابنتى توفيت وأنا أرغب إليك أن تذهب إليها ، وتمسها بيديك[١٩٩] لتحيا » ثم ذكر أنه لما دخل بيت القائد ونظر[٢٠٠] بالنوائح والبواكى قال لهن : اسكتن فإن الجارية لم تمت ولكنها راقدة ، فاستهزأت الجماعة به . ولما خرجت الجماعة عنها دخل عليها فأخذ بيدها ثم أقامها حية[٢٠١]. وذكر هذه القصة نفسها فى الباب السابع من إنجيل لوقا ، إلا أنه قال فيها : إن أباها قال له قد أشرفت على الموت وأنه نهض معه فلقيه رسول يخبره بأن الجارية قد ماتت ، فلا تُعَنَّه وأن المسيح قال لأبيها : لا تخف وآمن فتحيا . فلما بلغ البيت لم يدخل مع نفسه فى البيت إلا باطرة ويحيى ويعقوب وأبوى الجارية ، وكانت الجماعة تبكى وتلتدم[٢٠٢] فقال لهم : لا تبكوا فإنها راقدة وليست ميتة ، فاستهزؤوا به معرفة ، بموتها فأخذ بيدها ودعاها وقال يا جارية قومى فانصرف[٢٠٣] فيها روحها ،وقامت من وقتها وأمرت[٢٠٤] بأن تطعم طعامًا وحار أبوها[٢٠٥] وأمرهما ألا يعلم[٢٠٦] أحد

---

(١٩٨) فى (أ ، ب) : (إذ) .
(١٩٩) فى (أ ، ب) : (بيدك) .
(٢٠٠) فى (أ ، ب) : (وأبصر) .
(٢٠١) إنجيل متى : (الإصحاح ٩ الفقرات من ١٨ – ٢٦) .
(٢٠٢) تلتدم . وفى إنجيل لوقا (ويلطمون) . واللدم : اللطم والضرب بشىء ثقيل (قاموس) .
(٢٠٣) فى (أ ، ب) :(فانصرف عنها زوجها) وهو تحريف .
(٢٠٤) فى (أ ، ب) : (وأمر) .
(٢٠٥) فى (أ ، ب) : « وجاء أبواها » .
(٢٠٦) فى (أ) : (ألا يعلما) (راجع إنجيل لوقا : الإصحاح ٨ الفقرات من ٤١ – ٥٦) .

بما فعل . وذكر مثل ذلك فى الباب الخامس من إنجيل[٢٠٧] مارقش .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل مصائب جمة أحدها : كان يكفى فى أنه إنجيل موضوع مكذوب اولها حكايتهم عن المسيح أنه كذب جهارًا إذ قال لهم لم تمت إنما هى[٢٠٨] راقدة ليست ميتة فإن كان صادقًا فى أنها ليست ميتة ، فلم يأت بآية ولا بعجيبة ، وحاشى لله أن يكذب نبى فكيف إله .. ؟ !! وليس لهم أن يقولوا : إن الآية هى إبراؤها من الإغماء ، لأن فى نص إنجيلهم أنه قال لأبيها : آمن فتحيا ابنتك ، فلابد من الكذب فى أحد القولين .

والثانية : أن متّى ذكر أن أباها جاء إلى المسيح وهى قد ماتت وأخبره بموتها ودعاه ليحيها ، ولوقا يقول : إن أباها أتى إلى المسيح وهى مريضة لم تمت وأتى به ليبرئها بعد ، وأن الرسول لقيه فى الطريق وقال له : لا تُعَنِّه فقد ماتت ، فأحد النذلين كاذب بلا شك ، فعليهما لعائن الله وسخطه فلا يجوز أخذ الدين عن كذاب .

والثالثة ، انفراد المسيح عن الناس عند مجيئة بهذه الآية حاشى ، أبويها وثلاثة من أصحابه ، ثم استكتامه إياهم ذلك ، والآيات لا يطلب لها الخلوات ولا تستر عن الناس ، وفى الأناجيل مثل هذا كثير ، من أنه لم يقدر فى بعض الأوقات على آية مرة بحضرة بلاطس ، ومرة بحضرة اليهود ، وأنه قال لمن طلب منه آية : إنكم لا ترون آية إلا آية يونس عليه السلام ، إذ بقى فى بطن الحوت ثلاثا ، وما كان هكذا فإنما هى أخبار مسترابة وكذبات مفتعلة ، ونقل عن من لا خير فيه ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٠٧) راجع إنجيل مرقس : (الإصحاح الخامس الفقرات من ٢٢ - ٤٣) .
(٢٠٨) فى (أ ، ب) : (حية راقدة) .

أسماء الحواريين وإعطائهم سلطاناً

« فصـــل »

وفى الباب العاشر من إنجيل متّى أن المسيح جمع إلى نفسه اثنى عشر رجلًا من تلاميذه ، وأعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة ، أن ينفوها وأن يبرءوا كل مرض وهذه أسماؤهم .

أولهم[٢٠٩] شمعون المسمّى باطرة ، واندرياش أخوه ، ويعقوب بن سيذاى ، ويحيى[٢١٠] أخوه ، وفلبش[٢١١] وبرتلوما وطوما ومتّى بن الجابى[٢١٢] ويعقوب ويهوذا أخوه ، وشمعون الكنعانى ، ويهوذا الاشكريوطا الذى دل عليه بعد ذلك فبعث يسوع هؤلاء الاثنى[٢١٣] عشر ، وقال لهم : لا تسلكوا فى سبيل الأجناس ، ولا تدخلوا مدائن السامريين ، ولكن اختصروا[٢١٤] إلى الضأن التالفة من بنى إسرائيل .

ففى هذا الفصل طامتان إحداهما : قوله : إنه أعطى أولئك الإثنى عشر وسماهم بأسمائهم كلهم سلطانًا على الأرواح النجسة ، وأن يبرءوا كل مرضى ، وسمى فيهم يهوذا ولم يَدع للإشكال وجها ، بل صرح بأنه الذى دلّ عليه بعد ذلك اليهود حتى أخذوه وصلبوه بزعمهم ،وضربوه بالسياط ، ولطموه والتهوا[٢١٥] به ، وكذبوه لعنهم الله تعالى ، فكيف يجوز أن يقرب الله تعالى ويعطى

---

(٢٠٩) فى (خ) : سقطت كلمة (أولهم) .
(٢١٠) فى (أ ، ب) : (ويوحنا) بدلًا من يحيى .
(٢١١) فى (أ ، ب) : (وفلبس) .
(٢١٢) فى (أ ، ب) : (ومتى الحالى) بعير (أين) .
(٢١٣) أسماء الأثنى عشر كما وردت فى إنجيل متى هى : الأول سِمْعان الذى يقال له بطرس ، وأندراوس أخوة ، فيلُبّس ، برثولماوُس ، توما ومتى العشار ، يعقوب بن حَلْفى ، ولبّاوس الملقب تدّاوس وسِمْعان القانوى ، ويهوذا الأُسخريوطى الذى أسلمه (الإصحاح العاشر : ١/٤) .
(٢١٤) فى (أ ، ب) : (احتضروا) بالتاء المثناة والضاد .
(٢١٥) فى (أ ، ب) : (واستهزءوا به) .

السلطان على الجن والإبراء من كل مرضى .. ؟ من يدرى أنه هو الذى يدل عليه ويكفر بعد ذلك ، هذا مع قول يوحنا : (من سرقة يهوذا[٢١٦] وخبث باطنه) فى إنجيله أن يهوذا المذكور كان سارقًا ، وأنه كان يخطف كل ما يهدى إلى المسيح ، ويذهب به فلابد ضرورة من أحد وجهين بلا ثالث أصلًا .

إما أن يكون المسيح اطلع على ما اطلع عليه يوحنا من سرقة يهوذا وخبث باطنه ، وأعطاه مع ذلك الآيات المعجزات ، وجعله واسطة بينه وبين الناس ، وجعل له أن يحرم ويحلّل فيكون ما حلل وحرم محرَّما ومحللًا فى السموات ، فهذه مصيبة وترفيع[٢١٧] بالكفار ، وتقديم لمن لا يستحق وسخرية بالدّين ، وليس هذا صفة إله ولا من فيه خير ، أو يكون خفى على المسيح من خبث نية يهوذا ما عرف غيره ، فهذه عظيمة من[٢١٨] إله يجهل ما خلق . فهل سمع قط بأحمق من هذه القصص وممن يعتقدها حقًّا .. ؟ !!

والثانية : قوله لا تسلكوا فى سبيل الأجناس ، ولا تدخلوا مدائن السامريين ، واختصروا إلى الضأن المبددة من نسل إسرائيل ، وأنه لم يبعث إلا إلى الضأن التالفة من بنى إسرائيل ، وهذا إنما أمرهم بأن يكملوه بعد رفعه بإقرارهم كلهم ، أنه طول كونه فى الأرض لم يفارقه أحد منهم ، ولا نهضوا داعين إلى بلد آخر ألبتة ، فقد خالفوا أمره[٢١٩] وعصوه ؛ لأنهم[٢٢٠] لم يذهبوا إلا إلى الأجناس ، فهم عصاة لله تعالى فساق بإقرارهم .

---

(٢١٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله : من سرقة يهوذا وخبث باطنه .
(٢١٧) فى (أ ، ب) : (وتوقيع) .
(٢١٨) فى (أ ، ب) : (أن يكون الإله) .
(٢١٩) فى (أ ، ب) : (خالفوه) .
(٢٢٠) فى (خ) : (لأنه) .

« فصل »

وفى هذا الباب نفسه[٢٢١] أن المسيح قال لتلاميذه : وإذا طُلبتم فى هذه المدينة فاهربوا إلى أخرى آمين ، أقول لكم : لا تستوعبوا مدائن بنى إسرائيل ، حتى يأتى ابن الإنسان – يعنى رجوعه إلى الدنيا – ظاهرًا بعد رفعه إلى جميع الناس[٢٢٢].

وفى الباب السابع من إنجيل مارقش ، وفى أول الباب التاسع من إنجيل لوقا ، أن المسيح قال لهم : إن من هؤلاء الوقوف بعض قوم لا يذوقون الموت ، حتى يروا ملك الله مقبلًا بقدرة[٢٢٣].

قال أبو محمد : وكذب هذا القول[٢٢٤] قد ظهر علانية ، فقد استوعبوا مدائن بنى إسرائيل وغيرها ، ولم يروا ما وعدهم به من رجوعه بالقدرة علانية قبل أن يموت كل من بحضرته يومئذ ، وحاشا لله أن يكذب نبى ، فكيف إله ..؟ !! وفى هذا الفصل وحده كفاية لو كان عقل[٢٢٥] فى أن الذين كتبوا هذه الأناجيل كانوا كذابين قوم سوء ، فإن قالوا : فإن فى صحيح حديثكم أن نبيكم ﷺ قال وأشار إلى غلام بحضرته من بنى النجار إن استكمل هذا عمره أدرك الساعة ،

---

(٢٢١) فى (أ) : بإقرارهم .

(٢٢٢) النص كما فى إنجيل متّى : « ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى ، فإنى الحق أقول لكم لا تكلمون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان (الإصحاح ١٠/٢٣) .

(٢٢٣) النص كما فى إنجيل مرقس : « الحق أقول لكم : إن من القيام ها هنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى (الإصحاح ٨/٣٩) .

(٢٢٤) فى (أ ، ب) : المقول .

(٢٢٥) فى (أ ، ب) : (لو كان ثم عاقل) .

فمات ذلك الغلام فى حد الصبا[٢٢٦] وإنه كان يقول للأعراب إذا سألوه متى تقوم الساعة ؟ فيشبر إلى أصغرهم ويقول : إن استكمل[٢٢٧] هذا عمره لم يأته الموت حتى تقوم الساعة » قلنا : هذا الغلط غلط فيه قتادة[٢٢٨] ومعبد[٢٢٩] بن هلال ، فحدثا به عن أنس[٢٣٠] على ما توهماه من معنى الحديث ، ورواه ثابت بن مسلم[٢٣١]، البنانى عن أنس كما قاله رسول الله ﷺ بلفظه[٢٣٢] فقال : قامت عليكم ساعتكم » وهكذا رواه الثقات أيضًا عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبى ﷺ كما رواه ثابت عن أنس وقالت : إنه عليه السلام قال إن هذا لا يستوفى عمره حتى تقوم عليه ساعتكم يعنى وفاة أولئك المخاطبين له ، وهذا هو الحق الذى لا شك فيه ، ولا خلاف من [٢٣٣] أن ثابتا البنانى أثقف لألفاظ الأخبار من قتادة ومعبد ، فكيف وقد وافقته أم المؤمنين .. ؟ ونحن لا ننكر غلط الراوى[٢٣٤] إذا قام البرهان على أنه خطأ ، وقد صح فى القرآن والأخبار الثابتة من طريق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وابنه وغيرهما عن النبى ﷺ أنه لا يدرى أحد[٢٣٥] متى تقوم الساعة ، غير الله تعالى » ولو قال النصارى واليهود مثل هذا فى نقلة كتبهم ما عنفناهم ، ولا أنكرنا عليهم وجود الغلط فى نقلهم ، وإنما ننكر عليهم أن ينسبوا – يعنى اليهود والنصارى –

---

(٢٢٦) نص الحديث كما حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة ؟ وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد . فقال رسول الله ﷺ : « إن يعش هذا الغلام فعسى ألا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » (صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – الحديث ١٣٧) .

(٢٢٧) فى (أ ، ب) : يستكمل .

(٢٢٨) قتادة : هو أبو الخطاب قتادة ، دعامة بن عزين بن عمر بن ربيعة بن عمرو بن الحرس ابن سدوس البصرى . كان من كبار العلماء التابعين ، قال أبو عبيدة : ما كنا نفقد فى كل يوم راكبًا من ناحية بنى أمية على باب قتادة يسأله عن خبر أو نسب أو شعر . وقال : قتادة أجمع الناس . قال معمر : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى : « وما كنّا مقرنين » فلم يجبنى . فقلت : إنى سمعت قتادة يقول (مطيقين) . فسكت . فقلت ما تقول يا أبا عمرو ؟ فقال : حسبك قتادة فلولا كلامه فى القدر – وقد قال ﷺ : « إذا ذكر القدر فأمسكوا » – لما عدلت به أحدًا من أهل دهره . ولد قتادة سنة ٦٠ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ وقيل سنة ١١١ هـ (دائرة معارف القرن العشرين – دار المعارف – بيروت) .

(٢٢٩) هو معبد بن هلال العنزى البصرى . روى عن عقبة بن عامر الجهنى وأنس بن مالك والحسن البصرى ، ونفيع أبى داود الأعمى ، وعن رجل من أهل الشام . روى عنه قتادة . قال الدورى عن ابن معين : مشهور . وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين : ثقة . وذكره ابن حبان فى الثقات . (تهذيب التهذيب : دار صادر بيروت ١٩٦٨) .

(٢٣٠) هو : أنس بن مالك بن النضر الخزرجى الأنصارى من أصحاب رسول الله عليه السلام ، وقد كان عمره فى بدء الهجرة النبوية عشر سنين فلهذا لم يقاتل فى بدر . وروى الإمام البخارى أن أنسا رضى الله عنه شهد مع النبى ﷺ ثمانى غزوات ، ثم شهد – بعد التحاق الرسول العظيم بالرفيق الأعلى – سائر الغزوات والفتوح الإسلامية ، وكان من المكثرين لرواية الحديث ، فقد روى له من الحديث ستة وثمانون ومائتا ألف حديث . وسكن البصرة بعد فتحها ، وتوفى بها سنة ٩٣ هـ (الاستيعاب : ١) بتصرف .

(٢٣١) هو أبو محمد البصرى ، قال ابن علية إنه مات سنة ١٢٧ هـ . وقال جعفر بن سليمان سنة ١٢٣ هـ قال ابن حبان فى الثقات : إنه كان من أعبد أهل البصرة ، يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة ، ويصوم الدهر ، وكان ثقة مأمونا . توفى فى ولاية خالد القسرى (تهذيب التهذيب لابن حجر – دار صادر بيروت) .

(٢٣٢) فى (خ) : سقطت كلمة (بلفظه) .

(٢٣٣) فى (أ ، ب) : (فى أن) .

(٢٣٤) فى (أ ، ب) : (غلط الرواة) .

(٢٣٥) فى (أ ، ب) : لا يدرى متى تقوم الساعة .

إلى الله تعالى الكذب البحت ، ويقطعون أنه من عنده تعالى وننكر على النصارى أن يجعلوا من صح عنه الكذب معصومًا ، يأخذون عنه دينهم ، وأن يحققوا كل خبر متناقض وكل قضية يكذِّب بعضها بعضًا . ونعوذ بالله من الخذلان .

« فصــل »

وفى هذا الباب نفسه أن المسيح قال لهم : لا تحسبوا أنى جئت لأدخل بين أهل الأرض الصلح إلا السيف وإنما قدمت لأفرق بين المرء وزوجه[٢٣٦] وابنه ، وبين الابنة وأمها ، وبين الكنَّة وختنتها ، وأن يعادى المرء أهل خاصته[٢٣٧].

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل لوقا أن المسيح قال لهم : إنما قدمت لألقى فى الأرض نارًا وإنما إرادتى[٢٣٨] إشعالها ولنغطس[٢٣٩] فيها جميعها ، وأنا بذلك منتصبُ[٢٤٠] إلى تمامه أتظنون أنى أتيت لأصلح بين أهل الأرض[٢٤١]؟ ولكن لأفرق بينهم فيكون خمسة مفترقين فى بيت ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة ، الأب على الولد والولد على الأب والابنة على الأم والأم على الابنة ، والختنة على الكنة والكنة على الختنة[٢٤٢] فهذان فصلان كما ترى .

وفى الباب التاسع من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام قال : لهم لم نبعث لتلف الأنفس لكن لسلامتها[٢٤٣].

---

(٢٣٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وزوجه) .

(٢٣٧) هامش مكرر .

(٢٣٨) فى (أ ، ب) : (أراد لى) النص : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ، فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضدّ حماتها . وأعداء الإنسان أهل بيته . (إنجيل متّى : الإصحاح ١٠/٤ - ٢٦) .

(٢٣٩) فى (أ ، ب) : (والتعطش) .

(٢٤٠) فى (خ) : (منتصف) .

(٢٤١) فى (أ ، ب) : بزيادة (لا) .

(٢٤٢) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح ١٢/٤٩ - ٥٣) .

(٢٤٣) النص : لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص : إنجيل لوقا : (الإصحاح ٩/٥٦) .

وفى الباب العاشر من إنجيل يوحنا ان المسيح قال : من سمع كلامى ولم يحفظه فلست أحكم أنا عليه فإنى لم آت لأحكم على الدنيا ، وأعاقبها لكن لأسلم[٢٤٤] أهل الدنيا .

قال أبو محمد : هذان الفصلان ضد الفصلين اللذين قبلهما ،وكل واحد من المعنيين يكذب الآخر صراحًا ، فإن قيل إنه إنما أراد[٢٤٥] أنه لم يبعث لتلف الأنفس ، التى آمنت به . قلنا : قد عمّ ولم يخصّ ، وبرهان بطلان تأويلكم هذا من أنه إنما عَنى أنه لم يبعث لتلف النفوس المؤمنة به أنّها[٢٤٦] نص هذا الفصل . فى الباب التاسع من إنجيل لوقاهو كما نورده إن شاء الله تعالى قال عن المسيح : إنه بعث بين يديه رسلًا وجعلوا طريقهم على السامرية ليعدوا له بها فلم يقبلوه لتوجهه إلى برشلام ، فلما رأى ذلك يوحنا ويعقوب قالا له : يا سيدنا أيوافقم أن تدعو فتنزل عليهم نار من السماء وتحرق عامتهم كما فعل إلياس .. ؟[٢٤٧] فرجع إليهم وانتهرهم وقال : الذى أنتم له أرواح لم يبعث الإنسان لتلف الأنفس ، لكن لسلامتها ثم توجهوا إلى حصن آخر .

قال أبو محمد : فارتفع الإشكال وصح أنه لم يعن بالأنفس التى بعث لسلامتها بعض النفوس دون بعض ، لكن عنى كل نفس كافرة به ومؤمنة به لأنه كما تسمعون[٢٤٨] إنما قال ذلك إذا أراد أصحابه هلاك الذين لم يقبلوه ، فظهر تكاذب الكلام الأول ، وحَاشا لله أن يكذب[٢٤٩] المسيح عليه السلام ، لكن الكذب بلا شك من الفساق الأربعة الذين كتبوا تلك الأناجيل المحرّفة المبدلة .

ثم فى هذا الفصل نصٌّ جلىٌّ على أنه مبعوث مأمور ، فصح أنه نبى كما يقول أهل الحق إن كانوا صدقوا فى هذا الفصل وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٤٤) فى (أ ، ب) : [إلى تبليغ] .
(٢٤٥) فى (أ) : سقطت كلمة (أراد أنه) .
(٢٤٦) فى (ط) : (إنه نص) .
(٢٤٧) إلياس : هو ابن أخى هارون أخى موسى عليه السلام وقد أشار إليه القرآن فى قوله تعالى : « وزكريا ، ويحيى وإلياس كل من الصالحين » (الأنعام : ٨٥) .
(٢٤٨) فى (أ ، ب) : (لا كما يسمعون) .
(٢٤٩) فى (أ ، ب) : (الرسول المسيح) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور نفسه أن المسيح قال : من قبل نبيا على اسم نبى فإنه يكافأ بمثل أجر النبى[٢٥٠].

قال أبو محمد : وهذا كذب ومحال ، لأنه لا تفاضل للناس عند الله تعالى فى الآخرة ، إلا بأجورهم التى يعطيهم الله تعالى فقط ، لا بشيء آخر أصلًا ، فمن كان أجره فوق أجر غيره فهو بالضرورة أفضل منه ، والآخر بلا شك دون ، ومن كان أجره مثل أجر آخر فهما بلا شك سواء فى الفضل ، هذا يعلم ضرورة بالحس ، فلو كان كل من اتبع نبيًا له مثل أجر النبى لكان أهل الإيمان كلهم فى الآخرة سواء لا فضل لأحد على أحد عند الله تعالى ، وهذا يعلم أنه كذب ومحال بالضرورة ، ولو كان هذا لوجب أن يكون أجر كل كلب[٢٥١] من النصارى مثل أجر باطره والتلاميذ وبولش ومارقش ولوقا ، وليس منهم أحد يقول بهذا ، ولا يدخله فى الممكن فكلهم متفق على أن إلههم كذب ،وحاشا لله من أن يكذب نبى من أنبيائه ، أو رجل صادق من أهل الإيمان وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٥٠) النص : « من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ » (إنجيل متى : الإصحاح ٤١/١٠) .
(٢٥١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كلب) .

الكلام فى يحيى عليه السلام

« فصـــل »

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل متّى أن المسيح عليه السلام قال وقد ذكر يحيى بن زكريا أنا أقول لكم : إنه أكثر من نبى وهو الذى قيل فيه وأنا باعث ملكى بين يديك ليعد لك[٢٥٢] طريقك .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل كذب فى موضعين .

أحدهما : قوله فى يحيى إنه أكثر من نبى وهذا محال ، لأنه لا يخلو يحيى وغير يحيى منس إلا أن يكون رسولا نبيا ، ويحيى رسول بإجماعهم ، وإن كان لم بوح إليه فهذه منزلة يستوى فيها الكافر والمؤمن ، ولا يجوز أن يكون من لا يوحى الله تعالى إليه مثلا لمن[٢٥٣] استخصه عز وجل بالوحى إليه ،فكيف أن يكون أكثر منه .. ؟

والكذبة الثانية : قوله إن يحيى هو الذى قيل فيه وأنا باعث ملكى بين يديك لأن يحيى عليه السلام على هذا[٢٥٤] ملك ، وهذا كذب بحت لأنه إنسان ابن رجل وامرأة ، عاش إلى أن قتل ،

---

(٢٥٢) النص : لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبيا . نعم أقول لكم وأفضل من ببى . فإن هذا الذى كتب عنه . هأنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمذان . ولكن الأصغر فى ملكوت السماوات أعظم منه (إنجيل متى - الإصحاح ١١/٩ - ١٢) فيوحنا هو يحيى .

(٢٥٣) فى (أ ، ب) : [مثل من استخلصه] .

(٢٥٤) فى (أ ، ب) : [على هذا القول] .

وليس هذا صفة الملك ، ويحيى لم يكن ملكًا . وفى هذا الفصل الذى[٢٥٥] بعد هذا أنه قال : إن يحيى آدمى فهذا القول كذب على كل حال ، وحاشا لله أن يكذب نبى ، ولا رجل فاضل ، وصح أن متّى الشرطى النذل هو الذى كذب ، فعليه ما على الكذابين أمثاله .

(٢٥٥) فى (أ ، ب) : (لكن بعد هذا) وهو تحريف .

« فصــل »

وفى الباب المذكور ، أن المسيح قال لهم : آمين أقول لكم لم يولد أحد من الآدميين أشرف من يحيى المعمَّد ، ولكن من كان صغيرًا وفى ملكوت السماء فهو أكبر منه .

قال أبو محمد : تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم ،وقرة عيون الأعداء ، وقولا[٢٥٦] لا يمكن أن يقوله ولا يَنْطِقُ به صَبِىُ ، يرجى فلاحه ، ولا أمَة وكفاء[٢٥٧] إلا أن تكون مدخولة . العقل ،أثبت أنه لم يولد فى الآدميين أشرف من يحيى .. ؟ وإذا كان كما زعم أن الصغير فى ملكوت السماء أكبر من يحيى ، فكل مؤمن[٢٥٨] يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أفضل[٢٥٩] من يحيى ، فوجب من هذا أن كل مؤمن من بنى آدم فهو أفضل من يحيى ، وأن يحيى أرذل وأصغر من كل مؤمن . فما هذا الهوس .. ؟ وما هذا الكذب وما هذا العيارة[٢٦٠] السمجة فى الدين .. ؟وكم هذا التناقض .. ؟ والله ما قال المسيح قط شيئًا من هذه الرعونة ، وما قالها إلا الكذاب متَّى ونظراؤه عليهم اللعنة[٢٦١]، فلقد كانوا فى غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين .

---

(٢٥٦) فى (أ ، ب) : (وهو لا يمكن) .
(٢٥٧) فى (أ ، ب) : (وكعاء) بالعين وهو تحريف . والوكفاء الفاسدة (قاموس) .
(٢٥٨) فى (أ ، ب) : (فكل من يدخل) .
(٢٥٩) فى (أ ، ب) : (أكبر) .
(٢٦٠) فى (أ ، ب) : (العباوة) .
(٢٦١) فى (أ ، ب) : (لعنة الله) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور : أن المسيح قال لهم : كل كتاب ونبوة فإن منتهاها إلى يحيى .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل كذبتان على صغره . إحداهما : قوله قيل : إن يحيى[٢٦٢] أكثر من نبى مع ما فى الإنجيل من أن يحيى سُئِل فقيل له[٢٦٣] أنبىٌّ أنت ؟ قال : لا . وقال ههنا ، إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى ، فمرة ليس هو نبيا ، ومرة هو نبى[٢٦٤] الأنبياء ، ومرة هو أكثر من نبى ،تبارك الله كم هذا التخليط والكذب الفاحش .. ؟ !!

والأخرى قوله : فيه إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى ، وليس بعد النهاية[٢٦٥] نبى فهو على هذا آخر الأنبياء .

وفى الباب الرابع عشر من إنجيل متَّى : أن المسيح قال لهم : أنا باعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون ، فقد كذب[٢٦٦] بأن يحيى آخر الأنبياء ، ومنتهى النبوة إليه ، والنصارى مقرُّون بأنه قد كان بعده أنبياء ، وأن نبيا أتى إلى بولش وأنذره بأنه سيصلب . ذكر ذلك لوقا فى الافركسيس . فقد حصلوا على تكذيب المسيح فى قوله وفى بعض هذا كفاية .

---

(٢٦٢) فى (أ ، ب) : (أن يحيى أكبر) .

(٢٦٣) فى (ط) : سقطت كلمة (له) .

(٢٦٤) فى (أ ، ب) : (آخر الأنبياء) .

(٢٦٥) فى (أ ، ب) : (وليس بعد النهاية شيء) .

(٢٦٦) فى (أ ، ب) : (كذب القول) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور أن المسيح قال لهم : أتاكم يحيى وهو لا يأكل ، ولا يشرب ، فقلتم هو مجنون ، ثم أتاكم ابن الإنسان يعنى نفسه[٢٦٧] فقلتم : هذا جواف[٢٦٨] شروب الخمر ، خليع صديق المستخرجين والمذنبين[٢٦٩].

قال أبو محمد : فى هذا كذب وخلاف[٢٧٠] للنصارى ، أما الكذب ، فإنه قال ههنا : إن يحيى كان لا يأكل ولا يشرب ، حتى قيل فيه : إنه مجنون من أجل ذلك .

وفى الباب الأول من إنجيل مارقش : أن يحيى بن زكريا عليهما السلام هذا كان طعامه الجراد ، والعسل الصحراوى[٢٧١]، وهذا تناقض ، وأحد الخبرين كذب بلا شك ، وأما خلاف قول النصارى فإنه ذكر أن يحيى كان لا يأكل ولا يشرب ، وأن المسيح كان يأكل ويشرب ،وبلا شك[٢٧٢] من أغناه الله عز وجل عن الأكل والشرب من الناس فقد أبانه ورفع درجته على[٢٧٣] من لم يغنه عن الأكل والشرب منهم ، فيحيى أفضل من المسيح بلا شك على هذا .

---

(٢٦٧) ف (أ ، ب) : (يأكل ويشرب) .

(٢٦٨).ف (أ ، ب) · (حوّاں) .

(٢٦٩) النص : « لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولود فيه شيطاں جاء اىاالإنسان يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر ، محب للعشارين والحطاة ، والحكمة تبرَّرت من ىىيها (إنجيل متى · الإصحاح ١١/١٨ - ١٩) .

(٢٧٠) ف (أ ، ب) : (لقول النصارى) .

(٢٧١) النص · « وكان يوحنا يلبس وبر الإبل ومىطقة مں حلد على حقويه ويأكل حرادًا وعسلا بريا » (إنجيل مرقس . الإصحاح ط/٦ - ٨) .

(٢٧٢) ف (أ ، ب) : (أن) .

(٢٧٣) ف (أ ، ب) : (عن من) .

وقصة ثالثة : وهى اعتراف المسيح على نفسه بأنه يأكل ويشرب ، وهو عندهم إله فكيف يأكل الإله ويشرب ؟ ما فى الهوس أكثر من هذا . فإن قالوا : إن الناسوت منه هو الذى كان يأكل ويشرب . قلنا : وهذا كذب منكم على كل حال ؛ لأنه إذا كان المسيح عندكم لاهوتًا وناسوتًا معًا فهو شيئان ، فإن كان إنما أكل[٢٧٤] الناسوت وحده فإنما أكل الشىء الواحد من جملة الشيئين ، ولم يأكل الآخر ، فقولوا : إذًا أكل نصف المسيح ، وشرب نصف المسيح ، وإلا فقد كذبتم فى كل حال ، وكذب أسلافكم فى قولهم أكل المسيح ، ونسبتم إلى المسيح الكذب فى خبره[٢٧٥] عن نفسه أنه يأكل ، وإنما يأكل نصفه لاكلّه ، والقوم أنذال بالجملة .

(٢٧٤) ف (أ ، ب) : (يأكل)
(٢٧٥) (بخبره) .

« فصــل »

وفى الباب المذكور أن المسيح قال : لا يعلم الولد[٢٧٦] غير الأب ، ولا يعلم الأب غير الولد[٢٧٧]. قال أبو محمد : هذا عجب جدا ؛ لأن المسيح عندهم ابن الله بلا خلاف منهم والله تعالى – عن كفرهم – هو والد المسيح وأبوه ، وهكذا يطلق النذل باطرة فى رسائله المنتنه متى ذكر الله عز وجل قال : الله والد ربنا المسيح آمرا كذا وكذا ، ثم ههنا قال : إن المسيح قال : إنه لا يعلم الأب إلا الابن ، ولا يعلم الابن إلا الأب ، فقد وجب ضرورة أن التلاميذ وسائر النصارى لا يعرفون[٢٧٨] الله تعالى أصلًا ، ولا يعرفون المسيح ألبتة ، فهم جُهَّال بالله تعالى وبالابن ، ومن جهل الله تعالى ولم يعرفه فهو كافر ، فهم كلهم كفار أسلافهم وأخلافهم ، أو كذب المسيح فى هذا الكلام ، أو كذب النذل متّى ، لابد والله من أحدها ، وقد أعاذ الله تعالى عبده ورسوله[٢٧٩] من الكذب ، فبقيت الاثنتان وهما والـذى سمك السمـاء حق ، وأن الـنصارى لكفار[٢٨٠] جهال بالله عز وجل ، وأن الشرطى متى لكذاب[٢٨١] كافر ملعون ، فعلى جميعهم[٢٨٢]

---

(٢٧٦) ق (أ) : (لا يعلم لولد)

(٢٧٧) النص : « كل شىء دفع إلىّ من أبى ، وليس أحد يعرف الابن إلا الأب ، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن » (إنجيل متى : الإصحاح ٢٧ ٢٨) .

(٢٧٨) ق (أ ، ب) (لا يعلمون) .

(٢٧٩) ق (أ ، ب) : (المسيح) .

(٢٨٠) ق (ب) : سقطت كلمة (لكفار)

(٢٨١) ق (أ ، ب) : (منافق جاهل)

(٢٨٢) ق (ب) (ما يستحقون من الله) .

لعنة الله . نعم وفى هذا القول الملعون الذى أضافوه إلى المسيح عليه السلام القطع بأن الملائكة والأنبياء السالفين كلهم ليس منهم أحد يعرف الله تعالى ، فاعجبوا[٢٨٣] لكفر هذا اللعين متى ؟ !! وعظيم حماقته[٢٨٤] ومن قلده فى دينه ونحمد الله على السلامة[٢٨٥] كثيرًا .

---

(٢٨٣) فى (ب) : (فاعجبوا لعظيم فسق هذا الأحمق متى) .
(٢٨٤) فى (ب) : (حماقة من قلده) .
(٢٨٥) فى (ح) : سقطت كلمة (على السلامة) .

مطالبة المسيح بآية

« فصــل »

وفى الباب المذكور أن بعض التورائين قال للمسيح :يا معلم[٢٨٦] إنا نريد أن تأتينا بآية فقال لهم المسيح : يا نسل السوء ، ونسل الزنا تسألون آية ولا ترون[٢٨٧] منها آية غير آية يونس النبى .. ؟ فكما أن يونس كان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ،كذلك يكون ابن الإنسان فى جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها[٢٨٨].

قال أبو محمد : لو لم يكن فى أناجيلهم[٢٨٩] إلا هذا الفصل الملعون وحده لكفى فى بطلان جميع أناجيلهم ، وجميع دينهم . فإنه قد جمع عظيمتين .

إحداهما : تحقيق أنه لم يأت مخالفيه قط بآية ، وإقرار المسيح بذلك بزعمهم ، وأن آياته التى يذكرون إنما كانت خفية وفى السر بحضرة النزر القليل الذين اتبعوه ، ومثل هذا لا يقوم[٢٩٠] حجَّة على المخالف ، أو تحقيق الكذب على المسيح فى أنه يخبر أنهم لا يرون آية وهو يريهم الآيات لابد من إحداهما .

---

(٢٨٦) فى (ح) . سقطت (يا معلم) .

(٢٨٧) فى (ح) : سقطت (ترون) .

(٢٨٨) راجع إنجيل متى : (الإصحاح ١٢ الفقرات من ٣٨ - ٤١) .

(٢٨٩) فى (أ ، ب) : (إنجيلهم) .

(٢٩٠) فى (أ ، ب) : (لا تقوم به حجة) .

والفصل الثانى وهو الطامة الكبرى ، حكايتهم عن المسيح أنه قال عن نفسه : كما بقى يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها ، كذلك يبقى هو فى جَوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها ، وهذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها ؛ لأنهم مجمعون فى جميع أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة[٢٩١] فى دخول ليلة السبت ، وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد ، فلم يبق فى جَوف الأرض إلا ليلة وبعض أخرى ، ويومًا ويسيرًا من يوم ثان فقط ، وهذه كذبة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح ، لابد منها أو كذب أصحاب الأناجيل ، وهم أهل الكذب وحسبنا الله .

(٢٩١) فى (أ ، ب) : (مع) بدلًا من (فى) .

« فصـــل »

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل متَّى أن المسيح قال : » يشبه ملكوت السماء بحبة خردل ، ألقاها رجل فى فدانه ، وهى أدق الزراريع[٢٩٢]،فإذا أنبتت استعلت على جميع البقول والزراريع ، حتى ينزل فى أغصانها طير السماء ويسكن إليها[٢٩٣]» .

قال أبو محمد : حاشا للمسيح عليه السلام أن يقول هذا الكلام ؛ لكن النذل الذى قاله كان قليل البصارة بالفلاحة ، وقد رأينا نبات الخردل ، ورأينا من رآه فى البلاد البعيدة ، فما رأينا قط ولا أخبرنا من رأى شيئًا منه يمكن أن يقف عليه طائر ، ومثل هذه المسامحات[٢٩٤] لا تقع لنبى أصلًا فكيف لله عزَّ وجل .

---

(٢٩٢) فى (أ ، ب) : (كنها) .

(٢٩٣) النص : « يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله . وهى أصغر جميع البذور ولكن متى نمت فهى أكبر البقول ، وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتى وتآوى فى أغصانها » (إنجيل متى . الإصحاح ١٣/٣١ - ٣٢) .

(٢٩٤) لعلها : (السخافات) فهى التى تلائم أسلوب ابن حزم .

النبى لايعدم حرمته إلا فى بلده

« فصـــل »

وفى آخر الباب المذكور أنَّ المسيح رجع إلى بلاده ،وجعل يوصى جماعتهم بوصايا يعجبون منها ، وكانوا يقولون : من أين أوتى هذه العلوم ، وهذه القدرة ؟ أما هذا ابن الحدّاد وأمه مريم ، وإخوته يعقوب ، ويوسف ، وشمعون ، ويهوذا ، وأخواته ، أما هؤلاء كلهم عندنا فمن أين أوتى هذا .. ؟ وكانوا يشكون فيه . فقال لهم يسوع : « ليس يعدم النبى حرمته إلَّا فى بيته وبلده[٢٩٥] » ولتشككهم وكفرهم لم يطلع فى ذلك الموضع عجائب كثيرة .

وفى الباب الخامس من إنجيل مارقش قال : وكانت الجماعة تسمع منه وتعجب[٢٩٦] العجب الشديد من وصيته ، ويقولون : من أين أوتى هذا ؟ وما هذه الحكمة التى رزقها ؟ ومن أين هذه الأعاجيب التى ظهرت على يديه ؟ أليس هوَ ابن الحدّاد ، وابن مريم أخو يوسف ويعقوب وشمعون ويهوذا ؟ أليس أخواته هنَّ هاهنا معنا ؟ وكان يقول لهم يسوع : لا[٢٩٧] يكون نبى بغير حرمة إلَّا فى وطنه وبين عشيرته ، وفى أهل بيته ، وليس كان يقوى أن يفعل هنالك آية ، لكن وضع يديه على مرضى قليل فأبرأهم[٢٩٨].

---

(٢٩٥) النص : « ولما جاء الى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا » . وقالوا من أين هذا هذه الحكمة والقوّات ، أليس هذا ابن النجار ، أليست أمه تدعى مريم . وإخوته يعقوب وموسى وسمعان ويهوذ ، أَوَ ليست أخوته جميعًا عندنا ، فمن أين لهذا هذه كلها ، فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم . (انجيل متى – الإصحاح ١٣ – الفقرات من ٥٤ – ٥٨) .

(٢٩٦) فى (أ ، ب) : (وتعجب منه) .

(٢٩٧) فى (أ ، ب) : (ليس يكون)

(٢٩٨) راجع إنجيل مرقس – الإصحاح السادس – الفقرات من ١ – ٦) وفيه : « أليس هذا النجار ابن مريم » .

وفى الباب الثانى من إنجيل لوقا ؛ « فلما دخل الوالد المسيح البيت » وبعد هذا بيسير قال : « فكان يعجب منه أبوه وأمه[٣٠٠]» وبعده بيسير قول مريم أمه له : « وقد طلبك أبوك وأنا معك[٣٠١]» .

وفى الباب السابع منه : أقبلت إليه أمه[٣٠٢] وإخوته .

وفى الباب الثانى[٣٠٣] من إنجيل يوحنا : وبعد هذا نزل إلى قفر ناحوم ، ومعه أمه وإخوته وتلاميذه .

وفى الباب السابع من إنجيل يوحنا : وكان إخوته لا يؤمنون به .

قال أبو محمد : فى هذه الفصول ثلاث طوام نذكرها طامة طامة إن شاء الله تعالى .

أولها : اتفاق الأناجيل الأربعة على أنه كان له والد معروف من الناس ، وإخوة وأخوات سمّى الإخوة بأسمائهم ، وهم أربعة رجال سوى الأخوات ، ولا نقول[٣٠٤] فى ذلك إلَّا على إقرارٍ منهم[٣٠٥]: بأن له والدًا طلبه معها ، وهو يوسف الحدَّاد أو النجار ، فأمّا أُمُّه فقد اتفقنا نحن واليهود ، وجمهور النصارى على أنها حملت به حمل النساء ، وولدته كما تلد النساء أولادهنَّ ، إلَّا طائفة من النصارى قالت : لم تحمل به ، لكن[٣٠٦] دخل من أذنها وخرج من فرجها فى الوقت كالماء فى الميزاب ، ولكن بقى علينا أن نعرف : كيف تقول أمّه عليها السلام عن النجار أو الحدَّاد إنّه أبوه ووالده ؟ فإن قالوا : إنَّ زوج الأم يسمَّى فى اللغة أبا قلنا : هبكم أن هذا كذلك ؟! كيف العمل فى هؤلاء الذين اتفقت عليهم الأناجيل على أنهم إخوته وأخواته ، وإنّما هم أولاد يوسف النجارّ أو الحدَّاد .. ؟ وما وجد فى اللغة العبرانية أن[٣٠٧] أنّ الربيب من غير الأم يسمَّى أخا ، إلَّا أن يقولوا : إنّ مريم ولدته من النجارّ ، فقد قال هذا طائفة من قدمائهم منهم :

---

(٢٩٩) فى (أ) : (الباب الثامن) .
(٣٠٠) انجيل لوقا - الإصحاح الثانى - الفقرات من ٢٧ - ٣٤ .
(٣٠١) إنجيل لوقا - الإصحاح ٢ - الفقرات ٤٨ .
(٣٠٢) فى (أ) : سقطت كلمة (أمه) .
(٣٠٣) فى (أ ، ب) : (الباب الثامن عشر) .
(٣٠٤) فى (أ ، ب) : « ولا يعوّل » .
(٣٠٥) فى (أ ، ب) : (أمه) .
(٣٠٦) فى (أ ، ب) : (ولكن) .
(٣٠٧) فى (ح) : سقطت كلمة (وجد) وكلمة (العبرانية أن) .
(٣٠٨) فى (أ ، ب) : (يليان) .

« بيّار[٣٠٨] » مطران « طليطلة[٣٠٩] » ، ونحن نبرأ إلى الله تعالى مما يقول هؤلاء الكفرة أن يكون لإله معبود أمٌّ أو خال أو خاله ، أو ابن خاله أو ربيب ، أو أخت ، أو أخ ، وتبًّا لعقول يدخل هذا فيها من أن لله تعالى ربيبًا هو زوج أمه .

وليس يمكنهم أن يقولوا : إنّما أراد كتّاب الأناجيل أنّهم إخوته فى الإيمان والدِّين ، لأن « يوحنا » قد رفع الإشكال فى ذلك وقال : « معه إخوته وتلاميذه » فجعلهم طبقتين :

وقال أيضًا : إن إخوته كانوا لا يؤمنون به ، وتالله لولا أننا شاهدنا النّصارى ما صدّقنا أن من يلعب بعذرة[٣١٠]، وما يخرج من أسفله[٣١١] يصدِّق بشىء من هذا الحمق ، ولكن تبارك من أرادنا بهذا أنه لا ينتفع أحد ببصره ولا بسمعه ، ولا بتمييزه إلّا أن يهديه خالق الهدى والضلال . نسأل الله الذى هدانا لملّة الإسلام البيضاء الواضحة السليمة من كل ما ينافره العقل – ألّا يضلّنا بعد إذ هدانا حتى نلقاه على ملّة الحق ، ونحلة الحق ، ومذهب الحق ، ناجين من ملل[٣١٢] الكفر ، ونِحَل الضلال ، ومذاهب الخطّاء[٣١٣].

وكلُّ ما أوردناه[٣١٤] بيان واضح ، فى أنَّ الذين ألَّفوا الأناجيل كانوا عيَّارين ، مستخفّين بمن أضلّوه ، متلاعبين بالدِّين .

والثانية[٣١٥]: إقرارهم بأن المسيح لم يكن يقوى فى ذلك المكان على آية ، ولو كان لهم عقل لعلموا أن هذه ليس صفة إله يفعل ما يشاء ، بل صفة عبد مخلوق مدبّر لا يملك من أمره شيئًا ، كما قال لرسول الله ﷺ :

« قل إنّما الآيات عند الله[٣١٦] » .

الثالثة : إقرارهم أن المسيح عليه السلام سمعهم ينسبونه إلى ولادة الحدَّاد ، وأنه أبوه ، ولم ينكر ذلك عليهم .

---

(٣٠٩) طليطلة : عاصمة مقاطعة فى أسبانيا بإقليم قشتالة الجديد ، يرجع تاريخها إلى ما قبل الرومان ، ازدهرت كعاصمة بعد ٥٠٧ ق م . بلغت قمة ازدهارها إبان حكم العرب من ٧١٢ إلى ١٠٨٥ م باعتبارها حاضرة للأمير ثم عاصمة لمملكة مستقلة بعد ١٠٣١ م . ومركزًا للثقافة العربية والأسبانية واليهودية إبان حكم العرب ، وملوك قشتالة الذين اتخذوها مقرًا لهم . ومن معالمها العربية جسر القنطرة عبر نهر تاجه . وهى مركز عظيم من مراكز الفن الإسلامى . اشتهرت فى العصر الإسلامى وبعده بصناعة التحف المعدنية . (الموسوعة الميسرة) .

(٣١٠) فى الأصل (بقدره) بالقاف ، وهو تحريف لا يتفق مع اطراد الأسلوب .

(٣١١) فى (أ ، ب) : (سفله)

(٣١٢) فى (أ ، ب) : (من خلل) .

(٣١٣) فى (أ) : (الخطأ) .

(٣١٤) فى (أ ، ب) : (وفى كل ما أوردنا) .

(٣١٥) فى (أ ، ب) : (والطامة الثانية) .

(٣١٦) سورة : الأنعام : ١٠٩ .

فقد حققوا عليه أحد شيئين لا ثالث لهما ألبتة : إمّا أنه سمع الحق من ذلك فلم ينكره ، وفى هذا ما فيه من خلاف قولهم جملة .

وإمَّا أنه سمع الباطل والكذب فأقرَّ عليه ولم ينكره . وهذه صفة سوء وتلبيس فى الدين .

قال أبو محمد : وفى هذه الفصول مما لم يطلق الله تعالى أيديهم على تبديله من الحق قوله : « لا يعدم النبى حرمته إلَّا فى وطنه ، وأهل بيته » .

فيا عقول الأطفال ، ويا أدمغة الأوز : لو عقلتم أما كنتم(٣١٧) تقولون فيه ما قال فى نفسه ، وما يشهد(٣١٨) العيان بصدقه وصحته(٣١٩) فيه ؟! وتتركون الرعونة التى لم تقدروا منذ ألف عام بيان ما تعتقدونه منها بقلوبكم ، ولا قدرتم على العبارة(٣٢٠) عنها بألسنتكم ، وكلما رمتم وجها من وجوه النَّوك انفتق عليكم باب من لا قبل لكم به ونعوذ بالله من الضلال .

---

(٣١٧) فى (آ ، ب) : « أما كان يكفيكم أن تقولوا » .
(٣١٨) فى (أ ، ب) : (وما شهد) .
(٣١٩) فى (خ) : لا توجد كلمة (وصحته) .
(٣٢٠) فى الأصل [العارة] بالدال – وهو تحريف .

تضارب الأقوال حول باطرة

« فصــل »

وفى الباب السادس عشر من إنجيل « متّى » أن المسيح قال لباطرة : إليك أبرأ بمفاتيح السماوات ، فكل ما حرَّمته فى الأرض يكون محرَّمًا فى السماوات ، وكل ما حلّلته على الأرض يكون حلالًا فى السماوات[٣٢١]» .

وبعد هذا الكلام بأربعة أسطر أن المسيح قال لباطرة نفسه : متّصلا بالكلام المذكور : « اتبعنى يا مخالف ، ولا تعارضنى فإنك جاهل بمرضاة الله تعالى ، وإنّما تدرى مرضاة الآدميين[٣٢٢]» .

* * *

قال أبو محمد رضى الله عنه : فى هذا الفصل على قلته – وإنه قليل ومنتن كبعض ما يشبهه ممّا يكره ذكره – سوأتان عظيمتان :

إحداهما : أنه برىء إلى باطرة النذل بمفاتيح السماوات ، وولّاه خطة إلاهية لا تجوز لغير الله

---

(٣٢١) النص : « وأنا أقول لك أيضًا · أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا فى السماوات ، وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولًا فى السماوات » (إنجيل متى – الإصحاح ١٦/١٨ – ٢٠) وباطره هو بطرس .

(٣٢٢) النص : « فأخذه بطرس إليه ، وابتدأ ينتهره قائلًا : حاشاك يا ربّ ، لا يكون لك هدا ، فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان ، أنت مَعْثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (انجيل متى ١٦٠ /٢٢ ، ٢٣) .

تعالى وحده ، لا شريك له ، من أنَّ كلّ ما حرَّمه فى الأرض[٣٢٣] كان حرامًا فى السماوات وكلَّ ما حلّله فى الأرض[٣٢٤] كان حلالًا فى السماوات .

والثانية : أنه آثر براءته إليه بمفاتيح السماوات ، وتوليته له خطة الربوبية ، إمَّا شريكا لله تعالى فى التحريم والتحليل ، وإمَّا منفردًا دونه عزَّ وجل بهذه الصفة .

قال له فى الوقت : « إنه مخالف معارض له[٣٢٥] جاهل بمرضاة الله تعالى ، (مخالف له[٣٢٦]) لا يدرى إلَّا مرضاة الآدميين » .

فوالله لئن كان صدق فى الآخرة لقد خرق[٣٢٧] فى الأولى ؛ إذ ولَّى ما لا ينبغى إلَّا لله تعالى جاهلًا بمرضاة الله تعالى ، مخالفًا له لا يدرى إلَّا مرضاة[٣٢٨] الناس ، وإنَّ هذه لسوأة الأبد ؛ إذ مَنْ هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح كنيف ، أو بيت زبل . ولئن كان صدق وأصاب فى الأولى لقد كذب فى الثانية ، ووالله ما قال المسيح قط[٣٢٩] ما ذكروا عنه فى الأولى ، لأنها مقالة كافر شرِّ خلق الله تعالى ، وما يبعد أنه قال له الكلام الثانى ، فهو والله كلام حق ، يشهد[٣٣٠] به اللعين الكافر « باطرة » شاه وجهه ، وعليه سخط الله وغضبه .

ثم عجب ثالث : أننا قدذكرنا قبلُ أن فى الباب الثامن عشر[٣٣١] من إنجيل « متى » أنّ المسيح أشرك مع « باطرة » فى هذه الخطة التى أفرده بها هاهنا سائر الاثنى عشر تلميذًا ، ومن[٣٣٢] جملتهم السّارق ، الكافر ، الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما أخذها منهم ، وأنّه قال لجميعهم : « ما حرَّمتموه فى الأرض كان حرامًا فى السّماوات ، وما حللتموه فى الأرض كان حلالًا فى السماوات » .

فيا ليت شعرى كيف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولَّاهم من ذلك ، فأحلَّ بعضهم شيئًا وحرَّمه آخر منهم ؟

كيف يكون الحال فى السماوات وفى الأرض ؟

---

(٣٢٣) فى (ح) : سقطت كلمة (فى الأرض) .
(٣٢٤) فى (خ) : سقطت كلمة (فى الأرض) .
(٣٢٥) فى (خ) : لا توجد كلمة (له) .
(٣٢٦) فى (خ) : زيادة (مخالف له) وقد حذفت من (أ) .
(٣٢٧) فى الأصل (حرق) وهو تحريف .
(٣٢٨) فى (أ ، ب) : (رضاء) .
(٣٢٩) فى (أ ، ب) : (شيئًا مما ذكروا) .
(٣٣٠) فى (أ ، ب) : « يشهد المنافق على اللعين به باطرة » .
(٣٣١) فى (أ) : (الثانى عشر) ، (راجع انجيل متى . الإصحاح ١٨ / ١٨ ، ١٩) .
(٣٣٢) فى (أ ، ب) : (وفى) بدلًا من (من) .

لقد يقع أهلها مع هؤلاء السفلة فى سَفل وفى حرمةٍ وحل معًا .

فإن قيل : لا يجوز أن يختلفوا . قلنا : سبحان الله وأىّ خلاف أعظم من تحليل يهوذا إسلامه إلى اليهود ، وأخذه ثلاثين درهمًا رشوة على ذلك ، إلا إن كان عزله عن خطته الإلاهية بعد أن ولّاه إيّاها ، فلعمرى إنَّ من قدر أن يوليها إنه لقادر على أن يعزل[٣٣٣] عنها ، ولعمرى لقد رذلت هذه المنزلة عند هؤلاء الأرذال حقًا إذ وليها[٣٣٤] السرّاق ومن لا خير فيه ، ثم يعزلون عنها بلا مؤونة ، تعالى الله ، والله لو دكّت الجبال والأرض دكًا ، وخرَّت السماوات العلى ، وصعق بكل ذى روح عند سماع كفر هؤلاء الخسَّاس ، لما كان ذلك بكثير[٣٣٥]. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولا يخلو هذا القول من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إمَّا أنه أراد أن « باطرة » والتلاميذ المولين هذه الخطة لا يحلّلون شيئًا ، ولا يحرِّمون إلَّا بوحى من الله عزّ وجل .

فإن كان هذا فقد كذب فى قوله الذى ذكرنا قبل أنَّ كل نبوَّة فمنتهاها إلى يحيى بن زكريّا عليهما السلام ، لأن هؤلاء أنبياء على هذا القول .

وإمَّا أنه أراد : أنه قد جعل لباطرة ولأصحابه ابتداءً الحكمَ فى التحريم والتحليل من عند أنفسهم بلا وحي من الله تعالى .

فيجب على[٣٣٦] هذا أنهم متى حرَّموا شيئًا حرّمه الله تعالى اتباعًا لتحريمهم ، ومتى حلّلوا شيئًا حلَّله الله تعالى اتّباعا لتحليلهم .

فلئن كان هذا فإنها لحظة خسف ، وترى[٣٣٧] « باطرة » وأصحابه الأوغاد قد صاروا حكاّما على الله تعالى ، وقد[٣٣٨] صار عزّ وجلَّ تابعًا لهم • وحاشا لله تعالى من هذا كله ، وما نرى « باطرة » المنتن وأصحابه الأرذال[٣٣٩] حصلوا من مفاتيح السماوات ، ومن خطة الألوهية إلاَّ على حلق اللّحى[٣٤٠] ، وإنها أحق لحِّى بالنتف • وعلى ضرب الظهور بالسياط والصلب ، أمّا باطرة دبره إلى فوق ، ورأسه إلى أسفل • والحمد لله رب العالمين •

(٣٣٣) فى (أ ، ب) : (العزل) .
(٣٣٤) فى (أ ، ب) : (يليها) .
(٣٣٥) فى (أ ، ب) : (بكبير) .
(٣٣٦) فى (خ) : (من هذا) .
(٣٣٧) فى (أ ، ب) : (وبرى لباطرة النذل) .
(٣٣٨) فى (أ ، ب) : (ولقد) .
(٣٣٩) فى (أ ، ب) : (الردلة) وفى (ط) (الرذالة) .
(٣٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت : (وإنها حق لحى)

(بيان أن ما يسميه النصارى بالحواريين هم غير الحواريين المنصوص عليهم فى القرآن)

قال أبو محمد : ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمّونهم النصارى ، ويزعمون أنهم كانوا حواريّين للمسيح عليه السلام كباطرة و « متّى » الشرطى ، و « يوحنا » و « يعقوب » و « يهوذا » الأخسّاء لم يكونوا[1] قط مؤمنين ، فكيف حواريّين ؟ بل كانوا كذابين كفارًا[2] مستخفّين بالله إمّا مقرين بألوهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك ، غالين فيه كغلوّ السابئية ، وسائر الفرق الغالية فى علىٍّ رضى الله عنه ، وكقول الخطابية[3] بألوهية أبى الخطاب ، وأصحاب الحلَّاج بألوهية الحلّاج ، وسائر كفار الباطنية[4] عليهم اللعنة من الله والغضب . وإمَّا مدسوسين

---

(١) ف (أ) : (لم يكونوا فقط)

(٢) سقطت كلمة (كفارًا) .

(٣) الخطابية : طائفة من الشيعة أتباع أبى الخطاب الأجدع الذى تتلمذ لجعفر الصادق ، وزعم أن الألوهية حلت فيه ، كما حلت فى أستاذه من قبل ، واستباح مع أتباعه ما حرَّم الله ، فتركوا الفرائض ، وشهد بعضهم لبعض زورًا ، وقد تبرأ منهم جعفر ، وحاربتهم الدّولة ، وأسر أبو الخطاب وقتل (٧٥٥ م) . وتفرق أتباعه ، وامتزجت دعوته بالإسماعيلية ، وتطلق الخطابية اليوم أيضًا على أتباع محمود خطاب السبكى الذى دعا إلى التمسك بصريح السنة ، وجدّد مذهبًا عمليًا قريبًا من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأتباعه فى مصر . (الموسوعة العربية الميسرة - بتصرف - الطبعة الثانية ١٩٧٢ م) .

(٤) الباطنية : هم عدد من الفرق المنتمية إلى الإسلام ، ولكنها ابتعدت عنه لآرائها المتطرفة ، فهى تؤول القرآن الكريم تأويلًا يناقض تعاليم الإسلام ، ومن مبادئهم أن الإله خلق النفس فالإله هو الأول والنفس هو الثانى ، وهما مدبرًا هذا العالم وسموهما الأول والثانى . وقولهم هذا هو قول المجوس الذين يضيفون الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدث إلا أن الباطنية عبرت عنهما بالأول والثانى ، وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهرمن ، ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا ينبغى أن تجمر المساجد كلها . والباطنية هم الذين أشاروا على الرشيد أن يتخذ فى جوف الكعبة مجمرة ، وأن تصير الكعبة بيت نار . ومن مؤسسى الباطنية : ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان ، وحمدان قرمط (راجع الفرق بين الفرق : للبغدادى - بتصرف ص٢٨٢ ، ٢٨٣) .

من قبل اليهود كما تزعم اليهود لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم ، كانتصاب عبد الله بن سبأ[٥] الحميرى ، والمختار[٦] بن أبى عبيد ، وأبى عبد الله[٧] العجّانى ، وأبى زكريا[٨] الخياط ، وعليٍّ النجار[٩] وعلى ابن الفضل[١٠] الجنيد . وسائر دعاة القرامطة[١١] والمشارقة لإضلال شيعة عليٍّ رضى الله عنه ، فوصلوا من ذلك إلى حيث عرف ، وسلّم الله من ذلك من لم يكن من الشيعة .

وأمّا الحواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقًّا نَدينُ[١٢] الله تعالى بمحبتهم ولا ندرى أسماءهم ، لأن الله تعالى لم يسمهم لنا ، إلّا أننا نبتُّ ، ونوقن ، ونقطع ، أن « باطرة »

---

(٥) عبد الله بن سبأ : هو رأس الطائفة السبئية ، وكانت تقول بألوهية على . أصله من اليمن ، قيل كان يهوديًا وأظهر الإسلام ، رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ، ودخل دمشق فى أيام عثمان ، فأخرجه أهلها فانصرف إلى مصر ، وجهر ببدعته ، ومن مذهبه رجعة النبى فكان يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب برجوع محمد ، يقال له : ابن السوداء لسواد أمه . ويقال للسبئية الطيارة لزعمهم أنهم لا يموتون ، وإنما موتهم طيران نفوسهم فى الغلس ، ويقولون بالتناسخ والرجعة . قال أبو حجر العسقلانى : ابن سبأ من غلاة الزنادقة أحسب أن عليًا حرقه بالنار ابن عساكر ٤ / ٤٢٨ .

(٦) المختار بن أبى عبيد : (١ – ٦٧ هـ) : هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى أبو إسحاق ، من زعماء الثائرين على بنى أمية ، انقطع إلى بنى هاشم ، ولما قتل الحسين سنة ٦١ هـ انحرف المختار عن عبيد الله بن زياد أمير البصرة فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه ، ونفاه إلى الطائف ، ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ عاهد عبد الله بن الزبير واستأذنه فى التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته فذهب ولكنه وجه همه لقتال من قاتلوا الحسين ، وتتبع قتلة الحسين فقتل منهم شمر بن ذى الجوشن الذى قتل الحسين ، وعظم خبره حتى شاع فى الناس أنه ادعى النبوة – ومما كتب فى سيرته أخبار المختار لأبى مخنف لوط بن يحيى الأزدى (الأعلام : للزركلى) .

(٧) أبو عبد الله العجانى : هو أبو عبد الله العردى من الباطنية ويدّعى علم النجوم ، ويتعصب للمجوس ، وصنف كتابًا ذكر فيه أن القرن الثامن عشر من مولد محمد (ص) يوافق الألف للعاشر وهو نوبة المشترى والقوس ، وقال عند ذلك يخرج إنسان يعيد الدولة المجوسية ، ويستولى على الأرض كلها ، وزعم أنه يملك مدة سبع قرنات ، (الفرق بين الفرق للبغدادى ، ص ٢٨٦) . ولم نجد بين الفرق التى أشار إليها ابن حزم من تسمى باسم (العجانى) فلعل هذا تحريف وقع فى اسمه ، وقد طال البحث عنه فى شتى المصادر والمراجع فلم نعثر على من تسمّى بهذا الاسم ، فوجدنا (العردى) هو الذى ذكر فى كثير من المصادر كشذرات الذهب للمسعودى ، والملل والنحل للشهرستانى ، والفرق بين الفرق للبغدادى .

(٨) أبو زكريا الخياط : الذى عثرنا عليه هو أبو الحسين الخياط ، وقد أورده النديم فى الفهرست ضمن أرباب المعتزلة الذين ألفوا الكتب ، واشتهروا بالاعتزال بعد واصل بن عطاء ، ومنهم : بشر بن خالد ، وعلى الأسوارى ، وعيسى بن صبيح ، وجعفر بن حرب ، وغيرهم ، ولم نجد من كنى بهذه الكنية (أبو زكريا) فرجح عندنا أنه هو أبو الحسين الخياط هذا ، وقد بحثنا فى كثير من المظان عن أبى زكريا هذا (راجع المقالة الخامسة – الفن الأول من الفهرست للنديم ص ٢٢٠) .

(٩) على النجار : هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، أبو عبد الله ، كان من جملة المجبرة ومتكلميهم واختير رئيسًا لفرقة النجارية، وله مع النظام مجالس ومناظرات ، وله كتب الاستطاعة والإرجاء والقضاء والقدر ، وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه (فهرست النديم : ٢٢٨) .

(١٠) هو أبو على محمد بن احمد بن الحفيد ، من أكابر الشيعة الإمامية ، وله من الكتب كتاب نور اليقين ونصرة العارفين ، كتاب تبصرة العارف ونقد الزائف ، وقد أورده النديم فى مقالته الخامسة الفن الخامس حين تحدث عن الإسماعيلية ، وأورد أسماء المصنفين لكتبهم ، وأسماء هذه الكتب (فهرست النديم ٢٤٦) ولهذا يصحح العلم على هذا النحو .

(١١) القرامطة : هم أصحاب دعوة انتشرت فى بعض البلاد الإسلامية ٩٠١ هـ بزعامة أحد الإسماعيليين ، زعزعت العالم الإسلامى ثم انتهى أمرها حينما اصطدمت بالحملات الصليبية ، كان رأس الطريقة القرمطية داعيًا إسماعيليًا اسمه « حمدان » ولقبه قريميطى أى أحمر العينين ، انتشرت هذه الدعوة فى اليمن حينما بعث ميمون القداح الكوفى أحد دعاة ولد عبيد الله المهدى الفاطميين باثنين من الدعاة إلى اليمن هما : على بن الفضل ، ومنصور بن حسن ، ونجح على بن الفضل نجاحًا كبيرًا ، واستولى على ذمار وصنعاء ، وتغلب على جيوش الإمام الهادى . واستباح علىٌّ كثيرًا من الحرمات ، وادّعى النبوة ، ولم يهدأ الحال إلا بقتله مسمومًا ، واستمرت مبادئهم حتى قضى عليها الإمام ابن حميد الدين بعد توليه الملك ، واستولى على ما كان لديهم من مخطوطات لشرح مذهبهم وتعاليمهم (الموسوعة الميسرة ط ثانية) . والحديث عنها مفصل فى فهرست النديم : الفن الخامس من المقالة الخامسة : ص ٢٣٩ .

(١٢) فى (أ ، ب) : (لدين الله عز وجل بحبهم) وهو تحريف .

الكذاب ، و « متّى » الشرطى ، و « يوحنا » المستخف ، و « يهوذا » و « يعقوب » النذلين ، و « مارقش » الفاسق ، و « لوقا » الفاجر[١٣]، و « بولش[١٤]» اللعين ما كانوا قط من الحواريين لكن من الطائفة التى قال الله تعالى فيها ، « وكفرت طائفة[١٥]» وبالله تعالى التوفيق .

(١٣) فى (خ) : (القميار) .
(١٤) فى (أ ، ب) : (الجاهل) بدلًا من اللعين
(١٥) سورة الصف : ١٤

تنبؤات المسيح عما يلقاه من أتباعه

« فصـــل »

وفى آخر الباب السادس عشر من إنجيل متى : وأعلم ياسوع من ذلك الوقت تلاميذه بما ينبغى أن يفعله من دخول « برشلام »، وحمل العذاب من أكابر أهلها وعلمائهم ، وقتلهم له ، وقيامه فى الثالث فخلا به « باطرة » وقال له : « تعفى عن هذا يا سيدى ، ولا يصيبك منه شيء[16]» .

وفى الباب السابع عشر من إنجيل متّى : أن المسيح قال لتلاميذه : سيبلى ابن الإنسان فى أيدى الناس ويقتل ويحيا فى الثالث – يعنى نفسه – فحزنوا لذلك حزنًا شديدًا[17].

وفى أول الباب الثامن من إنجيل مارقش : أن المسيح قال لتلاميذه : « إن ابن الإنسان سيبلى فى أيدى الآدميين ، ويقتلونه ، فإذا قتل يقوم فى اليوم الثالث[18]» .

وأنهم لم يفهموا مراده بهذا الكلام .

وفى قرب آخر الباب الثامن من إنجيل لوقا : أن المسيح قال للاثنى عشر تلميذًا « إنا نصعد[19]» إلى « برشلام » ونكمل كل ما نبأت به الأنبياء عليهم السلام عن ابن الإنسان ،

---

(١٦) راجع النص فى انجيل متى الإصحاح ١٦ الفقرات من ٢١ – ٢٣

(١٧) النص فى انجيل متى الحالى (الإصحاح ١٧ / ٢٢ ، ٢٣) .

(١٨) انجيل مرقس – الإصحاح ٨ الفقرات : ٣١ – ٣٣) .

(١٩) فى (أ ، ب) : (أنا متصعد) .

ويسيرون[٢٠] به إلى الأجناس يستهزئون به ويجلدونه ، ويبصقون فيه . وبعد جلدهم إياه يقتلونه ، ويحيا فى اليوم الثالث[٢١]» .

فلم يفهموا عنه ممّا ألقى شيئًا ، وكان هذا عندهم معقّدًا لا يفهمونه .

* * *

قال أبو محمد رضى الله عنه : فى هذه الفصول ثلاث كذبات من طوامّ الكذب[٢٢].

إحداها : اتفاق الأناجيل المذكورة كما أوردنا على أن المسيح أخبرهم عن نفسه أنه يقتل ، وجميع الأناجيل الأربعة متفقة عند ذكرهم لصلبه على أنه مات على الخشبة حتف أنفه ، ولم يقتل أصلًا ، إلّا أن فى بعضها أنه طعنه بعد موته أحد الشّرط برمح فى جنبه ، فخرج من الطعنة دم وماء .

وفى هذا إثبات الكذب على المسيح ، واتفاقهم كما أوردنا على أنه أخبرهم بأنه يقتل ، واتفاقهم كلهم على أنه لم يقتل ، وهذه سوأة جدًّا . وحاشا لله أن يكذب نبىٌّ أو ينذر بباطل . هذه علامة الكذابين ، لا علامة أهل الصدق .

وثانيها[٢٤]: اتفاق الأناجيل المذكورة — كما أوردنا — على أنّه قال : « ويقوم فى الثالث » . ثم اتفقت الأناجيل كلها على أنه « لم يحىَ » ولا قام إلّا فى الليلة الثانية ، وأنه دفن فى آخر يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وحسبك أنهم ذكروا أنه لم يحنط استعجالًا لئلا تدخل عليهم ليلة السبت ، وأنه قام[٢٥] ليلة الأحد قبل الفجر ، وهذه كذبة ثالثة[٢٦] فاحشة نسبوها إلى المسيح ، وحاشا له من[٢٧] مثلها .

وكذبة ثالثة[٢٨]: وهى إخبار (متّى) أنهم فهموا مراده بهذا القول ، وأنهم حزنوا حزنًا شديدًا لذلك ، وأنَّ « باطرة » قال له : « تعفى عن هذا يا سيدى ، ولا يصيبك منه شىء » . وأخبار

---

(٢٠) فى (ح) : (وتبرءون به إلى الأجناس)

(٢١) انجيل لوقا — (الإصحاح ٩ الفقرات : ٢٠ — ٢٢) .

(٢٢) فى (أ) : (الكذاب) .

(٢٣) فى (ب) (لا تماقهم) .

(٢٤) فى (ح) : (وثانية) .

(٢٥) فى (أ ، ب) : (أقام) .

(٢٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (ثالثة) .

(٢٧) فى (ح) : (منها) .

(٢٨) حقها أن تكون (وكذبة رابعة)

« مارقش » و « لوقا » أنهم لم يفهموا مراده بهذا الكلام ، وهذا كذب[٢٩] فاحش لا يجوز أن يقع من صادقين ، فكيف من معصومين ؟! فلاح يقينا عظيم كذب[٣٠] الذين وضعوا هذه الأناجيل . وأنهم كانوا فسّاقا لا خير فيهم . وبالله تعالى التوفيق .

(٢٩) في (أ ، ب) : (تكاذب)
(٣٠) في (أ ، ب) : (الكذب من الذين) .

دعوة المسيح أتباعه إلى الإيمان

« فصــل »

وفى الباب السابع عشر من إنجيل متّى : أن المسيح قال لتلاميذه : « لئن كان لكم إيمان على قدر حبّة الخردل ، لتقولـن للجبل ارحل من هنا فيرحل ، ولا يتعاصى عليكم شيء » وقبله متصلا به أن تلاميذه عجزوا عن إبراء رجل به جن ، وأن المسيح أبرأه ، وأن تلاميذه قالوا له : لم عجزنا نحن عن برائه قال : تشكُّككم .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل متّى[٣١]: أنَّ المسيح دعا على شجرة تين خضراء فيبست من وقتها . فعجب التلاميذ ، فقال لهم المسيح : « آمين أقول لكم ، لئن آمنتم ولم تشكُّوا ليس تفعلون هذا فى التينة وحدها ، لكن متى قلتم لهذا الجبل : انقلع ، واطَّرِح فى البحر لم يقف لكم » .

* * *

(٣١) لم ترد هذه العبارات فى الإصحاح الحادى عشر من إنجيل متى وإنما وردت فى الإصحاح الحادى والعشرين (راجع الإصحاح ٢١ - الفقرات من ١٨ - ٢٢) والنص كما جاء فى هذا الإصحاح : « وفى الصبح إذ كان راجعًا إلى المدينة جاع ، فنظر شجرتين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئًا إلا ورقًا فقط فقال لها : لا يكن منك ثمر بعدُ إلى الأبد ، فيبست التينة فى الحال ، فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة فى الحال ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضًا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون » .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال لتلاميذه : من آمن بى سيفعل الأفاعيل التى أفعلها أنا ، وسيفعل أعظم منها[٣٢]» .

قال أبو محمد : فى هذه الفصول ثلاث[٣٣] طوام من الكذب عظيمة .

لا يخلوا التلاميذ المذكورون ثم هؤلاء الأشقياء بعدهم إلى اليوم ، من أن يكونوا مؤمنين بالمسيح عليه السلام أو غير مؤمنين ، ولا سبيل إلى قسم ثالث .

فإن كانوا مؤمنين فقد كذب المسيح فيما وعدهم به فى هذه الفصول جهارًا . – وحاشا له من الكذب – وما منهم أحد قط قدر على أن تأتمر له ورقة ، فكيف على قلع جبل وإلقائه فى البحر ؟!

وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا ، كفارٌ ، ولا خير فى كافر ، ولا يجوز أن يصدَّق كافر ، ولا أن يُوخذ الدِّين عن كافر .

ولابدَّ لهم من أن يجيبوا إذا سألناهم : أفى قلوبكم مقدار حبة خردل من إيمان أم لا ؟ وتؤمنون بالمسيح أم لا ؟

إن قالوا : نعم . نحن مؤمنون به ، والإيمان فى قلوبنا .

قلنا : فقد[٣٤] كذب المسيح يقينا فيما أخبر به من أنَّ من آمن[٣٥] وفى قلبه مقدار حبة خردل من إيمان يأمر الجبل بأن ينقلع فينقلع ، والله ما فيكم أحدٌ يقدر على تيبيس شجرة بدعائه ، ولا على قلع جبل من موضعه .

وإن قالوا : ليس فى قلوبنا قدر حبة خردل من إيمان ، ولا نحن مؤمنون به ، قلنا : صدقتم والله حقًا . وشَهِدُوا على أَنْفُسِهِم « وضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرون[٣٦]» صدق الله عزَّ وجل ، وأنبياؤه عليهم السلام – وكذب « متَّى » و « باطرة » و « يوحَّنا » و « مارقش » و « لوقا » ، وسائر النصارى الكذَّابين .

---

(٣٢) النص كما جاء فى الإصحاح الحادى عشر : « من آمن بى ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حيًا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » (راجع الإصحاح ١١ – ٢٦ ، ٢٧) .

(٣٣) فى (خ) : لم تذكر كلمة (ثلاث) .

(٣٤) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (فقد) .

(٣٥) فى (أ ، ب) : (ومن أن من فى قلبه) .

(٣٦) الآية : قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون . الأعراف ٥٣ وفى الآية ٣٧ من السورة نفسها : « وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » .

ولقد قلت هذا لبعض علمائهم فقال: إنما عنى شجرة الخردل التى تعلوا على جميع الزراريع حتى يسكن الطير فيها .

فقلت له : لم يقل فى الإنجيل[٣٧] مثل شجرة الخردل ، إنما قال مثل حبة الخردل ، وقد وصفها المسيح بإقرارهم بأنها أصغر[٣٨] الزراريع .

وأيضًا : فإنه ليس إلا مؤمن أو كافر . وأمّا الشّاك : فإنه متى دخل الإيمان شكٌّ بطل ، وحصل صاحبه فى الكفر ، فكيف ولم يدعنا المسيح بإقرارهم فى شكٍّ من هذا التأويل الفاسد ، بل زعموا : أنه قال لهم : « لتشكككم لئن كان لكم إيمان قدر حبة خردل لتقولن للجبل ... » .

وقال فى إنجيل يوحنا : كما أوردنا : « لئن آمنتم ولم تشكّوا ... » فإنما أراد بيقين بهذه النصوص : التصديق الذى هو خلاف الشك ، لا غاية العمل الصالح .

وقال : كما أوردنا فى إنجيل يوحنا – « من آمن بى سيفعل الأفاعيل التى أفعل أنا » فعن هذا الإيمان به سألناكم : أفى قلوبكم هو أم لا ؟

فقولوا : ما بدا لكم .

قال أبو محمد : وأما أنا فلو[٣٩] سمعت هذا القول ممَّن يدّعى النبوّة لما تردّدت فى اليقين بأنه كذب ، ووالله ما قالها المسيح قط ، وما اخترع هذا الكذب إلَّا أولئك السفلة ؛ متَّى ويوحنا ، وأمثالهم . والعجب كله : إقرار متَّى فى الفصل المذكور كما أوردنا : أن المسيح قال له ولأصحابه : إنهم إنما عجزوا عن إبراء المجنون لتشكككهم[٤٠]، فشهد[٤١] عليهم بالشك ، وأنه لو كان لهم إيمان لم يعجزوا عن ذلك .

فلا يخلو المسيح عليه السلام فيما حكوا عنه من[٤٢] أن يكون كاذبًا أو صادقًا ، فإن كان كاذبًا : فهذه صفة سوء ، والكاذب لا يكون نبيا ، فكيف إلاهًا ؟ وإن كان صادقًا : فإن الذين أخذوا عنهم دينهم ويسمونهم تلاميذ ، وأنهم فوق الأنبياء – كفَّارٌ شكَّاك . فكيف يأخذون دينهم عن كفّارٍ شكَّاك ؟

---

(٣٧) ف (أ ، ب) : (الأناحيل) .
(٣٨) ف (أ ، ب) : (أدق) .
(٣٩) ف (ح) : (فقد) .
(٤٠) ف (أ ، ب) : (لتشكهم) .
(٤١) ف (ح) : (لشكهم) .
(٤٢) ف (أ ، ب) : بزيادة (الكذب) .

لا مخرج لهم من إحداهما ، ولو لم تكن إلَّا هذه فى أناجيلهم[٤٣] لكفت فى إبطالها ، وإبطال جميع ما هم عليه من دينهم المنتن .

ثم العجب كله ، كيف يشهد عليهم بالشك وهم يحكون أنه قد ولَّاهم خطة الإلهية وولَّاهم رتبة الربوبية فى أنّ كل ما حرَّموه فى الأرض كان حرامًا فى السماوات ، وكل ما حلّلوه فى الأرض كان حلالًا فى السماوات . فكيف يجتمع هذا مع هذا ؟

وهل يأتى التناقض مَنْ دِمَاغُه سالم أو فيه آفةٌ يسيرة ؟. بل هذا والله توليد أفّاك كاذب ، واختراع عيَّار متلاعب ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(٤٣) فى (أ ، ب) : (فى أناجيلهم كلها)

« فصــل »

وفى قرب آخر الباب الثامن عشر من إنجيل متَّى : أن المسيح قال لتلاميذه : « إذا اجتمع إثنان منكم على أمر فليس يسألان شيئًا على الأرض إلَّا أجابهم إليه أبى السَّماوى ، وحيث اجتمع إثنان أو ثلاثة على اسمى فأنا متوسطهم(٤٤)»

قال أبو محمد : هذا الفصل ظريف جدًّا ، وكذبٌ لا يمطل ظهوره ، ولا يخلوا أن يكون عنى بهذه المخاطبة تلاميذه خاصة ، أو كلّ من آمن به ؟

وأىّ الأمرين كان فهو كذب ظاهر ، وما يشك أحدٌ فى أن تلاميذه سألوه أن يجيبهم من دعوة إلى ما دعوه إليه من دينهم ، وأن يخلِّص مَنْ فُتن(٤٥) من أصحابهم(٤٦)، فما أعطاهم شيئًا من ذلك الذى أسماه أباه السَّماوى .

فإن قيل : لم يسألوه قط شيئًا من ذلك .

قلنا : هذه طامَّةٌ أخرى . لئن كان هذا فهم غاشّون للناس غير مريدين لصلاحهم ، بل ساعون فى هلاكهم ، هيهات . هذه منزلةٌ ما أعطاها الله تعالى أحدًا من خلقه .

---

(٤٤) النص كما جاء فى الإنجيل الحالى : « إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السماوات . لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » . (انجيل متى - الإصحاح ١٨ ، الفقرات من ١٩ ، ٢٠) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : (وأن يتخلص من فتن) .

(٤٦) فى (أ ، ب) : (أصحابه) .

صدق الله ورسوله ﷺ إذا أخبر(٤٧) أن ربه تعالى قال : سواءٌ عليهم أَسْتَغْفرتَ لهم أمْ لم تَسْتَغْفِرْ لهم لَنْ يَغْفرَ الله لهم(٤٨).

وأنه أخبرنا عليه السلام : أنه دعا ألَّا يجعل بأسنا بيننا بعده(٤٩)، فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك . هذا هو الحق الذى لا نزيد فيه ، والقول الذى صحبه الصدق ، والحمد لله رب العالمين .

لم يفخر بما لم يُعْط ، ولا أنزل نفسه فوق قدرها ﷺ .

---

(٤٧) فى (أ ، ب) : (أخبرنا) .

(٤٨) المنافقون : ٦

(٤٩) ورد هذا الحديث فى مسلم فى باب الفتن . ٣٠ ،وفى ابن ماجه فى باب الفتن : ٩ ، ٢٣ ، وفى الموطأ : ٣٥ ، وفى مسند أحمد : ٥ ، وفى القرآن الكريم تهديد من الله لعباده فى قوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، أو يلبسكم شيعًا ، ويذيق بعضكم بأس بعض » : ٦٥ الأنعام

الدعوة إلى التسامح

« فصــل »

وفى الباب المذكور أن المسيح قال لهم : « إن أساء إليك أخوك[٥٠] فعاقبه وحدك فيما بينك وبينه ، فإن سمع منك فقد ربحته ، وإن لم يسمع منك فخذ إلى نفسك رجلًا أو رجلين لكيما تثبت كلّ كلمة بشهادة شاهدين أو ثلاثة ، فإن لم يسمع فأعلم بخبره الجماعة ، فإن لم يسمع[٥١] للجماعة فليكن عندك بمنزلة المجوسى والمستخرج .

ثم بعده بأسطار يسيرة قال : وعند ذلك تدانى إليه باطرة وقال له : يا سيدى فإن أساء إلىّ أخى أتأمرنى أن أغفر له سبعا ؟ فقال له يسوع : لن[٥٢] أقول لك سبعًا ولكن سبعين فى سبعة[٥٣].

قال أبو محمد : هذا ضد قوله فى الثالثة : فليكن عندك بمنزلة المجوس والمستخرج ولا سبيل إلى الجمع بينهما .

---

(٥٠) النص : « وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ، إن سمع منك فقد ربحت أخاك ، وإن لم يسمع فخذ معك أيضًا واحدا أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة ، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار (الإصحاح ١٨ الفقرات من ١٥ ١٨ من إنجيل متّى) .

(٥١) فى (أ ، ب) (فإن سمع الجماعة) وهذا تحريف وخطأ .

(٥٢) فى (أ ، ب) (لست)

(٥٣) انجيل متى - الإصحاح ١٨ / ٢١ ، ٢٢) .

« فصـــل »

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل متَّى : أنَّ أم ابنى[٥٤] شيذاى أقبلت إليه مع ولديها فخشعا[٥٥]، ورغبت إليه فقال لها : ما تريدين ؟ فقالت : أحبُّ أن تقعدَ ابنيَّ هذين أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فى ملكك .

فقال يسوع : تجهلين السؤال . أيُصبرَّان على شرب الكأس الذى أشرب ؟

فقالا : نصبر . فقال لهما : ستشربان بكأسى وليس إلىَّ مجلسكما عن يمينى وشمالى ، إلَّا من وهب له ذلك أبى[٥٦].

* * *

قال أبو محمد : ففى هذا الفصل بيان أنه ليس إليه من الأمر شىء ، وأنه غير الأب كما يقولون ، بخلاف دينهم ، فإذا هو غير الأب وكلاهما إله ، فهما إلاهان اثنان متغايران ، أحدهما قوىٌّ والآخر ضعيف ، لأنه بإقراره ليس له قدرة على تقريب أحد إلَّا من وهب له ذلك الذى يسمونه أبًا ، وليت شعرى كيف يجتمع ما ينسبون إليه هاهنا من الاعتراف بأنه ليس بيده أن

---

(٥٤) فى (خ) : (البى سيداى) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (فحنت) بدلًا من (فخشعا) .

(٥٦) النص كما جاء فى إنجيل متى الحالى : « حينئذ تقدمت إليه أم ابنى زَبْدِى مع أبيها وسجدت منه شيئًا . فقال لها : ماذا تريدين ؟ قال له : قل أن يجلس ابناى هذان ، واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك ، فأجاب يسوع وقال : لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا ؟ قالا له : نستطيع . فقال لهما : أما كأسى فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلّا للذين أعد لهم من أبى » (الإصحاح ٢٠ الفقرات من ٢٠ - ٢٤) .

يجلس أحدًا عن يمينه ولا عن شماله .. ؟ وإنما هو بيد الله تعالى مع ما ينسبون إليه من أنه قدر على إعطاء مفاتيح السماوات والأرض لأنذل من وجد وهو « باطرة » ، وأنه يفعل كما يفعله الأب ، وأن الله تعالى قد تبرأ إليه من الحكم ، وأن الله عزَّ وجل ليس يحكم بعد على أحد ، وسائر تلك الفضائح المهلكة مع تكاذبها ، وتدافعها وشهادتها بأنها ليست من عند الله تعالى ، ولا من عند نبى أصلًا ، لكن توليد كاذب[٥٧] كافر وبالله تعالى نعوذ .

* * *

(٥٧) فى (أ ، ب) : كذاب .

« فصــل »

وفى الباب الحادى عشر[٥٨] من إنجيل متَّى : فلمـا تدانى المسيـح من « برشلام » وكان فى موضع يقال له « تتفيا » جوار جبل الزيتون بعث رجلين من تلاميذه ، وقال لهما : اذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، وستجدان فيه حمارة مربوطة بفلوها فحلَّا عنهما ، وأقبلا إلىَّ بهما ، فإن تعرضكما أحد فقولا : إن السيّد يريدها فيدعكما من وقته.، وكان ذلك ليتم به قول النبى القائل لابنه صهيون : سيأتيك ملكك متواضعًا على حمارة وابن أتان . فتوجه التلميذان وفعلا كما أمرهما به ، وأقبلا بالحمارة وفلوها ، وألقوا ثيابهم عليها ، وأجلسوه من فوقها[٥٩].

* * *

وفى الباب التاسع من إنجيل مارقش[٦٠]: فلما بلغ المسيح « تتفيا » إلى جبل الزيتون ، أرسل اثنين من تلاميذه وقال : اذهبا إلى الحصن الذى بحيالكما ، فإذا دخلتما ستجدان فِلوًا مربوطًا[٦١]

---

(٥٨) فى انجيل متى الإصحاح الحادى والعشرين وليس الحادى عشر كما فى الأصل .

(٥٩) النص كما فى الانجيل الحالى : « ولما قربوا من أورشليم ، وجاءوا إلى بيت فاحى عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلًا لهما : اذهبا إلى القرية التى أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها ، فحلّاهما وائتيانى بهما ، وإن قال لكما أحد شيئًا فقولا : الربّ محتاج إليهما ، فللوقت يرسلهما ، فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل : قولوا لابنة صهيون : هو ذا ملكك يأتيك وديعًا راكبًا على أتان وجحش ابن أتان . فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع ، وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما » (الإصحاح الحادى والعشرون : الفقرات : ١ — ٨ من انجيل متّى) .

(٦٠) جاء هذا النص فى الإصحاح الحادى عشر من انجيل مرقس لا فى الباب التاسع ، وبمراجعة النص وجدنا مضمونة لم يختلف عما ورد فى النص الذى ذكره أبو محمد كثيرًا (راجع انجيل مرقس — الإصحاح ١١ ، الفقرات من ١ — ٨) .

(٦١) فى (أ ، ب) : (فلو أمر بوطا)وهو تحريف ظاهر .

لم يركبه بعد أحد من الآدميين ، حِلَّاه وأقبلا به إلىَّ ، فإن قال لكما أحد ما هذا الذى تفعلان ؟ فقولا له : إن السيّد يحتاج إليه فيخليه لكما ، فانطلقا ووجدَا الفلو مربوطًا قبالة رحبة الباب فى رفاقين[٦٢] فحلَّاه فقال لهما بعض الوقوف هنالك : مالكما تحلَّان الفلو ؟ فقالا له : كالذى أمرهما يسوع فتركوه لهما ، وساقا الفلو إلى يسوع ، ليحملوا[٦٣] عليه ثيابهم وركب[٦٤] من فوق .

* * *

قال أبو محمد : فهاتان قضيتان كل واحدة منهما تكذب الأخرى ، متّى يقول ركب حمارة ، ومارقش يقول ركب فلوًا ، والعجب كله من استشادهم لذلك بقول النبى[٦٥]: « يأتيك ملكك راكبًا على حمارة وابن أتان » ، وما كان المسيح قط ملك برشلام فهذه كذبة أخرى .

وأطرف شيء استشادهم لصحة أمره بركوبه حمارة ، أتراه لم يدخل « برشلام » إنسان على حمارة سواه ؟ !!

هذه بالله ضحكة من مضاحك السخفاء . ولقد أخبرنى الحسن بن بقّى صاحبنا نوّر الله وجهه : أنه وقف عالم من علمائهم على هذا الفصل ، قال . فقال : إنما هذا رمز والحمارة : هى التوراة ، فأضحكنى قوله . وقلت له : فالإنجيل هو : الفِلْو . وقال فسكت . وعلم أنه أتى بما يوجب السخرية به .

* * *

(٦٢) فى (أ ، ب) : (زقاقين) وهو تحريف ، لأن « الرفق » هو الحبل الذى يربط به الحمار .
(٦٣) فى (أ ، ب) : (فحملوا) .
(٦٤) النص هكذا . وكان حقه أن يقول (وركبا) بالتثنية أو (ركب أحدهما) .
(٦٥) فى (خ) : (بقول الذى يأتيك) .

« فصــل »

وفى الباب الثالث عشر(٦٦) من إنجيل متّى : أن يسوع قال لهم : إذا قام الناس لا يتزوجون ، ولا يتناكحون ، لكنهم يكونون كأمثال ملائكة الله تعالى فى السماء .

وفى الباب السادس عشر(٦٧) من إنجيل متّى ، وأيضًا فى الباب الثانى عشر من إنجيل مارقش ، أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أخذه : لا شربت بعدها من نشل الزرجون حتى أشربها معكم جديدة فى ملكوت الله تعالى .

وفى الباب الرابع عشر من إنجيل لوقا : أن المسيح قال للحواريين الاثنى عشر : أنتم الذين صبرتم معى فى جميع مصائبى ، فأنا ألخص لكم الوصية على حال(٦٨) ما لخص لى أبى ، لتطعموا وتشربوا على مائدتى فى الملك ، وتجلسوا على عروش حاكمين على إثنى عشر سبطا من ولد(٦٩) إسرائيل .

---

(٦٦) حاء هذا النص فى الإصحاح الثانى والعشرين من انجيل متى ونصه : فأجاب يسوع وقال لهم : تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ، لأنهم فى القيامة لا يزوجون ، ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء (الإصحاح ٢٢ ، الفقرات ٢٩ – ٣١) والإصحاح الثانى عشر من انجيل مرقس : ٣٤ – ٣٦) .

(٦٧) لم يذكر هذا النص فى الإصحاح السادس عشر وإنما حاء فى الإصحاح السادس والعشرين هكذا : « وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة ، هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدًا فى ملكوت أبى (الفقرات من ٢٩) .

(٦٨) فى (أ ، ب) : (على ما لخص) .

(٦٩) فى (أ ، ب) : (من بنى) .

قال أبو محمد : ففى الفصل الأول أن الناس فى الآخرة لا يتحاكمون[٧٠]، وفى الفصول الثلاثة بعده أن فى الجنة أكلًا وشربًا للخبز والخمر على الموائد . والنصارى ينكرون كل هذا ، ولا مئونة عليهم فى تكذيبهم للمسيح مع إقرارهم بعبادتهم له ، وأنه ربهم لا سيما فى الفصل الأول ، أن الناس فى الجنة كالملائكة ، وفى التوراة التى يصدقون بها أن الملائكة أكلت عند لوط وعند إبراهيم عليهما السلام الفطاير واللحم واللبن والسمن ، وإذا كانت الملائكة يأكلون والناس فى الجنة مثلهم ، فالناس فى الجنة يأكلون ويشربون بلا شك ، بموجب التوراة والإنجيل ، ولا سيما ، وقد أخبروا أن المسيح بعد أن مات ورجع إلى الدنيا ، ولقى تلاميذه طلب منهم ما يأكل فأتوه بحوت مشوى ، فأكل معهم وشرب شراب عسل بعد موته ، فإذا كان الإله يأكل الحيتان المشوية ويشرب عليها العسل فأى نكرة[٧١] فى أكل الناس وشربهم فى الجنة ؟ وإذا كان الله تعالى عندهم اتخذ ولدًا من امرأة اصطفاها فأىّ عجب فى اتخاذ الناس النساء فى الجنة ؟ وهذا هو طبعهم الذى بناهم الله عزّ وجل عليه – ألا أنَّ فى دعوة[٧٢] هؤلاء النّوكى لعبرة لمن اعتبر . والحمد لله على السلامة .

وعجب آخر وهو وعده للاثنى عشر تلميذًا بأنهم يقعدون على عروش حاكمين على إثنى عشر سبطًا من بنى إسرائيل ، فوجب ضرورة كون[٧٣] يهوذا الأشكريوطى فيهم ، ولا يجوز أن يخاطب بهذا أصحابه دونه ، لأنه قد أوضح أنهم إثنا عشر على إثنى عشر سبطًا من بنى إسرائيل – وجب ضرورة كون الأشكريوطى فيهم ، وهذا الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما ، فلابدَّ من أنه لم يذنب فى ذلك ، وهذا كذب ، لأنه قد قال فى مكان آخر : « ويل لذلك الإنسان الذى قيل فيه » « كان[٧٤] أحب إليه لو لم يخلق » .

أو كذب المسيح فى الوعد المذكور ، لابدّ من إحداهما ضرورة .

---

(٧٠) فى (أ ، ب) : لا يتناكحون .
(٧١) فى (أ ، ب) : (مكرة) وهذا تحريف .
(٧٢) فى (أ ، ب) : (رعونة) بدلًا من (دعوة) .
(٧٣) فى (خ) : سقط قوله (فوجب ضرورة كون) .
(٧٤) فى (أ ، ب) : سقط (قيل فيه) .

« فصــل »

وفى الباب الثالث من إنجيل متَّى : أنَّ المسيح كاشف علماء بنى إسرائيل ، وقال : ما تقولون فى المسيح ؟ وابن من هو ؟

قالوا : هو ابن داود .

فقال لهم : كيف يسميه داود بالروح إلها حيث كنت قال الله إلاهى : اقعد عن يمينى حتى أجعل من أعاديك كرسيا لقدميك .

فإن كان « داود » يدعونه إلها كيف هو ولده ؟

فلم يقدر أحد منهم على مراجعته[٧٥].

* * *

قال أبو محمد : هذا هو الحق من قول المسيح عليه السلام ، ولقد أنكر عليه السلام المنكر حقًا ، والعجب أنَّ هؤلاء الأنذال المنتمين إلى أتباعه عليه السلام لا يختلفون فى الاحتجاج بهذا الفصل المذكور ، هو عليه السلام قد. أنكرِ أن يكون المسيح ابن داود ، وهم يسمونه فى الأناجيل كلها بأنه ابن « داود » . فاعجبوا .

---

(٧٥) هذا نص غير مذكور فى الإصحاح الثالث من إنجيل متَّى (الحالى) وإنما جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين . ونصه : « وفيما كان الفريسيّون مجتمعين سألهم يسوع قائلًا : ماذا تظنون فى المسيح ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربًّا قائلًا : قال الرَّبُّ لربىّ اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك ، فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة (انجيل متى . الإصحاح ٢٢ / ٤١ – ٤٦) .

« فصـــل »

وفى الباب المذكور أن المسيح قال لتلاميذه : أنتم إخوان ، ولا تنتسبوا إلى أب على الأرض ، فإنَّ أباكم السماوى واحد[٧٦].

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل فضيحتان عظيمتان : إحداهما : إخباره أن الله تعالى هو أبو التلاميذ ، فنراهم مثله سواء سواء ، فلِمَ خصه النصارى بأن يقولوا : إنه ابن الله دون أن يقولوا عن تلاميذه متى ذكروهم : أنهم أبناء الله .. ؟ تعالى الله عن هذا الكفر ، وعن أن يكون أبًا أو ابنًا .

والأخرى قوله : « لا تنتسبوا إلى أب على الأرض » .

والنصارى والأناجيل يطلقون أن شمعون بن يوثا ، ويعقوب ويوحنا ابنا سبذاى ، ويهوذا ويعقوب ابنا يوسف ، فقد أقروا بشباتهم على معصية المسيح إذ نهاهم أن ينتسبوا إلى أب على الأرض ، وهم أبدًا ملازمون لمخالفة أمره فى ذلك متدينون بعصيانه .

(٧٦) النص كما ورد فى الإصحاح الخامس من إنجيل متى : « فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل » (الفقرة : ٤٨) ، ولم يذكر شىء من ذلك الإصحاح الثالث .

« فصـــل »

وفى الباب الخامس عشر[٧٧] من إنجيل متّى : أن المسيح أنذر تلاميذه بما يكون فى آخر الزمان من الزلازل والبلاء ، وقال لهم : فادعوا ألا يكون هروبكم فى شتاء ولا سبت .

* * *

قال أبو محمد : هذا بيان واضح بلزومهم حفظ السبت إلى انقضاء أمرهم ، وإلى حلول الزلازل بهم ، وهم[٧٨] على خلاف ذلك ، هذه أمة لا عقول لهم .

* * *

---

(٧٧) لم يرد ذلك فى الإصحاح الخامس عشر وإنما ورد فى الإصحاح الرابع والعشرين ونصه : « لأنه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن » (الفقرة ٧ ، ٨) وفى الفقرة ٢٠ يقول : « وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت » .

(٧٨) فى (خ) : (وهو) .

التحذير من أدعياء النبوة

« فصـــل »

وفى الباب المذكور[٧٩]: أن المسيح قال لهم : سيعود[٨٠] مسحاء الكذب ، وأنبياء الكذب ، ويطلعون العجائب العظيمة ، والآيات حتى يغلط من يظن به الصلاح .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل مارقس : سيقوم مسيحون كذابون ، وأنبياء كذابون ، ويأتون بالآيات والبدائع ليخدعوا إن أمكن أيضًا المختارين[٨١].

* * *

قال أبو محمد : هذا الفصل مع الفصل الأخير[٨٢] الذى فى توراة اليهود فى السفر الخامس الذى نصه : « إن طلع فيكم نبى ، أو أدَّعى أنه رأى رؤيا وأتاكم بخبر مَا يكون ، وكان ما وصفه . ثم قال لهم بعد ذلك : « اتبعوا آلهة الأجناس ، فلا تصغوا[٨٣] له .

---

(٧٩) النص كما جاء فى الإصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى : « لأنه سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة ، وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضًا » (الفقرات : ٢٤ ، ٢٥) . كما جاء النص أيضًا فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس : الفقرات من ٢٢) .

(٨٠) فى (أ ، ب) : (سيتور) وهو تحريف .

(٨١) فى (أ ، ب) : (إلا المختارين) بزيادة (إلا) وهو تحريف .

(٨٢) فى (خ) : لم تذكر كلمة (الأخير) .

(٨٣) فى (أ ، ب) : (فلا تسمعوا) .

مع الفصل الذى فيه من التوراة : أنَّ السحرة عملوا مثل عمل موسى عليه السلام فى قلب العصاحية ، وإحالة الماء دما ، والمجىء بالضفادع – كافية فى إبطال كل ما أتى به موسى والمسيح عليهما السلام ، وكل نبى يقرون بنبوته ، لأنه إذا جاز أن يأتى نبى كاذب بمعجزات ، وأمكن أن يكذب النبى الصادق فيما ينذر به ، وأمكن أن يعمل السحرة مثل شىء من آيات نبى ، فقد امتزج الحق بالباطل ولم يكن له إلى تمييز أحدهما من الآخر طريق أصلًا ، وهذا إفساد الحقائق ، وإبطال موجب الحق ، وتكذيب الحواس . وإذا أمكن عند اليهود والنصارى ما ذكرناه مما فى توراتهم وأناجيلهم ، فما الذى يؤمنهم أن موسى والمسيح عليهما السلام وسائر أنبيائهم ، إنما كانوا سحرة ، أو كذابين[٨٤].. ؟ شهدنا بالله شهادة حق أن هذه الفصول المذكورة من عمل برهمى مكذب بالنبوة جملة ، أو منانى مكذب بنبوة الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، وأن موسى وعيسى عليهما السلام لم يقولا قط شيئًا مما فى هذه الفصول الخبيثة الملعونة .

وأما نحن فلا نجيز ألبتة أن يكذب نبى ، ولا أن يأتى غير نبى بمعجزة لا ساحر ولا كذاب ، ولا صالح الصناعة .

فإن قيل : إنكم تقولون : إن الدّجال يأتى بالمعجزات .

قلنا : حاشا لله من هذا ، وما الدَّجال إلا صاحب عجائب ، كأبى العجب[٨٥] الشعبذ – ولا فرق إنما هو متحيل يتحيل بحيل معروفة ، كل من عرفها عمل مثل عمله ، وقد صح عن النبى ﷺ – أن المغيرة[٨٦] بن شعبة سأله : هل مع الدّجال نهر ماء وخبز ونحو ذلك ؟

فقال له رسول الله ﷺ : هو أهون على الله من ذلك[٨٧].

وصح أيضًا عنه عليه السلام : أن الدَّجال صاحب شبه . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٨٤) فى (أ ، ب) : (وكذابين) .

(٨٥) فى (أ ، ب) : (كأبى العجائب) .

(٨٦) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى ، أبو عبد الله أحد دهاة العرب وقادتهم ، وولاتهم ، صحابى يقال له : مغيرة الرأى ، ولد فى الطائف ، ورحل إلى الإسكندرية وافدًا إلى المقوقس ، ثم عاد إلى الحجاز ، أسلم وشهد الحديبية ، واليمامة وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك ، ولاه عمر بن الخطاب على البصرة ، اعتزل الفتنة بين على ومعاوية ، وحضر مع الحكمين ، ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات . وللمغيرة ١٣٦ حديثًا . توفى عام ٥٠ هـ .

(٨٧) جاء هذا الحديث فى صحيح مسلم رقم ٢٩٣٩ فى الفتن باب فى الدجال وهو أهون على الله عز وجل ولفظه : « عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد النبى ﷺ عن الدجال أكثر مما سألت قال : وما ينصبك منه ، إنه لا يضرك ، قال : قلت يا رسول الله إن معه الطعام والأنهار ، قال هو أهون على الله من ذلك » ورواه البخارى أيضًا ١٣ / ٨٠ / ٨١ فى الفتن باب ذكر الدجال . (وقد رويت أحاديث كثيرة تدل على أن الدجال يبعث ومعه نهر ماء ونار ، ويكون معنى هو أهون على الله من ذلك أى أهون من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلًا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم ، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانًا .

« فصـــل »

وفى الباب المذكور : أن المسيح عليه السلام قال عن ذلك اليوم ، وذلك الوقت : لا يدرى أحدٌ ما بعده ، لا الملائكة ، ولا أحد غير الأب وحده .

* * *

وفى الباب الحادى عشر[٨٨] من إنجيل مارقش : أن المسيح قال : السماوات والأرض تذهب وكلامى لا يبيد أبدًا . ومن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم أحد ما بعده ولا الملائكة فى السماء ، ولا ابن الإنسان ما عدا الأب .

* * *

قال أبو محمد : هذا الفصل يوجب ضرورة ؛ أن المسيح هو غير الله تعالى ، لأنه أخبر أن هاهنا شيئًا يعلمه الله تعالى ، ولا يعلمه هو ، وإذا كان بنص أناجيلهم[٨٩] أن الابن لا يعلم متى

---

(٨٨) جاء هذا النص فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس ، ونصه : « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول ، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب : (الفقرات : ٣١ - ٣٣) .

(٨٩) فى (أ ، ب) : (انجيلهم) .

الساعة ؟ والأب يعلم متى هى ؟ فبالضرورة القاطعة نعلم أن الابن غير الأب ، وإذا كان كذلك فهما اثنان متغايران ؛ أحدهما يجهل ما لا يجهله الآخر . وهذا الشرك الذى عليه يحومون ، وهذا ما يبطله العقل ؛ أن يكون إلاهان أحدهما ناقص ، فصح ضرورة أن من هو غير الله تعالى فهو مخلوق ومربوب ، وبطل هو سهم وتخليطهم والحمد لله رب العالمين . أو يكذبوا المسيح فى هذا الفصل ولابدّ .

* * *

جحد بعض التلاميذ للمسيح

« فصـــل »

وفى الباب السادس والعشرين من إنجيل متَّى : أن المسيح قال لباطرة ليلة أخذ : آمين أقول لك[٩٠]، إنك ستجحدنى فى هذه الليلة قبل صرخة الديك ثلاثا .

فقال له باطرة : لا يكون هذا ولو بلغت القتل[٩١].

* * *

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل مارقش[٩٢]: أن المسيح قال لباطرة : آمين اقول لك ، إنك أنت اليوم فى هذه الليلة قبل أن يرفع الديك صوته مرتين ستجحدنى ثلاثا ، فكان باطرة يعيد القول ، حتى لو أمكننى أن أموت معك لست أجحدك .

* * *

---

(٩٠) فى (آ ، ب) : (لكم) .

(٩١) هذا الحوار كان بين يسوع وبطرس كما ورد فى الإصحاح ٢٦ الفقرات من ٢٤ ونصها : « قال له يسوع الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات ، قال له بطرس : ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » .

(٩٢) جاء النص فى الإصحاح ١٤ من إنجيل مرقس الفقرات من ٢٧ وفيها : « فقال يسوع لبطرس : الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات ، فقال بأكثر تشديد ، ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » .

وفى الباب التاسع عشر[٩٣] من إنجيل لوقا : أن المسيح قال لباطرة : أنا أعلمك أنه لا يصرخ الديك هذه الليلة حتى تجحدنى ثلاثا ، وأنك لم تعرفنى .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال لباطرة : آمين آمين أقول لك لا يصرخ الديك حتى تجحدنى ثلاثا[٩٤].

فاتفق متّى ، ولوقا ، ويوحنا على أنه قال له : إنك تجحدنى ثلاث مرات قبل أن يصرخ الديك ، وهكذا وصف[٩٥] كل واحد منهم عن باطرة أنه هكذا فعل ، إذ ميزه[٩٦] الغلام والأمة والقوم الذين كانوا يصطلون على النار .

وقال مارقش : إنه قال قبل أن يصرخ الديك مرتين تجحدنى ثلاث مرات ، وهكذا وصف مارقس عن باطرة ، أنه فعل[٩٧] ليلتئذ .

فإنَّ خادم[٩٨] الكوهن قال[٩٩] له : أنت من أصحاب يسوع فجحد ثم صرخ الديك ثم قالت الخادم[١٠٠] للواقفين هنالك : هذا من أولئك فجحد ثانية، ثم قال له الواقفون هنالك حقًا إنك[١٠١] منهم ؟ فجحد ثالثة أيضًا ثم صرخ الديك ثانية . فعلى قول مارقش كذب « متّى » و « لوقا » و « يوحنا » ، لأن الديك صرخ قبل أن يجحده ثلاث مرات . أو كذب المسيح – عليه السلام – فى إخباره بذلك إن كان هؤلاء صدقوا ، لابدَّ من إحداهما .

وعلى قول « متّى » و « لوقا » و « يوحنا » كذب مارقش أيضًا كذلك ، لأن الديك صرخ قبل أن يجحده ثلاث مرّات . أو كذب المسيح . لابدَّ من إحداهما ، والكذب واقع فى أحد الخبرين ولابد .

ثم طامة أخرى ؛ وهى إتفاق « متّى » و « مارقش » : على أن المسيح أخبر باطرة بأنه سيجحده تلك الليلة ، وأنَّ باطرة ردّ خبره ، وقال له : لا يكون هذا .

فلولا أن المسيح كان عند « باطرة » ممن يكذب فى خبره ، ما كذبه مواجهة مرة بعد مرة ، أو كفر باطرة إذ كذب ربه أو نبيًا . لابدَّ من إحداهما .

---

(٩٣) لم يذكر هذا فى الإصحاح التاسع عشر وإنما ورد فى الإصحاح الثانى والعشرين الفقرات من ٣١ .
(٩٤) إنجيل يوحنا . (الإصحاح الثالث عشر لا الحادى عشر . الفقرات من ٢٦ – ٢٨) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : (أوصف) .
(٩٦) فى (أ ، ب) : (إذ ميّن) وهو تحريف .
(٩٧) فى (أ ، ب) : (وأنه) .
(٩٨) فى (أ ، ب) : (خادمة) .
(٩٩) فى (أ ، ب) : (قالت) .
(١٠٠) فى (أ ، ب) : (للخادمين) .
(١٠١) فى (أ ، ب) : (أنت) .

فإن كان كفر باطرة ، فكيف يعطى مفاتيح السموات لمرتد كافر مكذب لله تعالى ؟ أو لنبى من الأنبياء جهارًا ؟ أم كيف يولى[١٠٢] رتبة التحريم والتحليل من يكذب الله تعالى أو نبيه ؟ أو كيف يؤخذ الدين عن من يكذب ربه ، أو كذب خبر نبى من الله تعالى جهارًا فى آخر ساعة كان فيها معه ، وختم بذلك عمله ؟

ما سمعنا بأوسخ عقولًا من أمة هذه صفة دينهم ، وكتابهم ، وأئمتهم ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وفى الباب الثامن والعشرين من إنجيل متّى : أن الخشبة التى صلب عليها أخذ لحملها سخرة شيمون[١٠٣].

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل مارقش : أن تلك الخشبة التى صلب عليها يسوع أخذ لحملها شيمون القيروانى والد الاسكندر ، ودونه[١٠٤].

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل لوقا : أنه سخر لحمل تلك الخشبة شمعون القيروانى[١٠٥].

وفى الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا : أن يسوع نفسه هو الذى حملت عليه الخشبة التى صلب فيها[١٠٦]، وهذا خلاف ما حكاه[١٠٧] أصحابه .

ولقد قررت بعض علمائهم على هذا فقال لى : كانت طويلة جدًّا فحملها هو وشمعون المذكور . فقلت له : ومن أين لك هذا ؟ وأين وجدته ؟ وسياق أخبار مؤلفى الأناجيل لا تدل على هذا ، ولو قلت إنه ممكن أن سخر كل واحد منهما لحملها بعض الطريق لكان أدخل فى سياق الخبر[١٠٨].

---

(١٠٢) فى (أ ، ب) : (يتولى) .

(١٠٣) النص كما جاء فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى لا الثامن والعشرين : « وفيما هم خارجون وجدوا إنسانًا قيروانيًا اسمه سِمْعَان فسخّروه ليحمل صليبه » (راجع الفقرة ٣٢ من الإصحاح ٢٧) .

(١٠٤) النص كما جاء فى الإصحاح ١٥ من إنجيل مرقس لا الثالث عشر : « فسخروا رجلًا مجتازًا كان آتيًا من الحقل وهو سِمْعَان القيروانى أبو اَلكْسَندرُس وَرُوفُس ليحمل صليبه » . (راجع الفقرة : ١١) .

(١٠٥) وفى إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ الفقرة ٢٦ : « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلًا قيروانيًا كان آتيًا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع » .

(١٠٦) جاء ذلك فى الإصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا : الفقرة ١٧ : « فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة حيث صلبوه » .

(١٠٧) فى (أ ، ب) : (حكى) .

(١٠٨) واضح من مضاهاة النصوص التى يناقشها ابن حزم بالنصوص الموجودة حاليا فى الأناجيل التى بين أيدينا الآن فروق فى الإصحاحات التى ذكرت فيها ، كما أن هناك فروقًا فى الصّياغة مما يدل على أن هذه الأناجيل تتعرض للتحريف والتغيير من وقت إلى آخر ، حتى ولو اتهمنا ابن حزم بعدم الدقة فى نقل هذه النصوص ، ففيها كثير من الإمارات التى تدل على ذلك مثل تحريف الأعلام والأماكن ، واختلاف النصوص المنسوبة إلى يسوع من إنجيل إلى إنجيل .

روايات الأناجيل وما تدعيه من صلب المسيح

« فصـــل »

وفى الباب الثامن عشر من إنجيل متَّى أنه صلب معه لصَّان ، أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، وكانا يشتمانه ، ويتناولانه محركين رءوسهما ويقولان : يا من يهدم البيت ويبنيه فى ثلاثٍ سلِّم نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب[١٠٩].

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل مارقش : أنه صلب معه لصان ، أحدهما عن يمينه ، والثانى عن شماله ، واللذان صلبا معه كانا يستعجزانه[١١٠].

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل « لوقا » : وكان أحد اللصين المصلوبين معه يسبه ويقول : إن كنت أنت المسيح فسلِّم نفسك وسلِّمنا ، فأجابه الآخر وكشر عليه وقال : أما تخاف الله وأنت فى آخر عمرك ؟ وفى هذه العقوبة ؟

أما نحن فكوفئنا بما استوجبنا ، وهذا لا ذنب له . ثم قال ليسوع : يا سيدى : اذكرنى إذا نلت ملَكك . فقال له يسوع : آمين أقول لك . اليوم تكون معى فى الجنة[١١١].

---

(١٠٩) النص الذى ورد فيه ذلك جاء فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى لا الثامن عشر وفيه فى الفقرة ٢٨ : « حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار » ، وكان المجتازون يجدّفون عليه وهم يهزون رءوسهم .... وفى الفقرة (٤٤) وبذلك أيضًا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيّرانه » .

(١١٠) ذكر النص فى الإصحاح الخامس عشر لا الثالث عشر ونصه : « وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره ... واللذان صلبا معه كانا يعيّرانه . (الفقرات من ٢٧ – ٣٢) .

(١١١) جاء هذا النص فى الإصحاح الثالث والعشرين على النحو التالى : « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدّف عليه قائلًا : إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا ، فأجاب الآخر وانتهره قائلًا : أوَلَا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس فى محله ، ثم قال ليسوع : اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك فقال له يسوع : الحق أقول لك ، إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (الفقرات : ٣٩ – ٤٣) .

قال أبو محمد : إحدى هاتين[١١٢] القضيتين كذب بلا شك ، لأن متَّى ومارقش أخبرا بأن اللصين جميعًا كانا يسبَّانه ، و « لوقا » يخبر بأن أحدهما كان عن يمينه وهو يسبه ، والآخر كان ينكر على الذى كان يسبه ويؤمن به ، والصادق لا يكذب فى مثل هذا ، وليس يمكن هنا أن يدّعى أن أحد اللصين سبّه فى وقت ، وآمن به فى وقت آخر ، لأنَّ سياق خبر « لوقا » يمنع من ذلك ، ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبَّه إنكار من لم يساعده قط على ذلك ، وكلهم متفق على أن كلام اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب . فوجب ضرورة أن « لوقا » كذب ، أو كذب من أخبره ، أو أنَّ « متَّى » كذب ، وكذب « مارقش » أوّ الذى أخبره ولابدَّ .

* * *

(١١٢) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هاتين) .

روايات الأناجيل بشأن قيام المسيح وحديثه مع أتباعه

« فصـــل »

وفى آخر إنجيل « متّى[113] » بعد أن ذكر صلب المسيح وإنزاله ، برغبة يوسف الأرماذى العريف ، ودفنه فى قبر جديد محفور فى صخرة ، وغطاه بصخرة عظيمة .

وفى آخر إنجيل مارقش[114]: بعد أن ذكر صلب المسيح وإنزاله برغبة يوسف الأرماذى العريف ودفنه فى قبر عشى الجمعة والسبت داخل .

وفى آخر إنجيل « لوقا[115] » بعد أن ذكر صلب المسيح ، وأن يوسف الأرماذى أتى أول الليل فرغب فيه فأجابه بلاطش إلى إنزاله وجعله فى قبر جديد .

---

(١١٣) النص كما فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى الحالى : « ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة ، اسمه يوسف وكان هو أيضًا تلميذًا ليسوع ، فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فأمر بيلاطس حينئذ أن يعطى الجسد ، فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى ، ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة ، ثم دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر ومضى » . (الفقرات من ٥٧ – ٦١) .

(١١٤) وفى إنجيل مرقس الإصحاح الخامس عشر : « ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أى ما قبل السبت جاء يوسف الذى من الرامة مُشيرٌ شرِيفٌ ، وكان هو أيضًا منتظرًا ملكوت الله فتجاسر ودخل ألى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعًا فدعا قائد المائة وسأله : هل له زمان قد مات ولما عرف من قائد المائة وهب الجسد ليوسف ، فاشترى كتانًا فأنزله وكفنته بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتًا فى صخرة ، ودحرج حجرًا على باب القبر (الفقرات : ٤٢ – ٤٧) .

(١١٥) النص كما جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل لوقا · « وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيرًا ورجلًا صالحًا بارًّا ، هذا لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم ، وهو من الرامة مدينة لليهود ، وكان هو أيضًا ينتظر ملكوت الله ، هذا تقدّم إلى بيلاطس وطلب حسد يسوع ، وأنزله ولفه بكتان ووضعه فى قبر منحوت حيث لم يكن أحد وُضِع قط وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح .

وفى آخر إنجيل يوحنا[١١٦] بعد أن ذكر صلب المسيح وأن يوسف الأرماذى رغب فيه وأنزله ودفنه فى قبر فى بستان .

ثم قال متى : وعند عشاء ليلة السبت التى تصبح[١١٧] يوم الأحد أقبلت مريم المجدلانية ومريم الأخرى لمعاينة القبر فتزلزل بهما الموضع زلزلة عظيمة ، ثم نزل ملك السيد من السماء ، وأقبل ورفع الصخرة وقعد عليها ، وكان منظره كمنظر البرق ، وثيابه أنصع بياضًا من الثلج ، فمن خوفه صعق الحرس ، وصاروا كالأموات .

فقال الملك للمرأتين : لا تخافا ، قد علمت أنكما أردتما يسوع المصلوب ، ليس هو هاهنا ، وقد حيى ، وقد تقدمكما إلى جلجال كما قال . فانظروا إلى الموضع الذى جعل فيه السيد وانهضا إلى تلاميذه ، وقولا لهم : إنه قد حيى وفيها ترونه ، فنهضتا مسرعتين بفرح ونوح[١١٨] عظيم وأقبلتا إلى التلاميذ وأخبرتاهم الخبر ، فتلقاهما يسوع وقال : السلام عليكما . فوقفتا ، وتراميتا إلى رجليه ، وسجدتا له .

فقال لهما يسوع : لا تخافا ، إذهبا[١١٩] إلى إخواتى ليتوجهوا إلى جلجال وفيها يروننى . فأقبل بعض الحرس إلى المدينة ، وأعلم قواد القسيسين بما أصابهم فَرَشَوْهم بمال عظيم ليقول الحرس : إن التلاميذ طرقوهم ليلًا وسرقوه ، وذهبوا به وهم رقود . ففعلوا وانتشر الخبر فى اليهود إلى اليوم .

* * *

---

(١١٦) النص كما جاء فى الإصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا : « ثم إن يوسف الذى من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع ، فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع وجاء أيضًا نيقوديموس الذى أتى أولًا إلى يسوع ليلًا ، وهو حامل مزيج مرٍّ وعود نحو مائة منًا فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب ، كما لليهود عادة أن يكفنوا ، وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان ، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط ، فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريبًا . (الفقرات : ٣٨ - ٤٢) .

(١١٧) الذى فى إنجيل متى الحالى : « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع » ولم يذكر يوم الأحد . (الإصحاح الثامن والعشرون) .

(١١٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (ونوح) . وفى إنجيل متى : الإصحاح الثامن والعشرين : (بخوف وفرح عظيم) . (الفقرة : ٨) .

(١١٩) فى (أ ، ب) : (اذهبا اعلما) بزيادة كلمة (اعلما) . وفى إنجيل متى الحالى (اذهبا قولا) .

وتوجه الأحد عشر تلميذًا إلى الجلجال[١٢٠] إلى الجبل الذى كان دلهم عليه يسوع ، فلما بصروا به خنعوا له ، وبعضهم شك فيه .

* * *

وقال مارقش : فلما خلا يوم السبت[١٢١] اشترت « مريم » المجدلانية ، ومريم أم يعقوب و « شلوما » حنوطا ليأتين به ، ويدهنه ، وأقبلن يوم الأحد بكرة جدّا إلى القبر وبلغن هنالك وقد طلعت الشمس ، وهن يقلن من يحوّل لنا الحجر عن القبر ؟ فنظرن فإذا بالحجر قد حوّل ، فدخلن فى القبر ، فأبصرن فتًى جالسًا عن اليمين متغطيًّا بثوب أبيض فقال لهن : لا تفزعن فإن يسوع الناصرى المصلوب[١٢٢] قد قام ، وليس هو هاهنا ، فانطلقن وقلن لتلاميذه ولباطرة : إنه قد حيى ، وقد تقدمكم إلى جلجال ، وهناك تلقونه . فقام بكرة يوم الأحد وتراءى أولًا[١٢٣] لمريم المجدلانية فمضت وأعلمت الذين كانوا معه ، فلم يصدقوها ، وبعد هذا تظاهر لاثنين منهم وهما مسافران إلى قرية فى صفة أخرى ، فأخبرا سائرهم فلم يصدقوا أيضًا .

وآخر الأمر بينما الأحد عشر تلمبذًا متكئين إذ تظاهر لهم وقبّح كفرهم ، وقسوة قلوبهم .

وقال « لوقا[١٢٤] » : فلما انفجر الصبح يوم الأحد بكرة جدًّا أقبل النسوة إلى القبر يحملن حنوطا فوجدن الحجر مقلوعًا عن القبر ودخلن فيه فلم يجدن السيد فيه فتحيرن فوقف لهن رجلان فى ثياب بيض وقالا لهن : لا تطلبن حيًّا بين أموات ، قد قام ليس هو هاهنا ، فانصرفن واعلمن الأحد عشر تلميذًا ، ومن كان معهم ، فلم يصدقوهن ، وقام باطرة مسرعًا إلى القبر فرأى الكفن وحده فعجب وانصرف .

ثم تراءى المسيح لرجلين منهم كانا ناهضين إلى حصن يقال له : أماؤش على سبعة أميال

---

(١٢٠) فى الإنجيل الحالى : (الجليل) : الفقرة : ١٧ من الإصحاح ١٨ من إنجيل متى .

(١٢١) فى إنجيل مارقس الحالى : « وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطًا ليأتين ويدهنه ، وباكرًا جدًّا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس ، وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر » (الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس ، الفقرات من ١ — ٤) .

(١٢٢) فى (أ ، ب) : (المطلوب) .

(١٢٣) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (أولا) .

(١٢٤) النص كما جاء فى إنجيل لوقا : « ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس فوجدن الحجر مدحرجًا عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع .

ونصف من أورشليم ولم يعرفاه حتى ارتفع عنهما وغاب . وانصرفا فى الوقت إلى « أورشليم » ووجدا الأحد عشر تلميذًا مجتمعين مع أصحابهم فأخبراهم بالخبر ، فبينما هم يخوضون فى هذا وقع يسوع فى وسطهم وقال : السلام عليكم أنا هو فلا تخافوا ، فجزعوا وظنوه شيطانًا فقال لهم : لِمَ فزعتم ؟ أبصروا قدميَّ ويديّ أنا هو فإن الشيطان ليس له لحم ولا عظام ، ثم قال : أعندكم شيء يؤكل ؟ فأتوه بقطعة حوت مشوى ، وشربة عسل فأكل وبرىء إليهم بالبقية ، ثم أوصاهم وارتفع عنهم .

* * *

وقال يوحنا : ففى يوم الأحد : أقبلت مريم صباحًا ، والظلمات لم تنجل بعد إلى القبر فرأت الصخرة مقلوعة عن القبر فرجعت إلى شمعون باطرة ، وإلى التلميذ الآخر يعنى يوحنا بهذا نفسه ، وقال لهما : نزع سيدى من القبر ، ولا ندرى أين وضعوه ؟

فنهض « باطرة » والتلميذ الآخر إلى القبر فوجد الأكفان موضوعة ، ثم رجعوا ووقفت « مريم » باكية فتميلت إلى القبر فرأت ملكين منتصبين فقالا لها : من تريدين ؟ فظنت أنه الجان ، فقالت له : يا سيدى إن كنت أخذته أنت فقل لى أين وضعته ؟ فقال لها يا مريم : فالتفتت وقالت : يا معلمى . فقال لها يسوع : لا تمسينى لم أصعد بعد إلى أبى ، اذهبى إلى إخوانى وقولى لهم : إنى صاعد إلى أبى وأبيكم ، إلهى وإلهكم . فأتت فأخبرتهم . ثم بينما التلاميذ مجتمعون أقبل يسوع ووقف فى وسطهم وقال : السلام عليكم وعرض عليهم يديه وجنبه ثم ذكر أن « طوما » أحد التلاميذ الأثنى عشر لم يكن حاضرًا فيهم فى هذا الظهور ، فلما أتى وأخبروه قال : لئن لم أبصر فى يديه إلصاق المسامير ، ولم أدخل إصبعى فى موضع المسامير فى جنبه لا آمنت ، فلما كان بعد ثمانية أيام اجتمعوا كلهم والأبواب مغلقة ، فأقبل يسوع ووقف وسطهم وقال لطوما : أدخل إصبعك وابصر كفيِّ ، وهات يدك وأدخلها إلى جنبى ، ولا تكن كافرًا بل كن مؤمنًا .

فقال له طوما : سيدى وإلاهى ، ثم تراءى عند بحيرة الطبرية لشمعون باطرة ، وطوما ، وتطهالى ، وابنى سيذاى ، واثنين من التلاميذ سواهم ، وهم يصيدون فى مركب فى البحر .

* * *

(١٢٥) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (فتميلت) .

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه القصة وما فيها من الكذب والشنع ، يقول « متَّى » : إنَّ مريم ومريم أتتا إلى القبر عشية ليلة السبت التى تصبح فى يوم الأحد ، فوجدتاه قد قام .

ويقول مارقش : إن مريم ومريم وغيرهما أتتا إلى القبر بعد طلوع الشمس من يوم الأحد فوجدتاه قد قام قبل ذلك .

ويقول لوقا : إن النسوة أتين إلى القبر بكرة يوم الأحد فوجدتاه قد قام[١٢٦]، والظلمة لم تنجل بعد ، فهذه كذبات منهم فى وقت بلوغهن إلى القبر ، وفيمن جاء إلى القبر ، أمريم وحدها ؟ أم مريم ومريم أخرى معها ؟ أم كلتاهما ومعهما نسوة أخرى .

ويقول متَّى : إنّ مريم ومريم رأتا الملك إذ نزل من السماء ، ورفع الصخرة بحضرتهما بزلزلة عظيمة ، وصعق الحرس . وقال الملك للمرأتين : لا تخافا إنه قد قام .

ويقول مارقش : إن النسوة وجدن الصخرة قد قلعت بعد ، وأنه وقف إليهن رجلان مبيضان فأخبراهن بقيامه .

ويقول يوحنا : إن مريم وحدها أتت ووجدت الصخرة قد قلعت ولم تر أحدًا ورجعت حائرة وأخبرت شمعون ، ويوحنا حاكى القصة ، فنهضا معها إلى القبر فلم يجدا فيه أحدًا ، وانصرفا فالتفتت هى فإذا المسيح نفسه واقف وسلم عليها ، وأخبرها بقيامه ، فهذا كذب آخر فى وقت قلع الصخرة ، وهل وجد عند القبر ملك واحد ، أو ملكان إثنان ، أو لم يوجد فيه أحد أصلًا .. ؟

ويقول متَّى : إن المرأتين أتتهم بوصية فصدقوهما ، وأنهم نهضوا كلهم إلى جلجال وهنالك اجتمعوا معه .

ويقول مارقش : إنه ترائى لمريم وأخبرتهم ، ولم يصدقوها ، ثم تراءى لأثنين فأخبراهم فلم يصدقوها ، ثم نزل عليهم كلهم .

ويقول لوقا : إنهم لم يصدقوا النساء ، وأن باطرة نهض إلى القبر ولم يجد شيئًا ، ولا رأى أحدًا ، وأنه نزل منهم بأورشليم فرأوه حينئذ وأكل معهم الحوت المشوى ، وهذه صفة من لم يقصده إليهم إلا الجوع وطلب الأكل .

ويقول يوحنا : إنه تراءى لعشرة منهم حاشا « طوما » ثم تراءى لهم ولطوما .

---

(١٢٦) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : (قد قام قبل ذلك . ويقول لوقا : إن النسوة أتين إلى القبر بكرة يوم الأحد فوجدته قد قام) .

قال أبو محمد : ومثل هذا الاختلاف فى قصة واحدة عن مقام واحد كذب لا شك فيه ، ولا يمكن أن يقع من معصومين ، فصح أنهم كذابون لا يتحرّون الصدق فيما حدثوه[١٢٧] وما كتبوه فى هذه القضية .

ثم فى هذه القصة : قول مارقش عن المسيح « إنه بعد موته قبّح[١٢٨] كفر تلاميذه ، وقسوة قلوبهم » . فإذا شهد المسيح على تلاميذه بعد رفعه بالكفر وقسوة القلوب ، فكيف يجوز أخذ الدِّين عنهم ؟ أم كيف يجوز أن يعطى الإله مفاتيح السماوات ، ويولى منزلة التحريم والتحليل كافرًا قاسى القلب ؟ !!

وكل هذا برهان واضح على أنَّ أناجيلهم كتب مفتراه ، ومن عمل كذَّابين كفّار .

ثم فى هذه القصة : أنَّ مريم والتلاميذ كلهم كانوا يلتزمون بعد المسيح صيانة السبت وتعظيمه ، وترك العمل فيه ، ولذلك أخَّر عمل الحنوط إليه حتى دخل يوم الأحد ، فقد صحّ يقينا أنَّ هؤلاء المخاذيل ليسوا على دين المسيح ، ولا على ما مضى عليه تلاميذه ، بل على دين آخر ، فسحقًا لهم وبعدًا ، والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا معشر أهل[١٢٩] الإسلام .

* * *

(١٢٧) فى (أ ، ب) : (حدثوا به) .
(١٢٨) فى (أ ، ب) : (فتح) وهو تحريف .
(١٢٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (أصل) .

قولهم لا يدخل الجنة غني

« فصـــل »

وفى الثامن من إنجيل مارقش[١٣٠]: أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه : إن دخول الجمل فى سمِّ الخياط أهون[١٣١] من دخول المثرى فى ملكوت الله .

* * *

قال أبو محمد : هذا قطع من كلامه بأن كل غنى لا يدخل الجنة أبدًا ، وفى أتباعه أغنياء كثير ، وما رأينا قط أمة أحرص على جمع المال من الدراهم وغير ذلك ، وادخاره ومنعه دون أن ينتفعوا منه بشىء ، ولا أن يتصدقوا منه بشىء من الأساقفة والقسيسين ، والرّهبان فى كل دير ، وكل كنيسة ، فى كل بلد ، وكل وقت . فعلى موجب كلام إلههم أنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، وهذا والله حق ، وأنا على ذلكم من الشّاهدين .

* * *

(١٣٠) النص كما جاء فى إنجيل مرقس : « يا بنىّ ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله ، مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » (الإصحاح العاشر : ٢٤ ، ٢٥) .

(١٣١) فى (أ ، ب) : (أيسر) .

شراء الدنيا بالآخرة

« فصـــل »

وفى الباب الثامن من إنجيل مرقش[١٣٢]: أن باطرة قال ليسوع المسيح : ها نحن قد خلينا الجميع واتبعناك ، فأجابه يسوع وقال له : « آمين أقول لكم ، ليس من أحد ترك بيتًا أو إخوة ، أو أخواتَ ، أو والدًا ، أو والدة ، أو أولادًا لأجل الإنجيل إلا ويعطى مائة ضعف مثله الآن فى هذا الزمان من البيوت ، والإخوة والأخوات ، والأمهات والأولاد ، والفدادين مع السعادة[١٣٣] وفى العالم الكائن الحياة الدائمة » .

قال أبو محمد : هذا موعد كاذب مضمون لا يمكن الوفاء به ، وهبك[١٣٤] يُخَرِّجُون هذا على أنه يعوِّض هذا من أهل دينه أولادًا أو إخوة وأخوات ، وأمهات ، كيف الحين فى وعده من آمن به ، وترك ما له أن يعوِّض عن الفدان الذى يترك مائة فدَّان ؟ وعن البيت مائة بيت الآن عاجلًا فى الدنيا ؟ سوى ما له فى الآخرة ، وهذا كما ترى .

---

(١٣٢) النص كما جاء فى إنجيل مرقس : « وابتدأ بطرس يقول له : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فأجاب يسوع وقال : الحق أقول لكم ، ليس أحدٌ ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات ، أو أبًا أو إمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا لأجلى ، ولأجل الإنجيل إلّا ويأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتًا وإخوة وأخواتٍ وأمهات وأولادًا وحقولًا مع اضطهادات ، وفى الدَّهر الآتى الحياة الأبدية » . (الإصحاح العاشر ، الفقرات من ٢٨ – ٣١) .

(١٣٣) هكذا فى الأصل ، والظاهر أنها (الشقاء) لأن الكلمة التى جاءت فى الإنجيل : (مع اضطهادات) .

(١٣٤) هكذا فى الأصل . وصواب العبارة : « وهب أنهم » .

تضارب أقوال الأناجيل

« فصـــل »

وفى الباب الثامن من إنجيل مارقش[135]: أن رجلًا قال للمسيح أيها المعلم الصالح ، فقال له المسيح ، لم تقول لى « يا صالح[136] » الله هو الصّالح وحده .

وفى الباب التاسع من إنجيل يوحنا[137]: أن المسيح قال : أنا الرَّاعى[138] الصالح .

فمرة ينكر أن يكون صالحًا وأن لا صالح إلا الله ، ومرة يقول : إنه صالح . وكل هذا كذب عليه من توليد هؤلاء الأنذال .

* * *

---

(١٣٥) النص كما جاء فى الإصحاح العاشر من إنجيل مرقس لا الثامن كما ذكر ابن حزم : « وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحًا ؟ ليس أحدٌ صالحًا إلا واحد وهو الله » (الفقرات : ١٧ - ١٩) .

(١٣٦) فى (أ ، ب) : (صالح) بغير (يا) .

(١٣٧) جاء هذا النص فى الإصحاح العاشر لا التاسع وهو : « أنا هو الرَّاعى الصّالح ، والرَّاعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (الفقرات : ١١ ، ١٢) .

(١٣٨) فى (خ) : (إن) .

فقدان الإنجيل الذى أتى به المسيح عليه السلام

« فصـــل »

وفى آخر إنجيل مارقش[139]: أن المسيح قال لتلاميذه ، اذهبوا إلى جميع الدنيا وبّشروا جميع الخلائق بالإنجيل ، فمن آمن وعمّد[140] يكون سالمًا ، ومن لم يؤمن يعاقب . وهذه الآيات تصحب الذين يؤمنون وهى سيماهم[141] على اسمى ، ينفون الجن ، ويتكلمون باللغات الجديدة ، ويقلعون الثعابين ، وإن شربوا شربة قاتلة لم تضرّهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فينقهون .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل أعجوبتان من الكذب ؛

إحداهما : بشروا بالإنجيل ، فدلّ هذا على إنجيل أتاهم به المسيح ، وليس هو عندهم الآن ، وإنما عندهم أناجيل أربعة متغايرة من تأليف أربعة رجالٍ معروفين ليس منها إنجيل أُلِّف[142] إلَّا بعد رفع المسيح عليه السلام بأعوامٍ كثيرة ، ودهر طويل ، فصح أن ذلك الإنجيل الذى أخبر المسيح بأنه أتاهم به ، وأمرهم بالدعاء إليه قد ذهب عنهم لأنهم لا يعرفون له أصلًا . هذا لا يمكن[143] سواه .

---

(١٣٩) النص كما جاء فى إنجيل مرقس الحالى : « وقال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يُدَن ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ، ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيَّاتٍ ، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون » (الإصحاح ١٦ / ١٥ - ١٨) .

(١٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وعمد) . والظاهر أنها محرفة فى الأصل وصوابها كما جاء فى النص الحالى (واعتمد) .

(١٤١) لم تذكر هذه الجملة (وهى سيماهم على اسمى) فى الإنجيل الحالى .

(١٤٢) فى (أ ، ب) : (إلا ألف) .

(١٤٣) فى (أ ، ب) : (ما لا يمكن) .

والفصل الثانى قولهم : إنه وعد كل من آمن بدعاء التلاميذ فإنهم يتكلمون بلغات لم يعرفوها ، وإنهم ينفون الجنَّ عن المجانين ، وإنهم يضعون أيديهم على المرضى فينقهون ، وإنهم يقلعون الثعابين ، وإن شربوا شربة قتالة لا تضرُّهم .

قال أبو محمد : وهذا وعدٌ ظاهر الكذب جهارًا ، ما منهم[١٤٤] أحد يتكلم بلغة لم يعلمها ، ولا منهم أحدٌ ينفى جنيا ، ولا منهم أحدٌ يضع يده على مريض فيبرأ ، ولا منهم أحدٌ يقلع ثعبانًا ، ولا منهم أحدٌ يسقى السمَّ فلا يؤذيه ، وهم معترفون بأن « يوحنا » صاحب الإنجيل قتل بالسمِّ ، وحاشا الله أن يأتى نبى بمواعيد خاسئة كاذبة ، فكيف الإله[١٤٥]؟!

فاعلموا أن الأنذال الذين كتبوا هذه الأناجيل أسهل[١٤٦] شىء عليهم نسبة الكذب إلى المسيح عليه السلام .

* * *

(١٤٤) فى (خ) : (ما منكم) .
(١٤٥) فى (أ ، ب) : (فكيف إله) .
(١٤٦) فى (أ ، ب) : (كان أسهل) .

« فصـــل »

وبعد هذا الفصل متصلًا به : « والرَّبّ لما أن تكلم بهذا قبض إلى السماء ، وجلس عن يمين الله[١٤٧] » .

* * *

قال أبو محمد : هذا شرك أحمق ، رب يُقْبَض ، إن هذا لعجب !! ورب يجلس عن يمين الله تعالى !!

هذان ربَّان ، وإلهان ، الواحد أجلُّ من الثانى لأن المقعود عن يمينه أسنى مرتبة من المقعد على اليمين بلا شك . ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٤٧) النص كما جاء فى إنجيل مرقس : « ثم إن الرَّب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء ، وجلس عن يمين الله ، وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعلم معهم » . (الإصحاح ١٦ / ١٩ ، ٢٠) .

« فصـــل »

وفى أول إنجيل لوقا : أن نفرًا قبلنا راموا وصف الأشياء التى كملت فينا كالذى دلنا عليه معشر الذين عاينوا الأمر ، وكانوا حملة الحديث ، فرأيت أن أقفوا أثرهم من أوله على التجريد ، وأكتب لك أيها الكريم لأن تفهم حق الكلام الذى علمته ، واطلعت عليه ، وأنت به ماهر[١٤٨].

هذا يبين أن الأناجيل تواريخ مؤلفه ، كما ترى بنص كلام « لوقا » .

* * *

(١٤٨) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينى ، وخُدَّامًا للكلمة ، رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز « ثاوفيلس » ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به . (الفقرات من ١ / ٥ الإصحاح الأول) .

إثبات تأليف الأناجيل

« فصـــل »

وفى أول إنجيل « لوقا[١٤٩]» الذى هو تاريخه المؤلف فى أخبار المسيح ، قال لوقا : كان بعد « هيرودس » والى بلد « يهوذا » كوهن يدعى « زكريا » من دولة أيحا ، وزوجته من بنات هارون ، وتسمى « اليثبات » ثم ذكر كلامًا فيه يجىء[١٥٠] جبريل الملك عليه السلام إلى مريم أم المسيح عليهما السلام وأنه قال فى جملة كلام كثير : وقد حملت[١٥١] « اليثبات[١٥٢]» قرينتك على قدمها ، وعقرها . فأخبر أن « اليثبات » هارونية ، وأنها قريبة[١٥٣] مريم ، فعلى هذا فمريم أيضًا هارونية ، والنصارى كلهم متفقون على ما فى جميع الأناجيل من أن المسيح هو ابن « داود » ، ومن نسل « داود » عليه السلام .

---

(١٤٩) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » الحالى : كان فى أيام « هيرودس » ملك اليهودية كاهنًا اسمه زكريا من فرقة أبيًا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها « اليصابات » وكان كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقرًا ، وكان كلاهما متقدمين فى أيامهم » .... ثم بعد كلام كثير قال له الملاك : « لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنًا وتسميه يوحنا » (الإصحاح الأول من ٥ – ٨) .

ثم قال بعد كلام كثير : « وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى المدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت « داود » اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ، الربّ معك ، مباركة أنت فى النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ؟ فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم قد وجدت نعمة عند الله ، وهأنت ستحبلين وتلدين ابنًا ، وتسمينه « يسوع » .. فقالت مريم : كيف يكون هدا وأنا لست أعرف رجلًا ؟ فأجاب الملاك وقال لها : ... وهو ذا « اليصابات » نسيبتك هى أيضًا حبلى بابن فى شيخوختها . (الإصحاح الأول ١٣ – ١٤) .

(١٥٠) فى (أ ، ب) : (مجىء) .

(١٥١) فى (أ ، ب) : (حبلت) .

(١٥٢) فى (أ ، ب) : (اليشابات) .

(١٥٣) فى (أ ، ب) : (قرينه) .

وفى مواضع كثيرة منها : « يورثه الله ملك أبيه داود » ، وأن العُمْى ، والمباطين[١٥٤] والمرضى ، والمجانين ، والجن كانوا يقولون له : يا ابن « داود » فلا ينكر ذلك عليهم . ولا تختلف النصارى واليهود فى أن المسيح المنتظر هو من ولد « داود » .

والمسيح مع هذا كله كان[١٥٥] قد أنكر فى الباب السادس عشر من إنجيل « متى » كما أوردنا من قبل أن يكون المسيح من ولد « داود » فكيف هذا الاختلاط والتلوّن ؟ ومع هذا كله فما ترى على ما ذكرنا نسبة[١٥٦] النصارى إلا إلى أنه ولد يوسف النجار الداوودى ، الذى يزعمون أنه كان زوج مريم ، وهذه طامة وسوأة لا يدرى لها وجه أن ينتسبوا إلى رجل لم يلده !!

وأقل ما فى هذا الكذب الذى هو فى الدنيا عار ، وبرهان على الضلال ، وفى الآخرة نار ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٥٤) المباطين : المرضى ببطونهم . وفى (خ) : (الباطل) (وهو تحريف) .
(١٥٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كان) .
(١٥٦) فى (أ ، ب) : (تنسبه) .

« فصـــل »

وفى الباب الثانى من إنجيل « لوقا[١٥٧]» : فلما دخل أبو أبوا المسيح به ، البيت ليقربا عنه ما أمر به أخذه شمعون فى يديه .

وبعد ذلك فى الباب المذكور : « وكان أبواه مختلفين إلى يورشليم كل سنة أيام الفصح ، فلما بلغ إثنتى عشرة سنة وصعد إلى يورشليم على حال سنتهما فى يوم العيد فهبطا عند انقراضه بقى يسوع فى يورشليم ، وجهل ذلك أبواه ، وظناه فى الطريق مقبلًا ، فسارا يومهما وهما يطلبانه عند الأقارب والأخوات ، فلما لم يجداه انصرفا إلى « يورشليم » طالبين له ، فوجداه فى الثالث قاعدًا مع العلماء فى البيت وهو يسمع منهم ، ويكاشفهم ، فكان يعجب منه كلّ من سمعه ومن يراه ، من حسن حديثه وحسن مراجعته ، فقالت له أمه : لِمَ أشخصتنا يا بنى ، وقد طلبك أبوك وأنا معه محزونين ؟

فقال لهما : لم طلبتمانى ؟ أتجهلان أنه يجب علىَّ ملازمة أمر أبى ؟ فلم يفهما عنه جوابه ، فانطلق معهما إلى ناصرة ، وكان يطوع لهما[١٥٨].

---

(١٥٧) النص كما جاء فى إنجيل لوقا الحالى : « وعندما دخل بالصبىّ يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس أخذه على ذراعيه رجل فى أورشليم اسمه سمعان ، وبارك الله ، وقال : الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام . (الإصحاح الثانى : ٢٥ – ٣٠) .

(١٥٨) بقية النص كما فى إنجيل لوقا الحالى : « وكان ابواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح ، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد ، وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى « أورشليم » ، ويوسف وأمه لم يعلما ، وإذ ظناه بين الرفقه ذهبا مسيرة يوم ، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ، ولما لم يجداه رجعا إلى « أورشليم » يطلبانه . وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسًا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم ، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته فلما أبصراه ، اندهشا ، وقالت له أمه : يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا ، هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين ، فقال لهما : لماذا كنتما تطلبانى ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لأبى فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعًا لهما ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها » (إنجيل لوقا : الإصحاح الثانى : الفقرات من ٤١ – ٥٣) .

قال أبو محمد : كيف يطلق لوقا النذل(١٥٩) القميار ، وهو عندهم أجلُّ من موسى عليه السلام أن يوسف النجار والد المسيح فى غير ما موضع ، ويكرر ذلك كأنه يحدث بحديث معهود . أم كيف تقول مريم لابنها : طلبك أبوك تعنى زوجها بزعمكم ؟

وكيف يكون أباه ولا أب له ؟

وإنما يطلق هذا الإطلاق فى الربيب لا يعرف(١٦٠) أبوه ، فيقال له : أبوك عن ربيبه بمعنى (كافله) لأنه لا إشكال هاهنا(١٦١). وأما من لا أب له من بنى آدم ، فإطلاق الأبوة فيه على زوج أمه إشكال وتلبيس ، وتطريق إلى البلاء .

أم كيف تبقى « مريم » مع زوجها بزعمهم – فض الله أفواهم – أزيد من ثلاث عشرة سنة كما يبقى الرجل مع امرأته ، يغلقان عليهما بابًا واحدًا ؟

أم كيف يصح مع هذا عند هؤلاء الأنتان(١٦٢) أنه مولود من غير ذكر ؟

أين هذا الزور المفترى من النور المقتفى ؟ قول الله تعالى حقًا فى وحيه الناطق إلى رسوله الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حيث قال :

« فَأَرْسَلْنَا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمثَّلَ لَها بَشرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كنتَ تَقِيًّا ، قال إِنَّما أنا رَسُولُ ربِّكِ لأهَبَ لَكِ غُلَامًا زكيًّا ، قَالَتْ أَنَّى يكونُ لى غُلامٌ ولَمْ يَمْسَسْنى بشرٌ ولَمْ أَكُ بَغِيًّا ؟! قال كذلكِ قال ربُّكِ هُو عليَّ هَيِّنٌ ولنجعلَه آيةً للنَّاسِ ، ورحمةً منَّا وكان أمرًا مَقْضِيًّا ، فحملته فانْتَبَذَتْ به مَكانًا قَصِيًّا ، فَأَجاءَها المخاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلةِ قَالَتْ : يا ليتنى مِتُّ قَبلَ هذا ، وكُنْتُ نَسيًّا منسيا » ... إلى قوله تعالى : « فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُه قالوا : يا مَرْيمُ لَقَدْ جِئتِ شَيْئًا فَرِيًّا ، يا أُخْتَ هَارونَ مَا كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَاكانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ، فَأَشَارَت إِليهِ قالوا : كيف نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فى المَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّى عَبدُ الله آتانىَ الكتابَ وَجَعَلني نَبِيًّا ، وَجَعلني مُبَارَكًا أَينَما كنتُ وَأَوْصاني بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا(١٦٣).

* * *

---

(١٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (النذل القميار) .

(١٦٠) فى (أ ، ب) : (فيمن يعرف أبوه) بإسقاط حرف النفى (لا) وهو تحريف وخطأ .

(١٦١) فى (أ ، ب) : (لا إشكال فيه) .

(١٦٢) فى (أ ، ب) : حذفت كلمة (الأنتان) . ويبدو أن الناسخ كان يتصرف فيحذف بعض الشتائم . وهذا تصرف غير مقبول لأنه يباعد بيننا وبين أسلوب المؤلف .

(١٦٣) سورة مريم : ١٧ – ٣١ .

قال أبو محمد : هذا هو الحق الواضح الذى يصدق بعضه بعضًا ، لا كذب ولا تناقض ، وهذا الذى لا يمكن سواه ، لأنه لو كان لها زوج لم ينكر أحدٌ ولادتها ، ولو لم يقم برهان بكلامه فى المهد لما جاز عندنا ، ولا عند أحدٍ من الناس أنها حملت به من غير ذكر[١٦٤]، ولكان ذلك دعوى كاذبة ، لا يجوز أن يصدّقها أحد لا سيما مع زعمهم أنها سكنت مع زوجها أزيد من ثلاثة عشر عامًا فى بيت واحد ، يَهديان عند ولادته ما يهدى الأبوان من اليهود بحكم التوراة عن ابنهما ، وتقول له أمه : هذا أبوك ، وفعل أبوك ، ثم أطم من هذا ، إقرارهم أن له أربعة إخوة ذكور : « شمعون » ، و« يهوذا » ، و« يعقوب » و« يوسف » ، وأخواتٍ ، ثُمَّ لا يذكرون للنجار امرأة غير مريم .

فلو أن[١٦٥] هؤلاء الأولاد للنجار من تلك المرأة ، وهذه فضيحة الدَّهر وقاصمة الظهر ، ومطلق ألسنة القائلين أنها أتت به من زوج أو من عُهر – وحاشا الله من ذلك – لقد[١٦٦] يصحح هذا كله أنهم مدسوسون من هذا عن اليهود لإفساد مذاهبهم ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٦٤) ف (أ ، ب) : (من غير ذلك) .
(١٦٥) فى (أ ، ب) : (تكون) وهذا تحريف .
(١٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لقد) .

« فصــل »

وفى الباب الرابع من إنجيل لوقا[١٦٧]: وكانت العامة تشهد له ، وتعجب لقوله ، وما كان يوصيهم به ، وكانت تقول : أما هذا ابن يوسف النجار ؟ فقال لهم : نعم ، قد علمت أنكم ستقولون لى يا طبيب داو نفسك ، وافعل فى موضعك كما بلغنا أنك فعلت بكفر[١٦٨] ناحوم آمين . أما إنى أقول لكم : إنه لا يقبل أحد من الأنبياء فى موضعه .

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل ثلاث عظائم ، أحدها قولهم : أمّا هذا فابن يوسف فقال : نعم ، فهذا تحقيق أنه ولد النجار ، وحاشا لله من ذلك .

والثانية : اعترافهم واتفاقهم على أنه لم يأت بآية بحضرة الجماعة ، وإنما ذكر أنه أتى بالآيات فى القفار .

والثالثة : وهى الحق قوله لهم : إنه نبى ، وهذا الذى أفلت من تبديلهم ، وأبقاه الله عزَّ وجل حجة عليهم . والحمد لله رب العالمين .

---

(١٦٧) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » الحالى : « وكان الجميع يشهدون له ، ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ، ويقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ فقال لهم : على كل حال تقولون لى هدا المثل : أيها الطبيب اشف نفسك ، كم سمعنا أنه جرى فى كفر ناحوم ، فافعل ذلك هنا أيضًا فى وطنك وقال : الحق أقول لكم : إنه ليس نبىٌّ مقبولًا فى وطنه » (الإصحاح ٤ / ٢٢ – ٢٥) . وواضح من هذا النص أن المسيح لم يقل (نعم) حين ذكروا أنه ابن يوسف ، لكنه لم ينف ما قالوه ، وهذا ربما يرجع إلى أن الترجمة الحالية أسقطت بعض الكلمات ، ولكن جوهر المعنى الذى ناقشه ابن حزم مازال قائمًا .

(١٦٨) فى الأصل (بقفر) ولكن الصواب فى ظل الترجمة الحالية (بكفر) .

« فصـــل »

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل لوقا[١٦٩]: أن المسيح قال : « من قال شيئًا فى ابن الإنسان يغفر له . ومن سبَّ روح القدس لا يغفر له .

* * *

قال أبو محمد : هذا إبطال لقولهم كافٍ ، لأن ابن الإنسان عند هؤلاء الأقذار[١٧٠] هو روح القدس نفسه .

ونص كلام المسيح هاهنا يبين أنهما شيئان متغايران ، أحدهما يغفر لمن سبَّه ، والآخر : لا يغفر لمن سبَّه ، وهذا بيان دافع للإشكال جملة ، فإن كان المسيح هو ابن الإنسان ، فليس هو روح القدس أصلًا - بنص كلامه . وإن كان هو روح القدس فليس هو ابن الإنسان كذلك أيضًا . ولئن كان ابن الإنسان هو روح القدس فقد كذب المسيح ، إذ فرَّق بينهما بجعل[١٧١] أحدهما يغفر لمن سبه ، والآخر : لا يغفر لمن سبه وفى هذا كفاية .

---

(١٦٩) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » الحالى : « وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له ، وأمّا من جدّف على الرّوح القدس فلا يغفر له » (الإصحاح ١٢ / ١٠) .

(١٧٠) فى (أ ، ب) : حذفت كلمة (الأقذار) . وهذا من تصرف الناسخ - كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(١٧١) فى (أ ، ب) : (فجعل) .

« فصـــل »

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل لوقا[١٧٢]: فلما بلغوا إلى الموضع الذى يدعى الأجرد صلبوه فيه ، وصلبوا معه السارقين العابثين عن يمينه وعن شماله .

فقال يسوع : يا أبتاه ، اغفر لهم ، لأنهم يجهلون ما يصنعونه ، ولا يدرون فعلهم .

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل شنعتان عظيمتان على النصارى كافيتان فى وساخة دينهم ، وبيان فساد كل ما هم عليه جهارًا :

أولاهما : أن نسألهم فنقول لهم : المسيح إله عندكم أم لا ؟

فمَنْ قَوْلُهم : نعم . فيقال لهم : إلى من دعا ، ورفع طلبته ؟

فإن كان دعا غيره ، فهو إله يدعو إلاها آخر . وهذا شرك وتغاير بين الآلهة .

وهم لا يقولون هذا .

* * *

(١٧٢) النص كما جاء فى إنجيل لوقا الحالى : « ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى « جمجمة » صلبوه هناك مع المذنبين ، واحدًا عن يمينه ، والآخر عن يساره ، فقال يسوع : يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (الإصحاح الثالث والعشرون : ٢٣ ، ٢٤) .

وإن كان دعا نفسه : فهذا هوس ، إنما حكمه أن يقول : قد غفرت لكم ، وهم يصرحون فى الإنجيل[١٧٣]: بأنه يغفر ذنوب من شاء . فأين كان عن هذه الصفة إذ يدعو[١٧٤] إلها غيره . ؟

والثانية : أن يقال لهم : هل أجيبت دعوته هذه أم لا ؟

فإن قالوا : لم تجب دعوته . قلنا : ليس فى الخزى أكثر من إله يدعو فلا يستجاب له ؟! ولا فى النحس فوق هذا .

وعلى هذا فما بيده من الربوبية إلا ذنب[١٧٥] ثور ، شارد فى حدود[١٧٦]، كما بيد سائر المخلوقين يدعو فيجاب مرة ، ولا يجاب مرة .

وإن قالوا : بل أجيبت دعوته . قلنا لهم : فاعلموا أنكم وأسلافكم كلكم فى سبكم اليهود الذين صلبوه ظالمون لهم . وكيف يستحلون سبَّ قومٍ قد غفر لهم إلاههم ، وأسقط عنهم الملامة فى صلبهم له ؟ أما لكم عقول تعرفون بها مقدار ما أنتم عليه من الضلال الذى ليس فى العالم أحدٌ على مثله ؟ بل كل ضلالة فهى دونه .

فإن قيل : وما أنكرتم من هذا وأنتم تقولون : إن الله تعالى دعا الكفار إلى الإيمان فلم يجيبوه ؟

قلنا : نعم ، فكانوا عصاة ، والله تعالى لم يرد كون الإيمان منهم ، إنما أمرمهم أمر تعجيز ، فأخبرونا أنتم من هو المدعو لهم ليغفر لهم فيجيبه أو يعصيه .. ؟ ولا مخلص من هذا .

* * *

---

(١٧٣) فى (أ ، ب) : (الأناجيل) .
(١٧٤) فى (أ ، ب) : (دعا) .
(١٧٥) فى (أ ، ب) : (كذنب) .
(١٧٦) فى (أ ، ب) : (جدور) وهو تحريف .

« فصـــل »

وفى آخر إنجيل لوقا[١٧٧]: أنه بعد صلبه تراءى لرجلين من تلاميذه ، وهما لا يعرفانه فقال لهما : ما هذا الذى تخوضان فيه ، وتحزنان له ؟

فقال أحدهما : وهو الذى يسمى كلوباش : أنت وحدك غريب بأورشليم ، إذ تجهل ما كان بها هذه الأيام .

فقال لهما : وما ذلك ؟

فقالا له : من خبر يسوع الناصرى الذى كان نبيًا مقتدرًا على[١٧٨] أفعاله وكلامه عند الله وعند الناس . وكيف اجتمع قواده القسيسون على قتله وصلبه إلى آخر كلامهما ، وأنه قال[١٧٩]: يا جهال ، ويا من عَجَزَتْ عن فهم مقالة الأنبياء قلوبُهم : أما كان هذا واجبًا أن يلقاه المسيح ، وبعد ذلك يبلغ إلى عظمته ؟

* * *

(١٧٧) جاء هذا النص فى انجيل لوقا الحالى : وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن « أورشليم » ستين غلوة اسمها « عِمْواس » وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث ، وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه ، وكان يمشى معهما ، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته ، فقال لهما : ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين . فأجاب أحدهما الذى اسمه « كليوباس » وقال له : هل أنت متغرّب وحدك فى أورشليم ، ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام ؟ فقال لهما : وما هى ؟ فقالا : المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانًا نبيًا مقتدرًا فى الفعل والقول أمام الله ، وجميع الشعب ، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ... » (الإصحاح ٢٤ / ١٢ - ٢٧) .

(١٧٨) فى (أ ، ب) : (فى أفعاله) .

(١٧٩) فى (أ ، ب) : (قال لهما) .

قال أبو محمد : فهؤلاء أصحابه يقولون : إنه كان نبيًا عند الله وعند الناس ، وهو يسمع بزعمهم ولا ينكر ذلك . فهلَّا قالوا فيه هكذا . لقد طمس الشيطان على قلوب أبصارهم[١٨٠] عن ذلك ، ولوى ألسنتهم عن أن يقولوا ذلك ولا مرة من الدّهر ، بل كذبوه[١٨١] أشد الكذب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(١٨٠) فى (أ ، ب) : (أبصار قلوبهم) .
(١٨١) فى (أ ، ب) : (يكذبونه أشد التكذيب) .

« فصــل »

وفى إنجيل متَّى ومارقش ولوقا[١٨٢]: أنه قبل أخذه سجد ودعا وقال : يا أبت ؛ كل شيء عندك ممكن ، فاعفنى من هذا الكأس ، لكن لا أسأل إرادتى لكن إرادتك ، زاد لوقا فى إنجيله قال : فتراءى له ملك السيد معزيًا له فأطال صلاته حتى سال العرق منه ، وتساقطت نقط منه[١٨٣] كتساقط نقط الدم إذا انسكب فى الأرض .

وفى إنجيل متَّى ومارقش : أنه صاح بأعلى صوته وهو مصلوب : إلهى إلهى ، لم أسلمتنى ، ثم فاضت نفسه .

* * *

قال أبو محمد : فياللناس ؟ أهذه صفة إلهه ؟ وهل يحتاج الإله إلى ملك يعزيه ؟ وهل يدعو الإله فى أن يصرف عنه كأس المنية ، وإله يعرق من صعوبة الحال إذا أيقن بالموت ، وإله يسلمه الإله ؟! أفى الحمق شيء يفوق هذا ؟

---

(١٨٢) الذى جاء فى انجيل متى الحالى : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلًا : إيلى إيلى لم شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى !! فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا : إنه ينادى إيليا ، وللوقت ركض واحد منهم وأخذا إسفنجه وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا : اترك لنرى هل يأتى أيليّا يخلصه ، فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم وأسلم الروح (الإصحاح ٢٧ / ٤٥ – ٥٠) . والذى جاء فى انجيل مارقس يتفق مع هذا فى المعنى وإن اختلف فى الألفاظ : (الإصحاح ١٥ / ٣٣ – ٣٦) . وفى إنجيل « لوقا » « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك أستودع روحى ، ولما قال هذا أسلم الروح » (الإصحاح ٢٣ / ٤٤) .

(١٨٣) فى (أ ، ب) : (نقطة) .

فإن قالوا : إنما هذا كله خبر عن الطبيعة الناسوتيه . قلنا لهم : أنتم تقولون فى كل هذا : فَعَل المسيح ، وقال المسيح ، فللمسيح عندكم طبيعتان : ناسوتية ولا هوتية وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة ، وكلكم تقولون : إن اللّاهوت اتحد بالناسوت ، وأنتم كذبتم ، وأنتم طرقتم إلى كل(١٨٤) هذا ، وأنتم أضفتم كل هذا إلى اللّاهوت ، وإنما كان الحمق على أصلكم هذا الملعون : أن تقولوا : فعل نصف المسيح وقال نصف المسيح . فعلى كل حال قد كذبتم وسخفتم . وفى هذا كفاية لمن عقل .

* * *

(١٨٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .

« فصـــل »

وفى أول إنجيل يوحنا[١٨٥]: وهو أعظم الأناجيل كفرًا ، وأشدها تناقضًا ، وأتمها رعونة فأول كلمة فيه : « فى البدء كانت الكلمة ، والكلمة كانت عند الله ، والله كان الكلمة ، بها خلقت الأشياء ، ومن دونها لم يخلق شيء ، فالذى خلق هو حياة فيها .

فهل سمع بأعظم سخفًا ، وأتم تناقضًا من هذا الكلام الملعون هو وقائلـه[١٨٦]؟ !! كيف تكون الكلمة هى الله ؟ وتكون عند الله ؟ فالله إذًا كان عند نفسه . ثم قوله : « إن الذى خلق بالكلمة هو حياة فيها » . فعلى هذا حياة الله مخلوقة فروح القدس على نص كلام هذا العيّار[١٨٧] مخلوق ، لأن روح القدس عند جميعهم هو حياة الله وهذا بخلاف جميع قول النصارى ، لأن الحياة التى فى الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا ، والله تعالى بنص كلام يوحنا هو الكلمة ، وهذا هدم لملّة النصارى من قرب .

ثم أطم من هذا كله إذا كانت حياة الكلمة مخلوقة ، والكلمة هى الله ، فالله هو[١٨٨] حامل لأعراض مخلوقة فيه . فاعجبوا ثم اعجبوا .

وبعد هذا الفصل - على ما نورد إن شاء الله تعالى - والكلمة كانت بشرًا ، مع قوله الكلمة هى الله ، فالله بشر على نصّ كلام هذا النذل يوحنا - عليه من الله اللعائن المتواترة .

---

(١٨٥) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هكذا فى البدء عند الله . كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس » (الإصحاح الأول : ١ - ٥) .

(١٨٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله (الملعون هو وقائله) . وهذا تصرف من الناسخ كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(١٨٧) فى (أ ، ب) : (الرجل) بدلًا من (العيار) .

(١٨٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هو) .

« فصــل »

وبعد ذلك ذكر المسيح فقال : فإنه كان فى الدنيا ، وبه خلقت الدنيا ، ولم يعرفه أهل الدنيا[١٨٩].

* * *

قال أبو محمد : هذا من الحمق المزور[١٩٠]. كيف يكون فى الدنيا . وبه خلقت الدنيا ؟! لئن كان إلاها كما يقولون ، فهو خلق الدنيا ، ولا يجوز أن تخلق به .

وإن كان إنما به خلقت الدنيا ولم يخلقها هو : فليس هو إلاهًا ولا خالقًا ، إنما هو آلة من الآلات ، خلقت الدنيا بها ، وحاشا لله أن يخلق بآلة ، لكن كما قال فى وحيه الناطق إلى رسوله الصادق الذى لا يتناقض كلامه ، ولا تتعارض أخباره « إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ له كُنْ فَيَكُون[١٩١]» .

* * *

(١٨٩) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا : « كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم ، كان فى العالَم ، وكُوِّن العالم به ، ولم يعرفه العالم » (الإصحاح الأول : ٦ - ١١) .

(١٩٠) فى (خ) : (المردد) .

(١٩١) سورة يس : ٨٢ .

(١٩٢) فى الأصل : (المتين) . وهو تحريف فى نظرنا ، لأن الوصف بالمنتن هو الأولى فى هذا المقام ، والذى يتفق مع أسلوب ابن حزم .

وأين يجتمع قوله هاهنا ، أنه به خلقت الدنيا مع الكذب الذى يضيفونه إلى المسيح من أنه قال بزعمهم : « أنا أخلق ، وأبى يخلق ، وإن لم أعمل كما يعمل أبى فلا تصدقونى » .

حاشا لله من أن يقول نبى هذا الكذب ، وهذا الحمق إذا كان يكونان إلهين متغايرين اثنين كل واحد منهما غير الآخر ، وكل واحدٍ منهما يخلق كما يخلق الآخر ، ثم مرة هو إله يخلق ، ومرة هو آلة يخلق بها . ألا هذا هو الضلال المبين ، والخيال المنتن[١٩٢] .

(١٩٢) فى الأصل : (المتين) . وهو تحريف فى نظرنا . لأن الوصف بالمتين هو الأولى فى هذا المقام والذى يتفق مع أسلوب ابن حزم .

ادعاء النصارى جميعاً أنهم أبناء الله

« فصـــل »

وبعد ذلك قال[١٩٣]: فمن تقبله منهم ، وآمن باسمه أعطاهم سلطانًا أن يكونوا أولاد الله ، أولئك المؤمنون باسمه ، الذين لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم ، ولا باه رجل لكن توالدوا من الله ، فالتحمت الكلمة ، والكلمة كانت بشرًا ، وسكنت[١٩٤] فيها ، رأينا عظمتها كعظمة ولد الله .

* * *

قال أبو محمد : في[١٩٥] هذا الفصل من الكفر ما لو انهدت الجبال منه ، لكان غير نكير ، نسأل الله العافية .

أيها الناس : تأملوا[١٩٦] قول هذا النذل ، إن المؤمنين بالمسيح هم أولاد الله ، فالنصارى كلهم إذَنْ أولاد الله ، فأيّ ميزة للمسيح عليهم ؛ إذ هو ولد الله وهم أولاد الله ؟ ثم انظروا[١٩٧] لقول هذا المستخف المستهزىء بالسفلة الذين قلدوا دينهم مثله : إن المؤمنين بالمسيح لم يتوالدوا من دم ،

---

(١٩٣) النص كما جاء فى انجيل يوحنا : « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله ، وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنون الذين ولدوا ليس من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل بل من الله . والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ، ورأيناه مجده مجدًا كما لو حيدٍ من الآب مملوءًا نعمة وحقًا . (الإصحاح ـــ١ / ١١ – ١٤) .

(١٩٤) فى (أ ، ب) : (فينا) .

(١٩٥) فى (أ ، ب) : (وفى) .

(١٩٦) فى (أ ، ب) : (فتأملوا) .

(١٩٧) فى (أ ، ب) : (اعجبوا) .

ولا من شهوة اللحم ، ولا باه رجل ، ولكن توالدوا من الله هكذا هم !!

أهكذا[١٩٨] توالد « يوحنا » من سبذاى وامرأته ؟

أَلَا حياءَ من عظيم المجاهرة بالباطل والكذب ؟

فإن قالوا : هذا مجاز . قلنا[١٩٩]: فيماذا ؟ بل هو الكذب البحت البارد الأحمق[٢٠٠]، وهذا نفسه قلتم عن المسيح . فما الفرق بين القولين ؟

ولعل ذلك أيضًا مجاز ، كما هذا[٢٠١] مجاز ، فما رأينا أحمق من هؤلاء ، ولا أوقح من خدودهم .

ثم اعجبوا لقوله : « فالتحمت الكلمة وسكنت فيها[٢٠٢]» فكيف تصير الكلمة لحمًا ، وقد قال : إنها هى الله ، فالله إذًا صار لحمًا ، وسكن فى أولئك الأقذار . حسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١٩٨) ف (أ ، ب) : (هكذا فكيف)
(١٩٩) ف (أ ، ب) : (قلنا : مجاز) .
(٢٠٠) ف (أ ، ب) : (والحمق) .
(٢٠١) ف (أ ، ب) : (كما هو) .
(٢٠٢) ف (أ ، ب) : (فينا) .

« فصــل »

ثم قال إثر هذا: « إن[٢٠٣] الله لم يره أحدٌ ما عدا ما وصف عن الولد الفـرد[٢٠٤] الذى هو فى حجر أبيه » .

قال أبو محمد : هذا عجب آخر ، قد قال آنفًا : إن الكلمة هى الله ، وأنها التحمت ، وصارت لحمًا ، وسكنت فيهم ، فالله عزّ وجل على قولهم : صار لحمًا وسكن فيهم . فكيف لم يره أحد ؟

ثم قوله : « إلّا ما وصف عنه الولد الفرد الذى هو فى حجر أبيه » .

فوجب من هذا : أن الولد غير الأب لأن من المحال الممتنع أن يكون الله فى حجر نفسه فصح ضرورة أن الابن عندهم على نصوص الأناجيل هو غير الأب ، وهم لا يثبتون على هذا ، بل مرة هو والأب عندهم شىء واحد . وكل هذا منصوص فى أناجيلهم ، وكل قضية منها تكذب الأخرى ، فكلها كذب بلا شك . ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

---

(٢٠٣) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر » (الإصحاح ١ / ١٨) .

(٢٠٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الفرد) .

« فصــل »

وفى الباب الأول من إنجيل يوحنا[٢٠٥] إذ ذكر شهادة يحيى بن زكريا - عليهما السلام - إذ بعث إليه اليهود من « برشلام » - الكهنة واللاويين ، وكاشفوه عن نفسه . فأقرَّ ولم يجحد وقال لهم : لست أنا المسيح .

قالوا : أتراك[٢٠٦] إلياس ؟ قال : لا . قالوا : أفأنت[٢٠٧] نبى ؟ قال :لا .

* * *

قال أبو محمد : كيف يكون هذا مع قول المسيح فى إنجيل متَّى[٢٠٨] ومارقش : كما أوردنا قبل : إن كل نبوّه ، وكلَّ كتاب فمنتهاها إلى يحيى . وقوله فيه : إنه أكثر من نبى ، فمرة هو نبى انتهت كل نبوة إليه ، ومرة : هو أكثر من نبى .

---

(٢٠٥) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « وهده هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر : أنى لست أنا المسيح . فسألوه إذًا ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . ألنَّبىُّ أنت ؟ فأجاب : لا » (الإصحاح الأول : ١٩ - ٢٢) .

(٢٠٦) فى (أ ، ب) : (أيراك) .

(٢٠٧) فى (أ ، ب) : (فأنت) بغير استفهام .

(٢٠٨) النص كما فى انجيل متى : « وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للمجموع عن يوحنا .. هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك . لكن ماذا خرجتم لتنطروا أنبيا . نعم أقول لكم وأفضل من نبى ... الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه . (انجيل متى . الإصحاح ١١ / ٧ - ١٣) .

ومرة يقول : هو عن[٢٠٩] نفسه : إنه ليس نبيًا .

فلابدَّ ضرورة من الكذب فى إحدى هذه الأقوال . وحاش لله أن يكذب المسيح ويحيى – عليهما السلام – لكن كذب والله النذلان متَّى الشرطى ، ويوحنَّا العيَّار .

أوصاف النصارى للمسيح

« فصــل »

وبعده في الباب نفسه قال : « ويوما آخر رأى يحيى المسيح مقبلاً[٢١٠] فقال : هذا[٢١١] خروف الله[٢١٢]» .

قال أبو محمد : هذه طامَّةٌ أخرى .. بينما كان كلمةَ الله ، وابنَ الله ، وإلاهًا يخلق صار خروفَ الله – وحاش لله أن يضاف إليه خروف إلَّا على سبيل الخلق والملك ، إنما يضاف الخروف إلى من يتخذه للأكل أو الذبح ، أو لمن يربيه للفحلة[٢١٣]، أو لصبى يلعب به ويصبغه بالحناء . وتعالى الله عن كل هذا .

فصح أنها من عمل عيّار مستخف . ونعوذ بالله من الضلال .

* * *

---

(٢١٠) في (أ ، ب) : مقبلًا إليه .

(٢١١) في (أ ، ب) : هذا صار .

(٢١٢) الذى فى إنجيل يوحنا الحالى : « وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلًا إليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (الإصحاح ١ / ٢٩) .

(٢١٣) في (أ ، ب) : (للعجلة) .

« فصـــل »

وبعده بيسير فى الباب نفسه أن يحيى بن زكريا قال عن المسيح[٢١٤]: « شهدت بأن هذا سليل الله[٢١٥]» .

* * *

قال أبو محمد : شهدت أنا ، ونفسى ، وجسدى ، وعقلى بشهادة الله التامة أن هذه كذبة كذبها اللعين يوحنا على رسول الله ، وابن رسوله يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وأن الله - تعالى - عن أن يكون له سليل .

وأعجب شيء نسبتهم إلى يحيى عليه السلام - أنه قال فى المسيح : هذا خروف الله ، هذا سليل الله ، وإنما الخروف سليل الكبش والنعجة - اللهم العن هؤلاء الأنتان فما سمعنا بأعظم استخفافًا بالله تعالى وبرسله - عليهم السلام - منهم .

* * *

(٢١٤) فى (أ ، ب) : (عيسى) .

(٢١٥) الذى جاء فى إنجيل يوحنا : « وشهد يوحنا قائلًا : إلى قد رأيت الروح نازلًا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن الذى أرسلنى لأعمّد بالماء داك قال لى : الدى ترى الروح نازلًا ومستقرًا عليه فهدا هو الدى يعمّد بالروح القدس ، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله . (إنجيل يوحنا ١ / ٣٢ - ٣٤) فأسند الشهادة إلى يوحنا ، وهذا دليل على ما تعرض له الإنجيل من تغيير وتحريف ، أو لعل « يوحنا » هو يحيى . ولكن ابن حرم يفرق فى حديثه بين يحيى وبين يوحنا ، فيلعن « يوحنا » ويرى أنه كذب على « يحيى بن زكريا » سى الله .

ادعاء النصارى أن المسيح تسلم مقاليد الكون

« فصـل »

وفى الباب الثالث من إنجيل يوحنا أن يحيى عليه السلام قال عن المسيح : « قد رضى الأب ن الولد ، وبرىء إليه بجميع الأشياء[٢١٦].

* * *

وفى الباب الخامس من إنجيل يوحنا أيضًا : « ولهذا كانت اليهود تريد قتله لأنه كان ليس[٢١٧] يفسح عليهم سُنَّةَ السبت فقط ، لكنه كان يدعى الله أبًا ويسوّى نفسه[٢١٨] به » .

وبعده بيسير : أن المسيح قال : كمايُحيى الأب الموتى ويقيمهم كذلك يحيى الابن من وافقه ، وما يحكم الأب على أحد لأنه برىء[٢١٩] بالحكم إلى سليله[٢٢٠].

---

(٢١٦) الذى حاء فى إنجيل يوحنا : وحدثت مباحثه من تلاميد يوحنا مع يهود من جهة التطهر ، فقال لهم يوحنا ضمن كلام كثير يشهد فيه للمسيح يقول : « الآب يحب الابن ، وقد دفع كل شىء فى يده » (الإصحاح الثالث / ٢٥ - ٣٦) .

(٢١٧) فى (أ ، ب) : (ليس كان) .

(٢١٨) الذى فى الإنجيل الحالى : « أنه أبرأ مريضًا يوم سبت : « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه ، لأنه عمل هذا فى سبت ، فأجابهم يسوع : أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل ، فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضًا : إن الله أبوه معادلًا نفسه بالله » (الإصحاح ٥ / ١٦ - ١٨) .

(٢١٩) فى (أ ، ب) : (برد) .

(٢٢٠) والنص كما جاء فى الإنجيل الحالى : « لأنه كما الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضًا يحيى من يشاء ، لأن الآب لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (الإصحاح ٥ / ٢١ - ٢٢) .

قال أبو محمد : هذه الطامة أنست كل طامة سلفت – ولا حول ولا قوة إلا بالله – كيف ينطق لسان أحد بهذا الكفر الفاحش الفظيع من أن الله تعالى قد اعتزل الحكم فلا يحكم على أحد لأنه برىء بالحكم وبجميع الأشياء إلى ولده – حاشا لله من هذا – إنما عهدنا هذا من فعل الملوك إذا شاخوا ، وضعفوا ، وأرادوا الانفراد براحاتهم[٢٢١]، ولذّاتهم ، وترتيب الأمر لأولادهم لئلا ينازعهم الأمر[٢٢٢] بعدهم غيرهم . فحينئذ يسلمون الأمر إليهم فى الظاهر . وأمّا فى باطن[٢٢٣] الأمر فلا .

هذا كفر ، ما قدرنا أحدًا ينطق به لسانه حتّى سمعناه من قبل هذا الكافر يوحنا – لعنه الله – والحمد لله رب العالمين[٢٢٤].

* * *

(٢٢١) فى (أ ، ب) : (لراحتهم) .
(٢٢٢) فى (خ) : (الأمراء) .
(٢٢٣) فى (أ ، ب) : (فى الباطن) .
(٢٢٤) فى (أ ، ب) : والحمد لله على عظيم نعمته علينا كثيرًا .

« فصـــل »

وبعده بيسير فى الباب الخامس من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال : « فكما احتوى الأب الحياة فى ذاته ، كذلك ملك ولده الاحتواء على الحياة فى ذاته ، وأعطاه سلطانًا ، وملكه الحكومة والسلطان والحياة ، كما هى للأب لأنه ابن الإنسان[٢٢٥] » .

* * *

قال أبو محمد : فهل سمع قط بأسخف من هذه العلة[٢٢٦] إذ أخبر أن من أجل أن المسيح هو ابن الإنسان ، ساواه الله بنفسه ، وهذا كله يوجب أنه غير الله ، ولابدَّ ، لأن المُعْطِى المملِّك هو غير المُعْطَى ، بلا شك .

* * *

---

(٢٢٥) النص الحالى : « لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة فى ذاته ، وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا ، لأنه ابن الإنسان » (الإصحاح ٥ / ٢٦ – ٢٨) .

(٢٢٦) فى (أ ، ب) : (المقالة) .

« فصـــل »

وبعده بيسير فى الباب نفسه : أن المسيح قال : « ولا أقوى أن أفعل من ذاتى شيئًا ، لكن أحكم بما أسمع ، وحكمى عدل ؛ لأنى لست أنفذ إرادتى إلَّا أرادة أبى الذى بعثنى ، فإن كنت أشهد لنفسى فإنَّ شهادتى غير مقبولة ، ولكن غيرى يشهد لى(٢٢٧).

* * *

وفى الباب السادس من إنجيل يوحنا أيضًا أن المسيح قال : إنما نزلت من السماء لأتم إرادة أبى الذى بعثنى ، لا إرادتى(٢٢٨).

* * *

وفى الباب السابع من إنجيل يوحنا أنه قال المسيح : « ليس علمى لى لكن للذى بعثنى(٢٢٩).

---

(٢٢٧) النص الحالى : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا ، كما أسمع أدين ، ودينونتى عادلة ، لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى ، إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقًا ، الذى يشهد لى هو آخر » (إنجيل يوحنا - الإصحاح ٥ / ٣٠ - ٣٢) .

(٢٢٨) النص الحالى : « لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » (الإصحاح السادس من انجيل يوحنا : ٣٨ - ٣٩) .

(٢٢٩) النص الحالى : « ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلّم ، فتعجب اليهود قائلين : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ، أجابهم يسوع وقال : تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى » (الإصحاح السابع من انجيل يوحنا : ١٤ - ١٧) .

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا أيضًا : « أن المسيح قال لهم : لو أحببتمونى لفرحتم بمسيرى إلى الأب ، لأن الأب أكبر منى[٢٣٠].

قال أبو محمد : فهل فى العبودية والتذلل بالحق لله تعالى أكثر من هذا ؟

وكيف يجتمع هذا الكلام مع الذى قبله بأسطار من أنه مساوٍ لله ، وأن الله لا يحكم بعد على أحد ، لكن تبرَّأ بالحكم كله إلى ولده ، أَمَا فى هذه المناقضات السخيفة عبرة لمن اعتبر ؟!

ثم عجب آخر قوله هاهنا : « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير مقبولة » .

ثم قال فى آخر الباب السابع من إنجيل يوحنا : « إن كنت شهدت لنفسى فشهادتى حق » فاعجبوا لهذا الاختلاط .

وهكذا ذكر فى الباب السادس من إنجيل يوحنا : أن جماعة من تلاميذه لما سمعوا هذه الأقوال المختلطة ارتدوا وفارقوه ، كما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

* * *

(٢٣٠) النص الحالى : « لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب ، لأن أبى أعظم منى » (انجيل يوحنا - الإصحاح ١٤ / ٣٨) .

من معجزات المسيح عليه السلام

« فصـــل »

وفى الباب السادس من إنجيل يوحنا : أنه لما أطعم الخمسة آلاف من خمس خبزات وحوتين فضل من شبعهم إثنتا عشرة سلة من خبز . قالت الجماعة هذا النبى حقًا[٢٣١]. فياللعجب : هلّا قالوا فيه مثل هذا القول ولو مرة واحدة .

* * *

(٢٣١) النص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى : « وكان الفصح عيد اليهود قريبًا فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعًا كثيرًا مقبل إليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزًا ليأكل هؤلاء ؟ ... قال له أندراوس أخو سمعان بطرس : هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان .. فأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا الناس (وكانوا نحو خمسة آلاف) وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا ، فلما شبعوا ، قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكى لا يضيع شىء ، فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير .. فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » (الإصحاح ٦ / ٤ - ١٥) .

« فصـــل »

ثم ذكر فى الباب السادس[٢٣٢] المذكور أنه أتى بكلام كثير لا يعقل من جملته أنه قال لهم : « آمين أقول لكم لئن لم تأكلوا لحم ابن الإنسان ، وتشربوا دمه لن[٢٣٣] تنالوا الحياة الدائمة فيكم ، فمن أكل لحمى وشرب دمى ينال الحياة الدائمة ، وأنا أقيمه يوم القيامة ، فلحمى هو طعم صادق ، ودمى شراب صادق ، فمن أكل لحمى وشرب دمى كان فىّ وكنت فيه ».

ثم ذكر يوحنا أنه قال جماعة من التلاميذ : هذا الكلام شاق ، ومن أجل ذلك ارتدّ جماعة من التلاميذ ، وذهبوا عنه[٢٣٤].

* * *

قال أبو محمد : وهذا الكلام وسواس صحيح لا يقوله إلا مختلط ، وقد أعاذ الله نبيه منه .

---

(٢٣٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الباب) .

(٢٣٣) فى (خ) : (لا تنالوا) .

(٢٣٤) النص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى : « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذى أنا أعْطِي هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم . فخاصم اليهود بعضهم بعضًا قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل ؟ فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان ، وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ... من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ، ولم يعودوا يمشون » (الإصحاح ٦ / ٤١ - ٦٧) .

« فصـــل »

وفى الباب السابع من يوحنا : أن إخوة[٢٣٥] يسوع قالوا : اذهب إلى بلد يهوذا ، واخرج من هاهنا لتعاين تلاميذك عجائبك التى تطلع ، فليس يختفى أحد بفعل يريد أن يطلع عليه ، فإذا كنت تريد هذا فأطلع على نفسك أهل الدنيا ، وكان إخوته لا يؤمنون به[٢٣٦].

* * *

قال أبو محمد : ففى هذا أنه كان يختفى بمعجزاته ، وهذا[٢٣٧] كما نرى .

* * *

---

(٢٣٥) فى (خ) : (أن أخاه .. قال) .

(٢٣٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) . والنص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى : « وكان عيد اليهود عيد المظالّ قريبًا ، فقال له إخوته : انتقل من هنا ، واذهب إلى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضًا أعمالك التى تعمل ، لأنه ليس أحد يعمل شيئًا فى الخفاء وهو يريد أن يكون علانية ، إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم ، لأن إخوته أيضًا لم يكونوا يؤمنون به » . (الإصحاح ٧ / ٣-٦) .

(٢٣٧) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هذا) .

« فصـــل »

وفى هذا الباب السابع من إنجيل يوحنا : أنه أتى إلى المسيح بامرأة قد زنت ، فلم يوجب عليها شيئًا ، وأطلقها[٢٣٨].

* * *

قال أبو محمد : وهو[٢٣٩] على خلاف هذا فقد زوروا المسيح ، وجوّروه ، أو فليشهدوا على أنفسهم بالجور والظلم .

* * *

(٢٣٨) النص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى : « وقدّم إليه الكتبة والفرّيسيون امرأة أمسكت فى زنا ، ولما أقاموها فى الوسط قالوا له يا معلم : هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل ، وموسى أوصانا فى الناموس أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت ؟ ... فقال : من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر .. فخرجوا وبقى يسوع .. فقال لها يا امرأة .. أما دانك أحد ، فقالت لا أحد يا سيد ، فقال لها يسوع : ولا أنا أدينك اذهبى ولا تخطىء أيضًا » (الإصحاح ٨ / ٣ -١٢) .

(٢٣٩) فى (أ ، ب) : (وهم) .

« فصل »

وفى آخر الباب السابع من إنجيل يوحنا أن المسيح قال : « أنا لا أحكم على أحد ، وإن حكمت فحكمى عدل ، لأنى لست وحيدًا لكنى أنا وأبى الذى بعثنى . وفى[٢٤٠] توراتكم : أن شهادة رجلين مقبولة ، وأنا[٢٤١] أؤدى الشهادة عن نفسى ، ويشهد لى الذى بعثنى[٢٤٢]» .

* * *

قال أبو محمد : ليت شعرى !! كيف يجتمع هذا الفصل مع الذى أوردنا فى الباب الثالث من إنجيل يوحنا أيضًا .. ؟ من أن الله تعالى لا يحكم بعد على أحد لأنه قد بريء بالحكم كله إلى ولده المسيح » .

* * *

---

(٢٤٠) فى (أ ، ب) : (وقيل فى توراتكم) .

(٢٤١) فى (أ ، ب) : (فإنى) .

(٢٤٢) النص كما جاء فى انجيل يوحنا الحالى الإصحاح الثامن لا السابع : « أما أنا فلست أدين أحدًا ، وإن كنت أنا أدين فدينونتى حق ، لأنى لست وحدى بل أنا والآب الذى أرسلنى ، وأيضًا فى ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق ، أنا هو الشاهد ويشهد لى الآب الذى أرسلنى » (الفقرات : ١٦ – ١٩) .

إثبات أن المسيح رسولا نبياً

« فصــل »

وفى الباب الثامن من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم : أنا رجل أديت إليكم الحق الذى سمعته عن الله[٢٤٣].

فهذا إقراره بأنه رجل يؤدى ما سمع فقط . مع استشهادهم فى الباب الثانى عشر من إنجيل « متّى[٢٤٤] بقول أشيعا النبى فى المسيح : إن الله تعالى قال فيه : هذا غلامى المصطفى ، وحبيبى الذى تخيرت » ، فصح أنه نبى من الأنبياء ، وعبد الله[٢٤٥].

* * *

---

(٢٤٣) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى : « وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » (الإصحاح ٨ / ٤٠) .

(٢٤٤) فى (خ) : (متّى الذى يقول) .

(٢٤٥) فى (خ) : (وعبد لله) . والنص كما فى انجيل متى الحالى : « لكى يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل : هو ذا فتاى الذى اخترته ، حبيبى الذى سرّت به نفسى » (اصحاح ١٢ / ١٧ ، ١٨) .

ادعاء النصارى أن المسيح هو الإله

« فصـــل »

وفى الباب التاسع من إنجيل يوحنا ، أن اليهود قالوا للمسيح : لسنا نرجمك[٢٤٦] لعمل صالح إلّا للشتيمة ، ولا دِّعائك الربوبية ، وأنت إنسان .

فقال لهم المسيح : أما قد كنت[٢٤٧] فى كتابكم الزبور حيث يقول : أنا[٢٤٨] قلت : أنتم آلهة ، وبنو العلى كلكم ، فإن كان اسمى[٢٤٩]: الله الذى كلمهم آلهة – ولا سبيل إلى تحريف الكتاب ولا تبديله – فلم تقولون : فيمن بارك الله عليم ، وبعثه إلى الدنيا إنه شتم . إذا قلت إلى ابن الله ، إن كنت لا أفعل أفعال أبى فلا تصدقونى ، إلى قوله : لتعلموا أنى الآب[٢٥٠]، والآب منى[٢٥١].

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن فيلتش[٢٥٢] الحوارى قال للمسيح : يا سيدنا أرنا الأب ، ويكفينا . فقال له المسيح : طول هذا الزمان كنت فيكم[٢٥٣] ولا تعرفونى[٢٥٤]، من رآنى

---

(٢٤٦) فى (خ) : (لسنا نرجيك) وهذا تحريف .
(٢٤٧) فى (أ ، ب) : (قد كتب) .
(٢٤٨) فى (أ ، ب) : (أما قلتم) .
(٢٤٩) فى (أ ، ب) : (سمّى) .
(٢٥٠) فى (أ ، ب) : (أنى فى الأب) .
(٢٥١) النص الحالى : « أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف ، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا ، أجابهم يسوع : أليس مكتوبًا فى ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة ، إن قالت آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ، ولا يمكن أن ينقض المكتوب ، فالذى قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له : إنك تجدّف لأنى قلت إنى ابن الله ، إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أنَّ الآب فىَّ وأنا فيه » (الإصحاح ١٠ / ٣١ - ٣٨) .
(٢٥٢) هكذا جاء فى الأصل . وهو كما جاء فى الأناجيل المختلفة (فيلبس) بالباء والسين .
(٢٥٣) فى (أ ، ب) : (كنت معكم) .
(٢٥٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (يابلس) .

فقد رأى الأب ، فكيف تقول أنت : أرنا الأب ؟ أليس تؤمن أنّى أنا فى الآب ، وأن الأب هو فىّ[٢٥٥]؟ فكيف هذا ..؟!! مع قول يوحنّا الذى ذكرنا فى أول إنجيله أن الآب لم يره أحد قط .

* * *

(٢٥٥) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى ، الإصحاح الرابع عشر لا الحادى عشر : « قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا ، قال له يسوع أنا معكم زمانًا هذه المدة ولم تعرفنى يا فيلبس ، الذى رآنى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت : أرنا الآب ، ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ . الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى لكن الآب الحالّ فىّ هو يعمل الأعمال ، صدّقونى أنى فى الآب والآب فىّ » (الإصحاح ١٤ / ٨ - ١١) .

« فصل »

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا المذكور أن المسيح قال لتلاميذه : أنا فى أبى وأنتم فىّ ، وأنا فيكم .

* * *

قال أبو محمد : إذا كان هو الأب ، والأب فيه ، وهو فى التلاميذ ، والتلاميذ فيه فالأب فى التلاميذ ، والتلاميذ فى الأب ضرورة . فأىّ مزية له عليهم ، وهل هو وهم إلا سواء فى كونه وكونهم فى الله ، وكون الله فيهم وفيه ؟

ثم هذا الكلام لا يعقل ولا يفهم منه إلا الاستخفاف والكفر فقط ، لأنه إذا كان فيهم بذاته فقد صاروا له مكانًا ، وصار تعالى محدودًا ، وهذه صفة المحدث ، فإن كان فيهم بتدبيره فهكذا يدبر فى كل حى وميت ، وكل جماد ، وكل عرض . ولا فرق . ولا فضيلة فى هذا أصلًا إلَّا الضلال[٢٥٦].

* * *

---

(٢٥٦) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (إلا الضلال) .

« فصـــل »

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم : لست أسميكم بعد عبيدًا لأن العبد لا يدرى ما يصنع سيده ، وقد سميتكم إخوانًا[٢٥٧].

وفى آخر الباب المذكور أن المسيح قال : أنا من الله خرجت ، ومن الأب انبعثت[٢٥٨].

ففى أحد هذين الفصلين : أن التلاميذ قد عتقوا من عبودية البارى عز وجل ، وأنهم إخوانه ، وهو خرج من الله ، ومنه انبثق . فهم كذلك أيضًا فأىّ مزية له عليهم ؟ مع سخف هذا الكلام ، وأنه لا يدرى لهذا الانبثاق معنًى أصلًا ، والانبثاق لا يكون إلَّا من الأجسام ضرورة .

* * *

(٢٥٧) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى : « لا أعود أسميكم عبيدًا لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده ، لكنى قد سميتكم أحباء » (الإصحاح ١٥ / ١٥ ، ١٦) .

(٢٥٨) النص الحالى : « إنى من عند الله خرجت ، خرجت من عند الآب ، وقد أتيت إلى العالم ، وأيضًا أترك العالم وأذهب إلى الآب » (انجيل يوحنا – الإصحاح ١٦ / ٢٧ ، ٢٨) .

ادعاء النصارى أن المسيح يشرِّف الله

« فصـــل »

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل يوحنا فى أوله : أن المسيح قال رافعًا عينيه إلى السماء : « يا أبتاه قد آن الوقت فشرِّف ولدك لكيما يشرفك ولدك[٢٥٩] » .

وبعده بيسير : أن المسيح قال لله : أنا شرفتك على الأرض[٢٦٠].

* * *

قال أبو محمد : هذه مصيبة الدهر لم يقنعوا للمسيح بنبوة الله حتى وصفوه بمساواته لله تعالى ، ثم لم يقنعوا بمساواته لله حتى قالوا : إن الله تعالى قد انعزل له عن الحكم ، وليس يحكم على أحد ، وأنه قد برىء بالملك والحكم كله إلى المسيح ، ثم لم يقنعوا له بالعزلة والخمول حتى جعلوا المسيح يشرف الله تعالى .

ياللناس !! هل سمعتم بأعظم من هذا الكفر ؟ ، والله والله قطعًا ما قال هذا الكلام قط مؤمن بالله تعالى أصلًا ، وما كانوا إلَّا دهرية مستخفين رقعاء ، فعليهم أضعاف كل لعنة لعنها الله تعالى[٢٦١] سواهم من الكفرة .

---

(٢٥٩) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى : « مجّد ابنك بيمجدك ابنك أيضًا » (الإصحاح ١٧ / ١ ، ٢) .

(٢٦٠) وبعده بيسير قال : « أنا مجدتك على الأرض » (الإصحاح ١٧ / ٤) .

(٢٦١) فى (أ ، ب) : (من سواهم) .

قال أبو محمد : فى إنجيل يوحنا : « أنّ المسيح قال : أنا أميت نفسى ، وأنا أحييها » ، فليت شعرى !! كيف يمكن أن يحيى نفسه وهو ميت ؟.

* * *

قال أبو محمد : فهذه سبعون فصلًا فى أناجيلهم من كذب بحت ، ومناقضة لا حيلة فيها . ومنها فصول يجمع الفصل منها ثلاث كذبات فأقل أو أكثر ، على قلة مقدار أناجيلهم ، وجملة أمرهم فى المسيح – عليه السلام – أنه مرة بنص أناجيلهم : ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف وابن داود ، وابن الإنسان ، ومرة هو إله يخلق ويرزق ، ومرة هو : خروف الله ، ومرة هو فى الله ، والله فيه ، ومرة هو فى تلاميذه ، وهم[٢٦٢] فيه ، ومرة : هو : علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد ، ولا تنفذ إرادته ، ومرة هو : نبى وغلام . ومرة أسلمه الله إلى أعدائه . ومرة قد انعزل الله له عن الملك ، وتولّاه هو ، وصار يشرف الله تعالى ، ويعطى مفاتيح السماوات ، ومرة يولى أصحابه خطة التحريم والتحليل فى السماوات والأرض . ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعطش ويشرب ، ويعرق من الخوف ، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تينا يأكله ، ويفشل فيركب حمارة ، ويؤخذ ويلطم وجهه ، ويضرب رأسه بالقصبة ، ويبزق[٢٦٣] فى وجهه ، ويضرب ظهره بالسياط ، وتمر به[٢٦٤] الشرط ، ويتهكمون به ، ويسقى الخل فى الحنظل ، ويصلب بين سارقين ، وتسمّر يداه ، ومات فى الساقة[٢٦٥] ودفن ثم يحيا بعد الموت ، ولم يكن له هم إذا حيا بعد الموت واجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه[٢٦٦] الحوت المشوى ، وسقوه العسل ، ثم انطلق إلى شغله .

هذا كله نص أناجيلهم ، وهم قد اقتصروا فى دينهم من كل هذا[٢٦٧] على أنه إله معبود فقط ، وهم يأنفون[٢٦٨] من إله مع الله . وأناجيلهم وأمانتهم توجب أن المسيح إله آخر غير الله ، بل يقعد عن يمين الله ، وأنه أكبر منه ، وهو يخلق كما يخلق ، ويحيى كما يحيى ، فبالضرورة توجب أنهم قائلون بإلاهين ولابدّ متغايرين .

---

(٢٦٢) فى (أ ، ب) : (وتلاميذه فيه) .

(٢٦٣) فى (أ ، ب) : (ويزق) وهو تحريف

(٢٦٤) فى (أ ، ب) : (يميته الشرط) . وهو تحريف .

(٢٦٥) فى (أ ، ب) . (الساعة) .

(٢٦٦) فى (أ ، ب) : (الخبز والحوت) .

(٢٦٧) فى (أ ، ب) : (من هذا كله) .

(٢٦٨) فى (أ ، ب) : (ينفون) .

(٢٦٩) فى (أ ، ب) : (من الخذلان) .

« ذكر بعض ما فى كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس »

قال أبو محمد : قال يوحنا بن سبذاى فى إحدى رسائله الثلاث : يا أحبابى : نحن الآن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ما نحن كائنون ، وقد نعلم أنه إذا ظهر سنكون أمثالًا له ؛ لأننا نراه كما هو[1].

قال أبو محمد : أى الكفر أعظم من قول[2] هذا الكذاب ؟ إنهم أولاد الله ، وإنهم سيكونون مثل الله إذا ظهر وقال[3] اللعين فى كتاب الوحى والإعلان : « إنه رأى الله عزّ وجل شيخًا أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون[4]، والمسيح يقرأ بين يديه فى كتاب من ذهب والملائكة يقولون : هذا خروف الرب[5]، والأسواق قائمة بين يديه ، القمح كذا وكذا قفيزًا بدينار ، الشعير كذا وكذاقفيزًا بدينار[6]، الخمر كذا وكذا قسطًا بدينار ، والزيت كذا وكذا قسطًا بدينار . فهل هذا إلّا هزل وعيارة ، وتماجن وتطايب .

---

(١) النص كما جاء فى رسالة يوحنا الرسول الحالية : « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله ، من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه ، أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون ؟ ولكن نعلم أنه إذا أظهر تكون مثله لأننا سنراه كما هو » (الإصحاح ٣ / ١ - ٣) .

(٢) فى (أ ، ب) : (من كفر)

(٣) فى (أ ، ب) : (هذا اللعين) .

(٤) اللَّياط ككتاب : الكِلْسُ والجصّ .

(٥) النص كما جاء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى : « .. ولما التفتّ رأيت سبع منابر من ذهب ، وفى وسط السبع منابر شبه ابن إنسان متسربلًا بثوب إلى الرجلين ، ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون ، وصوته كصوت مياه كثيرة ، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب وسيف ماض ذو حدين .... فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى علىّ قائلًا لى لا تخف أنا هو الأول والآخر (الإصحاح الأول / ١٢ - ١٨) .

(٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله : (والشعير كذا وكذا قفيز بدينار) .

وقال شمعون فى إحدى رسالتيه[٧]: « يومئذ يأتى الربُّ كمجيء اللص[٨]» ، فلعمرى !! لقد شبه ربّه تشبيهًا هو أولى به ، ولا مئونة على هذين الكلبين ، وعلى يهوذا ويعقوب اللعينين فى رسائلهم الفارغة من كل خير ، الباردة المملوءة من كل كفر وهوس أن يقولوا : « قال الله والد ربنا المسيح ، وفعل الله والد سيدنا المسيح[٩]» ، كأنهم والله إنما يخبرون عن نسب من الأنساب ، وولادة من الولادات .

وقال بولس اللعين فى إحدى رسائله — وهى التى إلى أهل غلاذية[١٠] فى الباب السادس منها : « نشهد لكل إنسان يختتن أنه يلزمه أن يحفظ شرائع التوراة[١١]» . وقال أيضًا قبل ذلك : « إن اختتنتم فإن المسيح لا ينفعكم » .

فاعجبوا لهذه ، واعلموا أنه قد ألزمهم دينين ، أمامن كان مختونًا فإن شرائع التوراة كلها تلزمه ولا ينفعه المسيح . وأما من كان غير مختون فالمسيح ينفعه ولا تلزمه شرائع التوراة . وهو النذل[١٢].

وسائر التلاميذ كانوا بإجماع من النصارى مختونين كلهم ، فوجب أن المسيح لا ينفعهم ، وأن شرائع اليهود فى التوراة[١٣] كلها لهم لازمة ، وأكثر مَنْ بَيْنَ أظهر المسلمين منهم اليوم مختونون . فإن كان بولس صادقًا فإن المسيح لا ينفعهم وإن شرائع التوراة كلها[١٤] لازمة لهم . وإن كان كاذبًا فى ذلك فكيف يأخذون دينهم عن كذاب ، ولابدَّ من أحدهما .

وقال أيضًا فى إحدى رسائله : « إن يوحنا بن سبذاى ، ويعقوب بن يوسف النجار ، وباطره : أمروه أن يكون هو يدعو إلى ترك الختان ، ويكونون هم يدعون إلى الختان .

---

(٧) فى (أ ، ب) : رسائله .

(٨) النص الحالى كما جاء فى رسالة بطرس الرسول الثانية : « ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة » ففى هذا النص يجعل الفاعل « يوم الرب » لا « الرب » ، ويبدو أن هذه الترجمة غير التى اعتمد عليها أبو محمد ، لأنه على هذه الترجمة لا مأخذ .. (راجع النص كاملًا فى الإصحاح الثالث : ٨ — ١٠) .

(٩) راجعنا رسالة يعقوب الحالية ، ورسالة يهوذا فلم نجد هذا القول ولا ما يشبهه فى المعنى ، والذى وجدناه هو قول كل منهما : « قال رسل ربنا يسوع المسيح .. منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح .. » وينكرون السيد الوحيد الله .. وربنا يسوع المسيح » (راجع رسالة يهوذا) . وقد ورد فى رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » (الإصحاح الأول : ٢) . وفى رسالته إلى العبرانيين : « لأنه لمَن من الملائكة قال قط : أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك ، وأيضًا أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنًا » (الإصحاح الأول : ٥ — ٧) .

(١٠) فى (أ ، ب) : (غلا ربه) .

(١١) فى (أ ، ب) : (كلها) . والنص الذى ورد فى رسالة بولس الحالية : « جميع الذين يريدون أن يعملوا منظرًا حسنًا فى الجسد هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لئلايضطهدوا لأجل صلب المسيح فقط ، لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكى يفتخروا فى جسدكم ، وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى ، وأنا للعالم لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئًا ، ولا الغُرلة بل الخليقة الجديدة » (رسالة بولس : الإصحاح السادس / ١١ — ١٧) .

(١٢) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة النذل .

(١٣) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (فى التوراة) .

(١٤) فى (أ ، ب) : (كلهم لهم) .

قال أبو محمد : هذا غير طريق التحقيق فى الدعاء إلى الدين ، وإنما هى دعوة حيلة وإضلال مبنية لا حقيقة لها .

وقال بولس : إن يعقوب بن يوسف النجار : كان مرائيا يتحفظ من مداخله الأجناس بحضرة اليهود ، وأن بولش واجهه بذلك بأنطاكية وعنفه على ذلك .

أفيجوز أخذ الدين من امرىء مدلس ؟

وقال هذا اللعين بولش أيضًا فى إحدى رسائله : « إن يسوع بينما كان فى صورة الله لم يغتنم أن يكون مساويًا لله ، بل أذل نفسه ولبس صورة عبد .

* * *

قال أبو محمد : فهل سمع قط بأوحش من هذا الكفر ، أو أحمق من هذا الكلام ؟ أو أسخف من هذا الاختيار ؟ وهل يتذلل الإنسان ، ويحمل كلّ بلاء فى الدنيا إلّا ليصل إلى رضا الله عزّ وجل فقط ؟

فليت شعرى !! هل بعد الوصول إلى مساواة الله تعالى عند هؤلاء الأقذار منزلة تُبتَغى فيرفضها المسيح لينال أعلى منها ؟

اللهم قد ذكرنا تلك المنزلة ، وهى التى وصفها يوحنا اللعين فى إنجيله : من أن الله تعالى عن كفرهم – اعتزل عن الملك والحكم وتولّاهما المسيح ، وتبرّأ إليه بكل شىء . ثم إن المسيح شرفه تعالى عن ذلك – اللهم العن – وقد فعلت[١٥]– عقولًا يجوز منها هذا الحمق .

* * *

وقال هذا النذل فى بعض رسائله : « إنّى كنت أتمنى أن أكون محرومًا من المسيح » .

قال أبو محمد : ليت شعرى مَنْ ضَغطه ؟ وما المانع له من أن يكفر بالمسيح فيبلغ مناه ويصير محرومًا منه .. ؟ ووالله إنه لمحروم منه بلا شك .

---

(١٥) فى (أ ، ب) : لم يذكر (وقد فعلت) .

وقال هذا النذل بولس أيضًا فى بعض رسائله الخسيسة : اليهود يطلبون الآيات واليونانيون يطلبون الحكمة ، ونحن نشرع أن المسيح صلب .

وهذا القول عند اليهود فتنة الزلق[١٦]، وعند الأجناس جهل ونقص . وعند المجتبين[١٧] من اليهود واليونانين : أن المسيح : علم الله وقدرته ، لأن ما كان جهلًا عند الله هو أحكم ما يكون عند الناس ، وما هو ضعيف عند الله هو أقوى ما يكون عند الناس .

* * *

قال أبو محمد : فهل فى بيان قحة هذا النذل وسخريته بمن[١٨] اتبعه ، وتحقيق ما تدعيه اليهود : أن أسلافهم دسّوا هذا النذل[١٩] بولش لإضلال أتباع المسيح عليه السلام – أكثر من هذا الكلام[٢٠] فى إبطاله الآيات والحكم ؟!

إن أحكم ما يكون عند الناس هو الجهل عند الله فمحصول كلامه[٢١]: اتركوا العقل وموجبه ، واطلبوا الحمق وتدينوا به . نعوذ بالله مما ابتلاهم به .

* * *

وقال بولس أيضًا فى بعض رسائله : إنه لا تبقى دعوة كاذبة فى الدين أكثر من ثلاثين سنة .

* * *

قال أبو محمد : هو عندهم – لعنه الله – أصدق من موسى بن عمران[٢٢] عليه السلام فإن كان صدق[٢٣] هاهنا فما يحتاج معهم إلى برهان فى صحة دين الإسلام ، ونبوة محمد

---

(١٦) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (الزلق) . والزَّلَق محركة ككتف ونحم والفعل زَلَق كفرح ونصر ذَلَّ .
(١٧) فى (أ ، ب) : (المختنين) .
(١٨) فى (أ ، ب) : (لمن) .
(١٩) فى (أ ، ب) : (الرذل) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : (القول) .
(٢١) فى (أ ، ب) : (هذا الكلام) .
(٢٢) فى (خ) : لا توجد كلمة (ابن عمران) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (صادقا) .

- ﷺ - سوى هذا ، فإن لهذه الدعوة أربعمائة عام ونيفا وخمسين عامًا ظاهرة ، والحمد لله رب العالمين ، فيلزمهم أن يرجعوا إلى الحمق ، أو يكذبوا بولس بشيرهم .

* * *

وقال بعض من يعظمونه من أسلافهم ، وهو يوحنا فم الذهب ، بطريارك القسطنطينية ، فى كتاب له معروف عندهم : إن الشجرة التى أكل منها آدم ، وبسببها أخرج من الجنة كانت شجرة تين ، وإن الله أنزل تلك الشجرة بعينها إلى الأرض ، وهى التى دعا المسيح عليها فيبست ، إذ طلب فيها تينًا يأكله فلم يجد ، وهى نفسها الخشبة التى صلب عليها قال : وبرهان ذلك أنك لا تجد غارًا إلَّا وعلى فمه شجرة تين نابتة .

فاعجبوا لهذا الهزل والعيارة والمجون ، والبرهان البديع . واعلموا أنهم بأجمعهم متفقون على أن يصوروا فى كنائسهم صورة يقولون : هى صورة البارى عزَّ وجل ، وأخرى صورة المسيح ، وأخرى صورة مريم ، وصورة باطرة ، وصورة بولش ، والصليب ، وصورة جبريل ، وصورة ميكائيل وصورة إسرافيل ، ثم يسجدون للصور سجود عبادة ، ويصومون لها تدينًا . وهذا هو عبادة الأوثان بلا شك والشرك المحض ، وهم ينكرون عبادة الأوثان ثم يعبدونها علانية ، وحجتهم فى هذا حجة عباد الأوثان[٢٤] أنفسهم[٢٥]، وهى أنهم يتقربون بذلك إلى أصحاب تلك الصور ، لا إلى الصور بأعيانها . واعلموا أنهم لم يزالوا بعد المسيح بأزيد من مائة عام يصومون فى شهر كانون الآخر إثر عيد الحجيج ، أربعين يومًا متصلة ثم يفطرون ثم يعيدون الفصح مع اليهود اقتداءً بالمسيح ، إلى أن أبطل ذلك عليهم خمسة من البطاركة اجتمعوا[٢٦] على ذلك ونقلوا صيامهم وفصحهم إلى ما هم عليه اليوم ، فكيف ترون هذا الدين .. ؟ ولعب أهله به ، وحكمهم بأن ما مضى عليه المسيح والحواريون ضلال وكفر .. ؟ ولا يختلفون أصلًا فى أن شرائعهم كلها إنما هى من عمل أساقفتهم وملوكهم علانيةً . فهل تطيب نفس من به مسكة عقل على أن يبقى ساعة على دينٍ هذه صفته ؟ فكيف يلقى الله على دينٍ يُقرّ بلسانه ويعلم بقلبه أنه ليس من عند الله تعالى ، ولا مما أتى به نبى ، ونعوذ بالله من الضلال[٢٧].

---

(٢٤) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (الأوثان) والعبارة هكذا : « غباة نفسا » .

(٢٥) فى الأصل (نفسها) .

(٢٦) فى (أ ، ب) : (أجمعوا) .

(٢٧) فى (أ ، ب) : (الخذلان) .

ومن عظيم هَوسَهم قولهم كلهم : إن المسيح أتى ليأخذ بجراحة آلامنا وبكلومه ذنوبنا ، وهذا كلام فى غاية السّخف !! ليت شعرى أى ألمٍ أخذ بجراحه[٢٨] أم كيف تؤخذ ذنوب الناس بكلوم المسيح ؟! وما نراهم إلا يألمون ويذنبون كما يألم غيرهم ولا فرق .

ومن فضائحهم دعواهم أن إهلانى[٢٩] والدة قسطنطين[٣٠] أول من تنصر من ملوك الروم ، وذلك بعد أزيد من ثلاثمائة سنة من رفع المسيح ، وجدت الخشبة التى صلب فيها المسيح والشوك الذى جعل على رأسه ، والدم الذى طار من جنبه ، والمسامير التى ضربت فى يديه[٣١]. فليت شعرى أين وجد[٣٢] هذا السخام كله .. ؟ وأهل ذلك العين كلهم مطرودون مقتولون حيث وجدوا ، والمدينة خربة[٣٣] أزيد من مائتى عام لا أنيس فيها[٣٤]، ثم من لهم بأنها تلك .. ؟ وأين بقى[٣٥] أثر الدم والمسامير والشوك والخشبة تلك المدة العظيمة ، فى البلاد الخالية المقفرة ؟ ولا شك فى أنه إذ صُلب — كما يقولون — كان أصحابه مختفين وأعداؤه لا يلتفتون إلى أمره ، أيكون فى السخف أعظم من هذا ؟! وما عقولهم إلا عقول من يصدق بالأغرقون[٣٦]، والعنقاء[٣٧]، وبكل ما لا يمكن .

واعلموا أن كل ما يدعونه لباطرة ويوحنا ومارقش وبولش من المعجزات فإنها أكذوبات موضوعة ، لأن هؤلاء الأربعة لم يكونوا قط[٣٨] مذ[٣٩] رفع المسيح عليه السلام ، ومذ تنصر بولش إلا مطلوبين ، مشردين ، مضروبين ، كالزنادقة مستترين .

وقد ذكر بولش عن نفسه أن اليهود ضربوه[٤٠] خمس مرات بالقضبان ، كل مرة تسعًا وثلاثين

---

(٢٨) فى (أ ، ب) : (بجراحته) .

(٢٩) فى (أ ، ب) : (هيلانى) . وهيلانه : هى أم قسطنطين خبرها فى الكامل لابن الأثيرجـ ١ ص ١٨٩ ، وهى التى بنت كنيسة القيامة .

(٣٠) وقيل فى سبب تنصر قسطنطين أنه كان قد كبر وساء خلقه وظهر به وضح كبير فأرادت الروم خلعه من الملك فشاور نصحاءه فأشاروا عليه أن يحتال بالدين ، وكانت النصرانية قد ظهرت خفية ، فقالوا له استمهلهم حتى تزور بيت المقدس فإذا رته دخلت فى دين النصرانية ، وحملت الناس عليه فتقاتل من عصاك بمن أطاعك ، وما قاتل قوم على دين إلا نصروا ، ففعل ذلك ، وقاتل من خالفه وانتصر عليهم فقتلهم وأحرق كتبهم وحكمتهم ، وبنى القسطنطينية ونقل الناس إليها ، وبقى ملكه وغلب على الشام . (الكامل لابن الأثير ص ١٨٩ الجزء الأول) .

(٣١) فى (أ ، ب) : (يده) .

(٣٢) فى (أ ، ب) : (وجدوا) .

(٣٣) فى (أ ، ب) : (خالية) . ويقصد مدينة (بيت المقدس) وهى التى عثرت فيها على الخشبة كما زعموا .

(٣٤) فى (أ ، ب) : (بها) .

(٣٥) فى (أ ، ب) : (يبقى) .

(٣٦) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (الأغرقون) ، الذى جاء فى القاموس المحيط (أغاريقون) وهو أصل نبات أو شىء يتكون فى الأشجار المسوسة ترياق للسموم ، صالح للنساء والمفاصل ومن علّق عليه لا يلسعه عقرب (قاموس — غرق) .

(٣٧) العنقاء : الداهية ، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم (محيط — عنق) .

(٣٨) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (قط) .

(٣٩) فى (أ ، ب) : (من) .

(٤٠) فى (خ) : « زيادة كلمة (الملكوت) بعد ضربوه » .

جلدة ، وأنه رجم بالحجارة فى جمع عظيم ، وتدلى من سور دمشق فى قفة خوف القتل ، ومع ذلك تظاهروا[٤١] بدين اليهود إلى أن صلبوا أو قتلوا إلى لعنة الله ، ولا يجوز أن تصحَّ معجزة إلا بنقل كافة من مثلها ، ممن شاهد ذلك ظاهرًا ولكن دعوى النصارى ذلك[٤٢] لمن ذكرنا أو لغيرهم ، من أسلافهم معجزة كدعوى المنَّانيَّة[٤٣] لمانى سواء بسواء ،فإنه لم يزل مستترًا إلا شهورًا يسيره .. إذ اختدعه « بهرام بن بهرام الملك[٤٤]»، حتى ظفر به وبأصحابه فقتلهم كلهم .وكدعوى اليهود لأحبارهم السالفين ، ولرؤوس المثايب[٤٥] المعجزات بالصناعات ، وكدعوى أصحاب الحلاج[٤٦] للحلاج ، وكدعوى طوائف من المسلمين مثل ذلك من المعجزات لشيبان الراعى ، ولإبراهيم ابن أدهم ، ولأبى مسلم الخولانى ولعبد الله[٤٧] بن المبارك .. رحمة الله عليهم وعلى غيرهم من الصالحين ، وكل ذلك كذب وتوليد من لا خير فيهم ،وإحالة على أشياء مغيبة لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد ، وكل طائفة ممن ذكرنا تعارض دعواها بدعوى سائر الطوائف ، ولا سبيل إلى الفرق بين شىء من هذه الدعاوى .

وقد قلنا لا يمكن ألبتة وجود معجزة إلا لنبى فقط ، ثم لا تصلح إلا بنقل بقطع العذر ، ويوجب العلم للكافر والمؤمن ، إلا من كابر حسّه وغالط نفسه ، وقال هذا سحر فقط ، وكذلك ما أغتر به كثير من جهالهم مما رأوا من عظيم اجتهاد رهبانهم ، أصحاب الصوامع

---

(٤١) فى (ح) : « مطاهرين » .

(٤٢) فى (ح) : لم تذكر كلمة (ذلك) .

(٤٣) المنانية : تنسب إلى مانى بن فتق بابك بن أبى برزام من الحسكانية ، واسم أمه مس ويقال (أوتاخيم) أو (مرمريم) ، كان أبوه فتق ينزل فى المدائن فى بيت الأصنام الذى يقال له (طيسفون) فلما كان فى يوم من الأيام هتف به هاتف : يا فتق لا تأكل لحمًا ، ولا تشرب خمرًا ولا تنكح بشرًا ، وكانت امرأته حاملًا بمانى ، فلما ولدته زعموا أنها كانت ترى المنامات الحسنة وكانت ترى كأن أحدًا يأخده فيصعد به إلى الجو ثم يرده ، وكان مانى يتكلم على صغر سنه بكلام الحكمه ، فلما تم له اثنتا عشرة سنة أتاه الوحى على زعمه ، وكان الملك الذى جاءه بالوحى يسمى (التوم) ومعناه بالنبطية (القرين) فقال له · اعتزل هذه الملة فلست من أهلها ، وعليك بالنزاهة وترك الشهوات ، ولم يأن لك أن تظهر لحداثة سنك ، فلما تم له أربع وعشرون سنة أتاه التوم فقال له : قد حان لك أن تخرج فتنادى بأمرك ، فخرج مانى يوم ملك سايور بن أردشير وزعم أنه « الفارقليط » الذى بشر به عيسى عليه السلام ، واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، ثم دعا فيرور أخا سابور بن أردشير فأوصله فيروز إلى أخيه سابور ، فلما رآه أعظمه وكبر فى عينه . قال مانى : مبدأ العالم كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وكل واحد منهما منفصل من الآخر ، فالنور له خمسة أعضاء : الحلم ، والعلم ، والعقل ، والغيب والفطنة وخمسة أخر روحانية وهى : الحب والإيمان والوفاء والمودة والحكمة .

والظلمة له خمسة أعضاء هى : الضباب والحريق والسموم والسم ، والظلمه ، ومن اختلاط هذه العناصر تكوَّن الإنسان . وظل على زندقته إلى أن ملك بهرام بن هرمز بن سابور وكان حليمًا متأنيا حسن السيرة فقتل مانى الزنديق وسلخه وحشا جلده تبنا وعلقه على باب من أبواب « جند يسايور » يسمى باب مانى . (راجع الفهرست للنديم : ص ٣٩١ الفن الأول من المقالة التاسعة ، الكامل لابن الأثير ص ٢٢٧ بتصرف) .

(٤٤) الصحيح أن الذى قتله هو بهرام بن هرمز بن سابور كما جاء فى الكامل لابن الأثير ص ٢٢٧ .

(٤٥) فى (أ ، ب) · « السبت » .

(٤٦) ورد التعريف به فى الجزء الأول .

(٤٧) هو عبد الله بن المبارك بن واضح بالولاء ، التيمى المروزى ، أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات . أفنى عمره فى الأسفار حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا ، جمع الحديث والفقه والعربية ، وكان من سكان خراسان ، ومات بهيت على الفرات منصرفًا من غزو الروم . له كتاب فى الجهاد ، وهو أول من صنف فيه . كانت حياته بين ١١٨ – ١٨١ هـ . (الإعلام / ٤ / ٢٥٦) .

والدِّ يرات والمطموس(٤٨) عليهم أبواب البيوت ، فليعلموا أنه ليس عندهم من الاجتهاد فى العبادة إلا جزء من أجزاءٍ كثيرة مما عند المنانية ، وشدة اجتهادهم ، والذى عند الصّابئين من ذلك أعظم ، فإنه يبلغ الأمر بهم إلى أن يَخْصِيَ الواحد نفسه ، ويسمل عينى نفسه ، اجتهادًا فى العبادة .

والذى عند الهند(٤٩) أكثر من هذا كله فإنهم لا يزالون يحرقون أنفسهم فى النار تقربًا إلى البُدّ(٥٠) ولا يزالون يرمون أنفسهم من أعالى الجبال كذلك ، فأين اجتهاد من اجتهادٍ ؟ وعُبَّادُ الهند لا يمشون إلا عراة ، ولا يلتبسون من الدنيا بشىء أصلًا ، فأين هذا من هذا لو عقلوا ؟! ولم ير قط أشد صريمة(٥١) من جاهل مقلّد ، لا سيما إذا اتفق أن يقال(٥٢) له يا أسود يا ضعيف ، وإن شئت فتأمل أساقفة النصارى وقسيسهم وحثالتهم تجدهم جملة(٥٣) أفسق الخلق ، وأرياهم(٥٤)، وأجمعهم للمال ، لا سبيل أن تجد منهم واحدًا بخلاف هذا ، وكذلك إن اعتبروا بصبر أوائلهم للقتل على دينهم ، حتى عملوا لهم الشائنات إلى اليوم ،فإن ذلك لا يتحرى(٥٥) من صبر المنّانية على القتل فى الثبات على دينهم ، ومن صبر دعاة القرامطة على القتل أيضًا ، وكل هذا لا يتعلق به إلا جاهل سخيف ، مقلد متهالك ، وإنما الحق فيما أوجبته براهين العقول ، والتى وضعها الله تعالى فينا لتمييز الحق من الباطل ، ونبا بها عن البهائم فقط ، ثم فى الاعتدال والاقتصار على ما جاء به صاحب الشريعة ، التى قام البرهان بصحتها عن الله تعالى ، وجماع ذلك ما جرى عليه أصحاب رسول الله ﷺ فى حياته وبعده عليه السلام .

* * *

وقال أبو محمد : وبقى لهما اعتراضان نذكرهما إن شاء الله تعالى :

أحدهما : أن قالوا قال الله عز وجل فى كتابكم ، حكاية عن المسيح عليه السلام ، أنه

---

(٤٨) فى (أ ، ب) : (والمطوس) وهو تحريف .

(٤٩) فى (أ ، ب) : « الهنود » .

(٥٠) البُدُّ : بضم الباء بيت فيه أصنام وتصاوير وهو تعريب كلمة (بُتّ) بالفارسية . وقال ابن مديد البد : الصنم نفسه الذى يعبد ولا أصل له فى اللغة (لسان العرب) .

(٥١) فى (أ ، ب) : (جريمة) . والصريمة : القطعة من الليل لأنها تنصرم وقت السحر . والصريمة العزيمة ، وقطع الأمر ، والقطعة من معظم الرمل . (محيط المحيط : للمعلم بطرس البستانى) .

(٥٢) فى (أ ، ب) : جاءت العبارة هكذا : « إذا اتفق أن يكون سوداويًا ضعيفًا » وهو تحريف ظاهر .

(٥٣) فى (أ ، ب) : (جتا لاقتهم .. جفلة) وهو تحريف ظاهر .

(٥٤) فى (أ ، ب) : (وأزناهم) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (لا يتجزّى) .

قال : « مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِين[٥٦]» .

وقال تعالى أيضًا مخاطبًا للمسيح عليه السلام : « إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٥٧]» .

قلنا نعم هذا خبر حق ، ووعد صدق ، وإنما أخبر تعالى عن المؤمنين ولم يسمهم ، ولا شك فى أن من ثبت عليه الكذب من « باطرة » و« متّى » ، و« يوحنا » و« يعقوب » ليسوا منهم لكنهم من الكفار المدعين له الربوبية كذبًا وكفرًا ، وأمَّا الموعودون بالنصرِ إلى يوم القيامة ، المؤمنون بالمسيح عليه السلام ، فهم نحن المسلمين المؤمنين به حقًا وبنبوّته ورسالته ، لا من كفر به وقال إنه كذّاب ، أو قال إنه إله أو ابن الله – تعالى الله عن ذلك – .

والثانى : أنهم[٥٨] قالوا : إن فى كتابكم : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا[٥٩]» . وفيه « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ[٦٠]» .

فهلا قلتم فيما فى التوراة والإنجيل كما تقولون فيما فى كتابكم ؟

قلنا بين الأمرين فرق بيِّن[٦١] كما بين قطبى الفلَك ، وذلك أن الذى فى القرآن ظاهر لا يحتاج فيه إلى تأويل ، فمعنى « وجاء ربك » « ويأتيهم الله » هو أمر معلوم فى اللغة التى بها نزل القرآن ، مشهور فيها تقول : جاء الملك وأتانا الملك ، وإنما أتى جيشه وسطوته وأمره ، فليس فيما تلوتم أمر ينكر ، وليس كذلك ما كتب فى توراتكم وأناجيلكم ، من التكاذب والتناقض ، والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : واعترضوا أيضًا بأن قالوا : كيف تحققون نقلكم لكتابكم وأنتم مختلفون أشد خلاف[٦٢] فى قراءتكم له .. ؟ وبعضكم يزيد حروفًا كثيرة وبعضكم يسقطها .. ؟ فهذا باب وأيضًا : فإنكم تروون بأسانيد عندكم فى غاية الصحة ، أن طوائف نبيكم عليه السلام ومن تابعيهم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم قرءوا القرآن بألفاظ زائدة ومبدّلة ، لا تستحلّون أنتم القراءة

---

(٥٦) سورة الصف : ١٤ .
(٥٧) سورة آل عمران : ٥٥ .
(٥٨) فى (أ ، ب) : (أن قالوا) .
(٥٩) سورة الفجر : ٢٢ .
(٦٠) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٦١) فى (خ) : لم تذكر كلمة (بيِّن) .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (الاختلاف) .

بها ، وأن مصحف عبد الله[٦٣] ابن مسعود خلاف مصحفكم ، وأيضًا فإن طوائِف من علمائكم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم يقولون إن عثمان بن عفان رضى الله عنه أبطل قراءات كثيرة صحيحة ،وأسقطها إذ كتب المصحف الذى جمعكم عليه ، وعلى حرف واحدٍ من الأحرف السبعة ، التى بها نزل القرآن عندكم ، وأيضًا فإن الروافض[٦٤] يزعمون أن أصحاب نبيكم بدّلوا القرآن ، وأسقطوا منه ، وزادوا فيه .

---

(٦٣) هو من أوائل المسلمين : هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وسكن على مقربة من المسجد ، شهد الغزوات كلها ، وقف إلى جانب أبى بكر فى حروب الردّة ، أرسله عمر إلى الكوفة ليشرف على بيت المال ويعلّم الناس أحكام الدين ، من كبار الصحابة ، ومن المحدّثين والمفسرين والفقهاء الأول ، يتحرّى فى الأداء ، ويشدّد فى الرواية والضبط . كتب بيده مصحفًا يسمى (مصحف ابن مسعود) . وفى مسند أحمد مجموعة رواياته . توفى سنة ٣٢ هـ بالمدينة وصلى عليه الزبير بن العوام (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٣ ص ٩٨٧ – ٩٩٤) .

(٦٤) الروافض : فرقة كبيرة من الفرق التى انحرفت عن الأسلام . سموا بذلك لأن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب امتنع أن يطاوعهم فى لعن أبى بكر وعمر . وقيل لأنهم رفضوا رأى الصحابة فى مبايعة أبى بكر وعمر . فهم غلاة فى حبِّ على وبغض الشيخين وعائشة ومعاوية وآخرين من الصحابة . وهم الذين جعلوا الإمامة بعد الرسول ﷺ لعلى رضى الله عنه ، ثم اختلفوا فى الإمامة بعده اختلافًا كبيرًا حتى بلغت فرقهم ثلاثمائة فرقة ، والمشهور منها عشرون ، منها : الإمامية والكيسانية ، والخطابيه ، والزيديه والبائية والكاملية . (دائرة المعارف : بطرس البستانى – بتصرف) .

« الكلام فى بعض اعتراضات النصارى وبيان فسادها »

قال أبو محمد : كل هذا لا متعلق لهم بشىء منه على ما نبين بما لا إشكال فيه عند أحدٍ وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم : إننا مختلفون فى قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفا وبعضنا يسقطها ، فليس هذا اختلافًا بل هو اتفاق منّا صحيح ، لأن تلك الحروف وتلك القراءات كلها مبلغ بنقل الكواف إلى رسول الله ﷺ أنها نزلت كلها عليه ، فأىّ تلك القراءات قرأنا فهى قراءة صحيحة ، وهى محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص ، فبطل التعلق بهذا الفصل ولله تعالى الحمد .

وأمّا قوله ، إنه قد روى بأسانيد صحاح عن طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن التابعين الذين نعظم ونأخذ ديننا عنهم ، أنهم قرؤوا فى القرآن قراءآتٍ لا نستحل نحن القراءة بها ، فهذا حق ونحن وإن بلغنا الغاية فى تعظيم أصحاب نبينا ﷺ ورضوان الله عليهم ، وتقرّبْنا إلى الله عز وجل بمحبتهم فلسنا نبعد عنهم الوهم والخطأ ، ولا نقلدهم فى شىء مما قالوه ، وإنما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول ﷺ ،مما[1] هو عندهم بالمشاهدة والسماع ، لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم .

وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوا برأى أو[2] بظن فلا نقول بذلك ،ولو أنكم أنتم فعلتم

---

(١) فى (أ ، ب) : (بما) .

(٢) فى (أ ، ب) : (وبظن) بالواو .

كذلك بأحباركم وأساقفتكم الذين بينكم وبين الأنبياء عليهم السلام ما عنفناكم ، بل كنتم على صواب وهدى ،متبعين للحق المنزل ، مجانبين للخطأ المهمل ، لكن لما[٣] لما تفعلوا هكذا بل قلدتموهم فى كل ما شرعوه لكم هلكتم[٤] فى الدنيا والآخرة ، وتلك القراءات التى ذكرتم إنما هى موقوفة على الصاحب أو التابع ،فهى ضرورةً وهْمٌ من الصاحب ، والوهم لا يعرّى منه أحد بعد الأنبياء عليهم السلام . أو وهم ممن دونه فى ذلك .

وأما قولهم : إن مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خلاف مصحفنا فباطل ، وكذب وإفك ، مصحف عبد الله بن مسعود إنما فيه قراءته بلا شك ، وقراءته هى قراءة عاصم[٥] المشهورة عند جميع أهل الإسلام ، فى شرق الأرض وغربها ، نقرأ بها كما ذكرنا كما[٦] نقرأ بغيرها ، مما صح أنه كل منزل من عند الله تعالى ، فبطل تعلقهم بهذا والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم ، إن طائِفة من علمائنا الذين أخذنا ديننا عنهم ، ذكروا أن عثمان بن عفان رضى الله عنه إذ كتب المصحف الذى جمع الناس عليه أسقط ستة أحرف ، من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها ، فهو مما قلنا . وهو ظن ظنّه ذلك القائِل أخطأ فيه وليس كما قال ،بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس ، وهو أن عثمان رضى الله عنه لم يلِ[٧] إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين ، والمصاحف والمساجد والقراء يعلّمون الصبيان والنساء ، وكل من دب وهب .

واليمن كلها ، وهى فى أيامه مدن وقرى ، والبحرين كذلك ، وعمان كذلك ، وهى بلاد واسعة مدن وقرى وملكها عظيم[٨]، ومكة والطائِف ، والمدينة والشام ، كلها كذلك ، والجزيرة كلها كذلك ومصر كلها كذلك ، والكوفة والبصرة كذلك ، فى كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وحده ، فلو رام عثمان ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلًا .

وأما قولهم : إنه جمع الناس على مصحفٍ فباطل ؛ ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا ، ولا ذهب عثمان قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه ، إنما خشى عثمان رضى الله عنه أن يأتى فاسق يسعى فى كيد الدِّين ، وأن يَهُمَّ وَاهِمٌ من أهل الخير فيبدل شيئًا من المصحف[٩] عمدًا ، وهذا وَهْمٌ فيكون اختلاف يؤدى إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجمَعًا عليها ، وبعث إلى كل

(٣) فى (أ ، ب) : بدون (لما) .
(٤) فى (أ ، ب) : (فهلكتم) .
(٥) عاصم : هو ابن أبى النجود بهدلة الكوفى الأسدى بالولاء ، أبو بكر ، أحد القراء السبعة تابعى من أهل الكوفة ، ووفاته فيها . كان ثقة فى القراءات ء وله اشتغال بالحديث . مات سنة ١٢٧ هـ ٧٤٥ م (الأعلام : ٤ / ١٢) .
(٦) فى (أ ، ب) : وبغيرها .
(٧) فى (أ ، ب) : (لم يلك) .
(٨) فى (خ) : لا توجد كلمة (وملكها عظيم) .
(٩) فى الأصل زاد (ذلك) .

أفق مصحفًا ، لكى إن وهم واهم ، أو بدّل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه ، فانكشف الحقُّ وبطل الكيد والوهم .

وأما قول من قال أبطل الأحرف الستة فقد كذب من قال ذلك ، ولو فعل عثمان ذلك وأراده لخرج عن الإسلام ، ولما مَطِل ساعة . بل الأحرف السبعة عندنا موجودة كلها قائمة ، كما كانت مثبوتة فى القراءات المشهورة والمأثورة ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم فى دعوى الروافض تبديل القرآن[١٠]، فإن الروافض ليسوا من المسلمين ، إنما هى فرقة[١١] حدث أولها بعد موت رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ، وكان مبدؤها إجابة ممن خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام ، وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر ، وهى طوائف أشدهم غلوًا بإلاهية على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وإلاهية جماعة معه . وأقلهم غلوًا يقولون : بأن الشمس ردت على على بن أبى طالب مرتين ، فقوم هذا أقل مراتبهم فى الكذب أيستشنع منهم كذب يأتون به .. ؟ وكل من لم يزجره عن الكذب ديانته أو نزاهة نفس أمكنه أن يكذب ما شاء ، وكل دعوى بلا برهان فليس يشتغل[١٢] بها عاقل ، سواء كانت له أو عليه ، ونحن إن شاء الله تعالى نأتى بالبرهان الواضح الفاضح لكذب الروافض ، فيما افتعلوه من ذلك .

قال أبو محمد : مات رسول الله ﷺ والإسلام قد انتشر وظهر فى جميع جزيرة العرب ، من منقطع البحر المعروف ببحر القلزم ، مارًا إلى سواحل اليمن كلها ، إلى بحر فارس إلى منقطعه مارًا إلى الفرات ، ثم على ضفة الفرات إلى منقطع الشام ، إلى بحر القلزم .

وفى هذه الجزيرة من المدن والقرى ما لا يعرف عدده إلا الله عز وجل ، كاليمن والبحرين ، وعمان ونجد ، وجبلى طىء ، وبلاد مضر وربيعة ، وقضاعة والطائف ، ومكة كلهم قد أسلم وبنوا المساجد ، ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا قد قرىء فيها القرآن فى الصلوات ، وعلمه الصبيان والرجال والنساء ، وكتب ومات عليه السلام ، والمسلمون كذلك ، ليس بينهم اختلاف فى شىء أصلًا ، بل كلهم أمة واحدة ، ودين واحد ، ومقالة واحدة ، ثم ولى أبو بكر رضى الله عنه سنتين وستة أشهر ، فغزا فارس والروم ، وفتح اليمامة وزادت قراءة الناس للقرآن ، وجمع الناس المصاحف كأبى بكر ، وعمر وعثمان وعلى وزيد ، وأبى زيد وابن مسعود ، وسائر الناس فى البلاد ، فلم يبق بلد إلّا وفيه المصاحف .

---

(١٠) فى (أ ، ب) : (القراءات) .
(١١) فى (أ ، ب) : (فرق) .
(١٢) فى (أ ، ب) : « يستدل » .

ثم مات رضى الله عنه والمسلمون كما كانوا لا اختلاف بينهم فى شىء أصلًا ، أمة واحدة ، ومقالة واحدة ، إلا ما حدث فى آخر حياة رسول الله ﷺ ، وأول ولاية[١٣] أبى بكر رضى الله عنه ، من ظهور **الأسود**[١٤] **العنْسى** فى جهة صنعاء ،ومسليمه[١٥] فى اليمامة ، يدعيان النبوة ،وهما فى ذلك مقران بنبوة محمد ﷺ معلنان بذلك ، وقد انقسم العرب ومن باليمن وغيرهم أربعة أقسام ، إثر موته عليه السلام ، فطائفه ثبتت على ما كانت عليه من الإسلام لم تبدِّل شيئًا ، ولزمت طاعة أبى بكر رضى الله عنه وهم الجمهور والأكثر .

وطائفة بقيت على الإسلام أيضًا ، إلا أنهم قالوا : نقيم الصلاة وشرائع الإسلام ، إلا أننا لا نؤدى الزكاة إلى أبى بكر ، ولا نعطى طاعةً لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ ، وكان هؤلاء كثيرًا إلا أنهم دون من ثبت على الطاعة ، ويبين هذا قول الحطيئة[١٦] العبسى .

« أطعنا رسول الله إذ كان بيننا .. فيالهفنا ما بال دين أبى بكر .

أيورثها بكرًا إذا مات بعده .. فتلك لعمْرو الله قاصمة الظهر .

وإن التى طالبتمُ فمنعتم .. لكالتمر أو أحَلى لدىَّ من التمر »

يعنى الزكاة ثم ذكر القبائِل الثابتة على الطاعة فقال :

« فيإست بنى سعد واستاه طى .. ويإست بنى دودان حاشى بنى نضر[١٧]» .

* * *

(١٣) فى (أ ، ب) : « خلافة » .

(١٤) هو : عيهلة بن كعب بن عوف العنسى المذحجى ذو الخمار ، متنبىء مشعوذ من أهل اليمن ، كان بطاشًا جبارًا ، أسلم مع القبائل اليمنية الأولى التى وفدت على النبى ، ولكنه ارتد فى عهد النبى عليه السلام فكان من أوائل المرتدين فى الإسلام ، تغلب على نجران وصنعاء ، واتسع سلطانه لأنه كان صاحب حيل وأعاجيب استهواهم بها ، وقد اغتيل فى خبر طويل أورده ابن الأثير قبل وفاة النبى عليه السلام بشهر واحد .

(١٥) هو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفى الوائلى ، أحد الذين ادعوا النبوة ، يضرب به المثل فى الكذب ، ولد ونشأ باليمامة فى وادى حنيفة من نجد ، وتلقب فى الجاهليه بالرحمن وقد أكثر من وضع الأسجاع التى يحاول بها مضاهاة القرآن الكريم ، حاربه خالد بن الوليد ، وخلص الإنسانية من شروره . (الأعلام : حـ ٨ ص ١٢٥ ، ١٢٦) .

(١٦) الحطيئة العسى : توفى ٤٥ هـ ٦٦٥ م ، وهو جرول بن أوس بْن مالك العبسى أبو مليكة ، شاعر مخضرم ، كان هجاء عنيفًا ، لم يكد يسلم من لسانه أحد ، وقد اشتهر بهجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن الخطاب فسجنه بالمدينه حتى استعطفه بأبيات فتركه بعد أن دفع له بعض الصِّلات ليكف عن هجاء المسلمين ، وله ديوان شعر . (الأعلام : حـ ٢ ص ١١٠) .

« إبطال ما تمسكت به النصارى من بعض أقوال الرافضة »

قال أبو محمد : لكن والله بإستاه بنى نضْر ، وبإست الحطيئة ، حلت الدائرة والحمد لله رب العالمين .

وطائِفة ثالثة أعلنت الكفر والردة ،كأصحاب طليحة وسيجاح ، وسائِر من ارتد ، وهم قليل بالإضافة إلى من ذكرنا ، إلا أن فى كل قبيلة من المؤمنين من يقاوم المرتدين ،فقد كان باليمامة ثمامة بن[1] أثال الحنفى ، فى طوائف مسلمين ، محاربين لمسيلمة ، وفى قوم الأسود أيضًا كذلك ، وفى بنى تميم ، وبنى أسد الجمهور من المسلمين ، وطائفة رابعة توقفت فلم تدخل فى أحد من الطوائف المذكورة ، وبقوا يتربّصون لمن تكون الغلبة كما لك[2] بن نويرة وغيره ، فأخرج أبو بكر رضى الله عنه إليهم البعوث فقتل مسيلمة ، وقد كان فيروز ، وذادونذ[3] الفارسيّان الفاضلان رضى الله عنهما قتلا « الأسود العنسى[4]» فلم يمض عام واحد[5] حتّى راجع الجميع الإسلام ، أوّلهم

---

(١) البيت كما ورد فى الديوان .

فَبِـاسْتِ بَنـى عَبْسٍ وأفنـاء طـىء وبـاسْتِ بَنـى دُودَانَ حاشا بنـى نصـر

(٢) هو ابن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعى ، فارس وشاعر ، يضرب به المثل فيقال : فتًى ولا كمالك ولّاه الرسول ﷺ الصدقات على قومه من بنى يربوع ، ولما صارت الخلافة إلى أبى بكر ، اضطرب مالك فى أموال الصدقات وفرقها على قومه ، وقد قتله خالد بن الوليد فى حروب الردّة وله قصة تذكرها كتب السير (الأعلام حـ ٦ / ١٤٥) .

(٣) فى (أ ، ب) : « ودادويه » والصواب أنه (داذويه) كما ورد فى الكامل لابن الأثير حـ ٢ ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٤) قصة مقتله رواها ابن الأثير فى الكامل مفصلة ، وخلاصتها : أن الأسود العنسى حين علم بمرض النبى ﷺ بعد عودته من حجة الوداع ادّعى النبوة ، وتمكن بسحره وشعوذته أن يفتن الناس وكون جيشًا كثيفًا تغلب به على بلاد اليمن كلها حتى خضعت له ، وأعمل القتل فى الرؤساء فقتل شهر بن باذان عامل النبى عليه السلام على صنعاء وتزوج امرأته ، وأحس قائد جيشه قيس بن عبد يغوث بأنه يريد أن يغدر به وكان يضمر الإسلام فاتفق مع فيروز وداذويه ، وكانا قريبين من الأسود لقرابة فيروز لزوجته آزاد التى تزوجها بعد مقتل زوجها ، وجاءت كتب النبى ﷺ تأمر بقتله إما مصادمة أو غيلة ، فدبّر « فيرور » و« داذويه » الأمر مع زوجته وهجما عليه ليلًا وقتلاه ، وانتهت فتنته بعد أن دامت ثلاثة أشهر ، وكان مقتله أول بشارة لأبى بكر رضى الله عنه بعد أن ولى الخلافة فى آخر ربيع الأول (الكامل لابن الأثير : ١ / ٢٢٧ - ٢٣١ بتصرف) .

(٥) فى (خ) : سقطت كلمة (واحد) .

عن آخرهم ، وأسلمت سجاح[٦] وطليحة وغيرهم ، وإنما كانت نزغة من الشيطان كنارٍ اشتعلت فأطفأها الله تعالى للوقت ، ثم مات أبو بكر وولى عمر رضى الله عنهما ، ففتحت بلاد فارس طولًا وعرضًا ، وفتحت الشام كلها والجزيرة ، ومصر كلهّا ، ولم يبق بلدٌ إلّا وبنيت فيه المساجد ، ونسخت[٧] المصاحف ، وقرأ الأئمة القرآن وعلّمه الصبيان ، فى المكاتب شرقًا وغربًا ، وبقى كذلك عشرة أعوامٍ وأشهرًا والمؤمنون كلهم لا اختلاف بينهم ، فى شىء بل ملّةٌ واحدة ، ومقالة واحدة ، وإن لم يكن عند المسلمين إذ مات عمر مائة ألف مصحف ،من مصر إلى العراق إلى الشام إلى اليمن ، فما بين ذلك ، فلم يكن أقل .

ثم ولى « عثمان » رضى الله عنه فزادت الفتوح ، واتسع الأمر ، فلو رام أحدٌ إحصاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر ، وبقى كذلك اثنى عشر عامًا حتّى مات ، وبموته حصل الاختلاف ، وابتدأ أمر الرّوافض[٨].

واعلموا أنه لو رام أحدٌ أن يزيد فى شعر النابغة[٩] أو شعر زهير[١٠] كلمة أو ينقص أخرى ، ما قدر لأنه كان يفتضح للوقت[١١]، وتخالفه النسخ المثبوتة ، فكيف والقرآن فى المصاحف .. ؟ وهى من آخر الأندلس وبلاد البربر وبلاد السودان ، إلى آخر « السند » و« كابل » ، و« خراسان » و« الترك » ، و« الصقالبة » ، وبلاد الهند ، فما بين ذلك . فظهر حمق الرّافضة ومجاهرتها بالكذب .

وممّا يبيّن كذب الروافض فى ذلك ، أن عليًّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، الذى هو عند أكثرهم إله خالق ، وعند بعضهم نبىٌّ ناطق ، وعند سائرهم إمام معصوم ،مفترضة[١٢] طاعته – ولى الأمر وملك فبقى خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعًا ،

---

(٦) سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية من بنى يربوع ، متنبئة مشهورة شاعرة أديبة ، عارفة بالأخبار ، نبغت فى زمن الردة ، وادعت النبوة بعد وفاة النبى ﷺ وكانت فى بنى تغلب بالجزيرة ، وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب ، فكرت فى غزو أبى بكر ، فنزلت باليمامة ، وقيل كان معها أربعون ألفًا ، سمع بها مسيلمة الكذاب فتزوجها ، أدركت صعوبة الإقدام على قتال المسلمين فانصرفت راجعة إلى الجزيرة ، ثم بلغها مقتل مسيلمة فأسلمت وهاجرت إلى البصرة ، وتوفيت فيها ، وصلى عليها سمرة بن جندب والى البصرة من قبل معاوية . (الأعلام : ٤ / ٧٣) .

(٧) فى (أ ، ب) : ونسخت فيه .

(٨) الروافض : سبق الحديث عنها ص ١١٤ من هذا الجزء .

(٩) النابغة : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى ، جاهلى من الطبقة الأولى من أهل الحجاز كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء ، فتعرض عليه أشعارها ، وهو أحد الأشراف فى الجاهلية ، كان حظيا عند النعمان بن المنذر ، له ديوان مشهور ، عمّر طويلًا ، وقد كتب عنه كثير من الباحثين منهم : عمر الدسوقى ، جميل سلطان ، سليم الجندى (حـ ٣ من الأعلام ص ٩٢) .

(١٠) هو : زهير بن أبى سُلمى ، ربيعة بن رباح المزنى من مضر ، حكيم الشعراء فى الجاهلية ، ومن أصحاب المعلقات ورث الشعر عن أبيه وخاله ، وكانت أخته شاعره ، وابناه كعب وبجير ، ولد فى مزينة بنواحى المدينة ، له ديوان ترجم كثير منه إلى الألمانية ، وقد ألف فيه المستشرق الألمانى ، ديروف كتابًا (الأعلام : حـ ٣ ص ٨٧) .

(١١) فى (أ) : (الوقت) وهو تحريف .

(١٢) فى (أ ، ب) : مفروضة .

ظاهر الأمر ، ساكنًا بالكوفة ، مالكًا للدنيا ، حاشا الشّام ومصر والفرات[١٣] ، والقرآن[١٤] يقرأ فى المساجد وفى[١٥] كل مكان ، وهو يؤم الناس به ،والمصاحف معه وبين يديه ، فلو رأى فيه تبديلًا كما تقول الرّافضة أكان يقرّهم[١٦] على ذلك .. ؟

ثم ولى[١٧] ابنه الحسن رضى الله عنه[١٨]، وهو عندهم كأبيه فجرى على ذلك . كيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا : إنّ فى المصحف حرفًا زائدًا أو ناقصًا أو مبدَّلًا مع هذا .. ؟ ولقد كان جهاد من حرَّف القرآن ، وبدّل الإسلام ، أو كد عليه من قتال أهل الشام الذين إنّما خالفوه فى رأى يسير رأوه ، ورأى خلافه فقط ، فلاح كذب الرّافضة ، ببرهانٍ لا محيد عنه . والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١٣) فى (أ) : (إلى الفرات) .
(١٤) فى (خ) : سقطت كلمة (والقرآن) .
(١٥) فى (أ) : (فى كل مكان) بغير واو العطف .
(١٦) فى (أ) : « يقرّ » .
(١٧) فى (أ) : (إلى ابنه) .
(١٨) الحسن بن على (٣ – ٥٠ هـ) (٦٢٤ – ٦٧٠) : هو أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم ، وثانى الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية ولد فى المدينة المنورة ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهو أكبر أولادها وأولهم ، كان عاقلًا حليمًا محبًا للخير ، فصيحًا من أحسن الناس منطقًا وبديهة حج عشرين حجة ماشيًا . بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبى سفيان فأطاعهم وزحف بمن معه ، وبلغ معاوية خبره فقصده بجيشه وتقارب الجيشان فى موضع يقال له : « مسكن » بناحية من الأنبار ، فهال الحسن أن يقتتل المسلمون فكتب إلى معاوية يشترط شروطًا للصلح ، ورضى معاوية فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية فى بيت المقدس عام ٤١ هـ وسمى هذا العام عام الجماعة ، وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفى مسمومًا فى قول بعضهم ، ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام ، وولد له أحد عشر ابنا وبنتا واحدة (الأعلام : ٢ / ٢١٣) .

« كيف تمَّ نقل القرآن وأمور الدِّين »

قال أبو محمَّدٍ رضي الله عنه : ونحن إن شاء الله تعالى نذكر صفة وجوه النقل الذى عند المسلمين لكتابهم ودينهم ، ثم[1] لما نقلوه عن أئمتهم حتّى يقف عليه المؤمن والكافر ، والعالم والجاهل عيانًا إن شاء الله تعالى فيعرفون أين نقْلُ سائِرِ الأديان من نقلهم ، فنقول وبالله تعالى التوفيق .

إنَّ نقل المسلمين لكلٍّ ما ذكرنا ينقسم أقسامًا ستة :

أولها : شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن[2] أمثالهم جيلًا جيلًا ، لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر ، منصف غير معاند للمشاهدة ، وهو القرآن المكتوب فى المصاحف فى شرق الأرض وغربها لا يشكُّون ولا يختلفون فى أنَّ محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به ، وأخبر أن الله عزَّ وجل[3] أوحى به إليه ، وأنَّ من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا . ومن ذلك الصلوات الخمس ، فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ، ولا يشك أحد فى أنَّه صلَّاها بأصحابه كلَّ يوم وليلة فى أوقاتها المعهودة ، وصلَّاها كذلك كلٌّ من اتبعه على دينه حيث كانوا كل يوم هكذا إلى اليوم ، لا يشكُّ أحدٌ فى أنَّ أهل السند يصلّونها كما يُصليها أهل الأندلس ، وأن أهل أرمينية يصلّونها كما يصليها أهل اليمن ، وكصيام شهر رمضان فإنه لا يختلف كافر ولا مؤمن ،

---

(١) فى (خ) : سقطت كلمة (ثم) .

(٢) فى (أ ، ب) : « عن أمثالهم » مرة واحدة .

(٣) فى (خ) : « أن الله تعالى » .

ولا يشك أحدٌ فى أنه صامه رسول الله ﷺ ، وصامه معه كل من اتبعه فى كل بلد كلَّ عام ثم كذلك جيلًا فجيلًا[٤] إلى يومنا هذا ، وكالحج فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحدٌ فى أنه عليه السلام حج مع أصحابه ، وأقام مناسك[٥] الحج ، ثم حجّ المسلمون من كل أفق من الآفاق[٦] كل عام فى شهر واحد معروف إلى اليوم ، وكجملة الزكاة ، وكسائِر الشرائع ، التى فى القرآن من تحريم القرائب والميتة والخنزير ، وسائِر شرائع الإسلام وكآياته من شق[٧] القمر ، ودعاء اليهود[٨] إلى تمنّى الموت ، وسائِر ما هو فى نصّ القرآن مقروء ومنقول ، وليس عند[٩] اليهود ، ولا عند النّصارى من[١٠] هذا النقل شيء أصلًا ، لأنّ نقلهم لشريعة السّبت وسائِر شرائعهم إنما يرجعون فيها إلى التوراة . ويقطع[١١] عن نقل ذلك ونقل التوراة إطباقهم أن أوائلهم كفروا بأجمعهم ، وبرئوا من دين موسى عليه السلام ، وعبدوا الأوثان علانية دهورًا طوالًا ، ومن الباطل[١٢] المحال أن يكون ملك كافر عابد أوثان[١٣] وأمته كلّها معه ، كذلك يقتلون الأنبياء ويخنقونهم ، ويقتلون من دعا إلى الله عزَّ وجل ، يشتغلون بسبت أو بشريعة مضافة إلى الله تعالى ، هذا[١٤] الكذب الذى لا شك فيه .

ويقطع بالنصارى عن مثل هذا عدم نقلهم إلَّا عن خمسة رجال فقط قد[١٥] وضح الكذب عليهم إلى ما أوضحنا من الكذب الذى فى التوراة وفى[١٦] الإنجيل القاضى بتبديلهما بلا شك .

والثانى : شيء نقلته الكافّة عن مثلها عن مثلها[١٧] حتى يبلغ الأمر كذلك إلى رسول الله

---

(٤) فى (أ ، ب) : « جيلا حيلا » .
(٥) فى (أ ، ب) : « المناسك » .
(٦) فى (خ) : من الدنيا .
(٧) شق القمر : قال الإمام أحمد عن أنس قال : سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين . وقال البخارى بسنده عن أنس ابن مالك : إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما . (أخرجاه فى الصحيحين من حديث شيبان عن قتادة . ومسلم من حديث شعبة عن قتادة) .
(٨) دعاء اليهود إلى تمنى الموت : وإلى دلك أشارت الآية الكريمة : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين : (البقرة : ٩٤ ، ٩٥) أخرج ابن حرير عن أبى العالية قال : قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ، فأنزل الله الآية . كما وردت الإشارة إلى ذلك فى سورة الجمعة حيث يقول تعالى : « يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » (الجمعة : ٦) .
(٩) فى (أ ، ب) : (عن) بدلًا من (عند) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (فى) بدلًا من (من) .
(١١) فى (أ ، ب) : ويقطع فقل ذلك ... إطباقهم .
(١٢) فى (أ ، ب) : سقطت (ومن الباطل) .
(١٣) فى (أ ، ب) : (هو وأمته) .
(١٤) فى (أ ، ب) : عن هذا الكذاب .
(١٥) فى (أ ، ب) : (وقد) .
(١٦) فى (أ ، ب) : (والإنجيل) بغير (فى) .
(١٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عن مثلها) الثانية .

ﷺ ، ككثير من آياته ومعجزاته التى ظهرت يوم الخندق ، وفى تبوك بحضرة الجيش[١٨]. وككثير من مناسك الحج ، وكزكاة التمر والبرّ والشعير ، والورِق والإبل والذّهب والبقر والغنم ، ومعاملته أهل خيبر[١٩]، وغير ذلك كثير مما يخفى على العامّة ، وإنما يعرفه كوافّ أهل العلم فقط ، وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شىء أصلًا ، لأنه يقطع بهم دونه ما قطع بهم دون النقل الذى ذكرنا قبل من إطباقهم[٢٠] على الكفر الدّهور الطوال ، وعدم اتصال[٢١] الكافة إلى عيسى عليه السلام .

والثالث : ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ به[٢٢] إلى النبى ﷺ ، يخبر كل واحد منهم باسم الذى أخبر عنه ونسبِه ، وكلُّهم معروف الحال والعين ، والعدالة والزمان والمكان ، على أن أكثر ما جاء هذا المجىء فإنه منقولٌ نقل الكواف إلى رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وإمّا إلى الصاحب وإمّا إلى التّابع ، وإماّ إلى إمام أخذ عن التابع ، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن ، والحمد لله رب العالمين .

وهذا نقل خصَّ الله عزَّ وجل به المسلمين دون سائِر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضًّا جديدًا على قديم الدّهور مذ أربعمائة عام وخمسين عامًا[٢٣] فى المشرق والمغرب ، والجنوب والشمال يرحل فى طلبه من لا يُحصِى عددَهم إلَّا خالقهُم ، إلى الآفاق البعيدة ، ويواظب على تقييده من كان من الناقل[٢٤] قريبًا منه ، قد تولّى الله تعالى حفظه عليهم ، والحمد لله رب العالمين ، فلا تفوتهم زلة فى كلمة فما فوقها فى شىء من النقل إن وقعت لأحدهم ، ولا يمكن لفاسق أن يقحم فيه كلمة موضوعة ، ولله تعالى الشكر .

وهذه الأقسام الثلاثة هى التى نأخذ ديننا منها ، ولا نتعدّاها إلى غيرها ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١٨) قال ابن إسحاق أصبح الناس ولا ماء معهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله إن الله عزّ وجل قد عودك فى الدعاء خيرًا فادع لنا : قال رسول الله تحب ذلك يا أبا بكر قال : نعم يا رسول الله فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى أرتوى الناس واحتملوا حاجاتهم من الماء . (سيرة ابن هاشم – القسم الثانى ٥٢٢ ، وصحيح مسلم حـ ١٥ ص ٤٢) .

(١٩) قال ابن إسحاق أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة ، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، وقال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت . فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغتَ من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكًا استرحت منه ، وإن كان نبيًا فسيخبر . قال ابن اسحاق فتجاوز عنها رسول الله ﷺ (سيرة ابن هشام : القسم الثانى ٣٣٨ ، وصحيح البخارى حـ ٧ : ص ١٨٠ بتصرف) .

(٢٠) ف (ح) : (قبل إطلاقهم) .

(٢١) ف (أ ، ب) : (إيصال) .

(٢٢) ف (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) .

(٢٣) أى حتى عهد ابن حزم مؤلف هذا الكتاب .

(٢٤) ف (أ ، ب) : (الناقد) .

والرابع : شىء نقله أهل(٢٥) المشرق والمغرب أو الكافة أو الواحد الثقة عن أمثالهم إلى أن يبلغ إلى من ليس بينه وبين النبى ﷺ إلّا واحد فأكثر ، فسكت ذلك المبلوغ إليه عن من أخبره بتلك الشريعة عن النبى ﷺ ، فلم يُعرف من هو ، فهذا نوع يأخذ به كثير من المسلمين ، ولسنا نأخذ به ألبتة ، ولا نضيفه إلى النبى ﷺ إذ لم يُعرف من حدّث به عن النبى ﷺ وقد يكون غير ثقة ، ويعلم منه غير الذى روى عنه ما لم يعرف منه الذى روى عنه . ومن هذا النوع كثير(٢٦) من نقل اليهود ، بل هو أعلى ما عندهم ، إلّا أنهم لا يقربون فيه من موسى عليه السلام كقربنا فيه من محمد ﷺ ، بل يقفون ولابدّ حيث(٢٧) بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرًا ، فى أزيد من ألف وخمسمائة عام ، وإنما يبلغون بالنقل إلى هلال ، وشماى(٢٨)، وشمعون ، ومرعقيبا ، وأمثالهم ، وأظن أن لهم مسألة واحدة فقط يروونها عن حبر من أحبارهم عن نبىٍّ من متأخرى أنبيائهم ، أخذها عنه مشافهة فى نكاح الرّجل ابنته إذ مات عنها أخوه .

وأمّا النصارى : فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطّلاق وحده فقط على أنَّ مخرجه من كذّاب قد صح كذبه .

والخامس : شىء نقل كما ذكرنا ، إما بنقل أهل المشرق والمغرب ، أو كافة عن كافة ، أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلى النبى ﷺ إلّا أن فى الطريق رجلًا مجروحًا(٢٩) يكذب أو غفلة ، أو مجهول الحال ، فهذا أيضًا يقول به بعض المسلمين ، ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ، ولا الأخذ بشىء منه ، وهذه صفة نقل اليهود والنّصارى فيما أضافوه إلى أنبيائهم لأنه يقطع بكفرهم(٣٠) بلا شك ولا مرية .

والسادس : نقلٌ نُقِلَ بأحد الوجوه التى قدّمنا ، إما بنقل من بين المشرق والمغرب أو بالكافة ، أو بالثقة عن الثقة ، حتى يبلغ ذلك إلى صاحب أو تابع ، أو إمام دونهما — أنه قال كذا ، أو حكم بكذا غير مضاف ذلك إلى رسول الله ﷺ كفعل أبى بكر رضى الله عنه فى سبى أهل الردّة(٣١)، وكصلاة الجمعة صدرالنهار ، وكضرب عمر رضى الله عنه الخراج ، وإضعافه القيمة على رقيق حاطب وغير ذلك كثير جدًّا .

---

(٢٥) فى (ح) : (من بين المشرق) .
(٢٦) فى (ح) : (هو كثير) .
(٢٧) فى (ح) : (بحيث) .
(٢٨) فى (أ ، ب) : (وشمائى) .
(٢٩) فى (ح) : (مجرحًا) .
(٣٠) فى (أ ، خ) : (بهم كفار) .
(٣١) روى أن أبا بكر أمر أن توقد نار فى مصلى المدينة ثم رمى فيها إياس عبد ياليل مقيدًا من يديه ورجليه وذلك لأنه جاء إلى أبى بكر فطلب أن يعينه بالسلاح لمقاتلة أهل الردة ، فأعانه بالسلاح ولكنه استعمله فى قتال المسلمين والفتك بهم ، فلما أسر ألقى فى النار بأمر من أبى بكر . (الكامل : لابن الأثير ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

فمن المسلمين من يأخذ بهذا ، ومنهم من لا يأخذ به ، ونحن لا نأخذ به أصلًا ، لأنه لا حجة فى فعل[٣٢] أحدٍ دون من أمرنا الله تعالى باتباعه وأرسله إلينا ببيان دينه ، ولا يخلو فاضل من وَهْمٍ ، ولا حجة فيما[٣٣] يَهِم ، ولا يأتى الوحى ببيان وهمه .

وهذا الصنف من النقل هو صفة جميع نقل النصارى واليهود لشرائعهم التى هم عليها الآن ممّا ليس فى التوراة ، وهو صفة جميع نقل النصارى حاشا تحريم الطلاق ، إلّا أن اليهود لا يمكنهم أن يبلغوا فى ذلك[٣٤] إلى صاحب نبىٍّ أصلًا ، ولا إلى تابع له ، وأعلى من[٣٥] يقف عنده النّصارى « شمعون » ثم « بولس » ثم أساقفتهم عصرًا عصرًا .

هذا أمر لا يقدر أحدٌ منهم على إنكاره ، ولا إنكار شىء منه ، إلّا أن يدَّعى أحدٌ منهم كذبًا من يطمع فى تجويزه عليه ممن يظن به جهلًا بما عنده فقط ، وأما إذا قرَّرهم على ذلك من يدرون أنه يعرف كتبهم ، فلا سبيل لهم إلى إنكاره أصلًا . وبالله[٣٦] تعالى التوفيق .

قال أبو محمد: ونقل القرآن وما فيه من إعلام النبى ﷺ كالإنذار بالغيوب ، وشق القمر ، ودعاء اليهود إلى تمنّى الموت ، والنّصارى[٣٧] إلى المباهلة ، وجميع العرب إلى المجىء بمثل القرآن ، وتوبيخهم[٣٨] بالعجز عنه ، وتوبيخ اليهود بأنهم لا يتمنّون الموت ، وقصة الطير الأبابيل ، ورميها أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وكثير من الشرائع ، وكثير من السنن فإنه نُقل كل ذلك عن[٣٩] اليمانى والمضرى ، والرَّبعى ، والقضاعى ، وكلهم أعداء متباينون متحاربون يقتل بعضهم بعضا ، ليس هنالك[٤٠] شىء يدعوهم إلى المسامحة فى نقلهم له ، ثم نقله عن هؤلاء من بين المشرق والمغرب ،

---

(٣٢) فى (خ) : سقطت كلمة (فعل) .

(٣٣) فى (أ ، ب) : (فيمن) .

(٣٤) فى (خ) : سقطت (فى ذلك) .

(٣٥) فى (خ) : (ما تقف) .

(٣٦) فى (أ) : سقطت « وبالله تعالى التوفيق » .

(٣٧) دعا النبى ﷺ وفد نجران إلى المباهلة لما حاجوه فى أمر عيسى وادعوا أنه ابن الله ، فقال لهم النبى إنه كآدم خلقه الله من غير أب كما خلق آدم من تراب ، فكذبوا الرسول فقال لهم تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فقالوا : حتى ننظر فى أمرنا ثم نأتيك فقال ذورأيهم واسمه (العاقب) لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا ، فودّعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى ، وقال لهم : إذا دعوت فأمنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية . رواه أبو نعيم . وعن ابن عباس قال : لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالًا ، ولا أهلًا ، وروى : لو خرجوا لاحترقوا . وإلى ذلك تشير الآيات فى قوله تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا : ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . (٦١ آل عمران) .

(٣٨) فى (أ ، ب) : « وبتوبيخهم » . وقد أشارت إلى هذا العجز آيات كثيرة فى القرآن الكريم منها قوله تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » (البقرة : ٢٣) .

(٣٩) فى (أ ، ب) : (اليمانى) بدون (عن) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : (هناك) .

وكانت العرب بلا خلاف قومًا لَقاحًا[٤١] لا يملكهم أحد كمضر[٤٢] وربيعة[٤٣]، وإياد[٤٤]، وقضاعة[٤٥]، أو ملوكًا فى بلادهم يتوارثون الملك كابرًا عن كابر كملوك اليمن وعمان ، وشهر[٤٦] ابن باذام ملك صنعاء ، والمنذر بن ساوى[٤٧] ملك البحرين ، والنجاشى[٤٨] ملك الحبشة ، وجيفر[٤٩] وعباد ابنى الجلندى ملكى عمان ، فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره ، وآمنوا به عليه السلام طوعًا وهم آلاف آلاف ، وصاروا إخوة كبنى أب وأم ، وانحلّ كلّ من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم إلى رسله طوعًا بلا خلاف غزوٍ ولا إعطاء مال ، ولا يطمع فى عزٍّ بل كلهم أقوى جيشًا من جيشه ، وأكثر مالًا وسلاحًا منه ، وأوسع بلدًا من بلده[٥٠] « كذى الكلاع » وكان ملكًا متوّجا ابن ملوك متوّجين ، تسجد له جميع رعيته ، يركب أمامه ألف عبدٍ من عبيده سوى بنى عمه من حمير ، وذى ظليم ، وذى زود ، وذى مران ، وذى عمرو ، وغيرهم كلهم ملوك متوجون فى بلادهم ، هذا كله أمر لا يجهله أحد من حملة الأخبار ، بل هو منقول كنقل كون بلادهم فى مواضعها ، وهكذا كان إسلام جميع العرب ، وأولهم الأوس والخزرج ، ثم سائرهم قبيلة قبيلة ، لما ثبت عندهم من آياته ، وبهرهم من معجزاته ، وما اتبعه الأوس والخزرج إلّا وهو شريد[٥١] طريد ، قد نابذه قومه حسدًا له ، إذ كان فقيرًا لا مال له ، يتيما لا أب له ولا أخ له ، ولا ابن أخ ولا ولد ، أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ، نشأ فى بلاد الجهل ، يرعى غنم قومه بأجرة يتقوّت بها ، فعلّمه الله تعالى الحكمة دون معلم ، وعصمه من كل من أراده بلا حرس ولا حاجب ولا بوّاب ، ولا قصر يمتنع فيه على كثرة من أراد قتله من شجعان العرب وفُتّاكهم ،

---

(٤١) تقاح : كسحاب : الحىّ الذين لا يدينون للملوك ، أو لم يصبهم فى الجاهلية سباء . (القاموس المحيط) .

(٤٢) مضر : هو مضر بن نزار وإليه ينسب الشعب المعروف الذى تنسب إليه قريش وغيرها ، وينسب إلى مضر من الخلق العلماء وغيرهم ما لا يحصى . (اللباب فى تهذيب الأنساب حـ ٣ : ٢٢٢ بتصرف) .

(٤٣) ربيعة : إحدى قبائل العرب تنسب إلى ربيعة بن نزار صريح ولد اسماعيل بن ابراهيم صلاة الله عليهما . (اللباب فى تهذيب الأنساب) .

(٤٤) إياد : قبيلة تنسب إلى إياد بن نزار بن معد بن عدنان . (اللباب) .

(٤٥) قضاعة : اختلف فى قضاعة فقيل : إنه من معد وقيل من اليمن . وينتسب إلى قضاعة شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة منهم (كلب وجهينة وغيرها) . (المصدر السابق) .

(٤٦) ى (أ ، ب) : (شهر بن بارام) .

(٤٧) المنذر بن ساوى : هو صاحب البحرين ، وتسمى الآن الأحساء ، وهو من بنى تميم ، وقد وجه النبى عليه السلام إليه العلاء بن الحضرمى بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام فأسلم (النور اليقين : لأبى الحسن الندوى : ٢٠٠ ، والسيرة النبوية : ٢٤٣) .

(٤٨) النجاشى : ملك الحبشة ، وهو لقب كان يلقب به كل من يملك الحبشة ، وقد اضطربت الروايات فى تعيين هذا النجاشى الذى كتب إليه رسول الله كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام وقد ذكر عن الواقدى وغيره من أهل السيرة أنه هو الذى صلى عليه رسول الله ﷺ فى رجب سنة تسع منصرفه من تبوك . (السيرة النبوية : لأبى الحسن على الحسنى الندوى : ٢٤٢) .

(٤٩) جيفر وعبادا بنى الجلندى : كانا حاكمين على عمان ، وكان جيفر هو الملك ، وكان أسَّن من أخيه . وكلمة الجلندى : هى لقب وقد نعنى : (فيلا أو كاهنًا) فى لهجات أهل عمان . ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب إليهما فأسلما وحسن إسلامهما . (السيرة النبوية) . وفى (أ) (عياذ) وهو تحريف .

(٥٠) فى (خ) : سقطت من (بلده) .

(٥١) فى (أ) : (فريد طريد) .

كعامر بن الطفيل ، وأربد بن جزء[٥٢]، وغورث بن الحارث ، وغيرهم مع إقرار أعدائه بنبوته كمسيلمة وسجاح وطليحة ، والأسود ، وهو مكذّب لهم ، فهل بعد هذا برهان أو بعد هذه الكفاية من الله تعالى كفاية .. ؟ وهو لا يبغى دُنْيَا ، ولا يمنّى بها من اتبعه بل أنذر الأنصار بالأثرة عليهم بعده ، وبايعوه[٥٣] على الصّبر على ذلك ، قام له أصحابه على قدمٍ فمنعهم وأنكر ذلك عليهم ، وأعلمهم أن القيام لله تعالى لا لخلقه ، ورضوا بالسجود له فاستعظم ذلك وأنكره إلّا لله وحده ، ولا شكَّ فى أنَّ هذه ليست صفة طالب دنيا[٥٤] أصلًا ، ولا صفة راغب فى غلبة ، أو بُعد[٥٥] صيت ، بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كان له أدنى فهم ، فهذا هو الحق لا ما تدّعيه النصارى من الكذب البحت ، فى أن الملوك دخلوا دينهم طوعا ، وقد كذبوا فى ذلك لأنَّ أول ملك تنصّر « قسطنطين[٥٦]» بانى القسطنطينية بعد نحو ثلاثمائة عام من رفع المسيح عليه السلام ، فأىّ معجزة صحّت عنده بعد هذه المدّة ، وإنما نصَّرته أمّه لأنها كانت نصرانية بنت نصرانى تعشّقها أبوه فتزوجها ، هذا أمر لا تناكر بين النّصارى فيه ، والنشأة لا خفاء بما تؤثّره فى الإنسان ، وأمّا من اتّبع النبىَّ ﷺ فإنهم اتبعوه إذ بلغهم خبره فى حياته عليه السلام للآيات التى كانت له بحضرة جميع أصحابه كإعجاز القرآن ، وانشقاق القمر ، ودعاء اليهود[٥٧] إلى تمنّى الموت وإخبارهم بعجزهم عن ذلك ، وأنّهم لا يتمنونه أصلًا ، والإنذار بالغيوب ، ونبعان عين[٥٨] تبوك ، فهى كذلك إلى اليوم ، ونبعان الماء[٥٩] من بين أصابعه بحضرة العسكر ، وإطعامه

---

(٥٢) عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس بن جزء قدما على رسول الله ﷺ يريدان الغدر به ، ثم قال عامر لأربد : فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، ثم قال عامر بن الطفيل : يا محمد كن خلّالى ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده ، فكرر عليه ذلك ، والرسول يرفض ، وعامر يشير إلى أربد فلم يفعل شيئًا ، عندها قال عامر بن الطفيل : يا محمد سأملأها عليك خيلًا ورجالًا فلما ولى ، قال رسول الله ﷺ اللهم اكفنى عامر بن الطفيل ، وقال عامر : عند خروجه لأربد : أين ما كنت أمرتك به ؟ قال أربد : والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك . أفاضر بك بالسيف . ورجعوا إلى بلادهم . وفى الطريق مات عامر بالطاعون فى عنقه ، وأما أربد ، فأرسل الله عليه صاعقة أحرقته مع جمله . ويقال بأنه هو الذى نزل فيه قول الله تعالى : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله ، وهو شديد المحال : سورة الرعد : ١٣ . (راجع سيرة ابن هشام حـ ٤ ص ١٣٤ ، ١٣٥) بتصرف .

(٥٣) فى (أ ، ب) : (وتابعوه) .

(٥٤) فى (أ ، ب) : (قط أصلا) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (ولا بعد صوت) .

(٥٦) مرّ الحديث عنه فى ص ١٦٦ .

(٥٧) وإلى ذلك أشارت الآيات الكريمات . قال تعالى : « قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . (الجمعة : ٦ ، ٧) .

(٥٨) نبعان عين تبوك : قصتها : أن النبى ﷺ أقام بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلًا إلى المدينة ، وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق . فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئًا حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم يرقبه شيئًا . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله فلان وفلان فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه شيئًا حتى آتيه !! ثم لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم .

ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصبُّ فى يده ما شاء الله أن يصب . ثم نفخ به ومسحه بيده ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعوَ به فانخرق من الماء – كما يقول من سمعه – ما إن له حِسًّا كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه . فقال رسول الله ﷺ ، لئن بقيتم من بقى منكم لتسمعُن بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه . (السيرة النبوية لابن هشام – باب حديث وادى المشقق ومائه) .

النفر الكثير[٦٠] من طعامٍ يسير مرارًا جمّةً بحضرة الجموع وإخباره بأكل الأرضة[٦١] كل ما فى الصحيفة المكتوبة على بنى هاشم ، وبنى المطلب حاشا أسماء الله تعالى فقط ، وإنذاره بمصارع[٦٢] أهل بدر بحضرة الجيش ، موضعًا موضعًا ، وبالنور الواقع فى[٦٣] سوط الطفيل بن عمرو الدّوسى ، وحنين[٦٤] الجذع بحضرة جميعهم ، ودفع أربد عنه ، وقضاء غرماء جابر[٦٥]، وتزويد عمر أربعمائة راكب من تمر يسير بقى بجنبه[٦٦]، ورميه هوازن بترابٍ عمَّ عيونهم[٦٧]، وخروجه بحضرة مائة من

---

(٥٩) نبعان الماء من بين أصابعه : قصة ذلك رواها الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم لبعض مخارجه ومعه ناس من أصحابه فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة فلم يجد القوم ما يتوضأون به فقالوا : يا رسول الله ما نجد ما نتوضأ به ، ورأى فى وجوه أصحابه كراهية ذلك فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير فأخذ نبى الله فتوضأ منه ، ثم مدّ أصابعه الأربع على القدح ، ثم قال : هلموا فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء . قال الحسن · سئل أنس كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو ثمانين وهكذا رواه البخارى عن عبد الرحمن ابن المبارك العنسى .

وفى حديث ابن عباس أن الرسول سأل بعض أصحابه : هل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : فائتنى به . قال : فأتاه بإناء فيه شيء من ماء قليل فجعل رسول الله أصابعه فى فم الإناء ، وفتح أصابعه قال : فانفجرت من بين أصابعه عيون . رواه الطبرانى من حديث عامر .

(٦٠) إطعامه النفر الكثير قصته : أن جابر بن عبد الله كانت عنده شويهة غير سمينة قال : فقلت والله لوضعناها لرسول الله ﷺ ، قال · فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئًا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزًا ، وذبحت تلك الشاه فشويناها لرسول الله ﷺ قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله الانصراف عن الخندق – قال – وكنا نعمل فيها نهارنا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلينا – قال : قلت يا رسول الله إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئًا من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى – وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده . قال فلما أن قلت له ذلك . قال : نعم . ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه . قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمَّى الله . ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . (السيرة النبوية لابن هشام : ٣ ط مصطفى البابى الحلبى ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ بتصرف) .

(٦١) قال ابن هشام : إن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب : يا عم إنَّ الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم يدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت الظلم والقطيعة والبهتان . فقال : أربك أخبرك بهذا .. ؟ قال : نعم . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن كان كاذبًا دفعت إليكم ابن أخى . فقال القوم : رضينا ، وتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شرًّا ، وعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا .

(٦٢) لما تهيأ رسول الله ﷺ لقتال المشركين يوم بدر أقبل على أصحابه فاستشارهم فقالوا له : والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .. فقال ﷺ : أبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم . (الكامل لابن الأثير حـ ٢ ص ٨٤) .

(٦٣) الطفيل بن عمرو الدوسى : كان رجلا حكيماً شريفًا شاعرًا لبيبًا ، آمن بالرسول ﷺ ، وقال له : يا نبىّ الله إنى امرؤ مطاع فى قومى ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه . قال : اللهم اجعل له آية .

قال فخرجت حتى إذا كنت بثنية تطلعنى على القوم ، وقع نور بين عينى مثل الصباح ، فقلت : اللهم فى غير وجهى ، إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثله وقعت فى وجهى لفراق دينهم . قال : فتحول فوقع فى رأسى سوطى . قال : فجعل الناس يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط عليهم . (سيرة ابن هشام – بتصرف) .

(٦٤) قال البزار بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ : أنه كان يخطب إلى جذع نخلة ، فلما اتخذ المنبر تحوّل إليه فحنَّ فجاء رسول الله ﷺ حتى احتضنه فسكن وقال : لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة . وهكذا رواه ابن ماجة . وهذا إسناد على شرط مسلم .

(٦٥) قال البخارى بسنده : حدثنى جابر أن أباه توفى وعليه دين فأتيت النبى ﷺ فقلت : إن أبى ترك عليه دينا وليس عندى إلّا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه ، فانطلق معى لكى لا يفحش الغرماء فمشى حول بيدر من بيادر الثمر فدعا ، ثم آخر جلس عليه فقال : انزعوه فأوفاهم الذى لهم ، وبقى مثل ما أعطاهم . هكذا رواه هنا مختصرًا ، وقد أسنده من طرق عن عامر بن شراحيل .

(٦٦) فى (أ) : (من تمر يسير مشى بجنبه) وهو تحريف .

(٦٧) لما حمى الوطيس فى غزوة حنين ، وثبت النبى وفر كثير من المسلمين ، قال النبى ﷺ لبغلته دلدل : البدى دلدل فوضعت بطنها على الأرض فأخذ حفنة من تراب فرمى به فى وجوههم فكانت الهزيمة ، فما رجع الناس إلا والأسارى فى الحبال عند رسول الله ﷺ (الكامل : ٢ / ١٧٩ بتصرف) .

قريش ، وهم لا يرونه[٦٨]، ودخول الغار ، وهم عليه لا يرونه ، وفتح الباب فى حجر صلد فى جنب الغار لم يكن قط فيه ، ولو كان هنالك يومئذ لما أمكنه الاختفاء فيه لأنه ليس بين البابين إلا أقل من ثمانية أذرع ، وهو ظاهر إلى اليوم ، كل عام وكل حين يزوره أهل الأرض من المسلمين ، ولو رام فتح الباب الثانى فى ذلك الحجر أهل الأرض ما قدروا على إزاحته سالمًا عن مكانه ، ولو كان ذلك الباب هنالك حينئذ لرآه الطالبون له بلا مئونة ، ولأنهم لم يكونوا إلّا جموع قريش لعلهم مِئون كثيرة ، وآثار رأسه المقدس فى ذلك الحجر ، وضاثار كتفه ومعصمه وظاهر يده باق إلى اليوم ، فعل الله تعالى ، نقل الكواف جيلًا عن جيل .

ورمى الجمار الذى يرميه ما لا يحصيه إلّا تعالى كل عام ثم لا يزيد حجمه فى ذلك المكان .

ورمى الله تعالى جيش أبرهة صاحب الفيل إذ غزا مكه عام مولده ﷺ بالحجارة المنكرة بأيدى طير منكرة ، ونزلت فى ذلك سورة من القرآن متلوّة إلى اليوم ، وكان ذلك ببركته عليه السلام وإنذاراته ، وشكوى البعير[٦٩] إليه ، وإبراء عينى علىٍّ من الرّمد[٧٠] بحضرة الجماعات فى ساعة . وسوخ قوائم فرس سراقة إذا[٧١] تبعه . ودرور الشاه[٧٢] التى لا لبن لها مرارًا ،

---

(٦٨) قال ابن إسحاق : « خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ، وقد حاصر داره فتيان قريش ليقتلوه فأخذ حفنة من تراب فى يده فجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يتلو قول الله تعالى : « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين إلى قوله تعالى : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فلم يبق رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا فأخذ الله تعالى على أبصارهم فانصرف النبى من بينهم إلى حيث أراد أن يذهب (سيرة ابن هشام — القسم الأول ٤٨٣) .

(٦٩) قال الإمام أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفره حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار ، إذ فيه جمل لا يدخل الحائط أحدٌ إلّا شدَّ عليه ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعًا مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ هاتوا خطامًا ، فخطمه ودفعه إلى صاحبه ، قال ثم التفت إلى الناس فقال : إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلّا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس . تفرد به أحمد ، ورواه جابر بسياق آخر ، وفى رواية مسلم من حديث مهدى بن ميمون أن رسول الله ﷺ قال لصاحبه : إنه شكا إلى أنك تجيعه وتتعبه .

(٧٠) عن سلمة بن عمرو قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه برايته وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر فقاتل ولم يكن فتح ، وقد جُهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار ، فدعا رسول الله على بن أبى طالب وهو أرمد ، فتفل فى عينه ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك ، فما رجع حتى فتح الله على يديه (سيرة ابن هشام : حـ ٣ ص ٣٨٦ بتصرف ط دار الفكر ببيروت) .

(٧١) لما هاجر رسول الله ﷺ وجعلت قريش لمن يرده مائة من الإبل ، فخرج فى إثره سراقة بن مالك ، ويقول : كنت أرجو أن أرده فآخذ المائة ناقة ، فبينا فرسى يشتد بى عثر فسقطت عنه فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت فى إثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر فسقطت عنه فأبيت إلّا أن أتبعه ، فركبت فى إثره ، فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى فذهبت يداه فى الأرض وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى ، وأنه ظاهر ، فناديت وقلت : أنا سراقة انظرونى أكلمكم فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم منى شيء تكرهونه ، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : قل له ، وما تبتغى منا ، فقال لى أبو بكر ، فقلت تكتب لى كتابًا يكون آية بينى وبينك ، فكتب لى كتابًا فى عظم ، ثم ألقاه إلىَّ فجعلته فى كنانتى ثم رجعت . (سيرة ابن هشام حـ ٢ ص ١٠٣ بتصرف) .

(٧٢) مرَّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر على مزرعة فيها غلام يرعى غنمه ، فقال له : يا غلام هل عندك من لبن تسقينا ؟ فقال : إنى=

وتسبيح[٧٣] الطعام ، وكلام الذّئب[٧٤] ومجيئه ، وقوله للحكم إذ حكى مِشيته كن كذلك ، فلم يزل يرتعش إلى أن مات ، ودعاؤه للمطر فأتى للوقت وفى الصحو فانجلى[٧٥] للوقت . وظهور جبريل عليه السلام مرّتين مرة فى صورة دحية ، ثم أتى دحية بحضرة الناس ، وأخرى فى صفة رجل لم يعرفه أحد ، ولا رُئى بعدها . وقوله إذ خطب بنت الحارث بن عوف ابن أبى حارثة[٧٦] المرّى فقال : له أبوها : إنَّ بها بياضًا فقال لتكن كذلك فبرصت فى الوقت ، وهى أم شبيب بن البُرصاء الشاعر المشهور ، وغير هذا كثير جدًّا .

ومع ما ذكرنا من أن أوّل من تنصَّر من الملوك فقسطنطين بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفع المسيح عليه السلام ، فوالله ما قدر على إظهار النصرانية حتى رحل عن رومة مسيرة شهر ، وبنى بزنطية وهى القسطنطينية ، ثم أجبر الناس على النصرانية بالسيف ، والعطاء وكان من عهوده المحفوظة ألّا يولى ولاية إلّا من تنصّر ، والناس سراع إلى الدنيا ، نافرون عن الأذى[٧٧]، وكان مع هذا كله على مذهب أريوس[٧٨] لا على التثليث ، ولكن هذا من دعوى النصارى وكذبهم ، مضاف إلى ما يدّعونه من أنهم بعد هذه المدة الطويلة ، وبعد خراب بيت المقدس مرة بعد[٧٩] مرة ، وبقائه خرابًا لا ساكن فيه نحو مائتى عام وسبعين عامًا ، وجدوا الشّوك الذى وضع على رأس المسيح

= مؤتمن ، ولست ساقيكما ، فقال النبى عليه السلام : هل عندك من جزعة لم ينز عليها الفحل ؟ قلت : نعم . فأتيتهما بها فاعتقلها النبى ﷺ ، ومسح الضرع ، ودعا ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة ، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ، ثم قال للضرع ، اقلص فقلص ، فقال : فأتيته بعد ذلك ، فقلت علمنى من هذا القول ، قال : إنك غلام مُعلَّم (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٥١ ط صيدا ببيروت) .

(٧٣) فى الحديث الذى رواه الترمذى قال : رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

(٧٤) قال الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الرّاعى فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتق الله ؟ تنزع منى رزقا ساقه الله إلىّ ، فقال : يا عجبىَ ذئب يكلمنى كلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ بيثرب ، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . قال : فأقبل الرّاعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فأمر الرسول فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعى أخبرهم فأخبرهم . فقال رسول الله ﷺ : صدق ، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذُه بما أحدث أهله بعده . وهذا إسناد على شرط الصحيح ، وقد صححه البيهقى وقال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب صَحيح . (البداية والنهاية : حـ ٦ ص ١٦٣ ، ١٦٤ ط جديدة ومنقحه) .

(٧٥) فى (أ) : (فانحل) وهو تحريف . وقصة ذلك رواها البخارى : عن أنس بن مالك قال : أصابت الناسَ سَنَة (قحط) على عهد رسول الله ﷺ فبينما النبى يخطب فى يوم جمعة قام أعرابى فقال : يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا . قال أنس : فرفع النبى ﷺ يديه وما نرى فى السماء قزعة (غيمة صغيرة) فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار السحاب كأمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ ، قال أنس : فمطرنا دلك اليوم ومن الغد وبعد الغد والدى يليه حتى الجمعة الأخرى . قال . وقام ذلك الأعرابى أو غيره فقال : يا رسول الله : تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه فقال : اللهم حو الينا ولا علينا ، فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة (حوطة) وسال الوادى شهرًا ، ولم يجىء أحد من ناحية إلّا حدّث بالجود . (صحيح البخارى : حـ ٢ : ١٥ – ٣٤) .

(٧٦) هى : جمرة ابنة الحارث بن أبى حارثة ، حطبها الرسول ﷺ فقال أبوها : بها سوء ولم يكن بها ، فرجع إليها فوجدها قد برصت . وهى خامسة النساء اللائى خطبهن البى ولم يدخل بهن والأربعة الأخريات هن : أم هانىء بنت أبى طال ، وضاعة بنت عامر بن قشير ، وصفية بنت بشامة أخت الأعور العنبرى ، وأم حبيبة ابنة عمه العباس . (الكامل : ط/٢١١) .

(٧٧) فى (أ ، ب) : (الأدنى) .

(٧٨) فى (أ ، ب) : (بعد الأخرى) .

(٧٩) آريوس : آلهة الخصام والنزاع عند اليونان تثير الشقاق بين الآلهة والبشر (الموسوعة العربية الميسرة) .

بزعمهم ، والمسامير التى ضربت فى يديه ، والدّم الذى طار من جنبه ، والخشبة التى صلب عليها ، فلا أدرى ممّن العجب ؟!! ممن اخترع مثل هذه الكذبة الغثّة المفضوحة ، أم ممن قَبِلها وصدَّق بها ، ودان باعتقادها ، وصلّب وجهه للحديث بها ؟! ليت شعرى أين بقى ذلك الشوك وذلك الدَّم سالمين ؟ وتلك المسامير ، وتلك الخشبة طول[٨٠] تلك المدة ؟ وأهل ذلك الدّين مطرودون مقتولون كقتل من تستّر بالزّندقة اليوم ، وتلك المدينة خراب يباب[٨١] الدّهورَ الطوال ، لا يسكنها أحد إلا السباع والوحش ، وقد شاهدنا ملوكًا جلَّةً لهم الأتباع والأولاد والشيع والأقارب ، صُلبوا فما مضت إلّا[٨٢] مدة يسيرة حتى لم يبق لتلك الخشب أثر ، فكيف بأمر[٨٣] من لا طالب له ، وبدول قد انقطعت ، وبلادٍ قد أقفرت وخلت ونُسيت أخبارها ؟!

وهذه البردة التى كانت للنبى ﷺ ، والقصعة والسيف على أن الدَّولة متّصلة لم تنخرم منذ حينئذ ، والحمد لله رب العالمين ، قد دخلت الدَّاخلة فى القصعة والسيف ، حتى لا يقين فيهما[٨٤] عندنا اليوم ، ولولا تداول الخلفاء للباس البردة أبدًا[٨٥] أبدًا فنقل أمرها جيلًا بعد جيل ، والمنبر كذلك لما قطعنا عليهما ، ولكنّ التداول لهما أمّة بعد أمة وهما قائمان ظاهران للناس ، هو أوجب اليقين بهما ، ورفع الشك فيهما ، وكذلك كل ما جرى هذا المجرى ، ثم لم يلبث دين النّصارى أن مات قسطنطين أول من تنصّر من ملوك الدنيا ، ثم مات ابنه قسطنطين بن قسطنطين[٨٦]، وولى مَلِكٌ تَركَ النَّصرانية ، ورجع إلى عبادة الأوثان إلى أن مات ، ثم ولى رجل من أقارب قسطنطين فرجع إلى النصرانية .

وأمّا ديانة اليهود فما صفت فيها نيات بنى إسرائيل ، وموسى عليه السلام حىٌّ بين أظهرهم ، ومازالوا مائلين إلى إظهار عبادة الأوثان ، ثم تكذيبهم كلهم بالشريعة ، التى أتاهم بها بعد موته عليه السلام طبقة بعد طبقة إلى انقطاع دولتهم ، فكيف أن يتبعه غيرهم .؟ !!

* * *

قال أبو محمَّد : وبرهان ضرورى لمن تدبَّره ، حِسِّىٌّ لا محيد عنه ، وهو أنه لا خلاف بين أحدٍ من اليهود والنصارى ، وسائِر الملل فى أن بنى إسرائيل كانوا فى مصر فى أشدِّ عذاب ، يمكن

---

(٨٠) فى (أ ، ب) . (طوال) .
(٨١) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (يباب) .
(٨٢) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (إلّا) .
(٨٣) فى (أ ، ب) : (أمر) .
(٨٤) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (فيهما) .
(٨٥) فى (أ ، ب) : (أبد الآبد) .
(٨٦) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (ابن قسطنطين) .

أن يكون من ذبح أولادهم ، وتسخيرهم فى عمل الطوب بالضرب العظيم ، والذّل الذى لا يصبر عليه كلب مطلق ، فأتاهم موسى عليه السلام يدعوهم إلى فراق هذا الأسر الذى قتل النفس أخف منه ، وإلى الحرية ، والملك ، والغلبة والأمن ، ومضمون ممن هو فى أقل من تلك الحال أن يسارع إلى كل من طمع[٨٧] على يديه بالفرج ، وأن يستجيب له إلى كل ما دعاه إليه ، وأن[٨٨] أكثر من فى هذا البلاء يستجيز عبادة من أخرجه منه لا سيما إلى العز والحرمة ، وكانوا أيضًا أهل عسكر مجتمع ، وبنى عمٍّ[٨٩] يمكن منهم التواطؤ ، ثم كانوا أهل بلد صغير جدًّا قد تكنّفهم الأعداء من كل جانب .

وأما عيسى عليه السلام فما اتبعه إلا نحو اثنى عشر رجلًا معروفين ونساء قليل ، وعدد لا يبلغ جميعهم وفى جملتهم الاثنى عشر إلّا مائة وعشرين فقط هكذا فى نصّ إنجيلهم ، وكانوا مشردين مطرودين[٩٠] غير ظاهرين ، ولا يقوم بمثل هذا[٩١] ضرورة يقينُ العلم .

وأمَّا محمدٌ ﷺ : فلا يختلف أحد فى شرق[٩٢] الأرض وغربها فى أنه عليه السلام أتى إلى قوم لقاح لا يقرّون بملك ، ولا يطيعون لأحد ولا ينقادون لرئيس ، نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم مذ ألوف من الأعوام ، قد سرى الفخر ، والعزُّ ، والنخوة ، والكبر ، والظلم ، والأنفة ، فى طباعهم وهم أعداد عظيمة قد ملأوا جزيرة العرب ، وهى نحو شهرين فى شهرين ، قد صارت طباعهم طباع السباع ، وهم ألوف الألوف ؛ قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبدًا ، فدعاهم بلا مال ولا أتباع ، بل خذله قومه إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غرم الزكاة ، ومن الحرّية والظلم إلى جرى الأحكام عليهم ، ومن طول الأيدى بقتل من أحبوا ، وأخذ مال[٩٣] من أحبّوا إلى القصاص من النفس . ومن قطع الأعضاء ، ومن اللطمة من أَجَلِّ من فيهم لأقل علج[٩٤] غريب دخل فيهم ، وإلى إسقاط الأنفة والفخر ، إلى ضرب الظهور بالسياط أو بالنّعال إن شربوا خمرًا ، أو قذفوا إنسانًا ، وإلى الضرب بالسياط[٩٥] والرّجم بالحجارة إلى أن يموتوا إن زنوا ، فانقاد أكثرهم لكل ذلك طوعًا بلا طمع ولا غلبة ولا خوف ، وما منهم أحدٌ أخذ بغلبة إلا مكة وخيبر فقط ، وما غزا قط غزوة يقاتل فيها إلا تسع غزوات ، بعضها عليه ، وبعضها له ، فصحَّ ضرورة أنّهم إنما آمنوا به طوعًا لا كرهًا ، وتبدَّلت طبائعهم بقدرة الله تعالى من الظلم إلى العدل ، ومن الجهل

(٨٧) فى (أ ، ب) : (يطمع) .
(٨٨) فى (خ) : (وإن من أكثر من) .
(٨٩) فى (أ ، ب) : (بنو عمر) وهو تحريف .
(٩٠) فى (ح) : سقطت (مطرودين) .
(٩١) فى (أ ، ب) : (هؤلاء) .
(٩٢) فى (أ ، ب) : (مشرق) .
(٩٣) فى (خ) : لم تذكر هذه العبارة .
(٩٤) العلج : الرجل من كفار العجم . وفى حديث قتل عمر قال لابن عباس : قد كنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة (لسان العرب) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : (بالسّوط) .

إلى العلم ، ومن العسف[٩٦] والقسوة إلى العدل العظيم الذى لم يبلغه أكابر الفلاسفة ، وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثأر ، وصحب منهم الرَّجل[٩٧] قاتل أبيه وابنه ، وأعدى الناس له ، صحبه الإخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ، ولا رياسة ينفردون بها دون من أسلم من غيرهم ، ولا مالٍ يتعجلونه .

فقد علم الناس كيف كانت سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكيف كانت طاعة العرب لهما بلا رزق ولا عطاء ولا غلبة ، فهل هذا إلَّا بغلبةٍ من الله تعالى على نفوسهم .. ؟ وقسره عزَّ وجل لطباعهم ، كما قال تعالى : « لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ[٩٨] » .

ثم بقى عليه السلام كذلك بين أظهرهم بلا حرس ، ولا ديوان جند ، ولا بيت مال محروسًا معصومًا ، وهكذا نقلت آياته ومعجزاته ، فإنّما[٩٩] يصح من أعلام الأنبياء عليهم السلام المذكورين ما نقله هو[١٠٠] عليه السلام لصحة الطريق إليه ، وارتفاع دواعى الكذب والعصبية جملة عن أتباعه فيه ، فجمهورهم غرباء من غير قومه لم يمنّهم بدنيًا ، ولا وعدهم بملك ، وهذا ما[١٠١] لا ينكره واحدٌ من الناس .

وأيضًا فإنَّ سيرة محمد ﷺ لمن تدبّرها تقتضى تصديقه ضرورة ، وتشهد له بأنه رسول الله حقًّا ، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى ، وذلك أنه عليه السلام نشأ كما قلنا فى بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ، ولا خرج عن تلك البلاد قط إلَّا خرجتين ، إحداهما : إلى الشام وهو صبىٌّ مع عمه إلى أول أرض الشام ورجع . والأخرى : أيضًا إلى أول أرض الشام ، ولم يطل بها البقاء ، ولا فارق قومه قط ، ثم أوطأه الله تعالى على[١٠٢] رقاب العرب كلِّهم[١٠٣] ، فلم تتغيَّر نفسه ، ولا حالت سيرته إلى أن مات ، ودرعه مرهونة فى شعير لقوت أهله أصواع ليست بالكثيرة ، ولم يبت قط فى ملكه درهم ولا دينار ، وكان يأكل على الأرض ما وجد ، ويخصف نعله بيده ، ويرقع ثوبه ، ويؤثر على نفسه . وقُتِل رجل من أفاضل أصحابه – وَفَقْدُ مِثْله يهدُّ عسكرًا – قتل[١٠٤] بين أظهر أعدائه من اليهود فلم يتسبب إلى أذى أعدائه بذلك ، إذ لم يوجب ربه تعالى له ذلك ، ولا توصل بذلك إلى دمائهم ، ولا إلى دم أحدٍ منهم ، ولا إلى أموالهم بل وداه من عند

---

(٩٦) فى (أ ، ب) : « الفسق » .

(٩٧) فى (أ ، ب) : « وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه » بالتقديم والتأخير .

(٩٨) سورة الأنفال : ٦٣ .

(٩٩) فى (أ ، ب) : (فأيما) .

(١٠٠) فى (أ ، ب) : (ما نقل عنه . . بصحة) .

(١٠١) فى (أ ، ب) : « لا ينكره » بغير (ما) .

(١٠٢) فى (أ ، ب) : « سقطت كلمة (على) .

(١٠٣) فى (أ ، ب) : « كلها » .

(١٠٤) فى الأصل : « مثل فقده يهدّ عسكرا » .

نفسه بمائة ناقة ، وهو فى تلك الحال محتاج إلى بعير واحد يتقوّى به ، وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الأرض وأهل الدنيا ، من[١٠٥] أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه ، ولا يقتضى هذا أيضًا ظاهر السيرة والسياسة ، فصحّ يقينًا بلا شك أنه إنما كان متّبعًا ما أمره به ربه عزّ وجل كان ذلك مُضِرًّا به فى دنياه غاية الإضرار أو كان غير مضرٍّ به ، وهذا عجب لمن تدبّره ، ثم حضرته المنية ، وأيقن بالموت وله عمٌّ أخو أبيه هو أحب الناس إليه ، وابن عمٍّ هو من أخصِّ الناس به ، وهو أيضًا زوج ابنته التى لا ولد له غيرها ، وله منها ابنان ذكران وكلا الرجلين المذكورين عمه وابن عمه عندهما من الفضل فى الدين ، والسياسة فى الدنيا ، والبأس والحلم ، وخلال الخير ما كان كل واحدٍ منهما حقيقا بسياسة العالم كله ، فلم يحابهما ، وهما من أشدِّ الناس غناء به ومحبة فيه ، وهو من أحبِّ الناس فيهما ، إذ كان غيرهما متقدِّمًا لهما فى الفضل وإن كان بعيد النسب منه ، بل فوَّض الأمر إليه قاصدًا إلى أمْرِ[١٠٦] الحق ، واتباع ما أمر به ، ولم يورث ورثته ؛ ابنته ونساءه وعمه فَلْسًا فما فوقه ، وهم كلهم أحب الناس إليه ، وأطوعهم له ، وهذه أمور لمن تأملها كافية مغنية فى أنه إنّما تصرّف بأمر الله عزّ وجل له ، بسياسة ولا بهوى ، فوضح ما[١٠٧] ذكرنا والحمد لله كثيراً . أن نبوة محمد ﷺ حق وأن شريعته التى أتى[١٠٨] بها هى التى وضحت براهينها ، واضطرت دلائلها إلى تصديقها ، والقطع على أنّها الحق الذى لا حقَّ سواه ، وأنّها دين الله تعالى الذى لا دين له فى العالم غيره ، والحمد لله رب العالمين عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، على ما وفقنا من الملَّة الإسلامية ، ثم على ما يسَّرَنا عليه من النّحلة الجماعية السنية ، ثم على ما هدانا له من التدين ، والعمل بظاهر القرآن وبظاهر السنن الثابتة عنه ﷺ عن باعثه عزَّ وجل ، ولم يجعلنا ممن يقلد أسلافه وأحباره ، دون برهان قاطع ، وحجة قاهرة ، ولا ممن يتَّبع الأهواء المضلّة ، المخالفة لقوله ، وقول نبيّه ﷺ ، ولا ممن يحكم برأيه وظنه ، دون هُدًى من الله ورسوله .

اللهم كما ابتدأتنا بهذه النعمة الجليلة فأتمها علينا ، واصحبنا إيّاها ، ولا تخالف بنا عنها[١٠٩] حتَّى تقبضنا إليك ونحن متمسكون بها فنلقاك بها غير مبدّلين ، ولا مغيّرين اللهم آمين يا رب العالمين . وصلّى الله[١١٠] على محمد عبدك ورسولك ، وخليلك ، وخاتم أنبيائك خاصة ، وعلى أنبيائك عامّة ، وعلى ملائكتك كافة ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم .

---

(١٠٥) فى (ح) سقطت كلمة (من) .
(١٠٦) فى (أ ، خ) : (كرِّ الحق) .
(١٠٧) فى (ب) : (بما) .
(١٠٨) فى (خ) : سقطت كلمة (أتى) .
(١٠٩) فى (ب) : (بها عنا) .
(١١٠) فى (ب) : (اللهم) .

«ذكر فصول يعترض بها جُهّال[1] الملحدين على ضعفة المسلمين»

قال أبو محمد : إنّا لما تدبرنا أمر طائفتين ممن شاهدنا فى زماننا هذا ، وجدناهما قد تفاقم الداء بهما .

فأمّا إحداهما : فقد جلت المصيبة فيها وبها ، وهم قوم افتتحوا عنوان[2] فهمهم ، وابتداء[3] دخولهم إلى المعارف بطلب علم[4] العدد وبرهانه[5] وطبائعه ثم تدرجت[6] إلى تعديل الكواكب وهيئة الأفلاك ، وكيفية قطع الشمس والقمر والدرارى الخمسة وتقاطع فلكى ، النيرين ، والكلام فى الأجرام العلوية ، وفى الكواكب الثابتة وانتقالها ، وأبعاد كل ذلك وأعظامه ، وفيما دون ذلك من الطبيعيات ، وعوارض الجو ومطالعة شيءٍ من كتب الأوائل وحدودها التى نصبت فى الكلام ، وما مازج بعض ما ذكرنا من آراء الفلاسفة فى القضاء بالنجوم ، وأنها ناطقة مدبّرة ، وكذلك الفلك ، فأشرفت هذه الطائفة من أكثر ما طالعت مما ذكرنا على أشياء صحاح براهينها ضرورية لائحة ، ولم يكن معها من قوة المنة ، وجودة القريحة ، وصفاء النظر ما تعلم به أن من أصاب فى عشرة آلاف مسألة فجائز أن يخطىء فى مسألة واحدة ، لعلّها أسهل من المسائل التى أصاب فيها .

---

(١) فى (ب) : (جهلة) .

(٢) فى (أ ، ب) : (عنفوان) .

(٣) فى (أ ، ب) : (وابتدءوا) .

(٤) فى (خ) : سقطت كلمة (علم) .

(٥) فى (أ ، ب) : (تدرجوا) .

(٦) فى (ب) : (وبرواته) .

فلم تفرق هذه الطائفة بين ما صح مما طالعوه بحجة برهانية ، وبين ما فى أثناء ذلك وتضاعيفه مما لم يأت عليه بمن ذكره من الأوائل ، إلّا بإقناع أو بشغب وربما بتقليد ليس معه شيء مما ذكرنا ، فحملوا كل ما أشرفوا عليه محملًا واحدًا ، وقبلوه قبولًا مستويًا فسرى[٧] فيهم العجب ، وتداخلهم الزَّهو ، وظنّوا أنهم قد حصلوا على مباينة العالم فى ذلك ، وللشيطان موالج خفية ، ومداخل لطيفة ، كما قال رسول الله ﷺ : « إنه يجرى من ابن[٨] آدم مجرى الدّم » فتوصل إليهم من باب غامض نعوذ بالله منه ، وهو أنهم كما ذكرنا أصفار[٩] من كل شيء ، من علوم الديانة التى هى الغرض المقصود من كل ذى لب ، والتى هى نتيجة العلوم التى طالعوا لو عقلوا سبلها ومقاصدها ، فلم يعنوا[١٠] بآية من كتاب الله عزّ وجل الذى هو جامع علوم الأولين والآخرين ، والذى لم يفرّط فيه من شيء ، والذى من فهمه كفاه ، ولا بسنن[١١] من سنن رسول الله ﷺ التى هى بيان الحق ونور الألباب .

ولم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدّين إلّا أقوامًا لا عناية لهم بشيء مما قدمنا ، وإنما عنيت من[١٢] الشريعة بأحد ثلاثة أوجه :

إمَّا بألفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ، ولا يهتمون بفهمها .

وإمّا بمسائل من الأحكام لا يشتغلون بدلائلها ومنبعها[١٣]، وإنما حسبهم منها ما أقاموا به جاههم وحالهم .

وإمَّا بخرافات منقولة عن كل ضعيف وكذاب وساقط ، لم يهتبلوا[١٤] قط بمعرفة صحيح منها من سقيم ، ولا مرسل من مسند ، ولا ما نقل عن النبى ﷺ مما نقل عن كعب[١٥] الأحبار ، أو وهب[١٦] بن منبه عن أهل الكتاب . فنظرت الطائفة الأولى من هذه الآخرة بعين الاستهجان

---

(٧) ف (ب) : (فسترى) .

(٨) أخبرنا محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة عن مجالد عن عامر عن جابر قال : وربما سألت عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : لا تدخلوا على المغيّبات فإنّ الشيطان يجري وربما قال : يسلك الشيطان من ابن آدم مجرى الدّم قالوا : ومنك . قال : نعم . ولكنَّ الله أعاننى عليه فأسلم . (سنن الدارمى) .

(٩) فى (أ ، ب) : (أصغار) بالغين .

(١٠) فى (أ ، ب) : (فلم يعبأوا) .

(١١) فى (أ ، ب) : (بسنة) .

(١٢) فى (أ) : سقطت كلمة (من) .

(١٣) فى (ب) : (ومنبعثها) .

(١٤) لم يهتبلوا : اهتبل الرجل لأهله : اكتسب لهم . واهتبل الفرصة : اغتنمها – معجم متن اللغة .

(١٥) كعب الأحبار : هو كعب بن ماتع الحميرى أبو إسحاق الحبر . من مسلمة أهل الكتاب ، عن عمرو وصهيب . وعنه أبو هريرة وابن عباس ومعاوية وجماعة من التابعين . قال ابن سعد توفى سنة ٣٢ هـ . فى خلافة عثمان . (تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) .

(١٦) وهب بن منبه هو : أبو عبد الله الصنعانى الذمارى ، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، ولا سيما الإسرائيليات ، يعد فى التابعين أصله من أبناء الفرس ، وأمه من حمير ، ولد ومات بصنعاء ، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها . ومن قوله : إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوّة !! واتهم بالقدر ورجع عنه . ويقال : ألف فيه كتابا ثم ندم عليه . وحبس فى كبره وامتحن . قال=

والاحتقار والاستجهال ، فتمكن الشيطان منهم ، وحلّ فيهم حيث أحب ، فهلكوا وضلّوا واعتقدوا أن دين الله تعالى لا يصح منه شيء ولا يقوم عليه دليل ، فاعتقد[١٧] أكثرهم الإلحاد والتعطيل ، وسلك بعضهم طريق الاستخفاف والإهمال[١٨]، واطراح نقل الشرائع ، واستعمال الفرائض والعبادات ، وآثروا الرَّاحات وركوب اللذات من أنواع الفواحش المحرمات من الخمر[١٩] والزنا واللياطة والبغاء ، وترك الصلاة والصيام ، والزكاة والحج والغسل ، وقصدوا كسب المال كيف تيسر ، وظلم العباد واستعمال الأهزال ، وترك الجد والتحقيق ، وتدين الأقل منهم بتعظيم الكواكب ، فأسفت نفس المسلم الناصح لهذه الملة وأهلها على هلاك هؤلاء المساكين ، وخروجهم عن جملة المؤمنين ، بعد أن غذوا بلبان الإسلام ، ونشأوا فى حجور أهله ، نسأل الله العصمة من الضلال لنا ، ولأبنائنا ولكل إخواننا من المسلمين ، ونسأله تدارك من زلّت به قدمه ، وهوت نعله[٢٠]، إنه على كل شيء قدير .

وأمَّا الطائفة الثانية : فهم قوم ابتدءوا الطلب بحديث[٢١] النبى ﷺ ، فلم يزيدوا على طلب علوِّ الإسناد ، وجمع الغرائب ، دون أن يهتمُّوا بشيء مما كتبوا أو يعملوا[٢٢] به ، وإنما يحملونه[٢٣] حملًا لا يزيدون على قراءته هذا[٢٤] دون تدبير معانيه ، ودون أن يعلموا أنهم المخاطبون به ، وأنه لم يأت هملًا ، ولا قاله رسول الله ﷺ عبثًا ، بل أمرنا بالتفقه فيه والعمل به ، بل أكثر هذه الطائفة لا يعمل أكثرهم[٢٥] إلا ما جاء من طريق مقاتل[٢٦] بن سليمان ، والضحاك[٢٧] بن مزاحم ،

= صالح بن طريف : لما قدم يوسف بن عمر العراق ، بكيت وقلت : هذا الذى ضرب وهب ابن منبه حتى قتله . وفى طبقات الخواص : أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة . من كتبه : « ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم ، وقبورهم وأشعارهم » وله : « قصص الأنبياء » و « قصص الأخبار » ذكرهما صاحب كشف الظنون .

(١٧) فى (أ ، ب) : (فاعتقدوا) .

(١٨) فى (خ) : لم يذكر (والإهمال) .

(١٩) فى (أ ، ب) : (الخمور) .

(٢٠) فى (أ ، ب) : (نقله) بالقاف – وهو تحريف .

(٢١) فى (أ ، ب) : (لحديث) .

(٢٢) فى (أ ، ب) : (أو يعلموا) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : (تحملوه حملا) .

(٢٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .

(٢٥) فى (أ ، ب) : (لا يعمل عندهم) .

(٢٦) مقاتل بن سليمان : هو ابن بشير الأزدى الخرسانى ، أبو الحسن البلخى صاحب التفسير . ولد مقاتل ابن سليمان فى مكانه « بلخ » ومات فى خراسان سنة ١٥٠ هـ . قال النسائى : الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة : إبراهيم بن أبى يحيى بالمدينة ، مقاتل بخراسان ، محمد بن سعيد المصلوب بالشام الواقدى ببغداد . قال ابن حيان : كان مقاتل بن سليمان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم ، وكان مشبها يشبه الرب سبحانه وتعالى بالمخلوقين ، وكان يكذب مع ذلك فى الحديث . (تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلانى) .

(٢٧) الضحاك بن مزاحم : هو من بنى عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، رهط « زينب » زوج النبى ﷺ ، كنيته أبو القاسم ، ولد لسنتين وكان يؤدب الأطفال ، وأتى خراسان فأقام بها ، ومات سنة اثنتين ومائة ، ويقال : إنه كان فى مدرسته ثلاثة آلاف صبى وقال الذهبى : إنه كان يطوف عليهم على حمار ، وذكره ابن حبيب تحت عنوان : « أشرف المعلمين وفقائهم » ، له كتاب فى التفسير .(الاعلام)

وتفسير الكلبى ، وتلك[٢٨] الطبقة ، وكتب البدى[٢٩] التى إنما هى خرافات موضوعة ، وأكذوبات مفتعلة ، ولّدها الزنادقة تدليسًا على الإسلام وأهله ، فأطلقت هذه الطائفة كل اختلاط لا يصح من أن الأرض على حوت ، والحوت على قرن ثور ، والثور على صخرة ، والصخرة على عاتق ملك ، والملك على الظُّلة[٣٠]، والظلة على ما لا يعلمه إلَّا الله عزَّ وجل .

وهذا يوجب أنَّ جرم العالم غير متناه ، وهذا هو الكفر بعينه ، فنافرت هذه الطائفة التى ذكرنا كل برهان ، ولم يكن عندها أكثر من قولهم[٣١] نُهينا عن الجدال !! فليت شعرى من نهاهم عنه ؟!. والله عزَّ وجل يقول فى كتابه المنّزل على نبيّه المرسل ﷺ : « وجادلهم بالّتى هى أحسن[٣٢]» .

وأخبر الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا : « يا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فأَكْثَرْتَ جدالَنا[٣٣]» .

وقد نص تعالى فى غير موضع من كتابه على أصول البراهين ، وقد نبهنا عليها فى غير ما موضع فى كتابنا هذا . وحضَّ تعالى على التفكر فى خلق السماوات والأرض ، ولا يصح الاعتبار فى خلقهما إلَّا بمعرفة هيآتهما ، وانتقال الكواكب فى أفلاكهما واختلاف حركاتها فى التغريب والتشريق ، وأفلاك تداويرها ، وتعارض فلك[٣٤] الأدوار على رتبة واحدة ، وكذلك[٣٥] معرفة الدوائر ، والمنطقة ، والميل والاستواء ، وكذلك معرفة الطبائع ، وامتزاج العناصر الأربعة ، وعوارضها وتركيب أعضاء الحيوان من عَصَبِه وعَضَلِه وعظامه وعروقه وشرايينه ، واتصال أعضائه بعضها ببعض ، وقواه المركبة ، فمن أشرف على ذلك وعَلِمَه ، رأى عظيم القدرة ، وتيقَّن أنَّ ذلك كله[٣٦] صنعة ظاهرة ، وإرادة خالق قاصد[٣٧] مختار ، لأن اختلاف تلك الحركات تضطر إلى المعرفة بأنَّ شيئًا منها لا يقوم بنفسه دون ممسك مدبّر لا إله إلا هو ، ولا خالق سواه ، ولا مدبّر حاشاه ولا فاعل مخترع[٣٨]إلا هو . ثم زاد قوم منهم فأتوا بالأفيكة التى تقشعرُّ منها الذوائب ، وهى أن

---

(٢٨) فى (خ) : غير مذكور .
(٢٩) فى (أ ، ب) : (البذى) بالذال .
(٣٠) فى (أ ، ب) : (الظلمة والظلمة) .
(٣١) فى (خ) : سقطت كلمة (قولهم) .
(٣٢) النحل : ١٢٥ .
(٣٣) هود : ٣٢ .
(٣٤) فى (أ ، ب) : (تلك الأدوار) .
(٣٥) فى (خ) : لم يذكر قوله : (وكذلك معرفة الدوائر ، والمنطقة ، والميل والاستواء) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (أن كل ذلك)
(٣٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قاصد) .
(٣٨) فى (ح) : سقطت كلمة (مخترع) .

أطلقوا أنَّ الدِّين لا يؤخذ بحجة ، فأقرُّوا عيون الملحدين ، وشهدوا أنَّ الدين لا يثبت إلا بالدَّعاوى والغلبة ، وهذا خلاف قول الله عزَّ وجل : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »[٣٩].

وقوله تعالى : « فانفذوا لا تنفذون إلَّا بسلطان »[٤٠].

هذا قول الله عزَّ وجل ، وما جاء به نبيه ﷺ . وفى ذلك الكفاية والغناء عن قول كل قائل بعده .

وقد حاجّ ابن عباس الخوارج ، وما علمنا أحدًا من الصحابة رضى الله عنهم ، نهى عن الاحتجاج ، فلا معنى لرأى من جاء بعدهم ، فكان كلام هذه الطائفة مغريًا للطائفة الأولى بكفرها ، ومغبطًا لهم بشركهم ، إذ لم يروا فى خصومهم فى الأغلب إلَّا من هذه صفته ، ثم زادت هذه الطائفة الثانية[٤١] غلوًّا فى الجنون فعابوا كتبًا[٤٢] لا معرفة لهم بها ، ولا طالعوها ، ولا رأوا منها كلمة ، ولا قرءوها ، ولا أخبرهم عمّا فيها ثقة ، كالكتب التى فيها هيئة الأفلاك ، ومجارى النجوم ، والكتب التى جمعها « أرسطاطاليس[٤٣]» فى حدود الكلام .

قال أبو محمد : وهذه الكتب كلها سالمة مفيدة . دالة على توحيد الله عز وجل وقدرته ، عظيمة المنفعة فى انتقاد جميع العلوم ، وعظم منفعة الكتب التى ذكرنا فى الحدود فى[٤٤] مسائل الأحكام الشرعية فيها[٤٥] يتعرف كيف التوصل إلى الاستنباط وكيف تؤخذ الألفاظ على مقتضاها ، وكيف يعرف الخاص من العام ، والمجمل من المفسر ، وبناء الألفاظ بعضها على بعض . وكيف تقديم المقدمات وإنتاج النتائج ، وما يصح من ذلك صحة ضرورية أبدًا ، وما يصح مرة ويبطل أخرى ، وما لا يصح ألبتة وضروب[٤٦] الحدود التى ما[٤٧] شذَّ عنها كان خارجًا عن أصله ، ودليل

---

(٣٩) البقرة : ١١١ .

(٤٠) الرحمن : ٣٣ .

(٤١) فى (ح) : سقطت (الثانية) .

(٤٢) فى (أ ، ب) : كتبنا .

(٤٣) أرسطاطاليس : هو ابن نيقوماخس الطبيب المشهور ، كان أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الحكماء المعروفين بالمشائين ، يعرف بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ولد فى « شتاجيرا » وهى مستعمرة يونانية كانت تابعة لمكدونية ، تعلم مدة وجيزة فى « أتريوس » من آسيا الصغرى ، وفقد أباه وأمه وهو صغير ، ولما بلغ السابعة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا ، وأخذ فيها الحكمة عن أفلاطون اليونانى . وكان أفلاطون يحبه كثيرًا وكان يقول إذا طلب أحدٌ منه الكلام اصبر حتى يحضر العقل فإذا حضر أرسطاطاليس قال : تكلموا . وقد قسم فلسفته إلى قسمين : عملية ونظرية ، فالعملية هى التى تعلم قواعد التقسيم والترتيب العقلى كالمنطق . وأما النظرية فهى التى تظهر لنا الحقائق العقلية الخالصة كعلم الإلهيات والطبيعيات . وقد أجمع المؤرخون على أن أرسطاطاليس هو أول من استنبط صورة القياس وصورة قياس القياس . وله تآليف منها : علم الفصاحة ، علم المنطق ، الشعر والأدب ، تاريخ الحيوانات وتوفى أرسطاطاليس فى حلكس ، وقال بعضهم : إنه مات بشدة غيظه إذ لم يعرف سبب المد والجزر فى بحر أوريب ، وقيل إنه مات منتحرًا فقد ألقى نفسه فى البحر . (دائرة المعارف - البستانى) .

(٤٤) فى (أ ، ب) (ففى) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : (بها) .

(٤٦) فى (أ ، ب) : (وضرب) .

الخطاب ، ودليل الاستقراء ، وبرهان[٤٨] الدَّور وغير ذلك مما لا غناء للفقيه[٤٩] المجتهد لدينه[٥٠] ولأهل ملته عنه .

قال أبو محمد : فلما رأينا عظيم المحنة فيما تولّد فى الطائفتين اللتين ذكرنا ، رأينا من عظيم الأجر ، وأفضل العمل ، بيان هذا الباب المشكل بحول الله تعالى ، وقدرته وتأييده ، فنقول وبه عزَّ وجل نتأيّد ونستعين :

إنَّ كلَّ ما صح ببرهانٍ أيَّ شيء كان فهو فى كلام الله عز وجل ، وكلام النبى ﷺ منصوص مسطور يعلمه كل من أحكم النظر ، وأيّده الله تعالى بفهم ، وأمّا كل ماعدا ذلك مما لا يصح ببرهان وإنما هو إقناعٌ أو شغب ، فالقرآن وكلام النبى ﷺ منه خاليان . والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : ومعاذ الله أن يأتى كلام الله عز وجل ، وكلام نبيه ﷺ بما يبطله عيان أو برهان ، وإنما يَنْسب هذا إلى القرآن والسنة من لا يؤمنون بهما ، ويسعى فى إبطالهما ، « وَيَأْبَى الله إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَه وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون[٥١] » .

ولسنا من تفسير الكلبى الكذاب ومن جرى مجراه فى شىء ، ولا نحن من نقل المتّهمين فى شأن ، إنما نحتجُّ بما نقله الأئمة الثّقات والأثبات من[٥٢] رؤساء المحدثين مسندًا ، فمن فتّش الحديث الصحيح وجد فيه كل ما قلنا ، والحمد لله رب العالمين .

وإنما الباطل ما ادّعته الطائفة الأولى من نطق الكواكب وتدبيرها ، وهذا كفر لا حجة عندهم على ماقالوه منه أكثر من أن المحتجَّ لهم قال :

لما كنا نعقل ، وكانت النجوم[٥٣] تدبّرنا كانت أولى بالعقل منا . وهذا الذى ذكروه ليس بشىء ، لأن الكواكب وإن كان لها تأثير فى العالم ظاهر ، فليس تأثيرها تأثير ملك واختيار ، يدل على ذلك ما ذكرناه[٥٤] فى كتابنا هذا من الدلائل على أن الكواكب مضطرة لا مختارة ، وإنما تأثيرها كتأثير النار بالإحراق ، والماء بالتبريد ، والسمّ بإفساد المزاج ، والطعام بالتغذية ، والفلفل

---

(٤٧) فى (أ ، ب) : (التى من) .
(٤٨) فى (أ ، ب) : لم يذكر (وبرهان الدور) .
(٤٩) فى (أ ، ب) : (بالعيه) .
(٥٠) فى (أ ، ب) : (لنفسه) .
(٥١) التوبة : ٣٢ .
(٥٢) فى (ح) : سقطت كلمة (الأثبات) وذكر (فى رؤساء) .
(٥٣) فى (أ ، ب) : (الكواكب) .
(٥٤) فى (ب) : (ما قد ذكرناه) .

بحذو اللسان ، والإهليلج بالقبض للفم ، وما جرى هكذا من سائر ما فى العالم ، وكل ذلك غير ناطق ، والكواكب والأفلاك جارية هذا المجرى ، لأن تأثيرها تأثير واحد لا يختلف ، وحركتها حركة[٥٥] واحدة لا تختلف ، وليس كذلك المختار[٥٦].

ولقد قال لى بعضهم وقد عارضته بهذا : إنَّ المختار الفاضل يلزم أفضل الحركات فلا يتعدّاها ، وتلك الحركة الدّورية هى أفضل الحركات .

فقلت له : وما دليلك على أن أفضل[٥٧] الحركات الحركة الدورية ؟ ومن أين صارت الحركة من شرق إلى غرب ، أو من غرب إلى شرق ، أفضل من[٥٨] جنوب إلى شمال ، أو من شمال إلى جنوب ؟

وكيف يكون عندكم أفضل الحركات والأفلاك الثمانية تنتقل من غرب إلى شرق ؟ والتاسع من شرق إلى غرب ، فأى هاتين الحركتين قلتم إنها أفضل عندكم ؟

وقد اختار الآخر الحركة التى ليست أفضل فظهر فساد هذا القول بيقين[٥٩].

وهذه دعاوى مجردة بلا برهان ، وما كان هكذا فقد سقط ، ولا فرق بينك وبين من قال : بل الحركة علوًّا أفضل أو[٦٠] على خط مستقيم سائرة وراجعة ، ونحن نجد تلك الأجرام تسفل فى بعض ممراتها ، وتشرف فى بعض ، وتسقط فى بعض على قولهم[٦١]، وتوافق بزعمهم ريح[٦٢] نحس مظلمة ، وأخرى نيرة سعيدة ، وبعض الأفلاك تقطع من غرب إلى شرق ، وهو حركة جميعها إلّا الأعلى منها فإنّه يتحرك من شرق إلى غرب ، فليست هذه أفضل الحركات ، فبطل قولهم والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وكذلك ما ذكره من ذكر ذلك منهم من الكرور عند انتهاء آلاف من الأعوام ذكروها ، وانتصاب الكواكب الثابتة[٦٣] على نصب مّا من قطعها لفلكها ، فهذا أيضًا كذب مجرد ، ودعوى ساقطة لا دليل عليها ، ولا يعجز عن مثلها أحد ، ولم يأتوا على شىء

---

(٥٥) سقطت جملة (وحركتها حركة واحدة لا تختلف) . من (ح) .
(٥٦) فى (ب) : (المختارة) .
(٥٧) فى (أ) : « تلك الحركة أفضل الحركات ؟ » .
(٥٨) فى (أ ، ب) . (من الحركة) .
(٥٩) اعتمدنا كتابة هذه الفقر من أول قوله : « وكيف يكون عندكم أفضل الحركات والأفلاك الثمانية .. إلى قوله · بيقين » على النسخة (أ) . وهذا القول كله ليس مذكورًا فى (ح) .
(٦٠) فى (ح) : « وعلى خط مستقيم » بواو العطف .
(٦١) فى (أ ، ب) : « قولكم .. وبزعمكم » .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (بروح) .
(٦٣) فى (أ) · (الثابتة التى)

من ذلك شغب ولا بإقناع كيف ببرهان ، وإنما هو تقليد لبعض قدماء الصابئين[٦٤] فمثل هذه الحماقات والخرافات هو[٦٥] الذى دفعته الشريعة الإسلامية وأبطلته ، وأمّا ما قامت عليه البراهين فهو فى القرآن والسنة موجود نصًّا ، واستدلالًا ضروريًا ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

(٦٤) فى (أ ، ب) : (الصائبين) وهو تحريف ظاهر .
(٦٥) فى (أ ، ب) : (هو الذى) .

« مطلب بيان كروية الأرض »

قال أبو محمد : وهذا حين نأخذ إن شاء الله تعالى فى ذكر بعض ما اعترضوا به ، وذلك أنهم قالوا : إنّ البراهين قد صحّت بأن الأرض كروية والسماء[1] كذلك ، والعامة تقول غير ذلك ، وجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أنَّ أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضى الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض ، ولا يحفظ لأحدٍ منهم فى دفعه كلمة ، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها .

قال الله عزّ وجل : « يكوِّر الليل على النهار ، ويكوِّر النهار على الليل »[2].

وهذا أوضح بيان فى تكوير بعضها على بعض ، مأخوذ من كور العمامة ، وهو إدارتها ، وهذا نص على تكوير الأرض ودوران الشمس كذلك ، وهى التى يكون منها ضوء النهار بإشراقها وظلمة الليل بمغيبها ، وهى آية النهار بنص القرآن ، قال الله تعالى : « وجعلنا آية النهار مبصرة »[3].

فيقال لمن أنكر ما جهل من ذلك من العامّة أليس إنما افترض الله عزّ وجل علينا أن نصلى الظهر إذا زالت الشمس ؟ فلابدَّ من بلى[4]. فيسألون عن معنى زوال الشمس فلابدَّ من أنه إنما هو انتقال الشمس عن مقابلة من قابل بوجهه القرص ، واستقبل بوجهه وأنفه وسط المسافة ، التى بين مكان[5] طلوع الشمس ، وبين موضع غروبها فى كل زمان وكل مكان ، وأخذها إلى جهة

---

(١) فى (أ ، ب) : لم يذكر (والسماء كذلك) .
(٢) الزمر : ٥ .
(٣) الإسراء : ١٢ .
(٤) فى (أ ، ب) : (نعم) وهو خطأ لأن جواب الاستفهام المنفى فى حالة الاثبات يكون بـ (بلى) وفى حالة النفى يكون بـ (نعم) .
(٥) فى (أ ، ب) : (موضع) .

حاجبه الذى يلى موضع غروب الشمس ، وذلك إنما هو فى أول النصف الثانى من النهار ، وقد علمنا أن المدائن من معمور الأرض آخذة على أديمها من مشرق إلى مغرب ، ومن جنوب إلى شمال فيلزم من قال : إنّ الأرض منتصبة الأعلى غير مكوّرة – أنّ كل من كان ساكنًا فى أول المشرق ، أن يصلى الظهر فى أول النهار ضرورة ، ولابدّ إثر صلاة الصبح بيسير ، لأن الشمس بلا شك تزول عن مقابلة ما بين حاجبى كل واحدٍ منهم فى أول النهار ضرورة ولابدّ ، إن كان الأمر على ما يَقولون .

ولا يحل لمسلم أن يقول : إنَّ صلاة الظهر تجوز أن تصلى فى الوقت[٦] المذكور ويلزمهم أيضًا أنّ من كان ساكنًا فى آخر المغرب أن الشمس لا تزول عن مقابلة ما بين حاجبى كل واحد منهم إلّا فى آخر النهار ، فلا يصلّون الظهر إلّا فى وقت لا يتسع لصلاة العصر حتى تغرب الشمس ، وهذا خارج عن حكم دين الإسلام .

وأمَّا من قال بتكويرها : فإن كل من على ظهر الأرض لا يصلى الظهر إلا إثر انتصاف نهاره أبدًا على كل حال وفى كل زمان ، وفى كل مكان ، وهذا بيِّن لا خفاء به[٧]. وقال عزَّ وجل : « سَبْعَ سَمَاواتٍ طِبَاقًا »[٨].

وقال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ »[٩].

وهكذا قام البرهان من قبل كسوف الشمس[١٠] والقمر وبعض الدرارى لبعض[١١] – على أنها سبع سماوات ، وعلى أنها طرائق ، وقوله تعالى : « طرائق » يقتضى متطرقًا فيها . وقال تعالى : « وسع كرسيّه السماوات والأرض »[١٢].

وهذا نصّ ما قام عليه البرهان من انطباق بعضها على بعض ، وإحاطة الكرسىّ بالسبع السماوات والأرض ، وقال رسول الله ﷺ : فاسألوا الله الفردوس الأعلى ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن »[١٣].

---

(٦) فى (أ ، ب) : (قبل نصف النهار) .
(٧) فى (أ ، ب) : (بل) بدلًا من (به) .
(٨) الملك : ٣ . ونوح : ١٥ .
(٩) المؤمنون : ١٧ .
(١٠) فى (خ) : لم يذكر (الشمس والقمر) .
(١١) كلمة (لبعض) هنا لا معنى لها ولا داعى – فى نظرنا .
(١٢) البقرة : ٢٥٥ .
(١٣) جاء هذا الحديث فى البخارى : فى باب التوحيد ٢٢ ، والجهاد ٤ ، ورواه الترمذى فى باب الجنة ٤ والعبارات متفاوتة ؛ وإحداها : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان له حقا على الله أن يدخله الجنّة ، جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها ، فقالوا يا رسول الله : أفلا تبشر الناس ؟ قال : إنَّ فى الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، أراه فوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجَّر أنهار الجنة . « قال محمد بن فليح عن أبيه – وفوقه عرش الرحمن » .

وقال عزَّ وجل : « الرحمن على العرش استوى »[١٤].

فأخبر هذان النصَّان بأنَّ ما على العرش هو منتهى الخلق ونهاية العالم ، وقد قال تعالى : « إنَّا زينَّا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد »[١٥].

وهذا هو نص ما قام عليه البرهان من أن الكواكب المرمى بها هى دون سماء الدنيا لأنها لو كانت فى السماء لكان الشياطين يصلون إلى السماء ، أو كانت هى تخرج عن السماء وإلّا فكانت تلك الشهب لا تصل إليهم إلا بذلك ، وقد صح أنهم ممنوعون من السماء بالرّجوم ، فصح أنّ الرجوم دون السماء ، وأيضًا فإن تلك الرجوم ليست نُجومًا معروفة وإنما هى شهب ونيازك من نار ، تتكوكب وتشتعل وتطفأ ، ولا نار فى السماوات أصلًا ، فلم نجد الاختلاف إلا فى الأسماء لاختلاف اللغات ، وقد اعترض القاضى منذر[١٦] بن سعيد على رأى « أرسطاطاليس[١٧] » فى الآثار العلوية : أن السماوات بزعمه مملوءة نارًا[١٨] هذا فجعل الافلاك غير السماوات ، والسماوات فوقها وقال : لو كانت السماوات محيطة بالأرض لكان بعض السماوات تحت الأرض .

قال أبو محمد : وهذا[١٩] ليس بشيء لأن التحت والفوق من باب الإضافة لا يقال فى شيء تحت إلّا وهو فوق لشيء آخر ، حاشا مركز الأرض ، فإنه تحت مطلق لا تحت له ألبتة ، وكذلك كل ما[٢٠] قيل فيه إنه فوق فهو أيضًا تحت لشيء آخر ، حاشا الملائكة[٢١] الذين على الصحفة العليا من الفلك الأعلى المقسوم بقسمة البروج ، فإنها فوق لا فوق لها ألبتة ، فالأرض على هذا البرهان للشاهد[٢٢] هى مكان التحت للسماوات ضرورة ، فمن حيث كانت السماء فهى فوق الأرض ، ومن حيث قابلتها الأرض فالأرض[٢٣] تحت السماء ولابدّ ، وحيث ما كان ابن آدم

---

(١٤) طه : ٥ .

(١٥) الصافات : ٦ ، ٧ .

(١٦) مندر بن سعيد (٨٨٦ – ٩٦٦ م) : هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النمرى القرطبى ، أبو الحكم البلوطى ، قاضى قضاة الأندلس فى عصره ، كان فقيهًا خطيبًا شاعرًا فصيحًا . رحل حاجًا سنة ٣٠٨ هـ فأقام فى رحلته أربعين شهرًا ، أخذ بها عن بعض علماء مكة ومصر . قال ابن الفرضى : كان بصيرًا بالجدل ، منحرفًا إلى مذهب أصحاب الكلام لهجًا بالاحتجاج ، ولى قضاء « ماردة » وما والاها ، ثم قضاء الثغور الشرقية ، فقضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٣٩ هـ واستمر إلى أن توفى فيها ، لم تحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ، له كتب فى القرآن والسنة ، والرد على أهل الأهواء منها : الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله ، ويسمى « أحكام القرآن » و« الإبانة عن حقائق أصول الديانة » و« الناسخ والمنسوخ » (ترجمته فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ، ومطمح الأنفس) .

(١٧) راجع ص

(١٨) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « رأى أرسطاطاليس إلى مملوءة نارًا » .

(١٩) فى (أ) : زاد . بعد قال أبو محمد : (ولا برهان على ما ذكر إلا أنه قال : إن السماوات هى فوق الأرض) .

(٢٠) فى (خ) : لم تذكر كلمة (كل .. فيه) .

(٢١) فى (أ ، ب) : سقطت (الملائكة الذين) .

(٢٢) فى (أ ، ب) : (الشاهد) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : (فهى)

فرأسه إلى السماء ، ورجلاه إلى الأرض ، وقد قال الله عزّ وجل : « أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمر فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا »[٢٤].

وقال تعالى : « تَبَارَكَ الَّذِى جعل فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيها سِرَاجًا وَقَمرًا مُنِيرًا »[٢٥] فأخبر الله تعالى إخبارًا لا يردّه إلا كافر بأن القمر فى السماء ، وأن الشمس أيضًا فى السماء ، ثم قد قام البرهان الضرورى المشاهد بالعيان على دورانها[٢٦] حول الأرض من مشرق إلى مغرب ، ثم من مغرب إلى مشرق ، فلو كان على ما يظن أهل الجل لكانت الشمس والقمر إذا دارا بالأرض وصارا فيما يقابل صفحة الأرض التى لسنا عليها قد خرجا عن السماء ، وهذا تكذيب لله تعالى ، فصح بهذا أنه لا يجوز أن يفارق الشمس والقمر السماوات ، ولا أن يخرجا عنها ، لأنهما كيف دارا فهما فى السماوات ، فصحّ ضرورة أن السماوات مطابقة طباقًا على الأرض ، وأيضًا فقد نص الله تعالى كما ذكرنا على أن الشمس والقمر والنجوم فى السماوات ، ثم قال تعالى : « وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُون »[٢٧].

وبالضرورة علمنا أنه لا يمكن أن يكون جرم فى وقت واحد فى مكانين غير متداخلين[٢٨] فلو كانت السماوات غير الأفلاك ، وكانت الشمس والقمر بنصّ القرآن فى السماوات وفى الفلك لكانا فى مكانين غير متداخلين فى وقت[٢٩] واحد ، وهذا محال ممتنع ، ولا ينسب القول بالمحال إلى الله تعالى إلّا أعمى القلب ، فصح أن الشمس فى مكان واحد ، وهو سماء وهو فلك ، وهكذا القول فى القمر وفى النجوم . وقوله تعالى : « وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُون »[٣٠].

نصٌّ جلىّ على الاستدارة ، لأنه أخبر تعالى أن الشمس والقمر والنجوم سابحة فى الفلك ، ولم يخبر أنَّ لها سكونًا ، فلو لم تستدر لكانت على آباد الدهور بل فى الأيّام اليسيرة تغيب عنَّا ، حتّى لا نراها أبدًا لو مشت على طريق واحد ، وخط واحد مستقيم أو معوج غير مستدير ، لكنّا[٣١] أمامها أبدًا ، وهذا باطل فصحَّ ما[٣٢] نراه من كرورها من غرب إلى شرق ، ومن شرق إلى غرب ، أنها دائرة ضرورة ، وكذلك قال رسول الله ﷺ إذ سئل عن قول الله تعالى عزّ وجل : « والشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا »[٣٣] .

---

(٢٤) نوح : ١٥ ، ١٦ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكرها (ألم يَرَوْا) .
(٢٥) الفرقان : ٦١ .
(٢٦) فى (أ ، ب) : (دورانها) .
(٢٧) يس : ٤٠ .
(٢٨) فى (أ ، ب) : لا يُوجد كلمة (غير متداخلين) .
(٢٩) فى (ب) : جاءت العبارات مضطربة هكذا ، (فى موقف غير متداخلين واحد) .
(٣٠) يس : ٤٠
(٣١) فى (خ) : (لكن) .
(٣٢) فى (أ ، ب) : (بما) .
(٣٣) يس : ٣٨ .

فقال عليه السلام : « مستقرُّها تحت العرش »[٣٤]. وصدق عليه السلام لأنها أبـدًا تحت العرش إلى يوم القيامة ، وقد علمنا أنَّ مستقرَّ الشيء هو موضعه الذى يلزم فيه ولا يخرج عنه ،وإن مشى فيه من جانب إلى جانب ، « وسجودها » هو سيرها فيه[٣٥].

حدثنا أحمد بن عمر بن أنس[٣٦] العذرى حدثنا عبد الله[٣٧] بن محمد الهروى ، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حموية السرخى ، حدثنا إبراهيم[٣٨] بن خزيم ، حدثنا عبد[٣٩] بن حميد ، حدثنى سليمان بن حرب[٤٠] الواشحى ، حدثنا : حماد بن سلمة[٤١] عن إياس بن معاوية[٤٢] المزنى قال : « السماء مقبَّبة هكذا على الأرض » وبه إلى عبد بن حميد ، حدثنا : يحيى بن عبد[٤٣] الحميد عن يعقوب[٤٤] عن جعفر[٤٥] هو ابن أبى وحشية عن سعيد هو ابن جبير

---

(٣٤) الحديث : رواه الإمام البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه فى كتاب التفسير عند قوله تعالى « والشمس تجرى لمستقرٍّ لها » .

(٣٥) فى (أ ، ب) : سقط (وسجودها هو سيرها فيه) .

(٣٦) أحمد بن عمر (٣٩٣ – ٤٧٨ هـ) (١٠٠٣ – ١٠٨٥ م) : هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث الزغبى العذرى ، أبو العباس المعروف بابن الدلائى ، فاضل أندلسى ، من قرية دلاية من أعمال المرية ، وإليها نسبته ، ووفاته بالمرية ، أقام ثمانى سنوات بمكة فى صباه ، وأخذ عن علمائها . له كتاب « المسالك والممالك » قيل إنه من أجل ما صنف فى موضوعه . و« دلائل النبوة » .

(٣٧) هو عبد الله بن محمد بن على الأنصارى الهروى أبو إسماعيل (٣٩٦ – ٤٨١ هـ) (١٠٠٦ – ١٠٨٩ م) شيخ حراسان فى عصره ، من كبار الحنابلة ، من ذرية أبى أيوب الأنصارى ، كان بارعًا فى اللغة ، حافظًا للحديث عارفًا بالتاريخ والأنساب ، مظهرًا للسنة ، داعيًا إليها ، امتحن وأوذى وسمع يقول : « عُرضت على السيف خمس مرات لا يقال لى ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لى : اسكت عمن خالفك فأقول : لا أسكت ! » من كتبه « ذم الكلام وأهله – خ » و« الفاروق فى الصفات » و« كتاب الأربعين » فى التوحيد ، والأربعين فى السنة ، ومنازل السائرين ، و« سيرة الإمام احمد بن حنبل » فى مجلد . (الأعلام) . وثمة علم آخر اسمه : عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن غفير ، أبو ذر الأنصارى الهروى : عالم بالحديث من الحفاظ من فقهاء المالكية يقال له ابن السماك ، أصله من هراة ، نزل بمكة ومات بها ، وله تصانيف منها تفسير القرآن ، والمستدرك على الصحيحين ، و« السنة والصفات » و« معجمان » أحدهما فيمن روى عنهم الحديث ، والثانى فيمن لقيهم ولم يأخذ عنهم (الأعلام : ٤ / ٤١) . ولعل هذا هو المقصود ويظهر أن اسمه (عبد) لا عبد الله كما ذكره ابن حزم ..

(٣٨) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الخذامى النيسابورى فقيه حنفى محدث من أهل نيسابور ، حدث بالعراق وخراسان والشام ، توفى سنة ٣١٧هـ ، له مصنفات كثيرة .

(٣٩) هو : عبد بن حميد بن نصر الكسى ، أبو محمد من حفاظ الحديث ، قيل اسمه عبد الحميد نسبته إلى « كِسْ » مدينة سمرقند . من كتبه « مسند كبير وتفسير » توفى عام ٢٤٩ هـ .

(٤٠) هو : سليمان بن حرب بن بجيل الأزدى الواشحى ، أبو أيوب ، قاض من أهل البصرة ، سكن مكة ، وولى قضاءها سنة ٢١٤ هـ ، وعزل سنة ٢١٩ هـ ، فرجع إلى البصرة فتوفى فيها عام ٢٢٤ هـ ، وكان ثقة فى الحديث .

(٤١) هو : حماد بن سلمة بن دينار البصرى الربعى بالولاء ، أبو سلمة ، مفتى البصرة ، وأحد رحال الحديث ، كان حافظًا ثقة مأمونًا إلا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخارى وأما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره ، ونقل الذهبى : كان حماد إمامًا فى العربية فقيها فصيحًا ، مفوهًا ، شديدًا على المبتدعة ، له تآليف ، وقال ابن ناصر الدين هو أول من صنف التصانيف المرضية . توفى سنة ١٦٧ هـ . (تذكرة الحفاظ حـ ١) .

(٤٢) هو : إياس بن معاوية بن قرة المزنى ، أبو واثلة ، قاضى البصرة ، وأحد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء ، يضرب المثل بذكائه ، ودقته ، قيل له ما فيك عيب إلا أنك معجب فقال : أيعجبكم ما أقول ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أحق بأن أعجب به ، ودحل مدينة « واسط » وعاش فيها فترة . قال الجاحظ : إياس من مفاخر مضر ، ومن مقدَّمى القضاة ، كان صادق الحدس ، نقابًا ، عجيب الفراسة ، ملهمًا ، وجيهًا عند الخلفاء ، ولمدائنى كتاب سمّاه « زكن إلياس » . توفى بواسط سنة ١٢٢ هـ .

(٤٣) هو : يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى ، الكوفى ، أبو زكريا ، أول من صنف المسند بالكوفة ، وهو من حفاظ الحديث الرحّالين ، كان يحفظ عشرة آلاف حديث يسردها سردًا ، واختلفوا فى الثقة بروايته ، مات بسر من رأى عام ٢٢٨ هـ . =

قال : « جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنه فقال : « أرأيت قول الله عزَّ وجل » : « اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ »[٤٦].

قال ابن عباس : « هنَّ ملتويات بعضهن على بعض » .

حدثنا عبد الله بن ربيع التيمى ، حدثنا محمد بن معاوية[٤٧] القرشى ، حدثنا أبو يحيى[٤٨] زكريا ابن يحيى الساجى البصرى قال : أنبأنا عبد[٤٩] الأعلى ومحمد[٥٠] بن المثنى ، وسلمة[٥١] بن شبيب قالوا كلهم : حدثنا وهب[٥٢] بن جرير بن حازم قال : سمعت محمد[٥٣] بن إسحاق يحدث عن يعقوب[٥٤] ابن عتبة ، وجبير بن محمد[٥٥] بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جدّه قال :

= (٤٤) هو : يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدى أبو يوسف الدورقى ، محدث العراق فى عصره ، كان ثقة حافظًا متقنًا ، أخذ عنه الأئمة الستة ، له مسند فى الحديث ، والدورق ، نسبة إلى لبس الدورقية ، وهى فلانس طوال ، كان يلبسها المتنسكون فى دلك الزمان ، توف عام ٢٥٢ هـ .

(٤٥) هو : جعفر بن إيلس وهو أبى وحشية اليشكرى ، أبو بشر الواسطى ، بصرى الأصل ، روى عن عباد بن شرحبيل ، وله صحبة ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ومجاهد ، وعنه الأعمش وأيوب وهما من أقرانه ، وداود بن أبى هند ، قال أحمد : وكان شعبة يقول : لم يسمع أبو بشر من حبيب وقال ابن معين وأبو زرعة ، وأبو حاتم والنسائى : ثقة ، وقال مُطين : مات سنة ١٢٣ هـ ، وكان ساجدًا خلف المقام حين مات ، وقال ابن حبان : فى الثقات : مات فى الطاعون سنة ١٣١ هـ (تهذيب التهذيب : ٢ / ٨٣ ، ٨٤) .

(٤٦) الطلاق : ١٢ .

(٤٧) هو : محمد بن معاوية بن عبد الرحمن من نسل هشام بن عبد الملك بن مروان أبو بكر المعروف بابن الأحمر ، محدث أندلسى ، رحل إلى العراق ومصر وغيرهما ، وهو أول من أدخل سنن النسائى إلى الأندلس ، وحدّث به ، وانتشر عنه . توفى سنة ٣٦٥ هـ .

(٤٨) هو : زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدى الضبى البصرى الساجى أبو يحيى محدث البصرة فى عصره ، كان من الحفاظ الثقات ، له كتاب جليل فى علل الحديث يدل على تبحره ومن كتبه : اختلاف الفقهاء . توفى بالبصرة عام ٣٠٧ هـ .

(٤٩) هو : عبد الأعلى بن مسهر الغسانى الدمشقى أبو مسهر ، من حفاظ الحديث ، ويقال له ابن أبى درامه ، كان شيخ الشام ، وعالمها بالحديث والمغازى ، وأيام الناس ، وأنساب الشاميين . امتحنه المأمون العباسى وهو فى الرقة ، وأكرهه على أن يقول : القرآن مخلوق فامتنع ، فوضعه فى النطع ، فمدَّ رأسه وجرّد السيف فأبى أن يجيب ، فحمل إلى السجن ببغداد فأقام نحوًا من مائة يوم ، ومات سنة ٢١٨ هـ .

(٥٠) هو : محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار ، عالم بالحديث من الحفاظ من أقران بُندار من أهل البصرة ، قال الخطيب : كان ثقة ثبتًا ، زار بغداد وحدَّث بها ، وعاد إلى البصرة فتوفى فيها عام ٢٥٢ هـ ، حدَّث عنه الأئمة الستة ، وابن خزيمة ، وابن صاعد ، قال ابن حبان : « كان صاحب كتاب لا يقرأ إلَّا من كتابه ، روى عنه البخارى ١٠٣ أحاديث ، ومسلم ٧٧٢ حديثًا . (الأعلام : ٧ / ٢٤٠) .

(٥١) هو : سلمة بن شبيب النيسابورى ، أبو عبد الرحمن من كبار رجال الحديث ، من أهل نيسابور رحل إلى سورية ، واليمن والحجاز فى طلب الحديث ، ورحل إلى مصر قبل وفاته بعام فأخذ عنه بعض أعلامها وتوفى بمكة على الأرجح سنة ٢٤٧ هـ (الأعلام : ٣ / ١٧٢) .

(٥٢) وهب بن جرير : هو ابن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدى أبو العباس البصرى الحافظ روى عن أبيةَ بن عمار ، وهشام ابن حسان وابن عون . وعنه أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى ، ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه . قال سليمان بن داود القزاز : قلت لأحمد : أريد البصرة عمن أكتب ؟ قال : عن وهب بن جرير وأبى عامر العقدى . قال ابن سعيد مات سنة ست ومائتين ، وقال هارون بن عبد الله مات وهب فى المحرم سنة سبع (تهذيب التهذيب ١١ / ١٦٢) .

(٥٣) هو : محمد بن إسحاق بين يسار المطلبى من أهل المدينة : له السيرة النبوية ، رواها عنه ابن هشام ، وكتاب الخلفاء ، وكتاب المبدأ ، وكان قدريًا ، ومن حفاظ الحديث ، زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ ، وسكن بغداد ، فمات فيها عام ١٥١ هـ ، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد ، قال ابن حبان : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق فى علمه أو يوازيه فى جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقًا للأخبار (الأعلام : ٦ / ٢٥٢) .

(٥٤) هو : يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق : رأى السائب بن يزيد ، وروى عن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان ابن يسار ، وجبير بن محمد بن جبير ، وغيرهم ، وعنه ابنه محمد ، ومحمد بن إسحاق ، وعبد الواحد بن أبى عون ، كان ثقة له أحاديث كثيرة ورواية ، وعلم بالسيرة وغير ذلك . قال ابن معين وأبو حاتم ، والنسائى ، والدار قطنى : ثقة عدَّة بعصبهم من فقهاء أهل المدينة . مات سنة ١٢٨ هـ (تهذيب التهذيب : ١١ / ٣٩٤) . =

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ . فقال يا رسول الله : « جهدت الأنفس ، وضاع العيال ، ونهكت الأموال ، وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فذكر الحديث بطوله[٥٦]، وفيه أنّ النبى ﷺ قال للأعرابى : « ويحك أما تدرى ما الله ؟! إنَّ عرشه على سماواته وأرضه هكذا ، وقال بأصابعه مثل القبة » ووصف لهم وهب بن جرير يده ، وأمال كفَّه وأصابعه اليمنى ، وقال هكذا حدثنا محمد بن سعيد بن نبات ، حدثنا أحمد بن عون الله[٥٧]، وأحمد بن عبد[٥٨] البصير قالا جميعا أنبأنا قاسم بن أصبع حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، حدثنا محمد بن بشار بندار ، حدثنا عبد الصمد[٥٩] بن عبد الوارث التثورى ، حدثنا شعبة[٦٠] عن الاعمش هو سليمان ، عن مسلم[٦١] البطين ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحون » : فلك كفلك المغزل .

= (٥٥) هو : جبير بن محمد بن جبير بن مطعم : روى عن أبيه عن جدّه ، وعنه يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، وحصين ابن عبد الرحمن ، وروى له أبو داود حديثًا واحدًا ، ووقع عنده عن يعقوب بن عتبة ، وجبير بن محمد ، والصواب عن جبير . كذا فى المعجم الكبير وغيره . ذكره ابن حيان فى الثقات (تهذيب التهذيب : ٢ / ٦٣) .

(٥٦) جاء هذا الحديث فى صحيح البخارى فى باب الاستسقاء فى الخطبة يوم الجمعة : عن أنس بن ماللك قال : أصابت الناس سنة على عهد النبىّ ﷺ فبين النبى يخطب فى يوم جمعة قام أعرابى فقال : يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه وما نرى فى السماء فزعة ، فوالذى نفسى بيده ، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغدو بعد الغد والذى بعده حتى الحمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابى أو قال غيره : فقال يا رسول الله : تهدّم البناء ، وغرق المال فادع الله لنا !! فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فما أشار بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة .

(٥٧) هو : أحمد بن عون الله بن محمد بن أحمد بن عون بن محمد بن عون المعافرى ، أبو القاسم روى عن أبى بكر بن العربى وأبوى عبد الله : جعفر بن محمد بن مكى وابن أبى الخصال وكان فقيهًا مشاورًا . (تهذيب التهذيب ١ / ٣٥٣) .

(٥٨) هو :

(٥٩) عبد الصمد بن عبد الوارث التنورى : هو ابن سعيد الحافظ الحجة أبو سهل التميمى مولاهم البصرى محدث البصرة . روى عن أبيه علمه ، وعن هشام الدستوائى وعكرمة بن عمار وربيعة بن كلثوم ، وحرب بن ميمون وحرب بن أبى العالية ، وحرب بن شداد وطبقتهم ، وعنه ابن معين وابن راهويه ، وبندار والذهلى وعبد ، وابنه عبد الوارث بن عبد الصمد . قال أبو حاتم : صدوق . وقال ابن سعد : مات سنة سبع ومائتين رحمه الله تعالى . (تذكرة الحفاظ للذهبى : للذهبى ص ٣٤٤) .

(٦٠) شعبة هو : شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى مولاهم أبو بسطام الواسطى ثم البصرى روى عن كثير من الرجال الحفاظ : عن على بن الجعد قال أبو طالب عن أحمد : شعبة أثبتت فى الحكم من الأعمش وأعلم بحديث الحكم ، ولولا شعبة ذهب الحديث الحكم ، وشعبة أحسن حديثًا من الثورى ، لم يكن فى زمن شعبة مثله فى الحديث ، ولا أحسن حديثًا منه ، قسم له من هذا حظ .

قال أبو بكر بن مسجويه : إن شعبة ولد سنة ٨٢ هـ فى البصرة ، ومات سنة ١٦٠ هـ . وكان من سادات أهل زمانه حفظًا وإتقانًا وروعًا وفضلًا ، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين ، وجانب الضعفاء والمتروكين ، وصار علمًا يقتدى به . وذكر ابن أبى خيثمة أنه كان يخطىء فى الأسماء .

وقال الدار قطنى فى العلل : كان شعبة يخطىء فى أسماء الرجال كثيرًا لتشاغله بحفظ المتون .

وقال ابن معين : كان شعبة صاحب نحو وشعر . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٤٦ رقم العلم ٥٨١) .

(٦١) مسلم البطين : هو مسلم بن صُبيح الهمدانى مولاهم أبو الضحى الكوفى العطار ، وقيل مولى آل سعيد بن العاص ، روى عنه النعمان ابن بشير وابن عباس وابن عمر وشتير بن شكل ومسروق بن الأجدع وعبد الرحمن بن هلال وعلقمة بن فيس وغيرهم . وأرسل عن على بن أبى طالب روى عنه الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وأبو يعفور الصغير ، وسعيد بن مسروق ، وقطر بن خليفة وعطاء بن السائب . قال ابن معين وأبو زرعة : ثقة ، وذكره ابن حبان فى الثقات . قال ابن سعد مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز (تهذيب التهذيب : ١٠/١٣٢) .

قال أبو محمد : وذكروا أيضًا قول الله عزّ وجل عن ذى القرنين[٦٢]: « وَجَدَهَا تَغْرُب فى عَيْنٍ حَمِئَة »[٦٣].

وقرىء أيضًا حامية .

قال أبو محمد : وهذا هو الحق بلا شك ، وذو القرنين هو كان فى العين الحمئة . والحامية[٦٤] حمّية[٦٥] من حماتها ، حامية من استحرارها ؛ كما تقول رأيتك فى البحر تريد إنك إذ رأيته كنت أنت فى البحر ، وبرهان هذا : أنَّ مغربها الشتوى [إذا كانت من آخر رأس الجدى] إلى آخر مغربها الصيفى إذا كانت من رأس السرطان مرئى مشاهد ومقداره ثمانٍ وأربعون درجة من الفلك ، وهو يوازى من الأرض كلها بالبرهان الهندسى أقل من مقدار السدس ، يكون من الأميال نحو ثلاثة آلاف ميل ونيف ، وهذه المساحة لا يقع عليها فى اللغة اسم عين ألبتة ، لاسيما أن تكون عينًا[٦٦] حمية حامية وباللغة العربية خوطبنا ، فلما تيقّنا أنها عين بإخبار الله عزّ وجل الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، علمنا يقينًا أنَّ ذا القرنين انتهى به السير فى الجهة التى مشى فيها من المغارب إلى العين المذكورة ، وانقطع له إمكان المشى بعدها ؛ لاعتراض البحار له هنالك ، وقد علمنا بالضرورة أنَّ ذا القرنين وغيره من الناس ليس يشغل من الأرض إلَّا مقدار مساحة جسمه فقط قائمًا أو قاعدًا أو مضجعًا ، ومَن هذه صفته فلا يجوز أن يحيط بصره من الأرض بمقدار مكان المغارب كلها ، لو كان مغيبها فى عين من الأرض كما يظن أهل

---

(٦٢) ذو القرنين هو : الإسكندر الأكبر اليونانى كان ملكًا بعد أبيه على مقدوبية ، واستولى على بلاد الروم أجمع ، ثم انتصر على دار ملك الفرس فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة ، وقدم إلى أرض الهند فقتل ملكها وفتح مدنها ، وخرّب بيوت الأصنام ، ثم سار إلى الصين فصادق ملكها ، وأعجب بعقله وحكمته وتركه يدير شئون مملكته وظل يفتح ويملك حتى وصل إلى ديار يأجوج ومأجوج ، وقد اختلفت الأقوال فيهم ، ويرجح ابن الأثير أنهم قوم من الترك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون ، وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الأرض ، فلما رأى أهل البلاد المجاورة لهم الإسكندر شكوًا إليه أمرهم ، وطلبوا إليه أن يبنى لهم سدًّا يحول بينهم وبينه فقال لهم : أعينونى بالفعلة والصناع والآلات التى يبنى بها فأحضروا له قطع الحديد ، فحفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل الحديد والحطب صفوفًا بعضها فوق بعض حتى إذا ساوى بين الصدفين وهما جبلان أشعل النار فى الحطب فحمى الحديد وأفرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد فبقى كأنه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد ، فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج إلى البلاد المجاورة لهم . وقد أشارت إلى ذلك الآيات الكريمة فى قوله تعالى : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما ، قلنا يا ذا القرنين إما أن تعزب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ... إلى قوله تعالى : حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا قالوا : يا ذا القرنين : إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا ، قال : ما مكنّى فيه ربى خير ، فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال : آتونى أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا » . (الكهف : ٨٢ - ٩٧) .

ورجع الإسكندر إلى العراق فمات فى طريقه بشهر زور ، وكان عمره ستا وثلاثين سنة ، ودفن فى تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلى بالصبر لئلا يتغير وحمل إلى أمه بالإسكندرية ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، وبنى اثنتى عشرة مدينة منها : أصبهان وهراة ، ومرو وسمرقند ، والإسكندرية . (الكامل : ١/١٥٩ وما بعدها بتصرف) .

(٦٣) الكهف : ٨٦ .

(٦٤) فى (أ ، ب) : الحمئة : الحامية بغير واو العطف .

(٦٥) فى (أ ، ب) : (حمئة) .

(٦٦) فى (خ) : لم تذكر كلمة (عينا) .

الجهل ، ولابدَّ من أن يلقى خط بصره من حَدَبه الأرض أو من نشز من أنشازها ما يمنع الخط من التمادى ، إلَّا[٦٧] أن يقول قائل : إنَّ تلك العين هى البحر فلا يجوز أن يسمَّى البحر فى اللغة عينًا حمئة ولا حامية . وقد أخبر الله عزَّ وجل أن الشمس تسبح فى الفلك ، وأنها إنما هى فى[٦٨] الفلك سراج ، وقول الله تعالى هو الصدق الذى لا يجوز أن يختلف ولا يتناقض ، فلو غابت فى عين فى الأرض كما يظن أهل الجهل ، أو فى البحر لكانت الشمس قد زالت عن السماء ، وخرجت عن الفلك ، وهذا هو الباطل المخالف لكلام الله عزَّ وجل حقًّا نعوذ بالله من ذلك ، فصحَّ يقينًا بلا شك أنَّ ذا القرنين كان[٦٩] فى العين الحمئة الحامية حين انتهى إلى آخر البر فى المغارب ، وبالله تعالى التوفيق ، لاسيما مع ما قام البرهان عليه من أن جرم الشمس أكبر من جرم الأرض ، وبالله تعالى التوفيق .

وبرهان آخر قاطع : وهو قول الله عزَّ وجل : « وَجَدَها تَغْرُبُ فى عَيْنٍ حَمِئَة » وقرىء حامية ، « وَوَجَدَ عِنْدَهَا قومًا[٧٠]» ، فصح ضرورة أنه وجد القوم عند العين لا عند الشمس ، ومن كان عند العين فهو فى العين[٧١]» ، وقال الله عزَّ وجل : « وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَاوَاتُ والْأَرْضُ »[٧٢].

وصح[٧٣] الإجماع والنصّ على أنَّ أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فى الجنة إلَّا فى قول من لا يعد فى[٧٤] جملة أهل الإسلام ممن يقولون بفناء الأرواح وأنَّها أعراض ، وكذلك أرواح الشهداء فى الجنة ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه رآهم ليلة أسرى به فى السماوات سماء سماء ؛ آدم فى سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى فى الثانية ، ويوسف فى الثالثة ، وإدريس فى الرابعة ، وهارون فى الخامسة ، وموسى وإبراهيم فى السادسة والسابعة ، صلّى الله على جميعهم ، فصحَّ ضرورة أنَّ السماوات هى الجنات ، وقد قال عليه السلام : « إنَّ أرواح الشهداء طير خضر تعلّق فى ثمار الجنة »[٧٥].

ومن المحال الممتنع الذى لا يظنه مسلم ، أن تكون أرواح الشهداء طيورًا خضرًا[٧٦] فى الجنة ،

---

(٦٧) فى (أ ، ب) : (إلى) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : (من) .
(٦٩) فى (أ ، ب) : (كان هو) .
(٧٠) سورة الكهف : ٨٦ .
(٧١) فى (أ ، ب) : لم تذكر جملة (ومن كان عند العين فهو فى العين) .
(٧٢) سورة آل عمران : ١٣٣ .
(٧٣) فى (أ ، ب) : (وقد صح) .
(٧٤) فى (أ ، ب) : (من) .
(٧٥) ونص الحديث كما رواه أبو داود فى باب الجهاد : « قال رسول الله ﷺ » : « لما أصيب إخوان أحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة » .
(٧٦) لم تذكر فى (ح) كلمة (طيورًا خضرًا) .

وأرواح الأنبياء عليهم السلام فى غير الجنة ، إذ هم أولى بكل فضل[٧٧]، ولا مكان أفضل من الجنة .

حدثنا أحمد بن عمر[٧٨] بن أنس العذرى ، حدَّثنا أبوذرٍّ[٧٩] الهروى ، حدَّثنا أحمد ابن عبدان الحافظ النيسابورى بالأهواز ، حدثنا محمد[٨٠] بن سهل القرشى ، حدَّثنا محمد ابن إسماعيل البخارى[٨١] مؤلف الصحيح ، حدثنا أبو عاصم[٨٢] النبيل حدَّثنا عبد الله[٨٣] بن أمية ابن عبد الله بن خالد ابن أسيد ، حدثنا محمد[٨٤] بن جبير عن صفوان[٨٥] بن يعلى عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « البحر من جهنم أحاط به سرادقها[٨٦]» .

حدثنا يوسف بن عبد الله بن مغيث ، حدثنا أحمد بن[٨٧] عبد الله بن عبد الرحيم حدّثنا

(٧٧) لم تذكر فى (خ) جملة (إذ هم أولى بكل فضل) .

(٧٨) هو أحمد بن عمر بن أنس الزغبى العذرى المعروف بابن الدلائى ، ولد سنة ٣٩٣ هـ ، وأقام ثمانى سنوات فى مكة فى صباه ، وأخذ عن علمائها ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ بالمرية ، له كتاب المسالك والممالك قيل : إنه من أجل ما صنف فى موضوعه ، وله أيضًا كتاب : دلائل النبوة (الأعلام للزركلى جـ ١ ص ١٧٩) .

(٧٩) هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفير أبو ذر الأنصارى الهروى ، ولد سنة ٤٣٤ هـ عالم بالحديث ، من الحفاظ ، ومن فقهاء المالكية ، أصله من « هراة » نزل بمكة ومات بها . له تصانيف منها تفسير القرآن ، والمستدرك على الصحيحين ، ومعجمان أيضًا أحدهما فيمن روى عنه الحديث ، والثانى فيمن لقيهم ولم يأخذ عنهم . توفى بمكة سنة ٤٧٥ هـ (الأعلام : جـ ٤ ص ٤١) .

(٨٠) هو محمد بن أبى سهل القرشى ، روى عن مكحول بحديث مرسل ، وعنه أبو بكر بن عياش ، وخراشى القرشى ، قال البخارى : لا يتابع على حديثه ، وذكره ابن حبان فى الثقات . (تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٩ / ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٨١) هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن بروزيه الجعفى ، مولاهم أبو عبد الله البخارى ، ولد فى شوال سنة ١٩٤ هـ ، وتوفى يوم السبت غرة شوال سنة ٢٥٦ هـ قال أحمد بن سيار المروزى : محمد بن اسماعيل طلب العلم ، وجالس الناس ، ومهر فى الحديث ، ورحل إليه . وقال أبو عباس بن سعد : لو أن رجلًا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب محمد بن اسماعيل ، وروى عنه أنه كان لا يضع حديثًا إلا توضأ ، وصلى ركعتين . وكتابه يعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله (تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤٧ – ٥٥ بتصرف) .

(٨٢) هو الضحاك بن مخلد الضحاك الشيبانى أبو عاصم النبيل البصرى ، حدث عن نفسه فقال : ولدت سنة ١٢٢ هـ وقال حابر بن كردى : توفى سنة ٢١١ هـ وقال غيره سنة ٢١٢ هـ ، وقال البخارى سنة ٢١٤ هـ . قال عنه عثمان الدارمى : إنه ثقة ، وقال العجلى ، ثقة كثير الحديث . وقال أبو حاتم : ثقة . وقال البخارى : سمعت أبا عاصم يقول : مذ عقلت أن الغيبة حرام ، ما اغتبت أحدًا قط . (تهذيب التهذيب : ٤ – ٤٥٠ – ٤٥٢ بتصرف) .

(٨٣)راجع ترجمته فى الجزء الأول .

(٨٤) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن قصى ، أبو سعيد المدنى ، روى عن أبيه وعمر وابن عباس ، وروى عنه أولاده ، والزهرى ، وعمر بن دينار وغيرهم . ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة ، وكان ثقة ، قليل الحديث ، وقال العجلى : مدنى تابعى ثقة ، وكان أعلم قريش بأحاديثها ، ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال خليفة بن خياط وغيره مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز رحمهم الله . (تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٩١ ، ٩٢ بتصرف) .

(٨٥) هو صفوان بن يعلى بن أمية التيمى ، روى عن أبيه ، وعنه ابن أخيه محمد بن على بن يعلى وعطاء بن أبى رباح ، والزهرى . ذكره ابن حبان فى الثقات . قلت وقال : روى عنه محمد بن جبير بن مطعم . (تهذيب التهذيب جـ ٤ : ٤٣٢) .

(٨٦) وروى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده بسنده قال : حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا أبو عاصم قال ثنا عبد الله بن أمية ، قال : حدثنى محمد بن حى ، قال : حدثنى صفوان بن يعلى عن أبيه : أن النبى ﷺ قال : البحر هو جهنم ، قالوا ليعلى فقال : ألا ترون أن الله عزّ وجل يقول : نارًا أحاط بهم سرادقها . قال : لا والذى نفس يعلى بيده ، لا أدخلها أبدًا حتى أعرض على الله عزَّ وجل ولا يصيبنى منها قطرة حتى ألقى الله عزَّ وجل . (مسند الإمام احمد : ٤ / ٢٢٣) .

(٨٧) هو الحافظ أبو بكر بن البرقى ، أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، سمع من عمرو بن أبى سلمة ، وطبقته ، وله مصنف فى معرفة الصحابة ، رواه عنه أحمد بن على المدائنى ، وكان من الحفاظ المتقنين ، رفسته دابة فى رمضان سنة ٢٧٠ هـ فتلف رحمه الله . (تذكرة الحفاظ : للذهبى : ٢ / ٥٧٠) .

أحمد[٨٨] بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد السلام[٨٩] الخشنى ، حدّثنا محمد[٩٠] محمد بن بشّار ، حدَّثنا يحيى بن[٩١] سعيد القطان عن عثمان[٩٢] بن غيات عن عكرمة[٩٣] مولى ابن عباس عن ابن عباس رضى الله عنه عن كعب[٩٤] قال : « والبحر المسجور يُسْجر فيكون جهنم[٩٥]» .

حدَّثنا عبد الله بن ربيع التميمى ، حدّثنا عبد الله بن محمد[٩٦] بن عثمان الأسدى ، حدَّثنا أحمد بن خالد ، حدثنا على بن[٩٧] عبد العزيز ، حدّثنا الحجّاج[٩٨] بن المنهال السلمى ، حدَّثنا

---

(٨٨) هو أبو جعفر أحمد بن خالد الخلال ، الفقيه العدادى . روى عن ابن عيينه ، ومعن بن عيسى القزا، ، وإسحاق الأزرق العسكرى ، والشافعى ، ويزيد بن هارون ، وروى عنه الترمذى والنسائى ، وأبو حاتم الرازى ، وعبد الله بن أحمد ، وأبو العباس بن مسروق ، وابن جرير وغيرهم . قال فيه العجلى : ثقة . وقال أبو حاتم : كان خيرًا ، فاضلًا ، عدلا ، صدوقًا ، وقال الدارقطنى : ثقة نبيل ، وقال النسائى : لا بأس به . مات سنة ٢٤٧ هـ . كما قال ابن نافع وقيل سنة ٢٦٣ هـ كما روى دلك ابن حجر (تهذيب التهذيب : ١ / ٤٧) .

(٨٩) هو محمد بن عبد السلام بن ثعلبه ، القرطبى الخشنى كنيته : أبو الحسن ، لغوى من حفاظ الحديث ، وهو من أهل قرطبة ، رحل إلى المشرق ، وأقام خمسًا وعشرين سنة متجولًا فى طلب الحديث ، كان ثقة كبيرًا الشأن ، أريد على القضاء فامتنع ، له مصنف فى شرح الحديث . (الأعلام : حـ ٧ / ٧٦ ، ٧٧) .

(٩٠) هو محمد بن بشّار العدلى ، شيخ يمانى ، روى عن بكر بن الشرود عن مالك ، وروى عنه جعفر بن برد بن السوس ، وأورد له الدارقطنى فى غرائب مالك حديثًا ، وقال : إنه حديث منكر ، وجعفر المذكور من شيوخ أبى سعيد بن الأعرابى . قال ابن حجر : « ما عرفت فيه جرحًا ولا فى شيخه ، وذكرته هنا للتمييز . (تهذيب التهذيب : ٩ / ٧٣ بتصرف) .

(٩١) هو : يحيى بن سعيد بن فاروخ القطان ، التيمى ، أبو سعيد ، من حماظ الحديث ، ثقة حجة ، من أقران مالك ، من أهل البصرة ، كان يفتى بقول أبى حيفة ، وأورد له البلخى سقطات ولم يعرف له تأليف . توفى عام ١٩٨ هـ (الأعلام : ٩ / ١٨١) .

(٩٢) هو عثمان بن غياث الزهرانى ، البصرى ، روى عن أبى عثمان النهرى ، وأبى الشعثاء جابر بن زيد ، وعبد الله بن شقيق ، وعكرمة ابن عباس ، وعنه : شعبة والقطان وخالد بن الحارث وآخرون . قال البخارى عن على بن المدينى : له نحو عشرة أحاديث . وقال أحمد : ثقة . كان يرى : الارجاء . كتب عن عكرمة . روى أبو نعيم عنه ، وروى مسلم بن الحجاج عنه أيضًا ، كما علق عليه البخارى . (تهذيب التهذيب : ٦ / ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف) .

(٩٣) هو : عكرمة بن عبد الله البربرى ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، تابعى كان من أعلم الناس بالتفسير ، والمعازى ، طاف البلدان . وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعيًا . وحرج إلى بلاد المغرب فأخد عنه أهلها رأى الصفرية وعاد إلى المدينة ، فطلبه أميرها ، فتغيب عنه حتى مات عام ١٠٥ هـ (الأعلام : ٥) .

(٩٤) هو : كعب بن مانع الحميرى ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، أسلم فى أيام أبى بكر ، وقيل فى أيام عمر ، روى عن عائشة ، ومعاوية ، وأبى هريرة ، وابن عباس ، وذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام ، توفى فى حمص سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان ، وقد بلغ مائة وأربع سنين . (تهذيب التهذيب : لابن حجر : ٨ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ بتصرف) .

(٩٥) هدا الأثر من كلام كعب الأحبار

(٩٦) سبق الترجمة له .

(٩٧) هو على بن عبد العزيز البغوى نزيل مكة أحد الحفاظ المكثرين مع علو الإسناد ، وهو عم الحافظ الكبير أبى القاسم عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوى المعروف بابن بنت منيع ، وجده لأمه هو أحمد بن منيع أحد الحفاظ ، مات على بمكة فى سنة بضع وثمانين ومائتين . (تهذيب التهذيب : ٧ / ٣٦٣) .

(٩٨) هو حجاج بن المنهال الأنماطى ، أبو محمد السلمى : روى عن جرير بن حازم والحمادين وشعبة ، وعبد العزيز الماحشون ، وعنه روى البخارى ، والباقون بواسطة الدرامى ، وبندار . قال أحمد : ثقة ، وقال حاتم : ثقة فاضل ، وقال العجلى : ثقة ، رجل صالح ، وقال النسائى : ثقة . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث . مات سنة ٢١٧ هـ . (تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ بتصرف) .

مهدى(٩٩) بن ميمون عن محمد بن عبد(١٠٠) الله بن أبى يعقوب الضّبى عن بشر(١٠١) بن شفاف قال : « كنا مع عبد الله بن(١٠٢) سلّام يوم الجمعة فى المسجد فقال : إنَّ الجنة فى السماء ، وإنَّ النّار فى الأرض » وذكر كلامًا كثيرًا . نسبة إلى الحجاج بن المنهال ، حدثنا حمّاد(١٠٣) بن سلمة عن داود(١٠٤) عن سعيد(١٠٥) بن المُسَيَّبْ أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال ليهودى : أين جهنم ؟ قال : فى البحر قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ما أظنه إلّا صدق .

حدثنا المُهَلَّبْ(١٠٦) الأسدى ، حدّثنا ابن مناس ، حدثنا ابن مسرور ، حدّثنا يونس ابن(١٠٧) عبد الأعلى ، حدَّثنا عبد الله(١٠٨) بن وهب عن شبيب(١٠٩) بن سعيد عن المنهال

---

(٩٩) هو مهدى بن ميمون الأسدى ، الكردى ، البصرى : أبو يحيى ، من حفاظ الحديث ، عدّه شعبة وابن حنبل من الثقات . قال أبو سعيد الأشج عن عبد الله بن إدريس : قلت لشعبة أى شيء تقول فى مهدى بن ميمون ؟ قال : ثقة . وقال ابن معين والنسائى ، وابن حراس : ثقة . وذكره ابن حبان : فى الثقات . مات سنة ١٧٢ هـ . (تهذيب التهذيب : ١٠ / ٣٢٧) .

(١٠٠) هو : محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب التميمى الضبى البصرى ، وقد يسب إلى جده ، روى عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن على ، وعبد الرحمن بن أبى بكرة ، ورجاء بن حيوه ، وعنه روى جرير بن حازم ، ومهدى بن ميمون ، وهشام بن حسان ، وشعبة ، وواصل مولى أبى عيينه قال معين ، وأبو حاتم ، والنسائى : ثقة ، وقال شعبة : هو سيد بنى تميم ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، نقله أبو الوليد فى رجال البخارى . (تهذيب التهذيب : ٩ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ بتصرف) .

(١٠١) هو : بشر بن شفاف الضبى ، البصرى ، روى عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن سلام ، وعنه روى أسلم العجلى ، وخالد الحذّاء ، ومحمد بن عبد الله بن أبى يعقوب ، قال عثمان الدرامى عن يحيى بن معين : ثقة وكذا قال العجلى . وذكره ابن حبان فى الثقات . وأخرج له هو والحاكم فى صحيحيهما ، مات بعد السنين . (تهذيب التهذيب : ١ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ بتصرف) .

(١٠٢) عبد الله بن سلام (ت ٤٣ هـ) : هو عبد الله بن الحارث الإسرائيلى أبو يوسف ، صحابى قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبى ﷺ المدينة ، وكان اسمه الحصن فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وفيه نزلت الآية ، « وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله » وشهد مع عمر فتح بيت المقدس ، ولما كانت الفتنة بين على ومعاوية اتخذ سيفا من خشب واعتزل ، وأقام بالمدينة حتى مات له ٣٥ حديثًا . (الأعلام) .

(١٠٣) أنظر ترجمته فى ص ١٤٥ .

(١٠٤) داود : هو أبو سليمان داود بن على بن داود بن خلف الأصفهانى ، أول من استعمل قول الظاهر وأخد بالكتاب والسنة وألقى ما سوى ذلك من الرأى والقياس ، وكان فاضلًا صادقًا ورعًا . توفى سنة ٢٧٠ هـ وله من الكتب : كتاب الإيضاح ، كتاب الإفصاح ، كتاب الدعوى والبينات . كتاب الأصول ، كتاب الحيض . وبقية ترجمته مفصلة فى (فهرست النديم : الفن الرابع من المقالة السادسة ٢٧١) .

(١٠٥) سعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤ هـ) (٦٣٤ - ٧١٣ م) . هو سعيد بن المسيب بن حرن بن أبى وهب المخزومى القرشى ، أبو محمد سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاء ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمى رواية عمر . توفى بالمدينة . ترجمته فى طبقات ابن سعد : ٥ / ٨٨ ، والوفيات : ١ / ٢٠٦ ، وصفوة الصفوة : ٢ / ١٥٥) .

(١٠٦) المهلب : هو ابن أبى صفرة ظالم بن سارق بن صبح بن كندى بن عمرو بن عدى بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد العتكى الأزدى أبو سعيد البصرى . روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن عمرو سمرة بن جندب ، والبراء بن عازب . وعنه : أبو إسحاق السبيعى ، وسماك بن حرب وعمر بن يوسف البصرى ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل البصرة ، قال : وكان أبوه ممن أسلم ثم ارتد فى زمن أبى بكر ثم أسلم ونزل البصرة وشرف بها ، وقد أدرك المهلب عمر ولم يسمع منه ويقال : إن عمر قال لابن أبى صفرة : هذا سيد ولدك يعنى المهلب ، ويروى عن أبى إسحاق السبيعى : ما رأيت أميرًا كان أفضل من المهلب . قال خليفة · مات سنة ٨١ هـ وقيل سنة ٨٢ هـ وله ست وسبعون سنة ، فيكون مولده على هذا عام الفتح أو قبله . (تهذيب التهذيب : ١٠ / ٣٣٠) .

(١٠٧) هو : يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة أبو موسى المصرى . روى عن ابن عيينه والوليد بن مسلم وغيرهم . وعنه مسلم والنسائى وابن ماجة وغيرهم . قال ابن أبى حاتم : « سمعت أبى يوثقه ، ويرفع من شأنه . وقال الطحاوى كان ذا عقل ، وذكره ابن حبان فى الثقات . توفى سنة ٢٦٤ هـ وكان مولده سنة ١٧٠ هـ . (تهذيب التهذيب : ١١ / ٤٤٠) .

(١٠٨) هو : عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود ، الأسدى ، القرشى ، صحابى من الشعرا ، يقال له : ابن وهب الأكبر لتميزه=

عن شقيق[١١٠] ابن سلمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : الأرض كلها يومئذ نار ، والجنة من ورائها ، وأولياء الله تعالى فى ظل عرش الله تعالى .

قال أبو محمد : وقال الله تعالى : « لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهاَ أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَر ، وَلَا الَّليْلُ سَابِقَ النَّهارِ »[١١١].

فبيّن تعالى أن الشمس أبطأ من القمر ، وهكذا قام البرهان بالرَّصد أن الشمس تقطع السماء فى سنة ، والقمر يقطعها فى ثمانية[١١٢] وعشرين يومًا . ثم نصَّ تعالى : أنَّ الليل لا يسبق النهار ، فبين بهذا حكم الحركة الثانية التى للفلك الكلى ، وهى التى تتم فى كل يوم وليلة دورة ، ويتساوى فيها جميع الدرارى ، والنجوم . والشمس والقمر ، وقال تعالى : « فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَه بَابٌ ، بَاطِنُه فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِه العذاب »[١١٣].

وأخبر تعالى أنَّ أرواح الكافرين لا تفتّح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة ، فصحّ أن من فتحت له أبواب السماء دخل الجنة .

وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ شدّة الحر من فيح جهنم ، وأنَّ لها نفسين نفسًا فى الشتاء ونفسًا فى الصيّف ، وأنَّ ذلك أشدّ ما نجد من الحرّ والبرد[١١٤] » وأنَّ نارنا هذه[١١٥] أبرد من نار جهنم بتسع وستين درجة ، وهكذا نشاهد من فعل الصواعق ، فإنها تبلغ من الإحراق والإذابة[١١٦] فى مقدار اللمحة ما لا تبلغه نارنا فى المدد الطوال ، وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ آخر أهل الجنة

= عن عبد الله ابن وهب زمعة التابعى . أسلم يوم الفتح سنة ٨ هـ . وقتل فى المدينة يوم حصر عثمان فى داره ، ويسمى يوم الدار . (الأعلام : ٤ / ٢٢٨) .

(١٠٩) هو : شبيب بن سعيد التميمى : أبو سعيد ، البصرى ، روى عن إبان بن أبى عياش وروح بن القاسم ، ويونس بن زيد الأيلى وغيرهم ، وعنه روى ابن وهب ، ويحيى بن أيوب وريد بن بشر الحضرمى . قال ابن المديبى : ثقة . كان يختلف فى تجارة إلى مصر ، وكتابه كتاب صحيح ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال النسائى : ليس به بأس . مات بالبصرة سنة ١٨٦ هـ فيما ذكره البخارى . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٠٦ ، ٣٠٧ بتصرف) .

(١١٠) شفيق بن سلمة الأسدى : أبو وائل الكوفى ، أدرك النبى ﷺ ولم يره . وروى عن أبى بكر وعمر ، وعثمان ، ومعاذ بن جبل ، وخباب بن الأرت ، وكعب بن عجرة وعنه : روى الأعمش ، ومنصور ، وحصير بن عبد الرحمن . قال وكيع : كان ثقة . وقال خليفة بن حياط : مات بعد الحجاج سنة ٨٢ هـ . وقال الواقدى . مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . (تهديب التهذيب : ٤ / ٣٦٠ – ٣٦٣ بتصرف) .

(١١١) سورة يس : ٤٠ .

(١١٢) فى (خ) : (ستة وعشرين) .

(١١٣) سورة الحديد : ١٣ .

(١١٤) ذكره البخارى فى صحيحه فى كتاب بدء الخلق باب صفة النار ونصه : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم ، واشتكت النار إلى ربها فأذن لها فى كل عام بنفسين ؛ نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير . ورواه مسلم فى المساجد باب استحباب الابراد بالظهر ، والترمذى رقم ٢٥٩٥ فى صفة جهنم .

(١١٥) فى (خ) : لم تذكر كلمة (هده) .

(١١٦) فى (أ ، ب) : (والأذى) .

دخولًا فيها بعد خروجه من النار يعطى مثل الدنيا عشر مرّات »[١١٧]. رويناه من طريق أبى سعيد الخدرى مسندًا وصحّ أيضًا مسندًا عن رسول الله ﷺ : « أنَّ الدنيا فى الآخرة كإصبع فى اليم »[١١٨].

قال أبو محمد : وهذا إنما هو فى نسبة المساحة[١١٩] لا فى نسبة المدّة ، لأن مدّة الآخرة لا نهاية لها ، وما لا نهاية له فلا ينسب شيء منه ألبتة بوجه من الوجوه ، ولا هو أيضًا نسبة من السرور واللّذة ، ولا الحزن والبلاء لأن[١٢٠] سرور الدنيا مشوب بألم ومتناهٍ ، وحزنها متناهٍ مُنْقضٍ ، وسرور الآخرة وحزنها تخالصان غير متناهيين . وهكذا قام البرهان من قبل روايتنا لنصب السماء[١٢١] أبدًا على أنه لا نسبة للأرض عن السماء ولا قدر وقال عزّ وجل : « وجنَّةٍ عرضها السَّمَاوات والأرض »[١٢٢].

وقال تعالى : « وجنَّةٍ عرضُها كعرض السَّماء والأرض »[١٢٣].

وقال تعالى : « وجنى الجنَّتين دان »[١٢٤].

وذكر رسول الله ﷺ : « أنَّ للجنة ثمانية أبواب »[١٢٥].

وقال عليه السلام : « فاسألوا الله الفردوس الأعلى ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوق ذلك عرش الرَّحمن »[١٢٦].

---

(١١٧) روى ابن ماحه هذا الحديث بسنده عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة : رجل يخرج من النار حبوًا فيقال له · ادهب فادحل الجنة فيأتيها فيحيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله سبحانه ادهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب إنها ملأى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول · يا ربّ إنها ملأى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . (أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا) فيقول : أتسخر بى (أو تضحك بى) وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، فكان يقال · هذا أدنى أهل الجنة منزلًا » . (ابن ماجه — ص ١٤٥٢ رقم الحديث ٤٣٣٩) .

(١١٨) الحديث رواه مسلم فى كتاب رقم ٥٥ ، والترمذى فى الزهد : ١٥ ؛ وابن ماجه فى الزهد . ٣ ، وأحمد بن حنبل : ٤ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ . ولفظ الحديث عند ابن ماجه « ما مثل الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم ، فلينظر بم يرجع » .

(١١٩) فى (أ ، ب) : المسافة .

(١٢٠) فى (أ ، ب) : (فإن) .

(١٢١) فى الأصل (من قبل دويتنا) وهو تحريف . وفى (خ) · (لنصف السماء) وهو أيضًا تحريف .

(١٢٢) آل عمران : ١٣٣ .

(١٢٣) الحديد : ٢١ .

(١٢٤) الرحمن : ٥٤ .

(١٢٥) رواه البخارى ونصه : « فى الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمّى الريَّان لا يدخله إلا الصائمون » (فتح البارى الجزء السادس . باب صفة أبواب الجنة ص ٣٢٨ — ط المكتبة السلفية .

(١٢٦) سبق تحقيق هذا الحديث فى ص ٢٤٢ .

فصح يقينا أنهما جنتان : إحداهما عرضها السماوات والأرض . والأخرى : عرضها كعرض السماء والأرض .

وقوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان »[١٢٧].

إنما هو خبر عن الجميع أن لهم هاتين الجنتين ، فالتى عرضها السماوات والأرض هى السماوات السبع ، لأنّ عرض الشيء منه بلا شك ، وكل[١٢٨] كروى فإنّ جميع أبعاده عروض فقط . وذكرت الأرض هنا لدخولها فى جملة مساحة السماوات ، وإحاطة السماوات بها . والتى عرضها كعرض السماء والأرض : هو الكرسى المحيط بالسماوات والأرض ، قال الله تعالى : « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ »[١٢٩].

فصح أنَّ عرضه كعرض السماوات والأرض مضافًا بعض ذلك إلى بعض وصحّ أن لها ثمانية أبواب فى كلّ سماء باب ، وفى الكرسيّ باب ، وصحَّ أنّ العرش فوق أعلى الجنة فهو محل الملائكة وموضعها ليس من الجنة فى شيء بل هو فوقها ، وكذلك قوله تعالى : « الّذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه »[١٣٠] بيان جلىّ بأن العرش جرم[١٣١] آخر فيه الملائكة .

وقد ذكر بأنَّ البرهان يقوم بذلك — من أحكم النظر فى الهيئة . وهذه نصوص ظاهرة جلية دون تكلف تأويل .

* * *

قال أبو محمد : وقوله تعالى : « كعرض السماء » .

ذكر لجنس السماوات ، لأنَّ السماوات اسم للجنس يدل عليه قوله : « وَسِعَ كُرْسِيُّه السَّماواتِ والأَرْضَ » .

وقال « عَلِيٌّ[١٣٢]» : ومثل هذا كثير ممَّا إذا تدبّره المتدبر علم[١٣٣] صحّة ما قلنا من أنّ ما يثبت ببرهان فهو منصوص فى القرآن ، وكلام النبى ﷺ .

---

(١٢٧) الرحمن : ٤٦ .
(١٢٨) فى (أ ، ب) : (وكل حرم كرسى) وهو تحريف لا بعنى له .
(١٢٩) البقرة : ٢٥٥ .
(١٣٠) غافر : ٧ .
(١٣١) فى (أ ، ب) : « بأن على العرس جرما آخر .
(١٣٢) فى (أ ، ب) : « وقال أبو محمد » .
(١٣٣) فى (أ ، ب) : (دل على) .

« كذبُ من ادَّعى لمدّة الدّنيا عددًا معلومًا[1] »

قال أبو محمد : وأما اختلاف الناس فى التاريخ ، فإنَّ اليهود يقولون : للدنيا أربعة آلاف سنة[2]. والنصارى يقولون : للدنيا خمسة آلاف سنة ، وأمّا نحن فلا نقطع على علم[3] عددٍ معروف عندنا . ومن[4] ادّعى فى ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب ، وقال ما لم يأت عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح ، بل صحّ عنه عليه السلام خلافه ، بل نقطع على أنَّ للدنيا أمدًا[5] لا يعلمه إلَّا الله عز وجل ، قال الله تعالى : « ما أشْهَدتُهْم خَلْقَ السَّمَاواتِ والأرضِ ولا خَلْقَ أنْفُسِهم »[6]. وقول رسول الله ﷺ : « ما أنتم فى الأُمَمِ قبلكم إلَّا كالشَّعرةِ البَيْضاءِ فى الثَّورِ الأسود ، أو كالشعرة السَّوداء فى الثّور الأبيض »[7].

هذا عنه عليه السلام ثابت ، وهو عليه السلام لا يقول إلَّا عين الحق ولا يسامح بشىء من الباطل لا بإعياءٍ ولا بغيره[8]، فهذه نسبة من تدبّرها وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض وأنه الأكثر – علم أنَّ للدنيا عددًا لا يحصيه إلَّا الله تعالى[9].

---

(١) فى (أ ، ب) : (مطلب بيان كذب من ادعى ... الخ) .
(٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (ونيف) .
(٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (علم) .
(٤) فى (أ ، ب) : وأمّا) .
(٥) فى (أ ، ب) : (أمرًا) وهو تحريف .
(٦) الكهف : ٥١ .
(٧) روى هذا الحديث بروايات مختلفة فى البخارى فى باب (رقاق) ٤٥ ، ٤٦ ، وأنبياء ٧ تفسير سورة ٢٣ ، وفى سلم فى باب الإيمان : ٣٧٧ ، وابن ماجه فى الزهد : ٣٤ .
(٨) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (لا بإعياء ولا بغيره) .
(٩) فى (أ ، ب) : (إلا الله الخالق تعالى) .

وكذلك قوله ﷺ : « بُعِثْتُ والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ »[١٠]. وضم إصبعيه المقدّستين السبَّابه والوسطى .

وقد جاء النصُّ بأنَّ السّاعة لا يعلم متى تكون ؟ إلّا الله عزَّ وجل لا أحدٌ سواه ، فصحّ أنه عليه السلام إنّما عنى شدّة القرب لا فضل الوسطى[١١] على السّبابة ، إذ لو أراد فضل ذلك لأخذت نسبة ما بين الإصبعين ، ونسب ذلك من طول الوسطى ، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة ، وهذا باطل .

وأيضا فكان تكون نسبته عليه السلام إيّانا إلى من قبلنا بأنه كالشعرة فى الثور كذبًا ، ومعاذ الله تعالى من ذلك .

فصح أنه عليه السلام إنّما أراد شدة القرب ، وله عليه السلام مذ بعث أربعمئة عام ونيف ، والله أعلم ما بقى من الدنيا ، فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف ، وتفاهته بالإضافة إلى ما مضى ، فهذا الذى قاله عليه السلام من أننا فيمن مضى كالشعرة فى الثور أو الرقمة فى ذراع الحمار .

قال أبو محمد : وقد رأيت بخط الأمير أبى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الناصر رحمه الله قال حدثنى محمد بن معاوية القرشى أنه رأى بالهند بُدًا له اثنان وسبعون ألف سنة ، وقد وجد محمود[١٢] ابن سُبُكْتَكَيْن بالهند مدينةً يؤرخون لها بأربعمائة ألف سنة .

قال أبو محمد : ألا إنَّ لكل ذلك أولًا ومبدأ ولابدَّ من نهاية ، لم يكن شىء من العالم موجودًا قبلها ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ومما اعترض به بعضهم أن قال : أنتم تقولون : إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ، ويلبسون ويطئون النساء، وأنَّ هنالك جوارى أبكارًا خلقن لهم ، وذلك المكان لا فساد فيه ولا استحالة ، ولا مزاج ، وهذه أشياء كوائن فواسد فكيف الأمر ؟

قال أبو محمد : إن هاهنا ثلاثة أجوبة :

أحدها : برهان ضرورى سمعى . والثانى : برهان نظرى مشاهد . والثالث : إقناعى خارجى على أصول المعارض لنا .

---

(١٠) روى هذا الحديث بروايات عدة منها ما رواه البخارى ومسلم « بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويشير بإصبعيه يمدهما ، وفى رواية « كفصل إحداهما على الأخرى ، وضم السبابة والوسطى . وقد وردت رواية البخارى فى كتاب الرقاق ، وفى تفسير سورة النازعات ، وفى الطلاق باب اللعان ، ومسلم رقم ٢٩٥٠ فى الفتن ، باب : قرب الساعة) .

(١١) فى (أ ، ب) : (لا فضل طول الوسطى) .

(١٢) هو : محمود بن سبكتكين الغزنوى السلطان يمين الدولة ، أبو القاسم ، فاتح الهند ، وأحد كبار القادة ، مات والده ناصر الدولة سنة ٣٨٧ هـ ، فاستولى بعده على الملك بعد معالك طاحنة بينه وبين إخوته والعارضين له ، كان صارمًا ، صائب الرأى ، يجالس العلماء ويناظرهم ، توفى سنة ٤٢١ هـ (الأعلام : للزركلى . ص ٨ ص ٤٧ ، ٤٨ بتصرف) .

فالأول : وهو الذى يعتمد عليه هو[١٣] البرهان الضرورى قد قدمناه ، على أنّ الله عزّ وجل خلق الأشياء وابتدعها مخترعًا لها لا من شيء ، ولا على أصل متقدّم ، وإذ لا شك فى هذا فليس شيء متوهم أو مسئول عنه[١٤] يتعذّر من قدرة الخالق عزّ وجل إذ كان[١٥] ما شاء كوَّنه . [ولا فرق بين خلقه عزّ وجل ، كل ذلك فى هذه الدار – وبين خلقه كذلك فى الدار الآخرة] .

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ الذى قامت البراهين الضرورية على أن الله عزَّ وجل بعثه إلينا ، ووسّطه للتبليغ عنه وعلى صدقه فيما أخبر به أنّ الأكل والشرب واللباس ، والوطء هنالك ، وكان هذا الخبر قبل[١٦] أن يخبرنا به الصادق عليه السلام داخلًا فى حدّ الممكن لا فى حدِّ[١٧] الممتنع ، ثمَ لما أخبرنا به الله عزّ وجل على لسان رسوله ﷺ صحّ علمنا به ضرورة فبان أنه فى حدّ الواجب .

وأمّا الجواب الثانى : فهو أنَّ الله عزّ وجل خلق أنفسنا ورتَّب جواهرها وطباعها الذاتية رتبةً لا تستحيل ألبتة على التذاذ المطاعم والمشارب والرَّوائح الطيبة ، والمناظر الحسنة ، والأصوات المطربة ، والملابس المعجبة على حسب موافقة كل ذلك لجوهر أنفسنا ، هذا ما لا مدفع فيه ، ولا شك فى أنَّ النفوس هى المتلذّذة[١٨] بكل ما ذكرنا ، وأنَّ الحواسَّ الجسدية هى المنافذ الموصلة لهذه الملاذ إلى النفوس ، وكذلك المكاره كلها . وأمّا الجسد فلا حسَّ له ألبتة ، فهذه طبيعة جوهر أنفسنا التى لا سبيل إلى وجودها دونها ، فإذا[١٩] جمع الله تعالى يوم القيامة فى عالم الجزاء[٢٠] بين أنفسنا وبين الأجساد المركبة لها وعادت كما ذكرنا جوزيت هنالك ، ونعمت بملاذها وبما تستدعيه طباعها التى لم توجد قط إلّا كذلك ، ولا لها لذة سواها ، إلّا أن الطعام الذى هنالك غير معانى بنار ، ولا ذو آفاتٍ ، ولا مستحيلٌ قذرًا ودمًا ، ولا ذبح هنالك ، ولا آلام ولا تغيّر ، ولا موت ولا فساد ، وقد قال تعالى : « لا يُصَدَّعُونَ عَنْها ولا يُنْزِفُون »[٢١].

وتلك الملابس غير محوكة بنسيج[٢٢] ولا فانية ولا متغيرة ، ولا تقبل البلى[٢٣] وتلك الأجساد

---

(١٣) فى (أ ، ب) : هو أن .
(١٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عنه) .
(١٥) فى (أ ، ب) : (إذ كل) .
(١٦) فى (أ ، ب) : (الذى أخبرنا) .
(١٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (حد) .
(١٨) فى (أ ، ب) : (الملتذة) .
(١٩) فى (أ ، ب) : (إذا) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : سقطت (فى عالم الجزاء) .
(٢١) الواقعة : ١٩ .
(٢٢) فى (أ ، ب) : (بنسج) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (البلاء) .

لا كدر فيها ولا خِلط ولا دم ولا أذى ، وتلك النفوس لا رذيلة فيها من غلٍّ ولا حسد ولا حرص قال الله عزَّ وجل : « وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ إخوانًا »[٢٤].

وأخبر رسول الله ﷺ عن المخرجين من النار أنهم يطرحون فى نهر على باب الجنة . فإذا نُقُّوا وهُذِّبوا – هذا نص لفظ رسول الله ﷺ ثم بعد التنقية أخبر رسول الله ﷺ أنهم حينئذ يصيرون إلى الجنة[٢٥]، فصحّ أنَّ الملاذ من هذه الأشياء المتناولات تصل إلى النفوس هنالك على حسب اختلاف وجود النفس لها ، وتغاير أنواع التذاذها بها ، وأوقعت عليها الأسماء لإفهامنا المعنى المراد .

وقد روينا عن ابن عباس ما حدَّثَنا يحيى[٢٦] بن عبد الرحمن بن مسعود ، حدثنا قاسم[٢٧] ابن أصبغ ، حدثنا إبراهيم[٢٨] بن عبد الله العبسىّ ، حدّثنا وكيع[٢٩] بن الجرّاح ، حدثنا الأعمش[٣٠] عن أبى ظُبيان[٣١] عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : ليس فى الجنة ممّا فى الدنيا إلا الأسماء . وهذا سندٌ فى غاية الصحة ، وهو أول حديث فى قصة وكيع المشهورة .

* * *

قال أبو محمد : وأما الوطء فهو هنالك كما هو عندنا هاهنا إلّا[٣٢] أنه ليس فيه مئونة[٣٣] ولا استحالة ، وإنما هو التذاذ للنفس بمداخلة بعض الجسد المضاف إليها لجسد آخر فقط .

---

(٢٤) الحجر ٠ ٤٧ .

(٢٥) وبص الحديث كما جاء فى رواية الترمذى : قال رسول الله ﷺ : « يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا فيها حُمَمًا ، ثم تدركهم الرحمة فيُخرجون فيطرحون على أبواب الجنة ، قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء ، فينبتون كما ينبت الغُثَّاء فى حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنة ، رقم ٢٦٠٠ ، فى صفة جهنم » . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢٦) يحيى هو :

(٢٧) هو : قاسم بن إصبغ بن محمد بن يوسف ، القرطبى ، محدث الأندلس ، أصله من بيَّانة من أعمال « قرطبة » ، سكن قرطبة ومات بها ، وكان جدّه من موالى بنى أمية . من مؤلفاته : سند مالك . وبر الوالدين ، وأحكام القرآن ، والناسخ والمنسوخ . توفى سنة ٣٤٠ هـ (اعلام : حـ ٦ ،ص ١٧٢) .

(٢٨) هو : إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسى ، أبو شيبة بن أبى بكر الكوفى ، روى عن عمر بن حفص بن عياش ، وحفص بن عون ، وغيرهم ، له مسائل عن أحمد بن حنبل . روى عنه النسائى ، وابن ماجه ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، والسراج ، والطبرى . وغيرهم . قال إبو حاتم : صدوق . وقال ابن عقده : مت فى رمضان سنة ٢٦٥ هـ (تهذيب التهذيب : ١٣٦/١ ، ١٣٧ بتصرف) .

(٢٩) هو : وكيع بن الجراح بن مليح ، أبو سفيان ، حافظ للحديث ، ثبت ، كان محدث العراق فى عصره ، ولد بالكوفة ، وأبوه ناظر على بيت المال فيها . أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع ورعا ، كان يصوم الدهر ، له كتب منها : تفسير القرآن والسنن ، والمعرفة والتاريخ . قال أحمد بن حنبل : ما رأيت أحدًا أوعى منه ولا أحفظ . مات سنة ١٩٧ هـ (الإعلام حـ ٩ ص ١٣٥) .

(٣٠) هو : سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى ، مولاهم أبو محمد الكوفى الأعمش ، يقال : أصله من « طبرستان » . ولد بالكوفة ، روى عن أنس ، ولم يثبت له من سماع قال ابن المناوى : قد رأى أنس بن مالك ألّا لم يسمع منه . كان يسمى المصحف لصدقه . قال العجلى : كان ثقة ثبتا فى الحديث . ويقال أنه ولد يوم قتل الحسين سنة ٦١ هـ ومات سنة ١٤٥ هـ . (تهذيب التهذيب . حـ ٤ ص ٢٢٢) .

(٣١) أبو ظبيان : ذكره تهذيب التهذيب فى الكنى وقال : الرشى ، حدث عن عمر وعنه أحذ سلمة بن كهيل (تهذيب التهذيب . باب الكنى حـ ١٤٠/١٢) .

(٣٢) فى (أ ، ب) : (لأنه) .

(٣٣) فى (خ) : موت .

وأمّا الجواب الثالث الإقناعى ، وهو موافق لأصولهم ، ولسنا نعتمد عليه : فهو أنَّ[٣٤] قدماء الهند قد ذكروا فى كلامهم فى الأفلاك والبروج ، ووجوه المطالع أنه يطلع مع كل وجه من وجوه البروج صور وصفوها ، وذكروا أنه ليس فى هذا العالم[٣٥] صوره إلَّا وهى فى العالم الأعلى .

قال أبو محمد : وهذا إيجاب منهم أنَّ هنالك ملابس ومشارب ومطاعم ووطءًا ، وأنهارًا وأشجارًا ، وغير ذلك .

قال أبو محمد : وعارضنى يومًا نصرانى كان قاضيًا على نصارى قرطبة فى هذا وكان يتكرَّر على مجلسى فقلت له : أوليس فيما عندكم من[٣٦] الإنجيل أنَّ المسيح ﷺ قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح ، وفيها أُخِذَ بزعمكم[٣٧]، وقد سقاهم كأسًا من خمر وقال : « إنّى لا أشربها معكم أبدًا حتى تشربوها معى فى الملكوت عن يمين الله تعالى »[٣٨].

وقال فى قصة الفقير المسمّى « العاذار » الذى كان مطرحًا على باب الغنىّ تلحس الكلاب جراح قروحه ، وأنَّ ذلك الغنىّ نظر إليه فى الجنّة متكئًا فى حجر إبراهيم ﷺ فناداه الغنىّ وهو فى النار : « يا أبى يا إبراهيم ، ابعث العاذار إلىَّ بشىءً من ماء يبُلُّ به لسانى » .

وهذا نص على أن فى الجنة شرابًا من ماء وخمر ، فسكت النصرانى وانقطع . وأمّا التوراة التى بأيدى اليهود فليس فيها[٣٩] ذكرٌ لنعيم فى الآخرة أصلًا ، ولا لجزاء بعد الموت ألبتة .

قال أبو محمد : وكذلك الجواب فى أكل أهل النّار وشربهم سواء سواء[٤٠] كما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(٣٤) فى (أ ، ب) : حذفت كلمة (أن) .
(٣٥) فى (أ ، ب) : (ليس فى العالم الأدنى) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (فى) .
(٣٧) فى (أ ، ب) : (بزعمهم) .
(٣٨) النص كما الانجيل الحالى : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ، وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه فى ملكوت جديدًا فى ملكوت أبى » (إنجيل متى : ٢٦/٢٦ – ٣٠) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (فيها) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : (بسواء) .

قال أبو محمد : والأرض أيضًا سبع نطاق منطبقة بعضها على بعض كانطباق[٤١] السماوات لإخبار خالقنا بذلك ، وليس ذلك قبل الخبر فى حدِّ الممتنع بل فى حدِّ الممكن ، وذكر قوم قول الله تعالى : « يومَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيرَ الأَرْضِ والسَّماوات »[٤٢].

فقلنا قال[٤٣] الله تعالى هذا حقًّا ، وقال عزَّ من قائل : « يومَ نَطْوِى السَّمَاءَ كطىِّ السِّجلِّ للكتب »[٤٤].

وقال عزّ وجل : « وفُتِحَت السَّمَاءُ فكانَتْ أبْوابًا »[٤٥].

وقال تعالى : « يومَ تَكُونُ السَّمَاءُ كالمُهْلِ ، وتَكُونُ الجبالُ كَالْعِهن »[٤٦].

وقال تعالى : « وَحملت الأرضُ والجِبالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدةً ، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعةُ ، وانْشَقَّت السَّماءُ فَهِىَ يَوْمئِذٍ واهِيةٌ ، والمَلَكُ عَلى أرْجَائها »[٤٧].

وقال تعالى : « إذا السَّماء انْشَقَّت »[٤٨].

وقال تعالى : « وَإِذا الأَرْضُ مُدَّتْ ، وأَلْقَتْ مَا فيها وتَخَلَّتْ ، وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ »[٤٩].

وقال تعالى : « إذا السَّمَاء انْفَطَرَت ، وإذا الكواكِبُ انْتَثَرتْ ، وإذا البِحَارُ فُجِّرَتْ »[٥٠].

وقال تعالى : « إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَ إِذا النُّجومُ انكَدَرَتْ ، وَإذا الجبالُ سُيِّرتْ »[٥١].

وقال تعالى : « أَنَّ السَّماواتِ والأرضَ كانتا رتقا فَفَتَقْنَاهُمَا »[٥٢].

وقال تعالى : « كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُه وعدًا عَلَيْنَا إنَّا كُنَّا فَاعِلين »[٥٣].

---

(٤١) فى (أ ، ب) : (كإطباق) .
(٤٢) إبراهيم : ٤٨ .
(٤٣) فى (أ ، ب) : (قول) .
(٤٤) سورة الأنبياء : ١٠٤ وقد سقطت من (أ ، ب) .
(٤٥) النبأ : ١٩ .
(٤٦) المعارج : ٩ .
(٤٧) الحاقة : ١٤ – ١٧ .
(٤٨) الانشقاق : ١ .
(٤٩) الانشقاق : ٣ – ٥ .
(٥٠) الانفطار : ١ – ٣ .
(٥١) التكوير : ١ – ٣ .
(٥٢) الأنبياء : ٣٠ .
(٥٣) الأنبياء : ١٠٤ .

وقال تعالى(٥٤): « خَالدينَ فِيهَا مَادَامَتْ السَّمَـاواتُ والأرضُ إلَّا مَا شَاءَ ربُّكَ عَطَـاءً غَيْرَ مَجْذُوذ »(٥٥).

فكل كلامه تعالى حق لا يحلُّ(٥٦) الاقتصار على بعضه دون بعض ، فصحَّ يقينًا أنَّ تبديل السّماوات والأرض إنما هو تبديل أحوالها لا إعدامها ، ولكن خلاؤها من الشّمس والقمر والكواكب والنجوم ، وتفتحها أبوابًا ، وكونها كالمهل ، وتشققها ووهيها ، وانفطارها ، وتدكدك الأرض(٥٧) والجبال ، وكونها كالعهن المنفوش ، وتسييرها وتسجر البحار فقط كما قال تعالى ، وبهذا تتآلف الآيات كلّها ، ولا يجوز غير(٥٨) هذا أصلًا ، ومن اقتصر على آية التبديل كذب على(٥٩) كل ما ذكرنا ، وهذا كفر ممن فعله ، ومن جمعها كلها فقد آمن بجميعها ، وصدّق الله تعالى فى كل ما قال ، وهو(٦٠) يوجب ما قلنا ضرورة ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : قد أكملنا ولله الحمد كثيرًا الكلام على الملل المخالفة لدين الإسلام الذى هو دين الله تعالى على عباده الذى لا دين له فى الأرض غيره إلى يوم القيامة ، وأوضحنا بعون الله وتأييده البراهين الضرورية على إثبات الأشياء ووجودها ثم على حدوثها كلها جواهرها وأعراضها بعد أنْ لم تكن ، ثم أنّ لها محدثا واحدًا مختارًا لم يزل(٦١)، لا شىء معه ، وأنه فعل لا لِعلَّةٍ ، وترك لا لعلّة ، بل كما شاء لا إله إلّا هو ، ثم على صحّة النبوّات ، ثم على صحة نبوَّة(٦٢) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ، وأنّ ملته هى الحق ، وكل ملّة سواها باطل ، وأنه آخر الأنبياء عليهم السلام ، وملته آخر الملل .

فلنبدأ الآن بعون الله وتأييده فى ذكر نحل المسلمين ، وافتراقهم فيها(٦٣) وإيراد ما شغب به من شغب منهم فيما غلط في (شيء) من نحلته ، وإيراد البراهين الضرورية على إيضاح نحلة الحق من تلك النحل ، كما فعلنا فى الملل ، والحمد لله رب العالمين كثيرًا ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى القدير .

---

(٥٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (وذكر أهل الجنة) .
(٥٥) هود : ١٠٨ .
(٥٦) فى (أ ، ب) : (لا يجوز) .
(٥٧) فى (ح) : سقطت كلمة (الأرض) .
(٥٨) فى (أ ، ب) : (عن) .
(٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .
(٦٠) فى (أ ، ب) : (وهذا) .
(٦١) فى (أ ، ب) : بزيادة (وحده) .
(٦٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (نبوة) .
(٦٣) فى (أ ، ب) : بزيادة (وبيان الحق فى كل وبالله نستعين)

« الفِـرق الإســلامية »

قال أبو محمد : فرق المقرين بملة الإسلام خمسة ، وهم : أهل السنّة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والشيعة ، والخوارج ، ثم افترقت كل فرقة من هذه على فرق ، وأكثر افتراق أهل السنة فى الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات سننبه عليها إن شاء الله تعالى ، ثم سائر الفرق الأربعة التى ذكرنا ففيها ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ، وفيها[1] ما يخالفهم الخلاف القريب .

فأقرب فرق المرجئة إلى أهل السنّة من ذهب مذهب أبى حنيفة : النعمان[2] بن ثابت الفقيه رحمه الله تعالى : فى أنّ الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معًا ، وأنَّ الأعمال إنما هى شرائع الإيمان وفرائضه فقط .

وأبعدهم أصحاب جهم[3] بن صفوان ، وأبو الحسن[4] الأشعرى ، ومحمد[5] بن كرام

---

(١) فى (أ ، ب) · (وفيهم) .

(٢) فى (أ ، ب) : سقط (النعمان بن ثابت) .

هو أبو حيفة بن ثابت التيمى بالولاء الكوفى ، إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عد أهل السنة قيل أصله من بلاد فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، كان يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه ثم انقطع للتدريس والإفتاء ، وأراده عمر بن هميرة على القضاء فامتنع ورعا ، وأراده المنصور العباسى على القضاء ببغداد فأبى . توفى عام ١٥٠ هـ . (الأعلام · ٩ / ٤) .

(٣) هو أبو محرز السمرقندى المبتدع رأس الجهمية ، القائل بخلق القرآن ، قتله نصر بن سيار سنة ١٢٨ هـ . (لسان الميزان : ٢ ص ١٤٢) .

(٤) أبو الحسن الأشعرى : هو على بن اسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل الصحابى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه . مؤسس مذهب الأشاعرة . ولد فى البصرة ، وتلقى مذهب المعتزلة وتمسك به ، ثم رجع وجاهر بخلافه ، قيل بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب منها : « مقالات الإسلاميين » و« الإبانة عن أصول الديانة » و« الرد على ابن الراوندى » توفى فى بغداد رحمه الله . (الأعلام · ٥ / ١٥٠) .

(٥) هو : محمد بن كرام بن عراق بن خرابة أبو عبد الله إمام الكرامية ، وهى من فرق الإبتداع فى الإسلام لأنه قال فى المعبود : « إنه جسم لا كالأجسام . وسجن لبدعته ثمانية أعوام بنيسابور ، ثم توجّه إلى الشام ، ورجع ثانية إلى نيسابور ، فحبسه محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم أطلق . توفى سنة ٢٥٥ هـ بالقدس . (الأعلام · ٧ / ٢٣٦) .

السجستانى .. فإنَّ جهمًا والأشعرى يقولون : إن الإيمان عقد بالقلب فقط ، وإنْ أظهر الكفر والتثليث بلسانه ، وعبد الصليب فى دار الإسلام بلا تقية[٦].

ومحمد بن كرّام يقول : هو القول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه .

وأقرب فرق المعتزلة إلى أهل السنة أصحاب الحسين بن محمد[٧] بن النجار وبشر بن غياث[٨] المريسى ، ثم أصحاب ضرار بن[٩] عمرو .

وأبعدهم أصحاب أبى الهذيل[١٠] العلاف .

وأقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة المنتمون إلى أصحاب الحسن[١١] بن صالح بن حى الهمذانى الفقيه القائلون بأنّ الإمامة فى ولد علىٍّ رضى الله عنهم والثابت عن الحسن بن صالح رحمه الله هو قولنا : إن الإمامة فى جميع قريش ، وتولّى جميع الصحابة رضى الله عنهم ، إلّا أنه كان يفضّل عليا رضى الله عنه على جميعهم .

وأبعدهم الإمامية .

وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السّنّة أصحاب عبد الله بن يزيد الأباضى الغزارى الكوفى .

وأبعدهم الأزارقة .

---

(٦) قوله : « وإن أظهر الكفر .. الخ » هذا لا يقول به الأشعرى لأنه يقول : « لا يحقق الإيمان بدون الإسلام ، وكذا العكس ، فمتى توقف تحقق الإيمان على وجود الإيمان على وجود الإسلام الذى منه عدم المنافى لا يتأتى أن يقول لمن آمن بقلبه وأظهر الكفر بلسانه مؤمنًا لأنه افتقد منه الإسلام الذى هو شرط لتحقق الإيمان . وعذر المؤلف أنه أندلسى من أقصى المغرب ، والأشعرى بصرى من المشرق والأزمنة متقاربة بينهما فلم تنقل تحقيقات مذهب الأشعرى إلى تلك البلاد فى هذا العهد بل نقل مذهبه إجمالًا مع نقل مذاهب الفرق ، فتراه يقع فى الأشعرى ويورد على ما له المناص منه ، ولذلك قال ابن السبكى فى الطبقات ما معناه : « إن ابن حزم لا يحقق مذهب الأشعرى ، فلا يعير الواقف باعتراضه على الأشعرى إمام أهل السنة والجماعة .

(٧) هو : أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، كان من جلة المجبرة ومتكلميهم ، وله مع النظام مجالس ومناظرات ، وله كتب « الاستطاعة » و« الإرجاء » و« القضاء والقدر » وغيرها . وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه . (فهرست النديم : ٢٥٤) .

(٨) بشر المريسى : هو بشر بن غياث بن أبى كريمة ، عبد الرحمن المريسى ، فقيه معتزلى ، يرمى بالزندقة وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء ، وتنسب إليه . أخذ الفقه عن القاضى أبى يوسف . وقال برأى الجهمية ، وأوذى فى دولة هارون الرشيد ، وكان جده مولى يزيد بن الخطاب ، وقيل : كان أبوه يهوديًا ، وهو من أهل بغداد ، وللدارمى كتاب « النقض على بشر المريسى » فى الرد على مذهبه توفى سنة ٢١٨ هـ . (الأعلام : ٢ / ٢٧ ، ٢٨ بتصرف) .

(٩) هو : ضرار بن عمرو القاضى ، معتزلى ، له مقالات خبيثة ، ذكره ابن النديم ، وذكر له ثلاثين كتابًا ، فيها الرد على المعتزلة ، والخوارج ، والروافض ، ولكنه كان معتزليًا له مقالات ينفرد بها ، وشهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه ، فهرب وأخفاه يحيى بن خالد . (لسان الميزان : ٣ / ٢٠٣) .

(١٠) الهذيل العلاف : هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصرى أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ، ومصنف الكتب الكثيرة فى مذهبهم ، كان خبيث القول ، فارق الإجماع وردّ نص كتاب الله ، وجحد صفات الله تعالى ، وكان كذابًا ، مات سنة ٢٢٧ هـ . (لسان الميزان : ٥ / ٤١٣) .

(١١) هو : حيان بن شعنى بن هنى بن رافع الهمدانى ، الثورى ، الكوفى ، أحد الأعلام . كان سفيان الثورى سيء الظن فيه ، دخل عليه يوم الجمعة ، فإذا الحسن يصلى ، فقال نعوذ بالله من خشوع النفاق ، وقال أبو زرعة عنه ، اجتمع فيه إتقان ، وفقه ، وعبادة ، قال الدارنى : « ما رأيت أحدًا الخوف أظهر على وجهه من الحسن » . وكان من كبار الشيعة الزيدية ، وفيها متكلمًا ، له كتاب التوحيد ، وكتاب الجامع فى الفقه ، وإنما حمل عليه من حمل لمحله من التشيع توفى سنة ١٦٨ هـ . (تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٨٥) .

وأما أصحاب أحمد بن خابط[١٢] وأحمد بن باسوس ، والفضل الحدثى[١٣]، والغالية من الروافض ، والمتصوفة والبطيحية أصحاب أبى إسماعيل البطيحيى ، ومن فارق الإجماع من العجاردية[١٤]، وغيرهم فليسوا من الإسلام فى شىء من أهله ، بل كفار بإجماع الأمة ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٢) هو : أحمد بن خابط ، من أصحاب النظام ، وينتسب إليه ، ويقول بالطفرة ، وينفى الجزء الذى لا يتحزأ . وذهب إلى التناسخ ، مات أيام الواثق . (لسان الميزان : ٢ / ٨٠) .

(١٣) هو الفضل الحدثى ، نسبة إلى « الحديثة » ، بلد على الفرات ، وهو من أصحاب النظام ، وكان معتزليًا ، نظاميًا إلى أن خلط ، وترك الحق فنفته المعتزلة . (الانتصار : ١٤٩ على هامش الملل والنحل : للشهرستانى : ١ / ٣٥) .

(١٤) العجاردة : هم فرق كثيرة وكلها تتبع عبد الكريم بن عجرد ، وكان عبد الكريم من أتباع عطيه بن الأسود الحنفى ، والذى يجمع بين فرقها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام أو يصفه هو ، وفارقوا الأزارقة فى شىء آخر ، وهو أن الأزارقة استحلت أموال مخالفيهم ، والعجاردة : لا يرون أموال مخالفيهم فيئًا إلّا بعد قتل صاحبها . (الفرق بين الفرق ، للبغدادى : ص ٩٣ ، ٩٤) .

« ذكر ما اعتمدت عليه كلّ فرقة من هذه الفرق فيما[1] اختصت به »

قال أبو محمد : أما المرجئة فعمدتهم التى يتمسّكون بها فالكلام فى الإيمان والكفر ما هما ؟ والتسمية بهما ، والوعيد ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وأمّا المعتزلة : فعمدتهم التى يتمسكون بها : الكلام فى التوحيد ، وما يوصف به البارى[2] تعالى ، ثم يزيد بعضهم الكلام فى القدر والتسمية بالفسق و[3]الإيمان والوعيد .

وقد يشارك المعتزلة فى الكلام فيما يوصف به البارى تعالى جهمُ بن صفوان ، ومقاتل ابن سليمان ، والأشعرية وغيرهم من المرجئة ، وهشام[4] بن الحكم وشيطان[5] الطاق ، وإسمه محمد بن جعفر الكوفى ، وداود الجواربى[6].. وهؤلاء كلهم شيعة ، إلّا أنا اختصصنا المعتزلة بهذا

---

(١) فى (أ ، ب) : مما .
(٢) فى (أ ، ب) : الله .
(٣) فى (أ ، ب) : (أو) .
(٤) هشام بن الحكم : هو أبو محمد الشيبانى ، من أهل الكوفة ، سكن بغداد ، وكان من كبار الرافضة ، ومشهوريهم ، وكان مجسمًا ، وكان من الغلاة ، وكان ينقطع إلى يحيى بن خالد وكان عارفًا بصناعة الكلام ، له فيه مصنفات كثيرة ، وكان من أصحاب جعفر الصادق . مات بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة مستترًا . وقيل عاش إلى خلافة المأمون . (لسان الميزان حـ ٦ : ١٩٤) .
(٥) هو : محمد بن على بن النعمان البجلى ، الكوفى ، الملقب بشيطان الطاق ، نسب إلى سوق فى طاق المحامل فى الكوفة ، وكان يجلس للصرف بها ، ولما بلغ هشام بن الحكم شيخ الرافضة : أيهم لقبوه شيطان الطاق ، سماه هو : مؤمن الطاق ، وكان حسن الاعتقاد حاذقًا فى صناعة الكلام ، له مناظرات مع أبى حنيفة ، منها : لما مات جعفر الصادق قال أبو حنيفة له : قد مات إمامك ، قال : لكن إمامك لا يموت إلى يوم القيامة – يعنى إبليس – له كتاب الإمامة ، وكتاب المعرفة وغيرهما . (لسان الميزان : ٥ / ٣٠٠) .
(٦) داود الجواربى : ورد ذكره فى « مقالات الإسلاميين » فى أثناء الكلام على اختلاف الناس فى التجسيم : (١ / ٢٥٨) . وذكر فى الفرق بين الفرق – فى الفصل الثامن : فى بيان مذاهب المشبّهه من أصناف شتى ، قال : ومنهم المشبهة المنسوبة إلى داود الجواربى الذى وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية . (الفرق بين الفرق : ٢٢٨) .

الأصل لأن كل من تكلّم فى هذا الأصل فهو غير خارج عن مذهب[٧] أهل السنة أو قول المعتزلة حاشا هؤلاء المذكورين من المرجئة والشيعة ، فإنهم انفردوا بأقوالٍ خارجة عن قول أهل السنة والمعتزلة .

وأمّا الشيعة : فعمدة كلامهم فى الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبى ﷺ ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وأمّا الخوارج : فعمدة مذهبهم الكلام فى الإيمان والكفر ، ما هما ؟ والتسمية بهما ، والوعيد[٨]، والإمامة ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وإنما اختصصنا[٩] هذه الطوائف بهذه المعانى لأن من قال إنَ أعمال الجسد إيمان ، فإنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وإنَّ مؤمنًا يكفر بشىء من[١٠] الذنوب ، وإنّ مؤمنًا بقلبه أو بلسانه يخلد فى النار فليس مرجئيًّا ، ومن وافقهم على أقوالهم هاهنا وخالفهم فيما عدا ذلك من كل ما اختلف المسلمون فيه فهو مرجىء .

ومن خالف المعتزلة فى خلق القرآن والرؤية والتشبيه والقدر وأنَّ صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لكن فاسق فليس منهم . ومن وافقهم فيما ذكرنا فهو منهم وإن خالفهم فيما سوى ما ذكرنا فيما اختلف فيه المسلمون .

ومن وافق الشيعة فى أنَّ عليًّا عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعى ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا ليس شيعيًا ، ومن وافق الخوارج فى[١١] إنكار التحكيم ، وتكفير أصحاب الكبائر ، والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأنَّ أصحاب الكبائر مخلدون فى النار ، وأنّ الإمامة جائزة فى غير قريش فهو خارجى ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما[١٢] اختلف فيه المسلمون وإن[١٣] خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًا .

* * *

(٧) فى (أ ، ب) : (عن قول) .
(٨) فى (أ ، ب) : (والوعد) .
(٩) فى (أ ، ب) : (خصصنا) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (من أعمال) .
(١١) فى (أ ، ب) : (من) .
(١٢) فى (أ ، ب) : (مما) .
(١٣) فى (أ ، ب) : سقطت (وإن) .

قال أبو محمد : وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة رضى الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى ، ثم أصحاب الحديث ومن اتّبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم .

قال أبو محمد : وقد تسمّى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق أهل[١٤] الإسلام على أنه ليس مسلمًا مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا : إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشى فقط ، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين ، وبنات البنات ، وبنات بنى الإخوة ، وبنات بنى الأخوات ، وقالوا : إن سورة يوسف ليست من القرآن . وآخرون منهم قالوا بحدّ الزانى والسارق ثم يستتابون من الكفر ؛ فإن تابوا وإلّا قتلوا .

وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا : بتناسخ الأرواح .

وآخرون منهم قالوا : إن شحم الخنزير ودماغه حلال .

وطوائف من المرجئة قالوا : إن إبليس لم يسأل الله تعالى قط النظرة ، ولا أقرَّ بأنّ الله تعالى[١٥] خلقه من نار ، وخلق آدم عليه السلام من تراب .

وآخرون منهم[١٦] قالوا : إنَّ النبوّة تكتسب بالعمل الصالح .

وآخرون كانوا من أهل السنّة فغلوا[١٧]، فقالوا : قد يكون فى الصالحين من هو أفضل من الأنبياء ومن الملائكة عليهم السلام ، وأن من عرف الله تعالى حقَّ معرفته فقد سقطت عنهم الأعمال والشرائع .

وقال بعضهم بحلول البارى تعالى فى أجسام خلقه كالحّلاج[١٨] وغيره .

وطوائف كانوا من الشيعة ثم غلوا ، فقال بعضهم بالإلهية على بن أبى طالب رضى الله عنه والأئمة بعده . ومنهم من قال بنبوته وبنبوّتهم[١٩]، وبتناسخ الأرواح كالسيّد الحميرى[٢٠] الشاعر وغيره .

---

(١٤) فى (أ ، ب) : سقطت (أهل) .

(١٥) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (الله تعالى) .

(١٦) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة منهم .

(١٧) فى (أ ، ب) : (ففعلوا) وهذا تحريف .

(١٨) هو : الحسين بن منصور الحلاج ، أبو مغيث ، فيلسوف ، يعدّ تارة فى كبار المتعبدين والزهاد ، وتارة فى زمرة الملحدين ، أصله من بيضاء فارس ، نشأ بواسط العراق ، وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ . ادّعى حلول الألوهية فيه . من كتبه : قرآن القرآن ، والفرقان ، والكبريت الأحمر ، توفى سنة ٣٠٩ هـ . (الأعلام : ٢ / ٢٨٥) .

(١٩) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (وبنبوتهم) .

(٢٠) هو : اسماعيل بن محمد الحميرى ، ويكنى أبا هاشم ، كان شاعرًا متقدمًا مطبوعًا ، ويقال : إن أكثر الناس شعرًا فى الجاهلية =

وقالت طائفة منهم بإلاهية أبى الخطاب[٢١] محمد بن أبى زينب مولى بنى أسد .

وقالت طائفة بنبوة المغيرة بن أبى[٢٢] سعيد مولى بنى بجيلة ، وبنبوّة أبى منصور[٢٣] العجلى ، ويُزيع[٢٤] الحائك ، وبَيَان بن سمعان[٢٥] التميمى وغيرهم .

وقال آخرون برجعة على إلى الدنيا ، وامتنعوا من القول بظاهر القرآن وقالوا : إن لظاهرة تأويلات ، فمنها أن قالوا : إن السماء محمد والأرض أصحابه « وإن الله يأمركم أن تذبحوا البقرة » قالوا : هى فلانة يعنى أم المؤمنين رضى الله عنها . وقالوا : العدل والإحسان : محمد[٢٦] وعلى . والجبت والطاغوت هو فلان وفلان يعنون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . وقالوا : الصلاة هى دعاء الإمام . والزكاة هى ما يعطى الإمام . والحج : القصد إلى الإمام وفيهم خناقون ورضّاخون ، وكل هذه الفرق لا تتعلق بحجة أصلًا ، وليس بأيديهم إلّا دعوى الإلهام والقحة ، والمجاهرة بالكذب ، ولا يلتفتون إلى مناظرة . ويكفى من الرَّد عليهم أن يقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من ادّعى أنه ألهم بطلان قولكم .. ؟ ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا .

وأيضًا فإنَّ جميع فرق الإسلام متبرئة منهم ، مكفّرة لهم ، مجمعون على أنّهم على غير الإسلام ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

= والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سبّ أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه فى شعره ، وكان على مذهب الكيسانسة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، وكان يقول بالرجعة وقد مات فى خلافة الرشيد . (الأغانى : ٧ / ٢٢٩) .

(٢١) هو : الأجدع الأسدى ، وقيل اسمه محمد بن مقلاص أبى زينيب الأسدى الكوفى الأجدع البزار ، ويكنى تارة : أبو الخطاب ، وأخرى : أبو ظبيان . (هامش الملل والنحل : ١ / ٢٨٤ نقلًا عن كتاب فرق الشيعة ٤٢) .

(٢٢) هو : أبو عبد الله الكوفى الرافضى الكذاب ، وكان ينتقص أبا بكر وعمر ، وقد ذكر عليا ، وذكر الأنبياء ففضله عليهم ، وقد ادعى النبوة ، وأشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعبذه حتى أجابه خلق ، وقد أخذه خالد بن عبد الله القسرى وقتله ، ثم صلبه فى حدود ١٢٠ هـ . (لسان الميزان : ٦ / ٧٥) .

(٢٣) كان من أهل الكفوة ، من عبد القيس ، وله فيها دار ، وكان منشؤه بالبادية ، وكان لا يقرأ فادّعى بعد وفاة أبى جعفر محمد بن على بن الحسين : أنه فوّض إليه أمره ، وجعله وصيّه من بعده ، ثم ترقى به الأمر إلى أن قال أنا نبى ورسول ، وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفه ، وزعم أن جبريل يأتيه بالوحى من عند الله عزّ وجل ، وأن الله بعث محمدًا بالتنزيل ، وبعثه هو بالتأويل ، واستمرت فتنته إلى أن وقف يوسف بن عمرو الثقفى على عوارته فأخذه وصلبه . (الفرق بين الفرق : للبغدادى : ٢٣٥ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) .

(٢٤) هو : بُزيع بن موسى الحائك ، كان يزعم أن جعفرًا هو الإله ، أى ظهر الإله بصورته للخلق ، وقد لعنه جعفر ، ولعن جماعة معه ، وزعم أن فى أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل ، وزعمت فرقته : أنه نبى ورسول . وشهد أيضًا لأبى الخطاب بالرسالة ، وبرىء أبو الخطاب وأصحابه من بزيع ، وطائفته تسمى : البزيعية . (الملل والنحل : ١ / ٣٠٢) .

(٢٥) هو : بيان بن مسعان النهدى من بنى تميم ، ظهر بالعراق بعد المائة الأولى من الهجرة ، وقال بألوهية على ثم ابنه محمد ، ثم أبى هاشم ، ثم هو من بعده . وكتب إلى الباقر يدعوه إلى نفسه وأنه نبى . قتله خالد بن عبد الله القصرى . وأحرقه بالنار . (ميزان الاعتدال : ١ / ١٦٦) .

(٢٦) فى (أ ، ب) : لم يذكر (محمد) .

« خروج أكثر هذه الفرق عن دين الإسـلام »

قال أبو محمد : الأصل فى خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسهم حتّى أنهم كانوا يسمّون[1] الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدّون سائر الناس عبيدًا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدّولة عنهم على أيدى العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ففى كلٍّ ذلك يظهر الله تعالى الحق ، وكان من قائمتهم منقاذ . والمقنع ، واستايين ، وبابك[2] وغيرهم . وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا ، وأبو مسلم السَّراج فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبّة أهل بيت رسول الله ﷺ ، واستشناع ظلم عليٍّ رضى الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتَّى حتّى أخرجوهم عن الإسلام .

فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلًا ينتظر يدعى المهدى عنده حقيقة الدين ،

---

(١) فى (أ ، ب) : (يسمون أنفسهم) .

(٢) بابك : هو بابك الخرمى ، إليه تنسب طائفة الخرمية ، وقد أحدث فى مذهبهم : القتل والغضب والحروب والمثلة . كان أبوه من أهل المدائن يبيع الدهن ، وكان يطوف به فى قرى الرستاق فهوى امرأة عوراء وهى أم بابك ، وقد ضبط وهو يفجر بها ثم تزوجها من أبيها ، وقد قتل فى بعض سفراته ، وأقبلت أم بابك ترضع للناس بأجرة إلى أن صار لبابك عشر سنين ، فكان يرعى البقر ثم اختلفت به الأيام حتى نزل جاويدان بأم بابك ، فرأى فى بابك ذكاء ونجابة وخبثًا ، فطلب من أمه أن تدفعه إليه ويدفع لها كل شهر خمسين درهما أجرته ، فذهب معه وكان جاويدان زعيمًا فى قومه نشأ بينه وبين رجل آخر يسمى أبا عمران صراع على زعامة الخرمية ، وأدّى هذا الصراع فى النهاية إلى أن قتل أبو عمران ، ثم مات بعده « جاويدان متأثرًا بجراحه ، وكان بابك قد توقفت علاقته بزوجة جاويدان لأنه كان يفجّر بها ، فلما مات جاويدان لم تعلن موته حتى أحضرت جيشه وقالت لهم : لقد قال جاويدان إنى أموت فى ليلتى هذه وإن روحى تخرج من جسدى وتدخل بدن هذا الغلام خادمى وقد رأيت أن أملكه على أصحابه فإذا مت فأعلميهم ذلك ، وأنه لا دين لمن خالفنى فيه ، واختار لنفسه خلاف اختيارى ، قالوا قد قبلنا عهده إليك فى هذا الغلام . وبايعوه ، وحضروا زواجه من امرأة جاويدان . (الفهرست للنديم : الفن الأول من المقالة التاسعة ص ٤٠٧ بتصرف) .

إذ لا يجوز أن يؤخذ الدِّين من هؤلاء الكفار ، إذ نسبوا أصحاب رسول الله ﷺ إلى الكفر . وقوم خرجوا إلى ما ذكرنا[٣] من نبوة من ادَّعوا له النبوّة . وقوم سلكوا لهم المسلك الذى ذكرنا من القول بالحلول وسقوط الشرائع . وآخرون تلاعبوا بهم فأوجبوا عليهم خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هى سبع عشرة صلاة فى كل صلاة خمس عشرة ركعة . وهذا قول عمرو بن عبد الله بن الحارث الكندى ، قبل أن يصير خارجيًّا ضغريًّا[٤]، وقد سلك هذا المسلك أيضًا عبد الله[٥] بن سبأ الحميرى اليهودى ، فإنه لعنه الله أظهر الإسلام ليكيد أهله ، فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضى الله عنه وأحرق علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه طوائف أعلنوا بإلاهيته .

ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الاسماعيلية والقرامطة[٦] وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة ، قائلتان بالمجوسية المحضة ، ثم مذهب[٧] مزدك[٨] الموبذ ، الذى كان على عهد أنو شروان[٩] بن قباذ ملك الفرس ، وكان يقول بوجوب تواسى الناس فى النساء والأموال .

قال أبو محمد : فإذا بلغ الناس إلى هذين الشعبين أخرجوه عن الإسلام كيف شاءوا ، إذ هذا هو غرضهم فقط ، فالله الله عبادَ الله فى أنفسكم ولا يغرنكم أهل الكفر والإلحاد ، ومن موَّه كلامه بغير برهان ، لكن بتمويهات ووعظ على خلاف ما آتاكم به كتاب ربكم ، وكلام نبيكم ﷺ فلا خير فيما سواهما ، واعلموا أنَّ دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لا سرَّ تحته ، كلّه برهان لا مسامحة فيه ، واتّهموا كلَّ من يدعو أن يتبع بلا برهان ، وكل من ادَّعى أن لله[١٠] ديانة سرًّا وباطنًا ، فهى دعاوى ومخارق واعلموا أنَّ رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة

---

(٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (إلى ما ذكرنا من) .

(٤) فى الأصل (صغريا) بالغين ، وهو تحريف .

(٥) راجع ترجمته ص

(٦) راجع ص

(٧) فى (ح) . ذهب .

(٨) مزدك الزنديق : كان إباحيا ، يقول باستباحة أموال الناس ، وأنها فىء ، والأشياء كلها ملك لله متاع بين الناس ، فاجتمع الناس عليه ، وخلعوا قباذ بن فيروز ، وملكوا جاماسب أخاه ، فخرج قباذ بن فيروز شاكيًا داعيًا ، وتقرب إلى الناس بقتل المزدكية ، وأعيد إلى ملكه ، وقد أمر مزدك أصحابه بتناول اللذات ، والانعكاف على الشهوات ، والاختلاط وله مذهب فى الضيافات ليس لأحد من الأمم ، وقد قتله أنوشروان بن قباذ وقتل أصحابه . (الفهرست : لابن النديم : ٢٧٩) .

(٩) أنوشروان : هو ابن قباذ ، ملك بعد أبيه ، وكان يلى رياسة الجند ، قسّم ملك أبيه إلى أربعة أقسام ، فجعل على كل قسم منها قائدًا من جنده ، وتمكن من استرداد البلاد التى تغلب عليها جيران الأطراف من الملوك ، وأحكم بناء الحصون التى كان بناها قباذ وفيروز لتحصين البلاد ، وأخذ الناس بالعدل ، وتفقد أهل المملكة ، وتخيروا الولاة والعمال مسترشدًا بسيرة أردشير بن بابك جده ، ثم سار إلى بلاد الروم وافتتح حلب وقبرص وحمص وأنطاكية وفى أيامه ترجم كتاب كليلة ودمنه ، وعلى عهده ولد رسول الله ﷺ . وقد هلك لثمان وأربعين سنة من دوله . (ابن خلدون : ١ : ٢٦٥ نقلًا عن هامش الملل والنحل : جـ ٢ : ٨٤ ، ٨٥ بتصرف) .

(١٠) فى (أ ، ب) : سقط (أن الله) .

فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من ابنة أو ابن عم أو زوجة أو صاحب على شىء من الشريعة ، كتمه عن الأحمر والأسود ، ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سرٌّ ولا رمز ، ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ، فلو كتمهم شيئًا لما بَلَّغ كما أُمِر ، ومن قال هذا فهو كافر ، فإيَّاكم وكلَّ قولٍ لم يبن سبيلُه ، ولا وضح دليلُه ، ولا تعرجوا[11] عمَّا مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم .

قال أبو محمد : قد أوضحنا شنع جميع هذه الفرق فى كتاب لنا لطيف اسمه : « النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع : المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيع » .

ثم أضفناه إلى آخر كلامنا فى النحل من كتابنا هذا .

وجملة الخير كله أن تلتزموا[12] ما نصَّ عليه ربكم تعالى فى القرآن بلسانٍ عربى مبين لم يفرِّط فيه من شىء ، تبيانًا لكل شىء ، وما صحَّ عن نبيكم ﷺ برواية الثقاة من أئمة أصحاب الحديث رضى الله عنهم مسندًا إليه عليه السلام فهما طريقان يوصلانكم إلى رضى ربكم عزَّ وجل .

ونحن نبتدىء من هنا إن شاء الله تعالى بالكلام[13] فى المعانى التى هى عمدة ما افترق المسلمون عليه ، وهى التوحيد ، والقدر ، والإيمان ، والوعيد والإمامة ، والمفاضلة ، ثم أشياء يسميها المتكلمون اللطائف ، ونورد كلَّ ما احتجّوا به ، ونبين بالبراهين الضرورية إن شاء الله تعالى وجه الحق فى كل ذلك ؛ كما فعلنا فيما خلا ، بعون الله تعالى لنا وتأييده ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلى العظيم ، فأول ذلك :

---

(١١) فى (أ ، ب) : (ولا تعوجا)
(١٢) فى (أ ، ب) : (أن تلزموا)
(١٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (بالكلام)

« الكلام فى التوحيد ونفى التشبيه »

قال أبو محمد : ذهبت طائفة إلى القول بأنّ الله تعالى جسم ، وحجتهم فى ذلك أنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض ، فلما بطل أن يكون تعالى عرضًا ثبت أنه جسم ، وقالوا : إن الفعل لا يصح إلَّا من جسم والبارى تعالى فاعل فوجب أنه جسم ، واحتجّوا بآيات من القرآن فيها ذكر اليدين واليد والأيدى والعين والأعين[1] والوجه والجنب ، وبقوله تعالى : « وجاءَ ربك » « ويأتيهمُ الله فى ظُلَلٍ من الغمام والملائكة » « وتجلى ربه »[2] وبأحاديث للجبل فيها ذكر القدم ، واليمين والرجل والأصابع والتنزل .

* * *

قال أبو محمد : ولجميع هذه النصوص وجوه ظاهرة[3]، خارجة على خلاف ما ظنوه وتأوّلوه .

قال أبو محمد : وهذان استدلالان فاسدان :

أمّا قولهم : إنه لا يقوم فى المعقول إلَّا جسمٌ أو عرض ، فإنها قسمة ناقصة وأمّا[4]

---

(١) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (والأعين) .

(٢) فى (أ ، ب) : (وعحنيه تعالى) .

(٣) فى (أ ، ب) : بزيادة (بينة) .

(٤) فى (أ ، ب) : (وإنما) .

الصّواب : أنه لا يوجد فى العالم إلّا جسم أو عرض وكلاهما يقتضى بطبيعة وجوده وجوب محدِث له ، فبالضرورة نعلم أنه لو كان محدثهما جسمًا أو عرضًا لكان يقتضى فاعِلًا فَعَلَه ولابدَّ . فوجب بالضرورة أنَّ فاعل الجسم والعرض ليس جسمًا ولا عرضًا . وهذا برهان يضطر إليه كل ذى حسٍّ بضرورة العقل ولابدَّ .

« وأيضًا فلو كان البارئ تعالى عن إلحادهم - جسمًا لا قتضى ذلك ضرورة أن يكون له زمان ومكان هما غيره !! وهذا إبطال التوحيد وإيجاب الشرك معه تعالى لشيئين سواه ، وإيجاب أشياء معه غير مخلوقة ، وهذا كفر ، وقد تقدّم إفسادنا لهذا القول[٥]» .

وأيضًا فإنه لا يعقل ألبتة جسم إلّا مؤلف طويل عريض عميق ، ونظّارهم لا يقولون بهذا ، فإن قالوه لزمهم أنَّ له مؤلفًا جامعًا مخترعًا فاعلًا ، فإن منعوا من ذلك لزمهم أن[٦] يوجبوا لما فى العالم من التأليف لا مؤلف[٧] له ولا جامعًا ، إذ المؤلَّف كله كيفما وجد يقتضى مؤلِّفًا ضرورة .

فإن قالوا : هو جسم غير مؤلَّف قيل لهم : هذا هو الذى لا يعقل حسًّا ولا يتشكّل فى النفوس ألبتة .

فإن قالوا : لا فرق بين قولنا شيء وبين قولنا جسم ، قيل لهم : هذه دعوى كاذبة على اللغة التى بها تتكلمون .

وأيضًا فهو باطل لأنَّ الحقيقة أنه لو كان الشيء والجسم بمعنى واحد لكان العَرَض جسمًا ، لأنه شيء وهذا باطل بيقين[٨].

والحقيقة هى أنه لا فرق بين قولنا : شيء ، وقولنا : موجود وحق وحقيقة ومثبت ، فهذه كلها أسماء مترادفة على معنى واحد لا يختلف ، وليس منها اسم يقتضى صفة أكثر من أنَّ المسمّى بذلك حق ولا مزيد .

وأمّا لفظة جسم فإنّها فى اللغة عبارة عن الطويل العريض العميق[٩]، المحتمل للقسمة ذى الجهات الست ، التى هى فوق وتحت ، ووراء ، وأمام ، ويمين ، وشمال ، وربما عدم واحد[١٠]

---

(٥) هذا القول من أول : « وأيضًا فلو كان البارى » إلى « لهذا القول » غير مذكور فى (ح) .
(٦) فى (أ ، ب) : (ألّا) .
(٧) فى (أ ، ب) (لا مؤلفا) .
(٨) فى (أ ، ب) : (يتعين)
(٩) فى (ح) : لم تذكر كلمة (العميق) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (واحدة) .

منها ، وهى الفوق ، هذا حكم هذه الأسماء فى اللغة التى هذه[١١] الأسماء منها ، فمن أراد أن يوقع شيئًا منها على غير موضوعها فى اللغة فهو مجنون وقاح ، وهو كمن أراد أن يسمَى الحق باطلًا والباطل حقًا ، وأراد أن يسمىَ الذّهب خشبًا ، وهذا غاية الجهل والسخف ، إلَّا أن يأتى نصٌّ بنقل اسم منها عن موضوعه إلى معنى آخر فيوقف عنده ، وإلَّا فلا ، وإنما يلزم كلّ مناظر يريد معرفة الحقائق أو التعريف بها أن يحقق المعانى التى يقع عليها الاسم ثم يخبر بعد بها أو عنها بالواجب ، وأمّا مزج الأشياء وقلبها عن موضوعاتها فى اللغة فهذا فعل السوفسطائية[١٢] الوقحاء الجهال ، العابثون بعقولهم وأنفسهم .

فإن قالوا لنا : إنكم تقولون إن الله عزّ وجل حيٌّ لا كالأحياء ، وعليم لا كالعلماء ، وقادر لا كالقادرين ، وشيء لا كالأشياء ، فلِمَ منعتم القول بأنه جسم لا كالأجسام ؟!

قيل لهم وبالله تعالى التوفيق : لولا النصّ الوارد بتسميته حيٌّ وقديرٌ ، وعليم ما سميناه بشيءٍ من ذلك ، لأنَّ[١٣] الوقوف عند النصّ فرض ، ولم يأت نصٌّ بتسميته تعالى جسمًا ، ولا قام البرهان بتسميته تعالى جسمًا بل البرهان مانع من تسميته تعالى بذلك ، ولو أتانا نصٌّ بتسميته تعالى جسمًا لوجب علينا القول بذلك ، وكنا حينئذ نقول : إنه جسم[١٤] لا كالأجسام ، كما قلنا فى عليم وقدير ، وحى ، ولا فرق . وأمّا لفظة شيء فالنص أيضًا جاء بها والبرهان أوجبها على ما نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وقالت طائفة منهم إنه تعالى نور واحتجوا بقول الله تعالى : « اللهُ نَورُ السَّمَاواتِ والأَرْضِ »[١٥].

* * *

قال أبو محمد : ولا يخلوا النور من أحد وجهين إمّا أن يكون جسمًا ، وإما أن يكون عرضًا ، وأيّهما كان فقد قام البرهان على أنه تعالى ليس جسمًا ولا عرضًا ، وأمّا قوله تعالى : « اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض »

---

(١١) فى (ح) : (هى) .

(١٢) السفسطة عند الفلاسفة هى الحكمة المموهة ، وعند المنطقيين هى القياس المركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ، وقيل إن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل ، ويقصد به خداع الآخرين ، أو خداع النفس ، وتطلق أيضًا على القياس الذى تكون مقدماته صحيحه ، ونتائجه كاذبة لا ينخدع بها أحد ، والسوفسطائى ، والسوفسطائيون : هم المنسوبون إلى السفسطة . (المعجم الفلسفى : ١ / ٦٥٨)

(١٣) فى (أ ، ب) : (لكن) .

(١٤) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (جسم)

(١٥) سورة النور : ٣٥ .

فإنّما معناه « هدى الله[١٦] بتنوير النفوس ، إلى نور الله تعالى فى السماوات والأرض » . وبرهان ذلك أنه عزَّ وجلّ أدخل فى جملة ما أخبر : أنه نور له فلو كان الأمر على أنه النّور المضىء المعهود لما خبا الضياء ساعة من ليل أو نهارٍ ألبتة ، فلما رأينا الأمر بخلاف ذلك علمنا أن[١٧] الأمر بخلاف ما ظنّوه .

قال أبو محمد : ويُبطِل قولَ من وصف الله تعالى بأنه جسم ، وقولَ من وصفه بحركة – تعالى عن ذلك – أن الضرورة توجب أن كل متحرِّك فذو حركة ، وأنَّ الحركة لمتحرّك بها ، وهذا من باب الإضافة والصّورة فى المتصوّر لمتصوّر ، وهذا أيضًا من باب الإضافة ، فلو كان كلّ متصوّر متصورًا ، وكل محرّك متحركًا لوجب وجود أفعال لا أوائل لها ، وهذا قد أبطلناه فيما خلا من كتابنا بعون الله تعالى لنا وتأييده إيَّانا ، فوجب ضرورة وجود محرِّك متحركًا ومصوِّرٍ ليس متصوَّرًا ضرورة ولابدَّ . وهو البارى تعالى محرِّك المتحرِّكات ومصوّر المتصورات ، لا إله إلَّا هو ، وكل جسم فذو[١٨] صورة ، وكلُّ ذى حركة فذو عرض محمولٍ فيه ، فصحّ أنه تعالى ليس جسمًا ولا متحركًا ، وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا فقد قدمنا أنَّ الحركة والسكون مُدَّة ، والمدّةُ زمان ، وقد بينا فيما خلا من كتابنا أن الزمان محدث ، فالحركة محدثة ، كذلك السكون ، والبارى تعالى لا يلحقه الحدث إذ لو لحقه لكان[١٩] محدثًا ، فالبارى تعالى غير متحرك ولا ساكن .

وأيضًا فإنَّ الجسم إنما يفعل آثارًا فى جسم[٢٠] فقط ، ولا يفعل الأجسام ، فالبارى تعالى إذن على قول المجسِّمة إنما هو فاعل آثار فى الأجسام فقط لا فاعل أجسام العالم ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

فإن قالوا : فإنّكم تسمّونه فاعلًا وتسمُّون أنفسكم فاعلين ، وهذا تشبيه قلنا لهم – وبالله تعالى التوفيق – لا يوجب ذلك تشبيهًا ؛ لأن التشبيه إنما يكون بالمعنى الموجود فى كلا المشتبهن لا بالأسماء ، وهذه التسمية إنّما هى اشتراك فى العبارة فقط ، لأن الفاعل[٢١] متحرّك باختيار[٢٢] ، أو عارف ، أو شاكّ ، أو مريد أو كاره باختيار و[٢٣] ضمير ، فكلّ فاعل منّا متحرّك ذو ضمير ،

---

(١٦) فى (ح) : « هُدَى بتنوير النفوس التى » .
(١٧) فى (أ ، ب) : (أنه)
(١٨) فى (أ ، ب) : (فهو ذو) .
(١٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لكان) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : (فى الجسم) .
(٢١) فى (خ) : سقطت كلمة (من) .
(٢٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (أو اضطرار) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (أو) .

وكلُّ متحرّك فذو حركة[٢٤]، والحركة وأعراض الضماير انفعالات ، فكل متحرّك منفعل ، وكل منفعل فلفاعل ضرورة ، وأمّا البارى تعالى ففاعل باختيار واختراع ، لا بحركة ولا ضمير ، فهذا اختلاف لا اشتباه . وبالله تعالى التوفيق .

وكذلك العرض ليس جسمًا ، وقولنا[٢٥] الجسم ليس عرضًا ، والبارى تعالى ليس جسمًا ولا عرضًا فهذان الحكمان فلا يوجبان اشتباهًا أصلًا بل هذا عين الاختلاف ، لأن[٢٦] الاشتباه إنّما يكون بإثبات معنى فى المشتبهين به اشتباهاً ، ولو أوجب ما ذكرنا اشتباهًا لوجب أن يكون يشبه[٢٧] الجسم فى الجسمية لأنه ليس عرضًا ، وأن يكون لِشبه العرض فى العرضيّة لأنّه ليس جسمًا فكان يكون جسمًا عرضًا[٢٨] معا ، وهذا محال ، فصحّ أن بالنفى لا يصح[٢٩] الاشتباه[٣٠] وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ومن قال إنَّ الله تعالى جسم لا كالأجسام فهو[٣١] ملحد فى أسمائه إذ سماه عزَّ وجل بما لم يسمّ به نفسه .

وأمّا من قال إنه تعالى كالأجسام فهو ملحد فى أسمائه ومشبّه مع ذلك .

---

(٢٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (تحركه) .
(٢٥) فى (أ ، ب) : لا يوجد كلمة (وقولنا) .
(٢٦) فى (أ ، ب) : (لكن) .
(٢٧) فى (خ) : « نسبة » وهذا تحريف ظاهر .
(٢٨) فى (أ ، ب) : « حسما لا جسما ، عرضا لا عرضا معا » .
(٢٩) فى (أ ، ب) : « لا يجب » .
(٣٠) فى (أ ، ب) : بزيادة « أصلًا » .
(٣١) فى (أ ، ب) : « فليس مشتبها لكنه ألحد فى أسماء الله تعالى » .

« مطلب إطلاق الصفات »[1]

قال أبو محمد : وأمّا إطلاق لفظ الصفات لله عزَّ وجل فمحال لا يجوز لأن الله تعالى لم ينصَّ قط فى كلامه المنزل على لفظ الصّفات ، ولا على لفظ الصفة ولا جاء[2] قط عن النبىّ ﷺ بأن الله تعالى صفة أو صفات ، نعم ولا جاء قط ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، ولا عن أحدٍ من خيار التّابعين ، ولا عن أحد تابعى التابعين ، وما[3] كان هكذا فلا ينبغى[4] لأحد أن ينطق به .

ولو قلنا : إن الإجماع قد تيقّن على ترك هذه اللفظه لصدقنا ، فلا يجوز القول بلفظ الصفات ، ولا اعتقاده بل ذلك بدعة منكرة ، قال الله تعالى : « إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتم وآباؤُكم ما أَنْزَلَ الله بها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وما تَهْوى الْأَنْفُس ، ولَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى[5]» .

* * *

---

(١) هذا العنوان كتب على هامش النسخة (خ) وحدها دون بقية النسخ ، ويبدو أنه من عمل قارىء لأن الخط الذى كتب به مغاير لخط النسخة .

(٢) فى (أ ، ب) : « ولا حفظ عن النبى ﷺ » .

(٣) فى (أ ، ب) : « ومن » .

(٤) فى (أ ، ب) : « فلا يحل » .

(٥) سورة : النجم : ٢٣ .

قال أبو محمد : وإنّما اخترع لفظة الصّفات المعتزلة[٦]، وسلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام ، سلكوا غير مسلك السلف الصّالح ليس فيهم أسوة ولا قدرة وحسبنا الله ونعم الوكيل ، « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه[٧]» .

وربما أطلق هذه اللفظة من متأخرى الأئمة من الفقهاء من لم يحقق النظر فيها ، فهى[٨] وهلة من فاضل ، وزلة من عالم ، وإنّما الحقُّ فى الدّين ما جاء عن الله تعالى نصًّا أو عن رسوله ﷺ كذلك ، أو صحَّ إجماع الأمّة كلها عليه ، وماعدا هذا فضلال[٩].

فإن اعترضوا بالحديث الذى رويناه من طريق عبد الله[١٠] بن وهب عن عمرو[١١]بن الحارث عن سعيد[١٢] بن أبى هلال عن أبى الرجال[١٣] محمد بن عبد الرحمن عن أمه عَمره[١٤] عن عائشة رضى الله عنها فى الرَّجل الذى كان يقرأ : قل هو الله أحد فى كل ركعة مع سورة أخرى ، وأنَّ رسول الله ﷺ أمر أن يُسأل عن ذلك فقال : هى صفة الرحمن فأنا أحبُّها[١٥]، فأخبره رسول الله ﷺ أنَّ الله يحبّه .

---

(٦) فى (أ ، ب) : زيادة : « وهشام ونظراؤه من رؤساء الرافضة » .

(٧) سورة الطلاق : ١ .

(٨) فى (خ) : « فها وهلة وذلة عالم » .

(٩) فى (أ) : بزيادة « وكل محدثة بدعة » .

(١٠) هو : عبد الله بن وهب بن منبه الأبناوى الصنعانى : روى عن أبيه ، وعنه روى إبراهيم بن عمر بن كيسان ، وداود بن قيس ، وأبو الهذيل ، عمران بن عبد الرحمن قال ابن معين هو أقدم من أخيه عبد الرحمن ، وقال الآحورى عن ابن وهب إنه معروف وله عنده حديث . (تهذيب التهذيب : ٦ ص ٧٤) .

(١١) هو : عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى ، يكنى : أبو أميه ، كان حافظًا للحديث ، راويًا للشعر ، وخطيبًا فى عصره ، وأصله من المدينة . قال ابن حجر : كان عالم الديار المصرية ، ومحدثها ، ومفتيها مع الليث بن سعد ، توفى بمصر سنة ١٤٧ هـ . (الأعلام : ٥ / ٢٤٢) .

(١٢) هو : سعيد أبى هلال الليثى ، أبو العلاء المصرى ، يقال أصله من المدينة ، روى عن جابر وأنس مرسلًا ، وزيد بن أسلم ، وأبى الرجال محمد ابن عبد الرحمن وآخرين ، وروى عنه سعيد المقبرى ، وهو أكبر منه ، وخالد بن يزيد المصرى ، وعمرو بن الحارث . قال ابن يونس : ولد بمصر سنة ٧٠ هـ . ونشأ بالمدينة ، ثم رجع إلى مصر فى خلافة هشام ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٩٤ ، ٩٥ بتصرف) .

(١٣) هو : محمد بن عبد الرحمن بن حارثة بن النعمان : أبو الرجال ، وهو لقب له ، وكنيته : أبو عبد الرحمن ، كان جده حارثة من أهل بدر . وروى عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وعوف بن الحارث بن الطفيل ، وأنس بن مالك . قال ابن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث ، وقال أبو داود والنسائى : ثقة . وقال البخارى : هو ثبت . وكذا وثقه أحمد بن حنبل . (تهذيب التهذيب : ٩ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ بتصرف) . وفى (أ) : (أبى الرجاء) .

(١٤) هى : عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية ، كانت فى حجر عائشة رضى الله عنها ، وروت عنها ، وروت عن أختها لأمها : أم هشام بنت حارثة بن النعمان ، وحبيبة بنت سهل ، وروى عنها ابنها : أبو الرجال . وأخوها : محمد بن عبد الرحمن الأنصارى . قال ابن أبى مريم عن ابن معين : ثقة حجة ، وقال العجلى : مدنية تابعية . ماتت سنة ٩٨ هـ وهى بنت سبع وسبعين : (تهذيب التهذيب : ١٢ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ بتصرف) .

(١٥) روى هذا الحديث النسائى بسنده قال : أخبرنا سليمان بن داود عن ابن وهب قال : حدثنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال أن أبا الرجال محمد ابن عبد الرحمن حدَّثه عن أمه عمرة عن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سريّة فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : سلوه لأى شىء فعل ذلك فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن عزّ وجل فأنا أحب أن أقرأ بها . قال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله عزَّ وجل يحبه » . (سنن النسائى : ١ / ١٧٠) .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أنَّ هذه اللفظة انفرد بها سعيد بن أبى هلال وليس بالقوىّ ، قد ذكره بالتخليط يحيى[١٦] وأحمد[١٧] بن حنبل ، وأيضًا فإن احتجاج خصومنا بهذا لا يسوغ لهم على أصولهم لأنه خبر واحد لا يوجب عندهم العلم ، وأيضًا : فلو صحَّ لما كان مخالفًا لقولنا ، لأننا إنما أنكرنا قول من قال : إن أسماء الله تعالى مشتقة من صفات ذاتية فأطلق ذلك على « العلم » و« القدرة » و« القوة » و« الكلام » أنها صفات ، وعلى من أطلق « إرادة » وسمعًا وبصرًا وحياة ، وأطلق أنها صفات ، فهذا الذى أنكرنا غاية الإنكار ، وليس فى الحديث المذكور ، ولا فى غيره شىء من هذا أصلًا ، وإنّما فيه أنَّ « قل هو الله أحد » خاصة صفة الرحمن ، ولم ننكر هذا نحن بل هو خلاف لقولهم لأنهم لا يخصّون « قل هو الله أحد » بذلك دون الكلام والعلم وغير ذلك[١٨] ، و« قل هو الله أحد » خبر عن الله تعالى بما هو الحق ، فنحن نقول فيها هى صفة الرحمن ، بمعنى أنها خبر عنه تعالى حق ، فظهر أن هذا الخبر حجة عليهم لنا ، وأيضًا فمن أعجب الباطل أن يحتج بهذا الخبر فيما ليس فيه منه شىء من يخالفه ويعصيه فى الحكم الذى ورد فيه ، من استحسان قراءة « قل هو الله أحد » فى كل ركعة مع سورة أخرى ، لهذه الفضائح ، فلتعجب أهل العقول[١٩] . وأما الصفة التى يطلقون هم ، فإنما هى فى اللغة واقعة على عرض فى[٢٠] جوهر لا على ذلك أصلًا . وقد قال الله تعالى : « سُبحانَ ربّكَ ربِّ العِزَّة عمَّا يَصِفُون[٢١] » .

فأنكر إطلاق الصفات جملة فبطل تمويه من موَّه بالحديث المذكور ليستحلّ بذلك ما لا يحل من إطلاق لفظ الصفات حيث لم يأت بإطلاقها فيه نصٌّ ولا إجماع إصلًا ، ولا أثر عن السلف[٢٢] . والعجب من اقتصارهم على لفظة الصفات ، ومنعهم من القول بأنها نعوت وسمات ، ولا فرق بين اللفظتين[٢٣] لا فى لغة ولا فى معنى ، ولا فى نصٍّ ولا فى إجماع ، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١٦) هو : يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد ، ويقال : ابن أسعد بن زرارة الأنصارى ، البخارى ، المدنى ، روى عن زيد بن ثابت ، وعمارة ابن عمرو ، وأبى هريرة وسودة بنت زمعة أم المؤمنين ، وروى عنه قريبه إبراهيم بن محمد ، ويحيى بن سعيد ذكره ابن حبان فى الثقات . وحديثه عن أم هشام فى صحيح مسلم . (تهذيب التهذيب : ١١ / ٢٤١ ، ٢٤٢ بتصرف) .

(١٧) هو : أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيبانى ، إمام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة وهو من « مرو » وولد ببغداد عام ١٦٤ هـ . نشأ مكبا على العلم ، وفى أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن . ومات المأمون قبل أن يناظر ابن حنبل ، ثم تولى المعتصم فسجنه ثمانى وعشرين شهرًا لامتناعه عن القول بخلق القرآن . من مصنفاته : المسند فى الحديث والناسخ والمنسوخ ، والردّ على الجهمية والزنادقة ، توفى عام ٢٤١ هـ . (الأعلام : ١ / ٣٩٢ ، ٣٩٣ بتصرف)

(١٨) فى (أ) : بزيادة : (وفى هذا الخبر تخصيص لقوله « قل هو الله أحد » وحدها بذلك) .

(١٩) فى (ح) : لم يذكر الكلام من أول كلمة (الحق .. إلى أهل العقول) .

(٢٠) فى (ح) : (عرض وجوهر) .

(٢١) سورة الصافات : ١٨٠ .

(٢٢) لم تذكر كلمة (ولا أثر عن السلف) فى (خ) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : (هذه الألفاظ) .

« الكلام فى المكان والاستواء »

قال أبو محمد : ذهبت المعزلة إلى أن الله سبحانه وتعالى فى كل مكان ، واحتجوا[1] بقول الله عزّ وجل : « ما يكونُ مِنْ نجْوى ثلاثةٍ إلَّا هُوَ رَابِعُهم ، ولا خمسةٍ إلَّا هُوَ سَادِسُهم[2] » .

وقوله تعالى : « ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مَنْ حَبْلِ الوَرِيد[3] » .

وقوله تعالى : « ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُون[4] » .

* * *

قال أبو محمد : قول الله عزّ وجل يجب حمله على ظاهره ما لم يمنع من حمله على ظاهره نص آخر ، أو إجماع ، أو ضرورة حسّ .

وقد علمنا أن كلَّ ما كان فى مكان فإنه شاغل لذلك المكان ، ومالىء له ومتشكل بشكل المكان ، أو المكان متشكل بشكله ، ولابدَّ من أحد الأمرين ضرورة . وقد[5] علمنا أنّ ما كان فى مكان فإنه شاغل لذلك المكان[6]، ومتناهٍ بتناهى مكانه ، وهو ذو جهات ست أو خمس

---

(١) هذه الكلمة لم تذكر فى (خ) .

(٢) المجادلة : ٧ .

(٣) ق : ١٦ .

(٤) الواقعة : ٨٥ .

(٥) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (قد) .

(٦) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (فإنه شاغل لذلك المكان) .

متناهية فى مكانه ، وهذه كلها صفات الجسم ، فلما صحّ ما ذكرنا علمنا أن قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه مِنْ حَبْلِ الوريد » . « ونحن أقرب إليه منكم » . « وما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلَّا هُوَ رابعُهم ، ولَا خمسةٍ إلَّا هُوَ سادِسُهم » إنما هو التدبير لذلك والإحاطة به فقط ضرورة لانتفاء ما عدا ذلك .

وأيضًا : فإن قولهم « فى كل مكان » خطأ ؛ فإنه[٧] يلزم بموجب هذا القول أن[٨] يملأ الأماكن كلها ، وأن يكون ما فى الأماكن فيه – الله تعالى عن ذلك – وهذا محال .

فإن قالوا : هو فيها بخلاف كون المتمكن فى المكان .

قيل لهم : هذا لا يعقل ولا يقوم عليه دليل ، وقد قلنا : إنه لا يجوز إطلاق اسمٍ على غير موضوعه فى اللغة – إلَّا أن يأتى به نص فنقف عنده ، وندرى حينئذ أنه منقول إلى ذلك المعنى الآخر ، وإلَّا فلا ، فإذ قد صحَّ ما ذكرنا[٩] فلا يجوز أن يطلق القول بأن الله تعالى فى مكان لا على تأويل ولا على غيره ، لأنه حكم بأنه تعالى فى الأمكنة ، لكن يطلق القول بأنه تعالى معنا فى كلِّ مكان ، ويكون حينئذ قولنا فى كلِّ مكان إنَّما هو[١٠] صلة الضمير الذى هو النون والألف اللذان فى « معنا » لا فيما[١١] نخبر به عن الله تعالى ، وهذا هو معنى قوله : « هو معهم أينما كانوا ، وهو معكم أينما كنتم » .

وذهب قوم إلى أن الله تعالى فى مكان دون مكان .

وقولهم هذا يفسد بما ذكرنا[١٢]، ولا فرق .

واحتجّ هؤلاء بقوله تعالى : « الرَّحمنُ عَلَى العَرْشِ استوى »[١٣].

* * *

قال أبو محمد : وقد تأوّل المسلمون فى هذه الآية تأويلات أربعة

أحدها : قول المجسمة ، وقد بان[١٤] بحول الله فساده .

---

(٧) فى (أ ، ب) : (لأنه) .
(٨) فى (أ ، ب) : (أنه) .
(٩) فى (أ ، ب) : (ما قد) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (هو من) .
(١١) فى (أ ، ب) : (لا ممّا يخبر) .
(١٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (آنفا) .
(١٣) طه : ٥ .
(١٤) فى (أ ، ب) : (وقد أبنا) .

والثانى[١٥]: قالت المعتزلة : هو أن معناه « استولى » وأنشدوا : قَد اسْتَوى بشر على العراق .

قال أبو محمد : وهذا فاسد لأنه لو كان كذلك لكان[١٦] العرش أولى بالاستيلاء عليه من سائر المخلوقات . ولجاز لنا أن نقول : « الرحمن على الأرض استوى » لأنه تعالى مستولٍ عليها ، وعلى كل ما خلق . وهذا لا يقوله أحدٌ . فصار[١٧] هذا القول دعوى مجرّدة بلا دليل فسقط .

وقال بعض أصحاب ابن كلاب : إن الاستواء صفة ذات ، ومعناه نفى الاعوجاج .

قال أبو محمد : وهذا القول فى غاية الفساد لوجوه :

أحدها : أنه تعالى لم يسمِّ نفسه مستويًا ، ولا يحل لأحدٍ أن يسمّىَ الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه ، لأن من فعل ذلك فقد ألحد فى أسمائه أى مال عن الحق ، وقد حدَّ الله تعالى فى تسميته حدودًا فقال تعالى : « ومَنْ يتعدَّ حُدَودَ الله فَقدْ ظَلَم نَفْسه[١٨]» .

وثانيها : أن الأمة مجمعة على أنه لا يدعو أحد فيقول : « يا مستوى أرحمنى » . ولا يسمّى ابنه عبد المستوى .

وثالثها : أنه ليس كل ما نفى عن الله عزَّ وجل وجب أن يوقع عليه ضده ، لأننا ننفى عن الله عزَّ وجل السكون ، ولا يحل أن نسمى الله عز وجل متحركًا ، وننفى عنه الحركة ، ولا يجوز أن يسمَّى ساكنًا ، وننفى عنه الخشم[١٩] ولا يجوز أن يسمى شمَّاما[٢٠] وننفى عنه النَّوم ، ولا يجوز أن يسمى يقظان ، ولا منتبها ، ولا يسمّى لنفى الخيال[٢١] عنه مستقيمًا ، وكذلك كلُّ صفة لم يأت بها النصّ ، فكذلك الاستواء والاعوجاج منفيان عنه معًا ، سبحانه وتعالى عن ذلك لأن كل ذلك من صفات الأجسام ، ومن جملة الأعراض ، والله قد تعالى عن الأعراض .

ورابعها : أنه يلزم من قال بهذا القول[٢٢] أن يكون العرش لم يزل تعالى الله عن ذلك ، لأنه تعالى علّق الاستواء بالعرش فلو كان الاستواء لم يزل لكان العرش لم يزل فهذا[٢٣] كفر .

---

(١٥) فى (ح) : والثالث ، وفى (أ ، ب) : (والآخر) .
(١٦) فى (أ ، ب) : (لما كان) .
(١٧) فى (خ) : (نصًّا و) وهو تحريف .
(١٨) الطلاق : ١
(١٩) فى (أ) : (الجسم) وهو تحريف .
(٢٠) وفيه (سماما) بالسين المهملة وهو تحريف أيضًا .
(٢١) وفى (أ ، ب) : (الانحناء) .
(٢٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (الفاسد) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (وهذا) .

وخامسها : أنه لو كان الاستواء هاهنا نفى الاعوجاج لم يكن لإضافة ذلك إلى العرش معنى ، ولكان كلامًا فاسدًا لا وجه له .

فإن اعترضوا فقالوا : إنكم تسمّونه سميعًا بصيرًا ، وأنه لم يزل كذلك فيلزم[٢٤] على هذا أن المسموعات والمبصرات لم تزل .

قلنا لهم وبالله تعالى نتأيد : هذا لا يلزمنا لأننا لا نسمى الله تعالى إلّا بما سمّى نفسه فنقول إن[٢٥] الله تعالى السميع البصير[٢٦] لم يزل وهو السميع البصير بذاته كما هو[٢٧] لا يسمع ولا يبصر ، ولم[٢٨] نزد على ما أتى به النص شيئًا . ونحن نقول : إنه تعالى لم يزل بصيرًا بالمبصرات ، سميعًا بالمسموعات يرى المرئيات ويسمع المسموعات ، ومعنى هذا كله أنه عالم بكل ذلك[٢٩]، ويعلم كل ذلك على ما يكون عليه ثم على حقيقته ، وعلى ما هو عليه وهذا معنى العلم الذى لا يقتضى وجودًا لمعلومات لم تزل[٣٠]، وهذا نجده حسًّا ومشاهدة وضرورة ، لأننا لما[٣١] بينا زيداً سيموت وأن موته لم يقع بعد وليس هكذا قولهم فى الاستواء لأنه مرتبط بالعرش فإن قالوا فإذن معنى « سميع بصير » هو معنى « عليم » فقولوا : إنه تعالى يبصر المسموعات ويسمع المرئيات ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق :

ما نمنع من هذا ولا ننكره ، بل هو صحيح لأن الله تعالى إنما قال : أسمع وأرى . فهذا إطلاق[٣٢] على كل شيء على عمومه ، وبالله تعالى التوفيق .

والقول الرابع فى معنى الاستواء : هو أنَّ معنى قول الله تعالى « الرحمن على العرش استوى » : أنه فِعْلٌ فعله فى العرش وهو انتهاء خلقه إليه ، فليس بعد العرش شيء ، ويبيّن ذلك أنَّ رسول الله ﷺ ذكر الجنات وقال : فاسألوا الله الفردوس الأعلى فإنّه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوق ذلك عرش الرحمن » فصحّ أنه ليس وراء العرش خلق ، وأنه نهاية جرم المخلوقات الذى ليس خلفه خلاء ولا ملاء ، ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة[٣٣] والزمان والمكان أو من جرمه فقد لحق بقول الدَّهرية ، وفارق الإسلام .

---

(٢٤) ف (أ ، ب) : (فيلزمكم) .
(٢٥) ف (أ ، ب) : (قال الله) .
(٢٦) ف (أ ، ب) : (فقلنا بذلك أنه) .
(٢٧) ف (أ ، ب) : ولا نقول .
(٢٨) ف (أ ، ب) : (فنزيد) .
(٢٩) ف (أ ، ب) : بزيادة (كما قال تعالى : إننى معكما أسمع وأرى) .
(٣٠) ف (أ ، ب) : (لكن يعلم ما يكون أنه سيكون على حقيقته ، ويعلم ما هو كما هو ، ويعلم ما قد كان كما قد كان) .
(٣١) ف (أ ، ب) : (فيما بينا قد نعلم) .
(٣٢) ف (أ ، ب) : بزيادة (له) .
(٣٣) ف (خ) : سقطت كلمة (المساحة) .

والاستواء فى اللغة يقع على الانتهاء قال تعالى : « وَلمَّا بَلَغ أَشُدَّه واسْتَوى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا[٣٤]» .

أى : فلما انتهى إلى القوة والخير . وقال تعالى : « ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّمَاءِ وَهِى دُخَانٌ[٣٥]» .

أى أنَّ خلقه وفعله انتهى إلى السماء بعد أن رتب الأرض على ما هى عليه وبالله تعالى التوفيق .

وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ما عداه . فأمّا القول الثالث فى المكان : فهو أن الله تعالى لا فى مكان ولا فى زمانٍ أصلًا ، وهو قول الجمهور من أهل السنة وبه نقول ، وهو الذى لا يجوز غيره لبطلان ما عداه ، ولقوله تعالى : « أَلَا إِنَّه بكلِّ شيءٍ محيط[٣٦]» .

فهذا يوجب ضرورة أنه تعالى لا فى مكان إذ لو كان فى المكان لكان المكان محيطًا به من جهة مّا أو من جهات ، وهذا منتف عن البارى تعالى بنص الآية المذكورة ، والمكان شيء بلا شك ، فلا يجوز أن يكون شيء فى مكان ويكون هو محيطًا بمكانه ، وهذا محال فى العقل يعلم امتناعه ضرورة . وبالله التوفيق .

وأيضًا فإنه لا يكون فى مكان إلّا ما كان جسمًا أو عرضًا فى جسم ، هذا الذى لا يجوز سواه ، ولا يتشكل فى العقل والوهم[٣٧] غيره ألبتة ، فإذا انتفى أن يكون الله عزّ وجل جسمًا أو عرضًا فقد انتفى أن يكون فى مكانٍ أصلًا وبالله تعالى نتأيّد .

وأمّا قوله تعالى : « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوقَهُمْ يَومَئِذٍ ثَمانية[٣٨]» .

فقوله الحق نؤمن به يقينا والله أعلم بمراده فى هذا القول ، ولعلَّه عزَّ وجل عنى السماوات والكرسى فهذه ثمانية أجرام ، هى يومئذ والآن بيننا وبين العرش ، ولعلهم أيضًا ثمانية ملائكة ، والله أعلم ، نقول ما قاله ربنا تعالى ، ونقطع أنه حق يقين على ظاهره ، وهو أعلم بمعناه ومراده ، وأمّا الخرافات فلسنا منها فى شيء ، ولايصحّ هذا فى خبر عن النبى ﷺ ، ولكنا نقول : هذه غيوب لا دليل لنا على المراد بها ، لكنّا نقول « آمَنَّا به كل مِنْ عِنْدِ رَبِّنا[٣٩]» . وكل ما قاله الله تعالى حق ليس منه شيء منافيًا للعقول ، بل هو كله قبل أن يخبرنا الله به فى حدِّ الإمكان عندنا ،

(٣٤) القصص : ١٤ وفى الأصل تحريف حيث ذكر الآية (فلما بلغ) .
(٣٥) فصلت : ١١ .
(٣٦) سورة : فصلت : ٥٤ .
(٣٧) فى (أ ، ب) : بزيادة (والوهم) ولم تذكر فى (ح) .
(٣٨) الحاقة : ١٧ .
(٣٩) آل عمران : ٧ .

ثم إذا أخبر به عزَّ وجل صار واجبًا حقًّا يقينًا ، وقد قال الله تعالى : « الّذينَ يحمِلُون العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه[٤٠]» .

فصحَّ يقينًا أنَّ للعرش حملة ، وهم الملائكة المنفذون[٤١] لأمره تعالى[٤٢]، كما نقول : أنا أحمل هذا الأمر أى أقوم به وأتولّاه ، وقد قال تعالى : « وَيْفَعلون ما يُؤْمَرون[٤٣]» .

وأنهم يتنزلون بالأمر ، وأما الحامل للكل ، والممسك للكل فهو الله عزّ وجل ، قال الله تعالى : « إنَّ الله يُمسك السَّماواتِ والأَرضَ أن تَزُولَا ، ولَئِن زالَتا إنْ أَمْسَكَهما مِنْ أحَدٍ مِنْ بَعْدِه[٤٤]» .

* * *

(٤٠) سورة غافر : ٧ .

(٤١) فى (أ ، ب) : (المنقادون) .

(٤٢) فى (خ) : بزيادة : (ومن حوله) .

(٤٣) سورة النحل : ٥٠ والآية : يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، وفى سورة التحريم آية : ٦ : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون – فكلمة (إنهم) . كما جاء فى الأصل زائدة .

(٤٤) سورة فاطر : ٤١ .

« الكلام فى العلم »

قال الله عزّ وجل : « أنْزَله بعلمه[1] » .

فأخبر تعالى : أن له علمًا ، ثم اختلف الناس فى علم الله تعالى فقال جمهور المعتزلة : إطلاق العلم لله تعالى إنما هو مجاز لا حقيقة ، وإنما معناه : أنه لا يجهل .

وقال سائر الناس : إنَّ لله تعالى علمًا حقيقة لا مجازًا ، ثم اختلف هؤلاء فقال جهم ابن صفوان ؛ وهشام بن الحكم ، ومحمد بن عبد الله[2] بن مسرة الجبلى وأصحابهم : إنَّ علم الله تعالى هو غيره ، وهو محدَث مخلوق ، سمعنا ذلك ممنْ جالسناه منهم ، وناظرناهم عليه .

وقالت طوائف من أهل السنة : علم الله تعالى غير مخلوق لم يزل ، وليس هو الله ، ولا هو غير الله .

وقال الأشعرى : فى أحد قوليه : لا يقال هو الله ، ولا يقال هو غير الله .

---

(١) النساء : ٦٦ .

(٢) هو : محمد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله ، متصوف متفلسف أندلسى ، من دعاة الإسماعيلية من أهل قرطبة . قال الحميدى : له طريقة فى البلاغة ، وتدقيق فى غوامض إشارات الصوفية ، وتآليف فى المعانى ، ونسبت إليه مقالات نعوذ بالله منها !. وقال ابن الفرضى : اتهم بالزندقة فخرج فارًا ، وتردَّد بالمشرق مدة ، ثم انصرف إلى الأندلس . وكان يحرّف التأويل فى كثير من القرآن ، وقد ردّ عليه جماعة من أهل المشرق . وفى تاريخ قضاة الأندلس أن القاضى ابن زرب وضع كتابًا فى الردّ على ابن مسرة ، واستتاب بعض أتباعه ، وأحرق ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه . (الأعلام : ٧ / ٩٥) .

وقال فى قول له آخر وافقه عليه الباقلانى(٣) وجمهور أصحابه : إن علم الله تعالى هو غير الله(٤)، وإنه مع ذلك غير مخلوق لم يزل .

وقال أبو الهذيل العلّاف وأصحابه : علم الله تعالى لم يزل وهو الله ، وقالت طوائف من أهل السنة : علم الله تعالى لم يزل وهو غير مخلوق ، وليس هو غير الله ، ولا نقول هو الله .

وكان هشام(٥) بن عمرو الفوطى أحد شيوخ المعتزلة لا يطلق القول بأن الله تعالى لم يزل عالمًا بالأشياء قبل كونها ، ليس لأنه لا يعلم ما يكون قبل أن يكون ، بل كان يقول بأن الله تعالى لم يزل عالمًا بأنه ستكون الأشياء إذا كانت .

قال أبو محمد : فأما من أنكر أن يكون لله تعالى علم فإنهم قالوا : لا يخلو لو كان لله علم من أن يكون غيره أو يكون هو هو ، فإن كان غيره فلا يخلو من أن يكون محلوقًا أو لم يزل ، وأىّ الأمرين كان فهو فاسد ، فإن كان هو الله فالله علم وهذا فاسد .

قال أبو محمد : أمّا نفس قولهم فى أن ليس لله علم فمخالفٌ للقرآن ، وما خالف القرآن فهو باطل ، ولا يحل لأحد أن ينكر ما نصّ الله تعالى عليه وقد نصُ الله تعالى على أنَّ(٦) له علمًا فمن أنكره فقد اعترض على الله تعالى ، وأمّا اعتراضاتهم التى ذكرنا ففاسدة كلها ، وسنوضح فسادها إن شاء الله تعالى فى إفسادنا لقول الجهمّية والأشعرية ، لأن هذه الاعتراضات من(٧) اعتراض هاتين الطائفتين ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : احتج جهم بن صفوان بأن قال : لو كان علم الله تعالى لم يزل لكان لا يخلو من أن يكون هو الله تعالى أو غيره ، فإن كان علم الله تعالى غير الله وهو لم يزل ، فهذا تشريك لله تعالى ، وإيجاب الأزلية لغيره تعالى معه وهذا كفر ، وإن كان هو الله فالله علم وهذا إلحاد .

---

(٣) هو : القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى البصرى المتكلم المشهور ، كان على مذهب الأشعرى ، ومؤيدًا اتجاهاته ، سكن بغداد ، وصنف التصانيف الكثيرة فى علم الكلام توفى سنة ٤٠٣ هـ . (وفيات الوفيات : حـ ١ ص ٦٠٩) .

(٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (وخلاف الله) .

(٥) هو : هشام بن عمرو الفوطى ، كان من أصحاب أبى الهذيل ، فانحرف عنه أيضًا فعمّ عليه المعتزلة وانحرفوا عنه ، كذا ذكر ابن الإخشيد . وكان من أهل البصرة وسافر إلى عدة بلدان من البحر ، وكان داعية إلى الاعتزال ، استجاب له جماعة من أهل الأمصار ، وكان هشام يقول : إن الشيطان لا يدخل فى الإنسان ، وإنما يوسوس له من خارج والله جل عن ذلك يوصل وسوسته إلى قلب ابن آدم ليبتليه ، وله من الكتب ؛ كتاب المخلوق ، كتاب الردّ على الأصم فى نفى الحركات ، كتاب خلق القرآن ، كتاب التوحيد ، كتاب جواب أهل خراسان . (الفهرست : الفن الأول من المقالة الخامسة : ٢١٤) .

(٦) فى (أ ، ب) : (على أنه) .

(٧) فى (أ ، ب) : (هى) بدلًا من (من) .

وقال : نسأل من أنكر أن يكون علم الله تعالى هو غيره ، فنقول : أخبرونا ، إذا قلنا الله ، ثم قلنا : إنه عليم فهل فهم من قولنا : « عليم » شيئًا زائدًا غير ما فهمتم من قولنا (الله) أم لا ؟

فإن قلتم : لا . أحلتم .

وإن قلتم : نعم ، أثبتم معنى آخر هو غير الله ، وهو علمه ، وهكذا قالوا فى (قدير) وفى (قوى) وفى سائر ما ادَّعوا فيه الصفات .

وقال أيضًا : إننا نقول إنَّ الله تعالى عالم بنفسه ، ولا نقول[٨] قادر على نفسه ، فصح أن علمه تعالى غير قدرته ، وإذ هو غيرهما فهما غير الله تعالى ، وقد يعلم الله تعالى قادرًا من لا يعلمه عالمًا ، ويعلمه عالمًا من لا يعلمه قادرًا ، فصح أن كلَّ ذلك معانٍ متغايرة .

واحتج بهذا كله أيضًا من رأى أن علم الله تعالى لم يزل ، وأنه مع ذلك غير الله تعالى ، وأنه غير قدرته أيضًا ، واحتج بآيات من القرآن مثل قوله : « ولنبلُوَنكم حتَّى نعلمَ المجاهَدين مِنكُمْ والصَّابِرين[٩] » .

ومثل هذه .

* * *

قال أبو محمد : من قال بحدوث العلم فإنه قول عظيم جدًّا لأنه نصَّ بأن الله تعالى لم يعلم الأشياء[١٠] حتى أحدث لنفسه علما ، وإذا ثبت أن الله تعالى يعلم الآن الأشياء فقد انتفى عنه الجهل يقينًا ، فلو كان يومًا من الدَّهر لا يعلم شيئًا مما يكون فقد ثبت له الجهل به ولابد من هذا ضرورة ، وإثبات الجهل لله تعالى كفر بلا خلاف ، [لأنه وصفه تعالى بالنقص ، ووصفه يقتضى له الحدوث ولابدَّ ، وهذا باطل مما قدمنا من انتفاء جميع صفات الحدوث عن الفاعل تعالى ، وليس هذا من باب نفى الضدَّين عنه كنفينا عنه تعالى الحركة والسكون لأن نفى جميع الضدّين موجود عما ليس فيه أحدهما ولا كلاهما ، وأمّا إذا ثبت للموصوف بعض نوع من الصفات ، وانتفى عنه بعض ذلك النوع فلابدّ هاهنا ضرورة من إثبات ضدّه ، مثال ذلك الحجر ، انتفى عنه العلم والجهل ، وأما الإنسان إذا ثبت له العلم بشيء ، وانتفى عنه العلم بشيء آخر فقد وجب ضرورة إثبات الجهل له بما لم يعلمه ، وهكذا فى كل شيء[١١]] ؛ فإذ قد صحَّ هذا

(٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (إنه) .
(٩) محمد : ٣١ .
(١٠) فى (أ ، ب) : (شيئا) .
(١١) ما بين القوسين لم يذكر فى (خ) واعتمدنا فيه على (أ) حين مضاهاة النسخ بعضها ببعض .

فالواجب النظر [فى إفساد احتجاجهم ، فأمّا قولهم : لو كان علم الله لم يزل ، وهو غير الله تعالى لكان ذلك شركًا[١٢]] - فهو قول صحيح ، واعتراض لا يرد .

وأمّا قولهم : لو كان هو الله لكان الله علمًا ، فهذا لا يلزم على ما نبين بعد هذا إن شاء الله تعالى ، وجملة ذلك أننا لا نسمّى الله تعالى إلّا بما سمّى به نفسه ، ولم يسمّ نفسه علمًا ولا قدرة ، فلا يحل لأحد أن يسميه بذلك .

وأما قولهم : هل يفهم من قول القائل (الله) كالذى يفهم من قوله (عالم) فقط ؟ أو يفهم من قوله (عالم) معنى غير ما يفهم من قوله (الله) ؟

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : إننا لا نفهم من قولنا : قدير وعالم إذا أردنا بذلك الله عزَّ وجل إلّا ما نفهم من قولنا [الله فقط لأن كل ذلك أسماء أعلام لا مشتقة من صفة أصلًا ، لكن إذا قلنا هو الله تعالى بكل شىء][١٣] عليم ، ويعلم الغيب ، فإنما يفهم من كل ذلك أن هاهنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شىء ، ولا يفهم منه ألبتة أن له علمًا هو غيره ، وهكذا نقول فى (قدير) وفى غير ذلك ، وأمَّا قولهم إننا نقول : إنَّ الله تعالى عالم بنفسه ولا نقول : إنه قادر على نفسه ، فقد كذب من قال ذلك وأفك بل كلّ ذلك سواء ، وهو تعالى قادر على نفسه كما هو عالم بها ولا فرق ، فإن كلمونا هاهنا أجبناهم ، وقد سقط عنا هذا السؤال جملة ، وقد تكلمنا على تفصيل هذا السؤال بعد هذا . [ويلزمهم ضرورة إذ قالوا إنه تعالى غير قادر على نفسه أنه عاجز عن نفسه ، وإطلاق هذا كفر صريح][١٤].

وأمّا قولهم إنه قد يعلم الله قادرًا من لم يعلم أنه عالم ، ويعلمه عالمًا من لا يعلمه قادرًا فلا حجة فى ذلك ، لأن جهل من جهل الحق ليس حجة على الحق ، وقد نجد من يعلم الله عزَّ وجل ويعتقد فيه أنه تعالى جسم ، فليست الظنون حجة فى إبطال حق ، ولا تحقيق باطل ، فصحَّ أن علم الله تعالى حق وقدرته حق وقوته حق ، وكل ذلك ليس هو غير الله تعالى ، ولا العلم غير القدرة ، ولا القدرة غير العلم ، إذ لم يأت دليل بغير هذا لا من نصٍّ[١٥] ولا من سمع ، وبالله تعالى التوفيق .

وجهم بن صفوان سمرقندى يكنى أبا محرز ، مولًى لبنى راسب من الأزد ، وكان كاتبًا

---

(١٢) ما بين القوسين لم يذكر أيضًا فى (خ) واعتمدنا فيه على (أ) .
(١٣) لم يذكر ما بين القوسين فى (خ) ، واعتمدنا فيه على النسخة (أ) .
(١٤) لم يذكر ما بين القوسين فى (خ) ، واعتمدنا فيه على النسخة (أ) .
(١٥) فى (أ ، ب) : (بدلا من عقل) .

للحارث ابن سريج[١٦] التميمى ، أيام قيامه على نصر[١٧] بن سيّار ، أمير مرو بخراسان ، فظفر سلم[١٨] بن أحوز بجهم فى تلك الأيام فضرب عنقه .

* * *

قال أبو محمد : ومعنى كل ما جاء فى القرآن من الآيات التى ذكروا هو ما نبينه إن شاء الله تعالى بحوله عزّ وجل وقدرته ، وهو أنه لما أخبرنا الله عزّ وجل [بأن أهل النار لو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه ، وأخبرنا عزّ وجل][١٩]. أنه يعلم متى تقوم الساعة ، وأخبرنا بما يقول أهل الجنة وأهل النار قبل أن يقولا ، وسائر ما فى القرآن من الأخبار الصادقة عمّا لم يكن بعد ، علمنا بذلك أن علمه تعالى بالأشياء كلها متقدم لوجودها ولكونها ضرورة ، وعلمنا أن كلامه عزَّ وجل لا يتناقض ولا يتدافع ، وأن المراد بقول الله تعالى : « حتَّى نعلمَ المجاهِدين منْكُم[٢٠]» .

وسائر ما فى القرآن من مثل هذا إنما هو على ظاهره دون تكلف تأويل ، بل هى على المعهود بيننا كقوله تعالى : « فَقُولَا له قَوْلًا ليِّنًا لَعلَّه يتذكَّرُ أو يَخْشَى[٢١]» .

إنما هذا على حسب إدراك المخاطب ، ومعنى ذلك : حتى نعلم من يجاهد منكم مجاهدًا ، ونعلم من يصير منكم صابرًا ، وهذا لا يكون إلّا فى حين جهادهم وحين صبرهم ، وأمّا قبل أن يجاهدوا ويصبروا فإنما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين ، وأنهم سيجاهدون ويصبرون ، فإذا جاهدوا علمهم حينئذ مجاهدين ، وإنما الزّمان فى كل هذا للمعلوم ، وأمّا علمه تعالى ففى غير زمان

---

(١٦) الحارث بن سريج : هو : الحارث بن سريج بالسين المهملة لا بالشين كما جاء فى الأصل . التميمى : ثائر من الأبطال ، كان من سكان خراسان ، وخرج على أميرها سنة ١١٦ هـ فلبس السواد خالعًا طاعة بنى مروان (والخليفة حينئذ هشام بن عبد الملك) وداعيًا إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضى ، وسار إلى الفارياب ومنها إلى (بلخ) فقاتله أميرها فهزمه الحارث ودخلها ، ثم استولى على الجوزجان والطالقان ومرو الروز . وعظم أمره ، فقيل إن عدة جيشه بلغت ستين ألفًا ، ثم انهزم جيشه على أبواب (مرو) فغرق جمع كبير من أصحابه ، ولم يبق معه أكثر من ثلاثة آلاف ، فانصرف إلى بلاد الترك فأقام اثنتى عشرة سنة ، وأرسل إليه أمير خراسان نصر بن سيار رسلًا حملوا إليه أمان يزيد بن الوليد بعودته إلى خراسان ، فعاد إلى مرو سنة ١٢٧ هـ ، وردّ عليه نصر جميع ما أخذ له ، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما ، ولكنه خرج عليه طالبا منه أن يعمل بالكتاب والسنة وقاتل حتى قتل سنة ١٢٨ هـ . (الأعلام : ٢ / ١٥٥) .

(١٧) نصر بن سيار : هو : ابن رافع بن حرِّى بن ربيعة الكنانى ، أمير من الدهاة الشجعان ، كان شيخ مضر بخراسان ووالى بلخ ، ثم ولى إمرة خراسان سنة ١٢٠ هـ بعد وفاة أسد بن عبد الله القسرى ، ولّاه هشام بن عبد الملك وغزا ما وراء النهر ففتح حصونا ، وغنم مغانم كثيرة وأقام بمرو ، وقويت الدعوة العباسية فى أيامه فكتب إلى بنى مروان بالشام يحذرهم وينذرهم فلم يأبهوا للخطر ، فصبر يدبر الأمر إلى أن أعيته الحيلة ، وتغلب أبو مسلم على خراسان فخرج نصر من مرو سنة ١٣٠ هـ ، وصار ينتقل من بلد إلى بلد حتى مرض فى مغارة بين الرى وهمذان ومات بساوة سنة ١٣١ هـ .

(١٨) سلم بن أموز : وقع فى العبر ١ / ٦٦ (سلم بن أحور) بالراء المهملة ، وهو فى كل كتب المقالات بالزاى . وسلم (انظر مقالات الإسلاميين ١ / ١٣١ ، والتبصير ١٨ ، ٦٤ ، ومن كلام المؤلف نعلم أن سلم بن أحوز كان قائدًا من قواد نصر بن سيار فى خراسان فى أواخر بنى مروان . (الفرق بين الفرق : ٣٦) .

(١٩) ما بين القوسين لم يذكر فى (ح) . واعتمدنا فى ذكره على النسخة (أ) .

(٢٠) سورة محمد : ٣١ .

(٢١) سورة طه : ٤٤ .

وليس هاهنا تبدّل علم ، وإنما يتبدّل المعلوم فقط ، والعلم فى كل ذلك لم يزل غير متبدّل .

فإن قالوا : متى علم الله زيدًا ميتًا ؟ فإن قلتم لم يزل يعلمه ميتًا ، وجب أنَّ زيداً لم يزل ميتًا ، وهذا محال . وإن قلتم لم يعلمه ميتًا حتّى مات فهذا قولنا لا قولكم . فالجواب عن هذا أننا لا نقول شيئًا ممّا ذكروا(٢٢) ولكننا نقول : إن الله عزَّ وجل لم يزل أنه سيخلق زيدًا ، وأنه سيعيش كذا وكذا وسيموت فى وقت كذا ، فعلم الله تعالى بكل ذلك واحدٌ لا يتبدّل ولا يستحيل ، ولا زاد فيه تبدل الأحوال التى للمعلوم شيئًا ولا نقص منه عدمها شيئًا ، لا أحدث له حدوث ذلك علمًا لم يكن وإنما تغاير المعلومات لا العلم لا العليم ولا القدرة ولا القدير(٢٣).

والفرق بين القول متى علم الله زيدًا ميتًا .. ؟ وبين القول متى علمت زيدًا ميتًا .. ؟ فرق بيّن وهو علمى أن زيدًا مات وهو عرض حدث فى النفس بحدوث موت زيد ، وهو غير علمى أن زيدًا حى ، وأنه سيموت لأن علمى بأنَّ زيدًا سيموت إنما هو علم بحدوث(٢٤) حال سيحدث مقتضية لموته يومًا مّا . لا علمنا بوجود الموت ، وعلمى بأن زيدًا ميّت علم بوجود الموت فهو غير [العلم الأول وكلاهما عرض مخلوق فى النفس(٢٥)] وعلم الله تعالى ليس كذلك ، لأنه ليس هو شيئًا غير الله تعالى ، ولو كان علم الله تعالى محدثًا لوجب ضرورة أن يكون على حكم سائر المحدثات ، وبضرورة العقل نعلم أن العلم كيفيّة عرض ، والعرض لا يقوم ألبتة إلّا فى جسم ، ومحال أن يكون العلم محمولًا فى غير العالم(٢٦)، فكان يجب من هذا القول بالتجسيم ، وهذا باطل بما قدّمنا من البراهين على وجوب حدوث كل جسم وعرض ، فإن قال قائل : علم الله تعالى عرض حادث فى المعلوم قائم به لا بالبارى عزّ وجل ولا بنفسه قلنا وبالله تعالى التوفيق :

بنصِّ القرآن علمنا أنّ الله عزّ وجل عنده علم الساعة ، وعلم ما لا يكون أبدًا ، أو لو كان كيف كان يكون ، إذ يقول تعالى : « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِما نُهُوا عَنْه(٢٧)» .

وعلمه تعالى إذ قال لنوح عليه السلام : « أنَّه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قد آمَن(٢٨)» .

[وأخبر تعالى أنهم مغرقّون] فلو كان علم الله تعالى عرضًا قائمًا فى المعلوم ، والمعلوم الذى هو الساعة غير موجود بعد ، والعلم موجود بيقين ، فلابدَّ ضرورة من أحد أمرين لا ثالث لهما ؛ إمّا أن يكون المعلوم موجودًا لوجود العلم ، وهذا باطل بضرورة الحس ، لأنَّ المعلوم

(٢٢) فى (أ ، ب) : (مما ذكر) .
(٢٣) فى (ح) : سقط الكلام من قوله (وإنما تغاير المعلومات لا العلم ولا العليم ولا القدرة ولا القدير) .
(٢٤) فى (أ ، ب) : (بأنه ستحدث حال مقتضية) .
(٢٥) لم يذكر ما بين القوسين فى (خ) .
(٢٦) فى (أ ، ب) : بزيادة (به) .
(٢٧) سورة الأنعام : ٢٨ .
(٢٨) سورة هود : ٣٦ .

الذى ذكرنا معدوم فيكون معدومًا موجودًا فى حين واحد من جهة واحدة ، أو يكون العلم الموجود قائمًا بمعلوم معدوم ، فيكون عرضًا موجودًا محمولًا فى حامل معدوم ، وهذا تخليط ومحال فاسد ألبتة ، وإنما كلامنا هذا مع أهل ملتنا المقرين بالقرآن . وأمّا سائر الملل فلسنا نكلمهم فى هذا ، لأنها نتيجة مقدمات سوالف ، ولا يجوز الكلام فى النتيجة إلّا بعد إثبات المقدّمات ، فإن ثبتت المقدّمات ثبتت النتيجة ، والبرهان لا يعارضه برهان ، فكل ما ثبت ببرهان فعورض بشىء فإنّما هو شغب بلا شك ، وإن لم تصح المقدّمات فالنتيجة باطلة دون تكلف دليل . ومقدّمات ما ذكرنا هى إثبات التوحيد ، وحدوث العالم بنقل الكواف لنبوّة محمد ﷺ والقرآن [فإن ذكروا الآيات التى فى القرآن مثل : « لَعلّه يتذكّر أو يَخْشَى » لعلَكُمْ تُؤْمِنُون – لعلّكُمْ تشْكُرون – « لعلّكم تذكّرون »] .

ونحو ذلك فإنما هى كلها بمعنى لام العاقبة أى ليتذكر ، ولتؤمنوا ، وليشكروا وليتذكروا ، وليخشى ، على ظاهر الأمر عندنا من إمكان كل ذلك منا كما قال عزَّ وجل : « لِيَبْلوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلًا[٢٩] » .

وقال عزَّ وجل : « ثم لِتكُونوا شُيوخًا[٣٠] » .

فهذا أيضًا على الإمكان ممّن عاش ، والأول على الممكن من الناس عند الخطاب والدّعاء إلى الله تعالى ، وكذلك كل ما جاء فى القرآن بلفظة « أو » فإنما هو على أحد وجهين إمّا على الشّك من المخاطبين لا من الله تعالى ، وإمَّا بمعنى التخيير فى الكل كقول القائل : « جالس الحسن أو ابن سيرين »

برهان ذلك : ورود النص بأنه تعالى : لا يَضِلُّ ولا ينسى ، وأنه قد علم أن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب ، وكما قال تعالى : « أنَّه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلّا من قَدْ آمَن[٣١] » .

[وبهذا تتألف النصوص كلها] فلم يبق لأهل القول بحدوث العلم[٣٢] إلّا أن يقولوا إنه تعالى خلق شيئًا مّا كان حاملًا لعلمه بالسّاعة .

قال أبو محمد : وهذا من السخف ما هو من العلم لأن علم[٣٣] الله تعالى لا يقوم بغيره ، ولا يحمله سواه ، هذا أمر يُعلم بالضرورة والحسّ ، فمن ادَّعى دعوى لا يأتى عليها بدليل فهى

---

(٢٩) سورة الملك ٢٠ .
(٣٠) سورة غافر : ٦٧
(٣١) هود : ٣٦
(٣٢) فى الأصل (العالم) وهو تحريف .
(٣٣) فى (أ ، ب) : (علم العالم) .

باطلة فكيف إذًا أبطلها الحسُّ وضرورة العقل ، ويُبيِّن ما قلناه نصًا قوله تعالى حاكيًا عن نبيه موسى ﷺ أنه قال لبنى إسرائيل : « عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكم ويَسْتَخلِفكُمْ فى الأرضِ فيَنظُر كَيْفَ تَعْملون[٣٤] » .

هذا مع قوله تعالى : « وقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرائيلَ فى الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فى الأَرْضِ مَرَّتَيْن ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فإذا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهما بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولى بأسٍ شَدِيدٍ ، فَجاَسُوا خِلَال الدِّيارِ وَكانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمْ الكَرَّةَ عَلَيْهم ، وأَمْدَدْنَاكُم بأموالٍ وبَنِين ، وجَعَلْنَاكُم أَكْثَر نَفيرًا ، إِنْ أَحْسَنْتُم أَحْسَنْتُم لِأَنْفُسِكُم وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها ، فإذا جَاءَ وَعْدُ الآخرة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلوا الْمَسْجدَ كَما دَخَلُوه أَوَّلَ مَرَّة ، وليُتبرِّوا ما عَلَوا تَتْبِيرًا ، عَسى رَبُّكم أن يرحمكم وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا[٣٥] » .

فهذا نصٌّ قولنا إنه تعالى قد علم ما يفعلون ، وأخبر بذلك ، ثمّ مع هذا أخرج الخطاب بالمعهود عندنا بلفظ « عسى » . و« فينظر » .

* * *

قال أبو محمد : فإذ قد صحّ ما ذكرنا فقد ثبت ضرورة أنّ قول القائل : متى علم الله زيدًا ميّتا سؤال فاسد بالضرورة لأن « متى » سؤال عن زمان وعلم الله تعالى ليس فى زمان أصلًا [لأنه ليس هو غير الله تعالى ، وقد مضى البرهان على أنَّ الله تعالى ليس فى الزمان] ولا فى مكان ، وإنّما الزّمان والمكان للمعلوم فقط بما بيّنا ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « وَلَا يُحيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِه إِلَّا بما شاءَ[٣٦] » .

فقال إنَّ « مِنْ » للتبعيض ، ولا يتبعض إلَّا مخلوق محدث ، ولا يحاط إلا بمخلوق محدث[٣٧]، وقد نص الله تعالى على أنه لا يحاط[٣٨] إلَّا بما شاء من علمه فوجب أنَّ علمه مخلوق ؛ لأنه يحاط ببعضه ، وهو متبعض .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أنَّ كلام الله تعالى واجب أن يُحمل على ظاهره ، ولا يحال عن ظاهره ألبتة إلا أن يأتى نصٌّ أو إجماع أو ضرورة حسٍّ ، على أن شيئًا منه ليس على ظاهره ، وأنه قد نقل عن ظاهره إلى معنى آخر ، فالانقياد واجب علينا لما أوجبه من ذلك النص أو الإجماع

(٣٤) سورة الأعراف : ١٢٩ .

(٣٥) سورة الإسراء : ٤ - ٨ .

(٣٦) البقرة : ٢٥٥ .

(٣٧) فى (خ) : لم تذكر : (ولا يحاط إلا بمخلوق محدث) .

(٣٨) فى (أ ، ب) : (يحاط مما شاء) .

أو الضرورة ، لأنَّ كلام الله تعالى وأخباره وأوامره لا تختلف والإجماع لا يأتى إلَّا بحق ، والله تعالى لا يقول إلَّا الحق ، وكلُّ ما أبطله برهان ضرورى فليس بحق ، فإذ هذا كما قلنا ، وقد ثبت ضرورة أنَّ [علم] الله تعالى ليس عرضًا ولا جسمًا [أصلًا لا محمولًا فيه ، ولا فى غيره] ولا هو شىء غير البارى تعالى فبالضرورة نعلم أنَّ معنى قوله عزّ وجل : « وَلَا يُحيطونَ بشيءٍ مِنْ عِلْمِه »

إنما المراد العلم المخلوق الذى [أعطاه عباده] وهو عرض فى العالمين من عباده [محمول فيهم ، وهو مضاف إليه عزّ وجل بمعنى الملك] وهذا لا شك فيه ، لأنه لا علم لنا إلَّا ما علّمنا . قال الله تعالى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ العِلْمِ إلَّا قَليلًا[٣٩] » .

يريد الله تعالى ، ما خلق من المعلوم وبثّها فى عباده [كما قال الخَضْر لموسى عليهما السلام : إنّى على علم من الله لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا ، وما نقص علمى وعلمك من علم الله إلَّا كما نقص هذا العصفور من البحر]

* * *

قال أبو محمد : فهذه إضافة الملك كما بينا ، وإنّما أضيف العلم هاهنا إلى الله تعالى [إضافة] ملك ، كما قال تعالى : « هَذَا خَلْقُ اللهِ[٤٠] » .

وكما قال تعالى فى عيسى عليه السلام : « إنه روح الله[٤١] » .

وهذا كله إضافة الملك ، فهذا معنى قوله تعالى : « وَلَا يُحيطونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِه إلَّا بمَا شَاء[٤٢] » .

وقد نفى الله تعالى الإحاطة من الخلق به ، فقال عزَّ وجل : « وَلَا يُحيطُون بِه عِلْمًا[٤٣] » .

* * *

قال أبو محمد : ويخرّج أيضًا على ظاهره أحسن خروج دون تأويل ولا تكلف فيكون معنى قوله تعالى : « ولا يُحيطُون بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِه إلَّا بما شَاء »

---

(٣٩) الإسراء : ٨٥ .

(٤٠) سورة لقمان : ١١ . والكلام من قوله « كما بينا إلى هذا خلق الله » سقط من (أ ، ب) .

(٤١) ليس هناك نص بهذا اللفظ وإنما ورد قوله تعالى : « ولكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ١٧١ النساء .

(٤٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٤٣) سورة طه : ١١٠ .

أى من العلم بالله تعالى ، وهذا حقٌّ لا شكَّ فيه لأننا لا نحيط من العلم به تعالى إلَّا ما علَّمنا فقط ، قال تعالى : « وَلَا يُحيطُونَ بِه عِلْمًا »

فيكون معنى « مِنْ عِلْمِه » أى من معرفته .

فإن قالوا : ما معنى دعائكم الله فى الرحمة والمغفرة ؟ وهل يخلو أن يكون قد سبق علمه بالرَّحمة ، فأىُّ معنى للدّعاء فيما لابدَّ منه ؟ وهل يكون[٤٤] إلَّا كمن دعا فى طلوع الشمس غدًا ، أو فى أن يجعل إنساناً إنساناً ، أو فى أن تكون الأرض أرضًا ، وإن كان قد سبق فى علمه تعالى خلاف ذلك فأىُّ معنًى للدُّعاء[٤٥] فيما لا يكون .. ؟ وهل هو إلَّا كمن دعا فى ألَّا تقوم السَّاعة ، أو فى ألَّا يكون النَّاسُ ناسًا ؟

فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق : الدعاء عمل أمرنا الله تعالى به لا على أنه يردّ قَدَرًا ، ولا أنه يكون من أجله ما لا يكون ، لكن الله عزّ وجل قد جعل فى سابق علمه الدعاء الذى سبق فى علمه قبوله[٤٦] يدعى به سببًا لما سبق فى علمه كونه ، كما جعل فى سابق علمه الغذاء بالطعام والشّراب سببًا لبلوغ الأجل ؛ الذى سبق فى علمه البلوغ إليه ، وكذلك سائر[٤٧] الأعمال ، وقد نص تعالى أنه يعلم آجال العباد ، قال تعالى : « فإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يستأخِرُون سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُون[٤٨]» .

ومع ذلك فقد جعل تعالى الأكل والشرب سببًا إلى استيفاء ذلك المقدار وكل ذلك سابق فى علمه عزَّ وجل ، والدُّعاء هكذا ، وكذلك التداوى على سبيل الطب ، ولا فرق ، وقد أخبرنا تعالى أنه يصلّى على نبيّه ﷺ وأمرنا مع ذلك بالدّعاء بالصّلاة عليه ، وقال تعالى : « قال رَبِّ احْكُمْ بَالْحَقّ[٤٩]» . فأمرنا بالدّعاء بذلك ، وقد علّمنا أنه تعالى لا يحكم إلَّا بالحق فصح ما قلنا [من أنَّ الدُّعاء عمل أمرنا به فنحن نعمله حيث أمرنا عزَّ وجل ، ولا نعمله حيث لم نؤمر به][٥٠] والحمد لله ربّ العالمين ، فإذ قد بطل بعون الله تعالى وتأييده قول من قال إنَّ علم الله تعالى هو غير الله تعالى وهو مخلوق فلنتكلم بعون الله تعالى وتأييده على قول من قال : إنَّ علم الله تعالى هو غير الله تعالى وخلافه ، وأنه لم يزل مع الله عزَّ وجل .

قال أبو محمد : هذا قول لا يحتاج فى ردّه إلى أكثر من أنه شرك مجرّد ، وإبطال للتوحيد ،

---

(٤٤) فى (أ ، ب) : (وهل هو) .
(٤٥) فى (أ ، ب) : (فى الدعاء) .
(٤٦) فى (خ) : سقطت كلمة (قبوله) . وكلمة (يدعى به) سقطت من (أ ، ب) .
(٤٩) سورة الأنبياء : ١١٢ ، وقد ورد النص فى الأصل (قل رب احكم) وهو تحريف .
(٤٧) فى (أ ، ب) : (مساير) وهو تحريف .
(٥٠) فى (خ) : سقط الكلام الذى بين القوسين .

لأنه إذا كان مع الله تعالى شئٌ غيره لم يزل معه فقد بطل أن يكون الله تعالى كان وحده بل قد صار له شريك فى أنه لم يزل ، وهذا كفر مجرّد ، ونصرانية محضة [مع أنها دعوى ساقطة بلا دليل أصلاً(٥١)] . وما قال بهذا قط أحد من أهل الإسلام قبل هذه الفرقة المحدثة بعد(٥٢) الثلاثمائة سنة فهو خروج عن الإسلام ، وترك للإجماع المتيقّن ، وقد قلت لبعضهم : إذا(٥٣) قلتم إنه لم يزل مع الله تعالى شىء آخر هو غير الله تعالى وخلافه لم يزل معه فلماذا أنكرتم على النصّارى فى قولها : « إنَّ الله ثالِثُ ثَلَاثة ؟ فقال لى مصرِّحًا : ما أنكرنا على النَّصارى إلَّا اقتصارهم على الثلاثة فقط(٥٤)، ولم يجعلوا معه تعالى أكثر من ذلك .

فأمسكت عنه إذ(٥٥) صرَّح بأنَّ قولهم أدخل فى الشّرك من قول النّصارى . [وقولهم هذا ردٌّ لقول الله عزَّ وجل : « قل هو الله أحد »

فلو كان مع الله غير الله لم يكن الله أحد .

قال أبو محمد : وما كنّا نصدّق أنَّ(٥٦) من ينتمى إلى الإسلام يأتى بهذا الكفر لولا أنَّا شاهدناهم وناظرناهم ، ورأينا ذلك صراحًا فى كتبهم ككتاب السمنانى(٥٧) قاضى الموصل فى عصرنا هذا ، وهو من أكابرهم ، وفى كتاب المجالس للأشعرى وفى كتب لهم أخر(٥٨).

قال أبو محمد : والعجب من هذا كله تصريح الباقلّانى ، وابن فورك فى كتبهما فى الأصول وغيرها أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حدٍّ واحد ، وهذه حماقة ممزوجة بكفر(٥٩)، إذ جعلوا ما لم يزل محدودًا بمنزلة المحدثات ، وكل ما أدخلناه على المنانية والنصارى ، ومن يبطل التوحيد فهو

---

(٥١) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .

(٥٢) فى (خ) : (قبل) وهو تحريف .

(٥٣) فى (أ ، ب) : (إذ) .

(٥٤) قوله ر ما أنكرنا) هذا الذى قاله ابن حزم لم تقل به الأشاعرة ولا غيرهم ، وهم إنما أنكروا على النصارى إثباتهم من يتصف بالألوهية معه جل شأنه ، وحاشا أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام (نقلا عن هامش النسخة ب) ص ١٣٥ .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (أنْ) .

(٥٦) فى (ب) : (من أن) .

(٥٧) السمنانى هو : محمد بن أحمد بن محمد السمنانى أبو جعفر ، قاضٍ حنفى ، أصله من سمنان العراق ، نشأ ببغداد ، وولى القضاء بالموصل إلى أن توفى بها ، وكان مقدّم الأشعرية فى وقته ، وشنع عليه ابن حزم ، له تصانيف فى الفقه ، توفى سنة ٤٤٤ هـ . (الأعلام : ٦ / ٢٠٦) .

(٥٨) قوله « وفى كتب لهم أخر » إن كان الذى فى الكتب هو ما صرح به ابن حزم فهو كذب على الأشعرى لأن كتبه وكتب أصحابه ناطقة بخلاف ذلك ، وإن كان إثبات صفات لله زائدة عن ذاته فهو ظاهر القرآن ولا يقتضى شركا ولا شيئا مما قاله ابن حزم (نقلا عن هامش النسخة ب ص ١٣٦) . وقد راجعنا كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى فى الرد على الجهمية ، فرأينا أنه يؤكد وجود صفة العلم لله تعالى على نحو ما ذكرت الآيات القرآنية من غير اتجاه إلى تأويل أو تعطيل . راجع كتاب الإبانة من ٣٨ وما بعدها ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٧٥ .

(٥٩) فى (أ ، ب) : (يهوس) .

داخل على هذه الفرقة حرفًا حرفًا[٦٠] فأغنانا أن نحيل على ذلك عن تكراره ، ونعوذ بالله من الخذلان[٦١].

قال أبو محمد : هذا مع قولهم إنَّ التغاير لا يكون إلَّا فيما جاز أن يوجد أحدهما دون الآخر .

قال أبو محمد : وهذه غاية السخافة لأنها دعوى بلا برهان عليها لا من قرآن ولا من سنّة ، ولا معقول ولا من لغة أصلًا ، وما كان هكذا فهو باطل ، ويلزمهم على هذا أن الخلق ليسوا غير الخالق ، لأنه لا يجوز أن يوجد الخلق دون الخلق ، فإن قالوا : جائز أن يوجد الخالق دون الخالق . قلنا : نعم فمن أين لكم أن أحد التغاير هو أنه لا يجوز أن يوجد أحدهما أيهما كان دون الآخر .. ؟ وهذا ما لا سبيل لهم إليه ، ويلزمهم لزومًا لا ينفكون عنه أن الأعراض ليست غير الجواهر ، لأنه لا يجوز ألبتة ، ولا يمكن ولا يتوهم وجود أحدهما دون الآخر جملة ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وحدّ التغاير الصحيح هو ما شهدت له اللغة وضرورة الحسّ والعقل ، وهو كل اسمين[٦٢] جاز أن يخبر عن أحدهما بخبر[٦٣] لا يخبر به عن الآخر فهما غيرّان لابدَّ من هذا ، وبالجملة ما لم يكن هو الشيء[٦٤] نفسه فهو غيره ، وما لم يكن غير الشيء نفسه[٦٥] فهو نفسه وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فإذ قد بطل بعون الله تعالى وتأييده قول من قال إن علم الله تعالى هو غير الله تعالى ثم جعله مخلوقًا أو لم يزل فلنقل فى سائر الأقوال فى هذه المسألة إن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوّة إلَّا بالله العليِّ العظيم .

قال أبو محمد : وأمّا[٦٦] من قال :إنَّ علم الله تعالى ليس هو ولا هو غيره ولكنّه صفة ذات

---

(٦٠) فى (أ ، ب) : (حرفا حرف) .

(٦١) قول ابن حزم « تحت حدٌّ واحد » : هذا لا يقوله هذان الإمامان فإن عندهما علم الله قديم ، وعلمنا حادث فكيف يشترك القديم مع الحادث فى حدٌّ واحد ، فلعل لهما كلامًا لم يفهمه ابن حزم فتخيل منه ذلك ، (نقلا عن هامش ب ص ١٣٦) ونحن نميل إلى هذا الرأى .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (مسميين) .

(٦٣) فى (أ ، ب) : (بخبر ما) .

(٦٤) فى (أ ، ب) : (غير الشئ) .

(٦٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (نفسه) الأولى .

(٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وأمّا) .

لم يزل فكلام فاسد [محال] متناقض يبطل بعضه بعضًا لأنهم إذا قالوا : إنَّ علم الله تعالى ليس هو الله فقد أوجبوا بهذا القول ضرورة أنه غيره ، ثم إذا قالوا : ولا هو غيره فقد أبطلوا الغيرية ، وأوجبوا بهذا القول ضرورة أنه هو ، فصح أنه سواء قول القائل لا هو هو ولا هو[٦٧] غيره ، وقول القائل هو هو : وهو غيره فإنَّ معنى القضيتين[٦٨] واحد لا يختلف ، وكلا العبارتين باطل متناقض لا يعقل نفى وإثبات معًا . وهذا تخليط الممرورين نعوذ بالله من الخذلان ، والعجب من احتجاج بعضهم فى هذا الباطل بأن قال : الطول[٦٩] ليس هو الطويل ولا هو غيره .

قال أبو محمد : وهذا من أطم ما يكون من الجهل والمكابرة إذ لا يدرى هذا القائل : أنَّ الطويل جسم جوهر قائم بنفسه حامل لطوله ولسائر أعراضه ، وأن الطول عرض من الأعراض محمول فى الطويل غير قائم بنفسه ، فمن جهل أنَّ المحمول غير الحامل ، وأن القائم بنفسه هو غير ما لا يقوم بنفسه فهو عديم حس . وينبغى له أن يتعلّم قبل أن يهذّد[٧٠]. ونحن نريه الطين الطويل يدور فيذهب الطول والتربيع ويأتى التدوير ، والذى كان طويلًا باق بحسّه ، فهل يخفى على سائر التمييز أنَّ الذاهب غير الجائى[٧١]، وأن الفانى غير الباقى ، فبالضرورة نعلم أنَّ الطول غير الطويل ، ثم نقول لمن تعلّق بهذه العبارة الفاسدة أخبرونا : هل يخلو كل اسمين متغايرين من أحد وجهين ضرورة لا ثالث لهما ألبتة .. ؟ إمَّا أن يكون الاسمان واقعين معًا على شىء واحد يعبّر بذنيك الاسمين عن[٧٢] ذلك الشىء الذى علقا عليه . وإمَّا أن يكون الاسمان واقعين على شيئين اثنين يعبَّر بكل اسم منهما على حدته عن الشىء الذى علق عليه ذلك الاسم ؟

هذان وجهان لابدَّ من أحدهما ضرورة لكل اسمين ، وأىّ هذين كان فهو مبطل لتخليط من قال : لا هو هو ، ولا هو[٧٣] غيره ، وقد زاد بعضهم فى الشعوذة والسفسطة وإبطال[٧٤] الحقائق فأتى بدعوى فاسدة ، وذلك أن قال : لا يكون الشىء غير الشىء إلَّا إذا أمكن أن ينفرد أحدهما عن الآخر .

قال أبو محمد : وهذه دعوى مجرّدة لا دليل[٧٥] عليها ، فلو لم يكن إلَّا هذا السقط وهذا التمويه ، فكيف وهى قضية فاسدة .. ؟ لأنها توجب أنَّ كلية الأعرض ليست غير كلية

---

(٦٧) فى (أ ، ب) : (ولا غيره) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (هاتين) .
(٦٩) فى (أ ، ب) : (إن الطول) .
(٧٠) فى (أ ، ب) : أن يعلم قبل أن يهدر .
(٧١) فى (أ ، ب) : (الآتى) .
(٧٢) فى (أ ، ب) : (على) .
(٧٣) فى (أ ، ب) : (ولا غيره) .
(٧٤) فى (أ ، ب) : (وإفساد) .
(٧٥) فى (أ ، ب) : (بلا دليل) .

الجواهر ، لأنه لا سبيل إلى انفراد الجواهر عن الأعراض ، ولا انفراد الأعراض عن الجواهر ، فكفى فسادًا بكل هذيان أدّى إلى مثل هذا التخليط .

قال أبو محمد : حدُّ التغاير فى الغيرين : هو كل[٧٦] شىء أخبر عنه بخبر مّا ، لا يكون ذلك الخبر فى ذلك الوقت خبرًا عن الشىء الآخر فهو بالضرورة غير ما لا يشاركه فى ذلك الخبر ، وليس فى كل ما يعلم ويوجد شيئان يخلوان من هذا الوصف بوجه من الوجوه ، وهذا مقتضى لفظ الغير فى اللغة ، وبالله تعالى التوفيق .

مع أنَّ هذا أمر يعلم بضرورة الحسّ والعقل .

وحدُّ الهوية : هو أنَّ كلَّ ما لم يكن غير الشىء فهو هو بعينه ، إذ ليس بين الهوّية والغيرية[٧٧] وسيطة يعقلها أحدٌ ألبتة ، فما خرج عن أحدهما دخل فى الآخر ولابدّ .

[وأيضًا فكل اسمين مختلفين لا يخبر عن مسمى أحدهما بشىء إلَّا كان ذلك الخبر خبرًا عن مسمى الاسم الآخر[٧٨]] ولابدَّ أبدًا فمسماهما واحدٌ بلا شك ، فإذ قد صح فساد هذا القول فلنقل بعون الله تعالى فى عبارة الأشعرى الأخرى ، وهو قوله : « لا يقال هو هو[٧٩]، ولا يقال هو غيره » . فنقول : إنه لم يزد فى هذه العبارة على أن قال : « لا يقال فى هذا شىء » .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأنه لابدَّ ضرورة من أحد هذين القولين أو قول ثالث وهو نفى الغيرية ، وإن لم يطلق هو هو ، أو نفى الهوية ، وإن لم يطلق أنه غيره فسقط هذا القول[٨٠] أيضًا إذ ليس فيه بيان الحقيقة .

وأمّا قول أبى الهذيل : إن علم الله تعالى هو الله فإنها تسمية منه للبارى تعالى باستدلاله فلا يجوز أن يسمَّى[٨١] الله تعالى ولا يوصف[٨٢] باستدلال ألبتة ؛ لأنه بخلاف كلِّ ما خلق فلا دليل يوجب تسميته بشىء من الأسماء التى يسمّى بها شىء من خلقه ، ولا أن يوصّف بصفة يوصف بها شىء من خلقه ، [ولا أن يخبر عنه بما يخبر به عن شىء من خلقه ؛ إلَّا أن يأتى نص

---

(٧٦) فى (أ ، ب) : (أن كل) .

(٧٧) الهُوِيَّه : تسبه إلى الضمير (هو) فى مقابل النسبة إلى كلمة (غير) وحقيقة الهوية عند الفلاسفة يقصد بها ماهية الشىء وحقيقته .

(٧٨) لم يذكر ما بين القوسين فى (خ) .

(٧٩) فى (أ) : وهو قوله (هو هو) بحذف (لا يقال) والمعنى عليه لا يستقيم فهو يريد أن يبطل قول الأشعرى . وهذا لا يتأتى إلا بذكر (لا يقال) .

(٨٠) الكلام من قوله « أو قول ثالث إلى هذا القول » لم يذكر فى (أ) .

(٨١) فى (أ ، ب) : (أن يخبر عن) .

(٨٢) فى (أ ، ب) : (ولا أن يسمى) .

بشىء من ذلك فيوقف عنده[٨٣]] فمن وصفه تعالى بصفة يوصف بها شىء من خلقه ، أو سمّاه باسم يسمّى به شىء من خلقه استدلالًا على ذلك بما وجد فى خلقه فقد شبّهه تعالى بخلقه ، وألحد فى أسمائه ، وافترى الكذب .

ولا يجوز أن يسمّى الله تعالى ، ولا أن يخبر عنه إلّا بما سمَّى به نفسه ، أو أخبر به عن نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، أو صحَّ به إجماع جميع أهل الإسلام المتيقّن ولا مزيد ، وحتى ولو كان[٨٤] المعنى صحيحًا ، فلا يجوز أن يطلق عليه تعالى اللفظ ، وقد علمنا يقينا أنه تعالى بنى السماء [قال تعالى : والسماء بنيناها بأيد[٨٥]] .

ولا يجوز أن يسمّى بنَّاء . وأنه تعالى خلق أصباغ النبات والحيوان ، وأنه تعالى قال : « صبغة الله[٨٦]» .

ولا يجوز أن يسمى صبَّاغا ، وهكذا كل شىء لم يسمّ به نفسه ، وليس يجب أن يسمّى الله تعالى بأنه هو علمه ، وإن صحّ يقينا أن المراد بقوله تعالى أن له علمًا ليس هو غيره لما ذكرنا ، وبالله تعالى التوفيق ، وقد صحّ أنّ ذات الله تعالى ليست غيره ، وأنَّ وجهه ليس غيره ، وأن نفسه ليست غيره ، وأنّ هذه الأسماء لا يعبّر بها إلّا عنه عزَّ وجل لا عن شىء غيره تعالى ألبتة ، ولا يجوز أن يقال إنه تعالى ذات ، ولا أنه وجه ، ولا أنه نفس ، ولا أنه علم ، ولا أنه قدرة ، ولا أنه قوّة لما ذكرنا من امتناع أن يسمَّى بما لم[٨٧] يسمِّ به نفسه عزَّ وجل[٨٨].

وأمّا علم المخلوقين فهو شىء غيرهم بلا شك لأنه يذهب ويعاقبه جهل ، والبارى تعالى لا يشبهه غيره ، ولا شىء من خلقه ألبتة[٨٩] فى شىء من هذه الأشياء ألبتة بل هو تعالى خلاف خلقه فى كلِّ وجه فوجب أن علمه تعالى ليس غيره ، قال تعالى : « لَيْسَ كَمثْلِه شىء[٩٠]» .

قال أبو محمد : فإن قال لنا قائل إذَنْ العلم عندكم ليس هو غير الله تعالى ، وأن قدرته ليست غيره ، وأن قوته ليست غيره تعالى ، فأنتم إذن تعبدون العلم والقدرة والقوة ؟

---

(٨٣) الكلام الذى بين القوسين لم يذكر فى (ح) .
(٨٤) فى (أ ، ب) : (وإن كان) .
(٨٥) الذاريات : ٤٧ .
(٨٦) سورة البقرة : ١٣٨ .
(٨٧) فى (أ ، ب) : (أن يسمَّى عالم) وهو تحريف ظاهر .
(٨٨) فى (أ ، ب) : (عن رجل) وهو تحريف ظاهر لقوله (عز وجل) .
(٨٩) فى (أ ، ب) : لم تذكر جملة (ولا شىء من خلقه ألبتة) .
(٩٠) سورة الشورى : ١١ .

فجوابنا فى ذلك وبالله تعالى التوفيق : إننا إنما نعبد الله تعالى بالعمل الذى أمرنا به لا بما سواه ، ولا ندعوه إلّا كما أمرنا تعالى ، قال الله عزّ وجل : « ولله الأسماءُ الحُسْنى فادْعُوه بها ، وذَرُوا الذين يُلْحِدونَ فى أسْمَائه[٩١] » .

وقال تعالى : « وَمَا أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدوا الله مُخْلِصينَ له الدِّين[٩٢] » .

فنحن لا نعبد إلّا الله تعالى كما أمرنا ، ولا نقول إننا نعبد العلم لأنَّ الله تعالى لم يطلق لنا أن نطلق هذا اللفظ ، ولا أن نعتقده .

ثم نسألهم[٩٣] عما سألونا عنه بعينه ، فنقول لهم : أنتم تقرّون أنّ وجه الله تعالى وعين الله ، ويد الله ، ونفس الله ، ليس شيء من ذلك غير الله تعالى بل كل[٩٤] ذلك عندكم هو الله ، فأنتم إذن تعبدون الوجه ، والعين ، واليد ، والذات ؟!

فإن قالوا نعم . قلنا لهم : فقولوا فى دعائكم يا يد الله ارحمينا ، ويا عين الله ارضى عنا ، ويا ذات الله اغفرى لنا ، فإيّاك نعبد . وقولوا : نحن خلق وجه الله ، وعبيد عين الله ، فإن جسروا على ذلك فنحن لا نجيز الإقدام على ما لم يأذن به الله ، ولا نتعدّى حدوده ، فإن شهدوا فلا نشهد معهم . « ومَنْ يَتَعَدَّ حُدُود الله فَقَدْ ظَلَم نَفْسَه[٩٥] » .

والذى ألزمونا من هذا هو لازم لهم لابدَّ ، لأنه سؤال رضوه وصححوه ، ومن رضى شيئًا لزمه ، ونحن لم نرض هذا السؤال ولا صححناه فلا يلزمنا وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(٩١) سورة الأعراف : ١٨٠ .
(٩٢) سورة البينة : ٥ .
(٩٣) فى (أ ، ب) : (نسالهم) وهو تحريف .
(٩٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .
(٩٥) سورة الطلاق : ١ .

« الكلام فى سميع بصير وفى قديم »

قال أبو محمد[1]: وأجمع المسلمون على أن القول بما جاء به القرآن[2] من أنه[3] تعالى : سميع بصير ، ثم اختلفوا فقالت طائفة من أهل السنّة والأشعرية[4]، وجعفر بن حرب[5] من المعتزلة ، وهشام بن الحكم[6]، وجميع المجسمة – نقطع[7] أنَّ الله سميع بسمع بصير يبصر .

وذهبت طوائف من أهل السنة منهم : الشّافعى ، وداود بن على الأصفهانى[8] إمام أهل

---

(١) فى (أ) : زيادة (رضى الله عنه) .

(٢) فى (أ ، ب) : نص القرآن .

(٣) فى (أ) : من أن الله تعالى .

(٤) الأشاعرة : هم فرقة أسسها الإمام أبو الحسن الأشعرى بعد أن اختلف مع المعتزلة وقد وضح مذهبهم ومآخذه على المعتزلة فى مقدمة كتابه (الإبانه) ، ويقرر الأشعرى أنَّ الأشاعرة جاءوا لإحياء آراء الإمام أحمد ، ومن مبادئهم أنهم يرون أن تكون للصالحين كرامة ، ويأخذون ما جاءت به السنة من عقائد ، وللمذهب الأشعرى أنصار كثيرون منهم : أبو بكر الباقلانى المتوفى ٤٠٣ هـ ، والإمام الغزالى المتوفى ٥٠٥ هـ ، والإمام البيضاوى المتوفى ٧٠١ هـ ، والسيد الشريف الجرجانى المتوفى ٨١٦ هـ . (تاريخ المذاهب الإسلامية : للشيخ محمد أبو زهره : حـ ١ ص ١١٠) .

(٥) جعفر بن حرب : (١٧٧ – ٢٣٦ هـ) : هو جعفر بر حرب الهمدانى من أئمة المعتزلة من أهل بغداد أخذ الكلام عن أبى الهذيل العلاف بالبصرة ، وصنف كتبا ، قال الخطيب البغدادى : إنها معروفة عند المتكلمين ، وكان له اختصاص بالواثق العباسى ، قال المسعودى : وإلى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام . (الأعلام : للزركلى) .

(٦) راجع ص

(٧) فى (خ) : (بقطع) .

(٨) داود الظاهرى : هو داود بن على بن خلف الأصبهانى أبو سليمان الملقب بالظاهرى أحد الأئمة المجتهدين فى الإسلام ، تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسن ، وإعراضها عن التأويل والرأى والقياس ، وكان داود أول من جهر بهذا القول ، سكن بغداد ، وانتهت إليه رئاسة العلم فيها ، قال ثعلب : كان عقل داود أكبر من علمه ، وله تصانيف كثيرة أوردها النديم . توفى ٢٧٠ هـ (الأعلام) .

الظاهر[٩]، وعبد العزيز بن مسلم الكنانى[١٠] رضى الله عنه ، وغيرهم – إلى أن الله سميع بصير ، ولا نقول بسمع ولا ببصر ، لأن الله تعالى لم يقله[١١]، ولكن سميع بذاته ، بصير بذاته .

قال أبو محمد : وبهذا نقول . ولا يجوز إطلاق سمع ولا بصر حيث لم يأت به نصٌّ لما ذكرنا آنفًا لا يجوز أن يخبر عنه تعالى إلَّا[١٢] بما أخبر به عن نفسه .

واحتجّ من أطلق على الله تعالى السمع والبصر : بأن قال لا يعقل السميع إلا بسمع ولا[١٣] البصير إلا ببصر . ولا يجوز أن يسمَّى بصيرًا إلا من له بصر ، ولا يسمّى سميعًا إلَّا من له سمع .

واحتجوا أيضًا فى هذا وما ذهبوا إليه « من أنَّ الصفات متغايرة » – بأنه[١٤] لا يجوز أن يقال إنه تعالى يسمع المبصرات ، ولا أنه يبصر المسموعات من الأصوات . وقالوا : هذا لا يعقل .

قال أبو محمد : وكلا[١٥] هذين الدليلين شغبى فاسد .

أمّا قولهم : لا يعقل السميع إلا بسمع ، ولا البصير[١٦] إلا ببصر . فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق .

أما فيما بيننا فنعم ، وكذلك أصلًا لم نجد قط فى شيء من العالم الذى نحن[١٧] فيه سميعًا إلَّا بسمع ، ولا وُجد فيه بصيرٌ إلا ببصر – فإنه لم يوجد فيه[١٨] سميع إلَّا بجارحة يسمع بها ، ولا وجد فيه قط عالم إلَّا بضمير فلزمهم أن يجُروا على الله عزَّ وجلَّ هذه الأوصاف . وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وهم لا يقولون هذا ، ولا يستجيزونه .

---

(٩) فى (أ) : لا توجد كلمة (الأصفهانى إمام أهل الظاهر) .

(١٠) هو عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكنانى المكى ، فقيه مناظر ، كان من تلاميذ الشافعى يلقب بالغول لدمامته ، وقدم بغداد فى أيام المأمون فجرت بينه وبين بشر المريسى مناظرة فى القرآن . من تصانيفه كتاب يسمى « الحيدة » ورسالة فى مناظرة « بشر المريسى » توفى عام ٢٤٠ هـ . (الأعلام ٥ / ٢٧٠) .

(١١) فى (ح) : لم تذكر جملة (لأن الله تعالى لم يقله) .

(١٢) فى (أ ، ب) : (ما لم يخبر عن نفسه) .

(١٣) فى (أ ، ب) : بزيادة (ولا يعقل) .

(١٤) فى (أ) : من أنه .

(١٥) فى (أ ، ب) : و(خ) : (وكل) .

(١٦) فى (أ ، ب) : (ولا يعقل البصر) .

(١٧) فى (خ) : (نجد) بدلًا من (نحن) وهو تحريف .

(١٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (قط أيضا فيه) .

وأمّا المجسمة : فإنهم أطلقوا هذا وجوّزوه ، وقد مضى نقض قولهم بعون الله تعالى وتأييده ، ويلزم الطائفتين كلتيهما إذا قطعوا بأنّ[١٩] له تعالى سمعًا وبصرًا لأنه سميع بصير ، ولا يمكن أن يكون سميع بصير ، إلّا إذا سمع وبصر ، لا سيّما وقد صحّ النصُّ بأن له تعالى عينًا وأعينا أن يقولوا : إنه ذو حدقة ، وناظر ، وطباق فى العين ، وذو أشفار ، وأهداب لأنه لم[٢٠] يشاهد فى العالم ، ولا يمكن ألبتة أن تكون عينٌ لذى[٢١] عين يرى بها ويبصر إلّا هكذا ، وإلّا فهى عينٌ ذاتُ عاهةٍ ، أو كعيون بعض الحيوان التى لا يطبقها[٢٢]. وكذلك لا يكون فى المعهود ، ولا يمكن ألبتة أن يكون سميعٌ فى العالم إلّا بأُذنٍ ذاتِ صِماخٍ ، فيلزمهم أن يثبتوا هذا كلّه ، وإلّا فقد أبطلوا استدلالهم ، وزوّروا[٢٣] استشهادهم بالمعهود والمعقول . فإن أطلقوا هذا كلّه تركوا مذهبهم ، وخرجوا إلى أقبح قول المجسّمة مما لا يرضى به أكثر المجسمة . وقد ذكرنا فساد قولهم قبلُ . والحمد لله رب العالمين .

فإذا جوّزوا أن يكون البارى تعالى سميعًا بصيرًا بغير جارحة ، وهذا خلاف ما عهدوا فى العالم ، وجوزوا أن يكون له تعالى عين بلا حدقة ولا ناظرٍ ولا طباق ، ولا أهدابٍ ، ولا أشفار – وهذا أيضًا خلاف ما عهدوا فى العالم فلا ينكروا قول من قال : إنه سميع لا بسمع ، بصيرٌ لا ببصر ، وإن كان ذلك بخلاف ما عهدوا فى العالم .

على أن بين القولين فرقا واضحًا ، وهو أننا نحن لم نلتزم أن نحل تسميته عز وجل قياسًا على ما عندنا[٢٤]، بل ذلك حرام لا يجوز ، ولا يحل ، لأنه ليس فى العالم شىء يشبهه عزَّ وجل فيقاس[٢٥] عليه . قال تعالى : « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير[٢٦]» .

فقلنا[٢٧]: إنه سميع بصير لا كشىء من البصراء ، ولا السامعين ممَّا فى العالم ، وكل سميع وبصير فى العالم فهو ذو سمع وبصر ، فالله تعالى بخلاف ذلك بنص القرآن فهو سميع كما قال ، لا يسمع كالسّامعين ، وبصير كما قال لا يبصر كالمبصرين ، لا يسمَّى ربنا تعالى إلّا بما سمَّى به نفسه فقط[٢٨]، ولا يخبر عنه إلّا بما أخبر به عن نفسه[٢٩] فقط .

قال تعالى : « وهو السميع البصير » .

---

(١٩) ى (أ ، ب) (بأن لله تعالى) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : (لأننا نشاهد فى العالم)
(٢١) ى (أ) : الذى وهو تحريف .
(٢٢) ى (ح) : لعله يطبقها .
(٢٣) ى (أ ، ب) : و(زودوا) بالدال وهو تحريف
(٢٤) فى (أ ، ب) : على ما عهدنا .
(٢٥) ى (ح) : فيقال عليه .
(٢٦) سورة الشورى : ١١ .
(٢٧) فى (أ ، ب) : نعم . إنه سميع بصير .
(٢٨) ى (أ) : سقطت كلمة (فقط) .
(٢٩) ى (ح) . سقط قوله (ولا يخبر عنه إلا بما أخبر به عن نفسه) .

فقلنا : نعم . هو السميع البصير[٣٠]، ولم يقل تعالى : إن له سمعًا وبصرًا . فلا يحلّ لأحدٍ أن يقول : إن له سمعًا وبصرًا . فيكون قائلًا على الله تعالى بلا علم ، وهذا لا يحل ، وبالله تعالى نعتصم .

وأما خصومنا : فإنهم أطلقوا : أنه لا يكون إلّا كما عهدوا فى العالم[٣١] من كل سميع وبصير فى أنه ذو سمع وبصرٍ[٣٢]، فيلزمهم ضرورة ألا يكون إلا كما عهدوا من كل سميع وبصير فى[٣٣] أنه ذو جارحة يسمع بها ويبصر بها ولابدَّ . ولولا تلك الجارحة ما سمى أحدٌ فى[٣٤] العالم سميعًا ولا بصيرًا ، ولا أبصر أحدٌ شيئًا ، فإن ذكروا قول الله تعالى: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُون[٣٥]» .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق :

هذه الآية أعظم حجة عليكم لأن الله تعالى نصَّ فيها على أنهم لم يروا بعيونهم ما يتعظون به ، ولا سمعوا بآذانهم ما يقبلونه من الهدى ، فلما كانت العيون والآذان ، لا ينتفع بهما[٣٦]، استحقوا[٣٧] الذّم والنكال – فلولا أن العين والأذن بهما يكون السمع والبصر ضرورة لابدَّ لا بشىء دونهما – ما استحق الذّم[٣٨] من رزق أذنًا وعينًا سالمتين ، فلم يسمع بهما ويبصر ما يهتدى به بعون الله عزَّ وجل له ، وما كان يكون معنى لذكر الله عزّ وجل العينَ والأذنَ فى السمع والبصر بهما لو جاز أن يكون سمعٌ وبصرٌ دونهما ، فبطل قولهم بالقرآن ضرورة ، وبالحسِّ وبديهة العقل ، والحمد لله رب العالمين .

وأمَّا ما موَّهوا به من قولهم : إنه لو[٣٩] أنَّ له سمعًا وبصرًا لجاز أن يقال : إنه يسمع الألوان ، ويرى الأصوات ، فهذا كلام لا يطلق فى كل شىء على عمومه ، لأننا إنما خوطبنا بلغة العرب ، فلا يجوز أن نستعمل غيرها فيما خوطبنا به ، والذى ذكرتم من رؤية الأصوات ، وسماع

(٣٠) سقط هذا التعبير من (خ) من أول (فقلنا نعم . هو السميع البصير) .
(٣١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (فى العالم) .
(٣٢) فى (أ ، ب) : (فى أنه ذو جارحة يسمع بها ويبصر) .
(٣٣) فى (خ) : سقط الكلام من قوله (ألا يكون إلا كما عهدوا من كل سميع وبصير فى) .
(٣٤) فى (أ) : (من) بدلا من (فى) .
(٣٥) سورة الأعراف : ١٧٩ .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (بها) .
(٣٧) فى (أ ، ب ، خ) : استحق .
(٣٨) فى (خ) : سقطت كلمة (الذم) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : (لولا) .

الألوان لا يطلق فى اللغة التى بها[٤٠] خوطبنا فيما بيننا ، فليس لنا أن ندخل فى اللغة ما ليس فيها إلَّا أن يأتى بذلك نص ، فنغلبه[٤١] على اللغة .

ثم نقول : إنه لو قال قائل : إنه تعالى سميع للالوان ، بصر بالاصوات بمعنى انه[٤٢] عالم بذلك لكان ذلك[٤٣] جائزًا ولما منع من ذلك برهان ، فنحن نقول سمعنا[٤٤] الله عزَّ وجل يقول كذا وكذا ، ورأينا الله تعالى يقول كذا وكذا ، ويأمر بكذا ويفعل كذا ، بمعنى علمنا . فهذا لا ينكره أحد ، ولا فرق بين هذا وبين ما سألوا عنه .

وأيضًا فإن الله عز وجل يقول : « أَوَلَمْ يَرَوْا إلى الَطّيرِ فوقَهم صَافَّاتٍ ويَقْبِضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إلا الرَّحْمَنُ ، إنَّه بكلِّ شيءٍ بصير »[٤٥].

وهذا عموم لكل شيء كما قلنا ، فلا يجوز أن يخص به شيءٌ دون شيءٍ إلَّا بنص آخر أو إجماع ، أو ضرورة ، ولا سبيل إلى شيءٍ من هذا فصح ما قلناه وبالله تعالى التوفيق .

وقال تعالى : « يعلم السِّرَّ وأَخْفَى »

فصح أن بصيرًا وسميعًا وعليمًا[٤٦] بمعنى واحد .

ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق : إنه تعالى بإجماعٍ منَّا ومنكم هو السميع البصير ، وهو أحدٌ غير متكثّر ، ولا نقول إنَّ السميع[٤٧] للألوان ، البصير بالأصوات إلَّا على الوجه الذى قلناه . وليس[٤٨] يوجب أنَّ السميع غير البصير ، فالذى أردتم[٤٩] ساقط ، وإنما اختلفت معلوماته ، وإنما هو تعالى واحد ، وعلمه بها كلها واحد ، يعلمها كلَّها بذاته ، لا بعلمٍ[٥٠] هو غيره ألبتة ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : أتقولون إنَّ الله عزَّ وجل لم يزل سميعًا بصيرًا ؟

---

(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (بها)
(٤١) فى (أ ، ب) : (فنقبله) وهو تحريف .
(٤٢) فى (أ ، ب) : (بمعنى عالم بها) .
(٤٣) فى (ح) : سقطت (ذلك) .
(٤٤) فى (أ) . (سمعت)
(٤٥) سورة الملك : ١٩ .
(٤٦) فى (خ) لم تذكر كلمة (عليما) .
(٤٧) فى (أ ، ب) : أنه السميع البصير بالأصوات .
(٤٨) فى (أ ، ب) . وليس ذلك .
(٤٩) فى (أ ، ب) : فالذى أردتم إلزامه ساقطة .
(٥٠) فى (أ ، ب) : (لا يعلم) وهو تحريف .

قلنا : نعم ، لم يزل تعالى سميعًا بصيرًا ، عفوًّا غفورًا ، عزيزًا قديرًا[٥١] وهكذا كل ما جاء فى القرآن فيه[٥٢]، « وكان الله سميعًا بصيرًا »

ونحو ذلك ، لأن قوله عزَّ وجل « كان » إخبارٌ عن ما لم يزل ، وإذا أخبر بذلك عن نفسه لا عمن سواه ، فإن قالوا : أتقولون : لم يزل الله خالقًا خلَّاقًا رازقًا .

قلنا : لا نقول هذا ، لأن الله تعالى لم ينص على أنه كان خالقًا خلَّاقًا ، رازقًا[٥٣] رزاقًا لكنا نقول : لم يزل الخلَّاق الرزَّاق ، ولم يزل الله تعالى لا يخلق ولا يرزق ثم خلق ورزق من خلق ، وهذا يوجب ضرورة أنها أسماء « أعلام » لا مشتقة لأنه لو كان « خالق ورازق » مشتقين من خَلَقَ ورَزَق ، لكان لم يزل ذا خلق يخلقه ويرزقه[٥٤].

فإن قيل : فإنَّ السميع والبصير ، والرحمن ، والرحيم ، والعفوَّ والغفور والملك ، كلّ ذلك يقتضى مسموعًا ومبصرًا ، ومرحومًا ، ومغفورًا له ، ومعفوًّا عنه ومملوكًا .

قلنا : المعنى فى « سميع وبصير » عن الله تعالى هو المعنى فى (عليم) ولا فرق . وليس ما يظن أهل العلم من أنَّ له سمعًا وبصرًا مختصَّين[٥٥]بالمسموع والمبصر تشبيهًا بخلقه سوى علمه ، لأنَّ الله تعالى لم ينصَّ على ذلك فيلزمنا أن نقوله : ولا يجوز أن يخبر عن الله تعالى بغير ما أخبر به[٥٦] عن نفسه لأن الله تعالى يقول : « لَيْسَ كَمِثْلِه شَىءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيَر » .

فصحَّ أنه تعالى : « سميعٌ ليس كمثله شىءٌ من السَّامعين ، بصيرٌ لا كمثل شىء[٥٧] من البصراء .

فإن قال قائل : أتقولون إنَّ الله تعالى لم يزل يسمع ويرى ويدرك ؟

قلنا : نعم ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ قال : « إنَّنى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى »[٥٨].

وقال تعالى : « وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبصار »[٥٩].

وقال تعالى : « والله يَسْمَع تَحَاوُرَكُمَا »[٦٠].

(٥١) فى (أ ، ب) : بزيادة (رحيما) .
(٥٢) فى (أ) : بـ (كان الله) كما جاء (كان الله سميعا بصيرًا) .
(٥٣) سقط الكلام فى (خ) من قوله : (قلنا لا نقول هذا ، لأن الله تعالى لم ينص على أنه كان خالقا خلّاقا ، رازقا .
(٥٤) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « وهذا يوجب ضرورة أنها أسماء ... إلى قوله (ويرزقه) » .
(٥٥) فى (خ) : سقطت كلمة (مختصين) .
(٥٦) فى (أ) : سقطت كلمة (به) .
(٥٧) فى (خ) : لم يذكر الكلام من أول قوله : « فصحح أنه تعالى إلى قوله : لا كمثل شىء » .
(٥٨) سورة طه : ٤٦ .
(٥٩) سورة الأنعام : ١٠٣ .
(٦٠) سورة المجادلة : ١ .

وصحَّ الإجماع بقول « سمع الله لمن حمده » ، وصحَّ النص ، « ما أَذِنَ الله لِشيءٍ ما أذن لنبيٍّ حَسَنِ الصَّوتِ يتغنَّى بالْقُرآنِ »[٦١].

فنقول : إنه يسمع ويرى ، ويدرك كل ذلك بمعنى واحد ، وهو معنى يُعلم ولا فرق .

وأما الإذن لنبيٍّ حسن الصَّوت ، فهو من الإذن بمعنى القبول ، كما يأذن الحاجب للمأذون له فى الدُّخول ، وليس من الأُذن التى هى الجارحة ، ولو كان[٦٢] ما تظنون لكان بصره للمبصرات ، وسمعه للمسموعات محدثًا ، ولكان غير سميع حتى سمع ، وغيرَ بصير حتَّى أبصر ، ولم يدرك حتَّى أدرك . وحاشا لله من هذا ، فكل هذا[٦٣] بمعنى العلم ، ولا مزيد .

فإن قيل : فإنَّ الله تعالى يقول : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ ويخْتارُ »[٦٤].

قلنا : نعم . وخلق الله تعالى : فعلٌ له محدَث ، واختياره تعالى هو خلقه لا غيره . وليس هذا من « يسمع » و« سمع » و« يرى » و« يدرك » فى شىء ، لأنَّ معنى كل هذا ومعنى العلم سواء . ولا يجوز أن يكون معنى (يخلق ويختار) معنى العلم .

وأمّا العفوُّ ، والغفور ، والرحيم ، والحليم ، والملك ، فلا يقتضى وجود[٦٥] شىءٍ من هذا وجود مرحوم معه ، ولا معفوٍّ عنه ، مغفور له معه ، ولا مملوك مرحوم عنه معه ، بل هو تعالى : رحيم بذاته ، عفوٌّ بذاته ، غفور بذاته ، ملك بذاته ، مع النص الوارد بأنه تعالى : كان كذلك ، وهى أسماء أعلام له عزَّ وجل .

فإن ذكروا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : « ما بينهم وبين أن يروه إلَّا رداء الكبرياء على وجهه لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره »[٦٦].

ففى هذا الخبر إبطال لقولهم ، لأن[٦٧] البصر منتهٍ ذو نهاية وكل ذى نهاية محدود ، وكل محدود محدث[٦٨] وهم لا يقولون هذا ، ومعناه : أن البصر قد يستعمل فى اللغة بمعنى الحفظ .

---

(٦١) رواه البخارى فى فضائل القرآن رقم ١٩ ، وفى باب التوحيد ٣٢ ، ومسلم فى المسافرين ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، وأبو داود فى الوتر ، والنسائى فى الافتتاح ، والدارمى فى الصلاة وفضائل القرآن ، وابن ماحة فى الإقامة .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (كما) تظنون .

(٦٣) فى (خ) : وكل بمعنى العلم .

(٦٤) القصص : ٦٨ .

(٦٥) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (وجود) .

(٦٦) الحديث : رواه مسلم فى الإيمان رقم ٣٩٣ ، وابن ماجة فى المقدمة رقم ١٣ ، وأحمد بن حنبل : ٤ / ٤٤ ، ٤٠٥ . ولفظ الحديث عند مسلم : « إن الله عزَّ وجل لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، (وفى رواية أبى بكر النار) ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

(٦٧) فى (أ ، ب) : لأن فيه أن البصر .

(٦٨) فى (خ) : لم يذكر (وكل ذى نهاية محدود ، وكل محدود محدث) .

قال النابغة :

رأيــتك ترعــالى بعين بصيرةٍ وتبــعث حرَّاسًا علــىَّ وناظــرًا[٦٩]

فمعنى هذا الخبر ، لو كشف تعالى الستر[٧٠] الذى جعل دون سطوته لأحرقت عظمته ما انتهى إليه حفظه ، ورعايته من خلقه . وكذلك قول عائشة رضى الله عنها : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات » .

إنما هو بمعنى : أنَّ علمه وسع كل ذلك : « يعلم السرَّ وأَخْفَى »[٧١] ثم نزيد[٧٢] بيانًا بعون الله تعالى فنقول : إنَّ قولكم لا يُعقل سميع إلا بسمع ، ولا بصيرٌ إلا ببصر »

فإن كان هذا صحيحًا يوجب أن يقال : إنَّ لله تعالى[٧٣] سمعًا وبصرًا فإنه لا يعقل من له مكر إلَّا وهو ماكر ، ولا من كان من الماكرين إلَّا وهو ماكر ، ولا يعقل أحدٌ ممن[٧٤] يستهزىء إلَّا وهو مستهزءى ، ولا يعقل أحد ممن يكيد إلَّا وهو كيَّاد . ولا يعقل أحد ممن له كيد ومكر إلا وهو كيَّادٌ وماكر ، ولا خادع إلَّا ويسمى : الخادع[٧٥].

ولا يعقل من نَسِيَ إلَّا وهو ناسٍ وذو نسيان ، وهذا هو الذى لا سبيل إلى[٧٦] أن يوجد فى العالم خلافه . وقد قال تعالى : « وَأَكِيدُ كيدًا »[٧٧].

وقال تعالى : « اللهُ يسْتَهْزِئُ بِهِمْ »[٧٨].

وقال تعالى : « وَهُوَ خَادِعُهُمْ »[٧٩].

وقال تعالى : « أفأمنوا مكر الله »[٨٠].

---

(٦٩) النابغة : شاعر جاهلى ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى ، كنيته أبو أمامه ولقبه النابغة ، لقب به لنبوغه فى الشعر ، وإكثاره منه بعد ما احتنك ، وهذا البيت ضمن قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه ، وقيل : إن النعمان كان مريضا فقالها . ومطلعها :

كتمــتك ليــلًا بالجمــوحين ساهــرًا وهــمّين : همًّــا مستكيــا وظاهــرًا

(ديوان النابغة الذبيانى – تحقيق كرم البستانى – دار صادر ببيروت : ص ٦٣ ، ٦٤)..

(٧٠) فى (خ) : سقطت كلمة (الستر) .

(٧١) سورة طه : ٧ .

(٧٢) فى (خ ، ب) : (تريد) بدلا من (نريد) وهو تحريف .

(٧٣) فى (أ ، ب) : (الله) .

(٧٤) فى (أ) : (مما) .

(٧٥) فى (أ) : ولا يكون خادع إلا يسمي الخادع الخداع وذو خدائع .

(٧٦) فى (ح) : لم تذكر كلمة (إلى) .

(٧٧) سورة الطارق : ١٦ .

(٧٨) البقرة : ١٥ .

(٧٩) النساء : ١٤٢ .

(٨٠) الأعراف : ٩٩ .

وقال تعالى : « ومَكَرُوا وَمَكَرَ الله ، والله خَيْر الماكرين »[٨١].

وقال تعالى : « وَمَكَرُوا مَكْرًا ، ومكرنا مَكْرًا »[٨٢].

وقال تعالى : « فلِلّه المكْرُ جَميعًا »[٨٣].

وقال تعالى : « نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ »[٨٤].

وقال تعالى : « سَخِر الله مِنْهُم »[٨٥].

فيلزمهم إذا سمَّوا[٨٦] ربّهم ووصفوه من طريق استدلالهم (و) قياسهم[٨٧] وما شاهدوه فى الحاضر عندهم أن يسمّوه ماكرًا ، فيقولون : يا ماكر ارحمنا ، ويسمُّوا بينهم : « عبد الماكر » ، وكذلك القول فى الكيّاد والمستهزىء ، والخدّاع ، والناس ، والساخر . وإلَّا فقد تناقضوا وتلاعبوا بصفات ربهم تعالى وبدينهم .

فإن قالوا : هذه الصفات ذمٌّ وعيب ، وإنما نصفه عزَّ وجل بصفات المدح لزمهم مصيبتان عظيمتان[٨٨]؛ إحداهما : إطلاقهم أنَّ الله عزَّ وجل أخبر عن نفسه فى هذه الآيات بصفات الذَّم والعيب ، وهذا كفر .

والثانية : أن يصفوا ربَّهم بكل صفة مدح وحمد فيما بينهم ، وإن لم يأت بها نصٌّ ، وإلَّا فقد تناقضوا وقصَّروا[٨٩]، فيصفوه بأنه عاقل ، وأنه شجاع ، جلد ، سخى ، حسن الأخلاق ، نزيه النفس ، تام المروءة ، كامل الفضائل ، ذو هيئة[٩٠]، نبيل ، نعم المرء .

ويقولوا : إنَّه تيَّاهٌ قياسًا على أنه تعالى : جبّارٌ ، متكبر .

ويقولوا : إنه مستكبر[٩١]، فهو والمتكبر فى اللغة سواء . وذو تيه وعجب ، وزهو ، ولا فرق . بين هذا وبين المكر والكبرياء[٩٢] فإن فعلوا هذا خرجوا عن الإسلام بالإجماع إلَّا أن يعتذروا[٩٣]

(٨١) آل عمران : ٥٤ .
(٨٢) هذه الآية سقطت من (أ ، ب) وهى من سورة النمل : ٥٠ .
(٨٣) سورة الرعد : ٤٢ . وقد ذكرت فى الأصل محرفة (قل لله) .
(٨٤) سورة التوبة : ٦٧ .
(٨٥) سورة التوبة : ٧٩ .
(٨٤) سورة التوراة : ٦٧ .
(٨٥) سورة التوراة : ٧٩ .
(٨٦) فى (خ ، ب) : (سمعوا) بدلًا من (اسمّوا) .
(٨٧) فى (خ) : لم يذكر (استدلالهم قياسهم) .
(٨٨) لم تذكر (عظيمتان) فى (خ) .
(٨٩) فى (خ) : لم تذكر كلمة (وإلا فقد تناقضوا وقصروا) .
(٩٠) فى (خ) : سقطت كلمة (ذو هيئة) .
(٩١) فى (خ) : سقطت كلمة (إنه مستكبر) .
(٩٢) فى (خ) : سقط قوله (بين هذا وبين المكر والكبرياء) .
(٩٣) فى (أ ، ب) : (يُعْذروا) .

بشدَّة الجهل وظلمته وعماه ، وأن يفرُّوا عن ذلك ، ويتركوا[٩٤] ما دانوا به من تسمية الله تعالى ، ووصفه بأنَّ له سمعًا وبصرًا ، وسائر ما وصفوه تعالى به بآرائهم الفاسدة ممّا لم يأت به نص ، كقولهم : قديم ، ومتكلم ، ومريد ، وأن له تعالى : إرادة لم تزل ، وسائر ما اجترءوا[٩٥] عليه بغير برهان من الله عزَّ وجل .

وأيضًا : فإنَّ هذه الصفات التى منعوا منها لأنها بزعمهم صفات ذم ، فإن السمع والبصر والحياة أيضًا صفات نقصٍ لأنها أعراض دالَّة على الحدوث[٩٦] فيمن هى فيه .

فإن قالوا : ليست لله تعالى كذلك .

قيل لهم : ولا تلك الصفات أيضًا ، إذا أطلقتموها عليه أيضًا صفات ذم[٩٧] ولا فرق . ولقد قال لى بعضهم : إنما قلنا : إن الله تعالى يكيد ، ويستهزىء ويمكر ، وينسى ، وهو خادعهم ، وتشبيههم[٩٨] بأنه تعالى يقارضهم على هذه الأفعال منهم بجزاء يسمى بأسمائها .

فقلت له[٩٩]: نعم . هكذا نقول ، ولم ننازعك فى هذا فتستريح إليه ، بل قلنا لكم سمّوه تعالى : مستهزئا ، وكيَّادًا ، وخدَّاعًا ، وماكرًا ، وناسيًا ، وساخرًا على معنى أنه مقارضهم[١٠٠] على هذه الأفعال منهم بجزاء يسمى بأسمائها كما قلتم فى الأفعال[١٠١] سواء بسواء[١٠٢].

وقد قلتم : إنَّ الأفعال توجب لفاعلها أسماء فعلها ولا فرق[١٠٣]. فسكت خاسئًا . وهذا ما لا انفكاك منه . وبهذا وبما ذكرنا يعارض كل من قال : إننا سمّينا الله عزَّ وجل عالمًا لنفى الجهل . قادرًا لنفى العجز ، متكلمًا لنفى الخرس . وحيًّا لنفى الموت ؛ لأنهم[١٠٤] لا ينفكّون من هذا ألبتة .

وأمَّا نحن فلولا النص الوارد « بعليم » و« قدير » ، وعالم الغيب والشهادة ، وقادر على أن يخلق مثلهم ، والحى – لما جاز أن يسمى تعالى بشىء من هذا أصلًا ولا يجوز أن يقال حىٌّ بحياة ألبتة .

(٩٤) فى (أ ، ب ، خ) : (تركوا) وهو تحريف .
(٩٥) فى (خ) : (أخبروا عليه) وهو تحريف .
(٩٦) فى (خ) : (الحدث) .
(٩٧) فى (خ) : لم تذكر كلمة (ذم) .
(٩٨) فى (أ ، ب) : (على معنى أنه) .
(٩٩) فى (أ ، ب) : (لهم) .
(١٠٠) فى (أ ، ب) : (مقارض لهم) .
(١٠١) فى (أ ، ب) : (كما قلتم فى يكيد ، ويستهزىء ، وينسى ، وهو خادعهم) .
(١٠٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (ولا فرق) .
(١٠٣) فى (أ ، ب) : سقطت (ولا فرق) .
(١٠٤) فى (أ ، ب) : (فإنهم) .

فإن قالوا : كيف يكون حىٌّ بلا حياة ؟

قلنا لهم : وكيف يكون حىٌّ غير حسَّاس ، ولا متحرك بإرادة ، ولا ساكن بإرادة .. ؟ هذا ما لا يعقل ألبتة . ولا يعرف ولا يتوهم ، ولا يجرون(١٠٥) عليه تعالى الحسَّ ، ولا الحركة ولا السكون .

فإن قالوا : إنَّ تسميتنا إيَّاه حكيمًا يغنى عن « عقل . وكريمًا يغنى عن سخىّ وجبارًا متكبرًا يغنى عن متجبر ، ومستكبر ، وتياهٍ وزاهٍ . وقويًا يغنى عن شجاع وجلد .

قلنا : هذا ترك منكم لما أصَّلتموه من إطلاق السمع والبصر والحياة والإرادة وأنه متكلم . واحتجاجك : بإن من كان سميعًا لابدَّ(١٠٦) له من سمع ، ومن كان بصيرًا لابدَّ(١٠٧) له من بصر . ومن كان حيًا لابدَّ له من حياة . ومن كان مريدًا فلابدَّ له من إرادة ، ومن كان له كلام فهو متكلم فأطلقتم كل هذا على الله تعالى بلا برهان .

فإذا(١٠٨) ناب عندكم ما ورد به النص من حكيم وقوىٍّ وكريم ومتكبر وجبار عن عاقل وشجاع وسخى ومجبر ومستكبر وتيَّاه ، وزاه – فلم تجيزون أن تسمُّوا البارى عزَّ وجلَّ بشىء من هذا ؟ فكذلك فقولوا كما قلنا نحن إن سميعًا ، وبصيرًا وحيًا ، وله كلام ، ويريد ، يغنى عن تجويز ذكر السمع ، والبصر ، والإرادة ، ومتكلم ولا فرق .

هذا على أن قولكم : إنَّ قويًا يغنى عن شجاع خطأ ، فرب قوى غير شجاع ، وشجاع غير قوى . وكذلك أيضًا كان الرحمن يغنى عن الرَّحيم(١٠٩). والخالق يغنى عن البارى وعن المصوّر .

فإن قالوا : لا يجوز الاقتصار على بعض ما أتى به النص ، ولا يجوز التعدِّى إلى ما لم يأت به النص .

قلنا لهم : قد اهتديتم ، ووفقتم لرشدكم(١١٠)، ولقيتم ربّكم تعالى بحجة ظاهره فى أنكم لم تتعدّوا حدوده ، ولا ألحد تم فى أسمائه ، ولا خالفتم ما أمركم به وبالله تعالى التوفيق .

مع أنَّ الذى ألزمناهم هو : ألزم لهم مما(١١١) التزموه لأن بالضرورة نعلم نحن وهم أن الفعل

---

(١٠٥) فى (أ ، ب) : زهم يجرون .
(١٠٦) فى (أ ، ب) : (فلا) .
(١٠٧) فى (أ ، ب) : (فلابد) .
(١٠٨) فى (أ ، ب) : (فإن) .
(١٠٩) فى (أ ، ب) : (رحيم) .
(١١٠) فى (خ) : سقط (ووفقتم لرشدكم) .
(١١١) فى (خ) : (بما) .

لا يقوم بنفسه ، ولابدَّ له[١١٢] ضرورة من أن يضاف إلى فاعله فلابدَّ أيضًا من إضافة الفاعل إليه ، على معنى وصفه بأنه تعالى[١١٣]: فعله .

هذا ما لا يقوم فى العقل وجود شيء من العالم بخلاف هذه الرتبة ، وقد وجدنا فى العالم أشياء كثيرة لا تحتاج إلى وصفها بصفة لتنفى عنها ضدَّ تلك الصفة كالسماء والأرض ، لا يجوز أن يوصف منها شيء بالبصر لنفى العمى ، ولا بالعمى لنفى البصر . فإذا لم نضطر إلى ذلك فى وصف الأشياء فيما بيننا بطل قياسهم البارى تعالى على بعض ما فى العالم ، وكان إطلاق شيء من جميع الصفات على خالق[١١٤] الصفات والموصوفين أبعد وأشد امتناعًا إلّا بما سمَّى به نفسه فَنُقِرُّ بذلك ، وندرى أنه حق . ولا نتعدَّاه إلى ما سواه . أفلا يستحى من التزم إذا وجد أشياء فى[١١٥] العالم توصف بالحياة لنفى الموت ، وبالبصر لنفى العمى ، فأجرى[١١٦] قياسه هذا الفاسد على ربه[١١٧] تعالى من أن تسميته مستهزئًا وكيَّادًا ، وقد قال تعالى : « إنه يستهزىء ويكيد » فهلّا إذا وفقه الله تعالى للإمساك عن تصريف الفعل هاهنا جرى على ذلك التوفيق .. ؟ فلم يزد على ما[١١٨] نص الله تعالى عليه من سميع وبصير وحى شيئًا أصلًا ، ولكنَّ التناقض سهل على[١١٩] من لم يعتصم بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، واستعمل رأيه وقياسه فى دينه ، وفيما يجريه على الله تعالى ، نعوذ بالله من الضلال والخذلان ، وبهذا يبطل إلزام من أراد من المعتزلة إلزامنا أن نسمى الله تعالى مسيئًا لخلقه السيئات ، وشرًّا[١٢٠] لخلقه الشرور .

قال أبو محمد[١٢١]: وقد شغب بعضهم فيما ادَّعوه أنَّ كل صفة أضافوها إلى الله تعالى فهو غير سائر صفاته – بأنّ الله تعالى موصوف بأنه .لا يعلم[١٢٢] نفسه ، ولا يوصف بالقدرة على نفسه .

قالوا : فلو كان العلم والقدرة واحدًا لجريا فى الإطلاق مجرى واحدًا .

قال أبو محمد : وقد بينا بطلان هذا فى كلامنا قبل بعون الله عزَّ وجل .

---

(١١٢) فى (خ) : سقطت كلمة (له) .
(١١٣) فى (أ ، ب) : (بأن فعله هذا ما لا يقوم) .
(١١٤) فى (خ) : (خلاف) وهو تحريف .
(١١٥) فى (أ ، ب) : (من) بدلًا من (فى) .
(١١٦) فى (أ ، ب) : (ولم يجر) وهو خطأ فى المعنى .
(١١٧) فى (أ) : سقطت كلمة (على ربه) .
(١١٨) فى (أ ، ب) : سقطت (ما) .
(١١٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .
(١٢٠) فى (أ ، ب) : (وشرير الشرور) .
(١٢١) فى (أ ، ب) : بزيادة (رضى الله عنه) .
(١٢٢) فى (أ ، ب) : موصوف بأنه يعلم نفسه ، فسقطت كلمة (لا) .

ونزيد بعون الله تعالى بيانًا فنقول ، وبه نتأيّد :

إنَّ التغاير إنما يقع فى المعلومات ، والمقدورات ، لا فى القادر ولا فى العالم . ولا شك عندنا وعندهم فى أنَّ « العليم » و« القدير » — واحدٌ ، وهو تعالى « عليم بنفسه » ، ولا يقال عندهم قدير على نفسه ، فإذا لم يوجب هذا الحكم أن يكون القدير غير العليم ، فهو غير موجب أن يكون العلم غير القدرة بلا شك .

ثم نقول لهم : أخبرونا عن علم الله تعالى بحياة زيد قبل موته ، وبإيمانه قبل كفره ، هل هو العلم بموته وكفره أو هو غير العلم بذلك .. ؟

فإن قالوا : إنَّ العلم بموت زيد هو غير العلم بحياته ، وعلمه بإيمانه هو غير علمه بكفره ، لزمهم تغاير العلم ، والقول بحدوثه ، وهم لا يقولون هذا .

وإن قالوا : علمه تعالى بإيمان زيد هو علمه بكفره ، وعلمه بكفره هو علمه بإيمانه[١٢٣]، وعلمه بحياة زيد هو علمه بموته .

قيل : فإنَّ[١٢٤] تغاير المعلوم تحت العلم لا يوجب تغاير العلم فى ذاته عندكم ، فمن أين أوجبتم[١٢٥] أن تغاير المعلوم والمقدور موجب لتغاير العلم والقدرة .. ؟

والحقيقة من كل ذلك : أنه لا حقيقة أصلًا إلَّا الخالق تعالى وخلقه ، وأنَّ كل ما[١٢٦] نصَّ الله تعالى عليه من وصفه لنفسه ، ومن أسمائه فلا يحل لأحدٍ أن يخبر عنه تعالى إلَّا به ، ولا أن يسميه عزّ وجل إلَّا به .

ونعلم أنَّ المراد بكل ذلك وأن كل ما نص الله عزّ وجل عليه من أسمائه وما أخبر به تعالى عن نفسه فهو حق ندين الله تعالى عزّ وجل بالإقرار به[١٢٧].

ونعلم أنَّ المراد بكل ذلك هو الله تعالى لا شريك له ، وأنها كلّها أسماء يعبَّر بها عنه تعالى ، ولا يرجع منها إلى شيءٍ[١٢٨] غير الله ألبتة . تعالى الله أن يكون معه شيء آخر غيره[١٢٩].

وقد أقرَّ بعضهم بحضرتى أن مع الله تعالى سبعة عشر شيئًا متغايرة ، كلها ، قديم لم تزل ،

---

(١٢٣) فى (أ ، ب) : سقطت جملة (وعلمه بكفره هو علمه بإيمانه) .
(١٢٤) فى (أ ، ب) : (فإذا) .
(١٢٥) فى (أ ، ب) : (أوجبتم) وهو تحريف .
(١٢٦) فى (أ ، ب) : (ما لم ينص) .
(١٢٧) فى (أ ، ب) : سقطت العبارة من قوله : [إلا به] إلى قوله [الإقرار به] .
(١٢٨) فى (أ) : ولا يرجع منها شيء إلى غير الله .
(١٢٩) فى (ح) : لم يذكر [تعالى الله أن يكون معه شيء آخر غيره] .

وكلها غير الله تعالى . ورأيت فى كتاب لبعضهم : أنها خمسة عشر ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وذكروا : أن تلك الأشياء هى(١٣٠): السمع ، والبصر ، واليد ، والوجه ، والكلام ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والعزة ، والرحمة ، والأمر ، والعدل ، والحياة ، والصدق .

قال أبو محمد : لقد قصروا من طريق النص ومن طريق العقل أيضًا عن أصولهم فأين لهم عن النفس ، والجلال ، والإكرام ، والجبروت ، والكبرياء ، واليدين والأعين ، والأيدى ، والقدم ، والجنب(١٣١)، والقوة .. ؟

فهذه كلها منصوص(١٣٢) عليها كالعلم والقدرة ، وأين هم عن : الحلم من حليم والكرم من كريم ، والعظمة من عظيم ، والتوبة من تواب ، والهبة من وهَّاب ، والقرب من قريب ، واللطف من لطيف(١٣٣)، والسعة من واسع ، والشكر من شاكر ، والمجد من مجيد ، والودّ من ودود(١٣٤)، والقيام من قيوم .. ؟ – وهذا كثير جدًّا ويتجاوز أضعاف الأعداد التى اقتصروا عليها بتحكيمهم بالضلال والإلحاد فى أسمائه عزَّ وجل(١٣٥).

وقد زاد بعضهم فيما ادعوه من صفات الذات : الاستواء ، والتكليم ، والقدم والبقاء .

ورأيت للأشعرى فى كتابه المعروف بالموجز : أن الله تعالى إذ قال : « إنك بأعيننا »(١٣٦).

إنما أراد عينين(١٣٧). وبالجملة فكل من لم يخف الله عزَّ وجل فيما يقول ، ولم يستح من الباطل لم يبال بما يقول . وقد قلنا : إنه لم يأت نص بلفظ الصفة قط بوجه من الوجوه لأن(١٣٨) الله تعالى أخبرنا بأن علمًا وقوة ، وكلامًا ، وقدرة ، وهذا كله حق لا يرجع منه إلى شيء غير الله تعالى أصلًا . وبه نتأيد .

قال أبو محمد : ويقال لهم(١٣٩): إنما سمّى الله تعالى « عليمًا » لأنّ له علمًا ، وحكيمًا لأن له حكمة ، وهكذا فى سائر أسمائه . وادَّعى أن الضرورة توجب ألّا يسمَّى عالمًا إلّا من له علم ، وهكذا فى سائر الصفات إذا قستم الغائب بزعمكم تريدون الله عزّ وجل على الحاضر منكم ،

---

(١٣٠) فى (ح) : لم تذكر كلمة (هى) .
(١٣١) فى (أ ، ب) : (والحمد) بدلا من (والجنب)
(١٣٢) فى (خ) . « نصوص » .
(١٣٣) فى (خ) : لم يذكر (واللطف من لطيف) .
(١٣٤) فى (خ) : لم يذكر (والمجد من مجيد ، والود من ودود) .
(١٣٥) سقط الكلام من قوله : [ويتجاوز أضعاف الأعداد] إلى [عز وجل] .
(١٣٦) سورة الطور : ٤٨ .
(١٣٧) الكلام من قوله : (ورأيت للأشعرى إلى (عينين)] سقط من (خ) .
(١٣٨) فى (خ) : (لكن) .
(١٣٩) فى (أ ، ب) : (لمن قال) .

فبالضرورة ندرى أنه لا علم عندنا إلّا ما كان فى ضمير ذى خواطر[١٤٠] وفكر تعرف به الأشياء على ما هى عليه .

فإن وصفتم ربكم تعالى بذلك ألحدتم ولا خلاف فى هذا من أحد ، وتركتم أقوالكم ، وإن منعتم من ذلك : تركتم أصلكم فى اشتقاق أسمائه تعالى من صفاتٍ فيه .

وأيضًا : فإنَّ حكيمًا ، وعليمًا ، ورحيمًا ، وقديرًا ، وسائر ما جرى هذا المجرى لا يسمى فى اللغة إلّا نعوتًا وأوصافًا ، ولا تسمَّى أسماء ألبتة .

وأما إذا سمّى الإنسان حكيمًا أو حليمًا أو حيًا ، وكان ذلك اسمًا له فهى[١٤١] حينئذ أسماء أعلام غير مشتقة بلا خلاف من أحد . وكل هذه فإنما هى لله عزّ وجل أسماء بنصّ القرآن ، ونص السنة والإجماع من جميع أهل الإسلام .

قال الله تعالى : « وَلله الأَسْماءُ الحُسْنَى فادُعوهُ بِها ، وذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فى أَسْمائِه سَيُجْزون ما كانُوا يَعْمَلُون »[١٤٢].

وقال تعالى : « قل ادعو الله أو ادْعُوا الرَّحْمَن أَيًّمَّا تَدْعُوا فله الأسماءُ الحُسْنَى »[١٤٣].

وقال تعالى : « هُوَ الله الّذى لا إلهَ إلّا هُو عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ هو الرَّحْمَنُ الرَّحيم ، هو الله الَّذى لا إلَهَ إلَّا هُوَ المِلكُ القُدُّوسُ ، السَّلامُ المؤمِنُ المُهَيْمنُ العَزِيزُ الجبَّارُ المتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ الله الخالِقُ ، البارِيءُ المصَوِّرُ له الأَسْمَاءُ الحُسْنَى »[١٤٤].

وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله تسعةً وتسعين اسْمًا مائة إلّا واحدًا ، مَنْ أحْصَاها دَخَلَ الجنَّة ، إنَّه وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ »[١٤٥].

ولم يختلف أحدٌ من أهل الإسلام فى أنها أسماء لله تعالى ، ولا فى أنها لا يقال : إنها نعوت له عزَّ وجلِ ، ولا أوصاف [لله ، ولو وجد فى المتأخرين من يقول ذلك لكان قولًا باطلًا ، ومخالفة

---

(١٤٠) فى (ح) : (حاطر) .

(١٤١) فى (أ ، ب) : (فهو) .

(١٤٢) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(١٤٣) سورة الإسراء : ١١٠ .

(١٤٤) سورة الحشر : ٢٤ .

(١٤٥) وروى هذا الحديث فى البخارى ومسلم ونصه : « لله تسعةٌ وتسعون اسما مائة إلّا واحدًا لا يحفظها أحد إلّا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » . ورواية البخارى فى الدعوات ١١ / ١٨٠ ، ١٩٢ ، ومسلم رقم ٢٦٧٧ فى باب الذكر والدعاء . (جامع الأصول فى أحاديث الرسول : مجد الدين أبى السعادات بن محمد بن الأثير الجزرى المتوفى ٦٠٦ تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط . طبعه الملاح ١٣٩٠ هـ .

لقول الله تعالى ولا حجة لأحدٍ[١٤٦] فى الدين ، دون رسول الله ﷺ][١٤٧] فإذ لا شكَّ فيما قلنا ، فليست مشتقة من صفة أصلًا .

ويقال لهم : إذا قلتم إنَّها مشتقة ، فقولوا لنا : من اشتقَّها .. ؟

فإن قالوا : إنَّ الله تعالى اشتقها لنفسه .

قلنا لهم : هذا هو القول على الله تعالى بالكذب ، الذى لم يخبر به عن نفسه ، وَقَفَوْتُم فى ذلك ما لم يأتكم به علم .

وإن قالوا : إن رسول الله ﷺ : اشتقها .

قلنا : كذبتم على رسول الله ﷺ . ولقد سمَّى الله بها نفسه قبل أن يخلق رسوله ﷺ أوحى بها إليه فقط[١٤٨]. فصحَّ يقينًا أن القول بأنها مشتقة فرية على الله تعالى ، وكذب عليه ، ونعوذ بالله من ذلك ، وصح بهذا البرهان الواضح أنه لا يدل حينئذ « عليم » على « علم » ولا « قدير » على « قدرة » ، ولا « حى » على « حياة » . وهكذا فى سائر ذلك .

قال أبو محمد : وإنما قلنا بالعلم ، والقدرة ، والقوة ، والعِزَّة ، بنصوص أخر يجب الطاعة لها ، والقول بها ، ووجدنا المتأخرين من الأشعرية كالباقلانى[١٤٩] وابن[١٥٠] فورك وغيرهما قالوا : إنَّ هذه الأسماء ليست أسماء لله تعالى ولكنها تسميات له ، وأنه ليس لله إلا اسم واحد ، لكنه قول إلحادٍ ومعارضة لله عزَّ وجل بالتكذيب التى تلونا ، ومخالفة لرسول الله ﷺ ، فيما نصَّ عليه من عدد الأسماء ، وهتك لإجماع أهل الإسلام عامِّهم ، وخاصِّهم ، قبل أن تحدث هذه الفرقة .

* * *

(١٤٦) فى (أ ، ب) : (فى أحد) .

(١٤٧) فى (خ) : لم يذكر الكلام من قوله : « لله ، ولو وجد فى المتأخرين ... إلى دون رسول الله ﷺ »

(١٤٨) فى (خ) : سقط قوله (أوحى بها إليه فقط) .

(١٤٩) راجع ص

(١٥٠) ابن فورك (ت ٤٠٦ هـ) :

هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى ، الأصبهانى ، أبو بكر واعظ عالم بالأصول والكلام من فقهاء الشافعية ، سمع الحديث وعلم الكلام بالبصرة وبغداد ، وأخذ يحدث بنيسابور ، وبنى فيها مدرسة ، وتوفى على مقربة منها . وفى النجوم الزاهرة : قتل محمد بن سبكتكين بالسم لقوله : كان رسول الله ﷺ رسولًا فى حياته فقط . من كتبه : مشكل الحديث وغريبه ، والحدود وأسماء الرجال . (الأعلام) .

فصــل

[فيما أحدثه أهل الإسلام فى أسماء الله عزَّ وجل القديم[١٥١]]

قال أبو محمد : وهذا لا يجوز أن يسمى عزّ وجل بما لم يسمٍّ به نفسه ، لأنه لم يصحّ به نصٌّ ألبتَّة . وقد قال تعالى : « والقَمَرَ قدَّرناه مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كالعُرْجُونِ القديم »[١٥٢].

فصح أن القديم من صفات المخلوقين ، فلا يجوز أن يسمَّى الله تعالى بذلك ، وإنما يعرف القديم فى اللغة من القدمية الأزلية[١٥٣]، أى[١٥٤] أن هذا الشىء أقدم من هذا بمدة محصورة ، وهذا منفىٌّ عن الله عزَّ وجل . وقد أغْنِى الله عزّ وجل عن هذه التسمية بلفظة (أوّل) . فهذا هو الاسم الذى لا يشاركه تعالى فيه غيره ، وهو معنى أنه لم يزل .

وقد قلنا بالبرهان : إن الله لا يجوز أن يسمَّى بالاستدلال ، ولا فرق بين من قال : إنه يسمّى ربَّه تعالى جسمًا إثباتًا للوجود ، ونفيًا للعدم وبين من سمّاه « قديما » إثباتًا لأنه لم يزل ، ونفيًا للحدوث ، لأن كلا اللفظين لم يأت به نص .

فإن قال : من سماه جسمًا ألحد لأنه جعله كالأجسام .

قيل له : ومن سمَّاه قديمًا قد ألحد فى أسمائه ، لأنه جعله كالقدماء .

---

(١٥١) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين .
(١٥٢) سورة يس : ٣٩ .
(١٥٣) فى (أ ، ب) : (الزمانية) بدلا من (الأزلية) .
(١٥٤) فى (خ) : لم تذكر كلمة (أى) .

فإن قيل : ليس فى العالم قدماء : أكذبه القرآن بما ذكرنا ، وأكذبته اللغة التى بها نزل القرآن ، إذ يقول كل قائل فى اللغة : هذا الشىء أقدم من هذا[١٥٥]. وهذا أمر قديم ، وزمان قديم ، وشيخ قديم ، وبناء قديم . وهكذا فى كل شىء .

وأمَّا نفى خلق الإيمان فهذا أعجب ما أتوا به . وهل الإيمان إلا فعل المؤمن ، الظاهر منه ، يزيد وينقص ، ويذهب ألبتة ، وهو خلق الله تعالى .. ؟ وهذه صفات الحدوث[١٥٦] نفسها .

فإن قالوا : إنَّ الله تعالى هو المؤمن .

قلنا : نعم . هو المؤمن المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور[١٥٧].

فأسماؤه بذلك أعلام ، لا مشتقّة من صفات محمولة فيه عزَّ وجل . تعالى الله عن ذلك . إلَّا ما كان مشتقًا[١٥٨] من فعل محدث – فهو ظاهر كالخالق والمصوّر .

فإن قلتم : إنها صفات لم تزل لربكم[١٥٩] أنه المصور بتصوير لم يزل ،فهذا[١٦٠] قول أهل الدَّهر مجرَّدٌ . وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقال بعضهم : إنَّ قولنا سميع بسمع ، بصير ببصر ، حيٌّ بحياة – لا يوجب تشابهًا ، ولا يكون الشىء شبهًا للشىء إلا إذا ناب منابه ، وسدَّ مسدَّه[١٦١].

قال أبو محمد : وهذا كلام فى غاية السخافة لأنه دعوى بلا برهان ، لا من لغة[١٦٢]، ولا من شريعة ، ولا من طبيعة ، وما اختلفت قط اللغات ولا[١٦٣] الطبائع ، ولا الأمم فى أنَّ الشَّبهة[١٦٤] بين المشبهات إنما هو بصفاتها فى الأجسام وبذواتها فى الأعراض . وأما النص[١٦٥] فإنَّ الله تعالى يقول :

---

(١٥٥) فى (أ) : (هذه) .
(١٥٦) فى (خ) : (الحدث) .
(١٥٧) فى (أ ، ب) : سقط (العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء) .
(١٥٨) فى (أ ، ب) : إلا ما كان مسمّى عزّ وجل لفعل فعله .
(١٥٩) فى (خ) : سقطت كلمة (لزمكم) .
(١٦٠) فى (أ) : وهذا .
(١٦١) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « قال أبو محمد ، وقال بعضهم إلى قوله : وسدَّ مسدَّه » .
(١٦٢) فى (أ ، ب) : سقطت (لا من لغة) .
(١٦٣) فى (أ ، ب) : سقطت (ولا) .
(١٦٤) فى (أ ، ب) : (النسبة) بدلا من (الشبه) .
(١٦٥) فى (أ) : سقطت كلمة (النص) .

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فى الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطيرُ بجناحَيهِ إلَّا أُمَمٌ أَمْثالكم »[١٦٦].

فليت شعرى هل قال ذو مسكة[١٦٧] عقل : إن الحمير ، والكلاب ، والخنافس تنوب منابنا ، وتسدُّ[١٦٨] مسدَّنا .. ؟ وقال تعالى : حاكيًا عن الأنبياء عليهم السلام ، أنهم قالوا للكفار[١٦٩]: « إنْ نحنُ إلَّا بشرٌ مثلكُمْ »[١٧٠].

فهل قال قط مسلم : إن الكفار ينوبونَ عن الأنبياء عليهم السلام ، ويسدّون مسدَّهم .. ؟

وقال تعالى : « كأنهن الياقوت والمرجان »[١٧١].

فهل قال ذو مسكة عقل : إنَّ الياقوت ينوب مناب الحور العين ، ويسدُّ مسدَّهن[١٧٢].. ؟

ومثل هذا فى القرآن كثير جدًّا ، وفى كلام كلِّ أمة . والعجب أنهم بعد أن أتوا بمثل[١٧٣] هذه العظيمة نسوا أنفسهم فجعلوا المتشابه فى بعض الأحوال يوجب شرع الشرائع قياسًا ، وهذا دين لم يأذن به الله تعالى ، فهم أبدًا فى الشيء وضده ، والبناء والهدم . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وحقيقة التماثل والتشابه هو : أنَّ كل جسمين اشتبها فإنما يشتبهان بصفة محمولة فيهما ، أو بصفات فيهما ، وكل عرضين فإنما يشتبهان بوقوعهما تحت نوع واحد كالحمرة والصفرة والخضرة[١٧٤] وهذا أمر يدرك بالعيان وأول الحسّ والعقل . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(١٦٦) سورة الأنعام : ٣٨ .
(١٦٧) فى (أ) : « ذو مسكة من عقل » بزيادة (من) .
(١٦٨) فى (أ ، ب) : « أو تسدنا » .
(١٦٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الكفار) .
(١٧٠) سورة ابراهيم : ١١ .
(١٧١) سورة الرحمن : ٥٨ .
(١٧٢) فى (خ) : (مسدَّهم) .
(١٧٣) فى (أ) : سقطت كلمة (بمثل) .
(١٧٤) فى (أ ، ب) : والحمرة أو الحمرة والخضرة .

« الكلام في الحياة »

قال أبو محمد : قال قائلون : الاستدلال[1] أوجب أن البارى تعالى حىٌّ ، لأن الأفعال الحكيمة لا تقع إلَّا من الحى ، وأنه[2] لا يعقل إلَّا ميّت[3] أوحى ، فلما أبطل[4] إمكان وقوع الفعل من الميت ، صحَّ وقوعه من الحى . ولابدَّ .

ثم انقسم هؤلاء قسمين ، فطائفة قالت : هو تعالى حىٌّ لا بحياة ، وقال[5] آخرون بل هو تعالى حى بحياة .

واحتجت طائفة بأن قالت : لا يعقل حىٌّ[6] إلَّا بحياة . ولم يكن الحىٌّ حيًّا ، إلَّا لأن له حياة ، ولولا ذلك لم يكن حيًّا . ولو[7] جاز أن يكون حيًا لا بحياة لجاز أن تكون حياة لا لِحى .

وقال آخرون[8]: لم يكن الحىُّ حيًّا لأن له حياة ، لكن لأنه فاعل[9] قادر ، عالم فقط ، إذ[10] لا يكون العالم القادر الفاعل إلَّا حيًّا .

---

(١) فى (أ ، ب) : وقالوا : إن الدليل أوجب .
(٢) فى (أ ، ب) : (وأيضا فإنه) .
(٣) فى (أ ، ب) : (حىّ أو ميت) .
(٤) فى (أ) : (قلنا : إمكان) .
(٥) فى (أ ، ب) : وطائفة قالت .
(٦) فى (أ) : واحتجت أنه لا يعقل أحد حيا .
(٧) فى (أ) : قالوا : ولو جاز .
(٨) فى (أ ، ب) : الطائفة الأولى .
(٩) فى (أ ، ب) : فاعل فقط عالم قادر .
(١٠) فى (أ) : (ولا يكون) بغير (إذ) .

قال أبو محمد : وكلا القولين فى غاية الفساد ، لأن اتفاق الطائفتين على أن سمّوا ربهم حيًّا من طريق الاستدلال ، إما لنفى الموت ، والجماد[١١] هنه ، وإمّا لأنه فاعل قادر ، عالم . ولا يكون الفاعل ، العالم ، القادر إلَّا حيًّا يلزمهم أن يطردوا استدلالهم هذا ، وإلَّا فهم متناقضون[١٢]، وذلك أنه[١٣] يلزمهم أن يقولوا : إنه تعالى جسم ، لأنهم لم يعقلوا قط فاعلًا ، ولا حكيمًا ، ولا عالمًا ، ولا قادرًا إلا جسمًا – فإذا لم يكن هذا دليلًا على أنه جسم فليس دليلًا على أنه حى .

وأيضًا : فإن اتفاقهم على ما ذكرنا موجب عليهم[١٤] أن يطردوا استدلالهم ، وإلَّا كانوا مناقضين مبطلين لاستدلالهم ، وذلك يوجب على من قال : حىٌّ لا بحياة أن يطردوا استدلالهم ، وإلَّا[١٥] فهو فاسد ، لأنه[١٦] لا يكون العالم ، القادر فيما بيننا إلَّا ذا حياة ، ولا يكون حيًا إلَّا بحياة – لا يعقل غير هذا أصلًا .

ويقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من عكس قولهم .. ؟ فقال : إذا كان الحىّ لا يجب أن يقال[١٧] له حى من أجل أنه حى ، ولا أنه إذا كان حيًّا وجب أن يكون له حياة ، ولا أنه سمَّى الحىَّ حيًّا لأن له حياة – فكذلك لم يجب أن يكون الفاعل فاعلًا لأنه حى لكن[١٨] لأن له فعلًا فقط ، ولا وجب أن يكون الفاعل فاعلًا لأنه قادر عالم ، لكن لأن له فعلًا ، وكذلك المؤلف ، لم يسمَّ مؤلفًا لأن فيه تأليفًا ولا يسمَّى[١٩] الحكيم حكيمًا لإحكامه الفعل ، ولا وجب المؤلف : أن يكون محدثًا للتأليف الذى فيه ، هذا[٢٠].

على أنَّ من قال بعض هذه القضايا فهو أصحّ قولًا ممن قال : إن كان[٢١] الحىُّ حيًّا لا يقتضى بذلك الاستدلال ، أن يكون له حياة ، لأننا لم نجد قط حيًّا إلَّا بحياة ، ولا توهمنا ذلك إلَّا بالفعل ، ولا يتشكل فى العقل ألبتة . ولا يدخل فى الممكن بدليل ، وقد وجدنا العنكبوت ،

---

(١١) فى (أ ، ب) : (والجمادية) .
(١٢) « مناقضون » .
(١٣) فى (أ ، ب) : وإذا طردوا استدلالهم هذا لزمهم ولابد .
(١٤) فى (أ ، ب) : على الطائفة الأولى .
(١٥) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « مناقضين ، مبطلين لاستدلالهم إلى قوله .. أن يطردوا استدلالهم » .
(١٦) فى (أ ، ب) : (فنقول إنه) .
(١٧) فى (أ ، ب) : (إن له حياة) .
(١٨) فى (خ) : سقطت (لأنه حى لكن) .
(١٩) فى (أ ، ب) : ولا سمّى .
(٢٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .
(٢١) فى (أ ، ب) : (إن كون) .

والنحلة ، والخطاف تُحكم أفعالها وبناءها بالطين والشّمع مسدَّسًا على رتبة واحدة بالنسج[٢٢]، ثم لا يجوز أن يسمَّى شىءٌ منها حكيمًا .

فإن قال : إنما أقول إنه حى استدلالًا بأنه لا يموت ، والحى هو الذى لا يموت ، كان[٢٣] قد أتى بأسخف قولٍ ، وذلك يلزمه أن يقول : إننا لسنا أحياء لأننا نموت ، وأنه لا حىَّ فى العالم ، لأنَّ من قول هذا القائل : إنَّ الملائكة تموت ، فليس فى العالم حىٌّ على قوله .

وقد أتى بعضهم بهذيان ظريف فقال : قد وجدنا شيئًا فيه حياة وليس حيًّا وهو يدُ الإنسان ورجله .

قال أبو محمد : ولقد كان[٢٤] ينبغى لمن هذا مقداره من الجهل أن يتعلم قبل أن يتكلم . أمِا علم الجاهل أن الحياة إنما هى للنفس لا للجسد ، وأن الحىَّ إنما هو[٢٥] النفس لا الجسد . أما سمع قول الله تعالى : « فإنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ ولكنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتى فى الصُّدُور[٢٦]» .

وليت شعرى لو عكس عليه هذا السخف فقيل له : بل يد الإنسان حيَّة ولا حياة فيها ، بماذا كان ينفصل من هذا الجنون المطابق لجنونه .. ؟ ثم إذا[٢٧] بطل قول هؤلاء .

فنقولُ بحول الله تعالى وقوته للطائفة الأخرى التى قالت : إنه تعالى حى بحياة استدلالًا بالشّاهد : ما الفرق بينكم وبين من قال : إنه[٢٨] تعالى جسم .. ؟ لأن الأفعال لا تقع إلَّا من جسم ، فإنّه على أصولكم[٢٩] لا يعقل إلَّا جسم وعرض – فلما بطل إمكان الفعل من العرض ، صحَّ وقوعه من الجسم فقط ولابد . ولّما صحَّ أن العالِم لا يكون إلَّا جسمًا ذا ضمير ضرورة[٣٠] صحٌ أنه تعالى جسم ذو ضمير . ولما صحَّ أنه قادر لا يكون إلَّا جسمًا صحَّ أنه جسم ، فبأى شىء راموا الانفصال به – عكس عليهم مثله سواء بسواء فى استدلالهم ، وما التزموه لزمهم .

فإن قالوا : إنَّ الله[٣١] تعالى أخبر أنه حى ، ولم يخبر أنه جسم .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق : وأنَّ الله تعالى لم يخبر بأن له حياة .

---

(٢٢) فى (أ ، ب) : (وبالنسج) .
(٢٣) فى (خ) : سقطت كلمة (كان) .
(٢٤) فى (أ ، ب) : بزيادة (فقط) وفى (خ) بزيادة (فقد) .
(٢٥) فى (أ ، ب) : (هى) .
(٢٦) سورة الحج : ٤٦ .
(٢٧) فى (أ ، ب) : (إذ قد بُطل) .
(٢٨) فى (أ ، ب) : (هو تعالى) .
(٢٩) فى (خ) : لم يذكر (على أصولكم) .
(٣٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (ضرورة) .
(٣١) فى (أ ، ب) : (إنه تعالى) .

فإن قالوا : إن الحى يقتضى أن له حياة .

قلنا لهم[٣٢]: والحى يقتضى أنه جسم ، وهكذا أبدًا .

فإن قالوا : إنه تعالى قال : « وتَوَكَّلْ على الحيِّ الَّذى لا يموت[٣٣]» – فوجب أن يكون له حياة[٣٤].

قيل لهم : وإن وجب هذا – فقال تعالى : « لا تَأْخُذُه سِنَةٌ ولَا نَوْمٌ »[٣٥].

فقولوا : إنه تعالى يقظان .

فإن قالوا : لم ينصَّ تعالى على أنه يقظان .

قيل لهم : ولا نصَّ على أن له حياة .

فإن قالوا : الحيُّ يقتضى حياة .

قيل لهم : ومن ليس نائمًا ، ولا وسنان فهو يقظان . ولا فرق .

ويقال لهم : أخبرونا ماذا نفيتم عنه تعالى بإيجاب الحياة له .. ؟ أنفيتم عنه بذلك الموتَ المعهود .. ؟ والمواتية المعهودة ، أم موتًا غير معهود ، ومواتيةً غير معهودة .. ؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث .

فإن قالوا : ما نفينا عنه إلَّا الموت المعهود ، والمواتية المعهودة[٣٦].

قلنا لهم : إنَّ الموت المعهود ، والمواتية المعهودة لا ينتفيان ألبتة إلَّا بالحياة المعهودة ، التى هى الحسُّ والحركة الإراديان[٣٧]. وهذا خلاف قولكم ، ولو قلتموه لأبطلنا قولكم بما أبطلنا به قول المجسمة .

وإن قالوا : ما نفينا عنه تعالى إلَّا موتًا غير معهود ، ومواتية غير معهودة .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق : هذا لا يعقل ، ولا يتُوهم ، ولا قام به دليل ولا يجوز أن ينتفى ما ذكرتم بحياة يقتضيها اسم الحى المعقول ، وهكذا نقول . فى قولهم : سميناه تعالى سميعًا لنفى الصمم ، وبصيرًا لنفى العمى ، ومتكلمًا لنفى الخرس .

---

(٣٢) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « وأن الله تعالى لم يخبر بأن له حياة .. إلى (قلنا لهم) » .

(٣٣) سورة الفرقان : ٥٨ .

(٣٤) فى (أ) : (حيًّا بحياة) .

(٣٥) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣٦) فى (أ ، ب) : جاء هذا التعبير بغير أداة القصر (ما وإلا) .

(٣٧) فى (خ) : الأرادية . وفى (أ ، ب) : (الحس والحركة والسكون) .

قلنا لهم : هل نفيتم بذلك كله الخرس المعهود ، والصمم المعهود ، والعمى المعهود ، أم صممًا لا يعهد ، وعمىً غير المعهود ، وخرسًا غير المعهود .. ؟

فإن قالوا : نفينا المعهود من كل ذلك .

قلنا : إنَّ الصمم المعهود لا ينتفى إلا بالسمع المعهود ،الذى هو بأذن سالمة ، والعمى المعهود لا ينتفى إلَّا بالبصر المعهود ، الذى هو حدقة سالمة ، والخرس المعهود لا ينتفى إلَّا بالكلام المعهود الذى هو صوت من لسان وحنك وشفتين .

فإن قالوا : بل نفينا من كلٍّ من ذلك غير المعهود .

قلنا : هذا لا يعقل ، ولا يتوهم ، ولا يصح به دليل ، ولا ينتفى بما أردتم نفيه به[٣٨]. وأيضًا : فإنَّ البارى تعالى : لو كان حيًا بحياة لم يزل ، وهى غيره لوجب ضرورة أن يكون تعالى مؤلفًا مركبًا من ذاته وحياته ، [وسائر صفاته ولكان كثيرًا لا واحدًا][٣٩]، وهذا إبطال الإسلام . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وأما قولهم : إنما خاطبنا الله بما نعقل[٤٠]، ودعواهم أن فى بديهة العقل : أن الفاعل لا يكون إلا عالمًا بعلم هو غيره ، حيًّا بحياة هى غيره ، قادرًا بقدرة هى غيره ، متكلمًا بكلام هو غيره[٤١]، سميعًا بسمع هو غيره ، بصيرًا ببصر هو غيره[٤٢].

فإنا نقول – وبالله تعالى التوفيق[٤٣]: إن هذه القضية كما ذكروا ، ما لم يقم برهان على خلاف ذلك . ثم نسألهم : هل عقلتم قط ، أو توهمتم نارًا محرقة تنبت فى الشجر المثمر .. ؟ وهذه صفة جهنم التى إن أنكرتموها كفرتم .

وهل عقلتم قط طيرًا حيًّا يؤكل دون أن يموت ، أو يعَانَى بنارٍ ؟ وهذه صفة الجنة التى إن أنكرتموها كفرتم . ومثل هذا كثير ، وإنما الحق ألا نخرج عما عهدناه ، وما عقلناه ، إلَّا أن يأتى برهان[٤٤].

فإن قنعوا بهذا القدر من الدَّعوة ، فليقنعوا بمثل هذا من المجسّمة ، إذ قالوا : إنما خاطبنا الله

---

(٣٨) فى (ح) : سقط الكلام من قوله : « وهكذا نقول فى قولهم : سميناه تعالى سميعا لنفى الصمم ، وبصيرًا لنفى العمى ، ومتكلما لنفى الخرس .. إلى قوله : ولا يصح به دليل ، ولا ينتفى بما أراد نفيه به » .

(٣٩) فى (خ) : لم يذكر : « وسائر صفاته ، ولكان كثيرًا لا واحدًا » .

(٤٠) فى (ح) : لم يذكر (وأما قولهم إنما خاطبنا الله بما نعقل) .

(٤١) فى (ح) : لم يذكر (هو غيره) .

(٤٢) فى (خ) : لم يذكر (هو غيره) .

(٤٣) فى (أ) : (نتأيد)

(٤٤) فى (ح) : سقط الكلام من قوله : (القضية كما ذكروا ... إلى برهان)

تعالى بما نفهم ونعقل ، لا بما لا نعقل ، وقد أخبرنا تعالى أنه له عينًا ويدًا ووجهًا ، وأنه ينزل فى ظلل من الغمام .

قالوا : فكل هذا محمول على ما عقلنا من أنها جوارح وحركات ، وأنها جسم ، واقنعوا به منهم أيضًا ، إذ قالوا[٤٥]: ببديهة العقل وأوله : عرفنا[٤٦]، ووجب ألا يكون الفاعل إلا جسمًا فى مكان .

وبضرورة العقل علمنا : أنه لا شىء إلا جسم وعرض ، وما لم يكن كذلك فهو عدم ، وإن لم يكن عرضًا فهو جسم . والبارى تعالى ليس عرضًا فهو جسم ولابدَّ . واقنعوا بمثل هذا من المعتزلة ، إذ قالوا فى إبطال الرؤية بضرورة العقل علمنا[٤٧]: أنه لا يرى إلا جسم ملوّن ، وما كان فى حيِّز ، وإذ قالوا بضرورته[٤٨] وبديهته ، علمنا أنّ كلّ من فعل شيئًا فإنما يوصف به[٤٩]، وينسب إليه ؛ فلو أنه تعالى خلق الشَّر والظلم لنسبا إليه ، ووصف بهما ، واقنعوا بمثل[٥٠] هذا من الدَّهرية ، إذ قالوا : بضرورة العقل : علمنا أنه لا يكون شىء إلَّا من جسم[٥١].

* * *

قال أبو محمد : وكل طائفة من هذه الطوائف تدَّعى الباطل على العقول . والصحيح من هذا ، والحسبة فيه : هو أن كلَّ من ادَّعى فى شىء مَّا أنه يعرف ببديهة العقل ، وضرورته ، وأوله ، أن ينظر فى تلك الدعوى ، فإن كانت[٥٢] ترجع إلى الحواس المشاهدة ، فهى دعوى فاسدة كاذبة ، لأن العقول توجب أشياء لا تشكَّل فى الحواس ، كالألوان التى يتوهمها الأعمى ، ولا يتشكلها بحاسة وهو موقن بها بضرورة عقله ، لصحة الخبر وتواتره عليه بوجودها . وكالصوت الذى لا يتوهمه ألبتة ، ولا يتشكله مَنْ وُلد وهو[٥٣] أَصَم ، وهو موقن بعقله بصحة الأصوات لتواتر الخبر عليه بصحتها . وإن كانت تلك الدَّعوى ترجع إلى مجرَّد العقل ، دون توسط الحواس – فهى دعوى صادقة ، وهذه الدعاوى التى ذكرنا عن الأشعرية ، والمجسمة ، والمعتزلة ، والدَّهرية – فإنَّما غلطوا فيها ، لأنهم نسبوا إلى أول العقل ما أدركوه بحواسِّهم .

---

(٤٥) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : (إنما خاطبنا الله تعالى .. إلى إذ قالوا) .
(٤٦) فى (خ) : إن بديهة العقل وأوله علمنا .
(٤٧) فى (أ) : عرفنا .
(٤٨) فى (خ) : بضرورة العقل .
(٤٩) فى (خ) : لم تذكر كلمة (به) .
(٥٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (بمثل)
(٥١) فى (أ ، ب) . لا يكون شيئا إلا من شىء أولى منه .
(٥٢) فى (أ ، ب) : بزيادة (مما) .
(٥٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وهو)

وقد قلنا : إنّ العقل يوجب ولابد معرفة(٥٤) أشياء لا تدرك بالحواس ، ولا سيما دعوى الدّهرية ، فإنها تعارَض بمثلها من أنه بضرورة العقل وأوله علمنا أنه لا يمكن وجود جسم وعرض فى زمانٍ لا أوّل له ، وهذا هو الحق ، لا دعواهم التى عوَّلوا فيها على ما شاهدوه بحواسهم فقط .

وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا فيقال لهم : إذا سميتموه حيًّا لنفى الموت والمواتية عنه تعالى ، وقادرًا لنفى العجز ، وعالمًا لنفى الجهل – فيلزمكم ولابد أن تسموه حسَّاسًا لنفى الخَدَرَ عنه . وشمَّامًا(٥٥) لنفى الخشم عنه . ومتحركًا لنفى السكون والجمادية عنه ، وعاقلًا لنفى ضد العقل عنه ، وشجاعًا لنفى الجبن عنه .

فإن امتنعوا من ذلك كانوا قد ناقضوا(٥٦) فى استدلالهم فى تسميتهم إيَّاه حيًّا ، عالمًا ، قادرًا ، جواداً .

فإن قالوا : إنه لا يجوز أن يسمَّى بشىء مما ذكرنا لأنه لم يأت به نصٌّ .

قيل لهم : وكذلك لم يأت نص بأنَّ له تعالى حياة ، ولا أنه سمَّى حيًّا ، عالمًا ، قادرًا لنفى أضداد هذه الصفات عنه ، لكن لما جاء النص بأنه تعالى تسمَّى بالحىّ العالم القدير سميناه بذلك – ولولا النص ما جاز لأحدٍ أن يسمىَ الله تعالى بشىءٍ من ذلك ، لأنه كان يكون مشبِّهًا بخلقه ، لا سيما ولفظة الحىّ تقع فى اللغة على العالِم المميز(٥٧) بالحقائق .

قال تعالى : « لِيُنْذِرَ من كانَ حيًّا ، ويَحقَّ القولُ على الكافِرِين »(٥٨).

فأراد بالحى هاهنا : العالِم المميز بالإيمان ، المقرّ به .

وأيضًا : فإنهم يدَّعون أنهم ينكرون التشبيه ثم يرتكبونه(٥٩) أتم ركوب ، فيقولون : لما لم يكن الفعَّال عندنا إلَّا حيًّا ، عالمًا ، قادرًا – وجب أن يكون البارى تعالى ، الفاعل للأشياء حيًا ، عالمًا ، قادرًا – وهذا نصُّ قياسهم له تعالى على المخلوقات ، وتشبيهه تعالى بهم ، ولا يجوز عند القائلين بالقياس أن يقاس الشىء إلَّا على نظيره . وأما أن يقاس الشىء على خلافه من كل جهة وعلى ما لا يشبهه فى شىء ألبتة – فهذا ما لا يجوز أصلًا عند أحد ، فكيف والقياس كله باطل لا يجوز .. ؟

---

(٥٤) فى (خ) : سقطت كلمة (معرفة) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (وسمّاما) بالسين المهملة لنفى (الجسم) وهذا تحريف .

(٥٦) فى (خ) : (تناقضوا) .

(٥٧) فى (خ) : لم تذكر كلمة (المميز) .

(٥٨) سورة يس : ٧٠ .

(٥٩) فى (أ ، ب) : (يركبونه) .

وأيضًا فإنَّ الحياة التى لا يعرف أحدٌ بالعقل حياة غيرها إنما هى الحسُّ والحركة[٦٠] الإرادية ، ولا يعرف أحدٌ الحيَّ إلَّا الحساسَ[٦١] المتحرك بإرادة – وهذا أمر يعرف بالضرورة ، فمن أنكر ذلك ، فقد أنكر الحسَّ والمشاهدة والضرورة ، وخرج عن أن يكلم[٦٢].

فإن قال قائل منهم : « إنَّ الموات قد يتحرك ، فلم يزد على أن أبان عن قوة جهله ، لأنه إنما قلنا الحركة الإرادية ، فإذا لم يفرق هذا الجاهل بين الحركة الإرادية والإضطرارية فينبغى[٦٣] أن يتعلم قبل أن يتكلم . وكل حركة ظهرت من غير حى ، فليست حركة إرادية له ، ولكنَّها تحريك المحرك له ، إمَّا البارى تعالى ، وإمَّا مَنْ دونه ، ومما يبطل قولهم ضرورة : أنه إنما سمِّى تعالى حيًّا لأنه عالم قادر ، ووجدنا أحياء كثيرة ليسوا علماء ، ولا قادرين كالأطفال حين ولادتهم ، وكالنائم المستثقل ، وكالمخدورين ، والجهّال[٦٤] المجانين ، وكضعاف الدور ، والصَّوادب[٦٥]، وما لا ينتقل عن محلّه كالوصل وغيره ، وكالمريض من سائر الحيوان – فهذه كلها أحياء ليس شىءٌ منها عالمًا ولا قادرًا ، فصح ضرورة ، أنه لا معنى للحياة مرتبط[٦٦] بالعلم والقدرة لكن الحق فى ذلك : أنَّ[٦٧] بعض الأحياء عالم قادر ، وليس كل حيٍّ عالمًا قادرًا ولا سبيل إلى وجود شىء[٦٨] غير حسَّاس ، ولا متحرك بإرادة .

فإن ذكروا : المغمى عليه – فذلك عائد عليهم لأنه ليس عالمًا ولا قادرًا .

وأما الحسُّ ففيه بالضرورة ، فلو جشَّ[٦٩] جشًّا قويًّا لتألم ، ولأخبر بذلك عند انتباه – وكذلك الحسُّ والحركة الإرادية باقيان لابدَّ فى بعض أعضاء المخدور والمغمى عليه ولابدَّ – وقد بيَّنا الواجب فى هذا وهو أنه لا يسمّى الله عزَّ وجلَّ ، ولا نخبر عنه من طريق الاستدلال باسم يشاركه فيه شىء من خلقه ، ولا بخبر يشاركه فيه شىء من خلقه ، ولكن نقول : إنه تعالى لا يجهل شيئًا أصلًا ، وهذه صفةٌ لا يستحقها أحدٌ دونه تعالى . ونقول : لا يغفل ألبتة ، ولا يضل ، ولا يسهو ، ولا ينام ، ولا يتحيَّر ، ولا ينحل ، ولا يخفى عليه متوهم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، ولا ينسى ، وكل هذا فلا يستحقه مخلوق دونه تعالى أصلًا[٧٠].

---

(٦٠) فى (أ ، ب) . (والركة) وهو تحريف .
(٦١) فى (أ ، ب) : (بالحساس) .
(٦٢) فى (خ) : لم يذكر : (والضرورة ، وخرج عن أن يكلم) .
(٦٣) فى (أ ، ب) : (فينبغى له) .
(٦٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الجهال)
(٦٥) الصوادب .
(٦٦) فى (أ) : (يرتبط) .
(٦٧) فى (أ ، ب) : (أو) بدلًا من (أن) .
(٦٨) فى (أ ، ب) : (حى) .
(٦٩) فى (خ) : (محس محسا) . جشَّ : جَشَّه : دقَّه وَكَسَره كأجشَّه وبالعصا : ضربه بها (المحيط) .
(٧٠) فى (خ) : سقطت كلمة (أصلا) .

ثم نقر بما جاء به[٧١] القرآن والسنن ، كما جاء لا نزيد فيه[٧٢] ولا ننقص منه ، ولا نُحِيله ، فنؤمن بأنه بخلاف المعهود فيما يقع عليه ذلك اللفظ من خلقه .

وأما لفظ الصفة فى اللغة العربية ، وفى جميع اللغات ، فإنها[٧٣] عبارة عن معنى محمول فى الموصوف بها ، لا معنى للصفة غير هذا ألبتة . وهذا أمر لا يجوز إضافته إلى الله تعالى ألبتة إلَّا أن يأتى نص بشىء أخبر الله تعالى به عن نفسه فنؤمن[٧٤] به ، وندرى حينئذ أنه اسم علم لا مشتق من صفة ، وأنه خبر عنه تعالى لا يراد به غيره عزَّ وجلَّ ، ولا يرجع منه إلى[٧٥] سواه ألبتة – والعجب كل العجب أن يسمَّى[٧٦] الله تعالى حيًّا ، لأنهم لم يجدوا الفعل يقع إلَّا من حىٍّ ، ثم يقولون : إنه لا كالأحياء فعادوا إلى دليلهم فأفسدوه ، لأنهم إذا أوجبوا وقوع لفعل من حىّ ليس كالأحياء الذين لا تقع الأفعال إلَّا منهم ، فقد أبطلوا أن يكون ظهور الأفعال دليلًا ، على أنها من حىّ كما عهدوه [وإن كان بخلاف ما عهدوه فلا ينكرون وقوع الفعل ممن لا يسمَّى حيًّا – وإن كان بخلاف ما عهده][٧٧]، وقد علمنا يقيكنا أن القدرة من كل قادر فى العالم إنما هى عرض فيه ، وأنَّ الحياة فى الحىِّ المعهود بضرورة العقل عرض فيه أيضًا ، وأن العلم فى كل عالِم فى العالم كذلك ، وقد وافقونا على أن البارى تعالى بخلاف ذلك ، فإذ قد بطل أن يكون هذا موصوفًا بصفة القادر فيما بيننا والعالِم منا التى لولاها لم يكن العالم عالمًا ، والقادر قادرًا فإن الفعل فيما بيننا لا يقع إلَّا من أهل تلك الصفة ، فقد بطل ضرورة أن يسمَّى البارى تعالى باسم قادرٍ أو عالمٍ أو حىٍّ استدلالًا بأن الفعل فيما بيننا لا يقع إلَّا من عالم قادر ، وإذ قد جوَّزوا وجود علم ليس عرضًا ، وحياةٍ ليس عَرَضًا ، وهذا أمر غير معقولٍ أصلًا ، فلا ينكرون وجود حىٍّ بلا حياة[٧٨]، وسميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر[٧٩]، وكل هذا خروج عن المعهود – ولا فرق . وإنما يستجاز الخروج عن المعهود إذا جاء به نصٌّ من الخالق عزّ وجل ، أو قام به برهان ضرورى ، وإلا فلا . ولم يأت نصٌّ قط بلفظ الحياة ، ولا الإرادة ، ولا السمع ، ولا البصر ، واحتجَّ بعضهم فى معارضة من قال : إن الحىَّ لا يكون إلَّا حسَّاسًا متحركًا بإرادة ،لأننا لم نشاهد قط حيًّا إلَّا حساسًا متحركًا بإرادة ، فقال هذا المعترض إن من اتفق له ألا يرى نباتًا إلَّا أخضر ، ولا أخضر إلا نباتًا فقطع بأن كل أخضر فهو نبات فقد أخطأ .

---

(٧١) ق (ح) . يذكر كلمة (به) .

(٧٢) ق (أ) . سقطت كلمة (فيه) .

(٧٣) فى (أ ، ب) : (فإنما) .

(٧٤) فى (ح) : (فيوقف عنده) .

(٧٥) ق (أ ، ب) : (إلا) .

(٧٦) ق (أ ، ب) : (أنهم يسمون) .

(٧٧) ق (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : (وإن كان بخلاف ما عهدوه إلى ما عهدوه) .

(٧٨) ق (أ ، ب) : « لا بحياة – ولابسمع – ولا ببصر » .

(٧٩) فى (أ ، ب) : (لا سمع .. ولا ببصر)

قال أبو محمد : فأول ما يقال له : قل هذا لنفسك ، فى استدلالك بأنك لم ترقط فعّالًا إلّا حيًا ، عالمًا ، قادرًا – ولا فرق .

ثمّ نعوذ بعون الله تعالى إلى بيان ما شغبوا به ،مما لا يعرفون الفرق بينه وبين ما يقطع[٨٠] عليه – فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إنَّ الأعراض تنقسم[٨١] قسمين ؛ أحدهما ذاتى ، لا يتوهم بطلانه إلّا ببطلان حامله كالحسِّ والحركة الإرادية للحيِّ ، وكذلك احتمال الموت للإنسان مع إمكان التمييز للعلوم والتصرف فى الصناعات وما أشبه هذا .

ومن هذه الأعراض تقوم فصول الأشياء وحدودها[٨٢] التى تفرق بينها وبين غيرها من الأنواع التى تقع معها تحت جنس واحد – فهذا القسم مقطوع على وجوده فى كل ما وقع اسم حامله عليه[٨٣].

والقسم الثانى : غيرىٌّ : وهو ما يتوهم بطلانه ولا يبطل بذلك ما هو فيه كاجترار البعير والغنم[٨٤]، وحلاوة العسل ، وسواد الغراب ؛ فإن وجد عسل مر – وقد وجدناه – لم يبطل بذلك أن يكون عسلًا ، وكذلك لو وجد غرابٌ أبيض – وقد وجد – لم يبطل بذلك أن يكون غرابًا . فمثل هذا القسم لا يقطع على أنه موجود ، ولابدَّ أبدًا . فهذا الفرق بين ما شغب به من النبات ، لأنه إن توهّم النبات أحمر أو أصفر لم يبطل أن يسمَّى نباتًا ، ولكنه إنْ توهّم أن يكون النبات غير نامٍ من الأرض ، ولا متغذٍّ برطوباتها ، منجذبًا نحو الهواء[٨٥] فإنه لا يكون نباتًا أصلًا .

وأيضًا فقد قال بعضهم : إنه قد يعرف البارى حيًّا من لا يعرفه حسَّاسًا متحركًا بإرادة .

قيل له : وقد يعرفه حيًّا من لا يعرف أنَّ له حياة ، وقد يعرفه جسمًا من لا يعرفه مؤلفًا ، ولا محدثًا ، وليس توهم الجهّال ما[٨٦] توهموه من الحماقات حجة على أهل العقول . والحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(٨٠) فى (أ ، ب) : (يقع) .
(٨١) فى (أ) : (إلى قسمين) .
(٨٢) فى (خ) : لم يذكر (وحدودها) .
(٨٣) فى (ح) : (فيه) بدلا من (عليه) .
(٨٤) فى (أ ، ب) : لم يذكر (الغنم) .
(٨٥) فى (أ ، ب) : بحر الهواء – وهو تحريف .
(٨٦) فى (أ ، ب) : (لما) .

قال أبو محمد : برهانٌ[٨٧] ضرورى ، وهو أنَّ كل صفة فى العالم فهى ضرورة – ولا بدَّ . عرض بين الطرفين ، أو أحد ذينك الطرفين ، وإما ذات ضدٍّ فحاملها بالضرورة قابل للأضداد . ولا عالِم[٨٨] فى العالَم إلَّا والجهل منه متوهَّم ، ولا قادر فى العالم إلَّا والعجز منه مُتوهَّم ، ولا حىَّ فى العالم إلَّا والسكون والحركة والحسُّ ، والحذر متوَهَّمات كلُّها منه ، وقد علمنا أنَّ الله تعالى أرحم الرَّاحمين حقًّا لا مجازًا ، من أنكر هذا فهو كافر ، حلالٌ دمُه ومالُه ، وهو تعالى يبتلى الأطفال بالجدرى ، والأواكل[٨٩] والجن والذبحة والأوجاع حتى يموتوا . وبالجوع حتى يموتوا كذلك . ويفجع الآباء بالأبناء ، وكذلك الأمهات ، والأحياء بعضهم ببعض حتى يهلكوا ثُكلًا ، ووجدًا ، وكذلك الطير بأولادها ، وليس هذه صفة الرحمن[٩٠] بيننا – فصحَّ يقينًا أنها أسماءٌ لله تعالى ، سمَّى الله تعالى بها نفسه غير مشتقة من صفة محمولة فيه تعالى – وحاشا له من ذلك .

فإن قالوا : إن العالم ، القادر ، الحىَّ ، الأوَّل ، الرحيَم – بخلاف هذا .

قيل لهم : صدقتم . وهذا إبطال منكم لاستدلالكم بالشاهد بينكم على تسمية البارى[٩١] تعالى وصفاته .

قال أبو محمد : وأمَّا وصفنا البارى تعالى بأنه أوَّلٌ ، حىٌّ ، خالق[٩٢]، فلا يلزمنا فى ذلك شىء مما ألزمناه خصومنا ؛ لأنه قد قام البرهان بأنه خالق ما سواه ، وليس فى العالَم خالق ألبتَّة بوجهٍ من الوجوه إلَّا البارى تعالى[٩٣].

وقد قام البرهان على أنه تعالى واحدٌ ، لا واحد فى العالم غيره ألبتة ، بوجه من الوجوه . وكلُّ ما فى العالم فمتكثر[٩٤] كثير لا واحد ، وقد قام البرهان على أنه تعالى الأول[٩٥] الذى لا أوّل فى العالم غيره ، وكل ما فى العالم ينافى الأول .

وقد[٩٦] قام البرهان على أنه تعالى : الحق بذاته ، وأنَّ كل ما فى العالم فإنما هو محقِّقٌ له تعالى . وإنما كان حقًّا بالبارى عزَّ جل ، ولولاه لم يكن حقًّا . فهذا هو البرهان الصحيح الثابت ، الذى لا يعارض ببرهانٍ ألبتة ، وهذا هو نفى التشبيه .

(٨٧) فى (أ ، ب) : (وبرهان) .
(٨٨) فى (أ ، ب) : (فلا عالم) .
(٨٩) فى (أ ، ب) : وواكل .
(٩٠) فى (أ ، ب) : الرحمة .
(٩١) فى (أ) : سقطت كلمة (البارى) .
(٩٢) فى (أ ، ب) : بأنه (الواحد – الأول – الحق – الخالق) .
(٩٣) فى (أ ، ب) : سقط قوله (إلا البارى تعالى) .
(٩٤) فى (أ) : فمتكثر باحتمال القسمة والتحرِّى – وكلمة (التحرى) تحريف وصوابها (والتجزؤ) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : جاءت العبارة هكذا : (والأول فى العالم ألبتة من الوجوه) .
(٩٦) فى (أ ، ب) : (وقام) .

ثم إننا ننفى عن البارى تعالى جميع صفات العالم ، فنقول :

إنه تعالى لا يجهل أصلًا ، ولا يغفل ألبتة ، ولا يسهو ، ولا ينام ، ولا يجبن[٩٧]، ولا يخفى عليه متوهم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، لأننا قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا : أنَّ الله تعالى بخلاف خلقه من كل وجه .

فإذْ ذلك كذلك – فواجب نفى كلِّ ما يوصف به شيء[٩٨] فى العالم عنه تعالى عن المعهود[٩٩].

وأمَّا إثبات الوصف أو[١٠٠] التسمية له تعالى ، فلا يجوز إلَّا بنصٍّ . ونخبر عنه تعالى فى[١٠١] أفعاله عزَّ وجل فنقول :

إنه تعالى يحيى الموتى ، ويميت الأحياء إلَّا أن يثبت[١٠٢] إجماعٌ فى إباحة شيء من ذلك . ولولا الإجماع على إباحة إطلاق بعض ذلك هاهنا لما أجزناه ونقول : إنه تعالى بكل شيء عليم ، لم يزل كذلك ، والمعنى فى هذا : أنه لم يزل يعلم أنه سيخلق الأشياء على حسب هيئة كل مخلوق منها ، لا على أن الأشياء لم تزل موجودة فى علمه ، بل[١٠٣] معاذ الله من هذا ، ولكن نقول : لم يزل تعالى يعلم أنه سيحدث كل ما يكون شيئًا إذا أحدثه على ما يكون عليه إذا كان – وبالله تعالى التوفيق .

---

(٩٧) فى (أ ، ب) : (ولا يحس) . وهو تحريف .
(٩٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (ممَّا) .
(٩٩) فى (أ ، ب) : « على العموم » .
(١٠٠) فى (خ) : (والتسمية) .
(١٠١) فى (أ ، ب) : (بأفعاله) .
(١٠٢) فى (أ ، ب) : (إلّا أن لا يثبت) .
(١٠٣) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (بل) .

« الرَّد على من سمّى الله بغير نص »

قال أبو محمد : ونجمع إن شاء الله تعالى هاهنا بيان الرَّد على من أقدم على أن يسمِّى الله تعالى بغير نصٍ لكن بما دلَّه عليه عقله وظنه أنه حسن ومدح ، أو استدلالًا بما سمَّى به تعالى نفسه ، أو تصريفًا من ذلك ، أو قياسًا على ما شاهد من خلقه .

فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إنّ الله تعالى : سمّى نفسه : الرحمن الرحيم ، فسمِّه أنت الرقيق من رقة النفس التى هى الرحمة ، فإن قال « الرحيم » يغنى عن ذلك .

قيل له : نقضت أصلك ، لأنَّ الحىَّ يغنى على هذا عن أن يقال : إن له حياة .

وأيضًا : فإن الرحمن يغنى عن الرحيم .

فإن قال : قد ورد النصُّ به .

قيل له : صدقت . فلا تتعدَّ[1] ما جاء به النص ، وامنع ما سواه .

وسمّى نفسه (العليم) فسمِّه : الدَّارى ، الحبر ، الفهم ، الذكى ، العارف ، النبيل فكل هذا مدح واحد[2] فى اللغة بمعنى (عليم) ولا فرق .

* * *

---

(١) فى (أ ، ب) : « ولا تتعدَّ » .
(٢) فى (أ ، ب) : ومعناه .

وسمَّى نفسه : « الكريم » فسمِّه : السخىَّ ، والجواد .

وسمَّى نفسه : « الحكيم » . فسمِّه : الناقد ، العاقل .

وسمَّى نفسه : (العظيم) : فسمِّه : الفخم ، الضخم .

وسمَّى نفسه : « الحليم » : فسمّه : المحتمل[٣]، المتأنى ، الصابر ، الصبور ، الصبَّار[٤].

وأخبر أنه « قريب » : فسمِّه : الدَّانى ، المجاور ، المياسر[٥].

وسمَّى نفسه : « الواسع » : فسمِّه : الرَّحْب ، العريض .

وسمَّى نفسه : « العزيز » . فسمِّه الرئيس .

وأخبر أنه « شاكر » و« شكور » . فسمِّه : الحامد ، والحمَّاد[٦].

وسمَّى نفسه « القهار » . فسمِّه : الظافر .

وسمَّى نفسه : « الآخر » . فسمِّه الثانى ، والتالى ، والخاتم[٧].

وسمَّى نفسه : « الظاهر » فسمِّه : البادى والمعلن .

وسمَّى نفسه : « الخبير[٨]» . فسمِّه : العارف والدَّارى .

وسمَّى نفسه : « الكبير » . فسمِّه : الرئيس والمتقدّم .

وسمَّى نفسه : « القدير » . فسمّه : المطيق والمستطيع .

وسمَّى نفسه : « العلىّ » . فسمِّه : العالى ، والرفيع ، والسَّامى .

وسمَّى نفسه : « البصير » . فسمِّه : المعاين .

وسمَّى نفسه : « الجبَّار » . فسمِّه : المتجبر ، الزَّاهى ، التيَّاه .

وسمَّى نفسه : « المتكبر » . فسمّه : المستكبر ، المتعاظم ، المتنحِّى .

وسمَّى نفسه : « البرّ » . فسمِّه : الزاكى ، والمواصل[٩].

---

(٣) فى (أ ، ب) : المجتمل) بالجيم .
(٤) فى (خ) : لم يذكر (الصبار) .
(٥) فى (خ) : (الياسر) .
(٦) فى (أ ، ب) : سقطت واو العطف .
(٧) فى (خ) : سقطت (الخاتم) .
(٨) فى (أ ، ب) : سقط الكلام (البادى والمعلن ، وسمّى نفسه الخبير فسمِّه) .
(٩) فى (أ ، ب) : سقطت واو العطف .

وسمّى نفسه : « المتعالى » . فسمّه : المتعّظم ، المترفع .

وسمَّى نفسه : « الغنى » . فسمِّه : الموسر ، الملىء ، المكثر ، الوافر .

وسمَّى نفسه : « الولىّ » . فسمِّه : الصديق ، المصادق ، الموالى(١٠)، الحبيب .

وسمَّى نفسه : « القوى » . فسمِّه : الجلد ، النجد ، الشجاع ، الجليد ، الشديد ، الباطش ، البطّاش(١١).

وسمَّى نفسه : « الحىّ » . وأخبر أن له : « نَفْسًا » . فسمِّه : المتحرّك ، الحسَّاس . واقطع بأن له روحًا بمعنى النفس .

وسمَّى نفسه : « السميع » « البصير » . فسمِّه : الشمَّام ، الذَّوَّاق .

وسمَّى نفسه : « المجيد » . فسمِّه : الشريف ، الماجد .

وسمَّى نفسه : « الحميد » . فسمّه « المحمدّ » ، « المحمود » ، « الممدوح » .

وسمَّى نفسه : « الودود » . فسمِّه : الوادّ ، المحبّ ، الحبيب ، الوديد .

وسمَّى نفسه : « الصمد » . فسمّه : المصْمَت .

وسمَّى نفسه : « الحق » . فسمِّه : الصحيح ، الثابت .

وسمَّى نفسه : « اللطيف » . فسمِّه : الخفيف .

وذكر تعالى أن له : « مكرا » . وكيدًا(١٢). فقل إنَّ له : دهاء ، ومكرًا(١٣)، وخبثًا(١٤)، وتحيُّلًا ، وخدائع .

فهذا كله فى اللغة ، وفيما بيّنا سواء .

وسمَّى نفسه « المبين(١٥)» . فسمِّه : الواضح ، الباين(١٦)، اللائح ، البادى .

وسمَّى نفسه : « المؤمن » . فسمِّه : المسلم ، المصدِّق .

وسمَّى نفسه : « الباطن » . فسمِّه : الخفى ، الغائب ، المتغيّب .

---

(١٠) فى (أ ، ب) : (الوالى) .
(١١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (البطّاش) .
(١٢) فى (خ) : سقطت كلمة (كيدا) .
(١٣) فى (أ ، ب) : (ونكرا) – وهو تحريف .
(١٤) فى (أ ، ب) : (وحسا) – وهو تحريف .
(١٥) فى (أ ، ب) : (المتين) وهو تحريف .
(١٦) فى (أ ، ب) : (البين) .

وسمّى نفسه : « الملك » ، والمليك . فسمّه : « السلطان » .

وصحَّ بالسنة : أنه يسمَّى « جميلا » . فسمّه : الصبيح ، الحسن .

قال أبو محمد : فإن أبى من كل هذا نقضَ أصله ، وكذلك إن قال : إن بعض ذلك يغنى عن بعض – لزمه إسقاط الحياة ، لأن (الحىّ) يغنى عن ذكر الحياه على هذا الأصل . ولزمه أن(١٧) يقول : إنه متكلم ، لأن الكلام مغن عن ذلك .

ولزمه أيضًا : إسقاط السمع والبصر ، إذ(١٨) استغنى بالسميع البصير .

ولزمه أيضًا : إسقاط ما جاء به النصُّ إذا كان بعضه يغنى عن بعض .

والملك يغنى عن مليك . وأَحَدٌ يغنى عن واحد ، وجبار يغنى عن متكبر . وخالق يغنى عن البارى . وهكذا سائر الأسماء(١٩). فلم يبق إلَّا الرجوع إلى النصوص فقط ، فإذ قد صحّ هذا يقينًا بيننا(٢٠) فلا يحل أن يسمَّى الله عزَّ وجل : القديم ، ولا الحنَّان ، ولا المنّان ، ولا المنفرد ، ولا الدَّائن ، ولا الباقى ، ولا الخالد ، ولا العالم ، ولا الدانى ، ولا الرّائى ، ولا السّامع ، ولا المعتلى ، ولا العالى ، ولا المتدارك ، ولا الطالب ، ولا الغالب ، ولا الضار ، ولا النافع ، ولا المدرك ، ولا المبدىء ، ولا المعبد ، ولا الناطق ، ولا المتكلم(٢١)، ولا القادر ، ولا الوارث ، ولا الباعث ، ولا القاهر ، ولا الجليل ، ولا المعطى ، ولا المنعم ، ولا المحسن ، ولا الحكيم ، ولا الحاكم ، ولا الوهّاب(٢٢)، ولا الغفار ، ولا المضل ، ولا الهادى ، ولا العدل ، ولا الرّضىّ ، ولا الصادق ، ولا المتطوّل ، ولا المتفضل ، ولا المانّ ، ولا الجيد ، ولا الحافظ ، ولا البديع ، ولا الإله ، ولا المجمل ، ولا المحيى ، ولا المميت ، ولا المنصف(٢٣)، ولا بشىء لم يسمّ به نفسه أصلًا ، وإن كان فى غاية المدح عندنا ، أو كان متصرفًا من أفعاله تعالى إلا أن نخبر به(٢٤) عنه بكل هذا الذى ذكرنا على الإضافة إلى ما نذكر ، مع الوصف حينئذ ، والإخبار عن فعله – فهذا جائز حينئذ فيجوز أن نقول : عالم الخفيات ، عالم بكل شىء ، عالم الغيب والشهادة ، غالبٌ على

---

(١٧) فى (أ ، ب) : (ألا يقول) .
(١٨) فى (أ ، ب) : (لأنه) بدلا من (إذا) .
(١٩) فى (أ ، ب) : (فى سائر) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (يقينا) .
(٢١) فى (أ ، ب) : سقط (ولا المتكلم) .
(٢٢) فى (أ ، ب) : (الواهب) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : « المصنف » .
(٢٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) .

أمره ، غالبٌ على من طغى[٢٥]، أو نحو هذا . القادر على ما يشاء . القاهر للملوك ، وارث الأرض ومن عليها ، المعطى لكل ما بأيدينا ، الواهب لنا كلَّ ما عندنا ، المنعم على خلقه ، المحسن إلى أوليائه ، الحاكم بالحق ، المبدى لخلقه ، المعيد له ، المضل لأعدائه ، الهادى لأوليائه ، العدل فى حكمه ، الصادق فى قوله ، الراضى عمن أطاعه ، الغضبان على من عصاه ، الساخط على أعدائه ، الكاره لما نهى عنه[٢٦]، بديع السماوات والأرض ، إله الخلق ، محيى الأحياء والموتى ، ومميت الأحياء والموتى ، المنصف ممن ظلم ، بانى الدنيا وداحيها ، ومسوّيها ، ونحو هذا ، لأنّ هذا كله إخبار عن فعله تعالى ، وهذا مباح لنا بإجماع ، وهو من تعظيمه تعالى ، ومن دعائه عزَّ وجل ، وليس لنا أن نسميه إلا بنص ، وكذلك نقول : إن لله تعالى « كيدًا ، ومكرا ، وكبرياء » وليس هذا من المدح فيما بيننا ، بل هو فيما بيننا ذم ، ولا يحل أن يقال : إن لله تعالى عقلًا ، وشجاعة ، وعفة ، وذكاء ، وفهمًا ، ودهاء[٢٧]، وهذا غاية المدح فيما بيننا . فبطل أن يراعى فيما يخبر به عن الله تعالى ما هو عندنا أو ما هو ذمٌّ عندنا ، بل بما جاء[٢٨] فى النص فقط . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ومن البرهان على هذا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة غير واحد ، من أحصاها دخل الجنة »[٢٩].

فلو كانت هذه الأسماء التى منعنا منها جائز أن تطلق لكانت أسماء الله تعالى أكثر من مائة ونيف – فهذا باطل لأن قول رسول الله ﷺ : « مائة غير واحد » . مانع من أن يكون له أكثر من ذلك ، ولو جاز كان قوله عليه السلام كذبًا ، وهذا كفر ممن أجازه . وبالله تعالى التوفيق .

وقال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها »[٣٠].

---

(٢٥) فى (أ ، ب) : « كل من طغى » .

(٢٦) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « الراضى عمن أطاعه – إلى قوله : لما نهى عنه » .

(٢٧) فى (أ ، ب) : سقطت (وفهما ودهاء) .

(٢٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (بما جاء) .

(٢٩) سبق تحقيق هذا الحديث وتخريجه راجع ص من هذا الجزء .

(٣٠) سورة البقرة : ٣١ .

فأسماؤه بلا شك كما هى داخلة فيما علمه آدم ، وتخصيص كلامه عليه السلام لا يحل ، فإذ ذلك كذلك فمن الذى اشتقها من الصفات .. ؟

فإن قالوا : هو اشتقها .

كذبوا على الله تعالى جهارًا ، إذ أخبروا عنه بما لم يخبر به تعالى عن نفسه وهذا عظيم نعوذ بالله منه ، وهذه كلها براهين كافية لمن عقل . وبالله تعالى التوفيق ، والحمد لله رب العالمين .

« الكلامُ فى الوجه ، واليد ، والعين ، والقدم ، والتنزل ، والعزّة ، والرحمة ، والأمر ، والنفس ، والذات ، والقوة ، والقدرة ، والأصابع[١] »

قال أبو محمد : قال الله[٢] تعالى : « وَيَبْقَى وَجْهُ ربِّكَ ذو الجَلالِ والإكرام »[٣] فذهب المجسمة إلى الاحتجاج بهذا فى مذهبهم .

وقال الآخرون : وجه الله تعالى إنما يراد به : الله عزّ وجل .

قال أبو محمد : وهذا هو الحق الذى قام البرهان بصحته ، لما أبطلنا[٤] من القول بالتجسيم .

وقال أبو الهذيل : وجه الله هو الله .

قال أبو محمد : وهذا لا ينبغى أن يطلق ، لأنه تسمية ، وتسمية الله تعالى لا تجوز إلّا بنص ، ولكنا نقول : وجه الله ليس هو غير الله تعالى ، ولا نرجع منه إلى شىء سوى الله تعالى . برهان ذلك قول الله حاكيًا عن من رضى قوله : « إنَّما نطعمكم لوجه الله »[٥].

---

(١) فى (خ) : لم يذكر (الأصابع) .
(٢) فى (أ) : عز وجل .
(٣) سورة الرحمن : ٢٧ .
(٤) فى (أ ، ب) : لما قدمنا من إبطال القول .
(٥) سورة الإنسان : ٩ .

فصح يقينا : أنهم لم يقصدوا غير الله تعالى به .

وقوله عزَّ وجل : « فأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله »[٦].

إنما معناه : فثمَّ الله تعالى بعلمه ، وقبوله لمن توجَّه إليه[٧].

وقال تعالى : « يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهم »[٨].

وقال تعالى : « لما خلقتُ بيدى »[٩].

وقال تعالى : « ممَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أنْعَاما »[١٠].

وقال : « بَلْ يَدَاه مَبْسُوطتان »[١١].

وقال رسول الله ﷺ : « المقسطون عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين »[١٢].

فذهبت المجسمة إلى ما ذكرنا مما قد سلف من بطلان قولهم فيه .

وذهبت المعتزلة : إلى أن « اليد » : النعمة . وهذا[١٣] أيضًا لا معنى له ، لأنها دعوى بلا برهان .

وقال الأشعرى : إنَّ المراد بقول الله تعالى : « أيدينا » إنما معناه « اليدان » وأن ذكر « الأعين » ، إنما معناه « عينان » . وهذا باطل مُدْخِل فى قول المجسمة . بل نقول :

إنَّ هذا إخبار عن الله عزَّ وجل ، لا يُرْجَع من ذكر اليد إلى شيءٍ سواه تعالى . ونقرُّ أن[١٤] لله تعالى - كما قال - يدًا ، ويدين ، وأيدٍ ، وعينًا ، وأعينًا كما قال عزَّ وجل : « ولِتُصنَع عَلَى عينى »[١٥].

وقال تعالى : « فإنَّكَ بأعْيُنِنَا »[١٦].

---

(٦) سورة البقرة : ١١٥ .

(٧) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « فأينما تولوا .. إلى : لمن توجه إليه » .

(٨) سورة الفتح : ١٠ .

(٩) سورة ص : ٧٥ .

(١٠) سورة يس : ٧١ .

(١١) سورة المائدة : ٦٤ .

(١٢) هذا الحديث رواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينه ، ونصه : « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين » ، ورواه ابن كثير فى تفسيره عند قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا جـ ٦ ص ٣٧٧ .

(١٣) فى (أ ، ب) : « وهو » بدلا من (هذا) .

(١٤) فى (خ) : سقطت : « ونقر أن » .

(١٥) سورة طه : ٣٩ .

(١٦) سورة الطور : ٤٨ .

ولا يجوز لأحدٍ أن يصف الله تعالى : بأنَّ له عينين لأن النصَّ لم يأت بذلك ونقول : إنَّ المراد[١٧] بما ذكرنا – الله عزَّ وجل لا شيء غيره .

وقال تعالى حاكيًا عن قول قائل : يا حَسرتا على ما فرَّطتُ فى جنب الله »[١٨].

وهذا معناه فيما يقصد به – الله[١٩] عزَّ وجل . وفى جانب[٢٠] عبادته ، وصحَّ عن رسول الله ﷺ : « وكلتا يديه يمين ، وعن يمين الرحمن »[٢١].

فهو مثل قوله : « وَمَا مَلكتْ أيمانُكُم »[٢٢]. يريد « وما ملكتم » .

ولما كانت اليمين فى لغة العرب : يراد بها الحظ للأفضل كما قال : الشَّماخ[٢٣]:

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقَّاها عرابة باليمين

يريد أنه يتلقاها بالسعى الأعلى ، كان قوله : « وكلتا يديه يمين » أى كل ما يكون منه تعالى من الفضل – فهو الأعلى .

وكذلك صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ جهنم لا تمتلىء حتى يضع فيها قدمه »[٢٤].

وصح أيضًا فى الحديث : « حتى يضع فيها رجلَه » .

ومعنى هذا ما قد بينه رسول الله ﷺ[٢٥] فى حديث آخر صحيح أخبر فيه أن الله تعالى بعد[٢٦] يوم القيامة يخلق خلقًا يدخلهم الجنة ، وأنه تعالى يقول للجنّة والنار ، لكل واحدةٍ منكما ملؤها »[٢٧].

---

(١٧) فى (أ) : بكل ما ذكرنا .
(١٨) سورة الزمر : ٥٦ .
(١٩) فى (أ ، ب) : (إلى الله) .
(٢٠) فى (أ ، ب) : (حنب) .
(٢١) رواه مسلم فى باب الإمارة : ١٨ ، والترمذى فى تفسير سوره ٥ ، ٣ ، وابن ماجه فى المقدمه : ١٣ .
(٢٢) سورة النساء : ٣٩
(٢٣) هو الشماخ بن ضرار الذبيانى ، وقد جاء هذا البيت ضمن قصيدته التى مدح بها عرابة بن أوس من بنى مالك بن الأوس ، صحابى جواد ، والقصيدة فى ديوان الشماخ رقم ١٨ ومطلعها :
كلا يَوْمِىْ طُوالة وصلُ أروى ظنونٌ آن مُطرحُ الظنون
(ديوان الشماخ : ٣٣٦) .
(٢٤) وقد رواه الترمذى فى حديث طويل فى باب صفة أهل الجنة وأهل النار وفيه : « ويبقى أهل النار فيطرح فيها منهم فوج فيقال : هل امتلأت ؟ فنقول : هل من مزيد ؟ حتى إذا أوعبوا فيها ، وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض » (سنن الترمذى حـ ٤ ص ٩٦ باب صفة أهل الجنة وأهل النار) ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
(٢٥) فى (خ) : « سقط الكلام من قوله : « وصح عن رسول الله ﷺ : وكلتا يديه يمين إلى قوله : « ما قد بينه رسول الله ﷺ » .
(٢٦) فى (أ) : لم تذكر كلمة (بعد) .
(٢٧) رواه البخارى فى تفسير سورة « ق » ، وفى باب التوحيد رقم ٢٥ ، ورواه مسلم فى باب حنة ٣٤ ، ٣٥ .

فمعنى القدم فى الحديث المذكور : إنما هو كما قال تعالى : « أنّ لَهم قدم صِدْق عند ربهم »[٢٨].

يريد سالف صدق ، فمعناه الأمة التى تقدم فى علمه تعالى أنه يملأ بها جهنم ، ومعنى « رجله » مثل[٢٩] ذلك ، لأن « الرجل » : الجماعةُ فى اللغة أى يضع فيها الجماعةَ التى سبق فى علمه أنه يملأ جهنم بها .

وكذلك الحديث الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال : إنَّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله تعالى »[٣٠].

أى بين تدبيرين ونعمتين من تدبير الله عزَّ وجل ونعمه ، إمَّا كفاية تسرُّه ، وإمّا بلاء يأجره عليه . والإصبع فى اللغة : النعمة . وقلب كل أحدٍ بين توفيق الله وجلاله ، وكلاهما حكمة . وأخبر عليه السلام : أنَّ الله تعالى يبدو للمؤمنين يوم القيامة فى غير الصورة التى عرفوه[٣١] عليها[٣٢]» .

وهذا ظاهر بيّن ، وهو أنّهم يرون صورة الحال من الهول ، والمخافة غير الذى[٣٣] كانوا يظنون فى الدنيا .

وبرهان صحة هذا القول : قوله عليه السلام فى الحديث المذكور غير الذى عرفتموه بها . وبالضرورة نعلم أننا لا نعلم لله عزَّ وجل فى الدنيا صورة أصلًا فصحَّ ما ذكرنا[٣٤] يقينًا . وكذلك القول فى الحديث الثابت : « خلق الله آدم على صورته »[٣٥] فهذه إضافة ملك ، يريد الصورة التى تخيرها الله عزَّ وجل ليكون آدم مصورًا عليها . وكلّ فاضلٍ فى طبقته ، فإنه ينسب إلى الله عزَّ وجل ، ويضاف[٣٦] إليه . كما نقول بيت الله عزَّ وجل عن الكعبة . والبيوت كلها بيوت الله . ولكن

(٢٨) سورة يونس : ٢ .

(٢٩) فى (أ ، ب) : نحو ذلك .

(٣٠) روى مسلم هذا الحديث بسنده عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء » . (راجع مسلم ٢٦٥٤ فى القدر ، باب تصريف الله تعالى القلوب) وأخرجه الترمذى رقم ٢١٤١ فى القدر ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

(٣١) فى (أ ، ب) : (عرفوها) .

(٣٢) روى هذا الجزء من الحديث فى البخارى ومسلم فى حديث طويل فيه : « فيأتيهم الله عز وجل فى غير الصورة التى كانوا يعرفون » مسلم رقم ١٨٢ فى الإيمان . باب معرفة طريق الرؤية ، والترمذى فى صفة الجنة رقم ٢٥٦٠ .

(٣٣) فى (أ ، ب) : (غير التى يظنون) .

(٣٤) فى (أ ، ب) : (ما ذكرناه) .

(٣٥) النص : « فإن الله خلق آدم على صورته » كما جاء فى مسند أحمد بن حنبل الباب الثانى ٣٤٤ ، ورواه البخارى حـ ١١ / ٢ ، ٣ فى الاستئذان باب بدء السلام ، وفى الأنبياء باب خلق آدم صلواتُ الله عليه وذريته ، ومسلم رقم ٢٨٤١ باب يدخل الجنة أقوام وأفئدتهم مثل أفئدة الطير » .

(٣٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله (ويضاف إليه) .

لا يطلق على شيء منها هذا الاسم ، كما يطلق على المسجد الحرام وكما نقول فى جبريل وعيسى عليهما السلام « روح الله » والأرواح كلها لله تعالى ، ملك له ، وكما نقول[٣٧] فى ناقة صالح عليه السلام : « ناقة الله » . والنوق كلُّها لله تعالى . فعلى هذا المعنى قيل : على صورة الرحمن . والصور كلها لله ، وهى ملك له ، وخلق له ، وقد رأيت لابن فورك ، وغيره من الأشعرية فى الكلام فى هذا الحديث أنهم قالوا فى معنى قوله عليه السلام : « إنَّ الله خلق آدم على صورته » إنما هو على صفة الرحمن من الحياة ، والعلم والاقتدار ، واجتماع صفات الكمال فيه ، وأسجد له ملائكته كما أسجدهم لنفسه ، وجعل له الأمر والنهى على ذرِّيته كما كان لله ذلك .

قال أبو محمد : هذا نص كلام أبى جعفر السمنانى[٣٨] قاضى الموصل الضرير[٣٩] عن شيوخه حرفًا حرفًا ، وهذا كفر مجرد لا مرية فيه ، لأنَّه سوَّى بين الله عزَّ وجل وبين[٤٠] آدم فى الحياة ، والعلم ، والاقتدار ، واجتماع صفات الكمال فيهما والله يقول : « ليس كمثله شيء » . ثم لم يقنعوا بهذا حتى جعلوا سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله تعالى . ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام ، فى أنَّ سجودهم لله تعالى سجود عبادة ، ولآدم سجود تحية وإكرام .

ومن قال : إن الملائكة عبدت آدم كما عبدت الله عزَّ وجل فقد أشرك ، ثم زاد فى الأمر والنهى لآدم على ذريته كما هو لله عزَّ وجل ، وهذا شرك لا خفاء به . ولو أردنا[٤١] أن نعرف ما هى صفات الكمال ، التى ذكر هذا الإنسان أنها اجتمعت فى آدم كما اجتمعت فى الله عزَّ وجل ؟ إن هذا الإلحاد والاستخفاف بالله تعالى ، لا ندرى كيف تكلم ، وأنطق لسانه من يعرف أن الله تعالى لم يكن له كفوًا أحد .. ؟ ووالله إن صفات الكمال فى الملائكة لأكثر منها فى آدم ، وإنَّ صفات الاثنين التى شاركوا فيها آدم عليه السلام كصفات الجن ، ولا فرق بين الحياة والعلم والقوَّة والتناسل ، وغير ذلك ، فالكل على هذا على صورة الله تعالى .

هذا القول الملعونُ قائله . ونعوذ بالله من الضلال ، وكذلك ما صحَّ عن النبى ﷺ : عن يوم القيامة : « إن الله عزَّ وجل يكشف عن ساق ، فيخرون سجَّدا »[٤٢].

فهو كما قال عزَّ وجل : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود »[٤٣].

---

(٣٧) فى (أ ، ب) : « وكالقول » .

(٣٨) فى (أ ، ب) : « السمعانى » بالعين ، وقد ترجمنا له فى ص .

(٣٩) فى (أ ، ب) · سقطت كلمة (قاضى الموصل الضرير) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة : (وبين) .

(٤١) فى (أ ، ب) : (ولوددنا) .

(٤٢) أخرجه البخارى فى تفسير سورة « ن » باب « يوم يكشف عن ساق » . وفى تفسير سورة النساء ، وفى التوحيد ، باب : وجوه يومئذ ناضرة » ، ورواية مسلم المطولة أخرجها فى صحيحه رقم ١٨٣ فى الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية ، وكذلك أحمد فى مسنده جـ ٣ : ١٦ ، ١٧ ، وقد ورد فى رواية البخارى : « يقول : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة » .

(٤٣) سورة القلم : ٤٢ .

وإنما هذا[٤٤] إخبار عن شدة الأمر ، وهول[٤٥] الموقف ، كما يقال : « قد شمَّرت الحرب عن ساقها » .

قال جرير[٤٦]:

ألا رُبَّ سامى الطَّرْفِ من آلِ مازِنٍ   إذا شمَّرت عَنْ ساقها الحربُ شمّرا

والعجب ممن ينكر هذه الأخبار الصحاح ، وإنما جاءت بما جاء به القرآن نصّا ، ولكن من ضاق علمه أنكر ما لا علم له به ، وقد عاب الله هذا فقال :

« بل كذَّبُوا بِمَا لم يُحِيطُوا بِعلْمه ، ولمّا يأتِهم تَأْويلُه »[٤٧].

واختلف الناس فى الأمر ، والرَّحمة ، والعزَّة .

فقال قوم : هى صفات ذات لم تزل .

وقال آخرون : لم يزل الله تعالى : هو[٤٨] الله العزيز ، الحكيم[٤٩]، بذاته .

وأمّا الرَّحمة ، والأمر : فمخلوقان .

قال أبو محمد : والرجوع عند الاختلاف إنما هو إلى القرآن ، وكلام الرسول ﷺ . قال تعالى : « فإن تَنَازَعْتُم فى شَىْءٍ فردُّوه إلى الله والرَّسُولِ ، إن كُنتُم تُؤْمِنُونَ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ »[٥٠].

ففعلنا فوجدنا الله تعالى يقول : « وكان أَمْرُ الله مَفْعُولًا »[٥١].

والمفعول مخلوق بلا شك[٥٢].

وقال الله عزَّ وجل : « والله غَالِبٌ عَلَى أَمْره »[٥٣].

---

(٤٤) فى (أ) : (هو) بدلا من (هذا) .

(٤٥) فى (أ) : (هو) بدلًا من (هول) وهو تحريف .

(٤٦) جرير : هو ابن عطية بن حذيفة من بنى كليب بن يربوع ، مات باليمامة وعمره نيفا وثمانين سنة ، وكنيه : أبو حررة ، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين ، ويشبه من شعراء الحاهليه الأعشى ، كان من أشد الناس هجاء . وهذا البيت من قصيدة مدح بها هلال بن أحوز المازنى ، وافتخر بأبناء اسماعيل ، وهجا الفرزوق . وقد ورد هذا البيت محرفا فى النسح المطبوعة راجع الديوان : ص ٤٦٩ – تحقيق د / نعمان محمد طه – دار المعارف بمصر) .

(٤٧) سورة يونس : ٣٩ .

(٤٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هو) .

(٤٩) وفى (خ) : لم يذكر (الحكيم) .

(٥٠) سورة النساء : ٥٩ .

(٥١) سورة النساء : ٤٧ .

(٥٢) فى (أ ، ب) : (بلا خلاف) .

(٥٣) سورة يوسف : ٢١ .

وبلا شك فى أن المغلوب عليه مخلوق ، وأنه غير الغالب عليه .

وقال تعالى : « لا تَدْرِى لعل اللهالله يُحْدِثُ بعد ذلكَ أمرًا »(٥٤).

وهذا بيان جلى ، لا إشكال فيه على أنَّ الأمر محدثٌ .

وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يُحدِثُ من أمره ما يشاء »(٥٥)

فصح بيقين أن أمر الله تعالى محدث مخلوق .

فقالت الأشعرية : لم يزل الله تعالى آمرًا لكل من أمره بما يأمره به إذا وُجد .

قال أبو محمد : وهذا باطل متيقن ، لأنه لو كان ذلك كذلك لكان الله عزَّ وجل لم يزل آمرًا لنا بالصلاة إلى بيت المقدس ، لم يزل آمرًا لنا بألّا نصلى إلى بيت المقدس لكن إلى الكعبة ، فيكون آمرًا بالفعل للشيء والترك له معًا . وهذا تخليط جلَّ عنه الله .

وأيضًا : فإنه يلزمهم فى نهى الله تعالى عما نهى عنه : أنّه لم يزل ، لأنه لا فرق بين أمره تعالى وبين نهيه .

فإن قالوا : بل نهيه محدث ، وأمره قديم .

قلنا لهم : ما قولكم فيما انعكس عليكم .

فقال : بل نهيه لم يزل ، وأما أمره فمحدث .

وكلا القولين تخليط .

وأيضًا : فإنهم مُقَرُّون بأن القديم لا يتغير ولا يبطل ، وقد صحَّ أمره لنا بالصلاة إلى بيت المقدس ، ثم قد بطل الأمر بذلك ، وعُدم وانقطع ، فلو كان أمره تعالى لم يزل لوجب ألا يبطل ولا يعدم ، وهذا كفر مجردٌ ممن أجازه .

وإن قالوا : إنَّ أمره تعالى لنا بالصلاة إلى بيت المقدس باق أبدًا لم يسقط ولا نسخ ، ولا بطل ، ولا أحاله بأمر آخر – كفروا بلا خلاف .

---

(٥٤) سورة الطلاق : ١ .

(٥٥) فى (أ ، ب) : « ما شاء » . ورواه البخارى فى باب (توحيد) : ٤٣ ، والنسائى فى باب (سهو) : ٢٠ .

والذى يدخل على هذا القول الفاسد أكثر من هذا ، قوله[٥٦] تعالى : « قُل الرُّوحُ من أَمْرِ رَبِّى »[٥٧].

فلو كان الأمر غير مخلوق ، ولم يزل لكان الروح كذلك لأنه منه ، ومعاذ الله من هذا ، ولا خلاف بين المسلمين فى أنَّ أرواحهم مخلوقة ، وكيف لا يكون كذلك وهى معذَّبة فى النار ، أو منعمة فى الجنة . وقال تعالى : « يَوْمَ يقومُ الرُّوحُ والملائكة صفًّا ، لا يتكلّمون إلَّا مَنْ أَذِنَ له الرَّحْمنُ وقال صَوَابا »[٥٨].

وصحَّ عن رسول الله ﷺ : « سبُّوح ، قدُّوسٌ ، ربُّ الملائكة والرّوح[٥٩]» .

قال أبو محمد : والمربوب مخلوق ، بلا شك ، فإن اعترض معترض بقول الله عزَّ وجل : « أَلَا لَهُ الخلقُ والأَمْرُ[٦٠]» .

ورام بهذا إثبات أن الخلق غير الأمر ، فلا حجة له فى هذا لأنَّ الله عزَّ وجل قال : « يأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ، الَّذِى خَلقَكَ فسوّاكَ فعدَلك فى أىِّ صُورَةٍ ما شَاءَ ركَّبَكَ[٦١]» .

فقد فرَّق الله تعالى فى هذه الآية بين الخلق والتسوية ، والتعديل والتصوير ولا خلاف فى أنَّ كلّ ذلك خلق الله عزَّ وجل ، مخلوق[٦٢].

وقال تعالى : « خَلَقكُمْ ، ثم رَزَقكم ، ثم يُمِيتُكم ، ثم يُحْيِيكُم[٦٣]» .

فعطف تعالى الرزق ، والإماتة ، والإحياء على الخلق بلفظة « ثم » . فلو كان عطف الأمر على الخلق دليلًا على أنَّ الأمر غير الخلق لوجب ولابدَّ أن يكون الرزق ، والإماتة ، والإحياء ، والتصوير ، كلها غير الخلق ، وغير مخلوقات ، وهذا لا يقوله مسلم ، فبطل استدلالهم على أنَّ الأمر غير مخلوق لعطفه على الخلق . وقد عطف تعالى : جبريل على الملائكة ، فليس العطف على الشيء مخرجًا له عنه إذا قام برهان على أنه داخل فيه . وقد قام برهان النصِّ بأنَّ أمر الله تعالى مخلوق ، وأنه قدر مقدور ، مفعول .

---

(٥٦) فى الأصل « وقال تعالى » .
(٥٧) الاسراء : ٨٥ .
(٥٨) سورة النبأ : ٣٨ .
(٥٩) رواه أبو داود فى الصلاة : ١٤٧ ، والنسائى فى التطبية ١٠ ، ٧٥ ، وأحمد بن حنبل فى مسنده جـ ٦ / ٥٣ ، ٩٤ .
(٦٠) سورة الأعراف : ٥٤ .
(٦١) سورة الانفطار : ٨ .
(٦٢) فى (أ) : « خلق مخلوق » .
(٦٣) سورة الروم : ٤٠ .

وأما إذا لم يأت برهان يدخل المعطوف فى المعطوف عليه فهو غيره بلا شك – هذا حكم اللغة وبالله تعالى التوفيق[٦٤].

وأمّا العِزَّة فقد قال الله تعالى : « سبحان ربِّك ربِّ العِزّةِ عَمَّا يَصِفون[٦٥]» .

قال أبو محمد : والمربوب مخلوق بلا شك ، وليس قوله تعالى : « فَلِلَّه العِزَّة جَميعًا[٦٦]» .

بموجب أنَّ العِزَّة لم تزل ، لأنه تعالى قال : « فَلِلَّه المَكْرُ جميعًا[٦٧]» .

وقال تعالى : « قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جميعًا[٦٨]» .

وليس هذان النصّان بلا خلاف موجبين أنَّ الشفاعة غير مخلوقة[٦٩]، إلّا أن هاهنا عِزَّة ليس غير الله تعالى ، فهى غير مخلوقة ، وهى التى صحَّ عن النبى ﷺ : أنَّ جبريل عليه السلام حلف بها فقال : « وعزتك » فى حديث خلق الجنة والنّار[٧٠].

قال أبو محمد : ومن الباطل أن يحلف جبريل بغير الله عزَّ وجل .

وأمّا الرحمة : فقد قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله خلق مائة رحمة ، فقسم فى عباده رحمة واحدة فبها يتراحمون ، ورفع التسع والتسعين ليوم القيامة يرحم بها عباده[٧١]» أو كما قال عليه السلام .

وهذا رفع للإشكال جملة ، فى أنَّ الرحمة مخلوقة ، ولا خلاف بين أحد من الأمة فى أن إدخال الله تعالى[٧٢] الجنة من أدخله فيها برحمته ، وأن بعثه[٧٣] محمدًا ﷺ رحمة لمن آمن به ، وكل ذلك مخلوق بلا شك .

---

(٦٤) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « وأما إذا لم يأت برهان إلى قوله : التوفيق » .

(٦٥) سورة الصافات : ١٨٠ .

(٦٦) سورة فاطر : ١٠ .

(٦٧) سورة الرعد : ٤٢ .

(٦٨) سورة الزمر : ٤٤ .

(٦٩) فى (أ) : غير مخلوق .

(٧٠) رواه أبو داود فى باب السنة : ٢٥ باب خلق الجنة والنار ، ونصه عن أبى هريرة أن رسول الله قال : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال أىْ ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد إلّا دخلها ثم حفها بالمكاره ، ثم قال يا جبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ . (سنن أبى داود : ٥ / ٢٥) .

(٧١) وقد روى هذا الحديث عدة روايات ، وأقرب هذه الرواية ما رواه مسلم ونصه : « إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة » رواه البخارى ١٠ / ٣٦٢ فى باب الأدب ، وفى الرقاق : باب الرجاء مع الخوف ومسلم رقم ٢٧٥٢ فى التوبة – باب سعة رحمة الله تعالى ، والترمذى رقم ٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦ فى الدعوات .

(٧٢) فى (أ) : « عز وجل » .

(٧٣) فى (أ) : « بعثته » .

وأما القدرة ، والقوة . فقد قال عزَّ وجل : « أوَ لَمْ يَرَوْا أنَّ الله الَّذى خَلَقَهُمْ هُوَ أشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّة[٧٤]» .

وحدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمزانى ، حدثنا إبراهيم بن أحمد البلخى ، حدثنا الفربرى[٧٥]، حدثنا محمد[٧٦] بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم[٧٧] بن المنذر حدثنا معن[٧٨] بن عيسى ، حدثنا عبد الرحمن[٧٩] بن أبى الموال . سمعت محمد بن المنكدر[٨٠]، يحدث عبد الله بن الحسن[٨١]، قال : أخبرنى جابر[٨٢] بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ ، يعلم أصحابه الاستخارة ، فذكر الحديث وفيه : « اللهم إنّى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك[٨٣]» .

قال أبو محمد : والقول فى القدرة ، والقوَّة ، كالقول فى العلم سواء بسواء فى اختلاف الناس على تلك الأقوال ، وتلك الحجج ولا فرق ، وقولنا فى هذا هو ما قلناه هنالك من أنَّ القدرة ،

(٧٤) سورة فصلت : ١٥ .

(٧٥) الفربرى : هو محمد بن يوسف راوية صحيح البخارى ، قال النووى : روينا عن الفربرى أنه قال : سمع الصحيح من البخارى سبعون ألف رجل فما بقى أحد يرويه غيرى ، ونسبته إلى فِرَبْر بكسر الفاء وسكون الباء : قرية ببخارى . (ميزان الاعتدال) . وله سنة ٢٣١ . وتوفى سنة ٣٢٠ هـ .

(٧٦) راجع ص

(٧٧) هو : إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام بن خويلد بن أسد الأسدى الحزامى ، قال عثمان الدرامى : رأيت ابن معين كتب عن إبراهيم بن المنذر أحاديث ظنتها المغازى . وقال بعض : هو أعرف بالحديث من إبراهيم بن حمزة إلَّا أنه خلط فى القرآن ، فلم يردَّ عليه أحمد السلام . قال الخطيب : أما المناكير فقلما توجد فى حديثه إلا أن يكون عن المجهولين . ومع هذا فإن يحيى بن معين وغيره من الحفاظ كانوا يرضونه ويوثقونه . قال يعقوب بن سفيان : مات سنة ٢٣٦ هـ فى المحرم . صدر من الحج فمات فى المدينة وقال بعض : مات سنة ٢٣٥ هـ . (تهذيب التهذيب : لابن حجر . طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ص ١٦٦) .

(٧٨) معن بن عيسى : هو معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعى مولاهم القزاز المدنى روى عن مالك وإبراهيم بن طحان ، وعنه ابنه معين ، وأبو بكر بن أبى شيبه ، وخلق قال أبو حاتم : أثبت أصحاب مالك وأوثقهم : معن بن عيسى . وقال ابن سعيد : كان ثقة كثير الحديث ثبتا مأمونا . (طبقات الحفاظ : للسيوطى ص ٢٠٤) . مات بالمدينة سنة ١٩٨ هـ .

(٧٩) عبد الرحمن بن أبى الموال . هو : زيد ، وقيل : عبد الرحمن بن زيد بن أبى موال أبو محمد مولى آل على روى عن محمد بن كعب القرظى ، ومحمد بن المنكود الزهرى ، وعبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى وفائد مولى عبادل ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، والحسين بن على بن الحسين ، وأبى جعفر الباقر - وعنه : الثورى وهو من أقرانه ، وخالد بن مخلد وعبد العزيز بن عبد الله الأوسى ، ويحيى بن حسان ، ومطرف بن عبد الله . قال أبو طالب عن أحمد كان يروى حديثا منكرا عن ابن المنكدر عن جابر فى الاستخارة ، ليس أحد يرويه غيره . (تهذيب التهذيب : ٦ / ٢٨٢) .

(٨٠) محمد بن المنكدر : هو : محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَير (بالتصغير) بن عبد العزّى القرشى التيمى (من بنى تيم بن مرة) المدنى ، زاهد من رجال الحديث ، من أهل المدينة ، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم . له نحو مائتى حديث . قال ابن عيينه : ابن المنكدر من معادن الصدق قيل توفى سنة ١٣٠ هـ وقيل سنة ١٣١ هـ . (الأعلام ٧ / ٣٣٣) .

(٨١) عبد الله بن الحسن : هو ابن الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى ، أبو محمد ، تابعى من أهل المدينة ، قال الطبرى : كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف ، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز ، ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح وهو بالأنبار فأعطاه ألف ألف درهم ، وعاد إلى المدينة ، ثم حبسه بها المنصور عدة سنوات ، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم ، ونقله إلى الكوفة ، فمات سجينا فيها ، كما حققه الخطيب البغدادى سنة ١٤٥ هـ . (الأعلام ٤ / ٢٠٧) .

(٨٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى السلمى : صحابى من المكثرين فى الرواية عن النبى ﷺ . وروى عنه جماعة من الصحابة ، له ولأبيه صحبة غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له فى أواخر أيامه حلقة فى المسجد النبوى ، يؤخذ عنه العلم روى له البخارى ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثا . توفى سنة ٧٨ هـ . (الأعلام : ٢ / ٩٢) .

(٨٣) روى هذا الحديث فى سنن ابن ماجه ، باب ما جاء فى صلاة الاستخارة رقم ١٨٨ ، ورقم الحديث ١٢٨٣ وقد رواه الترمذى أيضًا فى باب الوتر : ١٨ ، والبخارى فى التهجد : ٣٥ ، والدعوات : ٤٩ والتوحيد : ١٠ .

والقوّة حق لله تعالى ، وليستا غير الله تعالى ، ولا يقال هما الله تعالى . وقال تعالى : « كَتَبَ عَلَى نفسه الرَّحمة[٨٤]» وقال تعالى : « ويُحَذِّرُكُم الله نَفْسَه[٨٥]» .

فنفس الله تعالى إخباره عنه لا عن شىء غيره أصلًا ، فإن ذكر ذاكر قول الله عزَّ وجل ، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه يقول لربه تعالى : « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فى نَفْسِكَ إنَّكَ أنت علَّامُ الغُيوب[٨٦]» قلنا هذا على ظاهره ، وعلى الحقيقة لأن كل غيب فهو معلوم فى علم الله تعالى العليم بكل شىء فجرى الكلام على ما يتخاطب به الناس مما لا يتوصلون إلى العبارة عما يريدون إلا به ، وهذا معهود من القول ، أن يقول القائل نفس الشىء وحقيقته يراد بذلك الشىء لا ما سواه ، وكذلك القول فى الذات ولا فرق ، فقوله عليه السلام : « ولا أعلم ما فى نفسك » . إنما معناه بلا شك : ولا أعلم ما عندك ، وما فى علمك . وصح عن رسول الله ﷺ : أنه أخبر أن الله تعالى يتنزل فى كل ليلة إذا بقى ثلث الليل إلى السماء الدنيا[٨٧]» .

قال أبو محمد : وهذا إنما هو فعل يفعله الله عزَّ وجل فى سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء ، وأنَّ تلك الساعة من مظانّ القبول والإجابة ، والمغفرة للمستغفرين ، والتائبين ، وهذا معهود فى اللغة . تقول نزل[٨٨] فلان عن حقه بمعنى وهبه لى وتطول به على . ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علّق التنزل المذكور بوقت محدود فصح أنه فعل محدث فى ذلك الوقت ، مفعول حينئذ . وقد علمنا أنَّ ما لم ينزل[٨٩] فليس متعلقًا بزمان ألبتة . وقد بيَّن رسول الله ﷺ فى بعض ألفاظ الحديث المذكور – ما ذلك الفعل المذكور – وهو أنَّه ذكر عليه السلام : أن الله عزَّ وجل يأمر ملكًا ينادى فى ذلك الوقت بذلك . وأيضًا فإن ثلث الليل مختلف فى البلاد باختلاف المطالع والمغارب ، يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه ، فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى فى ذلك لأهل كل أفق .

وأمَّا من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله ، فى إبطال القول بالجسم بعون الله وتأييده . ولو انتقل تعالى لكان محدودًا ، مخلوقًا ، مؤلفًا ، شاغلًا لمكان ، وهذه صفة المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

---

(٨٤) سورة الأنعام : ١٢ .

(٨٥) سورة آل عمران : ٢٨ .

(٨٦) المائدة : ١١٦ .

(٨٧) وقد روى هذا الحديث بروايات متعددة ، وأقرب الروايات إلى ما رواه ابن حزم هى رواية مسلم : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول من يدعونى فأستجيب له ، ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرنى فأغفر له . ٢٤ باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل ، والإجابة فيه ، ورقم الحديث ٧٥٨ ورواه أيضًا البخارى فى التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، وأخرجه ابن ماجه باب : ما جاء فى أى ساعات الليل أفضل .

(٨٨) فى (خ) : « تنزل» .

(٨٩) فى (أ ، ب) : (ما لم يزل) وهو تحريف .

وقد حمد الله عزَّ وجل لإبراهيم[٩٠] خليله ، ورسوله ، وعبده ﷺ ، إذْ بيَّن لقومه بنقلة القمر أنه ليس ربًّا . قال تعالى : « فلمَّا أَفَلَ قال : لا أُحِبُّ الآفلين[٩١] » .

وكل منتقل عن مكان فهو آفل عنه . تعالى الله عن هذا . وكذلك القول فى قوله تعالى : « وَجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صفًّا صفًّا[٩٢] » .

وقوله تعالى : « هَلْ ينظرونَ إلا أن يأتيهم الله فى ظُلَلٍ مِن الغَمَامِ والملائكةُ وقُضِىَ الأَمْرُ[٩٣] » .

فهذا كله على ما بينا من أن المجىء والإتيان ، يوم القيامة فعل يفعله الله عزَّ وجل فى ذلك اليوم ، يسمَّى ذلك الفعل مجيئًا وإتيانًا ، وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : « وَجَاءَ رَبُّكَ » إنما معناه : وجاء أمر ربك .

قال أبو محمد : لا تعقل الصفة[٩٤] والصفات فى اللغة التى بها نزل القرآن وفى سائر اللغات ، وفى وجود العقل ، وضرورة الحسّ ، إلا أعراضاً محمولة فى الموصوف[٩٥] بها ، فإذا جوَّزوها غير أعراض بخلاف المعهود فقد تحكَّموا بلا دليل إذْ إنما صاروا[٩٦] إلى مثل هذا فيما ورد به النص ، ولم يرد قط نصٌّ بلفظ الصفات ، ولا بلفظ الصفة ، فمن المحال أن يؤتى بلفظ لا نصَّ فيه يعبَّر به عن خلاف المعهود . وقال تعالى : « لِلَّذِين لَا يُؤْمِنونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وللهِ المثلُ الأَعْلَى ، وهو العزيزُ الحكيم[٩٧] » .

ثم قال تعالى : « فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ إنَّ الله يَعْلَمُ وأنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[٩٨] » . فلو ذكروا الأمثال مكان الصفات لِذِكْرِ الله تعالى لفظة المثل لكان أولى . ثم قد بيَّن الله تعالى غاية البيان بأن قال : « فلا تضربوا لله الأمثال » .

وقد أخبر تعالى : بأن له المثل الأعلى ، فصحَّ ضرورة أنه لا يضرب له مثل إلا ما أخبر به تعالى فقط ، ولا يحل أن يزاد على ذلك شىءٌ أصلاً . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٩٠) فى (أ) : « إبراهيم » .
(٩١) سورة الأنعام : ٧٦ .
(٩٢) سورة الفجر : ٢٢ .
(٩٣) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٩٤) فى (خ) : لم تذكر كلمة (الصفة) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : فى الموصوفين .
(٩٦) فى (أ ، ب) : « يصار » .
(٩٧) سورة النحل : ٦٠ .
(٩٨) سورة النحل : ٧٤ .

« الكلام فى الماهِيَّة[١] »

قال أبو محمد : ذهبت طوائف من المعتزلة إلى أنَّ الله تعالى لا ماهية له وذهب أهل السنة ، وضرار بن عمرو إلى أنَّ لله تعالى ماهية قال ضرار : لا يعلمها غيره .

قال أبو محمد : والذى نقول به . وبالله تعالى التوفيق : أن له تعالى ماهية ، وهى أَنِيَّتُه نفسها ، وأنه لا جواب لمن سأل : ما هو البارى .. ؟

إلا ما أجاب به موسى عليه السلام إذ سأله فرعون : وما ربُّ العالمين ؟

ونقول : إنه لا جواب هاهنا إلَّا فى علم الله تعالى ، ولا عندنا إلَّا ما أجاب به موسى عليه السلام لأنَّ الله تعالى حمد ذلك منه ، وصدَّقه[٢] فيه . ولو لم يكن جوابًا صحيحًا تامًّا لا نقص فيه لما حمده الله .

واحتجَّ من أنكر الماهية بأن قال : لا تخلو الماهية من أن تكون هى الله عزَّ وجل ، أو تكون غيره ، فإن كانت غيره ، والماهية لم تزل ، فلم يزل مع الله تعالى غيره ، وهذا كفر[٣].

وإن كانت هى[٤] هو ، وكنا لا نعلمها ، فقد صرنا لا نعلم الله عزَّ وجل ، وهذا إقرار بأننا نجهله ، والجهل بالله تعالى كفر به .

---

(١) فى (أ) : « المائية » بالهمزة وهو تحريف شنيع ، ومن العجب أن هذا التحريف تكرر فى هذا الفصل كثيرًا .
(٢) فى (خ ، ب) : وصدّق فيه .
(٣) فى (أ ، ب) : « شرك وكفر » .
(٤) فى (أ ، ب) : « هو وهى » .

وقالوا : لو أمكن أن تكون له ماهية لكانت له كيفية .

قال أبو محمد : وهذا من جهلهم بحدود الكلام ، ومواقع الأسماء على المسمّيات . وماهية[٥] الشىء إنما هى الجواب فى سؤال السائل بما هو . وهذا سؤال عن حقيقة الشىء وذاته ، فمن أبطل الماهية فقد أبطل حقيقة الشىء المسئول عنه بما هو ؟ لكن أول مراتب الإثبات فيما بيَّنا هى الأنية ، وهى إثبات وجود الشىء فقط ، وهذا أمر قد علمناه وأحطنا به ، ولا يتبعض العلم بذلك فيعلم بعضه ، ويجهل بعضه بل[٦] يتلو الأنية ، التى هى جواب السائل بهل فيما بيَّنا[٧] السؤال بما هو .. ؟ .

وأمَّا البارى عزَّ وجل فالسؤال عنه بما هو .. ؟ هو السؤال بهل ، وهو والجواب فى كليهما واحد . فنقول : هو حق واحد ، أحد[٨]، أوَّل ، لا يشبهه شىء من خلقه . وإنما اختلفت الأنية ، والماهية فى غير الله تعالى لاختلاف الأعراض فى المسئول عنه ، وليس الله تعالى كذلك ، ولا هو حامل أعراضًا أصلًا . هاهنا نقف ، ولا نعلم أكثر ، ولا هاهنا أيضًا شىءٌ غير هذا إلَّا ما علَّمنا ربنا تعالى من سائر أسمائه ، كالعليم والقدير ، والمؤمن ، والمهيمن ، وسائر أسمائه . وقد أخبر تعالى على لسان نبيه ﷺ : « أن له تسعة وتسعين اسمًا ، مائة غير واحد[٩]» .

وقال تعالى : « ولَا يُحِيطون به علما[١٠]» .

قال أبو محمد : وهذا كلام صحيح على ظاهره ، إذ كل ما أحاط به العلم فهو متناهٍ محدود وهذا منفى عن الله عزَّ وجل ، وواجب فى غيره لوقوع العدد المحاط به فى أعراض كل ما دونه تعالى ، ولا يحاط بما لا حدود له ، ولا عدد له ، فصحٌ يقينًا أننا نعلم الله عزَّ وجلَّ حقًّا ، ولا نحيط به علمًا ، كما قال تعالى .

قال أبو محمد : فالأنّية فى الله تعالى هى الماهية التى أنكرها أهل الجهل بحقائق القرآن[١١] والسنن . نحمد الله عزَّ وجل على ما منَّ به علينا من تيسيرنا لاتباع كلامه[١٢]، وتدبّره وطلب سنن نبينا محمد ﷺ والوقوف عندهما ، ومعرفتنا بأنَّ العقل لا يحكم به على خالقه ، لكن نفهم به أوامره تعالى ، نميز به حقائق ما خلق فقط ، وما توفيقنا إلَّا بالله .

---

(٥) فى (أ ، ب) : « إذْ ماهية » .
(٦) فى (أ) : « ثم » بدلا من (بل) .
(٧) فى (أ) : « بيَّننا » .
(٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (أحد) .
(٩) ورد هذا الحديث فى البخارى فى باب التوحيد : ١٢ ، وفى الدعوات : ٦٩ . وجاء فى مسلم فى باب الذكر : ٥ ، ٦ وجاء فى الترمذى فى باب الدعوات : ٨٣ ، وفى ابن ماجه فى الدعاء : ١٠
(١٠) سورة طه : ١١٠ .
(١١) فى (أ ، ب) : « بحائق الأمور وبالقرآن » .
(١٢) فى (أ ، ب) : (كتابه) .

وأما قولهم : لو كانت له ماهية لكانت له كيفية ، فكلام قوم جهالٍ بالحقائق ، وقد بيَّنا وبان لكل ذى عقل أنَّ السؤال بما هو الشىء ؟ غير السؤال بكيف هو الشىء ؟ وأن المسئول عنه بأحدى اللفظتين المذكورتين ، غير المسئول عنه بالأخرى . وأن الجواب عن إحداهما غير الجواب عن الأخرى .

وبيان ذلك : أن السؤال بما هو الشىء[١٣].. ؟ إنما هو سؤال عن ذاته واسمه . وأن السؤال بكيف .. ؟ إنما هو سؤال عن حاله وأعراضه . وهذا لا يجوز أن يوصف به البارى تعالى ، فلاح الفرق ظاهراً . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(١٣) فى (أ ، ب) · لم يذكر كلمة (الشىء) .

« الكلامُ فِي السُّخْطِ ، والرِّضَا ، وَالعَدْلِ ، والصِّدْقِ ، والمُلْكِ والخلْقِ والجُودِ ، والإِرادةِ ، والسَّخاء ، والكرم ، وما يُخبِر عَنُه تعالى بالقُدرةِ عليه ، وكيفَ يَصحّ السؤالَ فى ذلك كلَه .. ؟

قال أبو محمد : نقول : لم يزل الله تعالى عالمًا بأنه سيسخط على الكفار ، وسيرضى على المؤمنين ، وسيعذّب بالنّار من عصاه ، وسيُنَعّم بالجنة من أطاعه ، وسيعدل إذا حكم ، وسيصدق إذا أخبر ، ولم يزل عالمًا بأنه سيخلق ما يخلق ، وأنه رب ما يخلق من العالمين ، ومالك كل شيء ، ويوم الدِّين ، وأن له ملك كل ما يخلق ، لأن كل ما ذكرنا يقتضى وجود كلٍّ ما علق به ، وكلُّ ما علق به محدث لم يكن ثم كان . ولم يزل تعالى عليمًا بكل ذلك ، وأنه سيكون كل ما يكون على ما هو كائن عليه إذا كوَّنه . وأمَّا الإرادة فقد أثبتها قوم من صفات الذَّات وقالوا : لم تزل الإرادة ، ولم يزل الله تعالى .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لبرهانين ضروريين .

أحدهما : أنَّ الله تعالى لم ينص على أنه مريد ، ولا على أن له إرادة ، وقد قدَّمنا البرهان فيما سلف من كتابنا هذا[1]، على أنه لا يجوز أن يشتق لله تعالى أسماء ولا صفات ، وأوردنا

(١) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هذا) .

من ذلك ، أنه لا يقال : إنه تعالى متبارك ، ويقال : تبارك الله ، ولا يقال إنه مستهزئٌ ، ويقال : « الله يستهزىء بهم » . ولا أنه عاقل وكذلك لا يجوز أن يقال : إنه تعالى باق ، ولا دائم ، ولا ثابت ، ولا سخى ، ولا جواد لأنه تعالى لم يُسمِّ به نفسه ، لكن يقال : المتعالى ، كما قال تعالى ويقال(٢): هو الكريم الغنىُّ ، ولا يقال : الموسر ، ويقال : هو القوى ، ولا يقال : الجلد ، ويقال : لم يزل ، ولا يزال(٣)، هو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، ولا يقال هو : الخفى ، ولا الغائب ، ولا البارز ، ولا المشتهر . ويقال : هو الغالب على أمره ، ولا يقال هو الظافر . والمعنى فى كل ما ذكرنا من اللغة واحد ، فمن أطلق عليه تعالى بعض هذه الصفات والأسماء ، ومنع من بعضها فقد ألحد فى أسمائه عز وجل ، وأقدم إقدامًا عظيمًا . نعوذ بالله من ذلك .

وأيضًا : فإن الإرادة من الله تعالى لو كانت لم تزل ، لكان المراد : لم يزل بنص القرآن ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ قال : « إنَّمَا أَمْرُه إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون(٤) » .

فأخبر تعالى : أنه إذا أراد الشىء كان ، وأجمع المسلمون على تصويب قول من قال : ما شاء الله كان . والمشيئة هى الإرادة ، فصح بما ذكرنا صحة لا شك فيها ، أنَّ الواجب أن يقال : أراد الله كما قال تعالى : « إذا أراد شيئًا » .

ونقول : إنه تعالى : يريد ما أراد ، ولا يريد ما لم يرد . كما قال تعالى : « يريد الله بكم اليُسْر ، ولا يريد بكم العسر(٥) » .

وقال تعالى : « أُولئِكَ الذين لم يرد الله أن يطهِّر قلوبهم(٦) » .

« وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مردَّ له(٧) » .

وقال تعالى : « فَمَنْ يُرِدِ الله أن يَهْدِيَه يشْرَحْ صَدْرَه للإسلَام ، وَمَنْ يُرِدْ أن يُضِلَّه يَجْعَلْ صَدْرَه ضيِّقًا حَرَجًا(٨) » .

فنحن نقول كما قال الله تعالى : أراد ، ويريد ، ولم يرد ، ولا يريد . ولا نقول : إن له تعالى إرادة ، ولا أنه مريد ، لأنه لم يأت نصٌّ من الله تعالى بذلك ، ولا من رسوله ﷺ . ولا جاء ذلك

---

(٢) ف (خ) : سقطت كلمة (ويقال) .
(٣) ف (أ) : (ولا زال) .
(٤) سورة يس : ٨٢ .
(٥) سورة البقرة : ١٨٥ .
(٦) سورة المائدة : ٤١ .
(٧) سورة الرعد : ١١ .
(٨) سورة الأنعام : ١٢٥ .

قط من أحدٍ من السلف الصالح[٩] رضى الله عنهم . وإنما أطلق هذا الإطلاق الفاحش قوم من الخوالف المسمَّين بالمتكلمين . الخوفُ عليهم أشدُّ[١٠] من رجاء السلامة لهم ، لا قدم صدق لهم فى الإسلام ، ولا فى الورع ، ولا فى الاجتهاد فى الخير ، ولا فى العلم بالقرآن ، ولا بسنن رسول الله ﷺ ، ولا بما أجمع المسلمون عليه ، ولا بما اختلفوا فيه ، ولا بأقوال الصّحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، ولا بحدود الكلام ، ولا بحقائق ماهيات المخلوقات ، وكيفيَّاتها ، فهم يتبعون ما تراءى لهم ، ويقتحمون المهالك بلا هدى من الله عزَّ وجل . ونعوذ بالله من ذلك ، وقد قال تعالى : « وَلَوْ رَدُّوه إِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَه الذين يَسْتَنْبِطونه منهم[١١]» .

فنص تعالى على أن من لم يَرُدَّ ما اختُلِفَ فيه إلى كتابه ، وإلى كلام رسوله ، ﷺ ، وإلى إجماع العلماء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، ولا من سلك سبيلهم بعدهم ، فلم يعلم ما استنبطه بظنه ورأيه ، وليس ننكر المحاجة على القصد إلى تبيين الحق وتبينه ، بل هذا هو العمل الفاضل الحسن وإنما ننكر الإقدام فى الدّين بغير برهان من قرآن أو سنة ، أو إجماعٍ ، بعد أن أوجبه برهان الحس ، وأوَّل بديهة العقل ، والنتائج الثابتة من مقدماته الصحيحة ، من صحة التوحيد ، والنبوة . فإذا ثبت[١٢] ما ذكرنا ، فضرورة العقلِ توجب الوقوف عند جميع ما قاله لنا الرسول الذى بعثه الله تعالى إلينا ، وأمرنا بطاعته ، وألَّا يعُترض عليه بالظنون الكاذبة ، والآراء الفاسدة ، والقياسات[١٣] السخيفة ، والتقليد المهلك .

فإن قال قائل : وما الذى يمنع من أن نقول : لم يزل الله مريدًا لما أراد كَوْنَه إذا كوَّنه . ؟

قلنا وبالله تعالى التوفيق : يمنع من ذلك أن الله عز وجل أخبر نصًّا : بأنه إذا أراد شيئًا كوَّنه فكان ، فلو كان تعالى لم يزل مريدًا ، لكان لم يزل ما يريد وهذا إلحاد .

ويقال لهم أيضًا : ما الفرق بينكم وبين من عكس قولكم ، فقال : لم يزل الله تعالى غير مريد لأن يخلق حتى خلق ، وهذا لا انفكاك منه .

* * *

(٩) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (الصالح) .
(١٠) فى (أ ، ب) : (أقوى) بدلًا من (أشد)
(١١) سورة النساء : ٨٣ .
(١٢) فى (أ ، ب) : (ثبتا بما ذكرنا) .
(١٣) فى (ح) : سقطت كلمة : (والقياسات) .

قال أبو محمد : ولو أن قائلًا يقول إن الخلق هو المراد كونه من الله تعالى فهو مراد الله تعالى ، وهو الإرادة نفسها ، وأنه لا إرادة له إلّا ما خلق لما أنكرنا ذلك وإنما ننكر قول من يجعل الإرادة صفة ذات لم تزل ، لأنه يصف الله تعالى بما لم يصف الله تعالى به نفسه ، وقول من يجعلها صفة فعل ، وأنها غير الخلق لأنه يلزمه أنَّ تلك الإرادة إمَّا مرادة مخلوقة ، وإما غير مرادة ، ولا مخلوقة .

فإن قال : هى مرّادة مخلوقة .

قيل له : أهى مرادة بإرادة هى غيرها ، ومخلوقة بخلق هو غيرها .. ؟ أم لا بإرادة ولا بخلق .. ؟

فإن قال قائل[١٤]: هى مراده لا[١٥] بإرادة ، وأتى بالمحال الذى يبطله العقل ، ولم يأت به نصٌّ . فيلزمه الوقوف عنده ، وكذلك قوله : مخلوقة بغير خلق .

وإن قال : هى مرادة بإرادة هى غيرها ، ومخلوقة بخلق هو غيرها ، لزمه فى إرادة الإرادة ، وخلق خلقها ما ألزمناه فى الإرادة وفى خلقها وهكذا[١٦] أبدًا . وهذا يوجب وجود محدثات لا نهاية لعددها أبدًا[١٧]، وهذا هو قول الدَّهرية الذى أبطله الله تعالى بضرورة العقل ، والنص على ما بينا فى صدر كتابنا[١٨] هذا ، وبالله تعالى التوفيق .

وإن قال قائل[١٩]: إن الإرادة ليست مرادة ، ولا مخلوقة أتى بقول يبطله ضرورة[٢٠] العقل لأن القول بإرادة غير مرادة محال ، غير موجود ، ولا يعقل[٢١] ولا يحسُّ فيما بيننا ، ولا بدليل فيما غاب عنهم[٢٢]. فهو قول مجرد[٢٣] الدعوى ، فهو باطل ضرورة . وكذلك يلزمه إن قال : إنها محدثة غير مخلوقة ما يلزم من قال : إن العالم محدث لا مُحدِث له ، وقد تقدّم بطلان هذا القول بالبراهين الضرورية . وبالله تعالى التوفيق .

وأمَّا تسمية الله عزَّ وجل جوادًا ، أو سخيًا[٢٤]، أو وصفه[٢٥] تعالى : بأن له جودًا ،

---

(١٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قائل) .
(١٥) فى (أ ، ب) : « هى مرادة بلا إرادة » .
(١٦) فى (خ) : سقطت كلمة (وهكذا) .
(١٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (أبدا) .
(١٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .
(١٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قائل) .
(٢٠) فى (خ) : سقطت كلمة (ضرورة) .
(٢١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (يعقل) .
(٢٢) فى (أ ، ب) : (عنا) .
(٢٣) فى (أ ، ب) : (بمجرد) .
(٢٤) فى (أ ، ب) : جوادا سخيا بغير (أو) .
(٢٥) فى (أ ، ب) : (صفته) .

وسخاء ، فلا يحل ذلك ألبتة . ولو أن المعتزلة المقدمين على تسمية ربهم : جوادًا ، وأن له[٢٦] جودًا - يكون لهم علم بلغة العرب ، أو بحقيقة[٢٧] الأسماء ، ووقوعها على المسمّيات ، أو بمعانى الأسماء والصفات - ما أقدموا على هذه العظيمة ، ولا وقعوا فى الاقتداء[٢٨] بالكفاز القائلين : إن علة خلق لله تعالى لما خلق إنما هى جوده حتى أوقعهم ذلك فى القول بأنَّ العالم لم يزل ، ولكن المعتزلة قوم[٢٩] معذورون بالجهالة[٣٠] عذرًا يبعدهم عن الكفر ، ولا يخرجهم عن الإيمان لا عذرًا يسقط عنهم الملامة لأن التعليم[٣١] لهم معروض ممكن ، ولكن لا هادى لمن أضلَّ الله عزَّ وجل . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : والمانع لهم[٣٢] من ذلك وجهان :

أحدهما : أنه تعالى لم يسمّ بذلك نفسه ولا وصف به نفسه ، ولا يحلُّ لأحدٍ أن يتعدّى حدود الله تعالى ، لا سيمَّا فيما لا دليل فيه إلَّا النص فقط .

والوجه الثانى : أنَّ الجود ، والسخاء ، فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله تعالى ، وبها نتفاهم مرادَنا إنما هما لفظان واقعان على بذل الفضل عن الحاجة ، لا يعبَّر بلفظ الجود والسخاء إلَّا عن هذا المعنى ، وهذا المعنى مبعد عن الله عزَّ وجل ، لأنه تعالى لا يحتاج إلى شيء فيكون له فضل يبذله ، فيسمَّى ببذله له سخيًّا ، وجوادًا ، ويوصف من أجل ذلك[٣٣] بجود وسخاء . أو يكون بمنعه بخيلًا ، أو شحيحًا ، أو موصوفًا ببخل أو بشحٍّ .

* * *

قال أبو محمد : ولا يختلف اثنان[٣٤] من كل من فى العالم فى أن أمرأً له ماءٌ عذبٌ حاضرٌ كثير[٣٥]، لا يحتاج إليه ، وطعام عظيم فاضل به إليه ، ورأى رجلًا من عرض الناس ، أو عبدًا من عبيده يموت جوعًا أو[٣٦] عطشًا فلم يسقه ، ولا أطعمه فإنه فى غاية البخل والشح ، والقسوة ،

---

(٢٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وأن له جودًا) .
(٢٧) فى (ح) : (تحقيق) .
(٢٨) فى (أ) ، (ح) : « الايتا » هو تحريف طاهر .
(٢٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قوم) .
(٣٠) فى (أ ، ب) : (بالجهل) .
(٣١) فى (أ ، ب) : (التعلم) .
(٣٢) سقطت كلمة (لهم) من (أ ، ب) .
(٣٣) فى (أ ، ب) : « بذله » .
(٣٤) فى (خ) : « إنسان » .
(٣٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كثير) .
(٣٦) فى (أ ، ب) : (و) بدلًا من (أو) .

والظلم ، والله تعالى يرى كثيرًا من عباده ، وأطفالًا من أطفالهم لا ذنب لهم ، وهم يموتون جوعًا أو عطشًا ، وعنده مخارج[٣٧] السماوات وخزائن الأرض ، ولا يرحمهم بنقطة ماء ، ولا لقمة طعام حتى يموتوا جوعًا وعطشًا[٣٨] ولا يوصف لذلك ببخل ، ولا بظلم ، ولا بقسوة بل هو أرحم الراحمين[٣٩] والرحمن ، والكريم ، الذى لا يظلم ، ولا يجور ، كما سمّى نفسه – فبطل قياسهم الفاسد فى الصفات الغائبَ على الشّاهد . وبطل أن يوصف الله عز وجل بشىء من كل[٤٠] ذلك ، وليس لأحد أن يحيل الأسماء اللغوية عن موضعها فى اللغة إلا أن يأتى نصٌّ بإحالة شىء من ذلك عن موضوعه[٤١] فيوقف عنده ، ومن تعدّى هذا الحكم فإنه مبطل للتفاهم كله ، نعم ، وللحقائق بأسرها ، لأنه[٤٢] لا يعجز أحدٌ أن يسمِّىَ الحقَّ باطلًا ، والباطل حقًا ، وأن يحيل الأسماء كلّها عن موضوعها ، وهذا خروج عن الشرائع والمعقول ولكنّا نقول : إنه كريم ، كما قال تعالى . ولا يبعد عنّا أن تسمى نعم الله تعالى على عباده كرمًا ، وأن الله تعالى كريم – نستحسن إطلاق ذلك ، ونسميها أيضًا فضلًا -- قال الله عزَّ وجل : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٤٣] » .

وقد ثبت النص بأن[٤٤] له تعالى كرمًا ، وحدَّثنا عبد الرحمن[٤٥] بن عبد الله بن خالد حدثنا إبراهيم[٤٦] بن أحمد ، أنبانا الفربرى ، حدثنا البخارى قال : لى خليفة[٤٧] بن خياط ، حدثنا يزيد[٤٨]

---

(٣٧) فى (أ ، ب) : « مخادع » .
(٣٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (جوعا وعطشا) .
(٣٩) فى (خ) : سقطت كلمة (أرحم الراحمين) ، وفى (أ ، ب) (والرحيم) بدلًا من (والرحمن) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .
(٤١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عن موضوعه) .
(٤٢) فى (أ ، ب) : (إلا أنه) .
(٤٣) سورة الحديد : ٢١ .
(٤٤) فى (خ) : (لأن) .
(٤٥) هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حكيم بن حرام الأسدى ، روى عن عمرو بن شعيب ، وعنه روى ابنه المغيرة . (تهذيب التهذيب : ٦ / ٢٠٦) .
(٤٦) هو : إبراهيم بن أحمد البلخى المعروف بالمستملى ، فاضل من أهل بلخ ، له كتاب معجم الشيوخ توفى سنة ٣٧٦ هـ . (الأعلام ١ / ٢٥٧) .
(٤٧) هو : خليفة بن خياط بن خليفة الشيبانى البصرى ، أبو عمرو ، ويعرف بخباب ، محدث نسابة ، من تصانيفه : التاريخ عشرة أجزاء ، والطبقات ثمانية أجزاء ، وكان مستقيم الحديث ، من متيقظى رواته . توفى عام ٢٤٠ هـ . (الأعلام : ١ / ٣٦١) .
(٤٨) هو : يزيد بن زريع ، أبو معاوية البصرى ، محدث البصرة فى عصره ، قال عنه أحمد بن حنبل : ما أتقنه وما أحفظه !! لقد كان ريحانه البصرة . وقال عنه ابن سعد : كان ثقة حجة ، كثير الحديث ، وقد اشتغل أبوه فى ولاية الأبلة . توفى سنة ١٨٢ هـ . (الأعلام : ٩ / ٢٣٥) .

ابن زريع ، حدثنا سعيد[٤٩] عن قتادة[٥٠]، عن أنس[٥١] بن مالك وعن معتمر[٥٢] بن سليمان قال : سمعت أبى يحدث عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « لا يزال يلقى فيها ، وتقول هل من مزيد ، حتى يضع فيها رب العالمين قدمه ، فيُزْوى بعضها إلى بعض وتقول قَدٍ قَدٍ ، وعزتك ، وكرمك[٥٣]» .

قال أبو محمد : وقد اضطرب الناس فى السؤال عن أشياء ذكروها وسألوا : هل يقدر الله عليها أم لا .. ؟

واضطربوا أيضًا فى الجواب عن ذلك .

قال أبو محمد : ونحن إن شاء الله تعالى مبينون بحوله وقوته وجه تحقيق السؤال عن ذلك ، وتحقيق الجواب فيه دون خلط[٥٤]، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلى العظيم .

فنقول وبالله تعالى التوفيق : إنَّ السؤال إذا حقق بلفظ يفهم السائل منه مراد نفسه ، ويفهم المسئول مراد السائل عنه فهو سؤال صحيح . والجواب عنه لازم ومن أجاب عنه بأن هذا سؤال فاسد ، وأنه محال فإنما هو جاهل بالجواب ، منقطع متسلل عنه .

وأما السؤال الذى يفسد بعضه بعضًا ، وينقض آخره أوله فهو سؤال فاسد لم يحقق بعد ، وما لم يحقق السؤال عنه فلم يسأل عنه ، وما لم يسأل عنه فلا يلزم فيه[٥٥] جواب على تمثله[٥٦]، فهاتان قضيتان جامعتان ، وكافيتان فى هذا المعنى ، لا يشذ عنهما شىء منه إلَّا أنه لابدَّ من جواب ببيان حوالته لا على تحقيقه ، ولا على تشكله ولا على توهمه . وبالله تعالى التوفيق .

ثم نُحِدُّ المسئول عنه فى هذا الباب[٥٧] بِحدٍّ جامع بحول الله وقدرته ، فيرتفع الإشكال فى هذه المسألة إن شاء الله . فنقول وبالله تعالى نتأيّد :

---

(٤٩) هو : سعيد بن جبير أبو عبد الله ، تابعى ، كان أعلمهم على الإطلاق ، وهو حبشى الأصل من موالى بنى والبة بن الحارث ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ، ثم كان ابن عباس إذ أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، قال : أتسألوننى وفيكم ابن أم دهماء يعنى (سعيد بن جبير) خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان فقتله الحجاج بواسط عام ٩٥ هـ رحمه الله . (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٢) .

(٥٠) راجع ص

(٥١) راجع ص

(٥٢) هو : معتمر بن سليمان بن طرخان ، من موالى بنى مرة ، أبو محمد ، كان فى اليمن ، وانتقل إلى البصرة ، وصار محدثا لها فى عصره ، وكان حافظا ثقة ، نقل ابن حجر عن ابن خراس أنه ثقة . له كتاب فى المغازى ، حدّث عنه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل . توفى سنة ١٨٧ هـ . (الأعلام : ٩ / ٢١٧) .

(٥٣) سبق تخريج هذا الحديث ص

(٥٤) فى (أ ، ب) : « تخليط » .

(٥٥) فى (أ ، ب) : « عنه » .

(٥٦) فى (أ ، ب) : « مثله » .

(٥٧) فى (ح) : (نجد السؤال ... يُحدُّ بحدٍّ) .

إنَّ الشيء المسئول عنه فى هذا الباب إن كان إنما سأل السائل عن القدرة على إحداث فعل مبتدأ ، أو على إعدام فعل مبتدأ فالمسئول عنه مقدور عليه ، ولا نحاشى شيئًا ، والسؤال صحيح . والجواب عنه بنعم لازم .

وإن كان المسئول عنه ما لا ابتداء له : فالسؤال عن تغييره أو إحداثه أو إعدامه سؤال متفاسد ، لا يمكّن السائل عنه فهم معنى سؤاله ، ولا تحقيق سؤاله وما كان هكذا فلا يلزم الجواب عنه على تحقيقه ، ولا على تشكله ، لأن الجواب عن التشكل لا يكون إلّا عن جواب(٥٨) عن سؤال ، وليس هاهنا سؤال أصلًا ، فلا جواب(٥٩).

ثم نقول وبالله تعالى التوفيق : إنَّ من الواجب أن نبيّن بحول الله تعالى وقوّته : ما المحال .. ؟ وعلى أى شيء(٦٠) تقع هذه اللفظة . وعن ماذا يعبَّر عنها(٦١).. ؟ فإن من قطع(٦٢) بشيء ولم يعرف تحقيق معناه فهو فى غمرات من الجهل ، فنقول وبالله تعالى نتأيّد :

إنَّ المحال ينقسم أربعة أقسام لا خامس لها :

أحدها : محال بالإضافة .

والثانى : محال بالوجود(٦٣).

والثالث : محال فيما بيننا فى بنية العقل عندنا .

والرابع : محال مطلق .

فالمحال بالإضافة مثل : نبات اللحية لابن ثلاث سنين ، وإحباله أمرأة ، وكلام الأبله الغبى فى دقائق المنطق ، وصوغه الشعر العجيب ، وما أشبه هذا . فهذه المعانى موجودة فى العالم ممن هى ممكنة منه ، ممتنعة(٦٤) من غيرهم .

وأما المحال فى الوجود : فكانقلاب الجماد حيوانًا ، والحيوان جمادًا ، أو حيوانًا آخر ، وكنطق الحجر ، واختراع الأجسام ، وما أشبه ذلك ، فإن هذا النوع(٦٥) ليس ممكنًا عندنا ألبتة ، ولا موجودًا ، ولكنه متوهم فى العقل ، متشكل فى النفس كيف يكون لو كان . وبهذين القسمين يأتى الأنبياء عليهم السلام فى معجزاتهم الدالة على صدقهم فى النبوة .

(٥٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (جواب) .
(٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (فلا جواب) .
(٦٠) فى (أ ، ب) : (وعلى أى معنى) .
(٦١) فى (أ ، ب) : (بها) .
(٦٢) فى (أ ، ب) : (قام) .
(٦٣) فى (أ ، ب) : (فى الوجود) .
(٦٤) فى (أ) : سقطت كلمة : « ممتنعة من غيرهم » .
(٦٥) فى (أ ، ب) : (هذا كله) .

وأمَّا المحال فيما بيننا فى بنية العقل : فككون المرء قائمًا قاعدًا معًا فى حينٍ واحد وكسؤال السائل : هل يقدر الله تعالى على أن يجعل المرء قاعدًا لا قاعدًا معًا .. ؟ وسائر ما لا يتشكل فى العقل فيما يقع فيه التأثير لو أمكن فيما دون البارى عزَّ وجل - فهذه الوجوه الثلاثة من سأل عنها أيقدر الله تعالى عليها فهو سؤال صحيح مفهوم ، معروف وجهه ، يلزم الجواب عنه بنعم أن الله قادر على ذلك كله . إلا أن المحال فى بنية العقل فيما بيننا ، لا يكون ألبتة فى هذا العالم لا معجزة لنبى ولا غير ذلك ألبتة ، هذا واقع فى النفس بالضرورة ، ولا يبعد أن يكون الله تعالى يفعل هذا فى عالم له آخر .

وأما المحال المطلق : فهو كل سؤال أوجب على ذات البارى تغييرًا فهذا هو المحال لعينة الذى ينقض بعضه بعضًا ، ويفسد آخره أوّلَه ، وهذا النوع لم يزل محالًا فى علم الله تعالى ، ولا هو ممكن فهمه لأحد ، وما كان هكذا فليس سؤالًا ، ولا سأل سائله عن معنى مفهوم(٦٦) أصلًا ، وإذا لم يسأل فلا يقتضى جوابًا على تحقيقه أو توهمه ، لكن يقتضى جوابًا بنعم ، أو بلا . لئلَّا ينسب بذلك إلى وصفه تعالى بعدم القدرة الذى هو العجز بوجهه أصلًا .

وإن كنا موقنين بضرورة العقل بأن الله تعالى لم يفعله قط ، ولا يفعله أبدًا . وهذا مثل من سأل : أيقدر الله تعالى على نفسه ؟ أو على أن يجهل ، أو على أن يعجز ، أو على أن يحدث مثله .. ؟ أو على إحداث ما لا أول له .. ؟ فهذه سؤالات يفسد بعضها بعضًا تشبه كلام الممرورين ، والمجانين ، وكلام من لا(٦٧) يفهم . وهذا النوع لم يزل الله تعالى يعلمه محالًا ممتنعًا باطلًا قبل حدوث العقل وبعد حدوثه .

وأما المجال فى العقل فهو القسم الثالث : الذى ذكرنا قبل ، فإن العقل مخلوق ، محدث خلقه الله تعالى بعد أن لم يكن ، وإنما هو قوة من قوى النفس ، عرض محمول فيها أحدثه الله تعالى ، وأحدث رتبة على ماهى عليه ، مختارًا لذلك تعالى . وبضرورة العقل نعلم أن من اخترع شيئاً لم يكن قط لا على مثال سلف ، ولا عن ضرورة أوجبت عليه اختراعه لكن اختار أن يفعله(٦٨) ، فإنه قادر على ترك اختراعه ، قادر على اختراع غيره مثله ، أو خلافه ، ولا فرق بين قدرته على بعض ذلك ، وبين قدرته على سائره ، فكل ما خلقه تعالى محال فى العقل فقط ، فإنما كان محالاً مذ جعله الله تعالى محالاً ، وحين أحدث صورة العقل لا قبل ذلك ، فلو شاء الله تعالى ألا(٦٩) يجعله محالاً لما كان محالاً .

(٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (مفهوم) .
(٦٧) فى (خ) : (مالا) .
(٦٨) فى (خ) : لم يذكر كلمة (لكن اختار أن يفعله) .
(٦٩) فى (خ) : (أن يجعله) .

وكذلك من سأل هل يقدر الله تعالى على أن يجعل شيئًا موجودًا معدومًا معًا فى وقت واحد .. ؟ أو جسمًا فى مكانين .. ؟ أو جسمين فى مكان .. ؟ وكل ما[٧٠] أشبه هذا – فهو سؤال صحيح ، والله تعالى قادر على كل ذلك ، لو شاء أن يكوِّنه لكوَّنه . ومن البرهان على ذلك ما نراه فى منامنا مما لا شك[٧١] أنه محال فى حال اليقظة ممتنع يقينًا ، ونراه[٧٢] فى منامنا ممكنًا محسوسًا مرئيًا ببصر النفس[٧٣]، مسموعًا بسمعنا فبالضرورة يدرى كل ذى حسٍّ سليم[٧٤] أن الذى جعل المحال ممكنا فى النوم قادر على أن يوجده ممكنًا فى اليقظة .

وكل من سأل : هل الله تعالى قادر على أن يتخذ ولدًا .. ؟

فالجواب : أنه تعالى قادر على ذلك ، وقد نصَّ عزّ وجل على ذلك فى القرآن قال الله تعالى : « لو أراد أَنْ يتَّخِذَ ولدًا لا اصْطَفى مِمَّا يخلُق ما يشاء ، سُبْحَانَه هو الله الواحد القهار[٧٥]» .

وقال تعالى : « لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذ لهوًا لاتخذناه من لَدُنَّا إنْ كُنَّا فاعلين[٧٦]» .

قال أبو محمد : ومن لم يطلق أن الله عزَّ وجل يقدر على ذلك ، وحَسَّن قوله ، بأن قال لا يوصف الله بالقدرة على ذلك فقد قطع بأن الله عزَّ وجل لا يقدر ،إذ لا واسطة فيمن يقدر[٧٧] ولا يقدر ألبتة ، فلابدَّ من أحدهما ضرورة ، فمن قدر[٧٨] على شىء مَّا ، ثم وصف فى شىء آخر بأنه لا يقدر عليه فقد خرج من أنه لا يقدر عليه ، وإذا وصف فى شىء بأنه لا يقدر عليه ، فقد خرج بأنه يقدر عليه[٧٩]، وإذا وجب أنه لا يقدر عليه فقد ثبت أنه عاجز ضرورة عما لا يقدر عليه ، ولابدَّ . ومن وصف الله عزَّ وجل بالعجز فقد كفر .

وأيضًا فإن من قال : لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال فقد جعل قدرته سبحانه وتعالى متناهية ، وجعل قوته عزَّ وجل منقطعة محدودة وملزومة بذلك ضرورة أن قوته تعالى متناهية ، عرض ، وأنه تعالى فاعل بطبيعة فيه متناهية ، وهذا تحديدٌ للبارى عزَّ وجل ، وكفر به مجرد وإدخالٌ له فى جملة المخلوقين .

---

(٧٠) فى (ح) : « أو أشبه ذلك » .
(٧١) فى (خ) : « نشك » .
(٧٢) فى (خ) : « فنراه » .
(٧٣) فى (خ) : العين .
(٧٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (سليم) .
(٧٥) سورة الزمر : ٤ .
(٧٦) سورة الأنبياء : ١٧ .
(٧٧) فى (أ ، ب) : « فيمن يوصف بالقدرة » .
(٧٨) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « ولا يقدر ألبتة ، فلابد من أحدهما ضرورة فمن قدر » .
(٧٩) فى (أ ، ب) : سقط الكلام : « وإذا وصف فى شىء بأنه لا يقدر عليه فقد خرج بأنه يقدر عليه » .

ومعنى قولنا : « إن الله تعالى يقدر على المعلوم والمحال إنما هو على[٨٠] ما نبينه إن شاء الله تعالى : »

وهو أن سؤال السائل عن المحال ، والمعدوم - هو بلا شك سؤال موجود مسموع ملفوظ به . فجوابنا له هو أننا حققنا : أن الله تعالى قادر على أن يخلق لذلك اللفظ معنى يوجده ، وهذا جواب صحيح معقول ، وهذا قولنا وليس إلّا هذا القول . وقول عليٍّ الأسوارى الذى يقول : إن الله تعالى لا يقدر على غير ما علم أنه يفعله جملة[٨١].

وأمّا كل[٨٢] من خالفنا ، وخالف الأسواريَّ فلابد له من الرجوع إلى قولنا أو الوقوع فى قول الأسوارى ، وإن زعم أنه[٨٣] متى وصف الله تعالى بالقدرة على شىء لم[٨٤] يفعله من إبراء مريض ، أو خلق شىء ، أو تحريك شىء ساكن ، فإنه قد[٨٥] وصفه بالقدرة على إحالة علمه ، وتكذيب حكمه ، وهذا هو المحال - فقد قال بقولنا ولابدَّ . أو[٨٦] بقول الأسوارى ولابدّ .

وأما كل سؤال أدّى إلى القول فى ذاته عزّ وجل - فإننا نقول : إن كل ما سأل عنه سائلٌ لا يحاشى شيئًا فإن الله تعالى قادر عليه ، غير عاجز عنه إلّا أن من السؤالات سؤالات لا يُستحل[٨٧] سماعها ، ولا يحلّ[٨٨] النطق بها ، ولا يحل[٨٩] الجلوس حيث يلفظ بها ، وهى كل ما فيها كفر بالبارى عز وجل أو[٩٠] استخفاف به ، أو بنبى من أنبيائه ، أو بملك من ملائكته ، أو بآية[٩١] من آياته .

وقد قال تعالى : « وقد نزَّل عليكُمْ فى الكتابِ أنْ إذا سَمِعتم آياتِ الله يُكْفر بها ويُستْهزأ بها فلا تقعدوا مَعَهُم حتَّى يخوضوا فى حديثٍ غيرِه ، إنكم إذًا مثلُهم[٩٢] » .

---

(٨٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .

(٨١) فى (خ) : سقط الكلام من (وقول على الأسوارى إلى جملة) . والأسوارى هو أبو على عمرو بن فائد الأسوارى ، من كبار المتكلمين من أهل البصرة ، وكان منقطعا إلى محمد بن سليمان بن على الهاشمى ، وهو من الأساورة ، لقى عمرو بن عبيد وأخذ عنه ، وله مع عمرو مناظرات . توفى بعد المائتين بشىء يسير . قال عمرو بن فائد لأبى المنذر سلام القارى بحضرة محمد بن سليمان : ممن الحق . قال سلام : من الله . قال فمن المحق : قال : الله . قال : ممن الباطل ؟ قال : من الله . قال : فمن المبطل فسكت سلام وانقطع .. (الفهرست - الفن الأول من المقالة الخامسة : ٢٠٥) .

(٨٢) فى (أ) : سقطت كلمة (كل) .

(٨٣) فى الأصل (لأنه) .

(٨٤) فى (أ ، ب) : (ولم يفعله) .

(٨٥) فى (أ ، ب) : (قدر) .

(٨٦) فى (خ) : « ويقول الأسوارى » .

(٨٧) فى (ح) : « لا يستحل » .

(٨٨) فى (أ ، ب) : (ولا يستحل) .

(٨٩) فى (ح) : لم تذكر كلمة (يحل) .

(٩٠) فى (أ ، ب) : (واستخفاف) بدلا من (أو) .

(٩١) فى (خ) : لم يذكر كلمة (أو بآية) .

(٩٢) سورة النساء : ١٤٠ .

وقال عز وجل : « قُلْ أَبالله وآياتِه وَرَسُولِه كنتُم تَسْتَهزِئُون ، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانكم[٩٣]» .

قال أبو محمد : ولو أن سائلًا سألنا : هل الله قادر على أن يمسخ هذا الكافر قردًا أو[٩٤] كلبًا .. ؟

لقلنا : نعـم .

ولو أنه أراد أن يسألنا هذا السؤال : فيمن يلزمنا تعظيمه من ملك أو نبى ، أو صاحب نبى ، أو مسلم فاضل .. ؟

لم يحل لنا الاستماع إليه . ولكنا قد أجبناه جوابًا كافيًا ، بأن الله قادر على كل ما يُسأل عنه ، لا يحاشى شيئًا ، فمن تمادى بعد هذا الجواب الكافى – فإنما غرضه التشنيع فقط والإيهام[٩٥]، وهذا[٩٦] من دلائل العجز فى المناظرة ، والانقطاع . والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : والناس فى هذا الباب على أقسام :

فمبدؤها من الطرف : قول من قال : لا يوصف الله تعالى بالقدرة على غير ما يفعل ، وهو قول علىٍّ الأسوارىّ[٩٧] أحد شيوخ المعتزلة . واعلموا أنه لابد لكل من منع أن يقدر الله تعالى على محال ، أو على شىءٍ مما يُسأل عنه ، فلابد له[٩٨] ضرورة من المصير إلى هذا القول . أو ظهور تناقضه وتفاسد قوله ، وخروجه إلى المحال البحت[٩٩] الذى فرَّعنه بزعمه على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قال أبو محمد : وقد قالت طائفة بمعنى هذا القول إلَّا أنها استشنعت عبارة الأسوارىّ فقالت : إن الله تعالى قادر على كل شىء . ولكن إن سألنا سائل فقال : أيقدر الله تعالى على أمر كذا مع تقدّم علمه بأنه لا يكون .. ؟ قالوا : فالجواب أنه تعالى لا يوصف بالقدرة على ذلك .

قال أبو محمد : وهذا الإخفاء لأنهم أوجبوا قدرته وأعدموها على شىء واحد ، وهو الباطل بلا خفاء .

---

(٩٣) سورة التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .
(٩٤) فى (أ ، ب) : (وكلبا) بدلا من (أو) .
(٩٥) فى (أ ، ب) : « والتمويه » .
(٩٦) فى (أ ، ب) : « وهذان » .
(٩٧) فى (خ) : وهو قول « الأسوارى » .
(٩٨) كلمة (له) سقطت من (أ) .
(٩٩) فى (أ ، ب) : « البحث » .

وقالت طائفة : إنَّ الله تعالى قادر على غير ما فعل إلَّا أنه لا يوصف بالقدرة على أصلح مما فعل بعباده ، وهو قول جمهور المعتزلة .

وقالت طائفة : إن الله تعالى قادر على غير ما فعل إلَّا أنه لا يقدر على الظلم ، ولا على الجور ، ولا على اتخاذ الولد ، ولا على إظهار معجزة على يد كذّاب ، ولا على شىء من المحال ، ولا على نسخ التوحيد – وهذا قول النظامى[١٠٠] وأصحابه ، والأشعرية ، وإن كانوا مختلفين فى ماهية الظلم .

وقالت طائفة : إن الله تعالى قادر على غير ما فعل ، وعلى الجور ، والظلم ، والكذب إلا أنه لا يقدر على المحال مثل : أن يجعل الشىء معدومًا موجودًا معًا ، وقائمًا قاعدًا معًا ، أو فى مكانين معًا ، وهذا هو قول البلخى[١٠١]، وطوائف من المعتزلة .

قال أبو محمد : والذى عليه أهل الإسلام كلهم ومن سلف من الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم قبل أن تحدث هذه الضلالات ، وهذا الإقدام الشنيع الذى لولا ضلال من ضلَّ به ، ما انطلقت ألسنتنا به ، ولا سمحت أيدينا بكتابته ، ولكنا نحكيه حكاية الله (عن) ضلال[١٠٢] من ضل ، فقال : « المسيح بن الله » ، و« العزير بن الله » ، و« يد الله مغلولة » . و« الله فقير ونحن أغنياء » . و« إذ قال للإنسان اكفر » . وكما أنذر رسول الله ﷺ بأن الناس لا يزالون يتساءلون فيما بينهم ، حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله » .. ؟

فقول أهل الإسلام عامتهم وخاصتهم قبل ما ذكرنا ، هو أن الله تعالى : فعّال لما يشاء ، وعلى كل شىء قدير ، وبهذا جاء القرآن ، وبهذا نقول[١٠٤]. وكل مسئول عنه ، وإن بلغ الغاية من المحال فُهِم أو لم يفهم ، فالله تعالى قادر عليه .

قال أبو محمد : وقال لى بعضهم : إنَّ القرآن إنما جاء بأنَّ الله تعالى يفعل ما يشاء ، ونحن لا ننكر هذا ، وإنما نمنع أن يوصف الله تعالى بالقدرة على ما لا يشاء ، وبالقدرة على ما ليس

---

(١٠٠) هو : إبراهيم بن سيار بن هانىء · أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، تبحر فى علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها ، من طبيعيين وإلاهيين ، انفرد بآراء خاصة ، تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية نسبة إليه ، متّهم بالزندقة ، وله كتب كثيرة فى الفلسفة والاعتزال كتب عنه محمد عبد الهادى أبو ريده كتابه . إبراهيم بن سيار النظام . (الأعلام : ١ / ٣٦) .

(١٠١) هو : شقيق بن إبراهيم بن على الأزدى ، البلخى ، أبو على ، زاهد ، صوفى من مشاهير المشايخ فى خراسان ، ولعله أول من تكلم من الصوفيه فى علوم الأحوال بكورخراسان وكان من كبار المجاهدين . استشهد فى غزوة كولان بما وراء النهر عام ١٩٤ هـ . (الأعلام جـ ٣ - ٢٤٩) .

(١٠٢) فى (خ) : لم يذكر : « ولكنا نحكيه حكاية الله عن ضلال »

(١٠٣) روى هذا الحديث فى البخارى باب الاعتصام : ٣ ، بدء الخلق : ١١ ، وفى مسلم فى باب الإيمان : ٢١٢ ، ٢١٤ وفى أبى داود : السنة : ١٩ ، وقد جاء فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث أنه فى داود فى باب السنة : ١٨ ، ولكنى وجدته فى السنة : ١٩ باب فى الجهمية والحديث رقم ٤٧٢١ ولفظه كما جاء فى أبى داود · عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله .

(١٠٤) فى (أ ، ب) · سقطت : (وبهذا نقول) .

بشىء . فقلت له : « يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِر(١٠٥) » فعمَّ عز وجل ، ولم يخص ، فلا يحل لأحد تخصيص قدرته تعالى أصلًا .

وقال تعالى : « قل إن الله قادِرٌ عَلَى أنْ ينزِّل آية(١٠٦) » .

وقال تعالى : « ولو تقوَّل عَلَيْنا بَعْضَ الأَقَاويلِ لَأَخَذْنا مِنْه بِالْيَمِين ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْه الْوَتِين(١٠٧) » .

وقال تعالى : « إنَّا لَقادِرُون عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُم ، وَمَا نَحنُ بمَسْبُوقين(١٠٨) » .

وقال تعالى : « وَمَا نحنَ بمُسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نبدِّل أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فيما لَا تَعْلَمُون(١٠٩) » .

وقال تعالى : « ولولا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحمَنِ لِبُيوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهُرُون(١١٠) » .

وقال تعالى : « أوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ؟ بَلَى(١١١) » .

وقال تعالى : عن نوح النبى ﷺ أنه قال : « استغفروا ربكم إنَّه كان غفارًا ، يرسل السَّمَاء عليكم مِدْرارًا ، ويمددكم بأموالٍ وبنين ، ويجعل لكم جناتٍ ، ويَجْعل لكم أنهارًا(١١٢) » .

مع قوله تعالى : « إنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَن(١١٣) » .

وقال تعالى : « قُلْ هُوَ الْقَادِرُ على أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلكِم ، أو يَلْبِسَكُمْ شِيعًا ، ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأْسَ بعض(١١٤) » .

وقال تعالى : « عسى ربُّه إنْ طَلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَه أزواجًا خيرًا منكن(١١٥) » .

---

(١٠٥) سورة الرعد : ٢٦ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ذكرها : « يرزق من يشاء ويقدر » .
(١٠٦) سورة الأنعام : ٣٧ .
(١٠٧) سورة الحاقة : ٤٤ .
(١٠٨) سقطت هذه الآية من (أ) . وهى رقم ٤٠ ، ٤١ سورة المعارج .
(١٠٩) سورة الواقعة : ٦١ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ذكرها : « إنا لقادرون على أن نبدل أمثالكم » .
(١١٠) سورة الزخرف : ٣٣ .
(١١١) سورة يس : ٨١ .
(١١٢) سورة نوح : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
(١١٣) سورة هود : ٣٦ .
(١١٤) سقط من (أ ، ب) قوله تعالى : « أو يلبسكم شيعا ، ويذيق بعضكم بأس بعض » سورة الأنعام : ٦٥ .
(١١٥) سورة التحريم : ٥ .

فهذا نص على أن يفعل خلاف ما قد سبق فى علمه من هَدْىِ من عِلم أنه لا يهديه ومن تعذيب من علم أنه لا يعذَّب أبدًا ، وتبديل أزواج قد علم أنه لا يبدّلهن أبدًا ، وكل هذا نص على قدرته تعالى على إبطال علمه الذى لم يزل ، وعلى تكذيب قوله الذى لا يكذب أبدًا . ومثل هذا فى القرآن كثير . فمن أعجب قولًا ، وأتم ضلاله ممن يوجب بقوله : إن الله تعالى كذب ، وإنه تعالى مع ذلك غير قادر على الكذب . مع قوله تعالى : « عِنْدَ مليكٍ مقتدر[١١٦]» .

وقال تعالى : « وهو العليم القدير[١١٧]» .

وقوله تعالى : « فإنَّ الله كانَ عفوًّا قديرًا[١١٨]» .

فأطلق تعالى لنفسه القدرة ، وعمَّ ولم يخص ، فلا يجوز تخصيص قدرته بوجه من الوجوه .

قال أبو محمد : فإن قال قائل منهم[١١٩]: فما يؤمنكم إذ هو تعالى قادر على الظلم والكذب والمحال من أن يكون قد فعله ، أو لعلة سيفعله فتبطل الحقائق كلها ، ولا تصح ، ويكون كل ما أخبرنا به كذبًا .

قال أبو محمد : وجوابنا فى هذا هو أن الذى أمَّننا من ذلك ضرورةً المعرفةُ التى قد وضعها[١٢٠] الله تعالى فى نفوسنا ، كمعرفتنا أن ثلاثة أكثر من اثنين ، وأن المميِّز مميِّز ، وأن البغال لا تتكلم[١٢١] فى النحو ، والشعر ، والفلسفة ، وسائر ما استقر فى النفوس علمه ضرورة ، وإلَّا فليخبرونا ما الذى أمَّنهم ما ذكرنا ، ولعله قد كان أو سيكون ولا فرق ، فإذ قد صحّ إطباق كل من يقر بالله من جميع الملل[١٢٢] أنَّ هذا العالم ليس فى بنيته كون المحال المذكور فيه مع موافقته أكثر المخالفين لنا – على أن هذا كله – فإنَّ الله تعالى قادر عليه ولكن لا يفعله ، فالذى أمّنهم من أنه تعالى يفعله هو الذى أمننا من أن يفعل[١٢٣] ما قالوا لنا فيه ، لعله قد فعله ، أو سيفعله ، ولا فرق – وأن هذا العالم ليس فى بنيته كون المحال المذكور فيه . وأنه تعالى لا يجور ، ولا يكذب .

---

(١١٦) سورة القمر : ٥٥

(١١٧) فى (خ) : (عليما قديرا) . سورة الروم : ٥٤ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ترك الواو هكذا (هو العليم القدير) .

(١١٨) سورة النساء : ١٤٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل هكذا (وكان الله عفوًّا قديرًا) .

(١١٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (منهم) .

(١٢٠) فى (أ ، ب) : (وصفها) بالصاد .

(١٢١) فى (أ ، ب) : (لا تحمل) .

(١٢٢) فى (ح) : سقط الكلام من قوله : « وإلا فليخبرونا ما الذى أمنهم ما ذكرنا ، ولعله » إلى قوله (من جميع الملل) .

(١٢٣) فى (أ ، ب) : « نفعل » .

والضرورة[١٢٤] الموجبة علينا[١٢٥] القول بحدوث العالم ، وبأن له صانعًا لا يشبهه لم يزل ، وبأن ما ظهر من الأنبياء عليهم السلام فمن عنده تعالى ، وأن تلك المعجزات موجبة تصديقهم ، وهم أخبرونا أنَّ الله تعالى لا يكذب ولا يظلم ، وأنه تعالى قد أخبرنا بأنه قد تمت كلماته صدقًا وعدلًا لا مبدل لكلماته ، وأنه تعالى قادر ، وليس كل ما يقدر عليه يفعله ، وأيضًا فإن كان السائل عن هذا متدينًا بدين الإسلام أو النصارى ، أو اليهود أو المجوس ، أو الصائبين أو البراهمة ، أو كل من يدين بأن الله حق فإنهم مجمعون على أن الله تعالى لا يظلم ، ولا يكذب . وكل من نفى الخالق فليس فيهم أحدٌ يقول إنه يظلم أو يكذب ، فقد صح إطباق جميع سكان الأرض قديمًا وحديثًا لا نحاشى أحدًا على أنَّ الله تعالى لا يظلم ولا يكذب ، فلو لم يكونوا مضطرين إلى القول بهذا لوجد فيهم ، ولو واحد يقول بخلاف ذلك ، ومن المحال أن تجتمع طبائعهم كلهم على هذا إلَّا لضرورة وضعها الله عزّ وجل فى نفوسهم كضرورتهم إلى معرفة ما أدركوه بحواسهم ، وبداية عقولهم .

وأيضًا فنقول لمن سأل هذا السؤال : إيمكن أن يكون إنسان فى الناس قد توسوس ، وأوهمته ظنونه الكاذبة ، وتخيله الفاسد ، وهوسه أن الأشياء على خلاف ما هى عليه .. ؟ وأن الناس على خلاف ما هم عليه .. ؟ ويُتصوّر عنده هذا الظنُّ الفاسد أنه حق لا شك فيه ، أم ليس يمكن أن يكون هذل فى العالم .. ؟

فإن قالوا : لا يمكن أن يكون هذا فى العالم — أتوا بالمحال البحت ، وكابروا .

فإن قالوا : بل هو ممكن موجود فى الناس كثيرٌ مَنْ هذه[١٢٦] صفته .

قيل لهم : فما يؤمنكم من أن تكونوا بهذه الصفة .. ؟

ونقول : لمن يؤمن بالله العظيم منهم : أيقدر الله تعالى على أن يُحيل حواسَّك[١٢٧] كما فعل بصاحب الصفراء الذى يجد العسل مرًّا كالعلقم ، وبصاحب ابتداء الماء النازل فى عينيه فيرى خيالات لا حقيقة لها ، وكمن فى سمعه آفة فهو يسمع طنينًا لا حقيقة له أم لا يقدر .. ؟

فإن قالوا : يقدر .

قيل له : فما يؤمنك من أنك بهذه الصفة .. ؟

---

(١٢٤) فى (أ ، ب) : وبالضرورة .
(١٢٥) فى (أ ، ب) : (علمنا) .
(١٢٦) فى (ح) : (من هذه الصفة) .
(١٢٧) فى (أ) : (حواسه) .

فإن قالوا : كل من يحضر[١٢٨] يخبرنى أنّى لست[١٢٩] من أهل هذه الصفة .

قيل له : وهكذا يظن ذلك الموسوِس ، ولا فرق ، فإنه لابدَّ أن يقول[١٣٠]: إنِّى أرى أنِّى بخلاف هذه الصفة ضرورة ، وعلمًا يقينًا .

قلنا له : بمثل هذا سواء بسواء ؛ آمنا أن يكون الله تعالى يظلم أو يكذب أو يحيل طبيعة لغير نبىٍّ ، أو يحيل ما لا يستحيل[١٣١] ولا فرق .

قال أبو محمد : ويقال لجميع هذه الفرق ، حاشا من قال بقول « علىٍّ الأسوارى » هل شنعتم على علىٍّ الأسوارى إلا[١٣٢] أنه وصف الله تعالى : بأنه لا يقدر على غير ما فعل .. ؟ فقد وصفه بالعجز ولابدَّ .

فلابدَّ من : نعـم .

فيقال لهم : فإنَّ هذا نفسه يلزمكم[١٣٣] فى قوله[١٣٤]: بأنه لا يقدر على الظلم ، والكذب ولا على المحال ، ولا على نفسه ، ولا[١٣٥] على أصلح ممَّا فعل بعباده ضرورة . ولا ينفكـون من ذلك .

فإن قلتم : إنَّ[١٣٦] هذا لا يلزمنا .

قيل لكم : ولا يعجز علىٌّ الأسوارىُّ عن أن يقول أيضًا : إنَّ هذا لا يلزمنى وهذا ما انفكاك منه .

ويقال لهم : إذا أخبر الله عزَّ وجل أنه سيقيم السَّاعة ، وسيميت زيدًا يوم كذا ، أيقدر على أن لا يميته فى ذلك اليوم ، وعلى أن يميته قبل ذلك اليوم أم لا .. ؟

فإن قالوا : لا . لحقوا بقول الأسوارىّ .

(١٢٨) فى (خ) : (حضرنى) . وفى (ب) : (إن كل من يحضرنى) .
(١٢٩) فى (أ ، ب) : (بأن لست) .
(١٣٠) فى (خ) : (فإذ ... تقول) .
(١٣١) فى (أ ، ب) : « أو يفعل المحال مع قدرته على ذلك » .
(١٣٢) فى (ب) : (لأنه) .
(١٣٣) فى (أ ، ب) : لازم لكم .
(١٣٤) فى (أ ، ب) : فى قولكم .
(١٣٥) فى (أ ، ب) : (أو لا) .
(١٣٦) فى (خ) : لم يذكر (إن) .

وإن قالوا : نعم . أقرُّوا بأنه(١٣٧) يقدر على تكذيب قوله ، وهذا هو القدرة على الكذب الذى(١٣٨) أبطلوا .

ونسألهم أيضًا : إذا أمرنا الله تعالى بالدعاء ومنه ما قد عُلِم : أنه لا يجيب الدَّاعىَ به . هل أمرنا بالدُّعاء من ذلك فيما لا يستطيع ولا يقدر عليه .. ؟ أم فيما يقدر عليه .. ؟

فإن قالوا : فيما لا يقدر عليه ، لحقوا بالأسوارى ، وأوجبوا على الله تعالى القول بالمحال ، إذْ زعموا أنه أمرنا بأن نرغب إليه فى أن يفعل ما لا يقدر عليه – تعالى الله عن ذلك .

وإن قالوا : بل فيما يقدر عليه ، أقرّوا أنه يقدر على إبطال علمه والذى يَدخل على(١٣٩) قولهم هذا الذى هو الكفر المجرد من إبطال دلائل التوحيد وإبطال حدوث العالم ، وخلاف لإجماع غيرُ قليل .

فإن قال : على الأسوارى : لا يلزمنى إثبات العجز بنفى القدرة بل أنفى عنه الأمرين جميعًا كما قلتم أنتم : إنَّ نفيكم عنه تعالى الحركة لا يلزمه السكون ، ونفى السكون لا يلزمه الحركة ، كما تنفون عنه الضدين جميعًا من الشجاعة والجبن وسائر الصفات التى نفيتموها ، وأضدادها .

قال أبو محمد : فنقول وبالله التوفيق : إن هذا تمويه ضعيف لأننا نحن فى نفى هذه الصفات عنه تعالى جارون على سنن واحد فى نفى جميع صفات المخلوقين عنه كلِّها ، وأنتم قد أثبتم له قدرة على أشياء ، ونفيتم عنه قدرة على غيرها ، فثبت(١٤٠) ضرورة إثبات العجز عنه فى الأشياء التى وصفتموها بعدم القدرة عليها ، وأما نحن فلو وصفناه بالشجاعة فى شىء أو بالحركة فى وجه مَّا ، أو وصفناه بالعقل فى شىءٍ مَّا(١٤١) ثم نفينا عنه هذه الصفات فى وجه آخر للزمنا حيث وصفناه بشىءٍ منها – نفىُ ضدِّها وللزمنا حيث نفينا عنه ضدَّها أن نثبتها له ولابدَّ ، كما فعلنا فى الرَّحمة والسخط فإننا إذا وصفناه بالرحمة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد نفينا عنه عزَّ وجل السخط عليه . وإذا نفينا عنه الرحمة(١٤٢) لأبى جهل فقد أثبتنا له بذلك السخط عليه ، وهذا برهان ضرورى ، فإن موَّه مموِّه فقال : ألستم تقولون إنَّ الله تعالى لا يعلم الحىَّ ميتًا ، فهل تثبتون له بنفى العلم هاهنا الجهل .

قلنا له : وهذا أيضًا تمويه آخر ، بل أوجبنا له بذلك العلم حقًا ، لأننا إذا نفينا عنه العلم

---

(١٣٧) فى (ب) : (أنه) .
(١٣٨) فى (أ ، ب) : (التى) .
(١٣٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (على قولهم) .
(١٤٠) فى (أ ، ب) : « فوجب » .
(١٤١) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « أو بالحركة فى وجه مَّا ، أو وصفناه بالعقل فى شىء مَّا » .
(١٤٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الرحمة) .

بخلاف ما الأشياء ، أثبتنا له العلم بحقيقة ما الأشياء[١٤٣]. وهل هاهنا شيء يجهل أصلًا .. ؟ وإنما الجهل بشيء حق لا يعلمه[١٤٤] الجاهل فقط .

قال أبو محمد : وقد قلنا لمن ناظرنا منهم : إنكم تثبتون لله تعالى علمًا لم يزل ، فأخبرونا هل يقدر الله تعالى على أن يميت اليوم من علمه أنه لا يميته إلَّا غدًا .. ؟ وهل يقدر ربكم على أن يزيل الآن بِنْيَةً عن مكانٍ قد علم أنها لا تزل إلَّا غدًا .. ؟ وعلى رحمة من مات مشركًا ، مع قوله تعالى : إنه لا يرحمه أصلًا ، أم لا يقدر على ذلك .. ؟

فقال لنا منهم قائل : إنه يقدر على ذلك .

فقلنا له : قد أقررتم أنه يقدر على إحالة علمه الذى لم يزل ، وعلى تكذيب كلامه وهذا إبطال قولكم صُراحًا .

وقال منهم قائلون : إنه تعالى قادر على ذلك ، ولو فعله لكان قد سبق فى علمه أنه سيكون كما فعله .

قلنا لهم : لم نسألكم إلَّا هل يقدر على ذلك مع تقدُّم علمه أنه لا يكون .. ؟ فضجروا هاهنا ، وانقطعوا ، ولجأ بعضهم إلى القطع بقول الأسوارى فى أنه لا يقدر على ذلك .

فقلنا لهم : إذا كان تعالى لا يقدر على شيءٍ غير ما فعل ، ولا على نقل بِنْيَةٍ عن موضعها ، فهو إذًا مضطر مجبر ، أو ذو طبيعة جارية على سنن واحد !! نعم . ويلزم الأسوارى ومن قال بقوله : أن استطاعة الله ليست قبل فعله ألبتة ، وإنما هى مع فعله ولابد ، لأنه لو كان مستطيعًا قبل الفعل لكان قادرًا على أن يفعل ، فى الوقت الذى علم أنه لا يفعل فيه ، وهذا خلاف قوله نصًا . وهو يقول : إن الإنسان مستطيعٌ قبل الفعل ، فهو أتم طاقة وقدرة من الله تعالى ويلزمه أيضًا القول بحدوث قدرة الله تعالى ، ولابدّ ، إذ لو كانت قدرته لم تزل لكان قادرًا على الفعل قبل أن يفعل ولابدَّ . وهذا خلاف قوله ، وهذا كفر مجرد إذ يقول : إن الإنسان قادر على غير ما علم الله تعالى أن يفعله ، والله تعالى لا يقدر على ذلك ، فإن هؤلاء جمعوا إلى[١٤٥] تعجيز ربهم تعالى القول بأنهم أقوى منه تعالى . وهذا أشد ما يكون من الكفر والشرك ، والحماقة .

قال أبو محمد : وكلهم يقول بهذا المعنى ، لأن جميعهم يقول : إن كل مخلوق فهو قادر

---

(١٤٣) يقصد أننا إذا نفينا عنه سبحانه وتعالى العلم بخلاف ما وجدت عليه الأشياء فقد أثبتنا له العلم بحقيقة هذه الأشياء ، لأن (ما) سأل بها عن حقيقة الشيء وماهيته .

(١٤٤) سقطت فى (أ) : (لا يعلمه) .

(١٤٥) فى (خ) : (على) .

على كل[١٤٦] ما يفعله ، من اتخاذ ولد ، وحركة وسكون ، وغير ذلك ، وإن البارى لا يقدر على شيء من ذلك . وهذا كفر وحشيٌّ جدًّا .

قال أبو محمد : وسألناهم أيضًا فقلنا لهم : أتقرون أن الله تعالى لم يزل قادرًا على أن يخلق .. ؟ أم تقولون : إنه لم يزل غير قادر على أن يخلق ثم قدر .. ؟

فقول كل من لقينا منهم ، وقول جميع أهل الإسلام : أن الله عزَّ وجل لم يزل قادرًا على أن يخلق .

قال أبو محمد : وهم وجميع أهل الإسلام منكرون على من قال من أهل الإلحاد أنَّ الله تعالى لم يزل يخلق[١٤٧]. قاطعون بأن لم يزل يخلق محال فاسد[١٤٨].

قال أبو محمد : وصدقوا فى ذلك إلا أنهم إذا أقروا أن قول من قال : إنه لم يزل يخلق محال ، وأقروا أنه لم يزل قادرًا على ذلك ، فقد أقروا بصحة قولنا وأنه تعالى قادر على المحال ، ولابدَّ من هذا أو الكفر ، أو[١٤٩] القول بأنه تعالى لم يزل غير قادر . والحمد لله على هداه لنا إلى الحق .

قال أبو محمد : وسألناهم أيضًا فقلنا لهم : هل يجوز عندكم أن يدعى الله تعالى فى أن يفعل ما لا يقدر على سواه ، أو فى ألَّا يفعل ما لا يقدر على فعله[١٥٠]؟

فإن قالوا : نعم . أتوا بالمحال .

وإن قالوا : لا يجوز ذلك .

قيل لهم : فقد أمرنا الله تعالى أن ندعوه فنقول : « ربنا[١٥١] احكم بالحق » « وَلَاتُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا به[١٥٢]» .

وهو عندكم لا يقدر على الحكم بغير الحق ، ولا على[١٥٣] أن يحملنا ما لا طاقة لنا به .

قال أبو محمد : ومن عجائب الدنيا أنهم يسمعون الله تعالى يقول : « وَقَالَتِ اليَهُودَ عُزَيْرٌ بْنُ الله[١٥٤]، وَأَنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَه[١٥٥]، وأن الله هو المسيحُ بْنُ مَرْيم[١٥٦]، والله فَقِيرٌ ونَحْنُ

(١٤٦) فى (خ) : سقطت كلمة (كل) .
(١٤٧) فى (أ ، ب) : (خالقا) .
(١٤٨) فى (أ ، ب) : (متفاسد) .
(١٤٩) فى (أ ، ب) : (والقول) .
(١٥٠) فى (خ) : « على سواه » .
(١٥١) فى (أ ، ب) : (رب) . والنص : « رَبِّ احْكُمْ بالْحَقِّ » : ١١٢ الأنبياء .
(١٥٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(١٥٣) فى (أ ، ب) : سقطت (على) .
(١٥٤) سورة التوبة : ٣٠ .
(١٥٥) سورة المائدة : ٧٣ . والنص : « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » .
(١٥٦) سورة المائدة : ١٧ . والنص القرآنى : « لقد كفر الذين قالوا : إنَّ الله هُوَ المسيحُ بن مريم » .

أَغْنِيَاءُ(١٥٧). ويَدُ الله مَغْلُولَةٌ(١٥٨). وكَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْانْسَانِ اكْفُرْ(١٥٩)» .

ولا يشك مسلم فى أن هذا كله كذب ، فأى حماقة أشنع من قول من قال : إن الله قادر على أن يقول كل ذلك حاكيًا ، ولا يقدر أن يقوله من غير أن يقول ما قيل . هذه الأقوال من إضافتها إلى غيره ، وهذا قول يغنى ذكره وسخافته عن تكلف(١٦٠) الرد عليه .

قال أبو محمد : ثم سألناهم فقلنا لهم : من أين علمتم أن الله تعالى لا يقدر على الكذب أو المحال ، أو الظلم ، أو غير ما فعل .. ؟

فلم تكن لهم حجة أصلًا إلّا أن قالوا : لو قدر على شيء من ذلك لما أمنا أن يكون فَعَله أو لعلّة سيفعله .

فقلنا لهم : ومن أين أمنتم أن يكون قد فعله أو لعلة سيفعله .. ؟ فلم تكن لهم حجة أصلًا ، إلّا أن قالوا : إن الله لا يقدر على فعله .

قال أبو محمد : فحصل من قولهم(١٦١) هذا أن حجتهم أنه تعالى لا يقدر على الظلم والكذب والمحال ، وغير ما فعل ، أنه لا يقدر على شيء من ذلك ، فاستدلُّوا على قولهم بذلك القول نفسه ، وهذه سفسطة تامة ، وحماقة ظاهرة ، وجهل قوى لا يرضى به لنفسه إلا سخيف العقل ، ضعيف الدين ، فلابدَّ لهم(١٦٢) ضرورة من أن يرجعوا إلى قولنا ؛ فى أنه بالضرورة علمنا أنه لا يفعل من ذلك ، كما علمنا أن زريعة العنب لا يخرج منها الجوز ، وأن ماء الفرس لا يتولد منه جمل .

قال أبو محمد : وأما نحن فإن برهاننا على صحة قولنا أن البرهان قد قام على أنه تعالى لا يشبهه من خلقه شيء(١٦٣) من الأشياء ، والخلق عاجزون عن كثير من الأمور جملة(١٦٤) والعجز من صفات المخلوقين ، فهو منتف عن الله(١٦٥) عزّ وجل جملة . وليس فى الخلق قادر بذاته على كل مسئول عنه ، فوجب أن البارى تعالى هو الذى على كل مسئول عنه ، وكذلك لما كان(١٦٦)

---

(١٥٧) سورة آل عمران : ١٨١ . والنص : « لقد سمع الله قول الذين قالوا : « إنَّ الله فقير ونحن أغنياء » .

(١٥٨) سورة المائدة : ٦٤ . والنص القرآنى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » .

(١٥٩) سورة الحشر : ١٦ . والنص القرآنى : « كمثل الشيطان » بدون (الواو) .

(١٦٠) فى (خ) : (تكليف) .

(١٦١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (قولهم) .

(١٦٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لهم) .

(١٦٣) فى (خ) : « فى شيء » .

(١٦٤) فى (أ) : سقطت كلمة (جملة) .

(١٦٥) فى (أ ، ب) : (منفى) .

(١٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت (لما كان) .

الكذب والظلم من صفات المخلوقين ، وجب يقينًا أنهما منفيان عن البارى تعالى فهذا هو الذى آمننا من أن يكذب أو يظلم أو يفعل غير ما علم أنه يفعله . وإن كان تعالى قادرًا على كل ذلك .

وقلنا لهم أيضًا : إذا كان عزَّ وجل لا يوصف بالقدرة على إبطال علمه ، ولا يوصف(١٦٧) بالقدرة على إماتته اليوم من علم أنه لا يميته إلَّا غدًا ، لأنه لا قدرة له على ذلك ، ولو كان له قدرة على(١٦٨) ذلك لوصف بها ، فإذا جاء غدٌ فأماته فله قدرة على إماتته حينئذ ، فقد حدثت له قدرة بعد أن لم تكن . وهذا يوجب أن قدرته تعالى حادثة ، وهذا خلاف قولهم .

قال أبو محمد : وفى هذا أيضًا محال آخر ، وهو أنه إذا حدثت له قدرة بعد أن لم تكن فمن أحدثها له .. ؟ أهو أحدثها لنفسه .. ؟ أم غيره أحدثها له .. ؟ أم حدثت بلا مُحدِث .. ؟

فإن قالوا : هو أحدثها لنفسه سئلوا : بلا قدرة أُحْدَثَ لنفسه القدرة .. ؟ أم بقدرة أخرى .

فإن قالوا : أحْدَثَ لنفسه قدرةً بلا قدرة أتوا بالمحال .

وإن قالوا : بل بقدرة . أثبتوا قدرة لم تزل ، بخلاف قولهم .

وإن قالوا : غيره أحدثها له ، أو حدثت بلا محدثٍ – لحقوا بقول الدَّهرية ، وكفروا ، وفى قولهم هذا من خلاف المعقول ، وخلاف القرآن ، وخلاف البرهان ما تضيق به نفوس المؤمنين . والحمد لله على معافاته لنا مما ابتلاهم به .

وإن قالوا(١٦٩): لو فعل تعالى كل ذلك كيف كان يسمَّى .. ؟

قلنا : هذا سؤال سخيف عمَّا لا يكون أبدًا ، وهو كمن سأل : لو طار الإنسان كم ريشة كانت تكون له .. ؟ وما أشبه هذا من الحماقة المأمون كونها . وتسمية الله(١٧٠) تعالى نفسه المقدسة إليه لا إلينا . وبالله تعالى التوفيق .

وقال أبو هذيل العلَّاف(١٧١): إنَّ لِماَ يقدر الله تعالى عليه كُلًّا وآخرًا – كما لَهُ أوَّلٌ ؛

---

(١٦٧) فى (أ ، ب) : بزيادة (فكان لا يوصف) .

(١٦٨) فى (أ ، ب) : « على ذلك قدرة » .

(١٦٩) فى (أ ، ب) : « وقالوا » .

(١٧٠) فى (أ ، ب) : « البارى تعالى إليه لا إلينا » وسقطت كلمة (نفسه المقدسة) .

(١٧١) مرت ترجمته فى ص

فلو خرج آخره إلى الفعل – ولا يخرج – لم يكن الله تعالى قادرًا على شيءٍ أصلًا ، ولا على فعل شيء بوجه من الوجوه .

وقال عبد الله بن أحمد بن محمود[١٧٢] الكعبى : ما نعلم أحدًا يعتقد هذا اليوم إلا يحيى[١٧٣] بن بشر الأرجائىُّ . وادّعى أنَّ أبا الهذيل تاب عن هذا القول .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرّد لا خفاء به ، لأنه يجوِّز على ربِّه تعالى الكون فى صفة الجماد ، أو المخدور ، أو المفلوج ، مع صحة الإجماع المتيقن[١٧٤] على خلاف هذا القول الفاسد مع خلافه للقرآن ولموجب العقل ، وبديهته كذا عنده . وأظنه[١٧٥] قد شبهه تعالى بالمخلوقين .

قال أبو محمد : وأمّا الأسوارى فجعل ربَّه تعالى مضطرًا بمنزلة الجماد ولا فرق . لا قدرة له على غير ما فعل . وهذه حال دون حال البق والبراغيث .

وأما أبو الهذيل : فجعل ربه تعالى قدرته متناهيته ، بمنزلة المختارين من خلقه ، وهذا هو التشبيه حقًا .

وأمّا النظّام والأشعرية : فكذلك أيضًا ، وجعلوا قدرة ربهم تعالى متناهية يقدر على شيء ، ولا يقدر على آخر . وهذه صفة أهل النقص .

وأمَّا سائر المعتزلة : فوصفوه تعالى بأنه لا نهاية لما يقدر عليه من الشر ، وأن قدرته على الخير متناهية ، وهذه صفة شرٍّ ، وطبيعة خبيثة جدًّا نعوذ بالله منها إلابشر[١٧٦] بن المعتمر ، فقوله فى هذا كقول أهل الحق ، وهو ألّا تتناهى قدرته أصلًا والحمد لله رب العالمين .

« تم بحمد الله الجزء الثانى من كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم ، ويليه الجزء الثالث وأوله الكلام فى الرؤية » .

وبالله التوفيــق

---

(١٧٢) هو : عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى من بنى كعب ، البلخى الخراسانى ، أبو القاسم ، أحد أئمة المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى (الكعبية) ، وله آراء ومقالات فى الكلام انفرد بها ، وهو من أهل بلخ ، أقام ببغداد مدة طويلة ، وتوفى ببلخ ، له كتب منها « التفسير » و« تأييد مقالة أبى الهذيل » و« أدب الجدل » و« تحفة الوزراء » و« محاسن آل طاهر » و« مفاخر خراسان » و« الطعن على المحدثين » أثنى عليه أبو حيان التوحيدى . وقال الخطيب البغدادى : صنف فى الكلام كتبا كثيرة ، وانتشرت كتبه ببغداد . وقال السمعانى : من مقالته أن الله تعالى ليس له إرادة وأن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها . طبقات المعتزلة

(١٧٣) هو : من أصحاب أبى الهذيل ، ورد ذكره فى طبقات المعتزلة فى غير موضع ، وقد عدَّ من الطبقة السابعة التى منها ثمامة بن الأشرس ، وأبو عبد الله الدباغ ، وروى عن أبى الهذيل : القول بتناهى الحركات ثم روى أنه تاب من ذلك ، وحكى عنه : أن لأبى الهذيل ستين كتابًا فى الرد على المخالفين فى دقيق الكلام وجليله . (فرق وطبقات المعتزلة : ٥٥ ، ٥٧ ، ٨٣) .

(١٧٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (المتيقن) .

(١٧٥) فى (خ) : سقطت كلمة (وأظنه) .

(١٧٦) هو : بشر بن المعتمر ، البغدادى ، أبو سهل ، فقيه معتزلى ، مناظر ، من أهل الكوفة . قال الشريف المرتضى يقال : إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه ، تنسب إليه الطائفة البشرية ، له مصنفات فى الاعتزال . مات ببغداد سنة ٢١٠ هـ . طبقات المعتزلة .

فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
١	ولا تزر وازرة وزر أخرى	فاطر	١٨	٧
٢	كل نفس بما كسبت رهينة	المدثر	٣٨	٧
٣	يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل	الزمر	٥	٩
٤	كل فى فلك يسبحون	الأنبياء	٣٣	٩
٥	والشمس تجرى لمستقر لها	يس	٣٨	٩
٦	قل إنما الآيات عند الله	الأنعام	١٠٩	٨٣
٧	وكفرت طائفة	الصف	١٤	٩١
٨	وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين	الأعراف	٣٧	٩٨
٩	قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون	الأعراف	٥٣	٩٨
١٠	سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر اللهلهم	المنافقون	٦	١٠٢
١١	فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا ، قالت : إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا ، قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت : أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا ، فحملته فانتبذت به مكانًا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيا – إلى قوله تعالى : فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا ، يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا ، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من			

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
	كان فى المهد صبيًا ، قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركًا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا .	مريم	١٧ – ٣١	١٤٨
١٢	إنما أمره إذا اراد شيئًا أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	
١٣	من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله . فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .	الصف	١٤	٢٠٩
١٤	إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .	آل عمران	٥٥	٢٠٩
١٥	قال تعالى : وجاء ربك والملك صفًا صفًا .	الفجر	٢٢	٢٠٩
١٦	قال تعالى : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة .	البقرة	٢١٠	٢٠٩
١٧	قال تعالى : لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم .	الأنفال	٦٣	٢٣١
١٨	قال تعالى : وجادلهم بالتى هى أحسن .	النحل	١٢٥	٢٣٦
١٩	قال تعالى : يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا .	هود	٣٢	٢٣٦
٢٠	قال تعالى : قل هاتو برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٢٣٧
٢١	قال تعالى : فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان .	الرحمن	٣٣	٢٣٧
٢٢	قال تعالى : ويأبى الله إلّا إن يتم نوره ولو كره الكافرون	التوبة	٣٢	٢٣٨
٢٣	قال تعالى : يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل	الزمر	٥	٢٤١
٢٤	قال تعالى : وجعلنا آية النهار مبصرة	الإسراء	١٢	٢٤١
٢٥	قال تعالى : سبع سماوات طباقًا	الملك	٣	٢٤٢
٢٦	قال تعالى : ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق	المؤمنون	١٧	٢٤٢
٢٧	قال تعالى : وسع كرسيه السموات والأرض	البقرة	٢٥٥	٢٤٢
٢٨	قال تعالى :. الرحمن على العرش استوى	طه	٥	٢٤٣
٢٩	قال تعالى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا من كل شيطان مارد	الصافات	٧٢٦	٢٤٣
٣٠	قال تعالى : ألم ترو كيف خلق الله .سبع سماوات طباقًا وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا	نوح	١٥ ، ١٦	٢٤٤
٣١	قال تعالى : تبارك الذى جعل فى السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرا	الفرقان	٦١	٢٤٤
٣٢	قال تعالى : وكل فى فلك يسبحون	يس	٤٠	٢٤٤

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
٣٣	قال تعالى : والشمس تجرى لمستقر لها	يس	٣٨	٢٤٤
٣٤	قال تعالى :.الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن	الطلاق	١٢	٢٤٦
٣٥	قال تعالى : وجدها تغرب فى عين حمئة	الكهف	٨٢	٢٤٨
٣٦	قال تعالى : وجنة عرضها السموات والأرض	آل عمران	١٣٣	٢٤٩
٣٧	قال تعالى : لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار	يس	٤٠	٢٥٣
٣٨	فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب	الحديد	١٣	٢٥٣
٣٩	وجنة عرضها كعرض السماء والأرض	الحديد	٢١	٢٥٤
٤٠	وجنة عرضها السموات والأرض	آل عمران	١٣٣	٢٥٤
٤١	ولمن خاف مقام ربه جنتان	الرحمن	٤٦	٢٥٥
٤٢	وسع كرسيه السموات والأرض	البقرة	٢٥٥	٢٥٥
٤٣	الذين يحملون العرش ومن حوله	غافر	٧	٢٥٥
٤٤	ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم	الكهف	٥١	٢٥٧
٤٥	لا يصدعون عنها ولا ينزفون	الواقعة	١٩	٢٥٩
٤٦	ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانًا	الحجر	٤٧	٢٦٠
٤٧	يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات	إبراهيم	٤٨	٢٦٢
٤٨	يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب	الأنبياء	١٠٤	٢٦٢
٤٩	وفتحت السماء فكانت أبوابا	النبأ	١٩	٢٦٢
٥٠	يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن	المعارج	٩	٢٦٢
٥١	وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها	الحاقة	١٤ – ١٧	٢٦٢
٥٢	إذا السماء انشقت	الأنشقاق	١	٢٦٢
٥٣	وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت	الانشقاق	٣ – ٥	٢٦٢
٥٤	وإذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت	الانفطار	١ – ٣	٢٦٢
٥٥	وإذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا البحار سيرت	التكوير	١ – ٣	٢٦٢
٥٦	أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما	الأنبياء	٣٠	٢٦٢
٥٧	كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين	الأنبياء	١٠٤	٢٦٢
٥٨	خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ	هود	١٠٨	٢٦٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
١٠٩	وأكيد كيدًا	الطارق	١٦	٣١٦
١١٠	الله يستهزىء بهم	البقرة	١٥	٣١٦
١١١	وهو خادعهم	النساء	١٤٢	٣١٦
١١٢	فأمنوا مكر الله	الأعراف	٩٩	٣١٦
١١٣	ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا	النمل	٥٠	٣١٧
١١٤	ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين	آل عمران	٥٤	٣١٧
١١٥	قل لله المكر جميعًا	الرعد	٤٢	٣١٧
١١٦	نسو الله فنسيهم	التوبة	٦٧	٣١٧
١١٧	سخر الله منهم	التوبة	٧٩	٣١٧
١١٨	إنك بأعيننا	الطور	٤٨	٣٢٢
١١٩	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون	الأعراف	١٨٠	٣٢٣
١٢٠	قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى	الإسراء	١١٠	٣٢٣
١٢١	هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى	الحشر	٢٤	٣٢٣
١٢٢	والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم	يس	٣٩	٣٢٥
١٢٣	وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم	الأنعام	٣٨	٣٢٧
١٢٤	إن نحن إلا بشر مثلكم	إبراهيم	١١	٣٢٧
١٢٥	كأنهن الياقوت والمرجان	الرحمن	٥٨	٣٢٧
١٢٦	فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور	الحج	٤٦	٣٢٧
١٢٧	وتوكل على الحى الذى لا يموت	الفرقان	٥٨	٣٣٢
١٢٨	لا تأخذه سنة ولا نوم	البقرة	٢٥٥	٣٣٢
١٢٩	لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين	يس	٧٠	٣٣٥
١٣٠	وعلم آدم الأسماء كلها	البقرة	٣١	٣٤٥
١٣١	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام	الرحمن	٢٧	٣٤٧
١٣٢	إنما نطعمكم لوجه الله	الإنسان	٩	٢٤٧
١٣٣	فأينما تولوا فثم وجه الله	البقرة	١١٥	٣٤٨
١٣٤	يد الله فوق أيديهم	الفتح	١٠	٣٤٨
١٣٥	لما خلقت بيدى	ص	٧٥	٣٤٨
١٣٦	مما عملت أيدينا أنعامًا	يس	٧١	٣٤٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
١٣٧	بل يداه مبسوطتان	المائدة	٦٤	٣٤٨
١٣٨	ولتصنع على عينى	طه	٣٩	٣٤٨
١٣٩	فإنك بأعيننا	الطور	٤٨	٣٤٨
١٤٠	يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله	الزمر	٥٦	٣٤٩
١٤١	وما ملكت أيمانكم	النساء	٣٩	٣٤٩
١٤٢	أن لهم قدم صدق عند ربهم	يونس	٢	٣٥٠
١٤٣	يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود	القلم	٤٣	٣٥١
١٤٤	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله	يونس	٣٩	٣٥٢
١٤٥	فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر	النساء	٥٩	٣٥٢
١٤٦	وكان أمر الله مفعولا	النساء	٤٧	٣٥٢
١٤٧	والله غالب على أمره	يوسف	٣١	٣٥٢
١٤٨	لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا	الطلاق	١	٣٥٣
١٤٩	قل الروح من أمر ربى	الإسراء	٨٥	٣٥٤
١٥٠	يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا	النبأ	٣٨	٣٥٤
١٥١	ألا له الخلق والأمر	الأعراف	٥٤	٣٥٤
١٥٢	يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك	الإنفطار	٨	٣٥٤
١٥٣	خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم	الروم	٤٠	٣٥٤
١٥٤	سبحان ربك رب العزة عما يصفون	الصافات	٨٠	٣٥٥
١٥٥	فلله العزة جميعًا	فاطر	١٠	٣٥٥
١٥٦	فلله المكر جميعًا	الرعد	٤٢	٣٥٥
١٥٧	قل لله الشفاعة جميعًا	الزمر	٤٤	٣٥٥
١٥٨	أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة	فصلت	١٥	٣٥٦
١٥٩	كتب على نفسه الرحمة	الأنعام	١٢	٣٥٧
١٦٠	ويحذركم الله نفسه	آل عمران	٢٨	٣٥٧
١٦١	تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب	المائدة	١١٦	٣٥٧
١٦٢	فلما أفل قال لا أحب الآفلين	الأنعام	٧٦	٣٥٨
١٦٣	وجاء ربك والملك صفًا صفًا	الفجر	٢٢	٣٥٨
١٦٤	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر	البقرة	٢١٠	٣٥٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
١٦٥	للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم	النحل	٦٠	٣٥٨
١٦٦	فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون	النحل	٧٤	٣٥٨
١٦٧	ولا يحيطون به علمًا	طه	١١٠	٣٦٠
١٦٨	إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	٣٦٤
١٦٩	أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم	المائدة	٤١	٣٦٤
١٧٠	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	البقرة	١٨٥	٣٦٤
١٧١	وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له	الرعد	١١	٣٦٤
١٧٢	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا .	الأنعام	١٢٥	٣٦٤
١٧٣	ولو ردوه إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم	النساء	٨٣	٣٦٥
١٧٤	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .	الحديد	٢١	٣٦٨
١٧٥	لو أراد أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار .	الزمر	٤	٣٧٢
١٧٦	لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين	الأنبياء	١٧	٣٧٢
١٧٧	وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذًا مثلهم .	النساء	١٤	٣٧٣
١٧٨	قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم .	التوبة	٦٥ ، ٦٦	٣٧٤
١٧٩	يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر	الرعد	٢٦	٣٧٦
١٨٠	قل إن الله قادر على أن ينزل آية	الأنعام	٣٧	٣٧٦
١٨١	ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين	الحاقة	٤٤	٣٧٦
١٨٢	إنا لقادرون على أن نبدل خيرًا منهم وما نحن بمسبوقين	المعارج	٤٠ ، ٤١	٣٧٦
١٨٣	وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون	الواقعة	٦١	٣٧٦
١٨٤	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون	الزخرف	٣٣	٣٧٦
١٨٥	أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى	يس	٨١	٣٧٦
١٨٦	استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا	نوح	١٠ — ١٢	٣٧٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	الآية	الصفحة
١٨٧	إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن	هود	٣٦	٣٧٦
١٨٨	قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض	الأنعام	٦٥	٣٧٦
١٨٩	عسى ربه إن طلقن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن	التحريم	٥	٣٧٦
١٩٠	عند مليك مقتدر	القمر	٥٥	٣٧٧
١٩١	وهو العليم القدير			
١٩٢	فإن الله كان عفوًا قديرًا			
١٩٣	رب احكم بالحق	الأنبياء	١١٢	٣٨٢
١٩٤	ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به	البقرة	٢٨٦	٣٨٢
١٩٥	وقالت اليهود عزيز بن الله	التوبة	٣٠	٣٨٢
١٩٦	إن الله ثالث ثلاثة	المائدة	٧٣	٣٨٢
١٩٧	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم	المائدة	١٧	٣٨٢
١٩٨	إن الله فقير ونحن أغنياء	آل عمران	١٨١	٣٨٣
١٩٩	وقالت اليهود يد الله مغلولة	المائدة	٦٤	٣٨٣
٢٠٠	كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر	الحشر	١٦	٣٨٣

فهرس الأحاديث النبوية

رقم	فهرس الحديث	الصفحة
٢٤	إن الله يحدث من أمره ما يشاء	٣٥٣
٢٥	سبوح قدوس رب الملائكة والروح	٣٥٤
٢٦	وعزتك فى حديث خلق الجنة والنار	٣٥٥
٢٧	إن الله خلق مائة رحمة فقسم فى عباده رحمة واحدة فيها يتراحمون ، ورفع التسع والتسعين ليوم القيامة يرحم بها عبادة أو كما قال عليه السلام	٣٥٥
٢٨	اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك	٣٥٦
٢٩	يتنزل الله تعالى كل ليلة إذا بقى ثلث الليل إلى سماء الدنيا	٣٥٧
٣٠	لا يزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه ، فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قدٍ قدٍ ، وعزتك وكرمك	٣٦٩
٣١	الناس لا يزالون يتساءلون فيما بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ..؟	٣٧٥

فهرس الفِرَقْ

فهرس الأماكن والبلدان

فهـــرس الأعـــلام

حرف النون

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الكنى

ثبت بالمراجع

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١	القرآن الكريم	كتاب الله جل من أنزل
٢	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب من المكتبة السلفية
٣	صحيح مسلم	حقق نصوصه ورقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقى نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية
٤	سنن الترمذى	حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف [دار الفكر ١٣٨٤ هـ]
٥	سنن ابن ماجه	حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقى [عيسى البابى الحلبى وشركاه]
٦	سنن الدارمى	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى [دار الفكر ش سليمان الحلبى القاهرة ١٣٩٨ هـ]
٧	سنن أبى داود	راجعه على عدة نسخ محمد محيى الدين عبد الحميد [دار إحياء السنة النبوية]
٨	جامع الأصول فى أحاديث الرسول	حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤطى [مكتبة دار لبنان ١٣٩٢ هـ]
٩	كشف الخفا ومزيل الألباس	أحمد القلاس [مكتبة التراث الإسلامى – حلب]
١٠	المسند للإمام أحمد بن حنبل	شرحه – أحمد محمد شاكر [دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ]
١١	الموطأ للإمام مالك	صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقى [دار إحياء الكتب العربية]
١٢	سنن النسائى	بشرح الحافظ السيوطى [المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ]
١٣	الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة	الشوكانى – تحقيق عبد الرحمن بن يحيى [مطبعة جدة ١٣٨٠ هـ]
١٤	مفتاح كنوز السنة د . ا . ى فنسنك	نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى ادارة ترجمان السنة – لاهور ١٣٩٧ هـ

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١٥	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى	ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره [أ . ى . ونسنك و ى . ب . منسخ [مطبعة بريل لندن ١٩٦٧]
١٦	البداية والنهاية لابن كثير	الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف بيروت
١٧	دائرة المعارف الإسلامية	أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية جماعة من المستشرقين النسخة العربية إعداد إبراهيم زكى خورشيد [دار الشعب بالقاهرة]
١٨	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر	تحقيق على محمد البيجاوى [مكتبة نهضة مصر بالقاهرة]
١٩	الطبقات الكبرى لابن سعد	دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة
٢٠	وفيات الأعيان لابن خلكان	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مكتبة نهضة مصر ١٩٤٨ م]
٢١	تهذيب التهذيب لابن حجر	للإمام ابن حجر العسقلانى
٢٢	المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مطبعة المدنى بالقاهرة]
٢٣	الإعلام للزركلى	الطبعة الثالثة
٢٤	جمهرة أنساب العرب لابن حزم	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون [دار المعارف ١٩٦٢ م]
٢٥	جوامع السيرة لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس [دار المعارف بمصر]
٢٦	طوق الحمامة فى الألفة والآلاف	تحقيق الدكتور الطاهر مكى [دار المعارف بمصر]
٢٧	المفاضلة بين الصحابة لابن حزم	تحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى [بيروت سنة ١٩٤٠ م]
٢٨	نقط العروس لابن حزم	تحقيق الدكتور شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٥١ م
٢٩	أعلام النساء لعمر كحالة	الطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨ هـ
٣٠	الإحاطة فى أخبار غرناطة	لسان الدين الخطيب تحقيق عبد الله عنان القاهرة ١٩٥٥ م
٣١	بغية الملتمس	أحمد بن يحيى العتبى دار الكتاب العربى ١٩٦٧ م
٣٢	تراجم إسلامية	محمد عبد الله عنان [مكتبة الخانجى]
٣٣	تذكرة الحفاظ	الذهبى [طبعة حيدر أباد الهند]
٣٤	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى بيروت
٣٥	تاريخ الفكر الأندلسى	ترجمة الدكتور حسين مؤنس [القاهرة ١٩٥٥ م]
٣٦	تاريخ الشعوب الإسلامية	بركلمان الطبعة السابعة دار العلم للملايين
٣٧	ابن حزم – حياته وعصره وآراؤه وفقهه	الشيخ محمد أبو زهرة [دار الفكر العربى]
٣٨	ابن حزم الأندلسى	الدكتور زكريا إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٦٦ م أعلام العرب
٣٩	دولة الإسلام فى الأندلس	الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ
٤٠	طبقات الشافعية للأسنوى	تحقيق عبد الله الجابورى بغداد ١٣٩١ هـ
٤١	عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعه	دار مكتبة الحياة بيروت

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٤٢	معجم الأدباء لياقوت الحموى	طبعة دار المأمون
٤٣	مروج الذهب للمسعودى	تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – كتاب التحرير سنة ١٣٨٦ هـ
٤٤	المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى	تحقيق محمد العريان – القاهرة – سنة ١٣٦٨ هـ
٤٥	تفسير الطبرى : لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى	حققه محمود محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م
٤٦	تفسير القرآن العظيم : لأبى الفداء اسماعيل ابن كثير	طبع دار احياء الكتب العربية
٤٧	التفسير الكبير : للإمام محمد الرازى	المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ
٤٨	الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين السيوطى	دار المعرفة للطباعة – بيروت – لبنان
٤٩	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل	للإمام محمود بن عمر الزمخشرى – ط مصطفى حسين أحمد مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ
٥٠	الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى	ط . دار الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٧ هـ
٥١	زاد المسير فى علم التفسير – عبد الرحمن ابن الجوزى	المكتب الإسلامى – على نفقه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى – أمير دولة قطر المعظم
٥٢	فى ظلال القرآن	سيد قطب دار الشروق ١٣٩٤ هـ بيروت
٥٣	تفسير القرآن الحكيم	محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة النجاح الطبعة الأولى
٥٤	تفسير النسفى	للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : مكتبة محمد على صبيح ١٣٨٥ هـ
٥٥	بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى – تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٣٨٩ هـ
٥٦	التفسير والمفسرون	د . محمد حسين الذهبى – دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٨١ هـ
٥٧	معترك الأقران فى أعجاز القرآن	للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى – تحقيق : على محمد البجاوى – دار الفكر العربى
٥٨	تأويل مشكل القرآن	شرحه ونشره : السيد أحمد صقر – الطبعة الثانية – دار التراث – القاهرة ١٣٩٣ هـ
٥٩	فتح القدير : الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير	تأليف : محمد بن على الشوكانى : دار الفكر ١٣٩٣ هـ

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة

كتب العقيدة

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٦٠	المواقف	للقاضى : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى . الطبعة الأولى : مطبعة السعادة بمصر – ١٣٢٥ هـ
٦١	المقاصد	سعد الدين التفتازانى . نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحمل رقم ٥٣٣١٣ علم الكلام
٦٢	التقريب لحد المنطق والمدخل إليه	نشر وتحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت ١٩٥٩ م
٦٣	الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار العروبة – ١٣٨٠ هـ
٦٤	رسالة فى ابطال القياس والرأى والاستحسان لابن حزم	تحقيق الاستاذ سعيد الأفغانى سنة ١٩٦٠ دمشق
٦٥	أصول الفكر الفلسفى عند الرازى	د . عبد اللطيف محمد العبد – مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٧ م
٦٦	الأسفار المقدسة	د . على عبد الواحد وافى – دار نهضة مصر سنة١٩٧١ م .
٦٧	آراء بن العربى الكلامية	عمار طالبى : الشركة الوطنية – الجزائر
٦٨	إغاثة اللهفان	لابن القيم الجوزيه – تحقيق محمد حامد الفقى
٦٩	أصول الدين	للبغدادى : الطبعة الأولى – استنابول – مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ
٧٠	تحقيق ما للهند من مقولة	للبيرونى ط حيدر أباد بالهند ، ١٣٧٧ هـ
٧١	تبين كذب المفترى	لابن عساكر : ط دار الكتاب العربى : بيروت ١٣٩٩ هـ
٧٢	التلمود	ظفر الإسلام خان ط . الثالثة – دار النفائس
٧٣	التوراه السامرية	ترجمة الكاهن السامرى – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا – دار الأنصار : الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ
٧٤	تهافت الفلاسفة	لحجة الإسلام الغزالى – طبعة دار المعارف تحقيق الدكتور سليمان دنيا
٧٥	جذوة المقتبس	للحميدى : الدار القومية – ١٩٦٦ م
٧٦	رسائل فلسفية	للرازى : منشورات دار الإنسان الجديد : بيروت ١٣٩٣ هـ
٧٧	الرد الجميل	للغزالى : ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٣ هـ تقديم وتحقيق الأستاذ : عبد العزيز عبد الحق .
٧٨	الإشارات لابن سينا	ط دار المعارف . تحقيق د . سليمان دنيا
٧٩	الفكر الدينى الإسرائيلى	د . حسن ظاظا : ط . معهد البحوث سنة ١٩٧١ هـ
٨٠	الفرق بين الفرق	للبغدادى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة ومطبعة محمد على صبيخ – القاهرة
٨١	ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى	د . عوض الله حجازى : سنة ١٣٨٠ هـ
٨٢	مناهج الجدل فى القرآن الكريم	د . زاهر عواض الألمعى : مطابع الفرزدق التجارية – الرياض
٨٣	المعجم الفلسفى	د . جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى – بيروت

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٨٤	محاضرات فى النصرانية	للشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى
٨٥	الملل والنحل	للشهرستانى : تخريج الدكتور محمد بن فتح الله بدران مكتبة الأنجلو – القاهرة – ١٣٦٦ هـ
٨٦	المسيحية	للدكتور أحمد شلبى : الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م مكتبة النهضة
٨٧	مقالات الإسلاميين	لأبى الحسن الأشعرى : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – ط ثانية ١٣٨٩ هـ
٨٨	المغنى	للقاضى عبد الجبار – الدار المصرية للتأليف والترجمة – بإشراف د . طه حسين
٨٩	نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	د . على سامى النشار . دار المعارف الطبعة السابعة – ١٩٧٧ م
٩٠	مذاهب الإسلاميين	د . عبد الرحمن بدوى . دار العلم للملايين بيروت ط الثانية – ١٩٧٩ م
٩١	معارج القبول لشرح سلم الوصول فى التوحيد	لتسيح حافظ بن أحمد الحكمى من مطبوعا الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية
٩٢	الحقيقة فى نظر الغزالى	د . سليمان دنيا : دار المعارف بمصر ط ثالثة
٩٣	الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة . من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية
٩٤	فتح المجيد – شرح كتاب التوحيد	للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – محمد حامد الفقى – دار الكتب العلمية بيروت
٩٥	المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية	للاستاذ الدكتور محمد الصادق – دار التراث الإسلامى – بيروت
٩٦	فى التوحيد ، ديوان الأصول	لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابورى : تحقيق محمد عبد الهادى أبو ريدة . مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م
٩٧	الصلة بين التصوف والتشيع	د . كامل مصطفى الشيبى – دار المعارف مصر ط ثانية
٩٨	الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى	د . محمد البهى – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر
٩٩	الابانة عن أصول الديانة	لأبى الحسن الأشعرى . تقديم وتحقيق د . فوقية حسين محمود – دار الأنصار – مصر
١٠٠	شرح العقيدة الطحاوية	حققها جماعة من العلماء : المكتب الإسلامى ط : الرابعة ١٣٩٩ هـ
١٠١	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسوانى الهندى – مطابع نجد التجارية – الرياض

الفصل
في
الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦هـ

الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور محمد إبراهيم نصر

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة

عميد كلية أصول الدين

جامعـة الأزهـر - فرع أسيوط

دار الجيل

بيروت

الطبعة الثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

نحمد الله سبحانه وتعالى حمد الشاكرين ، الذى وفقنا وأعاننا بفيض من عنده ، ومدد من تأييده فى تقديم الجزء الأول والثانى من كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لقراء وباحثى الأمة الإسلامية والعربية .

وهانحن أولاء الآن نقدم بين يدى القارىء الجزء الثالث من هذه « الموسوعة » الكبيرة التى أراد بها ابن حزم رضى الله عنه ، أن يضع فيها كل ما يهم الباحث المشتغل بالدراسة المقارنة للأديان ، والكتب المنزلة ، والفرق الإسلامية وغيرها من الملل والنحل .

ولقد قلنا عند تقديم الجزء الأول إن ابن حزم استعرض فيه أقوال القائلين بقدم العالم ، والمنكرين لمدبِّره سبحانه وتعالى ، ولجماعة الرسل والأنبياء ، والقائلين بأن للعالم أكثر من فاعل ، ووضحنا كيف استطاع هذا العالم الجليل أن يفند أقوال المنكرين ، ويبطل حجج المبطلين .

وأسلحته فى ذلك : عقل ألمعى ، وذهن وقّاد ، وخبرة ودراية شاملة بكتاب الله تعالى وهدى نبيه ﷺ .

ثم استعرض تخبط النصارى فى التثليث ، وهوس بعض الصابئة بالكواكب ، وختل القائلين بتناسخ الأرواح ، وغير ذلك من الإفك البواح الذى تردى فيه بعض أفراد البشرية ردحًا من الزمن .

فإذا خلص من ذلك . تناول التوراة المحرفة بأيدى اليهود بالنقض والتفنيد ، وخلص فى النهاية إلى أن التوراة المتداولة الآن والتى تعتبر مصدر الديانة عند اليهود ، هى من وضع أفَّاك جاهل خلط عليهم دينهم ، وأوقعهم فى هوَّة عميقة من الضلال .

وقلنا فى مقدمة الجزء الثانى : إن ابن حزم استعرض فيه الإنجيل وكتب النصارى المتداولة بين أيديهم . وبيَّن ما فيها من تناقض ووضع ، وأثبت أن الحواريين أتباع عيسى عليه السلام الذين آووا ونصروا – يختلفون كل الاختلاف عمن اتخذهم النصارى حواريين وأتباعًا للمسيح عليه السلام .

فإذا خلص من ذلك . تناول الفرق الإسلامية موضحًا أفكارها ، مفصِّلًا آراءها ، مبينًا ما ترددت فيه من غلو وتخبط عندما ابتعدت عن مائدة القرآن ، وتتلمذت على آراء اليونان تارة ، والفرس تارة أخرى ، وإفك اليهود ، وضلال النصارى مرة ثالثة .

وبعد هذا العرض المفصل الذى وضحه ابن حزم عن التصورات والاعتقادات السابقة ، يقدم بين يدى القارىء صورة مجملة عن التوحيد ، ونفى التشبيه والتمثيل ، ليخلص من ذلك إلى تقديم صورة دقيقة مركزة عن أسماء الله تعالى وصفاته ، مع مناقشة المعطّلين ، والمجسّمين ، والمشبّهين ، ومن ران الله على قلوبهم ، أو وضع على عيونهم غشاوة .

أمَّا فى هذا الجزء الذى بين أيدينا وهو الجزء الثالث : فإنه يتناول فيه موضوعات محددة ، تكاد تكون مقصورة – على رؤية الله سبحانه وتعالى وكلامه ، والجبر والاختيار أو القضاء والقدر ، وما يتبع ذلك من أمور ترتبط بهذه الموضوعات من قريب أو بعيد .

ففى موضوع الرؤية يقدم بين يدى القارىء آراء بعض المعتزلة والجهمية القائلين بنفى رؤية الله سبحانه وتعالى .

وأراء المجسِّمة القائلين بإمكانها فى الدنيا والآخرة .

وآراء أهل السنة ، وبعض رجال المعتزلة القائلين برؤية الله تعالى فى الآخرة ثم يتناول الكثير من هذه الأراء بالقدح تارة ، والتفنيد تارة أخرى ، حتى يصل فى النهاية إلى القول الفصل فى هذه القضية فيقول :

« إنما قلنا : إنه تعالى يُرى فى الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة فى العين الآن [فهى] قوة موهوبة من الله عز وجل ، وقد سمَّاها بعض القائلين : بالحاسة السادسة ، بمعنى أن الله تعالى يضع يوم القيامة فى الأبصار قوة يشاهَد الله تعالى بها ويُرى[1] » .

ويعتقد أن ذلك له سوابق ، ومشاهد فى حياتنا كالتى يضعها الله فى الدنيا فى قلب العبد المؤمن [وتسمى البصيرة] .

وكالتى وضع الله تعالى فى أذن موسى عليه السلام حتى شاهد الله تعالى وسمعه مكلمًا ، (وكَلَّم الله مُوسى تكليما) .

* * *

(١) الجزء الثالث من كتاب الفصل : ٢ . وهذا الذى ذكرناه نص قول ابن حزم .

وما فعله فى الرؤية : فعله فى القرآن الكريم الذى هو كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه محمد ﷺ ، فهو يقدم بين موضوع الكلام تمهيدًا يوضح فيه أن جميع أهل الإسلام متفقون على أن لله كلامًا ثم يختلفون بعد ذلك فى حقيقة الكلام وهويته .

فهو عند المعتزلة : صفة فعل مخلوق .

وعند جماعة الأشاعرة : صفة ذات .

وعند أهل السنة : كلام الله هو علمه لم يزل وهو غير مخلوق ، وهو قول الإمام أحمد ابن حنبل – رحمه الله – وغيره من أئمة السلف .

ويقدم لنا فى هذا المبحث . حجج أهل السنة والجماعة القائمة على كتاب الله تعالى وهدى النبى ﷺ ثم يناقش بعدها آراء المخالفين ، والمتزيدين والقائلين بالهوى والغرض ، فيفحم أشخاصهم ، ويفسد أقوالهم ، ويبطل حججهم . فإذا فرغ من ذلك عرض لقضية الجبر والاختيار ، ولقد استحوزت هذه القضية على قدر كبير من هذا الجزء ، وكعادة ابن حزم يقدم بين يدى كلامه ثبتًا بأقوال الفرق الأخرى .

فهناك الجبرية التى تقول : إن الإنسان مجبر غير مختار ، وهو فى أفعاله كالريشة فى مهب الريح تتحرك بغير حركتها ، وتنتقل مع الريح أنى انتقلت .

وهناك الأشاعرة : فقد قالوا : إن الإنسان له استطاعة ، وهى ليست الإنشاء والتكوين ، بل الفعل من الله تعالى ، ولا فاعل إلا الله تعالى ، ولكن تكون استطاعة يخلقها الله تعالى عند الفعل تسمى الكسب وبها تكون المسئولية والجزاء عن الفعل .

والطائفة الثالثة أكثر المعتزلة والشيعة – وهم يرون أن الإنسان مختار مريد باستطاعته أن يفعل الفعل ، وهى قوة أودعها الله نفس العبد ، وبها يكون الفعل خيرًا أو شرًا ويزيدون فى قولهم : إن الله يشاء الخير ويريده ، ولا يريد الشر ، فإرادته وأمره متلازمان ، وإذا كان لا يأمر بالشر فهو لا يريده .

وقد انقسم أصحاب هذا الرأى الأخير إلى فرق ، فقال بعضهم : إن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل أيضًا ، وأن فى وسع الإنسان أن يقبل على فعله أو أن يتركه ، وهو قول بشر ابن المعتمر . بينما ذهب أبو الهذيل العلاف إلى أن الاستطاعة لا تكون مع الفعل ألبتة ، ولا تكون إلا قبله ، ثم تفنى مع أول وجود الفعل .

على حين ذهب آخرون وعلى رأسهم النظام إلى أن الاستطاعة ليست شيئًا آخر غير نفس المستطيع .

لقد استعرض ابن حزم هذه الآراء مجتمعة ، وسخر من بعضها ، وهاجم بعضها الآخر ، وسكت عن نوع ثالث . فما موقفه فى أفعال العباد .. ؟ وما الرأى الذى ارتآه فى هذه القضية .. ؟

إن ابن حزم يقرر أن أفعال الإنسان تكون باستطاعة الإنسان – وتستمر هذه الاستطاعة حتى يقع الفعل .

وهو بهذا يقرر مبدأ الاختيار ، لأن الجبر فى رأيه يخالف النص ، والحس واللغة ، فالنّص قوله تعالى : « جزاءً بما كنتم تعملون » . فنص الله تعالى على العمل وأسنده إلى المكلف .

وأما الحس ، فبالحواس وبضرورة العقل وبدهياته علمنا علمًا لا يخالجه الشك أن بين الصحيح الجوارح ، وبين ما لا صحة لجوارحه فرقًا لائحًا لجوارحه ، لأن الصحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختارًا دون مانع ، والذى لا صحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلًا .

وأما اللغة : فالمجبر : هو الذى يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده ، فأما من وقع فعله وقصده ، فلا يسمى فى اللغة مجبرًا .

ويقرر أيضًا أن الفعل لا يكون نتيجة للاستطاعة وحدها ، بل لابد من زوال كل الموانع الحاجزة التى تحول بين الاستطاعة وظهور أثرها فى الأفعال فهو يقول : « نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعل قد يعترضه دون الفعل مانع لا يقدر معه على الفعل أصلًا ، فعلمنا أن هاهنا شيئًا آخر به تتم الاستطاعة وبه يوجد الفعل ، فصح ضرورة أن الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع ، وهذا الوجهان قبل الفعل [وهما] قوة أخرى من عند الله عز وجل » .

ونتساءل هل استطاع ابن حزم بذلك أن يحل هذه المشكلة .. ؟ إننا نحب أن نقول : إن ما قام به ابن حزم هو خطوة فى طريق الحل ، ولكنه ليس الحلَّ الشامل الكامل الذى يرضى النفوس الطلعة الباحثة عن الحقيقة . المتطلعة إلى العلم اليقينى والرأى الأمثل فى هذه القضية .

ونحب أن نقول إن هذا الجزء احتوى غير الموضوعات السابقة – حديثًا مفصلًا عن قضايا التجوير والتعديل ، وحقيقة الإيمان والكفر ، والوعد والوعيد ، وفى تعبد الملائكة ، والخَلْق المستأنف .

وبعد فإن العمل فى المخطوطات ، وإحياء التراث الذى أفنى السلف فيه أعمارهم مهمة إنسانية ، وواجب دينى على الأمة الإسلامية ، ويقتضيها هذا الواجب أن تجمع عزمها ورجالها لإخراج هذا التراث إلى النور حتى يكون لهذا الجيل ، وما بعده من أجيال ، الأرض الصلبة

التى يقفون عليها ، لصد هجمات المهاجمين ، وغارات المغيرين الذين يأتون إلى بلادنا ويريدون غزونا ، بالكلمة الفجة ، والرأى السفيه ، والفكرة الضالة الملحدة ، وللأسف يجدون آذنًا صاغية لضلالهم ، وقلوبًا مستعدة لقبول إفكهم وأوهامهم .

فهل تستجيب الأمة الإسلامية لهذه الدعوة .. حتى يعود لها سابق مجدها وقوتها .. ؟ ويعود لها قيادة العالم كما كان سابقًا ، نرجو من الله ذلك .

« ربَّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

المحققان

الكلام فى الرؤية ..

قال أبو محمد : ذهبت المعتزلة ، وجهم بن صفوان[١]، أن الله تعالى لا يُرى فى الآخرة ، وقد روينا هذا القول عن مجاهد[٢]، [وعذره فى ذلك أن الخبر لم يبلغ إليه[٣]، وروينا هذا القول أيضًا عن] الحسن البصرى[٤]، وعكرمة[٥]، وقد روى عن الحسن وعكرمة إيجاب الرؤية له تعالى ، وذهبت المجسمة إلى أن الله تعالى يُرى فى الدنيا والآخرة . وذهب جمهور أهل السنة ، والمرجئة ، وضرار ابن عمرو[٦] من المعتزلة إلى أن الله تعالى يُرى فى الآخرة ، ولا يرى فى الدنيا ، وقال الحسين[٧] ابن محمد النجار هو جائز ولم يقطع به .

قال أبو محمد : أما قول المجسمة ففاسد بما تقدم من كلامنا فى هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين ، وأيضًا[٨] فإن الرؤية المعهودة عندنا لا تقع إلا على الألوان لا على ما عداها ألبتة وهذا

---

(١) فى (أ) زاد : (إلى) وترجم لجهم صـ ٤٢٥ .

(٢) هو : مجاهد بن جبير المكى أبو الحجاج المخزومى المقرى ، مولى السائب بن أبى السائب . روى عن كثير من الصحابة . قال عبد السلام بن حرب : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد . وقال الفضل بن ميمون : سمعت مجاهدًا يقول : عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاثين مرة . قال الذّهبى : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد ، والاحتجاج به . قال ابن حبّان : مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد . ومولده كان سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر رحمه الله . (تهذيب التهذيب : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ بتصرف) .

(٣) فى (خ) : سقط من (وعذره إلى أيضا عن) .

(٤) هو الحسن بن يسار البصرى أبو سعيد تابعى كان إمام أهل البصرة ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء ، ولد بالمدينة عام ٢١ هـ . وشب فى كنف على بن أبى طالب رضى الله عنه ، واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية . وسكن البصرة . وعظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم . لا يخاف فى الحق لومة لائم . وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف . توفى بالبصرة عام ١١٠ هـ . وللدكتور إحسان عباس كتاب : « الحسن البصرى » . (الإعلام : ٢٤٢/٣) .

(٥) هو عكرمة البربرى أبو عبد الله المدنى ، مولى ابن عباس . روى عن مولاه ، وعلى بن أبى طالب وأبى هريرة ، وروى عنه : إبراهيم النخعى ، وجابر بن زيد ، والشعبى ، وآخرون . قال عثمان الدارمى : قلت لأبى معين : عكرمة أحب إليك أم عبيد الله ؟ فقال : كلاهما . وأخرج عنه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى . مات بالمدينة سنة ١٠٤ هـ (تهذيب التهذيب : ٢٦٥/٧ – ٢٧٢ بتصرف) .

(٦) هو ضرار بن عمرو القاضى معتزلى جلد ، له مقالات خبيثة . شهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه فهرب وأخفاه يحيى ابن خالد ، ويعد من رجال منتصف القرن الثالث (لسان الميزان / ٢٠٣/٣) .

(٧) هو : أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله . كان من كبار المجبرة ومتكلميهم ، وله مع النظام مجالس ومناظرات . وله كتب : الاستطاعة والإرجاء ، والقضاء والقدر . وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه (الفهرست للنديم . لأبى الفرج ابن على الورّاق . وفى تسمية هذا الكتاب خطأ مشهور حيث يطلق عليه الباحثون (الفهرست لابن نديم) وحقيقته الفهرست للنديم .

(٨) فى (أ) : وعمدة من أنكر .. أنّ) .

مبعد عن البارى عز وجل [وقد احتج من أنكر الرؤية علينا بهذه الحجة بعينها وهذا سوء وضع منه لأننا لم نقل قط بتجويز هذه الرؤية على البارى عز وجل[٩]] وإنما قلنا إنه تعالى يرى فى الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة فى العين الآن لكن بقوة موهوبة من الله عز وجل وقد سماها بعض القائلين بهذا القول : الحاسة السادسة . وبيان ذلك أننا نعلم الله تعالى بقلوبنا علما صحيحا هذا[١٠] لا شك فيه ، فيضع الله تعالى يوم القيامة فى الأبصار قوة يُشَاهَد الله تعالى بها ويرى كالتى وضعها فى الدنيا فى القلب ، وكالتى وضعها الله تعالى فى أذن موسى عليه السلام حتى شاهد الله تعالى وسمعه مكلّما له . واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ[١١] » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك ، والإدراك عندنا فى اللغة معنى زائد على النظر والرؤية ، فالإدراك منتف عن الله تعالى على كل حال فى الدنيا والآخرة ، لأن فى الإدراك معنى من الإحاطة ليس فى الرؤية[١٢]، برهان ذلك قول الله عز وجل « فَلَمَّا تَرَا أَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ[١٣] » .

ففرق الله تعالى بين الإدراك والرؤية فرقا جليا لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله « فلما ترا أى الجمعان » وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤية لبنى إسرائيل ، ونفى الله الإدراك بقول موسى[١٤] عليه السلام : « كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ » .

فأخبر تعالى أنه رأى أصحابُ فرعون بنى إسرائيل ولم يدركوهم ، وشك أن ما نفاه الله عز وجل فهو غير الذى أثبته ، فالإدراك غير الرؤية والحجة لقولنا هو قول الله عز وجل « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[١٥] » .

واعترض بعض المعتزلة وهو أبو على محمد[١٦] بن عبد الوهاب الجبائى فقال : إن « إلى »

---

(٩) ف (خ) : سقط الكلام من قوله : وقد احتج إلى (عز وجل) .

(١٠) فى (أ) : (مالا) .

(١١) الأنعام : ١٠٣

(١٢) فى (أ) : تقديم وتأخير حيث قدم قوله (وهو معنى الاحاطة وليس ذلك فى الرؤية) .

(١٣) الشعراء : ٦١ .

(١٤) موسى اسم معرب أصله موشا ، ومؤ بالعبرية الماء وشا الشجر ، سمى به لأنه وجد فى الماء والشجر الذى كان حول قصر فرعون فى عين شمس ، وهى موضع معروف بمصر لا ينبت شجر البلسان إلا فيه قيل سئل النبى ﷺ ما بال الله أكثر ذكر موسى فى القرآن .. ؟ فقال : لان الله يحبه ، ومن أحب شيئا اكثر ذكره . قال كعب : سمع موسى كلام الله يوم الطور غير ما سمعه قبل ذلك فقال موسى : يا رب وكيف هذا .. ؟ قال الله تعالى : إنما كلمتك على قدر طاقتك ولو كلمتك أشد من ذلك لذبت . (بصائر ذوى التميز حـ ٦ صـ ٦١) .

(١٥) القيامة : ٢٢

(١٦) هو أحد أئمة المعتزلة ، كان إمامًا فى علم الكلام ، أخذ هذا العلم عن يعقوب الشحّام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة . توفى سنة ٣٠٣ هـ . (وفيات الوفيات : ١/٦٠٨) .

ههنا ليست حرف جر لكنها اسم وهى واحدة الآلاء وهى النعم وهى فى موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة ، وهذا بعيد لوجهين أحدهما : الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهى النعمة ، فإذا حصلت لها النعمة فبعيد أن تنتظر لما قد حصل لها ، وإنما تنتظر ما لم يقع بعد . والثانى تواتر الأخبار عن النبى ﷺ ببيان أن المراد بالنظر : هو الرؤية ، لما تأوله المتأولون . وقال بعضهم إنَّ معناها إلى ثواب ربها (أى منتظرة ناظرة) .

قال أبو محمد[١٧]: وهذا فاسد جدا لأنه لا يقال فى اللغة نظرت[١٨] إلى فلان بمعنى انتظرته .

* * *

قال أبو محمد : وحمل الكلام على ظاهره الذى وضع له فى اللغة فرض لا يجوز تعديه إلا بنصّ أو إجماع ، لأن من فعل ذلك فقد أفسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله[١٩]. فإن قالوا إنَّ حمل الكلام على المعهود أولى من حمله على غير المعهود . قيل لهم[٢٠] الأولى فى ذلك حمل الأمور على معهودها فى اللغة ، ما لم يمنع من ذلك نصٌ أو إجماع أو ضرورة ، ولم يأت نصٌ ولا إجماع ولا ضرورة تمنع مما ذكرنا فى معنى النظر فقد[٢١] وافقنا المعتزلة على أنه لا عالم عندنا إلا بضمير[٢٢] ولا فعَّال إلا بمعاناة . ولا رحيم[٢٣] إلا برقة . ثم أجمعوا معنا على أن الله تعالى عالم بكل ما يكون بلا ضمير ، وأنه عزَّ وجلَّ فعَّال بلا معاناة ، ورحيم بلا رقة . فأىُّ فرق بين تجويزهم ما ذكرنا وبين عدم[٢٤] تجويزهم رؤية ونظرًا ، بقوة غير القوة المعهودة لولا[٢٥] الخذلان ومخالفة القرآن والسنن نعوذ بالله من ذلك .

وقد قال بعض المعتزلة أخبرونا إذا رؤى البارى تعالى أكلُّه يرى أم بعضه . ؟

* * *

قال أبو محمد : وهذا سؤال تعلموه من الملحدين إذا[٢٦] سألونا نحن والمعتزلة فقالوا : إذا علمتم الله تعالى أَكُلَّه تعلمونه أم بعضه .. ؟

---

(١٧) سقط ما بين القوسين فى (خ) .
(١٨) فى (خ) : (انتظرت) .
(١٩) فى (خ) : لم يذكر (كله) .
(٢٠) فى (أ) : (وله) .
(٢١) فى (أ) : (وقد) .
(٢٢) فى (أ) : زاد (وأنه) .
(٢٣) فى (خ) : (ولا رحمة) .
(٢٤) فى (أ) : وبين تجويزهم بدون (عدم) .
(٢٥) فى الأصل (ولولا) .
(٢٦) فى (أ) : (إذْ) .

قال أبو محمد : هذا[٢٧] سؤال فاسد مغالط به لأنهم أثبتوا كلًّا وبعضا حيث لا كلَّ ولا بعض . والبعض والكل لا يقعان إلا فى ذى نهاية ، والبارى تعالى خالق النهاية والمتناهى فهو تعالى لا متناهٍ ولا نهاية فلا كلَّ له ولا بعض .

قال أبو محمد : الآية[٢٨] المذكورة والأحاديث الصحاح المأثورة فى رؤية الله تعالى يوم القيامة موجبة للقبول . لتظاهرها وتباعد ديار الناقلين لها ، ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين لا حرمنا ذلك الله من فضله ، ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن العارفين به تعالى يرونه فى الدنيا بقلوبهم ، وكذلك الكفار فى الآخرة بلا شك . فإن قال قائل إنما أخبر الله تعالى بالرؤية عن الوجه . قيل له وبالله تعالى التوفيق : معروف فى اللغة التى خوطبنا بها أن تنسب الرؤية إلى الوجه والمراد بها العين . قال بعض الأعراب .

أنافس من ناجاك مقدار لفظة ... وتعتادُ نفسى إن نأت عنك عينها

وإنَّ وجوها يصطحبن بنظرة ... إليك لمحسودٌ عليك عيونُها

(٢٧) فى (أ) : (وهذا) .
(٢٨) فى (أ) : والآية) .

« الكلام فى القرآن وهو القول فى كلام الله تعالى »

قال أبو محمد : واختلفوا فى كلام الله عزَّ وجل بعد أن أجمع جميع أهل الإسلام كلهم على أن لله تعالى كلامًا ، وعلى أن الله تعالى كلَّم موسى عليه السلام ، وعلى أن القرآن[١] كلام الله عز وجل وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف وكل هذا لا خلاف[٢] فيه بين أحد من أهل الإسلام .

فقالت المعتزلة : إن كلام الله عز وجل صفة فعل مخلوق . وقالوا إن الله تعالى كلَّم موسى عليه السلام بكلام أحدثه فى الشجرة .

وقال أهل السنة : إن كلام الله تعالى هو علمه لم يزل ، وهو غير مخلوق ، وهو قول الإمام أحمد[٣] بن حنبل وغيره وقالت الأشعرية . كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله تعالى ، وأنه ليس لله تعالى إلا كلام واحد . واحتج أهل السنة بحجج منها :

أن قالوا إن كلام الله عز وجل لو كان غير الله تعالى لكان لا يخلو من أن يكون جسما أو عرضا ، فلو كان جسما لكان فى مكان واحد ، ولو كان ذلك لكان لم يبلغنا كلام الله عز وجل ولا كان يكون مجموعا عندنا ، فى كل بلد كذلك . وهذا كفر . ولو كان عرضا لاقتضى حاملا ولكان كلام الله الذى هو عندنا هو غير كلامه الذى عند غيرنا وهذا محال . ولكان أيضا يفنى[٤] بفناء حامله ، وهذا لا يقولونه .

---

(١) فى (أ) سقط قوله (وعلى أن القرآن كلام الله) .

(٢) فى (أ) : (لا اختلاف) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل الذُّهلى الشَّيبانى ، أحد الأعلام ، كان إمامًا فى الحديث وضروبه ، إمامًا فى الفقه ودقائقه ، إمامًا فى السنة ودقائقها ، إمامًا فى الورع وغوامضه . إمامًا فى الزهد وحقائقه . توفى سنة ٢٤١ هـ . (شذرات الذهب : ٩٦/٢) .

(٤) فى (أ) : (يغنى بغناء) بالغين فيهما وهو تحريف .

قالوا : ولو سمع موسى كلام الله عز وجل من غيره تعالى لما كان لموسى عليه السلام فى ذلك فضل علينا لأننا نسمع كلام الله عز وجل من غيره ، فصحَّ أن لموسى عليه السلام مزية على من سواه وهو أنه عليه السلام سمع الله تعالى[٥] مكلِّما له بلا خلاف من سواه .

وأيضًا فقد قامت الدلائل على أن الله تعالى لا يشبهه شئ من خلقه بوجه من الوجوه ولا بمعنى من المعانى ، فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقا وجب ضرورة أن يكون كلام الله عزَّ وجلَّ ليس مخلوقا ، وليس غير الله تعالى كما قلنا فى العلم سواء بسواء .

* * *

قال أبو محمد : وأمَّا الأشعرية فيلزمهم فى قولهم إن كلام الله تعالى غير الله ما ألزمناهم فى العلم والقدرة سواء ، مما قد[٦] تقصّيناه قبل هذا والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم إنه [٧] ليس لله تعالى إلا كلام واحد فخلاف مجرد لله تعالى ولجميع أهل الإسلام ، لأن الله عز وجل يقول : « لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدا[٨] ».

وقال تعالى : « وَلَوْ أَنَّ مَا فى الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ والْبَحْرَ يَمُدُّه مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ[٩] » .

* * *

قال أبو محمد : ولا ضلال أضلّ ، ولا حياء أعدم ، ولا مجاهرة أطمّ ، ولا تكذيب لله تعالى أعظم[١٠] ممن سمع هذا الكلام الذى لا يشك مسلم أنه خبر الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – بأن لله تعالى كلمات لا تنفد .

ثم يَقول هو من رأيه الخسيس إنه ليس لله تعالى إلا كلاما واحداً فإن ادَّعَوْا بأنهم فروا بأن يكثروا مع الله تعالى أكذبهم قولهم إن ههنا خمسة عشر شيئا كلها متغايرة ، وكلها غير الله تعالى

---

(٥) فى (أ) : (سمع كلام الله) .
(٦) فى (خ) : لم يذكر (قد) .
(٧) فى (أ) : سقطت (إنه) .
(٨) الكهف : ١٠٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث قال (نفذ) بالذال .
(٩) لقمان : ٢٧ .
(١٠) فى (خ) : (أطم) .

وخلاف الله . وكلها لم تزل مع الله – تعالى الله[١١] عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

* * *

قال أبو محمد : وقالت أيضا هذه الطائفة المنتمية إلى الأشعرى[١٢] إن كلام الله لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد عليه السلام وإنما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله تعالى ، وأن الذى نقرأ فى المصاحف ونكتب[١٣] فيها ليس شيء منه كلام الله عز وجل ، وأن كلام الله تعالى الذى لم يكن ثم كان ، ولا يحلُّ لأحد أن يقول : إنَّ ما قلنا لله تعالى[١٤] لا يزايل البارى تعالى ، ولا يقوم بغيره ، ولا يحل فى الأماكن ، ولا ينتقل ولا هو حروف موصولة ، ولا بعضه خيرا من بعض ، ولا أفضل ولا أعظم من بعض . وقالوا لم يزل الله تعالى قائلا لجهنم هل امتلأت . وقائلا للكفار[١٥] « اخْسَئُوا فيها وَلَا تُكَلِّمون[١٦] » . وقائلا للكفار « فسحقاً لِأَصْحَابِ السَّعِير[١٧] » . ولم يزل قائلا لكل ما إذا أراد تكوينه كن .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرد بلا تأويل . وذلك أننا نسألهم عن القرآن أهو كلام الله عز وجل أم لا ؟ . فإن قالوا ليس هو كلام الله تعالى كفروا بإجماع الأمة . وإن قالوا هو كلام الله عز وجل تركوا قولهم الفاسد[١٨].

ونسألهم أيضًا عن القرآن الذى يتلى فى المساجد ويكتب فى المصاحف ، ويحفظ فى الصدور أهو كلام[١٩] الله تعالى أم لا ؟. فإن قالوا لا . كفروا أيضا بإجماع الأمة . وإن قالوا هو كلام الله تعالى تركوا قولهم . وأقروا أن كلام الله مكتوب[٢٠] فى المصاحف ومسموع من القراء ، ومحفوظ فى الصدور كما يقول جميع أهل الإسلام .

* * *

---

(١١) فى (أ) : سقط لفظ (الله) .
(١٢) فى (أ) : (الأشعرية) .
(١٣) فى (أ) : (ويُكتب) بالبناء المجهول .
(١٤) فى (خ) : سقط الكلام من قوله (الذى لم يكن ثم كان إلى تعالى) . وفى (أ) : جاء هذا القول محرفا على النحو التالى (ولا يحل لأحد أن يقول انما قلنا إنّ لله تعالى) وهو مفسد للمعنى ولا يصح إلّا على أن (ما) اسم موصول ، والعائد محذوف تقديره (قلناه) . « لله تعالى » خبر إنَّ والمعنى إنه لا يحل لأحد أن يقول : إن الذى قلناه منسوب لله تعالى .
(١٥) فى (خ) : لم يذكر (للكفار) .
(١٦) المؤمنون : ١٠٨ .
(١٧) الملك : ١١ .
(١٨) فى (أ) : سقط قوله (تركوا قولهم الفاسد) .
(١٩) فى (أ) : سقط قوله (أهو كلام الله) مما أدى إلى اضطراب المعنى .
(٢٠) فى (أ) : سقط قوله (مكتوب) .

قال أبو محمد : وقد قال قوم فى اللفظ بالقرآن ونسبوا إلى أهل السنة : إنهم يقولون إن الصوت غير مخلوق ، وأن[٢١] الخط غير مخلوق .

قال أبو محمد : وهذا باطل ، وما قال قط مسلم إن الصوت الذى هو الهواء غير مخلوق ، وإن الخط غير مخلوق[٢٢].

قال أبو محمد : والذى نقول به وبالله تعالى التوفيق : فهو ما قاله الله عز وجل ونبينا محمد ﷺ لا نزيد على ذلك شيئا وهو أن قول القائل القرآن ، وقوله كلام الله تعالى كلاهما[٢٣] معنى واحد واللفظان مختلفان ، والقرآن هو كلام الله تعالى على الحقيقة لا على[٢٤] المجاز ، ويكفر[٢٥] من لم يقل بذلك . ونقول إن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الذى هو كلام الله تعالى علي الحقيقة[٢٦] على قلب محمد ﷺ كما قال تعالى « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لتكونَ من المنذرين[٢٧]» .

ثم نقول إن قولنا القرآن . وقولنا كلام الله تعالى لفظ مشترك يعبر به عن خمسة أشياء فنسمى الصوت المسموع الملفوظ به قرآنا ، ونقول إنَّه كلام الله تعالى على الحقيقة ، وبرهان ذلك قول الله عز وجل « وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ[٢٨]» وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ الله ثم يُحَرِّفُونَه مِنْ بَعْدِمَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٢٩]» .

وقوله تعالى « فَاقْرَأُواما تَيسرَّ مِنَ الْقُرْآنِ[٣٠]» . وأنكر على الكفار ، وصدّق مؤمنى الجن فى قولهم : « إنا سَمِعْنَا قرْآنًا عجَبًا يَهْدِي إلى الرُّشْدِ[٣١]. فصحَّ أن المسموع وهو الصوت الملفوظ به : هو القرآن حقيقة ، وهو كلام الله تعالى حقيقة ، ومن خالف هذا فقد عاند القرآن ، ويِسُمِّى المفهوم من ذلك الصوت قرآنا ، وكلام الله تعالى على الحقيقة[٣٢] فإذا فسرنا الزكاة المذكورة فى القرآن والصلاة والحج وغير ذلك قلنا : فى كل هذا : هذا كلام الله وهو القرآن ويسمى القرآن

---

(٢١) لم يذكر (وأن) .
(٢٢) فى (خ) : لم يذكر الكلام من قوله (قال أبو محمد إلى قال أبو محمد) .
(٢٣) فى (خ) : لم يذكر (كلاهما) .
(٢٤) فى (أ) : (بلا مجاز) .
(٢٥) فى (أ) : (ونكفر .. ذلك) .
(٢٦) فى (خ) : لم يذكر (الله تعالى على الحقيقة) .
(٢٧) الشعراء : ١٩٤ .
(٢٨) التوبة : ٦
(٢٩) البقرة : ٧٥ وقد جاءت محرفة فى (خ) .
(٣٠) المزمل : ٢٠
(٣١) الجن : ٠١ وقد سقط الكلام من قوله (وأنكر على الكفار إلى الرشد) .
(٣٢) فى (خ) : لم يذكر (على الحقيقة) .

المصحف كله قرآنا وكلام الله ، وبرهاننا على ذلك قول الله تعالى « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُون[٣٣] » .

وقول رسول الله ﷺ إذ نهى أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو[٣٤] لئلا يناله العدو وقوله تعالى « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَة فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ[٣٥] » .

وكتاب الله تعالى هو القرآن بإجماع الأمة ، وقد سمى رسول الله ﷺ المصحف قرآنا والقرآن كلام الله تعالى بإجماع الأمة ، فالمصحف كلام الله تعالى حقيقة لا مجازاً ويسمى المستقر فى الصدور قرآنا ونقول إنه كلام الله تعالى ، برهاننا على ذلك قول رسول الله ﷺ إذ أمر بتعاهد القرآن وقال عليه السلام إنه أشَدُّ تَفَصِّيًا من صدور الرجال من النعم من عقلها[٣٦]. وقال تعالى « بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ[٣٧] » فالذى فى صدور الرجال هو القرآن وهو كلام الله عز وجل حقيقة لا مجازا ، ونقول كما قال رسول الله ﷺ : « إن آية الكرسى أعظم آية فى القرآن[٣٨] وإنَّ أم القرآن فاتحة الكتاب المنزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الإنجيل مثلها[٣٩]. وأن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن[٤٠]. وقال الله عز وجل « مَانَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها[٤١] » .

فإن قالوا إنما يتفاضل الأجر على قراءة كل ذلك[٤٢]. قلنا لهم نعم ولا شك فى ذلك ولا يكون التفاضل فى شىء مما فيه التفاضل إلا فى الصفات التى هى أعراض فى الموصوف بها وأما

(٣٣) الواقعة : ٧٨

(٣٤) فى (أ) : (الحرب) .

(٣٥) البينة : (١ – ٣) .

(٣٦) وفى رواية مسلم : « استذكروا القرآن . فلهو أشدُّ تفصيا من صدور الرجال من النَّعم بعُقلها » . والتفصّى التفلت » .

(٣٧) العنكبوت : ٤٩

(٣٨) نص الحديث كما أخرجه مسلم : « قال رسول الله ﷺ يا أبا المنذر (يعنى أبىّ بن كعب) أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم . قلت : الله لا إله إلّا هو الحى القيوم . فضرب فى صدرى وقال : لهينك العلم أبا المنذر » .

(٣٩) أخرج الترمذى فى ثواب القرآن باب ما جاء فى فضل فاتحة الكتاب : أن رسول الله ﷺ خرج على أبى بن كعب وهو يصلى ، فقال له رسول الله ﷺ : يا أبىّ فالتفت أبىّ فلم يجبه ، وصلّى وخفف ثم انصرف فقال : السلام عليك يا رسول الله . قال وعليك السلام : ما منعك أن تجيبنى إذ دعوتك . قال : كنت فى صلاة . قال : أفلم تجد فيما أوحىّ إلى أن استجيبوا الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . قال : لا أعود أن شاء الله . قال : تحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ، ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها . قال : نعم . قال : كيف تقرأ فى الصلاة . فقرأ أم القرآن فقال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده ، ما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ، ولا فى الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته .

(٤٠) الحديث : رواه البخارى فى فضائل القرآن . باب فضل قل هو الله أحد . وأخرجه أبو داود والنسائى . ونصه عن النبى ﷺ قال لأصحابه : أيعجز أحدكم أن يقرأ أثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم . وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال : الله أحد ، الله الصمد ثلث القرآن . وفى رواية . والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن .

(٤١) البقرة : ١٠٦

(٤٢) فى (أ) : سقط (كل) .

فى الذوات فلا نقول[٤٣] أيضا إن القرآن هو كلام الله تعالى وهو علمه وليس هو شيئا غير البارى تعالى ، برهان ذلك قول الله عز وجل « وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ[٤٤] » .

وقال تعالى « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ[٤٥] » .

وباليقين يدرى كل ذى حس[٤٦] سليم إنما عنى سابق علمه الذى سلف فيما[٤٧] ينفذه ويقضيه .

قال أبو محمد : فهذه خمسة معان يُعبَّر عن كل معنى منها بأنه قرآن ، وبأنه كلام الله تعالى ، ويُخبر عن كل واحد منها أخبارًا صحيحة[٤٨] بأنه قرآن ، وبأنه كلام الله تعالى بنص القرآن والسنة اللذين أجمع عليهما جميع الأمة ، وأما الصَّوْت فهو هواء يندفع[٤٩] من الحلق والصدر والحنك واللسان والأسنان والشفتين إلى آذان السامع . وهو حروف الهجاء ، والهواء وحروف الهجاء[٥٠] وكل ذلك مخلوق بلا خلاف . وقال تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ[٥١] » .

وقال تعالى « بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[٥٢] » .

ولسان العربى ، ولسان كل قوم هى لغتهم ، واللسان[٥٣] واللغات كل ذلك مخلوق بلا شك والمعانى المعبَّر عنها بالكلام المؤلف من الحروف المؤلفة إنما هى الله تعالى والملائكة والمؤمنون[٥٤] وسموات وأرضون وما فيهما من الأشياء وصلاة وزكاة ، وذكر أمم خالية ، والجنّة والنار ، وسائر الطاعات والمعاصى ، كل ذلك مخلوق حاشى الله تعالى وحده لا شريك له ، خالق كل ما دونه ، وأمَّا[٥٥] المصحف ، فإنّما هو ورق من جلود الحيوان ، ومركب منها ومن مداد مؤلف من صمغ ، وزاج ، وعفص وماء ، وكل ذلك مخلوق بلا شك ، وكذلك حركة اليد فى خطه ، وحركة اللسان فى قراءته ، واستقرار كل ذلك فى النفوس ، هذه كلها أعراض مخلوق ، وكذلك عيسى عليه السلام

---

(٤٣) فى (خ) : (فلا نقول) .
(٤٤) يونس : ١٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث قال (ولو كلمة) .
(٤٥) الأنعام : ١١٥
(٤٦) فى (أ) : (كل ذى فهم أنه تعالى إنما) .
(٤٧) فى (أ) : (بما) .
(٤٨) فى الأصل : (صحاحا) .
(٤٩) فى (أ) : (مندفع) .
(٥٠) فى (أ) : تكررت كلمة الهواء بعد حروف الهجاء) فأدت إلى اضطراب المعنى .
(٥١) إبراهيم : ٤
(٥٢) الشعراء : ١٩٥
(٥٣) فى (أ) : (وللسان) وهو تحريف .
(٥٤) فى (أ) : (والنبيون) بدلًا من (والمؤمنون) .
(٥٥) فى (خ) : لم يذكر (أما) .

كلمة الله ، وهو مخلوق بلا شك ، قال الله تعالى « بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسمه الْمَسِيحُ عيسى بْنُ مَرْيَمَ[٥٦]» .

وأما علم الله تعالى فلم يزل وهو كلام الله تعالى وهو القرآن وهو غير مخلوق وليس هو غير الله تعالى أصلا . ومن قال إن شيئا غير الله تعالى لم يزل مع الله تعالى فقد جعل لله تعالى شريكا ونقول إن لله تعالى كلاما حقيقة وأنه تعالى كلّم موسى ، ومن كلم من الملائكة والأنبياء عليهم السلام تكليما حقيقة لا مجازا ، ولا يجوز أن يقال ألبتة إن الله تعالى متكلم ، لأنه لم يسم بذلك نفسه ومن قال إن الله تعالى مكلم موسى لم[٥٧] ننكره لأنه يخبر عن فعله تعالى الذى لم يكن ثم كان . ولا يحل لأحد أن يقول إنما قلنا إن لله تعالى كلاما لنفى الخرس عنه كما[٥٨] ذكرنا قبل من أنه إن كان يعنى الخرس المعهود فإنه لا ينتفى إلا بالكلام المعهود الذى هو حركة اللسان والشفتين . وإن كان إنما ينفى[٥٩] خرسا غير معهود فهذا لا يعقل ، أصلاً ولا يفهم . وأيضا فيلزمه أن نسميه تعالى شَمَّاما لنفى الخشم ومتحركا لنفى الخدر عنه ، وهذا إلحادٌ فى أسمائه تعالى ، لكن لما قال تعالى إن كلامًا ما قلناه وأقررنا به ولو لم يقله تعالى لم نقله ولم يحل لأحد أن يقوله وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة أشياء وقوعا مستويا[٦٠] صحيحا ، منها أربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق ، لم يجز لأحد ألبتة أن يقول القرآن مخلوق . ولا أن يقول إن كلام الله تعالى مخلوق ، لأن قائل هذا كاذب ، إذا أوقع صفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن ، واسم كلام الله عز وجل ، ووجب ضرورة أن يقال إن القرآن لا خالق ولا مخلوق ، وإن كلام الله تعالى لا خالق ولا مخلوق[٦١]، منه ليست خالقه فلا يجوز[٦٢] أن يطلق على القرآن ، ولا على كلام الله تعالى اسم خالق ، ولأن المعنى الخامس غير مخلوق ، ولا يجوز أن يطلق صفة البعض على الكل الذى لا تَعمُّه تلك الصفة ، بل واجب أن يطلق بغير[٦٣] تلك الصفة التى

(٥٦) آل عمران : ٤٥

(٥٧) فى (خ) : (فلم) .

(٥٨) فى (أ) : (لما) .

(٥٩) فى (خ) : (يعنى) .

(٦٠) فى (خ) : لم يذكر (مستويا) .

(٦١) فى (خ) : لم يذكر (وإن كلام الله تعالى لا خالق ولا مخلوق) .

(٦٢) فى (أ) : (ولا يجوز) .

(٦٣) فى (أ) : (نفى) .

للبعض عن[٦٤] الكل ، وكذلك لو قال قائل إن الأشياء كلها مخلوقة ، أو قال الحق مخلوق أو قال كل موجود مخلوق ، لقال الباطل لأن الله عز وجل شىء موجود وحق[٦٥] وليس مخلوقا ، لكنه إذا قال : الله خالق كل شىء جاز ذلك لأنه قد أخرج بذكره الله تعالى أنه الخالق[٦٦]، كلامه عن الإشكال ، ومثل ذلك فيما بيننا أن ثيابا خمسة ، أربعة منها حمر والخامس غير أحمر لكان من قال هذه الثياب حمر كاذبا ، ولكان من قال هذه الثياب ليست حمرًا صادقا[٦٧]. وكذلك من قال ، الإنسان طبيب يعنى كل إنسان لكان كاذبا ، ولو قال ، ليس الإنسان طبيبًا يعنى كل إنسان لكان صادقا ، وكذلك لا يجوز أن يطلق أن الحق مخلوق ، ولا أن العلم مخلوق ، لأن[٦٨]اسم الحق يقع على الله تعالى ، وعلى كل موجود ، واسم العلم يقع على كل علم وعلى علم الله تعالى ، وهو غير مخلوق ، لكن يقال : الحق غير مخلوق ، والعلم غير مخلوق هكذا جملة ، فإذا بيِّن فقيل : كل حقٍّ دون الله تعالى فهو مخلوق[٦٩]، وكل علم غير علم[٧٠] الله تعالى فهو مخلوق ، فهو كلام صحيح[٧١] وهكذا لا يجوز أن يقال : كلام الله تعالى مخلوق ، ولا أن القرآن مخلوق ، لكن يقال علم الله تعالى غير مخلوق ، وكلام الله تعالى غير مخلوق والقرآن غير مخلوق ، ولو أن قائلا قال إن الله غير مخلوق[٧٢] وهو يعنى صوته المسموع الألف واللام واللام والهاء أو الحبر الذى كتب هذه الكلمة لكان فى ظاهر قوله عند جميع الأمة كافرا ما لم يبين ، فيقول صوتى أو هذا المكتوب[٧٣] مخلوق .

* * *

قال أبو محمد : فهذه حقيقة البيان فى هذه المسألة الذى لم نتعدَّ فيه ما قاله الله عز وجل ولا ما قاله رسوله ﷺ . وأجمعت الأمة كلها على جملته ، وأوجبته الضرورة والحمد لله رب العالمين . فإن سأل سائل عن اللفظ بالقرآن قلنا له سؤالك هذا يقتضى أن اللفظ المسموع هو

---

(٦٤) فى (أ) : (على) .
(٦٥) فى (أ) : (موجود حق) .
(٦٦) فى (أ) : (أن المخلوق فى كلامه الإشكال) وهو كلام مضطرب .
(٦٧) لأنه فى حالة الإثبات يقع الحكم على الكل . أما فى حالة النفى فإنه فى هذا المثال يقع النفى عن البعض دون البعض الآخر .
(٦٨) فى (خ) : (ولا أن) .
(٦٩) فى (خ) : الكلام من قوله : (والعلم غير مخلوق إلى فهو مخلوق) لم يذكر فيها .
(٧٠) فى (أ) : (دون الله) .
(٧١) فى (خ) : لم يذكر (فهو كلام صحيح) .
(٧٢) فى (أ) : (إن الله مخلوق ... الخ) .
(٧٣) فى (أ) : (الخط) .

غير القرآن وهذا باطل بل اللفظ المسموع هو القرآن نفسه ، وهو كلام الله عز وجل نفسه ، كما قال الله تعالى : حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ[٧٤].

وكلام الله تعالى غير مخلوق لما ذكرنا ، وأمّا من أفرد السؤال عن الصوت ، وحروف الهجاء ، والحبر فكل ذلك مخلوق بلا شك .

قال أبو محمد : ونقول إن الله تعالى قد قال : ما أتى[٧٥] أنه قاله ، وأنه تعالى لم يقل بعد ما أتى[٧٦] أنه سيقوله ، فى المستأنف لكنه سيقوله ومن تعدَّى هذا فقد أكذب[٧٧] الله تعالى جهارا[٧٨]. وأما من قال إن الله تعالى لم يزل قائلًا « كن » لكل ما كونه أو[٧٩] لما يريد تكوينه ، فإن هذا قول فاحش موجب أن العالم لم يزل ، لأن الله تعالى أخبرنا[٨٠] أنه إذا أراد شيئا فإنّما « أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[٨١]» فصح أن كل مكون[٨٢] فإنه أثر قول الله تعالى له « كن » بلا مهلة ، فلو كان الله تعالى لم يزل قائلا « كن » لكان كل ما يكون لم يزل ، وهذا قول من قال إن العالم لم يزل ، وله مدبر خالق لم يزل ، وهذا كفر مجرد نعوذ بالله . منه . وقول الله تعالى هو غير تكليمه ، لأن تكليم الله تعالى من كلّم[٨٣] فضيلة عظيمة .

قال أبو محمد : قال تعالى « منهم من كلم الله[٨٤]» .

وأما قوله فقد يكون سخطا قال تعالى إنه قال لأهل النار : « أَخْسَئُوا فيها وَلَا تُكَلِّمونِ[٨٥] » .

وقال لإبليس : « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[٨٦]» .

قَالَ : « فاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيم[٨٧]» .

ولا يجوز أن يقال إبليس كليم الله تعالى ، ولا أن أهل النار كلماء الله تعالى ، وقول الله تعالى

---

(٧٤) التوبة : ٦

(٧٥) فى (أ) : (أخبرنا) بدلًا من (أتى) .

(٧٦) فى (أ) : (أخبرنا) .

(٧٧) فى (أ) : كذَّب

(٧٨) فى (أ) : جهلا .

(٧٩) فى (خ) : لم يذكر (لكل ما كوَّنه أو) .

(٨٠) فى (خ) : (أتى) .

(٨١) يس : ٨٢ والنص : « إنما أمره » .

(٨٢) فى (أ) : فهو كائن إثر قول الله تعالى .

(٨٣) فى (خ) : لم يذكر (من كلم) .

(٨٤) البقرة : ٢٥٣

(٨٥) المؤمنون : ١٠٨

(٨٦) ص : ٧٥

(٨٧) ص : ٧٧ وقد جاءت محرفة فى (أ) : حيث قال : (اخرج منها) .

محدث بالنص ، وبرهان ذلك قول الله تعالى « إِنَّ الَّذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وأَيْمَانِهِم ثَمنَاً قَليلًا ، أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فى الآخِرةِ وَلَا يُكَلِّمهم الله وَلَا يَنْظُر إِلَيْهم يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَليم[٨٨]» .

ثم قال تعالى إنه قال لهم : « إخْسئُوا فِيها وَلَا تُكَلّمونِ » .

وقال تعالى « إِنَّهُمْ قَالُوا : « رَبَّنَا هؤلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلِكنْ لَا تَعْلَمُون[٨٩]» .

فنص الله تعالى على أنه لا يكلمهم وأنه يقول لهم ، فثبت يقينا أن قول الله تعالى هو غير كلامه وغير تكليمه ، لكن نقول كُلّ كلامٍ وتكليم قولٌ وليس كل قول منه تعالى كلامًا ولا تكليما بنص القرآن . ثم نقول وبالله تعالى التوفيق : إن الله تعالى أخبرنا أنه كلَّم موسى عليه السلام وكلم الملائكة عليهم السلام ، وثبت يقينا أنه كلم محمدا عليه السلام ليلة الإسراء وقال تعالى « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهمُ مَنْ كَلَّم الله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ[٩٠]» .

فخصَّ تعالى بتكليمه بعضهم دون بعض كما ترى . وقال تعالى « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ الله إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءَ[٩١]» .

ففى هذه الآية والحمد لله رب العالمين[٩٢] كثيرًا نصٌّ على تصحيح ما قلناه فى هذه المسألة وما توفيقنا إلا بالله .

فأتى[٩٣] تعالى فى هذه الآية أنه لا يكلم بشرا إلا بأحد هذه الوجوه الثلاثة[٩٤] فنظرنا فيها فوجدناه تعالى قد سمى ما تأتينا به الرسل تكليما[٩٥] منه للبشر ، فصحَّ أن الذى أتتنا به الرسل عليهم السلام هو كلام الله تعالى ، وأنه تعالى قد كلمنا بوحيه الذى أتتنا به رسله عليهم السلام ، وأننا قد سمعنا كلام الله تعالى الذى هو القرآن الموحى إلى النبى بلا شك والحمد لله رب العالمين . ووجدناه تعالى قد سمَّى وحيه إلى أنبيائه عليهم السلام تكليمًا لهم ، ووجدناه تعالى قد ذكر وجها ثالثا وهو التكليم الذى يكون من وراء حجاب وهو الذى فضَّل به بعض النبيين على بعض ، وهذا

---

(٨٨) آل عمران : ٧٧
(٨٩) الأعراف : ٣٨
(٩٠) البقرة : ٢٥٣
(٩١) الشورى : ٥١
(٩٢) فى (أ) : (والحمد O أكبر) وهو تحريف .
(٩٣) فى (أ) : (وأخبرنا) .
(٩٤) فى (أ) : زاد (فقط) .
(٩٥) فى (أ) : زاد (انتقل) .

التكليم يطلق عليه تكليم الله عز وجل دون صلة كما كلم موسى عليه السلام « من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة[٩٦] » .

وأما القسمان الأولان فإنما يطلق عليهما تكليم الله تعالى بصلة لا مجرَّدا فنقول كلَّم الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالوحى إليهم ، ونقول فى القسم الثانى كلمنا الله تعالى به فى القرآن على لسان نبيه ﷺ بوحيه إليه . ونقول قال لنا « وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزكاة[٩٧] » .

ونقول أخبرنا الله تعالى عن موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وعن الجنة والنار فى القرآن وفيما أوحى إلى رسوله ﷺ ، ولو قال قائل : حدثنا الله تعالى عن الأمم السالفة وعن الجنة والنار فى القرآن ، وعلى لسان رسوله ﷺ لكان قولا صحيحا لا مدفع له ، لأن الله تعالى يقول : « وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله حَدِيثًا[٩٨] ».

كذلك نقول : فقص الله تعالى علينا أخبار الأمم فى القرآن . وقال تعالى « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ[٩٩] » ونقول سمعنا كلام الله تعالى فى القرآن حقيقة لا مجازا ، وفضل علينا الملائكة والأنبياء عليهم السلام فى هذا بالوجه الثانى الذى هو تكليمهم بالوحى إليهم فى النوم واليقظة دون وسيطة ، وبتوسط الملك أيضًا ، وفضل بعض الملائكة وبعض الرسل على جميعهم عليهم السلام بالوجه الثالث الذى هو تكليم فى اليقظة من وراء حجاب دون وسيطة ملك لكن بكلام مسموع بالآذان ، ومعلوم بالقلب زائد على الوحى الذى (هو معلوم بالقلب فقط ، أو مسموع من الملك عن الله تعالى ، وهذا هو الوجه الذى)[١٠٠] خصَّ به موسى عليه السلام من الشجرة ومحمد ﷺ ليلة الإسراء من المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام وسائر من كلمه الله تعالى من النبيين والملائكة عليهم السلام . وقال تعالى « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ الله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ » .

وقال تعالى « وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فيها[١٠١] » الآية . ولا يجوز أن يكون شىء من هذا بصوت أصلا لأنه كان يكون حينئذ بوسيطة ملك[١٠٢] مكلم غير الله تعالى وكان ذلك الصوت حينئذ بمنزلة الرعد الحادث فى الجوّ والفزع الحادث فى الأجسام ، والوحى أعلى من هذه منزلة ، والتكليم من وراء حجاب أعلى من سائر الوحى بنَصٍّ

(٩٦) القصص : ٣٠
(٩٧) المزمل : ٢٠
(٩٨) النساء : ٨٧
(٩٩) يوسف : ٣
(١٠٠) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين .
(١٠١) البقرة : ٣٠
(١٠٢) فى (أ) : سقطت كلمة (ملك) .

القرآن لأن الله تعالى سمى ذلك تفضيلا كما تلونا وكل ما ذكرنا وإن كان يُسمى تكليما فإن التكليم المطلق أعلى فى الفضيلة من التكليم الموصول كما أن كل روح فهو روح الله تعالى على الملك ، ولكن إذ قلنا روح الله تعالى على الإطلاق نعنى جبريل وعيسى عليهما السلام كان ذلك فضيلة عظيمة لهما .

قال أبو محمد[١٠٣]: وكذلك إذا قرأنا فى القرآن قلنا كلامنا هذا هو كلام الله تعالى حقيقة لا مجازا ، ولا يَحلُّ حينئذ لأحد أن يقول ليس كلامى هذا كلام الله تعالى . وقد أنكر الله تعالى هذا على من قاله إذ يقول تعالى « سَأُرْهِقُه صَعُودًا إِنَّه فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر[١٠٤]» .

* * *

قال أبو محمد : وكذلك يقول أحدنا : دينى هو دين محمد ﷺ ، وإذا عمل عملا أوجبته سنة ، قال عملى هذا هو عمل رسول الله ﷺ ، ولا يحل لأحد من المسلمين أن يقول : دينى غير دين رسول الله ﷺ ، ولو قال ذلك لوجب قتله بالردة ، وكذلك ليس له أن يقول إذا عمل عملا جاءت به السنة عن رسول الله ﷺ : هذا غير عمل رسول الله ﷺ ، ولو قاله لأُدّب ولكان كاذبا وكذلك يقول أحدنا دينى هو دين الله عز وجل يريد الذى أمر به عز وجل ، ولو قال دينى هو غير دين الله عز وجل لوجب قتله بالرِّدة ، وكذلك نقول إذا حدث أحدنا حديثا عن رسول الله ﷺ صحيحا : كلامى هذا هو نفس كلام رسول الله ﷺ ، ولو قال كلامى هذا هو غير كلام رسول الله ﷺ لكان كاذبا ، وهذه أسماء أوجبتها ملة الله عز وجل وأجمع عليها أهل الاسلام ، ولم يخف علينا ولا على أحد من المسلمين أن حركة لسان رسول الله ﷺ غير حركة ألسنتنا ، وكذلك حركات أجسامنا فى العمل ، وكذلك ما توصف النفوس به من العلم ولكن التسمية فى الشريعة ليست إلينا إنما هى لله تعالى ولرسوله ﷺ ، فمن خالف هذا كان كمن قال : فرعون[١٠٥]

---

(١٠٣) فى (أ) : جاءت هذه العبارة هكذا (وإذا قرأنا القرآن ..) .

(١٠٤) المدثر : ١٧ - ٢٤

(١٠٥) فرعون اسم أعجمى ممنوع من الصرف ، والجمع فراعنة ، وهو اسم لكل من ملك مصر (قديما) فإذا أضيفت إليها الإسكندرية سمى عزيزًا واختلف فى اسمه فقيل : مصعب بن الوليد ، وقيل ريان بن الوليد وقيل الوليد بن ريان وكان أصله من خراسان من مدينة بسورمان ، وقيل من قرية مجهولة تسمى نوشخ ، ولما قعد على سرير الملك قال : أين عجائز نوشخ ، وقد صدر منه ما لم يصدر من أحد من الكفار والمتمردين ولا من قائدهم إبليس منها انكار العبودية ودعوى الربوبية بقوله : أنا ربكم الأعلى ومنها نكال زوجته وقتلها أشد قتله بسبب إيمانها بالله ، ومنها جمع السحرة لمعارضة الأنبياء . (بصائر ذوى التميز حـ ٦ ص ٦٩) .

وأبو جهل[١٠٦] مؤمنان ، وموسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم كافران . فإذا قيل له فى ذلك ، قال أو ليس فرعون وأبو جهل مؤمنين بالكفر وموسى ومحمد كافرين بالطاغوت ، فهذا وإن كان لكلامه مخرج صحيح فهو عند أهل الإسلام كافر بتعديه ما أوجبته الشريعة من التسمية ، وقد شهدت العقول بوجوب الوقوف عندما أوجبه الله تعالى فى دينه ، فمن تعَدَّى ذلك وزعم أنه اتبع دليل عقله فى خلاف ذلك فليعلم أنه قد فارق قضية العقل الصادقة الموجبة للوقوف عند حكم الشريعة ، وخالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم قال الله تعالى « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِمَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِين نُوَلِّه مَا تَوَلَّى وَنُصْلِه جَهَنَّم وَسَاءَتْ مَصِيرًا[١٠٧]» .

ونعوذ بالله من ذلك .

قال أبو محمد : وقال بعضهم فإذا سمعنا كلام الله تعالى وسمعه موسى عليه السلام ، فأى فرق بيننا وبينه . قلنا أعظم فرق : هو أن موسى عليه السلام والملائكة سمعوا الله تعالى يكلمهم ، ونحن سمعنا كلام الله تعالى من غيره ، وقد قال رسول الله ﷺ لابن مسعود[١٠٨] رضى الله عنه إذ أمره أن يقرأ القرآن فقال ابن مسعود يا رسول الله أقرؤه عليك وعليك أنزل ، قال إنى أحب أن أسمعه من غيرى[١٠٩]. فصح يقينا أن القرآن الذى أنزله الله تعالى نفسه فسمعه من غيره .

وقالوا فكلام الله تعالى إذن يحلّ فينا ؟ قلنا هذا تهويل بارد . ونعم إذا سمى الله تعالى كلامنا إذا قرأنا كلاما له تعالى فنحن نقول بذلك ، ونقول إن كلام الله تعالى فى صدورنا وجارٍ على ألسنتنا ومستقر فى مصاحفنا ، ونبرأ ممن أنكر ذلك بعقله[١١٠] الفاسد ، المخرج له من الإسلام ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(١٠٦) أبو جهل : هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى ، أشد الناس عداوة للنبى ﷺ فى صدر الإسلام ، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها فى الجاهلية ، أدرك الإسلام وكان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون « أبا جهل » شهد وقعة بدر مع المشركين فقتل عام ٢ هـ . (الأعلام ج ٥ صـ ٢٦١ ، ٢٦٢) .

(١٠٧) النساء : ١١٥

(١٠٨) عبد الله بن مسعود : هو بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبو عبد الرحمن : صحابى من أكابرهم فضلًا وعقلًا وقربًا من الرسول ﷺ وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وكان خادم الرسول الأمين ، وصاحب سره ورفيقه فى حله وترحاله وغزواته ، وولى بعد وفاة الرسول بيت المال الكوفة له ٨٤٨ حديثا توفى عام ٣٢ هـ . الأعلام حـ ٤ صـ ٢٨٠

(١٠٩) الحديث رواه البخارى فى التفسير فى سورة النساء ، وفى فضائل القرآن ٣٢ ، ٣٥ ورواه الإمام مسلم فى المسافرين ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ورواه أبو داود فى العلم ١٣ والترمذى فى تفسير سورة النساء .

(١١٠) فى (أ) : بقوله .

« الكلام فى إعجاز القرآن »

قال أبو محمد : قد ذكرنا قيام البرهان على[١] أن القرآن معجز لا يقدر أحد على مثله قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الانس والجن بتعجيز رسول الله ﷺ الناس[٢] أن يأتوا بمثله ، وتبكيتهم بذلك فى محافلهم ، وهذا أمر لا ينكره أحد مؤمن ولا كافر ، وأجمع المسلمون على ذلك . ثم اختلف أهل الكلام[٣] على خمسة أنحاء من هذه المسألة . فالنحو الأول . قول روى عن الأشعرى : وهو أن المعجز الذى يتحدى[٤] الناس بالمجىء بمثله هو الأول[٥] الذى لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ، ولا أنزل[٦] إلينا ولا سمعناه وهذا كلام فى غاية النقصان والبطلان ، إذ من المحال أن يكلف أحد أن يجىء بمثل ما لم يعرفه قط ولا سمعه ، فيلزمه ولابدّ بل هو نفس قوله إنه اذا لم يكن المعجز إلا ذلك فإن المسموع المتلوّ عندنا ليس معجزا بل مقدورًا عليه[٧]، أو على مثله ، وهذا كفر مجرد ولا خلاف فيه ، وأيضًا فإنه خلاف[٨] القرآن لأن الله تعالى ألزمهم بسورة أو بعشر سور منه . وكذلك[٩] الكلام ليس هو عند الأشعرية سورا ولا هو كثيرا بل هو واحد فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين . وله قول آخر كقول المسلمين . إن المتلو هو المعجز .

والنحو الثانى : هل الإعجاز متمادٍ أم قد ارتفع بتمام قيام الحجة به فى حياة رسول الله ﷺ ؟ فقال بعض أهل الكلام إن الحجة قد قامت بعجز جميع العرب عن معارضته ، ولو عورض

(١) فى (أ) : عن .
(٢) فى (أ) : (كل من ذكرنا) بدلًا من (الناس) .
(٣) فى (أ) : (فى) .
(٤) فى (أ) : (تحدّى) .
(٥) فى (أ) : سقطت كلمة (الأول) .
(٦) فى (أ) : نزل .
(٧) فى (أ) : لم يذكر (عليه أو) .
(٨) فى (أ) : (خلاف للقرآن) .
(٩) فى (أ) : وذلك الكلام الذى هو عند الأشعرى هو المعجز ليس له سورًا ولا كثيرًا .

لم تبطل بذلك الحجة التى قد صحت ، كما أن عصا موسى عليه السلام إذا[١٠] قامت حجته بانقلابها حية لم يضره ، ولا أسقط حجته عودها عصا كما كانت . وكذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت . وكذلك سائر الآيات . وقال جمهور أهل الإسلام إن إعجاز القرآن باق إلى يوم القيامة ، والآية بذلك باقية إلى يوم[١١] القيامة كما كانت ، وهذا هو الحق الذى لا يحل القول بغيره لأنه نص قول الله عز وجل إذ يقول : « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتَ الأنْسُ وَالجنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا[١٢] ».

فهذا نص جلى[١٣] على أنهم لا يأتون بمثله بلفظ الاستقبال فصح يقينا أن ذلك على الأبد[١٤] وفى المستأنف أبدا . ومن ادَّعى بأن المراد بذلك الماضى فقد كذب ، لأنه لا يجوز أن تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل إلى معنى الماضى إلا بنص آخر جلى وارد بذلك أو بإجماع متيقن أن المراد به غير ظاهره ، أو ضرورة ولا سبيل فى هذه المسألة إلى أحد هذه[١٥] الوجوه . وكذلك قوله تعالى « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَّعَتِ الْإِنْسُ وَالْجَنُّ عَلَى اَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ » عموم كل إنس وجن أبدًا ، لا يجوز تخصيص شىْءٍ من ذلك بغير نص[١٦] ولا إجماع .

قال أبو محمد : ومن قال بالوقف وأنه ليس للعموم صيغة ، ولا للظاهر فلا حجة ههنا تقوم على الطائفة المذكورة . فصح أن إعجاز القرآن باق إلى يوم القيامة والحمد لله رب العالمين .

والنحو الثالث : مالمعجز منه ؟ أنظمه ؟ أم نصه[١٧] من الإنذار بالغيوب ؟ فقال بعض أهل الكلام ، ان نظمه ليس معجزا وإنما إعجازه ما فيه من الإخبار بالغيوب ، وقال سائر أهل الإسلام : بل كلا الأمرين ؛ نظمه وما فيه من الإخبار بالغيوب ، وهذا هو الحق الذى ما خالفه. فهو باطل[١٨]. برهان ذلك قول الله عز وجل « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ[١٩] » فنص تعالى على أنهم لا يأتون بمثل سورة من سوره وأكثر سوره ليس فيها إخبار بغيب فكان من جعل المعجز فيه الإخبار بالغيوب مخالفا نص الله تعالى على أنه معجز من القرآن فسقطت هذه الأقاويل الفاسدة والحمد لله رب العالمين .

---

(١٠) فى (أ) : (إذ) .
(١١) فى (أ) : (أبدًا) .
(١٢) الاسراء : ٨٨
(١٣) فى (أ) : (جرى) وهو تحريف .
(١٤) فى (أ) : (التأبيد) .
(١٥) فى (أ) : (إلى شىء) .
(١٦) فى (أ) : (وبغير ضرورة) .
(١٧) فى (أ) : (فى نصه) .
(١٨) فى (أ) : (ضلال) .
(١٩) البقرة : ٢٣

والنحو الرابع ما وجه إعجازه : فقالت طائفة : وجه إعجازه كونه فى أعلى مراتب البلاغة .

وقالت طوائف إنما وجب[٢٠] إعجازه لأن الله تعالى منع الخلق من القدرة على معارضته فقط . فأما الطائفة التى قالت إنما إعجازه لأنه فى أعلى رتب[٢١] البلاغة فإنهم شغبوا فى ذلك ، بأن ذكروا آيات منه مثل قوله تعالى « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[٢٢] » ونحو هذا ، وموّه بعضهم بأن قال لو كان ما تقولون من أن الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ .

قال أبو محمد : ما نعلم لهم شغبا غير هذين وكلاهما لا حجة لهم فيه ، أما قولهم لو كان كما قلنا لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام ، وكانت الحجة بذلك أبلغ فهذا هو الكلام الغث حقا لوجوه :

أحدها : أنه قول بلا برهان لأنه يعكس عليه قوله نفسه ، فيقال له بل لو كان إعجازه لكونه فى أعلى درج البلاغة لكان لا حجة فيه . لأن هكذا[٢٣] كان يكون كل من كان فى أعلى طبقة . وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود فهذا أقوى من شغبهم .

وثانيها : أنه لا يسأل الله تعالى عما يفعل . ولا يقال له لم عجزّت بهذا النظم دون غيره ، ولم أرسلت هذا الرسول دون غيره ؟ ولم قلبت عصا موسى عليه السلام حية دون أن تقلبها أسدا ؟ وهذا كله حمق ممن جاء به لم يوجبه قط عقل وحسب الآية أن تكون خارجة عن المعهود فقط .

وثالثها : أنهم حين طردوا سؤالهم ربهم بهذا السؤال الفاسد لزمهم أن يقولوا هلّا كان هذا الإعجاز فى كلام بجميع اللغات فيستوى فى معرفة إعجازه العرب والعجم لأن العجمْ لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بإخبار العرب فقط ، فبطل هذا الغث الفث والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وأما ذكرهم « ولكم فى القصاص حياة » . وما كان وما نحوها من الآيات فلا حجة لهم فيها ويقال لهم إن كان ما تقولون ومعاذ الله تعالى من ذلك فإنما المعجز منه على قولكم هذه الآيات خاصة ، وأما سائره فلا . وهذا كفر لا يقول به مسلم . فإن قالوا جميع القرآن مثل هذه الآيات فى الإعجاز ، قيل لهم فلم خصصتم بالذكر هذه الآيات دون غيرهما إذن ؟ وهل هذا منكم إلا إيهام لأهل الجهل أن من القرآن معجزًا وغير معجز .. ؟ ونقول لهم قول الله تبارك

---

(٢٠) فى (أ) : وجه .

(٢١) فى (أ) : (درج) .

(٢٢) البقرة : ١٧٩ .

(٢٣) فى (أ) : (لأن هذا يكون) .

وتعالى « وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا[٢٤] » .

أمعجز هو على شروطكم فى كونه فى أعلى درجات البلاغة أم ليس معجزا ؟ فإن قالوا ليس معجزا كفروا ، وإن قالوا : هو معجز صدقوا . وسئلوا : هل على شروطكم فى أعلى درج البلاغة ؟ فإن قالوا نعم . كابروا وكفوا مؤنتهم لأنها أسماء رجال فقط ليس على شروطهم فى البلاغة . وأيضا فلو كان إعجاز القرآن لأنه فى أعلى درجات البلاغة لكان بمنزلة كلام الحسن وسَهْل بن هارُون[٢٥] والجاحظ ، وشعر امرىء القيس[٢٦] ومعاذ الله من هذا لأن كل ما سبق فى طبقته فما يؤمن[٢٧] أن يأتى[٢٨] من مماثل بمثله ضرورة فلابد لهم من هذه الخطة أو من المصير إلى قولنا إن الله تعالى منع من معارضته فقط ، وأيضا فلو كان إعجازه من أنه فى أعلى درج البلاغة المعهودة لوجب أن يكون ذلك للآية[٢٩] ولما هو أقل من الآية ، وهذا ينقض قولهم إن المعجز منه ثلاث آيات لا أقل ، فإن قالوا فقولوا أنتم هل القرآن موصوف بأنه فى أعلى درج البلاغة أم لا ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق : إن كنتم تريدون أن الله تعالى قد بلغ به ما أراد به ، فنعم هو بهذا المعنى فى الغاية التى لا شئ . وأبلغ منها . وإن كنتم تريدون هل هو فى أعلى درج بلاغة المخلوقين فلا ، لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من أعْلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه ، وبرهان هذا أن إنسانًا لو أدخل فى رسالة أو خطة أو تأليف أو موعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك . فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا ، وأن الله تعالى تولّى[٣٠] منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق .

برهان ذلك أن الله تعالى حكى عن قوم من أهل النار أنهم يقولون إذا سئلوا عن سبب

---

(٢٤) النساء : ١٦٣

(٢٥) هو : سَهْل بن هارُون بن راهبون أبو عمر الدّستميانى ، يلقب « بزر جمهر » الإسلام ، فارس الأصل اشتهر بالبصرة ، واتصل بخدمة هارون الرشيد ، ثم خدم المأمون فولاه رياسة خزانة الحكمة ببغداد ، وكان شعوبيًا يتعصب للعجم على العرب ، والجاحظ كثير الإعجاب به . له كتاب « ثعلة وغفرة » على نسق كتاب « كليلة ودمنة » ألفه للمأمون ، وكتاب الاخوان و« الرسائل » ولا نعلم شيئًا عن مصير كتبه إلا رسالة فى البخل أوردها ابن عبد ربه فى العقد توفى عام ٢١٥ هـ . (الأعرم صـ ٢٢١ حـ ٣) .

(٢٦) امرىء القيس : هو امرؤ القيس بن عانس بن المنذر امرؤ القيس بن السمط بن عمر وبن معاوية ، من كنده ، شاعر مخضرم ، من أهل حضرموت ولد بها فى مدينة « تريخ » وأسلم عند ظهور الإسلام ، ووصول الدعوة إلى بلاده ، ووفد على النبى ﷺ . تم لما ارتدت حضرموت ، ثبت على إسلامه ، وشهد فتح حصن البخير . وانتقل فى أواخر عمره إلى الكوفة فتوفى بها ٢٥ هـ وهو صاحب القصيدة :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلى ولم ترقد

وفى الرواية من ينسبها إلى امرىء القيس بن حجر ، والصحيح أنها لابن عانس كما حققه العينى (الأعلام) . وليس ثمة مانع من أنه ربما قصد امرأ القيس بن حجر ، والشاعر الجاهلى لأنه من أصحاب المعلقات . وهو شاعر معروف .

(٢٧) فى (أ) : لم يؤمن .

(٢٨) فى (أ) : أن يأتى من يماثله .

(٢٩) فى (أ) : (الآية) .

(٣٠) فى (أ) : لم يذكر (تولى) .

دخولهم النار : « قالوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّين ، ولم نَكُ نُطْعِمُ المِسْكين ، وكُنَّا نُخُوضُ مَعَ الْخَائِضين . وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيوْمِ الدّين . حَتَّى أَتَانَا الْيَقين[٣١] .

وحكى تعالى عن كافر قال : « إنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إنْ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبشَرِ سَأُصْلِيه سَقَر[٣٢] » .

وحكى عن آخرين أنهم قالوا : « لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعا . أَو تكُونَ لك جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَينا كِسَفًا . أَوْ تَأْتِي بالله والملائكةِ قَبيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرفٍ أَوْ ترقى فى السَّماء ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ . قُلْ سُبْحانَ رَبى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رسُولًا[٣٣] » .

وكان هذا كله إذ قاله غير الله تعالى غير معجز بلا خلاف ، إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام إن كلام غير الله تعالى معجز ، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلامًا له أصاره معجزا ، ومنع من مماثلته . وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره والحمد لله .

النحو الخامس : ما مقدار المعجز منه ؟ فقالت الأشعرية ومن وافقهم إن المعجز إنما هو مقدار أقل سورة منه وهو « إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر[٣٤] » . فصاعدا وأن ما دون ذلك ليس معجزا . واحتجوا لذلك بقول الله تعالى « قل فَأْتُوا بِسُورة منْ مِثلِه » . قالوا ولم يتَحدَّ تعالى بأقل من ذلك . وذهب سائر أهل الإسلام إلى أن القرآن كله قليله وكثيره معجز ، وهذا هو الحق الذى لا يجوز خلافه ولا حجة لهم فى قول الله تعالى « قُلْ فَأْتُوا بِسُورَة من مِثْلِهِ » لأنه تعالى لم يقل إن ما دون السورة ليس معجزا ، بل قد قال تعالى « علَى أنْ يَأْتُوا بِمَثْلِ هَذَا القرُآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِه[٣٥] » .

ولا يختلف اثنان فى أنَ كل شيْء من القرآن وكل شيْء من القرآن معجز ، ثم نعارضهم فى تحديدهم[٣٦] المعجز بسورة فصاعدًا . أخبرونا : ماذا تعنون بقولكم إن المعجز مقدار سورة ؟ أسورة كاملة لا أقل ؟ أم مقدار الكوثر من[٣٧] الآيات . مقدارها فى الكلمات ؟ أم مقدارها فى الحروف ؟

(٣١) المدثر : ٤٣ – ٤٧
(٣٢) المدثر : ٢٤ – ٢٦
(٣٣) الإسراء : ٩٠ – ٩٣
(٣٤) سورة الكوثر : ١
(٣٥) الإسراء : ٨٨
(٣٦) فى (خ) : فى تحديهم
(٣٧) فى (أ) : (فى) .

ولا سبيل إلى وجه خامس . فإن قالوا المعجز سورة تامة لا أقل ، لزمهم أن سورة البقرة حاشا آية واحدة أو كلمة واحدة من آخرها أو من ثلثها أو من[٣٨] نصفها أو من أولها ليست معجزة . وهكذا كل سورة . وهذا كفر مجرد لا خفاء به إذ جعلوا كل سوْرة فى القرآن سوى كلمة من أولها أو من وسطها أو من آخرها مقدورًا على مثلها ، وإن قالوا بل مقدارها فى الآيات لزمهم أن آية الدَّيْن ليست معجزة ، لأنها ليست ثلاث آيات ، وأن آية الكرسى ليست معجزة لأنها ليست ثلاث آيات[٣٩]، ولزمهم مع ذلك أن « والْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ والشَّفْعِ وَالْوَتْرِ » . معجز كآية الكرسى وآيتان لأنها ثلاث آيات . وهذا غير قولهم ، ومكابرة ظاهرة أن تكون هذه الكلمات معجزة حاشا كله غير معجز ، ولزمهم أيضا أن « والضُّحَى والْفَجْرِ والعصر » . هذه الكلمات الثلاث فقط معجزات لأنهن ثلاث آيات . فإن قالوا هى مفترقات غير متصلات لزمهم إسقاط الإعجاز عن ألف آية مفترقة وإمكان المجىء بمثلها . ومن جعل هذا ممكنا فقد كابر العيان وخرج عن الإسلام وأبطل الإعجاز عن القرآن ، وفى هذا كفاية لمن نصح نفسه ، ولزمهم أيضا أن قوله تعالى « ولَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » ليس معجزا ، وهذا نقض لقولهم : إنه فى أعلى درج البلاغة . وكذلك كل ثلاث آيات غير كلمة وهذا خروج عن الإسلام وعن المعقول . وإن قالوا بل فى عدد الكلمات ، أو قالوا عدد الحروف لزمهم شيئآن مسقطان لقولهم .

أحدهما إبطال احتجاجهم[٤٠] بقوله[٤١] تعالى « بسورة من مثله » لأنهم جعلوا معجزا ما ليس بسورة ، ولم يقل تعالى بمقدار سورة فلاح تمويههم . والثانى : أن سورة الكوثر عشر كلمات اثنان وأربعون حرفا وقد قال تعالى « وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وإسمـٰعيل واسْحَق وَيَعْقُوبَ والْأَسْبَاطِ وعِيسَى وأَيُّوبَ ويُونُسَ وَهارون وسُلَيْمانَ وآتَيْنَا دَاودَ زَبُورًا[٤٢]» .

أتتنا عشرة كلمة اثنان وسبعون حرفا وإن اقتصرنا على الأسماء فقط كانت عشرة كلمات ، اثنين وستين حرفا هذا أكثر كلمات وحروفًا من سورة الكوثر فينبغى أن يكون هذا معجزا عندكم ويكون : « ولَكُمْ فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ » غير معجز فإن قالوا إن هذا غير معجز تركوا قولهم فى مقدار إعجاز أقل سورة فى القرآن ، فى عدد الكلمات وعدد الحروف ، وإن قالوا بل هو معجز تركوا قولهم فى أنه فى أعلى درج البلاغة ويلزمهم أيضا أننا إن أسقطنا من هذه الأسماء اسمين ومن سورة الكوثر كلمة[٤٣] ألّا يكون شىء من ذلك معجزا فظهر سقوط كلامهم وتخليطه وفساده .

(٣٨) فى (أ) : لا يوجد (من ثلثها أو من نصفها) .
(٣٩) فى (أ) : لم يذكر (وأن آية الكرسى ليست معجزة لأنها ليست ثلاث آيات) .
(٤٠) فى (أ) : (احتياجهم) وهو تحريف .
(٤١) فى (أ) : (بقولهم) وهو تحريف ظاهر .
(٤٢) سورة النساء آية رقم ١٦٣ .
(٤٣) فى (أ) : (كلمات) .

وأيضا فإذا كانت الآية والآيتان منه غير معجزة وكان مقدورًا على مثلها فكل آية على انفرادها مقدور على مثلها . وإذا كان كذلك فكله مقدور على مثله وهذا كفر . فإن قالوا إذا اجتمعت ثلاث آيات صارت غير مقدور عليها . قيل لهم هذا غير قولكم إن اعجازه إنما هو من طريق البلاغة فى الآية كهو فى الثلاث ولا فرق . والحق فى هذا هو ما قاله الله تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس والجن عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآن لَايَأْتُونَ بِمِثْله[٤٤]» وإن كل كلمة قائمة المعنى نعلم أنها إن تليت أنها من القرآن فإنها معجزة لا يقدر أحد على المجىء بمثلها أبدا ، لأن الله تعالى حال بين الناس وبين ذلك كمن قال إن آية نبوتى أن الله تعالى يطلقنى على المشى فى هذا الطريق الواضح ثم لا يمشى فيه أحد غيرى أبدا أو مدة يسميها[٤٥] فهذا أعظم ما يكون من الآيات وأن الكلمة المذكورة[٤٦] إذا ذكرت فى خير على أنها ليست قرآنا فهى غير معجزة ، وهذا هو الذى جاء به النص والذى عجز عنه أهل الأرض منذ أربعمائة عام وأربعين عاما وإلى أن يرث الله[٤٧] الأرض ومن عليها ونحن نجد فى القرآن الكريم إدخال معنى بين معنيين ليس منهما كقوله تعالى « وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ومَابَيْنَ ذَلِكَ[٤٨]» وليس هذا من بلاغة الناس فى ورد ولا صدر ومثل هذا فى القرآن كثير والحمد لله رب العالمين . تم الكلام فى التوحيد ونحمد الله تعالى .

---

(٤٤) الإسراء : ٨٨

(٤٥) فى (خ) : لم يذكر (أو مدة يسميها) .

(٤٦) فى (أ) : زاد (أنها منى) .

(٤٧) فى (أ) : لم يذكر (وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) .

(٤٨) مريم : ٦٤

« الكلام فى القدر »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى هذا الباب . فذهبت طائفة إلى أن الإنسان مجبر على أفعاله وأنه لا استطاعة أصلا له وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الأزارقة[١]، وذهبت طائفة أخرى . إلى أن الإنسان ليس مجبرا وأثبتوا له قوة واستطاعة بها يفعل ما اختار فعله . ثم افترقت هذه الطائفة على فرقتين فقالت إحداهما : الاستطاعة التى يكون الفعل بها لا يكون إلا مع الفعل ولا تتقدمه ألبتة ، وهذا قول طوائف من أهل السنة[٢] ومن وافقهم كالنجار[٣] والأشعرى وأصحابهما ومحمد بن عيسى[٤] برغوث الكاتب ، وبشر بن غَيَّاث[٥] المريسى ، وأبى عبد الرحمن العطوى[٦] وجماعة من المرجئة والخوارج ، وهشام[٧] بن الحكم وسليمان[٨] بن جرير وأصحابهما . والقول الأول

---

(١) الأزارقة : طائفة أصحاب أبى راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها فى أيام عبد الله بن الزبير ، وقتلوا اعماله بهذه النواحى ، وقد تغلب عليهم المهلب بن أبى صفرة فى أيام الحجاج بن يوسف الثقفى ، وقد كفروا على بن أبى طالب لقبوله التحكيم (الملل والنحل للشهرستانى : ١٧٩/١ وما بعدها بتصرف) .

(٢) فى (أ) : من أهل الكلام .

(٣) هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار أبو عبد الله . كان من جملة المجبرة ومتكلميهم ، واختير رئيسا لفرقة النجارية ، وله مع النظام مجالس ومناظرات وله كتب الاستطاعة ، والإرجاء ، والقضاء والقدر ، وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه . (فهرست النديم : ٢٥٤) .

(٤) هو محمد بن عيسى الملقب ببرغوث الكاتب . رأس البرغوثية . ورد فى مختصر الفرق بين الفرق (١٢٦) وجاء فى اعتقادات الرازى برغوسية بالسين وهو خطأ . (هامش الملل والنحل حـ ١ ص ١١٦) .

(٥) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غَيّاث المريسى الفقيه الحنفى المتكلم ، وهو من موالى زيد بن الخطاب ، أخذ الفقه عن أبى يوسف إلّا أنه اشتغل بالكلام ، وصرح بالقول بخلق القرآن وحكى عنه أقوال شنيعة ، تنسب إليه الفرقة المريسيّة ، وناظر الإمام الشافعى توفى سنة ٢١٨ هـ . (وفاة الوفيات : ١١٣/١) .

(٦) أبو عبد الرحمن العطوى : محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية أبو عبد الرحمن العطوى ، الكنانى بالولاء مولى بنى ليث بن بكر من كنانه من شعراء الدولة العباسية ، مولده ومنشأه بالبصرة كان معتزليًا ، يعد من المتكلمين الحذاق ، يذهب مذهب الحسين بن محمد النجار اشتهر فى أيام المتوكل ، واتصل بابن أبى داود وحظى عنده وكان منهومًا بالنبيذ ، وله فيه أشعار كثيرة . (الأعلام حـ ٧ ص ٦١) .

(٧) هو : هشام بن الحكم أبو محمد الشيبانى من أهل الكوفة سكن بغداد ، وكان من كبار الرافضة ومشهوريهم ، وكان مجسِّمًا ، من الغلاة ، يقول بالجبر الشديد ، وكان ينقطع إلى يحيى بن خالد ، له مصنفات كثيرة ، وخبرة بصناعة علم الكلام ، وكان من أصحاب جعفر الصادق . مات بعد نكبة البرامكة مستترا ، وقيل عاش إلى خلافة المأمون (لسان الميزان : ١٩٤/٦) .

(٨) هو : سليمان بن جرير أحد الشيعة ، كان يقول إن الصحابة تركوا الأصلح بترك مبايعة على لأنه كان أولاهم بها ، وكفر عثمان بما ارتكب من الأحداث فكفره أهل السنة بتكفير عثمان ، وقد ظهر أيام الخليفة المنصور (لسان الميزان : ٨٠/٣) .

قول جهم ابن صفوان وجماعة من الأزارقة . وقالت الأخرى إن الاستطاعة التى بها يكون الفعل هى قبل الفعل موجودة فى الإنسان وهو قول المعتزلة وطوائف من المرجئة كمحمد بن شبيب[٩] ويونس ابن عون[١٠] وصالح[١١] قبه والناشىء[١٢] وجماعة من الخوارج والشيعة . ثم افترق هؤلاء على فرق فقالت طائفة : إن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل أيضا للفعل ولتركه وهو قول بشر[١٣] ابن المعتمر البغدادى ، وضرار[١٤] بن عمرو الكوفى ، وعبد الله بن غطفان ، ومعمر بن عمرو العطار[١٥] البصرى ، وغيرهم من المعتزلة ، وقال أبو الهذيل[١٦] محمد بن الهذيل العبدى البصرى العلاف لا تكون الاستطاعة مع الفعل ألبتة ولا تكون قبله ولابد وتفنى مع أول وجود الفعل . وقال أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظام وعلى[١٧] الأسوارى وأبو بكر[١٨] بن عبد الرحمن بن كيسان الأصم ، ليست الاستطاعة شيئا غير نفس المستطيع ، وكذلك أيضا قالوا فى العجز إنه ليس شيئا غير العاجز ، إلا النظام فإنه قال هو آفة دخلت على المستطيع .

قال أبو محمد : فأما من قال بالإجبار فإنهم احتجوا فقالوا لما كان الله تعالى فعَّالا ، وكان

---

(٩) هو : محمد بن شبيب الدمشقى . وهو غير محمد بن شبيب الزهرانى البصرى الذى روى عن الشعبى والحسن ، فإنه محدث ثقة . أما الدمشقى فهو من أصحاب النظام ، وممن جمع فى القول بالإرجاء والقدر (تهذيب التهذيب : ٢١٨/٩) .

(١٠) هو : يونس بن عون النميرى ، وأتباعه اليونسية : وهم غير اليونسية أتباع يونس ابن عبد الرحمن القنى الذين يزعمون أن النصف الأعلى لله مجوّف ، والأدنى مسمط ، وهؤلاء من الإمامية ، أما أتباع ابن عون فمن المرجئة يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له ، وترك الاستكبار عليه ، والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن . (اعتقادات فرق المسلمين : ٧٤ والملل والنحل : ٢٢٣/١) .

(١١) هو : أبو جعفر صالح بن محمد بن قبه من متكلمى الشيعة ، وهو من الطبقة السابعة خالف الجمهور فى أمور منها : كون المتولّدات فعل الله ابتداء ، وكون الإدراك معنى وله كتب كثيرة . (فرق وطبقات المعتزلة : ٧٨ تحقيق على سامى النشار) .

(١٢) الناشىء : هو على بن عبد الله بن وصيف ، أبو الحسن الحلاء المعروف بالناشىء الأصغر ، كان إماميًا له قصائد فى أهل البيت ، أخذ علم الكلام عن ابن نوبخت وغيره ، وصنف كتبًا توفى ببغداد عام ٣٦٦ هـ وكان جده « وصيف » مملوكًا ، وأبوه عبد الله عطارًا .

(١٣) هو : أبو سهل : بشر بن المعتمر الهلالى من أهل بغداد ، وقيل بل من أهل الكوفة ولعله كان كوفيا ثم انتقل إلى بغداد ، وهو رئيس معتزلة بغداد ، وله قصيدة من ٤٠ أربعين ألف بيت ، ردّ فيها على جميع المخالفين . حبسه هارون الرشيد عندما قيل له إنه رافضى توفى فى حلول سنة ٢١٠ هـ وكان زعيما للبشرية ، وقد كفره إخوانه من القدرية فى أمور (فرق وطبقات المعتزلة : ٦٢ ، ٦٣ بتصرف) .

(١٤) هو : ضرار بن عمرو القاضى معتزلى جلد ، له مقالات خبيثة . ذكره صاحب كتاب الفهرست وذكر له ثلاثين كتابا فيها الرد على المعتزلة ، والخوارج ، والروافض . شهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه فهرب . وأخفاه يحى بن خالد ، يعدّ من رجال منتصف القرن الثالث (لسان الميزان : ٢٠٣/٣) .

(١٥) معمر بن عمرو العطار : أحد شيوخ المعتزلة : قال ابن حزم كان يقول : النفس جوهر ، وليس جسمًا ، ولا عرضًا ولا لها طول ولا عرض ، ولا عمر ولا هى فى مكان ، وهى الفاعلة المدبرة . (لسان الميزان حـ ٦ ص ٦٨) .

(١٦) هو : أبو الهذيل : محمد بن الهذيل العبدى . كان مولى لعبد القيس ، وكان يلقب بالعلّاف لأن داره بالبصرة كانت فى العلّافين . له ستون كتابًا فى الرد على المخالفين فى دقيق الكلام وجليله . انصرف إلى الكوفة ، والتقى بهشام بن الحكم وجماعة من المخالفين فناظرهم فقطعهم . توفى سنة ٢٣٥ هـ . (فرق وطبقات المعتزلة : ٥٤ ، ٥٥ بتصرف) .

(١٧) على الاسوارى : هو من أصحاب أبى الهذيل وأعلمهم ثم انتقل إلى النظام . وروى أنه صعد بغداد لفاقة لحقته فلقى النظام فسأله ما جاء بك ؟ فقال : الحاجة . فأعطاه ألف دينار وقال له : ارجع من ساعتك . فيقال : إن النظام خاف أن يراه الناس فيفضلونه عليه . (فرق وطبقات المعتزلة : ٧٧) .

(١٨) هو : أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم . كان من أفصح الناس وأفقههم فى زمانه . حكى عنه أنه كان يخطىء عليا عليه السلام فى كثير من أفعاله ويصوّب معاوية فى بعض أفعاله . قال القاضى عبد الجبار وكان يجر منه حيف عظيم على أمير المؤمنين . وكان بعض أصحابه يعتذر عنه وله تفسير عجيب ، وكاتبه السلطان ، ولأبى الهذيل معه مناظرات . (فرق وطبقات المعتزلة : ٦٥ ، ٦٦ بتصرف) .

لا يشبهه شئ من خلقة وجب أن لا يكون أحد فعّالا غيره ، وقالوا أيضا معنى إضافة الفعل إلى الإنسان إنما كما نقول مات زيد ، وإنما الله تعالى أماته وقام البناء وإنما أقامه الله تعالى .

قال أبو محمد : خطأ هذه المقالة ظاهر بالحس وبالنص وباللغة التى بها خاطبنا الله تعالى وبها نتفاهم . فأما النص فإن الله عزَّ وجل قال فى غير موضع من القرآن « جَزَاءً بِما كَانُوا يَعْمَلُون[١٩] » وقال تعالى « يَا أَيُّهاَ الَّذينَ آمَنُوا لِم تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُون[٢٠] » وقال تعالى « إِنَّ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[٢١] » فنص على أن لنا[٢٢] عملا وفعلًا . وأما الحس فإن الحواس وبضرورة العقل وبديهته علمنا يقينا عملا لا يخالج فيه الشك أن بين الصحيح الجوارح وبين من لا صحة لجوارحه فرقا لائحًا لجوارحه ، لأن الصحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختاراً لهادون مانع ، وأن الذى لا صحه لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلًا ، ولا بيان أبين من هذا الفرق والمجبر فى اللغة هو الذى يقع منه الفعل بخلاف اختياره وقصده ، فأما من وقع فعله باختياره وقصده فلا يسمى فى اللغة مجبرا[٢٣]. وإجماع الأمة كلها على لا حول ولا قوة إلا بالله مبطل قول المجبرة وموجب أن لنا حولا وقوة ولكن لم يَكن لنا ذلك إلا بالله تعالى ولو كان ما ذهبت إليه الجهمية لكان القول « لا حول ولا قوة إلا بالله » لا معنى له ، وكذلك قوله تعالى « لِمَنْ شَاءَ مِنْكَمْ أَنْ يَسْتَقِيم وَمَا تَشَاؤنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمين[٢٤] » فنص تعالى على أن لنا مشيئة إلا أنها لا تكون منّا إلا أن يشاء الله تعالى كونها وهذا نص قولنا والحمد لله .

* * *

قال أبو محمد : ومن عرف عناصر الأشياء من الواجب والممكن والممتنع أيقن بالفرق بين صحيح الجوارح وغير صحيحها ، لأن الحركة الاختيارية بأول الحس هى غير الاضطرارية ، وأن الفعل الاختيارى من ذى الجوارح المعوقة ممتنع وهو من ذى الجوارح الصحيحة ممكن ، وإننا بالضرورة ندرى أن المقعد لو رام القيام جهده لما أمكنه ونقطع يقينا أنه لا يقوم ، وأن الصحيح الجوارح لا نَدرى إذا رأيناه قاعدا أيقوم[٢٥] أم يتكئْ أم يتمادى على قعوده ، وكل ذلك

---

(١٩) الأحقاف : ١٤
(٢٠) الصف : ٢
(٢١) الكهف : ٣٠ ، ١٠٧
(٢٢) فى (أ) : فنص على أننا نعمل ونفعل ونصنع .
(٢٣) فى (ح) : سقط الكلام من قوله (وقصده .. إلى اللغة) .
(٢٤) التكوير : ٢٨ ، ٢٩
(٢٥) فى (أ) : (يقوم) .

ممكن منه . وأمّا من طريق اللغة فإن الإجبار والإكراه والاضطرار والغلبة أسماء مترادفة ولكنها واقع على معنى واحد لا يختلف وقوع الفعل ممن لا يؤثره ولا يختاره ولا يتوهم منه خلافه ألبتة . وأما من آثر ما يظهر منه من الحركات والاعتقاد ويختاره ويميل إليه هواه فلا يقع عليه إسم إجبار ولا اضطرار ، لكنه مختار والفعل منه مراد متعمَّد مقصود ونحو هذه العبارات فى هذا المعنى فى اللغة العربية التى بها نتفاهم ، فإن قال قائل فلم أبيتم ههنا من إطلاق لفظة الاضطرار وأطلقتموها فى المعارف فقلتم إنها باضطرار ، وكل ذلك عندكم خلق الله فى الإنسان فالجواب أن بين الأمرين فرقا بينا وهو أن الفاعل متوهم منه ترك فعله ، وممكن ذلك منه وليس كذلك الذى عرفه ببرهان ، لأنه لا يتوهم ألبتة إنصرافه عنه ، ولا يمكنه فى ذلك أصلا فصح أنه مضطر إليها . وأيضا فقد أثنى الله تعالى على قوم دعوه فقالوا « رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ[٢٦] »، وقد علمنا أن الطاقة والاستطاعة والقدرة والقوة فى اللغة العربية ألفاظ مترادفة كلها واقع على معنى واحد ، وهو صفة ما يمكن منه الفعل باختياره أو تركه باختياره ، ولا شك فى أن هؤلاء القوم الذين دعوا هذا الدعاء قد كلفوا شيئا من الطاعات والأعمال ، واجتناب المعاصى ، فلولا أن هاهنا أشياء لهم بها طاقة لكان هذا الدعاء حمقا لأنهم كانوا يصيرون داعين إلى الله تعالى فى أن لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به ، وهم لا طاقة لهم بشىْء من الأشياء ، فيصير دعاؤهم فى أن لا يكلفوا ما قد كلفوه وهذا محال من الكلام ، والله تعالى غنى عن أن يثنى على المحال فصح بهذا يقينا أن ههنا طاقة موجودة على الأفعال وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بأن الله تعالى لما كان فعالا وجب أن لا يكون فعّال غيره ، فخطأ من القول لوجوه .

أحدها أن النص قد ورد بأن للإنسان أفعالا وأعمالا قال تعالى « كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُون[٢٧] » .

فأثبت تعالى لهم الفعل وكذلك نقول إن الإنسان يصنع لأن النص قد جاء بذلك ولولا النص ما أطلقنا شيئا من هذا وكذلك لما قال الله تعالى « وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرون[٢٨] » علمنا أن للإنسان اختيارًا ، لأن أهل الجنة وأهل الدنيا سواء فى أنه تعالى خالق أعمال الجميع ، على أن الله تعالى قال « وَرَبُّكَ يخلُق مَا يَشاءُ وَيَخْتَارُ ما كان لَهُمْ الخِيرَة » ، فعلمنا أن الاختيار الذى هو فعل الله تعالى وهو منفى عن من سواه هو غير الاختيار الذى أضافه إلى خلقه ووصفهم به ،

---

(٢٦) البقرة : ٢٨٦
(٢٧) المائدة : ٧٩
(٢٨) الواقعة : ٢٠

ووجدنا هذا أيضا حسّا لأن الاختيار الذى تَوَحد الله تعالى به ، وهو أن يفعل ما يشاء كيف شاء وإذا شاء وليس هذه صفة شيء من خلقه . وأما الاختيار الذى أضافه إلى خلقه فهو ما خلق فيهم من الميل إلى شيء مّا ، والإيثار له على غيره فقط وهذا هو غاية البيان وبالله تعالى التوفيق .

ومنها أن الاشتراك فى الأسماء لا يقع من أجله التشابه ، ألا ترى أننا نقول الله الحى والإنسان حىّ والإنسان حليم عليم كريم حكيم ، والله تعالى حليم عليم كريم حكيم ، فليس هذا يوجب اشتباهاً بلا خلاف وإنما يقع الاشتباه بالصّفات الموجودة فى الموصوفين ، والفرق بينهما لأن الفعل الواقع من الله عز وجل والفعل الواقع منّا هو أن الله تعالى إمّا أنه اخترعه وجعله جسما أو عرضا أو حركة أو سكونا أو معرفة أو إرادة أو كراهية أو فكرة وجعل[٢٩] الله تعالى ذلك فينا بغير معاناة منه ، وفَعَلَ تعالى لغير علمه وإنما نحن : فإنما كان فعلا لنا لأنه عز وجل خلقه فينا ، وخلق اختيارنا له وأظهره عزّ وجل فينا محمولًا لاكتساب منفعة أو لدفع مضرّة ولم نخترعه نحن .

وأما من قال بالاستطاعة قبل الفعل : فعمدة حجتهم أن قالوا لا يخلو الكافر من أحد وجهين . إما أن يكون مأمورا بالإيمان : أو لا يكون مأمورا به فإن قلتم إنه غير مأمور بالإيمان فهذا كفر مجرد ، وخلاف القرآن والإجماع ، وإن قلتم هو مأمور به وهكذا تقولون ، فلا يخلو من أحد وجهين ، إما أن يكون أمِر وهو يستطيع ما أمر به . فهذا قولنا لا قولكم ، أو يكون أمر وهو لا يستطيع ما أمر به ، فقد نسبتم إلى الله تعالى تكليف ما لا يستطيع ، ويلزمكم[٣٠] تكليف الأعمى أن يرى ، والمقعد أن يجرى ، أو يطلع إلى السماء ، وهذا كله جور وظلم ، والجوْر والظلم منفيان عن الله عز وجل ، وقالوا : إذ لا يفعل المرء فعلًا إلا بالاستطاعة[٣١] الموهوبة من الله عز وجل ، فلا تخلو[٣٢] تلك الاستطاعة من أن يكون المرء أعطيها والفعل موجود ، أو أعطيها والفعل غير موجود ، فإن كان أعطيها والفعل موجود فلا حاجة[٣٣] إليها ، إذ قد وُجِد الفعل منه الذى يحتاج إلى الاستطاعة ليكون ذلك الفعل بها .

وإن أعطيها والفعل غير موجود فهذا قولنا : إن الاستطاعة قبل الفعل ؛ والله تعالى يقول : « وَلله عَلَى النَّاسِ حجُّ البَيْتِ مَن اسْتَطاعَ إلَيْه سَبِيلًا[٣٤]» .

قالوا : فلو لم تتقدم الاستطاعة الفعل لكان الحج لا يلزم أحدًا قبل أن يحج .

---

(٢٩) القصص : ٦٨
(٣٠) فى (أ) : وفعل عزّ وجل كذلك فينا .
(٣١) فى (أ) : لزمكم أن تجيزوا .
(٣٢) فى (أ) : باستطاعة موهوبة .
(٣٣) فى (أ) : لا تحلو .

وقال تعالى : « وَعَلَى الَّذين يُطيقُونه فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكين[٣٥] » .

وقال تعالى : « فَمنْ لَم يَستَطِعْ فَإطْعَامُ ستِّينَ مِسْكِينًا[٣٦] » .

فلو كانت الاستطاعة للصوم لا تتقدم الصوم ما لزمت أحدًا الكفارة به .

وقال تعالى : « وسَيَحْلفُونَ بالله لَو استَطَعْنَا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهلِكُونَ أَنْفُسَهم والله يعلَمُ إنَّهم لَكَاذِبُون[٣٧] » .

فصح أن استطاعة الخروج موجودة مع عدم الخروج .

وقال تعالى : « فاتَّقُوا الله ما استَطَعْتُم[٣٨] » .

ولهم أيضًا فى خلق الأفعال اعتراض نذكره إن شاء الله تعالى[٣٩].

---

(٣٤) فى (أ) : حاجة به .
(٣٥) سورة آل عمران : ٩٧ .
(٣٦) البقرة : ١٨٤
(٣٧) المجادلة : ٤
(٣٨) التوبة : ٤٢
(٣٩) التغابن : ١٦
(٤٠) فى (أ) : زاد : « وبالله التوفيق ، والحمد لله رب العالمين » .

« باب ما الاستطاعة ؟ »

قال أبو محمد : إن الكلام على حكم لفظ[1] الاستطاعة قبل تحقيق معناها ، ومعرفة ما المراد بها ؟ وعن أى شيء يعبر بذكرها ؟ طمس للوقوف على حقيقتها ، فينبغى أولا أن يوقف على معنى الاستطاعة ، فإذا تكلمنا عليه وقربناه[2] بحول الله وقوته سهل الإشراف على صواب هذه الأقولا من خطئها بعون الله وتأييده ؛ فنقول : (وبالله تعالى التوفيق[3]) .

إن قول[4] من قال إن الاستطاعة هى المستطيع قول فى غاية الفساد ، ولو كان لقائله أقل علم باللغة العربية ثم بحقائق الأسماء والمسميات ، ثم بماهية الجواهر والأعراض لم يقل هذا السخف .

أما اللغة : فإن الاستطاعة فيها[5] إنما هى مصدر استطاع يستطيع استطاعة والمصدر هو فعل الفاعل وصفته كالضرب[6] هو فعل الضارب ، والحمرة التى هى صفة الأحمر ؛ والاحمرار هو صفة المحمر وما أشبه هذا ، والصفة والفعل عرضان بلا شك فى الفاعل منا وفى الموصوف ، والمصادر هى أفعال[7] المسمين ، فالأسماء بإجماع من أهل كل لسان .

فإذا كانت الاستطاعة فى اللغة التى بها نتكلم نحن وهم ، إنما هى صفة فى المستطيع ، فبالضرورة نعلم أن الصفة غير الموصوف ، لأن الصفات تتعاقب عليه ، فتمضى صفة وتأتى أخرى ، فلو كانت الصفة هى الموصوف ، لكان الماضى من الصفات هو الموصوف الباقى ، ولا سبيل إلى غير هذا ألبتة . فإذ لا شك فى أن الماضى هو غير الباقى ، فالصفات هى غير

---

(١) فى (أ) : سقط لفظ (الاستطاعة) .

(٢) فى (أ) : (وقررناه) .

(٣) فى (أ) : نتأيد بدلا من التوفيق .

(٤) فى (أ) : لم تذكر كلمة (قول) .

(٥) فى (أ) : سقطت كلمة (فيها) .

(٦) فى (أ) : الذى هو .

(٧) فى (أ) : (أحداث) .

الموصوف بها ، وما عدا هذا هو عين[٨] المحال والتخليط ، فإن قالوا : إن الاستطاعة ليست مصدر استطاع ، ولا صفة المستطيع ، كابروا ؛ وأتوا بلغة جديدة غير[٩] التى بها نزل القرآن والتى هى لفظة الاستطاعة التى فيها منازعة[١٠] ، إنما هى كلمة من تلك اللغة ومن أحال شيئًا من الألفاظ اللغوية عن موضوعها فى اللغة بغير نص محتمل لها ولا إجماع[١١] من الشريعة ، فقد فارق حكم أهل العقول والحياء وصار فى نصاب من لا يتكلم معه ، ولا يعجز أحد أن يقول : إن الصلاة ليست ما تعنون بها وإنما هى أمر كذا وكذا[١٢]، والماء هو الخمر ، وفى هذا بطلان الحقائق كلها ، وأيضًا فإنا نجد المرء مستطيعًا ثم نراه غير مستطيع لخدر[١٣] عرض فى أعضائه ، وبتكسف[١٤] أو ضبط أو إغماء ، وهو بعينه قائم لم ينتقص منه شيء ، فصح[١٥] بالضرورة .

أن الذى عدم من الاستطاعة هو غير المستطيع الذى كان ولم يعدم منه[١٦] شيء ، هذا أمر يعرف بالمشاهدة والحس ، وبهذا أيقنا أن الاستطاعة عرض[١٧] يقبل الأشد والأضعف ، فنقول : استطاعة أشد من استطاعة ، واستطاعة أخف من استطاعة ، وأيضا فإن الاستطاعة لها ضد وهو العجز ، والأعراض لا تكون إلا أعراضًا تقسم طرفى البعد ، كالخضرة والبياض ، والعلم والجهل ، والذكر والنسيان ، وما أشبه هذا .

وهذا كله أمر يعرف بالمشاهدة ولا ينكره إلا أعمى القلب والحواس ، ومعاند مكابر الضرورة[١٨]، والمستطيع جوهر ، والجوهر لا ضدّ له ، فصح بالضرورة أن الاستطاعة هى غير المستطيع بلا شك ، وأيضا فلو كانت الاستطاعة هى غير المستطيع[١٩] لكان العجز أيضًا هو العاجز اليوم وهو المستطيع بالأمس ، فعلى هذا يجب أن العجز هو المستطيع ، فإن لا ذوا عن هذا ، لزمهم أن العجز عن الأمر هو الاستطاعة عليه ، وهذا محال ظاهر ، فإن قالوا إن العجز غير المستطيع وهو آفة دخلت على المستطيع ، سئلوا : ما[٢٠] الفرق الذى من أجله قالوا إن

---

(٨) فى (أ) : (فهو من المحال) .
(٩) فى (أ) : (غير اللغة) .
(١٠) فى (أ) : (نتنازع) .
(١١) فى (أ) : (بإجماع) .
(١٢) فى (أ) : لم يذكر (وكذا) .
(١٣) فى (خ) : (بخدر) . وفيها (من أعضائه) .
(١٤) فى (أ) : وبتكتيف .
(١٥) فى (خ) : لم يذكر كلمة (فصح) .
(١٦) فى (أ) : لم يذكر (منه شيء) .
(١٧) فى (أ) : عرض من الأعراض .
(١٨) فى (أ) : (للضرورة) .
(١٩) فى (خ) : سقط الكلام من قوله (بلا شك حتى – غير المستطيع) .
(٢٠) فى (أ) : (عن الفرق) .

الاستطاعة غير[٢١] المستطيع ؛ ومنعوا أن يكون العجز هو العاجز ولا سبيل إلى وجود فرق فى ذلك ، وبهذا نفسه يبطل قول من قال : ان الاستطاعة هى بعض المستطيع سواء[٢٢] سواءً لأن العرض لا يكون بعضًا للجسم وأما من قال إن الاستطاعة هى[٢٣] كل ما يوصل[٢٤] به إلى الفعل كالإبرة والدلو ، والحبل ، وما أشبه هذا[٢٥] فقول فاسد تبطله المشاهدة لأنه قد توجد هذه الآلات وتعدم صحة الجوارح فلا يمكن الفعل .

فإن قالوا : وقد[٢٦] تعدم هذه الآلات وتوجد صحة الجوارح فلا يمكن[٢٧] الفعل ؛ قلنا : صدقتم ، وبوجود هذه الآلات يتم[٢٨] الفعل إلا أن لفظة الاستطاعة التى فى معناها نتنازع : هى لفظة قد وضعت فى اللغة التى بها نتفاهم ونعبر عن مرادنا على عرض فى المستطيع ، فليس لأحد أن يصرف هذه اللفظة عن موضوعها فى اللغة[٢٩] برأيه من غير نص ولا إجماع ، ولو جاز هذا لبطلت الحقائق ، ولم يصح تفاهم أبدًا . وقد علمنا يقينًا أن لفظة الاستطاعة لم تقع قط فى اللغة التى بها نتفاهم على حبل ولا مِهْماز ولا على إبرة .

فإن قالوا : قد صح عن أئمة اللسان كابن عمر ، وابن عباس رضى الله عنهما أن الاستطاعة زاد وراحلة . قيل : نعم قد صح هذا ولا خلاف من أحد له فهم باللغة العربية[٣٠] فى أنهما إنما عنيا بذلك القوة على وجود زاد وراحلة ، وبرهان ذلك أن الزاد والرواحل كثير فى العالم ؛ وليس كونهما فى العالم موجبًا عندهما فرض الحج على من لا يجدهما .

فصح ضرورة أنهما إنما عنيا بذلك[٣١] قوة على إحضار زاد وراحلة ، والقوة على ذلك عرض كما قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

وهكذا القول إن ذكروا قول الله عز وجل : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيلِ تُرهِبُون بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ[٣٢] » .

---

(٢١) فى (أ) : (هى) بدلا من (غير) .
(٢٢) فى (أ) : (سواء بسواء) .
(٢٣) فى (أ) : سقطت كلمة (هى) .
(٢٤) فى (أ) : (توصل) .
(٢٥) فى (أ) : (ذلك) .
(٢٦) فى (أ) : (قد) بحذف الواو .
(٢٧) فى (أ) : ولا يمكن .
(٢٨) فى (أ) : (تم) .
(٢٩) فى (خ) : لم يذكر كلمة (فى اللغة) .
(٣٠) فى (أ) : سقطت كلمة (العربية) .
(٣١) فى (خ) : لم تذكر كلمة (بذلك) .
(٣٢) سورة الأنفال : ٦٠

لأن هذا نص قولنا لأن القوة عرض ، ورباط الخيل عرض ، فسقط هذا القول أيضًا . فإذ قد سقطت هذه الأقوال كلها وصح أن الاستطاعة عرض من الأعراض ، فواجب علينا معرفة ما تلك الأعراض ؟ فنظرنا فى ذلك بعون الله وتأييده ؛ فوجدنا بالضرورة الفعل لا يقع منه باختيار إلا من صحيح[٣٣] الجوارح التى بها يكون ذلك الفعل[٣٤]، فصح يقينًا أن سلامة الجوارح ، وارتفاع الموانع استطاعة ، ثم نظرنا سالم الجوارح لا يفعل مختارًا إلا حتى يستضيف إلى ذلك إرادة الفعل ، فعلمنا أن الإرادة أيضًا محركة للاستطاعة ولا نقول : إن الإرادة استطاعة ، لأن كل عاجز من الحركة فهو مريدها وهو[٣٥] غير مستطيع ، وقد علمنا ضرورة أن العاجز عن الفعل فليس فيه استطاعة للفعل لأنهما ضدان ، والضدان لا يجتمعان معًا ، ولا يمكن أيضًا أن تكون الإرادة بعض الاستطاعة لأنه كان يلزم من ذلك أن فى العاجز المريد استطاعة مَّا ، لأن بعض الاستطاعة استطاعة ، وبعض العجز عجز ؛ ومحال أن يكون فى العاجز عن الفعل استطاعة له ألبتة .

والاستطاعة ليست عجزًا فإن من استطاع على[٣٦] شيء وعجز عن أكثر منه ففيه استطاعة على ما يستطيع عليه ، وفيه عجز أيضًا عما لا يستطيع عليه ، هو غير الاستطاعة فيه على ما استطاع عليه ، ثم نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعل قد يعترضه دون الفعل مانع لا يقدر معه على الفعل أصلًا ، فعلمنا أن هاهنا شيئًا آخر به تتم الاستطاعة ولابّد ، وبه يوجد الفعل ، فعلمنا ضرورة أن هذا الشيء هو تمام الاستطاعة ولابد[٣٧]، فلا تصح الاستطاعة إلا به . فهو بالضرورة قوة[٣٨]، إذ الاستطاعة قوة وإذًا ذلك الشيء قوة ولابد ، فقد علمنا أنه ما أتى به من عند الله تعالى لأنه تعالى مؤتى القوى ، إذ لا يمكن ذلك لأحد دونه عز وجل ، فصح ضرورة أن الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع ، وهذان الوجهان قبل الفعل قوة أخرى ، من عند الله عز وجل وهذا الوجه مع الفعل باجتماعها يكون الفعل وبالله تعالى التوفيق .

ومن البرهان على صحة هذا القول : إجماع الأمة كلها على سؤال الله عز وجل التوفيق والاستعانة[٣٩] والاستعاذة من الخذلان ، فالقوة التى ترد من الله تعالى على العبد فيفعل بها الخير تسمى توفيقًا وتأييدًا وعصمة ، والقوة التى ترد من الله تعالى على العبد فيفعل بها الشر تسمى بالإجماع خذلانًا ، والقوة التى ترد من الله تعالى فيفعل بها العبد ما ليس طاعة ولا معصية تسمى

(٣٣) فى (خ) : (صحح) وهو تحريف .
(٣٤) فى (خ) : سقط قوله (ذلك الفعل) .
(٣٥) فى (خ) : سقط قوله : (مريد له وهو) .
(٣٦) فى (خ) : (كل شيء) .
(٣٧) فى (أ) : سقطت (ولابد) .
(٣٨) فى (خ) : لم تذكر كلمة (قوة) .
(٣٩) فى (أ) : سقطت كلمة (الاستعانة) .

عونًا أو قوة أو حولًا ، وتبين من صحة[٤٠] هذا قول المسلمين لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم[٤١].

والقوة لا يكون لأحد ألبتة فعل إلا بها ، فصح أنه لا قوة لأحد إلا بالله تعالى ، ذلك يسمى تيسيرًا ، قال رسول الله ﷺ : « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه[٤٢]» . وقد وافقنا جميع المعتزلة على أن الاستطاعة فعل الله تعالى وأنه لا يفعل أحد خيرًا ولا شرًا إلا بقوة أعطاها الله تعالى إياها ، إلا أنهم قالوا : إنما يصلح بها الخير والشر معًا .

قال أبو محمد : فجملة القول فى هذا أن عناصر الأخبار ثلاثة وهى ممتنع ، أو واجب ، أو ممكن بينهما . هذا أمر يعلم بضرورة العقل[٤٣] والحس والتمييز ، فإذ[٤٤] الأمر كذلك فإن صحة الجوارح ، وارتفاع الموانع ، استطاعة بها يمكن وجود الفعل ويكون لا واجبا ولا ممتنعًا ، وبعده يكون الفعل ممتنعًا ، إذ لا سبيل لعادم صحة الجوارح[٤٥] أو من له مانع إلى الفعل ، وأما الصحيح الجوارح المرتفع الموانع فقد يكون فيه الفعل وقد لا يكون ، فهذه الاستطاعة الموجودة قبل الفعل ، برهان ذلك قوله تعالى حكاية عن القائلين « لَوِ اسْتَطَعْنَا لخَرجْنا مَعَكُم يُهلِكُون أَنْفُسَهم والله يُعلَمُ إنَّهم لكاذِبُون[٤٦]» فأكذبهم الله تعالى فى إمكان[٤٧] استطاعة الخروج قبل الخروج ، وقوله تعالى : « ولله عَلَى النَّاسِ حجُّ البَيْتِ مَن اسْتَطاعَ إليه سَبِيلًا[٤٨]» .

فلو لم يكن[٤٩] هاهنا قبل الفعل الذى هو[٥٠] فعل المرء الحج لما لزم الحج إلا لمن[٥١] حج فقط ، ولما كان أحد عاصيًا بترك الحج لأنه إن لم يكن مستطيعًا الحج حتى يحج فلا حج عليه ، ولا هو مخاطب بالحج ، وقوله تعالى : « فمنْ لَمْ يجد فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْن فَمَنْ لَمْ يَسْتطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا[٥٢]» .

---

(٤٠) فى (خ) : سقطت كلمة (من صحة) .
(٤١) فى (أ) : سقطت كلمة (العلى العظيم) .
(٤٢) رواه البخارى فى التفسير وفى التوحيد – ورواه مسلم فى القدر : ٧ ، ٩ ، ورواه أبو داود فى السنة : ١٦ ، ورواه الترمذى فى القدر : ٣ ، ورواه ابن ماجه فى المقدمة : ١٠ . وهو متفق عليه .
(٤٣) فى (أ) : سقطت كلمة (العقل) .
(٤٤) فى (أ) : (فإذا) .
(٤٥) فى (أ) : سقطت ما بين القوسين [ ] .
(٤٦) سورة التوبة : ٤٢
(٤٧) فى (أ) : (فى إنكارهم) .
(٤٨) آل عمران : ٩٧
(٤٩) فى (أ) : فلو لم تكن هنا استطاعة .
(٥٠) فى (أ) : لم يذكر (الفعل الذى هو) .
(٥١) فى (أ) : (إلا من) .
(٥٢) سورة النساء : ٩٢

فلو لم يكن على المظاهر العائد لقوله استطاعة على الصيام قبل أن يصوم لما كان مخاطبًا بوجوب الصوم عليه ، إذا لم يجد الرقبة أبدًا[٥٣] ولكان[٥٤] حكمه مع عدم الرقبة وجوب الإطعام فقط ، وهذا باطل .

وقول رسول الله ﷺ لمن تابعه[٥٥].

من أصحابه رضى الله عنهم : فيما استطعتم ، وأمره ﷺ أن يصلوا قيامًا[٥٦].

فمن لم يستطع فقاعدًا ، فمن لم يستطع فعلى جنب ، فى هذا إجماع متفق على صحته[٥٧] لا شك فيه ، فلو لم يكن الناس مستطيعين للقيام قبل القيام لما كان أحد مأمورًا بالصلاة قائمًا[٥٨] قبل أن يصليها كذلك ، ولكان معذورًا إن صلى[٥٩] قاعدًا[٦٠] أو على جنب بكل وجه ، لأنه إذا صلى كذلك لم يكن مستطيعًا للقيام وهذا باطل ، وقوله ﷺ فإذا أمرتكم بشىء فخذوا منه ما استطعتم[٦١] فلو لم تكن هاهنا استطاعة لشىء مما أمرنا به[٦٢] قبل أن نفعل لما أمرنا به ولما لزمنا شىء من ذلك ، ولكنا غير عصاة بالترك ؛ لأننا لم نكلف بالنص إلا ما استطعنا .

وقوله ﷺ : « أتستطيع أن تصوم شهرين ؟ قال : لا[٦٣].

فلو لم يكن أحدٌ مستطيعًا للصوم إلا حتى يصوم لكان هذا السؤال منه محالًا وحاشا له من ذلك .

ومما يبين صحة هذا وأن[٦٤] المراد بكل[٦٥] ما ذكرنا سلامة الجوارح وارتفاع الموانع قول الله عز وجل : « وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجود فلا يَسْتَطيعون خَاشعة أَبْصَارُهم تَرْهَقُهم ذِلَّة ، وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجود وهُمْ سَالمون[٦٦]» .

---

(٥٣) فى (أ) : أصلا .
(٥٤) فى (خ) : (ولكن) .
(٥٥) فى (أ) : (بايعه) .
(٥٦) فى (أ) : سقط الكلام الذى بين القوسين [ ] .
(٥٧) فى (أ) : وهذا إجماع متيقن لا شك فيه (وسقطت كلمة على صحته) .
(٥٨) فى (أ) : سقطت كلمة (قائما) .
(٥٩) فى (خ) : أن يصلى .
(٦٠) فى (أ) : (وعلى) بدلا من (أو) .
(٦١) أخرجه البخارى فى الاعتصام : ٣ ، ومسلم فى الحج : ٤١٣ ، والنسائى فى المناسك ، وابن ماجه فى المقدمة .
(٦٢) جاءت العبارة فى (أ) : مضطربة هكذا (أن نفعله لما لزمنا شىء مما أمرنا به مما لم نفعله ...) .
(٦٣) متفق عليه بلفظ (هل تستطيع) رواه البخارى فى الحدود /٣٦ ومسلم فى الصيام : ٨٣ .
(٦٤) فى (خ) : « أنّ » بحذف الواو .
(٦٥) فى (أ) : (فى كل) .
(٦٦) القلم : ٤٢ ، ٤٣ .

فنص تعالى على أن فى(٦٧) عدم السلامة بطلان الاستطاعة وأن وجود السلامة بخلاف ذلك ، فصح أن سلامة الجوارح(٦٨) استطاعة ، وإذ قد صح هذا فبيقين ندرى أن سلامة الجوارح يكون بها الفعل ، وضده ، والعمل وتركه ، والطاعة والمعصية ، لأن كل هذا يكون بصحة الجوارح .

فإن قال قائل : فإن(٦٩) سلامة الجوارح عرض ، والعرض لا يبقى وقتين قيل له ، هذه دعوى بلا برهان ، والآيات المذكورات مبطلة لهذه الدعوى وموجبة أن هذه الاستطاعة من سلامة صحة الجوارح وارتفاع الموانع موجودة قبل الفعل ، ثم لو كان ما ذكرنا لما كان فيه دفع لما قاله الله تعالى من ذلك ، ثم وجدنا الله تعالى قد قال : « وكانوا لا يستطيعون سمعًا(٧٠)» .

وقال تعالى حاكيا قول الخضر(٧١) لموسى عليهما السلام : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا(٧٢)» . وقال : « ذَلِكَ تَأْوِيل ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيه صَبْرًا(٧٣)» .

وعلمنا أن كلام الله عز وجل لا يتعارض ولا يختلف .

قال الله تعالى : « ولوْ كانَ مِنْ عند غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(٧٤)».

فأيقنا أن الاستطاعة التى نفاها الله عز وجل هى غير الاستطاعة التى أثبتها(٧٥)، لا يجوز غير ذلك ألبتة .

فإذ ذلك كذلك فالاستطاعة كما قلنا شيئان ؛ أحدهما قبل الفعل ؛ وهو سلامة الجوارح ، وارتفاع الموانع .

والثانى : لا يكون إلا مع الفعل ، وهو القوة الواردة من الله عز وجل بالعون أو الخذلان(٧٦)،

---

(٦٧) فى (خ) : لم يذكر كلمة (فى) .

(٦٨) فى (خ) : سقطت عبارة : « وأن وجود السلامة بخلاف ذلك » فصح أن سلامة الجوارح استطاعة .

(٦٩) فى (خ) : سقط الكلام الذى بين القوسين [ ] .

(٧٠) الكهف : ١٠١ .

(٧١) الخضر : هو لقب له ، واسمه : بليا بفتح الباء وسكون الكلام ، ابن مَلْكان ابن فالغ بن عابر بن سالخ بن ارفخشد بن سام ابن نوح ، وكان أبوه من الملوك واختلفوا فى سبب تلقيبه بالخضر فقال الاكثرون لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء ، والفروة وجه الأرض ، وقيل الأرض ، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله ، والصحيح الأول لما فى الحديث الصحيح : إنما سمى الخضر خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز تحته خضراء .. وهو صاحب موسى عليه السلام واختلف العلماء فى حياة الخضر وفى نبوته فقال الأكثرون هو حى موجود . قال الثعلبى : الخضر على جميع الأقوال نبى معمر محجوب عن الأبصار . (بصائر ذوى التمييز جـ ٦ ص ٧٦) .

(٧٢) سورة الكهف آية رقم ٦٧ .

(٧٣) سورة الكهف آية رقم ٨٢ وهذه الآية سقطت من (خ) .

(٧٤) سورة النساء آية رقم ٨٢ .

(٧٥) فى (أ) : جاءت العبارة هكذا : « فيقينا أن الاستطاعة التى أثبتها الله تعالى قبل الفعل هى غير الاستطاعة التى نفاها مع الفعل .

(٧٦) فى (أ) : والخذلان بدلًا من (أو) .

وهذا[٧٧] خلق الله تعالى للفعل فيما[٧٨] ظهر منه ، وسمى من أجل ذلك فاعلًا ، لما ظهر منه[٧٩] إذ لا سبيل إلى وجود معنى غير هذا ألبتة[٨٠]، فهذا هو حقيقة الكلام فى الاستطاعة ، بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والإجماع ، وضرورة الحس ، وبديهة العقل فعلى[٨١] هذا التقسيم بيّنا[٨٢] الكلام فى هذا الباب ، فإذا نفينا وجود الاستطاعة قبل الفعل فإنما نعنى بذلك الاستطاعة التى بها يقع الفعل ويوجد واجبًا ولابد ، وهى خلق الله تعالى للفعل فى فاعله ، فإذا[٨٣] أثبتنا الاستطاعة قبل الفعل فإنما نعنى بها صحة الجوارح ، وارتفاع الموانع التى بها يكون الفعل ممكنًا متوهمًا[٨٤]، لا واجبًا ولا ممتنعًا ، وبهذا[٨٥] يكون المرء مخاطبًا مكلفًا ، مأمورًا ، منهيًا ، وبعدمها يسقط[٨٦] عنه الخطاب ، والتكليف ، ويصير الفعل منه ممتنعًا ، ويكون عاجزًا عن الفعل .

* * *

قال أبو محمد رضى الله عنه : فإذ قد تبين ما الاستطاعة فنقول بعون الله عز وجل ما[٨٧] اعترضت به المعتزلة ، الموجبة للاستطاعة جملة قبل الفعل ولابد .

فنقول وبالله تعالى التوفيق : إنهم أيضًا[٨٨] أخبرونا عن الكافر المأمور بالإيمان ؛ أهو مأمور بما لا يستطيع ؟ أم بما يستطيع ؟

فجوابنا وبالله تعالى نتأيد إننا قد بينا آنفًا أن صحة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة ، وحامل هذه الصفة مستطيع بظاهر حاله من هذا الوجه ، وغير مستطيع لما[٨٩] لم يفعل الله تعالى فيه ، ما به يكون تمام استطاعة ، ووجود الفعل ، فهو مستطيع من وجه غير مستطيع من وجه[٩٠]

---

(٧٧) فى (أ) : وهو .
(٧٨) فى (أ) : فيمن .
(٧٩) فى (خ) : لم يذكر (لما ظهر منه) .
(٨٠) فى (خ) : لم يذكر كلمة (ألبتة) .
(٨١) فى (خ) : (على هذا) .
(٨٢) فى (خ) : سقطت كلمة (بينا) .
(٨٣) فى (أ) : (وإذا) .
(٨٤) فى (خ) : بزيادة (أو) .
(٨٥) فى (أ) : (وبها) .
(٨٦) فى (خ) : سقط .
(٨٧) فى (أ) : (فيما) .
(٨٨) فى (أ) : (قالوا) ولم يذكر كلمة (أيضاً) .
(٨٩) فى (أ) : (مالم) .
(٩٠) فى (خ) : سقط قوله (غير مستطيع من وجه) .

آخر ، وهذا مع أنه نص القرآن كما أوردنا فهو أيضًا مشاهد كالبنّاء المجيد ، فهو مستطيع بظاهر حاله ، ومعرفته بالبناء غير مستطيع بعدم[٩١] الآلات التى لا يوجد البناء إلا بها .

وهكذا فى جميع الأعمال ، وأيضًا فقد يكون المرء عاصيًا لله تعالى فى وجهٍ ، مطيعًا له فى وجهٍ[٩٢] آخر ، مؤمنًا بالله كافرًا بالطاغوت .

فإن قالوا : قد نسبتم إلى الله تعالى تكليف ما لا يستطاع .

قلنا : هذا باطل بل[٩٣] ما نسبنا إليه تعالى إلا ما أخبر به عن نفسه أنه لا يكلف أحدًا إلا ما يستطيع بسلامة جوارحه ، وقد يكلفه ما لا يستطيع[٩٤] فى علم الله تعالى ، لأن الاستطاعة التى يكون بها الفعل ليست فيه بعد ، فلا[٩٥] يجوز أن يطلق على الله تعالى أحد القسمين دون الآخر .

وأما قولهم : هذا[٩٦] كتكليف المقعد الجرى ، و[٩٧] الأعمى النظر ، وإدراك الألوان ، والارتفاع إلى السماء فإن هذا باطل ، فإن[٩٨] هؤلاء ليس فيهم شىء من قسمى الاستطاعة ، فلا استطاعة لهم أصلًا ، وأما الصحيح الجوارح ففيه أحد قسمى الاستطاعة وهو سلامة الجوارح ، فلولا[٩٩] أن الله عز وجل أمننا بقوله : « مَا جَعَلَ عَلَيْكُم فى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ[١٠٠] » .

لكان غير منكر أن يكلف الله عز وجل الأعمى إدراك الألوان ، والمقعد الجرى والطلوع إلى السماء ، ثم يعذبهم عند عدم ذلك منهم ، ولله تعالى أن يعذب من شاء دون أن يكلفه وأن ينعم من شاء دون أن يكلفه[١٠١] كما رزق من يشاء العقل وحرمه الجماد والحجارة[١٠٢] وسائر الحيوان ، وجعل عيسى بن مريم عليهما السلام نبيًا فى المهد عند ولادته ، وشدّ على قلب فرعون فلم يؤمن ، قال تعالى : « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ[١٠٣] » .

---

(٩١) فى (أ) : (للآلات) ولم يذكر كلمة (بعدم) .
(٩٢) فى (أ) : لم يذكر كلمة (وجه) .
(٩٣) فى (أ) : سقطت كلمة (بل) .
(٩٤) لم يذكر كلمة (يستطيع) .
(٩٥) فى (أ) : (ولا) .
(٩٦) فى (أ) : (إن هذا) .
(٩٧) فى (أ) : (أو) .
(٩٨) فى (أ) : « لأن » .
(٩٩) فى (أ) : « ولولا » .
(١٠٠) سورة الحج : ٧٨ .
(١٠١) فى (خ) : لم يذكر : « وأن ينعم شاء دون أن يكلفه » .
(١٠٢) فى (خ) : سقطت كلمة (العقل وحرمه الجماد والحجارة) وذكر ، « ومنعه الحمير والدواب » .
(١٠٣) سورة الأنبياء : ٢٣ .

وليس فى بداية العقل[١٠٤] حسن ولا قبيح بعينه[١٠٥] ألبتة .

وقالت المعتزلة : متى أعطى الإنسان الاستطاعة قبل[١٠٦] وجود الفعل فإن كان قبل وجود الفعل قالوا : فهذا قولنا ، وإن كان حين[١٠٧] وجود الفعل ، فما حاجتنا إليه ؟

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : إن الاستطاعة قسمان كما قلنا :

فأحدهما : قبل الفعل ، ومع الفعل[١٠٨]، وهو صحة[١٠٩] الجوارح وارتفاع الموانع .

والآخر : مع الفعل : وهو العون والخذلان اللذان بهما يقع الفعل[١١٠]، ولولاهما لم يقع كما قال الله تعالى ، ولو كانت الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل[١١١] ولابد ، ولا تكون مع الفعل أصلاً[١١٢] كما زعم أبو الهذيل[١١٣] لكان الفاعل إذا فعل عديم الاستطاعة ، وفاعلاً فعلاً لا استطاعة له على فعله حين فعله ، وإذ لا استطاعة له عليه فهو عاجز عنه ، فهو فاعل عاجز عما يفعل معًا ، وهذا تناقض ومحال بين .

قال أبو محمد :

ولهم إلزامات سخيفة هى لازمة[١١٤] لهم ، كما تلزم غيرهم سواء سواء[١١٥]، منها قولهم : متى أحرقت النار العود أفى حال سلامته وهو محرق[١١٦] ؟ فإن كانت أحرقته فى حالة سلامته فهو إذن محرق غير محرق .

وإن كانت أحرقته وهو محروق فما الذى أحرقت[١١٧] فيه ، وسؤالهم[١١٨] متى كسر المرء[١١٩] العود ؟ أكسره وهو صحيح ؟ فهو إذن مكسور صحيح ؟ أو كسره وهو مكسور ؟ فما الذى

---

(١٠٤) فى (أ) : العقول .
(١٠٥) فى (أ) : لعينه .
(١٠٦) فى (أ) : (أقبل) وهو تحريف .
(١٠٧) فى (خ) : سقط الكلام الذى بين القوسين [ ] .
(١٠٨) فى (أ) : سقط (ومع الفعل) .
(١٠٩) فى (أ) : (سلامة) .
(١١٠) فى (أ) : (وهو خلق الله للفعل فى فاعله) .
(١١١) فى (خ) : سقطت كلمة (العقل) .
(١١٢) فى (خ) : سقطت كلمة (أصلاً) .
(١١٣) سبقت ترجمته ص ٣٧ .
(١١٤) فى (خ) : سقطت كلمة (لازمة) .
(١١٥) فى (أ) : سواء بسواء .
(١١٦) فى (أ) : (غير محترق) وهذا تحريف .
(١١٧) فى (أ) : (وفعلت) .
(١١٨) فى (أ) : وكسؤالهم .
(١١٩) فى (خ) : لم يذكر كلمة (المرء) .

حدث فيه ؟ وكسؤالهم : متى أعتق المرء عبده فى حال رقه فهو حر عبد معاً ، أو فى حال عتقه ، فأى معنى لعتقه إياه ؟ ومتى طلق المرء زوجته ؟ أطلقها وهى غير مطلقة ؟ فهى مطلقة[١٢٠] غير مطلقة معاً ؟ أم طلقها وهى مطلقة ، فما الذى أثر فيها طلاقه ؟ ومتى مات المرء أفى حياته أم مات وهو ميت ؟ ومثل هذا كثير .

قال أبو محمد :

وهذه كلها سفسطة مجردة ، وسؤالات سخيفة مموهة ، والحق فيها أن تفريق النار أجزاء العود[١٢١] هو المسمى إحراقاً ، وليس الإحراق شيئاً غير ذلك ، وقولهم هل أحرقته وهو محرق تخليط ، لأن [ابتداء الإحراق هو[١٢٢] ابتداء زوال ، لأن لا إحراق ولا كسر ثم كذلك فى سائر ما قلنا . وهذه الأسئلة] فيها إيهام أن الاحراق غير الإحراق ، وهذه سخافة .

وكذلك كسر العود إنما هو إخراجه عن حال الصحة ، والكسر نفسه ، هو حال العود حينئذٍ ، وكذلك إخراج العبد من الرق إلى العتق هو عتقه ولا مزيد ، ليست له حال أخرى .

وكذلك خروج المرأة من الزوجية إلى الطلاق : هو تطليقها نفسه .

وكذلك فراق الروح الجسد هو الإماتة ، وهو الموت نفسه ولا مزيد ليست ها هنا حالة أخرى وقع فيها ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

---

(١٢٠) فى (أ) : لا مطلقة .

(١٢١) فى (أ) : أجزاء ما عملت فيه .

(١٢٢) فى (أ) : سقط ما بين القوسين [ ]

الكلام فى أن تمام الاستطاعة لا يكون إلا مع الفعل لا قبله

قال أبو محمد :

يقال لمن قال : إن الاستطاعة كلها ليست إلا قبل الفعل ، أو[1] أنها قبل الفعل بتمامها ، وتكون أيضاً مع الفعل ، أخبرونا عن الكافر هل يقدر قبل أن يؤمن فى حال[2] كفره على الإيمان قدرة تامة أم لا ؟ وعن تارك الصلاة هل يقدر قدرة تامة على الصلاة فى حال تركه لها[3]، وعن الزانى هل يقدر عليه[4] فى حال زناه على ترك الزنى بأن لا يكون منه الزنا أصلًا أم لا .. ؟

وبالجملة فالأوامر كلها إنما هى أمر بحركة أو أمر بسكون ، أو أمر باعتقاد إثبات شىء ما أو أمر باعتقاد إبطال شىء ، وهذا كله يجمعه فعل أو ترك ، فأخبرونا هل يقدر الساكن المأمور بالحركة على الحركة[5] فى حال السكون .. ؟ وهل[6] يقدر المتحرك المأمور بالسكون على السكون فى حال الحركة .. ؟

وهو مأمور باعتقادات إثباته هل يقدر فى حال اعتقاد إثباته على[7] على اعتقاد ابطاله أو بالعكس ، وعن معتقد إثبات شىء ما وهو مأمور باعتقاد إبطاله ، هل يقدر فى حال اعتقاده إثباته على اعتقاد إبطاله أم لا[8].. ؟

وعن المأمور بالترك وهو فاعل ما أمر بتركه ، أيقدر على تركه فى حال فعله ..؟ فيكون فاعلًا لشىء تاركاً لذلك الشىء معاً أم لا .. ؟

---

(١) فى (أ) : (وأنها) .

(٢) فى (خ) : سقطت كلمة (حال) .

(٣) فى (أ) : سقطت كلمة : لها .

(٤) فى (أ) : سقطت كلمة : عليه .

(٥) فى (أ) : سقطت كلمة : فى .

(٦) فى (أ) : (أو) بدلًا من (وهل) .

(٧) فى (أ) : سقطت كلمة (ثباته على اعتقاد) فأدى هذا إلى اضطراب المعنى وتفكك العبارة .

(٨) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : وعن معتقد إثبات شىء ما وهو مأمور باعتقاد إبطاله إلى أم لا .. ؟

فإن قالوا : نعم هو قادر على ذلك كابروا العيان ، وخالفوا المعقول والحس ، وأجازوا كل طامّة من كون المرء قائماً قاعداً مؤمناً[٩] كافراً معاً وهذا أعظم ما يكون من المحال الممتنع .

وإن قالوا : إنه لا يقدر على ذلك[١٠] قدرة تامة يكون بها الفاعل[١١] لشيء هو فاعل لخِلافه[١٢]، قالوا الحق ورجعوا إلى أنه لا يستطيع أحد استطاعة تامة يقع بها الفعل إلا حتى يفعله ، وكل هذا[١٣] حق ، وكل جواب أجابوا به[١٤] ها هنا فإنما هو إيهام ، ولَواذٌ ومدافعه بالراح ، لأنه إلزام ضرورى حسى متيقن لا محيد عنه ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

فإن قالوا : لسنا نقول إنه يقدر على أن يجمع بين الفعلين المتضادين معاً ، ولكنا قلنا إنه قادر على أن يترك ما هو فيه ويفعل ما أمر به .

قيل لهم : هذا هو[١٦] نفسه الذى أردنا منكم وهو أنه لا يقدر قدرة تامة ، ولا يستطيع استطاعة تامة على فعلٍ ما دام فاعلًا لما يمانعه ، فإذا ترك[١٧] كل ذلك وشرع فيما أمر به ، فحينئذٍ تمت قدرته واستطاعته ، لابد من ذلك ، وهذا هو نفسه ما موَّهوا به فى سؤالهم لنا : هل أمر الله تعالى العبد بما يستطيع قبل أن يفعله أم بما لا يستطيع حتى يفعله .. ؟

وهذا لازم لهم ؛ لأنهم شنعوه وعظموه فلما ألزموه[١٨] أنكروه ، ونحن لا ننكره ولا نرى ذلك إلزاماً صحيحاً فقبحه[١٩] عائد عليهم ، وإنما يلزم الشيء لمن صححه[٢٠] ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وقد أجاب فى هذه المسألة عبد الله بن أحمد بن محمود الكَعْبِىّ البَلْخِي ؛

---

(٩) فى (أ) : (ومؤمنا بالله كافرا به معا) .
(١٠) فى (أ) : سقط قوله (على ذلك) .
(١١) فى (خ) : (الفعل على شيء) .
(١٢) فى (خ) : (بخلافه) .
(١٣) فى (أ) : سقط قوله : (وكل هذا حق) .
(١٤) فى (خ) : سقطت كلمة (به) .
(١٥) فى (خ) : (بين النقيضين) .
(١٦) فى (خ) : سقطت كلمة (هو) .
(١٧) فى (خ) : (أدرك) .
(١٨) فى (أ) : سقط قوله (فلما ألزموه) .
(١٩) فى (خ) : (بقبحه) .
(٢٠) فى (أ) : (من يصححه) .

أحد رؤساء المعتزلة القائلين بالأصلح ، بأن قال : إنا لا نختلف بأن الله تعالى قادر على تسكين المتحرك وتحريك الساكن ، وليس يوصف بالقدرة على أنه[٢٢] يجعله ساكنا متحركاً معاً .

قال أبو محمد : وليس كما قال الجاهل الملحد فيما وصف به الله تعالى ، بل هو قادر على أن يجعل الشيء ساكناً متحركاً معاً فى وقت واحد من وجهٍ واحد ، ولكن كلام البلخى هذا لازم لمن التزم هذه الكفرة الصلعاء[٢٣]، من أن الله عز وجل لا يوصف بالقدرة على المحال ، [وهذه طائفة مُعَجِّزة لله تعالى ، إلا أنها أدغمت قبيح قولها بأن قالت : لا يوصف بالقدرة على المحال[٢٤]] .

ويقال لهم : لمَ لا يوصف بالقدرة على ذلك[٢٥] ألأن له قدرة على ذلك ؟ ولا يوصف بها ، أم لأنه[٢٦] لا قدرة له على ذلك ؟ ولا محيد لهم عن هذا[٢٧]. وهذه طائفة جعلت قدرة ربها تعالى متناهية ، بل قطعوا بأنه تعالى لا يقدر على الشيء حتى يفعله ، وهذا كفر مجرد لا خفاء به ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : ويقال للمعتزلة أيضاً أنتم تقرون[٢٨] معنا بأن الله عز وجل لم يزل عليماً بأن كل[٢٩] كائن فإنه سيكون على ما هو عليه إذا كان ولم يزل الله تعالى عليماً[٣٠]، بأن فلاناً سيطأ فلانة فى وقت كذا فتحمل منه بولد يخلقه الله تعالى من منيّهما الخارج منهما عند جماعه إياها ، وأنه يعيش ثمانين سنة ، ويملك ويفعل ويصنع ، فإذا قلتم : إن ذلك الفلان يقدر قدرة[٣١] تامة على ترك[٣٢] الوطء الذى لم يزل الله تعالى يعلم أنه سيكون ، وأنه يخلق منه ذلك الولد ، فقد قطعتم بأنه قادر على أن يمنع الله تعالى من خلق ما قد علم أنه سيخلقه ، وأنه قادر قدرة تامة على إبطال علم الله تعالى وهذا كفر ممن أجازه .

---

(٢١) هو : عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى من بنى كعب البلخى الخرسانى ، أبو القاسم أحد أئمة المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى الكعبية ، وله آراء ومقالات فى الكلام انفرد بها ، أقام ببغداد مدة طويلة ، وتوفى ببلخ . قال الخطيب البغدادى : صنف كتبا كثيرة ، وانتشرت فى بغداد ، وقال السمعانى : من مقالته « إن الله تعالى ليس له إرادة ، وأن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة » (الأعلام : ٢٤٩/٣) .

(٢٢) فى (أ) : (أن تجعله) .

(٢٣) فى (خ) : (المصلعا) وهو تحريف .

(٢٤) فى (أ) : سقط ما بين القوسين [ ] .

(٢٥) فى (خ) : (لأن) بدون همزة الاستفهام .

(٢٦) فى (ح) : سقطت كلمة (لأنه) .

(٢٧) فى (خ) : سقطت كلمة (لأنه) .

(٢٨) فى (خ) : سقطت كلمة (ولا محيد لهم عن هذا) .

(٢٨) فى (أ) : بزيادة (أيضاً) .

(٢٩) فى (خ) : (بائن) بدلًا من (بأن يأكل) .

(٣٠) فى (أ) : (يعلم) .

(٣١) فى (خ) : (قوة) .

(٣٢) فى (أ) : (ذلك الوطء) .

فإن قال قائل فإنكم أنتم تطلقون أن المرء مستطيع قبل الفعل لصحة جوارحه فهذا يلزمكم . قلنا : هذا[٣٣] لا يلزمنا لأننا لم نطلق أن له قدرة تامة على ذلك أصلًا ، بل قلنا إنه لا يقدر على ذلك قدرة تامة ألبتة[٣٤]، ومعنى قولنا إنه مستطيع بصحة جوارحه أى أنه[٣٥] متوهَّم منه ذلك لو كان ، ونحن لم نطلق الاستطاعة إلا على هذا الوجه حيث أطلقها الله تعالى .

فإن قالوا : إن الله تعالى قادر على كل[٣٦] ذلك ، ولا يوصف بالقدرة على فسخ علمه الذى لم يزل ، قلنا : وهذا أيضاً[٣٧] مما تكلمنا فيه آنفاً بل الله تعالى قادر على كل[٣٨] دلك ، بخلاف خلقه . على ما قد مضى كلامنا فيه وبالله تعالى التوفيق .

وقد نص الله تعالى عل ما قلنا بقوله عز وجل : « وَسَيَحْلِفُون بالله لَو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهم والله يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ »[٣٩].

إلى قوله : « وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأعدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهِ الله انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِين »[٤٠].

فأكذبهم الله عز وجل في نفيهم عن أنفسهم الاستطاعة التى هى صحة الجوارح وارتفاع الموانع ، ثم نص تعالى على أنه قادر « اقعدوا مع القاعدين » .

ولا يكون هذا إلا[٤١] أمر تكوين لا أمراً بالقعود ، لأنه تعالى ساخط عليهم لقعودهم ، وقد نص الله تعالى على أنه « إِنَّمَا أَمْرُه إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنَ يَقولَ له كُنْ فيكُون »[٤٢].

فقد ثبت يقيناً أنهم مستطيعون بظاهر الأمر بالصحة فى االجوارح ، وارتفاع الموانع ، وأن الله تعالى كوّن فيهم قعودهم فبطل أن تتم استطاعتهم ، بخلاف فعلهم الذى ظهر منهم ، وقال عز وجل : « مَنْ يَهْدِ الله فَهُو الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ له وَلِيّاً مُرْشِداً »[٤٣].

فبين عزّ وجل بياناً جلياً أن من أعطاه الهدى اهتدى ، ومن أضله فلا يهتدى ، فصح يقينا

---

(٣٣) فى (خ) : سقطت كلمة (هذا) .
(٣٤) فى (خ) : سقط : (على ذلك أصلًا ، بل قلنا : إنه لا يقدر على ذلك قدرة تامة) .
(٣٥) فى (خ) : سقطت كلمة (أنه) .
(٣٦) فى (خ) : سقطت كلمة (كل) .
(٣٧) فى (خ) : سقطت كلمة (أيضاً) .
(٣٨) فى (خ) : سقطت كلمة (كل) .
(٣٩) سورة التوبة : ٤٢ .
(٤٠) سورة التوبة : ٤٦ .
(٤١) فى (أ) : (وهذا أمر تكوين) وقد حذف النفى والاستثناء .
(٤٢) سورة يس : ٨٢ .
(٤٣) سورة الكهف : ١٧

أن بوقوع الهدى له من الله تعالى وهو التوفيق يفعل العبد مايكون به مهتدياً ، وأنّ بوقوع الإضلال من الله تعالى ، وهو الخذلان ، وخلق ضلال العبد يفعل المرء ما يكون به[٤٤] ضلالًا .

فإن قال قائل : معنى هذا أن[٤٥] من سماه الله تعالى مهتدياً ، ومن سماه ضلالًا[٤٦] قيل له هذا . قلنا له هذا باطل لأن الله تعالى نص على أن من أضلَّه الله فلن تجد له وليا مرشداً فلو أراد الله عز وجل التسمية[٤٧] كما زعمتم ، لكان هذا القول منه عز وجل كذباً ، لأن كل ضال فله أولياء على ضلاله يُسمونه مهتدياً وراشداً ، وحاشا لله من هذا[٤٨] الكذب ، فبطل تأويلهم الفاسد ، وصح قولنا والحمد لله رب العالمين .

* * *

قال أبو محمد :

وقال تعالى مخبراً عن الخضر عليه السلام الذى آتاه الله عز وجل العلم والحكم والنبوة ، حاكياً عن موسى ﷺ وفتاه : « فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاه مِنْ لَدُنَّا عِلْماً »[٤٩] .

وقال تعالى : مخبرا عنه ومصدق له[٥٠]: « وَمَا فَعَلْتُه عَنْ أَمْرِي »[٥١].

فصحّ أن كل ما قال الخضر عليه السلام فمن وحى الله تعالى ، ثم أخبر عز وجل بأن الخضر قال لموسى ﷺ : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعَىَ صَبْرًا[٥٢]» .

فلم ينكر الله عز وجل على كلامه ذلك ولا أنكره موسى عليه السلام ولكن أجابه بأن قال : « سَتَجِدُنى إِنْ شَاءَ الله صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا[٥٣]» .

فلم يقّل له موسى عليه السلام : إنى مستطيع للصبر ، بل صدق قوله فى ذلك إذ أقره ولم ينكره ، ورجا أن يحدث[٥٤] الله تعالى له استطاعة على الصبر فيصبر ، فلم ينكر ذلك موسى عليه

(٤٤) فى (أ) : (به ضلالا) .
(٤٥) فى (أ) : سقط كلمة (أن) .
(٤٦) فى (أ) : ضلالًا .
(٤٧) فى (أ) : (تسميته) .
(٤٨) فى (أ) : سقط كلمة (هذا) .
(٤٩) سورة الكهف : ٦٥ .
(٥٠) فى (أ) : (ومصدقا عنه) .
(٥١) سورة الكهف : ٨٢ .
(٥٢) سورة الكهف : ٦٧ ، ٧٢ .
(٥٣) سورة الكهف : ٦٩ .
(٥٤) فى (أ) : (يجد) .

السلام[٥٥] ، ولم يوجب موسى عليه السلام أيضًا لنفسه إلا أن يشاء الله ثم كره الخضر عليه السلام بعد ذلك مرات أنه غير مستطيع للصبر إذْ لم يصبر ، فهذه شهادة ثلاثة أنبياء محمد وموسى والخضر صلوات الله عليهم ، وأكبر من شهادتهم شهادة الله تعالى بتصديقهم فى ذلك إذ قصه[٥٦] تعالى غير منكر له ، بل مصدقًا لهم وهذا لا يرده إلا مخذول .

وقال عز وجل : « وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فى غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِى وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُون سَمْعًا[٥٧]» .

فنص تعالى نصًا جليًا على أنهم ما كانوا[٥٨] يستطيعون السمع الذى أمروا به ، وأنهم مع ذلك كانت أعينهم فى غطاء عن ذكر الله عز وجل ، ومع ذلك استحقوا عليه[٥٩] جهنم ، وكانوا فى ظاهر الأمر مستطيعين بصحة جوارحهم ، وهذا نص قولنا بلا تكلف والحمد لله رب العالمين على هداه لنا وتوفيقه إيانا ، لا إله إلا هو إذ يقول تعالى : وقال الظالمون « إنْ تَتَّبعونَ إلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ، انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فلا يَسْطِيعُونَ سَبِيلًا[٦٠]» .

فنفى الله عز وجل عنهم استطاعة شيء من السبل غير سبيل الضلال وحده ، وهذا كفاية لمن عقل .

وقال الله تعالى « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلَّا بإِذْنِ الله[٦١]» .

فنص الله تعالى على أن من لم يأذن له فى الإيمان لم يؤمن ، وأن من أذن له فى الإيمان آمن ، وهذا الإذن هو التوفيق الذى ذكرنا ، فيكون به الإيمان ولابدّ ، وعدم الإذن هو الخذلان الذى ذكرنا نعوذ بالله تعالى منه .

وقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام ومصدقا[٦٢]: « وَإلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِن الْجَاهِلِين فاسْتَجابَ له رَبُّه فَصَرَفَ عَنْه كَيْدَهُنَّ إنَّه هُو السَّمِيعُ العَلِيم[٦٣]» .

---

(٥٥) جاءت هذه الجملة فى (أ) بعد أن كرر الخضر عليه السلام ذلك مرات ...
(٥٦) فى (أ) : (إذ قد نصه) .
(٥٧) سورة الكهف : ١٠٠ ، ١٠١ .
(٥٨) فى (أ) : كانوا لا يستطيعون .
(٥٩) فى (أ) : على ذلك .
(٦٠) سورة الفرقان : ٨ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .
(٦١) سورة يونس : ١٠٠ .
(٦٢) فى (خ) : لم يذكر كلمة (ومصدقا له) .
(٦٣) سورة يوسف : ٣٣ ، ٣٤ .

فنص على أن رسوله ﷺ ، إن لم يعنه بصرف الكيد عنه صبا ، وجهل ، وأنه تعالى صرف عنه الكيد فسلم ، وهذا نص جليّ على أنه إذا وفقه اعتصم واهتدى .

وقال تعالى حاكيًا عن إبراهيم خليله ورسوله ﷺ ومصدقا له :
« لَئِنْ لم يَهْدِنى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِن الْقَوْمِ الضَّالِّين(٦٤) » .

فهذا نص جليّ على أن من أعطاه الله تعالى قوة الإيمان آمن واهتدى ، ومن(٦٥) منعه تلك القوة كان من الضالّين ، وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين .

وقال تعالى : « واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا باللهِ(٦٦) » .

فنص تعالى على أنه أمره بالصبر ثم أخبره أنه لا صبر له إلا بعون الله عز وجل ، وإذا أعانه بالصَّبر صبر .

وقال تعالى : « إنْ تَحْرِص عَلَى هُداهُم فإنَّ اللهَ لَا يَهْدِى مَنْ يُضِل(٦٧) » .

وهذا نص جلى على أن من أضلَّه الله تعالى بالخذلان(٦٨) فلا يكون مهتديًا .

وقال تعالى : « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَك وبَيْنَ الَّذينَ لا يُؤمنونَ بالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وجَعَلْنَا عَلَى قُلوبِهم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وفى آذَانِهم وَقْرًا(٦٩) » .

فهذا نص جليّ(٧٠) لا إشكال فيه على أن الله تعالى خذلهم(٧١) ومنعهم أن يفقهوه .

فإن قال قائل : إنما قال تعالى إنه يفعل ذلك بالذين لا يؤمنون ، وكذلك(٧٢) قال تعالى « وَمَا يُضلُّ بِه إلا الفَاسِقين(٧٣) » و« كذلك يَطْبَعُ الله عَلَى قُلوبِ الكَافِرين(٧٤) » .

قيل له وبالله تعالى التوفيق ، لو صح لك هذا التأويل لكان حجة عليك لأنه تعالى قد منعهم التوفيق وسلَّط عليهم الخذلان وأضلهم وطبع على قلوبهم ، فاجعله كيف شئت فكيف وليس

---

(٦٤) سورة الأنعام : ٧٧ .
(٦٥) فى (أ) : (وأن من) .
(٦٦) سورة النحل : ١٢٧ .
(٦٧) سورة النحل : ٣٧ .
(٦٨) فى (أ) : بالخذلان له .
(٦٩) سورة الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ .
(٧٠) فى (خ) : (على ألا) .
(٧١) فى (أ) : لم يذكر كلمة (خذلهم) .
(٧٢) فى (أ) : ولذلك .
(٧٣) سورة البقرة : ٢٦ .
(٧٤) سورة الأعراف : ١٠١ .

ذلك على ما تأولت ، ولكن الآيات على[٧٥] ظواهرها وعلى ما يقتضيه لفظها دون تكلف ، وهو أن الله تعالى : لما أضلهم صاروا ضالين فاسقين حين أضلهم لا قبل أن يضلهم ، وكذلك إنما صاروا[٧٦] لا يؤمنون حين جعل بينهم وبين نبيهم ﷺ حجابًا[٧٧] مستورًا ، وحين جعل على قلوبهم الأكنة[٧٨]، وفى آذانهم الوقر ، لا قبل ذلك ، وإنما صاروا كافرين حين طبع على قلوبهم لا قبل ذلك ، وقال تعالى : « وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا[٧٩]» .

فنص تعالى على أنه لولا أن[٨٠] ثبت نبيه ﷺ بالتوفيق لركن إليهم ، فإنما ثبت[٨١] رسول الله ﷺ ، حين ثبته ربه تعالى[٨٢] لا قبل ذلك ، ولو لم يعطه التثبت وخذله لركن إليهم ، وضلّ واستحق العذاب على ذلك ، ضعف الحياة وضعف الممات ، فتبًّا لكل مخذول يظن فى نفسه أنه مستغن عن ما افتقر إليه محمد ﷺ ، من توفيق الله تعالى وتثبته وأنه قد استوفى من الهدى ما لا مزيد فيه[٨٣]، وأنه ليس عند ربه أفضل مما أعطاه بعد ولا أكثر ، وقد أمرنا تعالى أن نقول : « إياكَ نَعْبدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين ، اهْدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعمتَ عَلَيْهِمِ غير الْمغَضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّين » .

فنص على أمرنا بطلب العون منه ، وهذا نصّ قولنا والحمد لله رب العالمين ، فلو لم يكن هاهنا عون خاص ، من آتاه الله تعالى[٨٤] اهتدى ومن حرمه إياه وخذله[٨٥] ضل ، لما كان لهذا الدعاء معنىً ، لأن الناس كانوا كلهم يكونون معانين منعما[٨٦] عليهم ، مهديين[٨٧] غير معذبين[٨٨]، وهذا خلاف[٨٩] النص المذكور ، وقال تعالى : « خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم[٩٠]» .

---

(٧٥) فى (أ) : سقطت كلمة (على) .
(٧٦) فى (خ) : سقط الكلام من : (ضالين إلى صاروا) .
(٧٧) فى (أ) : جاءت العبارة هكذا : (حين جعل بينهم وبينه حجابا) .
(٧٨) فى (أ) : (أكنة) .
(٧٩) سورة الإسراء : ٧٤ .
(٨٠) فى (خ) : لم يذكر (أن) .
(٨١) فى (أ) : (يثبت) .
(٨٢) فى (أ) : الله عز وجل .
(٨٣) فى (أ) : (عليه) .
(٨٤) فى (أ) : (إياه) .
(٨٥) فى (خ) : لم يذكر (وخذله) .
(٨٦) فى (خ) : لم يذكر (منعما) .
(٨٧) فى (خ) : لم يذكر (مهديين) .
(٨٨) فى (أ) : لم يذكر (غير معذبين) .
(٨٩) فى (أ) : (بخلاف) .
(٩٠) سورة البقرة : ٧ .

فنص على أنه ختم على قلوب الكافرين ، وأن على سمعهم وعلى[٩١] أبصارهم غشاوة جائلة بينهم وبين قبول[٩٢] الحق ، فمن هو الجاعل هذه الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم إلا الذى ختم على قلوبهم جلَّ وعلا ، وهذا هو الخذلان الذى ذكرنا . نعوذ[٩٣] بالله منه ، وهذا نص جلى[٩٤] أنهم لا يستطيعون الإيمان مادام ذلك الختم على قلوبهم ، والغشاوة على سمعهم وأبصارهم ، فلو أزالها تعالى لآمنوا إلا أن يعجزوا ربهم تعالى عن إزالة ذلك فهذا خروج عن الإسلام ، وقال تعالى : « وَلَوْلَا فَضْلُ الله عليكم وَرَحْمَتُه لَا تَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَليلًا[٩٥]» .

فنص تعالى كما ترى على أنه من لم يتفضل عليه ، ولم يرحمه اتبع الشيطان ضرورة ، فصح أن التوفيق به يكون الإيمان ، وأن الخذلان به يكون الكفر والعصيان ، وهو اتّباع الشيطان ، ومعنى قوله : « إلا قليلًا » إنما هو على ظاهره وهو استثناء من المنعم عليهم المرحومين الذين لم يتبعوا الشيطان برحمته تعالى عليهم[٩٦]، أى لا اتبعتم الشيطان إلا قليلًا لم يرحمهم الله تعالى ، فاتبعوا الشيطان ، فَلِمَ تَتبعون إذ رحمكم الله[٩٧]؟ وهذا نص ما قلنا[٩٨] ولله الحمد .

وقال تعالى : « فَما لكُمْ فى المنافِقِينَ فِئَتَيْنِ والله أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُو أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ الله وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَلَنْ تَجِد لَه سَبيلًا[٩٩]» .

وهذا نص ما قلنا : إن من أضله الله تعالى[١٠٠] فلا سبيل له إلى الهدى ، وأن الضلال وقع مع الإضلال من الله تعالى للكافر والفاسق .

وقال تعالى : « ذَلِكَ هُدَى الله يهدى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ[١٠١]» .

فأخبر تعالى أَنَّ عنده هدى يهدى به من يشاء من عباده فيكون مهتديًا ، وهذا تخصيص ظاهر كما ترى ، وقال تعالى : « فَمنْ يُرِد الله أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَه للإسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّه يَجْعَلْ صَدْرَهَ ضَيِّقًا حَرَجًا كأَنَّما يَصَّعَّدُ فى السَّماءِ[١٠٢]» .

---

(٩١) فى (أ) : سقطت (على) .
(٩٢) فى (أ) : (قول) .
(٩٣) فى (أ) : (ونعوذ) .
(٩٤) فى (أ) : لم يذكر كلمة (جلى) .
(٩٥) سورة النساء : ٨٣ .
(٩٦) فى (أ) : (لهم) .
(٩٧) جاءت العبارة مضطربة فى (أ) هكذا « فاتبعوا الشيطان إذ رحمكم أنتم فلم تتبعوه ؟ » .
(٩٨) فى (أ) : (فى قولنا) .
(٩٩) سورة السناء : ٨٨ .
(١٠٠) فى (أ) : (لا سبيل) .
(١٠١) سورة الأنعام : ٨٨ .
(١٠٢) سورة الأنعام : ١٢٥ .

فهذا نص على[١٠٣] ما قلناه وأن الله تعالى قد نص لنا على أن من أراد هداه شرح صدره للإسلام ؛ فآمن بلا شك ، وأن من أراد إضلاله[١٠٤] ولم يرد هداه ضيَّق صدره وأحرجه ، حتى يكون كمريد الصعود إلى السماء ، فهذا لا يؤمن ألبتة ، ولا يستطيع[١٠٥] الإيمان ، وأنه فى حقيقة أمره كمن كلف الصعود إلى السماء ، فهذا لا يؤمن ألبتة ، وهو فى ظاهر أمره[١٠٦] مستطيع بصحة جوارحه .

* * *

قال أبو محمد : إن الضال لمن ضل بعد ما ذكرنا من النصوص التى لا تحتمل تأويلًا ، ومن شهادة خمسة من الأنبياء عليهم السلام : إبراهيم[١٠٧] وموسى ويوسف[١٠٨] والخضر ومحمد[١٠٩] عليهم الصلاة والسلام ، لأنهم لا يستطيعون فعلًا لشيءٍ من الخير إلا بتوفيق الله تعالى لهم ، وأنهم إن لم يوفقهم ضلوا جميعًا مع ما أوردنا من البراهين الضرورية المعروفة بالحس وبديهة العقل ، ومن علم تراكيب الأخلاق الحميدة[١١٠] والمذمومة علم أنه لا يستطيع أحد غير ما يفعل مما خلقه الله عز وجل فيه ، فتجد الحافظ لا يقدر على تأخير الحفظ ، والبليد لا يقدر على الحفظ ، والفَهِم لا يقدر على الغباوة ، والغبى لا يستطيع ذكاء الفهم ، والحسود لا يقدر على ترك الحسد ، والنزيه النفس لا يقدر على الحسد ، والحريص لا يقدر على ترك الحرص ، والبخيل لا يقدر على البذل ، والجبان لا يقدر على الشجاعة ، والكذَّاب لا يقدر على ضبط نفسه من الكذب ، كذلك يوجدون من طفولتهم ، والسيء الخلق لا يقدر على الحلم ، والحيى لا يقدر على القِحَة ،

---

(١٠٣) فى (أ) : حذفت (على) .

(١٠٤) فى (أ) : (ضلاله) .

(١٠٥) فى (أ) : سقطت كلمة (الإيمان) .

(١٠٦) فى (أ) : سقط الكلام من قوله « وأنه فى حقيقة أمره إلى البته .

(١٠٧) فى (أ) : سقطت كلمة (أمره) .

(١٠٨) إبراهيم اسم أعجمى وفيه لغات : ابراهام ، وابراهوم ، وابراهيم ، وابراهيم والجنع أباره وأبارية وأبارهة ، وأكثر المحققين على هذا أنه اسم جامد غير مشتق وقال بعض المتكلفين : إنه اسم مركب من البراء والبُرء ، والبراءة ، وفى تاريخ دمشق ولد إبراهيم بغوطه دمشق بقرية يقال لها برزة ، والصحيح أنه ولد بكوثى من أرض العراق باقليم بابل ، إنما نسب إليه هذا لأنه أقام ببرزة ولأنه صلى فيه لما جاء معيناً للوط عليه السلام ، قال المؤرخون : هاجر إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام وبلغ عمره مائة وخمساً وسبعين سنة ، وقيل مائتى سنة ودفن بالأرض المقدسة .
بصائر ذوى التمييز جـ ٦ ص ٣٥

(١٠٩) يوسف اسم أعجمى غير منصرف لعلتين ، وقيل مشتق من الأسف ، وفى قصص الأنبياء للثعلبى قال كعب : قسم الجمال عشرة أجزاء ، تسعة منها ليوسف وواحد لجميع أولاد آدم ، وقال النبى – ﷺ – رأيت يوسف عليه السلام ليلة أسرى بى فى السماء الرابعة . فقيل : كيف رأيته .. ؟ قال : كالقمر ليلة البدر ، ولما قرأ ﷺ قوله : رب السجن أحب إلىَّ مما يدعونى إليه قال : رحم الله أخى يوسف هلا سأل الله العفو والعافية ، ولما قرأ قوله : (فاسأله ما بال النسوة اللاتى) قال « رحم الله يوسف لو كنت أنا لبادرت الباب » . بصائر ذوى التمييز جـ ٦

(١١٠) فى (خ) : لم يذكر (محمد) .

والوقاح[١١١] لا يقدر على الحياء ، والعيى لا يقدر على البيان ، والطيوش لا يقدر على الصبر والغضوب لا يقدر على الحلم[١١٢] والصبور لا يقدر على الطيش ، والحليم لا يقدر على الغضب ، والعزيز النفس لا يقدر على المهانة ، والمهين لا يقدر على عزة النفس ، وهكذا فى كل شيءٍ ، فصحَّ أنه لا يقدر أحد إلا على ما يقدر[١١٣]، مما جعل[١١٤] الله تعالى فيه من القوة على فعله ، وإن كان خلاف ذلك متوهما منهم بصحة البنية وعدم المانع[١١٥] حكمنا على الطبع لا على ما يتطبع[١١٦].

* * *

قال أبو محمد : والملائكة والحور العين ، والجن والإنس[١١٧] وجميع الحيوان فى الاستطاعة سواء كما ذكرنا ، ولا فرق بين شيء من[١١٨] ذلك كله[١١٩]، فقد خلق الله عز وجل فيهم الاستطاعة الظاهرة لصحة[١٢٠] الجوارح فيهم[١٢١]، ولا يكون منهم فعل إلا بعونٍ وارد من الله عز وجل ، إذا ورد كان الفعل منه[١٢٢] ولابد ، فقد خلق الله تعالى فيهم اختيارًا وإرادة ، وحركة ، وسكونًا ، هى أفعالهم لا غيرها[١٢٣]، فالملائكة وحور العين معصومون ، لم يخلق الله تعالى فيهم معصية أصلًا[١٢٤].

وأما الجن فكبنى آدم عليه السلام فى التوفيق والخذلان سواء سواء ، وأما سائر الحيوان فلا عبادة عليه ؛ لا طاعة ولا معصية[١٢٥].

وأما الذى يقدر على كل ما يفعل[١٢٦] ولم يزل قادرًا على كل ما يخطر على[١٢٧] القلب ؛ فهو

---

(١١١) فى (أ) : المحمودة .
(١١٢) فى (أ) : والوقح .
(١١٣) فى (خ) : سقط قوله (والغضوب لا يقدر على الحلم) .
(١١٤) فى (أ) : (يفعل) .
(١١٥) فى (ا) : (بما يتم) .
(١١٦) فى (خ) : لم يذكر (متوهما منهم بصحة النبية وعدم المانع) .
(١١٧) فى (أ) : لم يذكر (حكمنا على الطبع لا على ما يتطبع) .
(١١٨) فى (أ) : لم يذكر (والإنس) .
(١١٩) (فى) .
(١٢٠) فى (أ) : (وكلهم) .
(١٢١) فى (أ) : (بصحة) .
(١٢٢) فى (أ) : لم يذكر (فيهم) .
(١٢٣) فى (أ) : (معه) .
(١٢٤) فى (أ) : (على غيرها) .
(١٢٥) فى (أ) : (لا طاعة ولا معصية) .
(١٢٦) فى (أ) : سقط ما بين القوسين [ ] .
(١٢٧) لم يذكر (وما لايفعل) .

واحد لا شريك له وهو الله عز وجل ، « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِير[١٢٨] »
« وَلَمْ يَكُنْ له كُفُوًا أَحَدْ[١٢٩] » .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢٨) فى (أ) : (بالقلب) .
(١٢٩) سورة الشورى : ١١ .
(١٣٠) سورة الصمد : ٤ .

« الكلام فى الهدى والتوفيق »

قال أبو محمد : وهو متصل بالكلام فى الاستطاعة[1]— :

احتجت المعتزلة بقول الله عز وجل : « وأَمَّا ثَمودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحبُّوا الْعَمَى عَلَى الهُدَى[2]» .

وبقوله « إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيه فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصيرًا ، إنَّا هَدَيْنَاه السَّبِيلَ إمَّا شَاكِرًا وإمَّا كَفُورًا ، إنا أعتدنا لِلكافرين سلاسل وأَغلَالًا وَسَعِيرًا[3]» .

* * *

قال أبو محمد : وهذا حق وقد قال تعالى : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَن اعْبُدُوا الله واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهَمْ مَنْ هَدَى الله وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَليه الضَّلالَةُ[4]» .

فأخبر تعالى أن الذى هدى[5] بعض الناس لا كلهم ، وقال تعالى « إنْ تَحْرِصْ عِلَى هُدَاهُمْ فَإنَّ الله لَا يَهْدى مَن يُضل[6]» .

وهى قراءة مشهورة عن عاصم بفتح الياء من « يهدى » وكسر الدال . فأخبر تعالى أن فى الناس من لم يهده .

---

(١) فى (أ) : لم يذكر (وهو متصل بالكلام فى الاستطاعة) .

(٢) فصلت : ١٧ .

(٣) سورة الإنسان : ٢ - ٤ .

(٤) سورة النحل : ٣٦

(٥) فى (خ) : سقطت كلمة (هدى) .

(٦) النحل : ٣٧

وقال تعالى « يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِ كَثِيرًا[٧] » .

فأخبر تعالى أن الذى هدى غير الذى أضل فلم يهد . وقال تعالى : « مَنْ يَضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِىَ لَهُ[٨] » . فأخبر تعالى أن الذين أضل لم يهدهم وقال تعالى : « فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ[٩] » .

فأخبر تعالى أن الذين هدى غير الذين[١٠] أضل ، ومثل هذا كثيرا[١١] وكل هذا كلام الله عز وجل وكله حق ؛ ولا يتعارض[١٢]، ولا يبطل بعضه بعضًا .

وقال تعالى : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا[١٣] » .

فصح يقينًا أن كلَّ ما أوردنا من الآيات فكلها متفق لا يختلف[١٤]، فنظرنا فى الآيات المذكورة فوجدناها ظاهرة لائحة ، وهو أن الله تعالى أخبر أنه هدى ثمود فلم يهتدوا ، وهدى الناس كلَّهم السبيل ثم هم[١٥] بعد هذا « إما شَاكِرًا وإمَّا كَفُورًا » .

وأخبر تعالى فى الآيات[١٦] الأخر أنه هدى قومًا فاهتدوا ، ولم يهد آخرين . فلم يهتدوا ، فعلمنا ضرورة أن الهدى الذى أعطاه الله تعالى جميع الناس هو غير الذى أعطاه بعضهم ومنعه بعضهم فلم يعطهم إياه ، هذا أمر معلوم بضرورة العقل وبديهته ، فإذ لا شك فى ذلك فقد لاح الأمر وهو أن الهدى فى اللغة العربية من الأسماء المشتركة ، فهى[١٧] التى يقع الاسم منها[١٨] على مسميين مختلفين[١٩] بنوعهما فصاعدًا ، فالهدى يكون بمعنى الدلالة ؛ تقول هديت فلانًا الطريق ، بمعنى أريته إياه ، وأوقفته[٢٠] عليه ، وأعلمته إياه ، سواء سلكه أو تركه ، وتقول : فلان هادٍ

---

(٧) البقرة : ٢٦ . وهذه الآية سقطت من (أ) ، وكذلك سقط الكلام بعدها إلى قوله (وقال تعالى) .
(٨) الأعراف : ١٨٦
(٩) الأنعام : ١٢٥
(١٠) فى (أ) : الذى .
(١١) فى (خ) : سقطت كلمة (كثير) .
(١٢) فى (ح) : سقطت كلمة (كثير) .
(١٢) فى (أ) : (لا يتعارض) .
(١٣) النساء : ٨٢
(١٤) فى (أ) : (لا مختلف) .
(١٥) فى (ح) : (ثم هداهم) وهو تحريف .
(١٦) فى (خ) : سقطت كلمة (الآيات)
(١٧) فى (أ) : (وهى) .
(١٨) فى (خ) : لم تذكر كلمة (منها) .
(١٩) فى (خ) : (مسمين) ولم يذكر (مختلفين) .
(٢٠) فى (أ) : (ووقفته) .

للطريق[٢١]؛ أى هو[٢٢] دليل فيه ، فهذا هو الهدى الذى هدى الله تعالى ثمود وجميع الجن والملائكة ، وجميع الإنس كافرهم ومؤمنهم لأنه تعالى دلهم على الطاعات والمعاصى وعرفهم ما يسخط مما يرضى .

فهذا معنى ويكون الهدى بمعنى التوفيق والعون على الخير ، والتيسير له ، وخلقه لقبول الخير فى النفوس[٢٣]، فهذا هو[٢٤] الذى أعطاه الله عز وجل الملائكة كلهم ، والمهتدين من الإنس والجن ، ومنعه الكفار من الطائفتين والفاسقين فيما فسقوا فيه ، ولو أعطاهم إياه تعالى لما كفروا ولا فسقوا ، وبالله تعالى التوفيق .

ومما يبين قوله فى الآيات المذكورة : « إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وإِمَّا كَفُورًا[٢٥]

فيبين أن الذى هداهم له هو[٢٦] الطريق فقط ، وكذلك أيضًا قوله تعالى : « أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَين وَلِسَانًا وشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن[٢٧]» .

فهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين .

وكذلك قوله تعالى : « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ولكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّى لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّم مِنَ الْجِنَّة والنَّاسِ أَجْمَعِين[٢٨]» .

وقوله « وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى[٢٩]» .

وهذا بلا شك غير ما هدى جميعهم عليه من الدلالة والتبيين للحق من الباطل[٣٠] .

قال أبو محمد : وقوله تعالى « إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيهُمْ طَرِيقًا إلا طَرِيق جَهَنَّم[٣١]» .

قال أبو محمد : وهذا[٣٢] نص جلى على ما قلنا ، وبيان جلى[٣٣] أن الدلالة لهم على طريق

---

(٢١) فى (أ) : (بالطريق) .
(٢٢) فى (أ) : سقطت كلمة (هو) .
(٢٣) فى (خ) : سقطت (فى النفوس) .
(٢٤) فى (خ) : سقطت كلمة (هو) .
(٢٥) سورة الإنسان : ٣
(٢٦) فى (أ) : (فهو) .
(٢٧) سورة البلد : ٨ – ١٠
(٢٨) السجدة : ١٣
(٢٩) الأنعام : ٣٥
(٣٠) جاءت هذه العبارة فى (خ) هكذا : (غير ما هدى جميعهم عليه من الملائكة والنبيين للحق ..) .
(٣١) النساء : ١٦٨
(٣٢) فى (أ) : (فهذا) .
(٣٣) فى (أ) : لم يذكر (جلى) .

جهنم يحملون[٣٤] إليها ، فهذا هو الهدى لهم إلى تلك الطريق ، ونفى عنهم فى الآخرة هدى إلى شيء من الطرق[٣٥] إلا طريق جهنم نعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وقال بعض من يتعسف القول بغير[٣٦] علم : إن قول الله عز وجل : « وَأَمَّا ثَمودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فاستحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الهُدَى » .

وقوله « إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ » .

وقوله تعالى « وَهَدَيْنَاه النَّجدْيْنَ » .

إنما أراد تعالى بكلٍّ ذلك المؤمنين خاصة .

قال أبو محمد : وهذا باطل لوجهين :

أحدهما : تخصيص الآيات بلا برهان ، وما كان هكذا فهو باطل .

والثانى : أن نص الآيات يمنع من التخصيص ولابد ، وهو أن الله تعالى قال : « وأما ثَمودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبّوُا العَمَى عَلَى الهُدى » .

فرد تعالى الضمير فى « فاستحبوا العمى على الهدى » إلى المهديين أنفسهم ، فصح أن الذين هدوا لم يهتدوا[٣٧]، وأيضًا فإن الله تعالى قال لرسوله ﷺ : لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلكِنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشَاء[٣٨]» .

وقال تعالى : وإِنَّكَ لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله[٣٩] .

فصح يقينا أن الهدى الواجب على النبى ﷺ هو الدلالة وتعليم الدين وهو غير الهدى الذى ليس هو[٤٠] عليه ، وإنما هو لله تعالى وحده فإن ذكر ذاكر قول الله عزّ وجل : « وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْاوَهُمْ مُعْرِضُونَ[٤١]» .

فليس هذا على ما ظنه من لا ينعم النظر ، من أن الله وحده : لو أسمعهم لم يسمعوا

(٣٤) فى (أ) : (يحملون فيه إليها هدى لهم) وهى عبارة مضطربة .
(٣٥) فى (خ) : (الطريق) .
(٣٦) فى (أ) : (بلا علم) .
(٣٧) فى (خ) : سقط (فصح أن الذين هدوا لم يهتدوا) .
(٣٨) البقرة آية رقم ٢٧٢
(٣٩) الشورة آية : ٥٢ ، ٥٣
(٤٠) فى (خ) : لم يذكر (هو) .
(٤١) الأنفال : ٢٣

بذلك ، بل ظاهر الآية مبطل لهذا الظن ، لأن الله تعالى قال : « وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خيرًا لَأَسْمَعَهُمْ » .

فصح يقينا أن من علم الله فيهم خيرًا أسمعه ، وثبت أن فيه خيرًا ، ثم قال تعالى : « ولو أَسْمَعَهُم لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُون » .

فصح يقينا أنه أراد بلا شك : أنه لو أسمعهم لتولّوا عن الكفر ، وهم معرضون عنه . لا يجوز غير هذا أصلًا لأنه تعالى قد نص على أن إسماعه لا يكون إلا لمن علم فيه خيرًا ، ومن المحال الباطل أن يكون : من علم الله فيه خيرًا يتولى عن الخير ، ويعرض عنه[٤٢] فبطل ما حرفوا بظنونهم[٤٣] من كلام الله عز وجل ، وكذلك قوله تعالى : إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا » .

فانه تعالى قسم من هدى السبيل قسمين : كفورًا وشاكرًا[٤٤] .

فصح أن الكفور أيضًا هُدِى السبيل ، فبطل ما توهموه من الباطل ، ولله تعالى الحمد . وصح ما قلنا

---

(٤٢) الكلام الذى بين القوسين [ ] سقط من (خ) .

(٤٣) ف (خ) : لم يذكر (بظنونهم) .

(٤٤) ف (خ) : سقط ما بين القوسين [ ] .

« الكلام فى الإضلال »

قال أبو محمد : قد[1] تلونا من كلام الله تعالى فى هذا الباب الذى قبل هذا ؛ والباب الذى قبله متصلًا به نصوصًا كثيرة بأن الله تعالى أضل من شاء من خلقه ، وجعل صدورهم ضيقة حرجة ، فإن اعترضوا بقول الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا[2]: « وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا المجرِمُون[3]» .

فلا حجة لهم فى هذا[4] لوجوه :

أحدها : أنه قول الكفار[5] قد قالوا الكذب وحكى الله تعالى أنهم يقولون[6] حينئذ « والله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِين[7]» .

وقال تعالى : « انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُون[8]» .

فإن أبوا إلا الاحتجاج بقول الكفار فليجعلوه إلى جنب قول إبليس : « رَبِّ بما أَغْوَيْتَنى لأُزَيِّننَّ لَهم فى الأَرْضِ وَلَأُغْوِينَّهم أَجْمَعِين[9]» .

والوجه الثانى : أنا لا ننكر ضلال[10] المجرمين وإضلال إبليس لهم ، لكنه إضلال آخر غير[11] إضلال الله عز وجل لهم .

---

(١) فى (أ) : (وقد) .
(٢) فى (خ) : لم يذكر (أنهم قالوا) .
(٣) الشعراء : ٩٩
(٤) فى (أ) : (فى هذه الوجوه) وهو تحريف .
(٥) فى (أ) : (كنا) .
(٦) فى (أ) : سقط (أنهم يقولون) .
(٧) الأنعام : ٢٣ .
(٨) الأنعام : ٢٤ .
(٩) الحجر : ٣٩
(١٠) فى (أ) : (إضلال) .
(١١) فى (أ) : (ليس) .

والثالث : أنه لا عذر لأحد فى أن الله تعالى أضلَّه ، ولا لوم على الخالق تعالى فى ذلك ، وأما من أضل آخر ممن[١٢] دون الله تعالى فملوم ، وقد فسر الله تعالى إضلاله لمن يضل كيف هو وتفسيره[١٣] تعالى ذلك الإضلال أغنانا به عن تفسير الخلعاء العيّارين كالنظام[١٤] والعلاف وثمامة[١٥] وبشر بن المعتمر والجاحظ[١٦] والناشىء ، ومن[١٧] هنالك من الأحزاب ، ومن تبعهم من الجهال فبيّن تعالى فى نص القرآن أن إضلاله لمن أضل من عباده إنما هو أن يضيِّق صدره عن قبول الإيمان وأن يحْرجه حتى لا يرغب فى تفهمه والجنوح إليه ، ولا يصبر عليه ، ويُوَعِّر عليه الرجوع إلى الحق حتى يكون كأنه يكلف[١٨] فى ذلك الصعود إلى السماء .

وفسر ذلك أيضًا عز وجل فى آية أخرى قد تلوناها آنفًا بأنه يجعل اكنة على قلوب الكافرين ، تحول بين قلوبهم وبين تفهم القرآن والإصاغة إلى بيانه وهداه ، وأن يفقهوه ، وأنه تعالى جعل بينهم وبين قول[١٩] الرسول حجابًا مانعًا لهم من الهدى ، وفسَّره أيضًا بأنه ختم على قلوبهم وطبع عليها ، فامتنعوا بذلك عن[٢٠] وصول الهدى إليها .

وفسر تعالى إضلال من دونه[٢١]: إنه جعلهم أئمة يدعون إلى النار ، وفسر تعالى أيضا القوة التى أعطاها المؤمنين وحرمها الكافرين بأنها تثبت[٢٢] على قبول الحق ، وأنه تعالى شرح[٢٣] صدورهم لفهم الحق واعتقاده ، والعمل به ، وأنه صارف[٢٤] لكيد الشيطان وفتنته عنهم ، نسأل الله تعالى أن يمدنا بهذه العطية ؛ وأن يصرف عنا الإضلال بمنه[٢٥]، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ، فقد خاب وخسر

---

(١٢) (من) .

(١٣) فى (أ) : وفسر ... تفسيرًا أغنانا .

(١٤) هو : إبراهيم بن سيار بن هانىء البصرى ، أبو اسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، تبحر فى علوم الفلسفة واضطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين ، وانفرد بآراءٍ خاصة ، فاتبعته فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية نسبة إليه ، أمّا شهرته بالنظام فأشياعه يقولون : إنها من إجادته نظم الكلام ، وخصومه يقولون : إنه كان ينظم الخرز فى سوق البصرة . توفى عام ٢٣١ هـ (الأعلام : ٣٦/١) .

(١٥) هو : ثمامة بن أشرس أبو معن النميرى ، البصرى ، من كبار المعتزلة ، ومن رءوس الضلالة ، كان له اتصال بالرشيد ، ثم بالمأمون ، وكان ذانوادر وملح ، وأراد المأمون أن يستوزره ، فاستعفاه مات سنة ٢١٣ هـ (لسان الميزان : ٨٣/٢) .

(١٦) الجاحظ : هو عمرو بن بحر بن محبوب الليثى أبو عثمان الشهير بالجاحظ ، كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، ولد عام ١٦٣ هـ ، وكان مولده بالبصرة ، فلج فى آخر عمره ، وكان مشوه الخلقه ، ومات والكتاب على صدره قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، له تصانيف كثيرة ، منها : البخلاء ، والمحاسن والأضواء ، والبيان والتبين ، وكتاب الحيوان . وقد ألف أبو حيان التوحيدى كتابا فى أخباره أسماه تقريظ الجاحظ ، ولشفيق جبرى : الجاحظ معلم العقل والأدب . توفى بالبصرة عام ٢٥٥ هـ . (الأعلام : ٢٣٩/٥) .

(١٧) فى (أ) : (وما هنالك) .

(١٨) فى (أ) : يتكلف .

(١٩) فى (خ) : (قبُول) .

(٢٠) فى (أ) : (من) .

(٢١) فى (أ) : (فقال تعالى) .

(٢٢) فى (أ) : (تثبيت) .

(٢٣) فى (أ) : (يشرح) .

(٢٤) فى (أ) : (صرف) .

(٢٥) فى (خ) : لم يذكر (بمنه) .

من ظنَّ فى نفسه أنه قد استكمل الهدى(٢٦) حتى استغنى أن يزيده ربه توفيقًا وعصمة ، ولم يحتج إلى خالقه فى أن يصرف عنه فتنته ولا كيده ، لاسيما من جعل نفسه أقوى على ذلك من خالقه تعالى(٢٧)، ولم يجعل عند خالقه قوة يصرف بها عنه كيد الشيطان نعوذ بالله مما امتحنهم به ، ونبرأ إلى الله خالقنا من الحول والقوة كلها إلا ما أتانا منها متفضلًا علينا ، وأن(٢٨) كلَّ ما فى(٢٩) القرآن من إضلال الشيطان(٣٠) للناس وإنسائه إياهم ذكر الله تعالى ، وتزيينه لهم ، ووسوسته ، وفعل بعض الناس ببعض فصحيح كما جاء فى القرآن دون تكلف ، وهذا كله إلقاء لما ذكرنا فى قلوب الناس ، وهو من الله تعالى خلق لكل ذلك فى القلوب ، وخلق(٣١) الأفعال لهؤلاء المضلين من الجن والإنس ، وكذلك قوله تعالى « حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم(٣٢)» لأنه فعل أضيف إلى النفس لظهوره منها ، وهو خلق الله تعالى فيها ، فإن ذكروا قول الله تعالى « وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ(٣٣)» .

فهو كما قال تعالى ، وهو حجة على المعتزلة لأن الله تعالى أخبر أنه لا يضل قومًا حتى يبين لهم ما يتقون(٣٤) وما يلزمهم وصدق عز وجل ؛ لأن المرء قبل أن يأتيه خبر الرسول غير ضال بشيء مما يفعل أصلا فإنما سمى الله تعالى فعله فى العبد(٣٥) إضلالًا بعد بلوغ البيان إليه لا قبل ذلك وبالله تعالى التوفيق .

فصح بهذه الآيات أنه تعالى يُضلهم بعد أن يبين لهم وقد فسر بعضهم الإضلال بأنه منع اللطف الذى يقع به الإيمان فقط .

* * *

قال أبو محمد : ونصوص القرآن تزيد على هذا المعنى زيادة لا شك فيها وتوجب أن الإضلال معنى زائد أعطاه الله تعالى الكفار والعصاة ، وهو ما ذكرنا من تضييق الصدور وتحرجها والختم على القلوب ، والطبع عليها ، وإكنانها عن أن يفقهوا الحق ، فإن قالوا إن هذا فعل النفوس

---

(٢٦) فى (أ) : القوى .
(٢٧) سقط الكلام الذى بين القوسين [ ] من (خ) .
(٢٨) فى (أ) : (وأما) .
(٢٩) فى (أ) : بزيادة (جاء) .
(٣٠) فى (أ) : الشياطين .
(٣١) فى (أ) : وخالق .
(٣٢) البقرة : ١٠٩
(٣٣) التوبة : ١١٥
(٣٤) فى (خ) : لم يذكر (ما يتقون) .
(٣٥) فى (خ) : سقطت كلمة (العبد) .

كلها إن لم يهدها الله تعالى بالتوفيق . قلنا لهم فمن خالق[٣٧] هذه الخلقة المفسدة إن لم يؤيدها بالتوفيق ؟

فإن قالوا : الله تعالى هو الذى[٣٨] خلقها كذلك ، أقروا بأن الله تعالى أعطاها هذه البلية ، وركب فيها هذه القوة[٣٩] المهلكة لها ، فإن فروا إلى قول معمر والجاحظ إن هذا كله فعل االطبيعة لم يتخلصوا من سؤالنا ، وقلنا لهم : فمن خلق النفس وخلق لها[٤٠] هذه الطبيعة الموجبة لهذه الأفاعيل ؟ فإن قالوا الله تعالى . أقروا بأن الله تعالى أعطاها هذه الصفة المهلكة لها إن لم يهدها[٤١] بلطف وتوفيق ، وكذلك إن قالوا إن النفس هى التى[٤٢] فعلت الطبيعة الموجبة لهذه المهالك كان مع خروجهم من الإسلام بهذا القول مجلين أيضًا محالًا ظاهرًا ، لأن النفس لو فعلت هى[٤٣] طبيعتها لكانت إما مختارة لعملها ، وإما كارهة[٤٤] مضطرة إلى فعلها على ما هى عليه ، فإن كانت مختارة فقد يجب أن تقع طبيعتها مرارًا بخلاف ما توجد[٤٥] الآن عليه ، وإن كانت مضطرة فمن خلقها مضطرة إلى هذا[٤٦] الفعل ؟ فلابد من أنه الله تعالى فرجعوا ضرورة إلى أن الله تعالى هو الذى[٤٧] أعطاها هذه الصفة المهلكة التى بها كانت المعصية مع أنه لم يقل أحد من المسلمين أن النفس أحدثت طبيعتها مع أنه أيضًا قول يبطله الحس والمشاهدة وضرورة العقل .

قال أبو محمد : وأما القائلون بالأصلح من المعتزلة فإنهم انقطعوا هاهنا وقالوا ما[٤٨] ندرى ما معنى الإضلال ؟ ولا ما[٤٩] معنى الختم على قلوبهم ، ولا الطبع عليها ؟ وقال بعضهم معنى ذلك أن الله تعالى سماهم ضالين ، وحكم[٥٠] أنهم ضالون ، وقال بعضهم معنى أضلهم أتلفهم كما تقول : أضللت[٥١] بعيرى .

---

(٣٦) فى (أ) : (الآية) .
(٣٧) فى (أ) : من خلقها .
(٣٨) فى (أ) : سقطت كلمة (الذى) .
(٣٩) فى (أ) : الصفة .
(٤٠) فى (أ) : (فيها) .
(٤١) فى (أ) : (يمدّها) .
(٤٢) فى (أ) : سقطت (التى) .
(٤٣) فى (خ) : سقطت (هى) .
(٤٤) فى (أ) : سقطت (كارهة) .
(٤٥) فى (أ) : (ما لا توجد إلا عليه) .
(٤٦) فى (خ) : سقطت (هذا) .
(٤٧) فى (خ) : سقطت (الذى) .
(٤٨) فى (أ) : (لا) .
(٤٩) فى (أ) : سقطت (ما) .
(٥٠) فى (خ) : وحكى .
(٥١) فى (أ) : ضللت .

قال أبو محمد : ولم نجد لهم تأويلًا أصلًا فى قول الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام أنه قال : « إنْ هى إلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاء[٥٢]»

* * *

قال أبو محمد : وهذا هو الضلال حقًا وهو أن يحملهم اللجاج والعمى فى لزوم أصل قد ظهر فساده وتقليد من لا خير فيه من أسلافهم ، على أن يدعوا أنهم لا يعرفون ما معنى الإضلال والختم والطبع والأكنة على القلوب[٥٣]، وقد فسر الله تعالى ذلك تفسيرًا جليًا ، فإنها[٥٤] ألفاظ عربية معروفة المعانى فى اللغة التى بها نزل القرآن فلا يحلُّ لأحد أن يصرف لفظة معروفة المعنى فى اللغة عن معناها الذى وضعت له فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالى فى القرآن إلى معنى غير ما وضعت له إلا أن يأتى قرآن أو كلام عن رسول الله ﷺ ، أو إجماع من علماء الأمة كلها على أنها مصروفة عن ذلك المعنى إلى غيره ، أو يوجب ذلك[٥٥] ضرورة حسٍ أو بديهه عقل فيوقف حينئذٍ عندما جاء عن ذلك . ولم يأت فى هذه الألفاظ التى أضلهم الله تعالى فيها وحيّرهم الشيطان عن فهمها نص ولا إجماع ولا ضرورة بأنها مصروفة عن موضوعها فى اللغة بل قد قال رسول الله ﷺ : « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه[٥٦]» فبين عليه السلام أن الهدى والتوفيق هو تيسير الله تعالى المؤمن للخير الذى له خلقه ، وأن الخذلان[٥٧]: تيسيره الفاسق للشر الذى له خلقه ، وهذا موافق للغه والقرآن والبراهين الضرورية العقلية ، ولما عليه الفقهاء وللأئمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء[٥٨] المسلمين ، حاشا من أضله الله تعالى على علم من أتباع العيارين الخلعاء ، كالنظام والعلاف وثمامة والجاحظ .

قال أبو محمد : ونبين هذا أيضًا بيانًا طبيعيًا ضروريًا لا خفاء به بعون الله تعالى وتأييده على من له أدنى بصر بالنفس وأخلاقها ، وقدرة الله تعالى فى إبداعها[٥٩] وتصويرها فنقول – وبالله تعالى التوفيق – : إن الله تعالى خلق نفس الإنسان ميسرة[٦٠] مميزة عاقلة عارفة بالأشياء على ما هى

---

(٥٢) الأعراف : ١٥٥

(٥٣) فى (خ) : سقط (والأكنه على القلوب) .

(٥٤) فى (أ) : (وأيضا) .

(٥٥) فى (أ) : ويوجب صرفها .

(٥٦) رواه البخارى فى تفسير سورة ٩٢ ، وفى القدر رقم ٢ ، وفى التوحيد /٥٤ ، ورواه مسلم فى القدر : ٧ ، ٩ ، وابن ماجه فى المقدمة ، وأبو داود فى السنة .

(٥٧) فى (خ) : سقط : (وأن الخذلان) .

(٥٨) فى (أ) : (وعامة المسلمين) .

(٥٩) فى (أ) : فى اختراعها ، وسقط (وتصويرها) .

(٦٠) فى (أ) : سقطت (ميسرة) .

عليه فهمة بما تخاطب به وجعلها مأمورة منهية ، فعّالة معذبة ملتذة آلمة حساسة ، وخلق فيها قوتين متعاديتين متضادتين فى التأثير ، وهما التمييز والهوى كل واحدة منهما تريد الغلبة على آفاق النفس

فالتميز هو الذى خصت به نفس الإنسان[٦١]، والجن والملائكة دون الحيوان الذى لا يكلف ، والذى ليس ناطقًا .

والهوى هو الذى يشاركها فيه نفوس الجن والحيوان ، الذى ليس ناطقًا من حب اللذات والغلبة .

قال أبو محمد : وهذه القوة فى كل الحيوان حاشا الملائكة فإنما فيها قوة التمييز فقط ولذلك لم يقع منها معصية أصلًا بوجه من الوجوه ، فإذا عصم الله تعالى العبد[٦٢] غلب[٦٣] التمييز بقوة من عنده هى له مدد وعون . فجرت أفعال النفس على ما رتّب الله تعالى فيها[٦٤] تمييزها[٦٥] من فعل الطاعات ، وهذا هو الذى يسمى العقل ، وإذا خذل الله تعالى النفس أمدَّ الهوى بقوة هى الإضلال ، فجرت أفعال النفس على ما رتب الله تعالى فى هواها من الشهوات وحب الغلبة ، والحرص والبغى[٦٦] والحسد ، وسائر الأخلاق الرذيلة ، والمعاصى ، وقد قامت البراهين على أن النفس مخلوقة ، وكذلك جميع قواها المنتجة عن قوتيها الأوليين : التمييز والهوى ، وكل[٦٧] ذلك مخلوق مركب فى النفس على ما هو عليه فيها ، كل جار على طبيعته المخلوقة مجرى كيفياته بها على ما هى عليه .

فإذ قد صح أن كلَّ ذلك خلق الله عز وجل فلا مغلب لبعض ذلك على بعض ، إلا خالق الكل وحده لا شريك له ، وقد نص الله تعالى على ذم النفس جملة ، إلا من رحمها الله تعالى وعصمها .

قال تعالى : « وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى[٦٩]»

---

(٦١) فى (خ) : سقط (نفس الإنسان) .
(٦٢) فى (أ) : النفس .
(٦٣) فى (خ) : (عصم) .
(٦٤) فى (أ) : (فى) .
(٦٥) فى (خ) : اضطراب حيث جاءت العبارة هكذا (فيها تمييزها لما رتبه الله تعالى فيها من الطاعات) .
(٦٦) فى (خ) : (والغنى) .
(٦٧) فى (أ) : (كل) بغير واو العطف .
(٦٨) فى (أ) : (لجرى) .
(٦٩) يوسف : ٥٣ . وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) حيث ذكرها (إلا من رحم ربى) .

فأخبر عزّ وجل بنص ما قلنا أن المرحومة[٧٠] المستثناه لا تأمر بسوء وبالله تعالى التوفيق .

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَنَهى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ الْمأْوَى[٧١]» .

وذم الله تعالى الهوى فى غير موضع[٧٢] من كتابه ، وهذا نص ما قلنا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٧٠) فى (خ) : (المرحومة هى) .

(٧١) النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

(٧٢) فى (أ) : (ما وضع) .

« الكلام فى القضاء والقدر »

قال أبو محمد : ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين إلى أن ظنوا أن فيهما معنى الإكراه والإجبار ، وليس كما ظنوا وإنما معنى القضاء ، فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله تعالى ورسوله ﷺ ، وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا أنه الحكم فقط ، لذلك يقولون : القاضى : بمعنى الحاكم ، وقضى الله عز وجل بكذا أى حكم به[١]، ويكون أيضا بمعنى أمر ، قال الله تعالى : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه[٢].

إنما معناه بلا خوف أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ، ويكون أيضًا بمعنى أخبر ، قال تعالى : « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِين[٣]» .

بمعنى أخبرناه[٤] أن دابرهم مقطوع بالصباح ، وقال تعالى « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيل فى الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا[٥]» .

أى أخبرناهم بذلك ، ويكون أيضًا بمعنى أراد وهو قريب من معنى حكم . قال تعالى : « إذا قَضَى أَمْرًا فإنَّما يَقُول له كن فِيَكُون[٦] ومعنى ذلك حكم بكونه فكوَّنهُ .

ومعنى القدر فى اللغة العربية الترتيب والحد الذى ينتهى إليه الشىء ، تقول : قدرت البناء تقديرًا[٧]: رتبته وحددته ، وقال تعالى : « وقدَّر فيها أقواتها[٨]» بِمعنى رِتب أقواتها وحدَّدها ، وقال

---

(١) فى (خ) : (أى أمر به) .
(٢) الإسراء : ٢٣
(٣) الحجر : ٦٦
(٤) فى (خ) : (إياه) .
(٥) الإسراء : ٤
(٦) آل عمران : ٤٧
(٧) فى (أ) : (إذا رتبته) .
(٨) فصلت : ١٠

تعالى : « إِنَّا كُلَّ شيء خَلَقْنَاهُ بِقَدَر[٩] » . يريد تعالى[١٠]: برتبةٍ وحدٍ ، فمعنى قضى وقدر حكم ورتب ، ومعنى القضاء والقدر : حكم الله تعالى فى شيء بحمده أو ذمه ، أو تكوينه[١١] أو ترتيبه على صفة كذا إلى وقت كذا[١٢]. وبالله تعالى التوفيق .

* * *

---

(٩) القمر : ٤٩

(١٠) فى (خ) : سقطت (يريد تعالى) .

(١١) فى (أ) : (وبكونه) .

(١٢) فى (أ) : بزيادة (فقط) .

« الكلام فى البدل »

قال أبو محمد : قال بعض القائلين بالاستطاعة مع الفعل إذ[1] سئل هل يستطيع الكافر ما أُمِرَ به من الإيمان أم لا يستطيع ؟ فأجاب إن الكافر مستطيع للإيمان على البدل ، بمعنى أنه لا يتمادى[2] على الكفر ، لكن يقطعه ويبدل منه الإيمان .

قال أبو محمد : وهذا الذى[3] يجيب به هو الجواب الذى بينا صحته ، بحول الله تعالى وقوته فى كلامنا فى الاستطاعة ، وهو[4] أن نقول : هو مستطيع فى ظاهر الأمر بسلامة جوارحه ، وارتفاع موانعه ، غير[5] مستطيع للجمع بين الإيمان والكفر مادام كافرًا أو[6] ما دام لا يؤتيه الله تعالى العون ، فإذا أتاه إياه وتمت استطاعته فعل[7] ولابد ، فإن قيل هو مكلف مأمور قلنا : نعم ، فإن قيل أهو عاجز عن ما هو مأمور به ومكلف أن يفعله .. ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق : هو غير عاجز بظاهر نيته[8] وسلامة جوارحه ، وارتفاع الموانع ، وهو عاجز عن الجمع بين الفعل وضده ، ما[9] لم يؤته[10] الله عز وجل العون فيتم ارتفاع العجز عنه ، ويوجد الفعل ولابد ، ونقول إن العجز فى اللغة إنما يقع على الممنوع بآفةٍ من[11] الجوارح أو بمانع ظاهرٍ إلى الحواس ، والمأمور بالفعل ليس

---

(١) فى (أ) : (إذا) .
(٢) فى (أ) : (أن لا يتمادى فى الكفر) .
(٣) فى (أ) : جاءت العبارة هكذا (والذى يجب أن يجيب به) .
(٤) فى (ح) : (هو) .
(٥) فى (ح) : سقط الكلام من قوله (هو مستطيع فى ظاهر الأمر بسلامة جوارحه وارتفاع موانعه غير) .
(٦) فى (أ) : (ومادام) .
(٧) فى (أ) : (وفعل) .
(٨) فى (أ) : (ببيته) .
(٩) فى (خ) : (وما لم) .
(١٠) فى (أ) : (ينزل) بدلا من (يؤته) .
(١١) فى (أ) : (على) بدلا من (من) .

فى ظاهر أمره عاجزًا إذ لا آفة فى جوارحه ، ولا مانع له ظاهرًا ، وهو فى الحقيقة عاجز عن الجمع بين الفعل وضده ، وبين الفعل وتركه ، وعن فعل ما لم يؤته الله عز وجل عونًا عليه ، وعن تكذيب علم الله عز وجل الذى لم يزل بأنه لا يفعل إلا ما سبق فيه علمه ، هذا[١٢] حقيقة الجواب فى هذا الباب والحمد لله رب العالمين .

* * *

فإن قيل : فهو[١٣] مختار لما يفعل قلنا : نعم اختيارًا صحيحًا لا مجازًا ، لأنه مريد لكونه منه ، محبٌّ له ، مؤثر له على تركه ، وهذا معنى لفظة الاختيار على الحقيقة ، وليس مضطرًا ولا مجبرًا ولا مكْرَهًا لأن هذه ألفاظ فى اللغة لا تقع إلَّا على الكاره لما يكون منه فى هذه الحال ، وقد يكون المرء مضطرا ، مختارا ، مكرها[١٥] فى حالةٍ واحدةٍ ، كإنسانٍ فى رجله أكلة لا دواء له إلا يقطعها ، فيأمر أعوانه مختارًا لأمره إياهم بقطعها ، وبحَسمها بالنار بعد القطع ، ويأمرهم بإمساكه وضبطه ، وأن لا يلتفتوا إلى صباحه ولا إلى أمره لهم بتركه إذا أحس الألم ويتوعدهم على التقصير فى ذلك بالضرب والنكال الشديد ، فيفعلون به ذلك ، فهو مختار لقطع رجله ، إذ لو كره ذلك كراهية تامة لم يكرهه أحد على ذلك ، وهو بلا شك كاره لقطعها مضطرا إليه ، إذ لو وجد سبيلًا بوجه من الوجوه دون الموت إلى ترك قطعها لم يقطها ، فهو مكره مجبر بالضبط من أعوانه له[١٦] حتى يتم القطع والحسم ، إذ لو لم يضبطوه ويقسروه يضبطوه ويكرهوه . لم يمكن قطعها ألبتة ، وإنما أتينا بهذا لئلا ينكر الجاهلون أن يوجد أحد مختارًا[١٧] من وجه ، ومكرهًا من وجه آخر مستطيعًا من وجه ، عاجزًا من آخر ، قادرًا من وجه ، ممنوعًا من آخر ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢) فى (أ) : (هذه) .
(١٣) فى (خ) : لم يذكر (فهو) .
(١٤) فى (أ) : (مكروها) وهو تحريف .
(١٥) فى (خ) : سقط الكلام من الذى بين القوسين [ ] .
(١٦) فى (أ) : سقط (له) .
(١٧) فى (أ) : (مجبرا) .

« الكلام فى خلق الله تعالى لأفعال خلقه »

قال أبو محمد : اختلفوا فى خلق الله عز وجل لأفعال عباده ، فذهب أهل السنه كلهم ، وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل ، كالمَرِّيسيِّ[١] وبرغوث[٢] والنجارية[٣] والأشعرية[٤] والجهمية[٥]، وطوائف من الخوارج[٦]، والمرجئة[٧] والشيعة[٨] إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة قد خلقها الله عز وجل فى الفاعلين لها ، ووافقهم على هذا من المعتزلة موافقة صحيحة ضرار[٩] بن عمرو وصاحبه أبو يحيى حفص الفرد[١٠].

---

(١) المريسى : هو أبو عبد الرحمن ، بشر عتّاب المريسى (سبقت ترجمته ص ٣٣) .

(٢) هو : محمد بن عيسى الملقب ببرغوث . (سبقت ترجمته ص ٣٣) .

(٣) هم : أصحاب الحسين بن محمد النجار ، وأكثر معتزلة الرىّ وما حواليها كانوا على مذهبه ، وهم إن اختلفوا أصنافا إلّا أنهم لم يختلفوا فى الأصول ، وهم برغوثية ، وزعفرانيه ، ومستدركه ، وقد وافقوا المعتزلة فى نفى الصفات من العلم والقدرة والإرادة ، والحياة والسمع ، ووافقوا الصفاقية فى خلق الأعمال (الملل والنحل : ١ ، ١١٦) .

(٤) هم : أصحاب أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، المنتسب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما ، يقول صاحب الملل والنحل : « من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعرى كان يقرر ما يقرره الأشعرى فى مذهبه » (الملل والنحل : ١٢٧/١) .

(٥) هم : أصحاب جهم بن صفوان : وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سَلْمُ بن أحوذ المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية ، ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية وزاد عليهم أشياء منها قوله : لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى تشبيها . (الملل والنحل : ١١٣/١) .

(٦) هم : مجموعة كانت مع الإمام على فى حرب صفين فخرجوا عليه بزعامة الأشعث بن قيس ، ومسعر بن فتكى التميمى ، وكبار فرق الخوارج ستة هم : الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية والعجاردة ، والأباضية ، والثعالبة ، يجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلى ، ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا . (الملل والنحل : ١٧٠/١ - ١٧٢ بتصرف) .

(٧) الإرجاء على معنيين : إحدهما التأخير كقوله تعالى : « قالوا أرجه وأخاه » أى أمهله وأخره ، والثانى : إعطاء الرجاء . أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا : يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثانى فظاهر لأنهم كانوا يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وقيل الإرجاء : تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو النار . والمرجئة أصناف أربعة : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة (المرجع السابق ٢٢٢/١) بتصرف .

(٨) هم : الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ، ووصية إما جليا أو خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، وهم خمس فرق : كيسانية ، وزيديه ، وإماميه ، وغلاة ، وإسماعيلية . فبعضهم يميل فى الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه . (المرجع السابق : ٢٣٤/١ ، ٢٣٥ بتصرف) .

(٩) هو : ضرار بن عمرو القاضى . (سبقت ترجمته ص ٧) .

(١٠) هو : أبو يحيى حفص الفرد . مبتدع ، قال النسائى : صاحب كلام ، لا يكتب حديثه ، وكفّره الشافعى فى مناظراته (لسان الميزان : ٣٣٠/٢) .

وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك من المرجئة والخوارج والشيعة إلى أن جميع أفعال العباد محدثة ، فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل ، على تخليط منهم فى ماهية أفعال النفس ، إلا بشر بن المعتمر عطف فقال : إنه ليس شيء من أفعال العباد إلا ولله عز وجل فيه فعل من طريق الإسم والحكم ، يريد بذلك أنه ليس للناس فعل إلا ولله تعالى فيه حكم ، بأنه صواب أو خطأ ، وتسميته بأنه حسن أو قبيح طاعة أو معصية .

* * *

قال أبو محمد : وقد أدى هذا القول الفاحش الملعون رجل من كبار المعتزلة ، وهو عَبَّادُ ابنُ سليمان[١١] تلميذ هِشَام[١٢] بن عمرو.الفُوطِىّ إلى أن قال : إن الله تعالى لم يخلق الكفار لأنهم ناس وكفر معًا ، لكن خلق أجسامهم دون كفرهم .

* * *

قال أبو محمد : ويلزمه هذا بعينه فى المؤمنين وجميع الملائكة والجن لأنه ليس إلا مؤمن أو كافر ، والمؤمن إنسان وإيمان ، أو ملك وإيمانه ، أو جنى وإيمانه أو كفره .

فعلى قول هذا البائس السخيف : لا يجوز أن يقال : إنّ الله عزَّ وجل خلق من الناس ولا الجن[١٣]، ولا الملائكة سعيدًا[١٤]، بل يكون القول بهذا كذبا وحسبك بهذا القول خلافا للقرآن ، وللمسلمين .

وقال معمّر والجاحظ : إن أفعال العباد كلّها لا فعل لهم فيها وإنما نسبت[١٥] إليهم مجازًا لظهورها منهم ، وإنها فِعْل الطبيعة حاشا الإدارة فقط ، فإنه : لا فعل للإنسان غيرها ألبتة .

قال أبو محمد : ومن تدبَّر هذا القول علم أنه[١٦] أقبح من قول جهم وجميع المجبرة لأنهم جعلوا أفعال العباد اضطرارية طبيعية كفعل النار للإحراق بطبعها ، وفعل الثلج[١٧] التبريد بطبعه

---

(١١) هو : عباد بن سليمان الصُّمَرى من كبار المعتزلة ، أقيمت بينه وبين عبد الله بن سعيد مناظرة وكان فى أيام المأمون ، وقد زعم أن بين اللفظ والمعنى طبيعة مناسبة ، فردوا عليه ذلك وقد أخذ عن هشام الفوطى ، وكان الجبائى يصفه بالحذق ، وقد ملأ الأرض كتبا وخلافا ، وخرج عن حدّ الاعتزال إلى الكفر والزندقة . (لسان الميزان : ٢٢٩/٣) .

(١٢) هو : هشام بن عمر والفُوطى بضم الفاء وإسكان الواو ، كان من أصحاب أبى الهذيل العلّاف ، وكان داعية إلى الاعتزال (لسان الميزان ١٩٥/٦) .

(١٣) فى (خ) : لم يذكر (من الناس ولا) .

(١٤) فى (ح) : لم يذكر (سعيد) .

(١٥) فى (أ) : نسب .

(١٦) فى (خ) : (فهو) بدلًا من (علم أنه) .

(١٧) فى (ح) : (البلح) وهو تحريف .

وفعل السقمنيا[١٨] فى إحداثها الصفراء بطبعها ، وهذه صفة الأموات لا صفة الأحياء المختارين ، وإذا لم يبق على قول هذين الرجلين للإنسان فعل إلا الإرادة فقد وجدنا الإرادة لا يقدر الإنسان على صرفها ولا على[١٩] إحالتها ولا على تبدلها بوجه من الوجوه ، وإنما يظهر من المرء تبديل كل[٢٠] كل حركاته وسكونه .

وأما إرادته فلا حيلة له فيها ، ونحن نجد كل قَوِيِّ الآلة من الرجال يحب وطء كلِّ جميلة يسمع[٢١] بها ، لولا التقوى ، ويحب النوم عن الصلوات فى الليالى القارة والهواجر الحارّة . ويحب الأكل فى أيام الصوم . ويحب إمساك ماله عن الزكاة ، وإنما يأتى خلاف ذلك[٢٢] مغالبة لإرادته وقهرًا لها .

وإما صرفًا لها ولا[٢٣] سبيل إليه فقد تم الإجْبار صحيحًا على قول هذين الرجلين . وحسبنا الله ونعم الوكيل[٢٤].

قال أبو محمد : والبرهان على صحة قول من قال : إن الله تعالى خلق أفعال[٢٥] العباد كلها نصوص من القرآن وبراهين ضرورية منتجة من بديهة العقل والحواس ، لا يغيب عنها إلا جاهل وبالله تعالى التوفيق .

فمن النّصوص : قول الله عزّ وجل « هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ[٢٦]» .

قال أبو محمد : هذا كاف لمن عقل واتقى ربه[٢٧].

وقال[٢٨] لى بعضهم ، إنما أنكر الله عز وجل أن يكون ههنا خالق غيره ، يرزقنا. كما فى نص الآية .

قال أبو محمد : وجواب هذا أنه ليس كما ظن هذا القائل بل القضية قد تمت فى قول الله تعالى (غير الله) ثم ابتدأ عز وجل بتعديد نعمه علينا ، فأخبرنا أنه يرزقنا من السماء والأرض .

---

(١٨) فى (ح) : سقطت العبارة (وفعل السقمينا فى إحداثها الصفراء بطبعها) .
(١٩) فى (أ) : سقطت (على) .
(٢٠) فى (أ) : سقطت (كل) .
(٢١) فى (أ) : (يستمتع) .
(٢٢) فى (أ) : (خلاف ما يريد) .
(٢٣) فى (أ) : (فلا سبيل له) .
(٢٤) فى (خ) : لم يذكر (وحسبنا الله ونعم الوكيل) .
(٢٥) فى (أ) : (أعمال) .
(٢٦) فاطر : ٣
(٢٧) فى (أ) : (واتقى الله) .
(٢٨) فى (أ) : (وقد) .

وقال تعالى : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لَا تَبْدِيل لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ[٢٩] » .

وهذا نص[٣٠] جلى على أن الدين مخلوق لله تعالى .

وقال تعالى : « واتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقون شيئًا وهُمْ يُخلقُون وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يملكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا[٣١] » .

قال أبو محمد : ومنهم من يعبد المسيح ، وقالت الملائكة : كذبوا[٣٢] بل كانوا يعبدون الجنَّ أكثرهم[٣٣]. فصحَّ أنَّ كلَّ ما[٣٤] عبدوه وفيهم المسيح والجن[٣٥] لا يخلقون شيئًا ، ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ، فثبت يقينًا أنهم مصرَّفُون مدبَّرون ، وأن أفعالهم مخلوقة لغيرهم .

وقال تعالى : « أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يخْلقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ[٣٦] » .

قال أبو محمد : وهذا نص جلى على إبطال أن يخلق أحدٌ دون الله تعالى شيئًا ، لأنه لو كان ههنا أحد غيره يخلق لكان من يخلق موجودًا جنسًا فى حيز ، ومن لا يخلق جنسًا آخر .

وكان الشبه بين من يخلق وبين من[٣٧] لا يخلق موجودًا ، وكان من يخلق لا يشبه من لا يخلق وهذا إلحاد عظيم .

فصحَّ بنص هذه الآية أن الله تعالى هو يخلق وحده ، وكلُّ من عداه لا يخلق شيئًا ، وليس أحد مثله تعالى فليس من يخلق وهو الله تعالى كمن لا يخلق وهو كل من سواه .

وقال تعالى : « وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوَلِّيها فاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ[٣٨] » .

وهذا نصٌّ جلى ، من كذبه كفر .

وقد علمنا أنه تعالى لم يأمر بتلك الوجهات كلها بل فيها كفر قد نهى الله تعالى عنه ، فلم يبق إذ هو مولى كل وجهة إلا أنه خالق كل وجهة لأحد من الناس .

---

(٢٩) الروم : ٣٠

(٣٠) فى (أ) : برهان .

(٣١) الفرقان : ٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .

(٣٢) فى (أ) : (وصدقوا) .

(٣٣) فى (أ) : لم يذكر (أكثرهم) .

(٣٤) فى (أ) : (مَنْ عبدوه) .

(٣٥) فى (خ) : لم يذكر (والجن) .

(٣٦) النحل : ١٧

(٣٧) فى (أ) : سقط قوله : (وبين من لا يخلق) .

(٣٨) البقرة : ١٤٨

وهذا كاف لمن عقل ونصح نفسه ومنها :

قول الله عز وجل « هَذَا خَلْقُ الله فأَرُونِى مَاذَا خَلَق الَّذِينَ مِنْ دُونِه[٣٩] » . وهذا إيجاب لأن الله تعالى خلق كل ما فى العالم وأن كل من دونه لا يخلق شيئًا أصلًا ولو كان ههنا خالق لشىء من الأشياء غير الله تعالى لكان جواب هؤلاء المغرورين[٤٠] جوابًا قَاطعًا ، ولقالوا : نعم[٤١] نريد[٤٢] أفعالنا خلقها من دونك[٤٣] وههنا خالقون كثير ، وهم نحن لأفعالنا .

وقوله تعالى : « أَمْ جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقَه فَتَشَابَهَ الْخَلْق عَلَيْهِمْ قُلِ الله خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ[٤٤] »

وهذا بيان جلى[٤٥] أن الخلق كله جواهر وأعراض ولا شك[٤٦] فى أنه لا يفعل الجواهر أحدٍ إلا الله تعالى وإنما يفعلها الله تعالى وحده فلم يبق إلّا الأَعراض فلو كان الله تعالى خالقًا لبعض الأعراض ، ويكون الناس خالقين لبعضها ، لكانوا له[٤٧] شركاء فى الخلق ، ولكانوا قد خلقوا كَخْلقه ، خلق أعراضًا وخلقوا أعراضًا .

وهذا تكذيب لله تعالى وردٌّ للقرآن مجرد ، فصح أنه لا يخلق شيئًا غير الله تعالى وحده والخلق : هو الاختراع فالله تعالى مخترع لأعراضنا كسائر الأعراض ولا فرق ، فإن نفوا خلق الله تعالى لجميع الأعراض لزمهم أن يقولوا إنها أفعال لغير فاعل ، أو أنها فعل لمن ظهرت منه من الأجرام الجمادية وغيرها .

فإن قالوا : هى أفعال لغير فاعل فهذا قول أهل الدهر[٤٨] ويكلَّمُون حينئذٍ بما يكلم به أهل الدهر ، وإن قالوا إنها أفعال الأجرام كانوا قد جعلوا الجمادات فاعلة مخترعة ، وهذا باطل وهو أيضًا خلاف قولهم ، والطبيعة لا تفعل شيئًا مخترعة ، له وإنما الفاعل لما ظهر منها خالق الطبيعة المظهر[٤٩] منها ما ظهر ، وهو خالق الكل ولابد[٥٠] ولله الحمد .

---

(٣٩) لقمان : ١١
(٤٠) ف (أ) : المقربين .
(٤١) ف (أ) : بزيادة (له) .
(٤٢) ف (أ) : (نريك) .
(٤٣) ف (أ) : بزيادة (نعم) .
(٤٤) الرعد : ١٦
(٤٥) ف (أ) : بزيادة (لا خفاء به) .
(٤٦) ف (خ) : (لا شك) .
(٤٧) ف (أ) : لم يذكر (له) .
(٤٨) ف (أ) : بزيادة (نصا) .
(٤٩) ف (ح) : (المظهور) .
(٥٠) ف (ح) : لم يذكر (ولابد) .

ومنها قوله تعالى : « أَتعْبُدونَ مَا تَنْحِتُون والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون[٥١] » .

وهذا نص جلى على أنه تعالى خالق[٥٢] أعمالنا .

وقد فسر بعضهم قول الله تعالى : « والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون » .

أنه خلقنا وخلق العيدان والمعادن التى تُعمل منها الأوثان .

قال أبو محمد : وهذا كلام سخيف دل على جهل قائله وعناده وانقطاعه ، لأنه لا يقول أحد فى اللغة التى بها خوطبنا فى القرآن وبها نتفاهم فيما بيننا أن الإنسان يعمل العود والحجر ، هذا ما لا يجوز فى اللّغة أصلًا ولا فى المعقول ، وإنما يستعمل ذلك موصولًا فنقول عملت هذا العود صنمًا ، وهذا الحجر وثنًا .

فإنما بيّن الله تعالى أنه خلق الضمية التى هى شكل الصنم .

فنص[٥٣] على ذلك بقوله تعالى : « أَتَعْبُدونَ مَا تَنْحِتُون والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعملُون » .

فإنما النحت بنص الآية وضرورة الحس ، هو الذى عملنا ، وهو الذى أخبر تعالى أنه خلقنا .

قال أبو محمد : وقد ذكر عن كبير منهم وهو محمد بن عبد الله[٥٤] الإسكافى أنه كان يقول إنّ الله تعالى لم يخلق العيدان ولا الطنابير ولا المزامير .

ولقد يلزم المعتزلة أن توافقه على هذا ، لأن الخشبة لا تسمى عودًا ولا طنبورًا ، ولو حلف إنسان أنه[٥٥] لا يشترى طنبورًا فاشترى خشبًا لم يحنث ، ولو حلف أن لا يشترى خشبًا فاشترى طنبورًا لم يقع عليه حنث لأن الطنبور لا يقع عليه فى اللغة اسم خشبة وقال تعالى : « الله الَّذِى خَلَقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ[٥٦] » .

فهى مخلوقة بنص القرآن .

---

(٥١) الصافات : ٩٥ ، ٩٦

(٥٢) ق (أ) : حلق .

(٥٣) ق (أ) : ونص .

(٥٤) هو : محمد بن عبد الله أبو جعفر الإسكافى من متكلمى المعتزلة ، وأحد أئمتهم ، تنسب إليه الطائفة الإسكافية ، وهو بغدادى ، أصله من سمرقند ، له مناظرات مع الكرابيسى وغيره . قال ابن النديم : كان المعتصم يعظمه جدًا . وقال المقريزى من قول الإسكافى : إن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الأطفال والمجانين ، وأنه لا يقال : إن الله خالق المعازف ، والطنابير ، وإن كان هو الذى خلق أجسامها . توفى عام ٢٤٠ هـ .

(٥٥) ق (أ) : لم يذكر (إنه) .

(٥٦) السجدة : ٤

وقد قال بعضهم : إنما خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام فكانت أعمال العبد[٥٧] مخلوقة فى تلك الستة[٥٨] الأيام .

قال أبو محمد : لم ينف الله تعالى أن يخلق شيئًا بعد الستة الأيام ، بل قال عز وجل « يَخْلُقُكُمْ فى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فى ظلماتٍ ثلاثٍ[٥٩] » .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِن سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعلناه نُطْفَةً فى قرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فكَسَوْنَا العِظَامَ لحمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقين[٦٠] » .

وكان[٦١] هذا كله فى غير تلك الستة الأيام ، فإذ قد جاء النص بأن الله تعالى يخلق بعد تلك الأيام أبدًا ، ولا يزال يخلق بعد[٦٢] ناشئة الدنيا ، ثم لا يزال يخلق نِعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أبدًا بلا نهاية ، إلا أن عموم خلقه تعالى السموات والأرض وما بينهما باقٍ على كل موجود .

وقال بعضهم لا نقول : إن أعمالنا بين السماء والأرض لأنها غير مماسة للسماء والأرض .

قال أبو محمد : وهذا عين التخليط لأن الله تعالى لم يشترط المماسة فى ذلك ، وقد قال تعالى : « والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْن السَّمَاءِ والأَرْضِ[٦٣] » .

فصح أن السحاب ليست مماسة للسماء ولا للأرض .

فهى إذن على قول هذا الجاهل غير مخلوقة .

ويلزمه أيضا أن يقول بقول معمّر والجاحظ ، فى أن الله تعالى لم يخلق الألوان ولا الطعوم ولا الروائح ، ولا الموت ولا الحياة ، لأن كل هذا غير مماس للسماء ولا للأرض .

قال أبو محمد : فأمّا قول معمر والجاحظ أن كل هذا فعل الطبيعة فغباوة شديدة ، وجهل بالطبيعة ، ومعنى لفظ الطبيعة ، إنما هو[٦٤] قوة فى الشيء تجرى بها كيفياته على ما هى عليه . وبالضرورة نعلم أن تلك القوة عرض لا تعقل ، وكل ما كان مما لا اختيار له من جسم أو عرض كالحجارة وسائر الجمادات .

---

(٥٧) فى (أ) : (الناس) .
(٥٨) فى (أ) : لم يذكر (الستة) .
(٥٩) الزمر : ٦
(٦٠) المؤمنون : ١٢ – ١٤
(٦١) فى (أ) : (فكان) .
(٦٢) فى (خ) : سقطت (بعد) .
(٦٣) البقرة : ١٦٤
(٦٤) فى (أ) : (هى) .

فمن نسب إلى ما يظهر أنها أفعاله وهى[٦٥] مخترعة لها فهو فى غاية الجهل ، فبالضرورة نعلم أن تلك الأفعال خَلْقُ غَيْرِها فيها ولا خالق لها[٦٦] ههنا إلا الله تعالى خالق الكل ، وهو الله لا إله إلا هو .

* * *

قال أبو محمد : ومن بلغ ههنا فقد كفانا الله تعالى شأنه لمجاهرته بالجهل العظيم ، والكفر المجرد فى موافقته أهل الدّهر فى تكذيبه[٦٧] للقرآن ، إذ يقول الله تعالى « خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عِمَلًا[٦٨]» .

وقوله تعالى : « « يُسْقَي بِمَاءٍ وَاحِدٍ ونُفَضِّلُ بَعْضَها عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ[٦٩]» . فأخبر تعالى أن تفاضلها فى الطعوم من فعله عز وجل ، نعوذ بالله مما ابتلاهم به ، وأقحمهم فيه .

وقال معمّر معنى قوله تعالى « خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ » .

إنما معناه خلق الإماتة والإحياء .

قال أبو محمد : فما زاد على أنه أبدى تمام جهله بوجهين[٧٠]:

أحدهما : إحالته النص من كلام ربه عز وجل بلا دليل .

والثانى : أنه لم يزل عمّا لزمه ، لأن الموت والحياة هما الإحياء والإماته بلا شك .

لأن الإحياء والحياة هو جمع النفس مع الجسد المركب الأرضى ، والموت والإماتة شىء واحد وهو التفريق بين الجسد والنفس المذكورة فقط .

وإذا كان جمع الجسد والنفس وتفريقهما مخلوقين لله عز وجل فقد صح أن الموت والحياة مخلوقان له عز وجل يقينًا ، وبطل تمويه هذا المجنون .

قال أبو محمد : ومن المنصوص القاطعة فى هذا المعنى قول الله عز وجل « إنَّا كُلَّ شيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر[٧١]» فلجأ بعضهم إلى عدوى الخصوص وذكروا قول الله تعالى : « تُدَمِّرُ كل شيءٍ بأَمْرِ رَبِّها ، فأَصْبَحُوا لَا يُرَى إلَّا مساكِنُهم[٧٢]» .

---

(٦٥) فى (أ) : لم يذكر (وهى) .
(٦٦) فى (أ) : سقطت (لها) .
(٦٧) فى (أ) : (وتكذيبه) .
(٦٨) الملك : ٢
(٦٩) الرعد : ٤ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث قال (تسقى) بالتاء .
(٧٠) فى (أ) : بزيادة (بينين) .
(٧١) القمر : ٤٩
(٧٢) الأحقاف : ٢٥

وقال تعالى : « وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ[٧٣]» .

وقوله « فتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىءٍ حَتَّى إذَا فَرِحُوا بِما أُوتُوا[٧٤]» .

* * *

قال أبو محمد وهذا كله لا حجة لهم فيه لأن قوله تعالى « تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها » .

بيان جلى على أَنَّها إنما دمرت كل شيءٍ أمرها الله عز وجل بتدميره ، لا ما لم يأمرها ، فهو عموم لكل شيءٍ أمرها به الله عز وجل .

وقوله تعالى : « وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ » .

فمن للتبعيض : فمن آتاه الله تعالى شيئًا من الأشياء فقد آتاه من كل شىء ، لأنه قد آتاه بعض الأشياء ، وأما قوله تعالى « فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْواب كُلِّ شَىْءٍ » .

فحق ونحن وهم سواء[٧٥] فى أنا لا تدرى كيفية ذلك الفتح إلا أننا ندرى أن الله تعالى صدق فيما قال ، وأنه تعالى إنما آتّاهم بعض الأشياء التى فتح عليهم أبوابها ، ثم لو صح برهان فى بعض هذا العموم أنه ليس على ظاهره وأنه[٧٦] أريد به الخصوص لما وجب من ذلك أن يحمل كل[٧٧] عموم على خلاف ظاهره ، بل كل عموم على ظاهرة حتى يقوم برهان بأنه مخصوص ، أو أنه منسوخ فيوقف عنده ولا يتعدى بالتخصيص أو بالنسخ إلى ما لم يقم برهان بأنه متسوخ أو مخصوص ولو كان غير هذا لما صحت حقيقة فى شىء من أخبار الله تعالى ولا صحت شريعة أبدًا .

إذ[٧٨] لا يعجز أحد فى كل[٧٩] أمر من أوامر الله تعالى وفى كل خبر من أخباره عز وجل أن يحمله على غير ظاهره ، وعلى بعض ما يقتضيه عمومه ، وهذا عين السفسطة والكفر والحماقَة ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

---

(٧٣) النمل : ٢٣

(٧٤) الأنعام : ٤٤ . وقد جاءت هذه الآية محرّفة فى (أ) حيث قال (ففتحنا) .

(٧٥) فى (أ) : سقطت : (وهم سواء فى أنا) .

(٧٦) فى (أ) : (وإنما) .

(٧٧) فى (خ) : (على) بدلا من (كل) .

(٧٨) فى (أ) : لأنه .

(٧٩) فى (أ) : سقطت (كل) .

ولم يقم برهان على تخصيص قوله تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »

* * *

قال أبو محمد ومن ذلك قوله تعالى « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فى الْأَرْضِ وَلَا فى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ لِكَىْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِما آتاكم[٨٠]» .

* * *

قال أبو محمد : فنص[٨١] على أنه برأ المصائب كلها ، فهو بارئٌ لها ، والبارىء هو الخالق نفسه بلا شك ، فصح يقينًا أن الله تعالى خالق كل شىء ، إذ هو[٨٢] خلق كل[٨٣] مصيبة فى الأرض وفى النفوس ، ثم زاد تعالى بيانًا برفع الإشكال جملة بقوله « لِكَىْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَافاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » .

فبيَّن تعالى أن ما أصاب الأموال والنفوس من المصائِب فهو خالقَها . وقد تكون تلك المصائب أفعال الظالمين بإتلاف الأموال وأذى النفوس ، فنص تعالى على أن كل ذلك خلق له عز وجل ، وبه التوفيق .

وأمَّا من طريق النظر :

فإن الحركة الثقيلة[٨٤] نوع واحد وكل ما يسأل عنه تعالى[٨٥] على جهة النوع فهو[٨٦] منقول على أشخاص ذلك النوع ولابدَّ ، فإن كان النوع مخلوقًا فأشخاصه مخلوقة ، وأيضًا فلو كان فى العالم شىء غير مخلوق لله تعالى لكان من قال : العالم مخلوق والأشياء مخلوقة ، وما دون الله تعالى مخلوق لله[٨٧] كاذبًا ، لأن فى كل ذلك عندهم ما ليس مخلوق ؛ ولكان من قال : من العالم غير مخلوق ولم يخلق الله تعالى العالم ، أو الأشياء كلها صادقًا ، ونعوذ بالله من قول أدَّى إلى هذا .

---

(٨٠) الحديد : ٢٢ ، ٢٣

(٨١) فى (أ) : فنص الله .

(٨٢) فى (خ) : سقط (خالق كل شىء إذ هو) .

(٨٣) فى (أ) : (خالق كل ما أصاب) .

(٨٤) فى (أ) : لم يذكر (الثقيلة) .

(٨٥) فى (أ) : وكل ما يقال على جملة النوع .

(٨٦) فى (أ) : (فهو يقال مقول) .

(٨٧) فى (أ) : لم يذكر (لله) .

ونسألهم هل الله تعالى إله ما فى[٨٨] العالم ورب كل شيء أم لا ؟ فإن قالوا : نعم ، سئلوا عمومًا أم خصوصًا ، فإن قالوا ، بل عمومًا صدقوا ، ولزمهم ترك قولهم ، فمحال أن يكون إلهاً لم يخلق .

وإن قالوا : بل خصوصًا . قيل لهم ففى العالم إذن ما ليس الله تعالى إلهاً له ، وما لا رب له ، فإن كان هذا فمن قال ، إن الله تعالى رب العالمين كاذب ، ومن قال : ليس الله تعالى إلهاً للعالمين ولا ربًا للعالمين صادقًا .

وهذا خروج عن الإسلام .

وتكذيب لله تعالى فى قوله : إنه رب العالمين وخالق كل شيء . وقد وافقونا على أن الله تعالى خالق حركات المختارين ، من سائر الحيوان غير الملائكة والانس والجن ، وبالضرورة ندرى الحركات الاختيارية كلها نوع واحد ، فمن المحال الباطل أن يكون بعض النوع مخلوقاً ، وبعضه غير مخلوق .][٨٩]

قال أبو محمد : واحتجوا[٩٠] بأشياء من القرآن وهى أنهم قالوا قال الله عز وجل « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا »[٩١].

وقال تعالى : لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب وتقولون هو من عند الله وما هو من عند الله »[٩٢] وقوله تعالى : « فتبارك الله أحسنُ الخالقين »[٩٣].

وقوله تعالى : « وَتَخْلُقُونَ إفكاً »[٩٤].

وقوله تعالى : « صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ »[٩٥].

وقوله تعالى : « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَه »[٩٦].

وقوله تعالى « مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ »[٩٧].

---

(٨٨) فى (أ) : لم يذكر (ما فى) .
(٨٩) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٩٠) فى (أ) : واعترضوا .
(٩١) البقرة : ٧٩
(٩٢) آل عمران : ٧٨
(٩٣) المؤمنون : ١٤
(٩٤) العنكبوت : ١٧
(٩٥) النمل : ٨٨
(٩٦) السجدة : ٧
(٩٧) الملك : ٣

واعترضوا بأشياء من طريق النظر وهى أن :

قالوا : إن كان الله عزَّ وجل خلق أفعال[٩٨] العباد فهو إذن يغضب مما خلق ، ويكره ما فعل ويسخط فعله ، ولا يرضى ما فعل ولا ما دبَّر .

وقالوا أيضاً : كل من فعل شيئاً فهو مسمّى به[٩٩] ومنسوب إليه ، لا يعقل غير ذلك فلو خلق الله تعالى الخطأ والكذب والكفر والظلم لنسب كل ذلك إليه ، تعالى الله عن ذلك .

وقالوا أيضاً لا يعقل فعل واحد من فاعلين ، هذا فعله كله ، وهذا فعله كله . وقالوا أيضاً : أنتم تقولون : إن الله عز وجل خلق الفعل ، وأن العبدّ اكتسبه .

فأخبرونا هل هذا الاكتساب الذى انفرد به العبد ، أهو خلق الله تعالى[١٠٠] أم هو غيره .. ؟ فإن قلتم : إنه خلق الله تعالى لزمكم أنكم خالقون له ، وأنه تعالى اكتسبه إذ الخلق هو الكسب ، والكسب هو الخلق .

وإن قلتم : إن الكسب غير الحق ، وليس خلقاً لله تركتم قولكم ، ورجعتم إلى قولنا ، وقالوا أيضاً إذا كانت أفعالكم مخلوقة لله تعالى ، وأنتم تقولون إنكم مستطيعون على فعلها وعلى تلأكها ، فقد أوجدتم أنكم مستطيعون على أن لا يخلق الله بعض خلقه .

وقالوا أيضاً : إذا كان فعلكم خلقاً لله عز وجل ، وعذبكم على فعلكم فقد عذبكم على ما خلق . [وقالوا أيضاً قد فرض الله علينا الرضى بما خلق فإن كان الظلم والكفر والكذب مما خلق ، ففرض علينا الرضى بالكفر والظلم والكذب][١٠١].

قال أبو محمد : هذه عمدة اعتراضاتهم ، التى لا يشذ عنها شىء من تفريعاتهم وكل ما ذكروا لا حجة لهم فيه على ما نبين إن شاء الله تعالى بعونه وتأييده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فنقول وبالله تعالى التوفيق أمَّا قول الله تعالى : « ثم يقولون هذا من عند الله »[١٠٢]. فلا حجة لهم فى هذا لأن أول الآية فى قوم كتبوا كتاباً .

وقالوا هذا من عند الله ، فأكذبهم الله تعالى فى ذلك . وأخبر أنه ليس منزلًا من عنده ولا مما

---

(٩٨) فى (أ) : أعمال .
(٩٩) فى (خ) : (سمى منه) .
(١٠٠) فى (أ) : لم يذكر (الله تعالى) .
(١٠١) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(١٠٢) سورة البقرة : ٧٩ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .

أمر به تعالى ، ولم يقل هؤلاء القوم إن هذا الكتاب مخلوق ، فأكذبهم الله عز وجل فى ذلك .

وقال تعالى إن هذا[١٠٣] الكتاب ليس مخلوقاً لله ، فبطل تعليقهم بهذه الآية جملة[١٠٤]ولا شك عند المعتزلة ، وعندنا أن ذلك الكتاب مخلوق لله عز وجل ، لأنه قرطاس أو أديم ومداد وكل ذلك مخلوق بلا شك .

وأما قوله تعالى : « فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِين »[١٠٥].

فقد علمنا أن كتاب[١٠٦] الله عز وجل لا يتعارض ولا يتدافع .

قال الله تعالى : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً »[١٠٧] .

فإذ لا شك فى هذا فقد وجدناه تعالى أنكر على الكافرين .

فقال تعالى « أَمْ جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخِلْقُ عليهم قُلِ الله خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ الْواحِدُ القَهَّار »[١٠٨].

فهذه الآية تثبت[١٠٩] فساد[١١٠] ما تعلقت به المعتزلة وذلك أن قوماً جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه ، فجعلوهم خالقين .

فأنكر[١١١] الله تعالى ذلك ، فعلى هذا خرج قوله تعالى « فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِين »[١١٢].

كما قال تعالى « إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وأَكِيد كَيْداً »[١١٣].

وكما قال « وَمَكَرُوا وَمَكَر الله »[١١٤].

ويبين بطلان ظنون قول المعتزلة فى هذه الآية .

---

(١٠٣) فى (أ) : (ذلك) .
(١٠٤) المؤمنون : ١٤
(١٠٥) النساء : ٨٢
(١٠٦) فى (أ) : (بينت) .
(١٠٧) فى (خ) : لم تذكر كلمة (جملة) .
(١٠٨) فى (أ) : (كلام) .
(١٠٩) الرّعد : ١٦ .
(١١٠) فى (أ) : سقطت كلمة (فساد) .
(١١١) فى (أ) : (فأنكروا الله) .
(١١٢) جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكرت (تبارك) المؤمنون : ١٤
(١١٣) الطارق : ١٥ ، ١٦
(١١٤) آل عمران : ٥٤

قول الله تعالى « وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَامِنَّا مِنْ شَهِيد »[١١٥] أفيكون مسلما من أوجب لله تعالى شركاء من أجل قوله للكفار الذين جعلوا لله شركاء أين شركائى . لا شك أن هذا الخطاب إنما خرج جواباً عن إيجابهم له الشركاء ، تعالى الله عن ذلك .

وكذلك قوله تعالى « ذُقْ أَنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الكَرِيمُ »[١١٦].

إنما هذا على حكم ذلك المعذّب لنفسه فى الدنيا ، أنه العزيز الكريم وقد علمنا أن كلام الله عز وجل كله على ظاهرة ، إلا أن ينقله عن ظاهره نص آخره ، أو إجماع ، أو ضرورة عقل[١١٧].

وبضرورة العقل وبالنص علمنا أنه ليس لله تعالى شركاء ،وأنه لاخالق غيره عز وجل ، وأنه خلق كل شيء فى العالم من عرض أو جوهر ، وبهذا خرج قوله تعالى « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين ».

مع قوله تعالى « أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخلُقُ »[١١٨].

فلو أمكن أن يكون فى العالم خالق غير الله تعالى يخلق شيئاً لما أنكر ذلك عزَّ وجل إذ هو عزَّ وجل لا ينكر وجود الموجودات ، وإنما ينكر وجود[١١٩] الباطل فصح ضرورة لا شك فيها أنه لا خالق غير الله تعالى .

فإذ لا شك فى هذا فليس فى قوله عز وجل « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين » .

إثبات لأن فى العالم خالق غير الله تعالى يخلق شيئاً وبالله تعالى التوفيق .

وأما قوله تعالى « وَتَخْلُقُون إفْكاً »[١٢٠].

وقوله تعالى عن المسيح ﷺ « إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً »[١٢١].

وقول زهير[١٢٢] بن أبى سلمى المزنى شعراً :

وأراك تخلـــق ما فـــــريت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

(١١٥) فصّلت : ٤٧

(١١٦) الدّخان : ٤٩

(١١٧) جاء الكلام الذى بين القوسين [ ] مضطربا فى (أ) وفيه سقط يخل بالمعنى .

(١١٨) النحل : ١٧

(١١٩) فى (أ) : سقط (وجود) .

(١٢٠) العنكبوت : ١٧

(١٢١) آل عمران : ٤٩

(١٢٢) هو : زهير بن أبى سلمى ، ربيعة بين رياح المزنى من مضر ، حكيم الشعراء فى الجاهلية ، وفى أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب دقة . قال ابن الأعرابى : كان الزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعرًا ، وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة ولد فى بلاد =

فقد قلنا إن كلام الله عز وجل لا يختلف وقد قال تعالى « أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ » .

وقال تعالى : « واتَّخَذُوا مِنْ دُونه آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُوم »(١٢٣).

ويتعين على كل ذى(١٢٤) عقل أن من جملة أولئك الآلهة الذين اتخذهم الكفار : الجن والملائكة والمسيح عليهما السلام .

قال الله تعالى « لَقَدْ كَفَرَا الَّذِينَ قَالُوا إنَّ الله هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَم »(١٢٥).

وقال حاكياً عن الملائكة أنهم قالوا عن الكفار :

بَلْ كَانُوا يعبدون الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بهم مؤْمِنُون »(١٢٦).

فقد صح يقيناً بنص الآية أن الملائكة والجنَّ والمسيح لا يخلقون شيئاً أصلًا ، ولا يختَلف إنسانَ(١٢٧) فى أن جميع الإنس فى فعلهم كمن ذكرنا إن كان هؤلاء يخلقون أفعالهم فسائر الناس يخلقون أفعالهم ، وإن كان هؤلاء لا يخلقوم أفعالهم فسائِر هولاء(١٢٨) لا يخلقون شيئا من(١٢٩) أفعالهم فإذ ذلك(١٣٠) كذلك ، وكلام الله عز وجل لا يختلف فإذ لا شك فى هذا(١٣١) فإن الخلق الذى أثبته الله تعالى للمسيح عليه السلام فى الطير ، وللكفار فى الإفك ، هو غير الخلق الَّذى نفاه عنهم وعن جميع الخلق ، لا يجوز ألبته غير هذا .

فإذا هذا هو(١٣٢) الحق بيَقين فالخلق الذى أوجبه الله تعالى لنفسه ، ونفاه عن غيره هو الاختراع والإبداع وإحداث الشيء من لا شيء(١٣٣) بمعنى من عدم إلى وجود ، وأمَّا(١٣٤) الخلق الذى أوجبه الله لغيره فإنما هو ظهور الفعل منهم فقط ، وانفرادهم به ، والله خالقه فيهم .

مزينة بنواحى المدينة ، وكان يقيم فى الحاجر من ديار نجد ، وقد ترجم كثير من شعره إلى الالمانية . (الاعلام : ٨٦/٣ ، ٨٧ بتصرف) . وصحة البيت كما ورد فى شرح ديوان زهير :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

والخالق هنا : الذى يقدّر ويهيىء للقطع . يقول : فأنت إذا تهيأت لأمر مضيت له (شرح ديوان زهير : ٩٤) .

(١٢٣) الفرقان : ٣ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث زاد فى أولها (أم) وفى وسطها (دون الله) .

(١٢٤) فى (خ) : (ويقين عند كل عقل) .

(١٢٥) المائدة : ١٧

(١٢٦) سبأ : ٤١

(١٢٧) فى (أ) : (اثنان) .

(١٢٨) فى (أ) : الناس .

(١٢٩) فى (خ) : لم يذكر (شيئا من) .

(١٣٠) فى (أ) : (فإن) .

(١٣١) فى (خ) : سقط (فإذ لا شك فى هذا) .

(١٣٢) فى (خ) : لم يذكر (هو) .

(١٣٣) فى (خ) : (من ليس إلى إيش) .

(١٣٤) فى (خ) : (وإنما) .

وبرهان ذلك أن العرب تُسمّى الكذب اختلافاً ، والقول الكاذب مختلقاً .

وذلك القول بلا شك إنما هو لفظ ومعنى ، واللفظ مركَّب من حروف الهجاء ، وقد كان ذلك موجوداً لشىء[١٣٥] قبل وجود أشخاص هؤلاء المختلقين وهذا كقوله عزَّ وجل : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَه أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُون »[١٣٦].

وكقوله « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلِكنَّ الله قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتُ ولِكنَّ الله رَمَى »[١٣٧].

وبيقين يدرى كل ذى حس سليم مؤمن بالله تعالى وبالقرآن أن الزرع والرمى والقتل الذى نفاه الله تعالى عن الناس وعن رسوله ﷺ هو غير الزرع والرمى والقتل الذى أضافه إليهم ، لا يمكن ألبته غير ذلك ، لأنه تعالى لا يقول إلا الحق ، فإذ ذلك كذلك .

فإن الذى نفاه عمن ذكرنا هو خلق كل ذلك[١٣٨] واختراعه ، وإبداعه وتكوينه ، وإخراجه من عدم إلى وجود .

والذى أوجب لهم منه ظهوره فيهم ونسبه ذلك كله إليهم فقط . وبالله تعالى التوفيق .

وقول زهير « ولأنت تخلق[١٣٩] ما فريت » لا يشك من له أقل فهم بالعربية . أنه لم يعن الإبداع ، ولا إخراج الخلق من عدم إلى وجود ، وإنما أراد النفاذ فى الأمر فقط ، فقد[١٤٠] وضح أن لفظة الخلق مشتركة تقع على معينين : أحدهما : لله تعالى لا لأحد دونه ، وهو الإبداع والإخراج[١٤١] من عدم إلى وجود .

والثانى : الكذب فيما لم يكن ، أو ظهور فعل لم يتقدم لغيره ، أو نفاذ فيما يحاول[١٤٢]، وهذا كلّه موجود[١٤٣] فى الحيوان ، والله خالق كل ذلك وبالله تعالى التوفيق .

وبهذا تتالت[١٤٤] الأحاديث كلها ، وأما قوله تعالى : « صُنْعَ الله الَّذِى أَتْقَن كلَّ شَيءٍ »[١٤٥].

---

(١٣٥) فى (أ) : (موجود النوع) .
(١٣٦) الواقعة : ٦٣ ، ٦٤
(١٣٧) الأنفال : ١٧
(١٣٨) فى (أ) : (شىء) .
(١٣٩) فى (خ) : ورد هذا البيت مضطربًا حيث ذكره : (وأراك تفرى ما خلقت) .
(١٤٠) فى (ح) : لم يذكر (فقد) .
(١٤١) فى (أ) : سقطت (والاخراج) .
(١٤٢) فى (أ) : حاول .
(١٤٣) فى (أ) : مِنْ .
(١٤٤) فى (أ) : تتألف .
(١٤٥) النحل : ٨٨

فهو عليهم لالهم ، لأن الله تعالى أخبر أن بصنعه أتقن كل شيء ، وهذا على عمومه ، وظاهره ، فالله تعالى صانع كل شيء ومتقنه(١٤٦)، وإتقانه له أن خلقه جوهراً أو عرضاً ، جاريين على رتبة واحدة أبداً(١٤٧) وهذا عين الإتقان ، وأما قوله تعالى : « أَحْسَنَ كُلَّ شَىء خَلْقَه »(١٤٨).

فإنهما قراءتان مشهورتان من قرآت المسلمين .

إحداهما : « أحسن كل شيء خَلْقَهُ » بإسكان اللام فيكون خلقه بدلًا من كل شيء ، بدل البيان ، فهذه القراءة عليهم ، لأن معناها أن الله تعالى أحسن خلقه لكل شيء(١٤٩) وصدق الله عز وجل ، وهكذا نقول : إن خلق الله لكل شىّء حسن ، والله تعالى محسن(١٥٠) فى كل شىْء(١٥١) والقراءة الأخرى خلَقه بفتح اللَّام .

وهذه أيضا لا حجة لهن فيها : لأنه ليس فيها إيجاب ، لأن ههنا أشياء لم يخلقها الله عز وجل ، ومن ادَّعى أن هذا مقتضى(١٥٢) الآية فقد كذب ، وإنما يقتضى لفظ(١٥٣) الآية : أن كل شيءٍ فالله تعالى خلقه كما فى سائر الآيات ، والله تعالى أحسن كل(١٥٤) شيءٍ إذ خلقه ، وهذا قولنا ، وكذلك(١٥٥) نقول إن الإنسان لا يفعل شيئًا إلا الحركة(١٥٦) أو السكون والاعتقاد والأرادة والفكر ، وكل هذه كيفيات وأعراض حسان(١٥٧) خلقها الله تعالى فقد أحسن رتبتها وإيقاعها فى النفوس والأجسام(١٥٨)، وإنما قَبَّح ما قَبَّح من ذلك من الإنسان ، لأن الله تعالى سمَّى وقوع ذلك أو بعضه(١٥٩) ممن وقعت منه قبيحًا ، وسمّى بعض ذلك حسنًا ، كما كانت الصلاة إلى بيت المقدس حركة(١٦٠) حسنة إيمانًا ، ثم سماها الله تعالى قبيحة كفرًا وهذه وتلك(١٦١) الحركة نفسها

---

(١٤٦) فى (أ) : سقط (ومتقنه) .
(١٤٧) فى (خ) : لم يذكر (أبدًا) .
(١٤٨) سورة السجدة آية رقم : ٧
(١٤٩) فى (خ) : إن الله تعالى خلق كل شيء حسن .
(١٥٠) فى (خ) : لمحسن .
(١٥١) فى (أ) : شيئًا لم يخلق .
(١٥٢) فى (أ) : فى اقتضاء .
(١٥٣) فى (أ) : لفظة .
(١٥٤) فى (أ) : أحسنه إذ خلقه (ولم يذكر كل شيء) .
(١٥٥) فى (أ) : (وكذا) .
(١٥٦) فى (خ) : (والسكون) .
(١٥٧) فى (أ) : (حسن) .
(١٥٨) فى (خ) : والأجساد .
(١٥٩) فى (خ) : لم يذكر (ذلك أو) .
(١٦٠) فى (خ) : (جولة) .
(١٦١) فى (أ) : (وهذه تلك) .

فصحَّ أنه ليس فى العالم شيء حسن لعيْنِه ، ولا شيء قبيح لعينه ، لكن ما سمّى[١٦٢] الله حسنًا فهو حسنًا وفاعله محسن .

قال تعالى « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أحسنتم لأَنْفُسِكُمْ »[١٦٣].

وقال تعالى « هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانَ »[١٦٤].

وما سماه الله تعالى قبيحا فهو[١٦٥] حركة قبيحة ، وقد سمى الله تعالى خلقه لكل شيء فى العالم حسنًا ، فهو كله من الله تعالى حسن ، وسمَّى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء .

فبعض ذلك قبَّحة فَهو قبيح ، وبعض ذلك حَسَّنه فهو حسن ، ، وبعض ذلك قبَّحة ثم حسَّنة . فكان قبيحا ثم حسنًا ، وبعض ذلك حسَّنة ثم قبَّحة فكان حسنًا ثم قبح ، كما صارت الصلاة إلى الكعبة حسنة بعد أن كانت قبيحة ، وكذلك جميع أفعال الناس التى خلقها الله تعالى فيهم كالوطء قبل النكاح وبعده ، وكسبى من نقض الذمة وكسائر الشريعة كلها .

وقد اتفقت المعتزلة معنا على أن الله تعالى خلق الخمر والخنازير ، والحجارة المعبودة من دونه ، وأن كل ذلك منه تعالى حسن بلا شك ، وهى مسماة قبائح وأرجاسًا وحرامًا ونجسا[١٦٦] وسيئًا وخبيثًا وهكذا القول فى خلقه للأعراض فى عباده ولا فرق ، وكذلك وافقنا أكثرهم على أنه تعالى خلق فساد الدماغ والجنون المتولد منه والجذام والعمى والصمم ، والفالج، والحَدَبة[١٦٧] والأُدْرَة[١٦٨] وكل هذا من خلق الله تعالى له حسن ، وكله فيما بيننا قبيح ردىء جداً[١٦٩] يستعاذ بالله تعالى منه .

وقد نص الله تعالى على أنه خلق المصائب كلها .

فقال عز وجل « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ »[١٧٠].

فنص الله تعالى على أنه بَّراء[١٧١] المصائب كلها ، «برأ : خلق بلا خلاف من أحد ،

---

(١٦٢) فى (أ) : (ما سمّاه) .
(١٦٣) الإسراء : ٧
(١٦٤) الرحمن : ٦٠
(١٦٥) فى (خ) : لم يذكر (قبيحا فهو) .
(١٦٦) فى (خ) : لم يذكر (ونجسا) .
(١٦٧) الحدبة : الحدب : محركة خروج الظهر ودخول الصدر والبطن .
(١٦٨) فى (ح) : (الإرادة) . والأُدرة : بضم الهمزة من أدِرَ : كفرح ، والاسم الأُدرة ، وهى : الفتق فى إحدى الخصيين .
(١٦٩) فى (خ) : لم يذكر (جدًا) .
(١٧٠) الحديد : ٢٢
(١٧١) فى (أ) : (برأ) .

ولا فرق بين إلزامهم إيانا أن الله تعالى أحسن الكفر والظلم ، والجور والكذب والقبائح إذ خلق كل ذلك وبين إقرارهم معنا ، أن الله قد أحسن الخمر والخنازير والدم والميتة والعذرة وأبليس وكل من[١٧٢] قال : أنا إله من دون الله تعالى والاوثان المعبودة من دون الله تعالى[١٧٣] والمصائب كلها والأمراض والعاهات إذ خلق كل ذلك ، فأى شيء قالوه فى هذه الأشياء هو قولنا فى خلق الله تعالى للكفر به ولشتمه والظلم والكذب ولا فرق ، وكل ذلك قد أحسن الله تعالى خلقه ، إذ خلقه[١٧٤] حركة أو سكونًا أو تمييزًا[١٧٥] فى النفس ، وسمَّى ظهوره من العبد قبيحًا ، موصوفًا به الإنسان . وأما قوله تعالى « مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ من تَفَاوُتٍ »[١٧٦].

فلا حجة لهم فيه أصلًا[١٧٧] لأن التفاوت المعهود : ما نافر النفوس أو خرج عن المعهود فنحن نسمى الصورة المضطربة بأن فيها تفاوتًا ، فليس هذا التفاوت الذى نفاه الله تعالى عن خلقه فإذ ليس هو هذا الذى يسميه الناس تفاوتًا ، فلم يبق إلا أن التفاوت الذى نفاه الله تعالى[١٧٨] عما خلق هو شيء غير موجود فيه ألبته ، لأنه لو وجد فى خلق الله تعالى تفاوت لكذب قول الله عز وجل « مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ » .

ولا يُكذِّب الله تعالى إلا كافر ، فبطل ظن المعتزلة أن الكفر والظلم والكذب[١٧٩] والجور تفاوت لأن كل ذلك موجود فى خلق الله تعالى ، مرئى مشاهد بالعيان فيه . فبطل احتجاجهم . والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : فما هذا التفاوت الذى أخبر الله تعالى أنه لا يرى فى خلقه .. ؟

قيل لهم نعم وبالله تعالى التوفيق هو[١٨٠] اسم لا يقع على مسمّى موجود فى العالم أصلًا ، بل هو معدوم جملة ، إذ لو كان شيئاً وجوداً فى العالم لوجد التفاوت فى خلق الله تعالى ، والله تعالى قد أكذب هذا وأخبر أنه لا يرى فى خلقه ، ثم نقول وبالله تعالى نتأيد : إن العالم كله ما دون الله تعالى وهو كله مخلوق لله تعالى ، أجسامه وأعراضه كلها ، لا نحاشى شيئاً منها ثم إذا نظر الناظر فى[١٨١] تقسيم أنواع أعراضه ، وأنواع أجسامه جرت القسمة جرياً مستوياً فى تفصيل أجناسه وأنواعه

(١٧٢) فى (أ) : (ما) .
(١٧٣) فى (خ) : لم يذكر (والأوثان المعبودة من دون الله تعالى) .
(١٧٤) فى (أ) : سقطت كلمة (خلقه) .
(١٧٥) فى (أ) : (ضميرًا) .
(١٧٦) الملك : ٣
(١٧٧) فى (أ) : (فى هذا أيضا) .
(١٧٨) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(١٧٩) فى (خ) : لم يذكر (والكذب) .
(١٨٠) الضمير يعود على (التفاوت) .
(١٨١) فى (خ) : سقطت (فى) .

بحدودها المميزة لها وفصولها المفرقة بينها على رتبة واحدة ، وهيئة واحدة ، إلى أن يبلغ الأشخاص التى تلى أنواع الأنواع لا تفاوت فى شىء من ذلك ألبته بوجهٍ من الوجوه ، ولا تخالف من شىء منه أصلًا ، ومن وقف على هذا علم أن الصورة المستقبحة عندنا والصورة المستحسنة عندنا واقعتان معا[١٨٢] تحت نوع الشكل والتخطيط ، ثم تحت نوع الكيفية ، ثم تحت اسم العرض ، وقوعاً مستوياً لا تفاضل فيه ولا تفاوت ألبتة[١٨٣].

وكذلك أيضاً نعلم أن الكفر والإيمان بالقلب واقعان[١٨٤] تحت نوع الاعتقاد ، ثم تحت نوع[١٨٥] النفس ، ثم تحت نوع[١٨٦] الكيفية والعرض ، وقوعاً مستوياً لا تفاوت[١٨٧] فيه من هذا الوجه من التقسيم ، وكذلك أيضاً نعلم أن الإيمان والكفر باللسان واقعان تحت نوع[١٨٨] الهواء بآلات الكلام ، ثم تحت نوع الحركة وتحت نوع الكيفية ، وتحت نوع[١٨٩] العرض وقوعاً مستوياً لا تفاوت فيه ولا اختلاف ، وهكذا القول فى الظلم وفى الإنصاف وفى العدل وفى الجور وفى الصدق ، وفى الكذب وفى الزنا ، وفى الوطء الحلال ولا فرق ، وكذلك كل ما فى العالم حتى ترجع جميع الموجودات إلى الرءوس الأول التى ليس فوقها رأس يجمعها ، إلا كونها مخلوقة لله عز وجل ، وهى الجوهر والكم والكيف والإضافة على ما بينا فى كتاب : التقريب ، والحمد لله رب العالمين .

فانتفى التفاوت عن كل ما خلق الله تعالى وعادت الآية المذكورة[١٩٠] حجة على المعتزلة ضرورة لا منفك لهم عنها ، وهى أنه لو كان وجود الكفر والكذب والظلم تفاوتا كما زعموا لكان التفاوت موجوداً فى خلق الرحمن وقد كَذَّب[١٩١] الله عز وجل ذلك ونفى أن يُرى فى خلقه تفاوت .

وأما اعتراضهم من طريق النظر بأن قالوا : إنه تعالى إن كان خلق الكفر والمعاصى فهو إذن يغضب مما فعل ، ويغضب مما خلق ، ولا يرضى مما صنع ، ويسخط ما فعل ، ويكره ما يفعل ، وأنه يغضب ويسخط من تدبيره وتقديره[١٩٢] فهو تمويه ضعيف ، ونحن لا ننكر ذلك إذ أخبرنا

---

(١٨٢) فى (خ) : لم يذكر (معا) .
(١٨٣) فى (أ) : (فى هذا بوجه من التقسيم) بدلًا من (ألبتة) .
(١٨٤) فى (خ) : لم يذكر (واقعان) .
(١٨٥) فى (أ) : فعل .
(١٨٦) فى (أ) : سقطت كلمة (نوع) .
(١٨٧) فى (أ) : بزيادة (لا تفاضل فيه) .
(١٨٨) فى (أ) : (فرع الهواء) .
(١٨٩) فى (أ) : (اسم العرض) .
(١٩٠) فى (خ) : لم يذكر (المذكورة) .
(١٩١) فى (خ) : (أكذب) .
(١٩٢) فى (أ) : (فهذا) .
(١٩٣) فى (خ) : سقطت كلمة (أخبرنا) .

عز وجل به ، وقد أخبرنا تعالى أنه يسخط الكفر والظلم والكذب ولا يرضاه ، وأن كل ذلك[١٩٤] مكروه لديه[١٩٥] ولا يرضاه ، فليس إلا التسليم لله عز وجل[١٩٦]، ثم نعكس[١٩٧] عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم : أليس الله تعالى هو خالق إبليس ، وفرعون والخمر والكفار .. ؟

فلابد من نعم . فنقول لهم : أيرضى عز وجل عن هؤلاء كلهم أم يسخط[١٩٩].. ؟ فلا بد من أنه ساخط عليهم ، كاره لهم غضبان عليهم ، غير راضٍ عنهم .

فنقول لهم : هذا نفس ما أنكرتم من أنه تعالى يسخط[٢٠٠] تدبيره ، ويغضب من فعله ، ويكره ما خلق ويلقيه .

فإن قالوا : لم يكره عين الكفر[٢٠١] ولا سخط شخص إبليس ، ولا كره عين الخمر ، لم نسلم لهم ذلك ، لأنه تعالى قد نص على أنه لعن إبليس والكفار ، وأنهم مسخطون ملعونون ، مكروهون من الله تعالى ، مغضوب عليهم وكذلك الخمر والأوثان . وقال تعالى : « إِنَّما الْخَمْرَ والْمَيْسرُ والأَنْصَابُ والأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجْتَنِبُوه لعلّكُم تَفْلِحُون »[٢٠٢].

وقال تعالى : « أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّه رِجْسٌ »[٢٠٣].

وقد سمى الله تعالى كل[٢٠٤] ذلك رجساً ثم أمر تعالى بعد ذلك باجتنابه وأضاف كل[٢٠٥] ذلك إلى عمل الشيطان ، ولا خلاف فى أنه عز وجل خالق كل ذلك ، فهو خالق الرجس ، بالنص ولا فرق بين المعقول بين خالق[٢٠٦] الرجس وخالق الكفر والظلم والكذب .

وقال تعالى : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاهَا »[٢٠٧].

فأخبر تعالى أنه هو الذى ألهم التقوى والفجور النفوس[٢٠٨].

---

(١٩٤) فى (أ) : وأنه يكره كل ذلك .
(١٩٥) فى (أ) : بزيادة (ويغضب منه) .
(١٩٦) فى (أ) : لقول الله تعالى .
(١٩٧) فى (أ) : (نعم نعكس) بدلًا من (ثم نعكس) .
(١٩٨) فى (أ) : خلق .
(١٩٩) فى (أ) : أم هو ساخط عليهم .
(٢٠٠) فى (أ) : سخط .
(٢٠١) فى (أ) : (الكافر) .
(٢٠٢) سورة المائدة آية رقم : ٩٠
(٢٠٣) الأنعام : ٤٥ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكر (ولحم خنزير) .
(٢٠٤) فى (خ) : لم يذكر كلمة (كل) .
(٢٠٥) فى (خ) : لم يذكر كلمة (كل) .
(٢٠٦) فى (أ) : (خلق) .
(٢٠٧) فى الشمس : ٨
(٢٠٨) فى (أ) : سقط الكلام من قوله (فأخبر تعالى إلى النفوس) .

فعلى قول هؤلاء المخاذيل أنه مما ألهم ويكرهه ، وإلهامه فعله بلا شك ضرورة ، فَقَد صحَّ عليهم ما شنَّعوا به من أنه تعالى يغضب من فعله أيضا .

فيقال لهم : هل الله تعالى قادر على منح الظالم من ظلم المظلوم(٢٠٨) ..؟ وعلى منع الذين قتلوا رسل الله ﷺ على أن يحول بين الكافر وكفره بأن(٢٠٩) يميته قبل أن يبلغ وبين الزانى وزناه بإضعاف جارحته ، أو بشغل يشغله به ، أو تيسير إنسان يطلّ عليهما ، أم هو عاجز عن ذلك كله غير(٢١٠) قادر على شيء منه ..؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث .

فإن قالوا : هو غير قادر على شيء من ذلك عجزّوا ربهم ، وكفروا وبطلت أدلتهم على إحداث العالم ، إذا أضعفوا قدرة ربهم عن هذا اليسير السهل ، وإن قالوا : بل هو قادر على ذلك كله فقد أقروا أيضاً على أنه رأى المنكر والكفر والزنى والظلم وأقره ولم يغيره ، وأطلق أيدى الكفار على قتل أنبيائه(٢١١) وضربهم ، ومع إقراره إياهم(٢١٢) على ذلك فلم يكتف به ، حتى قواهم [بجوارحهم وآلاتهم ، وكف كل مانع ، وهذا على قولهم أنه رضا منه تعالى بالكفر](٢١٣) على كل ذلك ، وكل ما ذكر بإرادته واختيارٍ منه تعالى لكل ذلك ، وهذا كفر مجرد . وأما أنه يغضب ممّا أقر ويسخط مما أعان عليه ، ويكره مما فعل من إقرارهم على كل ذلك .

وهذا هو الذى شنَّعوه به ، ولابد من أحد الوجهين ضرورة ، وكلاهما خلاف قوله إلا أن هذا لازم لهم على أصولهم ، ولا يلزمنا نحن شيء منه ، لأننا ما نقبح إلَّا ما قَبَّح الله تعالى ، ولا نحسِّن إلا ما حسَّن الله تعالى ، فإن قالوا إنما أقره لينتقم منه . وإنما كان يكون سفهاً وعبثاً لو أقره أبداً .

قيل لهم : أى فرق بين إقراره عز وجل للكفر والظلم والكذب ساعة وبين ابقائه ذلك ساعة بعد ساعة ، وهكذا أبداً بلا نهاية أو نهاية فى الحسن والقبح . وإلا فعرفونا الأمر(٢١٤) الذى يكون إقرار الظلم والكفر والكذب إليه حكمة وحسناً ، وإذا تجاوزه صار عبثاً وسفهاً ، فإن تكلفوا أن يحدّوا فى ذلك حدًّا أتوا بالجنون والسُّخف والكذب ، والدعوى التى لا يعجز عنها أحدُ .

وإن قالوا: لا ندرى وردّوا العلم فى ذلك إلى الله عزّ وجل صدقوا . وهذا هو قولنا : إن كل ما فعله الله تعالى من تكليفه ما لا يطاق وتعذيبه عليه وخلقه الظلم والكفر فى الظالم والكافر وإقراره كل ذلك ثم تعذيبهما عليه وخلقه وغضبه وسخطه إياه كل ذلك من الله عز وجل حكمه وعدْل

---

(٢٠٩) فى (أ) : سقطت كلمة (ظلم) .
(٢١٠) فى (أ) : (وأن يميته) .
(٢١١) فى (أ) : سقطت كلمة (غير) فاختل المعنى .
(٢١٢) فى (أ) : (رسله) .
(٢١٣) فى (أ) : (بكل ذلك) .
(٢١٤) فى (ح) : لم يذكر ما بين القوسين .

وحقٌّ وممن دونه سفهٌ وظلم وباطل ، لا يسأل عما يفعل تعالى وهم يسألون . وأما قولهم من فعل شيئاً وجب أن ينسب إليه وأنه لا يعقل ولا يوجد غير هذا وإيجابهم هذا الاستدلال إلى أن يسمى الله تعالى ظالما لأنه خلق الظلم وكذلك من الكفر والكذب فهذا ينتقض عليهم من وجهين :

أحدهما : أنه تشبيه محض ، لأنهم يريدون أن يحكموا على البارى تعالى بحكم الموجود الجارى على خلقه .

ويقال لهم إذا[٢١٥] لم تجدوا فى الشاهد فاعلًا إلا جسماً [ولا عالما لا بعلم هو غيره ، ولا حيا إلا بحياة هى عرض فيه ، ولا مخبراً عنه إلا جسماً أو عرضا] وما لم يكن كذلك فهو معدوم[٢١٦] ولا يتوهم ، ولا يعقل ثم رأيتم[٢١٧] الله تعالى بخلاف ذلك كله ولم تحكموا عليه بالحكم فيما وجدتم ، فقد وجب ضرورة أن لا يحكم عليه تعالى بالحكم عندنا فى أن يسمى فى أفعاله ولا فى أن ينسب إليه كما ينسب إلينا بخلاف ذلك بالبرهان الضرورى .

وهو أن الله تعالى خلق كل ما خلق من ذلك مخترعا له كيفية مركبة فى غيره ، فهكذا هو فعل الله تعالى فيما خلق .

وأما فعل عباده لما فعلوا فإنما معناه أنه ظهر منهم ذلك الفعل عرضاً محمولًا فى فاعله ، لأن ذلك إما حركة فى متحرك ، وإما سكوناً فى ساكن ، أو اعتقاداً فى معتقد ، أو فكراً فى متفكر ، أو إراده من مزيد ، ولا مزيد ، فبين الأمرين فرق باين لا خفاء به على من له أقل فهم .

وأما المدح والذم واشتقاق اسم الفاعل من فعله فليس كما ظنوا لكن الحق هو أنه يستحق أحد مدحاً ولا ذماً إلا من مدحه الله ورسوله[٢١٨] ﷺ أو ذمه وقد أمرنا الله تعالى بحمده والثناء عليه ، فهو عز وجل محمود على كل ما فعل[٢١٩] محبوب لكل ذلك .

وأما من دونه عز وجل فمن حمد الله تعالى فعله فهو ممدوح محمود[٢٢٠] وأما من ذم عز وجل فعله الذى أظهره فيه فهو مذموم ولا مرية[٢٢١].

وبرهان ذلك[٢٢٢] إجماع أهل الإسلام على أنه لا يستحق الحمد والمدح[٢٢٣] إلا من أطاع الله

---

(٢١٥) فى (أ) : الأمد .
(٢١٦) فى (أ) : (إذ) .
(٢١٧) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين [ ] .
(٢١٨) فى (خ) : (أثبتم) .
(٢١٩) فى (أ) : لم يذكر (ورسله) .
(٢٢٠) فى (أ) : فعله .
(٢٢١) فى (أ) : زاد (الذى أظهر فيه) .
(٢٢٢) فى (أ) : ولا مزيد .
(٢٢٣) فى (أ) : (هذا) .

عز وجل ، ولا يستحق الذم . إلا من عصاه ، وقد يكون العبد[٢٢٤] محموداً مطيعاً اليوم ممدوحاً بفعله إن فعله اليوم ، وكافراً مذموماً به[٢٢٥] إن فعله غداً ، كالحج فى إشهر الحج ، وفى غير أشهر الحج ، وكصوم[٢٢٦] يوم الفطر والأضحى ، وكصوم رمضان وكالصلاة فى الوقت وقبل الوقت أو بعده وكسائر الشرائع كلها ، وقد وجدنا فاعلًا للكذب قائلًا له ، وفاعلًا للكفر قائلا له[٢٢٨]، وهما غير مذمومين ولا يسمى أحداً منهما كافراً ولا كاذباً ، وهما الحاكى والمكره ، فبطل ما ظنت المعتزلة بأن[٢٢٩] من فعل الكذبِ فهو كاذب ، ومن فعل الكفر فهو كافر ، ومن فعل الظلم فهو ظالم ، فصح[٢٣٠] أنه لا يكون كافراً ولا كاذبًا إلا من سمَّاه الله عز وجل كافرًا أو ظالمًا ، [وأنه لا كفر ولا ظلم ، ولا كذب ، إلّا ماسمّاه الله كفرا ، وكذبا ، وظلما][٢٣١].

فصحّ بالضرورة التى لا محيد عنها أنه ليس فى العالم شيءٍ ممدوح لعينة ولا مذموم لعينه ولا كفر لعينه ، ولا ظلم لعينه .

وأما ما لا يقع عليه اسم طاعة ولا معصية ، ولا حكمهما وهو الله تعالى فلا يجوز أن يوقع عليه مدح ولا ذم ولا حمد إلا بنص من قبله ، ونحمده كما أمرنا أن نقول : الحمد لله رب العالمين .

وأما من دونه تعالى ممن ، لا طاعة تلزمه ولا معصية كالحيوان من غير الملائكة والحور العين ، والإنس والجن فكالجمادات فلا تستحق مدحًا ولا ذمًا ، لأن الله تعالى لم يأمرنا بذلك فيها ، فإن وجد له أمر مدح لشيْء منها أو ذمه ، وجب الوقوف عند أمره تعالى ، كأمره بمدح الكعبة ، والمدينة ، والحجر الأسود ، وشهر رمضان ، والصلاة وغير ذلك ، وكأمره تعالى بذم الخمر ، والخنزير ، والميتة ، والكنيسة والكفر ، والكذب ، وما أشبه ذلك ، وأما ما عدا هذين القسمين فلا مدح ولا ذم . وأما اشتقاق اسم الفاعل من فعله فكذلك أيضًا ولا فرق وليس لأحد أن يسمى شيئًا إلا بما أباحه الله تعالى فى الشريعة ، أو فى اللغة التى أمرنا بالتخاطب بها . وقد وجدناه تعالى أخبر[٢٣٢] أن له كيدًا ومكرًا ، وأنه يكيد ويمكر[٢٣٣] ويستهزىء وينسى ما نسيه[٢٣٤]،

---

(٢٢٤) فى (خ) : لم يذكر (والمدح) .
(٢٢٥) فى (أ) : (المرء) .
(٢٢٦) فى (خ) : لم يذكر (به) .
(٢٢٧) فى (أ) : (ولصوم) .
(٢٢٨) فى (أ) : (به) .
(٢٢٩) فى (أ) : (من أنه) .
(٢٣٠) فى (أ) : (وصحّ) .
(٢٣١) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين [ ] .
(٢٣٢) فى (أ) : أخبرنا .
(٢٣٣) فى (أ) : سقطت (وأنه) .
(٢٣٤) فى (خ) : لم يذكر (وينسى ما نسبه) .

وهذا كله لا تدفعه المعتزلة ولو دفعته لكفرت لردها نص القرآن ، وهم مجمعون معنا على أنه لا يسمى باسم مشتق[٢٣٥] من ذلك .

فلا يقال له ماكر من أجل أن له مكرًا ، ولا أنه كياد من أجل أنه يكيد ، وأن له كيدًا ، ولا مستهزئًا من أجل أنه يستهزىء[٢٣٦] فقد بطل ما صوروه من أن كل[٢٣٧] من فعل فعلًا فإنه يسمى منه ، وينسب إليه .

ولا يشغب ههنا مشغب مع من لا يحسن المناظرة فيقول : إنما قلنا : إنه يكيد ويستهزىء وأنه مكر على[٢٣٨] معنى[٢٣٩] المعارضة[٢٤٠] فإنا نقول[٢٤١]: صدقت ولم نخالفك فى هذا لكن ألزمناك أن تسمِّيَه تعالى كيَّادًا ، وماكرًا ، ومستهزئًا ، وناسيًا ، على معنى المعارضة ، كما يقول فقط ، فإن أبى من ذلك وقال : إن الله عز وجل لم يسمِّ بشىءٍ من ذلك نفسه ، فقد رجع إلى الحق ، ووافقنا فى أن الله تعالى لا يسمَّى ظالمًا ، ولا كاذبًا ، ولا كافرًا ، من أجل خلقه الظلم ، والكفر ، والكذب ، لأنه تعالى لم يسمِّ نفسه بذلك ، فإن[٢٤٣] أنكر ذلك تناقض ، وظهر بطلان قوله[٢٤٤] فى مذهبه .

* * *

قال أبو محمد : وقد وافقونا على أنه تعالى خلق الخمر وحَبَل النّساء[٢٤٥] ولا يجوز أن يسمَّى خمّارًا ، ولا مُحْبِلًا ، وأنه تعالى خلق أصباغ القمارى والهداهد[٢٤٦]، والحجل ، وسائر الألوان ، ولا يجوز[٢٤٧] أن يسمَّى صباغًا ، وأنه تعالى بنى السماء[٢٤٨] ولا يسمى بناءً وأنَّه تعالى سقانا الغيثَ ومياه الأرض ولا يسمَّى سقاءً ولا ساقيا .

---

(٢٣٥) فى (ح) : لم يذكر (باسم مشتق) .
(٢٣٦) فى (أ) : زاد بهم .
(٢٣٧) فى (أ) : سقطت (منْ) .
(٢٣٨) فى (أ) : وأنه يمكر وينيس .
(٢٣٩) فى (أ) : سقطت كلمة (معنى) .
(٢٤٠) فى (أ) : بزيادة (بذلك) .
(٢٤١) فى (أ) : زاد (له) .
(٢٤٢) فى (خ) : (ومستهترا) .
(٢٤٣) فى (أ) : (وإن) .
(٢٤٤) فى (أ) : سقط (قوله فى) .
(٢٤٥) فى (خ) : (وجبل الفساد) .
(٢٤٦) فى (خ) : (الهدهد) .
(٢٤٧) فى (أ) : سقط (ويجور أن) .
(٢٤٨) فى (أ) : زاد (والأرض) .

وأنه تعالى خلق الخمر ، والخنزير ، وإبليس ، ومردة الشياطين ، وكذلك[٢٤٩] كل سوء وسيء ، وخبيث ، ورجس ، ونجس[٢٥٠] وشر ، ولا يسمى من أجل ذلك مسيئًا ولا شريرًا فأىُّ فرق بين هذا كله وبين أن يخلق الشر والظلم ، والكذب ، والكفر ، ومعاصى عباده ؟ ولا يسمى بذلك مسيئًا ولا ظالمًا ، ولا كاذبًا ، ولا شريرًا ولا فاحشًا ، والحمد لله على ما منّ به من الهدى والتوفيق وهو المستزاد من فضله لا إله إلا هو .

* * *

ويقال لهم أيضًا : أنتم تقولون بأنه خلق القوة التى بها يكون الكفر ، والكذب ، والظلم ، ووهبها[٢٥١] لعباده ولا تسمونه من أجل ذلك مقويًا[٢٥٢] على الكفر ، ولا معينًا للكافر فى كفره ، ولا مسببًا الظلم[٢٥٣] ولا واهبًا للكفر ، وهذا بعينه هو الذى عبتم وأنكرتم .

ويقال لهم أيضًا : أخبرونا عن تعذيبه أهل جهنم فى النار[٢٥٤] أمحسنٌ هو بذلك إليهم أم مسيىء ؟ فإن قالوا[٢٥٥]: محسنٌ إليهم ، قالوا : الباطل وخالفوا أصلهم ، وسألناهم[٢٥٦] أن يسألوا لأنفسهم ذلك الإحسان نفسه وإن قالوا : إنه مسيء إليهم كفروا[٢٥٧] وإن قالوا مسيئًا[٢٥٨] قلنا لهم فهم فى إساءة أو إحسان ؟

فإن قالوا : ليسوا فى إساءَة كابروا العيان ، وإن قالوا بل هم فى إساءةٍ ، قلنا لهم : هذا ما[٢٥٩] أنكرتم أن يكون منه تعالى إليهم حال[٢٦٠] هى غاية الإساءة ، ولا يسمى بتلك[٢٦١] مسيئًا .

وأما نحن فنقول : إنهم فى غاية الإساءة والمساءَة والسخط عليهم ، وليس السخط إحسانًا إلى المسخوط عليه ، وكذلك اللعنة فى الملعون وأنه تعالى محسنٌ على الإطلاق ، ولا نقول : إنه مسىٌ أصلًا وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٤٩) فى (خ) : لم يذكر (وكذلك) .
(٢٥٠) فى (أ) : سقط (ونجس) .
(٢٥١) فى (أ) : (وهيأها) .
(٢٥٢) فى (أ) : (مغويا) .
(٢٥٣) فى (أ) : (للكفر) بدلًا من (الظلم) .
(٢٥٤) فى (أ) : (النيران) .
(٢٥٥) فى (أ) : (بل) .
(٢٥٦) فى (خ) : (ومنعناهم) .
(٢٥٧) فى (أ) : زاد (به) .
(٢٥٨) فى (أ) : (مسيئا إليهم) .
(٢٥٩) فى (أ) : (هذا الذى) .
(٢٦٠) فى (خ) : حال سيء .
(٢٦١) فى (أ) : (بذلك) .

والأصل فى ذلك ما قلناه من أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه إلا بما أخبر به[٢٦٢] عن نفسه ولا مزيد .

فإن قالوا : إذا جوَّزتم أن يخلق[٢٦٣] الله تعالى[٢٦٤] ما هو ظلم بيننا ولا يكون بذلك ظالماً ، فجوزوا[٢٦٥] أن يخبرنا بالشيء على خلاف ما هو عليه ولا يكون بذلك كاذباً ، وأن لا يعلم ما يكون ، ولا يكون بذلك جاهلًا ، وأن لا يقدر على شيءٍ ولا يكون عاجزاً .

قيل لهم – وبالله تعالى التوفيق – هذا محال من وجهين :

أحدهما : أنه[٢٦٦] قد أوضحنا أنه ليس فى العالم ظلم لعينه ، ولا بذاته ألبتة ، وإنما الظلم بالإضافة ، فيكون قتل زيد إذا نهاى الله تعالى – عنه ظلماً ، وقتله إذا أمر الله – تعالى – به عدلًا ، وأمَّا الكذب فهو كذب لعينه وبذاته ، فكل من أخبر بخبر بخلاف ما هو عليه[٢٦٧] فهو كاذب ، إلا أنه لا يكون بذلك[٢٦٧] آثماً ولا مذموماً إلا من حيث أوجب الله – تعالى – فيه الإثم والذم فقط ، وكذلك القول فى الجهل والعجز أنهما جهلٌ[٢٦٨] لعينه وعجزٌ لعينه ، وكل من لم يعلم شيئاً فهو جاهل به ولابدَّ ، وكل من لم يقدر على شيء فهو عاجز عنه ولابد .

والوجه الثانى :[٢٦٩] بالضرورة التى علمنا أن نواة التمر لا تخرج زيتونةً ، وأن الفرس لا ينتج جملًا[٢٧٠]، عرفنا أن الله تعالى لا يكذب ، ولا يجهل ، ولا يعجز ، لأن[٢٧١] هذه صفات المخلوقين ، وجميع صفات[٢٧٢] المخلوقين عنه تعالى منتفية إلا ما جاء به نص[٢٧٣] بأن يُطِلَق اسم من أسمائها عليه خاصة فنقف عليه وأيضًا[٢٧٤]، فإن أكثر المعتزلة يحقق قدرة البارىِ – تعالى – على الظلم ، والكذب ، ولا يجيزون وقوعهما منه – تعالى [وليس وصفهم إياه عزّ وجل بالقدرة على ذلك ،

---

(٢٦٢) فى (ح) : سقطت (به) .
(٢٦٣) فى (أ) : (يفعل) .
(٢٦٤) فى (أ) : زاد (فعلا) .
(٢٦٥) فى (أ) : (فجوزنا) .
(٢٦٦) فى (أ) : (أننا) .
(٢٦٧) فى (أ) : سقطت (عليه) .
(٢٦٧) فى (أ) : (ذلك) وهو تحريف .
(٢٦٨) فى (أ) : (جعل) .
(٢٦٩) فى (أ) : (أن بالضرورة) .
(٢٧٠) فى (أ) : زاد (بها) .
(٢٧١) فى (أ) : زاد (كله) .
(٢٧٢) فى (أ) : سقط (وجميع صفات المخلوقين) .
(٢٧٣) فى (خ) : لم يذكر كلمة (نص) .
(٢٧٤) فى (أ) : (عنده) .

بموجب إمكان وقوعه منه تعالى][٢٧٥]، ولا ينكرون علينا أن نقول إن الله – تعالى – فعل أفعالًا هى منه – تعالى – عدلٌ وحكمة ، وهى مِنّا ظلم وعبث ، وليس يلزمنا مع ذلك أن نقول إنه يقول الكذب ، ويجهل ، فبطل هذا الإلزام – والحمد لله رب العالمين .

وأيضاً فإننا لم نقل إنه – تعالى – يظلم ولا يكون ظالماً ، ولا قلنا إنه يكفر ، ولا يسمى كافراً ، ولا قلنا إنه يكذب ولا يسمى كاذباً ، فيلزمنا ما أرادوا إلزامنا إياه ، وإنما قلنا إنه خلق الظلم والكذب والكفر[٢٧٦] والشرّ والحركة[٢٧٧] والطول ، والعرض ، والسكون ، أعراضاً فى خلقه ، فوجب أن يسمى لكل ذلك خالقاً ، كما خلق الجوع، والعطش ، والشبع ، والرى ، والهزال ، واللغات ، ولم يجز أن يسمى ظالماً ، ولا كاذباً ، ولا كافراً ، ولا شريراً ، كما لم يجز عندنا وعندهم أن يسمى من أجل خلقه لكل ما ذكرناه : متحركاً ، ولا ساكناً ولا طويلًا ، ولا عريضاً ، ولا عطشان ، ولا ريان ، ولا جائعاً ، ولا شابعاً ، ولا سميناً ، ولا هزيلًا ، ولا لغوياً ، وهكذا كل[٢٧٨] ما خلق الله تعالى – ومنه كل ما خلق[٢٧٩] فإنه يخبر بأنه خالقٌ له فقط ولا يوصف بشىء مما ذكرنا إلا من خلقه تعالى – عرضاً فيه ، وأما قولهم : لا يفعل فعل ، من فاعلين هذا فعله كله ، وهذا فعله فإن هذا تحكم ونقصان من الحكمة[٢٨٠] فى القسمة أوقعهم فيها جهلهم وتناقضهم ، وقولهم[٢٨١] إنا نستدل بالشاهد على الغائب ، وهذا قول قد أفسدناه فى كتابنا « الإحكام فى أصول[٢٨٢]الأحكام » بحمد الله – تعالى – ونبين ها هنا فساده بإيجاز .

فنقول : وبالله تعالى التوفيق – إنه ليس عن العقل الذى هو التمييز شىء غائبٌ أصلًا وإنما يغيب بعض الأشياء عن[٢٨٣] الحواس وكل ما فى العالم فهو مشاهد[٢٨٤] بالعقل المذكور لأن العالم كله جوهر حاملٌ وعرضٌ محمولٌ فيه ، وكلاهما يقتضى خالقًا أولًا ، واحدًا لا يشبههُ شىءٌ من خلقه فى وجهٍ من الوجوه ، فإن كانوا يعنون بالغائب البارى – تعالى – فقد لزمهم تشبيهه بخلقه إذ حكموا بتشبيه الغائب بالحضر وفى هذا كفاية . بل ما دل الشاهد كله إلا بأن[٢٨٥] الله

---

(٢٧٥) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٢٧٦) فى (خ) : لم يذكر (والكفر) .
(٢٧٧) فى (خ) : لم يذكر (والحركة) .
(٢٧٨) فى (خ) : (وهذا مما) .
(٢٧٩) فى (أ) : لم يذكر (ومنه كل ما خُلِق) .
(٢٨٠) فى (أ) : لم يذكر (الحكمة) .
(٢٨١) فى (أ) : (إنما) .
(٢٨٢) هو كتاب مكون من خمسة أجزاء يقع فى حدود ١٢٠٠ ألف ومائتين من الصفحات وقام على تحقيقه وطبعه الشيخ أحمد شاكر فى ثمانية أجزاء صغيرة ، ثم طبعه الشيخ زكريا على يوسف فى مجلدين وتزيد عن الطبعة الأولى بترجمة للمؤلف وفهارس تفصيلية .
(٢٨٣) فى (أ) : (من) .
(٢٨٤) فى (أ) : (مشاهدة) .
(٢٨٥) فى (أ) : (أنّ) .

– تعالى – بخلاف كل ما[٢٨٦] خلق من جميع الوجوه ، وحاشا الله أن يكون – عز وجل – غائبًا عنا ، بل هو مشاهدٌ بالعقل ، كما نشاهد بالحواس كلَّ حاضر ، ولا فرق بين صحة معرفتنا به – عز وجل – بالمشاهدة بضرورة العقل ، وبين[٢٨٧] معرفتنا بسائر ما نشاهده ، ثم نرجع إن شاء الله – تعالى – إلى إنكارهم فعلًا واحدًا من فاعلين .

فنقول وبالله تعالى التوفيق – إنما[٢٨٨] امتنع ذلك فيما بيننا فى الأكثر على العموم لما شاهدناه من أنه لا تكون حركةٌ واحدةٌ فى الأغلب لمتحركين ، ولا اعتقادٌ واحدٌ لمعتقدين ، ولا إرادةٌ واحدةٌ لمريدين ، ولا فكرةٌ واحدةٌ لمفتكرين ، ولكن لو أخذ إثنان سيفًا واحدًا أو رمحًا واحدًا فضربا به إنسانًا ، أو طعناه[٢٨٩] لكانت حركةً واحدةً غير منقسمة لمتحركين بها ، وفعلًا واحدًا غير[٢٩٠] منقسم لفاعلين ، هذا أمرٌ مشاهدٌ بالحس والضرورة وهذا أمرٌ[٢٩١] منصوصٌ فى القرآن من أنكره كفر ، وهو أن القراءة المشهورة عند المسلمين « إِنَّمَا أَنَا رَسَوُلُ رِبِّكِ لأهب لَكِ غُلامًا زَكِيًّا[٢٩٢] » وَلِيَهَبَ لَكِ » .

كلا القراءتين مشهورة بنقل الكواف عن رسول الله ﷺ عن جبريل ﷺ .

فإذا قرئت بالهمز فهو إخبار جبريل رسول الله ﷺ الروح الأمين أنه الواهب لها عيسى ﷺ .

وإذا قرئت بالياء : فهو من إخبار جبريل عن الله عز وجل بأن الله تعالى هو الواهب لها عيسى عليه السلام[٢٩٣]. فهذا فعل من فاعلين ينسب[٢٩٤] إلى الله عز وجل الهِبَة لأن الله – تعالى – هو الخالق لهذه الهبة ، ونسبت الهبة أيضًا إلى جبريل لأنه منه ظهرت[٢٩٥] إذ أتى بها ، وكذلك قوله – عز وجل – « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الله رَمَى[٢٩٦] » .

فأخبر تعالى أنه رمى[٢٩٧]. وأن نبيه ﷺ رمى .

---

(٢٨٦) فى (أ) : (من) .
(٢٨٧) فى (أ) : زاد : (صحة) .
(٢٨٨) فى (خ) : (لما) .
(٢٨٩) فى (أ) : فقطعاه به .
(٢٩٠) فى (خ) : سقطت (غير) .
(٢٩١) فى (أ) : سقط (أمر) .
(٢٩٢) سورة مريم : ١٩
(٢٩٣) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٢٩٤) فى (أ) : نسب .
(٢٩٥) فى (خ) : لم يذكر كلمة (ظهرت) .
(٢٩٦) سورة الأنفال : ١٧
(٢٩٧) فى (خ) : لم يذكر (فأخبر تعالى أنه رمى) .

فأثبت – تعالى لنبيه ﷺ – الرمى ونفاه عنه معًا . وبالضرورة ندرى أن كلامه – تعالى – لا يتناقض فعلمنا أن الرمى الذى نفاه – عز وجل – عن نبيه ﷺ هو غير الرمى الذى أثبته له لا يظن غير هذا مسلم ألبتة ، فصحّ ضرورةً أن نسبة الرمى إلى الله – عز وجل – لأنه خلقه وهو – تعالى – خالق الحركة التى هى الرمى ومُمْضى الرَّمية وخالق سائر[٢٩٨] الرمى ، وهذا هو المنفى عن الرامى ، وهو النبى ﷺ .

وصح أن الرمى الذى أثبته لنبيّه عليه السلام هو ظهور حركة الرمى منه فقط وهذا نصّ قولنا دون تكلف وكذلك قوله – تعالى – « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم[٢٩٩] » والقول فى هذا كالقول فى الرمى ولا فرق وكذلك قوله تعالى « كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّة عَمَلَهُمْ[٣٠٠] » .

وقوله – تعالى – « فَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ[٣٠١] » .

فعلمنا[٣٠٢] ضرورةً ان تزيين الله – تعالى – لكل أمة عملها[٣٠٣] إنما هو خلقه لمحبة أعمالهم فى أنفسهم وأن تزيين الشيطان لهم أعمالهم إنما هو ظهور الدعاء إليها بوسوسته ، وقال تعالى حاكيا عن عيسى – عليه السلام – أنه قال : « أَنِّى أَخْلُقُ لكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَه الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيه فَيَكُون طَيْراً بِإِذْنِ الله وأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله[٣٠٤] » .

أفليس هذا فعلًا من الله – تعالى – ومن المسيح – عليه السلام – بنص الآية ..؟؟؟ وهل[٣٠٥] خالق الطير ، ومبرىء الأكمة والأبرص إلا الله لا إله إلا هو[٣٠٦]..؟؟؟ وقد أخبر – عليه السلام – أنه[٣٠٧] يخلق ويبرىء ، فهو فعل من فاعلين بلا شك وقد أخبر – عزَّ وجل – عن نفسه أنه يحى ويميت ، وقال عيسى[٣٠٨] – عليه السلام – عن نفسه « وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله » .

---

(٢٩٨) فى (أ) : (مسير) .
(٢٩٩) سورة الأنفال : ١٧
(٣٠٠) سورة الأنعام : ١٠٨
(٣٠١) سورة النحل : ٦٣ . وقد جاءت الآية فى (أ) محرفة .
(٣٠٢) فى (أ) : سقطت (فعلمنا) .
(٣٠٣) فى (خ) : لم يذكر (عملها) .
(٣٠٤) سورة آل عمران : ٤٩
(٣٠٥) فى (خ) : (وهو) .
(٣٠٦) فى (أ) : لم يذكر (لا إله إلا الله) .
(٣٠٧) فى (أ) : (إذ) .
(٣٠٨) عيسى عليه السلام : اسم أعجمى غير منصرف للعجمة والعلمية ، قيل اشتقاقه من العَيَس وهو البياض والأغيسُ ، الجمل الأبيض وجمعه عيس وقالوا عيسا لأنه ساس نفسه بالطاعة ، وقلبه بالمحبة ، وأمته بالدعوة إلى رب العزة وثبت فى الصحيحين : ما من بنى آدم من مولود لا يمسه الشيطان حين ولد فيستهل . صارخًا من مسه إياه إلا مريم وابنها . ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) .

فبالضرورة نعلم[٣٠٩] أن الميت الذى أحياه عيسى – عليه السلام – والطير الذى خلق بنص القرآن ، فإن الله تعالى أحياهُ وخلقه ، وعيسى عليه السلام أحياه وخلقه[٣١٠] بنص القرآن ، وهذا[٣١١] كله فعل من فاعلين بلا شك ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

وهكذا القول فى قوله – عز وجل – « وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ[٣١٢]» فقد علمنا يقينًا أن الله – تعالى – هو الذى أحلهم[٣١٣] دار البوار بلا شك لكن لما ظهر منهم السبب الذى حلّوا به دار البوار أضيف ذلك إليهم كما قال تعالى : عن إبليس « كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ[٣١٤]» .

وقد علمنا يقينًا أن الله تعالى هو الذى أخرجهما[٣١٥] وأخرج إبليس معهما ، لكن لما ظهر السبب من إبليس فى خروجهما أضيف ذلك إليه وكما قال تعالى : « لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّور بإِذْنِ رَبِّهِمْ[٣١٦]» .

وقال لموسى – عليه السلام – « أن أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ أَلَى النُّورِ[٣١٧]» .

وكذلك أيضًا نقول إن محمدًا ﷺ أخرجنا من الظلمات إلى النور وقد علمنا[٣١٨] أن المخرج لنا وله – عليه السلام – هو الله تعالى لكن لما ظهر السبب منه – عليه السلام – أضيف الفعل إليه وهذا كله لا يوجب الشركة بينهم وبين الله – تعالى – كما تُموهّ المعتزلة وكل هذا فعل[٣١٩] فاعلين ، وكذلك سائر الأفعال الظاهرة من الناس ولا فرق .

وعنه قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة ، ليس بينى وبينه نبى ، الأنبياء إخوة ، أبناء علات أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد » رواه الشيخان فى الصحيحين . بصائر دوى التمييز حـ ٦ ص ١١١ وما بعدها

(٣٠٩) ى (خ) : لم يذكر (نعلم) .
(٣١٠) فى (خ) : لم يذكر (وعيسى عليه السلام أحياه وخلقه) .
(٣١١) فى (خ) : (وهكذا كل) .
(٣١٢) سورة إبراهيم : ٢٨
(٣١٣) فى (أ) : (أحلهم فيها) .
(٣١٤) سورة الأعراف : ٢٧
(٣١٥) فى (أ) : لم يذكر (الذى) .
(٣١٦) سورة إبراهيم : ١
(٣١٧) فى (أ) : سقط ما بين القوسين . سورة إبراهيم : ٥
(٣١٨) فى (خ) : لم يذكر (وقد علمنا) .
(٣١٩) فى (أ) : فعل من .

وقال تعالى « إِنَّمَا نُمِلْى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا(٣٢٠) » .

« وأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِين(٣٢١) » .

وقال تعالى « الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُم وَأَمْلى لَهُمْ(٣٢٢) » .

فعلمنا ضرورةً أن إملاء الله تعالى إنما هو تركه إياهم دون تعجيل عقاب ، بل بسط لهم فى الدنيا ومدّ لهم من أنعمة(٣٢٣) ما كان لهم عونًا على الكفر والمعاصى ، وعلمنا أن إملاء الشيطان إنما هو بالوسوسة ، وإنساء العقاب ، والحض على المعاصى وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَه أَمْ نَحنُ الزَّارِعُون(٣٢٤) » .

فهذا فعل من فاعلين ضرورة(٣٢٥) نسب إلى الله تعالى لأنه اخترعه وخلقه وأنماه ، ونسب إلينا لأننا تحركنا فى زرعه فظهرت الحركة المخلوقة فينا ، فهذه كلها أفعال خلقها الله تعالى وأظهرها فى عباده فقط ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وتحقيق القول فى الأفعال هو أن الله تعالى خلق كل ما خلق قسمين فقط جوهرًا حاملًا وعرضًا محمولًا (فى ذلك الجوهر فهو خلق الجوهر الكامل قسمين فقط حيًا وغير حى ، ثم خلق الحى قسمين(٣٢٦)) ناطق وغير ناطق ، فغير الحى هو الجماد كله ، والناطق هو الملائكة والحور العين(٣٢٧) والإنس والجن ، وغير الناطق هو كل ما عدا ما ذكرنا من الحيوان ، ثم خلق تعالى فى الجمادات وفى الحى غير الناطق وفى الحى الناطق حركةً وسكونًا وتأثيرًا ، قد ذكرنا آنفا(٣٢٨) كما تقول(٣٢٩): الفلك يتحرك والمطر ينزل والوادى يسيل ، والجبل يسكن ، والنار تحرق ، والثلج يبرد ، وهكذا فى كل شيء ، بهذا جاء القرآن وجميع اللغات ، قال تعالى « تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فيها كَالِحُون(٣٣٠) » .

وقال تعالى « فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا(٣٣١) » .

---

(٣٢٠) سورة آل عمران : ١٧٨
(٣٢١) سورة القلم : ٤٥
(٣٢٢) سورة محمد : ٢٥
(٣٢٣) فى (أ) : (من العمر) .
(٣٢٤) سورة الواقعة : ٦٣ ، ٦٤
(٣٢٥) فى (خ) : لم يذكر (فاعلين ضرورة) .
(٣٢٦) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٣٢٧) فى (خ) : لم يذكر (والحور العين) .
(٣٢٨) فى (خ) : لم يذكر (قد ذكرناه آنفا) .
(٣٢٩) فى (أ) : لم يذكر (كما نقول) .
(٣٣٠) سورة المؤمنون : ١٠٤
(٣٣١) سورة الرعد : ١٧

وقال تعالى « فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ[٣٣٢] » .

وقال « والفُلْكَ الَّتى تَجْرِى فى الْبَحْرِ بما يَنْفَعُ النَّاسَ[٣٣٣] » .

ومثل هذا كثير جدًا ، وبهذا جاءت اللغات فى نسبة الأفعال الظاهرة فى الجمادات إليها لظهورها فيها فقط لا تختلف لغة فى ذلك .. وقال تعالى : حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام انه قال (واجْنُبنى وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ منِّى[٣٣٤] » .

فأخبر أن الأصنام تضل . وقال تعالى « تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ[٣٣٥] » .

وهذا أكثر من أن يحصى ، والأعراض أيضًا تفعل كما ذكرنا ، وقال عز وجل « وَالْعَمَلُ الصَّالِح يُرْفَعُهُ[٣٣٦] » .

وقال تعالى « وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ[٣٣٧] » .

فالظن يردى ، والعمل يرفع ، ولم تختلف أمةٌ فى صحة[٣٣٨] القول « أعجبنى عمل فلان » وسرنى خلق فلان[٣٣٩] ومثل هذا كثير جدًا ، وقد وجدنا الحر يحلل ويُصعِد ، والبرد يجمد ، ومثل هذا كثير جدًّا[٣٤٠] كما بينّا ، والكل خلق الله – تعالى – وأما حركة الحى غير الناطق والحى الناطق وسكونهما وتأثيرهما فظاهرٌ أيضًا ، ثم خلق – تعالى – فى الحى غير الناطق قصدًا ومشيئةً لم يخلق ذلك فى الجمادات[٣٤١] كإرادة[٣٤٢] الحيوان الرعى وتركه ، والمشى وتركه ، والأكل وتركه ، وما أشبه هذا ، ثم خلق تعالى فى الحى الناطق تمييزًا لم يخلقه فى الحى غير الناطق ولا فى الجماد ، وهو التصرف فى العلوم والمعارف .

هذا كله أمرٌ مشاهد وكل ذلك خلق الله تعالى فيما خلقه فيه ، ونسب الفعل فى كل ذلك إلى من أظهره الله تعالى منه فقط . فخلق الله تعالى كما ذكرنا فى الحى الناطق الفعل والاختيار ،

---

(٣٣٢) سورة الرعد : ١٧

(٣٣٣) سورة البقرة : ١٦٤ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ترك (التى) .

(٣٣٤) سورة إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث قال (اجنبنى) .

(٣٣٥) سورة الكهف : ٤٥

(٣٣٦) سورة فاطر : ١٠

(٣٣٧) سورة فصلت : ٢٣

(٣٣٨) فى (خ) : لم يذكر (صحة) .

(٣٣٩) فى (خ) : لم يذكر (وسرنى خلق فلان) .

(٣٤٠) فى (خ) : لم يذكر (جدًّا) .

(٣٤١) فى (أ) : (الجماد) .

(٣٤٢) فى (خ) : (كما يشاء) .

والتمييز ، وخلق فى الحى غير الناطق الفعل والاختيار فقط ، وخلق فى الجماد الفعل فقط ، وهو الحركة والسكون والتأثير كما ذكرنا ، وبالجملة فلا فرق بين من كابر وجاهر[٣٤٣] فأنكر فعل المطبوع بطبعه ، وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله – تعالى – فيه فقط ، وبين آخر كابر وجاهر فأنكر فعل المختار باختياره ، وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله – تعالى – فيه فقط ، وكلا الأمرين محسوس بالحس معلوم بأول العقل ضرورةً[٣٤٤]، أنه فعل لما ظهر منه ، ومعلوم ذلك كله بالبرهان الضرورى أنه خلق الله تعالى فى المطبوع والمختار ، فإن فرّوا إلى القول بأن الله تعالى لم يخلق فعل المختار وأنه تعالى[٣٤٥] المختار فقط .

قلنا : قد بينا بطلان هذا قبل ، ولكن نعارضكم ههنا بأن منكم من يقول لم يخلق الله تعالى أيضًا فعل المطبوع ، وأنه فعل المطبوع فقط ، كمعمّر وغيره من كبار المعتزلة .

فإن قالوا : أخطأ من قال هذا وكفر .

قلنا لهم : صدقتم[٣٤٦] وكفر من قال إن أفعال المختار لم يخلقها الله عز وجل ولا فرق .

فإن قالوا : إن الله تعالى هو خالق الطبيعة والمطبوع الذيْن ينسبون الفعل إليهما فهو خالق ذلك الفعل .

قلنا لهم : والله عز وجل هو خالق المختار ، وخالق اختياره ، وخالق قوته وهم[٣٤٧] الذين ينسبون الفعل إليهم فهو الله عز وجل خالق ذلك الفعل ولا فرق .

قال أبو محمد : وهذا[٣٤٨] الذى ذكرنا من إضافة التأثير وجميع الأفعال إلى كل من ظهرت منه من جماد أو عرض أو حى[٣٤٩] ناطق أو غير ناطق ، فهو الذى به تشهد الشريعة ، وبه يشهد[٣٥٠] القرآن والسنن كلها ، وبه تشهد البينة ، لأنه أمْر محسوس مشاهد ، وبه تشهد اللغات ، من جميع أهل الأرض قاطبةً لا نقول لغة العَرب فقط ، بل كل لغةٍ لا نحاشى منها شيئًا وما كان هكذا فلا شيء أصح منه .

فإن قيل[٣٥١]: فأنتم إذًا تسمّون الجماد والعرض كاسِبًا .

---

(٣٤٣) فى (خ) : لم يذكر (وجاهر) .
(٣٤٤) فى (أ) : وضرورته .
(٣٤٥) فى (أ) : (فعل) .
(٣٤٦) فى (أ) : وأخطأ أيضًا .
(٣٤٧) فى (خ) : (وهو الذى) .
(٣٤٨) فى (خ) : (هذا) .
(٣٤٩) فى (أ) : بزيادة (أو) .
(٣٥٠) فى (خ) : لم يذكر (وبه جاء القرآن والسنن كلها ، وبه تشهد البينة) .
(٣٥١) فى (أ) : قالوا .

قلنا : لا نتعدى ما جاءت به اللغة ، ومن أحال اللغة التى بها نزل القرآن برأيه فقد دخل فى جملة من قال الله عز وجل : « يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ[٣٥٢] » .

ولحق بالسوفسطائية[٣٥٣] فى إبطالهم التفاهم ولو جاءت اللغة[٣٥٤] بذلك لقلناه[٣٥٥] كما نقول إن الله عز وجل فاعل ولانسميه كاسبًا .

فإن قيل : أنتم تقولون إن الجماد والعرض عوامل[٣٥٦].

قلنا : نعم . لأن اللغة[٣٥٧] جاءت بذلك ونقول الحديد يعمل فى العود ، والحر يعمل فى الأجسام ، وهكذا فى غير ذلك .

فإن قيل : أتقولون إن للجماد والعرض استطاعةً وقوة وطاقة[٣٥٨] وقدرة ؟

قلنا : إنما نتبع اللغة فقط فنقول : إن للجمادات[٣٥٩] والأعراض قوى يظهر بها ما خلق الله تعالى فيها[٣٦٠] من الأفعال وفيها طاقة لها ولا نقول فيها قدرة ولا نمنع من يقول فيها[٣٦١] طاقة ، قال الله عز وجل « وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيَد فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ[٣٦٢] » .

فنقول : الحديد ذو بأس شديد ، وذو قوة[٣٦٣] عظيمة وطاقة مفرطة[٣٦٤]، وقد قلنا لكم إننا لا نتعدى فى التسمية والعبارة جملةً ما جاءت به اللغة ، ولا نتعدى فى تسمية الله تعالى والخبر عنه ما جاء به القرآن ونص عليه رسول الله ﷺ ، وهذا هو الذى صحّ به البرهان ، وما عداه فباطل وضلال وبالله تعالى التوفيق .

وأما اعتراضهم بهل الخلق هو الكسب أو غيره ؟ فنعم كسبنا لما ظهر منا وبطن ، وكل

---

(٣٥٢) سورة المائدة : ١٣

(٣٥٣) السفسطة : عند الفلاسفة : هى الحكمة المموهة ، وعند المنطقين هى القياس المركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ، وقيل : إن السفسطة قياس ظاهره الحق ، وباطنه الباطل ، ويقصد به خداع الآخرين أو خداع النفس وتطلق أيضا على القياس الذى تكون مقدماته صحيحة ونتائجه كاذبة لا ينخدع بها أحد والسفسطائى المنسوب إلى السفسطة . المعجم الفلسفى حـ ١ ص ٦٥٨

(٣٥٤) فى (خ) : لغة .

(٣٥٥) فى (خ) : (لقلنا) .

(٣٥٦) فى (أ) : (عامل) .

(٣٥٧) فى (خ) : (اللغات) .

(٣٥٨) فى (خ) : (وطاعة) .

(٣٥٩) فى (أ) : (الجمادات) .

(٣٦٠) فى (خ) : لم يذكر (فيها) .

(٣٦١) فى (أ) : (من أن نقول) .

(٣٦٢) سورة الحديد : ٢٥

(٣٦٣) فى (خ) : لم يذكر (فنقول : الحديد ذو بأس شديد وذو) .

(٣٦٤) فى (أ) : سقطت (مفرطة) .

طبعنا[٣٦٥] وجميع أعمالنا وأفعالنا ، فكل ذلك خلق الله تعالى خلقه فينا كما ذكرنا ، لأن كل ذلك شيء . وقال تعالى « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ[٣٦٦] » .

ولكنا لا نتعدى باسم الكسب حيث أوقعه الله تعالى مخبرًا لنا بأننا نجزى بما كسبت أيدينا وبما كسبنا ، فى غير موضع من كتابه ولا يحل أن يقال أنه[٣٦٧] كسبٌ لله تعالى ، لأنه لم يأت بها نص ، ولم يقله تعالى عن نفسه ، ولا أذن فى قوله ، ولكن نقول من[٣٦٨] خلق الله تعالى كما نص على أنه تعالى خالق كل شيءٍ ، ونقول هى كسبٌ[٣٦٩] لنا كما قال تعالى : « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ[٣٧٠] » .

ولا نسميه فى الشريعة ولا فيما يخبر به عن الله[٣٧١] تعالى لأن الله[٣٧٢] خالق الألسنة الناطقة بالأسماء وخالق الأسماء[٣٧٣] وخالق المسميات – حاشاه – تعالى – وخالق الهواء ، الذى ينقسم على حروف الهجاء فتتركب منه الأسماء إلا بما سمى به نفسه[٣٧٤] تعالى فإذا كانت الأسماء مخلوقةً له عز وجل ، والمسميات دونه تعالى مخلوقة لله عز وجل[٣٧٥] والمسمون الناطقون بآلاتهم مخلوقين لله عز وجل فليس لأحدٍ إيقاع اسم على مسمى لم يوقعه الله تعالى عليه[٣٧٦] فى الشريعة أو أباح إيقاعه عليه إباحته[٣٧٧] الكلام باللغة التى بها نزل القرآن[٣٧٨] وأمرنا بالتفاهم بها وبأن نتعلم بها دينه[٣٧٩] ونعلمه بها ، وقد نص عز وجل على هذا القول وقال منكرًا على قوم أوقعوا الأسماء[٣٨٠] على مسميات لم يأذن الله عز وجل على إيقاعها عليها « إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِم الْهُدى ، أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى[٣٨١] » .

(٣٦٥) فى (أ) : صنعنا .
(٣٦٦) القمر : ٤٩
(٣٦٧) فى (خ) : أنها .
(٣٦٨) فى (أ) : (هى) .
(٣٦٩) فى (خ) : كسبت .
(٣٧٠) سورة البقرة : ٢٨٦
(٣٧١) فى (خ) : لم يذكر (عن الله) .
(٣٧٢) فى (خ) : لم يذكر (لأن الله) .
(٣٧٣) فى (خ) : لم يذكر وخالق الأسماء) .
(٣٧٤) فى (أ) : لم يذكر (إلا بما سمى به نفسه تعالى) .
(٣٧٥) فى (خ) : لم يذكر (والمسميات دونه تعالى مخلوق لله عز وجل) .
(٣٧٦) فى (خ) : لم يذكر (عليه) .
(٣٧٧) فى (خ) : (يإباحته) .
(٣٧٨) فى (أ) : سقط (التى بها نزل القرآن) .
(٣٧٩) فى (أ) : (ديننا) .
(٣٨٠) فى (أ) : (اسما) .
(٣٨١) سورة النجم : ٢٣ ، ٢٤

فأخبر – تعالى – أن من أوقع اسمًا على مسمًّى لم يأت نصٌ بإباحته[٣٨٢] أو الإذن فيه بالشريعة أو بجملة اللغة فإنما يَتبع الظن ، والظن أكذب الحديث ؛ فإنما يتبع هواه وقد حرم الله عز وجل – اتباع الهوى وأخبر – تعالى – أن الهدى قد جاء من عنده وقال تعالى « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُم الخِيْرَةُ[٣٨٣]» .

فليس لأحد أن يتعدى القرآن والسنة اللَّذين هما هدى الله تعالى وبالله تعالى التوفيق .

فصح بالضرورة أنه ليس لأحد أن يقول : إن أفعالنا خلق لنا ولا أنها كسبٌ لله عز وجل لكن الحق الذى لا يجوز خلافه هو أنها خلق لله – تعالى – كسبٌ[٣٨٤] لنا ، كما جاء فى هُدىَ الله تعالى الذى هو القرآن ؛ وقد بينا أيضًا أن الخلق هو الإبداع والاختراع وليس هذا لنا أصلًا فأفعالنا ليست هى خلقنا[٣٨٥]، والكسب إنما هو استضافة الشيء إلى حامله[٣٨٦] أو جامعه بمشيئة[٣٨٧] الله – تعالى – وليس يوصف الله – تعالى – بهذا فى أفعالنا فلا يجوز أن يقال هى كسبٌ لله عز وجل وبه نتأيد .

وأيضًا فقد وافقونا كلهم على تسمية البارى – تعالى – خالق الأجسام وكلهم – حاش – معمرًا وعمرو بن بحر الجاحظ ، موافقون لنا على تسمية البارى تعالى بأنه خالق الأعراض كلها ، حاش أفعال المختارين وكلهم ومعمر والجاحظ أيضًا موافقون لنا[٣٨٨] بأنه خالق الإماته والإحياء ، وكلهم موافقون لنا على أنه تعالى إنما يسمى خالقًا لكل[٣٨٩] خلق لإبداعه إياه من ليس[٣٩٠] ولم يكن قبل ذلك .

فإذا ثبت بالبرهان اختراعه لسائر الأعراض التى خالفونا فيها وجب أن يسمى ذلك[٣٩١] خلقًا له – تعالى – ويسمى هو تعالى خالقُها[٣٩٢]. وأما اعتراضهم بأنه إذا كانت أفعالنا خلقًا لله – عز وجل – وكان متوهما منا ومستطاعًا عليه فى ظاهر أمرنا بسلامة جوارحنا ألَّا تكون تلك

---

(٣٨٢) فى (أ) : بإيجابه .
(٣٨٣) سورة القصص : ٦٨
(٣٨٤) فى (خ) : (كسبت) .
(٣٨٥) فى (أ) : (خلقنا لنا) .
(٣٨٦) فى (أ) : (جاعله) .
(٣٨٧) فى (أ) : بمشيئة له .
(٣٨٨) فى (أ) : بزيادة (على تسمية البارى تعالى) .
(٣٨٩) فى (أ) : لكل ما خلق .
(٣٩٠) فى (أ) : سقطت (من ليس) .
(٣٩١) فى (أ) : سقطت (ذلك) .
(٣٩٢) فى (أ) : (خالقا لها) .

الأفعال فقد ادعينا أننا مستطيعون فى ظاهر الأمر بسلامة الجوارح ، وأنه متوهم منا منع الله – تعالى – من أن يخلقها وهذا كفر مجرد ممن أجازه .

* * *

قال أبو محمد : هذا لازم للمعتزلة على الحقيقة لا لنا لأنَّهَم القائلون أنهم يقدرون ويستطيعون على الحقيقة على ترك أفعَالهم وعلى ترك الوطء الذى قد علم الله – عز وجل – أنه لابد أن يكون ، وأنه يخلق منه الولد ، وعلى ترك الضرب الذى قد علم الله – عز وجل – أنه لابد أن يكون ، وأن[٣٩٣] يكون منه الموت وانقضاء الأجل المسمى عنده ، وعلى ترك الحرث والزرع الذى قد علم الله – عز وجل – أنه لابد أن يكون ، وأن يكون منه النبات الذى منه تكون الأقوات والمعاش فلزمهم[٣٩٤] ولابد أنهم قادرون على منع الله – عز وجل – من خلق[٣٩٥] أبنائهم ومن (أن) يميت من أمات مقتولًا .

* * *

قال أبو محمد : ومن بلغ ههٰنا فلابد أن يرجع إما تائبًا محسنًا إلى نفسه ، وإما[٣٩٦] خاسئًا غاويًا مقلّدًا منقطعًا ، أو يتمادى على طرد قوله فيكفر ، ولابد مع خلافه لضرورة الحس والمشاهدة ، وضرورة العقل والقرآن ، وبالله تعالى نعوذ[٣٩٧] من الخذلان .

وأما نحن فجوابنا هاهنا أننا لم نستطع قط على فعل ما لم نعلم[٣٩٨] أننا سنفعله ولا على ترك ما علم الله تعالى أننا نفعله ولا على نسخ[٣٩٩] علم الله عز وجل أصلًا ولا على تكذيبه عز وجل فى فعل ما أمر الله تعالى به[٤٠٠] وإن كنا فى ظاهر الأمر نطلق ما أطلق الله عز وجل من الاستطاعة التى لا يكون بها إلا ما علم الله عز وجل أنه يكون ولا مزيد ، وهى[٤٠١] استطاعة بإضافة لها استطاعة على الإطلاق ، ولكن[٤٠٢] نقول : هو مستطيع بصحة جوارحه ، أى أنه متوهم كون

(٣٩٣) فى (أ) : وأنه .
(٣٩٤) فى (أ) : (فيلزمهم) .
(٣٩٥) فى (أ) : (مما قد علم وقال إنه سيفعل) ولم يذكر (من خلق أبنائهم) إلى (مقتولا) .
(٣٩٦) فى (أ) : (أو) .
(٣٩٧) فى (أ) : وبالله تعالى التوفيق .
(٣٩٨) فى (أ) : (يعلم الله) .
(٣٩٩) فى (أ) : فسخ .
(٤٠٠) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٤٠١) فى (خ) : لم يذكر (وهى) .
(٤٠٢) فى (أ) : لكن .

الفعل منه فقط . [فإن قالوا : فأمركم الله تعالى بأن تكذبوا قوله وتبطلوا عمله إذا أمركم بفعل ما علم أنه لا تفعلونه . قلنا : عند تحقيق الأمر ، فإن أمره عز وجل ، لمن علم أنه لا يفعل ما أمر به أمر تعجيز كقوله : قل كونوا حجارة أو حديدًا[٤٠٣] » .

وكقوله : من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فلينظر هَلْ يُذْهِبَّن كَيْدُه ما يَغِيظُ[٤٠٤]][٤٠٥] .

قال أبو محمد : وقد تحيرت المعتزلة هنا حتى قال بعضهم : لو لم يقتل زيد لعاش ، وقال أبو الهذيل : لو لم يقتل زيد لمات ، وشغب القائلون بأنه لو لم يقتل لعاش ، بقول الله عز وجل[٤٠٦] « وَمَا يُعَمَّرُ من معمر وَلَا ينقْصُ من عمره إلا فى كتاب[٤٠٧] » .

ويقول الرسول – ﷺ – « من سره أن ينسأ فى أَجَلِه فَلْيَصِلْ رَحِمَه[٤٠٨] » .

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فيه بل هو بظاهره حجةٌ عليهم ، لأن النقص[٤٠٩] فى هذه اللغة التى بها أنزل القرآن إنما هو من باب الإضافة ، وبالضرورة علمنا أن من عَمَّر مائه عامٍ وعمّر آخر ثمانين عامًا ، فإن الذى عمر ثمانين عامًا نقص من عدد عمر الآخر عشرين عامًا فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها على الحقيقة لا على[٤١٠] ما يظنه من لا عقل من أن الله – عز وجل – جارٍ تحت أحكام عباده إن يضربوا[٤١١] زيدًا أماته ، وإن لم يضربوه لم يمته ، ومن أنّ علمه غير محقق فربما أعاش زيدًا مائة عام ، وربما أعاشه أقل ؛ وهذا هو البداء[٤١٢] بعينه ومعاذ الله تعالى من هذا القول ، بل الخلق كله مصرَّف تحت أمره عز وجل وعلمه فلا يقدر أحد على تعدى ما علم الله – تعالى – أنه سيكون[٤١٣] ولا يكون ألبتة ، إلّا ما سبق فى علمه أنّه[٤١٤] يكون والقتل نوعٌ من

---

(٤٠٣) سورة الاسراء : ٥
(٤٠٤) سورة الحج : ١٥
(٤٠٥) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٤٠٦) فى (خ) : لم يذكر : بقول الله عز وجل .
(٤٠٧) سورة فاطر : ١١
(٤٠٨) ونص الحديث : عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَرَّه أنْ يبسط عليه رزْقُه ، أو ينسأُ فى أثره فليصل رَحِمَه » . ذكره الامام مسلم فى كتاب البر : ٢٠ ، ٢١ . والبخارى فى البيوع : ١٣ . وفى كتاب الأدب : ١٢ ، وأبو داود فى كتاب الزكاة : ٤٥ . وأحمد بن حنبل حـ ٣ : ١٥٦ .
(٤٠٩) فى (خ) : النص .
(٤١٠) فى (أ) : سقطت (على) .
(٤١١) فى (أ) : ضربوا .
(٤١٢) البداء : هو ظهور الرأى بعد أن لم يكن ، والبدائية هم الذين جوزوا على الله تعالى البداء : بأن يعتقد شيئًا ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده وهذا باطل . لأن علم الله من لوازم ذاته المخصوصة ، وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالًا ، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرا « تفسير الرازى حـ ٥ ص ٢١٦ » .
(٤١٣) فى (أ) : (يكون) .
(٤١٤) فى (أ) : (أن يكون) .

أنواع الموت فمن سأل عن المقتول لو لم يقتل أكان[٤١٥] يموت أو يعيش ؟ فسؤاله سخيف لأنه إنما يسأل لو لم يمت هذا الميت أكان يموت أم كان لا يموت ، وهذه حماقة لأن القتل علة الموت[٤١٦] لمن قتل ، كما أن الحمى القاتلة أو البُطن القاتل ، وسائر الأمراض القاتلة ، علل الموت الحادث عنها ولا فرق ، وأما قول رسول الله ﷺ « مَنْ سَرَّه أن يُنْسَأ فى أَجلِه فَلْيصل رَحِمَه » .

فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة وإنما معناه أن الله تعالى لم يزل يعلم أن زيدًا سيصل رحمه ، وأن ذلك سببٌ إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا ، وهكذا كل أجلٍ[٤١٧] فى الدنيا لأن من علم الله تعالى انه سيعمر[٤١٨] كذا وكذا من الدهر فإن الله تعالى قد علم وقَدَّر أنه سيغذى بالطعام والشراب ، ويتنفس بالهواء ، وسلم[٤١٩] من الآفات القاتلة تلك المدة ، ويكون سببًا إلى بلوغه تلك المدة التى لابد من استيفائها والسبب والمسبب كل ذلك قد سبق فى علم الله – تعالى – كما هو لا يبدل قال الله – تعالى – « مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدْ[٤٢٠]» .

ولو كان على غير هذا لوجب البداء ضرورةً ، ولكان غير عليم بما يكون ، متشكّكًا فيه أيكون[٤٢١] أم لا يكون ؟ أو[٤٢٢] جاهلًا به جملةً وهذه صفة المخلوقين ، لا صفة الخالق – تعالى – وهذا كفر ممن قال به وهم لا يقولون بهذا .

قال أبو محمد : ونص القرآن يشهد بصحة ما قلنا قال الله تعالى « قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ[٤٢٣]» .

وقال تعالى « قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ[٤٢٤]» .

وقال تعالى « أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِككُم الْموتُ وَلَو كُنْتُم فى بُروجٍ مُشَيَّدةٍ » .

وقال تعالى « منكرًا على حزب المعتزلة على مذهبهم[٤٢٦] « الَّذِينَ قَالُوا لِاخْوانِهِمْ وَقَعَدُوا

(٤١٥) فى (أ) : لكان .
(٤١٦) فى (أ) : (لموت المقتول) ولم يذكر (لمن قتل) .
(٤١٧) فى (أ) : (كل حيٍّ) .
(٤١٨) فى (أ) : (سيعمره) .
(٤١٩) فى (أ) : (ويسلم) .
(٤٢٠) سورة ق : ٢٩
(٤٢١) فى (أ) : (لا يكون) .
(٤٢٢) فى (أ) : (وجاهلا) .
(٤٢٣) سورة آل عمران : ١٥٤
(٤٢٤) سورة الأحزاب : ١٦
(٤٢٥) سورة النساء : ٧٨ وفى (أ) تحريف فى هذه الآية حيث ذكرها (ولو كنتم فى بيوت) .
(٤٢٦) وقد جاءت هذه العبارة مضطربة فى (أ) : حيث ذكرها هكذا : (وقال منكره القول ، قوم جرت المعتزلة فى ميدانهم) .

لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُم المَوْتَ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين[٤٢٧]» .

وقال تعالى « يا ايُّها الَّذين آمَنُوا لَا تُكونُوا كَالَّذينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوانِهِم إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانوا عِنْدنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ الله ذَلِكَ حَسْرَةً فى قُلُوبِهِمْ والله يُحْيِي وَيَميتُ[٤٢٨]» .

وقال تعالى « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بإِذْنِ الله وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذينَ لَا يَعْقِلُون[٤٢٩]» .

قال أبو محمد : وهذه نصوصٌ لا يبعد من ردها بعد أن سمعها من الكفر – نعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وموّه بعضهم بأن ذكر قول الله عز وجل « ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَه[٤٣٠]» .

قال أبو محمد : وهذه الآية حجة عليهم لأنه تعالى نص على أنه قضى أجلًا ولم يقل بشيءٍ دون شيء ، لكن على الجملة ثم قال تعالى « وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَه » .

فهذا الأجل المسمى عنده هو الذى قضى بلا شك إذ لو كان غيره لكان أحدهما ليس أجلًا للآخر[٤٣١] إذا أمكن التقصير عنه أو مجاوزته ولكان البارى – تعالى – مبطلًا إذ سماه أجلًا وهذا كفر لا يقوله مسلم ، وأجل الشيْء هو ميعاده الذى لا يتعداه أصلًا[٤٣٢] وإلا فليس يسمى أجلًا ألبتة ، ولم يقل الله – عز وجل – إن الأجل المسمى عنده هو غير الأجل الذى قضى فأجل كل شيْءٍ مقتضى[٤٣٣] أمره بالضرورة نعلم ذلك ، ويبين ذلك قوله تعالى « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُون[٤٣٤]» .

وقال تعالى « وَلَنْ يُؤَخِّر الله نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُها[٤٣٥]» .

---

(٤٢٧) سورة آل عمران : ١٦٨
(٤٢٨) سورة آل عمران : ١٥٦
(٤٢٩) سورة يونس : ١٠٠
(٤٣٠) سورة الأنعام : ٢
(٤٣١) فى (أ) : سقطت (للآخر) .
(٤٣٢) فى (أ) : سقط (أصلًا) .
(٤٣٣) فى (أ) : (منقضى) وهو تحريف .
(٤٣٤) سورة الأعراف : ٣٤
(٤٣٥) سورة المنافقون : ١١

وقد أخبر(٤٣٦) تعالى بذلك أيضًا فقال « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا(٤٣٧) » .

فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذى هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك – وبالله تعالى التوفيق .

* * *

وأما الأرزاق فإن الله تعالى أخبرنا فقال عز وجل : « اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ(٤٣٨) » .

وقال تعالى « وخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا(٤٣٩) » .

فكلُّ مالٍ حلال فإنا(٤٤٠) نقول : إن الله تعالى رزقناه وكل امرأةٍ حلال فإنّا نقول : إن الله تعالى زوجنا بها أو ملكنا إياها(٤٤١) وأما من أخذ مالًا بغير حق أو امرأة بغير حق ؛ فلا يجوز أن نقول إن الله – تعالى – رزقنا إياه ولا أن الله تعالى ملكنا إياه ، ولا أن الله تعالى أعطانا إياه ، ولا أن الله تعالى زوجنا إياها ولا أن الله تعالى ملكنا إياها ، ولا أنكحنا إياها لأن الله تعالى لم يطلق لنا أن نقول ذلك . وقد قلنا : إن الله تعالى له التسمية لا لنا ، لكن نقول إن الله – تعالى – ابتلانا بهذا المال ، وبهذه المرأة ، وامتحننّا بهما ، وأضلنا بهما(٤٤٢)، وخلق تملكنا إياهما ، ونكاحنا(٤٤٣) لهما ، واستعمالنا لهما ، ولا نقول : إنه أطعمنا الحرام ولا أباح لنا الحرام(٤٤٤) ولا أعطانا(٤٤٥) الحرام ، كما ذكرنا من التسمية وبالله تعالى نتأيد .

قال أبو محمد : وأمّا قولهم أليس إذا كانت أفعالكم لكم ولله تعالى فقد أوجب(٤٤٦) لكم إنكم شركاؤه فيها ؟

---

(٤٣٦) فى (أ) : أخبرنا .
(٤٣٧) سورة آل عمران : ١٤٥
(٤٣٨) الروم : ٤٠ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .
(٤٣٩) سورة النبأ : ٨
(٤٤٠) فى (أ) : (فإنما) .
(٤٤١) فى (خ) : لم يذكر (ملكنا إياها) .
(٤٤٢) فى (خ) : لم يذكر (وأضلنا بهما) .
(٤٤٣) فى (أ) : ونكاحها لنا .
(٤٤٤) فى (خ) : لم يذكر (ولا أباح لنا الحرام) .
(٤٤٥) فى (أ) : (ولا أتانا) .
(٤٤٦) فى (أ) : وجب أنكم .

فالجواب – وبالله تعالى التوفيق – إن هذا من أبرد ما موّهوا به وهو عائد عليهم ، لأنهم يقولون إنهم يخترعون أفعالهم ويخلقونها ، وهى بعض الأعراض وأن الله تعالى وأن الله تعالى يفعل سائِر الأعراض ويخلقها ويخترعها ، فهذا هو عين الشرك ، والتشبيه فى حقيقة المعنى وهو الاختراع – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

وأما نحن فلا يلزمنا إيجاب الشركة لله عز وجل فيما قلنا لأن الاشتراك[٤٤٧] لا يجب بين المشتركين إلّا باتفاقهما فيما اشتركا فيه ؛ وبرهان ذلك أن أموالنا ملك لنا وملك لله تعالى بإجماع منا ومنهم ، وليس ذلك بموجب أن نكون شركاء[٤٤٨] فيها ، لاختلاف جهات الملك (عنا ولأنا قلنا[٤٤٩]) : إن الله عز وجل إنما هو مالك . لها مخلوقةٌ له ، وهو مصرفنا فيها وناقلها[٤٥٠] كيف شاء ، وهى ملكنا لأنها كسب لنا ، وملزمون حكمها[٤٥١] ومُباح لنا التصرف فيها بالوجه[٤٥٢] الذى أباحه الله عز وجل لنا ، وأيضًا نحن عالمون بأن محمدًا رسول الله ﷺ عالم بذلك ، وليس ذلك موجبا لأن نكون شركاءه فى ذلك العلم ، لاختلاف الأمر فى ذلك ، لأن علمنا عرضٌ محمول فينا وهو غيرنا ، وعلم الله تعالى ليس هو غيره ، ومثل هذا كثير جدًا لا يحصى إلا[٤٥٣] فى دهر طويل ، بل[٤٥٤] لا يحصيه مفصلًا إلا الله تعالى وحده لا شريك له ؛ فكيف ولم[٤٥٥] يجب الاشتراك ألبتة بين الله تعالى وبيننا عندهم[٤٥٦] فى هذه الوجوه كلها ؟ ولا[٤٥٧] وجب أن يكون شركاؤه فى شيءٍ ليس للاشتراك ألبتة فيه مدخل ، وهو خلقه تعالى لأفعالنا[٤٥٨] فهو فاعل لها بمعنى مخترع لها ونحن فاعلون لها بمعنى أنها ظاهرة[٤٥٩] منّا محمولة فينا ، وهذا خلاف فعل الله تعالى لها .

وقد قال بعض أصحابنا : بإن الأفعال لله تعالى من جهة الخلق ، وهى لنا من جهة الكسب[٤٦٠].

قال أبو محمد : وقد تذاكرت هذا مع شيخ طرابلسى يكنى أبا الحسن معتزلى فقال لى :

(٤٤٧) فى (أ) : (الإشراك) .
(٤٤٨) فى (أ) : شركاءه .
(٤٤٩) فى (أ) : سقط (عنا ولأنا قلنا :) .
(٤٥٠) فى (أ) : (وناقلها عنا ، وناقلنا عنها ..) .
(٤٥١) فى (أ) : (أحكامها) .
(٤٥٢) فى (أ) : بالوجوه التى .
(٤٥٣) فى (أ) : سقطت (إلّا) .
(٤٥٤) فى (خ) : لم يذكر (بل) .
(٤٥٥) فى (أ) : (لم) بغير (واو) .
(٤٥٦) فى (خ) : لم يذكر (عندهم) .
(٤٥٧) فى (أ) : ووجب .
(٤٥٨) فى (أ) : لأفعال لنا .
(٤٥٩) فى (أ) : ظهورها .
(٤٦٠) فى (خ) : لم يذكر الكلام من (وقال أصحابنا) .

وللأفعال جهات ، وزاد بعضهم فقال أو ليست[٤٦١] أعراضًا ، والعرض لا يحمل العرض ، والصفة لا تحمل الصفة .

قال أبو محمد : وهذا جهل من قائله ، وقضية فاسدة من أهذار[٤٦٢] المتكلمين ومشاغبهم ، وقول يرده القرآن والمعقول وإجماع من أهل[٤٦٣] اللغة والمشاهدة فأمّا القرآن فإن الله تعالى يقول « عَذَابٌ عَظِيمٌ[٤٦٤] » و « عَذَابٌ أليمٌ[٤٦٥] » .

« وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ[٤٦٦] » .

وقال تعالى « وجاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيم[٤٦٧] » .

وقال تعالى « وأَنْبَتْنَاهَا نَبَاتًا حَسَنًا[٤٦٨] » .

وقال تعالى « إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا[٤٦٩] » .

وقال تعالى « وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا[٤٧٠] » .

وقال « إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ[٤٧١] » .

وقال تعالى « صَفْرَاءَ فَاقِعٌ لَوْنُها[٤٧٢] » .

وقال تعالى « قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ[٤٧٣] » .

وقال تعالى « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه[٤٧٤] » .

وقال تعالى « وَذَلِكُمْ ظَنُّكُم الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ[٤٧٥] » .

---

(٤٦١) فى (خ) : (وليست) .
(٤٦٢) فى (خ) : (إهدار) .
(٤٦٣) فى (أ) : (من جميع اللغات) .
(٤٦٤) سورة النحل : ٩٤
(٤٦٥) سورة الشورى : ٢١
(٤٦٦) سورة السجدة : ٢١
(٤٦٧) سورة الأعراف : ١١٦ - وهذه الآية ليست مذكورة ى (أ) .
(٤٦٨) سورة آل عمران : ٣٧
(٤٦٩) سورة النساء : ٧٦
(٤٧٠) سورة نوح : ٢٢
(٤٧١) سورة يوسف : ٢٨
(٤٧٢) سورة البقرة : ٦٩
(٤٧٣) سورة آل عمران : ١١٨
(٤٧٤) سورة فاطر : ١٠
(٤٧٥) سورة فصلت : ٢٣

وقال تعالى « ذَلِكَ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ[٤٧٦] » .

وقال تعالى « فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ[٤٧٧] » .

وقال تعالى « تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ النَّارُ[٤٧٨] » .

وقال تعالى « فَأَخَذَتْهُم الصَّاعِقَةُ[٤٧٩] » .

وقال تعالى « مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ[٤٨٠] » .

وقال تعالى « لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ[٤٨١] » .

وقال تعالى « فَيَخْرُجُ مِنْه الْمَاءُ[٤٨٢] » .

وقال تعالى « فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدِرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا[٤٨٣] » .

وقال تعالى « فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاس فِيمْكُثُ فِى الْأَرْضِ[٤٨٤] » .

وقال تعالى « والْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ[٤٨٥] » .

* * *

قال أبو محمد : فوصف الله تعالى العذاب بالعظيم ، وبالئيلام ، وبأن فيه أكبر وأدنى ، ووصف النبات بالحسن ، وكيد الشيطان بالضعف ، وكيد النساء بالعظيم[٤٨٦]، والمكر بالكبر ، والسحر بالعظيم[٤٨٧]، واللّون بالمفقوع[٤٨٨]، وذكر أن البغضاء تبدو ، وأن الكلم[٤٨٩] الطيب يصعد إلى الله تعالى ، وأن الأعمال الصالحة ترفع الكلم الطيب ، وأن الظن يردى ، وأن العمل الردىء يسخط الله تعالى ، ومثل هذا فى القرآن كثير وسنن رسول الله ﷺ أكثر من أن يجمع إلا فى

(٤٧٦) سورة محمد : ٢٨

(٤٧٧) سورة البقرة : ١٧

(٤٧٨) سورة المؤمنون : ١٠٤

(٤٧٩) سورة النساء : ١٥٣

(٤٨٠) سورة البقرة : ٦١ . يس : ٣٦

(٤٨١) سورة البقرة : ٧٤

(٤٨٢) سورة البقرة : ٧٤

(٤٨٣) سورة الرّعد : ١٧

(٤٨٤) سورة الرعد : ١٧

(٤٨٥) سورة البقرة : ١٦٤

(٤٨٦) فى (خ) : بالعظمة .

(٤٨٧) فى (أ) : بالعِظم .

(٤٨٨) فى (أ) : (بالفقوع) .

(٤٨٩) فى (أ) : (الكلام) .

جزءٍ ضخم فكيف يساعد أمرًا مسلمًا لسانُه على إنكار شيءٍ من هذا بعد شهادة الله عز وجل بما ذكرنا .

* * *

وأما[٤٩٠] اللغات فكل لغةٍ لا ينكر أحدٌ القول فيها بصورةٍ حسنة وصورةٍ قبيحة ، وحمرة مسرقة وحمرة مصفرة[٤٩١]، وحمرة كَدِرة ، ولا يختلف أحدٌ من أهل الأرض فى أن يقول صف لى عمل فلان ، وهذا عمل موصوف ، وصفة عمل فلان ، كذا وكذا وهذا هو الذى أنكروا بعينه ، وهذا أكثر من أن يحصى ، وأما الحسُّ والعقل[٤٩٢] والمعقول فبيقين يدرى كل ذى فهم أن الكيفيات تقبل الأشدَّ والأضعف ، هذه خاصية الكيفية التى لا توجد[٤٩٣] فى غيرها ، وكل هذا عرضٌ يحمل عرضًا ، وصفة تحمل صفة .

قال أبو محمد : وقد عارضنى بعضهم فى هذا لو كان[٤٩٤] العرض يحَمل العرض لحمل ذلك العرض عرضًا آخر ، وهكذا أبدًا وهذا يوجب وجود أعراضٍ لا نهاية لها وهذا باطل .

* * *

قال أبو محمد : فقلت إن المشاهدات لا تُدْفَع بهذه الدعوة الفاسدة ، وهذا الذى ذكرت لا يلزم لأننا لم نقل إن كل كل عرضٍ يجب[٤٩٥] أن يحمل عرضًا أبدًا لكننا قلنا : إن من الأعراض ما يحمل[٤٩٦] على الأعراض كالذى ذكرنا ومنها ما لا يحمل الأعراض وذلك[٤٩٧] جارٍ على ما رتبه الله تعالى وعلى ما خلقه ، وكل ذلك له نهاية نقف عندها ولا نزيد ، ونحن إذا وجد فيما بيننا جسمٌ يزيد على جسم آخر زيادة مًّا فى طوله أو عرضه ، فليس يجب من ذلك أن الزيادة لا تزال[٤٩٨] موجودةً إلى ما لا نهاية له لكن منتهى[٤٩٩] الزيادة إلى حيث رتبها الله – عز وجل – وتقف ؛ وإنما العلم كله معرفة الأشياء على ما هى عليه فقط .

---

(٤٩٠) فى (أ) : (إجماع اللغات) .
(٤٩١) فى (أ) : (مضيئة) .
(٤٩٢) فى (خ) : سقطت (والعقل) .
(٤٩٣) فى (أ) : التى توجد فى غيرها بغير (لا) النافية وهو تحريف .
(٤٩٤) فى (أ) : (لو أن) .
(٤٩٥) فى (أ) : (فواجب) .
(٤٩٦) فى (أ) : (ما يحمل الأعراض) .
(٤٩٧) فى (أ) : (وكل ذلك) .
(٤٩٨) فى (أ) : سقطت (لا تزال) .
(٤٩٩) فى (أ) : (تنتهى) .

ونقول لهم : أيضًا أتخالف حمرة التفاحة حمرة الخوخة أم لا ؟ فلابد لهم من أن يقروا[٥٠٠] بأنها قد تخالفها فى صفة مّا إلا أن يخالفوا[٥٠١] العيان !

فنقول لهم أتخالف الصفرة الحمرة أم لا ؟ فلابدّ لهم أيضًا من نعم فنسألهم أخلاف الحمرة للحمرة هو خلاف الصفرة للحمرة أم لا[٥٠٢]؟ فلابد من لا . ولو قالوا نعم للزمهم أن الحمرة هى الصفرة إذ كانت الصفرة لا تخالفها الحمرة إلا بما تخالف فيه تلك الحمرة حمرةً أخرى ، والخضرة فقد[٥٠٣] صح يقينًا أن الصفرة والحمرة صفتان بهما تختلفان غير الصفة التى بها تخالف الحمرة الحمرة الأخرى ، والخضرة ، فقد صح يقينا أن[٥٠٤] الصفة قد تحمل الصفة ، والعرض قد يحمل[٥٠٥] العرض ، بضرورة المشاهدة على حسب ما رتبه الله – تعالى – وكل ذلك ذو نهايةٍ ولابد .

وتحقيق الكلام فى هذه المعانى وتناهيها هو أن العالم كلّه جوهر حامل وعرض ومحمول ولا مزيد[٥٠٦]، والجوهر أجناس وأنواع ، والعرض أجناس وأنواع[٥٠٧] والأجناس محصورة والأنواع[٥٠٨] محصورة ببراهين قد ذكرناها فى كتابٍ « التقريب[٥٠٩]» عمدتها أن الأجناس أقل عددًا[٥١٠] من الأنواع المنقسمة تحتها بلا شك ، والأنواع أكثر عددًا من الأجناس إذ[٥١١] لابد أن يكون تحت كل جنس نوعان وأكثر من نوعين ، والكثرة والقلة لا يقعان ضرورة إلا فى ذى نهاية من مبدئه ومنتهاه لأن ما لا نهاية له فلا يمكن أن يكون شيء أكثر منه ولا أقل منه[٥١٢] ولا مساويًا له لأن كل هذا يوجب النهاية ولابد ، فالعالم إذن ذو نهاية لأنه ليس شيئًا غير الأجناس والأنواع التى هى الجواهر[٥١٣] والأعراض فقط ، والمعانى إنما هى الأشياء[٥١٤] المّعبرة عنها[٥١٥] فقط ، فإذْ هذا كما ذكرنا فإنما تقسيم[٥١٦] الأشياء بصفاتها التى تقوم منها حدودها ، مثل أن نقول ما الإنسان ؟

(٥٠٠) فى (خ) : لم يذكر (لهم من أن يقروا) .
(٥٠١) فى (أ) : (ينكروا) .
(٥٠٢) فى (خ) : لم يذكر (أم لا) .
(٥٠٣) فى (أ) : فإذًا فى الحمرة والصفرة صفتان .
(٥٠٤) فى (خ) : لم يذكر : (والخضرة ، فقد صح يقينا أن) .
(٥٠٥) فى (خ) : لم يذكر (قد يحمل) .
(٥٠٦) فى (خ) : لم يذكر (ولا مزيد) .
(٥٠٧) فى (خ) : لم يذكر (والعرض أجناس وأنواع) .
(٥٠٨) فى (أ) : سقط (والأنواع محصورة) .
(٥٠٩) كتاب التقريب .
(٥١٠) فى (خ) : لم يذكر (عددًا) .
(٥١١) فى (خ) : (ولابدّ) .
(٥١٢) فى (خ) : لا يوجد (ولا أقل منه) .
(٥١٣) فى (أ) : (التى للجواهر) .
(٥١٤) فى (أ) : (للأشياء) .
(٥١٥) فى (أ) : المعبر عنها بالألفاظ فقط .
(٥١٦) فى (أ) : (نقيس) .

فنقول : جسم ملوَّن ، ذو نفسٍ متصرفة فيه ، يصدر عنها أنواعٌ العلوم والصناعات تقبل الحياة والموت .

فيقال : فالجسم ؟ وما النفس ؟ وما اللون ؟ وما الصناعات ؟ وما العلوم ؟ وما الحياة ؟ وما الموت ؟ فإذا فسرت جميع هذه الألفاظ ، ورسمت كل ما تقع عليه وفعلت كذلك فى جميع الأجناس والأنواع فقد انتهت المعانى ، وانقطعت ، ولا سبيل إلى التمادى بلا نهاية أصلًا ، لأن كل ما ينطق(٥١٨) أو يعقل فإنه لا يعدو الأجناس والأنواع ألبتة .

والأنواع(٥١٩) والأجناس كما ذكرنا محصورة متناهية(٥٢٠) وكل ما خرج من الأشخاص إلى حد الفعل فقد حصره العدد ، لأنه ذو مبدأ ؛ وكل ما حصره العدد فمَتنَاهٍ ضرورةً ، فجميع المعانى من الأعراض وغيرها(٥٢١) محصورة بما ذكرنا من البرهان [وإن لم نحصره نحن لضيق اتساعنا فى الإحاطة بمعرفة كل ما فى العالم ، ولكنا عارفون بالبرهان(٥٢٢)] الصحيح الذى ذكرنا أن كل ما فى العالم مما خرج إلى الوجود فى الدهر مذكان العالم من جسم(٥٢٣) أو عرض فهو كله محصورٌ عدده ، متناهٍ أمده ، ذو غايةٍ فى ذاته ، فى مبدئه(٥٢٤) ومنتهاه وعدده . وبالله تعالى التوفيق - .

* * *

وقد نعجز نحن عن عدِّ شعور أجسامنا ، ونوقن أنها ذات عددٍ متناهٍ بلا شك ، فليس قصور قوانا(٥٢٥) عن إحصاء عدد ما فى العالم بمعترض على وجوب وجود النهاية فى جميع أشخاص جواهره وأعراضه . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وأما قولهم إذا كان فعلنا خلقًا لله - تعالى - ثم عذبنا عليه فإنما عذَّبنا على خلقه .

---

(٥١٧) فى (أ) : ونفس فيه يمكن أن تكون متصرفة .
(٥١٨) فى (أ) : (ينطق به) .
(٥١٩) فى (خ) : لم يذكر (ألبتة ، والأنواع) .
(٥٢٠) فى (أ) : سقطت (متناهية) .
(٥٢١) فى (خ) : لم يذكر (وغيرها) .
(٥٢٢) فى (أ) : سقط الكلام الذى بين القوسين ابتداء من [وإن لم نحصره) إلى [بالبرهان] .
(٥٢٣) فى (أ) : (جنس) .
(٥٢٤) فى (خ) : لم يذكر (فى مبدئه ومنتهاه) .
(٥٢٥) فى (أ) : (قولنا) وهو تحريف .

فالجواب – وبالله تعالى التوفيق – إن هذا لا يلزم ، ولو لزمنا للزمهم إذا كان الله – تعالى – يعذبنا على إرادتنا وحركتنا الواقعتين منا ، أن يعذبنا على كل[٥٢٦] حركة لنا ، وعلى[٥٢٧] كل إرادة لنا ؛ بل على كل حركة فى العالم وعلى كل إرادةٍ .

فإن قالوا : لا يعذبنا إلا على حركتنا وإرادتنا الواقعتين منا بخلاف أمره .

قلنا[٥٢٨]: نحن أنه لا يعذبنا إلا على خلقه فينا الذى هو ظاهرٌ منا ، بخلاف أمره ، وهو[٥٢٩] منسوب إلينا ومكتسب لنا ، لإيثارنا إياه المخلوق فينا فقط ، لا على كل ما خلق[٥٣٠] فينا أو فى غيرنا ولا فرق .

ولو أن الله تعالى يعذبنا بما خلق فى غيرنا لقلنا به وصدقناه[٥٣١] كما نقرّ بأنه يعذب أقوامًا على غير ما[٥٣٢] فعلوه قط ، ولا أمروا به ، لكن على ما فعله[٥٣٣] غيرهم ممن جاء بعدهم بألف عامٍ لأن أولئك كانوا أول من فعل مثل ذلك الفعل ؛ قال الله عز وجل « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ[٥٣٤]» .

وقال تعالى « حاكيا عن ابنى آدم – عليه السلام – أنه قال « إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي واثمك فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ[٥٣٥]» .

وقال تعالى « لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْم ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ[٥٣٦]» .

وليس هذا معارضًا لقوله عز وجل « وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطايَاهُمْ شَىْءٍ[٥٣٧]» .

بل كلا الآيتين متفقة مع الأخرى لأن الخطايا التى نفى الله – تعالى – أن يحملها أحدٌ عن أحد هى بمعنى أن يحط حمل هذا لها من عذاب العامل لها[٥٣٨] شيئًا ، فهذا لا يكون لأن الله – تعالى – نفاه .

(٥٢٦) فى (خ) : لم يذكر (كل) .
(٥٢٧) فى (أ) : (أو) .
(٥٢٨) فى (أ) : (وكذلك نقول) .
(٥٢٩) فى (خ) : لم يذكر (وهو) .
(٥٣٠) فى (خ) : لم يذكر (كل ... خلق) .
(٥٣١) فى (أ) : (ولصدّقناه) .
(٥٣٢) فى (أ) : (على ما لم يفعلوه) .
(٥٣٣) فى (أ) : (يفعله) .
(٥٣٤) سورة العنكبوت : ١٣
(٥٣٥) سورة المائدة : ٢٩
(٥٣٦) سورة النحل : ٢٥
(٥٣٧) سورة العنكبوت : ١٢
(٥٣٨) فى (أ) : بها .

وأما الحمل لمثل عذاب[٥٣٩] العامل للخطيئة مضاعفًا زائدًا إلى عقابه غير حاطٌّ من عقاب الآخر شيئًا فهذا[٥٤٠] واجبٌ موجود ، وكذلك أخبرنا رسول الله – ﷺ – أَنَّ « مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلَامِ سُنَّةً سيئةً كان عليه مثل وزر من عمل بها أبدًا لا يحط ذلك من أوزار العاملين لها شيئًا[٥٤١]» ولو أن الله – تعالى – أخبرنا أنه يعذبنا على فعل غيرنا دون أن نسنَّه ، وأنه يعذبنا على غير فعلٍ فعلناه ، أو على الطاعة له ، لكان ذلك[٥٤٢] مِنْه عين الحق والعدل ، ولوجب التسليم له ولكن الله – تعالى – وله الحمد قد[٥٤٣] أَمَّننا من ذلك بقوله – عز وجل – « لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم[٥٤٤]» .

فدل[٥٤٥] على أننا لا نجزى إلا بما عملنا إذا كنا[٥٤٦] مبتدئين له فأمنا ذلك – ولله الحمد –

وقد أيقنا أيضًا أنه – تعالى – يأجرنا على خلقه[٥٤٧] فينا من المرض والمصائب ، وعلى فعل غيرنا الذى لا أثر لنا فيه كضرب غيرنا لنا ظلمًا ، وتعذيبهم لنا ، وعلى قتل القاتل لمن قتل ظلمًا ، وليس هنا من المقتول صبر ولا عمل أصلًا ، فإنما أُجر على مجرد فعل[٥٤٨] غيره إذا أحدثه فيه ، وكذلك من أخذ ما له غيره ، والمأخوذ ما له لا يعلم بذلك إلى أن مات .

وأى فرق[٥٤٩] بين أن يأجرنا على فعل غيرنا وعلى فعله تعالى فى إحراق مال من لم يعلم باحتراق ماله ، وبين أن يعذبنا على ذلك لو شاء عز وجل .

[وأما قولهم : فرض الله عز وجل الرضا بما قضى ، وبما خلق ، فإن كان الكفر والزنى والظلم مما خلق فعرض علينا الرضا بذلك . فجوابنا : أن الله عز وجل ، لم يلزمنا قط الرضا بما خلق وقضى بكل ما ذكر بل فرض الرضا بما قضى علينا من مصيبة فى نفس أو فى مال مظن تمويههم بهذه الشبه][٥٥٠].

---

(٥٣٩) فى (أ) : عقاب .
(٥٤٠) فى (أ) : فهو .
(٥٤١) نص الحديث كما جاء فى صحيح مسلم : « من سنَّ فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء » ، الزكاة : ٦٩ – رواه النسائى فى الزكاة : ٦٤ وأحمد فى مسنده : ٢٥٧/٤ ، ٢٥٩) .
(٥٤٢) فى (أ) : (لكان كل ذلك حقا وعدلا) .
(٥٤٣) فى (خ) : لم يذكر (قد) .
(٥٤٤) سورة المائدة : ١٠٥
(٥٤٥) فى (أ) : (ولحكمه تعالى) .
(٥٤٦) فى (أ) : أو كنا .
(٥٤٧) فى (أ) : ما خلق فينا .
(٥٤٨) فى (أ) : على فعل غيره مجردًا .
(٥٤٩) فى (أ) : فأى .
(٥٥٠) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .

قال أبو محمد : فإن احتجوا بقول الله تعالى : « مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَة فَمِنْ نَفْسِكَ(٥٥١) » .

فالجواب أن يقال لهم : وبالله تعالى التوفيق إن هذه الآية أعظم حجة على أصحاب الأصلح ، وهم جمهور المعتزلة فى ثلاثة أوجه ، وهى حجة على جميع المعتزلة فى وجهين ، لأن فى هذه الآية أن ما أصاب الإنسان من حسنةٍ فمن الله ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه ، وكلهم لا يفرقون بين الأمرين(٥٥٢)؛ الحسن والقبيح من أفعال المرء ، كل ذلك عندهم(٥٥٣) من نفس المرء لا خلق لله تعالى فى شىءٍ من فعله لا حُسْنِه ولا قبيحه ، فهذه الآية مبطلة لقولهم جميعهم فى هذا الباب .

والوجه الثانى : أنهم كلهم قائلون أنه لا يفعل المرء حسنًا ولا قبيحًا ألبتة إلا بقوةٍ موهوبةٍ من الله – عز وجل – مكنه بها من فعل الخير والشر ، والطاعة والمعصية ، تمكينًا مستويًا ، وهى الاستطاعة على خلافهم(٥٥٤) فيها ؛ فهم متفقون على أن البارى تعالى – خالقها وواهبها كانت نفس المستطيع أو بعضها(٥٥٥) أو عرضًا فيه ، وفى الآية فرق كما ترى بين الحسن والسىء .

وأما الثالث : الذى خالف فيه القائلون بالأصلح خاصةً هذه الآية فإنهم يقولون : إن الله تعالى لم يؤيد فاعل الحسنة بشىءٍ من عنده – تعالى – لم يؤيد به فاعل السيئة .

والآية مخبرَة بخلاف ذلك ، فصارت الآية حجةً عليهم ظاهرة مبطلة لقولهم .

وأما قولنا نحن فيها فهو ما قاله عز وجل إذ يقول متصلًا بهذه الآية دون فصل « قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ(٥٥٦) » .

ثم قال تعالى إثر ذلك بعد كلامٍ يسير « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(٥٥٧) » .

فصح بما ذكرنا أن كل هذا الكلام متفق لا يختلف(٥٥٨) فقدم الله – تعالى – أن كل شىءٍ

---

(٥٥١) سورة النساء : ٧٩
(٥٥٢) فى (أ) : بزيادة (بل) ولا معنى لها .
(٥٥٣) فى (خ) : لم يذكر (عندهم) .
(٥٥٤) فى (أ) : (اختلافهم) .
(٥٥٥) فى (خ) : (بعضه عرضا) .
(٥٥٦) سورة النساء : ٧٨ ، ٧٩
(٥٥٧) سورة النساء : ٨٢
(٥٥٨) فى (أ) : (مختلف) .

من عنده ، فصح بالنص أنه تعالى خالق الخير والشر ، وخالق كل ما أصاب الإنسان ، ثم أخبر - تعالى - أن مَا أصابنا من حسنةٍ فمن عنده وهذا هو الحق ، لأنه لا يجب[٥٥٩] لنا عليه - تعالى - شيء .

فالحسنات الواقعة منا فضل مجرد منه لا شيء لنا فيه ، وإحسانٌ منه إلينا لم نستحقه قط عليه .

وأخبرنا عز وجل أن ما أصابنا من سيئة[٥٦١] فمن أنفسنا بعد أن قال إن الكل من عند الله ، فصح أننا مستحقون النكال لظهور السيئة منا ، وأننا عاصون بذلك كما حكم علينا - تعالى - وحكمه عز وجل الحق والعدل ولا مزيد - وبالله التوفيق .

فإن قالوا : فإذا كان الله - عز وجل خالقكم وخالق أفعالكم فأنتم والجمادات سواء .

قلنا كلا ؛ لأن الله - تعالى - خلق فينا علمًا نعرف به[٥٦٢] أنفسنا والأشياء على ما هى عليه ، وخلق فينا مشيئةً لكل ما خلقه فينا مما يسمى فعلًا لنا ، فخلق فيه استحسان ما نستحسنه ، واستقباح ما نستقبحه ، وخلق فينا[٥٦٣] تصرفًا فى الصناعات والعلوم ، ولم يخلق فى الجمادات شيئًا من ذلك فنحن مختارون ، قاصدون ،مريديون ، مستحسنون ، أو كارهون ، متصرفون علمًا ، بخلاف الجمادات .

فإن قيل : فأنتم مالكون لأموركم مفوض إليكم أعمالكم مخترعون لأفعالكم .

قلنا : لا لأن الملك والاختراع ليس هو لأحدٍ غير الله - عز وجل - إذ لكل مما فى العالم مخترع له وملكه - عز وجل - والتفويض[٥٦٤] فيه معنى من الاستغناء بأحدٍ عن الله - عز وجل - وبه نتأيد .

قال أبو محمد : فإذ قد أبطلنا بحول الله وقوته كل شغب[٥٦٥] المعتزلة فى أن أفعال العباد غير مخلوقة لله - عز وجل - فلنأت ببرهان ضرورى إن شاء الله - تعالى - على صحة القول على[٥٦٦] أنها مخلوقة لله - تعالى - وبه التوفيق .

---

(٥٥٩) فى (خ) : (يجب) بحذف (لا) وهو خطأ .
(٥٦٠) فى (أ) : وأخبر .
(٥٦١) فى (أ) : (مصيبة) .
(٥٦٢) فى (أ) : (تعرف به أنفسنا الأشياء) .
(٥٦٣) فى (أ) : سقطت كلمة (فينا) .
(٥٦٤) فى (خ) : (والتفوض) .
(٥٦٥) فى (أ) : (ما شغب به) .
(٥٦٦) فى (أ) : (بأنها) .

فنقول – ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم – إن العالم كله ما دون الله – تعالى – ينقسم قسمين – جوهر ، وعرض لا ثالث لهما ، ثم ينقسم الجوهر إلى أجناسٍ وأنواعٍ ، وينقسم العرض إلى أجناسٍ وأنواعٍ[٥٦٧]، ولكل نوعٍ منها فصلٍ يتميز به مما سواه من الأنواع التى تجمعها وإياه جنسٌ واحدٌ ؛ وبالضرورة نعلم أنَّ ما لزم الجنس الأعلى لزم كل[٥٦٨] ما تحته إذ المحال[٥٦٩] أن تكون نار غير حارة ، أو هواء راسب بطبعه ، أو إنسان عمال[٥٧٠] بطبعه ، وما أشبه هذا .

ثم بالضرورة نعلم أن الإنسان لا يفعل شيئًا إلا الحركة والسكون والفكر والإرادة ؛ وهذه[٥٧١] كلها كيفيات يجمعها مع اللون والطبع[٥٧٢] والمجسّة والأشكال جنس الكيفية ، فمن المحال الممتنع أن يكون بعض ما تحت النوع الواحد والجنس الواحد مخلوقًا ، وبعضه غير مخلوق ، وهذا أمرٌ يعلمه باطلًا من له أدنى[٥٧٣] علم بحدود العالم وأقسامه ، وحركتنا وسكوننا ، بجميع كل ذلك مع كل حركةٍ فى العالم وسكون[٥٧٤] فى العالم نوع[٥٧٥] الحركة ونوع السكون ، ثم ينقسم كل ذلك قسمين ولا مزيد حركةً اضطرارية وحركةً اختيارية ، وسكونًا اختياريًا وسكونًا اضطراريًا ، وكل ذلك حركة تُحَدُّ بِحَدِّ الحركة ، وسكون يُحَدُّ بحدّ السكون ، ومحال[٥٧٦] أن بعض[٥٧٧] الحركات مخلوقٌ لله – عز وجل – وبعضها غير مخلوقٍ ، وكذلك السكون أيضًا .

فإن لجأوا إلى قول معمر فى أن هذه الأعراض كلها فعل من[٥٧٨] ظهرت منه[٥٧٩] بطباع ذلك الشيء ، سهل أمرهم بعون الله – عز وجل – وذلك أنهم إذا أقروا أن الله – تعالى – خالق المطبوعات ، ومرتب الطبيعة على ما هى عليه ، فهو تعالى خالق ما ظهر منها ، لأنه تعالى هو رتب كونه فظهوره[٥٨٠] على ما هو عليه رتبةً لا توجد بخلافها ، وهذا هو الحق[٥٨١] بعينه ولكنهم قومٌ

---

(٥٦٧) فى (أ) : سقطت جملة (وينقسم العرض إلى أجناس وأنواع) .
(٥٦٨) فى (خ) : لم يذكر (كل) .
(٥٦٩) فى (أ) : (محال) .
(٥٧٠) فى (أ) : (صهَّال) .
(٥٧١) فى (خ) : (هذه) .
(٥٧٢) فى (أ) : (والطعم) .
(٥٧٣) فى (خ) : سقطت (أدنى) .
(٥٧٤) فى (أ) : بزيادة (كل) .
(٥٧٥) فى (أ) : (نوع من) .
(٥٧٦) فى (أ) : (ومن المحال) .
(٥٧٧) فى (أ) : (أن يكون) .
(٥٧٨) فى (أ) : (ما) .
(٥٧٩) فى (أ) : (فيه) .
(٥٨٠) فى (أ) : (وظهوره) .
(٥٨١) فى (أ) : (الخلق) .

لا يعلمون ؛ كالمتسكّع فى الظلمات كما قال – تعالى – « كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيه وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا[٥٨٢]» .

نعوذ بالله – تعالى – من الخذلان .

وأيضا فإن نوع الحركات موجود قبل خلق الإنسان[٥٨٣] فمن المحال البيّن أن يخلق المرء ما كان[٥٨٤] نوعه موجودًا قبله ، وأيضًا فإن عمدتهم فى الاحتجاج على القائلين بأن العالم لم يزل ، إنما هى مقارنة الأعراض للجواهر ، وظهور الحركات ملازمةً المتحرك بها ، فإذا كان ذلك دليلًا باهرًا على حدوث الجواهر وأن الله تعالى خلقها ، فما المانع أن يكون دليلًا باهرا على حدوث الأعراض وأن الله تعالى خلقها ..؟؟؟ لولا ضعف عقول القدرية وقلة علمهم – نعوذ بالله تعالى – مما امتحنهم به ونسأله التوفيق لا إله إلا هو .

وأيضًا فإن الله تعالى قال « إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰه بِمَا خَلَقَ[٥٨٥]» .

فأثبت – تعالى – أن من خلق شيئًا فهو له إلٰه ، فلزمهم[٥٨٦] بالضرورة أنهم آلهة لأفعالهم التى خلقوها ، وهذا كفر مجرد إن طردوه ، وإلا لزمهم الانقطاع وترك قولهم الفاسد ، وأيضًا فإن من خلق شيئًا لم يعنه عليه غيره لكن انفرد بخلقه فبالضرورة نعلم أنه يصرف ما خلق كما شاء[٥٨٧]، كما يفعله إذا شاء ، ويتركه إذا شاء ، ويفعله حسنًا إذا شاء ، وقبيحًا إذا شاء ؛ فإذ هم خلقوا حركاتهم وإرادتهم منفردين بخلقها فليظهروها إلى أبصارنا ، حتى نراها أو نلمسها أو ليزيدوا فى قدرها أو ليخالفوها عن رتبتها .

فإن قالوا : لا نقدر على ذلك فليعلموا أنهم كاذبون فى دعواهم خلقها لأنفسهم .

فإن قالوا : إنما نفعلها كما قوَّانا – تعالى – على فعلها فليعلموا أن الله – عز وجل – هو المقوىّ على فعل الخير والشر ، فإنَّ به عزَّ وجل كان الخَير والشر ، ولولاه[٥٨٨] لم يكن خيرٌ ولا شر ، فهو كوَّنَهما وبه كانا وأعان عليهما ، فأظهرهما واخترع كل ذلك وهذا هو معنى خلقه – تعالى – لها وبالله تعالى التوفيق .

ومن البرهان على أن البارى تعالى خالق أفعال خلقه قوله عز وجل حاكيًا عن سحرة فرعون

---

(٥٨٢) سورة البقرة : ٢٠
(٥٨٣) فى (أ) : الناس .
(٥٨٤) فى (أ) : قد كان .
(٥٨٥) سورة المؤمنون : ٩١
(٥٨٦) فى (أ) : فيلزمهم .
(٥٨٧) فى (أ) : سقطت (كما شاء) .
(٥٨٨) فى (أ) : (وإذ لولاه) .

– رضى الله عنهم – مصدقًا لهم(٥٨٩) ومثبّتًا عليهم قولهم « رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وتَوَفَّنَا مُسْلِمين(٥٩٠)» .

فصح أنه – تعالى – خالق ما يفرغه عليهم(٥٩١) من الصبر الذى لو لم يفرغه على الصابر لم يكن له صبر .

وأيضًا فإن جنس الحركات كلها والسكون كله والمعارف كلها جنسٌ واحد ، وكل ما قيل على الكل قيل على جميع أجزائه ، وعلى كل بعض من أبعاضه ، فنسألهم عن حركات الحيوان غير الناطق وسكونه ومعرفة ما يعرف من مضاره ومنافعه ، فى أكله وشربه وغير ذلك ، أكل ذلك مخلوق لله عز وجل أم هو غير مخلوق .. ؟

فإن قالوا : كلُّ ذلك مخلوق كانوا قد نقضوا هذه المقدمات التى شهد(٥٩٢) العقل والحسُّ بصدقها ، وظهر فساد قولهم فى التفريق بين معرفتنا ومعرفة سائِر الحيوان(٥٩٣) وبين حركاتنا وبين حركات سائر الحيوان(٥٩٤) وبين سكوننا وسكونه ، وهذه مكابرة ظاهرة ودعوى بلا برهان .

وإن قالوا : بل كل ذلك غير مخلوق ألزمناهم مثل ذلك فى سائِر الأعضاء كلها .

فإن تناقضوا ؛ كفونا أنفسهم ، وإن تمادوا لزمهم أن الله – تعالى – لم يخلق شيئًا من الأعراض وهذا إلحادٌ ظاهر وإبطال للحق(٥٩٥) وكفر(٥٩٦)، وكفى بهذا إضلالًا ونعوذ بالله – تعالى – من الخذلان ويكفى من هذا أن الأفعال(٥٩٧) تجرى على صفات الفاعل ونحن نجد الحكيم(٥٩٨) لا يقدر على الطيش والبذاء ، والطياش لا يقدر على الحياء والصبر ، والسىء الأخلاق ، لا يقدر على الحلم ، والحليم لا يقدر على النزق ، والسخىّ لا يقدر على المنع ، والشحيح لا يقدر على الجود ، قال الله عز وجل « وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٥٩٩)» .

---

(٥٨٩) فى (خ) : لم يذكر (لهم و) .
(٥٩٠) سورة الأعراف : ١٢٦
(٥٩١) فى (أ) : سقطت (عليهم) .
(٥٩٢) فى (أ) : يشهد .
(٥٩٣) فى (أ) : زاد (بما عرف) .
(٥٩٤) فى (خ) : سقط (وبين حركاتنا وبين حركات سائر الحيوان) .
(٥٩٥) فى (أ) : (للخلق) .
(٥٩٦) فى (أ) : سقط (وكفر) .
(٥٩٧) فى (أ) : (الأعراض) .
(٥٩٨) فى (خ) : (الحليم) .
(٥٩٩) سورة الحشر : ٩

فصح أن فى[٦٠٠] الناس من وقى[٦٠١] شح نفسه مفلحا ، وأن من[٦٠٢] لم يوق شح نفسه لم يفلح ، وكذلك الذكى لا يقدر على البلادة ، وذو البلادة لا يقدر على الذكاء ، والحافظ لا يقدر على النسيان ، والناسى لا يقدر على ثبات الحفظ ، والشجاع لا يقدر على الجبن ، والجبان لا يقدر على الشجاعة ، هكذا فى جميع الأخلاق التى تكون عنها الأفعال ، فصح أن كل ذلك خلق الله – تعالى – لا يقدر المرء على إحالة شيءٍ من ذلك أصلًا ، حتى أن مخرج صوت أحدنا وصفة كلامه ، لا يقدر ألبتة على صرفه عن[٦٠٣] ما خُلِق عليه من الجهارة والخفاء ، أو الطيب أو السماحة ، وكذلك خطه لا يمكنه صرفه عما رتبه الله – عز وجل – عليه ولو جهد ، وكذا جميع حركات المرء حتى وقع قدميه ومشيه ، فلو كان هو خالق كل ذلك لصرفه كما شاء . فإذ ليس فيه قوة على صرف[٦٠٤] شيء من ذلك عن هيئته فقد ثبت ضرورة أنه خلق الله – تعالى – فيمن نسب فى اللغة إليه أنه فاعله – وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وأكثرت المعتزلة فى التوليد وتحيَّرت فيه حيرةً شديدة ..

فقالت طائفة : ما تولَّد عن فعل المرء مثل القتل والألم المتولد عن رمى السهم ، وما أشبه ذلك فإنه فعل الله – عز وجل – .

وقال بعضهم : هو فعل الطبيعة .. ؟؟

وقال بعضهم : بل هو فعل الذى فعل ما عنه[٦٠٥] تولد .. ؟؟

وقال بعضهم : هو فعل لا فاعل له .. ؟؟

وقال جميع أهل الحق هو فعل الله عز وجل وهو خلقه .

والبرهان فى ذلك هو البرهان الذى ذكرنا فى خلق الأفعال من أن الله – تعالى – خالق كل شيءٍ – وبالله تعالى التوفيق – .

---

(٦٠٠) فى (أ) : (من) .
(٦٠١) فى (أ) : (موق) .
(٦٠٢) فى (أ) : وغير موق ولا مفلح .
(٦٠٣) فى (أ) : (كما خلق عليه) .
(٦٠٤) فى (خ) : سقطت (صرف) .
(٦٠٥) فى (أ) : (فعل العقل الذى) .

الكلام فى التعديل والتجوير

قال أبو محمد : هذا الباب هو أصل ضلاله المعتزلة نعوذ بالله من ذلك ، على أننا رأينا منهم من لا يرضى عن قولهم فيه .

قال أبو محمد[1]: وذلك أن جمهورهم قالوا : وجدنا من فعل الجور فى الشاهد كان يسمى[2] جائِرًا ، ومن فعل الظلم كان ظالمًا ، ومن أعان فاعلًا على فعله ثم عاقبه عليه كان جائِرًا عابثًا .

قالوا : والعدل من صفات الله تعالى ، والظلم والجور منفيان عنه ، قال تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدْ[3]» .

وقال تعالى : « وَمَاظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفَسَهُمْ يَظْلِمُون[4]» .

وقال تعالى : « فَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ[5]» . وقال تعالى : « لَا ظَلْمَ الْيَوم[6]» .

قال أبو محمد : وقد علم المسلمون أن الله تعالى عَدْلٌ لا يجور ولا يظلم ، ومن وصفه عز وجل بالظلم والجور فهو كافر ، ولكن ليس هذا على ما ظنه الجهال من أن عقولهم حاكمة على الله تعالى فى أن لا يحسن منه إلا ما حسَّنت عقولهم ، وأنه يقبح منه تعالى ما قبَّحت عقولهم ، وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه ، إذ حكموا عليه بأنه تعالى يحسن منه ما حسن منًّا ، ويقبح منه ما قبح منا ، ويُحكَم عليه فى العقل بما يُحكم علينا .

وقال أبو محمد : وهذا مذهب يلزم كل من قال : لما كان الحىّ فى الشاهد لا يكون

---

(١) فى (خ) : لم يذكر (أبو محمد) .

(٢) لم يذكر (يسمَّى) .

(٣) سورة فصلت : ٤٦

(٤) سورة البقرة : ٢٧

(٥) سورة التوبة : ٧٠

(٦) سورة غافر : ١٧ . ولم تذكر هذه الآية فى (خ) .

إلا بحياة ، وجب أن يكون البارى تعالى حيًا بحياة ، وليس بين القولين فرق ، وكلاهما لازم لمن التزم أحدهما ، وكلاهما ضَلالٌ وخطأ ، وإنما الحق هو أن كل ما فعله الله عز وجل أى شىء كان فهو منه عز وجل حق وعدل وحكمة ، وإن كان بعض ذلك منا جورًا وسفهًا ، وكل ما لم يفعله الله عز وجل فهو الظلم والباطل والغث[٧] والتفاوت .

وأما اجزاؤهم الحكم[٨] على البارىء تعالى بمثل ما يحكم به بعضنا على بعض فضلال بيِّن وقول سوء[٩] له أصل عند الدّهرية وعند المنَّانية وعند البراهمة ، وهو أن الدّهرية قالت : لما وجدنا الحكيم[١٠] فيما بيننا لا يفعل إلا لاجتلاب منفعة أو لدفع مضرة ، ووجدنا من فعل[١١] ما لا فائدة فيه فهو عابث ، هذا الذى لا يعقل غيره .

قالوا : ولما وجدنا فى العالم خيرًا[١٢] وشرًا وعبثًا وأوزارًا[١٣] ودودًا وذبابًا ومفسدين انتفى بذلك أن يكون له فاعل حكيم .

وقالت طائفة منهم مثل هذا سواء بسواء إلا أنهم زادوا فقالوا : علمنا بذلك أن للعالم فاعلًا سفيهًا غير البارىء تعالى وهو النفس ، وأن البارى الحكيم خلاها تفعل ذلك ليريها فساد ما تخيلته ، فإذا استبان ذلك لها أفسده البارى الحكيم تعالى حينئذ وأبطله ، ولم تعد النفس إلى فعل شىء بعدها .

قال أبو محمد : وإبطال هذا القول يثبت بما يبطل به قول المعتزلة سواء بسواء ولا فرق .

وقالت المنَّانية بمثل ما قالت به الدهرية سواء بسواء ، إلا أنها قالت : ومن خلق خلقًا ثم خلق من يُضِلّ ذلك الخلق فهو ظالم عَابث ، ومن خلق خلقًا ثم سلط بعضهم على بعض ، أو أغرى . بين طبائع[١٤] خلقه فهو ظالم عابث .

قالوا : فعلمنا أن خالق الشر وفاعله هو غير خالق الخير وفاعله .

قال أبو محمد : وهذا نفس[١٥] قول المعتزلة : إلا أنها زادت قبحًا بأن قالت : إن الله تعالى لم يخلق من أفعال العباد لا خيرًا ولا شرًا ، وأن خالق الأفعال الحسنة والقبيحة هو غير الله تعالى ،

---

(٧) فى (أ) : (والعبث) .
(٨) فى (خ) : لم يذكر كلمة (الحكم) .
(٩) فى (أ) : (سبق) .
(١٠) فى الأصل (الحليم) .
(١١) فى (أ) : (فعله) .
(١٢) فى (أ) : (ضرًا) .
(١٣) فى (أ) : (وأقذارًا) .
(١٤) فى (أ) : (طائع) .
(١٥) فى (أ) : (نص) .

لكن كل أحد يخلق فعل نفسه ، ثم زادت تناقضًا فقالت : إن خالق عنصر الشر هو إبليس ومردة الشياطين ، وفَعَلَة كل شر ، وخالق طباعهم على تضادِّهما هو الله تعالىٰ .

وقالت البراهمة : إن من العبث وخلاف الحكمة ، ومن الجور البيّن أن يُعِّرض الله تعالى عباده لما يعلم أنهم بعطبون عنده ويستحقون العذاب إن وقعوا فيه ، يريدون بذلك إبطال الرسالة والنبوات كلها .

* * *

قال أبو محمد : وبالضرورة نعلم أنه لا فرق بين خلق الشر وبين خلق القوة ، التى لا يكون الشر إلا بها ، ولا بين ذلك وبين خلق من علم الله عزَّ وجلَّ أنه لا يفعل إلا الشر ، وبين خلق إبليس وإنظاره إلى يوم القيامة ، وتسليطه على إغواء[١٦] العَباد وإضلالهم وتقويته على ذلك وتركه يضلّهم إلا من عصم الله منهم .

فإن قالوا : إن خلق الله تعالى إبليس ، وقوى الشر ، وفاعل الشر ، خيرٌ وعدل وحسن صدَقوا ، وتركوا أصلهم الفاسد ، ولزمهم الرجوع إلى الحق فى أن خلقه تعالى للشر والخير ولجميع أفعال عباده وتعذيبه من شاء منهم ممن لم يهده وإضلاله من أضل ، وهداه من هدى* ، كل ذلك حق وعدل وحسن ، وأن أحكامنا غير جارية عليه ، لكن أحكامه جارية علينا ، وهذا هو الحقّ الذى لا يخفى إلَّا على من أضلّه الله تعالى ، نعوذ بالله من إضلالنا[١٧]، ولا فرق بين شىء مما ذكرنا[١٨] فى العقل ألبتة . وبرهان ضرورى .

* * *

قال أبو محمد : يقال لمن قال لا يجوز أن بفعل الله تعالى إلا ما هو حسن فى العقل منّا ، ولا أن يخلق ويفعل ما هو قبيح فى العقل فيما بيننا منا : يا هؤلاء إنكم أخذتم الأمر من عند أنفسكم ثم عكستموه ، فعظم غلطكم ، وإنما الواجب إذ أنتم مقرون بأن الله تعالى لم يزل واحدًا وحده ليس معه خلق أصلًا ، ولا شىء موجود[١٩]، لا جسم ولا عرض ، ولا عقل ولا معقول ، ولا سفه ولا غير ذلك ، ثم أقررتم بلا خلاف منكم أنه خلق النفوس وأحدثها بعد أن لم تكن ،

---

(١٦) فى (خ) : (إغراء) .
(١٧) فى (أ) : (إضلاله لنا) .
(١٨) فى (أ) : (ذكرناه) .
(١٩) فى (خ) : (ولا جسم) .

وخلق لها العقول وركبها فى النفوس بعد أن لم تكن العقول ألبتة ، ألا تحدثوا[٢٠] على البارى تعالى حكمًا لازمًا له من قِبَل بعض خلقه ، فليس فى الجنون أفحش من هذا ألبتة .

ثم أخبرونا إذ كان الله وحده لا شىء موجود معه ، ففى أى شىء كانت صوره الحسن حسنة ، وصورة القبح قبيحة ، وليس هنالك عقل أصلًا يكون فيه الحسن حسنًا ، والقبيح قبيحًا ولا كانت هنالك نفس عاقلة أو غير عاقلة ، فيقبح عندها القبيح ويحسن الحسن ، فبأى شىء قام تحسين الحسن وتقبيح القبيح وهما عرضان ..؟؟؟ لابدّ لهما من حامل ، ولا حامل أصلًا ولا محمول ولا شىء حسن ولا شىءٍ قبيح ، حتى أحدث الله تعالى النفوس وركّب فيها العقول المخلوقة ، وقبَّح فيها على قولكم ما قبَّح وحسَّن فيها على قولكم ما حسن .

فإذ لا سبيل إلى أن يكون مع البارى تعالى فى الأزل شىء موجود أصلًا قبيح ولا حسن ، ولا عقل يقبح فيه شىء أو يحسن ، فقد وجب يقينا أن لا يمتنع من قدرة الله تعالى وفعله شىء يحدثه لقبح فيه ، ووجب أن لا يلزمه تعالى شىء لحسنه إذ لا قبح ولا حسن ألبتة فيما لم يزل ، فالبضرورة وجب أن ما هو الآن عندنا قبيح فإنه لم يقبح بلا أوّل ، بل كان لقبحه أوّل لم يكن موجودًا قبله ، فكيف أن يكون قبيحًا قبله[٢١]..؟؟؟ وكذلك القول فى الحسن ولا فرق .

ومن المحال الممتنع جملة أن يكون ممكنا أن يفعل البارى تعالى حينئذ شيئًا ثم يمتنع منه فعله بعد ذلك ، لأن هذا يوجب إما تبدل طبيعة . والله تعالى منزه عن ذلك ، وإما حدوث حكم عليه فيكون تعالى متعبدًا وهذا هو الكفر السخيف نعوذ بالله منه .

فإن قالوا : لم يزل القبيح قبيحًا فى علم الله عز وجل ، ولم يزل الحسن حسنًا فى علمه تعالى ، قلنا ، هبكم أن هذا كما قلتم ، فعليكم فى هذا حكمان مبطلان لقولكم الفاسد ، أحدهما : أنكم جعلتم الحكم فى ذلك لما فى المعقول لا لما سبق فى علم الله عز وجل ، فلم تجعلون المنع من فعل ما هو قبيح عندكم ..؟؟؟ إلا لأن العقول قبحّته فأخطأتم فى هذا الوجه[٢٢].

والثانى : أنه تعالى أيضًا لم يزل يعلم أن الذى يموت مؤمنا فإنه لا يكفر ، ولم يزل تعالى يعلم أن الذى يموت كافرًا لا يؤمن ، فلم جوزتم قدرته على إحالة ما علم من ذلك وتبديله ، ولم تجوزوا قدرته تعالى على إحالة ما علم حسنًا إلى القبح وإحالة ما علم قبيحًا إلى الحسن ، ولا فرق بين الأمرين أصلا ..؟؟؟

---

(٢٠) قوله (ألا تُحدِثوا) خبر عن قوله فيما سبق : « وإنما الواجب » .
(٢١) فى (خ) : (فعله) .
(٢٢) فى (أ) : لم يذكر كلمة (الوجه) .

فإذا ثبت ضرورة أنه لا قبيح لعينه ، ولا حسن لعينه ألبتة ، وأنه لا قبيح إلا ما حكم الله تعالى بأنه قبيح ، ولا حسن إلا ما حكم بأنه حسن ، ولا مزيد .

وأيضًا فإن دعواكم أن القبيح لم يزل قبيحًا فى علم الله تعالى ما دليلكم على هذا ؟ لعله[٢٣] تعالى لم يزل عليمًا بأن أمر كذا يكون حسنًا برهة من الدهر ثم يقبحه فيصير قبيحًا إذا قبّحه لا قبل ذلك كما فعل تعالى بجميع الملل المنسوخة ، وهذا أصحّ من قولكم لظهور براهين هذا القول وبالله التوفيق .

ولم يزل سبحانه وتعالى عليمًا أن عقد الكفر والقول به قبيح من العبد إذا فعلهما معتقدًا لهما لأن الله قبحهما ، لا لأنهما حركة أو عرض فى النفس ، وهذا هو الحق لظهور براهين هذا أيضًا ، لا لأن ذلك قبيح لعينه .

ويقال لهم أيضًا : أخبرونا من حسَّن الحسن فى العقول ، ومن قبح القبيح فى العقول ؟ فإن قالوا : الله عز وجل . قلنا لهم : أفكان تعالى قادرًا على عكس تلك الرتبة إذ رتبها على أن يرتبها بخلاف ما رتبها عليه[٢٥] فيحسّن فيها القبيح ، ويقبِّح فيها الحسن ؟ فإن قالوا نعم أوجبوا أنه لم يَقْبُح شىءٌ إلا بعد أن حكم الله تعالى بقبحه ، ولم يحسن شىء إلا بعد أن حكم الله تعالى بحسنه ، وأنه كان له تعالى أن يفعل بخلاف ما فعل ، وله ذلك الآن وأبدًا ، وبطل أن يكون تعالى متعبدًا لنفسه وموجبًا عليه ما يكون ظالمًا مذموما إن خالفه .

وإن قالوا : لا يوصف تعالى بالقدرة على ذلك عجزُّوا ربَّهم تعالى ، ولزمهم القول بمثل قول علىٍّ الأسوارى ، من أنه تعالى لا يقدر على غير ما فعل ، فحكم هذا الردىء الدين والعقل بأنه أقدر من ربه تعالى وأقوى لأنه عند نفسه الخسيسة يقدر على ما فعل وعلى ما لم يفعل ، وربه تعالى لا يقدر إلا على ما فعل ، ولو علم المجنون أنه جعل ربَّه من الجمادات المضطرة إلى ما يبدو منها ولا يمكن أن يظهر منها غير ما يظهر لسخنت عينه ولطال عويله على عظيم مصيبته . نعوذ بالله من الخذلان ، ومن عظيم[٢٦] ما حل بالقدرية المتنطعين بالجهل والعمىٰ والحمد لله على توفيقه إيانا حمدًا كثيرًا كما هو أهله .

* * *

قال أبو محمد : ويقال لهم : هبكم شنعتم فى القبيح ، بأنه قبيح فلم نفيتم عن الله عز وجل

---

(٢٣) فى (آ) : (بل لعله) .
(٢٤) فى (خ) : لم يذكر (لأن الله قبحهما) .
(٢٥) فى (خ) : لم يذكر (ما رتبها عليه) .
(٢٦) فى (أ) : (عظم) .

خلق الخير كله ، وخلق الحسن كله ..؟ فقلتم : لم يخلق الله تعالى الإيمان ولا الإسلام ، ولا الصلاة والزكاة ولا النيّة الحسنة ، ولا اعتقاد الخير ، ولا إيتاء الزكاة ولا الصدقة ولا البر ألأن[٢٧] خلق هذا قبح أم كيف الأمر ؟ فبان[٢٨] تمويهكم بذكر خلق الشر ، وأنتم قد استوى عندكم الخير والشر ؛ فى أن الله تعالى لم يخلق شيئًا من ذلك كله ، فدعوا التمويه الضعيف .

* * *

قال أبو محمد : وقرأت فى مسائل ، لأبى هاشم[٢٩] عبد السلام بن أبى علي محمد ابن عبد الوهاب . الجبائي رئيس المعتزلة وابن رئيسهم كلامًا له يردد فيه كثيرًا دون حياء ولا رقبة : يجب على الله أن يفعل كذا كأنه المجنون يخبر عن نفسه أو عن رجل من عرض الناس .

فليت شعرى أما كان له عقل أو حس يسائل به نفسه فيقول : ليت شعرى من أوجب على الله تعالى هذا الذى قضى بوجوبه عليه ، ولابدّ لكل وجوب وإيجاب من موجب ضرورة ، وإلا كان يكون فعلًا لا فاعل له ، وهذا كفر ممن أجازه ، فمن هذا الموجب على الله تعالى حكمًا مًّا ؟ ، وهذا لا يخلو ضرورة من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكون أوجبه عليه تعالى بعض خلقه إما العقل وإما العاقل ، فإن كان هذا فقد رفع القلم عنه ، وأنّ لكل عقل يقوم فيه أنه حاكم على خالقه ومحدثه بعد أن لم يكن ، ومرتبه على ما هو عليه ومصرّفه على ما يشاء .

وإما أن يكون تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يزل غير موجب له على نفسه ، فإن كان[٣١] قال بهذا . قيل له : فقد كان غير واجب عليه حتى أوجبه ، فإذ هو كذلك فقد كان مباحًا له أن يعذب من لم يقدره على ترك ما عذبه[٣٢] عليه ، وعلى خلاف سائر ما ذكرت أنه أوجبه على نفسه ، وإذ[٣٣] أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يكن واجبًا عليه فممكن له أن يسقط ذلك الوجوب عن نفسه ، وإما أن يكون تعالى لم يزل موجبًا ذلك على نفسه ، فإن قال بهذا لزمته عظيمتان مخرجتان له عن الإسلام وعن جميع الشرائع وهما : أن البارى لم يزل فاعلًا ، ولم يزل فعله معه لأن الإيجاب فعل ، ومن لم يزل موجبًا فلم يزل فاعلًا ، وهذا قول أهل الدهر نفسه .

---

(٢٧) فى (أ) : (لأن) بغير استفهام .
(٢٨) فى (خ) : (فإن) .
(٢٩) هو : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائى شيخ المعتزلة بعد أبيه ، له تصانيف وكان بصيرًا بالنحو واللغة ، توفى سنة ٣٢١ هـ . (لسان الميزان : ٤/١٦) .
(٣٠) فى الأصل : (تعالى عليه) وهو غير مستقيم .
(٣١) فى (أ) : لم يذكر (كان) .
(٣٢) فى (خ) : (ما عذب به عليه) .
(٣٣) فى (أ) : (وإذا وجبَ) .

قال أبو محمد : ولا يمانع بين جميع المعتزلة فى إطلاق هذا الجنون ، من أنه يجب على الله أن يفعل كذا ويلزمه أن يفعل كذا ، فاعجبوا لهذا الكفر المحض ، وبهذا يلوح بطلان ما يتأولونه فى قول الله تعالى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين)[٣٤].

وقوله تعالى : (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَة)[٣٥].

وقوله عليه السلام : « حَق العباد على الله ألّا يُعذبهم » يعنى إذا قالوا لا إله إلا الله ، و« حق على الله أن يسقيه من طينة الخبال »[٣٦] يعنى عن شارب الخمر[٣٧] وإن كلَّ هذا إنما هو أن الله تعالى قضى بذلك وجعله حتمًا واجبا ، وكونه حقًّا يوجب[٣٨] ذلك منه تعالى لا عليه ، فأبدلتُ « مِنْ » من « عَلَىٰ » وحروف الجر يبدل بعضها من بعض .

ثم نقول لهم : من خلق إبليس ومردة الشياطين والخمر والخنازير والحجارة المعبودة والميسر والأنصاب[٣٩] والأزلام وما أُهلَّ لغير الله به ، وما ذبح على النُّصُب ؟ فمن قولهم وقول كل مسلم أن الله تعالى خالق هذا كله ، فلنسألهم : أشيء حسن هو كل ذلك أم رجس وقبيح وشر ؟ فإن قالوا : بل رجس وقبيح ونجس وشر وفسق صدقوا . وأقروا أنه تعالى خلق الأنجاس والرجس والشر والفسق وما ليس حسنا ، فإن قالوا : بل هى حسان فى إضافة خلقتها إلى الله تعالى ، وهى رجس ونجس وشر وفسق بتسمية الله تعالى لها بذلك ، قلنا : صدقتم ، وهكذا نقول إن الكفر والمعاصى هى فى أنها أعراض وحركات خلق لله تعالى حسن من خلق الله تعالى كل ذلك ، وهى من العصاة بإضافتها إليهم قبائح ورجس وقال عز وجل : « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ والأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ[٤٠]» .

وقال تعالى : « أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّه رِجْسٌ[٤١]» .

فليخبرونا بأى ذنب كان من هذه الأشياء وجب أن يسخطها الله تعالى ، وأن يرجسها ويجعل غيرها طيبات ويرضاها[٤٢]؟ هل هاهنا إلا أنه تعالى فعل ما شاء[٤٣]، وأىّ فرق بين أن

---

(٣٤) سورة الروم : ٤٧
(٣٥) سورة الأنعام : ١٢
(٣٦) الحديث : رواه البخارى فى اللباس ١٠١ ، والجهاد ٤٦ ، والاستئذان ٣٠ ، وتوحيد رقم ١ ، ومسلم فى الإيمان ٤٨ ، ٤٩ ، والترمذى فى الإيمان ١٨ ، وابن ماجه فى الزهد ٣٥ .
(٣٧) فى (خ) : لم يذكر (يعنى عن شارب الخمر) .
(٣٨) فى (أ) : فوجب .
(٣٩) فى (أ) : والأصنام .
(٤٠) سورة المائدة : ٩٠
(٤١) سورة الأنعام : ١٤٥ وفى (أ) : وردت هذه الآية محرفة حيث قال (ولحم خنزير) .
(٤٢) فى (أ) : لم يذكر (ويرضاها) .
(٤٣) فى (أ) : يشاء .

يسخط ما شاء فيلعنه مما لا يعْقل[٤٤] ويرضى عما شاء من ذلك فيعلى قدره ويأمر بتعظيمه ، كناقة صالح والبيت الحرام ، وبين أن يفعلَ ذلك أيضا فيمن يعقل ؛ فيقرب بعضاً كما شاء ويبعد بعضاً كما شاء ، وهذا ما لا سبيل إلى وجود الفرق فيه أبدًا .

ثم نسألهم : هل حابى الله تعالى من خلقه فى أرض الإسلام بحيث لا يُلّقى إلا داعيا إلى الدين ومحسِّنا له على من خلقه فى أرض الزنج والصين والروم بحيث لا يسمع إلا ذامًا لدين المسلمين مبطلًا له وصادًّا عنه ..؟ وهل رأوا قط أو سمعوا[٤٥] بمن خرج[٤٦] من هذه البلاد طالبًا لصحة البرهان على الدين ؟ فمن أنكر هذا كابر العيان والحس ، ومن أذعن لها ترك قول المعتزلة الفاسد .

قال أبو محمد : والقول الصحيح هو أن العقل[٤٧] يعرف بصحته ضرورة أن الله تعالى حاكم على كل ما دونه ، وأنه تعالى غير محكوم عليه ، وأن كل ما سواه تعالى مخلوق له عز وجل ، سواء كان جوهرًا حاملًا ، أو عرضًا محمولًا ، لا خالق سواه ، وأنه يعذّب من يشاء أن يعذبه ويرحم من يشاء أن يرحمه ، وأنه لا يلزم أحدًا إلا ما ألزمه الله عز وجل ، ولا قبيح إلا ما قبح الله ، ولا حسن إلا ما حسن الله ، وأنه لا يلزم لأحد على الله تعالى حق ولا حجة ، ولله تعالى على كل من دونه وما دونه الحق الواجب والحجة البالغة ، لو عذب المطيعين والملائكة والأنبياء فى النار مخلدين لكان ذلك له ، ولكان عدلا وحقا منه ، ولو نعَّم إبليسَ والكفار فى الجنة مخلدين كان ذلك له وكان حقا وعدلًا منه ، وإن كل ذلك إذ أباه الله تعالى وأخبر أنه لا يفعله صار باطلًا وجورًا وظلما ، وأنه لا يهتدى أحد إلا من هداه الله عز وجل ، ولا يضل أحد إلا من[٤٨] أضله الله عز وجل ، ولا يكون فى العالم إلا ما أراد الله عز وجل كونه من خير أو شر أو غير ذلك ، وما لم يرد عز وجل كونه فلا يكون ألبتة ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

ونحن نجد الحيوان لا يسمى عَدْوُ[٤٩] بعضها على بعض قبيحًا ولا ظلمًا ولا يلام على ذلك ، ولا يلام على عَدْوِها من رَبَّى شيئًا منها ، فلو كان هذا النوع قبيحًا لعينه وظلمًا لعينه لقبح متى وجد ؛ فلمَّا لم يكن كذلك صحَّ أنه لا يقبح شىء لعينه ألبتة ، لكن إذا قبَّحه الله عز وجل فقط .

---

(٤٤) فى (خ) : (مما لا يفعل) .
(٤٥) فى (أ) : وسمعوا .
(٤٦) فى (خ) : (وسمعوا أن من خرج) .
(٤٧) فى (أ) : (العقل الصحيح) .
(٤٨) فى (أ) : سقطت (من) .
(٤٩) فى (أ) : (عدوان) .

فإذ قد بطل قولهم بالبرهان الكلى الجامع لأصلهم الفاسد فلنقل بحول الله تعالى وقوته فى إبطال[٥٠] مسائلهم وبالله تعالى نستعين .

فأول ذلك أن نسألهم فنقول : عرّفونا ما هذا[٥١] القبيح فى العقل على الإطلاق ؟ فقال قائلون من زعمائهم منهم الحارث بن على الوراق البغدادى ، وعبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخى وغيرهما : إن كل شىء حسن بوجه مًّا ؟ قلت[٥٢]: يمتنع وقوع مثله من الله تعالى ، لأنه حينئذ يكون حسنا ، إذ ليس قبيحًا ألبتة على كل حال ، وأما ما كان قبيحًا على كل حال لا يحسن ألبتة فهذا منفى عن الله عزَّ وجل أبدًا .

قالوا : ومن القبيح على كل حال أن تفعل بغيرك ما لا تريد أن يُفعل بك ، وتكليف ما لا يُطاق ثم التعذيب عليه .

قال أبو محمد : وظن هؤلاء المبطلون إذا أتوا بهذه الحماقة أنهم قد أغربوا وقرطسوا ، وهم بالحقيقة قد هَذَوْا وهذَروا ، وهذا عين الخطأ ، وإنما قبح بعض هذا النوع إذ أقبحه[٥٣] الله عز وجل ، وحسُن بعضه إذ حسّنه الله عز وجل ، والعجب من مناقشتهم[٥٤] فى دعواهم أن المحاباة فيما بيننا ظلم ، ولا ندرى فى أى شريعة أم فى أىّ عقل وجدوا أن المحاباة ظلم ؟ وأن الله تعالى قد أباحها إلا حيث شاء ، وذلك أن الرجل يحب أن ينكح امرأتين وثلاثًا وأربعًا من الزوجات ، وذلك له مباح حسن ، وأن يطأ من إمائه أى عدد أحب ، وذلك له مباح حسن ، ولا يحب أن ينكح امرأته[٥٥] غيره ولا عبيدها ، وهذا منه حسن .

وبالضرورة ندرى أن فى قلوبهن من الغيرة كما فى قلوبنا ، وهذا محظور فى شريعة غيرنا ، والنفار منه موجود فى بعض الحيوان بالطبع ، والحر المسلم يحب[٥٦] أن يستعبد أخاه المسلم ، ولعله عند الله تعالى خير من سيده فى دينه وأخلاقه وأبوته[٥٧]، ويبيعه ويهبه ويستخدمه ولا يحب[٥٨] أن يستعبده هو أحد لا عبده ذلك ولا غيره ، وهذا منه حسن ، وقد أحب رسول الله ﷺ لنفسه المقدسة ما أكرمه الله تعالى به من ألا ينكح أحد من بعده من نسائه ، أمهاتنا رضوان الله عليهن ،

---

(٥٠) فى (أ) : (أجزاء مسائلهم) .
(٥١) فى (خ) : سقطت (ما) .
(٥٢) فى (خ) : (فلن) .
(٥٣) فى (أ) : (قبحه) .
(٥٤) فى (أ) : (مباهتتهم) .
(٥٥) فى (أ) : جاءت العبارة هكذا ، ولا يحل للمرأة ان تنكح غير واحد ولا يكون عبدها) .
(٥٦) فى (أ) : (ملكه) بدلا من (يحب) .
(٥٧) فى (أ) : (وقنوته) بدلًا من (أبوته) .
(٥٨) فى (أ) : ولا يجوز .

وأحب هو عليه السلام نكاح من نكح من النساء بعد أزواجهن ، وكل ذلك حسن جميل صواب ، ولو أحب ذلك غيره كان مخطىء الإرادة قبيحًا ظالمًا ، ومثل هذا كثير(٥٩) إن تُتُبِّع كثير جدًّا إذ هو فاش فى العالم وفى أكثر الشريعة ، فبطل هذا القول الفاسد منهم .

وقد نص الله تعالى على إباحة غير العدل(٦٠) الذى هو العدل عند المعتزلة ؛ بل على الإطلاق وعلى المحاباة حيث شاء ، قال عز وجل : « وَلَنْ تَستَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَميلُوا كُلَّ الْمَيْلِ(٦١)» .

وقال تعالى : « فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاجَدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانكُمْ(٦٢)» .

فأباح تعالى لنا أن لا نعدل بين ما ملكت أيماننا ، وأباح لنا محاباة من شئنا منهن ، فصح أن لا عدل إلا ما سماه الله عدلا فقط ، وأن كل شىء فعله الله فهو العدل فقط لا عدل سوى ذلك ، وكذلك وجدنا الله تعالى قد أعطى الابن الذكر من الميراث حظَّين ، وإن كان غنيا مكتسبًا ، وأعطى البنت حظًّا واحدًا وإن كانت صغيرة فقيرة ، فبطل قول المعتزلة ، وصح أن الله تعالى يحابى من يشاء ويمنع من يشاء ، وأن هذا هو العدل لا ما يّظنه المعتزلة عدلًا بجهلها وضعف عقولها .

وأما تكليف ما لا يطاق والتعذيب عليه فإنما قبح ذلك فيما بيننا لأن الله تعالى حرَّم ذلك علينا فقط ، وقد علمت المعتزلة كثرة عدد من يخالفهم فى أن هذا لا يقبح من الله تعالى الذى لا أمر فوقه ، ولا يلزمه حكم عقولنا ، وما دعواهم على مخالفيهم فى هذه المسألة أنهم خالفوا قضية العقل ببديهته إلا كدعوى المجسِّم عليهم أنهم خالفوا قضية العقل ببديهته ، إذ أجازوا وجود الفعل ممن ليس جسمًا ، وإذ أجازوا حيا بلا حياة ، وعالما لا يعلم .

قال أبو محمد : وكلتا الدعوتين على العقول كاذبة ، وقد بينا فيما سلف من كتابنا هذا غلط من ادعى فى العقل ما ليس منه(٦٣)، وبينا أن العقل لا يحكم به على الله الذى خلق العقل ورتبه على ما هو به ، ولا مزيد ، وبالله تعالى التوفيق .

وقال بعض المعتزلة : إن من القبيح بكل حال والمحظور فى العقل بكل وجه كفر نعمة المنعم وعقوق الأب .

---

(٥٩) فى (أ) : سقطت كلمة (كثير) .
(٦٠) فى (أ) : (ما ليس عدلًا عند المعتزلة) .
(٦١) سورة النساء : ١٢٩
(٦٢) سورة النساء : ٣
(٦٣) فى (أ) : (فيه) .

قال أبو محمد : وهذا غاية الخطأ ، لأن العاقل المميز بالأمور إذا تدبرها علم يقينا أنه لا منعم على أحد إلا الله وحده لا شريك له ، الذى أوجده من عدم ثم جعل له الحواس والتمييز وسخّر له ما فى الأرض وكثيرًا مما فى السماء وخوّله المال ، وأن كل منعم دون الله عز وجل فإن كان منعمًا بمال فإنما أعطى من مال الله عز وجل ، فالنعمة لله عز وجل دونه ، وإن كان ممرضًا ، أو معتقدًا أو خائفا من مكروه ، فإنما صرف فى ذلك كل مّا وهبه الله عز وجل من الكلام والقوة والحواس والأعضاء ، وإنما تصرَّف بكل ذلك فى ملك الله عز وجل وفيما هو تعالى أولى به منه .

فالنعمة لله عز وجل دونه ، فالله تعالى هو ولى كلِّ نعمة ، فإذ لا شك فى ذلك فلا منعم إلَّا من سماه الله تعالى منعما ، ولا يجب شكر منعم إلا بعد أن يوجب الله تعالى شكره فحينئذ يجب وإلَّا فلا ، ويكون حينئذ من لم يشكره عاصيا فاسقا أتى كبيرة لخلافه[٦٤] أمر الله تعالى بذلك فقط ، ولا فرق بين تولُّدنا من منى أبوينا وبين تولدنا من التراب الأرضى ، ولا خلاف فى أنه لا يلزمنا برّ التراب ولا له علينا حق ، ليس ذلك إلا لأن الله تعالى لم يجعل له علينا حقا ، وقد يرضع الصغيرة شاة فلا يجب لها عليه حق لأن الله تعالى لم يجعله لها وجعله للأبوين وإن كانا كافرين أو[٦٥] مجنونين أو لم[٦٦] يتوليا تربيتنا بل اشتغلا عنا بلذاتهما ، ليس هاهنا إلا أمر الله تعالى فقط .

وبرهان آخر : أن امرأً لو زنى بامرأة عالمًا بتحريم ذلك أو غير عالم ؛ إلا أنه ممن لا يلحق به الولد المخلوق من نطفته النازلة من ذلك الوطء ، فإن بره لا يلزم ذلك الولد أصلًا ويلزمه برّ أمه ، لأن الله تعالى أمره بذلك لها ، ولم يأمره بذلك فى الذى تولد من نطفته فقط ، ولا فرق فى العقل بين الرجل والمرأة فى ذلك ، ولا فرق فى المعقول وفى الولادة تولد الجنين من نطفة الواطىء لأمه بين أولاد الزنى وأولاد الرشدة ، لكن لما ألزم الله تعالى أولاد الرشدة المتولدين عن عقد نكاح أو ملك يمين فاسدين أو صحيحين . برَّ آبائهم[٦٧] وشكرهم ، وجعل عقوقهم من الكبائر لزمنا ذلك ، ولما لم يُلزِم ذلك أولاد الزانية ، يَلزَمهم .

وقد علمنا نحن وهم يقينا أن رجلين مسلين لو خرجا فى سفر فأغار أحدهما على قرية من قرى دار الحرب فقتل كلَّ رجل بالغ فيها وأخذ جميع أموالهم ، وسبى ذراريهم ثم خمسَّ ذلك . بحكم الإمام العدل ووقع فى حظه أطفال قد تولى هو قتل آبائهم ، وسبى إمهاتهم ، ووقعن أيضًا بالقسمة الصحيحة فى حصته ، فنكحهن وصرف أولادهن فى كنس حشوشه[٦٩]، وخدمة دوابه

(٦٤) فى (أ) : (الخلاف) .
(٦٥) فى (أ) : سقطت (أو) .
(٦٦) فى (أ) : (ولم) .
(٦٧) فى (أ) : (إمائهم) .
(٦٨) فى (خ) : (العمة) .
(٦٩) حشوشة : بضم الحاء جمع مَحَشّه : بفتح الميم وكسرها وهى الأرض الكثيرة الحشيش .

وحرثه وحصاده ، ولم يكلفهم من ذلك إلا ما يطيقون وكساهم وأنفق عليهم بالمعروف كما أمر الله ، تعالى فإن حقه واجب عليهم بلا خلاف ، ولو أعتقهم فإنه منعم عليهم وشكره فرض عليهم ، وكذلك لو فعل ذلك بمن اشتراه وهو مسلم بعد .

وأغار الثانى على قرية للمسلمين فأخذ صبيانًا من صبيانهم فاسترقَّهم فقط ولم يقتل أحدًا ولا سبى لهم حرمة فربَّى الصبيان أحسن تربية ، وكانوا فى قرية شقاء وجهد وتعب وشظف عيش وسوء حال ، فرفَّه معاشهم[٧٠] وعلمهم العلم والإسلام وخوّلهم المال ثم أعتقهم ، فلا خلاف فى أنه لا حق له عليهم ، وأن ذمَّه وعداوته فرض عليهم .

وأنه لو وطىء امرأة منهن وهو محصن وكان أحدهم قد ولى حكمًا لزمه شرخ رأسه بالحجارة حتى يموت ، أفلا يتبين لكل ذى عقل من أهل الإسلام أنه لا محسن ولا منعم إلا الله تعالى وحده لا شريك له إلا من سماه الله محسنا أو منعمًا ، ولا شكر لازما لأحد على أحد إلا من ألزمه الله تعالى شكره ، ولا حق لأحد على أحد إلا من جعل الله تعالى له حقا ، فيجب كل ذلك إذا[٧١] أوجبه الله تعالى وإلا فلا .

وقد أجمعوا معنا على أن من أفاض إحسان الدنيا على إنسان إفاضة بوجه حرمه الله تعالى فإنه لا يلزمه شكره ، وأن من أحسن إلى آخر غاية الإحسان فشكره بأن أعانه فى دنياه بما لا يجوز فى الدّين فإنه مسىء إليه ظالم ، فصح يقينا أنه لا يجب شىء ولا يحسن شىء ، ولا يقبح شىء إلا ما أوجبه الله تعالى فى الدين ، أو حسَّنه الله فى الدين ، أو قبحّه الله فى الدين فقط . وبالله تعالى نتأيد .

وقال بعضهم : الكذب قبيح على كل حال .

قال أبو محمد : وهذا كالأول ، وقد أجمعوا معنا على بطلان هذا القول ، وعلى تحسين الكذب فى مواضع خمسة إذْ حسَّنه الله تعالى ، وذلك نحو إنسان ، مستتر من إمام ظالم يظلمه ويطلبه ، فسأل ذلك الظالم هذا الذى استتر عنده المطلوب وسأل أيضًا كل من عنده خبره وعن ماله ، فلا خلاف بين أحد من المسلمين فى أنه إن صدَقه ودلَّه على موضعه وعلى ماله فإنه عاص الله عزَّ وجل ، فاسق ظالم فاعل فعلًا قبيحًا ، وأنه لو كذبه وقال له لا أدرى مكانه ولا مكان ماله فإنه مأجور محسن فاعل فعلًا حسنا ، وكذلك كذب الرجل لامرأته فيما يستجُر به مودتها وحسن صحبتها ، والكذب فى حرب المشركين فيما يوجد به السبيل إلى إهلاكهم ويخلص[٧٢] المسلمين

(٧٠) فى (أ) : (معايشهم) .
(٧١) فى (أ) : (إذْ) .
(٧٢) فى (أ) : (وتخليص) .

منهم ، فصح أنه إنما قبح الكذب حيث قبحه الله عز وجل ، ولولا ذلك ما كان قبيحًا بالعقل أصلًا ، إذ ما وجب بضرورة العقل فمحال أن يستحيل فى هذا العالم ألبتة عما رتبه الله عز وجل فى وجود العقل إياه كذلك ، فصح كذبهم على المعقول(٧٣).

وقال بعضهم : الظلم قبيح .

قال أبو محمد : وهذا كالأول ، ونسألهم : ما معنى الظلم ؟ فلا يجدون إلا أن يقولوا : إنه قتل الناس وأخذ أموالهم وأذاهم ، وقتل المرء نفسه أو التشويه بها ، أو إباحة حرمة للناس ينكحونهن ، وكل هذا فليس شيء منه قبيحًا لعينه ، وقد أباح الله عزّ وجل أخذ أموال قوم بخراسان من أجل ابن عمهم قتل بالأندلس رجلًا خطأً لم يرد قتله ، لكن رمى صيدًا مباحاً له ، أو رمى كافرًا فى الحرب فصادف المسلمَ السهم وهو خارج من خلف جبل فمات ، ووجدناه تعالى قد أباح دم من زنى وهو محصن ولم يطأ امرأة قط إلا زوجة له عجوزًا شوهاء(٧٤) سوداء ، وطئها مرة ثم ماتت ، ولا يجد من أين ينكح ولا من أين يتسرى ، وهو شاب محتاج إلى النساء ، وحرَّم دم شيخ زنى وله مائة جارية كالنجوم حسنا ، إلا أنه لم تكن له قط زوجة .

وأما قتل المرء نفسه فقد حسَّن الله تعالى تعريض المرء نفسه للقتل فى سبيل الله عز وجل وصدمة الجموع التى يوقن أنه مقتول فى فعله ذلك ، وقد أمر الله عز وجل من قبلنا بقتل نفسه ؛ قال تعالى : « فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ(٧٥)» . ولو أمرنا عز وجل بمثل ذلك لكان حسنا كما كان حسنا أمره عز وجل بذلك بنى إسرائيل ، وأما التشويه بالنفس فإن الختان والإحرام والركوع والسجود لولا أمره الله تعالى بذلك وتحسينه إياه لكان لا معنى له ، ولكان على أصولهم تشويهًا ، ودليل ذلك أن امرأً من الناس لو قام ثم وضع رأسه بالأرض(٧٦) فى غير صلاة بحضرة الناس لكان عابثًا بلا شك مقطوعا عليه بالهوس ، وكذلك لو تجرّد المرء من ثيابه أمام الجموع فى غير حج ولا عمرة وكشف رأسه ، ورمى بالحصى وطاف بيت مهرولًا مستديرًا به لكان مجنونًا بلا شك ، لاسيما إن امتنع من قتل قمله ومن فلى رأسه ، ومن قص أظفاره وشاربه ، لكن لما أمر الله عز وجل بما أمر به من ذلك كان فرضًا واجبًا وحسنا ، وكان تركه قبيحًا وإنكاره كفرًا .

وأما إباحة المرء حُرمة للنكاح فهذا أعجب ما أتوابه ؛ أما علموا أن الله خلى بين عبيده(٧٧)

---

(٧٣) فى (أ) : (العقول) .
(٧٤) فى (أ) : (شعرها) وهو تحريف .
(٧٥) سورة البقرة : ٥٤
(٧٦) فى (أ) : (فى الأرض) .
(٧٧) فى (أ) : (عبده) .

وإمائه يفجر بعضهم ببعض وهو قادر على منعهم من ذلك ، فلم يفعل ؛ بل قوى آلاتهم وقوى شهواتهم على ذلك بإقرار المعتزلة ، فهذا من الله حسن ومن عباده قبيح لأن الله قبحه ولا مزيد ، ولو حسنه تعالى لحسن ، أما شاهدوا نكاح الرجال بناتهم من رجال ، ثم إن طلّق(٧٨) الرجل منهم المرأة من آخر ثم آخر وهكذا ما أمكنهم ، وكذلك إن مات عنها ، فأى فرق فى العقول بين إباحة وطئها بلفظ زوجتك أو أنكحتك ، وبين حظر وطئها بالإطلاق عليه أو بلفظة قم فطأها ، فهل هاهنا قبيح إلا ما قبحه الله عز وجل ، أو حسن إلا ما حسن الله عز وجل .. ؟ !!

وقال بعضهم : الكفر قبيح على كل حال .

قال أبو محمد : وهذا كالأول ، وما قبح الكفر إلا لأن الله قبحه ونهى عنه ولولا ذلك ما قبح ، وقد أباح الله عز وجل كلمة الكفر عند التقية ، وأباح بها الدم فى غير التقية ، ولو أن امرأً اعتقد أن الخمر حرام قبل أن ينزل تحريمها لكان كافرًا ، ولكان ذلك منه كفرا إن كان عالمًا بإباحة الرسول ﷺ لها ، ثم صار ذلك الكفر إيمانا وصار الآن من اعتقد تحليلها كافرا ، وصار اعتقاد تحليلها كفرًا فصح أن لا كفر إلا ما سماه الله عز وجل كفرًا ، ولا إيمان إلا ما سماه إيمانا ، وأن الكفر لا يقبح إلا بعد أن قبحه الله عز وجل ، ولا حسن(٧٩) الإيمان إلا بعد أن حسنه الله عز وجل ، فبطل كل ما قالوه فى الجور والكفر والظلم ، وصح أنه لا ظلم إلا ما نهى الله عنه ولا جور إلا ما كان كذلك ، ولا عدل إلا ما أمر الله تعالى به أو أباحه أى شيء كان ، وبالله تعالى التوفيق .

فإذ هذا كما ذكرنا فقد صح أنه لا ظلم فى شيء من فعل البارى تعالى ، ولو أنه تعالى عذَّب من لم يقدره على ما أمر به من طاعته لما كان ذلك ظلما إذ لم يسمه تعالى ظلما ، وكذلك ليس ظلمًا خلقه تعالى للأفعال التى هى من عباده عزّ وجل كفر وظلم وجور ، ولأنه لا آمر عليه تعالى ولا ناهيا ؛ بل الأمر أمره والملك ملكه .

وقالوا : تكليف ما لا يطاق ثم التعذيب عليه قبيح فى العقول جملة ، لا يحسن بوجه من الوجوه فيما بيننا ، فلا يحسن من البارى تعالى أصلًا .

قال أبو محمد : نسى هؤلاء القوم ما لا يجب أن ينسى ، ويقال لهم : أليس(٨٠) قول القائل فيما بيننا : اعبدونى(٨١)، اسجدوا لى قبيحًا لا يحسن بوجه من الوجوه ولا على حال من

---

(٧٨) فى (أ) : (يطلق) .
(٧٩) فى (أ) : (ولا يحسن) .
(٨٠) فى (خ) : (ليس) .
(٨١) فى (أ) : (أن اعبدونى) .

الأحوال .. ؟ فلابد من نعم ، فيقال لهم : أوليس هذا القول من الله تعالى حسنا وحقا ، فلابد من نعم ، فإن قالوا : إنما قبح ذلك منّا لأننا لا نستحقه ؛ قيل لهم : وكذلك إنما قبح منا تكليف ما لا يطاق والتعذيب عليه لأننا لا نستحق هذه الصفة ، وأى شىء أتوابه من الفرق فهو راجع عليهم فى تكليف ما لا يطاق ، ولا فرق ، وكذلك الممتن بإحسانه الجبار المتكبر ذو الكبرياء قبيح فيما بيننا على كل حال ، وهو من الله تعالى حسن وحق ، وقد سمى نفسه الجبار المتكبر وأخبر أن له كبرياء وهو تعالى يمتن[٨٢] بإحسانه .

فإن قالوا : حسُن ذلك منه لأن الكل خلقه . قيل لهم : وكذلك حسن منه تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه لأن الكل خلقه ، وكذلك فيما بيننا من عذّب حيوانًا بالنتف والضرب ثم أحسن علفه ورفهه فهو قبيح على كل حال[٨٣] وُجّه ، وفاعله عابث ، وهم يقولون ان البارى أباح ذلك فى الحيوان من أكلها وذبحها ثم يعوضها على ذلك ، وهذا منه عزّ وجل حسن ، إلا أن يلجأوا إلى أنه تعالى لا يقدر على تعويض الحيوان إلا بعد إيلامها وتعذيبها ، فهذا أقبح قول وأبينه كذبًا وأوضحه قحه وأتمه كفرًا وأذّمه للبارى تعالى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فإن قالوا : إن إيلام الحيوان قد يحسن فيما بيننا مثل أن يسقى الإنسان من يحب ماء الأدوية الكريهة ، ويحجمه ويكويه ليوصله بذلك إلى منافع لولا هذا المكروه لم يكن ليصل إليها .

قال أبو محمد : وهذا تمويه لم ينفكوا به مما سألهم عنه أصحابنا فى هذه المسألة ، ونحن لم نسألهم عمن لا يقدر على نفعه إلا بعد الأذى الذى هو أقل من النفع الذى يصل إليه بعد ذلك الأذى ، وإنما سألناهم عمن يقدر على نفعه دون أن يبتدئه بالأذى ؛ ثم لا ينفعه إلا حتى يؤْذيه .

قال أبو محمد : وكذلك تكليف من يدرى المرء أنه لا يطيقه وأنه إذا لم يطقه عذبه قبيح فيما بيننا ، فقال قائل منهم : إن هذا قد يحسن فيما بيننا ، وذلك أن يكون المرء يريد أن يقرب عند صديقه معصية عبده له فيأمره وهو يدرى أنه لا يطيعه فإن نهيه له حسن .

قال أبو محمد : وهذا كالأول ولا فرق ، ولم نسألهم عمن لم[٨٤] يقدر على تعريف صديقه معصية غلامه له إلا بتكليفه أمامه ما لا يطيعه فيه ، ولا عمن لا يقدر على منع العاصى له بأكثر من النهى ، وإنما نسألهم عمن لا منفعة له فى أن يعلم زيد معصية غلامه له ، وعمن يقدر على أن يعرف زيدًا بذلك ويقرره عنده بغير أن يأمر من لا يطيعه ، وعمن يقدر على منعه من المعصية فلا يفعل ذلك ، إلا أن يعجزوا ربهم كما ذكرنا ، فهذا مع أنه كفر فهو أيضًا كذب ظاهر ، لأنه

---

(٨٢) فى (أ) : (يمن) .
(٨٣) فى (أ) : (على كل وجه) .
(٨٤) فى (أ) : (عمن لا يقدر) .

تعالى قد أخبر عن أهل النار أنهم لو وُرُدّوا لعادوا لما نهو عنه ، فتقرر هذا عندنا تقررًا لو رأينا ذلك عيانًا ما زادنا علمًا بصحته ، وكذلك قد شاهدنا قومًا آخرين أرادوا ضروبًا من المعاصى فحال الله تعالى بينهم وبينها بضروب من الحوائل ، وأطلق آخرين ولم يحل بينهم وبينها بل قوى الدواعى لها ورفع الموانع عنها جملة حتى ارتكبوها ، فلاح كذب المعتزلة وعظيم إقدامهم على الافتراء على الله تعالى وشدة مكابرتهم العيان ، ومخالفتهم للمعقول وقوّة جهلهم وتناقضهم . نعوذ بالله من الخذلان .

ثم بعد هذا كله فأى منفعة لنا فى تعريفنا أن فرعون يعصى ولا يؤمن ، وما الذى ضرّ الأطفال إذا ماتوا قبل أن يعرفوا سِرَّ[٨٥]. من أطاع ومن عصى .

ونسألهم أيضًا عمن أعطى آخر سيوفًا وخناجر وعتلا للنقب ، وكل ذلك يصلح للجهاد ولقطع الطريق والتلصص ، وهو يدرى أنه لا يستعمل شيئًا من ذلك فى الجهاد إلا فى قطع الطريق والتلصص ، وعمن مكن آخر من خمر وامرأة عاهرة وبغاء ، وأخلى له منزلا مع كل ذلك ، أليس عابثا ظالمًا بلا خلاف .. ؟ !! فلابد من نعم ، ونحن وهم نعلم أن الله عز وجل وهب لجميع الناس القوى التى بها عصوا وهو يدرى أنهم يعصونه بها ، وخلق الخمر وبثها بين أيديهم ولم يحل بينهم وبينها ، وليس ظالمًا ولا عابثًا ، فإن عجزوه تعالى عن المنع من ذلك بلغوا الغاية من الكفر ، وإن من عجز عن منع الخمر من شاربها وهو يَقدر على ذلك لفى غاية الضعف والمهانة ، أو مريد لكون ذلك كما شاء لا معقب لحكمه ، وهذا قولنا لا قولهم .

قال أبو محمد : فانقطعوا عند هذه ولم يكن لهم جواب إلا أن بعضهم قال : إنما قبح ذلك منا لجهلنا بالمصالح ولعجزنا عن التعويض ، ولأن ذلك وهذا محظور علينا ، ولو أن امرءاً له منا عبيد وقد صح عنده بإخبار النبى عليه الصلاة والسلام لا يؤمنون أبدًا ؛ فإن كسوتهم وإطعامهم مباح له .

قال أبو محمد : وهذا عليهم لا لهم وإقرار منهم بأنه إنما قبح ذلك منا لأنه محرم علينا ، وكذلك كسوة العبيد الذين يوقن أنهم لا يؤمنون ، وإنما حسن ذلك لأننا مأمورون بالإحسان إليهم[٨٦] وإن كانوا كفارًا ، ولو فعلنا ذلك بأهل دار الحرب لكنا عصاة لأننا نهينا عن ذلك ، ليس هاهنا شيء يقبح ولا يحسن إلا ما أمر الله تعالى فقط ، وأما قولهم إن ذلك قبح منا لجهلنا بالمصالح فليقنعوا بهذا ممن[٨٧] أجابهم بهذا بعينه فى الفرق بين حسن تكليف الله تعالى ما لا يطاق ، وتعذيبه عليه منه وقبح ذلك منا ، وأنه إنما قبح منا لجهلنا بالمصالح .

---

(٨٥) فى (أ) : سقطت كلمة (سرّ) .
(٨٦) فى (أ) : (إلى العبيد) .
(٨٧) فى (أ) : (فمن) .

قال أبو محمد : وأم نحن فكلا الجوابين عندنا فاسد ولا مصلحة فيما أدى إلى النار والخلود فيها بلا نهاية ، ولكننا نقول : قبح منا ما نهانا الله عنه وحسن منا ما أمرنا به ، وكل ما فعله ربنا تعالى الذى لا آمر فوقه فهو عدل وحسن ، وبالله تعالى التوفيق .

وسألهم أصحابنا فقالوا : إن المعهود بيننا أن الحكيم لا يفعل إلا لاجتلاب منفعة أو دفع مضرة ، ومن فعل لغير ذلك فهو سفيه ، والبارى تعالى يفعل لغير اجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وهو حكيم .

فقالت طائفة من المعتزلة : إن البارى تعالى يفعل لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنهم .

وقالت طائفة منهم : لم يكن الحكيم فيما بيننا حكيمًا لأنه يفعل لاجتلاب المنافع أو[٨٨] دفع المضار ، لأنه قد يفعل ذلك كل ملتذ وكل مُتَشَفٍّ وإن لم يكن حكيمًا ، وإنما سمى الحكيم حكيمًا لإحكامه عمله .

قال أبو محمد : وكل هذا ليس بشيء لأن من الحيوان ما يحكم عمله مثل الخطاف والعنكبوت ، والنحل ودود القز ، ولا يسمى شيء من ذلك حكيما ، ولكن إنما سمى الحكيم حكيمًا على الحقيقة لالتزامه الفضائل واجتنابه الرذائل فهذا هو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيمًا عاقلا ، وهكذا هو فى الشريعة ، لأن جميع الفضائل إنما هى طاعات لله عز وجل ، والرذائل إنما هى معاصيه ، فلا حكيم إلا من أطاع الله عز وجل واجتنب معاصيه ، وعمل ما أمره ربه عز وجل ، وليس من أجل هذا يسمى البارى حكيما . إنما سمى حكيمًا لأنه سمى نفسه حكيمًا فقط ، ولو لم يسمى نفسه حكيمًا ما سميناه حكيمًا ، كما لم نسمه عاقلًا إذا لم يُسَمّ بذلك ، ثم نقول لهم : وأما قولكم إنما سمى الله حكيمًا لفعله الحكمة ، فأنتم مقرون أنه أعطى الحكمة .][٨٩].

وأما من قال منهم إنه تعالى يفعل لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنه فكلام فاسد إذا قيل على عمومه ، لأن كل مستضر بفعله[٩٠] فى دنياه وأخراه لم يصرف الله تعالى عنه تلك المضرة ، وقد كان قادرًا على صرفها عنه إلا أن يعجّزوه عن ذلك فيكفروا .

وسألهم أصحابنا فقالوا : إذا كان الله عز وجل لا يفعل إلا ما هو عدل بيننا فلم خلق من يدرى أنه يكفر به . وأنه سيخلده بين أطباق النيران أبدًا ؟ فأجابوا عن هذا بأجوبة ، فمن أظرفها

---

(٨٨) فى (أ) : (ودفع) .
(٨٩) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين .
(٩٠) فى (أ) : (يفعله) وهو تحريف .

أن كثيرا منهم قالوا : لو لم يخلق من يكفر به ويخلده فى نار جهنم لما استحق العذاب أحد ولا دخل النار أحد .

قال أبو محمد : ويكفى من الدلالة على ضعف عقل هذا الجاهل هذا الجواب .

ونقول له : ذلك ما كنا نبغى ، وهل الخير كله على ما بيننا إلا أن لا يُعذَّبَ أحد بالنار ، وهل الحكمة المعهودة بيننا والعدل الذى لا عدل عندنا سواه إلا نجاة الناس كلهم من الأذى واجتماعهم فى النعيم الدائم ، ولكن المعتزلة قوم لا يعقلون .

وأجاب بعضهم فى هذا بأن قال : لو كان هذا لسلم الجميع من اللوم ، ولكان لا شيء أوضع ولا أخس من العقل لأن الذى لا عقل له سالم من العذاب واللوم ، والأمم كلها مجمعة على فضل العقل .

قال أبو محمد : لو عرف هذا الجاهل معنى العقل لم يجب بهذا السخف ، لأن العقل على الحقيقة إنما هو استعمال الطاعات واجتناب المعاصى ، وما عدا هذا فليس عقلًا ، بل هو سخف وحمق .

قال الله عز وجل حكاية عن الكفار أنهم قالوا : « لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فى أَصْحَابِ السَّعِيرِ[٩١]» . ثم صدقهم الله عز وجل فى هذا فقال : « فاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرْ[٩٢]» فصدق الله تعالى من عصاه أنه لا يعقل .

ثم نقول لهم : نعم لا منزلة أخسُ ولا أوضع ولا أسقط من منزلةٍ وموهبةٍ أدت إلى الخلود فى النيران ، عقلا كانت أو غير عقل ، على قولكم فى العقل . لكن كان كون الإنسان حشرة أو دودة أو كلبًا أحظى له وأسلم وأفضل عاجلًا وآجلا ، وأحب إلى كل ذى عقل صحيح وتمييز غير مدخول ، وإذا كان عند هؤلاء القوم العقل الموهوب وبالًا على صاحبه وسببًا إلى تكليفه أمورًا لم يأت بها فاستحق النار ، فلا شك عند كل ذى حس سليم فى أن عدمه خير من وجوده .

فإن قالوا : إن التكليف لم يوجب عليه دخول النار ، قلنا : نعم ؛ ولكنه كان سببا إلى ذلك ، ولولا التكليف لم يدخل النار أصلًا ، وقد شهد الله عز وجل بصحة هذا القول شهادة لا تخفى على مسلم ؛ وهى قوله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَة عَلَى السَّمَاوَات والأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْن مِنْها وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا[٩٣]» .

---

(٩١) سورة الملك : ١٠

(٩٢) سورة الملك : ١١

(٩٣) سورة الأحزاب : ٧٢

فحمَد الله تعالى إباءَ الجمادات من قبول التمييز الذى به وقع التكليف ، وتحمل أمانة الشرائع وذم عز وجل اختيار الإنسان لتحملها ، وسمى ذلك منه ظلمًا وجهلًا وجورًا ، وهذا معروف فى بنية العقل والتمييز أن السلامة المضمونة لا يعدل بها التغرير المودى إلى الهلاك أو إلى الغنم .

وقال بعضهم : خلق الله عز وجل من يكفر ، ومن يعلم أنه يخلده فى النار ليعظ بذلك الملائكة وحور العين .

قال أبو محمد : وهذا خبط لا عهد لنا بمثله ، وهذا غاية السخف والعبث والظلم ؛ فأما العبث فإن فى العقول منّا أن من عذب واحدًا ليعظ به آخر فغاية العبث والسخف ، وأما الجور فأىُّ جور أعظم فيما بيننا من أن يخلق قومًا قد علم أنه يعذبهم ليعظ بهم آخرين من خلقه مخلدين فى النعيم ، فهلا عذب الملائكة وحور العين ليعظ بهم الجن والإنس ؟ وهل هذا على أصولهم إلا غاية المحاباة والظلم والعبث .. ؟ !! تعالى الله عن ذلك ؛ يفعل ما يشاء لا معقّب لحكمه .

وسألهم أصحابنا عن إيلام الله عز وجل الصغارَ والحيوان وإباحته تعالى ذبحها ، فوجموا عند هذه ، وقال بعضهم لأن الله تعالى يعوضهم على ذلك .

قال أبو محمد : وهذا غاية العبث فيما بيننا ، ولا شىء أتم فى العبث والظلم ممن يعذّب صغيرًا ليحسن بعد ذلك إليه ، فقالوا : إن تعويضه بعد العذاب بالجدرى والأمراض أتم وألذ من تنعيمه دون تعذيب .

قال أبو محمد : وفى هذا عليهم جوابان :

أحدهما : أن نقول[٩٤] لهم : أكان الله تعالى قادرًا على أن يُوَفِّى الأطفال والحيوان ذلك النعيم دون إيلام أو كان غير قادر على ذلك ؟ فإن قالوا كان غير قادر جمعوا مع الكفر الجنون لأن ضرورة العقل يُعْلَم بها أنه إذا قدر على أن يعطيهم مقدار مًّا من النعيم بعد الأيلام فلا شك فى أنه قادر على ذلك المقدار نفسه دون إيلام يتقدمه ، ليس فى العقل غير هذا أصلا ، إذ ليس هاهنا منزلة زائدة فى القدرة ولا فعلان مختلفان ؛ وإنما هو عطاء واحد لشىء واحد فى كلا الوجهين .

وإن قالوا إنه قادر على ذلك فقد وجب العبث على أصولهم ، أفكان[٩٥] قادرًا على أن يعطيهم دون إيلام ما لم يعطهم إلا بعد غاية الإيلام ؟

---

(٩٤) فى (أ) : (يقول) .
(٩٥) فى (أ) : (إذ كان) .

والجواب الثانى : أنا نريهم[٩٦] صبيانًا وحيوانا أَمَاتَهُمْ فى خير دون إيلام ، وهذه محاباة وظلم للمؤلَمِ منهم .

فقالوا : إن المؤلم يزداد[٩٧] فى نعيمه لأجل إيلامه .

فقلنا لهم : فهذه محاباة بزيادة النعيم للمؤلم ، فهلَّا آلم الجميع ليسوىَ[٩٨] بينهم فى النعيم ؟ أو هلَّا سوى[٩٩] بينهم فى النعيم بأن لا يؤلم منهم أحدًا ؟ وهذا ما لا انفكاك منه ألبتة .

وقال بعضهم : فعل ذلك ليعظ بهم غيرهم .

قال أبو محمد : وهذا غاية الجور بيننا ، ولا عبث أعظم من أن يعذب إنسان لا ذنب له ليوعظ بذلك آخرون مذنبون وغير مذنبين ، والله تعالى قد أنكر هذا بقوله تعالى : « وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[١٠٠] » .

فقد انتفى عن الله عز وجل هذا الظلم حقا[١٠١]، ولقد كان على أصولهم الفاسدة تعذيبه الطغاة[١٠٢] وإيلامه البغاة بذلك غيرهم أدخل فى العدل والحكمة من أن يؤلم طفلًا أو حيوانا لا ذنب لهما ليعظ بذلك آخرين بل لعل هذا الوجه قد صار سببا إلى كفر كثير من الناس .

وأجاب بعضهم فى ذلك بأن قال إنما فعل عز وجل ذلك بالأطفال ليأجر آباءهم .

قال أبو محمد : وهذا كالذى قبله فى الجور ، سواء بسواء أن يؤذى من لا ذنب له ليأجر بذلك مذنبًا أو غير مذنب ، حاشا لله من هذا إلا أن فى هذا مرية[١٠٣] من التناقض ، لأن هذا التعليل ينقض عليهم فى أولاد الكفار ، وأولاد الزنى ممن قد ماتت أمه ، وفى اليتامى ممن فقدوا آباءهم وأمهاتهم ، ورُبَّ طفل قد قتل الكفارُ أو الفساقُ أباه وأمه وتُرِكَ هو بدار مُضَيَّعة حتى مات هزلًا أو أكلته السباع ، فليت شعرى من وعظ بهذا ؛ أو من أُجِرَ به ؟ مع أن هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا ألبتة بوجه من الوجوه يعنى أن يُؤْذَى[١٠٤] إنسان لا ذنب له لينتفع بذلك آخرون ، وهم يقولون إن الله تعالى فعل هذا فكان حسنا وحكمة ، ولجأ بعضهم إلى أن قال إن الله عز وجل فى هذا سرًّا من الحكمة والعدل نوقن به وإن كنا لا نعلم لم هو ؟ ولا كيف هو ؟

---

(٩٦) فى (أ) : (أن نريهم) .
(٩٧) فى (أ) : (لم يزداد) وهو تحريف .
(٩٨) فى (أ) : (ليستوى) وهذا تحريف .
(٩٩) فى (أ) : (تستوى) .
(١٠٠) سورة الأنعام : ١٦٤
(١٠١) جاءت هذه العبارة فى الأصل [فقد انتفى الله عن الظلم حقا] .
(١٠٢) فى (خ) : (الأطفال) .
(١٠٣) فى (أ) : (مزيّه) وهو تحريف .
(١٠٤) فى (أ) : (أن نؤذى) .

قال أبو محمد : وإذ قد بلغوا هاهنا فقد قرب أمرهم بعون الله تعالى ، وهو أنه يلزمهم تصديق من يقول لهم : ولله تعالى فى تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه عليه سٌر من الحكمة نوقن[١٠٥] به ولا نعلمه .

قال أبو محمد : وأما نحن فلا نقول بهذا ، بل نقول إنه لا سر هاهنا أصلًا ، بل كل ذلك كما هو عدل من الله عز وجل لا من غيره ، ولله الحجة البالغة لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

قال أبو محمد : ولجأت طائفتان منهم إلى أمرين . إحداهما : قول بكر[١٠٦] ابن أخت عبد الواحد بن زيد فإنه قال : إن الأطفال لا يألمون ألبتة .

قال أبو محمد : ولا ندرى لعله يقول مثل ذلك فى الحيوان .

قال أبو محمد : وهذا انقطاع سمج ولجاج فى الباطل قبيح ودفع للعيان والحس ، وكل أحد منا قد كان صغيرًا ونوقن أننا كنا نألم الألم الشديد الذى لا طاقة لنا بالصبر عليه .

والثانية أحمد بن خَابِط[١٠٧]. البصرى وفضل[١٠٨] الحدثى . وكلاهما من تلاميذ النظام فأنهما قالا : إن أرواح الأطفال وأرواح الحيوان كانت فى أجساد قوم عصاة فعقوبت بأن ركبت فى أجساد الأطفال والحيوان لتُؤلَم عقوبة لها .

قال أبو محمد : ومن هرب عن الإذعان للحق أو عن الإقرار بالانقطاع إلى الكفر والخروج عن الإسلام فقد بلغ إلى حالة ما كنَّا نريد أن يبلغها ، لكن إذا آثر الكفر فإلى لعنة الله وحرِّ سعيره ، ونعوذ بالله من الخذلان ، وإنما كلامنا هذا مع من يتقى[١٠٩] مخالفة أهل[١١٠] الإسلام ، فأما أهل الكفر فقد تَمّ – ولله الحمد – إبطالنا لقولهم ، وقد أبطلنا قول أصحاب التناسخ فى

---

(١٠٥) فى (أ) : (يوقن) .

(١٠٦) سماه صاحب الميزان بكر بن زياد الباهلى ، وذكر عن ابن حيان أنه قال عنه « دجال يضع الحديث عن ابن المبارك » ثم ساق عنه حديثًا وقال يعلق عليه ، وهذا لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع .

ويقول عنه البغدادى : « كان يوافق النظام فى دعواه أن الإنسان هو الروح دون الجسد الذى فيه الروح ويوافق أصحابنا فى إبطال القول بالتولد ، وفى أن الله تعالى هو مخترع الألم عند الضرب ، وأجاز وقوع الضرب من غير حدوث ألم » .

راجع : ميزان الاعتدال : حـ ١ ص ٣٤٥ والفرق بين الفرق ص ٢١٢

(١٠٧) أحمد بن خابط : « ذكره الحافظ ابن حجر والسفارينى بالحاء المهملة وبعد الألف همزة ، والتحقيق أنه بالخاء المعجمة وبعد الألف باء موحده . وهو رئيس فرقة الخابطية من القدريه وكان من أصحاب النظام فى الاعتزال وله قول فى التناسخ ، وقد قال ومعه فضل الحدثى أن للخلق ربين وخالقين أحدهما قديم وهو الله سبحانه والآخر مخلوق ، وهو عيسى بن مريم وزعما أن المسيح ابن الله على معنى دون الولادة ، وزعما أيضًا أن المسيح هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة » (راجع : الفرق بين الفرق ص ٢٧٧) .

(١٠٨) فضل الحدثى : منسوب إلى الحديثة ، وهى بلد على شاطىء الفرات ، وقد وقع فى شرح عقيدة السفارينى حـ ١ ص ٧٩ الحدبى بباء موحدة تحتيه ، وفضل هنا ملحد زنديق كان من أصحاب النظام ثم هجره النظام وطرده ، وقد جاء اسمه فى الأصل محرفًا تحت : الفضل الحربى . المصدر السابق ص ٢٧٧

(١٠٩) فى (خ) : (ينتفى) .

(١١٠) فى (أ) : سقطت كلمة (أهل) .

صدر كتابنا هذا والحمد لله ، فأغنى عن إعادته ، وإذا بلغ خصمنا إلى مكابرة الحسّ أو إلى مفارقة الإسلام فقد انقطع وظهر باطل قوله ، ولله تعالى الحمد .

قال أبو محمد : فإن لجأوا إلى قول معمرّ والجاحظ ، وقالوا إن آلام الأطفال هى فعل الطبيعة لا فعل الله تعالى لم يتخلصوا بذلك من الانقطاع ، بل نقول لهم : هل الله عز وجل قادر على معارضة هذه الطبيعة المقطّعة لحم هذا الصبى بالجدرى والأكلة والخنازير[١١١] المعذّبة له[١١٢] بالحصاة واحتباس البول أو الغائط أو انطلاق البطن حتى يموت ، والعدوّ القاسى القلب يرحمه وتنقطع[١١٣] له نفسه لعظيم ما يرى به من التضور والأوجاع ؛ بقوة من عنده تعالى يفرج بها عن هذا الطفل المسكين المعذب ، أم[١١٤] هو تعالى غير قادر على ذلك ؟

فإن قالوا هو غير قادر على ذلك ، فما فى العالم أعجز ممن تغلبه طبيعة هو خلقها وطبعها ووضعها فى من هى فيه وربما غلبها طبيب ضعيف من خلقه بعقير[١١٥] ضعيف من خلقه ، فهل فى الجنون والكفر أكبر[١١٦] من هذا القول ؛ أن يكون هو خلق الطبيعة ووضعها فى من هى فيه ثم لا يقدر على كفّ عملها الذى هو وضعه فيها .

وإن قالوا : بل هو قادر على صرف الطبيعة وكفّها ولم يفعل دَخل فى نفس ما أنكر وأقر[١١٧] ربه على أصله الفاسد بالظلم والعبث ، وبالضرورة ندرى أن من رأى طفلًا فى نار أو ماء وهو قادر على استنقاذه بلا مئونة ولم يفعل فهو عابث ظالم ، ولكن الله تعالى يفعل ذلك وهو الحكيم العدل فى حكمه لا العابث ولا الظالم ، وهذا هو الذى أعظموا من أن يكون قادرًا على هدى الكفار ولا يفعل ، ولجأ بعضهم إلى أن قال : لو عَاش هذا الطفل لكان طاغيًا ، قلنا لهم لم نسألكم بعد عن من مات طفلًا ، إنما سألناكم عن إيلامه قبل بلوغه . ثم نجيبهم عن[١١٨] قولهم فيمن مات من الأطفال أنه لو عاش لكان طاغيًا ، فنقول لهم : هذا أشدُّ فى الظلم أن يعذبه على ما لم يفعل بعد .

قال أبو محمد : ووجدنا الله عز وجل قد حرم ذبح بعض الحيوان وأكله ، وأباح ذبح بعضه ، وأوجب ذبح بعضه إذا نذر الناذر ذبحه قربانًا ، فنقول للمتعزلة : أخبرونا ما كان ذنب

---

(١١١) فى (أ) : (المعدية) .
(١١٢) فى (أ) : (ووجع الحصاة) .
(١١٣) فى (أ) : (ويتقطع له) .
(١١٤) فى (أ) : (أو) .
(١١٥) فى (أ) : (بعقار).
(١١٦) فى (أ) : (أكثر) .
(١١٧) فى (أ) : (وأقرّ على ربّه) .
(١١٨) فى (أ) : (على) .

الذى أبيح ذبحه وسلخه وطبخه بالنار وأكله ، أو ما[١١٩] كان ذنب الذى حرم كل ذلك فيه حتى حرم العوض الذى تدعونه ، أو ما كان بخت الذى حِرم إيلامه ، ووجدناه عزّ وجل قد أباح ذبح صغار الحيوان مع ما يحدث لأمهاتها من الحنين والوله كالإبل والبقر ، فأىُّ فرق بين ذبحنا لمصالحنا أو لتعوض هى وبين ما حرم من ذبح أطفالنا وصغار أولاد أعدائنا لمصالحنا أو ليعوضوا ، وإن طردوا دعواهم فى المصلحة لربهم أن كل من له مصلحة فى قتل غيره كان له قتله ، فإن قالوا لا يجوز ذلك إلا حيث أباحه الله عزَّ وجل تركوا قولهم ووفقوا[١٢٠] للحق .

قال أبو محمد : ووجدناه[١٢١] تعالى قد حرم قتل قوم مشركين يجعلون له الصاحبة والولد ويهود ومجوس إذا أعطونا دينارًا أو أربعة دنانير فى العام وهم يكفرون بالله تعالى ، وأباح قتل مسلم فاضل قد تاب وأصلح لزنى سلف منه وهو محصن ، ولم يبح لنا استبقاء مشركى العرب من عُبَّاد الأوثان إلا بأن يسلموا ولابد . فأىّ فرق بين هؤلاء الكفار وبين الكفار الذين افترض علينا إبقاء هم لذُهَيْبَةٍ[١٢٢] نأخذها منهم فى العام .

قال أبو محمد : وقالوا لنا هل فى أفعال الله تعالى عبث وضلال ونقص ومذموم ؟

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : إما أن يكون فى أفعاله تعالى عبث يوصف به أو عيب يضاف إليه أو ضلال يوصف به أو نقص[١٢٣] له أو جور منه أو ظلم منه أو مذموم منه ؛ فلا يكون ذلك أصلًا ، بل كل أفعاله عدل وحكمة وخير وصواب منه ، وكلها حسن منه تعالى ومحمود منه ، ولكن فيها عيب على من ظهر منه ذلك الفعل وعبث منه وضلال منه وظلم منه ومذموم منه .

ثم نسألهم فنقول لهم : هل فى أفعاله تعالى سخف وجنون وحمق وفضائح ومصائب وقبح وسخام وأقذار وأنتان ونجس وسخنة للعين وسوادُ للوجه ؟ . فإن قالوا لا . أكذبهم الله عز وجل بقوله تعالى : « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فى الأَرْضِ وَلَا فى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فى كِتَابٍ من قبل أَنْ نَبْرَأَهَا[١٢٤] » . وموت الأنبياء وفرعون وإبليس وكل ذلك مخلوق .

وإن قالوا إن الله تعالى خالق كل ذلك ولكن لا يضاف شىء منه إلى الله عز وجل على الوجه المذموم ؛ لكن على الوجه المحمود . قلنا هذا قولنا فيما سألتمونا عنه ولا فرق .

فأن قالوا : أترضون بأفعال الله عز وجل وقضائه قلنا نعم ، بمعنى أننا مسلمون لفعله

(١١٩) فى (أ) : (وما) .
(١٢٠) فى (أ) : (ووقفوا) وهو تحريف .
(١٢١) فى (أ) : (وجدناه) .
(١٢٢) فى (أ) : (لذهب نأخذه) .
(١٢٣) فى (أ) : (أو نقص ينسب إليه) .
(١٢٤) سورة الحديد : ٢٢ .

وقضائه ، ومن الرضى بفعله وقضائه أن نكره ما كرّه إلينا ، قال تعالى : « وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ[١٢٥] » .

ثم نسألهم عن هذا بعينه فنقول لهم أترضون بفعل الله تعالى وقضائه ؟ فإن قالوا نعم . لزمهم الرضى بقتل من قُتِل من الأنبياء وبالخمور والأنصاب والأزلام وبإبليس ، ويلزمهم أن يرضى منهم بالخلود فى النَّار من خلّد فيها وفى هذا ما فيه ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وسأل بعض أصحابنا بعض المعتزلة فقال : إذا كان عندكم إنما خلق الله تعالى الكفار وهو يعلم أنهم لا يؤمنون وأنه سيعذبهم بين أطباق النيران أبدًا ليعظ بهم الملائكة وحور العين فقد كان يكفى من ذلك خلق واحد منهم ، فقال له المعتزلى : إن المؤمنين الذين يدخلون الجنة والملائكة وحور العين وجميع من لا عذاب عليه من الأطفال أكثر من الكفار بكثير جدًا .

قال أبو محمد : ولم يخرج بهذا الجواب مما ألزمه السائل ، لأن الموعظة كانت تتم بخلق واحد ، هذا لو كان لخلق[١٢٦] من يُعَّذب ليوعظ به آخر وجه فى الحكمة بيننا ، وأيضا فلولا ذكره الملائكة لكان كاذبًا فى ظنه أن عدد الداخلين فى الجنة من الناس أكثر من الداخلين النار لأن الأمر خلاف ذلك ، لأن الله عز وجل يقول : « فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا[١٢٧] » .

وقال تعالى : « وَمَا أَكْثَرُ النَّاس وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِين[١٢٨] » .

وقال تعالى : وإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ منْ فى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ الله[١٢٩] » .

وقال تعالى : « إِلَّا الَّذينَ آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَليلٌ مَّا هُمْ[١٣٠] » .

فليت شعرى فى أى حكمة وجدوا فيما بينهم أو بيننا أو فى أى عدل خَلْق من يكون أكثرهم مخلدين فى جهنم على أصول هؤلاء الجهال .

وأما نحن فإنه لو عذب أهل السماوات كلهم وجميع من عمر الأرض لكان عدلًا منه وحقًا له وحكمة منه ، ولو لم يخلق النار وأدخل كل من خلق الجنة لكان حقا منه وعدلًا وحكمة منه لا عدل ولا حكمة ولا حق إلا ما فعل وما أمر به .

قال أبو محمد : ولجأ قوم منهم إلى أن قالوا إن الله تعالى لم يعلم من يكفر ولا من يؤمن ،

(١٢٥) سورة الحجرات : ٧ .
(١٢٦) فى (أ) : (يخلق) .
(١٢٧) سورة الإسراء : ٨٩ .
(١٢٨) سورة يوسف : ١٠٣ .
(١٢٩) سورة الأنعام : ١٦٦ .
(١٣٠) سورة ص : ٢٤ .

وأقروا أنه لو علم من يموت كافرًا لكان خلقه له جورًا وظلمًا .

قال أبو محمد : وهؤلاء أيضًا مع عظيم ما أتوابه من الكفر فى تجهيل ربهم تعالى فلم يخلصوا[١٣١] مما ألزمهم أصحابنا ، لأنه ليس من الحكمة خلق من لا يدرى أيموت كافرًا فيعذبه أم لا ، وهذا هو التغرير بمن خلق وتعريضهم للهلكة على جهاله ، وهذا ليس من الحكمة ولا من العدل فيما بيننا لمن يمكنه أن لا يغرر ، وقد كان البارى تعالى قادرًا على أن لا يخلق كما قد كان تعالى لم يزل لا يخلق ثم خلق إلا أن يلجأوا[١٣٢] إلى أنه تعالى لا يقدر على أن لا يخلق ، فجعلوه[١٣٣] مضطرًا ذا طبيعة غالبة ، وهذا كفر مجرد محض ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وإذا أقرت المعتزلة أن أطفال بنى آدم كلهم أولاد المشركين وأولاد المسلمين ؛ فى الجنة دون عذاب ولا تقرير تكليف ؛ فقد نسوا قولهم الفاسد أن العقل أفضل من عدمه ، بل ما نرى السلامة على قولهم وضمانها والحصول على النعيم الدائم فى الآخرة بلا تقرير إلا فى عدم العقل ، فكيف فارقوا هذا الاستدلال ؟

وأما نحن فنقول : إن من أسعده الله تعالى من الملائكة فلم يعرضهم لشىء من الفتن أعلى حالًا من كل خلقٍ غيرهم ، ثم بعدهم الذين عصم الله تعالى من النبيين عليهم الصلاة والسلام وأمنهم من المعاصى ، ثم من سبقت لهم من الله تعالى الحسنى من مؤمنى الجن والإنس الذين لا يدخلون النار ، والحور العين اللاتى خلقن لأهل الجنة ، على أن لهؤلاء المذكورين حاشا الحور العين حالة من الخوف طول بقائهم فى الدنيا ، ثم يوم الحشر فى هول المطلع وشنعة ذلك الموقف الذى لا يفى[١٣٤] به شىء إلا السلامة منه ، ولا يهنأ معه عيش حتى يخلص منه ، وقد تمنّى كثير من الصالحين العقلاء الفضلاء أن لو كانوا نسيًا منسيًا فى الدّنيا ولا يُعرَّضوا لما عرضوا له ، على أنهم قد أمنوا بالضمان التام الذى لا يبخس ، ولقد أصابوا فى ذلك ؛ إذ السلامة لا يعدلها شىء إلا عند عقول المعتزلة القائلين أن الثواب والنعيم بعد الضرب بالسياط والضغط بأنواع العذاب والتعريض لكل بلية أطيب وألذ وأفضل من النعيم السالم من أن يتقدمه بلاء . ثم الأطفال الذين يدخلون الجنة دون تكليف ولا عذاب ، ومن بلغ ولا تمييز له ، ثم منزلة من دخل النار ثم أُخرِج منها بعد أن دخل فيها على ما فيها من البلاء نعوذ بالله منه ، وأمَّا من يخلَّد فى النار فكل ذى حس سليم توقن نفسه بيقين ضرورة أن الكلب والدود والقرد وجميع الحشرات أحسن حالًا فى الدنيا والآخرة منه ، وأعلى مرتبة وأتم سعدًا وأفضل صفة وأكرم عناية عند البارى تعالى منه .

---

(١٣١) فى (أ) : (يتخلصوا) .
(١٣٢) فى (أ) : (يلجأ) .
(١٣٣) فى (أ) : (فيجعلوه) .
(١٣٤) فى (أ) : (لا يقى) بالقاف .

ويكفى من هذا إخبار الله تعالى إذ يقول : « وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَابًا[١٣٥] » . فنصَّ تعالى على أن حال الجمادية أحسن من حاله ، فاعجبوا للمعتزلة القائلين إن الله تعالى أعطى من يتمنى يوم القيامة أن يكون ترابًا أفضل عطية عنده ولم يترك فى قدرته أصلح مما عمل به ، وأن خلقه له كان خيرًا له من ألا يخلقه ، ونحن نعوذ بالله لأنفسنا من أن يعمل بنا ما عمل بهم .

قال أبو محمد : ومن عجائبهم قولهم إن الله تعالى لم يخلق شيئا لا يعتبر به أحد من المكلفين .

قال أبو محمد : فنقول لهم : ما دليلكم على هذا ، وقد علمنا بضرورة الحس أن لله تعالى فى قعور البحار وأعماق الأرض أشياء كثيرة لم يرها إنسان قط ، فلم يبق إلا أن تدعوا غوص[١٣٦] الملائكة والجن فى عمق الجبال وقعور البحور ، فهذه دعوى مفتقرة إلى دليل ، وإلا فهى باطلة ، قال عز وجل : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين[١٣٧] » . وأيضًا فمما يبطل به دعوى هؤلاء القائلين بغير علم على الله أن الله تعالى إذا خلق زيدًا وله من الطول كذا وكذا فإنه لو خلقه على أقل من ذلك الطول بإصبع لكان الاعتبار بخلقه سواء كما هو الآن ولا مزيد ، وهكذا كل مقدار من المقادير ، فإن ادّعوا أن الزيادة فى العدد زيادة فى العبرة لزمهم أن يلزموا ربهم تعالى أن يزيد فى مقدار طول كل ما خلق لأنه كان يكون زيادة فى الاعتبار وإلا فقد قصر ، وبالجملة فهو سهم لا يحصيه إلا الذى خلقهم نعوذ بالله مما ابتلاهم به .

قال أبو محمد : وهم مقرُّون أن العقول معطاة من عند الله عز وجل ، فنسألهم أفاضَلَ بين عباده فيما أعطاهم من العقول أم لا ؟ فإن قالوا لا كابروا الحس ولزمهم مع ذلك أن عقل النبى ﷺ وتمييزه وعقل موسى وعيسى وإبراهيم وأيوب[١٣٨] وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتمييزهم وعقل مريم بنت عمران وتمييزها بل تمييز جبريل وميكائيل وسائر الملائكة ، ثم تمييز أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعقولهم وتمييز أمهات المؤمنين وبنات النبى ﷺ ورضوان الله

---

(١٣٥) النبأ : ٤٠ .

(١٣٦) فى (أ) : (عوض) .

(١٣٧) سورة البقرة : ١١١ .

(١٣٨) أيوب : اسم أعجمى غير منصرف كسائر نظائره ، وقيل عربى معناه الرجوع إلى الحق فى جميع أحواله من المحنة والبلاء ، والمحنة والرخاء ، من آب يؤوب أوبًا وإيابًا فهو آيب وأواب ، وقيل فى اللغة العبرية معناه أيضًا الرجوع إلى الله فى كل حال وفى الصحيحين عن النبى - ﷺ - بينا أيوب يغتسل عريانًا خرّ عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم اكن أغنيتك عما ترى .. ؟ قال : بلى يا رب ولكن لا غنى بى عن بركتك » . وكان أيوب ببلاد حوران من الشام وقبره فى قرية بقرب « نوى » عليه مشهد ومسجد وقرية موقوفة على مصالحة ، وعين جارية ، وهناك صخرة عليها مشهد يقولون : إنه كان يستند إليها . بصائر ذوى التميز حـ ٦ ص ٥٩ ، ٦٠

على جميع من ذكرنا وعقولهن ، ثم تمييز سقراط[١٣٩] وأفلاطون[١٤٠] وأرسطو[١٤١] وعقولهم ليس شيء من ذلك أفضل من العقل والتمييز المعطيين لهذا المخنث البغاء الزّفّان[١٤٢] ولهذه الزانية الخليعة[١٤٣] المتبرجة السحاقة ولهذا الشيخ الذى يلعب مع الصبيان بالكعاب فى الخانات ويعجفهم[١٤٤] إذا قدر ، ومن بلغ هذا المبلغ وساوى بين من أعطى الله عز وجل كل من ذكرنا من العقل والتمييز ؛ فقد كفى خصمه هوسه[١٤٥]، وإن قالوا : بل الله تعالى فاضَل بين عباده فيما أعطاهم من العقل والتمييز ، قيل لهم صدقتم ، وهذا هو المحاباة والجور على أصولكم ، ولا محاباة على الحقيقة أكثر من هذه[١٤٦]، وهى عندنا حق وعدل منه تعالى ، لا يُسأل عما يفعل ، ولعمرى إنَّ فيهم لعبجا ، إذ يقولون : إن الله تعالى لم يعط أحدًا من خلقه إلّا ما أعطى سائرهم ، فهلّا إن كانوا صادقين ساوى جميعهم إبراهيم النظام ، وأبا هذيل العلّاف ، وبشر بن المعتمر ، والجبائى فى دقة نظرهم وقوّتهم على الجدال ؛ إذ كلهم فيما منحهم الله عزَّ وجل من ذلك سواء ، فإذ لا شك فى عجزهم عن بلوغ ذلك فلا شك فى أنَّ كل أحدٍ لا يقدر أن يزيد فيما منحه الله تعالى به وليس يمكنهم أصلًا أن يدَّعوا هاهنا أنهم كلهم قادرون على ذكاء الذّهن ، وحدّة النظر ، وقوّة الفطنة ، وجودة الحفظ ، والبينة[١٤٧] لدقيق الحجة ، وإن لم يظهر ، وكما ادّعوا ذلك فى الأعمال الصّالحة ، فصحَّت المحاباة من الله تعالى يقينا عيانا لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق .

فإن أقرّوا أن العقول ، والذكاء ، وقبول العلم ، وذكاء الخاطر ، ودقة الفهم غير موهوبة من الله تعالى عزّ وجل .

---

(١٣٩) سقراط : هو الحكيم المشهور ، كان من تلاميذ فيثاغورس ، ثم اقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية ، وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها ، ثم أعلن مخالفته اليونانيين فى عبادتهم الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة ، فثوروا عليه العامة وألجأوا ملكهم إلى قتله ، فأودعه الملك الحبس مسكينا للفتنة ، ثم سقاه السم تفاديًا من شرهم وله فى شأن المعاد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة خارجة عن المذاهب المحققة . تاريخ الحكماء ص ١٩٨

(١٤٠) أفلاطون : أحد أساطين الحكمة من اليونانيين ، وكان فيهم كبير القدر ، مقبول القول ، أخذ الحكمة عن فيثاغورث ، وشارك سقراط فى الأخذ عنه إلا أنه بقى خامل الذكر إلى أن مات سقراط ، وحينئذ نبه ذكره وذاع صيته ، وصنف كتبًا كثيرة مشهورة ذهب فيها إلى الرمز والإغلاق ، وكان يعلم الفلسفة وهو ماش فسمى الناس فرقته « المشائين » وعاش إحدى وثمانين سنة : تاريخ الحكماء ١٧

(١٤١) أرسطو : هو ابن نيقو ماخس الفيثاغورى ، تتلمذ على أفلاطون ، وتصدر بعده ، وكان أفلاطون يقدمه على جميع تلاميذه ، ويؤثره بالرعاية وإلى أرسطو انتهت الفلسفة اليونانية ، فكان هو خاتمة حكمائهم ، وسيد علمائهم وهو الذى خلص صناعة البرهان من سائر صناعات المنطق وصورها بالأشكال وجعلها آلة العلوم النظرية ، وله فى جميع فروع الفلسفة كتب قيمة ، وكان هو معلم الاسكندر ابن فليبس المقدونى ، ولم يعن فلاسفة الإسلام بشيء من الفلسفة اليونانية بقدر عنايتهم بفلسفة أرسطو وله كتاب فى الحيوان نقله ابن البطريق إلى العربية ونقل من قبل إلى السريانية » تاريخ الحكماء ٢٧ – ٥٣ ، وفهرس ابن النديم ٣٥٩

(١٤٢) الزفان : صيغة مبالغة من (زَفن) بفتح الزاى والفاء ، والمضارع (يَزْفِن) : بمعنى رقَص يرقص (المحيط)

(١٤٣) فى (أ) : الخليفة : وهو تحريف .

(١٤٤) يُعْجفهم : يهذلهم ، ويضعفهم .

(١٤٥) فى (أ) : (مئونته) .

(١٤٦) فى (أ) : (هذا) .

(١٤٧) فى (أ) : وألبتة : وهو تحريف .

قلنا لهم : فمن خلقها ؟

فإن قالوا : هى فعل الطبيعة .

قلنا لهم : ومن خلق الطبيعة التى فعلت العقول ، وكلّ ذلك بذاتها متفاضلة ؟

فمن قولهم : إنّ الله تعالى خلقها .

فيقال لهم : فهو موجب المحاباة ، إذ رتّب الطبيعة رتبة المحاباة ، ولابدّ .

وإن قالوا : لم تخلق الطبيعة ، ولا العقول – لحقوا بالدّهرية . وصاروا إلى ما لم يُرَدْ لهم المصيرُ إليه . وهذا لا مخلص لهم منه أصلًا . وبالله تعالى التوفيق .

وبالضرورة ندرى : أنّ من كان تمييزه أتم كان اهتداؤه ، واعتصامه أتم على أصولهم ، وهذا هو المحاباة التى أنكروها ، وسمّوها ظلمًا وجورًا .

* * *

قال أبو محمد : ومهما أمكنهم من الدّفاع ، والقحة فى شيءٍ مّا – فإنه لا يمكنهم اعتراض أصلًا فى أن فضْل الله تعالى على المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وعلى يحيى بن زكريا ، إذ جعل عيسى نَبيًّا ناطقا ، عاقلًا فى المهد رسولًا حين سقوطه من بطن أمه ، وإذ أتى يحيى الحكم صبيا ، أتمّ وأعلى وأكثر من فضله على من ولد فى أقاصى بلاد الخزّ والزّنج حيث لم يسمع قط ذكر محمد ﷺ إلّا متبعا أقبح الذكر من التكذيب ، وأنه كان متخيّلا ، وأكثر من فضله بلا شك على فرعون إذ دعا موسى عليه الصلاة والسلام فقال : « رَبَّنَا إِنّكَ آتَيْت فِرْعَونَ ومَلَأَه زِينَة وأَمْوَالًا فى الحَياةِ الدُّنْيا ، رَبّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سبيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَلَا يؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الأَليم ، قال : قَدْ أُجِيبتْ دَعْوَتُكُما[١٤٨] » .

* * *

قال أبو محمد : إنَّ من ضلَّ بعد هذا الضالّ ، وإنَّ من قال : إنَّ فضل الله عزَّ وجل وعطاءه لموسى ، وعيسى ، ويحيى ومحمد ﷺ ، وعصمته لهم كفضلة ، وعطاءه على فرعون وملئه ، وعصمته لهم ، الذين نصَّ عزَّ وجل على أنه شدَّ على قلوبهم شدًّا منعهم الإيمان حتى يروا العذاب

(١٤٨) سورة يونس : ٨٨ ، ٨٩

الأليم ، فلا ينفعهم إيمانهم حينئذ لضعيف العقل ، قليل العلم ، مهلهل اليقين ، ولا بيان أبين من هذه الآية فى تفضيل الله عزّ وجل بعض خلقه على بعض ، واختصاص بعضهم بالهدى والرحمة دون بعض ، ومحاباته من شاء منهم ، وإضلاله من ضلّ منهم .

وأيضًا : فإنهم لا يستطيعون أن (ينكروا أن)[١٤٩] الله عزّ وجل فضَّل بنى آدم على كثير ممن خلق قال تعالى : « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ[١٥٠]» .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النبيينَ على بَعْضٍ[١٥١]» .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وحَمَلْنَاهُمْ فى البَرِّ والبَحْرِ ، ورزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيباتِ ، وفضَّلناهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا[١٥٢]» .

وهى المحاباة بعينها التى هى عند المعتزلة جور وظلم .

فيقال لهم ، على أصلكم الفاسد : هلَّا رزق الله العقلَ سائر الحيوان ؟ فيعرضهم بذلك للمراتب السنية التى عرض لها بنى آدم ، وهلَّا ساوى بين الحيوان وبيننا فى ألَّا يعرّضنا كلنا للمهالك والفتن . فهل هذا إلَّا محاباة مجرَّدة ؟! وفعل لما يشاء لا معقّب لحكمه ، لا يسأل عما يفعل .

قال أبو محمد : وقد ذكر بعضهم : أن الله تعالى قبحّ فى عقول بنى آدم أكل ما يعطيهم ، وأكل أموال غيرهم ، ولم يقبح ذلك فى عقول الحيوان .

قال أبو محمد : فأقرَّ هذا الجاهل بأنَّ الله تعالى هو المُقبح والمُحِّسن ، فإذ ذلك كذلك فلا قبيح إلَّا ما قبحّ الله ، ولا مُحَسَّن إلا ما حسَّن . وهذا قولنا . ولم يقبح الله تعالى قط خلقه لما خلق ، إنما قبحّ منا كون ذلك الذى خلق من المعاصى فينا فقط . وبالله تعالى التوفيق .

وإنّ الأمر لأبين من ذلك ، ألم تروا أنَّ الله خلق الحيوان فجعل بعضه أفضل من بعض بلا عمل أصلًا ، ففضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق نعم وعلى نوق الأنبياء الذين هم أفضل من صالح . وإنما أتينا بهذا لئلا يقولوا إنه تعالى إنما فضلها تفضيلًا لصالح عليه السلام ، وجعل تعالى الكلب مضروبا به المثل فى الخساسة والرذالة ، وجعل القردة والخنازير معذّبا بعض من

(١٤٩) سقط من (أ) كلمة (ينكروا أن) .
(١٥٠) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣
(١٥١) سورة الأسراء آية رقم ٥٥
(١٥٢) سورة الأسراء آية رقم ٧٠

عصاه بتصويره فى صورتها ، فلولا أن صورتها عذاب ونكال ما جعل القلب فى صورتها أشدّ ما يكون من عذاب الدّنيا ونكالها ، وجعل بعض الحيوان مُتَقَرَّبًا إلى الله عزَّ وجل يذبحه ، وبعضه محرمًا ذبحه ، وبعضه مأواه الرياض والأشجار ، والخضرة ، وبعضهم مأواه الحشوش والرُدَاع[١٥٣] والدّبْر . وبعضه قويا . وبعضه ضعيفًا ، وبعضه منتفعًا به فى الأدوية ، وبعضه سُمًّا قاتلًا ، وبعضه قويًّا على الخلاص ممن أراد بطيرانه وعَدْوه ، أو قوته ، وبعضه مهنيا ، لا مخلص عنده ، وبعضه خيلًا فى نواصيها الخير يجاهد عليها العدو ، وبعضه سِباعًا ضَارِيَةً مسلطة على سائر الحيوان ذا عرة لها ، قاتله لها ، آكلة لها ، وجعل سائر الحيوان لا ينقصر منها ، وبعضها حيات عادية مهلكة وبعضه مأكولًا على كل حال . فأى ذنب كان لبعضه حتى سلّط عليه غيره فأكله وقتله وأبيح ذبحه وقتله ؟ وإن لم يؤكل كالقمل والبراغيث والبق ، والوزغ وسائر الهوام . ونهى عن قتل النحل ، وعن قتل الصيد فى الحرمين ، والإحرام وأباحه فى غير الحرمين ، والإحرام .

فإن قالوا : إنَّ الله تعالى يعوض ما أباح ذبحه وقتل منها .

قيل له : فهلَّا أباح ذلك فيما حرَّم قتله ، ليعوضه أيضا .

وهذه محاباة لا شك فيها ، مع أنه فى المعهود من المعقول عين العبث إلَّا أن يقولوا : إنه تعالى لا يقدر على نعيمها إلا بتقديم الأذى ، فإنهم لا ينفكون بهذا من المحاباة لها ، على من لم يبح ذلك فيها من سائر الحيوان ، مع أنه تعجيز لله عزَّ وجل .

ويقال لهم : ما الذى عجَّزه عن ذلك وأقدره على تنعيم من تقدَّم له الأذى فى الدنيا ؟ أطبيعة فيه جارية على بنيتها ؟ أم فوقه[١٥٥] واهب له تلك القدرة – ولابدَّ من أحد هذين القولين . وكلاهما كفر مجرّد .

وأيضا : فإن قولهم يبطل بتنعيم الله عزّ وجل الأطفال الذين ولدوا أحياء ، وماتوا من وقتهم دون ألم سلف لهم . ولا تعذيب . فهلَّا فعل بجميع الحيوان كذلك على أصولكم .

وأيضا : فقد كان عز وجل قادرًا على أن يجعل غذاءنا فى غير الحيوان ، لكن فى النبات والثمار كعيش كثير من الناس فى الدنيا ، لا يأكلون لحما ، فما ضرّهم ذلك فى عيشهم شيئا ، فهل هاهنا إلَّا أن الله تعالى لا يجوز الحكم على أفعاله بما يُحكم به على أفعالنا لأننا مأمورن منهيون ، وهو تعالى أمرنا لا مأمور ولا منهى ، فكل ما فعل فهو عدل وحكمة وحق ، وكلّ

---

(١٥٣) الرُداع : نوع من الزعفران والطيب ، والرداع : بالكسر : الطين والماء « القاموس المحيط » .

(١٥٤) التبْر : بالفتح والسكون : الجبل ومنه حديث النجاش : ما أحب أن لى دَبْرًا ذهبًا وأنى آذيت رجلًا من المسلمين . (القاموس المحيط) .

(١٥٥) المعنى : يقصد : أم فوقه أحد وهب له تلك القدرة .

ما فعلناه فإنه إن وافق أمره عزّ وجل كان عدلًا وحقا ، وإن خالف أمره عزّ وجل كان جورًا وظلما .

* * *

قال أبو محمد : وأمّا الحيوان ، فإنّ قولنا فيه هو نص ما قاله الله عزّ وجل ، ورسوله ﷺ ، إذ يقول عزّ وجل : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طائرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْه إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِى الكِتَابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون[١٥٦] » .

وقال عزّ وجل : « وَإِذا الوُحُوشُ حُشِرَت[١٥٧] » .

فنحن موقنون أن الوحوش كلّها ، وجميع الدواب ، والطير ، تحشر كلها يوم القيامة ، كما شاء الله تعالى ، ولما شاء عزَّ وجل .

وأما نحن فلا ندرى لماذا – والله أعلم بكل شىء –

وقال رسول الله ﷺ : « إنه يقتصُّ يومئذٍ للشاة الجمَّاء من الشاة القرْناء[١٥٨] » . فنحن نقرُّ بهذا ، وبأنه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء ولا ندرى ما يفعل الله بهما بعد ذلك ، إلّا أنا ندرى يقينا أنها لا تعذَّب بالنار ، لأن الله تعالى قال : « لا يَصْلَاها إِلَّا الأَشْقَى ، الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى[١٥٩] » .

وبيقين ندرى أن هذه الصفة ليست إلَّا فى الجن والإنس خاصة ، ولا علم لنا إلَّا ما علمنا الله تعالى . وقد أيقنا أن سائر الحيوان الذى فى هذا العالم – ما عدا الملائكة ، والحور ، والإنس ، والجن – فإنه غير متعبد بشريعته .

وأمّا الجنة : فإن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة إلّا نفس مسملة[١٦٠] » .

والحيوان – حاشا من ذكرنا – لا يقع عليهم اسم مسلمين ، لأن المسلم : هو المتعبّد بالإسلام ، والحيوان المذكور غير متعبِّد بشرع ، فإن قال قائل : إنكم تقولون إن أطفال المسلمين ،

---

(١٥٦) سورة الأنعام آية رقم ٣٨

(١٥٧) سورة التكوير آية رقم ٥

(١٥٨) الحديث رواه مسلم فى البر ٦٠ ، والترمذى فى القيامة ، ورواه أحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ٣٠١ ولفظه عند مسلم : لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرفاء » .

(١٥٩) سورة الليل آية رقم ١٥

(١٦٠) الحديث رواه مسلم فى الإيمان ١٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، والترمذى فى الحج ٤٤ والنسائى فى المناسك ١٦١ ، وابن ماجه فى الصيام ٣٥ ، والدارمى فى السير ٦٣ واحمد بن حنبل ١ : ٣ ، ٢ : ٣٠٩

وأطفال المشركين كلهم فى الجنة ، فهل يقع على هؤلاء اسم مسلمين ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أن نقول : نعم ، كلهم مسلمون بلا شك لقول الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم ، وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى[١٦١]!

وقوله تعالى : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فِطْرَةَ الله الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله[١٦٢]» .

ولقول رسول الله ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يولد على الفطرة[١٦٣]» وروى على المِلَّة – فأبواه يهودانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجسانه ، أو يشركانه . ولقوله ﷺ عن الله عزّ وجلّ : « إنى خلقت عبادى خنفاء كلّهم ، فاحتالتهم الشياطين عن دينهم[١٦٤]» .

فصح لهم كلهم اسم الإسلام – والحمد لله رب العالمين –

وقد نص عليه السلام على أنه رأى كلّ من مات طفلا من أولاد المشركين وغيرهم فى روضة مع إبراهيم خليل الله ﷺ .

وأما المجانين ، ومن مات فى الفترة ، ولم تبلغه دعوة نبى ، ومن أدركه الإسلام وقد هرم ، أو أصمّ – لا يسمع ، فقد صحّ عن رسول الله ﷺ : أنه تبعث لهم يوم القيامة نارٌ موقدة ، ويؤمرون بدخولها فمن دخلها كانت عليه بردًا ، ودخل الجنة .. أو كلامًا هذا معناه .

فنحن نؤمن به ، ونقر به ، ولا علم لنا إلّا ما علّمنا الله تعالى ، على لسان رسول ﷺ .

* * *

قال أبو محمد : وإذ قد بلغ الكلام هاهنا فنصله إن شاء الله تعالى راغبين فى الأجر من الله عز وجل على بيان الحق فنقول – وبالله تعالى نتأيد –

إن الله تعالى قد نصَّ – كما ذكرنا – أنه أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذرِّيتهم ، وهذا نصٌّ جلى على أنه عزَّ وجل : خلق أنفسنا كلهَا من عهد آدم عليه السلام لأن الأجساد حينئذ – بلا شك – كانت ترابا وماء .

(١٦١) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(١٦٢) سورة الروم آية رقم ٣٠

(١٦٣) الحديث رواه البخارى فى الجنائز ٨٠ ، ٩٣ ، والتفسير سورة النساء والقدر ٣ ورواه مسلم فى القدر ٢٢ – ٢٥ ، وأبو داود فى السنة ١٧ والترمذى فى القدر ٥ ورواه صاحب الموطأ فى الجنائز ٥٢ ، وأحمد بن حنبل حـ ٢ ، ٢٣٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٣١٥ ، حـ ٣ ، ٤٣٥ ، حـ ٤ : ٢٤

(١٦٤) الحديث رواه مسلم فى الجنة ٦٣ ، وأحمد بن حنبل حـ ٤ ص ١٦٢ وهو حديث طويل : عن رب العزة : وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحَرّمت عليهم ما أحللت لهم وأمروهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا ... الخ .

وأيضًا : فإن المكلّف المخاطب إنما هو النفس لا الجسد ، فصحَّ يقينا أن نفوس كل من يكون من بنى آدم إلى يوم القيامة كانت موجودة مخلوقة حين خلق آدم بلا شك ، ولم يقل الله عزَّ وجل : إنه أفنانا بعد ذلك ، ونصَّ تعالى على أنه خلق الأرض والماء حينئذ ، بقوله تعالى : « وَجَعَلْنا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيّ(١٦٥) » .

وقوله تعالى : « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ فى سِتَّة أَيَّامٍ ثم اسْتوى عَلَى الْعَرْشِ(١٦٦) » . وأخبر عزَ وجل : أنه خلقنا من طين ، والطين هو التراب والماء وإنما خلق تعالى من ذلك أجسامنا ، فصحّ أن عنصر أجسامنا مخلوق منذ أوّل خلقه تعالى السماوات وأن أرواحنا وهى أنفسنا مخلوقة ، منذ أخذ الله تعالى عليها العهد . وهكذا قال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ، ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدوا لِآدَمَ(١٦٧) » . وثُمَّ توجب فى اللغة التى بها نزل القرآن التعقيب بمهلة ، ثم يصوّر الله تعالى من الطين أجسامنا من اللحم والدَّم والعظام ، بأن يحيل أعراض التراب والماء وصفاتهما فتصيير نباتا وحبًّا وثمارًا يُتَغذّى بها ، فتستحيل فينا لحما وعظما ودما ، وعَصَبا ، وجلدًا ، وغضاريف ، وشعرًا ، ودماغا ، ونخاعًا ، وعروقًا ، وعضلًا ، وشحما ، ومنيا ، ولبنا فقط . وكذلك تعود أجسامنا بعد الموت ترابا ، ولابدَّ ، وتصعد رطوبتها المائية ، وأما جمع الله تعالى الأنفس إلى الأجساد فهى الحياة الأولى بعد افتراقها الذى هو الموت الأول ، فتبقى كذلك فى عالم الدنيا ، الذى هو عالم الابتلاء – ما شاء الله تعالى – . ثم ينقلنا بالموت الثانى الذى هو فراق الأنفس للأجساد ثانية إلى البرزخ الذى تقيم فيه الأنفس إلى يوم القيامة ، وتعود أجسامنا ترابا – كما قلنا – ثم يجمع الله عزَّ وجلّ يوم القيامة بين أنفسنا وأجسادنا التى كانت بعد أن يعيدها وينشرها من القبور ، وهى المواضع التى استقرت أجزاؤها فيها ، لا يعلمها غيره ، ولا يحصيها سواه عزَّ وجل – لا إله إلَّا هو ، فهذه الحياة الثانية التى لا تبيد أبدًا ، ويخلّد الإنس والجن مؤمنهم فى الجنة بلا نهاية ، وكافرهم فى النار بلا نهاية .

وأما الملائكة ، وحور العين ، فكلهم فى الجنة فيها خلقوا من النور ، وفيها يبقون أبدًا بلا نهاية ، ولم يُنقلوا عنها قط ، ولا ينقلون . هذا كله نص قول الله عزَّ وجل ، إذ يقول : « كَيْفَ تَكْفُرونَ بالله ، وكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْياكُمْ ، ثُمَّ يميتكُمْ ، ثمَّ يُحْيِيكُمْ(١٦٨) » .

وإذ يقول تعالى مصدّقا للقائلين : « رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثنتَيْنِ(١٦٩) » .

(١٦٥) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠
(١٦٦) سورة يونس آية رقم ٣
(١٦٧) سورة الأعراف آية رقم ١١
(١٦٨) سورة البقرة آية رقم ٢٨
(١٦٩) سورة غافر آية رقم ١١

فلا يشذ عن هذا أحد إلا من أبانه الله تعالى بمعجزة ظهرت فيه ، كمن أحياه الله عزَّ وجل آية لنبى كالمسيح عليه السلام ، وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ، ثم أحياهم .

فهؤلاء ، والذى أماته الله مائة عام ثم أحياه كلهم ماتوا ثلاث موتات وحيوا ثلاث مرات .

وأمّا من ظنَّ أن الصعقة التى تكون يوم القيامة – موتًا فقد أخطأ بنص القرآن الذى ذكرنا ، لأنها كانت تكون حينئذ لكل أحدٍ ثلاث موتاتٍ وثلاث إحياءات ، وهذا كذب وباطِل ، وخلاف للقرآن .

وقد بيَّن عزّ وجل هذا نصًّا فقال تعالى : « وَيَوْمَ يُنْفخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فى السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فى الْأَرْضِ إلا مَنْ شاءَ اللهُ[١٧٠]» .

فبيَّن تعالى أن تلك الصعقة إنما هى فزع لا موت ، وبيَّن ذلك بقوله تعالى فى سورة الزمر : « وَنُفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذاهُمْ قيامٌ يَنظُرون وأَشْرَقت الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، وجِىءَ بالنَّبِيِّينَ والشُّهَدَاء[١٧١]» الآية فبيّن تعالى أن تلك الصعقة مستثنى منها من شاء الله عزّ وجل ، وفسر بها الآية التى ذكرنا قبل ، وبيّنت أنها فزعة لا موتة ، وكذلك فسَّرها النبى عليه الصلاة والسلام بأنه أول من يقوم فيرى موسى عليه السلام قائما ، فلا يدرى أكان ممن صعق فأفاق ؟ أم جوزى بصعقة الطور فسمَّاها إفاقة ، ولو كانت موتة ما سمَّاها إفاقة بل إحياء فكذلك كانت صعقة موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور فزعة لا موتا ، قال تعالى : « وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ، فلمَّا أَفَاقَ قالَ : سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ[١٧٢]» .

هذا ما لا خلاف فيه .

* * *

قال أبو محمد : فصح بما ذكرنا أن الدور سبع ، وهى : عالمون ، كل عالم منها قائم بذاته ، فأولها : دار الابتداء ، وعالمه ، وهو الذى خلق عزّ وجل فيه الأنفس جملة واحدة . وأخذ عليها

(١٧٠) سورة النمل آية رقم ٨٧
(١٧١) سورة الزمر آية رقم ٦٨
(١٧٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣

العهد ، هكذا نصَّ تعالى على أنها الأنفس بقوله عزَّ وجل : « وَأَشْهَدَهم عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ[١٧٣]» .

وهى دار واحدة ، لأنهم كلّهم فيها مسلمون ، وهى دار طويلة على آخر النفوس جدًّا ، إلّا على أوّل المخلوقين فهى قصيرة عليهم جدًّا .

وثانيها : وهى دار الابتلاء ، وعالمه : وهى التى نحن فيها ، وهى التى يرسل الله تعالى النفوس إليها من عالم الابتداء ، فتقيم فيه فى أجسادها متعبدة ما أقامت حتى تفارقه جيلًا بعد جيل ، حتى تستوفى جميع الأنفس المخلوقة بسكناها الموفق لها . ثم ينقضى هذا العالم ، وهى دار قصيرة جدًّا على كل نفس فى ذاتها ، لأنَّ مدة عمر الإنسان فيها قليل ، ولو عمَّر ألف عام . فكيف بأعمار جمهور الناس التى هى من ساعة إلى حدود المائة عام ؟!

ثم داران اثنتان للبرزخ ، وهما اللتان ترجع إليهما النفوس عند خروجهما من هذا الدار وفراقها أجسادها ، وهما عند سماء الدنيا نصَّ على ذلك رسول الله ﷺ وذكر أنه رأى ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام آدم فى سماء الدنيا ، وعن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة ، فسأل عنها فأخبر أنه نسم نبيه ، وأن الذين عن يمينه أرواح أهل السعادة ، والذين عن يساره أرواح أهل الشقاء[١٧٤]. وقد نصَّ الله تعالى على هذا نصًّا . فقال تعالى : « وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَة ، وَأَصْحَابُ المشأمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ المقرَّبُونَ فى جنَّاتِ النَّعيم ، ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وقَلِيلٌ مِن الْآخِرِين[١٧٥]».

وقال تعالى : فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من جحيم وتصلية جحيم إن هذا لهو الحق اليقين[١٧٦].

قال تعالى : « ثُمَّ كانَ مِنَ الّذِينَ آمَنُوا وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ ، وتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَة أولَئِك أَصْحابُ الميمَنة ، والذين كَفَرُوا بآياتِنا هُمْ أَصْحَاب المشْأَمَة ، عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَة[١٧٧]» .

قال أبو محمد : هكذا نصَّ رسول الله ﷺ ، على أن أرواح الشهداء فى الجنة ، وكذلك الأنبياء بلا شك ، فمن الباطل أن يفوز الشهداء بفضل يُحْرَمه الأنبياء وهم المقربون ، الذين ذكر

---

(١٧٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(١٧٤) الحديث ذكر فى الصحيحين .

(١٧٥) سورة الواقعة آية رقم ٧ – ١٤

(١٧٦) سورة الواقعة آية رقم ٨٨ – ٩٤

(١٧٧) سورة البلد آية رقم ١٧ – ٢٠

الله تعالى أنهم فى الجنة ، إذ يقول تعالى : « فَأَمَّا إنْ كانَ مِنَ المقَرَّبِينَ ، فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وجَنَّةُ نَعيمٍ » .

فهاتان داران قائمان ، لم يدخل أهلهما بعد ، لا جنة ولا نارًا بنص القرآن والسنة ، وقال تعالى : « النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وعَشِيًّا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ العَذَاب(١٧٨) » .

وقال تعالى حاكيا عن الكفّار أنّهم يقولون يوم البعث : « يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا(١٧٩) » .

فصحَّ أنهم لم يعذَّبوا فى النّار بعد ، وهكذا جاءت الأخبار كلها بأن الجميع يوم القيامة يصيرون إلى الجنة وإلى النّار ، لا قبل ذلك – حاشا الأنبياء والشهداء فقط – ولا ينكر خروجهم من الجنة لحضور الحساب ، فقد دخل رسول الله ﷺ الجنة ثم خرج عنها ، قال تعالى : « ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المنْتَهَى ، عِندَهَا جَنَّةُ المأْوَى(١٨٠) » .

وهما داران طويلتان على أول النفوس جدًّا – حاشا آخر المخلوقين ، فهى قصيرة عليهم جدًّا ، وإنما استقصرها الكفّار ، كما قال عزّ وجل فى القرآن لأنهم انتقلوا عنها إلى عذاب النار ، نعوذ بالله منها ، فاستقلوا تلك المدة ، وإن كانت طويلة حتّى ظنها بعضهم لشدة ما صاروا إليه يومًا أو بعض يوم . وقال بعضهم : « إنْ لَبِثْتُمْ إلَّا عشرا(١٨١) » .

ثم الدار الخامسة : هى عالم البعث ، وهو يوم القيامة ، وهو عالم الحساب ومقداره خمسون ألف سنة قال تعالى : « فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه خَمْسينَ أَلْفَ سَنَةٍ فاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ، إنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعيدًا ، ونَرَاه قَرِيبًا ، يَوْم تكُونُ السَّمَاءَ كالمُهْلِ ، وتَكُونُ الجبالُ كالْعِهْنِ ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ، يُبَصَّرُونَهُم يَوَدُّ المجرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذابِ يَومِئِذٍ ببنيه(١٨٢) » .

فصحّ أنه يوم القيامة ، وبهذا أيضا جاءت الأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ .

وأمّا الأيام التى قال الله تعالى فيها : « إنَّ اليوم منها ألف سنة فهى آخر . قال تعالى : « يُدَبِّرُ الأمْرَ من السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ ، ثمَّ يعرُجُ إلَيْه فى يومٍ كان مِقْدَارُه أَلْفَ سَنَةٍ ممَّا تعُدُّون(١٨٣) » .

---

(١٧٨) سورة غافر آية رقم ٤٦
(١٧٩) سورة يس آية رقم ٥٢
(١٨٠) سورة النجم آية رقم ١٣ إلى ١٥
(١٨١) سورة طه آية رقم ١٠٣
(١٨٢) سورة المعارج آية رقم من ٤ – ١١
(١٨٣) سورة السجدة آية رقم ٥

وقال تعالى : « وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون[١٨٤] » فهى أيام أخر . بنص القرآن . ولا يحل إحالة نصٍّ عن ظاهره بغير نصٍّ آخر أو إجماع بيقين ، أو ضرورة حسٍّ .

ثم الدار السادسة والسابعة : داران للجزاء ، وهما الجنة والنار وهما داران لا آخر لهما ، ولا فناء لهما ولا لمن فيهما . نعوذ بالله من سخطه الموجب للنار ، ونسأله الرِّضا منه ، الموجب للجنة – وما توفيقنا إلا بالله الرحيم الكريم .

وأمَّا من قال : إن قوله تعالى فى يوم القيامة : إنما هو مقدار خمسين ألف سنة لو تولّى ذلك الحساب غيره فهو مكذّب لربه تعالى ، مخالف للقرآن ، ولقول رسول الله ﷺ فى طول ذلك اليوم ، وبضرورة العقل ندرى أنه لو كلف جميع أهل الأرض محاسبة أهل حَضَر واحد فيما أضمروه وفعلوه ، وموازنة كل ذلك ما قاموا به فى ألف ألف عام ، فبطل هذا القول الكاذب بيقين ، لا شك فيه . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وإذ قد بينا بطلان قول المعتزلة فى تحكمهم عليه ربهم ، وإيجابهم على ما أوجبوا بآرائهم السخيفة ، وتشبيههم إياه بأنفسهم فيما يحسن منهم ويقبح ، وتجويرهم[١٨٦] إياه فيما فعل وقضى ، وقدر . فلنبين بحول الله وقوته أنهم المجورون له على الحقيقة لا نحن ، ثم نذكر ما نصَّ الله تعالى عليه مصدِّقا لقولنا ، ومكذبا لقولهم وبالله تعالى التوفيق .

فنقول – وبالله عزَّ وجل نتأيّد – إنَّ من المحال البين أن يقول المعتزلة إننا نجوِّر الله تعالى . ونحن نقول : لا يجور ألبتة ولا جار قط ، وأن كل ما فعل أو يفعل أىّ شىء كان فهو العدل والحق ، والحكمة على الحقيقة لا شك فى ذلك ، وأنه لا جور إلَّا ما سمَّاه الله عزّ وجلّ جورًا ، وهو ما ظهر فى عصاة عباده من الجن والإنس ممن خالف أمره تعالى ، وهو خالقه فيهم[١٨٧] كما شاء فكيف يكون مجور إليه عزَّ وجل من هذه هى مقالته ، إنما المجوِّرُ لربه تعالى من يقول فيما أخبر الله عزَّ وجل : إن[١٨٨] خلقه هذا جور وظلم ، فإن قائل هذا القول ، لا يخلو ضرورة من أحد وجهين لا ثالثا لهما :

---

(١٨٤) سورة الحج آية رقم ٤٧

(١٨٥) فى (أ) : حصر بالصاد المهملة وهو تحريف .

(١٨٦) فى (أ) : وتجويزهم بالزاى وهو تحريف .

(١٨٧) خالقه : أى الجور

(١٨٨) فى (أ) : أنه – وهذا تحريف يفسد المعنى .

إمَّا أنه مكذّب لربّه عزّ وجل فى إخباره فى القرآن أنه برأ المصائب كلها وخلقها ، وأنه تعالى خلقنا وما نعمل ، وأنه خلق كل شيء بقدر ، محرِّف لكلام ربه تعالى الذى هو غاية البيان عن مواضعه ، مبدّل له ، بعد ما سمعه . وقد نصَّ الله تعالى فيمن يحرف الكلم عن مواضعه ، ويبدّله بعد ما سمعه – ما نص . فهذه(١٨٩) خطة كفران التزمها .

والثانية : وهى تصديق الله عز وجل فى إخباره بذلك ، وتجويره(١٩٠) فى فعله ، لابّد له من ذلك ، وهذه أيضا خطة كفران التزمها . أو الانقطاع والتناقض ، والثبات على اعتقاد الباطل بلا حجة تقليدًا للعيارين الشطار الفسّاق كالنظام ، والعلاف ، وبشر نخاس الرقيق ، ومعمّر المتهم عندهم فى دينه ، وثمامة الخليع المشهور بالقبائح والجاحظ(١٩١)، وهو من عرف هزلًا وعيارة ، وانهمالًا . وهذه أسلم الوجوه لهم . ونعوذ بالله من مثلها .

ثم هم بعد هذا صنفان : أصحاب الأصلح ، وأصحاب اللطف . فأما أصحاب اللطف ، فإن أصحاب الأصلح يصفونهم بأنهم مجوّرون لله ، مجهِّلون له . وأصحاب الأصلح : يصفهم أصحاب اللطف بأنهم معجزون لله تعالى ، مشبِّهون له بخلقه ، « فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون » . وقد نصَّ الله تعالى على أنه يفعل ما يشاء بخلاف ما قالت المعتزلة . فقال عزَّ وجل : « كَذلِكَ يُضلُّ الله مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِى مَنْ يَشَاءُ(١٩٢)» .

وأمرنا عزّ وجل : أن ندعوه فنقول : « ربَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أو أخْطَأْنا ، رَبَّنَا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنا إصْرًا كَما حَمَلْتَه عَلَى الذين مِنْ قَبْلِنا ربَّنَا ولَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طاقَةَ لَنَا بِه(١٩٣)» .

* * *

قال أبو محمد : وهذا غاية البيان فى أنه عزَّ وجل له أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به وأنه لو شاء ذلك لكان من حقه ، ولو لم يكن له ذلك لما أمرنا بالدّعاء فى ألَّا يحملنا ذلك ، ولكان الدعاء بذلك كالدعاء فى أن يكون إلاهـًا خالقا على أصوله . ونصَّ تعالى – كما تلونا – على أنه قد حمَّل من كان قبلنا الإصْرَ – وهو الثقل الذى لا يطاق . وأمرنا أن ندعوه بألَّا يحمل ذلك علينا .

وأيضا : فقد أمرنا تعالى فى هذه الآية أن ندعوه : بأن لا يؤاخذنا – إن نسينا أو أخطأنا – وهذا هو تكليف ما لا يطاق نفسه ، لأن النسيان لا يقدر أحد على الخلاص منه ،

---

(١٨٩) فى (أ) : (فهذا) .
(١٩٠) فى (أ) : وتجويزه بالزاى : وهذا تحريف .
(١٩١) سبق التعريف بهؤلاء الأعلام .
(١٩٢) سورة المدثر آية رقم ٣١
(١٩٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

ولا يتوهم التحفظ منه ، ولا يمكن أحدٌ دفعه عن نفسه ، فلولا أن له تعالى أن يؤاخذ بالنسيان من شاء من عباده – لما أمرنا بالدّعاء فى النجاة منه . وقد وجدنا الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مؤاخذين بالنسيان . منهم : أبونا آدم ﷺ – قال الله تعالى : « وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِىَ[194] » .

يريد نسيانه عداوة إبليس له الذى حذّره الله تعالى منه ، ثم أخذه على ذلك ، وأخرجه من الجنة ، ثم تاب عليه . وهذا كلّه على أصول المعتزلة – جور وظلم . تعالى الله عن ذلك . وقال عزَّ وجل : « وَلَوْ شَاءَ الله ما أشرَكُوا[195] » . و« لو » فى اللغة التى بها نزل القرآن حرف يدل على امتناع الشيء لا متناع غيره فصحَّ يقينا : أن ترك الشرك من المشركين ممتنع لا متناع مشيئة الله تعالى لتركه . وقال تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤمِنَ إلَّا بإذْنِ الله[196] » .

ومشيئة الله هى تفسير إذن الله – وقال تعالى : « وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إليهِمُ الملائِكَةَ وكَلَّمَهُم المَوْتَى ، وحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كل شَىْءٍ قُبُلًا ، مَا كَانُوا ليؤمِنوا إلَّا أن يَشَاءَ الله[197] » .

فهذا نصٌّ جلىٌّ على أنه لا يمكن أحد أن يؤمن إلا بإذن الله عزَّ وجل له فى الإيمان – فصحَّ يقينا أن كلَّ من آمن فلم يؤمن إلا بإذن الله عزَّ وجل ، وأنه تعالى شاء أن يؤمن ، وأنَّ كل من لم يؤمن فلم يأذن الله تعالى له فى الإيمان ، ولا شاء أن يكون منه الإيمان .

هذا نصُّ هاتين الآيتين اللتين لا يحتملان تأويلًا غيره أصلًا ، وليس لأحدٍ أن يقول : إنه تعالى عنى الإكراه على الإيمان ، لأن نصَّ الآيتين مانع من هذا التأويل الفاسد ، لأنه تعالى أخبر أن كل من آمن فإنما آمن بإذن الله عزَّ وجل . وأنَّ من لم يؤمن فإنَّ الله تعالى لم يشأ أن يؤمن ، فيلزمهم على هذا : أن كلَّ مؤمن فى العالم فمكره على الإيمان . وهذا شر من قول الجهمية ، وأشد فإن قالوا : إنَّ إذن الله تعالى هاهنا إنما هو أمره – لزمهم ضرورة أحد وجهين ، لابدَّ منهما :

إما أن يقولوا : إن الله تعالى لم يأمر الكفار بالإيمان لأن النص قد جاء بأنه تعالى لو أذن لهم لآمنوا .

وإمَّا أن يقولوا : إن كل من فى العالم فهم مؤمنون لأنهم عندهم مأذون لهم فى الإيمان ، إذا كان الإذن هو الأمر – وكلا القولين كفر مجرد ، ومكابرة للعيان . ونعوذ بالله من الضلال .

* * *

(١٩٤) سورة طه آية رقم ١١٥
(١٩٥) سورة الأنعام آية رقم ١٠٧
(١٩٦) سورة يونس آية رقم ١٠٠
(١٩٧) سورة الأنعام آية رقم ١١١

قال أبو محمد : الإذن هاهنا ومشيئته تعالى هو خلق الله تعالى للإيمان فيمن آمن ، وقوله لإيمانه « كُنْ فَيُكُون[١٩٨]» .

وعدم إذنه تعالى ، وعدم مشيئته للإيمان هو ألَّا يخلق فى المرء الإيمان فلا يؤمن ، لا يجوز غير هذا ألبتة ، إذ قد صحّ أن الإذن هاهنا ليس هو الأمر . وقال عزّ وجل : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ، أَن اعْبُدوا الله ، واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى الله ، ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّت عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ[١٩٩]» .

فأخبر تعالى أنه هدى بعضهم دون بعض . وهذا عند المعتزلة جور ، وقال تعالى : « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجنِّ والإنْسِ[٢٠٠]» .

فنص على أنه خلقهم ليدخلهم النار ، نعوذ بالله من ذلك .

وقال تعالى : « وَلَوْ شَاء لَجعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، ولَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِى مَنْ يَشَاء[٢٠١]» .

وأمر تعالى أن ندعوه فنقول : « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا[٢٠٢]» .

فنص تعالى على أنه يزيغ قلوب من لم يهدهم من الذين زاغوا إذ أزاغ الله قلوبهم . وقال تعالى : « كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الّذينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُون[٢٠٣]» .

فقطع تعالى ، على أن كلماته قد حقت على الفاسقين أنهم لا يؤمنون ، فمن الذى حقق عليهم ألَّا يؤمنوا – إلَّا هو عزَّ وجلّ . وهذا جور عند المعتزلة .

قال أبو محمد : وكل آية ذكرناها فى باب الاستطاعة منهن[٢٠٤] حجة عليهم فى هذا الباب وكل آية نتلوها إن شاء الله عز وجل فى باب إثبات أن الله عزّ وجل أراد كون الكفر والفسق ، بعد هذا الباب منهن[٢٠٥] أيضا حجة عليهم فى هذا الباب . وكذلك كل آية نتلوها إن شاء الله عز وجل فى إبطال قول من قال : ليس عند الله تعالى شىء أصلح مما أعطاه الله أبا جهل ، وفرعون ،

---

(١٩٨) سورة يس آية رقم ٨٢
(١٩٩) سورة النحل آية رقم ٣٦
(٢٠٠) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩
(٢٠١) سورة النحل آية رقم ٩٣
(٢٠٢) سورة آل عمران آية رقم ٨
(٢٠٣) سورة يونس آية رقم ٣٣
(٢٠٤) فى (أ) : أى من الآيات
(٢٠٥) فى (أ) : (منهى) وهو تحريف ظاهر .

وأبا لهب[٢٠٦]، مما يستدعى[٢٠٧] الإيمان – فإنها حجة عليهم فى هذا الباب . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى : « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ وما بَيْنَهُمَا لَاعِبِين ، مَا خَلَقْنَاهما إِلَّا بالْحَقّ[٢٠٨]» .

وبقوله تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد[٢٠٩]» .

وبقوله تعالى : « وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ولَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون[٢١٠]» .

وبقوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون[٢١١]» .

وبقوله تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد[٢١٢]» .

وبقوله تعالى : « إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ الله الصُّمُّ البُكْمُ الَّذين لَا يَعْقِلُون ، وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضون[٢١٣]» .

* * *

قال أبو محمد : وهذه حجة لنا عليهم لأنه تعالى أخبر أنه قادر على أن يسمعهم والإسماع هاهنا : الهُدى بلا شك ، لأن آذانهم كانت صِحَاحًا . ومعنى قوله تعالى : « وَلَوْ أسمعهم لَتولّوا وهم مُعْرِضونَ » .

إنما معناه بلا شك : لتولّوا عن الكفر ، وهم معرضون عنه ، لا يجوز غير هذا ، لأنه محال أن يهديهم الله ، وقد علم من قلوبهم خيرًا فلا يهتدوا ، هذا تناقض قد تنزّه كلامه عزَّ وجل عنه ، فصحّ أنه كما ذكرنا يقينا .

قال أبو محمد : وسائرها لا حجة لهم فى شىءٍ منه ، بل هو حجة لنا عليهم ، وهو نصّ قولنا : أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق ، وأفعالُ العباد بين السماء والأرض بلا شك ،

---

(٢٠٦) ترجم له فى ص ٣٥٨

(٢٠٧) فى (أ) : (يستدعى إلى) .

(٢٠٨) سورة الدخان آية رقم ٣٨ ، ٣٩

(٢٠٩) سورة فصلت آية رقم ٤٦

(٢١٠) سورة النحل آية رقم ١١٨

(٢١١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦

(٢١٢) سورة فصلت : ٤٦

(٢١٣) سورة الأنفال آية رقم ٢٢ – ٢٣

فالله تعالى خلقها بالحق الذى هو اختراعه لها ، وكلٌّ ما فعل تعالى حق ، وإضلاله مَنْ أضلَّ حقٌّ له ومنه تعالى ، وهُداه مَنْ هدى حق منه تعالى ، ومحاباته[٢١٤] من حابى بالنبُّوة وبالطّاعة حق منه . ونحن نبرأ إلى الله تعالى من كل من قال : إن الله تعالى خلق شيئًا بغير الحق ، أو أنه تعالى خلق شيئًا لاعبا ، أو أنه تعالى ظلم أحدًا ، بل فعله عدل وصلاح ، ولقد ظهر لكل ذى فهم أننا قائلون بهذه الآيات على نصِّها ، وظاهرها فأىَّ حجةٍ لهم علينا فى هذه النصوص لو عقلوا ؟!

وأمّا المعتزلة فيقولون : إنه تعالى لم يخلق كثيرًا مما بين السماوات والأرض ، لاسيما عَّباد ابن سليمان[٢١٥] منهم تلميذ هشام بن عمر الفوطى القائل : إن الله تعالى لم يخلق الجدْب ، ولا الجوع ، ولا الأمراض ، ولا الكفار ، ولا الفسّاق . ومحمد بن عبد الله الإسكافى تلميذ جعفر ابن حرب[٢١٦] القائل : إن الله تعالى لم يخلق العيدان ، ولا المزامير ، ولا الطنابير ، وكل ذلك ليس بخلق من خلق الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا .

وهم يقولون : إن الله عزَّ وجل لو حابى أحدًا لكان ظالمًا لغيره ، وقد صحَّ أن الله تعالى حابى موسى وإبراهيم ، ويحيى ومحمدًا صلوات الله عليه دون غيرهم ودون أبى لهب ، وأبى جهل ، وفرعون ، والذى حاجَّ إبراهيم فى ربّه ، فعلى قول المعتزلة : يجب أن الله تعالى ظلم هؤلاء الذين حابى غيرهم عليهم ، وهذا ما لا مخلص لهم منه إلا بترك قولهم الفاسد .

وأمّا قوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[٢١٨]» .

فهكذا نقول : ما خلقهم الله تعالى إلا ليكونوا له عبادًا مصرَّفين بحكمه ، فيهم منقادين لتدبيره إيّاهم ، وهذه حقيقة العبادة ، والطّاعةُ أيضا عبادة .

وقال تعالى حاكيا عن القائلين : « أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ، وقَوْمُهُمَا لَنا عابدون[٢١٩]» وقد علم كل أحد أن قوم موسى عليه السلام لم يعبدوا قط فرعون عبادة تدين لكن عبدوه عبادة تذلّل ، فكانوا له عبيدًا ، فهم له عابدون . وكذلك قول الملائكة عليهم السلام « بَلْ كَانُوا يَعْبُدُون الجنَّ » .

---

(٢١٤) هذا التعبير لا يليق بجانب الله تعالى وبخاصة لأن أبا محمد قد ألزم نفسه بألّا يستعمل مع الله من الكلمات إلا ما استعمله الله ، وقد استعمل الله تعالى مع الرسل عليهم السلام كلمة (يجتبى) فكان عليه أن يستعمل مثل هذه الكلمة .. ولو كان فى مجال الرد .

(٢١٥) ترجم له ص ١٠٢

(٢١٦) ترجم له ص ١١٠

(٢١٧) جعفر بن حرب : هو بن الهمدانى من أئمة المعتزلة ، من أهل بغداد ، أخذ الكلام عن أبى الهذيل العلاف بالبصرة ، وصنف كتبًا قال الخطيب البغدادى إنها معروفة عند المتكلمين ، وكان له اختصاص بالواثق العباسى . قال المسعودى وإلى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام توفى عام ٢٣٦ هـ . (لسان الميزان حـ ٢ ص ١١٣) .

(٢١٨) سورة الذاريات آية رقم ٥٦

(٢١٩) سورة المؤمنون آية رقم ٤٧

وقد علم كل أحدٍ أنهم لم يعبدوا الجن عبادة تدين ، لكن عبدوهم عبادة تصرف لأمرهم ، وإغوائهم ، فكانوا لهم بذلك عبيدًا . فصحَّ القول بأنهم يعبدونهم ، وهذا بيِّن .

وقال بعض أصحابنا معنى هذه الآية : أنه تعالى خلقهم ليأمرهم بعبادته ، ولسنا نقول بهذا ، لأن فيهم من لم يأمره الله تعالى قط بعبادته ، كالأطفال والمجانين ، فصار تخصيصًا للآية بلا برهان ، والذى قلناه هو الحق الذى لا شك فيه ، لأنه المشاهَد المتيقَّن ، العامَّ لكل واحد منهم .

وأمّا ظن المعتزلة فى هذه الآية فباطل يكذبه إجماعهم معنا أن الله تعالى لم يزل يعلم أن كثيرًا منهم لا يعبدونه ، فكيف يجوز أن يخبر أنه خلقهم لأمرٍ قد علم أنه لا يكون منهم إلَّا أن يصيروا إلى قول من يقول : إنه تعالى لا يعلم الشىء حتى يكون ، فيتم كفر من لجأ إلى هذا ، ولا يخلصون مع ذلك من نسبة العبث إلى الخالق تعالى إذ غرَّر من خلق فيما لا يدرى أيعطبون فيه أم يفوزون ؟ وتحيَّرت المعتزلة القائلون بالأصلح ، وبإبطال المحاباة فى وجه العدل فى ستة عشر بابا وهى : العدل فى إدامة العذاب ، العدل فى إيلام الحيوان ، العدل فى تبليغ من فى المعلوم أنه يكفر ، العدل فى المخلوق ، العدل فى إعطاء الاستطاعة ، العدل فى الإرادة ، العدل فى البدل ، العدل فى الأمر ، العدل فى عذاب الأطفال ، العدل فى استحقاق العذاب ، العدل فى المعرفة ، العدل فى إخلاف أحوال المخلوقين ، العدل فى اللطف ، العدل فى الأصلح ، العدل فى نسخ الشرائع ، العدل فى النبوة .

* * *

الكــلام
« فى هل شاء الله عزَّ وجل كون الكفر والفسق ، وأراده تعالى من الكافر والفاسق أم لم يشأ ذلك ، ولا أراد كونه »

قال أبو محمد : قالت المعتزلة : إن الله تعالى لم يشأ أن يكفر الكافر ، ولا أن يفسق الفاسق ، ولا أن يُشتم تعالى ، ولا أن يُقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واحتجوا بقول الله عزَّ وجل : « وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِه الكُفْرَ[٢٢٠] » وبقوله تعالى : « اتَّبَعُوا ما أسْخَطَ الله ، وكَرِهُوا رِضْوانَه ، فأحْبَطَ أعْمَالهم[٢٢١] » . وقالوا : من فعل ما أراد الله فهو مأجور محسن ، فإن كان الله

---

(٢٢٠) سورة الزمر آية رقم ٧

(٢٢١) سورة محمد آية رقم ٢٨

تعالى أراد أن يكفر الكافر ، وأن يفسق الفاسق فقد فعلا جميعا ما أراد الله تعالى منهما ، فهما محسنان مأجوران .

وذهب أهل السنة : أن لفظة « شاء » وأراد لفظة مشتركة تقع على معنيين : أحدهما الرضى والاستحسان ، فهذا منهى عن الله تعالى أنه أراده ، أو شاءه فى كل ما نهى عنه . والثانى : أن يقال : أراد وشاء بمعنى أراد كونه وشاء وجوده ، فهذا هو الذى نخبر به عن الله عزّ وجل فى كل موجود فى العالم من خير أو شرٍّ .

فسلكت المعتزلة سبيل السفسطة فى التعلق بالألفاظ المشتركة ، الواقعة على معنيين فصاعدًا والتمويه الذى يضمحل إذا فتش ، ويفتضح إذا بحث عنه ، وهذه سبيل الجهّال الذين لا حيلة بأيديهم إلا المخرقة .

وقال أهل السنة : ليس من فعل ما أراد الله تعالى وما شاء الله ، كان محسنا ، إنما المحسن من فعل بما أمره الله تعالى به ، ورضيه منه .

قال أبو محمد : ونسألهم فنقول لهم : أخبرونا ، كان الله تعالى قادرًا على منع الكافر من الكفر ، والفاسق من الفسق ، وعلى منع من شتمه من النطق به ، ومن إمراره على خاطره وعلى المنع من قتل من قُتِل من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أم كان عاجزًا عن المنع من ذلك ؟

فإن قالوا : لم يكن قادرًا على المنع من شىء من ذلك ، فقد أثبتوا له معنى العجز ضرورة ، وهذا كفر مجرد ، وإبطالٌ لألوهيته تعالى ، وقطع عليه بالضعف والنقص وتناهى القوة ، وانقطاع القدرة ، مع التناقض الفاحش ، لأنهم مقرون أنه تعالى هو أعطاهم القوة التى بها كان الكفر والفسق ، وشتمه تعالى ، وقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن المحال المحض أن يكون تعالى لا يقدر على ألَّا يعطيهم الذى أعطاهم وهذه صفة المضطر المجبر .

وإن قالوا : بل هو قادر على منعهم من كل ذلك أقروا ضرورة أنه مريد لبقائهم على الكفر ، وأنه المبقى للكافر وللكفر ، وخالق[٢٢٢] الزمان الذى امتدَّ فيه الكافر على كفره ، والفاسق على فسقه ، وهذا نفسه هو قولنا : إنه أراد كون الكفر والفسق والشتم له وقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولم يرض عن شىء من ذلك ، بل سخطه تعالى وغضب على فاعله .

وقالت المعتزلة : إن كان الله تعالى أراد كون كل ذلك فهو إذًا يغضب مما أراد .

* * *

(٢٢٢) فى (أ) : (وحالف) بالحاء وهو تحريف .

قال أبو محمد : ونحن نقرأ أنه تعالى يغضب على فاعل ما أراد كونه منه ، ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم :

فإذ هذا عندكم منكر ، وأنتم مقرّون بأنه قادرٌ على المنع منه فهو عندكم يغضب مما أقرَّ ، ويسخط ما يقرُّه ولا يغيّره ، ويثبت ما لا يرضى ، وهذا هو الذى شنّعوا فيه ، ولا يقدرون على دفعه ، والشناعة عليهم راجعة لأنهم أنكروا ما لزمهم وبالضرورة ندرى أن من قدر على المنع من شىء فلم يفعل ، ولا مَنَع منه فقد أراد وجود كونه ، ولو لم يرد كونه لغيره ، ولا منع(٢٢٣) منه ، لما تركه(٢٢٤) يفعل .

فإن قالوا : إنه حكيم ، وخلّاهم دون منع لسرٍّ من الحكمة له فى ذلك .

قيل لهم : فاقنعوا بمثل هذا الجواب ممن قال لكم : إنه أراد كونه لأنه حكيم كريم عزيز ، وله فى ذلك سرٌّ من الحكمة .

* * *

قال أبو محمد : وأمّا نحن فنقول : إنه تعالى أراد كون كلّ ذلك ، ولا سرَّ هاهنا ، وأن كل ما فعل فهو حكمة وحق . وأن قولهم هذا هادمٌ لمقدّمتهم الفاسدة أنه يقبح من البارى تعالى ما يقبح منَّا ، وفيما بيننا ، وما علم قط ذو عقل أن مَنْ(٢٢٥) خلَّى منا عدوَّه منطلق اليد على وليّه ، وأحبِّ الناس إليه يقتله ويعذّبه ويلطمه ، ويهينه ، ويتركه ينطلق على عبيده ، وإمائه يفجر بهم وبهنَّ طوعا وكرها والسيّد حاضر يرى ويسمع ، وهو قادر على المنع من ذلك فلا يفعل بل لا يقنع بتركهم حتّى يعطى عدوَّه القوة على كل ذلك ، والآلات المعينة له ، ويمده بالقوى شيئا بعد شىء فليس حكيما ، ولا حليما ، ولكنه عابث ظالم ، جائر ، فيلزمهم على أصلهم الفاسد أن يحكموا على الله تعالى بكل هذا لأنهم معترفون بأنه تعالى فعل كل هذا وهذا لا يلزمنا لأننا نقول : إن الله تعالى يفعل ما يشاء ، وأن كلَّ ما فعل مما ذكرنا وغيره فهو كله منه تعالى حكمة ، وحق ، وعدل « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسْألون » .

فبطل بضرورة المشاهدة قولهم : إن الله تعالى لم يرد كون الكفر ، أو كون الفسق ، أو كون شتمه تعالى ، وقتل أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، ولو لم يرد كونه لمنع من ذلك كما منع من كون كل ما لم يرد أن يكون .

---

(٢٢٣) فى (أ) : (ولمنع منه) .
(٢٢٤) فى (أ) : ولما تركه يفعل .. وهذا تحريف يؤدى إلى فساد المعنى لأن (لما تركه) جواب للو الشرطية .
(٢٢٥) فى (أ) : عن ، وهو تحريف .

قال أبو محمد : ويكفى من هذا كله اجتماع الأمة على قول « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » . فهذا على عمومه موجبٌ أن كل ما فى العالم كان أو يكون – أىّ شىء كان فقد شاءه الله تعالى ، وكل ما لم يكن ولا يكون فلم يشأه الله تعالى .

وقد نصَّ الله تعالى نصًّا لا يحتمل تأويلًا على أنه تعالى أراد كون كل ذلك ، فمن ذلك قوله تعالى : « لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيم ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمين[٢٢٦]» .

فنصَّ تعالى نصًّا جليا على أنه لا يشاء أحدٌ استقامة على طاعته تعالى إلَّا إن شاء الله تعالى أن يستقيم ، فلو صحَّ قول المعتزلة : إنَّ الله تعالى شاء أن يستقيم كل مكلف لكان بنص القرآن كل مكلف مستقيما ، لأن الله تعالى عندهم قد شاء ذلك ، وهذا تكذيب مجرَّد لله تعالى ، نعوذ بالله من مثله فصح يقينا ، لا مدخل للشك فى صحته أنه تعالى شاء خلاف الاستقامة منهم ، ولم يشأ أن يستقيموا بنص القرآن ، وقال تعالى : « وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَة لِلذين كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذين أوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذينَ آمَنُوا إيمَانًا ، ولَا يَرْتَابَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ ، والمؤمنونَ وليقُولَ الَّذين فى قُلُوبِهِم مَرَضٌ والكَافِرُونَ مَاذَا أرادَ الله بِهَذا مَثَلًا ، كذلِكَ يُضِلُّ الله مَنْ يَشَاءَ ، ويَهْدِى مَنْ يَشَاء[٢٢٧]» .

قال أبو محمد : وهَذِه الْآيَةُ غاية فى البيان فى أنّ الله تعالى جعل عدة ملائكة النار فتنةً للذين كفروا ، وليقولوا : ماذا أراد الله بهذا مثلا ، فأخبر تعالى : أنه أراد أن يفتن الذين كفروا ، وأن يضلهم فيضلوا ، وأنه تعالى قصد إضلالهم وحكم بذلك كما قصد هدى المؤمنين وأراده ، وكذلك قال تعالى : « وَلَوْجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُه أَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِّى ، قُلْ هُو لِلَذين آمنُوا هُدًى وشفاءٌ ، والَّذِين لَا يُؤْمِنُون فى آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى[٢٢٨]» .

قال أبو محمد : فنص تعالى على أنه نزل القرآن هدًى للمؤمنين ، وعمًى للكفار ، وبيقين ندرى أنه تعالى إذ أنزل القرآن أراد أن يكون كما قال تعالى : « عَمًى للكفار ، وهدى للمؤمنين » وقال تعالى : « ولو شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جميعًا ، أفأنْتَ تُكْرِهِ النَّاسَ حَتَّى يكونوا مُؤْمِنينَ ، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بإِذْنِ الله ، ويَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُون[٢٢٩]» .

هكذا هى الآية كلها موصولة بعضها ببعض فنص تعالى على أنه لو شاء لآمن الناس

---

(٢٢٦) سورة التكوير آية رقم ٢٨ ، ٢٩
(٢٢٧) سورة المدثر آية رقم ٣١
(٢٢٨) سورة فصّلت : آية رقم ٤٤ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكر (أعجمى) بهمزة واحدة .
(٢٢٩) سورة يونس آية رقم ٩٩ ، ١٠٠

والجن ، وهم أهل الأرض كلهم ، و« لو » فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله عزَّ وجل ليفهمنا حرف يدل على امتناع الشىء لامتناع غيره ، فصحَّ يقينا أن الله تعالى لم يشأ أن يؤمن كل من فى الأرض ، وإذ لا شك فى ذلك فباليقين ندرى أنه شاء منهم خلاف الإيمان وهو الكفر والفسق لابدَّ ، ولو كان الله تعالى أذن للكافرين بالإيمان على قول المعتزلة لكان كل من فى الأرض قد آمن ، لأنه تعالى قد نص على أنه لا يؤمن أحدٌ إلا بإذنه ، وهذا أمر من المعتزلة يكذبه العيان ، فصح أن المعتزلة كذبت ، وأن الله تعالى صدق ، وأنه لم يأذن قط لمن مات كافرًا بالإيمان[٢٣٠]، وأن من عمى عن هذه لأعمى القلب ، وكيف لا يكون أعمى القلب ، من أعمى الله قلبه عن الهدى ، وبالضرورة ندرى أن قول الله تعالى : « وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ الله » .

حق ، وأنَّ من لم يأذن الله تعالى له فى الإيمان فإنه تعالى لم يشأ أن يؤمن ، وإذ لم يشأ أن يؤمن فبلا شك أنه تعالى شاء أن يكفر ، هذا ما لا انفكاك منه وقال تعالى : « وَنَذَرُهُمْ فى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُون ، وَلَوْ أَنَّنَا نزلنا إِلَيْهِمُ الملائكة وَكَلَّمَهُمْ الموْتَى ، وحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ، مَا كانوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله[٢٣١]» .

فبين تعالى أتمَّ بيان على أنَّ الآيات لا تغنى شيئاً ولا النذر ، وهم الرسل ، وأنه لا يؤمن شىء من ذلك إلا من شاء الله عزَّ وجل أن يؤمن – فصح يقينا أنه لا يؤمن إلَّا من شاء الله إيمانه ، ولا يكفر إلَّا من شاء الله كفره ، فقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام أنه قال « وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ، وَأَكُنْ مِنَ الجاهلينَ فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ »[٢٣٢].

فالبضرورة نعلم : أن من صبا وجهل فإنَّ الله تعالى لم يصرف عنه الكيد الذى صرفه برحمته عن من لم يصب ولم يجهل ، وإذ صرفه تعالى عن بعض ولم يصرفه عن بعض فقد أراد تعالى إضلال من صبا وجهل . قال تعالى : « وجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوه وفى آذانِهِمْ وَقراً »[٢٣٣].

فليت شعرى إذ قال تعالى : إنه جعل قلوب الكافرين فى أكنة أن يفقهوا القرآن ، وجعل الوقر فى آذانهم ، أتراه أراد أن يفقهوه ، أو أراد ألا يفقهوه ؟ وكيف يسوغ فى عقل أحد أن يخبر تعالى : أنه فعل عزَّ وجل شيئاً لم يرد أن يفعله ولا أراد كونه ، ولا شاء إيجاده ، وهذا تخليط

---

(٢٣٠) فى (أ) : (فى الإيمان) .
(٢٣١) سورة الأنعام آية رقم ١١١
(٢٣٢) سورة يوسف آية رقم ٣٣
(٢٣٣) سورة الأنعام آية رقم ٢٥

لا يتشكل فى عقل كل ذى مسكة من عقل – فصحَّ يقينا أن الله تعالى أراد كون الوقر فى أذهانهم ، وكون الأكنة على قلوبهم .

وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله لجَعَلْكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلِكنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ،وَيهْدِى مَنْ يَشَاءَ »[٢٣٤].

فنصَّ تعالى على أنه لم يرد يجعلنا أمة واحدة ، ولكن شاء أن يُضل قومًا ويهدى قومًا ، فصحَّ يقينا أنه تعالى ، شاء إضلال من ضل ،وقال تعالى : مثنيا على قوم ، ومصدقا لهم فى قولهم : « قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى الله كَذِبًا إنْ عُدْنَا فى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إذْ نجَّانَا الله مِنْهَا ، وَمَا يَكُونَ لَنَا أنْ نَعُودَ فيهَا إلَّا أنْ يَشَاءَ الله رَبُّنَا »[٢٣٥].

فقال النبيون عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم قول الحق الذى شهد الله عزَّ وجل بتصديقه أنهم إنما خلصوا من الكفر بأن الله تعالى نجاهم منه ، ولم ينج الكافرين منه ، وأن الله تعالى إن شاء أن يعودوا فى الكفر عادوا فيه – فصح يقينا أنه تعالى شاء ذلك ممن عاد فى الكفر .

وقد قالت المعتزلة فى هذه الآية : معنى هذا إلَّا أن يأمرنا الله بتعظيم الأصنام كما أمرنا بتعظيم الحجر الأسود والكعبة .

* * *

قال أبو محمد : وهذا فى غاية الفساد ، لأن الله تعالى لو أمرنا بذلك لم يكن عوداً فى ملة الكفر بل كان يكون ثباتا على الإيمان ، وتزايداً فيه . قال تعالى : « فى قِلوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُم الله مَرَضا »[٢٣٦].

فليت شعرى إذ زادهم[٢٣٧] الله مرضا أتراه لم يشأ ، ولا أراد ما فعل من زيادة المرض فى قلوبهم ، وهو الشك والكفر ؟ وكيف يفعل الله ما لا يريد أن يفعل ؟ وهل هذا إلّا إلحاد مجرد ممن قاله ؟ وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله ما اقْتتل الَّذين مِنْ بَعْدِهِمْ مِنُ بَعدِ مَا جَاءتْهُم البَيِّنَاتُ ، ولَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنهُمّ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ الله ما اقْتَتَلُوا ولَكِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يُرِيد »[٢٣٨].

(٢٣٤) سورة النحل آية رقم ٩٣
(٢٣٥) سورة الأعراف آية رقم ٨٩
(٢٣٦) سورة البقرة آية رقم ١٠
(٢٣٧) فى (أ) : (زاد لهم) .
(٢٣٨) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣

فنصّ تعالى على أنه لو شاء لم يقتتلوا ، فوجب ضرورة أنه شاء وأراد أن يقتتلواوفى اقتتال المقتتلين ضلال بلا شك ، فقد شاء الله تعالى كون الضلال ، ووجوده بنص كلامه تعالى ، وقال عزَّ وجل : « وَمَنْ يُرِدِ الله فِتْنَتَهُ فِلَنْ تَمْلِكَ له مِنَ الله شَيْئاً »(٢٣٩).

فنص تعالى على أنه أراد فتنة المفتتنين ، وهم الكفار ، وكفرهم الذين لم يملك لهم رسول الله ﷺ من الله شيئاً ، فهذا نص على أن نعمة الله تعالى أراد كون الكفر من الكفار . وقال تعالى : « أولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ الله أَنْ يُطَهِرَ قُلُوبَهُم لَهُمْ فى الدُّنْيا خِزْىٌ وَلَهُمْ فى الآخِرَةِ عذَابٌ عَظِيمٌ »(٢٤٠).

قال أبو محمد : وهذا غاية البيان فى أنه تعالى لم يرد أن يطهر قلوبهم وبالضرورة ندرى أن من لم يرد الله أن يطهر قلبه فقد أراد فساد دينه الذى هو ضد طهارة القلب ، ، وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى »(٢٤١).

وهذا غاية البيان فى أنَّ الله تعالى لم يرد هدى الجميع ، وإذا لم يرد هداه فقد أراد كون كفرهم الذى هو ضدّ الهدى ، وقال تعالى : « وَلَوْ شِئْنا لآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ، وَلَكِنْ حق القَوْلُ مِنِّى لأَمَلأَنَّ جَهَنَّم مِن الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين »(٢٤٢).

قال أبو محمد : هذا غاية البيان فى أنه تعالى لم يشأ هدى الكفار لكن حق قوله بأنّهم لا بدَّ من أن يكفروا فيكونوا من أهل جهنم . وقال تعالى : « مَنْ يَشَأَ الله يَضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم »(٢٤٣).

فأخبر تعالى أنه شاء أن يضل من أضله ، وشاء أن يهدَى من جعله على صراط مستقيم ، وهم بلا شك غير الذين لم يجعلهم على صراط مستقيم ، وأراد فتنتهم وألّا يطهر قلوبهم ، وأن يكونوا من أصحاب النار ، نعوذ بالله من ذلك . وقال تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لَئِنْ لَمْ يَهْدِنى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّين »(٢٤٤).

فشهد الخليل عليه السلام أن من لم يهده الله تعالى ضلَّ ، وصحَّ أن من ضلَّ فلم يهده الله عزَّ وجل ، ومن لم يهده الله وهو قادر على هداه – فقد أراد ضلاله وإضلاله ، ولم يرد هداه .

---

(٢٣٩) سورة المائدة آية رقم ٤١
(٢٤٠) سورة المائدة آية رقم ٤١
(٢٤١) سورة الأنعام آية رقم ٣٥
(٢٤٢) سورة السجدة آية رقم ١٣
(٢٤٣) سورة الأنعام آية رقم ٣٩
(٢٤٤) سورة الأنعام آية رقم ٧٧

وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكُوا »(٢٤٥).

فصح يقينا لا إشكال فيه أن الله تعالى شاء أن يشركوا إذ نص على أنه لو شاء ألا يشركوا ما أشركوا . وقال تعالى : « يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُروراً ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَافَعَلُوه »(٢٤٦).

وهذا نصٌ على أنه تعالى شاء أن يفعلوه ، إذ أخبر أنه لو شاء ألَّا يفعلوه ما فعلوه وقال تعالى : « وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المشركِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهم ، لِيُرْدُوهُمْ ، ولِيَلْبِسُوا لَلَيْهِم دِينَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ الله مَافَعَلُوه »(٢٤٧).

فنص تعالى على أنه لو لم يشأ أن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ما أوحوه ولو شاء ألا يلبس بعضهم دين بعض ، وألا يقتلوا أولادهم ما لبس عليهم دينهم ، ولا قتلوا أولادهم ، فصحَّ ضرورة أنه تعالى شاء أن يُلبس دين من التبس دينه وأراد كون قتلهم أولادهم ، وأن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ »(٢٤٨).

فصحَّ يقينا : أنه تعالى سلّط أيدى الكفار على من قتلوه من الأنبياء والصالحين وقال تعالى : « فَمَنْ يُرِدِ الله أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَه ضَيِّقاً حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فى السَّمَاءِ »(٢٤٩).

فنص على أنه يريد هدى قوم فيهديهم ، ويشرح صدورهم للإيمان ، ويريد ضلال آخرين فيضلهم بأن يضيق صدورهم ، ويحرجها فكأنهم كلّفوا الصعودَ إلى السماء فيكفروا وقال تعالى : « واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بالله »(٢٥٠).

فنص تعالى على أن من صبر فصبره ليس إلَّا بالله – فصحَّ أن من صبر فإن الله أتاه الصبر ، ومن لم يصبر فإن الله عز وجل لم يؤته الصبر . وقال تعالى : « وَلَا تَنَازَعُوا » فنهانا عن الاختلاف . وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أمه وَاحِدَةً ، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ، وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ »(٢٥١).

فنص تعالى أنه خلقهم للاختلاف إلَّا من رحم الله منهم ، ولو شاء لم يختلفوا فصحَّ يقينا أن

---

(٢٤٥) سورة الأنعام آية رقم ١٠٧
(٢٤٦) سورة الأنعام آية رقم ١١٢
(٢٤٧) سورة الأنعام آية رقم ١٣٧
(٢٤٨) سورة النساء آية رقم ٩٠
(٢٤٩) سورة الأنعام آية رقم ١٢٥
(٢٥٠) سورة النحل آية رقم ١٢٧
(٢٥١) سورة هود آية رقم ١١٩

الله خلقهم لما نهاهم عنه من الاختلاف ، وأراد كون الاختلاف منهم وقال عزَّ وجل : « تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وتَنْزِعَ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وتذل من تشاء بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[٢٥٢].

وقال تعالى : « بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فجاسُوا خِلَالَ الدِّيارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولًا »[٢٥٣] إلى قوله تعالى : « وليَدْخُلُوا المسْجِدَ كَمَا دَخَلُوه أَوَّلَ مَرَّةٍ »[٢٥٤].

فنص تعالى على أنه أغرى الكفار وسلب المؤمنين فى الملك ، وأنه بعث أولئك الذين دخلوا المسجد ، ودخلوه مسخطين[٢٥٥] لله تعالى بلا شك . فصح يقينا أنه تعالى خلق كل ذلك وأراد كونه ، وقال عزَّ وجل : « أَلَمْ تَرَ إلى الَّذى حَاجَّ إبْرَاهَيم فى رَبِّهِ أَنْ آتَاه الله المُلْكَ »[٢٥٦].

فهذا نصٌ جلى على أن الله أتى الملك ذلك الكافر ، فصح يقينا أن الله تعالى فعل تمليكه وملكه على أهل الإيمان ، ولا خلاف بين أحدٍ من الأمة فى أن ذلك يسخط الله عزَّ وجل ، ويغضبه ولا يرضاه ، وهو نفس الذى أنكرته المعتزلة ، وشنعت به .

قال أبو محمد : ونسألهم عما مضت الدنيا عليه منذ كانت من أولها إلى يومنا هذا من النصر النازل على ملوك أهل الشرك ، والملوك الجورة ، والظلمة ، والغلبة المعطاه لهم على من ناوأهم من أهل الإسلام ، وأهل الفضل ، واحترام من أرادهم بالموت أو باضطراب الكلمة ، ويأتى النصر لهم بوجوه الظفر الذى لا شك فى أن الله تعالى فاعله من إماتة أعدائهم من أهل الفضل ، وتأييدهم عليهم . وهذا ما لا مخلص لهم فى أن الله تعالى أراد كونه : وقال عزَّ وجل : « وَلَكِنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ، وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِين »[٢٥٧].

فنص تعالى نصًّا جليا لا يحتمل تأويلًا على أنه كره أن يخرجوا فى الجهاد الذى افترض عليهم الخروج فيه مع رسول الله ﷺ ، فقد كره تعالى كون ما أراد ونصَّ على أنه الله ثبطهم عن الخروج فى الجهاد ثم عذَّبهم على التثبيط الذى أخبر تعالى أنه فِعْله . ونصّ تعالى على أنه قال « اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِين » . وهذا يقين ليس بأمر إلزام لأنَّ الله تعالى لم يأمرهم بالقعود عن الجهاد مع رسوله ﷺ بل لعنهم ، وسخط عليهم إذ قعدوا فإذا لا شك فى هذا فهو ضرورة أمر تكوين ، فصح أن الله تعالى خلق قعودهم المغضب له الموجب لسخطه ، وإذا نصَّ تعالى على[٢٥٨] أمر

(٢٥٢) سورة ال عمران اية رقم ٣٦
(٢٥٣) سورة الأسراء آية رقم ٥
(٢٥٤) سورة الأسراء آية رقم ٧
(٢٥٥) فى (أ) : (مسخط) .
(٢٥٦) سورة البقرة آية رقم ٢٥٨
(٢٥٧) سورة التوبة آية رقم ٤٦
(٢٥٨) فى الأصل (نص أمر) .

فلا اعتراض لأحدٍ عليه . وقال عزَّ وجل : « فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهم ولا أولادُهُمْ إنَّما يُرِيدُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فى الحياه الدُّنْيا ، وَتَزْهَقَ أنفسُهُمْ وَهُمْ كافِرُون »(٢٥٩).

وهذا نصٌّ جلىٌّ على أنه عزّ وجل أراد أن يموتوا وهم كافرون ، وأنه تعالى أراد كفرهم ، والقافُ من (تَزْهَق) مفتوحة بلا خلاف من أحدٍ من القراء ، معطوفة على ما أراد الله عزّ وجل من أن يعذبهم بها فى الدنيا ، « والواو » تدخل المعطوف فى حكم المعطوف عليه بلا خلاف من أحدٍ فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالى .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : فإن الله عزّ وجل قال فى الّذِين قعدوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ : « لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا ذادُوكُمْ إلَّا خَبالًا ، ولَأَوْضَعُوا خِلَا لِكُمْ يَبْغُونَكُمْ الفِتْنَةَ ، وفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ »(٢٦٠).

فلهذا ثبطهم .

قلنا : لا عليكم . أكانوا مأمورين بالخروج معه عليه السلام متوعدين بالنار إن قعدوا بغير عذر ، أم كانوا غير مأمورين بذلك ؟ فإذ لا شك فى أنهم كانوا مأمورين فقد ثبطهم الله عز وجل عما أمرهم به ، وعذَّبهم على ذلك ، وخلق قعودهم عمّا أمرهم به .

ثم نقول لهم : أكان تعالى قادراً على أن يكف عن أهل الإسلام خبالهم وفتنتهم لو خرجوا معهم أم لا ؟

فإن قالوا : لم يكن قادراً على ذلك عجَّزوا ربّهم تعالى ، وإن قالوا إنه تعالى كان قادراً على ذلك رجعوا إلى الحق وأقروا أن الله تعالى ثبّطهم ، وكَرِهِ كَوْن ما افترض عليهم ، وخلق قعودهم الذى عذّبهم عليه ، ولامهم عليه كما شاء لا معقِّب لحكمه ، وبالله تعالى التوفيق

* * *

قال أبو محمد : فإذ جاءت النصوص كما ذكرنا متظاهرة لا تحتمل تأويلًا بأنه عزَّ وجل أراد ضلال من ضل وشاء ، وكفر من كفر — فقد علمنا ضرورة أن كلام الله تعالى لا يتعارض ، فلما أخبر عزَّ وجل أنه لا يرضى لعباده الكفر فبالضرورة علمنا أن الذى نفى عزَّ وجل هو غير الذى أثبت . فإذ لا شك فى ذلك ، فالذى نفى تعالى هو الرضا بالكفر ، والذى أثبت هو الإرادة لكونه والمشيئة لوجوده ، وهما معنيان متغايران بنص القرآن ، وحكم اللغة .

(٢٥٩) سورة التوبة آية رقم ٥٥
(٢٦٠) سورة التوبة آية رقم ٤٧

فإن أبت المعتزلة من قبول قول كلام ربهم ، وكلام نبيهم ﷺ ، وكلام إبراهيم ويوسف وشعيب ، وسائر الأنبياء ﷺ ، وأبت أيضاً من قبول اللغة ، وما أوجبته البراهين الضرورية ممّا شهدت به الحواسُّ والعقول من الله تعالى لو لم يرد كون ما هو موجود كائن لمنع منه ، وقد قال تعالى : « الّذين كذَّبوا شُعَيباً كانوا هُم الخاسِرين »(٢٦١).

فشهد الله تعالى بتكذيبهم ، واستعاضته من ذلك بأصول المنّانية أن الحكيم لا يريد كون الظلم ، ولا يخلقه ، « فَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا به أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون »(٢٦٢).

ولقد لجأ بعضهم إلى أن قال : إن لله تعالى فى هذه الآيات معنى ومراداً لا نعلمه .

قال أبو محمد : وهذا تجاهل ظاهر ، وراجع لنا عليهم سواء بسواء فى خلق الله تعالى أفعال عباده ثم يعذبهم عليها ، ولا فرق . فكيف وهذا كله لا معنى له بل الآيات كلها حق على ظاهرها ، لا يحل صرفها عنه لأن الله تعالى قال : « أَفَلَا يَتَدَبَّرون الْقُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها »(٢٦٣).

وقال تعالى : « قُرْآناً عَرَبِيًّا »(٢٦٤).

وقال تعالى : « تِبيَاناً لِكُلِّ شَىْء »(٢٦٥).

وقال تعالى : « أَوَلَمْ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ »(٢٦٦).

وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ »(٢٦٧).

فأخبر تعالى : أن القرآن تباينا لكل شىْء .

فقالت المعتزلة : إنه لا يفهمه أحد وأنه ليس تبيانا نعوذ بالله من مخالفة الله عزّ وجل ومخالفة رسوله ﷺ .

قال أبو محمد : ولا فرق بين ما تلونا من الآيات فى أن الله تعالى شاء كون الكفر والضلال وبين قوله تعالى : « قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلَّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدَكَ الْخَيْرُ »(٢٦٨).

(٢٦١) سورة الأعراف آية رقم ٩٢
(٢٦٢) سورة البقرة آية رقم ١٠٢
(٢٦٣) سورة محمد : ٢٤
(٢٦٤) سورة يوسف : ٢
(٢٦٥) سورة النحل : ٨٩
(٢٦٦) سورة العنكبوت : ٥١
(٢٦٧) سررة إبراهيم : ٤
(٢٦٨) سورة آل عمران : ٢٦

وقوله تعالى : « إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء »(٢٦٩).

وقوله تعالى : « يَجْتَبى مِنْ رُسُلِه مَنْ يَشَاء »(٢٧٠).

وقوله : « يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ »(٢٧١).

وقوله تعالى : « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاء »(٢٧٢).

وقوله تعالى : فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ »(٢٧٣).

فهذا العموم جامع لمعانى هذه الآيات ونص القرآن وإجماع الأمة على أن الله عز وجل حكم بأن من حلف فقال : إن شاء الله أو إلا أن يشاء الله على أى شىء حلف فإنه إن فعل ما حلف عليه لا يفعله فلا حنث عليه ولا كفارة تلزمه لأن الله تعالى لو شاء لأنفذه .

وقال عز وجل : « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله »(٢٧٤).

قال أبو محمد : فإن اعترضوا بقول الله عز وجل : « وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ »(٢٧٥).

فلا حجة لهم فى هذه الآيات لأن الله عز وجل لا يتناقض كلامه بل يصدق بعضهم بعضا وإذ(٢٧٦) قد أخبر تعالى أنه لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا وأنه لو لم يشأ أن يشركوا ما شركوا وأنه شاء إضلالهم وأنه لا يريد أن يطهِّر قلوبهم فمن المحال الممتنع أن يكذِّب الله عز وجل قوله الذى أخبر به وصدقه فإذ لا شك فى هذا فإنَّ فى الآية التى ذكروا بيان نقض اعتراضهم بها بأوضح برهان وهو أنه لم يقل تعالى أنهم كذبوا فى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم فكان يكون لهم حينئذ فى الآية متعلق وإنما أخبر تعالى أنهم قالوا ذلك بغير علم عندهم لكن تخرصاً ليس فى هذه الآية معنى غير هذا أصلا وهذا حق وهو قولنا إن الله تعالى لم ينكر قط فيها ولا فى غيرها معنى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم بل صدَّقه فى الآيات الأخرى وإنما أنكر عز وجل أن قالوا ذلك بغير علم لكن بالتخرص وقد أُكذب بالله عز وجل من قال الحق الذى لاحق أحق منه إذ قاله غير معتقد له .

---

(٢٦٩) سورة الحج : ١٨
(٢٧٠) سورة آل عمران : ١٧٩
(٢٧١) سورة البقرة : ٢١٢
(٢٧٢) سورة البقرة : ١٠٥
(٢٧٣) سورة هود : ١٠٧ ، البروج : ١٦
(٢٧٤) سورة الكهف : ٢٣
(٢٧٥) سورة الزخرف : ٢٠
(٢٧٦) فى (أ) : لم يذكر (وإذ) .

قال عز وجل : « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِين لَكَاذِبُون »[٢٧٧].

قال أبو محمد : فلما قالوا أصدق الكلام وهو الشهادة لمحمد ﷺ بأنه رسول غير معتقدين لذلك سمَّاهم الله تعالى كاذبين وهكذا فصل عز وجل فى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ، لما قالوا هذا الكلام الذى هو الحق غير عالمين بصحته أنكر تعالى عليهم أن يقولوه متخرصين وبرهان هذا قوله قول الله تعالى إثر هذه الآية نفسها : « أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلَهِ فَهُمْ به مُسْتَمْسَكُون بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُون »[٢٧٨].

فبين تعالى أنهم قالوا ذلك بغير علم من كتاب أتاهم وأن الذين قالوا معتقدين له إنما هو أنهم اهتدوا باتباع آثار آبائهم ، فهذا هو الذى عقدوا عليه وهذا أنكره تعالى عليهم لا قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم فبطل أن يكون لهم فى الآية متعلق أصلا والحمد لله رب العالمين . فإن اعترضوا بقول الله عز وجل « وَقَال الذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دونه من شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دَوُنِه مِنْ شَيّءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِين »[٢٧٩].

قال أبو محمد : فإن سكتوا ها هنا لم يهمهم التمويه . وقلنا لهم : صِلُوا القراءة واتموا معنى الآية فإن بعد قوله تعالى : « فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ المُبين » متصلا به : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْه الضَّلَالَةُ »[٢٨٠].

* * *

قال أبو محمد : فآخر هذه الآية تبين أوّلها وذلك أن الله تعالى أيضاً لم يكذبهم فيما قالوه من ذلك بل حكى عز وجل أنهم قالوا : « لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا أَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ » ولم يكذبهم فى ذلك أصلا بل حكى هذا القول عنهم كما حكى تعالى أيضا قولهم : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَق السَّمواتِ والأَرْضَ ليقولون الله »[٢٨١] ولو

(٢٧٧) سورة المنافقون : ١
(٢٧٨) سورة الزخرف : ٢١ ، ٢٢
(٢٧٩) سورة النحل : ٣٥
(٢٨٠) سورة النحل : ٣٦ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكر (حقت عليهم الضلالة) .
(٢٨١) سورة لقمان : ٢٥

أنكر عز وجل قولهم ذلك لأكذبهم فإذ لم يكذبهم فلقد صدقهم فى ذلك والحمد لله رب العالمين .

* * *

قال أبو محمد : فإن اعترضوا بقول الله تعالى : « سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ، قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ من علم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظن وإن أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُون قُلْ فلله الْحُجَّةُ البالغة فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أجْمَعين ، قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَاوالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُون ، قُلْ تَعَالَوْا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً »(٢٨٢).

قال أبو محمد : إنما تلونا جميع الآيات على نسقها فى القرآن واتصالها خوف أن يعترضوا بالآية ويسكتوا عند قول « تخرصون » فكثيرا ما إحتجنا إلى بيان مثل هذا من الاقتصار على بعض الآية دون بعضها من تمويه من لا يتقى الله عز وجل .

قال أبو محمد : فهذه الآية من أعظم حجة الله على القدرية لأنه تعالى لم ينكر عليهم قولهم ولو شاء الله ما أشركنا ولا أباؤنا ولا حرمنا من(٢٨٣) شيء ولو أنكره لكذبهم فيه وإنما أنكر تعالى قولهم ذلك بغير علم وإن وافقوا الصدق والحق كما قدمنا آنفا وقد بين تعالى : أنه إنما أنكر عليهم ذلك بقوله عز وجل فى الآية نفسها« إِنْ تَتَّبِعُون إلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُم إِلَّا تَخْرُصُون » .

ثم لم يدعنا تعالى فى لبس من ذلك بل وأتبع ذلك نسقا واحدا ، بأن قال : « فلله الحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين » .

فصدقهم عز وجل فى قولهم أنه لو شاء ما أشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا ما حرموا ، وأخبر تعالى أنه لو شاء لهداهم فاهتدوا وبين تعالى أن له الحجة عليهم فى ذلك ولا حجة لأحد عليه تعالى ، وأنكر عز وجل أن أخرجوا ذلك مخرج العذر لأنفسهم أو مخرج الاحتجاج على الرسل عليهم السلام كما تفعل المعتزلة ثم بين تعالى أنه إنما أنكر أيضا تكذيبهم رسله بقوله تعالى : « كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »(٢٨٤).

---

(٢٨٢) سورة الأنعام : ١٤٨ – ١٥١ . وقد جاءت هذه الآيات محرفة فى (أ) حيث ذكرها (ولا حرمنا من دونه من شيء) .
(٢٨٣) فى (أ) : أوردها محرفة حيث قال : (ولا حرمنا من دونه من شيء) .
(٢٨٤) سورة الأنعام : ١٤٨

بالذّال المشددة بلا خلاف من القراء ، ودعواهم أن الله تعالى حرّم ما ادعوا تحريمه وهم كاذبون بقوله تعالى : « قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الذينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ الله حَرَّمَ هَذَا »(٢٨٥).

فوضح بكل ما ذكرنا بطلان قول المعتزلة الجهال وبان(٢٨٦) صحة قولنا أن الله تعالى شاء كل مافى العالم من إيمان وشرك وهدى وضلال وأن الله تعالى أراد كون ذلك كله وكيف يمكن أن ينكر تعالى قولهم لو شاء الله ما أشركنا وقد أخبرنا عز وجل هذا نصاً فى قوله فى السورة نفسها : « إتَّبِعْ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَه إِلا هُوَ وَأَعْرِضَ عَنِ الْمُشْرِكِين ، وَلَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكُوا »(٢٨٧) فلاح يقينا صدق ما قلنا من أنه تعالى لم يكذبهم فى قولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء وهذا مثل ما ذكر الله تعالى من قولهم « أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ الله أَطْعَمَهُ »(٢٨٨) فلم يورد الله عز وجل قولهم هذا تكذيبا له بل صدقوا فى ذلك بلا شك ولو شاء الله لأطعم الفقراء والمجاويع .

وما نرى(٢٨٩) المعتزلة تنكر هذا وإنما أورد الله تعالى قولهم هذا لاحتجاجهم به فى الامتناع من الصدقة وإطعام الجائع وبهذا نفسه احتجت المعتزلة على ربها . إذ قالت يكلفنا مالا يقدرنا عليه ، ثم يعذبنا بعد ذلك على ما أراد كونه منا فسلكوا مسلك القائلين لم كلفنا الله عز وجل إطعام هذا الجائع ولو أراد إطعامه لأطعمه .. ؟

قال أبو محمد : تباً لمن عارض أمر ربه تعالى واحتج عليه بل لله الحجة البالغة ولو شاء لأطعم من ألزمنا إطعامه ، ولو شاء لهدى الكافرين فآمنوا ، ولكنه تعالى لم يرد ذلك بل أراد أن يعذب من لا يطعم المسكين ، ومن أضله من الكافرين لا يُسْأَلُ عَمَا يَفْعَل وَهُمْ يُسَأَلُون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقالت المعتزلة : معنى قوله تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى »(٢٩٠)، « لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ »(٢٩١).

وسائر الآيات التى تلوتم إنما هو لو شاء عز وجل لاضطرهم إلى الإيمان فأمنوا مضطرين فكانوا لا يستحقون الجزاء بالجنة .

---

(٢٨٥) سورة الأنعام آية رقم ١٥٠
(٢٨٦) فى (أ) : (وبأن) وهو تحريف .
(٢٨٧) سورة الأنعام : ١٠٥ ، ١٠٦
(٢٨٨) سورة يس : ٤٧
(٢٨٩) فى (أ) : (أرى) .
(٢٩٠) سورة الأنعام : ٣٥
(٢٩١) سورة يونس آية رقم ٩٩

قال أبو محمد : وهذا تأويل جمعوا فيه بلايا جمه أولها : أنه قول بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو تناقض[٢٩٢] ويقال لهم ما صفة الإيمان الضرورى الذى لا تستحق عليه الثواب عندكم وما صفة الإيمان غير الضرورى الذى تستحق به الثواب عندكم فإنهم لا يقدرون على فرق أصلا إلا أن يقولوا بمثل ما قال الله عز وجل إذ يقول تعالى : « يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فى إِيمَانِهَا خَيْرًا[٢٩٣]» .

ومثل قوله تعالى : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُون[٢٩٤]» .

ومثل حالة المحتضر عن المعاينة التى لا يقبل فيها إيمانه وكما قيل لفرعون : « الآنَ . وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ[٢٩٥]» .

قال أبو محمد : فيقال لهم كل هذه الآيات حق وقد شاهدت الملائكة تلك الآيات وتلك الأحوال ولم يبطل بذلك قبول إيمانهم فهلّا على أصولكم صار إيمانهم إيمان إضطرار لا يستحقون عليه جزاء فى الجنة أم[٢٩٦] صار جزاؤهم عليه أفضل من جزاء كل مؤمن دونهم وهذا لا مخلص لهم منه أصلًا ثم نقول لهم أخبرونا عن إيمان التوفيق إذ صح عندهم صدق النبى بمشاهدة المعجزات من شقّ القمر ، وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير ، ونبعان الماء الغزير من بين الأصابع ، وشق البحر ، وإحياء الموتى[٢٩٧]، وأوضح كل ذلك بنقل التواتر الذى به صح ما كان قبلنا من الوقائع والملوك وغير ذلك ما يصير فيه من بلغه كمن شاهده ولا فرق فى صحة اليقين لكونه هل إيمانهم إلا إيمان يقين قد صح عندهم وأنه حق ولم يتجلى لهم فيه شك بل علمهم به كعلمهم أن ثلاثة أكثر من اثنين وكعلمهم ما شاهدوه بحواسهم فى أنه كله حق وعلموه ضرورة أم إيمانهم ذلك ليس يقينيًا مقطوعًا بصحة ما آمنوا به عنده كقطعهم على صحة ما علموه بحواسهم ولا سبيل إلى قسم ثالث .. ؟ فإن قالوا : بل هو الآن يقين قد صح علمهم بأنه حق لا مدخل للشك فيه عندهم كيقينهم[٢٩٨] صحة ما علموه بمشاهدة حواسهم .

قلنا لهم : نعم هذا هو الإيمان الاضطرارى بعينه وإلا تفرقوا[٢٩٩] وهذا الذى موهتم بأنه

---

(٢٩٢) فى (أ) : (ساقط) .

(٢٩٣) سورة الأنعام : ١٥٨

(٢٩٤) سورة السجده : ٢٨ ، ٢٩

(٢٩٥) سورة يونس : ٩١

(٢٩٦) فى (أ) : (أمّا) .

(٢٩٧) سبق أن أوضحنا هذه المعجزات فى الجزء الثانى من هذا التحقيق .

(٢٩٨) فى (أ) : (كتيقنهم) .

(٢٩٩) فى (أ) : ففرقوا .

لا يستحق عليه من الجزاء كالذى يستحقه على غيره وبطل[٣٠٠] تمويهكم بحمد الله تعالى .

إذ قلتم : إن معنى قوله تعالى : « لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى[٣٠١] » . « لَآمَنَ مَنْ فى الْأَرْضِ[٣٠٢] » أنه كان يضطرهم إلى الإيمان .

فإن قالوا : بل ليس إيمان المؤمنين هكذا ولا علمهم بصحة التوحيد والنبوة على يقين وضرورة .

قيل لهم : قد أوجبتم أن المؤمنين على شك فى إيمانهم وعلى عدم يقين فى اعتقادهم وليس هذا إيمانا بل كفر مجرد ممن كان دينه هكذا فإن كان هذا صفة إيمان المعتزلة فهم أعلم بأنفسهم وأما نحن فإيماننا ولله الحمد إيمان ضرورى لا مدخل للشك فيه كعلمنا أن ثلاثة أكثر من اثنين وأن كلَّ بناء فمبنى وكل من أتى معجزة فمحق فى نبوته ولا نبالى أكان[٣٠٣] ابتداء علمنا استدلالًا أم مدركا بالحواس إذ كانت نتيجة كل ذلك سواء فى نفى[٣٠٤] صحة الشىء المعتقد وبالله تعالى التوفيق .

ثم نسألهم عن الذين يجحدون[٣٠٥] بعض آيات ربنا يوم لا ينفع نفسًا إيمانها .

أكان الله تعالى قادرًا على أن ينفعهم بذلك الإيمان ويجزيهم عليه جزاءه لسائر المؤمنين أم هو تعالى غير قادر على ذلك ؟ فإن قالوا بل قادر على ذلك رجعوا إلى الحق والتسليم لله عز وجل وأنه تعالى منع من شاء وأعطى من شاء وأنه تعالى أبطل إيمان بعض من آمن عند رؤية آية من آياته ولم يبطل إيمان من أمن عند رؤية آية أخرى وكلها سواء فى باب الإعجاز وهذا هو المحاباة المحضة والجور البين عند المعتزلة فإن عجَّزوا ربهم تعالى عن ذلك أحالوا وكفروا وجعلوه تعالى مضطرًا مطبوعًا محكومًا عليه ، تعالى الله عن ذلك .

* * *

قال أبو محمد : وقد قال عز وجل : « فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُها إلا قَوْمَ يُونُسَ كمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ[٣٠٦] » .

---

(٣٠٠) فى (أ) : (وبكل) .
(٣٠١) سورة الأنعام آية رقم ٣٥
(٣٠٢) سورة يونس آية رقم ٩٩
(٣٠٣) فى (أ) : (إن كان) .
(٣٠٤) فى (أ) : (فى تيقن) .
(٣٠٥) فى (أ) : (يرون) .
(٣٠٦) سورة يونس : ٩٨

فهؤلاء قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فقبل الله عز وجل منهم إيمانهم وآمن فرعون وسائر الأمم المعذبة إذ رأوا(٣٠٧) العذاب فلم يقبل الله عز وجل منهم ففعل الله تعالى ما شاء . لا معقب لحكمه فظهر فساد قولهم فى أن الإيمان الاضطرارى لا يستحق عليه جزاء جملة وصح أن الله تعالى يقبل إيمان من شاء ولا يقبل إيمان من شاء ولا مزيد ثم يقال لهم وبالله تعالى التوفيق هبكم لو صح لكم هذا الباطل الغث الذى هذيتم به من أن معنى قوله تعالى « لجمعهم على الهدى » إنما هو لاضطرارهم إلى الإيمان فأخبرونا لو كان ذلك فأىُّ ضرر كان يكون فى ذلك على الناس والجن بل كان يكون فى ذلك الخير كله وماذا ضر الأطفال إذا لم يكن لهم إيمان اختيارى كما تزعمون وقد حصلوا على أفضل المواهب من السلامة من النار بالجملة ومن هول المطلع وصعوبة الحساب وفظاعة تلك المواقف كلها ودخل الجنة جميعهم بسلام آمنين منعمين لم يروا فزعًا رآه غيرهم وأيضا فإن دعواهم هذه التى كذبوا فيها على الله عز وجل إذ وصفوا عن مراد الله تعالى ما لم يقله تعالى فقد خالفوا فيها القرآن واللغة لأن اسم الهدى والإيمان لا يقعان ألبتة على معنى غير المعنى المعهود فى القرآن واللغة وهما طاعات الله عز وجل والعمل بها والتصديق بجميعها الموجب كل ذلك – بنص القرآن – رِضَى الله عز وجل وجنته ، ولا يسمى الجماد والحيوان غير الناطق ولا المجنون ولا الطفل مؤمنا ولا مهتديا إلا على معنى جرى أحكام الإيمان على المجنون والطفل خاصة وبرهان ما قلنا : قول الله تعالى : « وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نفس هُدَاهَا وَلِكنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين(٣٠٨) » فصح أن الهدى الذى لو أراد الله تعالى جمع الناس عليه هو المنقذ من النار والذى لا يملأ جهنم من أهله وكذلك قوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تؤمن إِلَّا بِإِذْنِ الله(٣٠٩) » .

فصح أن الإيمان جملة شيء واحد وهو المنقذ من النار الموجب للجنة . وأيضًا فإن الله عز وجل يقول : « مَنْ يَهْدِى الله فهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضْلْلْ فلن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِدًا(٣١٠) » . ويقول : إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشَاء(٣١١) » .

ويقول تعالى : لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلكِنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشَاء(٣١٢) » .

فهذه الآيات مبينة أن الهدى المذكور هو الاختيارى عند المعتزلة لأنه تعالى يقول لنبيه

(٣٠٧) فى (أ) : (لما رأوا) .
(٣٠٨) سورة السجدة : ١٣
(٣٠٩) سورة يونس : ١٠٠
(٣١٠) سورة الكهف : ١٧
(٣١١) سورة القصص : ٥٦
(٣١٢) سورة البقرة : ٢٧٢

ﷺ : « ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فى الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنين(٣١٣) » .

وقال تعالى : « لَا إِكْرَاهَ فى الدِّين(٣١٤) » .

فصح يقينا أن الله تعالى لم يرد قط بقوله : « لَجَمَعَهُمْ على الهدى ، ولآمن من فى الأرض إيمانًا فيه إكراه فبطل هذرهم والحمد لله رب العالمين » .

فإن قالوا لنا فإذا أراد الله تعالى كون الكفر والضلال فأريدوا ما أراد الله تعالى من ذلك قلنا لهم : وبالله التوفيق ليس لنا من أن نفعله ما لم نؤمر به ولا يحل لنا أن نريد ما لم يأمرنا الله تعالى بإرادته وإنما علينا ما أمرنا به فنكره ما أمرنا بكراهيته ونحب ما أمرنا بمحبته ونريد ما أمرنا بإرادته ثم نسألهم هل أراد الله تعالى إمراض النبى ﷺ إذ أمرضه ، وموته ﷺ إذ أماته ، وموت إبراهيم ابنه إذ أماته أو لم يرد الله تعالى شيئا من ذلك ، فلابد أن الله تعالى أراد كون كل ذلك فيلزمهم أن يريدوا موت النبى ﷺ ومرضه وموت ابنه إبراهيم لأن الله تعالى أراد كون(٣١٥) كل ذلك . فإن أجابوا إلى ذلك ألحدوا بلا خلاف وعصوا(٣١٦) الله ورسوله وإن أبوا من ذلك بطل ما أرادوا إلزامنا إياه . إلا أنه لازم لهم على أصولهم الفاسدة لا لنا لأنهم صححوا هذه المسألة ونحن لم نصححها ، ومن صحح شيئًا لزمه . ثم نقول لهم : وبالله تعالى التوفيق :

لسنا ننكر فى حال ما يباح لنا فيه إرادة الكفر من بعض الناس فقد أثنى الله عز وجل على ابن آدم فى قوله لأخيه : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ . وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِين(٣١٧) » فهذا ابن آدم الفاضل قد أراد أن يكون أخوه من أصحاب النار وأن يبوء بإثمه مع إثم نفسه وقد صوب الله عز وجل قول موسى وهارون عليهما السلام : « ربَّنا اطمس على أموالهم واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِم فَلَا يُؤْمِنوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمِ قَالَ : قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما(٣١٨) » .

فهذا موسى وهارون عليهما السلام قد أرادا وأحبَّا أن لا يؤمن فرعون وأن يموت كافرا إلى النار وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه دعا على عتبه بن أبى وقاص أن يموت كافرًا إلى النار فكان كذلك .

---

(٣١٣) سورة يونس : ٩٩
(٣١٤) سورة البقرة : ٢٥٦
(٣١٥) فى (أ) : لم يذكر كلمة (كون) .
(٣١٦) فى (أ) : (عصوا) بغير « واو » العطف .
(٣١٧) المائدة : ٢٩
(٣١٨) يونس : ٨٨

قال أبو محمد : وأصدق الله عز وجل أنا عن نفس التى هو أعلم بما فيها منى أن الله تعالى يعلم أنى لأسر بموت عقبة بن أبى معيط[٣١٩] كافرًا وكذلك أمر أبى لهب[٣٢٠] لأذاهما رسول الله ﷺ ولتتم كلمة العذاب عليهما وأن المرء ليسر بموت من استبلغ فى أذاه ظلما بأن يموت على أقبح طرائقه[٣٢١]، وقد روينا هذا عن بعض الصالحين فى بعض الظلمة ولا حرج فيمن استن[٣٢٢] بمحمد وبموسى وبأفضل ابنى آدم صلى الله عليهم وسلم . وليت شعرى أى فرق بين لعن الكافر والظالم والدعاء عليه بالعذاب فى النار وبين الدعاء عليه بأن يموت غير متوب عليه والمسرة بكلا الأمرين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال عز وجل : « وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ[٣٢٣] » .

وقال تعالى : « وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ[٣٢٤] » .

وقال تعالى : « إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيكُمْ أَيْدِيهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ[٣٢٥] عنكم» .

وقال تعالى : « وهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدَيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَةَ[٣٢٦] » .

فصح يقينا أن الله تعالى يسلط[٣٢٧] الكفار على من سلطهم عليهم من الأنبياء ، وعلى أهل بئر معونة ويوم أحد ، ونصرهم إملاء لهم وابتلاء للمؤمنين وإلّا فيقال لمن أنكر هذا أتراه تعالى كان عاجزا عن منعهم ؟ فإن قالوا نعم . كفروا ونافقوا لأن الله تعالى قد نص على أنه كف أيدى الكفار عن المؤمنين إذ شاء وسلط أيديهم على المؤمنين ولم يكفها . إذ شاء .

قال أبو محمد : وقال بعض شيوخ المعتزلة : إن إسلام الله تعالى من أسلم من الأنبياء إلى أعدائه فقتلوهم وجرحوهم وإسلام من أسلم من الصبيان إلى أعدائه يحضونهم ويغلبونهم على أنفسهم بركوب الفاحشة إذا كان ليعوضهم أفضل الثواب فليس خذلاناً فقلنا دعونا من لفظة الخذلان فلسنا نجيزها لأن الله تعالى لم يذكرها فى هذا الباب لكنا نقول لكم إذا كان قتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم ما يكون من الكفر والظلم وكان الله عز وجل بقولكم قد أسلم أنبياءه صلوات الله

(٣١٩) هو عقبة ين آبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، كنيته أبو الوليد ، وكنية أبيه أبو معيط ، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة ، فأسروه يوم بدر ، وقتلوه ثم صلبوه ، وهو أول مصلوب فى الإسلام ، عام ٢ هجرية .

(٣٢٠) هو : عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم من قريش ، عم رسول الله ﷺ وأحد الأشراف الشجعان فى الجاهلية ، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين فى الإسلام ، وكان غنيا عتيًا ، كبر عليه أن يتبع دنيا جاء به ابن أخيه ، فآذى أنصاره وحرّض عليهم ، وكان أحمر الوجه مشرقا ، فلقب فى الجاهلية بأبى لهب . مات بعد وقعة بدر بأيام ، ولم يشهدها وفيه نزلت السورة : « تبت يدا أبى لهب وتبَّ » . (الأعلام) .

(٣٢١) فى (أ) : (طريقه) .

(٣٢٢) فى (أ) : (أئتسى) .

(٣٢٣) النساء : ٩٠

(٣٢٤) آل عمران : ١٢٦

(٣٢٥) المائدة : ١١

(٣٢٦) الفتح : ٢٤

(٣٢٧) فى (أ) : (سلط) .

عليهم إلى أعدائه ليعوضهم أجل عوض فقد أقررتم بزعمكم أن الله تعالى أراد إسلامهم إلى أعدائهم وإذا أراد الله عز وجل ذلك فقد أراد بإقراركم كون أعظم ما يكون من الكفر وشاء وقوع أعظم الضلال ورضى ذلك لأنبيائه عليهم السلام على الوجه الذى تقولون كائناً ما كان وهذا ما لا مخلص لهم منه .

وأيضاً فنقول لهذا القائل إذا كان إسلام الأنبياء إلى أعداء الله عز وجل يقتلونهم ليس ظلما وعبثا على توجيهكم المناقض لأصولكم فى أنه أدى إلى أجزل الجزاء فليس خذلانا ، وكذلك إسلام المسلم إلى عدوه يحضه ويرتكب فيه الفاحشة فهو على أصولكم خير وعدل فيلزمكم أن تمنوا[٣٢٨] بذلك وأن تسروا بما نيل من الأنبياء عليهم السلام فى ذلك وأن تدعوا ، فيه إلى الله تعالى وهذا خلاف قولكم وخلاف إجماع أهل الإسلام وهذا ما لا مخلص لهم منه ولا يلزمنا نحن ذلك لأننا لا نسر إلا بما أمرنا الله تعالى بالسرور به ولا نتمنى إلا ما قد أباح لنا تعالى أن ندعوه فيه وكل فعله عزّ وجل وإن كان عدلًا منه وخيرا فقد افترض تعالى علينا أن ننكر من ذلك ما سماه من غيره ظلما وأن نبرأ منه ولا نتمناه لمسلم فإنما نتبع ما جاءت به النصوص فقط وبالله تعالى التوفيق .

وقال قائل من المعتزلة : إذا حملتم قوله تعالى : « وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً[٣٢٩]» فما يدريكم لعله عليكم عمى .

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن الله تعالى قد نصَّ على أنه لا يكون عمى إلا على الذين لا يؤمنون ونحن مؤمنون ولله تعالى الحمد فقد أمنا ذلك وقد ذَمَّ الله تعالى قوما حملوا القرآن على غير ظاهره .

فقال تعالى : « يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعه »[٣٣٠].

فهذه صفتكم على الحقيقة الموجودة فيكم حساً فمن حمل القرآن على ما خوطب به من اللغة العربية واتبع بيان الرسول ﷺ فالقرآن له هدى وشفاء ومن بدل كلمة عن مواضعه وادّعى فيه دعاوى برأيه وكهاناتٍ بظنه وأسراراً غمض وأعرض عن بيان الرسول ﷺ ، المبين عن الله تعالى بأمره ، ومال إلى قول المنانية فهو الذى عليه القرآن عمى وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ومن نوادر المعتزلة وعظيم جهلها وحماقتها وإقدامها أنهم قالوا بأن الشهادة التى غبط الله تعالى بها الشهداء وأوجب لهم بها أفضل الجزاء وتمنّاها رسول الله ﷺ وأصحابه وفضلاء المسلمين ليس هى قتل الكافر للمؤمن ولا قتل الظالم للمسلم البرىء .

---

(٣٢٨) فى (أ) : (تتمنّوا) .
(٣٢٩) فصلت : ٤٤
(٣٣٠) النساء : ٤٦ ، المائدة : ١٣

قال أبو محمد رضى الله عنه : وجنون المعتزلة وجهلهم واهذارهم ووساوسهم لا قياس عليها وحُقَّ لمن استغنى عن الله عزَّ وجل وقال إنه يقدر على ما لا يقدر عليه ربه تعالى وقال إن عقله كعقول الأنبياء عليهم السلام سواء بسواء أن يخذله الله عز وجل مثل هذا الخذلان نعوذ بالله من خذلانه ونسأله العصمة فلا عاصم سواه أما سمعوا قول الله عزّ وجل : « إنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بأَنَّ لَهُمْ الجَنَةَ يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ ويقتلون وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا »(٣٣١).

وقوله تعالى : « وَلَا تَقُولوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبِيلِ الله أَمْواتَ بَلْ أَحْيَاءٌ »(٣٣٢).

ثم إنهم فسروا الشهادة بعقولهم فقالوا : إنما الشهادة الصبر على الجراح المؤدية إلى القتل والعزم على التقدم إلى الحرب .

قال أبو محمد : وفى هذا الكلام من الجنون ثلاثة أُضرب . أحدها : أنه كلام مبتدع لم يقله(٣٣٣) أحد من متأخريهم المنسلخين من الخير جملة ..

والثانى : أنه لو صح ما ذكروا لكانت الشهادة فى الحياة لابالموت لأن الصبر على الجراح والعزم على التقدم لا يكونان إلا فى الحياة والشهادة فى سبيل الله لا تكون بنص القرآن وصحيح الأخبار وإجماع الأمة إلا بالقتل .

والثالث : أن الذى منه هربوا فيه وقعوا بعينه وهو أن الشهادة التى يتمنى(٣٣٤) المسلمون بها إن كانت العزم على التقدم إلى الحرب والصبر على الجراح المؤدية إلى القتل فقد حصل تمنى قتل الكفار للمسلمين ، وتمنى أن يجرحوا المسلمين جراحا [تؤدى إلى القتل وتمنى ثبات الكفار على الكفر حتى يجرحوا أهل الإسلام جراحاً] قاتله وحرب الكفار للمسلمين وثباتهم لهم وجراحهم إياهم معاص وكفر بلا شك ، فقد حصلوا على تمن للمعاص(٣٣٥) وهو الذى به شنعوا وبالله تعالى التوفيق . فبطل كل ما شغبت(٣٣٦) به المعتزلة والحمد لله رب العالمين كثيرا .

---

(٣٣١) التوبة : ١١١
(٣٣٢) البقرة : ١٥٤
(٣٣٣) فى (أ) : (لم يقبله) .
(٣٣٤) فى (أ) : (تمنى) .
(٣٣٥) فى (أ) : (المعاصى) .
(٣٣٦) فى (أ) : (شنعت) .

« الكلام فى اللطف والأصلح »

قال أبو محمد : وضل جمهور المعتزلة فى فصل من القدر ضلالًا بعيدا فقالوا بأجمعهم حاشى ضرار بن عمرو ، وحفصا الفرد وبشر بن المعتمر[٣٣٧]، ويسيراً ممن اتبعهم أنه ليس عند الله تعالى شىء أصلح مما أعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم ولا عنده هدى أهدى ممّا قد هدى به الكافر والمؤمن هُدىً مستويا ، وأنه ليس يقدر على شىء وهو أصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين .

ثم اختلف هؤلاء – فقال جمهورهم – إنه تعالى قادر على أمثال ما فعل من الصلاح بلا نهاية وقال الأقل منهم : وهم عباد ، ومن وافقه هذا باطل لأنه لا يجوز أن يترك الله تعالى شيئا يقدر عليه من الصلاح من أجل فعله لصلاحٍ مًّا . وحجّتهم فى هذا الكفر الذى أتوا به أنه لو كان عنده أصلح أو أفضل مما فعل بالناس ومنعهم إياه لكان بخيلًا ظالماً لهم ولو أعطى شيئاً من فضله بعض الناس دون بعض لكان محابياً ظالماً والمحاباة جور ولو كان عنده ما يؤمن به الكفار إذا أعطاهم إياه ثم منعهم إياه لكان ظالماً لهم غاية الظلم ، قالوا وقد علمنا أن إنساناً لو ملك أموالًا عظيمة تفضل عنه ولا يحتاج إليها فقصده جارٌ فقير له تحلّ له الصدقة فسأله درهما يحيى به نفسه وهو يعلم فقره إليه ويعلم أنه يتدارك به رمقه فمنعه لا لمعنى فإنه بخيل ، قالوا : فلو علم أنه إذا أعطاه الدرهم سهلت عليه أفعالٌ كلفه إياها فمنعه مع ذلك لكان بخيلا ظالما فلو علم أنه لا يصل إلى ما كلفه إلا بذلك الدرهم فمنعه لكان بخيلا ظالماً سفيها . فهذا كل ما احتجوا به لا حجة لهم غير هذه ألبته .

وذهب ضرار بن عمرو وحفص الفرد وبشر بن المعتمر ومن وافقهم وهم قليل منهم إلى أن عند الله عزّ وجل ألطافا كثيرة لا نهاية لها لو أعطاها الكفار لآمنوا إيماناً إختياريا يستحقون به الثواب بالجنة وقد أشار إلى نحو هذا ولم يحققه أبو على الجبائى وابنه أبو هاشم[٣٣٨] وكان بشر ابن المعتمر يكفر من قال بالأصلح والمعتزلة اليوم تدعى أن بشرا تاب عن القول باللطف ورجع إلى القول بالأصلح .

قال أبو محمد : وحجة هؤلاء ، أنه تعالى قد فعل بهم ما يؤمنون عنده لو شاءوا فليس لهم عليه غير ذلك ولا يلزمه أكثر من ذلك فعارضهم أصحاب الأصلح بأن قالوا إن الاختيار هو

---

(٣٣٧) مرت ترجمة هذه الأعلام فيما سبق من هذا الجزء .

(٣٣٨) سبقت ترجمتهما فى هذا الجزء .

ما يمكن فعله ويمكن تركه ، فلو كان الكفار عند إتيان الله تعالى لتلك الألطاف يختارون الإيمان لأمكن أن بفعلوه وأن لا يفعلوه أيضاً ، فعادت الحال إلى ما هى عليه إلا أن يقولوا إنهم كانوا يؤمنون ولابدّ فهذا اضطرار من الله تعالى لهم إلى الإيمان لا اختيار .

وقالوا[٣٣٩] نحن لا ننكر هذا بل الله تعالى قادر على أن يضطرهم إلى الإيمان كما قال تعالى : « يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلَ »[٣٤٠].

قالوا فالذى فعل تعالى بهم أفضل وأصلح .

قال أبو محمد : وهذا لازم لمن لم يقل إن أفعال العباد مخلوقه لله تعالى لزوما لا ينفكون عنه وأما نحن فلا يلزمنا. وإنما سألناهم هل الله تعالى قادر على أن يأتى الكفار بألطافٍ يكون منهم الإيمان عندها باختيارٍ ولابدّ ويثيبهم على ذلك أتم ثواب يثيبه عبداً من عباده أم لا ؟

فقالوا : لا .

قال أبو محمد : كأن أصحاب الأصلح عمى[٣٤١] عن العالم أو كأنهم إذا حضروا فيه سلبت عقولهم وطمست حواسهم وصدق الله فقد نبه على مثل هذا .

يقول تعالى : « لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرونَ بِها ولهم آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا »[٣٤٢].

أترى هؤلاء القوم ما شاهدوا أن الله عز وجل منع الأموال قوما وأعطاها آخرين ونبأ قوما وأرسلهم إلى عباده ، وخلق آخرين فى أقاصى أرض الزنج يعبدون الأوثان وأمات قوما من أوليائه ومن أعدائه عطشاً وعنده مجاديح[٣٤٣] السموات وسقى آخرين الماء - العذب أما هذه محاباة ظاهرة فإن قالوا إن كلَّ ما فعل من ذلك فهو أصلح بمن فعله به سألناهم عن إماتته تعالى الكفار وهم يصيرون إلى النار وإعطائه تعالى قوما مالًا ورياسة فبطروا وهلكوا وكانوا مع القلة والخمول صالحين وأفقر أقواما ما فسرقوا وقتلوا وكانوا فى حال الغنى صالحين وأصحّ أقواماً وجمَّل صورهم فكان ذلك سببا لكون المعاصى مِنْهم وتركوها إذْ أَسَنُّوا وأمرض أقواما فتركوا الصلاة عمداً وضجروا وتبرموا[٣٤٤] فتكلموا بما هو الكفر أو قريب منه وكانوا فى صحتهم شاكرين لله يصلون ويصومون أهذا الذى فعل الله بهم كان أصلح لهم ؟ .

---

(٣٣٩) فى (أ) : (قالوا) بغير « واو » العطف .
(٣٤٠) الأنعام : ١٥٨
(٣٤١) فى (أ) : (غيب) .
(٣٤٢) الأعراف : ١٧٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث لم يذكر (ولهم أعين لا يبصرون بها) .
(٣٤٣) مجاديح السماء : أنواؤها .
(٣٤٤) فى (أ) : (وتربوا) وهو تحريف .

فإن قالوا نعم كابروا الحواس[٣٤٥]. وإن قالوا لو عاشوا لزادوا كفرا[٣٤٦]. قلنا لهم فإنما كان أصلح لهم أن يخترمهم الله عز وجل قبل البلوغ أو أن يطيل أعمارهم ويملكهم الجيوش فيهلكوا بها أرض الإسلام ويقوى أجسادهم وأذهانهم فيضل بهم جماعة كما فعل بجيش الفيومى . اليهودى وأبى ريطه اليعقوبى النصرانى والمتخففين[٣٤٧] بالكلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنانية والدهرية أما كان أصلح لهم ولمن ضل منهم أن يميتهم صغارا ! ؟ !

قال أبو محمد : فانقطعوا فلجأ بعضهم إلى أن قال لعله قد سبق فى علم الله تعالى أنه لو أماتهم صغارا لكفر خلق من المؤمنين .

قال أبو محمد : وفى هذا الجواب من السخافة وجوه جمة .

أولها : أنه دعوى بلا دليل[٣٤٨] .

والثانى : أنهم لم ينفكوا[٣٤٩] به مما ألزمناهم ونقول لهم أكان الله عز وجل قادراً على أن يميتهم ولا يوجب موتهم كفر أحد فإن قالوا : لا عَجَّزوا ربهم تعالى .

وإن قالوا : بل كان قادراً على ذلك ألزموه الجور والظلم على أصولهم ولابدّ من أحد الأمرين .

والثالث : ما سمع فى العالم بأسخف من قول من قال إن إنسانا مؤمنا يكفر من أجل صغير مات فهذا أمرٌ ما شوهد قط فى العالم ولا توهم ولا يدخل إلا مكابرة[٣٥٠] فى العقل وكم طفل يمت كل يوم مذ خلق الله تعالى الدنيا إلى يوم القيامة فهل كفر أحد قط من أجل موت ذلك الطفل ؟ وإنما عهدنا الناس يكفرون عندما يقع لهم من الغضب الذى يخلقه الله عز وجل فى طبائعهم وبالغضبة التى آتاهم الله عز وجل أسبابها ، وبذلك[٣٥١] الذى اتاهم الله إياه إذا عرضهم[٣٥٢] فيه عارض .

والرابع : أنه ليس فى الجور ولا فى العبث ولا فى الظلم ولا فى المحاباة أعظم من أن يبقى طفلا يكفر فيستحق الخلود فى النار ولا يميته طفلا فينجو من النار من أجل صلاح قوم لولا كفر هذا المنحوس لكفر أولئك وما فى الظلم والمحاباة أقبح من هذا . وهل هذا إلا كمن وقف إنساناً

---

(٣٤٥) فى (أ) : (المحسوس) .
(٣٤٦) فى (أ) : سقطت كلمة (كفرًا) .
(٣٤٧) فى (أ) : (والمتحققين) .
(٣٤٨) فى (أ) : (بالدّليل) وهذا تحريف .
(٣٤٩) فى (أ) : (لا ينفكّون) .
(٣٥٠) فى (أ) : (فى الإمكان ولا فى العقل) .
(٣٥١) فى الأصل : (وما ذلك) .
(٣٥٢) فى (أ) : (عارضهم) .

للقتل فأخذ هو آخر من عرض الطريق فقتله مكانه فظهر فساد هذا القول السخيف الملعون .

قال أبو محمد : وقال بعضهم قد يخرج من صلبه مؤمنون ..

قال أبو محمد : وقد يموت الكافر عن غير عقب وقد يلد الكافر كفارًا أضرّ على الإسلام منه ومع هذا فكل ما ذكرنا يلزم فى هذا الجواب السخيف وأيضًا فقد يخرج من صلب المؤمن كافر طاغ وظالم باغ يفسد الحرث والنسل ، ويثير الظلم ، ويميت الحق ، ويؤسس الضلالات[٣٥٣] والمنكرات حتى يُضِلّ بها خلق كثير حتى يظنوا أنها حق وسُنَّه فأىّ وجه لخلق هؤلاء على أصول المعتزلة الضُّلّال . نعم وأىُّ معنى وأى صلاح فى خلق إبليس ومردة الشياطين وأعطائهم القوة على إضلال الناس فى[٣٥٤] الحكمة المعهودة بيننا ، وبالضرورة نعلم أن من نصب المصايد للناس فى الطرقات وطرح الشَّوْك فى ممشاهم فإنه عابث[٣٥٥] سفيه فيما بيننا والله تعالى خلق كل ما ذكرنا بإقرارهم وهو الحكيم العليم ، ثم وجدناه تعالى قد شهد للذين بايعوا تحت الشجرة بأنه علم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، ثم أمات من ولى منهم أمور المسلمين سريعا . ووهَّن قوى بعضهم ، وملك عليهم زيادا[٣٥٦] و الحجاج[٣٥٧] وبغاة الخوارج . فأىُّ مصلحة فى هذا للحجاج ، ولقطرى[٣٥٨]. أو لسائر المسلمين لو عقلت المعتزلة ، ولكن الحق هو قولنا وهو أن كل ذلك عدل من الله وحق وحكمة وهلاك ودمار وإضلال للحجاج المسلط ، ولقطرى ونظائرهما أراد الله تعالى بذلك هلاكهم فى الآخرة ونعوذ بالله من الخذلان ، ثم نسألهم ماذا تقولون . إذ[٣٥٩] أمر عز وجل بجلد الحرة فى الزنا مائة وجلد الأمة نصف ذلك أليس هذا محاباة للأمة ؟ وإذ خوّل الله عز وجل قوما أموالًا جمة فماتوا فيها وحرم آخرين أما هذا عين المحاباة والجور على أصلهم الفاسد فى من منع

---

(٣٥٣) فى (أ) : (القتالات) .

(٣٥٤) فى (أ) : (من) .

(٣٥٥) فى (أ) : (عائب) .

(٣٥٦) هو : زياد ابن أبيه ، أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة من أهل الطائف ، اختلفوا فى اسم أبيه ، فقيل عبيد الثقفى ، وقيل أبو سفيان ، ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفى ، وتبناه عبيد الثقفى ، مولى الحارث بن كلدة ، أدرك النبى ﷺ ولم يره ، وأسلم فى عهد أبى بكر ، ولّاه على بن إبى طالب إمرة فارس ، ولما توفى على امتنع زياد على معاوية ، وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه ، فكتب إليه بذلك ، فقدم زياد عليه ، وألحقه معاوية بنسبة سنة ٤٤ هـ وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق ت ٥٣ هـ (الأعلام) .

(٣٥٧) هو : الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى ، أبو محمد قائد ، داهية ، سفاك ، خطيب ، ولد ونشأ بالطائف ، وانتقل إلى الشام ، فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان فى عديد شرطته ، ومازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير ، بنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة ، مات بواسط عام ٩٥ هـ ولإبراهيم الكيلانى كتاب : الحجاج بن يوسف ، وللمستشرق الفرنسى جان بيريه كتاب بالفرنسية سماه (حياة الحجاج بن يوسف الثقفى) . (الأعلام) .

(٣٥٨) هو : قطرى بن الفجاءة ، أبو نعامة بن الفجاءة ، واسمه جعونة بن مازن من رؤساء الأزارقة الخوارج ، وأبطالهم ، من أهل قطر بقرب البحرين . كان خطيبا فارسا ، شاعرًا ، استفحل أمره فى زمن مصعب بن الزبير ، وبقى قطرى ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وإمارة المؤمنين . اختلف المؤورخون فى مقتله فقيل عثر به فرسه فاندقت فخذه فمات ، وجىء برأسه إلى الحجاج ، وقيل : توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبى فقاتله وقتل فى المعركة بطبرستان عام ٧٨ هـ .

(٣٥٩) فى (أ) : (إذا) .

جاره الفقير إلا أن يطردوا قولهم فيصيروا إلى قول من ذكر . أن الواجب تساوى[٣٦٠] الناس فى الأموال والنشأة على السواء وبالجملة فإن القوم يدعون نفى التشبيه ويكفرون من شبه الله بخلقه ، ثم لا نعلم أحدًا أشد تشبيهًا لله تعالى بخلقه منهم فيلزمونه الحكم[٣٦١] ويحرمون عليه الأمر والنهى ويشبهونه بخلقه تعالى فيما يحسن منه ويقبح ثم نقضوا أصولهم إذ من قولهم أن ما صلح بيننا بوجه من الوجوه فلسنا نبعده عن البارى تعالى ونحن نجد فيما بيننا من يحابى أحد عبيده على الآخر فيجعل أحدهم مشرفا على ماله وعياله وحاضنًا لولده فيريضه[٣٦٢] لذلك من صغره بأن يعلمه الكتاب والحساب ويَجْعل الآخر رائضًا لدابته وجامعا للزبل لبستانه ومنقيًا لحشه ويريضه[٣٦٣] لذلك من صغره وكذلك الأماء فيجعل إحداهن محلّ إزاره ومطلبًا لولده ، ويجعل الثانية خادمًا لهذه فى الطبخ والغسل وهذا عدل بإجماع المسلمين كلهم فلم أنكروا أن يحابى البارى عز وجل من شاء من عباده بما أحب من التفضيل ووجدوا فى الشاهد من يعطى المجاويع من ماله فيعطى أحدهم ما يغنيه ويخرجه عن الفقر وذلك نحو ألف دينار ، ثم يعطى آخر مثله ألف دينار ويزيده ألف دينار فإنه وإن حابى فمحسن غير ملوم فلم منعوا ربهم من ذلك وجوروه إذا فعله ؟ وهو تعالى بلا شك أتم ملكا لكل ما فى العالم من أحدنا لما خوّله عز وجل من الأملاك ونقضوا أصلهم فى أن ما حسن فى الشاهد بوجه من الوجوه لم يمنعوا وقوعه من البارى جل وعز ووجدوا فى الشاهد من يدخر أموالًا عظيمة فيؤوى جميع الحقوق اللازمة له حتى لا يبقى بحضرته محتاج ثم يمنع سائر ذلك فلا يسمى بخيلا . فلأى شىء منعوا ربهم جل وعز من مثل ذلك وجوّروه وبخّلوه إذا لم يعط أفضل ما عنده وهذا كله بين لا إشكال فيه .

قال أبو محمد : ونسألهم عن قول لهم عجيب وهو أنهم أجازوا أن يخلق الله عز وجل أضعف الأشياء ثم لا يكون قادرًا على أضعف منه فهكذا هو قادر فاعل أصلح الأشياء ثم لا يكون قادرًا على أصلح منه ، وعلى أصغر الأشياء . وهو الجزء الذى لا يتجزأ ولا يقدر على أصغر منه .

قال أبو محمد : هذا إيجاب منهم لتناهى قدرة الله عز وجل وتعجيز له تعالى وإيجاب بحدوثه وإبطال لإلاهيته إذ التناهى فى القوة صفة المحدث المخلوق ، لا صفة الخالق الذى لم يزل وهذا خلاف القرآن وإجماع المسلمين وتشبيه الله تعالى بخلقه فى تناهى قدرتهم .

قال أبو محمد : ولكنه لازم لكل من قال بالجزء الذى لا يتجزأ وبالقياس لزوما صحيحًا

(٣٦٠) فى (أ) : (يواسى) .
(٣٦١) فى (أ) : (الحد) .
(٣٦٢) فى (أ) : (ويرتضيه) .
(٣٦٣) فى (أ) : (ويرتضيه) .

لا إنفكاك لهم منه ونعوذ بالله من هذه المقالات المهلكة بل نقول . إن الله تعالى خلق كل ما خلق[٣٦٤] شيئًا صغيرًا أو ضعيفًا أو كبيرًا أو قويًا أو مصلحة فإنه أبدًا بلا نهاية قادر على خلق أصغر منه وأضعف وأقوى وأصلح .

قال أبو محمد : ونسألهم أيقدر الله تعالى على ما لو فعله لكفر الناس كلهم ..؟ فإن قالوا لا . لحقوا بعلى الاسوارى وهم لا يقولون بهذا ولو قالوه لأكذبهم الله تعالى إذ يقول « وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ »[٣٦٥].

وبقوله تعالى : « وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سقفا مِنْ فِضَّةٍ »[٣٦٦].

وإن قالوا : نعم هو قادر على ذلك قلنا لهم فقد قطعتم بأنه تعالى يقدر على الشر ولايقدر على الخير هذه مصيبة على أصولهم ولزمهم أيضًا فسَاد أصلهم فى قولهم إن من قدر على شيء قدر على ضده ولأنهم يقولون إن الله تعالى يقدر على ما يكفر الناس كلهم عنده ولا يقدر على ما يؤمن جميعهم عنده .

قال أبو محمد : ونسأل من قال منهم إنه تعالى يقدر على مثل ما فعل من الصلاح بلا نهاية لا على أكثر من ذلك فنقول لهم : إن على أصولكم لم تنفكوا من تجوير البارى جل وعز لأن بضرورة الحس تدرى أنه إذا استضافت المصالح بعضها إلى بعض كانت أصلح من انفراد كلِّ مصلحة عن الأخرى فإن هو قادر عندكم على ذلك ولم يفعله بعباده فقد لزمه ما ألزمتموه لو كان قادرًا على أصلح مما فعل ولم يفعله ، فقالوا هذا كالدواء والطعام والشراب لكل ذلك مقدار فقد يصلح به من أعطيه فإذا استضافت إليه أمثاله كان ضررًا .

قال على رضى الله عنه : ولم يقل قط ذو عقل ومعرفة بحقائق الأمور أن دواء[٣٦٧] كذا مصلحة جملة وعلى كل حال . ولا أن الأكل مصلحة أبدًا وعلى الجملة ، ولا أن الشراب مصلحة بكل وجه أبدًا وإنما الحق أن مقدارًا من الدواء مصلحة لعله كذا فقط فإن زاد أو نقص أو تعدى تلك العلة كان ضررا وكذلك الطعام والشراب هما مصلحة فى حال مَّا وبقدر ما فما زاد أو تعدَّى به وقته كان ضررا ، وما نقص عن الكفاية كان ضررًا وليس إطلاق اسم الصلاح فى شيء من ذلك أولى من إطلاق إسم الضرر لأن كلا الأمرين موجود فى كل ذلك كما ذكرنا[٣٦٨] وليس الصلاح من

---

(٣٦٤) فى (أ) : سقطت كلمة (خلق) .
(٣٦٥) الشورى : ٢٧
(٣٦٦) الزخرف : ٣٣
(٣٦٧) جاء فى الأصل : « أن عصرًا » وفى (أ) : (غفار) وهذا تحريف يبعد عن المعنى .
(٣٦٨) فى (أ) : لا توجد كلمة (كل)

الله عز وجل للعبد والهدى له والخير من فعله[٣٦٩] عز وجل كذلك بل على الإطلاق والجملة وعلى كل حال بل كل ما زاد الصلاح وكثر ، وزاد الهدى وكثر[٣٧٠] وزاد الخير وكثر فهو أفضل فإن قالوا : نجد الصلاة والصيام إثمًا فى وقتٍ مًّا وأجْرا فى الآخرة .

قلنا ما كان من هذا منهيًا عنه فليس صلاحًا ألبتة ولا هو هدى ولا خير بل هو إثم وخذلان وضلال وليس فى هذا كلمناكم لكن فيما هو صلاح حقيقة وهدى حقيقية وخير حقيقة وهذا ما لا مخلص لهم منه.

قال أبو محمد : وقال أصحاب الأصلح منهم إن من علم الله تعالى أنه يؤمن من الأطفال إن عاش أو يسلم من الكفار إن عاش أو يتوب من الفساق إن عاش .

فإنه لا يجوز ألبتة أن يميته الله قبل ذلك قالوا وكذلك من علم الله تعالى أنه إن عاش فعل خيرا فلا يجوز ألبتة أن يميته الله قبل فعله .

قالوا ولا يميت الله تعالى أحدًا إلَّا وهو يدرى أنه إن أبقاه طرفه عين فما زاد فإنه لا يفعل شيئا من الخير أصلًا بل يكفر أو يفسق ، ولابدَّ .

قال أبو محمد : وهذا من طوامهم التى جمعت الكفر والسخف[٣٧١] ولم ينفكوا بها[٣٧٢] مما فرُّوا عنه من تجوير البارى عز وجل بزعمهم ، وأما الكفر فإنه يلزمهم بقولهم إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ لو بلغ لكفر أو فسق ، وليت شعرى إذ هذا عندهم كما زعموا فلم أمات بعضهم إثر ولادته ثم آخر بعد ساعة ثم يوم ثم يومين وهكذا شهرًا بعد شهر وعاما بعد عام إلى أن أمات بعضهم قبل بلوغه بيسير ؟ وكلهم عندهم سواء فى أنهم لو عاشوا لكفروا أو فسقوا كلهم وإذ عنى بهم هذه العناية فلم أبقى من الأطفال من درى أنه يكفر ويفسق ؟ نعم ويؤتيهم القوى والتدقيق فى الفهم كالفيومى ، سعيد بن يوسف والمعمس داود بن قزوان وإبراهيم البغدادى وأبى كثير الطبرانى من متكلمى اليهود وأبى ريطه اليعقوبى ، ومقرونيش . الملكى من متكلمى النصارى ومرزان بخت المنانى . حتى أضلوا كثيرًا بشبههم وتمويهاتهم ومخارقهم[٣٧٣] ولا سبيل إلى وجود فرق أصلا ، وهذه محاباة وجور على أصولهم ثم نجده تعالى قد عذَّب بعض هؤلاء الأطفال باليتم والقمل والعُرْى والبرد والجوع وسوء المرقد والعمى والبطلان والأوجاع حتى يموتوا كذلك وبعضهم مرفّه مَخْدوم منعم حتى يموت كذلك ولعلهما لأب وأم وكذلك يلزمهم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وسائر الصحابة رضى

(٣٦٩) فى (أ) : (قهلة) .
(٣٧٠) فى (أ) : (وكبر) .
(٣٧١) فى (أ) : (والسحق) .
(٣٧٢) فى (أ) : (فما) .
(٣٧٣) فى (أ) : ومخارفتهم .

الله عنهم نعم ومحمد ﷺ وموسى وعيسى وإبراهيم وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام أن كل واحد منهم لو عاش طرفة عين فجاء(٣٧٤) الوقت الذى مات فيه لكفر أو فسق ولزمهم مثل هذا فى جبريل وميكائيل وحملة العرش عليهم السلام ، وإن(٣٧٥) كانوا يقولون بأنهم يموتون فإن تمادوا على هذا كفروا وقد صرح بعضهم بذلك جهارًا وإن أبوا تناقضوا ولزمهم أن الله تعالى يميت من يدرى أنه يزداد خيرا ، ويبقى من يدرى أنه يكفر وهذا عنده على أصولهم عين الظلم والعبث .

قال أبو محمد : وأجاب بعضهم فى(٣٧٦) بدء السؤال بأن قال إن النبى ﷺ امتحنه الله عز وجل قبل موته بما بلغ ثوابه على طاعته فيه مبلغ ثوابه على كل طاعة تكون منه لو عاش إلى يوم القيامة .

قال أبو محمد : وهذا جور ناهيك به لوجوه .

أولها : أنه محاباة مجردة له عليه الصلاة والسلام على غيره وهلَّا فعل ذلك بغيره وعجَّل راحتهم من الدنيا .. ؟

وثانيها : أن هذا قول(٣٧٧) كذب بحت وذلك أن المحن فى العالم معروفة وهى إما فى الجسم بالعلل وإما فى المال بالإتلاف وإما فى النفوس بالخوف والهوان ، والهمّ بالأهل والأجنَّة والقطع دون الأمل لا محنة فى العالم تخرج عن هذه الوجوه إلا المحنة فى الدِّين فقط نعوذبالله من ذلك فأما المحنة فى الجسم فكذبوا وما مات عليه السلام إلاسليمالأعضاء سويّها معافى من مثل محنة أيوب عليه السلام وسائر أهل البلاء نعوذ بالله منه وأمَّا فى المال فما شغله الله عز وجل منه بما يقتضى محنة فى فضوله ولا أحوجه إلى أحد بل أقامه على حدِّ الغنى بالوقوف ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقربه من ربه عز وجل وأما النفس فأىّ محنة لمن قال الله عز وجل له « وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »(٣٧٨).

ولمن رفع له ذكره وضمن له إظهار دينه على الدين كله ولو كره أعداؤه وجعل شانيه الأبتر ، وأعزه بالنَّصر على كل عدوّ فأى خوف وأىُّ هوانٍ يتوقعه عليه السلام ؟ وأما أهله وأحبته فاخترم بعض فآجره فيهم كإبراهيم ابنه وخديجة وحمزه وجعفر وزينب وأم كلثوم ورقية بناته رضى الله عنهم وأقر عينه ببقاء بعضهم وصلاحه كعائشة وسائر أمهات المؤمنين وفاطمة ابنته وعلى والعباس

---

(٣٧٤) فى (أ) : (على الوقت) .
(٣٧٥) فى (أ) : (إن كانوا) بغير « واو » .
(٣٧٦) فى (أ) : (هذا) .
(٣٧٧) فى (أ) : (القول) .
(٣٧٨) المائدة ٦٧

والحسن والحسين وأولاد العباس[٣٧٩] وعبد الله بن جعفر[٣٨٠] وأبي سفيان[٣٨١] ابن الحارث رضى الله عن جميعهم فأىّ محنة هاهنا أليس قد أعاذ الله تعالى من مثل محنة خبيب[٣٨٢] بن عدى وسمية[٣٨٣] أم عمَّار رضى الله عنه .. أليس من قتل من الأنبياء عليهم السلام ومن نشر بالمنشار وأحرق بالنيران أعظم محنة ؟ ! ومن خالفه قومه فلم يتبعه منهم إلا اليسير وعذب الجمهور كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم أعظم محنة وهل هذه إلا مكابرة وحماقة وقحة وأى محنة تكون لمن أوجب الله عز وجل على الجنِ والإنس طاعته وأكرمه برسالته وأمَّنه من كل الناس وأكبَّ عدوه لوجهه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهل هذه إلا نعم وخصائص وفضائل وكرامات ومحاباة مجردة له على جميع الإنس والجن وهل استحق عليه السلام هذا قط على ربه تعالى حتى ابتدأه بهذه النعمة الجليلة وقد تحنّث قبله زيد بن عمرو[٣٨٤] بن نفيل بن عبد العزى العدوى ، وقس بن ساعدة[٣٨٥] الأيادى وغيرهما فما أكرموا بشىء من هذا ولكن نوك المعتزلة ليس عليه قياس .

---

(٣٧٩) كان للعباس بن عبد المطلب من الولد الفضل وكان أكبره ولده وبه كان يكنى وأردفه رسول الله – ﷺ – فى حجته ومات بالشام فى طاعون عمواس وليس له عقب ، وعبد الله وهو الحبر دعا له رسول الله – ﷺ – ومات بالطائف وله عقب ، وعبيد الله كان جوادًا سخيًا ذا مال مات بالمدينة وله عقب ، وعبد الرحمن مات بالشام وليس له عقب ، وقُثَمْ وكان يشبَّه بالنبى – ﷺ – ، وكان خرج إلى خراسان مجاهدًا فمات بسمرقند وليس له عقب ، ومعبد قتل بافريقيا شهيدًا وله عقب ، وأم حبيبة بنت العباس ، وأمهم جميعًا أم الفضل ، وهى لبابة الكبرى نبت الحارث بن حَزْن وفى ولد أم الفضل هؤلاء من العباس يقول : عبد الله بن يزيد الهلالى :

ما وَلَدت نَجيبَةٌ من فَحْلِ بجبلٍ تعلمُه أو سَهْلِ
كسيتَّةٍ من بَطْنِ أُمّ الفضل أَكْرِمْ بها من كَهْلَةٍ وكَهْلِ

ومن غير أم الفضل : كثير بن العباس وكان فقيهًا محدثًا ، وتمام بن العباس وكان من أشد أهل زمانه ، وصفية وأميمه وأمهم أم ولد ، والحارث ابن العباس وأمه حجيلة بنت جندب . راجع طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٦

(٣٨٠) عبد الله بن جعفر : هو ابن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرش ، صحابى ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها ، وهو أول من ولد بها من المسملين ، وأتى البصرة والكوفة والشام ، وكان كريمًا يسمى : بحر الجود ، وللشعراء فيه مدائح وكان أحد الأمراء فى جيش يوم صفين ، ومات بالمدينة عام ٨٠ هـ . الأعلام ص ٢٠٤ حـ ٤

(٣٨١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله – ﷺ – وكان أخًا لرسول الله – ﷺ – من الرضاعة أرضعتهما حليمة بنت أبى ذؤيب السعديه ، وكان من الشعراء المطبوعين ، وأسلم يوم الفتح وشهد غزوة حنين ، وأبلى فيها بلاء حسنًا ، وكان ممن ثبت ولم يفر يومئذ ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله وكان الرسول يحبه وشهد له بالجنة توفى عام ٢٠ هـ . (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٤ ص ١٦٧٣ وما بعدها) .

(٣٨٢) خبيب بن عدى الأنصارى من بنى جمح بن عوف شهد بدرًا وأسر يوم الرجيع فى السرية التى خرج فيها مرثد بن أبى مرثد وعاصم ابن ثابت وخالد بن البكير فى سبعة نفر فقتلوا وذلك فى ستة ثلاث وأسرخبيب وزيد بن الدثنه وانطلق المشركون بهما إلى مكة فباعوهما وعندما أرادوا قتله قال : دعونى أصلى ركعتين ، فكان أول من صلى ركعتين عند القتل ثم قال : اللهم أحصهم عددًا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدًا : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٢ ص ٤٤٠ وما بعدها .

(٣٨٣) هى : سمية أم عمار بنت خياط صحابية كانت من أوائل الذين أظهروا الإسلام بمكة ، وكانت فى الجاهلية مولاة لأبى حذيفة ابن المغيرة ، عم أبى جهل ، وكان أبو حذيفة حليفا لياسر بن عمار الكنانى فزوجه بها فولدت له عمارًا على الرق ، فأعتقه ياسر ، ولما كان بدء الدعوة إلى الإسلام كانت سمية عجوزًا كبيرة ، فأسلمت سرًّا هى وزوجها وابنها ، ثم جاهروا بإسلامهم فعذبهم مشركو قريش ، وجاء أبو جهل فطعن سمية بحرية فقتلها ، فكانت أول شهيد فى الإسلام عام سبعة قبل الهجرة (الأعلام : للرزكلى) .

(٣٨٤) هو : زيد بن عمرو نفيل بن عبد العزى ، نصير المرأة فى الجاهلية ، وأحد الحكماء ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، لم يدرك الإسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ، ورحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها ، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية ، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم ، وجاهر بعداء الأوثان ، رآه النبى ﷺ قبل النبوة ، ومسائل عنه بعدها ، فقال : يبعث يوم القيامة أمة واحده . توفى قبل مبعث النبى ﷺ بخمس سنين (الأعلام) .

(٣٨٥) هو : قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك مس بنى إياد ، أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية ، كان =

قال أبو محمد : ومما سئلوا عنه أنه قيل لهم أليس قد علم تعالى أن فرعون والكفار إن أعاشهم كفروا فمن قولهم نعم . فيقال لهم : فلم أبقاهم حتى كفروا واخترم على قولكم من علم أنه إن عاش كفر ؟ وهذا تخليط لا يعقل . ونقول لهم أيضا : أيّما كان أصلح للجميع لا سيما لأهل النار خاصة أن يخلقنا[٣٨٦] الله تعالى كلنا فى الجنة كما فعل بالملائكة وحور العين أم ما فعل بنا من خلقنا فى الدنيا والتعريض للبلاء فيها وللخلود فى الناس .

قال أبو محمد : ولجوا[٣٨٧] عند هذه فقال بعضهم لم يخلق الجنة بعد . فقلنا لهم هبْكم أن الأمر كما قلتم فإنما كان أصلح للجميع أن يجعل الله عز وجل خلقها ثم يخلقنا فيها أو يؤخر خلقنا حتى يخلقها ثم يجعلنا[٣٨٨] فيها أم خلقه لنا حيث خلقنا ؟ فإن عجزوا ربهم جعلوه ذا طبيعة متناهى القدرة ومشبها لخلقه وأبطلوا إلاهيته وجعلوه[٣٨٩] مخيرا ضعيفا وهذا كفر مجرد ، وبقى[٣٩٠] السؤال أيضا مع ذلك بحسبه فى أن يجعلنا كالملائكة وأن يجعلنا كلنا أنبياء كما فعل بعيسى ويحيى عليهما السلام وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

وقال بعضهم ليس جهلنا بوجه المصلحة فى ذلك ممّا يخرج هذا الأمر عن الحكمة فقلنا لهم فاقنعوا بمثل هذا بعينه فمن قال لكم ليس جهلنا بوجه المصلحة والحكمة فى خلق الله تعالى لأفعال عباده وفى تكليفه الكافر والفاسق ما لا يطيق ثم تعذيبهما على ذلك مما يخرجه عن الحكمة وهذا لا مخلص لهم منه .

قال أبو محمد : وأما نحن فلا نرضى بهذا بل ما جهلنا ذلك لكن نقطع على أن كل ما فعله الله تعالى فهو عين الحكمة والعدل وأن من أراد إجراء أفعاله تعالى على الحكمة المعهودة بيننا والعدل المعهود بيننا فقد ألحد[٣٩١] وأخطأ وضلَّ وشبَّه الله عز وجل بخلقه لأن الحكمة والعدل بيننا إنما هى طاعة الله عز وجل فقط ولا حكمة ولا عدل غير ذلك إلا ما أمرنا به أى شىء كان فقط وأما الله تعالى فلا طاعة لأحد عليه فبطل أن تكون أفعاله جارية على أحكام العبيد المأمورين المربوبين المسئولين عما يفعلون لكن أفعاله تعالى جارية على العزة والقدرة والجبروت والكبرياء والتسليم له

= أسقف نجران ، ويقال : إنه أول عربى خطب متوكئا على سيف أو عصا ، وأول من قال فى كلامه : أمّا بعد ، وكان يفد على قيصر الروم زائرا فيكرمه ويعظمه ، طالت حياته وأدركه النبى قبل النبوة ، ورآه فى عكاظ ، وسئل عنه بعد ذلك فقال : سيحشر أمة وحده ، توفى عام ٣٣ قبل الهجرة (الأعلام) .

(٣٨٦) فى الأصول التى رجعنا إليها : (يخترعنا) .
(٣٨٧) فى (أ) : (فلحوا) بالحاء .
(٣٨٨) فى (أ) : (يخلقنا منها) .
(٣٨٩) فى (أ) : (محيزا) .
(٣٩٠) فى (أ) : (ونفى) .
(٣٩١) فى (أ) : (ألحدوا حظا) وهو تحريف .

وألا يُسأل عما يفعل ولا مزيد كما قال تعالى ، وقد خاب من خالف ما قاله الله عز وجل ومع هذا كله فلم يتخلَّصوا من رجوع وجوب التجوير والعبث على أصولهم على ربهم تعالى عن ذلك .

وقال متكلموهم لو خلقنا فى الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا فى ذلك وكنا أيضًا نكون غير مستحقين لذلك النعيم بعمل عملناه وإدخالنا الجنة بعد استحقاقنا لها أتم فى النعمة وأبلغ فى اللذه . وأيضا فلو خلقنا فى الجنة لم يكن بدٌّ من التوعد على ما حظر علينا وليست الجنة دار توعد وأيضًا فإن الله تعالى قد علم أن بعضهم كان يكفر فيجب عليه الخروج من الجنة .

قال الإمام أبو محمد رضى الله عنه : هذا كل ما قدروا عليه من السخف وهذا كله عائد عليهم بحول الله تعالى وقوته وعونه لنا فنقول وبالله تعالى التوفيق . وأما قولهم [لو خلقنا فى الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا فى ذلك فإننا نقول : وبالله تعالى نتأيد] أكان الله تعالى قادرًا على أن يخلقنا فيها ويخلق فينا قوة وطبيعة نعلم بها قدر النعمة علينا فى ذلك أكثر من علمنا بذلك بعد دخولنا فيها يوم القيامة أو يعلمنا ذلك أم كان غير قادر على ذلك ..؟

فإن قالوا : كان غير قادر على ذلك عجَّزوا ربهم تعالى وجعلوا قوته متناهية يقدر على أمر ما[٣٩٢] ولا يقدر على غيره وهذا لا يكون إلا لعرض داخل أو لبنيه متناهية القوة وهذا كفر مجرد .

وإن قالوا : كان الله قادرًا على ذلك أقروا بأنه عز وجل لم يفعل بهم أصلح ما عنده وأن عنده أصلح ممَّا فعل بهم .

وأيضا فإن كانوا أرادوا بذلك أن اللّذة التى تَعْقُب البلاء والتعب أشد سرورًا وأبلغ ، لزمهم أن يبطلوا نعم الجنة جملة لأنه ليس نعيمها ألبتة مشوبًا بألم ولا بتعب وكل ألم بعد العهد به فإنه ينسى كما قال القائل .

كأَنَّ الفتى لم يَغْرُ يَوْمًا إذا اكْتَسَ وَلَم يَفْتَقِرْ يَوْمًا إذا مَا تَمَوَّلا

فلزم على هذا الأصل أن يحدد الله عز وجل لأهل الجنة آلاما فيها ليتجدد لهم بذلك وجود اللذة وهذا خروج عن الإسلام ويلزمهم أيضًا أن يدخل النبيين والصالحين النار ثم يخرجهم منها إلى الجنة فَتُضَاعف لهم اللذة والسرور أضعافا بذلك .

ويقال أيضًا كما نكون[٣٩٣] كالملائكة وحور العين ، فإن كانوا عالمين مقدار ما هم فيه من

(٣٩٢) فى (أ) : (أمرنا) .
(٣٩٣) فى (أ) : (كنّا) .

نعيم ولذة فكنا نحن كذلك وإن كانوا غير عالمين بمقدار ما هم فيه من اللذة والنعيم فهلّا أعطاهم هذه المصلحة ولأى شيء منعهم[٣٩٤] من الفضيلة التى أعطاها لنا وهم أهل طاعته التى لم تشب بمعصية ..؟

فإن قالوا : إن الملائكة وحور العين قد شاهدوا عذاب الكفار فى النار فقام لهم مقام الترهيب .

قلنا لهم : وهل المحاباة والجور الا أن يعُرَّض قومٌ للمعاطب ويبقيهم حتى يكفروا فيخلدوا فى النار ليوعظ بهم قوم أخرون خلقوا فى الجنة والرفاهية سرمدا أبدًا لابد ..؟ وهل عين الظلم إلا هذا فيما بيننا على أصول المعتزلة ؟ وكمن يقول من الطغاة قتل الثلث فى صلاح الثلثين صلاح وهل فى الشاهد عبث وسفه أعظم من عبث من يقول لآخر : هات أضربك بالسياط وأرديك[٣٩٥] من جبل وأصفع فى قفاك وأنتف سِبَالك[٣٩٦] وأمشى بك فى طريق ذات شوك دون راحة فى ذلك ولا منفعة لكن لأعطيك بعد ذلك ملكا عظيما..؟ ولعلك فى خلال ضرْبى[٣٩٧] إياك أن تتقزز فتقع فى بئر منتنه لا تخرج منها أبدا . فأى مصلحة عند ذوى عقل فى هذه الحال لاسيما وهو قادر على أن يعطيه ذلك الملك دون أن يعرضه لشىْء من هذا البلاء فهذه صفة الله عز وجل عند المعتزلة لا يستحيون[٣٩٨] من أن يصفوا أنفسهم بأن يصفوا الله تعالى بالعدل والحكمة .

قال أبو محمد : وأما نحن فنقول لو أن الله تعالى أخبرنا أنه يفعل هذا كله بعينه ما أنكرناه ولعلمنا أنه منه تعالى حق وعدل وحكمة .

قال أبو محمد : ومن العجب أن يكون الله تعالى يخلقنا يوم القيامة خلقا لا نجوع فيه أبدًا ولا نعطش ولا نبول ولا نمرض ولا نموت وينزع ما فى صدورنا من غلٍّ ثم لا يقدر على أن يخلقنا فيها ولا على أن يخلقنا خلقًا نلتذ معه بابتدائنا فيها كالتذاذنا بدخولها بعد طول النكد فهل يفرق بين شيء من هذا إلا من لا عقل له أو مستخف بالبارى تعالى وبالدين .

وأما قولهم : لو خلقنا الله تعالى فى الجنة لكنا غير مستحقين لذلك النعيم ، فإنا نقول لهم أخبرونا عن الأعمال التى استحققتم بها الجنة عند أنفسكم أفبضرورة العقل علمتم أن من عملها

---

(٣٩٤) فى (أ) : (هذه) .

(٣٩٥) فى (أ) : (وأردك) .

(٣٩٦) سِبَالك : السبَّال جمع سَبَلَه : وهى ما على الشارب من الشعر أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها (المحيط) .

(٣٩٧) فى (خ) : (ضرِّى) .

(٣٩٨) فى (أ) : (لا يستحقون) .

فقد استحق الجنة دينا واجبا على ربه تعالى أم لم تعلموا ذلك ؟ ولا وجب ذلك إلا حتى أعلمنا الله عز وجل أنه يفعل[٣٩٩] وجعل الجنة جزاء على هذه الأعمال ... ؟

فإن قالوا : بالعقل عرفنا استحقاق الجنة على هذه الأعمال كابروا وكذبوا على العقل وكفروا لأنهم بهذا القول يوجبون الاستغناء عن الرسل عليهم الصلاة والسلام . ولزمهم أن الله تعالى لم يجعل الجنة جزاء على هذه الأعمال لكن وجب ذلك عليه حتمًا لا باختياره ولا بأنه لو شاء غير ذلك لكان له ، وهذا كفر مجرد . وأيضا فإن شريعة موسى عليه السلام فى السبت وتحريم الشحوم وغير ذلك فقد كانت[٤٠٠] الجنة جزاء على العمل بها ، ثم صارت الآن جهنم جزاء على العمل بها فهل هاهنا إلا أن الله تعالى أراد ذلك فقط ؟ ولو لم يرد ذلك لم يجب من ذلك شئ فإن قالوا : بل ما علمنا استحقاق الجنة بذلك إلا بخبر الله تعالى أنه حكم بذلك فقط .

قيل لهم : فقد كان الله تعالى قادرًا على أن يخبرنا أنه جعل الجنة حقا لنا ويخترعنا فيها كما فعل بالملائكة وحور العين . وأيضا فقد كذبوا فى دعواهم استحقاق الجنة بأعمالهم فإن رسول الله ﷺ قال : « ما من أَحَدٍ يُنْجيه عَمَلُه أو يَدْخِلُه الجنَّة عمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمه منه[٤٠١] » . أو كلاما هذا معناه وأيضا فبضرورة العقل ندرى أن ما زاد على المماثلة فى الجزاء فيما بيننا فإنه تفضل مجرد فى الإحسان وجور فى الإساءة هذا حكم المعهود فى العقل فعلى أصول المعتزلة يلزمهم أن بقاء أحدنا فى الجنة أو فى النار[٤٠٢] مثل زمن إحسانه أو إساءته جزاء على ما سلف منه فضل مجرد وعقاب زائِد على مقدار الجرم وقد فعله الله عز وجل بلا شك وهو عدل منه وحكمة وحق .

قال أبو محمد : وأمَّا قولهم إنَّ دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل أعلى درجة وأسني رتبة من دخولها بالتفضل المجرد فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق : هذا خطأ محض لأننا قد علمنا أنَّ هذا الحكم إنما يقع من[٤٠٣] الأكفاء والمتماثلين وأما الله تعالى فليس له كفواً أحد ، ومن كان عبد لآخر فإن إقبال السيّد عليه بالتفضل عليه المجرد والاختصاص والمحاباة أسنى له وأعلى وأشرف لرتبته وأرفع لدرجته من أن لا يعطيه شيئا إلا بمقدار ما استحقه[٤٠٤] لخدمته وتسخيره إياه وهذا ما لا ينكره

---

(٣٩٩) فى (خ) : (تفضل) .

(٤٠٠) فى (أ) : (فقد كان) .

(٤٠١) فى (أ) : (أكثر من مثل) .

(٤٠٢) الحديث : رواه البخارى فى الرقاق ١٨ ، ومسلم فى المنافقين ٧١ ، والدارمى فى الرقاق ٢٤ ، وأحمد بن حنبل حـ ٢ ، ٤٥١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٥ ، ٥٠٣ ، ولفظ الحديث عند مسلم : لن ينجى أحدًا منكم عمله . قال رجل : ولا إياك يا رسول الله قال : ولا إياى إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة ، ولكن سددوا .

(٤٠٣) فى (أ) : (بين) .

(٤٠٤) فى (أ) : (ما يستحقه) .

إلا معاند فكيف وليس لأحد على الله حق مبتدأ[٤٠٥] وكل ما وهبه الله تعالى لأحد من[٤٠٦] أنبيائه وملائكته عليهم السلام وكل ما أخبر تعالى أنه أوجبه وكتبه على نفسه وجعله حقا لعباده فكل ذلك تفضل مجرد من الله عز وجل واختصاص مبتدأ لو لم ينعم به عز وجل لم يجب عليه شيء منه لا يقول غير هذا إلامدخول الدين فاسد العقل .

قال أبو محمد : وهم يقولون[٤٠٧] إن الملائكة أفضل من الأنبياء عليهم جميعهم السلام وصدقوا فى هذا ثم نقضوا هذا الأصل بأصلهم هذا السخيف من قولهم إن من دخل الجنة بعد التعريض للبلاء فهو أفضل من ابتداء النعمة والقرب[٤٠٨] فنحن على قولهم أفضل من الملائكة على جميعهم السلام .

وقد قالوا : إن الملائكة أفضل من الأنبياء فعلى هذا التقرير يجب أن نكون أفضل من الملائكة وأفضل من النبيين بدرجتين وهذا كفر مجرد وتناقض ظاهر .

وأما قولهم إننا لو خلقنا فى الجنة لم يكن بد من التوعد والتحذير[٤٠٩].

فإنا نقول لهم : وبالله تعالى التوفيق : حتى لو كان ما يقولون لما منع من ذلك أن يخلقوا فى الجنة ثم يطلعوا منها فيروا النار ويعاينوا وحشتها وهولها وفيحها[٤١٠] ونفار النفوس عنها كالذى يعرض لنا عند الاطلاع على النيران[٤١١] العميقة المظلمة وإن كنا قط لم نقع فيها ولا شاهدنا من وقع فيها بل ذلك كان يكون أبلغ فى التحذير من وصفها دون رؤية لكن كما فعل بالملائكة وحور العين وكون[٤١٢] ذلك أدعى لهم إلى الشكر والجهد[٤١٣] والاغتباط بمكانهم وإجتناب ما نهوا عنه خوف مفارقة ما قد حصلوا عليه .

ثم نقول لهم أيضا : قولوا هذا فيهم بعد دخولهم الجنة : أمباح لهم الكفر والشتم والضرب فيما بينهم أم محظور عليهم ؟ لزمهم بهذا[٤١٤] التوعد والتحذير هنالك قلنا نكون لو اخترعنا فيها على الحال التى تكون فيها يوم القيامة .

---

(٤٠٥) فى (أ) : (وحينئذ) .
(٤٠٦) فى (أ) : (بين) .
(٤٠٧) فى (أ) : (يقرون) .
(٤٠٨) فى (أ) : (والتقريب) .
(٤٠٩) فى (أ) : (والتحذر) .
(٤١٠) فى (أ) : (وقبحها) .
(٤١١) فى (أ) : (والغيران) .
(٤١٢) فى (أ) : (فيكون) .
(٤١٣) فى (أ) : (والحمد) .
(٤١٤) فى (أ) : (تمادى) .

ولا فرق وكان يكون أصلح لجميعنا بلا شك .

فإن قالوا : قد سبقت الطاعة فى الدنيا .

قيل لهم : وكذلك كانت تسبق منهم فى الجنة كالملائكة سواء بسواء . وهم لا يقولون إن المعاصى ، والتضارب ، والتلاطم ، والتراكض ، والتشاتم ، مباح لهم فى الجنة ، ولا يقول هذا أحد ، فيحتاج إلى كسر هذا القول ، فإن لجئوا إلى قول أبى الهذيل : إن أهل الجنة مضطرون لا مختارون ، قيل لهم : وكنا نكون فيها كذلك أيضا ، كما نكون يوم القيامة فيها ، فهذا كان أصلح للجميع بلا شك ، وهذا ما لا انفكاك لهم منه .

* * *

قال أبو محمد : وأما قلوبهم إن الله علم أن بعضهم يكفر ولابد ، فيجب عليه الخروج من الجنة .

قلنا لهم : أيقدر الله على خلاف ما علم أم لا ؟

فإن قالوا : نعم يقدر ولكن لا يفعل ، أقرُّوا أنه فعله[٤١٥] من ترك ابتدائنا فى الجنة إمضاء لما سبق فى علمه غير ما كان أصلح لنا بلا شك ، ورجعوا إلى الحق الذى هو قولنا أنه تعالى فعل ما سبق فى علمه من تكليف ما لا يُطاق ، ومن خلقه تعالى الكفر ، والظلم ، وإنعامه على من يشاء[٤١٦] وحده لا شريك له ، وتركوا قولهم فى الأصلح .

وإن قالوا : لا يقدر على غير ما علم أنه[٤١٧] يفعله ، جعلوه مجبرًا[٤١٨] مضطرًا عاجزًا متناهى القوة ، ضعيف القدرة ، محدثًا فى أسوأ حالة منهم ، وهذا كفر وخلاف للقرآن ولإجماع المسلمين ، نعوذ بالله من الخذلان .

* * *

قال أبو محمد : ونسألهم أىّ مصلحة للحشرات ، والكلاب ، والبق ، والدود ، فى خلقها حشرات ، ولم يخلقها ناساً مكلفين معرضين لدخول الجنة ؟

فإن قالوا : لو جعلها ناسًا لكفروا .

---

(٤١٥) فى (أ) : (فعل) .
(٤١٦) فى (أ) : (شاء) .
(٤١٧) فى (أ) : (أن يفعله) .
(٤١٨) فى (أ) : (مخيّرا) .

قيل لهم : فقد جعل الكفار ناسًا فكفروا ، فهلّا نظر لهم كما نظر للدود والحشرات فجعلهم حشرات لئلا يكفروا ؟ فكان أصلح لهم[٤١٩] على قولكم ، وهذا ما لا مخلص منه .

* * *

قال أبو محمد : ونسألهم فنقول لهم : إذا قلتم إن الله – تعالى – لا يقدر على لطف لو أتى به الكفار لآمنوا إيمانا يستحقون معه الجنة ، لكنه قادر على أن لا يضطرهم إلى الإيمان !

أخبرونا عن إيمانكم الذى تستحقون به الثواب ، هل يشوبه عندكم شك ؟ أم يمكن بوجه من الوجوه أن يكون عندكم باطلا ؟

فإن قالوا : نعم يشوبه شك : ويمكن[٤٢٠] أن يكون باطلا .

أقرّوا على أنفسهم بالكفر وكفونا مئونتهم .

وإن قالوا : لا يشوبه شك ، ولا يمكن ألبتة أن يكون باطلا .

قلنا لهم : هذا هو الاضطرار بعينه ، ليست الضرورة فى العلم شيئًا غير هذا ، إنما هو معرفة لا يشوبها شك ، ولا يمكن[٤٢١] اختلاف ما عرف بها ، فهذا هو علم الضرورة نفسه ، وما عدا هذا فهو ظن وشك .

فإن قالوا : إن الاضطرار : ما علم[٤٢٢] بالحواس أو بأول العقل ، وما عداه فهو ما عرف بالاستدلال .

قلنا : هذه دعوى فاسدة لأنها بلا برهان ، وما كان هكذا فهو باطل وتقسيمنا هو الحق الذى يعرف ضرورة وبالله – تعالى – التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ونسألهم أيما كان أصلح للعالم أن يكون بريًّا من السباع والأفاعى والدوابّ العادية ، أو أن يكون فيه كما هى مسلطة على الناس ، وعلى سائر الحيوان وعلى الأطفال ؟

فإن قالوا : خلق الله الأفاعى والسباع كخلق الحصى[٤٢٣] والحرث ، مزجرة للكفار .

(٤١٩) فى (أ) : سقطت (لهم) .
(٤٢٠) فى (خ) : (ولا يمكن) .
(٤٢١) فى (أ) : (لا يمكن) .
(٤٢٢) فى (خ) : (وما) .
(٤٢٣) فى (أ) : (الحفر) .

قال أبو محمد : وهذا من ظريف الجنون ، ولقد ضل بخلقتها جموع من المخذولين ممن جرى مجرى المعتزلة فى أن يتعقبوا على الله – عز وجل – فعله كالمنانية[٤٢٤] والمجوس[٤٢٥] الذين جعلوا إلهاً خالقًا غير الحكيم العدل .

ثم نقول للمعتزلة : إن كان كما تقولون مصلحة فكان الاستكثار من المصلحة أصلح وأبلغ فى الزجر والتخويف ، فكلّ[٤٢٦] هذه الدعاوى منهم حماقات ومكابرات بلا برهان ، ليست أجوبتهم فيها بأصح من أجوبة المنّانية ، والمجوس ، وأصحاب التناسخ ، بل كلها جارية فى ميدان واحد من أنها كلها دعوى فاسدة بلا برهان ، بل البرهان ينقضها وكلها راجعة إلى أصل واحد ، وهو تعليل أفعال الله – عز وجل – التى لا علة لها أصلا والحكم عليه بمثل الحكم على خلقه فيما يحسن منه ويقبح ، تعالى الله عن ذلك .

* * *

قال أبو محمد : ويقال لأصحاب الأصلح خاصة : ما معنى دعائكم فى العصمة وأنتم تقولون إن الله – تعالى – قد عصم الكفار كما عصم المؤمنين ، فلم يعتصموا وما معنى دعائكم فى الإعادة من الخذلان ، وفى الرغبة فى التوفيق ، وأنتم تقولون إنه ليس عنده أفضل مما قد أعطاكموه ، ولا فى قدرته زيادة على ما قد فعله بكم ؟

وأىّ معنى لدعائكم فى التوبة وأنتم تقطعون على أنه لا يقدر على أن يعينكم فى ذلك بمقدار شعرة زائدة على ما قد أعطاكموه ؟

فهل دعاؤكم فى ذلك إلّا ضلال ، وهزل ، وهزء كمن دعا إلى الله أن يجعله من بنى آدم ، أو أن يجعل النبى نبيًا ، والحجر حجرًا .

وهل بين الأمرين فرق ؟

فإن قالوا : إن الدعاء عمل أمرنا الله – تعالى – به .

قيل[٤٢٧] لهم : إن أوامره – تعالى – من جملة أفعاله بلا شك ، وأفعاله عندكم تجرى على

---

(٤٢٤) المنانية : هم أصحاب مانى بن فاتك الذى ظهر فى زمن شابور بن أزدشير ، وقتله بهرام بن حرمز . أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين : هما النور والظلمة ... (الملل والنحل : ٧٢/٢ ، ٧٣ بتصرف) .

(٤٢٥) المجوس : هم عبدة النيران القائلون بأن للعالم أصلين : نور وظلمة . قال قتادة : الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمان . وقيل المجوس فى الأصل : النجوس . لتدينهم باستعمال النجاسات ، والميم والنون يتعاقبان . وهم أقدم الطوائف ، وأصلهم من بلاد فارس ، وقد نبغوا فى علم النجوم (تفسير القرطبى : ٢٣/١٢) . بتصرف .

(٤٢٦) فى (أ) : (وكل) .

(٤٢٧) فى الأصل (فقيل) .

ما يحسن فى العقل ، ويقبح فيه فى المعهود وفيما بيننا وعلى الحكمة عندكم وقد علمنا أنه لا يحسن فى الشاهد بوجه من الوجوه أن يأمر أحدًا يرغب إليه فيما ليس بيده ، ولا فيما قد أعطاه إياه ، وكلا هذين الوجهين عبث وسفه ، وهم مقرون بأجمعهم أن الله – تعالى – حكم بهذا ، وفعله وهو أمره لهم بالدعاء إليه أما فيما لا يوصف عندهم بالقدرة عليه وأما فيما قد أعطاهم إياه ، وهو عندهم عدل وحكمة ، فنقضوا أصلهم الفاسد بلا شك . وأمّا نحن فإننا نقول : إن الدعاء عمل أمرنا الله – عزَّ وجل – به فيما نقدر عليه ثم إن شاء أعطانا ما سألناه وإن شاء منعنا إياه لا معقب لحكمة ولا يسأل عما يفعل .

* * *

قال أبو محمد : وإن فى ابتداء كتاب الله – عز وجل – المنزل إلينا بقوله – تعالى – آمرًا لنا أن نقوله راضيًا منّا أن نقوله « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » .

ثم ختم – تعالى – كتابه آمرًا لنا أن نقوله راضيًا بقوله : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِى يُوَسْوِسُ فى صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ[٤٢٨]» .

لأَبْيَنُ بَيَانٍ فى تكذيب القائلين بأنه ليس عند الله – تعالى – أصلح مما فعل وأنه غير قادر على كف وسوسة الشيطان ، ولا على هدى الكفار هدى يستحقون به الثواب كما وعد المهتدين ، لأنه – عزَّ وجل – نصَّ على أنه هو المطلوب منه العون لنا والهدى إلى صراط من خصَّه بالنعمة عليه ، لا إلى صراط من غضب عليه – تعالى – وضلَّ فلولا أنه – تعالى – قادر على الهدى المذكور ، وأن عنده عونًا على ذلك لا يؤتيه إلا من شاء دون من لم يشأ ، وأنه – تعالى – أنعم على قوم بالهدى ولم ينعم به على آخرين لما أمرنا أن نسأله من ذلك ما ليس يقدر عليه أو ما قد أعطاه إياه ونص – تعالى – على أنه قادر على صرف وسوسة الشيطان فلولا أنه – تعالى – يصرفها عمن يشاء لما أمرنا – عز وجل – أن نستعيذ مما لا يقدر على الإعاذة منه ، أو مِمَّا قد أعاذنا بعد منه .

قال أبو محمد : ولا مخلص لهم من هذا أصلا ثم نسألهم أىُّ مصلحة للعصاة فى أن جعل

---

(٤٢٨) سورة الناس كاملة آيات من ١ ، ٦

بعض حركاتهم وسكونهم كبائر يستحقون عليها النار ، وجعل بعض حركاتهم وسكونهم صغائر مغفورة ، ولقد كان أصلح أن يجعلها كلها صغائر مغفورة ؟

فإن قالوا : هذا أزجر عن المعاصى وأصلح .

قيل لهم : فهلّا إذ هو كما تقولون جعلها جميعها كبائر زاجرة ، فهو أبلغ فى الزجر .

قال أبو محمد : وقد نص الله – تعالى – فى القرآن فى[٤٢٩] آيات كثيرة لا تحتمل تأويلًا بتكذيب المعجِّزين لربهم – تعالى – وليس يمكنهم وجود آية ولا سنة يتعلقون بها أصلًا ، فمنها قوله – تعالى – : « إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ[٤٣٠]» .

أفلم يكن عنه أصلح من فتنة يُضل بها بعض خلقه حاش الله من هذا الكفر والتعجيز .

وقال – تعالى – حاكيا عن الذين أثنى عليهم من مؤمنى الجن ، أنهم قالوا : « وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ ربهم رَشَدًا[٤٣١]» .

* * *

قال أبو محمد : وصدقهم الله – عز وجل – فى ذلك إذ لو أنكره لما أورده مثنيا عليهم عن ذلك ، وهذا فى غاية البيان ، الذى قد هلك من خالفه ، وبطل به قول الضُّلَّال الملحدين القائلين : إن الله – تعالى – أراد رشد فرعون وإبليس ، وأنه ليس عنده أصلح ، مما فعل بهما[٤٣٢] ولا يقدر لهما على هدى أصلا .

وقال – تعالى – : « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْأنْسِ[٤٣٣]» .

فليت شعرى أىّ مصلحة لهم فى أن يذرأهم لجهنم ؟ نعوذ بالله من هذه المصلحة . وقال – تعالى – : « وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَه[٤٣٤]» .

فصح أنه – تعالى – هو الذى يقى السيئات ، وأن الذى رحمه هو الذى وقاه السيئات ، لأنَّ من لم يقه السيئات فلم يرحمه ، وبلا شك أن من وقاه السيئات فقد فعل به أصلح مما فعل بمن

---

(٤٢٩) سقطت (فى) فى الأصل .
(٤٣٠) الأعراف : ١٥٥
(٤٣١) الجن : ١٠
(٤٣٢) فى (أ) : سقط قوله (مما فعل بهما) .
(٤٣٣) الأعراف : ١٧٩
(٤٣٤) غافر : ٩

لم يقه إياها ، هذا مع قوله - تعالى - « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا[٤٣٥] » « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جميعًا[٤٣٦] » .

ولا يشك من لدماغه أقل سلامة ، أو فى وجهه من برد الحياء شىء ، فى أن هذا كان أصلح بالكفار من إدخالهم النار ، بأن لا يؤتيهم ذلك الهدى ، وإن كانوا كما يقولون : من دخولهم الجنة بغير استحقاق .

وقال - تعالى - : « وَحَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْأَيمانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُم الْكُفْرَ والْفُسُوقَ والْعِصْيانَ أولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فِضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمةً واللهُ عَلَيمٌ حَكِيمٌ[٤٣٧] » .

فليت شعرى أين فعله - تعالى - بهؤلاء ؟

- نسأل الله أن يجعلنا منهم - من فعله بالذين قال فيهم : « إِنَّهُ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ سوء أَعْمَالِهِمْ وَجَعَلَ صُدورَهُم ضيقة حرجة » .

إن من ساوى بين الأمرين وقال : إن الله - تعالى - لم يعط هؤلاء إلا ما أعطى هؤلاء ، ولا أعطى من الهدى والاختصاص محمدًا وإبراهيم وموسى وعيسى ويحيى والملائكة - عليهم السلام - إلّا ما أعطى إبليس وفروعون وأبا جهل وأبا لهب والذى حاجّ إبراهيم فى ربّه واليهود والنصارى والمجوس والثقلين[٤٣٨] والشرط والبغاثيين ، والعواهر ، « وثَمودَ الَّذينَ جَابُوا الصَّخْرَ بالْوَادِ ، وَفِرْعَوْنَ ذى الْأَوْتَادِ الذين طَغَوْا فى البِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيها الفَسَادَ[٤٣٩] » ، بل سوّى فى التوفيق بين جميعهم ، ولم يقدر لهم على مزيد من الصلاح ، لقليل الحياء عديم الدين ، وما جوابه إلا قوله - تعالى - : « إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ[٤٤٠] » وقال - عز وجل - : « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِين وَمُنْذِرين[٤٤١] » .

* * *

قال أبو محمد : فأيما كان أصلح للكفار المخلدين فى النار أن يكونوا مع المؤمنين أمة واحدة ، لا عذاب عليهم ، أم بعثه الرسل إليهم وهو - عز وجل يدرى أنهم لا يؤمنون فيكون ذلك سببًا إلى تخليدهم فى جهنم .

(٤٣٥) السجدة : ١٣
(٤٣٦) يونس : ٩٩
(٤٣٧) الحجرات : ٧
(٤٣٨) فى (أ) : والمتقيلين . وفى (خ) : (المثقلين) .
(٤٣٩) الفجر : ٩ - ١٢
(٤٤٠) الفجر : ١٤
(٤٤١) البقرة : ٢١٣

وقال تعالى : « وَأُمْلِى لَهُمْ انْ كَيْدِى مَتين[٤٤٢]» .

وقال – تعالى – : « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّما نملى لَهُم خَيْرٌ لأَنْفِسِهِمْ إنَّما غلى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهين[٤٤٣]» .

وقال تعالى : « أَيحْسَبون أنَّما نُمِدُّهم به مِنْ مالٍ وبنين ، نُسارِعُ لهم فَى الخيرانِ بل لا يَشْعُرون[٤٤٤]» .

وقال – تعالى – : « سَنَسْتَدْرِجهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُون[٤٤٥]» .

قال أبو محمد : وهذا غاية البيان فى أن الله – عز وجل – أراد بهم ، وفعل بهم ما فيه فساد أديانهم وهلاكهم ، الذى هو ضد الصلاح ، وإلَّا فأىّ مصلحة لهم فى أن يستدرجوا إلى الهلاك[٤٤٦] من حيث لا يعلمون ، وفى الإملاء لهم ليزدادوا إثمًا ، ونص – تعالى – أن كل ذلك الذى فعله ليس مسارعه لهم فى الخير فبطل قول هؤلاء الهلكى جملة – والحمد لله رب العالمين –

وقال – تعالى – : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسقُوا فِيهَا فحقَّ عَلَيْها الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا[٤٤٧]» .

فهل بعد هذا بيان فى أن الله عز وجل – أراد هلاكهم ودمارهم ولم يرد صلاحهم فأمر مترفيها بأوامر خالفوها ففسقوا فدمروا تدميرا ؟

فأيما كان أصلح لهم أن لا يؤمروا فيسلموا ، أو[٤٤٨] أن يؤمروا وهو – تعالى – يدرى أنهم لا يأتمرون ، فيدخلون النار ؟

فإن قالوا : فاحملوا قوله – تعالى – : « أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا » على ظاهره ، قلنا : نعم هكذا نقول ولم يقل – تعالى – : إنه أمرهم بالفسق وإنما قال – تعالى – : « أمرناهم » . فقط ، وقد نص – تعالى ، – على أنه لا يأمر بالفحشاء فصح قولنا أيضًا وقال – عز وجل – : « وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ[٤٤٩]» . فنص – تعالى – على أن أصحاب النبى – ﷺ – لو تولّوا لأبدل قومًا غيرهم ، لا يكونون أمثالهم .

---

(٤٤٢) الأعراف : ١٨٣

(٤٤٣) آل عمران : ١٧٨ وقد وردت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث قال (خيرًا) بالنصب .

(٤٤٤) المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦

(٤٤٥) الأعراف : ١٨٢ ، القلم : ٤٤

(٤٤٦) فى (أ) : (البلاد) .

(٤٤٧) الإسراء : ١٦

(٤٤٨) فى (أ) : (وأن) .

(٤٤٩) سورة محمد : ٣٨

وبالضرورة نعلم أنه – عز وجل – إنما أراد خيرًا منهم ، فقد صح أنه – عز وجل – قادر على أن يخلق أصلح منهم .

وقال – تعالى – : « إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُم[٤٥٠]» .

وفى هذا كفاية .

وقال – تعالى – : « عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ[٤٥١]» فهل فى البيان – فى أن الله – تعالى – قادر على أن يفعل أصلح مما فعل ، وأن عنده – تعالى – أصلح مما أعطى خلقه – أبين أو أوضح أو أصح من إخباره – تعالى – أنه قادر على أن يبدل نبيه – ﷺ – الذى هو أحب الناس إليه – خيرًا من الأزواج اللّواتى أعطاه – واللواتى هن خير الناس بعد الأنبياء – عليهم السلام – ؟

قال أبو محمد : فبطل قول البقر الشاذة أصحاب الأصلح فى أنه تعالى لا يقدر على أصلح مما فعل .

قال أبو محمد : نسأل الله العافية مما ابتلاهم به ، ونسأله الهدى ، الذى حرمهم إياه ، وكان قادرًا على أن يتفضل عليهم به ، فلم يرد ، وما توفيقنا إلا بالله – عز وجل – وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

قال أبو محمد : كلُّ من منع قدرة الله – عز وجل – عن شىء مما ذكرنا فلا شكَّ فى كفره ، لأنه عجزَّ ربه – تعالى – وخالف جميع أهل الإسلام .

قال أبو محمد : وقالوا : إذا كان عنده أصلح مما فعل بنا ولم يؤتنا إياه وليس بخيلا وخلق أفعال عباده وعذَّبهم عليها ولم يكن ظالما فلا تنكروا على من قال إنه جسم ، ولا يشبه خلقه وأنه يقول غير الحق ولا يكون كاذبًا .

قال أبو محمد : فجوابنا – وبالله تعالى التوفيق – أنه – تعالى – لم يقل إنه جسم ولو قاله لقلناه ولم يكن ذلك تشبيها له بخلقه ، ولم يقل – تعالى – إنه[٤٥٢] يقول غير الحق ، بل قد أبطل ذلك وقطع بأن قوله الحق ، فمن قال على الله ما لم يقله فهو ملحد كاذب على الله – عز وجل –

---

(٤٥٠) المعارج : ٤٠ ، ٤١
(٤٥١) التحريم : ٥
(٤٥٢) فى (أ) : (أن) .

وقد قال – تعالى – إنه خلق كل شيء وخَلَقَنا وما نعمل ، وأنه لو شاء لهدى كل كافر ، وأنه غير ظالم ولا بخيل ولا ممسك ، فقلنا ما قال من كل ذلك ، ولم نقل ما لم يقل ، وقلنا ما قام به البرهان العقلى ، من أنه – تعالى – خالق كلِّ موجود دونه ، وأنه – تعالى – قادر على كل ما يسأل عنه وأنه لا يوصف بشيء من صفات العباد ، لا ظلم ولا بخل ، ولا غير ذلك ، ولم نقل ما قد قام به البرهان العقلى على أنه باطل من أنه جسم ، أو أنه يقول غير الحق .

وقال بعض أصحاب الأصلح وهو ابن بَدَد(٤٥٣) الغزال تلميذ محمد بن شبيب(٤٥٤) تلميذ النظام : بلى إن عند الله ألطافًا لو أتى بها الكفار لآمنوا إيمانًا يستحقون معه الثواب ، إلا أن الثواب الذى يستحقونه على ما فعل بهم أعظم وأجل ، فلهذا منعهم تلك الألطاف .

قال أبو محمد : وهذا تمويه ضعيف لأننا إنما سألناهم هل يقدر الله تعالى على ألطاف(٤٥٥) إذا أتى بها(٤٥٦) أهل الكفر آمنوا إيمانًا يستحقون به مثل هذا الثواب الذى يؤتيهم على الإيمان اليوم أو أكثر من ذلك الثواب فلابد له من ترك قوله أو تعجيز ربه تعالى .

قال أبو محمد : ونسأل جميع أصحاب الأصلح ، فنقول لهم – وبالله تعالى التوفيق – : أخبرونا عن كل من شاهد براهين الأنبياء – عليهم السلام – ممن(٤٥٧) لم يؤمن به ، وصحت عنده بنقل التواتر ، هل صحَّ ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها أنها شواهد موجبة صدق نبوتهم ، أم لم يصح ذلك عندهم إلا بغالب الظن ، وبصفة إنها مما يمكن أن يكون تخييلًا أو سحرًا أو نقلًا مدخولًا ، ولابد من أحد الوجهين ؟

فإن قالوا : بل صحّ ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها ، وثبت ذلك فى عقولهم بلا شك .

قلنا لهم : هذا هو الاضطرار نفسه الذى لا اضطرار فى العالم غيره ، وهذه صفة كل من ثبت عنده شيء ثباتًا متيقنًا كمن يتيقن بالخبر الموجب للعلم ، موت فلان ، وكون صفين(٤٥٨) والجمل(٤٥٩)، وكسائر ما لم يشاهد المرء بحواسه ، فالكل على هذا مضطرون إلى الإيمان لا مختارون له .

---

(٤٥٣) لم نعثر له على ترجمة على كثرة بحثنا فى كتب التراجم .

(٤٥٤) هو محمد بن عبد الله بن شبيب البصرى ، من تلاميذ النظام ، ومن شيوخ المعتزلة ، ممن جمع بين الإرجاء فى الإيمان ، وبين القول بنفى القدر . وهو من رجال منتصف القرن الثالث الهجرى (الفرق بين الفرق : ٩٦) .

(٤٥٥) فى (خ) : سقط : (على ألطاف) .

(٤٥٦) فى (خ) : لم يذكر (بها) .

(٤٥٧) فى (خ) : (فمن) .

(٤٥٨) راجع ما كتبه الطبرى فى تاريخ الرسل والملوك حـ ٣ .

(٤٥٩) راجع الكامل لابن الأثير حـ ٢ ص ٢١٦ .

وإن قالوا : لم يصح عندهم شىء من ذلك ، هذه الصحة .

قلنا لهم : فما قامت عليهم حجة النبوة قط ، ولا صحت لله – تعالى – عليهم حجة ، ومن كان هكذا فاختياره للإيمان إنما هو استحباب وتقليد واتباع لما مالت إليه نفسه ، وغلب فى ظنه فقط ، وفى هذا بطلان جميع الشرائع ، وسقوط حجة الله – تعالى – ، وهذا كفر مجرد .

« هل لله – تعالى – نعمة على الكفار أم لا ؟ »

قال أبو محمد : اختلف المتكلمون فى هذه المسألة .

فقالت المعتزلة : إن نعم الله – تعالى – على الكفار فى الدين والدنيا كنعمه على المؤمنين ولا فرق .

وهذا قول فاسد قد نقضناه آنفًا – ولله الحمد –

وقالت طائفة أخرى : إن الله – تعالى – لا نعمة له على كافر أصلا ، لا فى دين ولا دنيا .

وقالت طائفة : له – تعالى – عليهم نِعَمٌ فى الدنيا ، فأما فى الدين فلا نعمة له عليهم فيه أصلًا .

قال أبو محمد : قال الله – عز وجل – : « فَإِنْ تَنَازَعْتَمُ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُوْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِر(٤٦٠) » .

قال أبو محمد : فوجدنا الله – عز وجل – يقول : « اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّليْلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنَّهارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَشْكُرُون(٤٦١) » .

وقال – تعالى – : « الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ قَرَارًا والسَّمْاءَ بناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُم اللهُ رَبُّكُمْ(٤٦٢) » .

قال أبو محمد : فهذا عموم بالخطاب بإنعام الله – تعالى – على كل من خلق الله – تعالى وعموم لمن يشكر من الناس ، والكفار من جملة ما خلق الله – تعالى – بلا شك .

---

(٤٦٠) النساء : ٥٩
(٤٦١) غافر : ٦١
(٤٦٢) غافر : ٦٤

وأما أهل الإسلام فكلهم شاكر لله – تعالى – بالإقرار به ، ثم يتفاضلون فى الشكر ، وليس أحد من الخلق يبلغ كلَّ ما عليه من شكر الله – تعالى – فصح أن نعم الله – تعالى – فى الدنيا على الكفار كهى على المؤمنين ، وربما أكثر فى بعضهم ، فى بعض الأوقات قال – تعالى – : « بَدَّلُوا نِعْمَةَ الله كُفْرًا وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرَار[٤٦٣]» .

وهذا نص جَلىٌّ على نعم الله – تعالى – على الكفار ، وأنهم بدّلوها كفرًا فلا يحل لأحد أن يعارض كلام ربه – تعالى – برأيه الفاسد .

وأما نعمةُ الله فى الدّين ، فإن الله – تعالى – أرسل إليهم الرسل هادين لهم إلى ما يرضى الله – تعالى – وهذه نعمةٌ عامَّةٌ بلا شك ، فلما كفروا وجحدوا نعم الله – تعالى – فى ذلك أعقبهم البلاء وزوال النعمة كما قال – عز وجل – : « إنَّ الله لَا يُغَيِّرُ مَابِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم[٤٦٤]» .

– وبالله تعالى نتأيد وهو حسبنا ونعم الوكيل – .

---

(٤٦٣) إبراهيم : ٢٨ ، ٢٩
(٤٦٤) الرّعد : ١١

كتاب الإيمان والكفر والطاعات والمعاصى والوعد والوعيد

قال أبو محمد : إختلف الناس فى ماهية الإيمان .

فذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو : معرفة الله – تعالى – بالقلب فقط وإن أظهر اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته فإذا عرف الله – تعالى – بقلبه فهو مسلم من أهل الجنّة ، وهذا قول أبى محرز[1] الجهم بن صفوان وأبى الحسن[2] الأشعرى البصرى وأصحابهما .

وذهب قوم إلى أن الإيمان هو : إقرار باللسان بالله – تعالى – وإن اعتقد الكفر بقلبه ، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة ، وهذا قول محمد بن كرام[3] السجستانى وأصحابه .

وذهب قوم إلى أن الإيمان هو : المعرفة بالقلب ، والإقرار باللسان معًا فإذا عرف المرء الدين بقلبه ، وأقرّ به[4] بلسانه فهو مسلم كامل الإيمان والإسلام وأن الأعمال لا تسمى إيمانًا ولكنها شرائع الإيمان ، وهذا قول أبى حنيفة[5] النعمان بن ثابت الفقيه وجماعة من الفقهاء .

وذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو : المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح ، وأن كل طاعة وعمل خير فرضًا كان أو نافلة فهى إيمان ، وكلما ازداد الإنسان خيرًا إزداد إيمانه ، وكلما عصى نقص إيمانه ، وقال محمد[6] بن زياد الحريرى الكوفى : من آمن بالله – عز وجل – وكذب برسول الله – ﷺ –

---

(١) هو : جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندى ، المبتدع ، رأس الجهمية قتله نصر بن سيار سنة ١٢٨ هـ . وقد سبق الحديث عنه فى الجزء الثانى ... (لسان الميزان : ١٤٢/٢) .

(٢) هو : على بن إسماعيل أبو الحسن الأشعرى المتكلم البصرى ، صاحب المصنفات ، ناظر شيخه الجبائى وانتهت إليه رياسة الدنيا فى علم الكلام ، وكان إماما مقتدى به . من مؤلفاته : مقالات الإسلاميين ، والإبانة توفى سنة ٣٢٤ هـ . (لسان الميزان : ٣٠٣/٢) .

(٣) هو : من المتكلمين ، وشيخ الكرامية ، وقد ابتدع فى المعبود : أنه جسم لا كالأجسام ، وسجن لبدعته ثمانية أعوام بنيسابور ، ثم أفرج عنه ، فتوجّه إلى الشام ، وعندما عاد مرة أخرى إلى نيسابور حبسه محمد بن عبد الله بن طاهر . توفى سنة ٢٥٥ هـ (لسان الميزان : ٣٥٣/٥) .

(٤) فى (أ) : سقطت (به) .

(٥) هو : الإمام الفقيه الكوفى ، كان عالما عاملا زاهدًا عابدًا كثير الخشوع ، دائم التضرع إلى الله تعالى ، صاحب مدرسة الأحناف ، من تلامذته : القاضى أبو يوسف ، ومحمد بن أبى الحسن الشيبانى ، وزفر ، وتوفى سنة ١٥٠ هـ (ابن خلكان . الجزء الثانى : ٢١٥) .

(٦) محمد بن زياد الحريرى لم نعثر له على ترجمة .

فليس مؤمنًا على الإطلاق ولا كافرًا على الإطلاق ، ولكنه مؤمن كافر معًا ، لأنه آمن بالله – تعالى – فهو مؤمن ، وكافر بالرسول – ﷺ – فهو كافر .

* * *

قال أبو محمد : فحجة الجهمية ، والكرامية ، والأشعرية ، ومن ذهب مذهب أبى حنيفة حجة واحدة وهى أنهم قالوا : إنما نزل[٧] القرآن بلسان عربى مبين ، وبلغة العرب خاطبنا الله – تعالى – ورسول الله – ﷺ – والإيمان فى اللغة هو : التصديق ، فقط ، والعمل بالجوارح لا يسمى فى اللغة تصديقًا فليس إيمانًا ، قالوا : والإيمان هو التوحيد ، والأعمال لا تسمى توحيدًا ، فليست إيمانًا ، قالوا ولو كانت الأعمال توحيدًا وإيمانا لكان من ضيع شيئا منها قد ضيع الإيمان ، وفارق الإيمان ، فوجب أن لا يكون مؤمنا ، قالوا : وهذه الحجة إنما تلزم أضحال الحديث خاصة ، لا تلزم الخوارج ولا المعتزلة ، لأنهم يقولون بذهاب الإيمان جملة بإضاعة الأعمال .

قال أبو محمد : ما لهم حجة غير ما ذكرنا ، وكل ما ذكروا فلا حجة لهم فيه أصلًا لما نذكره – إن شاء عز وجل –

قال أبو محمد : إن الإيمان : هوالتصديق فى اللغة ، فهذا حجة على الأشعرية والجهمية والكراميه مبطلة لأقوالهم إبطالًا تامًا كافيًا لا يحتاج معه إلى غيره ، وذلك قولهم : إن الإيمان فى اللغة التى نزل بها القرآن هو التصديق فليس كما قالوا على الإطلاق ، وما سمى قط التصديق بالقلب دون التصديق باللسان إيمانًا فى لغة العرب ، وما قال قط عربى : أن من صدّق شيئا بقلبه فأعلن التكذيب به بقلبه وبلسانه فإنه يسمى مصدقًا به أصلًا ولا مؤمنًا به ألبتة ، وكذلك ما سمى قط التصديق باللّسان دون التصديق بالقلب إيمانًا فى لغة العرب أصلًا على الإطلاق ، ولا يسمى تصديقًا فى لغة العرب ولا إيمانًا مطلقا إلا من صدَّق بالشىء بقلبه ولسانه معًا ، فبطل تعلق الجهمية والأشعرية باللغة جملة ، ثم نقول لمن ذهب مذهب أبى حنيفة فى أن الإيمان إنما هو التصديق باللسان والقلب معًا ، وتعلق فى ذلك باللغة ، إن تعلقكم باللغة لا حجة لكم فيه أصلًا ، لأن اللغة يجب فيها : ضرورة أن كل من صدّق بشىء فإنه مؤمن به وأنتم والأشعرية والجهمية والكرامية كلكم توقعون اسم الإيمان ، ولا تطلقونه على كل من صدّق بشىء مّا ، ولا تطلقونه إلا على صفة محدودة دون سائر الصفات ، وهى من صدق بالله – عز وجل – وبرسوله – ﷺ – وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك مما قد أجمعت الأمة على أنه لا يكون مؤمنا من لم يصدق به ، وهذا خلاف اللغة مجرد .

(٧) فى (أ) : (أنزل) .

فإن قالوا : إن الشريعة أوجبت علينا هذا .

قلنا : صدقتم ، فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه فى اللغة كما فعلتم آنفا سواء بسواء ولا فرق .

* * *

قال أبو محمد : ولو كان ما قالوه صحيحا لوجب أن يطلق اسم الإيمان على كل من صدّق بشيء مّا ، ولكان من صدّق بالإهية[٨] الحلّاج ، وبالإهية المسيح ، وبالإهية الأوثان ، مؤمنين ، لأنهم مصدقون بما صدقوا به وهذا لا يقوله أحد ممن ينتمى إلى الإسلام ، بل قائله كافر عند جميعهم ، ونص القرآن يكفر من قال بهذا قال الله تعالى : « وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا »[٩].

فهذا الله – عز وجل – شهد بأن قومًا يؤمنون ببعض الرسل وبالله – تعالى – ويكفرون ببعض فلم يجز مع ذلك أن يطلق عليهم اسم الإيمان أصلًا ، بل أوجب لهم اسم الكفر بنص القرآن .

* * *

قال أبو محمد : وقول محمد بن زياد الحريرى لازم لهذه الطوائف كلها لا ينفكون عنه على مقتضى اللغة وموجبها وهو قول لم يختلف مسلمان فى أنه كفر مجرد ، وأنه خلاف للقرآن كما ذكرنا .

قال أبو محمد : فبطل تعلق هذه الطوائف باللغة جملة .

وأما قولهم : إنه لو كان العمل يسمى إيمانًا لكان من ضيَّع منه شيئا فقد أضاع الإيمان ووجب أن لا يكون مؤمنًا .

فإنى قلت لبعضهم – وقد ألزمنى هذا الإلزام – كلامًا تفسيره وبسطه أننا لا نسمى فى الشريعة اسما إلا بأن يأمرنا الله – تعالى – أن نسميه أو يبيح لنا الله بالنص أن نسميه ، لأننا لا ندرى مراد الله – عز وجل – منا إلا بوحى وارد من عنده علينا ومع هذا فإن الله – عزَّ وجل –

(٨) هو : أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج ، أصله من البيضاء إحدى بلاد فارس ، نشأ بواسط العراق وصحب أبا القاسم الجنيد ، والناس فى أمره مختلفون فمنهم من يبالغ فى تعظيمه ، ومنهم من يكفره . وفى سنة ٣٠٩ هـ أمر المقتدر العباسى بضربه ألف سوط ثم قطع الجلاد أطرافه الأربعة ، ثم جز رأسه وأحرق جثته . فلما صار رمادًا ألقاه فى دجله ، وذكر أنه كان يعمل على قلب الدولة وإفساد الملك . (وفيات الأعيان : ١٨١) .

يقول منكرًا لمن سمى فى الشريعة شيئًا بغير إذنه - عز وجل - « إِنْ هِىَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ، أَمْ لِلإِنْسانِ مَا تَمَنَّى[١٠]» .

وقال - تعالى : « وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنا[١١]» .

فصح أنه لا تسميه مباحة لملك ولا لنبى دون الله - تعالى - ومن خالف هذا فقد افترى على الله - عزَّ وجل الكذب وخالف القرآن فنحن لا نسمى مؤمنا إلا من سماه الله - عزَّ وجل عنه مؤمنا ولا نسقط الإيمان بعد وجوبه إلا عمن أسقطه الله - عزّ وجل - ووجدنا بعض الأعمال التى سمّاها الله - عز وجل - إيمانا لم يسقط الله - عز وجل - اسم الإيمان عن تاركها فلم يجز لنا أن نسقط عنه لذلك ، لكن نقول : إنه ضيَّع بعض الإيمان ولم يضيع كله كما جاء النص على ما نبين - إن شاء الله تعالى .

* * *

قال أبو محمد : فإذا سقط كل ما موَّهت به هذه الطوائف كلها ولم يبق لهم حجة أصلا فلنقل - بعون الله عز وجل وتأييده - فى بسط حجة القول الصحيح الذى هو قول جمهور أهل الإسلام ومذهب الجماعة وأهل السنة وأصحاب الآثار من أن الإيمان عقد وقول وعمل ، وفى بسط ما أجملناه مما نقدنا به قول المرجئة - وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد - رضى الله عنه : أصل الإيمان كما قلنا فى اللغة : التصديق بالقلب وباللسان معًا .

بأى شىء صدَّق المصدق - لا شىء دون شىء ألبتة إلا أن الله - عزَّ وجلّ - على لسان رسول الله - ﷺ - أوقع لفظة الإيمان على العقد بالقلب لأشياء محدودة مخصوصة معروفة ، لا على العقد لكل شىء وأوقعها أيضًا - تعالى - على الإقرار باللِّسان بتلك الأشياء خاصة لا بما سواها وأوقعها أيضًا على أعمال الجوارح لكل ما هو طاعة له - تعالى - فقط ، فلا يحل لأحد خلاف الله - تعالى - فيما أنزله وحكم به وهو - تعالى - خالق اللغة وأهلها فهو أملك

---

(٩) النساء : ١٥٠ ، ١٥١

(١٠) النجم : ٢٣ ، ٢٤

(١١) البقرة : ٣١ ، ٣٢

بتصريفها وإيقاع أسمائها على ما يشاء . ولا عجب أعجب ممن أن وجد لا مرئى القيس[١٢] أو لزهير[١٣] أو لجرير[١٤] أو الحطيئه[١٥] أو الطرمّاح[١٦] أو للشماخ[١٧] أو لأعرابى أسدى ، أو سلمى ، أو تميمى ، أومن سائر أبناء العرب بوّال على عقبيه لفظًا فى شعر أو نثر جعله فى اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم إذا وجد لله – تعالى – خالق اللغات وأهلها كلامًا لم يلتفت إليه ولا جعله حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل فى حالته عما أوقعه الله عليه ، وإذا وجد لرسول الله – ﷺ – كلامًا فعل به مثل ذلك .

وتالله لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم قبل أن يكرمه الله – تعالى – بالنبوة وأيام كونه فتى بمكة بلا شك عند كل ذى مسكة من عقل أعلم بلغة قومه وأفصح فيها وأولى بأن يكون ما نطق به من ذلك حجة من كل خندفى[١٨]، وقيسى ، وربيعى ، وإيادى ، وتيمى ، وقضاعى ، وحميرى ، فكيف بعد أن اختصه الله – تعالى – للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه ، وأجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه وحفظ ما يأتى به ؟ فأىّ ضلال أضل ممن يسمع لبيد[١٩] بن ربيعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب يقول :

فَعَلَتْ فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها

---

(١٢) أمرؤ القيس : ترجم له فى ص ٢٨

(١٣) زهير بن أبى سلمى ترجم له فى ص ٩٤

(١٤) هو : جرير بن عطيه بن حذيفة الكلبى اليربوعى من تميم أشعر أهل عصره ، ولد ومات فى اليمامه وكان هجاء مقذعا فلم يثبت أمامه غير الفرزدق ، والأخطل ، وكان عفيفا ، وهو من أرذل الناس شعرًا ، وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق فى ثلاثة أجزاء ، وديوان شعره فى جزئين . كتب عنه جميل سلطان (جرير : قصه حياته ودراسة أشعاره) (الأعلام : ١١١/٢) توفى عام (١١٠ هـ) .

(١٥) هو : جرول بن أوس بن مالك العبسى ، أبو مليكه ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . كان هجّاء عنيفا ، لم يكد يسلم من لسانه أحد . هجا أمه وأباه ونفسه ، وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسجنه عمر بالمدينة ، فاستعطفه بأبيات فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس ، فقال إذن تموت عيالى جوعًا ، فدفع له عمر ما يغنيه على الحياة وشرى منه أعراض الناس . توفى عام ٤٥ هـ (له ديوان شعر ، كتب عنه رسالة جميل سلطان . الأعلام : ١١٠/٢) .

(١٦) هو : ابن حكيم بن الحكم . شاعر إسلامى فحل ، قال عنه بعض العلماء : لو تقدم قليلا لسبق الفرزدق . ولد ونشأ فى الشام ثم انتقل إلى الكوفة ، واعتقد مذهب الشراة من الأزارقة . ولكنه لم يشترك فى حروبهم . وسخر شعره للدفاع عنهم . والفخر بنفسه المتعصبة لقومه . حيث كان قحطانيا كما قال الجاحظ متعصبا . له ديوان شعر صغير . كما أن للمرزبانى كتاب اسمه أخبار الطرمّاح فى نحو مائة ورقة . وقد اتصل الطرماح بخالد بن عبد الله القسرى ، فكان يكرمه ويستجيد شعره . وكان صديقا للكميت معاصرًا له لا يفترقان . وقد توفى الطرمّاح سنة ٧٤٣ م (الأعلام : ٣/٢) .

(١٧) الشماخ : ابن ضرار بن حرملة بن سنان المازنى الأبيانى الغطفانى شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من طبقة لبيد والنابغة ، وكان شديد متون الشعر ، ولبيد أسهل منه منطقا وكان أرجز الناس على البديهة جمع بعض شعره فى ديوان ، شهد القادسية ، توفى فى غزوة موقان ٢٢ هـ وأخباره كثيرة . (الأعلام حـ ٣ ص ٢٥٢)

(١٨) خندفى :

(١٩) هو : لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامرى ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف فى الجاهلية من أهل عالية نجد ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبى ﷺ ، ويعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم . وترك الشعر فلم يقل فى الإسلام إلا بيتا واحدًا قيل هو :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

سكن الكوفة ، وعاش عمر طويلًا ، وهو أحد أصحاب المعلقات . وكان كريما ولا تهب الصبّا إلّا نحر وأطعم جمع بعض شعره فى ديوان صغير ترجم إلى الألمانية . (توفى عام ٤١ هـ الأعلام : ١٠٤/٦) .

فجعله حجة وأبو زياد[٢٠] الكلابى يقول : « ما عرفت العرب قط الأيهقان وإنما هو اللهق بيت معروف » .

ويسمح قول ابن أحمر « كما نقَلق عن مأموسه الحجر »[٢١]. وعلماء اللغة يقولون إنه لم يعرف قط لأحد من العرب أنه سمى النار « مأموسة » إلا ابن أحمر فيجعله حجة ويجيز قول من قال من الأعراب : « هذا حجر من خرب » وسائر الشواذ عن معهود اللغه مما يكثر لو تكلفنا ذكره ونحتج بكل ذلك ثم يمتنع من إيقاع اسم الإيمان على ما أوقعه عليه الله – تعالى – ورسوله – ﷺ – محمد بن عبد الله القرشى المسترضع فى بنى سعد ابن بكر ويكابر فى ذلك بكل باطل ، وبكل حماقة ، وبكل دفع للمشاهدة – ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

قال أبو محمد : فمن الآيات التى أوقع الله – تعالى – فيها اسم الإيمان على أعمال الديانة .

قوله عز وجل : « هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبَ الْمُؤْمِنينِ لِيَزْدَادُوا إيمانًا مع إِيْمَانِهِم »[٢٢].

قال أبو محمد : والتصديق بالشيء أىّ شيء كان لا يمكن ألبتة أن يقع فيه زيادة ولا نقص ، وكذلك التصديق بالتَّوحيد والنبوة لا يمكن ألبتة أن يكون فيه زيادة ولا نقص ، لأنه لايخلو كل معتقد بقلب أو مقر بلسانه بأى شيء أقرّ أو أى شيء اعتقد من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها :

إما أن يصدق بما أعتقد وأقر .

وإما أن يكذّب بما اعتقد .

وإما منزلة بينهما : وهى الشك .

فمن المحال أن يكون إنسان مكذبًا بما يصدق به .

ومن المحال أن يشك أحدٌ فيما يصدق به .

فلم يبق إلا أنه مصدّق بما اعتقد بلا شك ، ولا يجوز أن يكون تصديق واحد أكثر من

---

(٢٠) أبو زياد الكلابى اللغوى : ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد فقال : أعرابى قدم بغداد أيام المهدى بسبب المجاعة فأقام ببغداد أربعين سنة ومات وله شعر كثير وعلق الناس عنه أشياء كثيرة من اللغة وعلم العربية وقال الوزير أبو القاسم المغربى اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث بن هام ابن دهر بن ربيعه ، وكان إمامًا فى اللغة وقال على بن حمزه البصرى فى كتاب التنبيه على اغلاط الرواه وإنما بدأت بنوادر أبى زياد لشرف قدرها ونباهة مصنفها : تهذيب التهذيب حـ ١٢ ص ١٠٢ .

(٢١) فى (أ) : (كناه نقلق عن ماموسة الحجر) وهو تحريف .

(٢٢) الفتح : ٤

تصديق آخر لأن أحد التصديق إذا دخلت داخله فبالضرورة يدرى كلُّ ذى حس سليم أنه قد خرج عن التصديق ولابدّ ، وحصل فى الشك ، لأن معنى التصديق إنما هو أن يقطع ويوقن وجود ما صدّق به ، ولا سبيل إلى التفاضل فى هذه الصّفة ، فإن لم يقطع ولا أيقن بصحته فقد شكَّ فيه فليس مصدقا به وإذا لم يكن مصدقا به فليس مؤمنا به .

فصحَّ أن الزيادة التى ذكر الله – عزَّ وجل – فى الإيمان ليست فى التَّصديق أصلًا ولا فى الاعتقاد ألبتة فهى ضرورة فى غير التصديق وليس ها هنا إلا الأعمال فقط .

فصح يقينا أن أعمال البر إيمان بنصِّ القرآن وكذلك قول الله – عزَّ وجل : « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُم إِيمَانًا[٢٣]» .

وقوله – تعالى : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الناسُ إِنَّ النَّاس قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُم فَزَادَهُمْ إِيمَانًا[٢٤]» .

فإن قال قائل : معنى زيادة الإيمان ها هنا إنما هو لمَّا نزلت تلك الآية صدقوا بها فزادهم بنزولها إيمانا وتصديقًا بشىء وارد لم يكن عندهم .

قيل لهم : وبالله تعالى التوفيق : هذا محال ، لأنه قد اعتقد المسلمون فى أول إسلامهم أنهم مصدقون بكل ما يأتيهم به نبيهم – عليه الصلاة والسلام – فى المستأنف فلم يزدهم نزول الآية تصديقًا لم يكونوا إعتقدوه .

فصحَّ أن الإيمان الذى زادتهم الآيات إنما هو العمل بها الذى لم يكونوا عملوه ولا عرفوه ولا صدَّقوا به قط ، ولا كان جائزًا لهم أن يعتقدوه ويعملوا به ، بل كان فرضًا عليهم تركه والتكذيب بوجوبه والزيادة لا تكون إلا فى كمية عدد لا فيما سواه ، ولا عدد للاعتقاد ولا كمية ، وإنما الكمية والعدد فى الأعمال والأقوال فقط .

فإن قالوا : إن تلاوتهم لها زيادة إيمان .

قلنا : صدقتم . وهذا هوقولنا ، والتلاوة عمل بجارحة اللسان ليس إقرارًا بالمعتقد ، ولكنه من نوع الذكر بالتسبيح والتهليل . وقال – تعالى – : « وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ[٢٥]» .

ولم يزل أهل الإسلام – قبل الجهمية والأشعرية والكرّامية وسائر المرجئه – مجمعين على أنَّه – تعالى – إنما عنى بذلك صلاتهم إلى بيت المقدس قبل أن ينسخ بالصلاة إلى الكعبة وقال

(٢٣) التوبة : ١٢٤
(٢٤) آل عمران : ١٧٣
(٢٥) البقرة : ١٤٣

– عز وجل – : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا[٢٦]» .

وقال – عز وجل – : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين حنَفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دُينَ الْقِيِّمَة[٢٧]» .

فنص – تعالى – على أن عبادة الله – تعالى – فى حال إخلاص الدين له – تعالى – وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة الواردتين فى الشريعة كله دين القيمة وقال – تعالى – : « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلاَمُ[٢٨]» .

وقال – تعالى – : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَة مِنَ الْخاَسِرِين[٢٩]» .

فنص – تعالى – أن الدين هو الإسلام ، ونصَّ قبلُ على أن العبادات كلها والصلاة والزكاة هى الدين فأنتج ذلك يقينًا أن العبادات هى الدين ، والدين هو الإسلام ، فالعبادات هى[٣٠] الإسلام وقال – عز وجل – : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ ، بَل الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمانِ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين[٣١]» .

وقال – تعالى – : « فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِين ، فَمَاوَجَدْنَا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمين[٣٢]» .

فهذا نصٌ جليّ على أن الإسلام هو الإيمان ، وقد وجب قبل بما ذكرنا أن أعمال البرَ كلها هى الإسلام ، والإسلام هو الإيمان ، فأعمال البرّ كلها إيمان وهذا برهان ضرورى لا محيد عنه – وبالله تعالى التوفيق .

وقال – تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنُهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلَيماً[٣٣]» .

---

(٢٦) المائدة : ٣
(٢٧) البينة : ٥
(٢٨) آل عمران : ١٩
(٢٩) آل عمران : ٨٥
(٣٠) فى (أ) : (هن) .
(٣١) الحجرات : ١٧
(٣٢) الذاريات : ٣٥ ، ٣٦
(٣٣) النساء : ٦٥

فنص – تعالى – واقسم بنفسه أنه لا يكون مؤمنا إلا بتحكيم النبى – ﷺ – فى كل ما عنَّ ثم يسلم بقلبه ولا يجد فى نفسه حرجًا مما قضى . فصح أن التحكيم شيء غير التسليم بالقلب ، وأنه هو الإيمان الذى لا إيمان لمن لم يأت به .

فصح يقينًا أن الإيمان اسم واقع على الأعمال فى كل ما فى الشريعة وقال – تعالى :« وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرَ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتْخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هم الْكَافِرُوْن حَقًّا »[٣٤].

فصحَّ أن لا يكون التصديق مطلقا إيمانا إلا حتَّى يستضيف إليه ما نصَّ الله –تعالى – عليه .

ومما يتبين أن الكفر يكون بالكلام قول الله – عز وجل – « وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ ما أَظُنَّ أَنْ تَبِيدَ هَذِه أَبَدًا ، وَمَا أَظُنَّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلِئِنْ رُدِدتُ ، رَبِّى لَأجدَتَّ مِنْهَا مُنْقَلَباً ، قَالَ لَه صَاحِبُه وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ من نضفة ثم سَوَّاكَ رَجُلًا » إلى قوله : « يَالَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً[٣٥]» .

فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربُه تعالى إذ شك فى البعث وقال – تعالى: « أَفَتُؤْمِنُون بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرونَ بِبَعْضٍ[٣٦]» .

فصح أنَّ من آمن ببعض الدين وكفر بشيء منه فهو كافر مع صحة تصديقه لما صِّدق من ذلك .

قال أبو محمد : وأكثر الأسماء الشرعية فإنها موضوعة من عند الله – تعالى – على مسَّميات لم يعرفها العرب قط ، هذا أمر لا يجهله أحد من أهل الأرض ممَّن يدرى اللغة العربية ويدرى الأسماء الشرعية كالصلاة فإن موضوع هذه اللفظة فى لغة العرب : الدُعاء فقط .

فأوقعها الله – تعالى – عز وجل – على حركات محدودة معدودة من قيام موصوف إلى جهة موصوفة لا تتعدى ، وركوع كذلك وسجودٍ كذلك وقعود كذلك وقراءة كذلك وذكر كذلك فى أوقات محدودة وبطهارة محدودة وبلباس محدود ، متى لم تكن على ذلك بطلت ، ولم تكن صلاة ، وما عرفت العرب قط شيئًا من هذا كله فضلًا عن أن تسمية حتى أتانا بهذا رسول الله – ﷺ – وقد قال بعضهم : « إن فى الصلاة دعاء فلم يخرج الاسم بذلك عن موضوعه فى اللغة » .

---

(٣٤) النساء : ١٥٠ ، ١٥١
(٣٥) الكهف : ٣٥ – ٤٢
(٣٦) البقرة : ٨٥

قال أبو محمد : وهذا باطل لأنه لا خلاف بين أحد من الأمة فى أن من أتى بعدد الركعات وقرأ أم القرآن وقرآنًا معها فى كل ركعة وأتى بعدد[٣٧] الركوع والسجود والجلوس والقيام والتشهد وصلّى على النبى – ﷺ ، وسلم بتسليمتين فقد صلّى كما أمر وإن لم يدع بشىء أصلًا .

وفى الفقهاء من يقول : إن من صلى خلف الإمام فلم يقرأ أصلًا ولا تشهد ولا دعا أصلًا فقد صلى كما أمر .

وأيضًا فإن ذلك الدعاء فى الصلاة لا يختلف أحد من الأمة فى أنه ليس شيئًا ولا يسمى صلاة أصلًا عند أحد من أهل الإسلام .

فعلى كل[٣٨] قد أوقع الله – عز وجل – اسم الصلاة على أعمال غير الدعاء ولابد ، وعلى دعاء محدود لم تعرفه العرب قط ، ولا عرفت أيقاع الصلاة على دعاء بعينه دون سائر الدعاء .

ومنها الزكاة ، وهى موضوع[٣٩] فى اللغة للنماء والزيادة فأوقعها الله – تعالى – على إعطاء مال محدود معدود من جملة أموال مَّا موصوفه معدودة معينة دون سائر الأموال لقوم محدودين فى أوقات محدودة فإن هو تعدَّى شيئًا من ذلك لم يقع على فعله ذلك اسم زكاة ولم تعرف العرب قط هذه الصفات .

والصيام فى لغة العرب : الوقوف .

نقول : صام النهار إذا طال حتى صار كأنه واقف لطوله

قال أمرؤ القيس[٤٠]: « إذا صَامَ النَّهار وهجَّرا .

وقال آخر وهو : النابغة الذبيانى[٤١]:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيرُ صَائِمةٍ تحتَ العَجاجِ وخيلٌ تعلُكُ اللُّجُما

فأوقع الله – تعالى – اسم الصيام على الامتناع من الأكل والشرب والجماع وتعمد القىء من

---

(٣٧) فى (أ) : (بعد) .
(٣٨) فى (خ) : زاد (من) .
(٣٩) فى (خ) : (وهى فى موضوع اللغة) .
(٤٠) سبق أن ترجم له فى ص ٢٨
(٤١) هو : زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى الغطفانى المضرى . شاعر جاهلى من الطبقة الأولى من أهل الحجاز وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرضون شعرهم عليه ، وهو أحد الأشراف فى الجاهلية ، وكان من أحسن شعراء العرب ديباجة ، لا تكلف فى شعره ولا حشو . (الأعلام : ٩٢/٣) .

وقت محدود بتبين الفجر الثانى إلى غروب الشمس فى أوقات من السنة محدودة فإن تعدَّى لم يسمَّ صياما وهذا أمر لم تعرفه العرب قط .

فظهر فساد قول من قال : إن الأسماء لا تنقل فى الشريعة عن موضوعها فى اللغة .

وصح أن قولهم هذا مجاهرة سمجة قبيحة .

قال أبو محمد : فإذ قد وضح وجود الزيادة فى الإيمان بخلاف قول من قال إنه التصديق ، فبالضرورة ندرى أن الزيادة تقتضى النقص ضرورة و لابدّ لأن معنى الزيادة إنما هى عدد مضاف إلى عدد ، وإذا كان ذلك فذلك العدد المضاف إليه هو بيقين ناقص عند عدم الزيادة فيه وقد جاء النص بذكر النقص وهو قول رسول الله – ﷺ – المشهور المنقول نقل الكواف أنه قال للنساء : « مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَسْلَبُ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِنْكُنَّ » قلن يا رسول الله وما نقصانُ دِينِنا ؟ قال – عليه السلام : « أَلَيسَ تُقِيمُ الْمَرْأَةُ العدَدَ مِنَ الأَيَامِ واللَّيَالِي لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّى فَهَذَا نُقْصانُ دِينِها[٤٢]» .

قال أبو محمد : ولو نقص من التصديق شىء لبطل عن أن يكون تصديقًا ، لأن التصديق لا يتبعض أصلًا ، ولصار شكا – وبالله تعالى التوفيق – وهم مقرُّون بأن امرأ لو لم يصدق بآية من القرآن أو بسورة منه وصدق بسائره لبطل إيمانه .

فصحَّ أن التصديق لا يتبعض أصلًا .

قال أبو محمد : وقد نص الله – عزّ وجل – على أن اليهود يعرفون النبى – ﷺ – كما يعرفون أبناءهم ، وأنهم يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل وقال – تعالى : « فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ الله يَجْحَدُون[٤٣]» .

وأخبر – تعالى – عن الكفار فقال : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله[٤٤]» .

فأخبر – تعالى – أنهم يعرفون صدقة ولا يكذبونه وهم اليهود والنصارى وهم كفار بلا خلاف من أحد من الأمة ومن أنكر كفرهم فلا خلاف من أحد من الأمة فى كفره وخروجه عن الإسلام .

---

(٤٢) الحديث رواه مسلم فى إيمان واحمد بن حنبل فى مسنده ٢/٦٧ .
(٤٣) الأنعام : ٣٣
(٤٤) الزخرف : ٨٧

ونصَّ - تعالى - عن إبليس أنه عارف بالله - تعالى - وبملائكته وبرسله وبالبعث ، وأنه قال : « رَبِّ فَأَنْظِرْنى إلى يَوْمَ يُبْعثُونَ[٤٥]» .

وقال : « لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خلقته مِنْ صَلْصَال مِنْ حَمَأ مَسْنُونٍ[٤٦]» .

وقال : « خَلَقْتنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتِه مِنْ طِين »[٤٧].

وكيف لا يكون مصدقا بكل ذلك وهو قد شاهد ابتداء خلق الله - تعالى - لآدم ، وخاطبه - تعالى - خطابًا كثيرًا ، وسأله « مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ؟ »[٤٨]، وأمره بالخروج من الجنة ، وأخبره أنه منظر إلى يوم الدّين وأنه ممنوع من إغواء من سبقت له الهداية ؟

وهو مع ذلك كله كافر بلا خلاف .

إما بقوله عن آدم : أَنَا خَيرٌ مِنُه .

وإما بامتناعه للسجود .

لا يشك أحد فى ذلك ولو كان الإيمان هو بالتصديق والإقرار فقط لكان جميع المخلدين فى النار من اليهود والنصارى وسائر الكفار مؤمنين حينئذ[٤٩]، لأنهم كلهم مصدقون بكل ما كذّبوا به فى الدنيا ، مقرون بكل ذلك ولكان إبليس واليهود والنصارى فى الدنيا مؤمنين ضرورة وهذا كفر مجرد ممن أجازه ، وإنما كفر أهل النار بمنعهم من الأعمال .

قال - تعالى :« يَوْمَ يكشف عن ساق ويُدْعَوْنَ إِلَى السُّجودِ فَلَا يَسْتَطِيعُون[٥٠]» .

* * *

قال أبو محمد : فلجأ هؤلاء المخاذيل إلى أن قالوا : إن اليهود والنصارى لم يعرفوا قط أن محمدًا رسول الله ، ومعنى قول الله - تعالى : « يَعْرِفُونه كَما يَعْرِفُونَ ابْنَاءَهُمْ[٥١]» .

أى أنهم يُميِّزون صورته ويعرفون أن هذا الرجل هو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب الهاشمى فقط .

(٤٥) الحجر : ٣٦
(٤٦) الحجر : ٣٣
(٤٧) الأعراف : ١٢
(٤٨) ص : ٧٥
(٤٩) فى (أ) : سقطت (حينئذ) .
(٥٠) القلم : ٤٢ . وهذه الآية قد جاءت محرفة فى (أ) : حيث قال (يوم يدعون إلى السجود) .

وأن معنى قوله – تعالى : « يَجِدُونَه مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ[٥٢]» .

إنما هو أنهم يجدون سوادًا فى بياض لا يدرون ما هو ولا يفهمون معناه ، وأن إبليس لم يقل شيئًا مما ذكر الله – عز وجل – عنه أنه قال مجدًا ، بل قاله هازلا .

وقال هؤلاء أيضًا : إنَّه ليس على ظهر الأرض ولا كان قط كافر يدرى أن الله حق ، وأن فرعون قط لم يتبين له أن موسى نبى بالآيات التى عمل .

قال أبو محمد : وقالوا : إذا كان الكافر يصدِّق أن الله حق ، والتصديق إيمان فى اللغة فهو مؤمن إذًا أوجد فيه إيمان ليس به مؤمنًا وكلا القولين محال .

قال أبو محمد : هذه نصوص أقوالهم التى رأيناها فى كتبهم وسمعناها منهم وكان ممّا احتَّجوا به لهذا الكفر المجرد أن قالوا : إن الله – عزَّ وجل – سمَّى كل من ذكرنا كفارًا ومشركين فدلَّ ذلك على أنه علم أن فى قولهم كفرًا وشركًا وجحدًا .

وقال هؤلاء : إن شَتْمَ الله – عزَّ وجل – وشتم رسول الله – ﷺ ليس كفرًا لكنه دليل على أن فى قلبه كفرًا .

* * *

قال أبو محمد : أما قولهم فى أخبار الله – تعالى – عن اليهود : أنهم يعرفون رسول الله – ﷺ – كما يعرفون أَبْنَاءهم .

وعن اليهود والنّصارى أنهم يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل .

فباطل بحت ومجاهرة لا حياء معها ، لأنه لو كان كما ذكروا لما كان فى ذلك حجة لله – تعالى – عليهم ، وأىُّ معنى أو أى فائدة فى أن يجيزوا صورته ويعرفوا أنه محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فقط .

أو فى أن يجدوا كتابًا لا يفقهون معناه ؟

فكيف ونص الآية نفسها مكذبة لهم ؟ لأنه – تعالى – يقول : « الَّذِينَ آتَيْنَاهَم الكِتَابَ يَعْرِفُونَه كَما يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتِمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٥٣]» .

(٥١) البقرة : ١٤٦ ، الأنعام : ٢٠
(٥٢) الأعراف : ١٥٧
(٥٣) البقرة : ١٤٦

فنصّ – تعالى – أنهم يعلمون الحق فى نبوته .

وقال فى الآية الأخرى : « يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمعْرُوفِ وَيَنْهَاهم عَنِ الْمُنْكَرِ ويحل لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ويحرم عَلْيهْمُ الْخبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِم(٥٤)» .

وإنما أورد – تعالى – معرفتهم لرسول الله – ﷺ – محتجًا عليهم بذلك لا أنه أتى من ذلك بكلام لا فائدة فيه .

وأما قولهم فى إبليس فكلام داخل فى الاستخفاف بالله – عز وجل – وبالقرآن لا وجه له غير هذا ، إذ من المحال الممتنع فى العقل وفى الإمكان غاية الامتناع أن يكون إبليس يوافق فى هزله عين الحقيقة فى أن الله – تعالى – كرَّم آدم عليه السلام ، عليه ، وأنه – تعالى – أمره بالسجود فامتنع .

وفى أن الله – تعالى – خلق آدم من طين وخلقه من نار .

وفى إخباره آدم أن الله – تعالى – نهاه عن الشجرة وفى دخوله الجنة و خروجه عنها إذ أخرجه الله – تعالى –

وفى سؤاله الله – تعالى – النظرة .

وفى ذكره يوم يبعث العباد .

وفى اخباره أن الله – تعالى – أغواه .

وفى تهديده ذرية آدم قبل أن يكونوا .

وقد شاهد الملائكة والجنة وابتداء خلق آدم ، ولا سبيل إلى موافقة هازل بمعان صحيحة(٥٥) لا يعلمها ، فكيف بهذه الأمور العظيمة ؟

وأخرى أن الله – تعالى – حاشا له من أن يجيب هازلًا بما يقتضيه معنى هزله فإنه تعالى – أمره بالسجود ثم سأله عما منعه من السجود ثم أجابه إلى النظرة التى سأل ثم أخرجه من الجنة وأخبره أنه يعصم منه من شاء من ذرية آدم وهذه كلها معان من دافعها خرج عن الإسلام لتكذيبه القرآن ، وفارق المعقول لتجويزه هذه المحالات ، ولحق بالمجانين الوقحاء .

---

(٥٤) الأعراف : ١٥٧

(٥٥) فى الأصل (معنيين صحيحين) .

وأما قولهم إن أخبار الله – تعالى – بأن هؤلاء كلهم كفار دليل على أن فى قلوبهم كفرًا وأن شتم الله – تعالى – ليس كفرًا ولكنه دليل على أن فى القلب كفرًا وإن كان كافرًا لم يعرف الله – تعالى – قط .

فهذه منهم دعاوى كاذبة مفتراه لا دليل لهم عليها ولا برهان لا من نص ولا سنه صحيحة ولا سقيمة ولا من حجة عقل أصلا ولا من إجماع ولا من قياس ولا من قول أحد من السلف قبل اللعين جهم بن صفوان وما كان هكذا فهو باطل وإفك وزور فسقط قولهم هذا من قرب – ولله الحمد رب العالمين .

فكيف والبرهان قائم بإبطال هذه الدعوى من القرآن والسنن والإجماع والمعقول والحس والمشاهدة الضرورية .

فأمّا القرآن فإن الله – عز وجل – يقول : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموات والأَرْضَ وسَخَّرَوا الشَّمْسَ وَالْقَمَّر لَيَقُولُنَّ الله(٥٦) » .

وقال – تعالى : « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُون(٥٧) » .

فأخبر – تعالى – بأنهّم يصدِّقون بالله – تعالى – وهم مع ذلك مشركون .

وقال – تعالى : « وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ(٥٨) » .

قال أبو محمد : هذه شهادة من الله مكذبة لقول هؤلاء الضُّلال لا يردها مسلم أصلًا .

* * *

قال أبو محمد : وبلغنا عن بعضهم أنه قال فى قوله – تعالى : « يَعْرِفُونَه كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ(٥٩) » .

أن هذا إنكار من الله – تعالى – لصحة معرفتهم بنبوة رسول الله – ﷺ .

قال : وذلك لأن الرجال لا يعرفون صحة أبنائهم على الحقيقة وإنما هو ظنٌ منهم .

قال أبو محمد : وهذا كفر وتحريف للكلم عن مواضعه ، ويرد ما يثبت(٦٠) منه .

(٥٦) العنكبوت : ٦١
(٥٧) يوسف : ١٠٦
(٥٨) البقرة : ٤٤
(٥٩) سورة الأنعام آية رقم ٢٠
(٦٠) فى (أ) : (شئت) .

قال أبو محمد : فأول ذلك أن هذا الخطاب من الله – تعالى – عموم للرجال والنساء من الذين أوتوا الكتاب لا يجوز أن يخص به الرجال دون النساء فيكون من فعل مفتريا على الله – تعالى – وبيقين يدرى كل مسلم أن رسول الله – ﷺ – بعث إلى النساء كما بعث إلى الرجال .

والخطاب بلفظ الجمع المذكر يدخل فيه بلا خلاف من أهل اللغة النساء والرجال . وقد علمنا أن النساء يعرفن أبناءهن على الحقيقة بيقين .

والوجه الثانى : هو أن الله – تعالى – لم يقل كما يعرفون من خلقنا من نطفتهم فكان يسوغ لهذا الرجل حينئذ هذا التمويه البارد باستكراه أيضًا وإنما قال – تعالى : « كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ » .

فأضاف – تعالى – البنوة إليهم فمن لم يقل إنَّهم أبناؤهم بعد أن جعلهم الله أبناءهم فقد كذَّب الله – تعالى – وقد علمنا أنه ليس كل من خلق من نطفه الرجل يكون ابنه ، فولد الزنا مخلوق من نطفة إنسان ليس هو أباه فى حكم الديانة أصلًا ، وإنما أبناؤنا من جعلهم الله أبناءنا فقط .

كما أن الله – تعالى – جعل أزواج رسول الله – ﷺ – أمهات المؤمنين منهن أمهاتنا وإن لم يلدننا ونحن أبناؤهُنَّ وإن لم نخرج من بطونهن فمن أنكر هذا فنحن نصدّقه ، لأنه حينئذٍ ليس مؤمنا ، فلسن أمهاته ولا هو ابن لهن .

والوجه الثالث : هو أن الله – تعالى – إنما أورد الآية مبكِّتا للذين أوتوا الكتاب لا معتذرًا عنهم لكن مخبرًا بأنهم يعرفون صحة نبوة النبى – ﷺ – بآياته وبما وجدوا فى التوراة والإنجيل معرفة قاطعة لا شك فيها كما يعرفون أبناءهم .

ثم أتبع ذلك – تعالى – بأنهم يكتمون الحق وهم عالمون به ، فبطل هذر هذا الجاهل المخذول – والحمد لله رب العالمين .

وقال – عزَّ وجل : « لَا إِكْرَاهَ فى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ[٦١] » .

فنص – تعالى – على أن الرشد قد تبين من الغيِّ عموما .

وقال – تعالى : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى[٦٢] » .

---

(٦١) البقرة : ٢٥٦

(٦٢) النساء : ١١٥

وقال – تعالى : « الَّذِينَ كَفَروا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا الله شَيْئًا(٦٣) » .

وهذا نص جلى من خالفه كفر فى أن الكفار قد تبين لهم الحق والهدى فى التوحيد والنبوة وقد تبين له الحق فبيقين يدرى كل ذى حس سليم أنه مصدق بلا شك بقلبه .

وقال – تعالى : « فَلَمَّا جَاءَتْهم آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهم ظَلْمًا وَعُلُوًّا(٦٤) » .

قال أبو محمد : وهذا أيضا نص جلى لا يحتمل تأويلا على أن الكفار جحدوا بألسنتهم الآيات التى أتى بها الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – واستيقنوا بقلوبهم أنها حق ولم يجحدوا قط أنها كانت وإنما جحدوا أنها من عند الله .

فصح أن الذى استيقنوا منها هو الذى جحدوا وهذا يبطل قول من قال من هذه الطائفة أنهم إنما استيقنوا كونها وهى عندهم حيل لا حقائق إذ لو كان ذلك لكان هذا القول من الله – تعالى – كذبا – تعالى الله عن ذلك – لأنهم لم يجحدوا كونها وإنما جحدوا أنها من عند الله ، وهذا الذى جحدوا هو الذى استيقنوا بنص الآية .

وقال – تعالى – حاكيا عن موسى – عليه السلام – أنه قال لفرعون : « لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمواتِ وَالأَرضَ بَصَائِرَ(٦٥) » .

فمن قال : إنّ فرعون لم يعلم أن الله – تعالى – حق ولا علم أن معجزات موسى حق من عند الله –تعالى – فقد كذّب ربه – تعالى – وهذا كفر مجرد .

وقد شغب بعضهم بأن هذه الآية قرئت « ولقد علمت » بضم التاء .

قال أبو محمد : وكلا القراءتين حق من عند الله – تعالى – لا يجوز أن يرد منهما شىء .

فنعَم موسى – عليه السلام – علم ذلك ، وفروعون علم ذلك فهذه نصوص القرآن وأمَّا من طريق المعقول والمشاهدة والنظر فإنَّا نقول لهم :

هل قامت حجة الله – تعالى – على الكفار كما قامت على المؤمنين بتبين براهينه – عزَّ وجل – لهم ، أم لم تقم حجة الله – تعالى – عليهم قط إذ لم يتبين الحق قط لكافر ؟

---

(٦٣) محمد : ٣٢
(٦٤) النمل : ١٣ ، ١٤
(٦٥) الإسراء : ١٠٢

فإن قالوا : إن حجة الله – تعالى – لم تقم قط على كافر إذ لم يتبين الحق للكفار ، كفروا بلا خلاف من أحد وعذروا الكفار وخالفوا الإجماع . وإن أقَّروا أنَّ حجة الله – تعالى – قد قامت على الكفّار بأن الحق تبين لهم صدقوا ورجعوا إلى الحقِّ وإلى قول أهل الإسلام .

وبرهان آخر : أن كلَّ أحد منا مذ عقلنا لم نزل نشاهد اليهود والنصارى فما سمعهم أحد إلا مقرين بالله – تعالى – وبنبوّة موسى – عليه السلام – وأن الله – تعالى – حرَّم على اليهود العمل فى السبت والشحوم[٦٦].

فمن الباطل أن يتواطئوا كلهم فى شرق الأرض وغربها على[٦٧] إعلان ما يعتقدون خلافه بلا سبب داع إلى ذلك .

وبرهان آخر : وهو أننا قد شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لا يحصى عددهم أسلموا وحسن إسلامهم ، وكلهم أولهم عن آخرهم يخبر من استخبره – متى بقوا – أنهم فى إسلامهم يعرفون أن الله تعالى حق ، وأن نبوة موسى وهارون حق ، كما كانوا يعرفون ذلك فى أيام كفرهم ولا فرق .

ومن أنكر هذا فقد كابر عقله وحسَّه ولحق بمن لا يستحق أن يكلَّم .

وبرهان آخر : وهو أنهم لا يختلفون فى أن نقل التواتر يوجب العلم الضرورى فوجب من هذين الحكمين أن اليهود والنَّصارى الذين نقل إليهم ما أتى به – عليه السلام – من المعجزات نقل التواتر قد وقع لهم به العلم الضرورى بصحة نبوته من أجلها وهذا لا محيد لهم عنه – وبالله تعالى التوفيق – .

وأما قولهم : إن شتم الله – تعالى – ليس كفرًا وكذلك شتم رسول الله – ﷺ – .

فهو دعوى لأن الله – تعالى – قال : « يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ[٦٨]» .

فنص – تعالى – على أن من الكلام ما هو كفر .

وقال – تعالى – : « وإِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بها وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ[٦٩]» .

---

(٦٦) فى (أ) : (التحوم) .
(٦٧) فى (أ) : (فى) .
(٦٨) التوبة : ٧٤
(٦٩) النساء : ١٤٠ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث قال (وإذا سمعتم) وصوابه (أن إذا سمعتم) .

فنصّ – تعالى – أن من الكلام فى آيات الله – تعالى – ما هو كفر بعينه مسموع .

وقال – تعالى – : « قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانُكِمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً[٧٠] » .

فنص – تعالى – على أن الاستهزاء بالله – تعالى – أو بآياته أو برسول من رسله كفر مُخرج[٧١] عن الإيمان ولم يقل[٧٢] – تعالى – فى ذلك أنى علمت أن فى قلوبكم كفرًا ، بل جعلهم كفارًا بنفس الاستهزاء .

ومن إدّعى غير هذا فقد قوَّل الله – تعالى – ما لم يقل وكذب على الله – تعالى – .

وقال – عز وجل – : « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى الكُفْرِ يُضَلَّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمونَه عَامًا لِيُواطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ[٧٣] » .

قال أبو محمد : وبحكم اللغة التى نزل بها القرآن أن الزيادة فى الشيء لا تكون ألبتة إلا منه لا من غيره .

فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله – تعالى –

فمن أحلَّ ما حرَّم الله – تعالى – وهو عالم بأن الله – تعالى – حرَّمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه .

وكل من حرَّم ما أحل الله – تعالى – فقد أحل ما حرم الله – عز وجل – لأن الله – تعالى – حرّم على الناس أن يحرِّموا ما أحل الله .

وأما خلال الإجماع فإن جميع أهل الإسلام لا يختلفون فيمن أعلن جحد الله – تعالى – أو جحد رسوله – ﷺ – فإنه محكوم له بحكم الكفر قطعًا ، إما القتل ، وإما أخذا الجزية ، وسائر أحكام الكفر وما شك قط أحد فى هل هم فى باطن أمرهم مؤمنون أم لا ؟

ولا فكَّروا فى هذا لا رسول الله – ﷺ – ولا أحد من أصحابه ولا أحد ممن بعدهم .

وأما قولهم : إن الكفار إذا كانوا مصدّقين بالله – تعالى – وبنبيه – ﷺ – بقلوبهم والتصديق فى اللغة التى بها نزل القرآن هو الإيمان ففيهم بلا شك إيمان ، فالواجب أن يكونوا بإيمانهم ذلك مؤمنين ، أو أن يكون فيهم إيمان ليسوا بكونه فيهم مؤمنين ولابدّ من أحد الأمرين .

---

(٧٠) توبة : ٦٥ ، ٦٦ .

(٧١) فى ( ) : فخرج .

(٧٢) فى ( ) : (ولم يفعل) وهو تحريف .

(٧٣) توبة : ٣٧ .

قال أبو محمد : وهذا تمويه فاسد لأن التسمية كما قدمنا لله – تعالى – لا لأحد دونه وقد أوضحنا البراهين على أن الله – تعالى – نقل اسم الإيمان فى الشريعة عن موضوعه فى اللغة إلى معنى آخر وحرّم فى الديانة إيقاع إسم الإيمان على التصديق المطلق ولولا نقل الله – تعالى – للفظة الإيمان كما ذكرنا لوجب أن يسمى كل كافر على وجه الأرض مؤمنا ، وأن يخبر عنهم بأن فيهم إيمانا لأنهم مؤمنون ولابدّ بأشياء كثيرة مما فى العالم يصدقون بها . هذا لا ينكره ذو مسكة من عقل .

فلمّا صحّ إجماعنا وإجماعهم وإجماع كل من ينتمى إلى الإسلام على أنهم وإن صدقوا بأشياء كثيرة فإنه لا يحلّ لأحد أن يسميهم مؤمنين على الإطلاق ولا أن يقول إن لهم إيمانا مطلقًا أصلًا لم يجز لأحد أن يقول فى الكافر المصدق بقلبه ولسانه بأن الله – تعالى – حقٌّ والمصدق بقلبه أن محمدًا رسول الله أنه مؤمن ، ولا أن فيه إيمانا أصلا إلا حتى يأتى بما نقل الله – تعالى – إليه اسم الإيمان من التصديق بقلبه ولسانه وبأن[٧٤] لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأن كل ما جاء به حق وأنه برىء من كل دين غير دينه ثم يتمادى بإقراره على ما لا يتم إيمان إلّا بالإقرار به حتى يموت لكنا نقول : إن فى الكافر تصديقًا بالله – تعالى – هو به مصدِّق بالله – تعالى – وليس بذلك مؤمنًا ، ولا فيه إيمان كما أمرنا الله – تعالى – لا كما أمر جهم والأشعرى .

* * *

قال أبو محمد : فبطل هذا القول المتفق على تكفير قائله .

وقد نصّ على تكفيرهم أبو عبيد[٧٥] القاسم فى كتابه المعروف برسالة الإيمان ، وغيره ولنا كتاب كبير نقضنا فيه شبه أهل هذه المقالة الفاسدة كتبناه على رجل منهم يسمى عطاف بن دوناس ، من أهل قيروان أفريقية – وبالله تعالى التوفيق –

قال أبو محمد : وأما من قال إن الإيمان إنما هو الإقرار باللسان فإنهم إحتجوا بأن النبى – ﷺ – وجميع أصحابه – رضى الله عنهم – وكل من بعدهم قد صحّ إجماعهم على أن من أعلن بلسانه بشهادة الإسلام فإنه عندهم مسلم محكوم له بحكم الإسلام وبقول رسول الله – ﷺ – فى السوداء : « اعتقها فإنها مؤمنة[٧٦] » .

---

(٧٤) فى (أ) : حذفت (واو) العطف .

(٧٥) هو : القاسم بن سلام البغدادى أبو عبيد الفقيه القاضى صاحب التصانيف روى عن هشيم واسماعيل بن عياش واسماعيل جعفر وغيرهم وروى عنه سعيد بن أبى مريم المصرى ، وعباس العنبرى وعباس الدورى وعبد الله الدارمى ، ولد بهراه وكان أبوه سلام عبدًا لبعض أهلها وقال أبو عبيد كان مؤدبًا صاحب نحو وعربية ، وطلب للحديث والفقه وولى قضاء طرسوس وصنف كتبا وسمع الناس منه وحج وتوفى بمكه سنة ٢٢٤ هـ (تهذيب التهذيب حـ ٨ ص ٣١٥) .

(٧٦) رواه مسلم فى المساجد : ٣٣ ، وأبو داود فى الصلاة : ١٦٧ . وفى الإيمان : ١٦ . ورواه النسائى فى السهو : ٣٠ ، والدارمى فى النذور ، وصاحب الموطأ فى العتق . وأحمد بن حنبل حـ ٢ : ٣٩١ ، حـ ٤٥٣/٣ ولفظ الحديث كما جاء فى مسلم قال : « كانت لى جارية ترعى =

وبقوله - ﷺ - لعمه أبي طالب : « قل كلمة أحاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله - عزَّ وجل -[٧٧]» .

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فيه .

أما الإجماع المذكور فصحيح وإنما حكمنا لهم بحكم الإيمان فى الظاهر . ولم نقطع على أنه عند الله - تعالى - مؤمن ، وهكذا قال رسول الله - ﷺ - : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بما أرسلت به فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مِنِّى دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها وحسابهم على الله[٧٨]» .

وقال - عليه السلام - : « من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه[٧٩]» . وإما قوله غليه السلام فى السوداء « انها مؤمنه » .

فظاهر الأمر كما قال - عليه السلام - إذ قال له خالد بن الوليد : « رُبَّ مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فقال - عليه السلام - : « إنِّى لم أُبْعَث لأَشُقَّ عن قلوبِ الناس[٨٠]» .

وأما قوله لعمه : « أُحاجُّ لك بها عند الله » .

فنَعم يحاجّ بها على ظاهر الأمر وحسابه على الله - تعالى - فبطل كل ما موهوا به ثم نبيّن بطلان قولهم - إن شاء الله تعالى - .

فنقول - وبالله تعالى نتأيد - : إنه يبين بطلان قول هؤلاء قول الله - عز وجل - : « وَمِنَ النَّاسِ من يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وبالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذينَ آمَنُوا

= غنما لى قبل أحد ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون ، لكنى صككتها صكة ، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علىّ . قلت يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : أئتنى بها فأتيته بها فقال لها : أين الله ؟ قالت فى السماء . قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة » .

(٧٧) ذكره البخارى فى مناقب الأنصار برقم : ٤٠ . وفى التفسير فى سورة التوبة وفى باب الإيمان : ١٩ ، وذكره أحمد بن حنبل حـ ٥ : ٤٢٣ .

(٧٨) رواه البخارى فى كتاب الإيمان باب ١٧ ، ٢٨ . وأبو داود فى كتاب الجهاد . باب : ٩٥ . والنسائى فى كتاب الزكاه باب : ٣ ، وابن ماجه ، فى كتاب الفتن باب : ١ ، ٣ . ولفظ الحديث كما فى رواية البخارى : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلّا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .

(٧٩) رواه البخارى فى العلم : ٣٣ . ومسلم فى الصلاة : ١٢ .. وأحمد بن حنبل فى مسنده : ٢٣٦/٥ . ونص الحديث كما رواه مسلم : قال رسول الله ﷺ : « من قال أشهد ألا إله إلا الله ثم قال : أشهد أن محمدا رسول الله إلى قوله : من قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة » .

(٨٠) رواه البخارى فى المغازى ٤٠ ، ٦٠ ، ورواه ابن ماجه فى الفتن : ٣٦ . ولفظ الحديث كما ورد فى رواية ابن ماجه : عن عمران ابن حصين قال : ... شهدت رسول الله ﷺ وقد بعث جيشا من المسلمين إلى المشركين فلما لقوهم قاتلوهم قتالًا شديدًا فمنحوهم أكتافهم فحمل رجل من لحمتى على رجل من المشركين بالرمح فلما غشيه قال : أشهد ألا إله إلا الله .. إنى مسلم . فطعنه فقتله : ... فأتى رسول الله ﷺ : فقال : يا رسول الله هلكتُ قال وما الذى صنعت مرة أو مرتين فأخبره بالذى صنع فقال له رسول الله ﷺ : فلا شققت عن بطنه. فعلمت ما فى قلبه ؟ .

وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ[٨١]» .

وقوله – عز وجل – : « يَا أَيُّها الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنَ الّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهم[٨٢]» .

وقوله : « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَماَّ يَدْخُلِ الإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ[٨٣]» .

وقال – تعالى – : « إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُه زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكّلُونَ الَّذينَ يُقيمُون الصَّلَاةَ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[٨٤]» .

* * *

قال أبو محمد : فإن قالوا إنما هذه الآية بمعنى أن هذه الأفعال تدل على أن فى القلب إيمانا .

قلنا لهم : لو كان ما قلتم لوجب ولابد أن يكون ترك من ترك شيئًا من هذه الأفعال دليلا على أنه ليس فى قلبه إيمان وأنتم لا تقولون هذا أصلا مع أن هذا صرف للآية عن وجهها وهذا لا يجوز إلا ببرهان . وقولهم هذا ودعوى بلا برهان .

وقال – تعالى – : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِه وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فى سَبِيلِ الله أُولَئكَ هُمُ الصَّادِقُون[٨٥]» .

وقال – تعالى – : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَتِهِمْ مِنْ شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا[٨٦]» .

فأثبت – عزَّ وجل – لهم الإيمان الذى هو التصديق ثم أسقط عنا ولا يتهم إذ لم يهاجروا فأبطل بذلك إيمانهم المطلق ، ثم قال – تعالى – : « والَّذينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ الله والَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[٨٧]» .

(٨١) البقرة : ٨ – ١٠
(٨٢) المائدة : ٤١
(٨٣) الحجرات : ١٤
(٨٤) الأنفال : ٢ – ٤
(٨٥) الحجرات : ١٥
(٨٦) الأنفال : ٧٢
(٨٧) الأنفال : ٧٤

فصح يقينا أن هذه الأعمال إيمان حق وعدمها ليس إيمانا وهذا غاية البيان – وبالله تعالى التوفيق –

* * *

وقال – تعالى – : « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله ، والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه والله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون[٨٨]» .

فنصَّ – عز وجل – فى هذه الآية على من آمن بلسانه ولم يعتقد الإيمان بقلبه فإنه كافر .

ثم أخبرنا – تعالى – المؤمنون[٨٩] من هم ؟ وأنهم الذين آمنوا وأيقنوا بألسنتهم وقلوبهم معًا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

وأخبر – تعالى – أن هؤلاء هم الصّادقون .

قال أبو محمد : ويلزمهم أن المنافقين مؤمنون لإقرارهم بالإيمان بألسنتهم وهذا قول مخرج عن الإسلام وقد قال – تعالى – : « إن الله جَامِعُ المنافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فى جَهَنَّمَ جَمِيعًا[٩٠]» .

وقال – تعالى – : « إذا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه والله يَشْهَدُ إِنَّ المنَا فِقينَ لَكَاذِبُون ، اتَّخذَوُا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ، ذَلِكَ بأَنَّهُم آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلوبِهِمْ[٩١]» .

فقطع الله – تعالى – عليهم بالكفر كما ترى لأنهم أبطنوا الكفر .

* * *

قال أبو محمد : وبرهان آخر وهو أن الإقرار باللسان دون عقد القلب لا حكم له عند الله – عزَّ وجل – لأن أحدنا يلفظ بالكفر حاكيا وقارئًا له فى القرآن فلا يكون بذلك كافرًا حتَّى يقرَّ أنه عقده .

قال أبو محمد : فإن احتج بهذا أهل المقالة الأولى وقالوا هذا يشهد بأن الإعلان بالكفر ليس كفرًا .

---

(٨٨) المنافقون : ١
(٨٩) فى (أ) : (بالمؤمنين) .
(٩٠) النساء : ١٤٠
(٩١) المنافقون : ١ – ٣

قلنا له : – وبالله تعالى التوفيق – قد قلنا إنَّ التسمية ليست لنا وإنما هى لله – تعالى – فلما أمرنا – تعالى – بتلاوة القرآن وقد حكى لنا فيه قول أهل الكفر وأخبرنا – تعالى – أنه لا يرضى لعباده الكفر خرج القارىء للقرآن بذلك عن الكفر إلى رضى الله – عز وجل – والإيمان بحكايته ما نصَّ الله – تعالى – بأداء الشهادة بالحق فقال – تعالى – : « إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٩٢] » .

خرج الشاهد المخبر عن الكافر بكفره عن أن يكون بذلك كافرًا إلى رضى الله – عزَّ وجل – والإيمان ولما قال – تعالى – : « إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ولكنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا[٩٣] » .

خرج من ثبت إكراهه عن أن يكون بإظهار الكفر كافرًا إلى رخصة الله – تعالى – والثبات على الإيمان وبقى من أظهر الكفر لا قارئًا ولا شاهدًا ولا حاكيا ولا مكرها على وجوب الكفر له بإجماع الأمة على الحكم له بحكم الكفر وبحكم رسول الله – ﷺ – بذلك ، وبنص القرآن على من قال كلمة الكفر إنه كافر وليس قول الله – عز وجل – : « وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا » .

على ما ظنوه من اعتقاد الكفر فقط ، بل كلُّ من نطق بالكلام الذى يحكم لقائله عند أهل الإسلام بحكم الكفر لا قارئًا ولا شاهدًا ولا حاكيا ولا مكرها فقد شرح بالكفر صدرًا بمعنى أنه شرح صدره لقبول الكفر المحرم على أهل الإسلام[٩٤] وعلى أهل الكفر أن يقولوه وسواء اعتقدوه[٩٥] أو لم يعتقدوه[٩٦]، لأن هذا العمل من إعلان الكفر على غير الوجوه المباحة فى إيراده وهو شرح الصدر به فبطل تمويههم بهذه الآية – وبالله تعالى التوفيق –

وبرهان آخر وهو قول الله – عز وجل – : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ[٩٧] » .

فنصَّ الله تعالى – على الإيمان أنه شىء قبل نفى الارتياب ، ونفى الارتياب لا يكون ضرورة إلا بالقلب وحده .

---

(٩٢) الزخرف : ٨٦
(٩٣) النحل : ١٠٦
(٩٤) فى (أ) : سقط قوله)الإسلام وعلى أهل) فاضطرب المعنى .
(٩٥) فى (أ) : اعتقده .
(٩٦) فى (أ) : يعتقده .
(٩٧) الحجرات : ١٥

فصح أن الإيمان إذ هو قبل نفى الارتياب شيء[٩٨] آخر غير نفى الارتياب ، والذى قبل نفى الارتياب هو القول باللّسان ثم التصديق بالقلب والجهاد مع ذلك بالبدن والنفس والمال فلا يتم الإيمان بنص كلام الله – عز وجل – إلا بهذه الأقسام كلها .

فبطل بهذا النص قول من زعم أن الإيمان هو التصديق بالقلب وحده أو القول باللّسان وحده ، أو كلاهما فقط دون العمل بالبدن .

وبرهان آخر : وهو أن نقول لهم أخبرونا عن أهل النار المخلدين فيها الذين ماتوا على الكفر .

أهم حين كونهم فى النار عارفون بقلوبهم صحة التوحيد والنبوة الذى بجحدهم لكل ذلك أدخلوا النار ؟

وهل هم حينئذٍ مقرّون بذلك بألسنتهم أم لا ؟

ولابدّ من أحدهما !

فإن قالوا هم عارفون بكل ذلك مقرّون به بألسنتهم وقلوبهم .

قلنا : إنهم مؤمنون أو غير مؤمنين ؟

فإن قالوا : هم غير مؤمنين .

قلنا : قد تركتم قولكم إن الإيمان هو المعرفة بالقلب أو الإقرار باللسان فقط أو كلاهما فقط .

فإن قالوا : هذا حكم الآخرة .

قلنا لهم : فإذ جوَّزتم نقل الأسماء عن موضوعها فى اللغة فى الآخره فمن أين منعتم من ذلك فى الدنيا ولم تجوزوه لله – عزَّ وجل – فيها ؟

وليس فى الحماقة أكثر من هذا .

وإن قالوا : بل هم مؤمنون .

قلنا لهم : فالنار إذن أعدَّت للمؤمنين ، لا للكافرين وهى دار المؤمنين وهذا خلاف القرآن والسنن وإجماع أهل الإسلام المتيقن .

وإن قالوا : بل هم غير عارفين بالتوحيد ولا بصحة النبوة فى حال كونهم فى النار . أكذبهم

---

(٩٨) فى (خ) : (فهو شيء) .

نصوص القرآن وكذَّبوا ربهم – عزَّ وجل – فى إخباره أنهم عارفون بكل ذلك هاتفون به بألسنتهم راغبون فى الرجعة والإقالة ، نادمون على ما سلف منهم وكذّبوا نصوص المعقول وجاهروا بالمحال .

إذ جعلوا من شاهد القيامة والحساب والجزاء غير عارف بصحة ذلك فصحَّ بهذا أنه لا إيمان ولا كفر إلا ما سمَّاه الله – تعالى ايمانا وكفرا وشركًا فقط ، ولا مؤمن ولا كافر ولا مشرك إلا من سمَّاه الله – تعالى بشىء من ذلك إمَّا فى القرآن وإمَّا على لسان النبى – ﷺ .

* * *

قال أبو محمد : وأما من قال إن الإيمان هو العقد بالقلب والإقرار باللِّسان دون العمل بالجوارح فلا نكفر من قال بهذه المقالة وإن كانت خطأ وبدعة .

واحتجوا بأن قالوا : أخبرونا عمن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله وبرىء من كل دين حاشا الإسلام وصدَّق بكل ما جاء به النبى ﷺ واعتقد ذلك بقلبه ومات إثر ذلك أمؤمن هو أم لا ؟

فإنَّ جوابنا أنه مؤمن بلا شك عند الله – عزَّ وجل – وعندنا .

قالوا : فأخبرونا أناقص الإيمان هو أم كامل الإيمان ..؟

قالوا : فإن قلتم إنه كامل الإيمان فهذا قولنا .

وإن قلتم : إنه ناقص الإيمان سألناكم ماذا نقصه من الإيمان ؟ وماذا معه من الإيمان ؟

قال أبو محمد : فجوابنا – وبالله تعالى التوفيق – أنه مؤمن ناقص الإيمان بالإضافة إلى من له إيمان زائد بأعمال لم يعملها هذا وكل واحد فهو ناقص الإيمان بالإضافة إلى من هو أفضل أعمالًا منه حتى يبلغ الأمر إلى رسول الله – ﷺ – الذى لا أحد أتم إيمانًا منه بمعنى أحسن أعمالًا منه .

وأما قولهم : ما الذى نقصه من الإيمان ؟ فإنه نقصه الأعمال التى عملها غيره ، والتى ربنا – عز وجل – أعلم بمقاديرها .

قال أبو محمد : ومما يبين أن اسم الإيمان فى الشريعة منقول عن موضوعه فى اللغة وأن الكفر أيضًا كذلك .

فإن الكفر فى اللّغة : التغطية .

وسمّى الزرَّاع كافرًا لتغطيته الحب .

وسمى اللَّيل كافرًا لتغطيته كل شىء .

قال الله – عز وجل – « فَاسْتَغْلَظَ فَاستَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ[٩٩] » .

وقال تعالى : « كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه[١٠٠] » .

يعنى الزراع .

وقال لبيد بن ربيعة :

ألقت زكاة يمينها فى كافر[١٠١]...

يعنى الليل .

ثم نقل الله – تعالى – اسم الكفر فى الشريعة إلى جحد الربوبية وجحد نبوة نبى من الأنبياء صحَّتْ نبوته فى القرآن .

أو جحد شىء مما أتى به رسول الله – ﷺ – مما صحّ عند جاحده بنقل الكافة .

أو عمل شىءٍ قام البرهان بأن العمل به كفر ، مما قد بيناه فى كتاب الإيصال – والحمد لله رب العالمين .

فلو أن إنسانا قال : إن محمدًا – عليه الصلاة والسلام – كافر وكل من تبعه كافر وسكت وهو يريد كافرون بالطَّاغوت كما قال – تعالى : « فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوثقى لَا انْفِصَامَ لَها[١٠٢] » .

لما اختلف أحد من أهل الإسلام فى أن قائل هذا محكوم له بالكفر .

وكذلك لو قال إن إبليس وفرعون وأبا جهل[١٠٣] مؤمنون لما اختلف أحدٌ من أهل الإسلام فى أن قائل هذا محكوم له بالكفر وهو يريد مؤمنون بدين الكفر فصحّ عند كل ذى مسكة من تمييز[١٠٤] أن اسم الإيمان والكفر منقولان فى الشريعة عن موضوعهما فى اللغة بيقين لا شك فيه ، وأنه لا يجوز إيقاع اسم الإيمان المطلق على معنى التصديق بأى شىء صدق به المرء .

---

(٩٩) الفتح : ٢٩

(١٠٠) الحديد : ٢٠ والآية وردت فى الأصل محرفة هكذا (كزرع أعجب الكفار نباته) .

(١٠١) فى (أ) : جاء هذا البيت محرّفا على هذا النحو : (يمينها ألقت زكاة فى كافر) .

(١٠٢) البقرة : ٢٥٦ . وفى (أ) : جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكر (لانفصال) .

(١٠٣) الترجمة له فى ص ٢٣

(١٠٤) فى (أ) : (من يتميز) وهو تحريف .

ولا يجوز إيقاع اسم الكفر على معنى التغطية لأى شيء غطاه المرء لكن على ما أوقع الله – تعالى – عليه اسم الإيمان واسم[١٠٥] الكفر ولا مزيد .

وثبت يقينًا أن ما عدا هذا ضلال مخالف للقرآن وللسنن وللإجماع أهل الإسلام أوّلهم عن آخرهم – وبالله تعالى التوفيق .

وبقى حكم التصديق على حالة فى اللّغة لا يختلف فى ذلك إنسى ولا جنى ولا كافر ولا مؤمن فكلّ من صدق بشيءٍ فهو مصدّق به .

فمن صدَّق بالله – تعالى – وبرسوله – ﷺ – ولم يصدق بما لا يتم الإيمان إلا به فهو مصدق بالله – تعالى – أو برسوله – ﷺ – وليس مؤمنا ولا مسلما لكنه كافر مشرك لما ذكرنا – وبالله تعالى التوفيق والحمد لله رب العالمين .

(١٠٥) فى (خ) : لم يذكر (الإيمان وأسمه) .

اعتراضات للمرجئة الطبقات الثلاث المذكورة

قال أبو محمد : إن قال قائل : أليس الكفر ضدَّ الإيمان ؟

قلنا – وبالله تعالى التوفيق : إطلاق هذا القول خطأ لأن الإيمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا .

فمن تلك المعانى شيء يكون الكفر ضدًا له .

ومنها ما يكون الفسق ضدًا له لا الكفر .

ومنها ما يكون الترك ضدًا له لا الكفر ولا الفسق .

فأما الإيمان الذى يكون الكفر ضدًا له فهو العقد بالقلب والإقرار باللسان فإن الكفر ضدٌ لهذا الإيمان .

وأما الإيمان الذى يكون الفسق ضدًا له لا الكفر فهو ما كان من الأعمال فرضًا فإن تركه[1] ضد للعمل وهو فسق لا كفر .

وأما الإيمان الذى يكون الترك له ضدًا فهو كل ما كان من الأعمال تطوعًا فإن تركه ضدّ العمل به وليس فسقًا ولا كفرًا .

برهان ذلك ما ذكرناه من ورود النصوص بتسمية الله – عز وجل – أعمال البر كلها إيمانًا وتسميته – تعالى – ما سمى[2] كفرًا وما سمى[3] فسقا وما سمى معصية وما سمى إباحة لا معصية ولا كفرًا ولا إيمانًا .

---

(١) فى (خ) : (شرطه) .
(٢) فى (خ) : (ما يسمى) .
(٣) فى (خ) : (ما يسمّى) .

وقد قلنا : إن التسمية لله – عز وجل – لا لأحد غيره .

فإن قال قائل منهم : أليس جحدا لله – عزَّ وجل – بالقلب فقط لا باللسان كفرًا ؟ فلابدّ من نعم .

قال : فيجبُ على هذا أن يكون التصديق وحده إيمانًا .

فجوابنا : وبالله تعالى التوفيق – إن هذا كان يصح لكم لو كان التصديق بالقلب وحده ، أو باللسان وحده إيمانًا ، وقد أوضحنا آنفا أنه ليس شيء من ذلك على انفراده إيمانا ، وأنه ليس إيمانًا إلا ما سمّاه الله – عز وجل – إيمانا وليس الكفر إلا ما سمَّاه الله – عز وجل – كفرًا فقط .

فإن قال قائل : من أهل الطائفة الثالثة : أليس جحدُا لله – تعالى بالقلب وباللسان هو الكفر كله ؟

فكذلك يجب أن يكون الإقرار بالله – تعالى – باللسان والقلب هو الإيمان كله .

قلنا : وبالله تعالى نتأيد – ليس شيء مما قلتم بل الجحد لشيء مما صحَّ البرهان أنه لا إيمان إلا بتصديقه كفر والنطق بشيء من كل ما قام البرهان أن النطق به كفر كفر ، والعمل بشيء مما قام البرهان بأنه كفرٌ كفر ، فالكفر يزيد وكلما زاد فيه فهو كفر ، والكفر ينقص وكله مع ذلك ما بقى منه وما نقص فكله كفر ، وبعض الكفر أعظم وأشد وأشنع من بعض ، وكله كفر .

وقد أخبر – الله – تعالى – عن بعض الكفر أنه « تَكَادُ السَّمَواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْه وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَال هَدًا[٤]» وقال – عز وجل : « هَلْ تَجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون[٥]» ثم قال : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ[٦]» .

وقال – تعالى : « أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ[٧]» .

فأخبر – تعالى – أن قومًا يضاعف لهم العذاب فإذ كل هذا قول الله – عز وجل – وقوله الحق فالجزاء على قدر الكفر بالنّص وبعض الجزاء أشدُّ من بعض بالنصوص ضرورة .

والإيمان أيضا يتفاضل بنصوص صحاح وردت عن رسول الله – ﷺ – والجزاء عليه فى الجنة يتفاضل بلا خلاف .

---

(٤) مريم : ٩٠
(٥) النمل : ٩٠
(٦) النساء : ١٤٥
(٧) غافر : ٤٦

فإن قال من الطبقتين الأوليين : أليس من قولكم من عرف الله - عز وجل - والنبي - ﷺ - وأقرَّ بهما بقلبه فقط إلا أنه منكر بلسانه لكل ذلك أو لبعضه فإنه كافر ؟

وكذلك من قولكم أن من أقر بالله - عز وجل - وبرسوله - ﷺ - بلسانه فقط إلا أنه منكر بقلبه لكل ذلك أو لبعضه فإنه كافر ؟

* * *

قال أبو محمد : فجوابنا نعم هكذا نقول .

قالوا فقد وجب من قولكم إذا كان بما ذكرنا كافرًا أن يكون فعله ذلك كفرًا ولا بدَّ إذ لا يكون كافرًا إلا بكفره فيجب على قولكم أن الإقرار بالله - تعالى - وبرسوله - ﷺ - بالقلب كفر ولا بدُّ ويكون الإقرار بالله - تعالى - أيضًا وبرسوله - ﷺ - باللسان أيضًا كفر ولابدَّ .

وأنتم تقولون إنهما إيمان ، فقد وجب على قولكم أن يكونا كفرًا إيمانًا معًا وفاعلهما كافرًا مؤمنًا معًا وهذا كما ترون .

قال أبو محمد : فجوابنا - وبالله تعالى التوفيق - أن هذا شغب ضعيف وإلزام كاذب مموه[٨]، لأننا لم نقل قط أن من اعتقد وصدَق بقلبه فقط بالله تعالى وبرسوله - ﷺ - وأنكر بلسانه أو بعضه فإنّ اعتقاده لتصديق ذلك كفر ولا أنه كان بذلك كافرًا ، وإننا قلنا إنه كفر بترك إقراره بذلك بلسانه فهذا هو الكفر ، وبه صار كافرًا وبه أباح الله تعالى دمه ، أو أخذ الجزية منه باجماعكم معنا ، وإجماع جميع أهل الإسلام . وكان تصديقه بقلبه فقط بكل ذلك لغوًا محبطًا كأنه لم يكن ليس إيمانًا ولا كفرًا ، ولا طاعة ولا معصية قال تعالى : « لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ[٩]» .

وقال تعالى : « يأَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبيِّ وَلَا تَجْهَرُوا له بالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وأنتم لَا تَسْعُرون[١٠]» .

وبالضرورة يدرى كل مسلم أن من حبط عمله وبطل فقد سقط حكمه وتأثيره ، ولم يبق له رسم ، وكذلك لم نقل قط[١١] أن من أقر بلسانه وحده بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، وجحد بقلبه أن

(٨) في (أ) : (سموه) وهو تحريف .
(٩) سورة الزمر آية ٦٥ .
(١٠) الحجرات : ٢

إقراره بذلك بلسانه كفر ، ولا أنه كان به كافرًا لكنه كان كافرًا بجحده بقلبه لما جحد من ذلك ، وجحده لذلك هو الكفر ، وكان إقراره بكل ذلك بلسانه لغوًا محبطًا كما ذكرنا ، لا إيمانًا ولا طاعة ولا معصية وبالله تعالى التوفيق ، فقط هذا الإبهام الفاسد .

فإن قال قائل منهم : أليس بعض الإيمان إيمانًا ، وبعض الكفر كفرًا ، وأراد أن يلزمنا من هذا أن العقد بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح إذا كان ذلك إيمانًا فأبعاضه إذا انفردت إيمان . أو أن نقول إنَّ أبعاض الإيمان ليست إيمانا فيموّه بهذا .

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أننا نقول ونصرّح أنه ليس بعض الإيمان إيمانًا أصلًا ، بل الإيمان متركب من أشياء إذا اجتمعت صارت إيمانًا كالبلق ليس السوادُ وحده بلقا ، ولا البياض وحده بلَقًا ، فإذا اجتمعا صارا بلقا . وكالباب ليس الخشب وحده بابا ، ولا المسامير وحدها بابًا ، فإذا اجتمعا على شكل سمى حينئذ بابًا وكالصلاة فإن القيام وحده ليس صلاة ، ولا الركوع وحده صلاة ، ولا الجلوس وحده صلاة ، ولا القراءة وحدها صلاة ، ولا الذكر وحده صلاة ، ولا استقبال القبلة وحده صلاة أصلًا ، فإن[١٢] اجتمع كل ذلك سمى المجتمع حينئذ صلاة ، وكذلك الصيام المفترض والمندوب إليه ، ليس صياما كلُّ ساعة من النهار على انفرادها صيامًا ، فإذا اجتمع صيامها كلها تَسمَّى صياما ، وقد يقع فى اليوم الأكل والجماع والشراب سهوا فلا يمنع ذلك من أن يكون صيامه صحيحا ، والتسمية لله عز وجل كما قدمنا ، لا لأحد دونه بل من الإيمان شيء إذا انفرد كان كفرًا ، كمن قال مصدقا بقلبه ، لا إله إلا الله محمد رسول الله فهذا إيمان فلو أفرد لا إله وسكت سكوت قطع للكفر بلا خلاف من أحد ، ثم نسألهم فنقول لهم : فإذا انفرد صيامه أو صلاته دون إيمان أهى طاعة ؟

فَمِنْ قَوْلُهُمْ لَا ، فقد صاروا فيما أرادوا أن يمّوهوا به علينا من أنَّ أبعاض الطاعات إذا انفردت لم تكن طاعة بل كانت معصية ، وإذا اجتمعت كانت طاعة .

قال أبو محمد : فإن قالوا : إذا كان النطق باللسان عندكم إيمانا فيجب إذ اعدم المنطق[١٣] بأن يسكت الإنسان بعد إقراره أن يكون سكوته كفرًا ، فيكون بسكوته كافرًا .

قلنا : إن هذا يلزمنا عندكم فما تقولون إن سألكم أصحاب محمد بن كرَّام فقالوا لكم : إذا كان الاعتقاد بالقلب هو الإيمان عندكم فيجب إذا سها عن الاعتقاد وإحضاره ذكره أما فى حالة حديثه مع من يتحدث أو فى حال فكره أو نومه أن يكون كافرًا ، وأن يكون ذلك السهو كفرًا ، فجوابهم أنه محمول على ما صحّ منه من الإقرار باللسان .

---

(١١) فى (أ) : لم يذكر كلمة (قط) .
(١٢) فى (أ) : (فإذا) .
(١٣) فى (أ) : (النطق) .

قال أبو محمد : ونقول للجهمية والأشعرية فى قولهم : إن جحد الله تعالى وشتمه وجحد الرسول ﷺ إذا كان كل ذلك باللسان فإنه ليس كفرًا لكنه دليل على أن فى القلب كفرًا .

أخبرونا عن هذا الدليل الذى ذكرتم أتقطعون به وتثبتونه يقينا ولا تشكون فى أن فى قلبه جحدا للربوبية ، وللنبوة أم هو دليل مدخول[١٤] ويدخله الشك ، ويمكن ألا يكون فى قلبه كفر ؟ ولابدّ من أحدهما .

فإن قالوا : إنه دليل لا نقطع به قطعا ، ولا نثبته يقينا .

قلنا لهم : فما بالكم تحتجون بالظن ، الذى قال تعال فيه : « إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مَنِ الحَقِّ شَيْئًا[١٥]» .

وأعجب من هذا أنكم تشنعون على خصومكم فى هذا المكان بما ينعكس عليكم إذ تقولون[١٦]: إنكم إنما قلتم إن إعلان الكفر دليل على أن فى القلب كفرًا ، لأن الله تعالى سماهم كفارًا ، فلم يمكنا[١٧] ردّ شهادة الله تعالى ، فعاد هذا البلاء عليكم لأنكم قطعتم أنها شهادة الله عز وجل ، ثم لم تصدقوا شهادته . ولا قطعتم بها بل شككتم فيها . وهذا تكذيب لله[١٨] لا خفاء فيه . وأما نحن فمعاذ من أن نقول أو نعتقد أن الله تعالى شهد بهذا قط بل من ادّعى أن الله شهد بأن من أعلن الكفر فإنه جاحدٌ بقلبه ، فقد كذب على الله عزَّ وجل، وافترى عليه ، بل هذه شهادة الشيطان التى أضلَّ بها أولياءه ، وما شهد الله تعالى إلَّا بضد هذا ، وبأنهم يعرفون الحق ، ويكتمونه ، ويعرفون أن الله تعالى حق ، وأن محمدًا رسول الله ﷺ حق ، ويظهرون بألسنتهم خلاف ذلك ، وما سماهم[١٩] الله عزَّ وجل قط[٢٠] كفارًا إلَّا بما ظهر منهم بألسنتهم ، وأفعالهم كما فعل إبليس وأهل الكتاب ، وغيرهم .

وإن قالوا : بل نثبت بهذا الدليل ونقطع به ، ونوقن أن كل من أعلن بما يوجب إطلاق اسم الكفر عليه فى الشريعة فإنه جاحد بقلبه .

قلنا لهم : وبالله تعالى التوفيق . هذا باطل من وجوه .

أولها : أنه دعوى بلا برهان .

(١٤) فى (أ) : (يجوز) وهو تحريف .
(١٥) سورة النجم آية رقم ٢٨
(١٦) فى (أ) : سقط سطر من الناسخ من قوله (أنكم تشنعون إلى قوله : إنكم) إنما قلتم . فأدى إلى اضطراب المعنى .
(١٧) فى (أ) : (فلا يمكننا) .
(١٨) فى (أ) : لم يذكر لفظ (الله) .
(١٩) فى (أ) : (سمّاه) .
(٢٠) فى (أ) : لم يذكر كلمة (قط) .

وثانيها : أنه علم غيب لا يعلمه إلا الله عزَّ وجل والذى يضمره . وقد قال الرسول ﷺ : « إنّى لم أُبْعَث لأشق عن قلوب الناس »[٢١].

فمدّعى هذا مدّعٍ علم غيب ، ومدّعى علم الغيب كاذب .

وثالثها : أن القرآن والسنن كما ذكرنا - قد جاءت النصوص فيهما بخلاف هذا كما تلونا قبل .

ورابعها : إن كان الأمر كما تقولون فمن أين اقتصرتم بالإيمان على عقد القلب فقط ، ولم تراعوا إقرار اللسان .. ؟ وكلاهما عندكم مرتبط بالآخر لا يمكن انفرادهما وهذا يبطل قولكم إنه إذا اعتقد الإيمان بقلبه لم يكن كافراً بإعلانه الكفر فجورتم أن يعلن[٢٢] الكفر من يبطن الإيمان فظهر تناقض مذهبهم وعظيم فساده .

وخامسها : أنه كان يلزمهم إذا كان إعلان الكفر باللسان دليلًا على الجحد بالقلب ، والكفر به ولابد ، فإن إعلان الإيمان باللسان يجب أيضاً أن يكون دليلًا قاطعاً باتاً ولابد على أن فى القلب إيماناً وتصديقاً لا شك فيه لأن الله تعالى سمى هؤلاء مؤمنين كما سمى أولئك كفاراً ، ولا فرق بين الشهادتين .

فإن قالوا : إن الله تعالى قد أخبر عن المنافقين المعلنين بالإيمان المبطنين للكفر والجحد قيل لهم ، وكذلك أعلمنا الله تعالى وأخبرنا أن إبليس وأهل الكتاب والكفار بالنبوة أنهم يعلنون الكفر ، ويبطنون التصديق ويؤمنون بأن الله تعالى حق وأن رسوله حق ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولا فرق ، وكل ما موهتم به من الباطل والكذب فى هؤلاء أمكن الكرامية مثله سواء بسواء فى المنافقين وقالوا لم يكفروا قط بإبطانهم الكفر لكن مما سماهم الله بأنهم آمنوا ثم كفروا علمنا بأنهم نطقوا بعد ذلك بالكفر- ولابد -[٢٣] بشهادة الله تعالى بذلك كما ادعيتم أنتم شهادته تعالى على ما فى نفوس الكفار ولا فرق .

قال أبو محمد : رضى الله عنه - وكلتا الشهادتين من هاتين الطائفتين كذب على الله عز وجل ، وما شهد الله عز وجل قط على إبليس وأولى الكتاب بالكفر إلا بما أعلنوه من الاستخفاف بالنبوة ، وبآدم وبالنبى - ﷺ - فقط ، ولا شهد تعالى قط على المنافقين بالكفر إلا بما ابطنوه من الكفر فقط ، وأما هنا فتحريف للكلم عن مواضعه ، وإفك مفترى ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(٢١) سبق تخريج هذا الحديث ص ٤٨٠

(٢٢) فى الأصل : (يكون يعلن) وعليه لا يستقيم المعنى .

(٢٣) كلمة ولابد - سقطت من النسخة (أ) .

قال أبو محمد : رضى الله عنه : ونظروا قولهم : قالوا : مثل هذا أن يقول رسول الله – ﷺ – لا يدخل هذه الدار اليوم إلا كافر ، أو يقول : كل من دخل هذه الدار اليوم فهو كافر ، قالوا : فدخول تلك الدار دليل على أنه يعتقد الكفر ، لا أن دخول الدار كفر .

قال أبو محمد – رضى الله عنه – وهذا كذب وتمويه ضعيف بأن دخول تلك الدار فى ذلك اليوم كفر محض مجرد وقد يمكن أن يكون الداخل فيها مصدقاً بالله تعالى وبرسوله – ﷺ – إلا أن تصديقه ذلك قد حبط بدخوله الدار ، برهان ذلك أنه لا يختلف إثنان من أهل الإسلام فى أن دخول تلك الدار فى ذلك اليوم(٢٤) لا يحل ألبتة لعائشة ، ولا لأبى بكر ، ولا لعلى ، ولا لأحد من أزواج النبى – ﷺ – ولا لأحد من أصحابه – رضى الله عنهم – كما أن الله تعالى قد نص على أنه علم ما فى قلوبهم ، وأنزل السكينة عليهم ، وإذ ذلك كذلك فقد وجب ضرورة أن هؤلاء – رضى الله عنهم – لو دخلوا تلك الدار لكانوا كفاراً بلا شك بنفس دخولهم فيها ، ولحبط إيمانهم ، فإن قالوا لو دخلها هؤلاء لم يكفروا وكانوا هم قد كفروا لأنهم بهذا القول قاطعون بأن كلامه – ﷺ – كذب فى قوله : لا يدخلها إلا كافر ، واحتج بعضهم فى هذا المكان بقول الأخطل(٢٥) النصرانى لعنه الله إذ يقول :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

قال أبو محمد – رضى الله عنه – فجوابنا على هذا الاحتجاج أن نقول ملعون ، ملعون قائل هذا البيت ، وملعون ، ملعون من جعل قول ها النصرانى حجة فى دين الله عز وجل ، وليس هذا من باب اللغة التى يحتج فيها بالعربى ، وإن كان كافراً ، وإنما هى قضية عقلية فالعقل والحس يكذبان هذا البيت ، وقضية شرعية فالله عز وجل أصدق من النصرانى اللعين إذ يقول عز وجل : « يَقُولُون بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فى قُلوبِهِمْ »(٢٦).

فقد أخبر عز وجل بأن من الناس من يقول بلسانه ما ليس فى فؤاده بخلاف قول الأخطل – لعنه الله – إن الكلام لفى الفؤاد ، واللسان دليل على الفؤاد ، فأما نحن فنصدق الله عز وجل ونكذب الأخطل ، ولعن الله من يجعل الأخطل حجة فى دينه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فإن قالوا : إن الله عز وجل قال : « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ الْقَوْلِ(٢٧)» . قلنا : لولا أن الله

---

(٢٤) سقطت (فى ذلك اليوم) من (أ) .

(٢٥) هو : غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو من بنى تغلب أبو مالك شاعر اتصل بالأمويين فكان شاعرهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق ، كانت إقامته فى دمشق مقر الخلفاء من بنى أمية وحينا فى الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه ، وأخباره مع الشعراء والخلفاء كثيرة . له ديوان شعر مطبوع ، ولفؤاد البستانى كتاب عن الأخطل توفى عام ٩٠ هـ . (الأعلام : للزركلى) .

(٢٦) سورة آل عمران آية ١٦٧

(٢٧) سورة محمد آية ٣٠

عز وجل عرفه بهم ودله عليهم بلحن القول ما كان لحن قولهم دليلًا عليهم ولم يطلق الله تعالى هذا على كل أحد بل على أولئك خاصة ، بل قد نص تعالى على آخرين بخلاف ذلك اذ يقول : « وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ(٢٨) » .

فهؤلاء من أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق لم يعلمهم قط رسول الله - ﷺ - بلحن قولهم ، ولو أن الناس لم يضربوا قط كلام ربهم تعالى بعضه ببعض وأخذوه كله على مقتضاه لاهتدوا لكن : من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدا .

وقد قال عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِين كَرِهُوا مَا نَزَّلَ الله سَنُطِيعُكُمْ فى بَعْضِ الأَمْرِ والله يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فكَيْفَ إِذَا تَوفَّتْهُم الملائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ الله وَكَرِهُوا رِضْوانَه فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(٢٩) » .

فجعلهم تعالى مرتدين كفارًا بعد علمهم الحق ، وبعد أن تبين لهم الهدى بقوله للكفار ما قالوا فقط ، وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم ، ولم يقل تعالى أنها جحد أو تصديق ، بل قد صح أن فى سرهم التصديق ، لأن الهدى قد تبين لهم ، ومن تبين له شيء فلا يمكن ألبتة أن يجحده بقلبه أصلًا ، وأخبرنا تعالى أنه قد أحبط أعمالهم باتباعهم ما أسخطه وكراهيتهم رضوانه ، وقال تعالى : « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرون(٣٠) » .

فهذا نص جلى وخطاب للمؤمنين بأن إيمانهم يبطل جملة وأعمالهم تحبط برفع أصواتهم فوق صوت النبى - ﷺ - دون جحد كان منهم أصلًا ولو كان منهم جحد لشعروا به ، والله تعالى أخبرنا بأن ذلك يكون وهم لا يشعرون فصح أن من أعمال الجسد ما يكون كفرًا مبطلًا لإيمان فاعله جملة ، ومنه ما لا يكون كفرًا لكن على ما حكم الله تعالى به فى كل ذلك ولا مزيد .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - فإن قال قائل من أين قلتم إن التصديق لا يتفاضل ونحن نجد خضرة أشد من خضرة ، وشجاعة أشد من شجاعة ، لاسيما والشجاعة والتصديق كيفيتان من صفات النفس معًا ، فالجواب وبالله تعالى التوفيق أن كل ما قيل من الكيفيات الأشد

(٢٨) سورة التوبة آية ١٠١

(٢٩) سورة محمد آية رقم ٢٥ إلى ٢٨

(٣٠) سورة الحجرات آية رقم ٢

(٣١) رواه البخارى فى الإيمان ١٥ والرقاق ٣٥ ، والفتن ١٣ والتوحيد ٣٤ ورواه الإمام مسلم فى الإيمان ١٤٧ - ١٤٩ وأبو داود فى اللباس ٣٦ والترمذى فى الفتن ١٧ وابن ماجه فى المقدمة ٩ والزهد ١٦ واحمد ١ - ٢٨٣ ، ٢٩٦ .

والأضعف فإنما يقبلهما بمزاج يداخله من كيفية أخرى ، ولا يكون ذلك إلا فيما بينه وبين ضده منها وسائط قد تمازج كل واحد من الضدين أو فيما جاز امتزاج الضدين فيه ، كما نجد بين الخضرة والبياض وسائط من حمرة وصفرة تمازجهما فتولد حينئذ بالممازجة الشدة والضعف وكالصحة التى هى اعتدال مزاج العضو ، فإذا مازج ذلك الاعتدال فضل ما كان مرضه بحسب ما مازجه فى الشدة والضعف ، والشجاعة ، إنما هى استسهال النفس للثبات والإقدام عند المعارضة فى اللقاء ، فإذا ثبت الإثنان فإثباتًا واحدًا ، وإقدامهما إقدامًا مستويًا فهما فى الشجاعة سواء ، وإذا ثبت أحدهما أو أقدم فوق ثبات الآخر وإقدامه كان أشجع منه ، وكان الآخر قد مازج ثباته أو إقدامه جبن ، وأما ما كان من الكيفيات لا يقبل المزاج أصلًا فلا سبيل إلى وجود التفاضل فيه ، وكل ذلك على حسب ما خلقه الله عز وجل من كل ذلك ولا مزيد ، كاللّون فإنه لا سبيل إلى أن يكون لون أشد دخولًا فى أنه من لون آخر إذ لو مازج الصدق غيره لصار كذبًا فى الوقت ، ولو مازج التصديق شىء غيره لصار شكاً فى الوقت ، وبطل التصديق جملة ، وبالله تعالى التوفيق ، والإيمان قد قلنا إنه ليس هو التصديق وحده بل أشياء مع التصديق كثيرة فإنما دخل التفاضل فى كثرة تلك الأشياء وقلتها ، وفى كيفية إيرادها وبالله تعالى التوفيق ، وهكذا قال رسول الله – ﷺ – : « أنه يخرج من النار من فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، ثم من فى قلبه مثقال برة من إيمان ، ثم من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، إلى أدنى أدنى من ذلك[٣١] » . إنما أراد عليه السلام من قصد إلى عمل شىء من الخير أوهمَّ به ولم يعمله بعد أن يكون مصدقًا بقلبه بالإسلام مقرًا بلسانه كما فى الحديث المذكور « من قال لا إله إلا الله وفى قلبه مثقال كذا » .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ومن النصوص على أن الأعمال إيمان قول الله تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[٣٢] » .

فنص تعالى نصًا جليًا لا يحتمل تأويلًا وأقسم تعالى بنفسه أنه لا يؤمن أحد إلا من حكم رسوله – ﷺ – فيما شجر بينه وبين غيره ، ثم يسلم لما حكم به عليه السلام ولا يجد فى نفسه حرجًا مما قضى ، وهذه كلها أعمال باللسان وبالجوارح غير التصديق بلا شك وتسليم أيضًا بالقلب غير التصديق[٣٣] وفى هذا كفاية لمن عقل .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ومن العجب قولهم إن الصلاة والصيام والزكاة ليست إيمانًا لكنها شرائع الإيمان .

---

(٣٢) سورة النساء اية رقم ٦٥

(٣٣) سقطت العبارة (وتسليم أيضًا لقلب غير التصديق) من (أ) .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – هذه تسمية لم يأذن الله تعالى بها ولا رسوله ﷺ – ولا أحدٌ من الصحابة – رضى الله عنهم – بل الإسلام هو الإيمان وهو الشرائع ، والشرائع هى الإيمان والإسلام ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : – رضى الله عنهم – واختلف الناس فى الكفر والشرك فقالت طائفة : هما اسمان واقعان على معنيين وأن كل شرك كفر ، وليس كل كفر شركًا وقال هؤلاء : لا شرك إلا قول من جعل لله شريكًا . قال هؤلاء : واليهود والنصار كفار لا مشركون[٣٤]، وسائر الملل كفار مشركون ، وهو قول أبى حنيفة[٣٥] وغيره وقال آخرون : الكفر والشرك سواء ، وكل كافر فهو مشرك ، وكل مشرك فهو كافر ، وهو[٣٦] قول الشافعى وغيره .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – واحتجت الطائفة الأولى بقول الله عز وجل : « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ[٣٧]» .

قالوا ففرق الله تعالى بين الكفار والمشركين وقالوا لفظة الشرك مأخوذة من الشريك فمن لم يجعل لله تعالى شريكًا فليس مشركًا .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – هذه عمدة حجتهم ما نعلم لهم حجة غير هاتين .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – أما احتجاجهم بقول الله عز وجل : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » .

فلو لم يأت فى هذا المعنى ، غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة لكن الذى أنزل هذه الآية هو القائل : « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ الله والمسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِدًا[٣٨]» .

---

(٣٤) سقطت كلمة (لا مشركون) من (أ) وهذا السقط يخل بالمعنى .

(٣٥) هو : النعمان بن ثابت التيمي بالولاء ، الكوفى ، أبو حنيفة إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد ، المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، قيل أصله من أبناء فارس . ولد ونشأ بالكوفة ، كان يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء ، وأراده عمر بن هبيرة أمير العراقين على القضاء فامتنع ورعا ، وأراده المتصور العباسى فأبى ، فحبسه إلى أن مات عام ١٥٠ هـ . (الأعلام) .

(٣٦) هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبت الشافعية كافة . ولد فى غزة بفلسطين ، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين ، وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ . فبقى فيها إلى أن توفى عام ٢٠٤ هـ . وقبره معروف فى القاهرة . قال الإمام أحمد بن حنبل : « ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلّا وللشافعى فى رقبته منه . له تصنايف كثيرة من أشهرها كتاب : الأم ، والرسالة ، وأدب القاضى . للشيخ مصطفى عبد الرازق رسالة الامام الشافعى وللشيخ محمد أبو زهرة كتاب (الشافعى) (الأعلام) » .

(٣٧) سورة البينة : ١

(٣٨) سورة التوبة آية رقم ٣١

وقال تعالى : « ياَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ[٣٩] » . وقال تعالى عنهم أنهم قالوا : إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ[٤٠]، وهذا كله تشريك ظاهر لا خفاء فيه[٤١]، فإذ قد صح الشرك والتشريك فى القرآن من اليهود والنصارى فقد صح أنهم مشركون ، وأن الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد ، وقد قلنا إن التسمية لله عز وجل لا لنا ، فإذ ذلك كذلك فقد صح أن قوله تعالى : الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِين[٤٢] » . كقوله تعالى : « إنَّ اللهَ جَامِعُ المنافِقِينَ والكَافِرِينَ فِى جَهَنَّم جَمِيعًا[٤٣] » .

ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام فى أن المنافقين كفار وكقوله تعالى : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِه وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلكَافِرِين[٤٤] » ولا خلاف فى أن جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى : « فِيهِما فَاكِهةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ[٤٥] » والرمان : الرمان من الفاكهة ، والقرآن نزل بلغة العرب ، والعرب تعيد[٤٦] الشيء باسمه ، وإن كانت قد أجملت ذكره تأكيدًا لأمره ، فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين فى اللفظ وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بأن لفظ الشرك ، مأخوذ من الشريك فقد قلنا إن التسمية لله عز وجل لا لأحد دونه ، وله تعالى أن يوقع أى اسم شاء على أى مسمى شاء . برهان ذلك أن من أشرك بين عبدين له فى عمل ما ، أو بين إثنين فى هبة وهبها لهما ، فإنه لا يطلق عليه اسم مشرك ولا يحل أن يقال إن فلانًا أشرك ، ولا أن عمله شرك ، فصح أنها لفظة منقولة أيضًا عن موضوعها فى اللغة كما أن الكفر لفظة منقوله أيضًا عن موضوعها فى اللغة[٤٧] إلى ما أوقعها الله تعالى عليه ، والتعجب من أهل[٤٨] هذه المقالة وقولهم أن النصارى ليسوا مشركين وشركهم أظهر وأشهر من أن يجهله أحد ، لأنهم يقولون كلهم بعبادة الآب ، والابن ، وروح القدس ، وأن المسيح إله حق ، ثم يجعلون البراهمة مشركين ، وهم لا يقرون إلا بالله وحده ، ولقد كان يلزم أهل هذه المقالة أن لا يجعلوا كافرًا إلا من جحد الله تعالى فقط .

---

(٣٩) سورة المائدة آية رقم ١١٦
(٤٠) سورة المائدة آية رقم ٧٣
(٤١) فى (خ) : به .
(٤٢) سورة البينة آية رقم ١
(٤٣) سورة النساء آية رقم ١٤٠
(٤٤) سورة البقرة آية رقم ٩٨
(٤٥) سورة الرحمن آية رقم ٦٨
(٤٦) فى (أ) : تعبد بالباء الموحدة وهذا تحريف يؤدى إلى فساد المعنى .
(٤٧) سقطت من (أ) كلمة : فى اللغة .
(٤٨) سقطت من (خ) كلمة : أهل .

فإن قال قائل : كيف اتخذ اليهود والنصارى أربابًا من دون الله وهم ينكرون هذا .. ؟ قلنا : وبالله تعالى التوفيق – إن التسمية لله عز وجل ، فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ، ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة ، وعبادة صحيحة ، قد دانوا بها ، وسمى الله تعالى هذا العمل[٤٩] اتخاذ أرباب من دون الله ، وعبادة ، وهذا هو الشرك بلا خلاف كما سمى كفرهم بأن رسول الله – ﷺ – نبى ناسخ لما هم عليه كفر بالله عز وجل ، وإن كانوا مصدقين به تعالى ، لكن لما أحبط الله تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة .

فإن قالوا : كيف تقولون إن الكفار مصدقون بالله تعالى ، والله تعالى يقول : « لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقِى الَّذِى كَذَّبَ وَتوَلَّى[٥٠]» .

ويقول تعالى : « وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المكَذِّبِينَ الضَّالِينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيةُ جَحِيم[٥١]» .

قلنا وبالله تعالى نتأيد إن كل من خرج إلى الكفر بوجه من الوجوه ، فلا بدله من أن يكون مكذبًا بشىء مما لا يصح الإسلام إلا به ، أوردَّ أمرًا من أمور الله عز وجل لا يصح الإسلام إلا به فهو مكذب بذلك الشىء الذى رده أو كذب به ، ولم يقل الله تعالى الذى كذب بالله عز وجب لكن قال كذَّبَ وَتَوَلّى » . ولا قال تعالى وأما إن كان من المكذبين بالله « وإنما قال تعالى من المكذبين الضالين فقط . [فمن كذب بأمر من أمور الله عز وجل لا يصح الإسلام إلا به[٥٢]] فهو مكذب على الاطلاق كما سماه الله تعالى ، وإن كان[٥٣] مصدقًا بالله تعالى ، وبما صدق به .

قال أبو محمد : ـــ رضى الله عنه – فإن قالوا كيف تقولون : إن اليهود عارفون بالله والنصارى والله تعالى يقول : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وَلَا بِالْيَومْ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولَه ، وَلَا يَدِينُون دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَاب .. ؟[٥٤]» .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : قد قلنا إن التسمية إلى الله عز وجل لا لأحد دونه وقلنا إن اسم الإيمان منقول عن موضوعه فى اللغة عن التصديق المجرد إلى معنى آخر زائد على[٥٥] التصديق فلما لم يستوفوا تلك المعانى بطل تصديقهم جملة ، واستحقوا ببطلانه أن يسموا غير مؤمنين بالله

(٤٩) سقطت من (خ) كلمة : هذا العمل .
(٥٠) سورة الليل آية : ١٥ – ١٦
(٥١) سورة الواقعة آية رقم ٩٢ – ٩٤
(٥٢) ما بين القوسين سقط من (خ) .
(٥٣) سقطت كلمة : وإن كان من (خ) .
(٥٤) سورة التوبة آية رقم ٢٩
(٥٥) فى (خ) : مع التصديق .

ولا باليوم الآخر ، فإن قيل فهل هم مصدقون بالله وباليوم الآخر .. ؟ قلنا : نعم ، فإن قيل ففيهم موحدون لله تعالى .. ؟ قلنا : نعم ، فإن قيل فهم مؤمنون بالله وبالرسول وباليوم الآخر .. ؟ قلنا : لا لأن الله تعالى نص على كل[٥٦] ما قلنا ، فأخبر تعالى أنهم يعرفونه ، ويقرون به ، ويعرفون نبيه - ﷺ - وأنه نبى فأقررنا بذلك وأسقط تعالى عنهم اسم الإيمان ، فأسقطناه عنهم ، ومن تعدى هذه الطريقة فقد كذب ربه تعالى ، وخالف القرآن ، وعاند الرسول ، وخرق إجماع أهل الإسلام ، وكابر حسه وعقله مع ذلك وبالله تعالى التوفيق .

وهكذا نقول : فيمن كان مسلمًا ثم أطلق لو اعتقد ما يوجب الخروج عن الإسلام كالقول بنبوة إنسان بعد النبى - ﷺ - أو بتحليل الخمر ، أو غير ذلك فإنه مصدق بالله عز وجل وبرسوله - ﷺ - موحد عالم بكل ذلك ، وليس مؤمنًا مطلقًا ولا مؤمنًا بالله تعالى ولا بالرسول - ﷺ - ولا باليوم الآخر كما ذكرنا[٥٧] آنفًا ، ولا فرق لاجماع الأمة كلها على استحقاق اسم الكفر على من ذكرنا وبالله تعالى التوفيق - وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليمًا ، والحمد لله رب العالمين .

---

(٥٦) سقطت من (أ) كلمة : كل .
(٥٧) فى (أ) : لما ذكرنا .

الكلام فى تسمية المؤمن بالمسلم ، والمسلم بالمؤمن ، وهل الإيمان والإسلام إسمان لمسمى واحد ومعنى واحد أو لمسميين ومعنيين .. ؟[1]

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - ذهب قوم إلى أن الإسلام والإيمان اسمان واقعان على معنيين ، وأنه قد يكون مسلم غير مؤمن واحتجوا بقول الله عز وجل : « قَالَتْ الأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ولَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ فى قلوبِكُمْ[2] » . وبالحديث المأثور عن رسول الله ﷺ إذ قال له سعد هل لك يا رسول الله فى فلان فإنه مؤمن .. ؟ فقال له رسول الله - ﷺ - أو مسلم[3] » .

وبالحديث المأثور عن رسول الله - ﷺ - إذ أتاه جبريل - ﷺ - فى صورة فتى غير معروف العين فسأله عن الإسلام فاجابه بأشياء فى جملتها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأعمال أخرى مذكورة فى ذلك الحديث وسأله عن الإيمان فأجابه بأشياء من جملتها أن تؤمن بالله وملائكته ، وبحديث لا يصح من أن المرء يخرج عن الإيمان إلى الإسلام ، وذهب آخرون إلى أن الإيمان والإسلام لفظان مترادفان على معنى واحد واحتجوا بقول الله عز وجل « فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ المُؤْمِنينَ فَماَ وَجَدْنَا فِيها غَيْرَ بَيْتَ مِنَ المُسْلِمين[4] » . وبقوله تعالى : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلَامَكُمْ بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإيمانِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين[5] » .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - والذى نقول به وبالله تعالى التوفيق أن الإيمان أصله فى اللغة : التصديق على الصفة التى ذكرنا قبل ثم أوقعه الله عز وجل فى الشريعة على جميع الطاعات ،

---

(١) جاء فى (خ) : الكلام فى تسمية المذنبين من المسلمين وحكمهم ، وهل الإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد الخ .

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٤

(٣) الحديث رواه مسلم فى الإمام ٣٣٦ ، وأبو داود فى السنه ١٥ ، والنسائى فى الإمام ٧ ، وأحمد بن حنبل ١ : ١٧٦ .

(٤) سورة الذاريات آية رقم ٣٥ / ٣٦

(٥) سورة الحجرات آية رقم ١٧

واجتناب المعاصى ، إذا قصد بكل ذلك من عمل أو ترك وجه الله عز وجل وأن الإسلام أصله فى اللغة : التبرؤ ، تقول أسلمت أمر كذا إلى فلان إذا تبرأت منه إليه ، فسمى المسلم مسلمًا لأنه تبرأ من كل شىء إلى الله عز وجل ثم نقل الله تعالى اسم الإسلام أيضًا إلى جميع الطاعات ، وأيضًا فإن التبرؤ إلى الله من كل شىء هو معنى التصديق ، لأنه لا يبرأ إلى الله تعالى من كل شىء حتى يصدق به ، فإذا أريد بالإسلام المعنى الذى هو خلاف الكفر ، وخلاف الفسق ، فهو والإيمان شىء واحد كما قال تعالى : « لَا تَمنُّوا علىَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ[٦]» .

وقد يكون الإسلام أيضًا بمعنى الاستسلام أى أنه استسلم للملة خوف القتل ، وهو غير معتقد لها ، فإذا أريد بالإسلام هذا المعنى فهو غير الإيمان ، وهو الذى أراد الله تعالى بقوله : « لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قولوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخلُ الإيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ[٧]» .

وبهذا تتألف النصوص المذكورة من القرآن والسنن ، وقد قال تعالى : « وَمَنْ يبْتَغِ غَيرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ[٨]» .

وقال رسول الله – ﷺ – لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة[٩]» فهذا هو الإسلام الذى هو الإيمان فصح أن الإسلام لفظة مشتركة كما ذكرنا ومن البرهان على أنها لفظة منقولة عن موضوعها فى اللغة أن الإسلام فى اللغة : هو التبرؤ فأى شىء تبرأ منه المرء فقد أسلم من ذلك الشىء وهو مسلم له كما أن من صدق بشىءْ فقد آمن به ، وهو مؤمن به وبيقين لا شك فيه يدرى كل احد أن كل كافر على وجه الأرض فإنه مصدق بأشياء كثيرة من أمور دنياه ومتبرىء من أشياء كثيرة ، ولا يختلف اثنين من أهل الإسلام فى أنه لا يحل لأحد أن يطلق على الكافر من أجل ذلك أنه مؤمن ، ولا أنه مسلم ، فصح يقينا أن لفظة الإسلام والإيمان منقولة عن موضوعها فى اللغة إلى معان محدودة معروفة ، لم تعرفها العرب قط ، حتى أنزل الله عز وجل بها الوحى على رسوله – ﷺ – أنه من أتى بها استحق اسم الإيمان والإسلام وسمى مؤمنا مسلمًا ، ومن لم يأت بها لم يسم مؤمنًا ولا مسلمًا ، وإن صدق بكل شىء غيرها ، أو تبرأ من كل شىء حاشى ما أوجبت الشريعة التبرأ منه وكذلك الكفر والشرك لفظتان منقولتان عن موضوعهما فى اللغة لأن الكفر فى اللغة : التغطية والشرك أن تشرك شيئا مع آخر فى أى معنى جمع بينهما ، ولا خلاف بين أحد من

---

(٦) سورة الحجرات آية رقم ١٧

(٧) سورة الحجرات آية رقم ١٤

(٨) سورة آل عمران آية رقم ٨٥

(٩) رواه مسلم فى الإيمان ١٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، والترمذى فى الحج ٤٤ والنسائى فى المناسك ١٦١ ، وابن ماجه فى الصيام ٣٥ والدارمى فى السير ٦٣ واحمد بن حنبل ١ : ٣ ، ٢ : ٣٠٩

أهل التمييز فى أن كل مؤمن فى الأرض فى أنه يغطى أشياء ، ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام فى أنه لا يجوز أن يطلق عليه من أجل ذلك الكفر ، ولا الشرك ، ولا أن يسمى كافرًا ولا مشركًا ، وصح يقينا أن الله تعالى نقل اسم الكفر والشرك إلى أنكار أشياء لم تعرفها العرب ، وإلى أعمال لم تعرفها العرب قط ، كمن جحد الصلاة أو صوم رمضان ، أو غير ذلك من الشرائع التى لم تعرفها العرب قط ، حتى أنزل الله تعالى بها[١٠] وصيه ، أو كمن عبد وثنًا فمن أتى بشىء من تلك الأشياء سمى كافرًا أو مشركًا ، ومن لم يأت بشىء من تلك الأشياء لم يسم كافرًا ولا مشركًا ، ومن خالف هذا فقد كابر الحس ، وجحد العيان ، وخالف الله تعالى ورسوله - ﷺ - والقرآن ، والسنن وإجماع المسلمين ، وبالله تعالى التوفيق .

فصل

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - واختلف الناس فى قول المسلم : أنا مؤمن فروينا عن ابن مسعود ، وجماعة من أصحابه الأفاضل ، ومن بعده من الفقهاء أنه كره ذلك وكان يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، وقال بعضهم آمنت بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، وكانوا يقولون : من قال : أنا مؤمن فليقل إنه من أهل[١١] الجنة .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - فهذا ابن مسعود وأصحابه حجج فى اللغة فأين جهال المرجئة المموهون اللغة[١٢] فى نصر بدعتهم .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - والقول عندنا فى هذه المسألة أن هذه صفة يعلمها المرء من نفسه ، فإنه كان يدرى أنه مصدق بالله عز وجل ، وبمحمد ﷺ ، وبكل ما أتى به عليه السلام ، وأنه يقر بلسانه بكل ذلك فواجب عليه أن يعترف بذلك كما أمر تعالى إذ قال تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث[١٣]» .

ولا نعمة أوكد ، ولا أفضل ، ولا أولى بالشكر من نعمة الإسلام ، فواجب عليه أن يقول : أنا مؤمن مسلم قطعًا عند الله تعالى فى وقتى هذا ولا فرق بين قوله أنا مؤمن مسلم ، وبين قوله : أنا أسود ، أو أنا أبيض ، وهكذا سائر صفاته التى لا يشك فيها ، وليس هذا من باب الامتداح

(١٠) سقطت من (أ) كلمة : بها .
(١١) فى (خ) : فى الجنة .
(١٢) سقطت من (أ) كلمة : اللغة .
(١٣) سورة الضحى آية رقم ١١

والعجب فى شىء ، لأنه فرض عليه أن يحقن دمه بشهادة التوحيد ، قال تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ويعْقُوبَ والأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنَ لَهُ مُسْلِمُونَ[١٤]» .

وقول ابن مسعود عندنا صحيح ، لأن الإسلام والإيمان اسمان منقولان عن موضوعهما فى اللغة إلى جميع البر والطاعات ، فإنما منع ابن مسعود من القول بأنه مسلم مؤمن ، على معنى أنه مستوف لجميع الطاعات ، وهذا صحيح ، ومن ادعى لنفسه هذا فقد كذب بلا شك ، وما منع . رضى الله عنه من أن يقول المرء : إنى مؤمن بمعنى[١٥] مصدق ، كيف وهو يقول : قل آمنت بالله ورسله : أى صدقت .

وأما من قال : فقل إنك فى الجنة ، فالجواب أننا نقول : إن متنا على ما نحن عليه الآن فلابد لنا من الجنة بلا شك ، وبرهان ذلك أنه قد صح من نصوص القرآن والسنن والإجماع أنَّ من آمن بالله ورسوله – ﷺ – ، وبكل ما جاء به ، ولم يأت بما هو كفر ، فإنَّه فى الجنة ، إلا أننا لا ندرى ما يفعل بنا فى الدنيا ، ولا نأمن مكر الله تعالى ولا إضلاله ولا كيد الشيطان ، ولا ندرى ماذا نكسب غدًا ، ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(١٤) سورة البقرة آية رقم ١٣٦

(١٥) سقطت من (خ) كلمة : بمعنى .

« اختلاف الناس فى تسمية المذنب »

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – اختلف الناس فى تسمية المذنب من أهل ملتنا . فقالت المرجئة هو مؤمن كامل الإيمان ، وإن لم يعمل خيرًا قط ، ولا كف عن شر قط وقال بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد هو كافر مشرك كعابد الوثن ، بأى ذنب كان منه صغيرًا كان الذنب[1] أو كبيرًا ، ولو فعله[2] على سبيل المزاح .

وقالت الصفارية[3]: إن كان الذنب كبيرًا فهو مشرك كعابد الوثن ، وإن كان الذنب صغيرًا فليس كافرًا[4].

وقالت الأباضية[5]: إن كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة تحل موارثته ، ومنكاحته وأكل ذبيحته ، وليس مؤمنًا ولا كافرًا على الإطلاق .

وروى عن الحسن البصرى وقتاده – رضى الله عنهما – أن صاحب الكبيرة منافق ، وقالت المعتزلة : إن كان الذنب من الكبائر فهو فاسق ليس مؤمنا ولا كافرًا ولا منافقًا وأجازوا مناكحته ، وموارثته وأكل ذبيحته ، قالوا : وإن كان من الصغائر فهو مؤمن ولا شىء عليه .

---

(١) سقطت كلمة (كان الذنب) من (أ) .

(٢) فى (خ) : « كذبه » بدلًا من فعله .

(٣) الصفارية : من الخوارج أتباع زياد بن الأصفر ، وقولهم فى الجملة كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفارية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم والأزارقة يرون ذلك ، وقد زعمت فرقة من الصفارية ، أن ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه كافرًا ولا مشركًا ، وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر .

وكل الصفارية يقولون بموالاة عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير وأتباعهما من المحكمة الأولى . (الفرق بين الفرق ص ٧٠ ، ٧١) .

(٤) فى (أ) : سقط الكلام من : قالت الصفارية إلى : فليس كافرًا .

(٥) الأباضية : أجمعت على القول بإمامة عبد الله بن أباض ، وأفترقت فيما بينها فرقًا يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة – يعنون بذلك مخالفيهم – براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ، ولا مشركين ولكنهم كفار ، وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم فى السر واستحلوها فى العلانية وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم ، وقالوا : باستحلال بعض أموالهم كالخيل والسلاح ، فإما الذهب والفضة فهم يردونهما على أصحابهما فى الغنمية ثم افترقت الأباضية أربع فرق : وهى الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها . (الفرق بين الفرق ص ٨٢ ، ٨٣) .

وذهب أهل السنة من أصحاب الحديث والفقهاء إلى أنه مؤمن فاسق ناقص الإيمان وقالوا : الإيمان اسم معتقده وإقراره ، وعمله الصالح ، والفسق اسم عمله السيء إلا أن بين السلف منهم والخلف اختلافًا فى تارك الصلاة عمدًا ، حتى يخرج وقتها ، وتارك الصوم لو مضى كذلك ، وتارك الزكاة ، وتارك الحج كذلك ، وفى قاتل المسلم عمدًا ، وفى شارب الخمر ، وفيمن سب نبيًا من الأنبياء عليهم السلام وفيمن ردَّ حديثًا قد صح عنده عن النبى - ﷺ .

فروينا عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه ، ومعاذ بن جبل(٦)، وابن مسعود ، وجماعة من الصحابة - رضى الله عنهم ، وعن ابن المبارك(٧)، وأحمد بن حنبل(٨)، وإسحاق بن راهوية(٩)، رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلًا من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، أن من ترك صلاة فرض عامدًا ذاكرًا حتى يخرج وقتها فإنه كافر مرتد ، وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون(١٠)، صاحب مالك ، وبه يقول عبد الملك ابن حبيب الأندلسى(١١)، وغيره . وروينا عن عمرو رضى الله عنه مثل ذلك فى تارك الحج وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك فى تارك الزكاة والصيام ، وفى قاتل المسلم عمدًا ، وعن أبى موسى الأشعرى(١٢) وعبد الله بن عمرو ابن العاص(١٣) فى شارب الخمر ،

(٦) معاذ بن جبل : هو ابن عمر بن أوس الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن ، صحابى جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وأحد الستة الذين جمعوا القرآن فى عهد الرسول - وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ، ارسله الرسول قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن له ١٥٧ حديثًا وتوفى عقيمًا بناحية الأردن عام ١٨ هـ ومن كلام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لولا معاذ لهلك عمر » (الأعلام للزركلى)

(٧) ابن المبارك : هو عبد الله بن المبارك ابن واضح الحنظلى بالولاء التميمى أبو عبد الرحمن الحافظ ، شيخ الاسلام المجاهد ، التاجر صاحب الرحلات والتصانيف ، أفنى عمره فى الأسفار حاجًا ومجاهدًا ، وتاجرًا ، وجمع الحديث والفقه والعربية . كان من سكان خراسان ، ومات بهيت على الفرات منصرفًا من غزو الروم عام ١٨١ هـ له كتاب فى الجهاد وهو أول من صنف فيه . (الاعلام للزركلى) .

(٨) احمد بن حنبل : هو احمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى الوائلى امام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة ، أصله من مرو ، وكان أبوه والى سرقس ولد ببغداد عام ١٦٤ هـ سافر إلى الكوفة والبصرة ، ومكة والمدينة وغيرها من البلدان صنف المسند وله كتب فى التاريخ والناسخ والمنسوخ والرد على من ادعى التناقض » منى بالمحنة وهى خلق القرآن وتوفى عام ٢٤١ هـ صنف ابن الجوزى فى سيرته (مناقب الامام احمد) .

(٩) إسحاق بن راهوية : هو إسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى التميمى أبو يعقوب بن راهويه ، عالم خراسان فى عصره ، من سكان مرو ، وهو أحد كبار الحفاظ ، طاف البلاد لجمع الحديث ، وأخذ عنه أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وقيل فى سبب تلقيدية ابن راهويه : أن أباه ولد فى طريق مكه فقال أهل مرو أراهويه أى : ولد فى الطريق . رحل إلى العراق ، والحجاز ، واليمن ، واستوطن نيسابور ، وتوفى بها عام ٢٣٨ هـ .
(الاعلام للزركلى) .

(١٠) عبد العزيز الماجشون : هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمى ، أبو عبد الله فقيه من حفاظ الحديث الثقات ، له تصانيف ، كان وقورًا عاقلا ثقة أصله من أصبهان ، نزل المدينة ، ثم قصد بغداد فتوفى فيها . وصلى عليه الخليفة المهدى . ودفن فى مقابر قريش عام ١٦٤ هـ ، ويعد من فقهاء المدينة . (الاعلام للزركلى)

(١١) عبد الملك بن حبيب الأندلسى : هو ابن سليمان بن هارون السلمى ، القرطبى ، أبو مروان عالم الأندلسى ، وفقيهها فى عصره ، أصله من طليطلة ، ولد فى « البيرة » وسكن قرطبة ، وزار مصر ، ثم عادا إلى الأندلس فتوفى بقرطبة ، عام ٢٣٨ هـ كان عالمًا بالتاريخ والأدب رأسًا فى فقه المالكية . له تصانيف كثيرة ، منها : حروب الإسلام طبقات الفقهاء والتابعين ، تفسير موطأ مالك ، وكان ابن لبابه يقول : عبد الملك ابن حبيب عالم الأندلسى ، ويحيى بن يحيى عاقلها وعيسى بن دينار فقيهها » . (الاعلام للزركلى)

(١٢) أبو موسى الأشعرى : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب أبو موسى ، من بنى الأشعر ، من قحطان ، صحابى من الشجعان الولاة ، الفاتحين وأحد الحكمين اللذين رضيا بهما على ومعاوية . ولد فى زبيد باليمن ، وقدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم وهاجر إلى أرض الحبشة وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ ، فافتتح اصبهان والاهواز له ٣٥٥ حديثاً توفى عام ٤٤ هـ . الاعلام للزركلى

(١٣) عبد الله بن عمرو بن العاص : من قريش صحابى من النساك . كان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن السريانية . أسلم قبل أبيه ، واستأذن رسول الله - ﷺ - فى أن يكتب ما يسمع منه فأذن له ، وكان كثير العبادة له ٧٠٠ حديثا توفى عام ٦٥ هـ . الاعلام للزركلى

وعن إسحاق بن راهويه ، أن من رد حديثًا صحيحًا عنده عن النبى – ﷺ – فقد كفر(١٤).

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – واحتج من كفَّر المذنبين بقول الله عز وجل : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُم الكَافِرُون(١٥)» وبقوله تعالى : « فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلَظَّى لا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى(١٦)» .

فهؤلاء كلهم ممن كذب وتولى ، والمكذب المتولى كافر فهؤلاء كفار .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – والعجب أن المرجئة المسقطة للوعيد جملة عن المسلمين قد احتجوا بهذه الآية نفسها فقالوا قد أخبرنا الله عز وجل أن النار لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى فصح أن من لم يكذب ولا يتولى لا يصلاها . قالوا : ووجدنا هؤلاء كلهم لم يكذبوا ولا تولوا ، بل هم مصدقون معترفون بالإيمان ، فصح أنهم لا يصلونها ، وأن المراد بالوعيد المذكور فى الآيات المنصوصة إنما هو فعل من(١٧) تلك الأفاعيل من الكفار(١٨) خاصة .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – واحتج أيضًا من كفَّر من ذكرنا بأحاديث كثيرة منها « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر(١٩)» « ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينهب نهبة ذات شر حين ينهبها وهو مؤمن(٢٠)» وترك الصلاة شرك(٢١)» وإن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم(٢٢)» ومثل هذا كثير .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وما نعلم لمن قال هو منافق حجة أصلًا ولا لمن قال: إنه كافر نعمة ، إلا أنهم نزعوا بقول الله عز وجل ، « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ الله كُفْرًا وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرار(٢٣)» .

---

(١٤) هذا أثر عن إسحاق بن راهويه .
(١٥) سورة المائدة آية رقم ٤٤
(١٦) سورة الليل آية رقم ١٤
(١٧) سقطت من (أ) كلمة (من) .
(١٨) فى (أ) : (الكفر) .
(١٩) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ٣٦ ، والأدب ٤٤ ، والفتن ٨ ورواه مسلم فى الإيمان ١٦ ، والترمذى فى البراه والإيمان ١٥ والنسائى فى التحريم ٣٧ ، وابن ماجه فى الفتن ٤ والمقدمة ٧ ، ٩ واحمد بن حنبل فى المسند ١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٣٨٥ ، ٤١١ .
(٢٠) الحديث رواه ابن ماجه فى الفتن ٣ .
(٢١) الحديث رواه الطبرانى فى الكبير .
(٢٢) رواه البيهقى فى سننه .
(٢٣) سورة إبراهيم آية ٢٨

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر ، وليس هو ملة ولا اسم دين ، فمن ادعى اسم دين وملة غير الإيمان المطلق ، والكفر المطلق ، فقد أتى بما لا دليل عليه .

وأما من قال هو فاسق ، لا مؤمن ، ولا كافر ، فما لهم حجة أصلًا إلا أنهم قالوا : قد صح الإجماع على أنه فاسق ، لأن الخوارج[٢٣] قالوا : هو كافر فاسق . وقال غيرهم : هو مؤمن فاسق ، ، فاتفقوا على الفسق فوجب القول بذلك ، ولم يتفقوا على إيمانه ولا على كفره فلم يجز القول بذلك .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا خلاف لإجماع من ذكر لأنه ليس منهم أحد جعل الفسق اسم دينه ، وإنما سموا بذلك عمله والإجماع والنصوص قد صح كل ذلك على أنه لا دين إلا الإسلام أو الكفر من خرج من أحدهما دخل فى الآخر ، ولابد إذ ليس بينهما وسيطة ، وكذلك قال رسول الله – ﷺ – : لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم[٢٤].

وهذا حديث قد أطبق جميع الفرق المنتمية إلى الإسلام على صحته ، وعلى القول به فلم يجعل عليه السلام دينًا غير الكفر والإسلام ، ولم يجعل هاهنا دينًا ثالثًا أصلًا .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – واحتجت المعتزلة أيضًا بأن قالت : قال الله تعالى : « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُون[٢٥]» .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله تعالى قال : أَفَنَجْعَلُ المسلمينَ كَالْمُجْرِمِينَ ما لكم كَيْفَ تَحْكُمُون[٢٦]» . فصح أن هؤلاء الذين سماهم الله تعالى مجرمين وفساقًا ، وأخرجهم عن المؤمنين نصًا ، فإنهم ليسوا على دين الإسلام وإذا لم يكونوا على دين الإسلام فهم كفار بلا شك ، إذ لا دين هاهنا غيرهما أصلًا ، برهان هذا قوله تعالى : « فَأَنْذَرتكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى » .

وقد علمنا ضرورة أنه لا دار إلا الجنة أو النار ، وأن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون المسلمون فقط ، ونص الله تعالى على أن النار لا يدخلها إلا المكذب المتولى ، والمتولى المكذب كافر بلا خلاف ، فلا يخلد فى النار إلا كافر ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، فصح أنه لا دين إلا الإيمان والكفر فقط ، وإذ ذلك كذلك فهؤلاء الذين سماهم الله عز وجل مجرمين وفاسقين ،

(٢٣) سبق أن تحدثنا عن الخوارج فى كلمة مختصرة فى ص ١٠١ من هذا الجزء وما قلناه هناك يكفى عن إعادته هنا .

(٢٤) الحديث رواه البخارى فى الحج ٤٤ ، والمغازى ٤٨ ، والفرائض ٢٦ ، والامام مسلم فى الفرائض ١ وأبو داود فى الفرائض ١٠ والترمذى فى الفرائض ١٥ ، ورواه الامام ماجه فى الفرائض ٦ ، والدارمى فى الفرائض ٢٩ .

(٢٥) سورة السجدة آية رقم ١٨

(٢٦) سورة القلم آية رقم ٣٥

وأخرجهم عن المؤمنين ، فهم كفار مشركون ، لا يجوز غير ذلك ، وقالوا المؤمن ، محمود ، محسن ولى لله عز وجل ، والمذنب مذموم ، مسيء عدو لله ، قالوا : ومن المحال أن يكون إنسان واحد ، محمودًا مذمومًا محسنًا مسيئًا عدوًا لله وليًا له معًا .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا الذى أنكروه ، لا نكرة فيه ، بل هو أمر موجود مشاهد ، فمن إحسن من وجه ، وأساء من وجه آخر ، كمن صلى ثم زنى فهو محسن محمود ، ولى لله فيما أحسن فيه ، من صلاة وهو مسيء مذموم عدو لله فيما أساء فيه ، من الزنا قال عز وجل : « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وآخَرَ سيئًا[٢٧]» .

فالبضرورة ندرى أن العمل الذى شهد الله عز وجل له أنه عمل صالح فإن عامله فيه محمود محسن مطيع لله تعالى وأن العمل الذى شهد الله عز وجل[٢٨] أنه سيء ، فإن عامله فيه مذموم مسيء عاص لله تعالى ، ثم يقال لهم ما تقولون : إن عارضتكم المرجئة بكلامكم نفسه فقالوا : من المحال أن يكون إنسان واحد محمودًا مذمومًا محسنًا مسيئًا عدوًا لله وليًا له معًا ثم أرادوا تغليب الحمد والإحسان والولاية ، وإسقاط الذم والإساءة والعداوة كما أردتم أنتم بهذه القضية نفسها تغليب الذم والإساءة والعداوة ، وإسقاط الحمد والإحسان والولاية ، بما ينفصلون عنهم ، فإن قالت المعتزلة : إن الشرط فى حمده وإحسانه وولايته أن يجتنب الكبائر قلنا لهم : فإن عارضتكم المرجئة فقالت : إن الشرط فى ذمه وإساءته ولعنه ، وعداوته ، ترك شهادة التوحيد .

فإن قالت المعتزلة : إن الله قد ذم المعاصى ، وتوعد عليها ، قيل لهم : فإن المرجئة تقول لكم : إن الله تعالى : قد حمد الحسنات ووعد عليها ، وأرادوا بذلك تغليب الحمد كما أردتم ، تغليب الذم ، فإن ذكرتم آيات الوعيد ، ذكروا آيات الرحمة .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا ما لا مخلص للمعتزلة منه ، ولا للمرجئة أيضًا فوضح بهذا أن كلا الطائفتين مخطئة ، وأن الحق هو جمع كل ما تعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص التى فى القرآن والسنن ، ويكفى من هذا كله قول الله عز وجل : « إِنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ منكم مِنْ ذكَرٍ أَوْ أُنْثَى[٢٩]» .

وقوله تعالى : « الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ[٣٠]» . وقوله تعالى : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يره ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه[٣١]» وقال تعالى : « مَنْ جَاءَ بالحْسَنَةِ فَلَهُ

---

(٢٧) سورة التوبة آية رقم ١٠٢
(٢٨) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٢٩) سورة آل عمران آية رقم ١٩٥
(٣٠) سورة غافر آية رقم ١٧
(٣١) سورة الزلزلة آية رقم ٧

عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَها[٣٢]» وقال تعالى : « وَنَضَعُ الموازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِها وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين[٣٣]» .

فصح بهذا كله أنه لا يخرجه عن اسم الإيمان إلا الكفر ، ولا يخرجه عن اسم الكفر إلا الإيمان ، وأن الأعمال حسنها حسن إيمان ، وقبيحها قبيح ليس إيمانًا والموازنة تقضى على كل ذلك ، ولا يحبط الأعمال[٣٤] إلا الشرك قال تعالى : « لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ[٣٥]» . وقالوا إذا أقررتم أن أعمال البر كلها إيمان ، وأن المعاصى ليست إيمانًا فهو عندكم مؤمن غير مؤمن . قلنا : نعم ، ولا نكرة فى ذلك ، وهو مؤمن بالعمل الصالح ، غير مؤمن بالعمل السيء ، كما نقول محسن بما أحسن فيه مسيء غير محسن معًا بما أساء فيه ، وليس الإيمان عندنا التصديق وحده فيلزمنا التناقض وهذا هو معنى قول النبى – ﷺ – : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، أى ليس مطيعًا فى زناه ذلك ، وهو مؤمن بسائر حسناته ، واحتجوا بقول الله تعالى : « وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُون[٣٦]» . ففرق تعالى بين الفسق والإيمان .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – نعم وقد أوضحنا أن الإيمان هو كل عمل صالح فبيقين ندرى أن الفسق ليس إيمانًا ، فمن فسق فلم يؤمن بذلك[٣٧] العمل الذى هو الفسق ولم يقل عزَّ وجل أنه لا يؤمن فى شيءْ من سائر أعماله ، وقد قال تعالى : « إِنَّما المؤمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ[٣٨]» .

فهؤلاء قد شهد الله تعالى لهم بالإيمان فإذا وقع منهم فسق ليس إيمانًا فمن المحال أن يبطل فسقه إيمانه فى سائر أعماله ، وأن يبطل إيمانه فى سائر الأعمال فسقه ، بل شهادة الله تعالى له بالإيمان فى جهاده حق ، وبأنه لم يؤمن فى فسقه حق وأيضا فإن الله عز وجل قال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكَافِرُون[٣٩]» . وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُون[٤٠]» « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون[٤١]» .

---

(٣٢) سورة الأنعام آية رقم ١٦٠
(٣٣) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧
(٣٤) فى (خ) : « عملك » .
(٣٥) سورة الزمر آية رقم ٦٥
(٣٦) سورة يونس آية رقم ٣٣
(٣٧) فى (خ) : « فى ذلك » .
(٣٨) سورة الحجرات آية رقم ١٥
(٣٩) سورة المائدة آية ٤٤
(٤٠) سورة المائدة آية ٤٧
(٤١) سورة المائدة آية ٤٥

فيلزم المعتزلة أن يصرحوا بكفر كل عاص وظالم وفاسق ، لأن كل عامل بالمعصية فلم يحكم بما أنزل الله .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وأما نحن فنقول إن كل من كفر فهو فاسق ظالم عاصي ، وليس كل فاسق ظالم عاص كافرًا بل قد يكون مؤمنًا وبالله تعالى التوفيق وقد قال تعالى : « وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ[٤٢]» فبعض الظلم مغفور بنص القرآن .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وقالوا قد وجب لعن الفساق ، والظالمين ، وقال تعالى : « أَلَا لَعْنَةُ عَلَى للظَّالِمِين[٤٣]» . والمؤمن يجب ولايته ، والدعاء له بالرحمة وقد لعن رسول الله – ﷺ – السارق ومن لعن أباه ، ومن غيرَّ منار الأرض فيلزمكم أن تدعو على المرء الواحد باللعنة والرحمة[٤٤] والمغفرة معًا .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – فنقول : إن المؤمن الفاسق يتولى دينه ، وملته وعقده وإقراره ، ويتبرأ من عمله الذى هو الفسق والبراءة ، والولاية ليست من[٤٥] عين الإنسان مجردة فقط ، وإنما هى له أو منه بعمله الصالح أو الفاسد ، فإذ ذلك كذلك فبيقين ندرى أن المحسن فى بعض أفعاله من المؤمنين نتولاه من أجل ما أحسن فيه ، ونبرأ من عمله السيء فقط ، وأما الله تعالى فإنه يتولى عمله الصالح عنده ، ويعادى عمله الفاسد ، وأما الدعاء باللعنة والرحمة معًا فلسنا ننكره بل هو معنى صحيح ، وما جاء عن الله تعالى قط ، ولا عن رسوله – ﷺ – نهى أن يلعن العاصى على معصيته ، ويترحم عليه لإحسانه ، ولو أن أمرأ زنى أو سرق ، وحال الحول على ما له وجاهد لوجب أن يحد للزنا والسرقة ، ولو لُعن لأحسن لاعنه ، ويعطى نصيبه من المغنم ، ونقبض زكاة ما له ونصلى عليه عند ذلك لقول الله تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ[٤٦]» .

وبيقين ندرى أن قد كان فى أولئك الذين كان عليه السلام يقبض صدقاتهم ويصلى علهم مذنبون عصاة ، لا يمكن ألبتة أن تخلو جميع جزيرة العرب من عاصى وكذلك كل من مات فى عصره عليه السلام ، وصلى عليه هو عليه السلام والمسلمون معه ، وبعده فبيقين ندرى أنه قد[٤٧] كان فيهم مذنب بلا شك وإذا صلى عليه دعا له بالرحمة وإن ذكر عمله القبيح لعن وذم .

---

(٤٢) سورة الرعد آية رقم ٦

(٤٣) سورة هود آية رقم ١٨

(٤٤) سقطت من (أ) كلمة : (الرحمة) .

(٤٥) سقطت من (أ) كلمة : (من) .

(٤٦) سورة التوبة آية رقم ١٠٣

(٤٧) سقطت من (أ) كلمة (قد) .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ونعكس عليهم هذا السؤال نفسه فى أصحاب الصغائر الذين يوقع عليهم المعتزلة اسم الإيمان فهذه السؤالات كلها لازمة لهم إذ الصغائر ذنوب ومعاصى بلا شك إلا أننا لا نوقع عليها اسم فسق ولا ظلم إذا انفردت عن الكبائر لأن الله تعالى ضمن غفرانها انها لمن اجتنب الكبائر ، ومن غفر له ذنبه فمن المحال أن يوقع عليه اسم فاسق ، أو اسم ظالم ، لأن هذين اسمان يسقطان قبول الشهادة ، ومجتنب الكبائر ، وإن تستر بالصغائر فشهاداته مقبولة ، لأنه لا ذنب له وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ولنا على المعتزلة إلزامات أيضًا تعمهم ، والخوارج المكفرة ننبه عليها عند نقضنا أقوال المكفرة[٤٨] إن شاء الله تعالى ، وبه نتأيد .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ويقال لمن قال إن صاحب الكبيرة كافر قال الله عز وجل : « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الحُرّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ والأُنْثَي بالأنثى ، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ من أَخِيهِ شَيءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَن اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٤٩]» . فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان ، من كان فيهم من قاتل أو مقتول ، ونص تعالى على أن القاتل عمدًا ، وولى المقتول أخوان وقد قال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ[٥٠]»، فصح أن القاتل عمدًا مؤمن بنص القرآن وحكمه له بأخوة الإيمان ولا يكون للكافر مع المؤمن بتلك الإخوة ، وقال تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقتتلوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرىَ فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بالعدْلْ وَأَقْسطوُا إِنَّ الله يُحِبُّ المُقْسِطِين ، إِنَّما المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ[٥١]» فهذه الآية رافعة للشك جملة فى قوله تعالى : إن الطائفة الباغية على الطائفة الأخرى ، من المؤمنين المأمور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفيء إلى أمر الله تعالى إخوة للمؤمنين المقاتلين ، وهذا أمر لا يضل عنه إلا ضال هاتان الآيتان حجة قاطعة أيضًا على المعتزلة المسقطة اسم الإيمان عن القاتل ، وعلى كل من أسقط عن صاحب الكبائر اسم الإيمان ، وليس لأحد أن يقول : إنه تعالى إنما جعلهم إخواننا إذا تابوا لأن نص الآية أنهم إخوان فى حالة البغى وقبل الفيئة إلى الحق .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وقال بعضهم إن هذا الاقتتال إنما هو التضارب .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا خطأ فاحش لوجهين أحدهما أنه دعوى

---

(٤٨) فى (أ) : الكفرة .

(٤٩) سورة البقرة آية رقم ١٧٨

(٥٠) سورة الحجرات آية رقم ١٠

(٥١) سورة الحجرات آية رقم ٩ ، ١٠

بلا برهان ، وتخصيص الآية بلا دليل ، وما كان هكذا فهو باطل بلا شك .

والثانى : أن ضرب المسلم للمسلم ظلمًا وبغيًا فسق ومعصية ، ووجه ثالث وهو أن الله تعالى لو لم يرد القتال المعهود لما أمرنا بقتال من لا يزيد على الملاطمة وقد عم تعالى فيها باسم البغى فكل بغى فهو داخل تحت هذا الحكم .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وقد ذكروا قول الله عز وجل : « وَمَا كَانَ لِمؤمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً[٥٢]» .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – فهذه الآية بظاهرها دون تأويل حجة لنا عليهم لأنه ليس فيها أن القاتل العامد ليس مؤمنًا ، وإنما فيها نهى المؤمن عن قتل المؤمن عمدًا فقط لأنه تعالى قال : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا » وهكذا نقول ليس للمؤمن قتل المؤمن عمدًا ثم قال تعالى : إلا خطأ . فاستثنى عز وجل الخطأ فى القتل من جملة ما حرم من قتل المؤمن للمؤمن لأنه لا يجوز النهى عما لا يمكن الانتهاء عنه ولا يقدر عليه ، لأن الله تعالى أمننا من أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به وكل فعل خطأ فلم ننه عنه ، بل قد قال تعالى : « وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ولكن مَا تَعَمّدَتْ قُلُوبُكمْ[٥٣]» فبطل تعلقهم بهذه الآية ، وكذلك قول رسول الله – ﷺ – لَا تَرْجِعُوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض[٥٤]» . فهو أيضًا على ظاهره ، وإنما فى هذا اللفظ النهى عن أن يرتدوا بعده إلى الكفر فيقتتلوا فى ذلك فقط ، وليس فى هذا اللفظ أن القاتل كافر ولا فيه أيضًا النهى عن القتل المجرد أصلًا وإنما نهى عنه فى نصوص أخر من القرآن والسنن كما ليس فى هذا اللفظ أيضًا نهى عن الزنا ولا عن السرقة ، وليس فى كل حديث حكم كل شريعة ، فبطل تعلقهم بهذا الخبر وكذلك قوله عليه السلام : سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر[٥٥] . فهو أيضًا على عمومه لأن قوله عليه السلام : المسلم هاهنا عموم للجنس ، ولا خلاف فى أن من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لإسلامهم فهو كافر ، برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن فى أن القاتل عمدًا والمقاتل مؤمنان وكلامه عليه السلام لا يتعارض ولا يختلف ، وكذلك قوله عليه السلام : « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر لكم ، أن ترغبوا عن آبائكم[٥٦]» فإنه عليه السلام لم يقل كفر منكم ، ولم يقل إنه كفر بالله تعالى ، نعم ونحن نقرأ أن من رغب عن أبيه فقد كفر بأبيه وجحده ، ويقال لمن قال : إن صاحب الكبيرة ليس مؤمنًا ، ولكنه كافر أو فاسق ألم يقل الله

---

(٥٢) سورة النساء آية رقم ٩٢

(٥٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥

(٥٤) الحديث رواه الامام مسلم فى الإيمان ١١٨ – ١٣٠ وفى القسامة ٣٩ ، ورواه الامام البخارى فى العلم ٤٣ ، وفى الأضاحى ٥ ، وأبو داود فى السنة ١٥ والترمذى فى الفتن ٣٨ ، والدارمى فى المناسك ٧٦ واحمد بن حنبل ٣ – ٨٥ – ٨٧

(٥٥) سبق تخريج هذا الحديث

(٥٦) سبق تخريج هذا الحديث

عز وجل : « ولا تَنْكِحُوا المشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ، ولا تُنْكِحُوا المشْرِكينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ[٥٧]» .

وقال تعالى : فَإِنْ عَلِمْتُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ لَاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ[٥٨]» .

وقال تعالى : « ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ[٥٩]» . وقال تعالى : « اليَوْمَ أُحَلَّ لكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حل لهم وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ والمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أجورهن مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِين[٦٠]» وفى سورة النساء : محصنات غير مسافحات[٦١]. فهذه آيات فى غاية البيان فى أنه ليس فى الأرض إلا مؤمن أو كافر ، أو مؤمنة أو كافرة ، ولا يوجد دين ثالث ، وأن المؤمنة حلال نكاحها للمؤمن ، وحرام نكاحها على الكافر ، وأن الكتابية حلال للمؤمن بالزواج وللكافر ، فخبرونا إذا زنت المرأة ، وهى غير محصنة ، أو وهى محصنة أو إذا سرقت أو شربت الخمر أو قذفت أو أكلت مال يتيم أو تعمدت ترك الغسل حتى خرج وقت الصلاة وهى عالمة بذلك ، أو لم تخرج زكاة مالها فكانت عندكم بذلك كافرة ، أو بريئة من الإسلام ، خارجة عن الإيمان ، وخارجة عن[٦٢] جملة المؤمنين أيحل للمؤمن الفاضل ابتداء نكاحها ، أو البقاء معها على الزوجية إن كان قد تزوجها قبل ذلك .. ؟ أو يحرم على أبيها الفاضل أو أخيها البر أن يكون لها وليين فى تزويجها وأخبرونا إذا زنى الرجل أو سرق أو قذف ، أو أكل مال يتيم ، أو فرَّ من الزحف أو سحر ، أو ترك صلاة عمدًا حتى خرج وقتها ، أو لم يخرج زكاة ماله ، فصار بذلك عندكم كافرًا ، أو برىء من الإسلام ، وخرج عن الإيمان ، وعن جملة المؤمنين أيحرم عليه ابتداء نكاح امرأة مؤمنة أو وطؤها بملك اليمين ، أو تحرم عليه امرأته المؤمنة التى فى عصمته ، فينفسخ نكاحها منه أو يحرم عليه أن يكون وليًا لابنته المؤمنة ، أو اخته المؤمنة فى تزويجها ، وهل يحرم على التى ذكرنا ، والرجل الذى ذكرنا ميراث وليهما المؤمن ، أو يحرم على وليهما المؤمن ميراثهما ، أو يحرم أكل ذبيحته ، لأنه قد فارق الإسلام فى زعمكم[٦٣]، وخرج عن جملة المؤمنين ، فإنهم كلهم لا يقولون بشىء من هذا ، فمن الخلاف المجرد منهم لله تعالى أن يحرم الله تعالى المؤمنة على من ليس بمؤمن فيحلونهاهم ، ويحرم

---

(٥٧) سورة البقرة آية رقم ٢٢١
(٥٨) سورة الممتحنة آية رقم ١٠
(٥٩) سورة الممتحنة آية رقم ١٠
(٦٠) سورة المائدة آية رقم ٥
(٦١) سقطت من (خ) (وفى سورة النساء : محصنات غير سافحات) .
(٦٢) فى (خ) : (من) .
(٦٣) فى (خ) : سقطت كلمة (فى زعمكم) .

الله تعالى التى ليست مؤمنة على المؤمن إلا أن تكون كتابية فيحلونها هم ويقطع الله تعالى الولاية بين المؤمن ومن ليس مؤمنا فيبقونهاهم فى النكاح ، ويحرم تعالى ذبائح من ليس مؤمنا إلا أن يكون كتابيًا فيحلونهاهم ، ويقطع عز وجل الموارثة بين المؤمن ، ومن ليس مؤمنًا فيثبتونهاهم ومن خالف القرآن وثبت على ذلك بعد قيام الحجة عليه فنحن نبرأ إلى الله تعالى منه .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وأكثر هذه الأمور التى ذكرنا فإنه لا خلاف بين أحد من أهل الإسلام فيها ، ولا بين فرقة من الفرق المنتمية إلى الإسلام وفى بعضها خلاف نشير إليه لئلا يظن ظان أننا أغفلناه فمن ذلك الخلاف فى الزانى والزانية ، فإن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يفسخ النكاح قبل الدخول بوقوعه من أحدهما ، والحسن البصرى[٦٤]، وغيره من السلف لا يجيزون للزانى ابتداء نكاح مع مسلمة ألبتة ولا للزانية أيضًا إلا أن يتوبا ، وبهذا نقول نحن ليس لأنهما ليس مسلمين بل هما مسلمان ولكنها شريعة من الله تعالى واردة فى القرآن فى ذلك كما يحرم على المحرم النكاح مادام محرمًا وبالله تعالى التوفيق ، وذلك قوله تعالى : « الزَّانِى لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ[٦٥]» .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وفى هذه الآية أيضًا نص جلى على أن الزانى والزانية ليسا مشركين ، لأن الله تعالى فرق بينهما فرقًا لا يحتمل ألبتة أن يكون على سبيل التأكيد بل على أنهما صفتان مختلفتان ، وإذا لم يكونا مشركين فهما ضرورة مسلمان لما قد بينا قبل من أن كل كافر فهو مشرك ، وكل مشرك فهو كافر وكل من لم يكن كافرًا مشركًا فهو مؤمن إذ لا سبيل إلى دين ثالث وبالله تعالى التوفيق .

ومن الخلاف فى بعض ما ذكرنا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإبراهيم النخعى[٦٦] أن المسلم إذا ارتد والمسلمة إذا لم يسلم زوجها فهى امرأته كما كانت إلا أنه لا يطؤها ، وروى عن عمر أيضًا أنها تخير فى البقاء معه أو فراقه ، وكل هذا لا حجة فيه ولا حجة إلا فى نص قرآن أو سنة واردة عن رسول الله - ﷺ .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وأيضًا فإن الله عز وجل قد أمر بقتل المشركين جملة ، ولم يستثن[٦٧] منهم أحدًا إلا كتابيًا يغرم الجزية مع الصغار ، أو رسولًا حتى يؤدى رسالته ، ويرجع إلى مأمنه ، أو مستجيرًا ليسمع كلام الله تعالى ، ثم يبلغ إلى مأمنه ، وأمر رسول الله - ﷺ -

(٦٤) سبق أن ترجم له .
(٦٥) سورة النور آية رقم ٢
(٦٦) هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعى من مذحج ، من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية وحفظا للحديث من أهل الكوفة ، مات مختفيا من الحجاج عام ٩٦ هـ . قال فيه صلاح الصفدى فقيه العراق : كان إماما مجتهدًا ، له مذهب ، ولما بلغ الشعبى موته قال : والله ما ترك بعده مثله (الأعلام) .
(٦٧) فى (أ) : يستأذن وهذا تحريف .

بقتل من بدل دينه فنسأل كل من قال : بأن صاحب الكبيرة قد خرج من الإيمان وبطل إسلامه ، وصار فى دين آخر إما الكفر وإما الفسق ، إذا كان الزانى ، والقاتل ، والسارق والشارب للخمر ، والقاذف ، والفار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ، قد خرج عن الإسلام ، وترك دينه أيقتلونه كما أمر رسول الله - ﷺ - عن الله أم لا يقتلونه فيخالفون الله تعالى ورسوله - ﷺ .. ؟ ومن قولهم كلهم خوارجهم ، ومعتزليهم ، أنهم لا يقتلونه ، وأما فى بعض ذلك حدود معروفة ، من قطع يد أو جلد مائة ، أو ثمانين ، وفى بعض ذلك أدب فقط وأنه لا يحل الدم بشىء من ذلك ، وهذا انقطاع ظاهر وبطلان لقولهم لا خفاء به .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وبعض شاذة الخوارج جسر فقال : تقام الحدود عليهم ثم يستتابون فيقتلون .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وهذا خلاف الإجماع المتيقن ، وخلاف للقرآن مجرد لأن الله تعالى يقول : « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولئِكَ هُم الْفَاسِقُون إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا(٦٨) » .

فقد حرم الله تعالى قتلهم وافترض استبقاءهم مع إصرارهم ، ولم يجعل فيهم إلا رد شهادتهم فقط ، ولو جاز قتلهم فكيف كانوا يؤدون شهادة لا تقبل بعد قتلهم .. ؟

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وقال الله عز وجل « لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تبيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَىِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا(٦٩) » .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - لا خلاف بيننا وبينهم ، ولا بين أحد من الأمة فى أن من كفر بالطاغوت ، وآمن بالله ، واستمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها فإنه مؤمن مسلم ، فلو كان الفاسق غير مؤمن ، لكان كافرًا ولابُدَّ ، ولو كان كافرًا لكان مرتدًا يجب قتله ، وبالله تعالى التوفيق ، قال الله عز وجل : « مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ(٧٠) » .

وقال تعالى : إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَلَمْ يَخْشَى إِلَّا الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِين(٧١) » فوجب يقينًا بأمر الله عز وجل أن لا يترك [من] يعمر مساجد الله بالصلاة فيها إلا المؤمنون .

---

(٦٨) سورة النور آية رقم ٣ ، ٤
(٦٩) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦
(٧٠) سورة التوبة آية رقم ١٧
(٧١) سورة التوبة آية رقم ١٨

وكلهم متفق معنا على أن الفاسق صاحب الكبائر مدعو ملزم عمارة المساجد بالصلاة ، مجبر على ذلك ، وفى إجماع الأمة كلها على ذلك ولو تركهم يصلون معنا ، وإلزامهم أداء الزكاة وأخذها منهم ، وإلزامهم صيام رمضان ، وحج البيت برهان واضح لا إشكال فيه ، على أنه لم يخرج عن دين المؤمنين ، وأنه مسلم مؤمن ، وقال عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْىَ ، إلى قوله تعالى . « الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ[٧٢]» .

فخاطب تعالى المؤمنين بإياس الكافرين عن دينهم ، ولا سبيل إلى قسم ثالث وقال تعالى : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ[٧٣]» .

فصح أن لا دين إلا دين الإسلام ، وما عداه شىء غير مقبول ، وصاحبه يوم القيامة خاسر ، وبالله تعالى التوفيق ، وقال عز وجل : « الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ[٧٤]» . وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهم أَوْلِيَاء بُعَضٍ[٧٥]» . وقال تعالى : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[٧٦]» .

وقال تعالى : « هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ ومنكم مُؤْمِنَ والله بِمَا تَعْمَلُون بَصِير[٧٧]» فصح يقينا أنه ليس فى الناس ولا فى الجن إلا مؤمن أو كافر ، فمن خرج عن أحدهما دخل فى الآخر ، فنسألهم عن رجل من المسلمين فسق وجاهر بالكبائر وله أختان إحداهما نصرانية ، والثانية مسلمة فاضلة لأيتهما يكون هذا الفاسق وليًا فى النكاح ووارثًا ، وعن امرأة سرقت وزنت ولها ابنا عم أحدهما يهودى والآخر مسلم فاضل أيهما يحل له نكاحها وهذا ما لا خلاف فيه ولا خفاء به فصح أن صاحب الكبائر مؤمن .

وقال الله تعالى : « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتًا[٧٨]» .

وقال تعالى : «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمتَّيقن[٧٩]» .

فأخبرونا أتأمرون الزانى والسارق والقاذف والقاتل بالصلاة وتؤدبوه إن لم يصل أم لا ؟ فمن

---

(٧٢) سورة المائدة آية رقم ٢ – ٣
(٧٣) سورة آل عمران آية رقم ٨٥
(٧٤) سورة التوبة آية رقم ٧١
(٧٥) سورة الأنفال آية رقم ٧٣
(٧٦) سورة المائدة آية رقم ٥١
(٧٧) سورة التغابن آية رقم ٢
(٧٨) سورة النساء آية رقم ١٠٣
(٧٩) سورة المائدة آية رقم ٢٧

قولهم نعم ولو قالوا : لا لخالفوا الإجماع المتيقن فنقول لهم أفتأمرونه بما هو عليه أم بما ليس عليه وبما يمكن أن يقبله الله تعالى أم بما يوقن أنه لا يقبله .. ؟

فإن قالوا نأمره بما ليس عليه ظهر تناقضهم إذ لا يجوز أن يلزم أحد بما لا يلزمه .

وان قالوا بل ما عليه قطعوا بأنه مؤمن لأن الله تعالى أخبر أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا . وإن قالوا نأمره بما لا يمكن أن يقبل منه أحالوا ؟ إذ من المحال أن يؤمر أحد بعمل هو على يقين من أنه لا يقبل منه وإن قالوا : بل نأمره بما نرجوا أن يقبل منه قلنا : صدقتم ، وقد صح بهذا أن الفاسق من المتيقن فيما عمل من عمل صالح فقط ومن الفاسقين فيما عمل من المعاصى ، ونسألهم أتأمرون صاحب الكبيرة بتمتيع المطلّقة إن طلقها أم لا ؟ فإن قالوا : نأمره بذلك لزمهم أنه من المحسنين المتيقن لأن الله تعالى يقول فى المتعة : حَقّاً عَلَى المُحْسِنِين[٨٠] وحقّاً عَلَى المتَّقِين[٨١].

فصح أن الفاسق محسن فيما عمل صالح ومسىء فيما عمل من سَىِّء ، فإن قالوا : إن الصلاة عليه كما هى عندكم على الكفّار أجمعين قلنا لا سواء لأنها وإن كان الكافر وغير المتوضىء والجنب مأمورين بالصلاة معذبين على تركها فإنا لا نتركهم يقيمونها أصلًا بل نمنعهم منها حتى يسلم الكافر ويتوضأ المحدث ، ويغتسل الجنب ويتوضأ أو يتيمم وليس كذلك الفاسق بل مجبر على إقامتها .

قال أبو محمد : وهذا لا خلاف فيه من أحد إلّا أن الجبائى المعتزلى ومحمد بن الطيب الباقلانى[٨٢] ذهبا من بين جميع الأمة إلى أن من كانت له ذنوب فإنه لا تقبل له توبة من شىء منها حتى يتوب من الجميع واتبعهما على ذلك قوم وقد ناظرنا بعضهم فى ذلك وألزمناه أن يوجبوا على كل من أذنب ذنبًا واحدًا إن ترك الصلاة الفرض ، والزكاة ، وصوم رمضان والجمعة والحج ، والجهاد ، لأن إقامة كل ذلك توبة إلى الله من تركها فإن كانت توبته لا تقبل من شىء حتى يتوب من كل ذنب له فإنه لا تقبل له توبة ، من ترك صلاة ولا من ترك صوم ولا من ترك زكاة إلا حتى يتوب من كل ذنب له وهذا خلاف لجميع الأمة إن قالوه أو تناقض إن لم يقولوه مع أنه قول لا دليل لهم على تصحيحه أصلًا وما كان هكذا فهو باطل قال الله تعالى : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين[٨٣]» .

---

(٨٠) سورة البقرة آية رقم ٢٣٦

(٨١) سورة البقرة ١٨٠ ، ٢٤١

(٨٢) هو : القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد جعفر القاسم الباقلانى البصرى المتكلم على مذهب أبى الحسن الأشعرى الذى أيد اعتقاده ونصر صديقه ، صنف كثيرًا من التصانيف ، وانتهت إليه الرياسة فى مذهبه ، وكان موصوفًا بجودة الاستنباط وقوة الحجة ، وسرعة الجواب ، توفى سنة ٤٠٣ هـ ودفن فى داره ثم نقل إلى مقره باب حرب : (ابن خلكان الترجمة رقم ٥٨٠ ، وتاريخ بغداد حـ ٥ ص ٣٧٩) .

(٨٣) سورة البقرة اية رقم ١١١

وقال تعالى : « وأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ[٨٤] » .

وقال تعالى : « وَصَالِحُ المُؤْمِنين[٨٥] » .

فصح يقينًا بهذا اللفظ أن فينا غير عدل ، وغير صالح ، وهما منا ، ونحن المؤمنين فهو مؤمن بلا شك وقال تعالى : فإِنْ تَابُوا – يعنى من الشرك – وأَقَامُوا الصَّلَاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فى الدِّين[٨٦] » .

وهذا نص جلى على أن من صلى من أهل شهادة الإسلام وزكّى فهو أخونا فى الدين ولم يقل تعالى ما لم يأت بكبيرة فصح أنه منا وإن أتى بالكبائر .

قال أبو محمد : فإن ذكروا قول الله تعالى : « مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إلى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ[٨٧] » .

وقوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ الله عُلَيهِمْ مَا هُمْ منكم وَلَا مِنْهُمْ[٨٨] » .

وراموا بذلك إثبات أنه لا مؤمن ولا كافر فهذا لا حجة لهم فيه لأن الله تعالى إنما وصف بذلك المنافقين المبطنين للكفر المظهرين للإسلام فهم لا مع الكفار ولا منهم ولا إليهم لأن هؤلاء يظهرون الإسلام وأولئك لا يظهرونه ولا هم مع المسلمين ولا منهم ولا إليهم لإبطانهم الكفر وليس فى هاتين الآيتين أنهم ليسوا كفارًا وقد قال عز وجل : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[٨٩] » . فصح يقينًا أنهم كفار لا مؤمنون أصلًا وبالله تعالى التوفيق .

ويقال لمن قال : إن صاحب الكبيرة منافق ما معنى هذه الكلمة فجوابهم الذى لا جواب لاحد فى هذه المسألة غيره هو أن المنافق من كان النفاق صفته ، ومعنى النفاق فى الشريعة هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، فيقال له وبالله تعالى التوفيق : لا يعلم ما فى النفس إلّا الله تعالى ثم تلك النفس التى ذلك الشيء فيها فقط ولا يجوز أن يقطع على اعتقاد أحد الكفر إلّا بإقراره بلسانه بالكفر أو بوحى من عند الله تعالى ومن تعاطى علم ما فى النفوس فقد تعاطى علم الغيب ، وهذا خطأ متيقن يعلم ضرورة وحسبك من القول سقوطًا أن يؤدى إلى المحال المتيقن وقد قيل لرسول الله ﷺ : « رُبَّ مُصَلٍّ يَقُولُ بلسانِه مِاَ لَيْسَ فِى قَلْبِه فقال عليه السلام : انى لم ابُعث لأشق عن

(٨٤) سورة الطلاق اية رقم ٢
(٨٥) سورة التحريم آية رقم ٤
(٨٦) سورة التوبة آية رقم ١١
(٨٧) سورة النساء آية رقم ١٤٣
(٨٨) سورة المجادلة آية رقم ١٤
(٨٩) سورة المائدة آية رقم ٥١
(٩٠) سبق ترجمة هذا الحديث ص ٤٨٠

قلوب الناس وقد ذكر الله تعالى المنافقين فقال لرسول ﷺ : ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدُوا عَلى النِّفاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ[٩١]» . فإذا كان رسول الله ﷺ لا يعرف المنافقين وهم معه وهو يراهم ويشاهد أفعالهم فمن بعده أحرى أن لا يعلمهم وقد كان الزناة على عهدة ﷺ والسُّرَّقه وشرّاب الخمر ومضيِّعوا فرض الصلاة فى الجماعة والقليلون عهدًا والقذفة فما سمى عليه السلام قط أحدًا منهم منافقين بل أقام الحدود فى ذلك وتوعد بحرق المنازل وأمر بالدية والعفو وأبقاهم فى جملة المؤمنين وأبقى عليهم حكم المؤمنين واسمه[٩٢] واسمه وقد قلنا إن التسمية فى الشريعة لله عز وجل لا لأحد دونه ولم يأت قط عن الله عز وجل تسمية صاحب الكبيرة منافقًا فإن قالوا قد صح عن النبى ﷺ أنه قال وقد ذكر خصالاً من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا وإن صام وصلّى وقال إنى مسلم وذكر عليه السلام تلك الخصال فمنها : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر . وذكر عليه السلام أن من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

قلنا له وبالله تعالى التوفيق : صدق رسول الله ﷺ وقد أخبرناك أن المنافق هو من أظهر شيئًا وأبطن خلافه مأخوذ فى أصل اللغة من نافقاء اليربوع وهو باب فى جانب جحره مفتوح قد غطاه بشىء من تراب وهذه الخلال كلها التى ذكر رسول الله ﷺ كلها باطن صاحبها خلاف ما يظهر فهو منافق هذا النوع من النفاق وليس هو النفاق الذى يبطن صاحبه الكفر بالله برهان ذلك ما ذكرناه آنفًا من إجماع الأمة على أخذ زكاة مال كل من وصفة رسول الله ﷺ بالنفاق وعلى إنكاحه ونكاحها إن كانت إمرأة وموارثته وأكل ذبيحته وتركه يصلى مع المسلمين وعلى تحريم دمه وماله ولو تيقنا أنه مبطن للكفر لوجب قتله وحرم إنكاحه ونكاحها وموارثته وأكل ذبيحته ولم نتركه يصلى مع المسلمين ولكن تسمية النبى ﷺ من ذكرنا منافقًا كتسمية الله عز وجل الزراع كفارًا إذ يقول تعالى : « كَمثلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه[٩٣]» .

لأن أصل الكفر فى اللغةِ التغطية فمن ستر شيئًا فهو كافر له وأصل النفاق فى اللغة ستر شىء وإظهار خلافه فمن ستر شيئًا وأظهر خلافه فهو منافق فيه وليس هذان من الكفر الديانى ولا من النفاق الشريعى فى شىء وبهذا تتآلف الآيات والأحاديث كلها وبالله تعالى التوفيق .

ثم نقول لمن قال بهذا القول هل أتيت بكبيرة قط ..؟ فإن قال لا قيل له هذا القول كبيرة لأنه تزكية وقد نهى الله عز وجل عن ذلك فقال : « فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ[٩٤]» .

---

(٩١) سورة التوبة آية رقم ١٠١ وقد جاءت الآية فى (أ) : محرفة حيث لم يذكر ومن أهل المدينة مردوا على النفاق .
(٩٢) فى (أ) : حكم الإيمان واسمه
(٩٣) سورة الحديد آية رقم ٢٠
(٩٤) سورة النجم آية رقم ٣٢

وقد علمنا أنه لا يعرى أحد من ذنب إلّا الملائكة والنبيين صلى الله عليهم وسلم وأما من دونهم فغير معصوم بل قد اختلف الناس فى عصمة الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام وإن كنا قاطعين على خطأ من جوّز على أحد من الملائكة ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا بعمد أو خطأ وعلى خطأ من جوّز على أحد من النبيين ذنبا بعمد صغيرًا أو كبيرًا لكنا أعلمنا أنه لم يتفق على ذلك فقط ، وإن قال بلى قد كانت لى كبيرة قيل له هل كنت فى حال موافقتك الكبيرة شاكًا فى الله عز وجل أو فى رسوله ﷺ أو كافرًا بهما أم كنت موقنًا بالله تعالى وبالرسول ﷺ ؟ وبما أتى به موقنًا بأنك مسىء مخطىء فى ذنبك ، فإن قال : كنت كافرًا أو شاكًا فهو أعلم بنفسه ويلزمه أن يفارق امرأته وأمته المسلمتين ولا يرث من مات له من المسلمين ثم بعد ذلك فلا يجوز له أن يقطع على غيره من المذنبين بمثل اعتقاده فى الجحد ونحن نعلم بالضرورة كذب دعواه وندرى أننا فى حيز ما كان منا من ذنب مؤمنون بالله تعالى وبرسوله ﷺ وان قال بل كنت مؤمنا بالله تعالى وبرسوله ﷺ فى حال ذنبى قيل له هذا إبطال منك للقول بالنفاق والقطع به على المذنبين .

قال أبو محمد : ففى إجماع الأمة كلها دون مختلف من أحد منهم على أن صاحب الكبيرة مأمور بالصلاة مع المسلمين وبصوم شهر رمضان والحج وبأخذ زكاة ماله واباحة مناكحته وموارثته وأكل ذبيحته وبتركه يتزوج المرأة المسلمة الفاضلة ويبتاع الأمة المسلمة الفاضلة ويطأها وتحريم دمه وماله وأن لا تؤخذ منه جزية ولا يصغر برهان صحيح على أنه مسلم مؤمن وفى إجماع الأمة كلها دون مخالف على تحريم قبول شهادته وخبره برهانٌ على أنه فاسق فصح يقينًا أنه مؤمن فاسق ناقص للإيمان عن المؤمن الذى ليس بفاسق قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا علَى مَا فَعَلْتُم نَادِمِين[٩٥]» .

فأما من قال إنه كافر نعمة فما لهم حجة أصلًا إلّا أن بعضهم فزع بقول الله تعالى : « الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرار[٩٦]» .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأن نص الآية مبطل لقولهم لأن الله تعالى يقول متصلًا وبئس القرار : « وَجَعَلُوا لله أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيله[٩٧]» .

فصح أن الآية فى المشركين بلا شك وأيضًا فقد يكفر المرء بنعمة الله ولا يكون كافرًا بل مؤمنًا بالله تعالى كافرًا لأنعمه بمعاصيه لا كافرًا على الإطلاق وبالله تعالى التوفيق .

(٩٥) سورة الحجرات آية رقم ٦
(٩٦) سورة إبراهيم آية رقم ٢٨
(٩٧) سورة إبراهيم آية رقم ٢٩

« الكلام فيمن يكفر ولا يكفر »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى هذا الباب فذهبت طائفة إلى أن من خالفهم فى شىء من مسائل الاعتقاد أو فى شىء من مسائل الفتيا فهو كافر ، وذهبت طائفة إلى أنه كافر فى بعض ذلك فاسق غير كافر فى بعضه على حسب ما أدتهم إليه عقولهم وظنونهم ، وذهبت طائفة إلى أن من خالفهم فى مسائل الاعتقاد فهو كافر وأن من خالفهم فى مسائل الأحكام والعبادات فليس كافرًا ولا فاسقًا ولكنه مجتهد معذور إن أخطأ مأجور بنيته ، وقالت طائفة بمثل[1] هذا فيمن خالفهم فى مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم فى مسائل الاعتقادات إن كان الخلاف فى صفات الله عز وجل فهو كافر ، وإن كان فيما دون ذلك فهو فاسق ، وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله فى اعتقاد أو فتيا وأن كل من اجتهد فى شىء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال إن أصاب الحق فأجران وإن أخطأ فأجر واحد وهذا قول ابن أبى ليلى[2] وأبى حنيفة والشافعى وسفيان الثورى[3] وداود[4] بن على رضى الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولًا فى هذه المسألة من الصحابة رضى الله عنهم ما نعلم[5] منهم فى ذلك خلافًا أصلًا

---

(١) فى (خ) : « مثل » .

(٢) هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى يسار ، وقيل داود بن بلال الأنصارى الكوفى ، قاضٍ فقيه ، من أصحاب الرأى ، ولى القضاء والحكم لبنى أمية ، ثم لبنى العباس ، واستمر ثلاثا وثلاثين سنة ، له أخبار مع الإمام أبى حنيفة وغيره ، مات بالكوفة عام ١٤٨ هـ (الأعلام) .

(٣) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من بنى ثور ابن عبد مناة من مضر ، أبو عبد الله ، أمير المؤمنين فى الحديث كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ، راوده المنصور العباسى على أن يلى الحكم فأبى ، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدى فتوارى ، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا . له من الكتب : الجامع الصغير ، والجامع الكبير ، ولابن الجوزى كتاب فى مناقبه .. مات سنة ١٦١ هـ (الأعلام) .

(٤) هو : داود بن على بن خلف الأصبهانى ، أبو سليمان الملقب بالظاهرى ، أحد الأئمة المجتهدين فى الإسلام ، تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة ، وإعراضها عن التأويل والرأى والقياس ، وكان داود أول من جهر بهذا القول ، وهو أصبهانى الأصل من أهل (قاشان) (بلدة قريبة من أصبهان) ، سكن بغداد ، وانتهت إليه رياسة العلم فيها . قال ثعلب : كان عقل داود أكبر من علمه ، وله تصانيف أوردها ابن النديم . توفى فى بغداد عام ٢٧٠ هـ (الأعلام) .

(٥) فى (أ) : (لا نعلم) .

إلّا ما ذكرنا من اختلافهم فى تكفير من ترك صلاة متعمدًا حتى خرج وقتها أو ترك أداء الزكاة أو ترك الحج أو ترك صيام رمضان أو شرب الخمر . واحتج من كفّر بالخلاف فى الاعتقادات بأشياء نوردها إن شاء الله عز وجل .

قال أبو محمد : ذكروا حديثًا عن رسول الله ﷺ : أن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة[٦] . وحديثًا آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشا واحدة فهى فى الجنة[٧].

قال أبو محمد : هذان حديثان لا يصحان أصلًا من طريق الإسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به واحتجوا بالخبر الثابت عن رسول الله ﷺ : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بالكفر أحدهما[٨] » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأن لفظه يقتضى أنه يأثم برميه للكفر ولم يقل عليه السلام إنه بذلك كافر .

قال أبو محمد : والجمهور من المحتجين بهذا الخبر لا يكفرون من قال لمسلم يا كافر فى مشاتمةٍ تجرى بينهما فقد[٩] خالفوا الخبر الذى احتجوا به .

قال أبو محمد : والحق هو أن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلّا بنفى أو إجماع وأما[١٠] بالدعوى والإفتراء فلا . فوجب أن لا يكفر أحد بقول قاله إلّا بأن يخالف ما قد صح عنده أن الله تعالى قاله أو أن رسول الله ﷺ قاله فيستجير خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام وسواء كان ذلك فى عقد دين أو فى نحلة أو فى فتيا وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول الله ﷺ منقولًا نقل إجماع تواترًا أو نقل آحاد إلّا أن من خالف الإجماع المتيقن المقطوع على صحته فهو أظهر فى قطع حجته ووجوب تكفيره لإتفاق الجميع على معرفة الإجماع وعلى تكفير مخالفته[١١] برهان صحة قولنا قول الله تعالى : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

---

(٦) الحديث : رواه أبو داود فى السنة ١٦ ، ورواه أحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٨٦ حـ ٥ ص ٤٠٧ ورواه ابن ماجه فى المقدمة ١٠ ولفظه عند ابن ماجه « إن مجوس هذه الأمة المكذبون باقدار الله ، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم .

(٧) الحديث رواه أبو داود فى السنة ١ ، والترمذى فى الإيمان ١٨ وابن ماجه فى الفتن ١٧ ، واحمد بن حنبل حـ ٢ ، ٣٣٢ ، حـ ٣ ، ١٤٥ ولفظة عند ابن ماجه : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة وسبعون فى النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فاحدى وسبعون فرقة فى النار وواحدة فى الجنة والذى نفس محمد بيده لتفرقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة واحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار . قيل يا رسول الله : من هم .. ؟ قال : الجماعة .

(٨) الحديث رواه البخارى فى الأدب ٧٣ ، ومسلم فى الإيمان ١١١ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ١٨ .

(٩) فى (أ) : (وبهذا) .

(١٠) فى (خ) : (وإنما) .

(١١) فى (خ) : (مخالفة) .

لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا[١٢]» .

قال أبو محمد : هذه الآية نص بتكفير من فعل ذلك فإن قال قائل إن من اتبع غير سبيل المؤمنين فليس من المؤمنين قلنا له وبالله تعالى التوفيق : ليس كل من اتبع غير سبيل المؤمنين كافرًا لأن الزنا وشرب الخمر وأكل أموال الناس بالباطل ليست من سبيل المؤمنين وقد علمنا أن من اتبعها فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وليس مع ذلك كافرًا ولكن البرهان فى هذا قول الله عز وجل : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[١٣]» .

قال أبو محمد : فهذا هو[١٤] النص الذى لا يحتمل تأويلًا ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلًا ولا جاء برهان بتخصيصه فى بعض وجوه الإيمان .

قال أبو محمد : وأما ما لم تقم الحجة على المخالف للحق فى أى شيء كان فلا يكون كافرًا إلا أن يأتى نص بتكفيره فيوقف عنده كمن بلغه وهو [فى] أقاصى الزنج ذكْر النبى ﷺ فقط فتمسك عن البحث عن خبره فإنه كافر فإن قال قائل فما تقولون فيمن قال أنا أشهد أن محمدًا رسول الله ولا أدرى أهو قرشى أم تميمى أم فارسى ولا هل كان بالحجاز أو بخراسان ولا أدرى أحى هو أم ميت ولا أدرى لعله هذا الرجل الحاضر أم غيره .. ؟[١٥] قيل له : إن كان جاهلًا لا علم عنده بشيء من الأخبار والسير لم يضره ذلك شيئًا ووجب تعليمه فإذا علم وصح عنده الحق فإن عاند فهو كافر حلال دمه وماله ، محكوم عليه بحكم المرتد ، وقد علمنا أن كثيرًا ممن يتعاطى الفتيا فى دين الله عز وجل نعم وكثيرًا من الصالحين لا يدرى كم لموت النبى ﷺ ولا أين كان ولا فى أى بلد كان ويكفيه من كل ذلك إقراره بقلبه ولسانه أن رجلًا اسمه محمد أرسله الله تعالى إلينا بهذا الدين .

قال أبو محمد : وكذلك من قال : إن ربه جسم من الأجسام فإنه إن كان جاهلًا أو متأولًا فهو معذور لا شيء عليه ، ويجب تعليمه فإذا قامت عليه الحجه من القرآن والسنن مخالف ما فيها عنادًا فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد وأما من قال إن الله عز وجل هو فلان لإنسانٍ بعينه أو أن الله تعالى يحل فى جسم من أجسام خلقه أو أن بعد محمد ﷺ نبيًا غير عيسى بن مريم فإنه لا يختلف اثنان فى تكفيره لصحة قيام الحجه بكل هذا على كل أحد ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم عليه الحجه .

---

(١٢) سورة النساء آية رقم ١١٥

(١٣) سورة النساء آية رقم ٦٥

(١٤) سقطت من (خ) (هو) .

(١٥) سقطت من (خ) (أم غيره) .

قال أبو محمد : وأما من كفّر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به وإن لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفرًا بل قد أحسن إذ قد[١٦] فر من الكفر . وأيضًا فإنه ليس للناس قول إلا ومخالف ذلك القول ملزم[١٧] خصمه الكفر فى فساد قوله وطرقه[١٨]، فالمعتزلة تنسب إلينا تجوير الله عز وجل وتشبيهه بخلقه ونحن ننسب إليهم مثل ذلك سواءً بسواء ، ويلزمهم أيضًا تعجيز الله عز وجل وأنهم يزعمون أنهم يخلقون كخلقه وأن له شركاء فى الخلق وأنهم يستغنون[١٩] عن الله عز وجل ومن أثبت الصفات يسمى من نفاها باقية لأنهم قالوا تعبدون غير الله تعالى لأن الله تعالى له صفات وأنتم تعبدون من لا صفة له ومن نفى الصفات يقول لمن أثبتها أنتم تجعلون مع الله عز وجل أشياء لم تزل وتشركون به غيره وتعبدون غير الله لأن الله تعالى لا أحد معه ولا شيء معه فى الأزل وأنتم تعبدون شيئًا من جملة أشياء لم تزل وهكذا فى كل ما اختلف فيه حتى فى الكون والجزء وحتى فى مسائل الأحكام والعبادات فأصحاب القياس يدعون علينا خلاف الإجماع وأصحابنا يثبتون عليهم خلاف الإجماع وإحداث شرائع لم يأذن الله عز وجل بها وكل فرقة فهى تنتفى بما تسميها به الأخرى وتكفر من قال شيئًا من ذلك فصح أنه لا يكفر أحد إلّا بنفس قوله ونص معتقده ولا ينفع أحد أن يعبر عن معتقده بلفظ يحسن به قبحه لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط وأما الأحاديث الواردة فى أن ترك الصلاة شرك فلا تصبح من طريق الإسناد وأما الأخبار التى فيها من قال لا إله إلّا الله دخل الجنة فقد فات أحاديث أخر بزيادة على هذا الخبر لا يجوز ترك تلك الزيادة وهى قوله عليه السلام : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله وأنى رسول الله ويؤمنوا بما أرسلت به[٢٠]» فهذا هو الذى لا إيمان لأحد بدونه .

قال أبو محمد : واحتج بعض من يكفر من سب الصحابة رضى الله عنهم بقول الله عز وجل : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ إلى قوله لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ[٢١]» .

قال فكل من أغاظه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر .

---

(١٦) فى (أ) : سقطت (قد) .

(١٧) فى (أ) : (يلزم) .

(١٨) فى (أ) : (وطرده) .

(١٩) فى (أ) : (مستغنون) .

(٢٠) الحديث رواه البخارى فى باب الزكاة ، وفى استتابة المرتدين ، ورواه مسلم فى الإيمان : ٢١ ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . ورواه الترمذى فى الإيمان : ٢٦١٠ ، والنسائى فى الزكاة باب مانعى الزكاة ، ورواه أبو داود فى الجهاد . بابٌ على ما يقاتل المشركون : ٢٦٤٠ .

(٢١) سورة الفتح آية رقم ٢٩

قال أبو محمد : وقد أخطأ من حمل الآية على هذا لأن الله عز وجل لم يقل قط أن كل من غاظه واحد منهم فهو كافر وإنما أخبر تعالى أنه يغيظ بهم الكفار فقط ونعم هذا حق لا ينكره مسلم وكل مسلم فهو يغيظ الكفار وأيضًا فإنه لا يشك أُحد ذو حس سليم فى أن عليًّا قد غاظ معاوية وأن معاوية وعمرو بن العاص غاظا عليًا وأن عمارًا[٢٢] قد أغاظ أبا العادية وكلهم أصحاب رسول الله ﷺ فقد غاظ بعضهم بعضًا فيلزم على هذا تكفير من ذكرنا وحاشا لله من هذا .

قال أبو محمد : ونقول لمن كفّر إنسانًا بنفس مقاله دون أن تقوم عليه الحجه فيعاند رسول الله ﷺ ويجد فى نفسه الحرج مما أتى به أخبرنا هل ترك رسول الله ﷺ شيئًا من الإسلام الذى يكْفر من لم يقل[٢٣] به إلّا وقد بينه ودعا إليه الناس كافة فلابد من نعم ومن أنكر هذا فهو كافر بلا خلاف فإذا أقر بذلك سئل هل جاء قط عن النبى ﷺ أنه لم يقبل إيمان أهل قرية أو أهل حله أو إنسان أتاه من حر أو عبد أو امرأه إلا حتى يقرأن الاستطاعة قبل الفعل أو مع الفعل أو أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق أو أن الله تعالى يرى أو لا يرى أو أن له سمعًا وبصرًا وحياة أو غير ذلك من فضول المتكلمين التى أوقعها الشيطان منهم ليوقع بينهم العداوة والبغضاء فإن ادعى أن النبى ﷺ لم يدع أحدًا يسلم حتى يوقفه على هذه المعانى كان قد كذب بإجماع المسلمين من[٢٤] أهل الأرض وقال ما ندرى أنه فيه كاذب فادعىٰ أن جميع الصحابة رضى الله عنهم تواطؤا على كتمان ذلك من فعله عليه السلام وهذا محال ممتنع فى الطبيعة ثم فيه نسبة الكفر إليهم إذ كتموا ما لا يتم إسلام أحدٍ إلّا به وإن قالوا : إنه ﷺ لم يدع قط أحدًا إلى شىء من هذا ولكنه مودع فى القرآن وفى كلامه ﷺ قيل له صدقت وقد صح بهذا أنه لو كان جهل شيئًا من هذا كله كفرًا لما ضيع رسول الله ﷺ بيان ذلك للحر والعبد والحرة والأمة ومن جوّز هذا فقد قال إن رسول الله ﷺ لم يبلّغ كما أمر وهذا كفر مجرد ممن أجازه فصح ضرورة أن الجهل بكل ذلك لا يضر شيئًا وإنما يلزم الكلام فيها إذا خاض فيها الناس فيلزم حينئذ بيان الحق من القرآن والسنة لقول الله عز وجل : « كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ[٢٥] ولقول الله عز وجل : لَتُبَيِّنُنَّه لِلنَّاس وَلَا تَكْتُمُونَه[٢٦]» .

---

(٢٢) هو : عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى ، أبو اليقظان ، صحابى من الولاة الشجعان ذو الرأى ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام ، هاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وكان النبى يلقبه (الطيِّب المطيَّب) وفى الحديث : ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما ، وهو أول من بنى مسجدًا فى الإسلام وسماه (قباء) . ولاه عمر : الكوفة ، وشهد الجمل مع على ، وقتل فى صفين ، وعمره ثلاث وتسعون سنة ، له ٦٢ حديثا . (الأعلام) .

(٢٣) فى (أ) : سقطت كلمة (لم) حرف الجزم فاضطرب المعنى .

(٢٤) من (خ) سقطت كلمة (المسلمين من) .

(٢٥) سورة المائدة آية رقم ٨

(٢٦) سورة آل عمران ١٨٧

فمن عَنَدَ حينئذ بعد بيان الحق فهو كافر لأنه لم يحكّم رسول الله ﷺ ولا سلّم لما قضى به وقد صح عن رسول الله ﷺ أن رجلًا لم يعمل خيرًا قط فلما حضره الموت قال لأهله إذا مت فأحرقونى ثم ذروا رمادى فى يوم راح نصفه فى البحر ونصفه فى البر فوالله لئن قدر الله على ليعذبنى عذابًا لم يعذبه أحدًا من خلقه وإن الله عز وجل جمع رماده فأحياه وسأله ما حملك على ذلك قال خوفك يا رب وان الله تعالى غفر له لهذا القول(٢٧).

قال أبو محمد : فهذا إنسان جهل إلى أن مات أن الله عز وجل يقدر على جمع رماده وإحيائه وقد غفر له لإقراره وخوفه وجهله وقد قال بعض من حرف الكلم عن مواضعه إن معنى لئن قدر الله على إنما هو لئن ضيق الله على كما قال تعالى : « وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ(٢٨)» .

قال أبو محمد : وهذا تأويل باطل لا يمكن لأنه كان يكون معناه حينئذٍ لئن ضيّق الله على ليضيقن على وأيضًا فلو كان هذا لما كان لأمره بأن يحرق ويذرّ رماده معنى ولا شك فى أنه إنما أمر بذلك ليفلت من عذاب الله تعالى .

قال أبو محمد : وأبين(٢٩) شىء فى هذا قول الله تعالى : « إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ إلى قوله وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا(٣٠)» .

فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عز وجل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ولم يبطل بذلك إيمانهم وهذا لا مخلص منه وإنما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبينهم لها .

قال أبو محمد : وبرهان ضرورى لا خلاف فيه وهو أن الأمة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم وهو أن كل من بدل آية من القرآن عامدًا وهو يدرى أنها فى المصاحف بخلاف ذلك أو أسقط كلمة عمدًا كذلك أو زاد فيها كلمة عامدًا فإنه كافر بإجماع الأمة كلها ثم إن المرء يخطىء فى التلاوة فيزيد كلمة وينقص أخرى ويبدل كلامه جاهلًا مقدرًا أنه مصيب ويكابر فى ذلك ويناظر قبل أن يتبين له الحق ولا يكون بذلك عند أحد من الأمة كافرًا ولا فاسقًا ولا آثمًا فإذا وقف

---

(٢٧) الحديث رواه البخارى فى التوحيد ٣٥ والأنبياء ٥٤ ، والرقاق ٣٥ ، ومسلم فى التوبة ٣٥ ، ٣٧ والنسائى فى الجنائز ١١٧ وابن ماجه فى الزهد ٣٠ ، والدارمى فى الرقاق ٦٣ ، وذكره صاحب الموطأ فى الجنائز ٥٢ ، وذكره احمد بن حنبل فى مسنده حـ ١ ، ٥ ، ٣٩٨ ، ٣ ، ٢٦٩ ، ٣٠٤

(٢٨) سورة الفجر آية رقم ١٦

(٢٩) فى (أ) : (وأبين من) .

(٣٠) سورة المائدة آية رقم ١١٢ ، ١١٣ جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : لأنه قال : وإذ بزيادة الواو .

على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء من تقوم الحجة بخبره فإن تمادىٰ على خطئه فهو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محاله وهذا هو الحكم الجارى فى جميع الديانة .

قال أبو محمد : واحتج بعضهم بأن قال ، قال الله هو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محاله وهذا هو الحكم الجارى فى جميع الديانة .

قال أبو محمد : واحتج بعضهم بأن قال ، قال الله تعالى : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا[٣١]» .

قال أبو محمد : آخر هذه الآية مبطل لتأويلهم لأن الله عز وجل وصل قوله : يُحسِنُون صُنْعًا بقوله أُولَئِكَ الذين كَفَرُوا بآيَاتِ رَبِّهِمْ ولِقَائِهِ فَحُبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُ هُمْ جَهَنَّمُ بما كَفَرُوا واتَّخَذُوا آيَاتِى وَرُسُلِى هُزُوًا[٣٢]» .

فهذا يبين أن أول الآية فى الكفار المخالفين لديانة الإسلام جملة ثم نقول لهم لو نزلت هذه الآية فى المتأولين من جملة أهل الإسلام كما تزعمون لدخل فى جملتها كل متأول مخطىء فى تأويل فى فتيا لزمه تكفير جميع الصحابة رضى الله عنهم لأنهم قد اختلفوا وبيقين ندرى أن كل امرىء منهم فقد يصيب ويخطىء ، بل يلزمه تكفير جميع الأمة لأنهم كلهم لابد من أن يصيب كل أمرىء منهم ويخطىء بل يلزمه تكفير نفسه لأنه لابد لكل من تكلم فى شىء من الديانة من أن يرجع عن قول قاله إلى قول آخر تبين له أنه أصح إلّا أن يكون مقلدًا فهذه أسوأ لأن التقليد خطأ كله لا يصح ومن بلغ هاهنا فقد لاح عواد[٣٣] قوله وبالله تعالى التوفيق .

وقد أقر عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله ﷺ أنه لم يفهم آية الكلالة فما كفره بذلك ولا فسّقه ولا أخبره أنه آثم بذلك لكن أغلظ له فى كثرة تكراره السؤال عنها فقط وكذلك أخطأ جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فى حياة رسول الله ﷺ فى الفتيا فبلغه عليه السلام فما كفّر بذلك أحدًا منهم ولا فسّقه ولا جعله بذلك آثمًا لأنه لم يعانده عليه السلام أحد منهم وهذا كفتيا أبى السنابل[٣٤] بن بعكك فى آخر الأجلين والذين أفتوا أن[٣٥] على الزانى غير المحصن الرجم وقد نقضنا هذا فى كتابنا المرسوم بكتاب : « الإحكام لأصول الأحكام » وأيضًا فإن الآية

(٣١) سورة الكهف آية رقم ١٠٤ وجاءت هذه محرفة فى الأصل حيث ذكرها (قل هل أنبئكم) بالهمزة .

(٣٢) سورة الكهف آية رقم ١٠٥ ، ١٠٦

(٣٣) فى (أ) : (غوامر) وهو تحريف .

(٣٤) هو : أبو السنابل بن بعكك بن الحجاج بن الحارث بن السباق بن عبد الدار بن قصى العبدرى ، أمه عمره بن أوس من بنى عذرة ابن سعد هذيم ، من مسلمة الفتح ، كان شاعرًا ، مات بمكة . روى عنه الأسود بن يزيد . قصته مع سبيعة الأسليمة (راجع هذه القصة فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ١٦٨٤/٤) .

(٣٥) سقطت (أن) من (أ) .

المذكورة لا تخرج على قول أحدٍ ممن خالفنا إلّا بحذف وذلك أنهم يقولون إن الذين فى قوله تعالى « الذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيا » هو خبر مبتدأ[٣٦] مضمر ولا يكون ذلك إلا بحذف الابتداء كأنه قال هم الذين ولا يجوز لأحد أن يقول فى القرآن حذف الا بنص آخر جلى يوجب ذلك أو إجماع على ذلك أو ضرورة حس فبطل قولهم وصار دعوى بلا دليل .

وأما نحن فإن لفظة الذين عندنا على موضوعها دون حذف وهو نعت للآخرين ويكون خبر الابتداء وقوله تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا » وكذلك قوله تعالى : « وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَىْءٍ أَلا إنَّهُم هم الكَاذِبُون[٣٧]» .

فنعم هذه صفة القوم الذين وصفهم الله تعالى بهذا فى أول الآية ورد الضمير إليهم وهم الكفار بنص أول الآية .

وقال قائلهم أيضًا فإذا عذرتم المجتهدين إذا أخطأوا فاعذروا اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل فإنهم أيضًا مجتهدون قاصدون الخير .

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أننا لم نعذر من عذرنا بآرائنا ولا كفرنا من كفرنا بظننا وهوانا وهذه خطة لم يؤتها الله عز وجل أحدًا دونه ولا يدخل الجنة والنار أحد[٣٨] أحدًا بل الله تعالى يدخلها من يشاء فنحن لا نسمى بالإيمان إلا من سماه الله تعالى به كل ذلك على لسان رسول الله ﷺ ولا يختلف اثنان من أهل الأرض لا نقول من المسلمين بل من كل ملة فى أن رسول الله ﷺ قطع بالكفر على أهل كل[٣٩] ملة غير الإسلام الذين تبرأ أهله من كل ملة حاشا التى أتاهم بها عليه السلام فقط فوقفنا عند ذلك فقط[٤٠] ولا يختلف أيضًا إثنان فى أنه عليه السلام قطع باسم الإيمان على كل من اتبعه وصدّق بكل ما جاء به وتبرّأ من كل دين سوى ذلك فوقفنا أيضًا عند ذلك ولا مزيد فمن جاء نصٌّ فى إخراجه عن الإسلام بعد حصول اسم الإسلام له أخرجناه منه سواء أجمع على خروجه منه أو لم يجمع ، وكذلك من أجمع أهل الإسلام على خروجه عن الإسلام فوجب اتباع الإجماع فى ذلك وأما من نص فى خروجه عن الإسلام بعد حصول الإسلام ولا إجماع فى خروجه أيضًا عنه فلا يجوز إخراجه عن ما قد صح يقينًا حصوله فيه وقد نص الله تعالى على ما قلنا فقال : « وَمَنْ يَبْتِغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فى الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين[٤١]» .

---

(٣٦) فى (أ) : (ابتداء) .
(٣٧) سورة المجادلة آية رقم ١٨
(٣٨) سقطت من (أ) (أحد) الأولى وهو الفاعل .
(٣٩) سقطت من (خ) (كل) .
(٤٠) سقطت من (أ) (فقط) .
(٤١) سورة آل عمران آية رقم ٨٥

وقال تعالى : « وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا[٤٢]» .

وقال تعالى : « قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ[٤٣]» .

فهؤلاء كلهم كفار بالنص وصح الإجماع على أن كل من جحد شيئًا صح عنده بالإجماع أن رسول الله ﷺ أتى به فقد كفر وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى ، أو بملك من الملائكة أو بنبى من الأنبياء عليهم السلام ، أو بآية من القرآن ، أو بفريضة من فرائض الدين ، فهى كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر ، ومن قال بنى بعد النبى عليه الصلاة والسلام ، أو جحد شيئًا صح عنده أو النبى ﷺ – قاله فهو كافر لأنه لم يحكم النبى – ﷺ – فيما شجر بينه وبين خصمه .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وقد شقق أصحاب الكلام فقالوا : ما تقولون : فيمن قال له النبى – ﷺ – قم صل فقال : لا أفعل ، أو قال له النبى – ﷺ – : ناولنى ذلك السيف أدفع به عن نفسى ، فقال : لا أفعل .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا أمر قد كفوا وقوعه ، ولا فضول أعظم من فضول من اشتغل بشىء قد أيقن أنه لا يكون أبدًا ، ولكن الذى كان ووقع فإننا نتكلم فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – قد أمر النبى – ﷺ – أفضل أهل الأرض – وهم أهل الحديبية بأن يحلقوا ، وينحروا[٤٥]، فتوقفوا حتى أمرهم ثلاثًا ، وغضب عليه السلام ، وشكا ذلك إلى أم سلمة[٤٦] فما كفروا بذلك ولكن كانت معصية تداركهم الله بالتوبة منها ، وما قال مسلم قط ، أنهم كفروا بذلك لأنهم لم يعاندوه ، ولا كذبوه ، وقد قال سعد بن عبادة[٤٧]، والله يا رسول

---

(٤٢) سورة النساء آية رقم ١٥٠

(٤٣) سورة التوبة آية رقم ٦٥ ، ٦٦ وفى (أ) : (ورسله) وهو تحريف فى الآية .

(٤٤) فى (أ) : بأن .

(٤٥) فى (أ) : ويتحروا وهو تحريف .

(٤٦) هى زوج النبى ﷺ ، هند بنت أبى أمية المعروف بزاد الراكب ابن المغيرة ، كانت قبله عليه السلام عند أبى سلمة عبد الأسد ابن هلال بن مخزوم ، فولدت له عمر وسلمة ، ودرة وزينب ، يقال : إنها أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ، شهدت غزوة خيبر (الاستيعاب : ١٩٣٩/٤) .

(٤٧) هو : سعد بن عبادة بن دليم بن أبى حليمة بن طريف بن الخزرج الأنصارى ، كان نقيبا ، شهد العقبة وبدرًا فى قول بعضهم ، وكانت راية الرسول ﷺ يوم الفتح بيد سعد بن عبادة فلما مرَّ بها على أبى سفيان قال سعد إذ نظر إليه ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل المحرمة . فأقبل رسول الله ﷺ فقال له أبو سفيان : هل أمرت بقتل قومك ، فإنه زعم سعد ومن معه أنه قاتلنا ، فقال رسول الله لا يا أبا سفيان ، اليوم يوم المرحمة ، وأخذ الراية من سعد ، وأعطاها لابنه قيس . توفى عام ١٥ هـ بأرض الشام . (الاستيعاب : ٢ : ٥٩٤) .

الله لئن وجدت لكاعًا يتفخذها رجل أدعهما حتى آتى بأربعة شهداء .. ؟ قال : نعم قال : إذن والله يقضى إربه ، والله لا تحللهما بالسيف[٤٨]. فلم يكن بذلك كافرًا ، إذ لم يكن معاندًا ولا مكذبًا ، بل أقر أنه يدرى أن الله تعالى أمر بخلاف ذلك ، وسألوا أيضًا عمن قال : أنا أدرى أن الحج إلى مكة فرض ، ولكن لا أدرى أهى بالحجاز .. ؟ أم بخرسان .. ؟ أم بالاندلس .. ؟ وأنا أدرى أن الخنزير حرام[٤٩] لا أدرى أهو هذا الموصوف الأقرن أم الذى يحرث به .. ؟

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وجوابنا هو أن من قال هذا ، فإن كان جاهلًا علم ، ولا شىء عليه ، فإن المشببين لا يعرفون هذا إذا أسلموا حتى يعلموا ، وإن كان عالمًا فهو عابث مستهزىء بآيات الله تعالى ، فهو كافر مرتد حلال الدم والمال ، ومن قذف عائشة رضى الله عنها فهو كافر لتكذيبه القرآن وقد قذفها مسطح[٥٠] وحمنة[٥١] ولم يكفرا لأنهما لم يكونا حينئذ مكذبين لله تعالى ، ولو قذفاها بعد نزول الآية لكفرا ، وأما من سب أحدًا من الصحابة - رضى الله عنهم ، فإن كان جاهلًا فمعذور وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق ، كمن زنى وسرق ، وإن عاند الله تعالى فى ذلك ورسوله - ﷺ - فهو كافر ، وقد قال عمر - رضى الله عنه بحضرة النبى - ﷺ عن حاطب - وحاطب[٥٢] مهاجر بدرى - دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطبًا كافرًا بل كان مخطئًا متأولًا ، وقد قال رسول الله - ﷺ : آية المنافق بغض الأنصار[٥٣]» . وقال لعلى : لا يبغضك إلا منافق[٥٤]» .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - ومن أبغض الأنصار لأجل نصرتهم للنبى - ﷺ - فهو كافر لأنه وجد الحرج فى نفسه مما قضى الله تعالى ورسوله - ﷺ - من إظهار الإيمان بأيديهم ، ومن عادى عليًا لمثل ذلك فهو أيضًا كافر ، وكذلك من عادى من ينصر الإسلام لأجل

---

(٤٨) الحديث رواه البخارى فى تفسير سورة النور والطلاق ٤ والأحكام ١٨ ورواه مسلم فى اللعان ١ ، ١٤ ، وأبو داود فى الديات ١٢ والطلاق ٢٧ وابن ماجه فى الحدود ٣٤ والنسائى فى الطلاق ٧ وذكره صاحب الموطأ فى الطلاق ٣٤ ، واحمد بن حنبل حـ ٥ ص ٣٣٦ .

(٤٩) فى (أ) : ولكن .

(٥٠) هو : مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى القرشى ، يكنى أبا عباد وأمه سلمى بنت صخر بن عامر ، وهى ابنة خالة أبى بكر الصديق ، خاض فى حديث الإفك فجلده رسول الله فيمن جلد وكان أبو بكر ينفق عليه ، فأقسم ألا ينفق فنزل قوله تعالى : « ولا يأمل أولو الفضل منكم والسعة . توفى سنة ٣٤ هـ وهو ابن ست وخمسين سنة (الاستيعاب : ١٤٧٢/٤) .

(٥١) هى : حمنة بنت جحش بن رباب الأسدية ، من بنى أسد بنى خزيمة أخت زينب بنت جحش ، كانت عند مصعب بن عمير ، وقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمدًا وعمران ، وكانت ممن خاض فى الإفك ، وجلدت فى ذلك ، روى عنها ابنها عمران ابن طلحة (الاستيعاب : ٤ : ١٨١٣) .

(٥٢) هو : حاطب بن أبى بلتعة اللخمى صحابى ، شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان من أشد الرماة فى الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة ، بعثه النبى ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية . مات فى المدينة سنة ٣٠ هـ ، وكان أحد فرسان قريش وشعرائها فى الجاهلية (الأعلام : للزركلى) .

(٥٣) رواه الإمام مسلم فى باب الإيمان : ١٢٧

(٥٤) رواه مسلم : فى الإيمان : ٧٨ ، باب الدليل على أن حبَّ الأنصار وعلى رضى الله عنهم من الإيمان . ورواه الترمذى : ٣٧٣١ فى المناقب باب على بن أبى طالب ، والنسائى رقم ١١٧ حـ ٨ فى الإيمان .

نصرة الإسلام لا لغير ذلك ، وقد فرق بعضهم بين الاختلاف فى الفتيا ، والاختلاف فى الاعتقاد بأن قال قد اختلف أصحاب رسول الله – ﷺ – فى الفتيا فلم يكفر بعضهم بعضًا ولا فسق بعضهم بعضًا .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا ليس بشىء فقد حدث إنكار القدر فى أيامهم فما كفرهم أكثر الصحابة – رضى الله عنهم – وقد اختلفوا فى الفتيا واقتتلوا على ذلك وسفكت الدماء كاختلافهم فى تقديم بيعة على على النظر فى قتلة عثمان – رضى الله عنه – وقد قال ابن عباس – رضى الله عنه – من شاء باهلته عند الحجر الأسود ، أن الذى أحصى رمل عالج لم يجعل فى فريضة واحدة نصفًا ، ونصفًا وثلثًا .

وقال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهنا أقوال غريبة جدًا فاسدة ، منها أن أقوامًا من الخوارج قالوا : كل معصية فيها حد فليست كفرًا ، وكل معصية لا حد فيها فهى[٥٥] كفر .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا تحكم بلا برهان ، ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل قال تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٥٦] » . فصح أن من لا برهان له على قوله فليس صادقًا فيه .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – فصح بما قلنا أن كل من كان على غير الإسلام وقد بلغه أمر الإسلام فهو كافر ، ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجة ، ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور أجرًا واحدًا لطلبه الحق وقصده إليه ، مغفور له خطأوه إذ لم يعتمده لقول الله تعالى : « وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ به وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ[٥٧] » .

وأن كان مصيبًا فله أجران ، أجر لاصابته ، وأجر آخر لطلبه إياه ، وإن كان قد قامت الحجه عليه وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله ﷺ – فهو فاسق لجرأته [على الله تعالى باصراره على الأمر الحرام[٥٨]] فإن عند عن الحق معارضًا لله تعالى ولرسوله – ﷺ – فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق فى هذه الأحكام بين الخطأ فى الاعتقاد فى أى شىء كان من الشريعة وبين الخطأ فى الفتيا فى أى شىء كان على ما بينا قبل .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ونحن نختصر هاهنا إن شاء الله تعالى ونوضح كل ما

---

(٥٥) سقطت من (أ) (فهى) .
(٥٦) سورة البقرة آية رقم ١١١
(٥٧) سورة الأحزاب آية رقم ٥
(٥٨) ما بين القوسين سقط من (خ) .

أطلنا فيه قال تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا[٥٩]» . وقال تعالى : « لأُنْذِرَكُمْ به وَمَنْ بَلَغ[٦٠]» . وقال تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ممَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْليمًا[٦١]» . فهذه الآيات فيها بيان جميع هذا الباب فصح أنه لا يكفر أحد حتى يبلغه أمر النبى – ﷺ – فمن[٦٢] بلغه فلم يؤمن به فهو كافر ، فإن آمن به ثم اعتقد ما شاء الله تعالى أن يعتقده فى نحلة أو فتيا أو عمل ما شاء الله تعالى أن يعمله دون أن يبغله فى ذلك عن النبى – ﷺ – حكم بخلاف ما اعتقد أو ما قال أو عمل ، فلا شىء عليه أصلًا حتى يبلغه ، فإن بلغه وصح عنده فإن خالفه مجتهدًا فيما لم يبين له وجه الحق فى ذلك فهو مخطىء معذور مأجور مرة واحدة[٦٣] كما قال عليه السلام : إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر[٦٤]. وكل معتقد أو قائل أو عامل فهو حاكم فى ذلك الشىء وإن خالفه بعمله معاندًا للحق معتقدًا بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق ، وإن خالفه معاندًا بقوله أو قلبه فهو كافر مشرك سواء ذلك فى المعتقدات والفتيا للنصوص التى أوردناها وهو قول اسحاق ابن راهويه وغيره ، وبه نقول وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥٩) سورة الاسراء آية رقم ١٥
(٦٠) سورة الأنعام آية رقم ١٩
(٦١) سورة النساء آية رقم ٦٥
(٦٢) فى (خ) : (فان) .
(٦٣) سقط من (خ) (واحدة) .
(٦٤) رواه الامام مسلم فى الأقضية ١٥ ، وأبو داود فى الأقضية ، والترمذى فى الأحكام ٣ ، والنسائى فى القضاء ٣ وابن ماجه فى الأحكام ٣ وأحمد بن حنبل ٣ ، ١٨٧ ، ٤ ، ١٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥

الكلام فى تعبد الملائكة ، وتعبد الحور العين والخلق المستأنف وهل يعصى ملك أم لا ..

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – قد نص الله عز وجل على أن الملائكة متعبدون قال تعالى : « وَيَفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ[1] » . ونص تعالى على أنه أمرهم بالسجود لآدم وقال تعالى : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَه بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون » . إلى قوله : ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين[2] » . وقال تعالى : « ولله يَسْجُدَ مَا فِى السَّمَواتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتُكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ وِيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون[3] » .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – نص الله تعالى على أنهم مأمورون منهيون متوعدون مكرمون ، موعودون بايصال الكرامة أبدًا مصرفون فى كتاب الاعمال وقبض الأرواح ، وأداء الرسالة ، إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما فى العالم الأعلى والأدنى ، وغير ذلك ، مما خالقهم عز وجل به عليم ، وقوله تعالى : « إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين[5] » . فأخبر عز وجل أن جبريل عليه السلام مطاع فى السموات أمين هنالك فصح أن هنالك أوامر وتدبير وأمانات وطاعة ، ومراتب ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون بقوله عز وجل : « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » . وبقوله : « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستسحرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون[6] » . وبقوله : « فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون[7] » . فنص تعالى على أنهم كلهم لا يسأمون

---

(١) سورة النحل آية رقم ٥٠

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٦ – ٢٩

(٣) سورة النحل آية رقم ٥٩ – ٥٠

(٤) ف (أ) : (كما) .

(٥) سورة التكوير آية رقم ١٩ – ٢١

(٦) سورة الأنبياء آية رقم ٢٠

(٧) سورة فصلت آية رقم ٣٨

من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتًا ، ولا يستسحرون من ذلك ، وهذا خبر عن التأبيد[٨] لا يستحيل أبدًا ، ووجب أنهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون قد حقت لهم ولاية ربهم عز وجل أبد الأبد بلا نهاية فقال تعالى : « قل من كان عدو لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين[٩]» . فكفر تعالى من عادى أحدًا منهم فإن قال قائل كيف لا يعصون والله تعالى يقول : ومن يقل منهم إنى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم[١٠]» .

قلنا : نعم ، هم متوعدون على المعاصى كما توعد رسول الله – ﷺ – إذ يقول له ربه : لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين[١١]» . وقد علم عز وجل أنه عليه السلام لا يشرك أبدًا ، وأن الملائكة لا يقول أحد منهم أبدًا ، أنى إله من دون الله ، وكذلك قوله تعالى : يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين[١٢]» . وهو تعالى قد برأهن ، وعلم أنه لا يأتى أحد منهن بفاحشة أبدًا بقوله تعالى : والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون[١٣] لكن الله تعالى يقرر ما شاء ويشرع ما شاء ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فأخبر عز وجل بحكم هذه الأمور لو كانت ، وقد علم أنها لا تكون كما قال تعالى : لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين[١٤]» وكما قال : « لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء[١٥]» وكما قال تعالى « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه[١٦]» . وكما قال تعالى « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولا[١٧]» . وكل هذا قد علم الله تعالى أنه لا يكون أبدًا وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : إن الملائكة مأمورون لا منهيون ، قلنا : هذا باطل لأن كل مأمور بشىء فهو منهى عن تركه وقوله تعالى : يخافون ربهم من فوقهم » . يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها ، وقال عز وجل : « ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين[١٨]» .

---

(٨) فى (ا) : على التابيد .
(٩) سورة البقرة آية رقم ٩٨
(١٠) سورة الأنبياء آية رقم ٢٩
(١١) سورة الزمر آية رقم ٦٥
(١٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٠
(١٣) سورة النور آية رقم ٢٦
(١٤) سورة الأنبياء آية رقم ١٧
(١٥) سورة الزمر آية رقم ٤
(١٦) سورة الأنعام آية رقم ٢٨
(١٧) سورة الإسراء آية رقم ٩٥
(١٨) سورة الحجر آية رقم ٨ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) : بزيادة (واو) فى ما ننزل .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا مبطل ظن من ظن أن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل ، وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل[١٩] هذه الصفة بما ذكرنا آنفا أنهم لا يعصون الله ، ما أمرهم[٢٠] ويفعلون ما يؤمرون وباخباره تعالى أنهم لا يسأمون ، ولا يفترون ، ولا يستسحرون عن طاعته عز وجل ، فوجب يقينا أنه ليس فى الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطأ ولا بنسيان وقال عز وجل : جاعل الملائكة رسلًا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع[٢١]» . فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن ، والرسل معصمون فصح أن هارون وماروت المذكورين فى القرآن لا يخلو أمرهما[٢٢] من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكونا جنين من أحياء الجن ، كما روينا عن خالد بن أبى عمران[٢٣] وغيره وموضعهما حينئذ فى النحو[٢٤] بدل من الشياطين كأنه قال : ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون قوله : ما أنزل على الملكين نعتًا بمعنى لم ينزل على الملكين[٢٥] ببابل ويتم الكلام هنا .

وإما أن يكونا ملكين أنزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم مسخها فصارت كفرًا كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمادى الشياطين على تعليمهما وهى بعد كفر ، كأنه قال تعالى : ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، والذى أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى : وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق[٢٦]» .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – فقول الملكين إنما نحن فتنة فلا تكفر قول صحيح ونهى عن المنكر ، وأما الفتنة ، فقد تكون ضلالًا ، وتكون هدى قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام أنه قال لربه : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من

---

(١٩) سقطت من (أ) (مثل) .

(٢٠) سقطت من (أ) (ما أمرهم) .

(٢١) سورة فاطر آية رقم ١

(٢٢) فى (خ) : (عن) .

(٢٣) هو : خالد بن أبى عمران التجيبى قاضى أفريقية ، قال ابن حبان واسم أبى عمران : زيد روى عن عبد الله بن عمر مرسلًا وعن عبد الله بن الحارث وغيرهم ، وعنه يحيى بن سعد الأنصارى وعبيد الله ابن أبى جعفر . قال ابن سعد ثقة وقال ابن يونس كان فيه أهل المغرب ومفتى أهل مصر والمغرب ، وكان مستجاب الدعوة توفى عام ١٢٥ هـ (تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ١١١) .

(٢٤) فى (أ) : فى الجو وهو تحريف .

(٢٥) فى (أ) : جاءت العبارة : ويكون الوقوف على قوله وبنقص ما بين القوسين .

(٢٦) سورة البقرة آية رقم ١٠٢

تشاء[٢٧]» . فصدق الله عز وجل فى قوله ، وصح أن يهدى بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشاء وقال تعالى : « أنما أموالكم وأولادكم فتنة[٢٨]» .

وليس كل أحد يضل بماله وولده ، فقد كان للنبى – ﷺ – أولاد ومال ، وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام ، وقال تعالى : وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا[٢٩]» . وقال تعالى : وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه[٣٠]» فهذه سقيا الماء التى هى جزاء على الاستقامة قد سماها الله تعالى فتنة ، فصح أن من الفتنة خيرًا وهدى ، ومنها ضلالًا وكفرا ، والملكان المذكوران كذلك كانا فتنة يهتدى من اتبع أمرهما فى أن لا يكفر ، ويضل من عصاهما فى ذلك وقوله تعالى : فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه » حق لأن أتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام هذه صفته يؤمن الزوج فيفرق إيمانه بينه وبين امرأته التى لم تؤمن ، وتؤمن هى فيفرق إيمانها بينها وبين زوجها الذى لم يؤمن فى الدنيا والآخرة ، وفى الولاية ، ثم رجع تعالى إلى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل : وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله[٣١]» وهذا حق ، لأن الشياطين فى تعليمهم ما قد نسخة الله عز وجل وأبطله ضارون من أذن الله تعالى باستضراره به ، وهكذا إلى آخر الآية . وما قال عز وجل قط أن هاروت وماروت علما سحرًا ولا كفرًا ولا أنهما عصيا ، وإنما ذكر ذلك فى خرافة موضوعة ، لا تصح عن[٣٢] طريق الإسناد أصلًا ، ولا هى أيضًا مع ذلك عن رسول الله – ﷺ – وإنما هى موقوفة على من دونه عليه السلام فسقط التعلق بها وصح ما قلناه والحمد لله رب العالمين .

وهذا التفسير الأخير هو نص الآية دون تكلف تأويل ، ولا تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة فى الآية ، ولا نقص منها ، بل هو ظاهرها والحق المقطوع به عند الله تعالى يقينا وبالله تعالى التوفيق .

فإن قيل : كيف تصح هذه الترجمة أو الأخرى .. ؟ وأنتم تقولون : إن الملائكة لا يمكن أن يراهم إلا نبى ، وكذلك الشياطين ، ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس .. ؟ أو كيف تعلم الجن الناس .. ؟

---

(٢٧) سورة الأعراف آية رقم ١٥٥
(٢٨) سورة الأنفال آية رقم ٢٨
(٢٩) سورة المدثر آية رقم ٣١
(٣٠) سورة الجن آية رقم ١٧
(٣١) سورة البقرة آية رقم ١٠٢
(٣٢) فى (خ) : (من) .

قلنا : وبالله تعالى التوفيق – أما الملائكة فيعلمون من أرسلوا إليه من الأنبياء خاصة ، وينهونهم عن الكفر كما نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن الكفر فى نص القرآن .

وأما الشياطين : فتعلم الناس بالوسوسة فى الصدور وتزيين الباطل أو يتمثل فى صورة إنسان كما تمثل يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك[٣٣] بن جعشم قال تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله[٣٤]» .

وأما الحور العين فنسوان مكرمات مخلوقات فى الجنة لأولياء الله عزّ وجل ، عاقلات مميزات مطيعات لله تعالى فى النعيم خلقن فيه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة .

والجنة إذا دخلها أهلها المخلدون فليست دار معصية ، وكذلك أهل الجنة لا يعصون فيها أصلًا ، بل هم فى نعيم وحمد لله تعالى ، وذكر له والتذاذ بأكل وشرب ولباس ووطء لا يختلف فى ذلك من أهل الإسلام إثنان وبذلك جاء القرآن والحمد لله رب العالمين .

وأما الولدان المخلدون فهم أولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبى – ﷺ – وقد صح عن رسول الله – ﷺ – أن الله تعالى يخلق خلقًا يملأ الجنة بهم[٣٥] فنحن نقر بهذا ولا ندرى أمتعبدون مطيعون أم مبتدئون فى الجنة ، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . وأما الجن فإن رسول الله – ﷺ – بعث إليهم بدين الإسلام هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من الأمة فكافرهم فى النار مع كافرنا ، وأما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقال أبو حنيفة لا ثواب لهم ، وقال ابن أبى ليلى[٣٦]، وأبو يوسف[٣٧]، وجمهور الناس أنهم فى الجنة وبهذا نقول لقول الله عز وجل « أعدت للمتقين[٣٨]» . ولقوله تعالى : حاكيًا عنهم ومصدقًا لمن قال ذلك منهم : وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به[٣٩]» . وقوله تعالى حاكيًا عنهم : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن

---

(٣٣) هو : سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، الكنانى ، أبو سفيان صحابى له شعر ، كان ينزل قديدًا ، له ١٩ حديثا ، وكان فى الجاهلية قائفا ، أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله ﷺ حين خرج مهاجرًا ، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ ، وتوفى عام ٢٤ هـ .

(٣٤) سورة الأنفال آية رقم ٤٨

(٣٥) راجع ص ٥٨٣ من هذا الجزء .

(٣٦) هو : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى ، الكوفى ، البغدادى أبو يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه ، كان فقيها علامة لزم أبا حنيفة فغلب عليه الرأى ، وولى القضاء ببغداد أيام المهدى والهادى والرشيد ، ومات فى خلافته ببغداد ، وهو على القضاء عام ١٨٢ هـ ، وهو أول من دعى (قاضى القضاة) وأول من وضع الكتب فى أصول الفقه – من كتبه الخراج ، وأدب القاضى ، والرد على مالك بن أنس . (الأعلام) .

(٣٧) آل عمران : ١٣٣

(٣٨) سورة الجن : ١٣

(٣٩) سورة الجن : ١

فقالوا : إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرشد فآمنا به[٤٠]» . وقوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار[٤١]» . إلى آخر السورة ، وهذه صفة تعم الجن والإنس عمومًا لا يجوز البتة أن يخص منها أحد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلًا على الله ما لا يعلم ، وهذا حرام ، ومن المحال الممتنع أن يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام ، وهو لا يريد إلا بعض ما أخبرنا به ، ثم لا يبين ذلك لنا ، هذا هو ضد البيان الذى ضمنه الله عز وجل لنا فكيف وقد نص عز وجل على أنهم آمنوا فوجب أنهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولابد .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وإذًا الجن متعبدون فقد قال رسول الله – ﷺ – « فضلت على الأنبياء بست[٤٢]» . فذكر فيها أنه عليه السلام بعث إلى الأحمر والأسود وكان من قبله من الأنبياء إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وقد نص عليه السلام على أنه بعث إلى الجن وقال عز وجل : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به » . إلى قوله تعالى : وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حبطا[٤٣]» . وإذا الأمر كما ذكرنا فلم يبعث إلى الجن نبى من الإنس البتة قبل محمد – ﷺ – لأنه ليس الجن من قوم أنس وباليقين ندرى أنهم قد أنذروا فصح أنهم جاءهم أنبياء منهم قال تعالى : يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم[٤٤]» .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(٤٠) سورة البينة آية رقم ٧ – ٨ وقد جاءت الآية محرفة فى الأصل حيث حذف كلمة (عدن) .

(٤١) رواه البخارى : ٩٠/٦ فى الجهاد باب قول النبى : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » وفى التعبير باب رؤيا الليل ، ورواه مسلم رقم ٥٢٣ فى المساجد فى فاتحته ، والترمذى رقم ١٥٥٣ فى السير ، باب ما جاء فى الغنيمة ، والنسائى ٦ – ٣ ، ٤ فى الجهاد باب وجوب الجهاد .

(٤٢) سورة الجن : ١٤ – ١٥

(٤٣) سورة الأنعام آية رقم ١٣٠

فهرس الآيات القرانية

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١	لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار	الأنعام	١٠٣	٨
٢	فلما ترای الجمعان قال أصحاب موسى انا مدكرون قال كلا إن معى ربى سيهدين	الشعراء	٦١	٨
٣	وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة	القيامة	٢٢	١٢
٤	لو كان البحر مدادًا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددًا	الكهف	١٠٩	١٢
٥	ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله .	لقمان	٢٧	١٢
٦	اخسئوا فيها ولا تكلمون	المؤمنون	١٠٨	١٣
٧	فسحقًا لأصحاب السعير	الملك	١١	١٣
٨	نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين	الشعراء	١٩٤	١٤
٩	وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله	التوبة	٦	١٤
١٠	وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .	البقرة	٧٥	١٤
١١	فاقرأوا ما تيسر من القرآن	المزمل	٢٠	١٤
١٢	إنا سمعنا قرآنا عجبًا يهدى إلى الرشد	الجن	١	١٤
١٣	إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون	الواقعة	٧٨	١٥
١٤	لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة فيها كتب قيمة	البينة	١ - ٣	١٥
١٥	بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم	العنكبوت	٤٩	١٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٦	ما ننسخ من آية أو ننسها نأتى بخير منها أو مثلها	البقرة	١٠٦	١٥
١٧	ولولا كلمة سبقت من ربك لقض بينهم	يونس	١٩	١٦
١٨	وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا لا مبدل لكلماته	الأنعام	١١٥	١٦
١٩	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم	ابراهيم	٤٠	١٦
٢٠	بلسان عربى مبين	الشعراء	١٩٥	١٦
٢١	بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم	آل عمران	٤٥	١٦
٢٢	حتى يسمع كلام الله	التوبة	٦	١٩
٢٣	فانما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	١٩
٢٤	منهم من كلم الله	البقرة	٢٥٣	١٩
٢٥	اخسئوا فيها ولا تكلمون	المؤمنون	١٠٨	١٩
٢٦	ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى	ص	٧٥	١٩
٢٧	قال فأخرج منها فإنك رجيم	ص	٧٧	١٩
٢٨	إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .	آل عمران	٧٧	٢٠
٢٩	ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون	الأعراف	١٠٨	٢٠
٣٠	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات	البقرة	٢٥٣	٢٠
٣١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولًا فيوحى بإذنه ما يشاء	الشورى	٥١	٢٠
٣٢	من شاطى الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة	القصص	٣٠	٢١
٣٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	المزمل	٢٠	٢١
٣٤	ومن أصدق من الله حديثا	النساء	٨٧	٢١
٣٥	نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن	يوسف	٣	٢١
٣٦	سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدرك ما سقر	المدثر	١٧-٢٤	٢٢
٣٧	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا	النساء	١١٥	٢٣
٣٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهير	الاسراء	٨٨	٢٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٦٢	فاتقوا الله ما استطعتم	التغابن	١٦	٣٨
٦٣	واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم	الأنفال	٦٠	٤١
٦٤	لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكافرون	التوبة	٤٢	٤٣
٦٥	ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا	آل عمران	٩٧	٤٣
٦٦	فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا	النساء	٩٢	٤٣
٦٧	ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون	القلم	٤٢ ، ٤٣	٤٤
٦٨	وكانوا لا يستطيعون سمعًا	الكهف	١٠١	٤٥
٦٩	إنك لن تستطيع معى صبرًا	الكهف	٦٧	٤٥
٧٠	ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا	الكهف	٨٢	٤٥
٧١	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا	النساء	٨٢	٤٥
٧٢	ما جعل عليكم فى الدين من حرج	الحج	٧٨	٤٧
٧٣	لا يسأل عما يفعل وهم يسألون	الأنبياء	٢٣	٤٧
٧٤	وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون	التوبة	٤٢	٥٤
٧٥	ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين	التوبة	٤٦	٥٤
٧٦	إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	٥٤
٧٧	من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدا	الكهف	١٧	٥٤
٧٨	فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما	الكهف	٦٥	٥٥
٧٩	قال تعالى : وما فعلته عن أمرى	الكهف	٨٢	٥٥
٨٠	انك لن تستطيع معى صبرا	الكهف	٦٧ — ٧٢	٥٥
٨١	ستجدنى إن شاء الله صابرًا ولا أعصى لك أمرا	الكهف	٦٩	٥٥
٨٢	وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا	الكهف	١٠٠، ١٠١	٥٦
٨٣	وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلًا مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا	الفرقان	٨٠	٥٦
٨٤	وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله	يونس	١٠٠	٥٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٨٥	وإلا تصرف عن كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين فصرف عنه كيدهن أنه هو السميع العليم	يوسف	٣٣ ، ٣٤	٥٦
٨٦	لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين	الأنعام	٧٣	٥٧
٨٧	واصبر وما صبرك إلا بالله	النحل	١٤٧	٥٧
٨٨	إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل	النحل	٣٧	٥٧
٨٩	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا	الاسراء	٤٥ ، ٤٦	٥٧
٩٠	وما يضل به الا الفاسقين	البقرة	٢٦	٥٧
٩١	وكذلك يطبع الله على قلـــوب الكافريـــن	الاعراف	١٠١	٥٧
٩٢	ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلا	الاسراء	٧٤	٥٨
٩٣	ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم	البقرة	٧	٥٨
٩٤	ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا	النساء	٨٣	٥٩
٩٥	فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا	النساء	٨٨	٥٩
٩٦	ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن عباده	الأنعام	٨٨	٥٩
٩٧	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجا	الأنعام	١٢٥	٥٩
٩٨	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	الشورى	١١	٦٢
٩٩	وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى	فصلت	١٧	٦٣
١٠٠	إنا خلقنا الإنسان من نطفه أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالًا وسعيرا .	الإنسان	٢ - ٤	٦٣
١٠١	ولقد بعثنا فى كل أمة رسولًا إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة .	النمل	٣٦	٦٣
١٠٢	يضل به كثيرًا ويهدى به كثيرًا	البقرة	٣٦	٦٤
١٠٣	من يضلل الله فلا هادى له	الأعراف	١٨٦	٦٤
١٠٤	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد فى السماء	الأنعام	١٢٥	٦٤
١٠٥	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا	النساء	٨٢	٦٤
١٠٦	إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفروا	الإنسان	٣	٦٥
١٠٧	ألم نجعل له عينين ولسانًا وشفتين وهديناه النجدين	البلد	٨ - ١٠	٦٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٠٨	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين	السجدة	١٣	٦٥
١٠٩	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى	الأنعام	٣٥	٦٥
١١٠	إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا الا طريق جهنم	النساء	١٦٨	٦٥
١١١	ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء	البقرة	٢٧٢	٦٦
١١٢	وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله	الشورى	٥٢ ، ٥٣	٦٦
١١٣	ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون	الأنفال	٢٣	٦٦
١١٤	وما أضلنا إلا المجرمون	الشعراء	٩٩	٦٩
١١٥	والله ربنا ما كنا مشركين	الأنعام	٢٣	٦٩
١١٦	انظروا كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون	الأنعام	٢٤	٦٩
١١٧	رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرمن ولأغوينهم أجمعن	الحجر	٣٩	٦٩
١١٨	حسدًا من عند أنفسهم	البقرة	١٠٩	٧١
١١٩	وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون	التوبة	١١٥	٧١
١٢٠	وما ابرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى	يوسف	٥٣	٧٤
١٢١	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى	النازعات	٤٠ ، ٤١	٧٥
١٢٢	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	الاسراء	٢٣	٧٧
١٢٣	وقضينا إليه ذلك الأمر إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين	الحجر	٦٦	٧٧
١٢٤	وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا	الاسراء	٤	٧٧
١٢٥	إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون	آل عمران	٤٧	٧٧
١٢٦	وقدر فيها أقواتها	فصلت	١٠	٧٧
١٢٧	إنا كل شىء خلقناه بقدر	القمر	٤٩	٧٨
١٢٨	هل من خالق غير الله	فاطر	٣	٨٣
١٢٩	فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم	الروم	٣٠	٨٤
١٣٠	واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورا	الفرقان	٣	٨٤
١٣١	أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون	النحل	١٧	٨٤

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٥٧	إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدا	الطارق	١٥ ــ ١٦	٩٣
١٥٨	ويوم يناديهم ابن شركائى قالوا أذناك ما منا من شهد	فصلت	٤٧	٩٤
١٥٩	ذق إنك أنت العزيز الكريم	الدخان	٤٩	٩٤
١٦٠	أفمن يخلق كمن لا يخلق	النحل	١٧	٩٤
١٦١	إنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا	آل عمران	٤٩	٩٤
١٦٢	واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون	الفرقان	٣	٩٥
١٦٣	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم	المائدة	١٧	٩٥
١٦٤	بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون	سبأ	٤١	٩٥
١٦٥	أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون	الواقعة	٦٣ ، ٦٤	٩٦
١٦٦	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى	الأنفال	١٧	٩٦
١٦٧	صنع الله الذى أتقن كل شىء	النمل	٨٨	٩٦
١٦٨	أحسن كل شىء خلقه	السجدة	٧	٩٧
١٦٩	إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم	الاسراء	٧	٩٧
١٧٠	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان	الرحمن	٦٠	٩٧
١٧١	ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير	الحديد	٢٢	٩٨
١٧٢	ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت	الملك	٣	٩٩
١٧٣	أو لحم خنزير فإنه رجس	الأنعام	٤٥	١٠١
١٧٤	ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها	الشمس	٨	١٠١
١٧٥	وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى	الأنفال	١٧	١٠٩
١٧٦	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم	الأنفال	١٧	١١٠
١٧٧	كذلك زينا لكل أمة عملهم	الأنعام	١٠٨	١١٠
١٧٨	فزين لهم الشيطان أعمالهم	النحل	٦٣	١١٠
١٧٩	إنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا باذن الله وابرىء الأكمه والابرص واحى الموتى باذن الله	آل عمران	٤٩	١١٠
١٨٠	واحلوا قومهم دار البوار	ابراهيم	٢٨	١١١
١٨١	لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم	ابراهيم	١	١١١
١٨٢	أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور	ابراهيم	٥	١١١
١٨٣	إنما نملى لهم ليزدادوا إثمًا	آل عمران	١٧٨	١١٢
١٨٤	وأملى لهم إن كيدى متين	القلم	٤٥	١١٢
١٨٥	الشيطان سول لهم وأملى لهم	محمد	٢٥	١١٢
١٨٦	أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون	الواقعة	٦١ - ٦٤	١١٢

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢١٠	ثم قضى أجلًا وأجل مسمى عنده	الأنعام	٢	١٢١
٢١١	فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون	الأعراف	٣٤	١٢١
٢١٢	ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها	المنافقون	١١	١٢١
٢١٣	وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله كتابًا مؤجلا	آل عمران	١٤٥	١٢٢
٢١٤	الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم	الروم	٤٠	١٢٢
٢١٥	وخلقناكم أزواجًا	النبأ	٨	١٢٢
٢١٦	عذاب عظيم	النحل	٩٤	١٢٤
٢١٧	عذاب أليم	الشورى	٢١	١٢٤
٢١٨	ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر	السجدة	٢١	١٢٤
٢١٩	وجاءوا بسحر عظيم	الأعراف	١١٦	١٢٤
٢٢٠	وأنبتناها نباتًا حسنًا	آل عمران	٣٧	١٢٤
٢٢١	إن كيد الشيطان كان ضعيفا	النساء	٧٦	١٢٤
٢٢٢	ومكروا مكرًا كبارًا	نوح	٢٢	١٢٤
٢٢٣	إن كيدهن عظيم	يوسف	٢٨	١٢٤
٢٢٤	صفراء فاقع لونها	البقرة	٦٩	١٢٤
٢٢٥	قد بدت البغضاء من أفواههم	آل عمران	١١٨	١٢٤
٢٢٦	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه	فاطر	١٠	١٢٤
٢٢٧	وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم	فصلت	٢٣	١٢٤
٢٢٨	ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله	محمد	٢٨	١٢٥
٢٢٩	فلما أضاءت ما حوله	البقرة	١٧	١٢٥
٢٣٠	تلفح وجوههم النار	المؤمنون	١٠٤	١٢٥
٢٣١	فأخذتهم الصاعقة	النساء	١٥٣	١٢٥
٢٣٢	مما تنبت الأرض	البقرة	٦١	١٢٥
٢٣٣	لما يتفجر منه الأنهار فيخرج منه الماء	البقرة	٧٤	١٢٥
٢٣٤	فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا	الرعد	١٧	١٢٥
٢٣٥	والفلك تجرى فى البحر ما ينفع الناس	البقرة	١٦٤	١٢٥
٢٣٦	وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع اثقالهم	العنكبوت	١٣	١٢٩
٢٣٧	إنى اريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار	المائدة	٢٩	١٢٩
٢٣٨	ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون	النمل	٢٥	١٢٩
٢٣٩	وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء	العنكبوت	١٢	١٢٩
٢٤٠	لا يضركم من ضل إذا اهتدتم	المائدة	١٠٥	١٣٠
٢٤١	ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك	النساء	٧٩	١٣١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٤٢	قل كان من عند الله فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا	النساء	٧٨	١٣١
٢٤٣	أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا	النساء	٨٢	١٣١
٢٤٤	كلما أضاء لهم مشو فيه وإذا أظلم عليهم قاموا	البقرة	٢٠	١٣٤
٢٤٥	إذا لذهب كل إله بما خلق	المؤمنون	٩١	١٣٤
٢٤٦	ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين	الأعراف	١٢٦	١٣٥
٢٤٧	ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون	الحشر	٩	١٣٥
٢٤٨	وما ربك بظلام للعبيد	فصلت	٤٦	١٣٧
٢٤٩	وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون	البقرة	٢٧	١٣٧
٢٥٠	فما كان الله ليظلمهم	التوبة	٧٠	١٣٧
٢٥١	لا ظلم اليوم	غافر	١٧	١٣٧
٢٥٢	وكان حقًا علينا نصر المؤمنين	الروم	٤٧	١٤٣
٢٥٣	كتب على نفسه الرحمة	الأنعام	١٢	١٤٣
٢٥٤	إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان	المائدة	٩	١٤٣
٢٥٥	أو لحم خنزير فإنه رجس	الانعام	١٤٥	١٤٣
٢٥٦	ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل	النساء	١٢٩	١٤٦
٢٥٧	فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم	النساء	٣	١٤٦
٢٥٨	فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم	البقرة	٥٤	١٤٩
٢٥٩	لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير	الملك	١٠	١٥٤
٢٦٠	فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير	الملك	١١	١٥٤
٢٦١	إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولا .	الأحزاب	٧٢	١٥٤
٢٦٢	ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى	الانعام	١٦٤	١٥٦
٢٦٣	ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها	الحديد	٢٢	١٥٩
٢٦٤	وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان	الحجرات	٧	١٦٠
٢٦٥	فأبى أكثر الناس إلا كفورا	الاسراء	٨٩	١٦٠
٢٦٦	وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	يوسف	١٠٣	١٦٠
٢٦٧	وأن تطع كثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله	الأنعام	١١٦	١٦٠

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٦٨	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم	ص	٢٤	١٦٠
٢٦٩	ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا	النبأ	٤٠	١٦٢
٢٧٠	قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين	البقرة	١١١	١٦٢
٢٧١	ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينه وأموالًا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، قال : قد أجيبت دعوتكما .	يونس	٨٨ ، ٨٩	١٦٤
٢٧٢	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات	البقرة	٢٥٣	١٦٥
٢٧٣	ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض	الاسراء	٥٥	١٦٥
٢٧٤	ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .	الاسراء	٧٠	١٦٥
٢٧٥	وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم وما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون	الأنعام	٣٨	١٦٧
٢٧٦	وإذا الوحوش حشرت .	التكوير	٥	١٦٧
٢٧٧	لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى	الليل	١٥	١٦٧
٢٧٨	وإذا أخذر ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى	الأعراف	١٧٢	١٦٨
٢٧٩	فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله	الروم	٣٠	١٦٨
٢٨٠	وجعلنا من الماء كل شيء حى	الأنبياء	٣٠	١٦٩
٢٨١	خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش	يونس	٣	١٦٩
٢٨٢	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	الأعراف	١١	١٦٩
٢٨٣	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم	البقرة	٢٨	١٦٩
٢٨٤	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين	غافر	١١	١٦٩
٢٨٥	ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله .	النمل	٨٧	١٧٠
٢٨٦	ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء .	الزمر	٦٨	١٧٠
٢٨٧	وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك	الأعراف	١٤٣	١٧٠
٢٨٨	واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم	الأعراف	١٧٢	١٧١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٨٩	وكنتم أزواجًا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم فله من الأولين وقليل من الآخرين	الواقعة	٧ – ١٤	١٧١
٢٩٠	فاما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة ونعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم .	الواقعة	٨٨ – ٩٤	١٧١
٢٩١	ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة	البلد	١٧ – ٢٠	١٧١
٢٩٢	فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة ونعيم	الواقعة	٨٤	١٧٢
٢٩٣	النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب	غافر	٤٦	١٧٢
٢٩٤	يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا	يس	٥٢	١٧٢
٢٩٥	ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى .	النجم	١٣ – ١٥	١٧٢
٢٩٦	إن لبثتم الا عشرًا	طه	١٠٣	١٧٢
٢٩٧	فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرًا جميلا إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا يوم تكون السماء كالمهمل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه	المعارج	٤ – ١١	١٧٢
٢٩٨	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون	السجدة	٥	١٧٢
٢٩٩	كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء	المدثر	٣١	١٧٤
٣٠٠	ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به	البقرة	٢٨٦	١٧٤
٣٠١	ولو شاء الله ما أشركو	الأنعام	١٠٧	١٧٥
٣٠٢	وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله	يونس	١٠٠	١٧٥
٣٠٣	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله	الأنعام	١١١	١٧٥
٣٠٤	كن فيكون	يس	٨٢	١٧٦
٣٠٥	ولقد بعثنا فى كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من خفت عليه الضلالة .	النحل	٣٦	١٧٦

رقم مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٠٦	ولقد ذرنا لجهنم كثيرًا من الجن والانس	الأعراف	١٧٩	١٧٦
٣٠٧	ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء	النحل	٩٣	١٧٦
٣٠٨	ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا	آل عمران	٨	١٧٦
٣٠٩	كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون	يونس	٣٣	١٧٦
٣١٠	وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق	الدخان	٣٨ — ٣٩	١٧٧
٣١١	وما ربك بظلام.للعبيد	فصلت	٤٦	١٧٧
٣١٢	وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون	النحل	١١٨	١٧٧
٣١٣	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	الذاريات	٥٦	١٧٧
٣١٤	وما ربك بظلام للعبيد			١٧٧
٣١٥	إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون	الأنفال	٢٢ – ٢٣	١٧٧
٣١٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	الذاريات	٥٦	١٧٨
٣١٧	أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون	المؤمنون	٤٧	١٧٨
٣١٨	بل كانوا يعبدون الجن			١٧٨
٣١٩	ولا يرضى لعباده الكفر	الزمر	٧	١٧٩
٣٢٠	اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم	محمد	٢٨	١٧٩
٣٢١	لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين	التكوير	٢٨ ، ٢٩	١٨٢
٣٢٢	وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى اليه من يشاء	المدثر	٣١	١٨٢
٣٢٣	ولو جعلناه قرآنا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمى وعربى ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى .	فصلت	٤٤	١٨٢
٣٢٤	ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يؤمنون .	يونس	٩٩ ، ١٠٠	١٨٢
٣٢٥	وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله			١٨٣

رقم مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٢٦	ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله	الأنعام	١١١	١٨٣
٣٢٧	وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن	يوسف	٣٣	١٨٣
٣٢٨	وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرًا	الأنعام	٢٥	١٨٣
٣٢٩	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء	النحل	٩٣	١٨٤
٣٣٠	قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا	الأعراف	٨٩	١٨٤
٣٣١	فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا	البقرة	١٠	١٨٤
٣٣٢	ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد	البقرة	٢٥٣	١٨٤
٣٣٣	ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا	المائدة	٤١	١٨٥
٣٣٤	أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم	المائدة	٤١	١٨٥
٣٣٥	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى	الأنعام	٣٥	١٨٥
٣٣٦	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين	السجدة	١٣	١٨٥
٣٣٧	من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم	الأنعام	٣٩	١٨٥
٣٣٨	لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين	الأنعام	٧٧	١٨٥
٣٣٩	ولو شاء الله ما أشركوا	الأنعام	١٠٧	١٨٥
٣٤٠	يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه	الأنعام	١١٢	١٨٥
٣٤١	وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه .	الأنعام	١٣٧	١٨٥
٣٤٢	ولو شاء الله لسلطهم عليكم	النساء	٩٠	١٨٥
٣٤٣	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد فى السماء .	الأنعام	١٢٥	١٨٥
٣٤٤	واصبر وما صبرك إلا بالله .	النحل	١٢٧	١٨٥
٣٤٥	ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم .	هود	١١٩	١٨٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٤٦	تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير	آل عمران	٣٦	١٨٥
٣٤٧	بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا	الاسراء	٧	١٨٧
٣٤٨	ألم ترك إلى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك	التوبة	٤٦	١٨٧
٣٤٩	ولكن كره الله انبعاثهم فبسطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين	التوبة	٤٦	١٨٧
٣٥٠	فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون	التوبة	٥٥	١٨٨
٣٥١	لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم	التوبة	٤٧	١٨٨
٣٥٢	الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون	الأعراف	٩٢	١٨٩
٣٥٣	فلبئس ما ثروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون	البقرة	١٠٢	١٨٩
٣٥٤	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	محمد	٢٤	١٨٩
٣٥٥	قرانًا عربيًا	يوسف	٢	١٨٩
٣٥٦	تبيانًا لكل شيء	النحل	٨٩	١٨٩
٣٥٧	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب تيلى عليهم	العنكبوت	٥١	١٨٩
٣٥٨	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم	ابراهيم	٤	١٨٩
٣٥٩	قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير	آل عمران	٢٦	١٨٩
٣٦٠	إن الله يفعل ما يشاء	الحج	١٨	١٩٠
٣٦١	يجتبى من رسله من يشاء	آل عمران	٧٩	١٩٠
٣٦٢	يرزق من يشاء	البقرة	٢١٢	١٩٠
٣٦٣	يختص برحمته من يشاء	البقرة	١٠٥	١٩٠
٣٦٤	فعال لما يريد	هود	١٠٧	١٩٠
٣٦٥	ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله	الكهف	٢٣	١٩٠
٣٦٦	وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون	الزخرف	٢٠	١٩٠
٣٦٧	إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون	المنافقون	١	١٩١
٣٦٨	أم أتيناهم كتابًا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على إمة وإنا على آثارهم مهتدون	الزخرف	٢١ ، ٢٢	١٩١
٣٦٩	وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين .	النحل	٣٥	١٩١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٩١	لا إكراه فى الدين	البقرة	٢٥٦	١٩٧
٣٩٢	إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين	المائدة	٢٩	١٩٧
٣٩٣	ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد اجيبت دعوتكما .	يونس	٨٨	١٩٧
٣٩٤	ولو شاء الله لسلطهم عليكم	النساء	٩٠	١٩٨
٣٩٥	وما النصر إلا من عند الله	آل عمران	١٢٦	١٩٨
٣٩٦	إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم	المائدة	١١	١٩٨
٣٩٧	وهو الذى كف أيديهم عندكم وأيديكم عنهم بعض مكة	الفتح	٢٤	١٩٨
٣٩٨	والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى	فصلت	٤٤	١٩٩
٣٩٩	يحرفون الكلم عن مواضعه	النساء	٤٦	١٩٩
٤٠٠	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا	التوبة	١١١	٢٠٠
٤٠١	ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء	البقرة	١٥٤	٢٠٠
٤٠٢	يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل	الأنعام	١٥٨	٢٠٢
٤٠٣	لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها	الأعراف	١٧٩	٢٠٢
٤٠٤	ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض	الشورى	٢٧	٢٠٦
٤٠٥	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة	الزخرف	٣٣	٢٠٦
٤٠٦	والله يعصمك من الناس	المائدة	٦٧	٢٠٨
٤٠٧	قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .	الناس	١ ، ٦	٢١٨
٤٠٨	إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء	الأعراف	١٥٥	٢١٩
٤٠٩	وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا	الجن	١٠	٢١٩
٤١٠	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس	الأعراف	١٧٩	٢١٩
٤١١	وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته	غافر	٩	٢١٩
٤١٢	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها	السجدة	١٣	٢٢٠
٤١٣	ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا	يونس	٩٩	٢٢٠
٤١٤	وحبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلًا من الله ونعمة والله عليم حكيم .	الحجرات	٧	٢٢٠

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤١٥	وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد	الفجر	٩ – ١٢	٢٢٠
٤١٦	إن ربك لبالمرصاد	الفجر	١٤	٢٢٠
٤١٧	كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين	البقرة	٢١٣	٢٢٠
٤١٨	وأملى لهم أن كيدى متين	الأعراف	١٨٣	٢٢١
٤١٩	ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين	آل عمران	١٧٨	٢٢١
٤٢٠	أيحسبون أنما نمدهم به من مال ونبين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون	المؤمنون	٥٥ ، ٥٦	٢٢١
٤٢١	سنستدرجهم من حيث لا يعلمون	الأعراف	١٨٢	٢٢١
٤٢٢	وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا	الاسراء	١٦	٢٢١
٤٢٣	وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم	محمد	٣٨	٢٢١
٤٢٤	إنا لقادرون على أن نبدل خيرًا منهم	المعارج	٤٠ ، ٤١	٢٢٢
٤٢٥	عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن	التحريم	٥	٢٢٢
٤٢٦	فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر	النساء	٥٩	٢٢٤
٤٢٧	الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون	غافر	٦١	٢٢٤
٤٢٨	الذى جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم	غافر	٦٤	٢٢٤
٤٢٩	بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس المصير	ابراهيم	٢٨ ، ٢٩	٢٢٥
٤٣٠	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم	الرعد	١١	٢٢٥
٤٣١	ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا	النساء	١٥٠ ، ١٥١	٢٢٩
٤٣٢	إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى	النجم	٢٣ ، ٢٤	٢٣٠
٤٣٣	وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا	البقرة	٣١ ، ٣٢	٢٣٢
٤٣٤	هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم	الفتح	٤	٢٣٢

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٣٥	فاما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا	التوبة	١٢٤	٢٣٣
٤٣٦	الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً	آل عمران	١٧٣	٢٣٣
٤٣٧	وما كان الله ليضيع إيمانكم	البقرة	١٤٣	٢٣٣
٤٣٨	اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا	المائدة	٣	٢٣٤
٤٣٩	ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة	البينة	٥	٢٣٤
٤٤٠	إن الدين عند الله الإسلام	آل عمران	١٩	٢٣٤
٤٤١	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين	آل عمران	٨٥	٢٣٤
٤٤٢	يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين	الحجرات	١٧	٢٣٤
٤٤٣	فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين	الذاريات	٣٥ ، ٣٦	٢٣٤
٤٤٤	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما .	النساء	٦٥	٢٣٤
٤٤٥	ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً	النساء	١٥٠ ،	٢٣٤
٤٤٦	ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا ، قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوالك رجلا .	الكهف	٣٥ – ٤٢	٢٣٥
٤٤٧	أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه	البقرة	٨٥	٢٣٥
٤٤٨	فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون	الأنعام	٣٣	٢٣٧
٤٤٩	ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله	الزخرف	٨٧	٢٣٧
٤٥٠	رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون	الحجر	٣٦	٢٣٨
٤٥١	لم اكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون	الحجر	٣٣	٢٣٨
٤٥٢	خلقتنى من نار وخلقته من طين	الأعراف	١٢	٢٣٨
٤٥٣	ما منعك أن تسجد	ص	٧٥	٢٣٨
٤٥٤	يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون	القلم	٤٢	٢٣٨
٤٥٥	يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	البقرة	١٧٦	٢٣٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٧٢	يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم	المائدة	٤١	٢٤٨
٤٧٣	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم	الحجرات	١٤	٢٤٨
٤٧٤	إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً	الأنفال	٢ – ٤	٢٤٨
٤٧٥	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون	الحجرات	١٥	٢٤٨
٤٧٦	والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا	الأنفال	٧٢	٢٤٨
٤٧٧	والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً	الأنفال	٧٤	٢٤٨
٤٧٨	إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون	المنافقون	١	٢٤٩
٤٧٩	إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً	النساء	١٤٠	٢٤٩
٤٨٠	إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون	المنافقون	١	٢٤٩
٤٨١	إلا من شهد بالحق وهم يعلمون	الزخرف	٨٦	٢٥٠
٤٨٢	إلا من اكراه وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً	النحل	١٠٦	٢٥٠
٤٨٣	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون	الحجرات	١٥	٢٥٠
٤٨٤	فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع	الفتح	٢٩	٢٥٣
٤٨٥	كمثل غيث أعجب الكفار بناته	الحديد	٢٠	٢٥٣
٤٨٦	فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها	البقرة	٢٥٦	٢٥٣
٤٨٧	تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا	مريم	٩٠	٢٥٦
٤٨٨	هل تجزون إلا ما كنتم تعلمون	النمل	٩٠	٢٥٦
٤٨٩	إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار	النساء	١٤٥	٢٥٦
٤٩٠	أدخلوا آل عمران أشد العذاب	غافر	٤٦	٢٥٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٠٨	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب	التوبة	٢٩	٢٦٦
٥٠٩	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم	الحجرات	١٤	٢٦٩
٥١٠	فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين	الذاريات	٣٥ – ٣٦	٢٦٩
٥١١	يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين	الحجرات	١٧	٢٦٩
٥١٢	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه	آل عمران	٨٥	٢٧٠
٥١٣	وأما بنعمة ربك فحدث	الضحى	١١	٢٧١
٥١٤	قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون	البقرة	١٣٦	٢٧٢
٥١٥	ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون	المائدة	٤٤	٢٧٥
٥١٦	فانذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى	الليل	١٤	٢٧٥
٥١٧	أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون	القلم	٣٥	٢٧٦
٥١٨	وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئاً	التوبة	١٠٢	٢٧٧
٥١٩	إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى	آل عمران	١٩٥	٢٧٧
٥٢٠	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت	غافر	١٧	٢٧٧
٥٢١	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره	الزلزلة	٧	٢٧٧
٥٢٢	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها	الأنعام	١٦٠	٢٧٧
٥٢٣	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين	الأنبياء	٤٧	٢٧٧
٥٢٤	لئن أشركت ليحبطن عملك	الزمر	٦٥	٢٧٨
٥٢٥	وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون	يونس	٣٣	٢٧٨
٥٢٦	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم	الحجرات	١٥	٢٧٨

رقم مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٢٧	ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون	المائدة	٤٤	٢٧٨
٥٢٨	ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون	المائدة	٤٧	٢٧٨
٥٢٩	وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم	الرعد	٦	٢٧٩
٥٣٠	إلا لعنة الله على الظالمين	هود	١٨	٢٧٩
٥٣١	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم	التوبة	١٠٣	٢٧٩
٥٣٢	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد ، والانثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وآداء إليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة	البقرة	١٧٨	٢٨٠
٥٣٣	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ، إنما المؤمنين إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله	الحجرات	٩ ، ١٠	٢٨٠
٥٣٤	وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ	النساء	٩٢	٢٨١
٥٣٥	وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم .	الأحزاب	٥	٢٨١
٥٣٦	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم	البقرة	٢٢١	٢٨٢
٥٣٧	فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن	الممتحنة	١٠	٢٨٢
٥٣٨	ولا تمسكوا بعض الكوافر	الممتحنة	١٠	٢٨٢
٥٣٩	اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين	المائدة	٥	٢٨٢
٥٤٠	الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين	النور	٢	٢٨٣
٥٤١	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جادة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون	النور	٣ ، ٤	٢٨٤

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٤٢	لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها	البقرة	٢٥٦	٢٨٤
٥٤٣	ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم	التوبة	١٧	٢٨٤
٥٤٤	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين	التوبة	١٨	٢٨٤
٥٤٥	اليو يئس الذين كفروا من دينكم	المائدة	٣	٢٨٥
٥٤٦	ومن يبتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه	آل عمران	٨٥	٢٨٥
٥٤٧	المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	التوبة	٧١	٢٨٥
٥٤٨	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض	الأنفال	٧٣	٢٨٥
٥٤٩	ومن يتولهم منكم فإنه منهم	المائدة	٥١	٢٨٥
٥٥٠	هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير	التغابن	٢	٢٨٥
٥٥١	إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا	النساء	١٠٣	٢٨٥
٥٥٢	إنما يتقبل الله من المتقين	المائدة	٢٧	٢٨٥
٥٥٣	حقاً على المحسنين	البقرة	٢٣٦	٢٨٦
٥٥٤	حقاً على المتقين	البقرة	٢٤١	٢٨٦
٥٥٥	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين	البقرة	١١١	٢٨٦
٥٥٦	وأشهدوا ذوى عدل منكم	الطلاق	٢	٢٨٧
٥٥٧	وصالح المؤمنين	التحريم	٤	٢٨٧
	فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين	التوبة	١١	٢٨٧
٥٥٨	مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء	النساء	١٤٣	٢٨٧
٥٥٩	ألم ترى إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم .	المجادلة	١٤	٢٨٧
٥٦٠	ومن يتولهم منكم فإنه منهم	المائدة	٥١	٢٨٧
٥٦١	ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم	التوبة	١٠١	٢٨٨
٥٦٢	كمثل غيث أعجب الكفار نباته	الحديد	٢٠	٢٨٨
٥٦٣	فلا تزكوا أنفسكم	النجم	٣٢	٢٨٨
٥٦٤	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين	الحجرات	٦	٢٨٩

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٦٥	الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار	ابراهيم	٢٨	٢٨٩
٥٦٦	وجعلوا لله انداداً ليضلوا عن سبيله	ابراهيم	٢٩	٢٨٩
٥٦٧	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا	النساء	١١٥	٢٩٣
٥٦٨	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما	النساء	٦٥	٢٩٣
٥٦٩	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم : إلى قوله : ليغيظ بهم الكفار	الفتح	٢٩	٢٩٤
٥٧٠	كونوا قوامين لله شهداء بالقسط	المائدة	٨	٢٩٥
٥٧١	لتبيننه للناس ولا تكتمونه	آل عمران	١٨٧	٢٩٥
٥٧٢	وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه	الفجر	١٦	٢٩٦
٥٧٣	إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، إلى قوله : ونعلم أن قد صدقتنا	المائدة	١١٢ ، ١١٣	٢٩٦
٥٧٤	قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا	الكهف	١٠٤	٢٩٧
٥٧٥	الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا	الكهف	١٠٥ ، ١٠٦	٢٩٧
٥٧٦	ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون	المجادلة	١٨	٢٩٨
٥٧٧	ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين	آل عمران	٨٥	٢٩٨
٥٧٨	ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً	النساء	١٥٠	٢٩٩
٥٧٩	قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم	التوبة	٦٥ ، ٦٦	٢٩٩
٥٨٠	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين	البقرة	١١١	٣٠١
٥٨١	وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم	الأحزاب	٥	٣٠١
٥٨٢	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	الإسراء	١٥	٣٠٢
٥٨٣	لأنذركم به ومن بلغ	الأنعام	١٩	٣٠٢

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٨٤	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما .	النساء	٦٥	٣٠٢
٥٨٥	ويفعلون ما يؤمرون	النحل	٥٠	٣٠٣
٥٨٦	ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين	الأنبياء	٢٩	٣٠٣
٥٨٧	ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون	النحل	٥٩ – ٦٠	٣٠٣
٥٨٨	إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين	التكوير	١٩ – ٢١	٣٠٣
٥٨٩	عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وبقوله : ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستسحرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون	الأنبياء	٢٠	٣٠٣
٥٩٠	فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون	فصلت	٣٨	٣٠٣
٥٩١	قل من كان عدو لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو الكافرين	البقرة	٩٨	٣٠٤
٥٩٢	ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم	الأنبياء	٢٩	٣٠٤
٥٩٣	لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين	الزمر	٦٥	٣٠٤
٥٩٤	يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين .	الاحزاب	٣٠	٣٠٤
٥٩٥	والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون .	النور	٢٦	٣٠٤
٥٩٦	لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين	الأنبياء	١٧	٣٠٤
٥٩٧	لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء	الزمر	٤	٣٠٤
٥٩٨	ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه .	الأنعام	٢٨	٣٠٤
٥٩٩	قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزل عليهم من السماء ملكاً رسولا .	الاسراء	٩٥	٣٠٤
٦٠٠	ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين .	الحجر	٨	٣٠٤
٦٠١	جاعل الملائكة رسلًا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع .	فاطر	١	٣٠٥
٦٠٢	وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أح إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم	البقرة	١٠٢	٣٠٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
	ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق .			
٦٠٣	أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء .	الأعراف	١٥٥	٣٠٥
٦٠٤	إنما أموالكم وأولادكم فتنة .	الأنفال	٢٨	٣٠٦
٦٠٥	وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً .	المدثر	٣١	٣٠٦
٦٠٦	وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه .	الجن	١٧	٣٠٦
٦٠٧	وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله .	البقرة	١٠٢	٣٠٦
٦٠٨	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقديه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله .	الأنفال	٤٨	٣٠٧
٦٠٩	اعدت للمتقين .	آل عمران	١٣٣	٣٠٧
٦١٠	وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به .	الجن	١٣	٣٠٧
٦١١	إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به .	الجن	١	٣٠٧
٦١٢	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار .	البينة	٧–٨	٣٠٧
٦١٣	وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .	الجن	١٤–١٥	٣٠٨
٦١٤	يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم .	الأنعام	١٣٠	٣٠٨

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الفرق والوقائع

فهرس الأشعار

فهرس الأعـلام

رقم مسلسل	الاسـم		الصفحـات

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

ثبت بالمراجع

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١	القرآن الكريم	كتاب الله جل من أنزل
٢	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب من المكتبة السلفية
٣	صحيح مسلم	حقق نصوصه ورقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقى نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية
٤	سنن الترمذى	حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف [دار الفكر ١٣٨٤ هـ]
٥	سنن ابن ماجه	حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقى [عيسى البابى الحلبى وشركاه]
٦	سنن الدارمى	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى [دار الفكر ش سليمان الحلبى القاهرة ١٣٩٨ هـ]
٧	سنن أبى داود	راجعه على عدة نسخ محمد محيى الدين عبد الحميد [دار إحياء السنة النبوية]
٨	جامع الأصول فى أحاديث الرسول	حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤطى [مكتبة دار لبنان ١٣٩٢ هـ]
٩	كشف الخفا ومزيل الألباس	أحمد القلاس [مكتبة التراث الإسلامى – حلب]
١٠	المسند للإمام أحمد بن حنبل	شرحه – أحمد محمد شاكر [دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ]
١١	الموطأ للإمام مالك	صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقى [دار إحياء الكتب العربية]
١٢	سنن النسائى	بشرح الحافظ السيوطى [المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ]
١٣	الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة	الشوكانى – تحقيق عبد الرحمن بن يحيى [مطبعة جدة ١٣٨٠ هـ]
١٤	مفتاح كنوز السنة د . ا . ى فنسنك	نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى ادارة ترجمان السنة – لاهور ١٣٩٧ هـ

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١٥	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى	ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره [أ . ى . ونسنك و ى . ب . منسخ [مطبعة بريل لندن ١٩٦٧]
١٦	البداية والنهاية لابن كثير	الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف بيروت
١٧	دائرة المعارف الإسلامية	أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية جماعة من المستشرقين النسخة العربية إعداد إبراهيم زكى خورشيد [دار الشعب بالقاهرة]
١٨	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر	تحقيق على محمد البيجاوى [مكتبة نهضة مصر بالقاهرة]
١٩	الطبقات الكبرى لابن سعد	دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة
٢٠	وفيات الأعيان لابن خلكان	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مكتبة نهضة مصر ١٩٤٨ م]
٢١	تهذيب التهذيب لابن حجر	للإمام ابن حجر العسقلانى
٢٢	المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مطبعة المدنى بالقاهرة]
٢٣	الإعلام للزركلى	الطبعة الثالثة
٢٤	جمهرة أنساب العرب لابن حزم	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون [دار المعارف ١٩٦٢ م]
٢٥	جوامع السيرة لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس [دار المعارف بمصر]
٢٦	طوق الحمامة فى الألفة والآلاف	تحقيق الدكتور الطاهر مكى [دار المعارف بمصر]
٢٧	المفاضلة بين الصحابة لابن حزم	تحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى [بيروت سنة ١٩٤٠ م]
٢٨	نقط العروس لابن حزم	تحقيق الدكتور شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٥١ م
٢٩	أعلام النساء لعمر كحالة	الطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨ هـ
٣٠	الإحاطة فى أخبار غرناطة	لسان الدين الخطيب تحقيق عبد الله عنان القاهرة ١٩٥٥ م
٣١	بغية الملتمس	أحمد بن يحيى العتبى دار الكتاب العربى ١٩٦٧ م
٣٢	تراجم إسلامية	محمد عبد الله عنان [مكتبة الخانجى]
٣٣	تذكرة الحفاظ	الذهبى [طبعة حيدر أباد الهند]
٣٤	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى بيروت
٣٥	تاريخ الفكر الأندلسى	ترجمة الدكتور حسين مؤنس [القاهرة ١٩٥٥ م]
٣٦	تاريخ الشعوب الإسلامية	بركلمان الطبعة السابعة دار العلم للملايين
٣٧	ابن حزم – حياته وعصره وآراؤه وفقهه	الشيخ محمد أبو زهرة [دار الفكر العربى]
٣٨	ابن حزم الأندلسى	الدكتور زكريا إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٦٦ م أعلام العرب
٣٩	دولة الإسلام فى الأندلس	الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ
٤٠	طبقات الشافعية للأسنوى	تحقيق عبد الله الجابورى بغداد ١٣٩١ هـ
٤١	عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعه	دار مكتبة الحياة بيروت

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٤٢	معجم الأدباء لياقوت الحموى	طبعة دار المأمون
٤٣	مروج الذهب للمسعودى	تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – كتاب التحرير سنة ١٣٨٦ هـ
٤٤	المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى	تحقيق محمد العريان – القاهرة – سنة ١٣٦٨ هـ
٤٥	تفسير الطبرى : لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى	حققه محمود محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م
٤٦	تفسير القرآن العظيم : لأبى الغداء اسماعيل ابن كثير	طبع دار احياء الكتب العربية
٤٧	التفسير الكبير : للإمام محمد الرازى	المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ
٤٨	الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين السيوطى	دار المعرفة للطباعة – بيروت – لبنان
٤٩	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل	للإمام محمود بن عمر الزمخشرى – ط مصطفى حسين أحمد مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ
٥٠	الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى	ط . دار الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٧ هـ
٥١	زاد المسير فى علم التفسير – عبد الرحمن ابن الجوزى	المكتب الإسلامى – على نفقه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى – أمير دولة قطر المعظم
٥٢	فى ظلال القرآن	سيد قطب دار الشروق ١٣٩٤ هـ بيروت
٥٣	تفسير القرآن الحكيم	محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة النجاح الطبعة الأولى
٥٤	تفسير النسفى	للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : مكتبة محمد على صبيح ١٣٨٥ هـ
٥٥	بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى – تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٣٨٩ هـ
٥٦	التفسير والمفسرون	د . محمد حسين الذهبى – دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٨١ هـ
٥٧	معترك الأقران فى أعجاز القرآن	للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى – تحقيق : على محمد البجاوى – دار الفكر العربى
٥٨	تأويل مشكل القرآن	شرحه ونشره : السيد أحمد صقر – الطبعة الثانية – دار التراث – القاهرة ١٣٩٣ هـ
٥٩	فتح القدير : الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير	تأليف : محمد بن على الشوكانى : دار الفكر ١٣٩٣ هـ

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
	كتب العقيدة	
٦٠	المواقف	للقاضى : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى . الطبعة الأولى : مطبعة السعادة بمصر - ١٣٢٥ هـ
٦١	المقاصد	سعد الدين التفتازانى . نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحمل رقم ٥٣٣١٣ علم الكلام
٦٢	التقريب لحد المنطق والمدخل إليه	نشر وتحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٩٥٩ م
٦٣	الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار العروبة - ١٣٨٠ هـ
٦٤	رسالة فى ابطال القياس والرأى والاستحسان لابن حزم	تحقيق الاستاذ سعيد الأفغانى سنة ١٩٦٠ دمشق
٦٥	أصول الفكر الفلسفى عند الرازى	د . عبد اللطيف محمد العبد - مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٧ م
٦٦	الأسفار المقدسة	د . على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر سنة١٩٧١ م .
٦٧	آراء بن العربى الكلامية	عمار طالبى : الشركة الوطنية - الجزائر
٦٨	إغاثة اللهفان	لابن القيم الجوزيه - تحقيق محمد حامد الفقى
٦٩	أصول الدين	للبغدادى : الطبعة الأولى - استنابول - مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ
٧٠	تحقيق ما للهند من مقولة	للبيرونى ط حيدر أباد بالهند ، ١٣٧٧ هـ
٧١	تبين كذب المفترى	لابن عساكر : ط دار الكتاب العربى : بيروت ١٣٩٩ هـ
٧٢	التلمود	ظفر الإسلام خان ط . الثالثة - دار النفائس
٧٣	التوراه السامرية	ترجمة الكاهن السامرى - تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا - دار الأنصار : الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ
٧٤	تهافت الفلاسفة	لحجة الإسلام الغزالى - طبعة دار المعارف تحقيق الدكتور سليمان دنيا
٧٥	جذوة المقتبس	للحميدى : الدار القومية - ١٩٦٦ م
٧٦	رسائل فلسفية	للرازى : منشورات دار الإنسان الجديد : بيروت ١٣٩٣ هـ
٧٧	الرد الجميل	للغزالى : ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٣ هـ تقديم وتحقيق الأستاذ : عبد العزيز عبد الحق .
٧٨	الإشارات لابن سينا	ط دار المعارف . تحقيق د . سليمان دنيا
٧٩	الفكر الدينى الإسرائيلى	د . حسن ظاظا : ط . معهد البحوث سنة ١٩٧١ هـ
٨٠	الفرق بين الفرق	للبغدادى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مكتبة ومطبعة محمد على صبيح - القاهرة
٨١	ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى	د . عوض الله حجازى : سنة ١٣٨٠ هـ
٨٢	مناهج الجدل فى القرآن الكريم	د . زاهر عواض الألمعى : مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
٨٣	المعجم الفلسفى	د . جميل صليبا - دار الكتاب اللبنانى - بيروت

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٨٤	محاضرات فى النصرانية	للشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى
٨٥	الملل والنحل	للشهرستانى : تخريج الدكتور محمد بن فتح الله بدران مكتبة الأنجلو – القاهرة – ١٣٦٦ هـ
٨٦	المسيحية	للدكتور أحمد شلبى : الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م مكتبة النهضة
٨٧	مقالات الإسلاميين	لأبى الحسن الأشعرى : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – ط ثانية ١٣٨٩ هـ
٨٨	المغنى	للقاضى عبد الجبار – الدار المصرية للتأليف والترجمة – بإشراف د . طه حسين
٨٩	نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	د . على سامى النشار . دار المعارف الطبعة السابعة – ١٩٧٧ م
٩٠	مذاهب الإسلاميين	د . عبد الرحمن بدوى . دار العلم للملايين بيروت ط الثانية – ١٩٧٩ م
٩١	معارج القبول لشرح سلم الوصول فى التوحيد	للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى من مطبوعا الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية
٩٢	الحقيقة فى نظر الغزالى	د . سليمان دنيا : دار المعارف بمصر ط ثالثة
٩٣	الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة . من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية
٩٤	فتح المجيد – شرح كتاب التوحيد	للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – محمد حامد الفقى – دار الكتب العلمية بيروت
٩٥	المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية	للاستاذ الدكتور محمد الصادق – دار التراث الإسلامى – بيروت
٩٦	فى التوحيد ، ديوان الأصول	لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابورى : تحقيق محمد عبد الهادى أبو ريدة . مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م
٩٧	الصلة بين التصوف والتشيع	د . كامل مصطفى الشيبى – دار المعارف مصر ط ثانية
٩٨	الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى	د . محمد البهى – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر
٩٩	الابانة عن أصول الديانة	لأبى الحسن الأشعرى . تقديم وتحقيق د . فوقية حسين محمود – دار الأنصار – مصر
١٠٠	شرح العقيدة الطحاوية	حققها جماعة من العلماء : المكتب الإسلامى ط : الرابعة ١٣٩٩ هـ
١٠١	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسوانى الهندى – مطابع نجد التجارية – الرياض

الفصل
في
الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور محمد ابراهيم نصر

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة

عميد كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - فرع أسيوط

دار الجيل

بيروت

الطبعة الثانية

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمد الله تعالى حمد العارفين ، ونشكره شكر المؤمنين القانتين ، على نعمه الظاهرة والباطنة علينا وعلى عباده الذين اصطفى لحمل رسالته والدعوة لدينه ، وبيان كلمة الحق وإظهارها ، ونسأله العون والسداد والتوفيق والرشاد ، إنه نعم المولى ونعم النَّصير .

وبعد فيطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية بعامة ، وطلاب المعرفة بخاصة الجزء الرابع من الموسوعة المعلّمة – والتى تسمى « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » للالمعى النابه ، صاحب الفكرة الصادقة واللمحة الواعية ، العالم الظاهرى أبى محمد المعروف بابن حزم . ولقد تناول فى هذا الجزء الذَّب عن أنبياء الله ورسله بالحجة الدامغة والقول السديد . وأفرد فصلًا خاصًا للرسول – ﷺ – خاتم الأنبياء والمرسلين .

تناول بعده حقيقة الملائكة – فنفى ما أشاعه الجهلاء وأصحاب الأهواء عن هويتهم ، وخلص فى النهاية إلى أنهم عباد الله المكرمون ، وجنوده المخلصون ، الذين لا يعصون ربهم ، ويفعلون ما يؤمرون . ثم عقد فصلًا مطولًا عن الوعد والوعيد ، وتحدث حديث العارف لدينه الفاهم لكلام ربه عن الشفاعة والميزان ، والحوض والصراط وعذاب القبر . وختم هذا الفصل بالكلام عن القيامة وبعث الأجساد وإثبات وجود الجنة والنار وأفحم الفلاسفة والكلاميين – الذين يتبعون أهواءهم – ويحكمون عقولهم القاصرة ويقولون ببعث الأرواح فقط .

وهذا الجزء – بحق – يعتبر إحدى روائع هذه الموسوعة التى تعد – كما قلنا سابقا – من أولى الكتب التى كتبها علماء المسلمين الأجلاء فى الديانة المقارنة – فكانت نبعًا ثريًا للعلماء والمفكرين المهتمين بدراسة مقارنة الأديان طوال القرون السابقة .

نسأل الله العلى القدير أن يوفقنا – فى تقديم الجزء الخامس والأخير لقراء العربية – فى الصورة التى نتوخاها له – إنه نعم المولى ونعم المعين – وعلى الله قصد السبيل .

المحققـان

هل تعصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قال أبو محمد : اختلف الناس فى هل تعصى الأنبياء عليهم السلام أم لا .. ؟ فذهبت طائفة إلى أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله عز وجل فى جميع الكبائر والصغائر عمدًا حاشا الكذب فى التبليغ فقط ، وهذا قول الكرامية[1] من المرجئة ، وقول ابن الطيب الباقلانى[2] من الأشعرية[3] ومن اتبعه ، وهو قول اليهود والنصارى ، وسمعت من يحكى عن بعض الكرامية أنهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب فى التبليغ أيضا . وأما هذا الباقلانى فإنا رأينا فى كتاب صاحبه أبى جعفر السمنانى[4] قاضى الموصل أنه كان يقول : إن كل ذنب دق ، أو جل ، فإنه جائز على الرسل حاشا الكذب فى التبليغ فقط ، قال : وجائز عليهم أن يكفروا ، قال : وإذا نهى النبى عليه السلام عن شىء ثم فعله فليس ذلك دليلا على أن ذلك النهى قد نسخ ، لأنه قد يفعله عاصيًا لله عز وجل ، قال وليس لأصحابه أن ينكروا ذلك عليه وجوز أن يكون فى أمة محمد عليه السلام ، من هو أفضل من محمد ، عليه الصلاة والسلام مذ بعثه الله إلى أن مات .

قال أبو محمد : وهذا كله كفر مجرد ، وشرك محض ، وردة عن الإسلام . قاطعه للولاية ، مبيحة دم من دان بها وماله ، موجبة للبراءة منه فى الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، وذهبت طائفة إلى أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا ، وجوزوا عليهم الصغائر

---

(١) زعيم هذه الفرقة : محمد بن كرام السجستانى ، كان مطرودًا من سجستان إلى غرجستان ودعا أتباعه إلى تجسيم معبودة ، وزعم أنه جسم له حد ونهاية ، وقد وصف بن كرام معبوده فى بعض كتبه بأنه جوهر كما زعمت النصارى أن الله تعالى جوهر وهم ثلاث فرق : حقائقية ، وطرائفية ، وإسحافية ، وفضائح الكرامية كثيرة جدًا نسأل الله السلامة .

(٢) هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم الباقلانى ت ٤٠٣ راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٥٧٠ وتاريخ بغداد حـ ٥ ص ٣٧٩

(٣) الأشعرية : راجع الحديث عنهم فى الجزء الثالث ص ١٠١

(٤) أبو جعفر السمنانى : يسمى : محمد بن أحمد بن محمد السمنانى أبو جعفر قاضى حنفى ت ٤٤٤ راجع الجزء الثانى ص ٣١٤

بالعمد وهو قول ابن فورك الأشعرى[٥] وذهب جميع أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة والنجارية[٦] والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز ألبتة أن يقع من نبى أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة ، وهو قول ابن مجاهد الأشعرى شيخ ابن فورك والباقلانـى المذكورين .

قال أبو محمد : وهذا قولنا الذى ندين الله تعالى به ، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه ، ونقول : إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى ، والتقرب به منه ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقر[٧] على شيء من هذين الوجهين اصلا ، بل ينبهم على ذلك ولابُدَّ إثر وقوعه منهم ، ويظهر عز وجل ذلك لعباده ، ويبين لهم كما فعل نبيه ﷺ فى سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام فى أمر زينب[٨] أم المؤمنين وطلاق زيد[٩] لها رضى الله عنهما ، وفى قصة ابن أم مكتوم[١٠] رضى الله عنه ، وربما يبغض المكروه فى الدنيا كالذى أصاب آدم ، ويونس عليهما الصلاة والسلام ، والأنبياء[١١] عليهم الصلاة والسلام بخلافنا فى هذا فإننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ، ولا بما قصدنا به ، وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى ، بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجرا واحدًا .

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن الله تعالى قرن بكل أحد شيطانًا ، وأن الله تعالى أعانه على شيطانه فأسلم ، فلا يأمره إلا بخير ، وأما الملائكة فبرآء من كل هذا ، لأنهم خلقوا من نور محض لا شوب فيه ، والنور خير كله لا كدر فيه ..

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا أحمد بن فتح ، حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن على ، حدثنا مُسلِمْ بن الْحَجاجِ ، عن عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، عن

---

(٥) ابن فورك : يسمى محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى ت ٤٠٦ راجع الجزء الثانى ص ٣٥٢

(٦) راجع كلمة عن النجارية فى الجزء الثالث ص ١٠١

(٧) فى (أ) : (لا يقرهم) .

(٨) هى زينيب بنت جحش بن رباب بن يعمر ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، هاجرت إلى المدينة وتزوجها زيد بن ثابت ، ثم تزوجها رسول الله – ﷺ ، كانت أول نساء النبى – ﷺ لحوقًا بها راجع ترجمة وافية لها فى طبقات ابن سعد حـ ٨ ص ١٠١

(٩) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى أبو اسامة مولى رسول الله – ﷺ – وكان يقال له : حب رسول الله – ﷺ – قتل بمؤته من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة – وكان الأمير على تلك الغزوة – راجع ترجمته فى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٢ ص ٥٤٥

(١٠) ابن أم مكتوم هو عمر بن قيس بن زائدة بن الأصم ، والأصم هو جندب بن هرم ، وأما أم مكتوم ، فاسمها عاتكه بنت عبد الله ابن عامر بن مخزوم ، قدم المدينة مهاجرًا مع مصعب بن عمير قبل هجرة الرسول – ﷺ ، قتل شهيدًا بالقادسية – رضى الله عنه – الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٣ ص ١١٩٨

(١١) فى (خ) : سقط « والأنبياء عليهم الصلاة والسلام » .

عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهرِيِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عَائِشَةَ ، قالت : قال رسول الله ﷺ : خُلِقَتِ الملائكةُ من نُورٍ وَخُلقَ الجانُّ مِنْ مَارِجٍ من نَارٍ ، وَخُلقِ آدَمُ ممَّا وصُفَ لَكم(١٢).

قال أبو محمد : واحتجت الطائفة الأولى بآيات من القرآن ، وأخبار وردت ، ونحن إن شاء الله عز وجل نذكرها ، ونبين غلطهم فيها ، بالبراهين الواضحة الضرورية ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢) (الحديث رواه الإمام مسلم فى الزهد ٦٠ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ٦ ص ١٥٣

الكلام فى آدم عليه السلام

قال أبو محمد : فمما احتجوا به قول الله عز وجل : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّه فَغَوى[1] » .

وقوله تعالى : « وَلَا تَقْرَبَا هَذِه الْشَجَرة فتكونَا مِنَ الْظَالِمين[2] » . قالوا فقر بها آدم فكان من الظالمين[3].

وقد عصى وغوى .

وقال تعالى « فَتَابَ عَلَيْه »

والمتاب لا يكون إلا من ذنب .

وقال تعالى : « فأزلهما الشيطان[4] » . واستزلال[5] الشيطان معصية ، وذكروا قول الله تعالى : فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما[6].

هذا كل ما ذكروا فى آدم عليه السلام .

قال أبو محمد : وهذا كله بخلاف ما ظنوا .

أما قوله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى » . فقد علمنا أن كل خلاف لأمر آمر فصورته صورة المعصية ، فيسمى معصية لذلك وغواية ، إلا أنه منه ما يكون عن عمد ، وذكر ، فهذه

---

(١) سورة طه آية رقم ١٢١

(٢) سورة البقرة آية رقم ٣٥

(٣) هذه العبارة سقطت من (أ) .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٣٥

(٥) فى (أ) : وازلال .

(٦) سورة الأعراف آية رقم ١٩٠

معصية على الحقيقة ، لأن فاعلها قاصد إلى المعصية ، وهو يدرى أنها معصية ، وهذا هو الذى نزهنا عنه الأنبياء عليهم السلام ، ومنه ما يكون عن قصد إلى خلاف ما أمر به وهو يتأول فى ذلك الخير ، ولا يدرى أن عاص بذلك بن يظن أنه مطيع لله تعالى أو أن ذلك مباح له لأنه يتأول أن الأمر الوارد عنه[٧] ليس على معنى الايجاب ولا على التحريم لكن إما على الندب إن كان بلفظ الأمر ، أو الكراهية إن كان بلفظ النهى ، وهذا شىء يقع فيه العلماء ، والفقهاء ، والأفاضل كثيرًا ، وهذا هو الذى قد[٨] يقع من الأنبياء عليهم السلام ويؤاخذون به إذا وقع منهم ، وعلى هذه السبيل أكل آدم من الشجرة ، ومعنى قوله تعالى : « فتكون من الظالمين[٩]» . أى ظالمين لأنفسكما ، والظلم فى اللغة : وضع الشىء فى غير موضعه فمن وضع الأمر ، أو النهى ، فى موضع الندب ، أو الكراهة ، فقد وضع الشىء فى غير موضعه ، وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذى يقع بغير قصد ، وليس معصية ، لا الظلم الذى هو القصد إلى المعصية ، وهو يدرى أنها معصية ، وبرهان هذا ما قد نصه الله تعالى من أن آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة ، إلا بعد أن أقسم له إبليس أن نهى الله عز وجل لهما عن أكل الشجرة ليس على التحريم ، وأنهما لا يستحقان بذلك عقوبة أصلًا ، بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن ، وفوز الأبد ، قال تعالى حاكيا عن إبليس أنه .

قال لهما : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور[١٠]» .

وقال عز وجل : ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما[١١]» .

قال أبو محمد : فلما نسى آدم عليه السلام عهد الله إليه فى أن أبليس عدو له أحسن الظن بيمينه .

قال أبو محمد : ولا بسلامة ، ولا براءة من القصد إلى المعصية ولا أبعد من الجراءة على الذنوب أعظم من حال من ظن أن أحدًا لا يحلف حانثًا ، وهكذا فعل آدم عليه السلام فإنه إنما أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها ناسيا ، بنص القرآن ، ومتأولا وقاصدًا إلى الخير ، لأنه قدر أنه يزداد حظوة عند الله تعالى فيكون ملكًا مقربًا ، أو خالدًا فيما هو فيه أبدًا ، فأداه ذلك إلى خلاف ما أمره الله عز وجل به ، وكان الواجب أن يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره لكن تأول

---

(٧) فى (أ) : عليه .
(٨) سقطت من (أ) (قد) .
(٩) سورة البقرة آية رقم ٣٥
(١٠) سورة الأعراف آية رقم ٢١
(١١) سورة طه آية رقم ١١٥

وأراد الخير فلم يصبه ، ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجورًا ، ولكن آدم عليه السلام لما فعله وأوخِذ به[١٢] باخراجه عن الجنة ، إلى نكر[١٣] الدنيا ، كان بذلك ظالما لنفسه

وقد سمى الله قاتل الخطأ قاتلًا ، كما سمى العامد ، والمخطىء لم يتعمد معصية ، وجعل فى الخطأ فى ذلك كفارة عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، لمن عجز عن الرقبة ، وهو لم يتعمد ذنبًا . وأما قوله عز وجل : لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما[١٤].

فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومن نسب لآدم عليه السلام الشرك والكفر – كفرٌ مجردٌ بلا خلاف من أحد من الأمة ونحن ننكر على من كفرَّ المسلمين العصاة العشارين القتالين ، والشُرَط الفاسقين ، فكيف من كفرَّ الأنبياء عليهم السلام .. ؟ وهذا الذى نسبوه إلى آدم عليه السلام من أنه سمى إبنه عبد الحارث خرافة موضوعة ، مكذوبة ، من توليد من[١٥] لا دين له ، ولا حياء ، لم يصح سندها قط ، وإنما نزلت فى المشركين على ظاهرها ، وحتى لو صح أن الآية نزلت[١٦] فى آدم ، وهذا لا يصح أصلًا لما كانت فيه للمخالف حجة ، لأنه كان يكون الشرك أو الشركاء المذكورون فى الآية حينئذ على غير الشرك الذى هو الكفر ، لكن بمعنى أنهما جعلا مع توكلهما شركة من حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام : « يَا بِنَى لَا تَدخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وادْخلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِقَة وَمَا أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ الله مِنْ شَىءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلَّا لله عَلَيه تَوكَّلْتُ وَعَليه فَلْيتوكِلِ المُتوكِلوُن وَلَما دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِنَ الله مِنْ شَىْءٍ إِلَا حَاجَةً فى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضاهَا وَإِنّه لَذُوْ عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهْ وَلِكنَّ أَكْثَر النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ[١٧]» .

فأخبرنا عز وجل أن يعقوب عليه السلام أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة أشفاقا عليهم إما من إصابة العين ، وإما من تعرض عدو مستريب بإجماعهم ، أو ببعض ما يخوفه عليهم ، وهو عليه السلام معترف أن فعله ذلك وأمره إياهم ، بما أمرهم به من ذلك لا يغنى عنهم من الله شيئا يريده عز وجل بهم ولكن لما كانت طبيعة البشر جارية فى يعقوب عليه السلام ، وفى سائر الأنبياء عليهم السلام ، كما قال تعالى حاكيا عن الرسل أنهم قالوا : « إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ[١٨]»

---

(١٢) فى (أ) : ووجد به .
(١٣) فى (أ) : إلى نكد : بالدال .
(١٤) سورة الأعراف آية رقم ٨٩ ، ٩٠
(١٥) فى (أ) : من تأليف .
(١٦) فى (أ) : أنها .
(١٧) سورة يوسف آية رقم ٦٧ ، ٦٨
(١٨) سورة إبراهيم آية رقم ١١

حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لجارحه[١٩] النفس ، ونزاعها ، وتوقها إلى سلامة من تحب ، وإن كان ذلك لا يغنى شيئا كما كان عليه السلام يحب الفأل الحسن ، فكان يكون على هذا معنى الشرك والشركاء أن يكون عوذة ، أو تميمة ، أو نحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط إلا فى الكفار ، لا فى آدم عليه السلام .؟؟؟

(١٩) فى (أ) : لحاجة النفس .

الكلام فى نوح عليه السلام

قال أبو محمد : ذكروا قول الله عز وجل لنوح عليه السلام .. فلا تسألنى ما ليس لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين[1].

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأن نوحًا عليه السلام تأول وَعْدَ الله تعالى أن يخلصه وأهله فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة ، وهذا لو فعله أحد لكان مأجورًا ولم يسأل نوح عليه السلام تخليص من أيقن أنه ليس من أهله فتفرع على ذلك ، ونهى عن أن يكون من الجاهلين ، فتندم عليه السلام من ذلك ونزع ، وليس هاهنا عمد للمعصية ألبتة .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(١) سورة هود آية ٤٦

الكلام فى إبراهيم عليه السلام

قال أبو محمد : ذكروا ما روى عن رسول الله ﷺ من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات ، وأنه قال إذ نظر فى النجوم « إِنِّى سَقِيمٌ[1] » .

وبقوله فى الكواكب والشمس والقمر « هَٰذَا رَبِّى[2] » .

وبقوله فى سارة : « هذه أختى » .

وبقوله فى الأصنام إذ كسرها « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا[3] » وبطلبه إذ طلب رؤية إحياء الموتى قال : أو لم تؤمن قال : بلى . ولكن ليطمئن قلبى[4] » .

قال أبو محمد : وهذا كله ليس على ما ظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين .

أما الحديث : أنه عليه السلام كذب ثلاث كذبات ، فليس كل كذب يكون[5] معصية ، بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل ، وفرضًا ، واجبًا يعصى من تركه ، صح أن رسول الله ﷺ قال : ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرًا[6] » .

فقد أباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها ، وكذلك الكذب فى الحرب ، فقد أجمع أهل الإسلام على أن إنسانًا لو سمع مظلوما قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق ويأخذ ماله غصبًا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدًا بذلك السلطان فسأل

---

(١) سورة الصفات آية رقم ٨٩

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٦٣

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠

(٥) سقط من (أ) كلمة : يكون .

(٦) الحديث رواه البخارى فى الصلح ٢ ومسلم فى البر ١٠١ ، واحمد بن حنبل حـ ٦ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ولفظه عند مسلم : ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، ويقول خيرًا وينمى خيرًا .

السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فإنه إن كتم ما سمع وأنكر أن يكون سمعه ، أو أنه يعرف موضعه أو موضع ماله ، فإنه محسن مأجور مطيع لله عز وجل ، وأنه إن صدقه فأخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقًا عاصيًا لله عز وجل ، فاعل كبيرة مذمومًا نمامًا .

وقد أبيح الكذب فى إظهار الكفر فى التقية ، وكل ما روى عن إبراهيم عليه السلام فى تلك الكذبات فهو داخل فى الصفة المحمودة ، لا فى الكذب الذى نهى عنه ، وأما قوله عن سارة هى أختى فصدق هى أخته من وجهين .

قال الله تعالى : « إنما المؤمنون اخوة[٧] » .

وقال عليه السلام : « لا يَخْطُبُ أَحَدُكُمْ عَلَى خِطْبَة أَخِيه[٨] » .

والوجه الثانى : القرابة وأنها من قومه ومن مستجيبيه قال عز وجل « وإلى مدين أخاهم شعيبا[٩] » .

فمن عد هذا كذبًا مذموما من إبراهيم عليه السلام فليعده كذلك من[١٠] ربه عز وجل وهذا كفر مجرد فصح أنه عليه السلام صادق فى قوله فى سارة إنها أختى[١١]. وأما قوله « فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم[١٢] » .

فليس هذا كذبا ولسنا ننكر أن تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض وبعض ما يحدث فى العالم كدلالة البرق على تغول البحر ، وكدلالة الرعد على تولد الكمأة ، وكتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه ، وانحداره[١٣] وارتفاعه ، وامتلائه ونقصه ، وإنما المنكر قول من قال : إن الكواكب هى الفاعلة المدبرة لذلك ، دون الله تعالى ، أو مشتركة معه ، فهذا كفر من قائله وأما قوله عليه السلام : « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرهُم هَذَا[١٤] » .

فإنما هو تقريع لهم ، وتوبيخ ، كما قال تعالى : « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ[١٥] » وهو فى

---

(٧) سورة الحجرات آية رقم ١٠

(٨) الحديث رواه البخارى فى النكاح ٤٥ ورواه مسلم فى البيوع ٨ والنكاح ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٣ وأبو داود فى النكاح ١٧ ، والترمذى فى النكاح ٣٨ ، والنسائى فى البيوع ١٩

(٩) سورة الأعراف آية رقم ٨٥

(١٠) فى (أ) : كذبًا .

(١١) فى (أ) : أخته .

(١٢) سورة الصفات آية ٨٩

(١٣) فى (أ) : واعذاره وهو تحريف .

(١٤) سورة الأنبياء آية رقم ٦٣

(١٥) سورة الدخان آية ٤٩

الحقيقة مهان ذليل ، مهين معذب فى النار ، فكلا القولين توبيخ لمن قيلا له على ظنهم أن الأصنام تفعل الخير والشر ، وعلى ظن المعذب فى نفسه فى الدنيا أنه عزيز كريم .

ولم يقل إبراهيم عليه السلام هذا على أنه محقق لأن كبيرهم فعله ، إذ الكذب إنما هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه قصدًا إلى تحقيق ذلك . وأما قوله عليه السلام إذ رأى الكوكب والشمس والقمر : هذا ربى .

فقال قوم إن إبراهيم عليه السلام قال ذلك محققًا أول خروجه من الغار وهذا خرافة ، موضوعة ، مكذوبة ، ظاهرة الافتعال ، ومن المحال الممتنع أن يبلغ أحد حد التمييز والكلام بمثل هذا ، وهو لم ير قط شمسًا ولا قمرًا ولا كوكبًا ، وقد أكذب الله عز وجل هذا الظن الكاذب بقوله الصادق « وَلَقَدْ آتينا إبراهيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وكُنَّابِه عَالمينَ[١٧]» .

فمحال أن يكون من أتاه الله رشده من قبل يدخل فى عقله أن الكوكب ربه ، أو أن الشمس ربه ، من أجل أنها أكبر قرصًا من القمر ، هذا ما لا يظنه إلا مخبول[١٨] العقل والصحيح من ذلك أنه عليه السلام إنما قال ذلك موبخًا لقومه كما قال لهم نحو ذلك فى الكبير من الأصنام ، ولا فرق لأنهم كانوا على دين الصابئين ، يعبدون الكواكب ، ويصورون الأصنام على صورها ، وأسمائها ، فى هياكلهم ، ويعدون لها الأعياد ، ويذبحون لها الذبائح ، ويقربون لها القرب ، والقرابين ، والدخن ، ويقولون : إنها تعقل وتدبر ، وتضر ، وتنفع ، ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة ، فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك ، وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر جرمها ، كما قال تعالى : فاليوم الذين آمَنُوا مِنَ الكُفْارَ يِضْحَكُون[١٩]» فأرهم ضعف عقولهم فى تعظيمهم لهذه الأجرام المسخرة الجمادية وبين لهم أنهم مخطئون ، وأنها مدبرة تنتقل فى الأماكن ، ومعاذ الله أن يكون الخليل عليه السلام أشرك قط بربه ، أوشك فى أن الفلك بكل ما فيه مخلوق ، وبرهان قولنا هذا أن الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر[٢٠]، ولا عنفه على ذلك ، بل صدقه تعالى بقوله : « وَتِلكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيَم عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ[٢١]» .

فصح أن هذا بخلاف ما وقع لآدم وغيره بل وافق مراد الله عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل .

---

(١٦) سقطت من (أ) كلمة : الكوكب .
(١٧) سورة الأنبياء آية رقم ٥١
(١٨) فى (أ) : مجنون .
(١٩) سورة المطففين آية رقم ٣٤
(٢٠) فى (أ) : مما ذكروا .
(٢١) سورة الأنعام آية رقم ٨٣

وأما قوله عليه السلام : « رب أرنى كَيْفَ تحيى الْموتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلى وَلكِنْ ليطمئن قَلْبِى[٢٢]» .

فلن يقرره ربنا عز وجل وهو يشك فى إيمان إبراهيم عبده وخليله ورسوله عليه السلام تعالى الله عن ذلك .

ولكن تقريرًا للإيمان فى قلبه ، وإن لم ير كيفية إحياء الموتى ، فأخبر عليه السلام عن نفسه أنه مؤمن مصدق وإنما أراد أن يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك ، وما شك إبراهيم عليه السلام فى أن الله تعالى يحيى الموتى ، وإنما أراد أن يرى الهيئة ، كما أننا لا نشك فى صحة وجود الفيل ، والتمساح ، والكسوف ، وزيادة النهر ، والخليفة ، ثم يرغب من لم ير ذلك منا فى أن يرى كل ذلك ، ولا يشك فى أنه حق لكن ليرى العجب الذى يتمثله فى نفسه[٢٣] ولم تقع عليه حاسة بصره فقط ، وأما ما روى عن النبى ﷺ من قوله : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إبْرَاهِيمَ[٢٤]» .

فمن ظن أن النبى ﷺ شك قط فى قدرة ربه عز وجل على إحياء الموتى فقد كفر ، وهذا الحديث حجة لنا ، ونفى[٢٥] للشك عن إبراهيم - أى لو كان هذا[٢٦] الكلام من إبراهيم عليه السلام شكًا لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم عليه السلام أحق بالشك ، فإذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم غير شاك ، فإبراهيم عليه السلام أبعد من الشك .

قال أبو محمد : ومن نسب هاهنا إلى الخليل عليه السلام الشك فقد نسب إليه الكفر ، ومن كفَّر نبيا فقد كفر ، وأيضا فإن كان ذلك شكًا من إبراهيم عليه السلام وكنا نحن أحق بالشك منه فنحن إذًا شكاك جاحدون كفار ، وهذا كلام نعلم والحمد لله بطلانه من أنفسنا ، بل نحن ولله الحمد مؤمنون مصدقون بالله تعالى ، وقدرته على كل شىء ، يسأل عنه السائل ، وذكروا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه ، واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لأنه لم يكن نهى عن ذلك .

قال تعالى « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه[٢٧]» . فأثنى الله تعالى عليه بذلك ، فصح أن استغفار إبراهيم لأبيه إنما كان مدة حياته راجيًا إيمانه فلما مات كافرًا تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها .

تم الكلام فى إبراهيم عليه السلام .

---

(٢٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠

(٢٣) سقطت من (أ) فى نفسه .

(٢٤) الحديث رواه البخارى فى الأنبياء ١١ وتفسير سورة ٢ ، ورواه مسلم فى الإيمان ٣٣٨ والفضائل ١٥٢ ورواه ابن ماجه فى الفتن ٢٣ وأحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٢٤٦ ولفظه عند ابن ماجه « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : رب أرنى كيف تحيى الموت ... الخ » .

(٢٥) فى (أ) : على نفى الشك .

(٢٦) فى (أ) : سقطت كلمة : هذا .

(٢٧) سورة التوبة آية رقم ١١٤

الكلام فى لوط عليه السلام

قال أبو محمد : وذكروا[1] قول الله تعالى فى لوط عليه السلام أنه قال : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد[2]» فقال رسول الله ﷺ : « وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ[3]» .

فظنوا أن هذا القول منه عليه السلام انكار على لوط عليه السلام وذكروا قول لوط[4] أيضا ... هَؤُلَاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ[5]»

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، أما قوله عليه السلام لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » .

فليس مخالفا لقول رسول الله ﷺ « يَرْحَمُ اللهُ لَوُطًا لَقَدَ كَانَ يَأْوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لأن لوطا عليه السلام إنما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة ، أو[6] عشيرة ، أو أتباع مؤمنين .

وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوى من ربه تعالى إلى أمنع قوة ، وأشد ركن ،

---

(١) فى (خ) : بدون الواو .

(٢) سورة هود آية رقم ٨٠

(٣) الحديث رواه البخارى فى الأنبياء ١١ وتفسير سورة ٢ ، ورواه مسلم فى الإيمان ٣٣٨ ، ولفظه عند ابن ماجه : ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد .

(٤) سقط من (أ) وذكروا قول لوط أيضا .

(٥) سورة هود آية ٧٨

(٦) فى (خ) : وعشيرة .

فلا جناح على لوط عليه السلام فى طلب قوة من الناس فقد قال تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض[٧] » فهذا هو[٨] الذى طلب لوط عليه السلام .

وقد طلب رسول الله ﷺ من الأنصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى ، فكيف ينكر على لوط أمرًا هو فعله عليه السلام ؟ تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ .

وإنما أخبر عليه السلام : أن لوطا كان يأوى إلى ركن شديد ، يعنى من نصر الله له بالملائكة ، ولم يكن لوط عليه السلام علم بذلك .

ومن ظن[٩] أن لوطا عليه السلام اعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر ؛ إذ نسب إلى نبى من الأنبياء هذا الكفر ، وهذا أيضا ظن سخيف ، إذ من الممتنع أن يظن برب أراه المعجزات وهو دائبا يدعو إليه هذا الظن .

وأما قوله عليه السلام : « هؤلاء بناتى هن » .

فإنما أراد التزويج ، والوطء ، فى المكان المباح ، فصح ما قلنا إذ من المحال أن يدعوهم إلى منكر ، وهو ينهاهم عن المنكر . انقضى الكلام فى لوط عليه السلام .

---

(٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥١

(٨) سقط من (أ) كلمة : هو .

(٩) فى (أ) : اعتقد .

(١٠) فى (أ) : كان يعتقد .

الكلام فى إخوة يوسف عليه السلام

قال أبو محمد : واحتجوا بفعل إخوة يوسف وبيعهم أخاهم ، وكذبهم لأبيهم ، وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن أخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء ، ولا جاء قط فى أنهم أنبياء نص ، لا من قرآن ، ولا من سنة صحيحة ، ولا من إجماع ولا من قول أحد من الصحابة ، رضى الله عنهم .

وأما يوسف عليه السلام فرسول الله بنص القرآن . قال عز وجل : « وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فى شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ .

إلى قوله .. مِنْ بَعْدِه رَسُولًا[1].

وأما إخوته فأفعالهم تشهد أنهم لم يكونوا متورعين عن العظائم ، فكيف أن يكونوا أنبياء ؟ ولكن الرسولين أباهم ، وأخاهم ، قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم ، وبرهان ما ذكرنا من كذب من يزعم أنهم كانوا أنبياء ، قول الله تعالى حاكيا عن الرسول أخيهم عليه السلام أنه قال لهم .. « أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا[2] » .

ولا يجوز ألبتة أن يقوله لنبى من الأنبياء ، نعم . ولا لقوم صالحين ، إذ توقير الأنبياء فرض على جميع الناس ، ولأن الصالحين ليسوا شرًا مكانا ، وقد عق ابن نوح أباه بأكثر مما عق به أخوة يوسف أباهم ، إلا أن إخوة يوسف لم يكفروا ، ولا يحل لمسلم أن يدخل فى الأنبياء من لم يأت نص ، ولا إجماع ، أو نقل كافة بصحة نبوته ، ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا ، وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم . فإن ذكروا فى ذلك ما روى عن بعض الصحابة رضى الله

---

(١) سورة غافر آية رقم ٣٤
(٢) سورة يوسف آية رقم ٧٧

عنهم وهو زيد ابن ارقم[٣] إنما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ لأنه لا نبى بعد رسول الله محمد[٤] ﷺ ، وأولاد الأنبياء أنبياء ، فهذه غفلة شديدة ، وزلة عالم من وجوه .

أولها : أنه دعوى لا دليل على صحتها ، وثانيها : أنه لو كان ما ذكر لأمكن أن ينبأ إبراهيم فى المهد ، كما نبىء عيسى عليه السلام ، وكما أوتى يحيى الحكم صبيا ، فعلى هذا القول لعل إبراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين وحاشا لله من هذا .

وثالثها : أن ولد نوح عليه السلام كان كافرًا بنص القرآن . عمل عملا غير صالح فلو كان أولاد الأنبياء أنبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه[٥] نبيا – وحاشا لله من هذا .

ورابعها : أنه[٦] لو كان ذلك[٧] لوجب ولابد أن يكون اليهود كلهم أنبياء إلى اليوم بل جميع أهل الأرض أنبياء لأن الكل من ولد آدم ، وآدم نبى فإذا وجب أن يكون أولاد آدم[٨] لصلبه أنبياء لأن أباهم نبى فأولاد أولاده أنبياء أيضا ، لأن آباهم أنبياء ، وهم أولاد أنبياء ، وهكذا أبدًا حتى يبلغ الأمر إلينا .

وفى هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه ما لا خفاء به ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ولعل من جهل مرتين يقول عنا هذا ينكر نبوة أخوة يوسف ، ويثبت نبوة بنى المجوس ، ونبوة أم موسى ، وأم عيسى وأم إسحق ، عليهم السلام ، فنحن نقول : وبالله تعالى التوفيق وبه نعتصم – لسنا نقر بنبوة من لم يخبر الله عز وجل بنبوته ، ولم ينص رسول الله ﷺ على نبوته ، ولا نقلت الكواف عن أمثالها نقلا متصلا منه إلينا معجزات النبوة عنه ممن كان قبل مبعث النبى ﷺ ، بل ندفع نبوة من قام البرهان على بطلان نبوته ، لأن تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على الله تعالى ، لا يقدم عليه مسلم ، ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بأن الله تعالى نبأه .

فأما أم موسى ، وأم عيسى ، وأم إسحق ، فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحى ، وإلى بعض منهن عن الله عز وجل بالإنباء ، بما يكون قبل أن يكون ، وهذه النبوة نفسها التى لا نبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن .

وأما بنى المجوس فقد صح أنهم أهل كتاب بأخذ رسول الله ﷺ الجزية منهم ، ولم يبح الله

---

(٣) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن ثعلبه الأنصارى ، غزا مع رسول الله – ﷺ – سبع عشرة غزوة ، وشهد صفين مع على ، ومات بالكوفة له فى كتب الحديث ٧٠ حديثا تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ٣٩٤

(٤) فى (أ) : رسول الله .

(٥) سقطت من (خ) عليه .

(٦) سقطت من (أ) أنه .

(٧) فى (أ) : هذا .

(٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

تعالى له أخذ الجزية الا من أهل الكتاب فقط . فمن نسب إلى محمد ﷺ أنه أخذ الجزية من غير أهل الكتاب فقد نسب إليه أنه خالف ربه تعالى ، وأقدم على عظيمة تقشعر منها جلود المؤمنين فإذ نحن على يقين من أنهم أهل كتاب ، فلا سبيل ألبتة إلى نزول كتاب من عند الله تعالى على غير نبى مرسل بتبليغ ذلك الكتاب ، فقد صح بالبرهان الضرورى أنهم قد كان لهم نبى مرسل يقينا بلا شك . ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الأنبياء عليهم السلام وكل ما نقلته كافة على شرط عدم التواطىء ، فواجب قبوله . ولا فرق بين ما نقلته كافة كافرة أو مؤمنة[٩]، أو كواف المسلمين فيما شاهدته حواسهم ، ومن قال لا أصدق إلا ما نقلته كواف المسلمين فإنا نسأله بأى شيء صح عنده موت ملوك الروم ولم يحضرهم مسلم أصلا ، وإنما نقلته إلينا يهود عن نصارى ؟ ومثل هذا كثير . فإن كذّب هذا غالط نفسه ، وعقله ، وكابر حسه ، وأيضا فإن المسلمين إنما علمنا أنهم محقون لتحقيق نقل الكافة لصحة ما[١٠] بأيديهم فبنقل الكافة علمنا هدى المسلمين ، ولا نعلم بالإسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبينة وضرورة العقل ، وقد أخبر تعالى أن للأولين زبرًا وقال تعالى : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك[١١].

وفى هذا كفاية وبالله تعالى التوفيق .

(٩) فى (أ) : كواف الكافرين أو كواف المسلمين .
(١٠) سقط من (خ) لصيحة ما .
(١١) سورة النساء آية رقم ١٦٤ .

الكلام فى يوسف عليه السلام

وذكروا أيضا أخذ يوسف عليه السلام أخاه وايحاشه أباه عليه السلام منه[1] وأنه أقام مدة يقدر فيها على أن يعرِّف أباه خبره ، وهو يعلم ما يقاسى به من الوجد عليه ، فلم يفعل وليس بينه وبينه إلا عشر ليال ، وبادخاله صواع الملك فى وعاء أخيه ، ولم يعلم بذلك سائر إخوته ، ثم أمر من هتف « أيتها العير إنكم لسارقون[2]» .

وهم لم يسرقوا شيئًا .

وبقول الله تعالى : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بَها لَوْلَا أَنْ رَآى بُرهْاَن رَبِه[3]» وبخدمته لفرعون ، وبقوله للذى كان معه فى السجن : « اذكرنى عند ربك[4]».

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فى شىء منه ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته فنقول وبالله تعالى نتأيد .

أما أخذه أخاه وايحاشه أباه منه فلا شك فى أن ذلك ليرفق بأخيه ، وليعود اخوته إليه ، ولعلهم لو مضوا بأخيه لم يعودوا إليه ، وهم فى مملكة أخرى ، وحيث لا طاعة ليوسف عليه السلام ، ولا لملك مصر هنالك ، وليكون ذلك سببا لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ، ولا سبيل إلى أن يظن برسول الله ﷺ الذى أوتى العلم ، والمعرفة بالتأويل ، إلا أحسن الوجوه وليس مع من خالفنا نص بخلاف ما ذكرنا ، ولا يحل أن يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه ، فكيف برسول الله ﷺ ؟؟؟ وأما ظنهم أنه أقام مدة يقدر فيها على تعريف أبيه خبره ، ولم يفعل ، فهذا جهل شديد

---

(١) سقطت من (أ) منه .

(٢) سورة يوسف آية رقم ٧٠

(٣) سورة يوسف آية رقم ٢٤

(٤) سورة يوسف آية رقم ٤٢

ممن ظن هذا لأن يعقوب فى أرض كنعان(٥) من عمل فلسطين فى قوم رحالين خصاصين فى لسان آخر وطاعة أمرىء ودين آخر ، وأمة أخرى كالذى بيننا اليوم وبين من يصافينا من بلاد النصارى كغالث وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ، ولا حى هو أو ميت ، أكثر من وعد الله تعالى بأن ينبئهم بفعلهم به ، ولا وجد أحدًا يثق به فيرسل إليه للاختلاف الذى ذكرنا ، وإنما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ، ومصر لأمير واحد ، وملة واحدة ، ولسان واحدا ، وأمة واحدة ، والطريق سابل ، والتجار ذاهبون وراجعون . والرفاق سائرة ومقبلة ، والبُرد(٦) ناهضة وراجعة ، فظن كل بيضاء شحمة(٧) ولم يكن الأمر حينئذ كذلك ولكن كما قدمنا .

ودليل ذلك أنه حين أمكنه لم يؤخره ، واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس إليه ، وانقيادهم له للجوع الذى كان عم الأرض ، وامتيارهم من عنده فانتظر وعد ربه تعالى الذى وعده حين ألقوه فى الجب فأتوه صاغرين راغبين(٨) كما وعده تعالى فى رؤياه قبل أن يأتوه ، ورب رئيس جليل شاهدناه من أبناء البشاكين(٩) والافرنج لو قدر على أن يستجلب أبويه لكان أشد الناس بدارًا إلى ذلك ولكن الأمر تعذر عليهم تعذرًا أخرجه عن الامكان إلى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليه السلام .

وأما قول يوسف لاخوته : « إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ(١٠)» وهم لم يسرقوا الصواع ، بل هو الذى كان قد أدخله فى وعاء أخيه دونهم ، فقد صدق عليه السلام لأنهم سرقوه من أبيه ، وباعوه ولم يقل عليه السلام إنكم سرقتم الصواع ، وإنما قال « نفقد صواع الملك » وهو فى ذلك صادق لأنه كان غير واجد له فكان فاقدًا له بلا شك .

وأما خدمته عليه السلام لفروعن فإنما خدمة تقية ، وفى حق لاستنقاذ الله تعالى أهل الأرض(١١) بحسن تدبيره ، ولعل الملك أو بعض خواصه قد آمن به إلا أن خدمته له على كل حال حسنه وفعل خير ، وتوصل إلى الاجتماع بأبيه وإلى العدل ، وإلى حياة النفوس ، إذ لم يقدر على المغالبة ولا أمكنه غير ذلك ، ولا مرية فى أن ذلك كان مباحًا فى شريعة يوسف عليه السلام

---

(٥) قال ابن الكلبى : ولد لنوح سام وحام ويافث وشالوم وهو كنعان وهو الذى غرق ودال ولا عقب له ثم قال : الشام منازل الكنعانيين وكان بين موضع يعقوب بن كنعان ويوسف بمصر مائة فرسخ وكان مقام يعقوب بأرض نابلس وبه الجب الذى ألقى فيه يوسف . راجع معجم البلدان حـ ٤ ص ٤٨٤

(٦) البرد : جمع بريد القافلة .

(٧) فى المثل العربى : « ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل حمراء تمرة » .

(٨) فى (أ) : ضارعين .

(٩) فى (أ) : البشاكس .

(١٠) سورة يوسف آية رقم ٧٠

(١١) سقطت من (أ) كلمة : أهل الأرض .

بخلاف شريعتنا ، قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا[١٢]» وأما سجود أبويه فلم يكن ذلك محظورًا فى شريعتهما ، بل كان فعلًا حسنا ، وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالى ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام . إلا أن الذى لا شك فيه أنه لم يكن سجود عباده ولا تذلل وإنما كان سجود كرامة فقط بلا شك .

وأما قوله عليه السلام للذى كان معه فى السجن « اذكرنى عند ربك[١٣]» فما علمنا الرغبة فى الانطلاق من السجن محظورة على أحد ، وليس فى قوله ذلك دليل على أنه أغفل الدعاء إلى الله عز وجل لكنه رغب هذا الذى كان معه فى السجن ، فى فعل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين : أحدهما : وجوب السعى فى كف الظلم عنه ، والثانى : دعاؤه إلى الخير والحسنات .

وأما قوله تعالى : « فأنساه الشيطان ذكر ربه[١٤]» . فالضمير الذى فى أنساه وهو (الهاء) راجع إلى الفتى الذى كان معه فى السجن ، أى أن الشيطان أنساه أن يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام .

ويحتمل أيضا أن يكون أنساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام .

وبرهان ذلك قول الله عز وجل : « وادكر بعد أمة[١٥]» فصح يقينا أن المذكر[١٦] بعد أمة هو الذى أنساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر ، وحتى لو صح أن الضمير من أنساه راجع إلى يوسف عليه السلام لما كان فى ذلك نقص ، ولا ذنب ، إذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الأنبياء وأما قوله « همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه[١٧]» فليس كما ظن من لم ينعم النظر حتى قال من المتأخرين من قال إنه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ، ومعاذ الله من هذا أن يظن برجل من صالحى المسلمين أو مستوريهم ، فكيف برسول الله ﷺ .. ؟؟؟

فإن قيل : إن هذا قد روى عن ابن عباس رضى الله عنه من طريق جيدة الإسناد ، قلنا : نعم . ولا حجة فى قول أحد إلا فيما صح عن رسول الله ﷺ فقط ، والوهم فى تلك الرواية إنما هى بلا شك عمن دون ابن عباس ، أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك إذ إنما أخذه عمن

---

(١٢) سورة المائدة آية رقم ٤٨
(١٣) سورة يوسف آية رقم ٤٢
(١٤) سورة يوسف آية رقم ٤٢
(١٥) سورة يوسف آية رقم ٤٥
(١٦) فى (أ) : المذكور وهو تحريف .
(١٧) سورة يوسف آية رقم ٢٤

لا يدرى من هو ..؟ ولا شك فى أنه شىء سمعه فذكره لأنه رضى الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله ﷺ ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به ، لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين : إما أنه هم بالايقاع بها وضربها ، كما قال تعالى : « وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه[١٨] » .

وكما يقول القائل : لقد همت بك .

لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان أراه الله إياه استغنى به عن ضربها ، وعلم أن الفرار أجدى عليه ، وأظهر لبراءته ، على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بأمر قدّ القميص . والوجه الثانى : أن الكلام تم عند قوله .. ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر فقال : وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه أى أنه كان يهم بها لولا أن رأى برهان ربه[١٩] وهذا هو ظاهر الآية بلا تكلف تأويل .

وبهذا نقول – حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى[٢٠]، حدثنا ابن عون الله ، أنبئنا إبراهيم بن أحمد بن فراس ، حدثنا أحمد بن محمد بن سالم النيسابورى ، أنا اسحق بن راهويه ، أنا المومل بن اسماعيل الحميرى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية : « ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ[٢١] » قال رسول الله ﷺ : « لما قالها يوسف عليه السلام قال له جبريل : يا يوسف اذكر همك ، فقال يوسف : وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء[٢٢] » .

فليس فى هذا الحديث على معنى من المعانى تحقيق الهم بالفاحشة ، ولكنه فيه أنه همّ بأمر ما ، وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض ، وصح الوجه الأول ، والثانى معا ، إلا أن الهم بالفاحشة باطل مقطوع على كل حال ، وصح أن ذلك الهم هو[٢٣] ضرب سيدته ، وهى خيانة لسيده إذ هم بضرب امرأته .

وبرهان ربه هاهنا هو النبوة ، فلولا النبوة[٢٤] وعصمة الله عز وجل إياه ، ولولا البرهان ، لكان يهم بالفاحشة ، وهذا لا شك فيه ، ولعل من ينسب هذا إلى النبى المقدس يوسف ينزه

---

(١٨) سورة غافر آية رقم ٥
(١٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢٠) راجع ترجمته ص ٢١٥ من هذا الجزء .
(٢١) سورة يوسف آية رقم ٥٢
(٢٢) سورة يوسف آية رقم ٥٣
(٢٣) سقط من (أ) كلمة : هو .
(٢٤) سقط من (أ) فلولا النبوة .

نفسه الرذلة عن مثل ذلك المقام[٢٥] فيهلك ، وقد خشى النبى ﷺ الهلاك على من ظن به ذلك الظن ، إذ قال للأنصاريين حين لقيهما هَذِه صَفِيَّةُ[٢٦]» .

قال أبو محمد : ومن الباطل الممتنع أن يظن ظان أن يوسف عليه السلام همّ بالزنا ، وهو يسمع قول الله تعالى « كذلك لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُوءَ والْفَحْشَاءَ[٢٧]» .

فنسأل من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو أم غير سوء ..؟ فلابد من[٢٨] أنه سوء ، ولو قال إنه ليس بسوء لعاند الإجماع فإذا هو سوء ، وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهمّ بيقين ، وأيضا فإنها قالت : « ما جزاء من أراد باهلك سوءًا[٢٩]» وأنكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق » .

إن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين » فصح أنها كذبت وإذ كذبت[٣٠] بنص القرآن فما أراد بها قط سوءًا فما هم بالزنا قط ، ولو أراد بها الزنا لكانت من الصادقين ، وهذا بين جدا .

وكذلك قوله تعالى عنه أنه قال : « وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين[٣١]» فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن[٣٢]» فصح عنه أنه قط لم يصب إليها » .

وبالله تعالى التوفيق .

تم الكلام فى يوسف عليه السلام .

---

(٢٥) فى (أ) : هذا .

(٢٦) الحديث رواه البخارى فى الاعتكاف ٨ ورواه مسلم فى السلام ٣٥ ورواه الدارمى فى الصوم ٥٥ ورواه أبو داود فى الاعتكاف باب المعتكف يدحل البيت لحاجته رقم ٢٤٧٠ ولفظه عند أبى داود : عن صفية قالت : كان رسول الله – ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلًا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معى ليقلبنى ، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد فمر رجلان مس الأنصار فلما رأيا البى – ﷺ أسرعا فقال النبى – ﷺ على رِسْلِكُما ، إنها صفيه بنت حى » قالا : سبحان الله يا رسول الله قال : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئًا أو قال : شرًا » .

(٢٧) سورة يوسف آية رقم ٢٤

(٢٨) سقط من (أ) كلمة : من .

(٢٩) سورة يوسف آية رقم ٢٥

(٣٠) سقط من (أ) وإد كذبت .

(٣١) سورة يوسف آية رقم ٣٣

(٣٢) سورة يوسف آية رقم ٣٤

الكلام فى موسى عليه السلام وأمـه

قال أبو محمد : ذكروا قول الله تعالى :« وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها[1]» فمعناه فارغا من الهم بموسى جملة ، لأن الله عز وجل قد وعدها برده إليها ، إذ قال لها تعالى : « إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين[2]» .

فمن الباطل المحض أن يكون الله تعالى ضمن لها رده إليها ثم يصبح قلبها مشغولا بالهم بأمره .

هذا ما لا يظن بذى عقل أصلًا ، وإنما معنى قوله تعالى إن كادت لتبدى به ، أى سرورًا بما أتاه الله عز وجل من الفضل وقولها لأخته « قصيه » إنما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى فى تخليصه من يدى فرعون عدوه .. بعد وقوعه فيهما وليتم بها ما وعدها الله تعالى من رده إليها فبعثت أخته لترده بالوحى .

وذكروا قول الله تعالى عن موسى عليه السلام : « وأخذ برأس أخيه يجره إليه[3]» « قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى[4]» .

قالوا وهذه معصية أن يأخذ بلحية أخيه وشعره ، وهو نبى مثله ، وأسن منه ولا ذنب له .

قال أبو محمد : وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج على وجهين .

أحدهما : أنه أخذ برأس أخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له إذ تأخر عن اتباعه إذ رآهم ضلوا ، ولم يأخذ بشعر أخيه قط إذ ليس ذلك فى الآية أصلًا ، ومن زاد ذلك فيها فقد

---

(١) سورة القصص رقم ١٠

(٢) سورة القصص آية رقم ٧

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٥٠ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ذكر (فأخذ) .

(٤) سورة طه آية رقم ٩٤ وقد ذكر فى الأصل هذه الآية على أنها تتمه للأولى وهو خطأ .

كذب على الله تعالى ، لكن هارون عليه السلام خشى بادرة من موسى عليه السلام ، وسطوة ، أوراه[٥] قد اشتد غضبه فأراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه .

وليس فى هذه الآية ما يوجب غير ما قلناه ، ولا أنه مد يده إلى أخيه أصلًا ، وبالله تعالى التوفيق .

والثانى : أن[٦] هارون عليه السلام قد يكون استحق فى نظر موسى عليه السلام النكير لتأخره[٧] عن لحاقه ، إذ رآهم ضلوا فأخذه[٨] برأسه منكرًا عليه ، ولو كان هذا لكان إنما فعله موسى عليه السلام غضبا لربه عز وجل ، وقاصدا بذلك رضاء الله تعالى ، ولسنا نبعد ذلك من الأنبياء عليهم السلام . وإنما نبعد القصد إلى المعصية ، وهم يعلمون أنها معصية ، وهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى عن إبراهيم خليله ﷺ إذ قال « والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين[٩] » وقول الله تعالى لمحمد ﷺ : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[١٠] » . إنما الخطيئة المذكورة والذنوب المغفورة ما وقع بنسيان أو بقصد إلى الله تعالى إرادة الخير فلم يوافق رضى الله عز وجل بذلك فقط وذكروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام « أقتلت نفسا زكية بغير نفس[١١] » .

فأنكر موسى عليه السلام الشيء وهو لا يعلمه ، وقد كان أخذ عليه العهد أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا فهذا أيضا لا حجة لهم فيه ، لأن ذلك كان على سبيل النسيان وقد بين موسى عليه السلام ذلك بقوله : « لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا[١٢] » فرغب إليه ألا[١٣] يؤاخذه بنسيانه ، ومؤاخذة الخضر له بالنسيان دليل على صحة ما قلنا من أنهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبما قصدوا به الله عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد الله عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الأمر ، وقدر أن الغلام زكى إذ لم يعلم له ذنبًا ، وكان عند الخضر العلم الجلى بكفر ذلك الغلام واستحقاقه القتل ، فقصد موسى عليه السلام بكلامه فى ذلك وجه الله تعالى والرحمة ، وإنكار ما لم يعلم وجهه .

---

(٥) فى (أ) : إذ .
(٦) فى (أ) : نزيادة يكون .
(٧) فى (أ) : لتأخيره .
(٨) فى (أ) : فأخذ .
(٩) سورة الشعراء آية رقم ٨٢
(١٠) سورة الفتح آية رقم ٢
(١١) سورة الكهف آية رقم ٧٤
(١٢) سورة الكهف آية رقم ٧٣
(١٣) فى (أ) : أنه لا يؤاخذه .

وذكروا قول موسى عليه السلام « فعلتها إذًا وأنا من الضالين[١٤]» فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة ، فإنه كان ضالًا عما اهتدى له بعد النبوة ، ضلال الغيب عن العلم ، كما تقول : أضللت بعيرى لاضلال القصد إلى الإثم .

وهكذا قول الله تعالى لنبيه ﷺ : « ووجدك ضالًا فهدى[١٥]» .

أى ضالا عن المعرفة — وبالله تعالى التوفيق .

وذكروا قول الله عز وجل عن بنى إسرائيل : « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم[١٦]» .

قالوا : وموسى قد سأل ربه مثل ذلك فقال : « رب أرنى أنظر إليك . قال لن ترانى[١٧]» .

قالوا : فقد سأل موسى عليه السلام أمرًا عوقب سائلوه قبله .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه . لأنه خارج على وجهين :

أحدهما أن موسى عليه السلام سأل ذلك قبل سؤال بنى إسرائيل رؤية الله تعالى ، وقبل أن يعلم أنّ سؤال ذلك لا يجوز فهذا لا مكروه فيه ، لأنه سأل فضيلة عظيمة أراد بها علو المنزلة عند ربه تعالى .

والثانى : أن بنى إسرائيل سألوا ذلك متعنتين وشكاكًا فى الله عز وجل ، وموسى سأل ذلك على الوجه الحسن ، الذى ذكرنا آنفًا .

---

(١٤) سورة الشعراء آية رقم ٢٠
(١٥) سورة الضحى آية رقم ٧
(١٦) سورة النساء آية رقم ١٥٣
(١٧) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣

الكلام فى[1] يونس عليه السلام

قال أبو محمد : وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه .. وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين[2]» .

وقوله تعالى : « فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون[3]» .

وقوله لنبيه عليه السلام : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم[4]» .

وقوله تعالى : « فالتقمه الحوت وهو مليم[5]» .

قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل وَمَنْ أكبر[6] ذنبًا ممن ظن أن الله لا يقدر عليه ..؟

وقد أخبر الله تعالى أنه استحق الذم لولا أن تداركه نعمة الله عز وجل ، وأنه استحق الملامة وأنه أقر على نفسه أنه كان من الظالمين ، ونهى الله تعالى نبيه أن يكون مثله .

قال أبو محمد : وهذا كله لا حجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين .

أما إخبار الله تعالى أن يونس ذهب مغاضبًا فلم يغضب ربه قط ، ولا قال الله تعالى أنه

---

(١) فى (أ) : على يونس .
(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٨٧
(٣) سورة الصافات آية رقم ١٤٣ ، ١٤٤
(٤) سورة القلم آية رقم ٤٨ ، ٤٩
(٥) سورة الصفات آية رقم ١٤٢
(٦) فى (خ) : وَمنْ ذنب من ظن .

غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلًا على الله الكذب وزائدًا فى القرآن ما ليس فيه ، هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل أنه يغاضب ربه تعالى فكيف أن يفعل ذلك نبى من الأنبياء ؟ فعلمنا يقينًا أنه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك ، وإن كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك إلا رضاء الله عز وجل .

وأما قوله تعالى : « فظن أن لن نقدر عليه[٧] » .

فليس على ما ظنوه من الظن السخيف ، الذى لا يجوز أن يظن بضعيفة من النساء ، أو بضعيف من الرجال ، إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل ، فكيف بنبى مفضل على الناس فى العلم ..؟ ومن المحال المتيقن أن يكون نبى يظن أن الله تعالى الذى أرسله بدينه ، لا يقدر عليه ، وهو يرى أن آدميًا مثله يقدر عليه ، ولا شك فى أن من نسب هذا إلى النبى[٨] الفاضل[٩] - ﷺ - فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه ، أو إلى ابنه ، فكيف إلى يونس عليه السلام الذى يقول فيه رسول الله ﷺ : « لا تُفَضِلُونى عَلَى يُونِسْ بْن مَتَى[١٠] » ؟؟؟

فقد بطل ظنهم بلا شك وصح أن معنى قوله : « فظن أن لن نقدر عليه » .

أى ألا[١١] نضيق عليه ، كما قال تعالى : « وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه[١٢] » .

أى ضيق عليه ، فظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يضيق عليه فى مغاضبته لقومه إذ ظن أنه محسن فى فعله ذلك ، وأما نهى الله عز وجل لمحمد[١٣] ﷺ عن أن يكونّ كصاحب الحوت . فنعم نهاه الله عز وجل عن مغاضبته قومه ، وأمره بالصبر على أذاهم ، وبالمطاولة[١٤] لهم .

وأما قول الله تعالى إنه استحق الذم ، والملامة ، وأنه[١٥] لولا النعمة التى تداركه بها للبث معاقبًا فى بطن الحوت .

---

(٧) سورة الأنبياء آية رقم ٨٧

(٨) فى (أ) : للنبى :

(٩) سقطت من (أ) كلمة : الفاضل .

(١٠) الحديث رواه البخارى ٣٢٥/٦ فى الأنبياء باب وإن يونس لمن المرسلين ومسلم رقم ٢٣٧٦ فى الفضائل باب فى ذكر يونس عليه السلام ، وأبو داود رقم ٤٦٧٠ فى السنة باب فى التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولفظه : كان رسول الله يقول : ما ينبغى لنبى أن يقول أنا خير من يونس بن متى .

(١١) فى (أ) : أى لن .

(١٢) سورة الفجر آية رقم ١٦

(١٣) فى (خ) : لنبيه .

(١٤) فى (أ) : وبالمقاومة لهم - وهذا تحريف .

(١٥) سقطت من (أ) وأنه .

فهذا نفس ما قلناه من أن الأنبياء عليهم السلام يؤاخذون فى الدنيا على ما فعلوه ، مما يظنونه خيرًا وقربة إلى الله عز وجل ، إذا لم يوافق مراد ربهم ، وعلى هذا الوجه أقر على نفسه بأنه كان من الظالمين ، والظلم : وضع الشيء فى غير موضعه . فلما وضع النبى ﷺ المغاضبة فى غير موضعها ، اعترف فى ذلك بالظلم ، لا على أنه قصده وهو يدرى أنه ظلم .

انقضى الكلام فى يونس عليه السلام وبالله تعالى التوفيق .

الكلام فى داود عليه السلام

وذكروا أيضًا قول الله تعالى حاكيًا عن داود عليه السلام « هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان .... إلى قوله فغفرنا له ذلك[1] » .

قال أبو محمد : وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شىء مما قاله المستهزئون ، الكاذبون ، المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود ، وإنما كان ذلك الخصم قومًا من بنى آدم ولا شك ، مختصمين فى نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم ، بغى أحدهما على الآخر[2] بنص الآية .

ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل ، وقوله ما لم يقل ، وزاد فى القرآن ما ليس فيه ، وكذب الله عز وجل ، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة ، لأن الله تعالى يقول : « هل أتاك نبأ الخصم » .

فقال هو : لم يكونوا قط خصمًا[3] [وهذا تكذيب مجرد لله تعالى ، وهذا كفر محصن وأقر على نفسه أنهم كانوا ملائكة وأنهم قالوا : خصمان فقال هو لم يكونوا قط خصمين] ولا بغى بعضهم على بعض ، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ، ولا كان للآخر نعجة واحدة ، ولا قال له أكفلنيها ، فاعجبوا لم يقحم فيه أهل الباطل أنفسهم ؟ ونعوذ بالله من الخذلان .

ثم كل ذلك بلا دليل ، بل الدعوى المجردة ، وتالله أن كل امرىء منا ليصون نفسه ، وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه ، هذه أفعال السفهاء ، المهتوكين[4]، الفساق ، المتمردين ، لا فعل أهل البر ، والتقوى ،

---

(١) سورة ص من آية ٢١ — ٢٥

(٢) سقطت من (أ) كلمة : الآخر .

(٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤) فى (أ) : المنهوكين وهو خطأ لأن الفعل : (هتك) واسم المفعول منه (مهتوك) .

فكيف برسول الله داود ﷺ ..؟؟ الذى أوحى إليه كتابه ، وأجرى على لسانه كلامه ، لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله ، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله ؟ وأما استغفاره عليه السلام وخروره ساجدًا ومغفرة الله تعالى له ، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة ، والاستغفار : فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبى ولا من مذنب ، ولا من غير مذنب ، فالنبى يستغفر الله لمذنبى أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى « ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم[٥] » .

وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام « وظن داود أنما فتناه[٦] » .

وقوله تعالى : « فغفرنا له ذلك[٧] » .

فقد ظن[٨] داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة .

فقد كان رسول الله ﷺ يدعو فى أن يثبت الله قلبه على دينه .

فاستغفر الله تعالى من هذا الظن ، فغفر الله له هذا الظن ، إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة .

---

(٥) سورة غافر آية رقم ٧
(٦) سورة ص آية رقم ٢٤
(٧) سورة ص آية رقم ٢٥
(٨) فى (أ) : يظن .

الكلام فى سليمان عليه السلام

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب[1] » .

قال أبو محمد : « ولا حجة لهم فى هذا إذ معنى قوله تعالى : « فتنا سليمان » .

أى[2] أتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته كما قال تعالى مصدقا لموسى عليه السلام « إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء[3] » .

فصح[4] أن من الفتنة ما هدى[5] الله تعالى بها من يشاء وقال تعالى آلم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناوهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين[6] » .

فهذه الفتنة هى الاختبار ، حتى يظهر المهتدى من الضال ، فهذه فتنة الله تعالى لسليمان إنما هى اختباره حتى ظهر فضله فقط ، وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود ، وأشباههم .

وأما الجسد الملقى على كرسيه ، فقد أصاب الله تعالى به ما أراد ، نؤمن بهذا كما هو ، ونقول صدق الله عز وجل كل من عند الله ربنا[7]، ولو جاء نص صحيح فى القرآن وعن رسول الله ﷺ بتفسير هذا الجسد ما هو لقلنا به ، فإذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ، ولا خبر صحيح ، فلا يحل لأحد القول بالظن الذى هو أكذب الحديث . فى ذلك ، فيكون كاذبًا على الله عز وجل إلا أننا لا نشك ألبتة فى بطلان قول من قال إنه كان جنيًا تصور بصورته ، بل نقطع على أنه

---

(١) سورة ص آية رقم ٣٤

(٢) سقطت من (أ) كلمة : أى .

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٥٥

(٤) سقط من (أ) فصح .

(٥) ف (أ) : من يهدى الله من يشاء .

(٦) سورة العنكبوت آية رقم ١ ، ٢ ، ٣

(٧) سقط من (خ) كلمة « الله » .

كذب ، والله تعالى لا يهتك ستر رسوله ﷺ هذا الهتك ، وكذلك نبعد قول من قال إنه كان ولدًا له أرسله إلى السحاب لتربيه ، فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربى ابنه لغير ما طيع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن ، والطعام ، وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح إسنادها قط . وذكروا أيضا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام « إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب . ردوها علىّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق[٨]» . وتأولوا ذلك على ما قد نزه الله عنه من له أدنى مسكة من عقل من أهل زماننا وغيره ، فكيف بنبى معصوم مفضل من[٩] أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة .

قال أبو محمد : وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت أفانين من النوك[١٠] والظاهر أنها من اختراع زنديق بلا شك ، لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها ، واتلاف مال منتفع به بلا معنى ، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبى مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها ، وهذا أمر لا يستجيزه صبى ابن سبع سنين فكيف نبى مرسل ..؟؟؟

ومعنى هذه الآية ظاهر بين ، وهو أنه عليه السلام أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب ، أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم أمر بردها فطفق مسحًا بسوقها ، وأعناقها بيده ، برًا بها واكرامًا لها ، هذا هو ظاهر الآية الذى لا يحتمل غيره ، وليس فيها إشارة أصلًا إلى ما ولدوه[١١] من قتل الخيل ، وتعطيل الصلاة ، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ولا حجة فى قول أحد دون رسول الله ﷺ ؟ وذكروا أيضا الحديث الثابت من قول رسول الله ﷺ أن سليمان عليه السلام قال : « لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى كَذَا وكَذَا امْرَأَةً كُلُّ امرأة منهن تَلِدُ فَارِسًا يُقَاتِلُ فى سَبِيلِ الله وَلَمْ يَقُل إنْ شَاءَ الله[١٢]» .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن من قصد تكثير المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله عز وجل فقد أحسن ، ولا يجوز أن يظن به أنه يجهل أن ذلك لا يكون إلا أن يشاء الله عز وجل ، وقد جاء فى نص الحديث المذكور أنه إنما ترك إن شاء الله نسيانًا فأوخذ بالنسيان فى ذلك ، وقد قصد الخير وهذا نص قولنا ، والحمد لله رب العالمين .

تم الكلام فى سليمان عليه الصلاة والسلام .

---

(٨) سورة ص آية رقم ٢٢ ، ٢٣

(٩) فى (أ) : فى .

(١٠) فى (أ) : من القول .

(١١) فى (أ) : إلى ما ذكروه .

(١٢) الحديث رواه البخارى فى الأيمان ٣ والكفارات ٩ ، ورواه مسلم فى أيمان ٢٥ ، ٢٣ والنسائى فى أيمان ٤٠ ، ٤٣ ، و ٤٥ والترمذى فى النذور ٧ ولفظه عند مسلم عن النبى – ﷺ قال : قال سليمان بن داود نبى الله لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتى بغلام يقاتل فى سبيل الله ، فقال له صاحبه أو الملك قل : إن شاء الله فلم يقل : ونس فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله – ﷺ ولو قال : إن شاء الله لم يحنث وكان دَرَكًا له فى حاجته .

« فصــل »

وذكروا قول الله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين[1]» .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأنه ليس فى نص الآية ولا عن رسول الله ﷺ أن هذا المذكور كان نبيًا ، وقد يكون إنباء الله تعالى لهذا المذكور آياته أنه أرسل إليه رسولًا بآياته كما فعل بفرعون وغيره فانسلخ منها بالتكذيب ، فكان من الغاوين وإذا صح أن نبيًا لا يعصى الله عز وجل تعمدًا فمن المحال أن يعاقبه الله تعالى على ما لا يفعل ، ولا عقوبة أعظم من الحط عن النبوة ، ولا يجوز أن يعاقب بذلك نبى ألبتة ، لأنه لا يكون منه ما يستحق به هذا العقاب .

وبالله تعالى التوفيق ، فصح يقينًا أن هذا المنسلخ لم يكن قط نبيًا .

وذكروا قول رسول الله ﷺ أن ما من أحد إلا من ألمَّ بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا - أو كلاماً هذا معناه[2].

قال أبو محمد : وهذا صحيح وليس خلافًا لقولنا إذ قد بينا أن الأنبياء عليهم السلام يقع منهم النسيان ، وقصد الشيء يظنونه قربة إلى الله تعالى فأخبر عليه السلام أنه لم ينج من هذا أحد إلا يحيى بن زكريا عليها السلام ، فيقوم من هذا أن يحيى لم ينسى شيئًا واجبًا عليه قط .

ولا فعل إلا ما وافق فيه مراد ربه عز وجل .

---

(١) سورة الأعرف آية رقم ١٧٥

(٢) الحديث ذكر فى مسند أبى يَعْلَى الموصلى بسند عن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ قال : ما أحد من ولد آدم إلّا قد أخطأ أوهم بخطيئه ليس يحيى بن زكريا .

فى سنده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، ويوسف بن مهران وهو مختلف فيه .

الكلام فى محمَّدٌ
صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد : وذكروا قول الله تعالى « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم[1] » .

وقوله تعالى : « عبسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى[2] » .

وبالحديث الكاذب الذى لم يصح قط فى قراءته عليه السلام فى « والنجم إذا هوى[3] » .

وذكروا تلك الزيادة المفتراه التى تشبه من وضعها من قولهم : وإنها لهى الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وذكروا قول الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته[4] » .

وبقوله تعالى : « ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله[5] » .

وأن الوحى امتسك عنه عليه السلام لتركه الاستثناء إذ سأله اليهود عن الروح . وعن ذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، وبقوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه[6] » .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٨
(٢) سورة عبس آيات ١ إلى ١٠
(٣) سورة النجم آية رقم ١
(٤) سورة الحج آية رقم ٥٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث ذكرها : « وما أرسلنا قبلك » بحذف كلمة « من » .
(٥) سورة الكهف آية رقم ٢٣ ، ٢٤
(٦) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧

وبما روى من قوله عليه السلام . « لقدْ عُرِضَ عَلَيّ عذابُكمْ أدْنَى مِن هذه الشجرة[٧]» إذ قبل الفداء وترك قتل[٨] الأسرى ببدر وبما روى من قوله عليه السلام : « لو نزل عذاب ما نجى منه إلا عمر[٩]» .

لأن عمر أشار بقتلهم .

وذكروا أنه عليه السلام مال إلى رأى أبى بكر فى الفداء والاستبقاء[١٠] وبقوله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[١١]» .

قالوا : فإن لم يكن[١٢] له ذنب فماذا غفر له ؟ وبأى شىء امتن الله عليه فى ذلك ..؟

وبقوله ﷺ : « وَلَوْ دُعِيتُ إلى مَا دُعِى إليه يُوسُف لَأَجَبْتُ[١٣]» .

فإنما هذا إذ دعى إلى الخروج من السجن فلم يجب إلى الخروج حتى قال للرسول .. ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم .

فأمسك عن الخروج من السجن وقد دعى إلى الخروج عنه حتى اعترف النسوة بذنبهن وبراءته وتيقن بذلك من كان شك فيه فأخبر محمد ﷺ أنه لو دعى إلى الخروج من السجن لأجاب ، وهذا التفسير منصوص فى الحديث نفسه ، كما ذكرنا من كلامه عليه السلام .

« وَلَوْ لَبِثْتُ فِى السِّجْنِ مَا لِبث يَوُسُف عَلَيْهَ الْسَلاَمْ ثُمَّ دُعِيتُ لأَجَبْتُ الدَّاعِى[١٤]» .

أو كلاما هذا معناه .

وأما قول الله عز وجل : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[١٥]» .

فقد بينا أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام ليست إلا ما وقع بنسيان ، أو بقصد ، إلى ما يظنونه خيرًا مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم ، فهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل له .

---

(٧) الحديث رواه مسلم فى باب الجهاد والمذكور هنا جزء من هذا الحديث : ولفظه : لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة : شجرة قريبة من نبى الله - ﷺ .

(٨) فى (خ) : هذا وهو تحريف .

(٩) فى (خ) : والاستفتاء .

(١٠) سورة الفتح آية رقم ٢

(١١) فى (خ) : سقطت كلمة (لم) .

(١٢) الحديث رواه البخارى فى الأنبياء من ١١ ، ١٩ وتفسير سورة ١٢ ورواه مسلم فى الإيمان ٢٣٨ ، والترمذى تفسير سورة ١٢ ولفظه عند مسلم : ولو لبثت فى السجن طول لَبْث يوسف لأجبت الداعى .

(١٣) سبق تخريج هذا الحديث .

(١٤) سورة الفتح آية رقم ٢

(١٥) سورة الأنفال آية رقم ٦٨

وأما قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم[١٦] » .

فإنما الخطاب فى ذلك للمسلمين ، لا لرسول الله ﷺ وإنما كان ذلك إذ تنازعوا فى غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المنشقين عليه[١٧].

يبين ذلك قوله تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم[١٨] » .

وقوله تعالى فى هذه السورة نفسها النازلة فى هذا المعنى « يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون[١٩] » .

وقوله تعالى قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذى احتج به من خالفنا « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة[٢٠] » .

فهذا نص القرآن . وقد رد الله عز وجل الأمر فى الأنفال المأخوذة يومئذ إلى رسول الله ﷺ .

وأما الخبر المذكور الذى فيه لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة ، ولو نزل عذاب ما نجا منه إلا عمر .

فهذا خبر لا يصح لأن المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمامى[٢١] وهو ممن قد صح عليه وضع الحديث أو سوء الحفظ أو الخطأ الذى لا يجوز معهما الرواية عنه ، ثم لو صح لكان القول فيه كما قلنا من أنه قصد الخير بذلك .

وأما قوله « عبس وتولى ... » الآيات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش ورجا إسلامه ، وعلم عليه السلام أنه لو أسلم لأسلم باسلامه ناس كثير ، ولظهر الدين ، وعلم أن هذا الأعمى الذى يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته وهذا غاية النظر للدين ، والاجتهاد فى نصرة القرآن فى ظاهر الأمر ، ونهاية التقرب إلى الله الذى لو فعله اليوم منا فاعل لأجر فعاتبه الله عز وجل على ذلك إذ كان الأولى عند الله تعالى أن يقبل على ذلك[٢٢] الأعمى الفاضل ، البر

---

(١٦) سورة الأنفال آية رقم ٦٨

(١٧) فى (أ) : المتشتتين عليه وهو تحريف .

(١٨) سورة الأنفال آية رقم ١

(١٩) سورة الأنفال آية رقم ٦

(٢٠) سورة الأنفال آية رقم ٦٧

(٢١) لم نعثر له على ترجمة .

(٢٢) فى (خ) : سقطت كلمة (ذلك) .

التقى ، وهذا هو[٢٣] نفس ما قلناه ، وكما سهى عليه السلام من اثنتين ومن ثلاث ، وقام من اثنتين ، ولا سبيل إلى أن يفعل من ذلك شيئًا بعمد أصلًا[٢٤]، نعم ولا يفعل ذلك بعمد إنسان منا فيه خير .

وأما الحديث الذى فيه : « وإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى » فكذب بحت موضوع لأنه لم يصح قط من طريق النقل ، فلا معنى للاشتغال به ، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد .

وأما قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان[٢٥]» الآية .

فلا حجة لهم فيها لأن الأمانى الواقعة فى النفس لا معنى لها ، وقد تمنى النبى ﷺ إسلام عمه أبى طالب ، ولم يرد الله عز وجل أن يسلم وتمنى غلبة العدو يوم أحد ولم يرد الله عز وجل[٢٦] كون ذلك ، فهذه هى[٢٧] الأمانى التى ذكرها الله عز وجل لا ، سواها وحاشا لله من[٢٨] أن يتمنى نبى معصية الله تعالى[٢٩] وهذا الذى قلنا هو ظاهر الآية دون تزيد ولا تكلف[٣٠] ولا يحل خلاف الظاهر ، إلا بظاهر آخر ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما قوله تعالى : « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت[٣١]» .

فقد كفى الله عز وجل الكلام فى ذلك ببيانه فى آخر الآية أن ذلك كان نسيانا فعوقب عليه السلام فى ذلك .

وأما قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه[٣٢]» .

فقد أنفنا[٣٣] أن ذلك لم يكن معصية أصلًا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به إنما كان إرادة

(٢٣) سقطت من (أ) كلمة (هو) .

(٢٤) من ذلك أن رسول الله - ﷺ انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أو نسيت يا رسول الله ..؟ فقال رسول الله أصدق ذو اليدين ؟ فقال الناس نعم . فصلى رسول الله اثنتين أخريين ثم سلم ، ثم كبر ثم سجد مثل سجوده أو أطول ... الخ .

(٢٥) سورة الحج آية رقم ٥٢

(٢٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٧) سقط من (أ) كلمة : هى .

(٢٨) سقط من (أ) كلمة : من .

(٢٩) فى (أ) : وبالله تعالى التوفيق ونقص : الله تعالى .

(٣٠) فى (أ) : دون مزيد تكلف .

(٣١) سورة الكهف آية رقم ٢٣ ، ٢٤

(٣٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧

(٣٣) فى (خ) : فقد اتفقنا .

زواج مباح له فعله ، ومباح له تركه ، ومباح له طيه ، ومباح له إظهاره ، وإنما خشى النبى ﷺ الناس فى ذلك ، خوف أن يقولوا قولًا ويظنوا ظنًا ، فيهلكوا كما قال عليه السلام للأنصاريين « إنها صفية[٣٤] » فاستعظما ذلك فأخبرهما النبى ﷺ أنه إنما خشى أن يلقى الشيطان فى قلوبهما شيئًا وهذا الذى خشيه عليه السلام على الناس من هلاك أديانهم لظن يظنونه به عليه السلام هو الذى يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا فى هذا الباب من نسبتهم إلى النبى ﷺ تعمد المعاصى ، فهلكت أديانهم ، وضلوا ، ونعوذ بالله من الخذلان . وكان مراد الله عز وجل أن يبدى ما فى نفسه لما كان سلف فى علمه من السعادة لأمنا زينب[٣٥] رضى الله عنها .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : إنكم تحتجون كثيرًا بقول الله عز وجل « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى[٣٦] » .

وبقوله .. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا[٣٧] » .

وبقوله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا[٣٨] وبقوله عليه السلام « إنى لأتقاكم لله وأعلمكم بما آتى وآذر[٣٩] » وتقولون من أجل هذه النصوص أن كل قول قاله عليه السلام فبوحى من الله قاله ، وكل عمل عمله فبإذن من الله تعالى ورضى منه عمله ، فأخبرونا عن سلامه ﷺ من ركعتين[٤٠] ، ومن ثلاث ، وقيامه من اثنتين ، وصلاته الظهر خمسًا[٤١] ، وإخباره بأنه يحكم بالحق فى الظاهر ، لمن لا يحل له أخذه ممن يعلم أنه فى باطن الأمر بخلاف ما حكم له به من ذلك[٤٢] .؟ أبوحى من الله تعالى وبرضاء فعلى كل ذلك ؟ أم كيف تقولون ؟ وهل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلك وهما يعلمان أن الأمر

---

(٣٤) راجع هذا الحديث فى ص ٣٤
(٣٥) سبق الترجمة لها ص ٦
(٣٦) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤
(٣٧) سورة النساء آية رقم ٦٥
(٣٨) سورة الأحزاب آية رقم ٢١
(٣٩) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٣ والنكاح ١ ومسلم فى الصيام ٧٤ ، والحج ١٤١ وصاحب الموطأ فى الصيام ١٣ واحمد بن حنبل حـ ٣ ص ١٧ ولفظه عند مسلم : عن عمر بن أبى سلمة أنه سأل رسول الله – ﷺ : أيقبل الصائم فقال رسول الله : سل هذه (لأم سلمة) فأخبرته أن رسول الله يضيع ذلك فقال يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فقال له رسول الله : أما والله إنى لأتقاكم لله وأخشاكم له) .
(٤٠) فى الحديث الذى رواه البخارى : صلى نبا النبى – ﷺ الظهر أو العصر ركعتين فسلم فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله أنقصت فقال النبى لأصحابه أحق ما يقول : قالوا : نعم فصلى ركعتين أخريين ثم سجد سجدتين .
(٤١) فى الحديث الذى رواه مسلم : صلى بنا رسول الله – ﷺ خمسًا فقلنا : يا رسول الله أزيد فى الصلاة ..؟ قال : وما ذاك ..؟ قالوا صليت خمسًا فقال : إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدتى السهو .
(٤٢) كما فى الحديث الذى رواه مسلم : قال رسول الله – ﷺ إنكم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مما أسمع منه ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار وفى لفظ : إنما أنا بشر » .

بخلاف ذلك ، إم لا ..؟

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن كل ما ذكر هاهنا فبوحى من الله تعالى فعله .

وكل من قدر ولم يشك فى أنه أتم صلاته فالله تعالى أمره بأن يسلم ، فإذا علم بعد ذلك أنه يسهى فقد لزمته الإتمام وسجود السهو . برهان ذلك أنه لو تمادى ولم يسلم قاصدًا إلى الزيادة فى صلاته على تقديره أنه[٤٣] قد أتمها لبطلت صلاته كلها بلا شك باطنًا وظاهرًا ، ولاستحق اسم الفسق ، والمعصية ، وكذلك من قدر أنه لم يصل إلا ركعة واحدة أو أنه لم يتم صلاته ، فالله تعالى أمره[٤٤] بالزيادة فى صلاته يقينًا حتى لا يشك فى الإتمام وبأن يقوم إلى ثانية عنده ، فمتى علم بأن الأمر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو . وبرهان ذلك أنه لو قعد من واحدة عنده متعمدًا مستهزئًا ، أو سلم من ثلاث عنده متعمدًا لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصية ، لأنه فعل خلاف ما أمره الله تعالى به .

وكذلك أمره الله ، وأمرنا ، بالحكم بالبينة العدلة عندنا وباليمين من المنكر وبإقرار المقر ، وإن كانت البينة عامدة لكذب فى غير علمنا وكانت اليمين والإقرار كاذبين فى الباطن ، وافترض الله علينا بذلك سفك الدماء التى لو علمنا الباطن لحرمت علينا ، وهكذا فى الفروج والأموال .

برهان ذلك : أن حاكمًا لو شهدت بينة عدلة عنده فلم يقض بها وقضى باليمين على المنكر الذى لا بينة عليه فحلف ثم قضى عليه لكان القاضى فاسقًا بلا خلاف عاصيًا لله عز وجل لخلافه ما أمره الله سبحانه وتعالى به ، وإن وافق حقًا لم يكن علم به وفرض على المحكوم عليه والمحكوم له أن يرضيا بالحكم بالبينة واليمين ، وأن يصيرا فى أنفسهما إلى حقيقة علمهما فى أخذ الحق وإعطائه — وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وذكروا قول الله تعالى : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا[٤٥]» بتخفيف الذال وليس هذا على ما ظنه الجهال وإنما معناه أن الرسل عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم أنهم كذبوهم فيما وعدوهم من نصرهم ، ومن المحال البين أن يدخل فى عقل من له أدنى رمق أن الله تعالى يكذب فكيف بصفوة الله تعالى من خلقه وأتمهم علما وأعرفهم بالله عز وجل ؟ ومن نسب هذا إلى نبى فقد نسب إليه الكفر ، ومن أجاز على[٤٦] نبى الكفر فهو الكافر المرتد بلا شك .

(٤٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٤٤) فى (أ) : فإن الله .
(٤٥) سورة يوسف آية رقم ١١٠
(٤٦) فى (أ) : إلى .

والذى قلنا هو ظاهر الآية ، وليس فيها أنهم ظنوا[٤٧] أن الله تعالى كذبهم حاشا لله من هذا .

وذكروا أيضًا قول الله تعالى : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك[٤٨] » .

قال أبو محمد : إنما عهدنا هذا الاعتراض من الكفار[٤٩] من أهل الكتاب وغيرهم ، وأما من يدعى أنه مسلم فلا ، ولا يمكن ألبتة أن يكون مسلم يظن أن رسول الله ﷺ كان شاكًا فى صحة الوحى إليه .

ولنا فى هذه الآية رسالة مشهورة وجملة حل هذا الشك أنَّ : (إنْ) فى هذه الآية المذكورة بمعنى (ما) التى للجحد بمعنى « وما كنت فى شك مما أنزلنا إليك ثم أمره أن يسأل أهل الكتاب تقريرًا لهم على أنهم يعلمون أنه نبى مرسل مذكور عندهم فى التوراة ، والإنجيل ، وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه ، وبيناه وأرينا أنه موافق لقولنا ولا يشهد شيء منه لقول مخالفنا ، وبالله التوفيق . ونحن الآن نأخذ بحول الله وبقوته فى الإتيان بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا وبطلان قول مخالفنا .

قال الله تعالى : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة[٥٠] » . وقال تعالى : « وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لى من دون الله[٥١] » .

فوجدنا الله تعالى وهو أصدق القائلين قد نفى عن الأنبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر ، ولا خلاف بين أحد من الأمة فى أن حكم الغلول كحكم سائر الذنوب ، وقد صح الإجماع بذلك ، وأن من جوز على الأنبياء عليهم السلام شيئًا من تعمد الذنوب جوز عليهم الغلول ، ومن نفى الغلول نفى عنهم سائر الذنوب ، وقد صح نفى الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الإجماع على أنها سواء والغلول . وقال عز وجل : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون[٥٢] » .

---

(٤٧) سقط من (أ) : أنهم ظنوا .
(٤٨) سورة يونس آية رقم ٩٤
(٤٩) سقط من (أ) من الكفار .
(٥٠) سورة آل عمران آية رقم ١٦١
(٥١) سورة آل عمران آية رقم ٧٩
(٥٢) سورة الجاثية آية رقم ٢١

قال أبو محمد : فلا يخلو مخالفنا الذى يجيز أن يكون الأنبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئات من أحد وجهين لا ثالث لهما .

إما أن يقول : إن فى سائر الناس من لم يعصى قط[٥٣] ولا اجترح سيئة . قيل له : فمن هؤلاء الذين نفى الله عز وجل عنهم أن يكون الذين اجترحوا السيئات مثلهم ؟ إذ كانوا غير موجودين فى العالم ، فلابد من أن يجعل كلام الله عز وجل هذا فارغًا لا معنى له ، وهذا كذب من قائله ، أو يقول هم الملائكة فإن قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى فى الآية نفسها « سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » .

ولا نص ولا إجماع على أن الملائكة تموت ولو جاء بذلك نص لقلنا به ، بل البرهان موجب أن لا يموتوا لأن الجنة دار لا موت فيها ، والملائكة سكان الجنات[٥٤] فيها خلقوا وفيها يخلدون أبدًا ، وكذلك الحور العين وأيضًا فإن الموت إنما هو فراق النفس للجسد المركب ، وقد نص رسول الله ﷺ على أن الملائكة خلقوا من نور[٥٥] فليس فيها شيء يفارق شيئًا فيسمى موتًا ، فإن اعترض معترض بقوله : « كل نفس ذائقة الموت[٥٦] » لزمه أن حمل هذه الآية على عمومها أن الحور العين يمتن فيجعل الجنة دار موت ، وقد أبعد الله تعالى ذلك قال[٥٧] الله تعالى : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون[٥٨] » .

فعلمنا بهذا النص أن قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » إنما عنى به من كان فى غير الجنة من الجن والإنس وسائر الحيوان المركب الذى يفارق روحه جسده . وبالله تعالى التوفيق .

ويرد أيضا قوله إن قال بهذا قول رسول الله ﷺ : « ما من أحد إلا وقد ألمّ أو كاد الا يحيى بن زكريا[٥٩] » أو يقول إن فى الناس من لم يجترح سيئة قط وإن من اجترح السيئات لا يساويهم كما قال عز وجل ، فإن قال ذلك فإن الأنبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات ، وفى سائر الناس من لا يجترحها فوجب أن يكون فى الناس من هو أفضل من الأنبياء عليهم السلام

---

(٥٣) سقط من (أ) قط .
(٥٤) فى (أ) : الجنان .
(٥٥) لفظ الحديث : خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » راجع تخريج هذا الحديث فى ص ٧
(٥٦) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥
(٥٧) فى (أ) : (عنه) .
(٥٨) سورة العنكبوت آية رقم ٦٤
(٥٩) سبق تخريج هذا الحديث ص ٤٣

وهذا كفر مجرد[٦٠] وما قدرنا أن أحدًا ممن ينتمى إلى الإسلام[٦١] ولا إلى أهل الكتاب ينطق[٦٢] لسانه بهذا حتى رأينا للمعروف بابن الباقلانى[٦٣] فيما ذكر عنه صاحبه أبو جعفر السمنانى[٦٤] قاضى الموصل أنه قد يكون فى الناس بعد النبى ﷺ من هو أفضل من النبى ﷺ من حين يبعث إلى حين يموت ، فاستعظمنا ذلك ، وهذا شرك مجرد ، وقدح فى النبوة لا خفاء به ، وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية أنهم يقولون : إن الولى أفضل من النبى ، وكنا لا نحقق هذا على أحد يدين بدين الإسلام إلى أن وجدنا هذا الكلام كما أوردنا[٦٥] فنعوذ بالله من الارتداد بعد الإيمان[٦٦].

قال أبو محمد : ولو أن هذا الضال المضل يدرى ما معنى لفظة أفضل ، ويدرى فضيلة النبوة ، لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا تكذيب للنبى ﷺ إذ يقول : « إنى لأتقاكم لله وإنى لست كهيئتكم وإنى لست مثلكم[٦٧] » .

فإذًا قد صح بالنص أن فى الناس من لم يجترح سيئة ، وأن من اجترح السيئات لا يساويهم عند الله عز وجل ، فالأنبياء عليهم السلام أحق بهذه الدرجة وبكل فضيلة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام .

يقول الله عز وجل : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس[٦٨] » فأخبر تعالى أن الرسل صفوته من خلقه .

وقد اعترض علينا بعض المخالفين بأن قال فما تقول فيمن بلغ فآمن ، وذكر الله مرات ومات إثر ذلك ، أو فى كافر أسلم وقاتل مجاهدا فقتل ..؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق .

أن نقول : أما من كان كافرا ثم أسلم فقد اجترح من السيئات بكفره ما هو أعظم من السموات والأرض ، وإن كان قد غفر له بإيمانه ، ولكن قد حصل بلا شك من جملة من قد اجترح السيئات ، وأما من بلغ فآمن ، وذكر الله تعالى ثم مات ، فقد كان هذا ممكنا فى طبيعة

---

(٦٠) سقط من (أ) كلمة : مجرد .
(٦١) فى (أ) : بزيادة (أهل) .
(٦٢) فى (أ) : ينطلق .
(٦٣) سبق الترجمة له فى ص ٥
(٦٤) سبق الترجمة له فى ص ٥
(٦٥) فى (أ) : أردنا وهو تحريف .
(٦٦) سقط من (أ) كلمة : بعد الإيمان .
(٦٧) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٣ ، والنكاح ١ والاعتصام ٢٧ ورواه مسلم فى الصيام ٧٤ ، والحج ١٤١ ورواه صاحب الموطأ فى الصيام ١٣ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ٢١٧ وحـ ٥ ص ٤٣٤ .
(٦٨) سورة الحج آية رقم ٧٥

العالم وفي بنيته لولا قول الله عز وجل : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون[٦٩] » .

فإن الله تعالى قطع قطعا لا يرده إلا كافر بأنه لا يجعل من اجترح السيئات كمن لم يجترحها ونحن نوقن أن الصحابة رضى الله عنهم وهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، ليس منهم أحد إلا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا أن يكون من أسلم إثر بلوغه ومات أفضل من الصحابة رضى الله عنهم وهذا خلاف قول النبى ﷺ .

أنه لو كان لأحدنا مثل أحد ذهبا فأنفقه لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه[٧٠] » .

فإذ هذا كما قلنا فقول الله عز وجل وقول رسوله ﷺ أحق بالتصديق لاسيما مع قوله عليه السلام « ما من أحد إلا ألمّ بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا » فنحن نقطع قطعا بما ذكرنا أنه لا سبيل إلى أن يبلغ أحد حد التكليف إلا ولا بد له من أن يجترح سيئات الله أعلم بها وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : ومن البرهان على أنه لا يمكن[٧١] ألبتة أن يعصى نبى بعمد قول رسول الله ﷺ « ما كان لنبى أن تكون له خائنة الأعين[٧٢] لما قال له الأنصارى هلا أو مأت إلىّ فى قصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح[٧٣] » فنفى عليه السلام عن جميع الأنبياء عليهم السلام أن تكون لهم خائنة الأعين ، وهو أخف ما يكون من الذنوب ، ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل فى هذا جميع المعاصى صغيرها وكبيرها سرها وجهرها .

قال أبو محمد : وأيضا فإننا مندوبون إلى الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام وإلى الاتساء[٧٤] بهم فى أفعالهم كلها قال الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر[٧٥] » .

---

(٦٩) سورة الجاثية رقم ٢١

(٧٠) الحديث رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى - ﷺ ٥ ورواه مسلم فى فضائل الصحابة ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ورواه أبو داود فى السنة ١٠ والترمذى فى المناقب ٥٨ ، وابن ماجه فى المقدمة ١١ واحمد بن حنبل حـ ٣ ص ١١ ، ٥٤ .

(٧١) فى (أ) : أنه لم يكن .

(٧٢) الحديث رواه أبو داود رقم ٢٦٨٣ فى الجهاد باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام والنسائى ١٠٥/٧ ، ١٠٦ فى تحريم الدم ، باب الحكم فى المرتد ولفظه عند أبى داود : ألا أومأت إلينا بعينك ..؟ قال : إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين .

(٧٣) هو : عبد الله بن سعد بن أبى السرح بن الحارث - أسلم قبل الفتح وهاجر وكان يكتب الوحى لرسول الله - ﷺ ثم ارتد مشركًا وصار إلى قريش بمكة . فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله - ﷺ بقتله ففر إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عثمان حتى أتى به رسول الله بعدما اطمأن أهل مكة فاستأمنه له ، ولاه عثمان مصر سنة ٢٥ هـ وفتح على يديه أفريقية سنة ٢٧ هـ توفى بافريقيا سنة ٣٦ هـ رحمه الله (الاستيعاب حـ ٣ ص ٩١٩ ، ٩٢٠) .

(٧٤) الاتساء : التأسي والاقتداء .

(٧٥) سورة الأحزاب آية رقم ٢١

وقال تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده[٧٦] » .

فصح يقينا أنه لو جاز أن يقع من أحد من الأنبياء عليهم السلام ذنب بعمد صغير أو كبير ، لكان الله عز وجل قد حضنا على المعاصى وندبنا إلى الذنوب ، وهذا كفر مجرد ممن أجازه وقد صح يقينا أن جميع أفعال الأنبياء التى يقصدونها خير وحق .

قال أبو محمد : وأيضا فقد صح عن النبى ﷺ عظيم[٧٧] انكاره على ذى الخويصرة[٧٨] لعنه الله ولعن أمثاله ، إذ قال الكافر اعدل يا محمد ، إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله .

فقال له رسول الله ﷺ : ويحك من يعدل إذا أنا لم أعدل أيأمننى الله ولاتأمنونى[٧٩] » ..؟

وقوله عليه السلام لأم سلمة أم المؤمنين إذ سألته عن الذى قبل امرأته فى رمضان ألا أخبرتها أنى فعلت ذلك[٨٠] » ..؟ وغضب عليه السلام إذ قال له : لست مثلنا قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

فأنكر عليه السلام إذ جعل له ذنبا بعمد وإن صغر .

وقال له عليه السلام : إنى والله لأعلمكم بالله وأتقاكم لله[٨١] أو كلاما هذا معناه . فإن قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السهو بدليل الندب إلى الايتساء بهم عليهم السلام قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

انكار ما ثبت كإجازه ما لم يثبت ، سواء سواء[٨٢] ولا فرق ، والسهو منهم قد ثبت بيقين وأيضًا فإن ندب الله تعالى لنا إلى الايتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم ، لأن الايتساء بالسهو يمكن إلا بسهو منا ، ومن المحال أن نندب إلى السهو أو نكلف السهو ، لأننا لو قصدنا إليه لم يكن حينئذ سهوًا ، ولا يجوز أيضا أن ننهى عن السهو لأن الانتهاء عن السهو ليس فى بنيتنا ، ولا فى وسعنا وقد قال تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها[٨٣] » .

---

(٧٦) سورة الأنعام آية رقم ٩٠

(٧٧) سقط من (أ) كلمة « عظيم » .

(٧٨) ترجم له فى ص

(٧٩) الحديث رواه البخارى فى الخمس ١٩ ورواه مسلم فى الزكاة ١٤٠ ولفظة عند مسلم : فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ، ثم قال يرحم الله موسى قد أوذى باكثر من هذا فصبر ٧٠

(٨٠) الحديث رواه مسلم رقم ١١٠٨ باب أن القبلة فى الصوم ليست محرمة ورواه صاحب الموطأ ١/٢٩١ و ٢٩٢ باب ما جاء فى الرخصة فى القبلة للصائم ولفظة فى الموطأ : أن رجلًا قبل امرأته وهو صائم فى رمضان فوجد من ذلك وجدًا شديدًا فأرسل امرأته فسألت أم سلمة فأخبرتها أن رسول الله يفعله ، فأخبرت زوجها فزاده ذلك شرًا وقال : لسنا مثل رسول الله – ﷺ – إن الله يحل لرسوله ما شاء ... الخ .

(٨١) سبق تخريج هذا الحديث ص ٤٩

(٨٢) سقط من (أ) كلمة : سواء .

(٨٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦ .

ونقول أيضا إننا مأمورون إذا سهونا أن نفعل كما فعل رسول الله ﷺ إذ سها .

وأيضا فإن الله تعالى لا يقر الأنبياء عليهم السلام على السهو بل ينبههم فى الوقت ، ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا فى الدين . وهذا تكذيب لله عز وجل إذ يقول تعالى « تبيانا لكل شىء[٨٤] » .

وإذ يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم[٨٥] » .

وقوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم[٨٦] » .

قال أبو محمد : فسقط قول من نسب إلى الأنبياء عليهم السلام شيئا من الذنوب بالعمد ، صغيرها وكبيرها ، إذا لم يبق لهم شبهه يموهون بها أصلًا ، وإذ قد قامت البراهين على بطلانها ولحقوا بذى الخويصرة .

قال أبو محمد : ولو جاز من الأنبياء عليهم السلام شىء من المعاصى فقد ندبنا إلى الايتساء بهم ، وبأفعالهم ، لكنا قد أبيحت لنا المعاصى وكنا لا ندرى لعل جميع ديننا ضلال وكفر ، ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ، ولقد قلت يومًا لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد : أليس من الصغائر تقبيل المرأة الأجنبية وقرصها[٨٧]؟ فقال : نعم . فقلت له : تجوز أنه يظن بالنبى ﷺ أن يقبل امرأة غيره متعمدا ؟ فقال : معاذ الله من هذا ورجع إلى الحق من حينه — والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : قال الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما[٨٨] » .

قال أبو محمد : ومن الباطل المحال أن تتم[٨٩] نعمة الله على عبد ويعصى الله بما كبر أو ما صغر ، إذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة ، بل ناقصة إذ خذله فيما عصى فيه .

وقال تعالى : « إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعذروه وتوقروه[٩٠] » .

---

(٨٤) سورة النحل آية رقم ٨٩
(٨٥) سورة المائدة آية رقم ٣
(٨٦) سورة الأنعام آية رقم ١١٩
(٨٧) فى (خ) : وتعرضها .
(٨٨) سورة الفتح آية رقم ١ ، ٢
(٨٩) فى (أ) : أن يتم الله نعمته .
(٩٠) سورة الفتح آية رقم ٨ ، ٩

وقال الله تعالى : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون – لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم[٩١]» .

قال أبو محمد : وما أقر[٩٢] برسول الله ﷺ ولقد بلغ الغاية القصوى فى الاستهزاء برسل الله ﷺ من جوز أن يكونوا سراقا أو زناة ، ولاطة ، وبغائين ، ووالله ما نعلم كفرا أعظم من هذا ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين أعظم من كفر أهل هذه المقالة .

وليت شعرى ما الذى أمنهم من كذبهم فى التبليغ لأنا[٩٣] لا ندرى لعلهم بلغوا إلينا الكذب عن الله تعالى .

قال أبو محمد : فنقول لهم : ولعل أفعاله التى نأتسى بها تبديل للدين ومعاصى لله عز وجل ولا فرق .

قال أبو محمد : وما نعلم أهل قرية أشد سعيًا فى إفساد الإسلام وكيده من الرافضة[٩٤] وأهل هذه المقالة ، فإن كلتا الطائفتين الملعونتين أجازتا تبديل الدين وتحريفه ، وصرحت هذه الفئة مع ما أطلقت على الأنبياء من المعاصى بأن الله تعالى إنما تعبدنا فى دينه بغالب ظنوننا ، وأنه لا حكم لله إلا ما غلب عليه ظن المرء منا ، وإن كان مختلفا متناقضا ، وما نمترى فى أنهم ساعون فى إفساد أغمار[٩٥] المسلمين المحسنين بهم الظن – ونعوذ بالله من الضلال .

قال أبو محمد : فإن قال قائل إنكم تقولون إن الأنبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على سبيل السهو ، والقصد ، إلى الخير ، إذا لم يوافق مراد الله عز وجل[٩٦] فيها وأوخذ رسول الله ﷺ بسهوه فى الصلاة ؟ قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام ، وهكذا نص عليه السلام فى حديثه الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبى إلى نبى ، فكل ذكر خطيئة أو سكت ،

---

(٩١) سورة التوبة آية رقم ٦٦

(٩٢) هذه الجملة معطوفة على ما قاله أبو محمد سابقًا .

(٩٣) فى (خ) : (لكنا) .

(٩٤) الرافضة : الذين كانوا أتباع زيد بن على بن أبى طالب ثم تركوه ، لأنهم طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين فقال : لقد كانا وزيرى جدى فلا أتبرأ منهما فرفضوه ، وتفرقوا عنه . وقد يطلق بعض الناس اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت ، وعلى هذا جاء قول القائل :

إن كان رفضًا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أنى رافضى

الفرق بين الفرق ص ٢١ الهامش .

(٩٥) الغُمْر : بسكون الميم وضمها : أى من لم يجرب الأمور وبابه : ظَرُف .

(٩٦) فى (أ) : مراد الله تعالى .

فلما ذكروا النبى ﷺ قال قائلهم : عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[٩٧] فبطل أن يؤاخذ بما غفره الله ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : أيجوز أن يكون نبى من الأنبياء عليهم السلام يأتى معصية قبل أن يتنبأ ؟ [فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن كل نبى فإنه قبل أن ينبأ][٩٨] لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكون متعبدًا بشريعة نبى أتى قبله كما كان عيسى عليه السلام وأنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا متعبدين بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام[٩٩]. وإما أن يكون قد نشأ فى قوم قد درست شريعتهم ، ودثرت ونسيت كما فى بعث محمد ﷺ فى قوم[١٠٠] قد نسوا شريعة إسماعيل ، وإبراهيم ، عليهما السلام .

قال تعالى : « ووجدك ضالا فهدى[١٠١]» .

وقال تعالى : « لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم[١٠٢]» فإن كان النبى متعبدًا بشريعة ما ، فقد أبطلنا آنفا أن يكون نبى يعصى ربه أصلًا .

وإن كان نشأ فى قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ، ولا مأمور بما لم يأته أمر الله تعالى به بعد فليس عاصيًا لله تعالى فى شيء يفعله ، أو يتركه ، إلا أننا ندرى أن الله عز وجل قد طهر أنبياءه وصانهم من كل ما يعابون به ، لأن العيب أذى ، وقد حرم الله عز وجل أن يؤذى رسوله .

قال تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينًا[١٠٣]» .

قال أبو محمد : فبيقين ندرى أن الله تعالى صان أنبياءه عن أن يكونوا البغية أو من ولادة[١٠٤] بغى ، أو من بغايا ، بل بعثهم الله تعالى فى حسب قومهم ، فإذ لا شك فى هذا فبيقين ندرى أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة ، فدخل فى ذلك السرقة ، والعدوان ، والقسوة ، والزنا ، واللياطة ، والبغى ، وأذى الناس فى حريمهم وأموالهم وأنفسهم ، وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره .

---

(٩٧) لقوله تعالى : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .
(٩٨) سقط ما بين القوسين من (أ) .
(٩٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٠٠) سقط من (أ) كلمة : فى قوم .
(١٠١) سورة الضحى آية رقم ٧
(١٠٢) سورة يس آية رقم ٦
(١٠٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥٧
(١٠٤) فى (أ) : أولاد .

وقد صح عن النبى ﷺ فى هذا ما حدثناه أحمد بن محمد الطلمنكى ، أنا ابن فرج ، أنا إبراهيم بن محمد فراس ، أنبأنا احمد بن محمد بن سالم النيسابورى ، أنا إسحاق بن راهويه ، أنا وهب بن جرير بن حازم أنا أبى أنبأنا محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن عبد الله بن قيس ابن مخرمة عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، « عن أبيه هو ابن الحنفية عن أبيه هو على ابن أبى طالب ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول(١٠٥):

ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمنى الله منهما . قلت ليلة(١٠٦) لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى أغنام لأهلها(١٠٧) ترعى أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فلما خرجت فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وصوت دفوف وزمير ، فقلت ما هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال لى ما فعلت ، فأخبرته .

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لى مثل ما قيل لى فلهوت بما سمعت حتى غلبتنى عينى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال لى ما فعلت قلت ما فعلت شيئا فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته(١٠٨)» .

قال أبو محمد : فصح أنه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة قبل(١٠٩) النبوة ، ولا بعدها ، ولا هم قط بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ، ولا بعدها ، إلا مرتين بالسمر .

حيث ربما كان بعض ما لم يكن نهى عنه بعد ، والهم حينئذ بالسمر ليس هما بزنا ، ولكنه بما يحذوا إليه طبع البشرية(١١٠) من استحسان منظر حسن فقط ، وبالله تعالى التوفيق . تم الكلام فى الأنبياء عليهم السلام .

---

(١٠٥) سقط من (أ) ما بين القوسين ، وراجع ترجمة محمد بن الحنفية ص ٢٨٠ من هذا الجزء .
(١٠٦) سقط من (أ) ليلة .
(١٠٧) فى (أ) : لها .
(١٠٨) الحديث رواه البيهقى بسنده عن على بن أبى طالب ، وذكره ابن كثير فى التاريخ حـ ٢ ص ٢٨٧ وقال : وهذا حديث غريب جدًا وقد يكون عن على نفسه .
(١٠٩) سقط من (خ) كلمة : لا .
(١١٠) فى (أ) : البرية .

الكلام فى الملائكة عليهم السلام

قال أبو محمد : قد ذكرنا قبل أمر هارون وماروت ونزيدها هنا بيانا فى ذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

إن قوما نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأت به قط أثر يجب أن يشتغل به ، وإنما هو كذب مفترى من أنه تعالى أنزل إلى الأرض ملكين وهما هاروت وماروت ، وأنهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر ، وحكما بالزور وقتلا النفس المحرمة[1]، وزنيا وعلما زانية اسم الله الأعظم فطارت به إلى السماء فمسخت كوكبا وهى الزهرة ، وأنهما عذبا فى غار ببابل[2]، وأنهما يعلمان الناس السحر .. وحجتهم على ما فى هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول مرة يقال له النخعى ، ومرة يقال له الحنفى ، ما نعلم له رواية إلا هذه الكذبة ، وليست أيضا عن رسول الله ﷺ ولكنه أوقفها على على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكذبة أخرى فى أن حد الخمر لم[3] يسنه رسول الله ﷺ وإنما هو شيء فعلوه ، وحاشا لهم رضى الله عنهم من هذا .

قال أبو محمد : ومن البرهان على بطلان هذا كله قول الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد « ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذًا منظرين[4]» فقطع الله عز وجل أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق ، وليس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ، ولا تعليم العواهر أسماءه عز وجل ، التى يرتفع بها إلى السماء ، ولا السحر من الحق ، بل

---

(١) ف (أ) : سقطت كلمة المحرمة .

(٢) بابل : بكسر الباء ، اسم ناحية منها الكوفة وقيل : بابل العراق والكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل فى الزمن الأول ويقال : إن أول من سكنها نوح عليه السلام ، وهو أول من عمرها وقد روى أن عمر سأل دهقان الفلوجة عن عجائب بلادهم فقال : كانت بابل سبع مدن فى كل مدينة أعجوبة ليست فى الأخرى ... راجع معجم البلدان جـ ١ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٣) ف (أ) : ليس .

(٤) سورة الحجر آية رقم ٨

كل ذلك من الباطل ، ونحن نشهد أن الملائكة ما نزلت قط بشىء من هذه الفواحش والباطل . وإذا لم تنزل به فقد بطل أن تفعله ، لأنها لو فعلته فى الأرض لنزلت به ، وهذا باطل وشهد عز وجل أنه لو أنزل علينا الملائكة لما أنظرنا[٥]، فصح أنه لم ينزل قط ملك ظاهر إلا لنبى بالوحى فقط ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وكذلك قوله تعالى : « ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلا[٦]» .

فأبطل عز وجل أنه يمكن ظهور ملك إلى الناس وقال تعالى : « ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون[٧]» .

فكذب الله عز وجل كل من قال : إن ملكا نزل قط من السماء ظاهرا إلا إلى الأنبياء بالحق ، من عند الله عز وجل فقط وقال عز وجل : وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوًا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين[٨]... الآية

فرفع الله تعالى الإشكال بهذا النص فى هذه المسألة ، وقرن عز وجل نزول الملائكة فى الدنيا برؤيته عز وجل فيهما ، فصح ضرورة أن نزولهم فى الدنيا إلى غير الأنبياء ممتنع ألبتة لا يجوز .

وإن من قال ذلك فقد قال حجرا محجورا ، أى ممتنعا وظهر بها كذب من ادعى أن ملكين نزلا إلى الناس فعلماهما السحر ، وقد استعظم الله عز وجل ذلك من رغبة من رغب نزول الملائكة إلى الناس ، وسمى هذا الفعل استكبارا وعتوا ، وأخبر عز وجل أننا لا نرى الملائكة أبدًا إلى يوم القيامة فقط ، وأنه لا بشرى يومئذ للمجرمين .

فإذ لا شك فى هذا كله فقد علمنا ضرورة أنه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما كما قدمنا قبل . إما أن هارون وماروت لم يكونا ملكين وأن « ما » فى قوله : وما أنزل على الملكين نفى لأن ينزل عليهما[٩] ويكون هاروت وماروت حينئذ بدلًا من الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ، ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا تعلمان الناس السحر .

---

(٥) فى (أ) : ملائكة لما نظرنا .
(٦) سورة الأنعام آية رقم ٩
(٧) سورة الأنعام آية رقم ٨
(٨) سورة الفرقان آية رقم ٢١ ، ٢٢
(٩) فى (أ) : على الملكين .

وقد روينا هذا القول عن خالد بن أبى عمران وغيره ، وروى عن الحسن البصرى[١٠] أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام .

وكان يقول : إن هاروت وماروت علجان من أهل بابل . إلا أن الذى لا شك فيه على هذا القول أنهما لم يكونا ملكين . وقد اعترض هاهنا[١١] بعض الجهال فقال لى : أبلغ من رفق الشياطين[١٢] أن يقولوا للذى يتعلم السحر لا تكفر فقلت له : هذا الاعتراض يبطل من ثلاث جهات أحدها : أن نقول لك وما المانع من أن يقول الشياطين ذلك ، إما سخريًا وإما لما شاء الله تعالى فلا سبيل لك إلى دليل مانع من هذا .

والثانى : أنه قد نص الله عز وجل على أن الشيطان قال : إنى أخاف الله » .

فقال تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم .. إلى قوله تعالى : « إنى أخاف الله والله شديد العقاب[١٣]» .

وقال تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين[١٤]» . فقد أمر الشيطان الإنسان بالكفر ثم تبرأ منه وأخبره أنه يخاف الله وغر الكفار ثم تبرأ منهم وقال : إنى أخاف الله .

فأى فرق بين أن يقول الشيطان للإنسان اكفر ويغرّه ثم يتبرأ منه ، ويقول إنى أخاف الله ، وبين أن يعلمه السحر ويقول له لا تكفر .

والثالث : أن معلم السحر بنص الآية قد قال للذى يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكًا أو شيطانًا قد علمه على قولك ما لا يحل وقال له : لا تكفر ، فلم تنكر هذا من الشيطان ؟ ولا تنكره بزعمك من الملك ؟ وأنت تنسب إليه أنه يعلم السحر الذى هو[١٥] عندك ضلال وكفر . وأما أن يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق وبعلم ما ، على أنبياء ، فعلماهم الدين ، وقالا لهم لا تكفروا نهيًا عن الكفر بحق وأخبراهم أنهم فتنة يضل الله تعالى بهما وبما أتيا به من كفر

---

(١٠) الحسن البصرى : هو الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد تابعى ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة ، ولد بالمدينة عام ٢١ هـ وشب فى كنف على بن أبى طالب – رضى الله عنه ، واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية وسكن البصرة وتوفى بها عام ١١٠ هـ تهذيب التهذيب .

(١١) سقط من (أ) كلمة : هاهنا .

(١٢) فى (أ) : الشياطين .

(١٣) سورة الأنفال آية رقم ٤٨

(١٤) سورة الحشر آية رقم ١٦

(١٥) فى (أ) : سقط كلمة : هو .

به ، ويهدى بهما من آمن بما أتيا به[١٦] قال تعالى عن موسى أنه قال له : « إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء[١٧] » .

وكما قال تعالى : « ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون[١٨] » .

ثم نسخ ذلك الذى أنزل على الملكين فصار كفرًا بعد أن كان إيمانًا ، كما نسخ تعالى شرائع التوراة والإنجيل فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ ، وبالجملة فما فى الآية نص ولا دليل على أن الملكين علما السحر ، وإنما هو إقحام أقحم فى الآية بالكذب والإفك ، بل فيها بيان أنه لم يكن سحرًا بقوله تعالى : « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل[١٩] » [فصح أن السحر شيء غير الذى أنزل على الملكين][٢٠].

ولا يجوز أن يجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئا واحدًا إلا ببرهان من نص أو إجماع أو ضرورة ، إلا فلا أصلًا .

وأيضًا فإن بابل هى الكوفة وهى بلد معروف بقربها ، محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح أنه خرافة موضوعة إذ لو كان ذلك لما خفى مكانهما على أهل الكوفة ، فبطل التعلق بهاروت وماروت ، والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وقد ادعى قوم أن إبليس كان ملكًا فعصى وحاشا لله من هذا ، لأن الله تعالى قد أكذب هذا القول بقوله تعالى : « إلا ابليس كان من الجن[٢١] » .

وبقوله : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى[٢٢] ولا ذرية للملائكة ، وبقوله تعالى : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم[٢٣] » .

وبإخباره أنه خلق إبليس من نار السموم ، وصح عن النبى ﷺ أنه قال : « خلقت الملائكة من نور » . والنور غير النار بلا شك ، فصح أن الجن غير الملائكة ، والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن ، والجن كالإنس فيهما مذموم ومحمود .. فإن قال قائل إن الله عز وجل ذكر أنهم قالوا « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك[٢٤] » .

---

(١٦) فى (أ) : سقط : بما أتيا به .
(١٧) سورة الأعراف آية رقم ١٥٥
(١٨) سورة العنكبوت آية رقم ١
(١٩) سورة البقرة آية رقم ١٠٢
(٢٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢١) سورة الكهف آية رقم ٥٠
(٢٢) سورة الكهف آية رقم ٥٠
(٢٣) سورة الأعراف آية رقم ٢٧
(٢٤) سورة البقرة آية رقم ٣٠

هذه تزكية لأنفسهم ، وقد قال تعالى .. فلا تزكوا أنفسكم[٢٥]» .

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

مدح المرء لنفسه[٢٦] ينقسم قسمين أحدهما . ما قصد به المرء الإفتخار[٢٧] بغيًا وانتقاصًا لغيره فهذه هى التزكية ، وهو مذموم جدًا والآخر : ما خرج مخرج الإخبار بالحق كقول رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وفضلت على الأنبياء بست[٢٨]» وكقول يوسف عليه السلام « اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم[٢٩]» .

ولا يسمى هذا تزكية .

ومن هذا الباب قول الملائكة هاهنا ، برهان هذا أنه لو كان قولهم مذمومًا لأنكره الله عز وجل عليهم ، فإذ لم ينكره الله تعالى فهو صدق .

ومن هذا الباب قولنا : نحن المسلمون ونحن خير أمة أخرجت للناس وكقول الحواريين : نحن أنصار الله .

فكل هذا إذا قصد به الحض على الخير لا الفخر ، فهو خير .

فإن قال قائل : إن الله تعالى قال لهم : « إنى أعلم ما لا تعلمون[٣٠]» .

قلنا : نعم وما شك الملائكة قط أن الله تعالى يعلم ما لا يعلمون ، وليس هذا إنكارًا .

وأما الجن فقد قلنا : إنهم متعبدون بملة الإسلام .

وقد صح عن النبى ﷺ أن الروث والعظام طعام إخواننا من الجن[٣١].

وهذا بخلاف حكمنا ، فقد يخصهم الله عز وجل بأوامر خلاف أوامرنا ؛ كما للنساء شرائع ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلك ، وكما لقريش الإمامة ، وليست لغيرهم وكل ذلك دين الإسلام – وبالله تعالى التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(٢٥) سورة النجم اية رقم ٣٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت « ولا » بالواو بدلًا من (الفاء) .

(٢٦) فى (أ) : نفسه .

(٢٧) فى (أ) : افتخار .

(٢٨) الحديث أخرجه الترمذى رقم ٣٦١٨ فى المناقب ، ورواه مسلم فى ٢٢٧٨ فى الفضائل باب تفضيل نبينا – ﷺ – على جميع الخلائق . والحديث الثانى فضلت على الأنبياء بست رواه مسلم رقم ٥٢٣ فى المساجد فى فاتحته والترمذى رقم ١٥٥٣ فى السير باب ما جاء فى الغنيمة .

(٢٩) سورة يوسف آية رقم ٥٥

(٣٠) سورة البقرة آية رقم ٣٠

(٣١) الحديث رواه النسائى فى الطهارة ٣٤ ، ٣٥ ، والبخارى فى الوضوء ٢١ ورواه مسلم فى الطهارة ٥٨ ، وأبو داود فى الطهارة ٤ والترمذى فى الطهارة ١٤ ، وابن ماجه فى الطهارة ١٦ واحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٢٤٧ ولفظه عند مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان ... إنه نهانا أن يستنجى أحدنا بيمينه ، أو يستقبل القبلة ونهى عن الروث والعظام .

هل يكون مؤمنًا من اعتقد الإسلام دون استدلال أم لا يكون مؤمنًا مسلمًا إلّا من استدل ..؟

قال أبو محمد : ذهب محمد بن جرير الطبرى[1] والأشعرية كلها حاشا السمنانى إلى أنه لا يكون مسلمًا إلا من استدل ، وإلا فليس مسلمًا .

وقال الطبرى : من بلغ الاحتلام أو الإشعار من الرجال والنساء ، أو بلغ المحيض من النساء ، ولم يعرف الله عز وجل بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر ، حلال الدم ، والمال ، وقال : إنه إذا بلغ الغلام أو الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على كل[2] ذلك ، وقالت الأشعرية : لا يلزمهما الاستدلال على ذلك إلا بعد البلوغ .

قال أبو محمد : وقال سائر أهل الإسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشك فيه ، وقال بلسانه لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وأن كل ما جاء به حق ، وبرىء من كل دين سوى دين محمد ﷺ فانه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك .

قال أبو محمد : فاحتجت الطائفة الأولى بأن قالت : قد إتفق الجميع على أن التقليد مذموم وما لم يكن يعرف باستدلال فانما هو تقليد لا واسطة بينهما ، وذكروا قول الله عز وجل « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتذون[3]» .

وقال تعالى « قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم[4]» .

وقال تعالى « أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون[5]» .

---

(١) هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبرى أبو جعفر : المؤرخ المفسر ، ولد فى آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفى بها ، وعرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى له ، كتب : أخبار الرسل والملوك ، وجامع البيان فى تفسير القرآن ، واختلاف الفقهاء وغير ذلك كثيرا . توفى سنة ٣١٠ هـ . وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٥٦

(٢) سقط من (أ) : كل .

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٢٣

(٤) سورة الزخرف آية رقم ٢٤ وقد جاءت الآية محرفة فى الأصل والمطبوعة لتبديله قال : بقل .

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٧٠

وقال تعالى « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا[٦]» .

وقالوا فذم الله تعالى إتباع الآباء والرؤساء قالوا : وبيقين ندرى أنه لا يعلم أحد أى الأمرين أهدى ولا هل يعلم الآباء شيئا أو لا يعلمون إلا بالدليل ، وقالوا : كل ما لم يكن يصح بدليل فهو دعوى ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما ، لكن بالدليل قال الله عز وجل « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٧]» .

قالوا فمن لا برهان له فليس صادقا فى قوله ، وقالوا : ما لم يكن علمًا فهو شك وظن .

قالوا : والعلم : هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة واستدلال

قالوا : والدبانات لا يعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطل منها بالحواس أصلا ، فصح أنه لا يعلم ذلك إلا من طريق الاستدلال ، فإذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بما لم يستدل عليه ، وإذا لم يكن عالما فهو شاك ظان[٨] وذكروا قول رسول الله ﷺ فى مسآئلة الملك فى القبر (ما تَقُولُ فِي هذا الرَّجُلِ ..؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أو المُوقِن فإنه يَقُولُ هُوَ مُحمَّد رَسُول الله قال : وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوْ المُرْتَابُ فإنه يَقُولُ : لا أَدْرِى سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُه[٩]) قالوا : وقد ذكر الله عز وجل الاستدلال على الربوبيه والنبوة فى غير موضع من كتابه وأمر به ، وأوجب العلم به ، والعلم لا يكون إلا عن دليل كما قلنا .

وقال أبو محمد : « هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه لهم غاية التقصى ، وكل هذا لا حجة لهم فى شىء منه على ما نبين بحول الله وقوته إن شاء الله تعالى لا إله إلا هو ، بعد أن نقول قولا تصححه المشاهدة ، أن جمهور هذه الفرقة أبعد من كل من ينتمى إلى البحث والاستدلال عن المعرفة بصحة الدلائل ، فاعجبوا لهذا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين[١٠]» .

قال أبو محمد : أما قولهم قد أجمع الجميع على أن التقليد مذموم وان ما لا يعرف باستدلال فإنما هو أخذ تقليدًا ، إذ لا وساطة بينهما فانهم شغبوا فى هذا المكان[١١] ووثبوا فتركوا التقسيم الصحيح ، ونعم : إن التقليد لا يحل ألبتة وإنما التقليد أخذ المرء قولَ من دون رسول الله ﷺ ممن لم يأمرنا الله عز وجل باتباعه قط ، ولا بأخذ قوله ، بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه .

---

(٦) سورة الأحزاب آية رقم ٦٧

(٧) سورة البقرة آية رقم ١١١

(٨) فى (أ) : ضال وهو تحريف .

(٩) الحديث رواه البخارى ١٨٨/٣ فى الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر ، ومسلم فى ٢٨٧٠ فى الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وأبو داود رقم ٣٢٣١ فى الجنائز باب المشى فى النعل بين القبور ، والنسائى ٩٨/٩٧/٤ فى الجنائز باب مسألة الكافر .

(١٠) سقط من (ج) أنهم كانوا كافرين .

(١١) فى (أ) : (الامكان) .

وأما أخذ المرء قول رسول الله ﷺ الذى افترض علينا طاعته وألزمنا إتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة أمره وتوعدنا على ذلك أشد الوعيد ، فليس تقليدًا [وما سماه أحد قط من أهل الحق تقليدًا][١٢] بل هو إيمان وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عز وجل ، وأداء للمفترض ، فموه هؤلاء القوم بأن اطلقوا على الحق الذى هو اتباع الحق اسم التقليد الذى هو باطل ، وبرهان ما ذكرنا أن أمرأ لو اتبع أحدًا دون رسول الله ﷺ فى قول قاله لأن فلانا قاله فقط ، واعتقد أنه لو لم يقل ذلك الفلان ذلك القول لم يقل به هو أيضًا ، فإن فاعل هذا القول مقلد مخطىء عاص لله تعالى ولرسوله ، ظالم آثم . سواء كان قد[١٣] وافق قوله ذلك الحق الذى قاله الله ورسوله أو خالفه ، وإنما فسق لأنه اتبع من لم يؤمر باتباعه ، وفعل غير ما أمره الله عز وجل أن يفعله ، ولو أن أمرأ اتبع قول الله عز وجل وقول رسول الله ﷺ لكان مطيعا محسنا مأجورًا غير مقلد ، وسواء وافق الحق أو وهم فأخطأ ، وإنما ذكرنا هذا لنبين أن الذى أمرنا به ، وافترض علينا هو اتباع ما جاء به رسول الله ﷺ فقط ، وأن الذى حرم علينا هو اتباع من دونه أو اختراع قول لم يأذن به الله تعالى فقط ، وقد صح أن التقليد باطل لا يحل ، فمن الباطل الممتنع أن يكون الحق باطلًا معا ، والمحسن مسيئًا من وجه واحد معا ، فإذ ذلك كذلك فممتنع من أمر الله تعالى باتباعه ليس مقلدًا ولا فعله تقليدًا ، وإنما المقلد من اتبع من لم يأمره الله تعالى باتباعه ، فسقط تمويههم بذم التقليد ، وصح أنهم وضعوه فى غير موضعه، وأوقعوا اسم التقليد على ما ليس تقليدًا ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بذم الله تعالى اتباع الآباء والكبراء ، فهو مما قلنا آنفا سواء بسواء ، لأن اتباع الآباء والكبراء وكل من دون رسول الله ﷺ فهو من التقليد المحرم ، المذموم فاعله ، فقط قال الله عز وجل : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء[١٤] » فهذا نص ما قلنا ولله الحمد .

قال أبو محمد : وأما احتجاجهم أنه لا يعرف أى الأمرين أهدى ولا هل يعلم الآباء شيئا أم لا إلا[١٥] بالدليل ، وإن كل ما لم يصح بدليل[١٦] فهو دعوى ، ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما ، وذكرهم قول الله تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[١٧] » فإن هذا ينقسم قسمين .

---

(١٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٣) فى (أ) : بزيادة : كان قد .
(١٤) سورة الأعراف آية رقم ٣
(١٥) سقط من (أ) كلمة : إلا .
(١٦) فى (أ) : به دليل .
(١٧) سورة البقرة آية رقم ١١١

فمن كان من الناس تنازعه نفسه إلى البرهان ولا تستقر نفسه إلى تصديق ما جاء به رسول الله ﷺ حتى يسمع الدلائل فهذا فرض عليه طلب الدلائل[١٨]، إلا أنه إن مات شاكًا أو جاحدًا قبل أن يسمع من البرهان ما يثلج صدره[١٩] فقد مات كافرًا ، وهو مخلد فى النار بمنزلة من لم يؤمن ممن شاهد رسول الله ﷺ حتى رأى المعجزات ، فهذا أيضا لو مات [قبل أن يرى المعجزة][٢٠] لمات كافرا بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام ، وإنما أوجبنا على من هذه صفته طلب البرهان لأن فرضًا عليه طلب ما فيه نجاته من الكفر .

قال الله عز وجل « قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة[٢١]» . فقد افترض الله عز وجل على كل أحد أن يقى نفسه النار .

فهؤلاء قسم وهم الأقل من الناس ، والقسم الثانى من استقرت نفسه إلى تصديق ما جاء به رسول الله ﷺ وسكن قلبه إلى الإيمان ، ولم تنازعه نفسه إلى طلب دليل توفيقا من الله عز وجل له وتيسيرًا لما خلق له من الخير والحسنى ، فهؤلاء لا يحتاجون إلى برهان ولا إلى تكيف استدلال ، وهؤلاء هم جمهور الناس من العامة ، والنساء ، والتجار ، والصناع ، والأكرة والعباد ، وأصحاب الأئمة الذين يذمون الكلام والجدل ، والمراء فى الدين .

قال أبو محمد : هم[٢٢] الذين قال الله فيهم : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم[٢٣]» .

وقال تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء[٢٤]» .

قال أبو محمد : وقد سمى الله عز وجل راشدين ، القومَ الذين زين الإيمان فى قلوبهم وحببه إليهم ، وكره إليهم الكفر والمعاصى فضلا منه ونعمة ، وهذا هو خلق الله تعالى للإيمان فى قلوبهم ابتداء ، وعلى ألسنتهم ، ولم يذكر الله تعالى فى ذلك استدلالًا أصلا ، وبالله تعالى التوفيق .

وليس هؤلاء مقلدين لآبائهم ولا لكبرائهم ، لأن هؤلاء مقرون بألسنتهم محققون فى قلوبهم أن

(١٨) فى (خ) : (الدليل) .
(١٩) فى (خ) : (نفسه) .
(٢٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢١) سورة التحريم آية رقم ٦
(٢٢) سقط من (أ) هم .
(٢٣) سورة الحجرات آية رقم ٧ ، ٨
(٢٤) سورة الأنعام آية رقم ١٢٥

آباءهم ورؤساءهم لو كفروا هم بل كانوا يستحلون قتل آبائهم ، ورؤسائهم ، والبراءة منهم ويحسون من أنفسهم النفار العظيم عن كل من سمعوا منه ما يخالف الشريعة ، ويرون أن حرقهم بالنار أخف عليهم من مخالفة الإسلام .

وهذا أمر قد عرفناه من أنفسنا حسًا وشاهدناه فى ذواتنا يقينًا ، فلقد بقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ، ولا وجوهه ونحن ولله الحمد فى غاية اليقين بدين الإسلام ، وكل ما جاء به محمد ﷺ نجد أنفسنا فى غاية السكون إليه ، وفى غاية النفار عن كل ما يتعرض فيه بشك ، ولقد كانت تخطر فى قلوبنا خطرات سوء فى خلال ذلك ينبذها الشيطان ، فنكاد لشدة نفارنا عنها أن نسمع خفقان قلوبنا استبشاعًا لهما ، كما خبر رسول الله ﷺ إذ سئل عن ذلك فقالوا له : « إِنَّ أَحَدُنا لَيحدثُ نَفْسَه بالشَيء ما أنه يقدم فَنُضْرَبَ عُنُقُه أَحَبَّ إليه مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ به[٢٥]» فأخبر رسول الله ﷺ بأن ذلك مَحْضُ الْإِيمَانِ وأخبر أنه من وسوسة الشيطان ، وأمر ﷺ فى ذلك بما أمر به من التعوذ ، والقراءة ، والتفل عن اليسار ، ثم تعلمنا طرق الاستدلال وأحكمناها ، ولله تعالى الحمد فما زادنا يقينا على ما كنا بل عرفنا أننا كنا ميسرين للحق ، وصرنا كمن عرف وقد أيقن بكون الفيل موجودًا سماعًا ولم يره ثم رآه ، فلم يزدد يقينًا بصحة أنيته أصلًا ، لكن أرانا صحيح الاستدلال رفض بعض الآراء الفاسدة ، التى نشأنا عليها فقط كالقول فى الدين بالقياس ، وعلمنا أنا كنا مقتدين بالخطأ فى ذلك ولله تعالى الحمد ،

وأن المخالفين لنا ليعرفون من أنفسهم ما ذكرنا إلا أنهم يلزمهم أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر قبل استدلالهم ولابد ، فصح بما قلنا أن كل من أمحض اعتقاد الحق بقلبه وقاله بلسانه فهم مؤمنون محققون ، وليسوا مقلدين أصلًا ، وإنما كانوا يكونون[٢٦] مقلدين لو أنهم قالوا واعتقدوا أننا إنما نتبع فى الدين آباءنا وكبراءنا فقط ، ولو أن آباءنا وكبراءنا تركوا دين محمد ﷺ لتركناه ، فلو قالوا : هذا واعتقدوه لكانوا مقلدين كفارًا غير مؤمنين ، لأنهم إنما اتبعوا آباءهم وكبراءهم ، الذين نهوا عن اتباعهم ، ولم يتبعوا النبى ﷺ الذى أمروا باتباعه – وبالله تعالى التوفيق .

وإنما كلف الله تعالى الإتيان بالبرهان إن كانوا صادقين – يعنى الكفار – المخالفين لما جاء به محمد ﷺ هذا نص الآية ولم يكلف قط المسلمين الإتيان بالبراهين ، وإلا سقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان .

---

(٢٥) الحديث رواه الإمام مسلم فى الإيمان ٢٠٩ وأبو داود فى الأدب ١٠٩ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٢ ص ٣٩٦ ولفظه عند مسلم : جاء ناس من أصحاب النبى – ﷺ فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : وقد وجدتموه قالوا : نعم قال : ذاك صريح الإيمان .

(٢٦) فى (أ) : سقطت كلمة : يكونون .

والفرق بين الأمرين واضح ، وهو أن كل من خالف النبى ﷺ فلا برهان له أصلًا ، فكلف المجىء بالبرهان تبكيتًا وتعجيزًا إن كانوا صادقين – وليسوا صادقين فلا برهان لهم ، وأما من اتبع ما جاء به رسول الله ﷺ فقد اتبع الحق الذى قامت البراهين بصحته هنا[٢٧] ودان بالصدق الذى قامت الحجة البالغة بوجوبه ، فسواء علم هو بذلك البرهان أو لم يعلم حسبه أنه على الحق الذى صح بالبرهان ، ولا برهان على ما سواه فهو محق مصيب[٢٨] والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم : ما لم يكن علمًا فهو شك ، وظن . والعلم هو اعتقاد الشىء على ما هو به عن ضرورة أو استدلال .

قالوا : والديانات لا تعرف صحتها بالحواس ولا بضرورة العقل ، فصح أنه لا تعرف صحتها إلا بالاستدلال[٢٩] فإن لم يستدل المرء فليس عالمًا ، وإذا لم يكن عالمًا فهو جاهل شاك ، أو ظان ، وإذا كان لا يعلم الدين فهو كافر .

قال أبو محمد : فهذا ليس كما قالوا لأنهم قضوا قضية باطلة فاسدة ، بنوا عليها هذا الاستدلال ، وهو اقحامهم فى حد العلم .

قولهم : عن ضرورة واستدلال ، فهذه زيادة فاسدة لا نوافقهم عليها ، ولا جاء بصحتها قرآن ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا لغة ، ولا طبيعة ، ولا قول صاحب .

وحد العلم على الحقيقة : أنه اعتقاد الشىء على ما هو به فقط ، فكل من اعتقد شيئا ما على ما هو به ولم يخالجه شك فيه فهو عالم به ، وسواء كان عن ضرورة حس ، أو عن بديهة عقل ، أو عن برهان استدلال ، أو عن تيسير الله عز وجل له ، وخلقه لذلك المعتقد فى قلبه ولا مزيد .

ولا يجوز ألبتة أن يكون محقق فى اعتقاد شىء كما هو ذلك الشىء وهو غير عالم به ، وهذا تناقض وفساد وتعارض – وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم فى حديث رسول الله ﷺ فى مساءلة الملك فلا حجة لهم فيه ، بل هو حجة عليهم كما هو .

لأن رسول الله ﷺ إنما قال فيه : فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو رسول الله » .

---

(٢٧) فى (خ) : بزيادة « هنا » .
(٢٨) فى (خ) : بزيادة مصيب .
(٢٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

ولم يقل عليه الصلاة والسلام فأما المستدل ، فحسبنا فوز المؤمن الموقن كيف كان إيمانه ويقينه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أما المنافق أو المرتاب » ولم يقل غير المستدل فيقول : سمعت الناس يقولون شيئا فقلته[٣٠]» فنعم هذا قولنا لأن المنافق والمرتاب ليسا موقنين ، ولا مؤمنين ، وهذه صفة مقلد للناس لا محقق ، فظهر أن هذا الخبر حجة عليهم كافية – وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم : إن الله عز وجل قد ذكر الاستدلال فى غير موضع من كتابه وأمر به ، وأوجب العلم به ، والعلم لا يكون الا عن استدلال ، فهذه أيضا زيادة أقحموها وهى قولهم : « وأمر به » فهذا لا يجدونه أبدًا ، ولكن الله تعالى ذكر الاستدلال وحض عليه ، ونحن لا ننكر الاستدلال بل هو فعل حسن مندوب إليه ، محضوض[٣١] عليه . كل من أطاقه ، لأنه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه إلى التصديق – نعوذ بالله عز وجل من البلاء وانما ننكر كونه فرضًا على كل أحد لا يصح إسلام أحد دونه هذا هو الباطل المحض .

وأما قولهم : إن الله تعالى أوجب العلم به فنعم .

وأما قولهم : والعلم لا يكون إلا عن استدلال فهذه هى الدعوة الكاذبة التى أبطلناها آنفًا وأول بطلانها أنها دعوى بلا برهان – وبالله تعالى العزيز الحكيم نتأيد .

قال أبو محمد : هذا كل ما شغبوا[٣٢] به قد نقضناه ، والحمد لله رب العاىمن . فسقط قولهم إذ تعرى من البرهان ، وكان دعوى منهم مفتراه لم يأت بها نص قط ، ولا إجماع ، وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : ونحن الآن ذاكرون بعون الله وتوفيقه وتأييده البراهين على بطلان قولهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال أبو محمد : يقال لمن قال لا يكون مسلما إلا من استدل أخبرنا متى يجب عليه فرض الاستدلال أقبل البلوغ أم بعده ؟. ولابد من أحد الأمرين ، فأما الطبرى فإنه أجاب بأن ذلك واجب قبل البلوغ .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن من لم يبلغ ليس مكلفًا ولا مخاطبًا ، وقد قال رسول الله ﷺ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ فذكر الصغِير حَتَّى يَحْتَلِمُ[٣٣]» فبطل جواب الطبرى رحمه الله .

---

(٣٠) هذا جزء من حديث طويل رواه ابن ماجه فى الزهد ٣٢ والترمذى فى الجنائز ٧٠ ورواه صاحب الموطأ فى الكسوف ٤ .

(٣١) فى (أ) : ممدود وهو تحريف .

(٣٢) فى (أ) : شعوا .

(٣٣) الحديث رواه البخارى فى الطلاق ١١ والحدود ٢٢ ، وأبو داود ١٧ والترمذى فى الحدود ١ ، والنسائى فى الطلاق ٢١ ، وابن ماجه فى الطلاق ١٥ والدارمى فى الحدود ١ ورواه أحمد بن حنبل جـ ١ ص ١١٦ ، ١١٨

وأما الأشعرية : فإنهم أتوا بما يملأ الفم ، وتقشعر منها جلود أهل الإسلام ، وتصطك[٣٤] منها المسامع ، ويقطع ما بين قائلها وما بين الله عز وجل ، وهى أنهم قالوا : لا يلزم طلب الأدلة إلا بعد البلوغ ، ولم يقنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة ، وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم فقالوا غير مساترين : لا يصح إسلام أحد حتى[٣٥] يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق .

قال أبو محمد : ما سمعنا قط فى الكفر والانسلاخ من الإسلام بأشنع من قول هؤلاء القوم ، أنه لا يكون أحد مسلمًا حتى يشك فى الله عز وجل ، وفى صحة النبوة ، وفى هل رسول الله ﷺ صادق أم كاذب ؟ ولا سمع قط سامع فى الهوس[٣٦]، والمناقضة ، والاستخفاف بالحقائق ، بأقبح من قول هؤلاء أنه لا يصح الإيمان الا بالكفر ، ولا يصح التصديق إلا بالجحد ، ولا يوصل إلى رضاء الله عز وجل إلا بالشك فيه ، وأن من اعتقد مؤقنًا بقلبه وبلسانه أن الله تعالى ربه لا إله إلا هو وأن محمدًا رسول الله وأن دين الإسلام دين الله ، الذى لا دين غيره فإنه كافر مشرك – اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان . فوالله لولا خذلان الله تعالى الذى هو غالب على أمره ما انطق[٣٧] لسان ذى مسكة بهذه العظيمة ، وهذا يكفى من تكلف النقض[٣٨] لهذه المقالة الملعونة ، ومن بلغ هذا المبلغ حسن السكوت عنه – ونعوذ بالله من الضلال .

ثم نقول لهم : أخبرونا عن هذا الذى أوجبتم عليه الشك فى الله فرضا[٣٩] والشك فى صحة النبوة والرسالة ، كم تكون هذه المدة التى أوجبتم عليه فى البقاء شاكا مستدلا طالبا للدلائل ؟ وكيف ان لم يجد فى قريته أو مدينته ولا فى إقليمه محسنا للدلائل ، فرحل طالبا للدلائل فاعترضته أهوال ومخاوف ، وتعذر[٤٠] بحرٍ أو برد أو مرض ، فاتصل له ذلك ساعات و أياما وجمعًا وشهورا وسنين . ما قولكم فى ذلك ؟

فإن حدوا فى المدة يومًا أو يومين ، أو ثلاثة ، أو أكثر من ذلك ، كانوا متحكمين بلا دليل ، وقائلين بلا هدى من الله تعالى .

---

(٣٤) فى (أ) : تصدأ .
(٣٥) فى (خ) : (إلا بأن يكون) .
(٣٦) فى (أ) : فى الهوى وهو تحريف والعجيب أن الكثير من مبادىء الفلسفة الحديثة فى الغرب خصوصًا ما يتصل منها بالجانب العقدى أو الاشراق منقول برمته من علماء المسلمين فمثلًا منهج الشك عند ديكارت هو بعينه الطريق إلى الشك الذى وضعه الغزالى ، والملاحظة والتجربة عند فرنسيس بيكون تكاد تكون قريبة مما قاله جابر بن حيان والحسن بن الهيثم . والكثير من علمائهم لا ينكرون هذه الحقيقة .
(٣٧) فى (أ) : ما انطلق .
(٣٨) فى (خ) : « النقص » بالصاد .
(٣٩) سقط من (أ) لفظ « الله » .
(٤٠) فى (أ) : من بحر وهو تحريف .

ولم يعجز أحد عن أن يقول فى تحديد تلك المدة بزيادة ، أو نقصان ، ومن بلغ هاهنا فقد ظهر فساد قوله .

وإن قالوا : لا نجد فى ذلك حدًا قلنا لهم : فإن امتد كذلك حتى يموت[٤١]، أو مات فى مدة استدلاله التى حددتم له ، وهو شاك فى الله تعالى ، وفى النبوة ، أيموت مؤمنًا وتجب له الجنة أم يموت كافرًا وتجب له النار ..؟

فإن قالوا : بل[٤٢] يموت مؤمنًا تجب له الجنة ، أتوا بأعظم الطوام ، وجعلوا الشكاك فى الله الذين هم عندهم شكاك مؤمنين من أهل الجنة ، وهذا كفر محض ، وتناقض لا خفاء به ، وكانوا مع ذلك قد سمحوا فى أن يبقى المرء دهره كله شاكا فى الله عز وجل ، وفى النبوة والرسالة .

فإن قالوا : بل يموت كافرًا تجب له النار .

قلنا لهم : لقد أمرتموه بما فيه هلاكه ، وأوجبتم عليه ما فيه دماره ، وما يفعل الشيطان إلا هذا فى أمره بما يؤدى إلى الخلود فى النار .

وإن قالوا : بل هو فى حكم أهل الفترة .

قلنا لهم : هذا باطل .

لأن أهل الفترة لم تأتيهم النذارة ولا بلغ إليهم خبر النبوة ، والنص إنما جاء فى أهل الفترة ، ومن زاد فى الخبر ما ليس فيه فقد كذب على الله عز وجل ، ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق .

ما حد الاستدلال الموجب لاسم الإيمان عندكم ؟ وقد يسمع دليلا عليه اعتراض أيجزيه[٤٣] ذلك الدليل أم لا ؟

فإن قالوا يجزيه . قلنا لهم : ومن أين وجب أن يجزيه وهو دليل معترض فيه ، وليس هذه الصفة من الدلائل مخرجه عن الجهل إلى العلم بل هى مؤديه[٤٤] إلى الشك الذى كان عليه قبل الاستدلال .

فإن قالوا : بل لا يجزيه الا حتي يوقن أنه قد وقع على دليل لا يمكن الاعتراض فيه ، كلفوا الناس[٤٥] ما ليس فى وسع أكثرهم ، وما لا يبلغه الا قليل من الناس ، فى طويل من الدهر وكثير من البحث .

---

(٤١) فى (أ) : حتى فنى عمره .
(٤٢) فى (أ) : سقط كلمة (بل) .
(٤٣) فى (أ) : الجزية وهو تحريف ظاهر .
(٤٤) فى (أ) : بل هى مردودة فى الشك .
(٤٥) سقط من (أ) كلمة : الناس .

ولقد درى الله تعالى أنهم أصغار من العلم بذلك ، يعنى أهل هذه المقالة الملعونة الخبيثة .

قال أبو محمد : ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة أنه لا يشك أحد ممن يدرى شيئا من السير من المسلمين واليهود ، والنصارى والمجوس ، والمنانية والدهرية ، فى أن رسول الله ﷺ مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير إلى الإيمان بالله تعالى ، وبما أتى به ويقاتل من أهل الأرض من قاتله ممن عنده ويستحل سفك دمائهم ، وسبى نسائهم وأولادهم ، وأخذ أموالهم ، متقربًا إلى الله تعالى بذلك وأخذ الجزية وإصغاره[٤٦] ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده ، ويحكم له بحكم الإسلام ، وفيهم المرأة البدوية ، والراعى ، والراعية ، والغلام الصحراوى الوحشى ، والزنجى المسبى ، والزنجية المجلوبة ، والرومى ، والرومية ، والأغبر[٤٧] الجاهل ، والضعيف فى فهمه ، فما منهم أحد ، ولا من غيرهم .

قال له عليه السلام : إنى لا أقبل إسلامك ولا يصح لك دين إلا حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه .

قال أبو محمد : لسنا نقول : إنه لم يبلغنا أنه عليه السلام قال ذلك لأحد بل نقطع نحن وجميع أهل الأرض ، قطعا كقطعنا على ما شاهدناه أنه عليه السلام لم يقل قط هذا لأحد ، ولا رد إسلام أحد حتى يستدل ، ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضى الله عنهم ، أولهم عن آخرهم ، ولا يختلف أحد فى هذا الأمر .

ثم جميع أهل الأرض إلى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون عليه السلام يغفل أن يبين للناس ما لا يصح لأحد الإسلام الا به ، ثم تتفق على اغفال ذلك أو تعمد عدم[٤٨] ذكره جميع أهل الإسلام وتنبه له هؤلاء الأشقياء .

ومن ظن أنه وقع من الدين على ما لم يقع عليه رسول الله ﷺ فهو كافر بلا خلاف .

فصح أن هذه المقالة خرق[٤٩] للإجماع ، وخلاف لله تعالى ولرسوله ﷺ .

وجميع أهل الإسلام قاطبة .

فإن قالوا : فما كانت حاجة الناس إلى الآيات المعجزات ، وإلى احتجاج الله عز وجل عليهم بالقرآن ، واعجازه به ، وبدعاء اليهود إلى تمنى الموت ، ودعاء النصارى إلى المباهلة ، وشق القمر ؟

---

(٤٦) فى (أ) : وأصفاره بالفاء وهو تحريف ظاهر .
(٤٧) فى (أ) : الأغثر : وهو تحريف .
(٤٨) سقط من (خ) كلمة : عدم .
(٤٩) فى (أ) . خلاف .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : قد قلنا[٥٠]: إن الناس قسمان : قسم لم تسكن نفوسهم[٥١] إلى الإسلام ، ولا دخلها التصديق ، فطلبوا منه عليه السلام البراهين فأراهم المعجزات فانقسموا قسمين طائفة آمنت ، وطائفة عندت وجاهرت فكفرت ، وأهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الأدلة[٥٢] فرضًا ولابد كما قدمنا[٥٣].

وقسم آخر : وفقهم الله تعالى لتصديقه عليه السلام وخلق عز وجل فى نفوسهم الإيمان كما قال تعالى – بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين[٥٤]» فهؤلاء آمنوا له عليه السلام بلا تكليف [آية ، وأهل هذه الصفة هم اليوم المعتقدون للإسلام حقًا بلا معرفة باستدلال][٥٥].

قال أبو محمد : ويلزم أهل هذه المقالة أن جميع أهل الأرض كفار إلا الأقل ، وقد قال بعضهم إنهم مستدلون .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة هو يدرى أنه فيها كاذب ، وكل من سمعه يدرى أنه فيها كاذب لأن أكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدرى معنى الاستدلال فكيف أن يستعمله ...؟

قال أبو محمد : ويلزم من قال بهذه المقالة أن لا يأكل من اللحم إلا ما ذبحه هو أو من يدرى أنه مستدل ، وأن لا يطأ إلا زوجة يدرى أنها مستدلة . ويلزمه أن يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله ، وأن يفاق امرأته التى تزوج فى تلك المدة ، وأن لا يرث أخاه ولا أباه ولا أمه ، إلا أن يكونوا مستدلين ، وأن يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيله ، وعمل المغيرية والمنصورية فى خنق[٥٦] كل من أمكنهم وقتله ، وأن يستحلوا أموال أهل الأرض ، بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله لأن جهاد الكفار فرض وهذا كله إن التزموه طردوا أصولهم ، وكفونا[٥٧] أنفسهم ، وإن لم يقولوا بذلك تناقضوا .

فصح أن كل من اعتقد الإسلام بقلبه ، ونطق به بلسانه ، فهو مؤمن عند الله عز وجل ، ومن أهل الجنة ، سواء كان ذلك عن قبول ، أو نشأة ، أو عن استدلال ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥٠) فى (أ) : سقط كلمة : قد قلنا .
(٥١) فى (أ) : قلوبهم .
(٥٢) فى (أ) : الاستدلال .
(٥٣) فى (أ) : كما قدمنا .
(٥٤) سورة الحجرات آية رقم ١٧
(٥٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٥٦) فى (أ) : فى ذبح .
(٥٧) فى (أ) : وكفروا أنفسهم .

وأيضا فنقول لهم : هل استدل من مخالفيكم فى أقوالكم التى تدينون بها أحد أم لم يستدل قط أحد غيركم ؟ فلابد من اقرارهم بأن مخالفيهم أيضا قد استدلوا وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل ولا فرق[٥٨] وأنتم عندهم أيضا مخطئون .

فإن قالوا : إن الادلة أمنتنا من أن نكون مخطئين .

قلنا لهم : وهذا نفسه هو قول خصومكم فإنهم يدعون أن أدلتهم دلتهم[٥٩] على صواب قولهم ، وخطأ قولكم ، ولا فرق . مازالوا على هذه الدعوى مذ كانوا إلى يومنا هذا ، فما نراكم حصلتم من استدلالكم إلا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق .

فإن قالوا لنا : فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة وتبطل الدلائل[٦٠] كافة :

قلنا : معاذ الله من هذا .

لكن أريناك أنه قد يستدل من يخطىء ، وقد يستدل من يصيب ، بتوفيق الله تعالى فقط .

وقد لا يستدل من يخطىء ، وقد لا يستدل من يصيب ، بتوفيق الله تعالى ، وكل ميسر لما خلق له .

والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة ، فمن وفق للحق[٦١] الذى قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب ، محق ، مؤمن ، استدل أو لم يستدل .

ومن يسر للباطل ، الذى قام البرهان عند غيره ببطلانه ، فهو مبطل مخطىء ، أو كافر ، سواء استدل أو لم يستدل ، وهذا هو الذى قامت[٦٢] البراهين بصحته .

والحمد لله رب العالمين . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥٨) سقط من (أ) ولا فرق .
(٥٩) سقط من (أ) كلمة : دلتهم .
(٦٠) فى (أ) : الدليل .
(٦١) فى (أ) : فمن وافق الحق .
(٦٢) فى (أ) : قام البرهان .

الكلام فى الوعد والوعيد

قال أبو محمد : اختلف الناس فى الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول . منهم من قال : إن صاحب الكبيرة ليس مؤمنًا ولكنه كافر أو فاسق أو كافر نعمة أى[1] أن كل من مات مصرًا على كبيرة من الكبائر فلم يمت مسلمًا ، وإذا لم يمت مسلمًا فهو مخلد فى النار أبدًا .

وأن من مات ولا كبيرة له ، أو تاب عن كبائره قبل موته فإنه[2] مؤمن من أهل الجنة لا يدخل النار أصلا .

ومنهم من قال بأن كل ذنب صغير أو كبير فهو مخرج عن الإيمان والإسلام فإن مات عليه فهو غير مسلم . وغير المسلم فهو[3] مخلد فى النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة .

إلا أن بكر بن أخت[4] عبد الواحد بن زيد قال فى طلحة[5]، والزبير[6] رضى الله عنهما ، أنهما كافران من أهل الجنة لأنهما من أهل بدر ، وقد قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال لأهل بدر « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[7]» .

قال : فأهل بدر إن كفروا فمغفور لهم ، لأنهم بخلاف غيرهم وقال بعض المرجئة :

---

(١) سقط من (أ) أو كافر نعمة أى .

(٢) فى (خ) : فهو .

(٣) سقط من (أ) فهو .

(٤) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٦١

(٥) هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ، ويكنى أبا محمد أسلم مبكرًا وقتل فى معركة الجمل راجع ترجمة وافية له فى طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ٢١٤ إلى ٢٢٥ .

(٦) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قص ، وقال عنه الرسول - ﷺ « لكل بنى حوارى وإن حواريى الزبير ، قتل عند انصرافه من معركة الحمل راجع ترجمته فى طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٠٠ ومابعدها .

(٧) الحديث أخرجه مسلم ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٠٣/٩ ، ٣٠٤ ونسبه لأبى يعلى فى الكبير ، والبزار والطبرانى فى الأوسط وقال الهيثمى ورجالهم رجال الصحاح . راجع جامع الأصول حـ ٨ ص ٣٦٢ .

لا تضر مع الإسلام سيئة ، كما لا ينفع مع الكفر حسنة قالوا : فكل مسلم ولو بلغ كل[٨] معصية فهو من أهل الجنة ، لا يرى نارًا ، وإنما النار للكفار ، وَكِلا هاتين الطائفتين لا تقر بأن أحدًا يدخل النار ثم يخرج عنها ، بل من دخل النار فهو مخلد فيها أبدًا ، ومن كان من أهل الجنة فهو لا يدخل النار .

وقال أهل السنة والحسين النجار[٩] وأصحابه وبشر بن غياث المريسى[١٠]، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن كيسان الأصم البصرى[١١]، وغيلان بن مروان[١٢] الدمشقى القدرى ، ومحمد ابن شبيب[١٣]، ويونس بن عمران[١٤]، وأبو العباس الناشيء[١٥]، والأشعرى[١٦]، وأصحابه ، ومحمد ابن كرام[١٧]، وأصحابه ، أن الكفار مخلدون فى النار ، وأن المؤمنين كلهم فى الجنة ، وإن كانوا أصحاب كبائر ماتوا مصرين عليها .

وأنهم طائفتان ، طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها أى من النار إلى الجنة ، وطائفة لا تدخل النار ، إلا أن كل من ذكرنا قالوا لله عز وجل أن يعذب من شاء من المؤمنين أصحاب الكبائر بالنار ثم يدخلون الجنة ، وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم ، ثم افترقوا فقالت طائفة منهم وهو محمد بن شبيب ، ويونس ، والناشيء ، إن عذب الله تعالى واحدًا من أصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ، ثم أدخلهم الجنة ، وإن غفر لواحد منهم غفر لجميعهم ولابد .

وقالت طائفة : بل يعذب من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، وإن كانت ذنوبهم كثيرة مستوية .

وقد يغفر لمن هو أعظم جرمًا ، ويعذب من هو أقل جرمًا .

وقال ابن عباس وابن عمر[١٨] رضى الله عنهم يغفر لمن يشاء من أصحاب الكبائر ، ويعذب من يشاء منهم ، إلا القاتل عمدًا فإنه مخلد فى النار أبدًا .

(٨) فى (أ) : على .

(٩) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٧

(١٠) بشر بن غياث المريسى ت سنة ٢١٨ هـ راجع ترجمة له وافية فى الجزء الثالث ص ٣٣

(١١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(١٢) غيلان بن مسلم الدمشقى أبو مروان : تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية ، وهو ثانى من تكلم فى القدر ودعا إليه قال الشهرستانى : كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد ، وفى الإمامة أنها تصلح فى غير قريش وتوفى بعد ١٠٥ هـ الملل والنحل حـ ١ ص ٢٢٧

(١٣) محمد بن شبيب : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(١٤) يونس بن عمران : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(١٥) أبو العباس الناشيء ت ٢٦٦ هـ راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(١٦) الأشعرى : راجع ترجمته فى هذا الكتاب حـ ٣ ص ١٣

(١٧) محمد بن كرام راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٢٧

(١٨) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، أبو عبد الرحمن . صحابى . نشأ فى الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ، ومولده ووفاته فيها ، أفتى الناس فى الإسلام ستين سنة ، وغزا افريقيا مرتين ، وكفّ بصره فى آخر حياته ، وهو آخر من توفى بمكة من الصحابة سنة ٧٣ هـ له فى كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا . الاصابة فى تمييز الصحابة ت ٤٨٢٥

وقالت طائفة منهم : من لقى الله عز وجل مسلمًا تائبًا من كل كبيرة أو لم يكن عمل كبيرة قط فسيئاته كلها مغفورة ، وهو من أهل الجنة ، لا يدخل النار ، ولو بلغت سيئاته ما شاء الله أن تبلغ ، ومن لقى الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فأكثر ، فالحكم فى ذلك الموازنة .

فمن رجحت حسناته على كبائره ، وسيئاته ، فإن كبائره وسيئاته كلها تسقط وهو من أهل الجنة لا يدخل النار ، ومن[19] استوت حسناته مع كبائره ، وسيئاته ، فهؤلاء أهل الأعراف ، ولهم وقفة ولا يدخلون النار ، ثم يدخلون الجنة .

ومن رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ، فهؤلاء مجازون بقدر ما رجح لهم من الذنوب ، فمن لفحة واحدة إلى بقاء خمسين ألف سنة فى النار ، ثم يخرجون منها إلى الجنة بشفاعة رسول الله ﷺ ، وبرحمة الله تعالى .

وكل من ذكرنا يجازون فى الجنة بقدر ما فضل لهم من الحسنات ، وأما من لم يفضل له حسنة من أهل الاعراف فمن[20] دونهم ، وكل من خرج من النار بالشفاعة وبرحمة الله تعالى فهم كلهم سواء فى الجنة ، ولكل امرىء منهم مثل الدنيا عشر مرات وهم أقل خطأ فى الجنة[21] ممن رجحت له حسنة فصاعدا .

قال أبو محمد : فأما من قال : بأن صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك ، فإن حجتهم قول الله عز وجل : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[22] » .

وقوله تعالى « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار[23] » .

وقوله تعالى « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[24] » .

وقوله تعالى : « ومن يعصى الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدا فيها[25] » .

---

(١٩) فى (أ) : وإن .
(٢٠) فى (خ) : لمن .
(٢١) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢٢) سورة يونس ٦٢
(٢٣) سورة النمل آية رقم ٩٠
(٢٤) سورة يونس آية رقم ٢٧
(٢٥) سورة النساء آية رقم ١٤

وبقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما[٢٦] » .

وقوله « ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن[٢٧] » .

وقوله تعالى « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا[٢٨] » .

وقوله تعالى « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة[٢٩] الآية » .

وقوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره إلا منحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير[٣٠] » .

وقوله « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا ... إلى قوله تعالى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم[٣١] » .

وقوله تعالى « الذين يأكلون الربا[٣٢].. الآية .

وذكروا أحاديث صحت عن النبى ﷺ فى وعيد شارب الخمر وقاتل الهرة ، ومن قتل نفسه بسم أو حديدة أو تردى من جبل ، فإنه يفعل ذلك به فى جهنم خالدًا ، ومن قتل نفسه حرم الله عليه الجنة ، وأوجب له النار .

وذكروا أن الكبيرة تزيل إسم الإيمان ، فبعضهم قال إلى شرك ، وبعضهم قال إلى كفر نعمة ، وبعضهم قال إلى نفاق ، وبعضهم قال إلى فسق قالوا فإذ ليس مؤمنا فلا يدخل الجنة ، لأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة أصلا غير ما ذكرنا ، وأما من خص القاتل بالتخليد فإنهم احتجوا بقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم

---

(٢٦) سورة النساء آية رقم ٩٣
(٢٧) سورة الفرقان آية رقم ٦٨
(٢٨) سورة النساء آية رقم ١٠
(٢٩) سورة النور آية رقم ٢٣
(٣٠) سورة الأنفال آية رقم ١٦
(٣١) سورة المائدة آية رقم ٣٣
(٣٢) سورة البقرة آية رقم ٢٧٥

خالدًا فيها[٣٣]» فقط وأما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فانهم[٣٤] احتجوا بقول الله تعالى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى[٣٥]» .

قالوا : وهذه الآية مثبتة أن كل من توعده الله عز وجل على قتل أو زنا أو ربا أو غير ذلك فإنما هم الكفار خاصة لا غيرهم . واحتجوا بقول رسول الله ﷺ : من قال لا إله إلا الله حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة » . « ومن قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه دخل الجنة وإن زنا وإن سرق وإن شرب الخمر ، على رغم أنف أبى ذر[٣٦]» .

وقول الله عز وجل : « إن رحمة الله قريب من المحسنين[٣٧]» .

قالوا : ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد أحسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه ، ومن رحمه الله فلا يعذب وقالوا : كما أن الكفر محبط لكل حسنة ، فإن الإيمان يكفر كل سيئة — والرحمة والعفو أولى بالله عز وجل .

قال أبو محمد : هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا أصلًا أو يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه . وبالله تعالى التوفيق .

وأما من قال : إن الله تعالى يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وقد يعذب من هو أقل ذنوبًا ممن يغفر لهم فإنهم احتجوا بقول الله عز وجل « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[٣٨]» وبعموم قوله تعالى : « يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء[٣٩]» وبقول رسول الله ﷺ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتبهن الله عَلَى الْعَبْدِ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنَ حُدُودِهن شَيْئًا كَانَ لَهُ عِنْدَ الله عهد أَنْ يُدْخِلَه الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهنَّ لَمْ يَكُنْ له عِنْد الله عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَه ، وإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ[٤٠]» وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا قاضيتين على جميع الآيات التى تعلقت بها سائر الطوائف ، وقالوا لله الأمر كله لا معقب لحكمه فهو يفعل ما يشاء ما نعلم لهم حجة غير ما ذكرنا .

---

(٣٣) سورة النساء آية رقم ٩٣

(٣٤) فى (أ) : سقطت كلمة : فانهم .

(٣٥) سورة الليل آية رقم ١٥

(٣٦) الحديث رواه مسلم فى الإيمان رقم ١٥٤ ، والبخارى فى اللباس رقم ٢٤ ولفظه عند مسلم من قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق ثلاثًا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر .

(٣٧) سورة الأعراف آية رقم ٥٦

(٣٨) سورة النساء آية رقم ٤٨

(٣٩) سورة آل عمران آية رقم ١٢٩

(٤٠) هذا الحديث تم تخريجه فى ص ١٤٦

قال أبو محمد : وأما من قال بمثل هذا الا أنه قال الله تعالى إن عذب واحدًا منهم عذب الجميع ، وإن غفر لواحد منهم غفر للجميع ، فإنهم قدرية ، جنحوا[٤١] بهذا القول نحو العدل ، ورأوا أن المغفرة لواحد ، وتعذيب من له مثل ذنوبه جور ، ومحاباة ، ولا يوصف الله عز وجل بذلك .

وأما من قال بالموازنة فإنهم احتجوا فقالوا : إن آيات الوعيد ، وأخبار الوعيد ، التى احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة ، والخوارج ، فإنها لا يجوز أن تخص بالتعليق بها دون آيات العفو ، وأحاديث العفو التى احتج بها من أسقط الوعيد ، [وكذلك الآيات التى احتج بها من اسقط الوعيد][٤٢] لا يجوز[٤٣] التعلق بها ، دون الآيات التى احتج بها من أثبت الوعيد بل الواجب جمع جميع تلك الآيات ، وتلك الأخبار ، وكلها حق ولكها من عند الله ، وكلها مجمل يفسرها آيات الموازنة ، وأحاديث الشفاعة ، التى هى بيان لعموم تلك الآيات ، وتلك الأخبار ، وكلها من عند الله ، قالوا : ووجدنا الله عز وجل قد قال : « يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحد[٤٤]» .

وقال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا ، وإن كان مثقال حبة من خردل[٤٥] — الآية .

وقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره[٤٦]» .

وقال تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم[٤٧]» .

وقال تعالى : « فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا[٤٨] — الآية » .

وقال تعالى : « ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب[٤٩]» .

وقال تعالى : « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون[٥٠]» .

---

(٤١) فى (ح) : نحوا .
(٤٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٤٣) فى (أ) : بزيادة : هى .
(٤٤) سورة الكهف آية رقم ٤٩
(٤٥) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧
(٤٦) سورة الزلزلة آية رقم ٧ ، ٨
(٤٧) البقرة آية رقم ١٤٣
(٤٨) سورة يس آية رقم ٥٣ ، ٥٤
(٤٩) سورة إبراهيم آية رقم ٥١
(٥٠) سورة البقرة آية رقم ٢٨١ ولقد جاءت هده الآية محرفة فى الأصل بزيادة (واو) .

وقال تعالى : « لتجزى كل نفس بما تسعى[٥١] » .

وقال تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى – إلى قوله الجزاء الأوفى[٥٢] » .

وقال تعالى : « وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك[٥٣] » .

وقال تعالى : « ليجزى الذين أساؤا بما عملوا[٥٤] – الآية » .

وقال تعالى : « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت[٥٥] » .

وقال تعالى : « وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم[٥٦] » .

وقال تعالى : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله – الآية[٥٧] » .

وقال تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له – الآية[٥٨] » .

وقال تعالى : « وما يفعلوا من خير فلن يكفروه[٥٩] » .

وقال تعالى : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتى من لدنه أجرا عظيما[٦٠] » .

وقال تعالى : « إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى[٦١] » .

وقال تعالى : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد[٦٢] إلى قوله تعالى : قال قرينه ربنا أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد إلى قوله تعالى : وما أنا بظلام للعبيد[٦٣] » .

---

(٥١) سورة طه آية رقم ١٥
(٥٢) سورة النجم آية رقم ٣٩ إلى ٤١
(٥٣) سورة الطور آية رقم ٤٧
(٥٤) سورة النجم آية رقم ٣١
(٥٥) سورة يونس آية رقم ٣٠
(٥٦) سورة هود آية رقم ١١١
(٥٧) سورة المزمل آية رقم ٢٠
(٥٨) سورة النساء آية رقم ١٢٣
(٥٩) سورة آل عمران آية رقم ١١٥
(٦٠) سورة النساء آية رقم ٤٠
(٦١) سورة آل عمران آية رقم ١٩٥
(٦٢) سورة ق آية رقم ٢١
(٦٣) سورة ق آية رقم من ٢٢ إلى ٢٩

وقال تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية » وأما من خفت موازينه[٦٤]... إلى آخر السوة .

وقال تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات[٦٥] » .

وقال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم[٦٦] » .

وقال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها[٦٧] » .

وقال تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم[٦٨] » .

هذا نص كلامه يوم القيامة ، وهو القاضى على كل مجمل قالوا : فنص الله عز وجل أنه يضع الموازين القسط ، وأنه لا يظلم أحدا شيئا ، ولا مثقال حبة خردل ، ولا مثقال ذرة من خير ، أو من شر ، فصح أن السيئة لا تحبط الحسنة ، وأن الإيمان لا يسقط الكبائر .

ونص الله تعالى أنه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وأنه ليس لأحد إلا ما سعى وأنه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسنى ، وأنه تعالى يوفى الناس أعمالهم ، فدخل فى ذلك الخير والشر .

وأنه تعالى يجازى بكل خير عمل[٦٩] وبكل سوء عمل ، وهذا كله يبطل قول من قال بالتخليد ضرورة ، وقول من قال باسقاط الوعيد جملة ، لأن المعتزلة تقول : إن الإيمان يضيع ويحبط . وهذا خلاف قول الله تعالى إنه لا يضيع إيماننا ولا عمل عامل منا .

وقالوا هم : ان الخير ساقط بسيئة واحدة .

وقوله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات[٧٠] » .

فقالوا هم : إن السيئات يذهبن الحسنات .

وقد نص تعالى أن الأعمال لا يحبطها إلا الشرك والموت عليه .

---

(٦٤) سورة القارعة آية رقم ٦ إلى ١١
(٦٥) سورة هود آية رقم ١١٤
(٦٦) سورة البقرة آية رقم ٢١٧
(٦٧) سورة الأنعام رقم ١٦٠
(٦٨) سورة غافر آية رقم ١٧ وقد جاءت الآية محرفة فى الأصل بنقص (الباء) فى بما .
(٦٩) فى (أ) : سقطت كلمة (عمل) .
(٧٠) سورة هود آية رقم ١١٤

وقال تعالى : « من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها[٧١] » .

فلو كانت كل سيئة ، أو كل[٧٢] كبيرة ، توجب الخلود فى جهنم ، وتحبط الأعمال الحسنة ، لكانت كل سيئة ، أو كل كبيرة كفرا ، ولتساوت السيئات كلها ، وهذا خلاف النصوص ، وعلمنا بما ذكرنا أن الذين قال الله تعالى فيهم : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٧٣] » .

هم الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم ، فسقط كل سيئة قدموها وصح أن قوله تعالى ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار[٧٤] » هم من رجحت كبائرهم حسناتهم ، وأن السيئة الموجبة للخلود هى الكفر ، لأن النصوص جاءت بتقسيم السيئات . فقال تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم[٧٥] » فهذه سيئات مغفورة باجتناب الكبائر .

وقال تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها[٧٦] » .

وقال تعالى : « ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره[٧٧] » .

فأخبر تعالى أن من السيئات المجازى بها ما هو مقدار ذرة ، ومنها ما هو أكبر . ولا شك[٧٨] فى أن الكفر أكبر السيئات ، فلو كانت كل كبيرة جزاؤها الخلود ، لكانت كلها كفرًا ولكانت كلها سواء ، وليست كذلك بالنص .

وأما وعيد الله بالخلود فى القاتل وغيره ، فلو لم يأت إلا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها ، لكنه قد قال تعالى – لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى[٧٩] » وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض ، وقد صح أن القاتل ليس كافرًا ، وأن الزانى ليس كافرًا ، وأن أصحاب تلك الذنوب المتوعد عليها ليسوا كفارًا بما ذكرنا قبل من أنهم مباح لهم نكاح المسلمات ، وأنهم مأمورون بالصلوات ، وأن زكاة أموالهم مقبوضة ، وأنهم لا يقتلون ، وأنه إن عفى عن القاتل فقتله مسلم فإنه يقتل به ، وأنه يرث ، ويورث ، وتؤكل ذبيحته ، فإذ ليس كافرًا فبيقين ندرى أن خلوده إنما هو مقام مدة ما ، وأن الصلى الذى نفاه الله تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى إنما هو صلى الخلود ، ولا يجوز ألبتة غير هذا .

(٧١) سورة الأنعام آية رقم ١٦٠
(٧٢) سقط من (أ) كلمة (كل) .
(٧٣) سورة البقرة آية رقم ٦٢
(٧٤) سورة النمل آية رقم ٩٠
(٧٥) سورة النساء آية رقم ٣١
(٧٦) سورة الشورى آية رقم ٤٠
(٧٧) سورة الزلزلة آية رقم ٨ .
(٧٨) سقط من (أ) (فى) .
(٧٩) سورة الليل آية رقم ١٥

وبهذا تتآلف النصوص وتتفق ومن المعهود فى المخاطبة أن من وفد من بلد إلى بلد فحبس فيه مدة ما لأمر أوجب احتباسه فيه مدة ما ، فإنه ليس من أهل ذلك البلد الذى حبس فيه ، فمن دخل فى النار ثم أخرج منها فقد انقضى[٨٠] عنه صلبها ، فليس من أهلها ، وإنما أهلها ، وأهل صليها على الاطلاق ، والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبدا ، فهكذا جاء فى الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ، ثم يخرج منها ، ثم قال ﷺ : وأما أهل النار الذين هم أهلها[٨١] — يعنى الكفار المخلدين فيها .

وقد قال عز وجل « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا[٨٢] » . فقد بين عليه السلام ذلك بقوله فى الخبر الصحيح : « ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم[٨٣] » فالبقران وكلام رسول الله ﷺ صح أن ممر الناس من محشرهم إلى الجنة إنما هو بخوضهم وسط جهنم ، وينجى الله تعالى أولياءه من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أولهم كبائر تابوا عنها ، ورجحت حسناتهم بكبائرهم ، أو تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم ، وأنه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ، ثم يخرجهم عنها إلى الجنة بإيمانهم ، ويمحق الكفار بتخليدهم فى النار ، كما قال تعالى : « وليمحص الله الذين آمنوا يمحق الكافرين[٨٤] » وأيضا فإن كل آية وعيد ، وخبر وعيد ، تعلق به من قال بتخليد المذنبين فإن المحتجين بتلك النصوص هم أول مخالف لها ، لأنهم يقولون إن من أتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد ، فقد تركوا ظاهر تلك النصوص . فإن قالوا : إنما قلنا ذلك بنصوص أخر أوجبت ذلك . قيل لهم : نعم . وكذلك فعلنا نحن[٨٥] بنصوص أخر ، وهى آيات الموازنة ، وأنه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير أو شر ولا فرق . ويقال لمن أسقط آيات الوعيد جملة ، وقال إنها كلها إنما جاءت فى الكفار ، إنَّ هذا باطل لأن نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ، ليس إلا على المؤمن بيقين ، وبنص الآية فى قوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره[٨٦] » .

ولا يمكن أن يكون هذا فى كافر أصلا ، فسقط قول من قال بالتخليد ، وقول من قال باسقاط الوعيد ، ولم يبق إلا قول من أجمل جواز المغفرة ، وجواز[٨٧] العقاب .

---

(٨٠) فى (خ) : انقطع .
(٨١) فى (أ) : فيها .
(٨٢) سورة مريم آية رقم ٧١
(٨٣) الحديث رواه البخارى فى الآذان ١٢٩ والتوحيد ٢٤ ، ورواه مسلم فى الإيمان ٢٩٩ وابن ماجه فى الزهد ٣٣ واحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢٩٢
(٨٤) سورة آل عمران آية رقم ١٤١
(٨٥) سقط من (أ) كلمة (نحن) .
(٨٦) سورة الأنفال آية رقم ١٦
(٨٧) فى (أ) : وجوز العقات .

قال أبو محمد : فوجدنا هذا القول مجملًا قد فسرته آيات الموازنة ، وقوله تعالى الذى تعلقوا به « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[٨٨]» حق على ظاهرها ، وعلى عمومها ، وقد فسرتها باقرارهم آيات أخر ، لأنه لا يختلف فى أن الله تعالى يغفر أن يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك .

وكذلك قوله تعالى « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

فهذا كله حق إلا أنه قد بين من هم الذين شاء أن يغفر لهم ، فإن صرتم إلى بيان الله تعالى فهو الحق ، وإن أبيتم إلا الثبات على الإجمال فأخبرونا عن قول الله تعالى : « يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا[٨٩]» .

وقوله تعالى : « بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء[٩٠]» .

أترون أن هذا العموم تقولون به فتجيزون أن يغفر الكفر لأنه ذنب من الذنوب أم لا ؟ وأخبرونا عن قول الله عز وجل حاكيا عن عيسى عليه السلام ، أنه يقول له تعالى يوم القيامة : « يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك .. إلى قوله : وأنت على كل شيء شهيد[٩١]... إلى قوله تجرى من تحتها الأنهار[٩٢] أيدخل النصارى الذين اتخذوا عيسى وأمه آلهين من دون الله تعالى فى جواز المغفرة لهم وقد صدقه الله تعالى فى هذا القول من التخيير بين المغفرة لهم[٩٣] أو يعذبهم ؟ وأخبرونا عن قوله تعالى : « قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة[٩٤]» .

فمن قولهم : إن المغفرة لا تكون ألبتة لمن كفر ومات كافرا ، وأنهم خارجون من هذا العموم ، ومن هذه الجملة بقوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[٩٥]» .

---

(٨٨) سورة النساء آية رقم ٤٨ و ١١٦
(٨٩) سورة الزمر آية رقم ٥٣
(٩٠) سورة المائدة آية رقم ١٨
(٩١) سورة المائدة آية رقم ١١٦ ، ١١٧
(٩٢) سورة المائدة آية رقم ١١٨
(٩٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٩٤) سورة الأعراف آية رقم ١٥٦
(٩٥) سورة النساء آية رقم ٤٨

قيل لهم : ولم خصصتم هذه الجملة بهذا النص ؟ ولم تخصصوا قوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ؟

بقوله : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية[٩٦] » .

وبقوله تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون[٩٧] » .

وبقوله تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت[٩٨] » .

وهذا خبر لا نسخ فيه . فإن قالوا : نعم إلا أن يشاء أن يغفر لهم . قيل لهم : قد أخبر الله تعالى أنه لا يشاء ذلك باخباره تعالى إنه فى ذلك اليوم يجزى كل نفس ما كسبت ولا فرق .

قال أبو محمد : « وقد أخبر النبى ﷺ أَنَّ الرَّجُلَ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ صَدَقَةٌ ، وَصِيَامٌ ، وَصَلَاة ، فَيُوجَد قَدْ سَفَكَ دَمَ هَذَا ، وشَتَمَ هَذا ، فَتُؤْخَذ حَسَنَاتُه كُلُها ، فيقْتصُ لَهُمْ مِنَها ، فَإذِا لَمْ يَبْقَ لَهُ حَسَنَةٌ قُذِفَ مِنْ سَيِّئَاتِهم عَلْيهِ وَرُمِىَ فِى النَّارِ[٩٩] » .

وهكذا أخبر عليه السلام فى قوم يخرجون من النار حتى إذا نقوا وهذبوا أدخلوا الجنة[١٠٠] .

وقد بين عليه السلام ذلك بأنه يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِى قَلْبِه مِثْقَالَ حَبَّة شِعَير مِنْ خِيرٍ ثُمَّ مَنْ فى قَلْبِه مِثْقَالَ بُرَّة مِنْ خير ، ثُمَّ مَنْ فى قَلْبه مِثْقَال حَبَّة مِنْ خَرْدَلٍ ، ثُمَّ مَنْ فِى قَلْبِه مِثْقَالَ ذَرَّة ... إلى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ مَنْ لَا يَعْملَ خَيراً قط إِلَّا شَهَادَةَ الإِسْلَامِ[١٠١] » .

فوجب الوقوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل ثم يقال[١٠٢] لهم : أخبرونا عمن لم يعمل شرًا قط إلا اللمم ، ومن هَمَّ بالشر فلم يفعله ..؟ فمن قول أهل الحق : إنه مغفور

---

(٩٦) سورة القارعة آية رقم ٦ ، ٧

(٩٧) سورة النمل آية رقم ٩٠

(٩٨) سورة غافر آية رقم ١٧

(٩٩) الحديث رواه مسلم فى البر رقم ٦٠ والترمذى فى القيامة ٢ وأحمد بن حنبل حـ ٣ ص ٣٧٢ ولفظه عند مسلم قال : أتدرون من المفلس قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من حطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار .

(١٠٠) الحديث رواه البخارى فى المظالم ١ والرقاق ٤٨ ، ورواه الإمام أحمد بن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ١٣ ، ٦٣ ، ٧٤

(١٠١) الحديث رواه مسلم فى الإيمان ١٤٨ وأبو داود ٣٦ والترمذى فى البر ٦١ وابن ماجه فى المقدمة ٩ ، والفتن ٣٧ والزهد ١٦ ولفظه عند ابى ماجه : اخرجوا من كان فى قلبه وزن دنيار من الإيمان ، ثم من كان فى قلبه وزن نصف دينار ثم من كان فى قلبه مثقال حبة من حردل .

(١٠٢) سقط من (أ) كلمة : لهم .

له جملة ، بقوله تعالى : « إلا اللمم[١٠٣]» وبقول رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تخرجه بقول أو عمل[١٠٤]» .

قال أبو محمد : وهذا ينقسم أقساما أحدها : من هم بسيئة أى شيء كانت من السيئات ، ثم تركها مختارًا لله تعالى ، فهذا تكتب له حسنة ، فإن تركها مغلوبا لا مختارا لم تكتب له حسنة ، ولا سيئة تفضلًا من الله عز وجل ، ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ، ولو هم بحسنة ولم يعملها ، كتبت له حسنة واحدة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها[١٠٥].

وهذا كله نص كلام[١٠٦] رسول الله ﷺ وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب إلى أن الهم بالسيئة اصرار عليها ، فقلت له : هذا خطأ لأن الإصرار لا يكون إلا على ما قد فعله المرء بعد تماد على نية[١٠٧] أن يفعله ، وأما من هم بما لم يفعل بعد فليس إصرارًا .

قال الله تعالى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون[١٠٨]» ثم نسألهم عن عمل السيئات ، حاشا الكبائر عددًا عظيمًا ولم يأت كبيرة قط ومات على ذلك ، أيجوِّزون[١٠٩] أن يعذبه الله تعالى على ما عمل من السيئات أم تقولون إنها مغفورة له ولابد ..؟

فإن قالوا : إنها مغفورة له[١١٠] ولابد صدقوا ، وكانوا قد خصوا قوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[١١١]» .

وتركوا حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها أيضا بنص آخر .

وإن قالوا : بل جائز أن يعذبهم الله تعالى على ذلك ، أكذبهم الله تعالى بقوله « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما[١١٢]» .

ونعوذ بالله من تكذيب الله عز وجل .

---

(١٠٣) سورة النجم آية رقم ٣٢

(١٠٤) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٥ ، والترمذى فى الطلاق ٨ والإمام مسلم فى الإيمان ، ٢٠١ ، ٢٠٢ وفى الرؤيا ١٥ وأبو داود فى الطلاق ١٥ وابن ماجه فى الطلاق ١٤ واحمد بن حنبل فى المسند جـ ٣ ص ٢٥٥؛ولفظه عند مسلم : « إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به » .

(١٠٥) فى (أ) : حسنات .

(١٠٦) سقطت من (أ) كلام .

(١٠٧) فى (أ) : عليه .

(١٠٨) سورة آل عمران آية رقم ١٣٥

(١٠٩) فى (خ) : (أتجبرون) .

(١١٠) فى (أ) : سقطت كلمة (له) .

(١١١) سورة النساء آية رقم ٤٨

(١١٢) سورة النساء آية رقم ٣١

ثم نسألهم عمن عمل من الكبائر ومات عليها ، وعمل حسنات رجحت بكبائره عند الموازنة ، أيجوز أن يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر ، أم هى مغفورة له ساقطة عنه ..؟

فإن قالوا : بل هى مغفورة له وساقطة عنه صدقوا، وكانوا قد خصوا عموم قوله تعالى .. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وجعلوا هؤلاء ممن شاء ، ولابد أن يغفر لهم ، وإن قالوا : بل جايز أن يعذبهم ، أكذبهم الله تعالى بقوله : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية[١١٣]» .

وبقوله : « إن الحسنات يذهبن السيئات[١١٤]» .

قال أبو محمد : وكذلك القول فيمن تساوت حسناته وكبائره وهم أهل الأعراف فلا يعذبون أصلا .

فقد صح يقينا أن هؤلاء الطبقات الأربع هم الذين شاء الله تعالى أن يغفر لهم بلا شك ، فبقى الذين لم يشاء الله تعالى أن يغفر لهم ، ولم يبق من الطبقات أحد إلا من رجحت كبائره فى الموازنة على حسناته ، فهم الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة ، وبرحمه الله عز وجل فقالوا : من هؤلاء من يغفر الله تعالى له ، ومنهم من يعذبه ، قلنا لهم : أعندكم بهذا البيان نص ؟ وهم لا يجدونه أبدًا فظهر تحكمهم بلا برهان ، وخلافهم لجميع الآيات والأخبار والآيات[١١٥] التى تعلقوا بها فإنهم مقرون على أنها ليست على عمومها بل هى مخصوصة ، لأن الله تعالى قال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[١١٦]» .

ولا خلاف فى أنه تعالى يغفر الشرك لمن آمن ، فصح أنها مجملة يفسرها سائر الآيات ، والأخبار ، وكذلك حديث عبادة[١١٧]: خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئًا كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه[١١٨]» .

فانهم متفقون على أن من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئًا إلا أنه قتل ، وزنا ،

---

(١١٣) سورة القارعة ٦ ، ٧

(١١٤) سورة هود آية رقم ١١٤

(١١٥) سقطت من (أ) كلمتى : الأخبار والآيات .

(١١٦) سورة النساء آية رقم ٤٨

(١١٧) عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم بن ثعلبه الأنصارى ، يكنى أبا الوليد وقال الحزامى : أم عبادة بن الصامت قرة العين ، شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة وآخى رسول الله بينه وبين أبى مرثد الغنوى ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها وجهه عمر إلى الشام قاضيًا ومعلمًا ، فاقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها سنة ٣٤ بالرملة رحمه الله . الاستيعاب حـ ٢ ص ٨٠٧ ، ٨٠٨

(١١٨) الحديث رواه مسلم فى الإيمان ٨ ، ١٠ ، ٢٩ ، ٣١ والبخارى فى الإيمان ٣٤ والصلاة ١ وأبو داود فى الطهارة ٩٧ والترمدى فى التفسير ٥٣ ، والنسائى فى الصلاة ١ ، ٤ ، ٦

وسرق ، فإنه قد يعذب ، ويقولون إن[119] لم يأت بهن فإنه لا يعذب على التأبيد ، بل يعذب ثم يخرج عن النار .

قال أبو محمد : هذا ترك منهم أيضًا لظاهر هذا الخبر .

قال أبو محمد : ولا فرق بين قول الله تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية » .

وبين قوله : « وأما من خفت موازينه فأمه هاوية[120] » . كلاهما خبر ، إن جاز إبطال أحدهما ، جاز إبطال الآخر . ومعاذ الله من هذا القول ، وكذلك قد منع الله تعالى من هذا القول ، بقوله تعالى : « لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد[121] » .

ونحن نقول إن الله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وأنه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وإن كل أحد فهو فى مشيئة الله تعالى إلا أننا نقول : إنه تعالى قد بين من يغفر لهم ، ومن يعذب ، وأن الموازين حق ، والموازنة حق ، والشفاعة حق ، وبالله تعالى التوفيق .

حدثنا محمد بن سعيد بن بيان ، حدثنا أحمد بن عبد البصير ، حدثنا قاسم بن إصبغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا وكيع بن الجراح ، حدثنا سفيان الثورى ، عن خالد الحذاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قول الله تعالى : « وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص[122] » قال ما وعدوا فيه من خير وشر – وهذا هو نص قولنا .

وقد ادعى قوم أن إخلاف الوعيد حسن عند العرب ، وأنشدوا وإنى وإن واعدته أو وعدته لمخلف إبعادى ومنجز موعدى .

قال أبو محمد : وهذا لا شيء ، ما جعل الله فخر صبى أحمق كافر حجة على الله تعالى قال الراجز :

أحيا أباه هاشم بن حرملة
يَرى الملوك حوله مغربلة
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له .

---

(١١٩) انه من ف (ح) .
(١٢٠) سورة القارعة آية رقم ٦
(١٢١) سورة ق آية رقم ٢٨
(١٢٢) سورة هود آية رقم ١٠٩

وقد جعلت العرب مخلف الوعد كاذبًا

قال الشاعر أنشده أبو عبيدة[١٢٣] معمر بن المثنى :

أتوعدنى وراء بنى رياح كذبت لتقصرن يداك دونى[١٢٤]

فإن قالوا : خصوا وعيد الشرك بالموازنة . قلنا : لا يجوز ، لأن الله تعالى منع من ذلك ، قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم[١٢٥]» .

فمن حبط عمله فلا خير له .

قال أبو محمد : وأهل النار متفاضلون فى عذاب النار فأقلهم عذابًا أبو طالب فإنه توضع جمرتان من النار فى أخمصية[١٢٦] إلى أن يبلغ الأمر إلى قوله تعالى : « ادخلوا آل فرعون أشد العذاب[١٢٧]» .

وقوله تعالى : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار[١٢٨]» ولا يكون الأشد إلا إلى جنب الأدون .

وقال تعالى : « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر[١٢٩]» .

قال أبو محمد : والكفار معذبون على المعاصى التى عملوا من غير الكفر . برهان ذلك قول الله سبحانه وتعالى : « ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين[١٣٠]» .

فنص تعالى على أن الكفار يعذبون على ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين .

قال أبو محمد : وأما من عمل منهم العتق ، والصدقة ، أو نحو ذلك من أعمال البر فحابط كل ذلك ، لأن الله عز وجل قال : إنه من مات [وهو][١٣١] كافرًا حبط عمله لكن لا يعذب

---

(١٢٣) معمر بن المثنى البصرى أبو عبيدة النحوى من أئمة العلم بالأدب واللغة ، مولده ووفاته بالبصرة ، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه قال الجاحظ لم يكن فى الأرض أعلم بجميع العلوم منه ، وكان أباضيًا شعوبيًا من حفاظ الحديث من مؤلفاته نقائض جرير والفرزدق ، ومجاز القرآن ومعانى القرآن توفى سنة ٢٠٩ هـ . وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٠٥

(١٢٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٢٥) سورة البقرة آية رقم ٢١٧

(١٢٦) الحديث رواه البخارى فى الرقاق ٥١ ومسلم فى الإيمان ٣٦٣ والترمذى فى جهنم ١٢ وأحمد بن حنبل جـ ٤ ص ٢٧٤ ولفظه عند مسلم « لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه » أما الحديث الذى جاء فى أبى طالب فلفظه : أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه » .

(١٢٧) سورة غافر آية رقم ٤٦

(١٢٨) سورة النساء آية رقم ١٤٥

(١٢٩) سورة السجدة آية رقم ٢١

(١٣٠) سورة المدثر آية رقم ٤٠ إلى ٤٧

(١٣١) فى (أ) : بزيادة هو .

الله أحدًا إلا على ما عمل ، لا على ما لم يعمل .

قال الله تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون[١٣٢] » .

فلما كان من لا يطعم المسكين من الكفار يعذب على ذلك عذابا زائدًا[١٣٣] لأنه لم يطعم المسكين فالذى أطعم المسكين مع كفره لا يعذب ذلك العذاب الزائد ، فهو أقل عندنًا عذابًا لأنه لم يعمل من الشر ما عمل من هو أشد عذابا منه لا لأنه عمل خيرًا .

قال أبو محمد : وكل كافر عمل خيرا وشرا ثم أسلم فإن كل ما عمل من خير يكون له[١٣٤] مجازى به فى الجنة ، وأما ما عمل من شر فإن تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه ، وإن تمادى عليه أخذ بما عمل فى كفره وبما عمل فى إسلامه .

برهان ذلك : حديث حكيم بن حزام[١٣٥] عن رسول الله ﷺ أنه قال : يا رسول الله أَشْيَاء كُنْتُ أَتَحنَّثُ بِهَا فِى الجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِتْقٍ وصَدَقَةٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ[١٣٦] » فأخبر أنه خير وأنه له إذا أسلم .

وقالت له عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله أرأيت ابن جُدْعَانَ فإنه يَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيُقْرِى الضَّيْفَ ، أَيَنْفَعُه ذَلِك ؟ قَالَ : لَا . لأَنَّهَ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا .. رَبِّ اغفِرِ لِي خَطِيئتي يَوْمَ الدِّين[١٣٧]. فأخبر عليه السلام أنه لم ينتفع بذلك لأنه لم يسلم .

فاتفقت الأخبار كلها على أنه لو أسلم لنفعه ذلك .

وأما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضى الله عنه بنص ما قلنا عن رسول الله ﷺ كما قلناه .

فإن اعترض معترض بقول الله تعلى : « لئن اشركت ليحبطن عملك[١٣٨] » .

---

(١٣٢) سورة النمل آية رقم ٩٠

(١٣٣) سقط من (أ) ومن (خ) رىادة والعبارة مضطربة .

(١٣٤) فى (أ) : مكتوب مجازى .

(١٣٥) حكيم بن حزام : بن حويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى يكنى أبا خالد هو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج الرسول - ﷺ - ولد فى الكعبة وكان من أشراف قريش ووجوهها فى الجاهلية والإسلام وكان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وجاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام وكان من المؤلفة قلوبهم وممن حسن إسلامه منهم ، وحج فى الإسلام ومعه مائة بدنه قد جللها بالحبرة ، وأهدى ألف شاة . الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ١ ص ٣٦٢ .

(١٣٦) الحديث رواه البخارى فى الأدب ١٦ ، والزكاة ٣٤ ، والبيوع ١٠٠ والعتق ١٢ ، ومسلم فى الإيمان ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، واحمد ابن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ٤٠٢

(١٣٧) الحديث رواه البخارى فى الدعوات ٦١ ، ومسلم فى الإيمان ٣٦٥ والذكر ٧٠ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ٤ ، ص ٤١٧ ولفظه عند مسلم . عن عائشة قلت يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعة ..؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يومًا : ربّ اغفر لى خطيئتى يوم الدين .

(١٣٨) سورة الزمر آية رقم ٦٥

قلنا : إنما هذا لمن مات مشركا فقط .

برهان ذلك أن الله تعالى قال : « لئن أشركت ليحبطن عملك » [ولتكونن من الخاسرين ، وبيقين ندرى أن][١٣٩] من أسلم فليس من الخاسرين فقد بين ذلك بقوله : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم[١٤٠] » وإن اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة بما عمل فى الكفر لقوله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف[١٤١] » .

قلنا لهم : هذا حجة لنا لأن من انتهى عن الكفر غفر له ، وإن انتهى عن الزنا غفر له ، وإن لم ينته عن الزنا لم يغفر له ، فإنما يغفر له ما انتهى عنه ، ولم يغفر له ما لم ينته عنه .

ولم يقل تعالى : « ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم سائر ذنوبهم .

والزيادة فى الآية كذب على الله تعالى وهى أعمال متغايرة كما ترى ليست التوبة عن بعضها توبة عن سائرها[١٤٢]، فلكل واحد منها حكمه ، فإن ذكروا حديث عمرو بن العاص عن النبى ﷺ « الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ[١٤٣] » .

فقد قلنا : إن الإسلام اسم لجميع الطاعات ، فمن أصر على المعصية فليس فعله فى المعصية التى يتمادى عليها إسلامًا ، ولا إيمانا ، كما قال رسول الله ﷺ : « لا يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُو مُؤْمِنٌ[١٤٤] » .

فصح أن الإسلام ، والإيمان هو جميع الطاعات ، فإذا أسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الإسلام الذى يجب ما قبله .

وإذا لم يتب من معاصيه فلم يحسن فى الإسلام ، فهو مأخوذ بالأول والآخر ، كما قال رسول الله ﷺ وبهذا تتفق الأحاديث وكذلك قوله عليه السلام : « والْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا[١٤٥] » .

---

(١٣٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٤٠) سورة البقرة آية رقم ٢١٧
(١٤١) سورة الأنفال آية رقم ٣٨
(١٤٢) فى (أ) : عن ظاهرها .
(١٤٣) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ولفظه قال رسول الله - ﷺ : إن الإسلام يجب ما كان قبله ، وأن الهجرة تجب ما كان قبلها .
(١٤٤) الحديث رواه ابن ماجه فى كتاب الفتن باب النهى عن النهبه ولفظه . لا يزنى الزانى ، حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسر السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » .
(١٤٥) الحديث رواه الإمام أجمد فى مسنده حـ ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ورواه مسلم فى كتاب الإيمان بلفظ الهجرة تهدم ما كان قبلها .

فقد صح عنه عليه السلام أَنَّ الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهاه الله عَنْهُ[١٤٦]» فمن تاب من جميع المعاصى[١٤٧] التى سلفت منه فقد هجر ما نهاه الله عنه فهذه هى الهجرة التى تجب ما قبلها .

وأما قوله عليه السلام : « والْحجُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ[١٤٨]» فقد جاء أن الْعُمْرَةَ إلى الْعُمْرةِ كَفَارَةٌ لما بَيْنَهما ، والحجُ المبرورُ لَيْسَ لَه جُزاءُ إلَّا الَجنة[١٤٩]. فهذا على الموازنة التى ربنا عز وجل عالم بمراتبها ، ومقاديرها ، وانما نقف حيث وقفنا الله تعالى ورسوله ﷺ ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : واستدركنا قول رسول الله ﷺ فى قاتل نفسه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار ، مع قوله : مَنْ قَالَ لَا إله إِلَّا الله مُخِلْصًا مِنْ قَلْبِه حَرَّمَ عَلَيْه النَّارَ وَأَوْجَبَ لَهُ الجَّنةِ[١٥٠]» .

قال أبو محمد : قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى[١٥١]» فصح أن كلامه ﷺ كله وحى من عند الله تعالى وقال عز وجل « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا[١٥٢] فصح أن كل ما قاله رسول الله ﷺ فمن عند الله تعالى[١٥٣]. وأنه لا اختلاف فى شيء منه وأنه كله متفق عليه ، فإذ ذلك كذلك فواجب ضم هذه الأخبار بعضها إلى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول الله وقوته ، فمعنى قوله ﷺ فى القاتل حرم الله عليه الجنة ، وأوجب له النار ، مبنى على الموازنة فان رجحت[١٥٤] كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة ، حتى يقتص منه بالنار ، التى أوجبها الله تعالى جزاء على فعله ، وبرهان هذا حديث الذى أسلم وهاجر مع عمرو بن حممه الدوسى[١٥٥] ثم قتل نفسه لجراح جرح به فتألم منه فقطع عروق يده فنزف حتى مات فرآه بعض أصحاب النبى ﷺ فى حال حسنة إلا يده وذكر أنه قيل له لن يصلح منك

---

(١٤٦) الحديث رواه أبو دادو فى الوتر ١١ ، والنسائى الزكاة ٤٩ والبيعة ١٢ والدارمى فى الصلاة ١٣٥ ، واحمد بن حنبل حـ ٢ ، ١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ .

(١٤٧) فى (خ) : من كل معصية .

(١٤٨) الحديث رواه مسلم فى كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج وهو حديث طويل منه : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله .

(١٤٩) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٨ والحج ٤ ، ٣٤ ، ١٠٣ ورواه مسلم فى الإيمان ١٣٥ والحج ٢٠٤ والترمذى فى فضائل الجهاد ٢٢ وابن ماجه فى المناسك ٣ ولفظه عند ابن ماجه : العمرة إلى العمرة كماره ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

(١٥٠) الحديث رواه البخارى فى العلم ٤٩ والجمعة ١٨ ومسلم فى الإيمان ٥٣ والترمذى فى الصلاة ٢٠٠ وابن ماجه فى الزهد ١٩ والدارمى فى الجهاد ٨ .

(١٥١) سورة النجم آية رقم ٤

(١٥٢) سورة النساء آية رقم ٨٣

(١٥٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٥٤) سقط من (أ) كلمة رجحت .

(١٥٥) هو : عمرو بن حممه بن رافع الدوسى من الأزد أحد المعمرين فى الجاهلية وقيل أدرك حممه عصر النبوة ووفد على النبى - ﷺ والصحيح أنه مات قبل الإسلام الأصابة ت ٥٨٢١

ما أفسدت فقال رسول الله ﷺ : اللهم وليديه فاغفر[١٥٦].. » ومعنى قول رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة » فهذا لا يختلف فيه مسلمان انه ليس على ظاهره منفردًا لكن يضمه إلى غيره من الإيمان لمحمد ﷺ ، والبراءة من كل دين حاشا دين الإسلام ، ومعناه حينئذ أن الله عز وجل أوجب له الجنة ولابد ، إما بعد الاقتصاص ، وإما دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة ، وحرم الله عليه أن يخلد فيها ويكون من أهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى : لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى[١٥٧]» « من يعمل سوءا يجزيه[١٥٨]» .

« وما كان الله ليضيع إيمانكم[١٥٩]» .

« وما تفعلوا من خير فلن تكفروه[١٦٠]» .

وقوله تعالى : « يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها[١٦١]» فنص الآية أنها فى الكفار – هكذا فى نص الآية » .

قال أبو محمد : وأما الكبائر فإن الله تعالى قال : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما[١٦٢]» .

قال أبو محمد : فمن المحال أن يحرم الله تعالى علينا أمرًا ويفرق بين أحكامه ويجعل بعضه مغفورًا باجتناب بعض ومؤاخذًا به إن لم يجتنب البعض الآخر ، ثم لا يبين لنا المهلكات من غيرها فنظرنا فى ذلك فوجدنا قوما يقولون إن كل ذنب فهو كبيرة .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن نص القرآن مفرق كما قلنا[١٦٣] بين الكبائر وغيرها وبالضرورة ندرى[١٦٤] أنه لا تكون كبيرة إلا بالإضافة إلى ما هو أصغر منها ، والكبائر أيضا تتفاضل فالشرك أكبر مما دونه ، والقتل أكبر من غيره .

---

(١٥٦) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال : مات طفيل بن عمر ورأيته فى المنام وهيأته حسنة ، فقلت له : ما صنع بك ربك قال : غفر لى بهجرتى إلى نبيه ، فقلت : مالى أراك مغطيا يديك ، قال : قيل لى : لن نصلح منك ما أفسدت . فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال : « اللهم وليديه فاغفر » . وفيه دليل على أن المغفرة قد لا تتناول محل الجناية وأن العقاب موزع على البدن ، وأن المؤمن إذا مات بالكبيرة من غير توبة فلا يقطع له بالنار .

(١٥٧) سورة آل عمران آية رقم ١٥٣

(١٥٨) سورة النساء آية رقم ١٢٣

(١٥٩) سورة البقرة آية رقم ١٤٣

(١٦٠) سورة آل عمران آية رقم ١١٥

(١٦١) سورة المائدة آية رقم ١٣٧

(١٦٢) سورة النساء آية رقم ٣١

(١٦٣) فى (خ) : كما أوردنا .

(١٦٤) فى (خ) : نعلم .

وقد قال رسول الله ﷺ : « إنهما لَيُعَذَّبانِ وَمَا يُعَذَّبانِ فى كَبيرٍ (وانه لكبير) أَمَّا أَحَدُهُما فكَانَ لَا يَستَبرِىءُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا الآخَرُ فكَانَ يَمْشِي بالنَّمِيمةِ[(١٦٥)] » فأخبر عليه السلام أنهما كبير ، وما هما بكبير ، وهذا بين لأنهما كبيران بالإضافة إلى الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر ، وليستا بكبيرين بالإضافة إلى الكفر والقتل .

قال أبو محمد : فبطل القول المذكور ، فنظرنا فى ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب مما ليس بكبير منها لا يعلم ألبتة إلا بنص وارد فيها ، إذ هذا من أحكام الله تعالى التى لا تعرف إلا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا الله تعالى قد نص بالوعيد على ذنوب فى القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ وقد وجدنا ذنوبا أخر لم ينص عليها بوعيد ، فعلمنا يقينا أن كل ما توعد الله تعالى عليه بالنار [أو توعد عليه رسوله ﷺ بالنار فهو كبير][(١٦٦)] وكل ما نص عليه رسول الله ﷺ باستعظامه فهو كبير ، كقوله عليه السلام .

اتَّقُواْ السَّبْعَ المُوبِقَاتِ – الشِّرْكُ والسِّحْرُ والقتْلُ وَالزِّنَا[(١٦٧)] » وذكر الحديث .

وكقوله عليه السلام : « عُقُوقُ الْوَالِدَينْ مِنْ الْكَبَائِرِ[(١٦٨)] » .

وكل ما لم يأت نص باستعظامه ، ولا جاء فيه وعيد بالنار فليس بكبير ولا يمكن أن يكون الوعيد بالنار على الصغائر على انفرادها لأنها مغفورة باجتناب الكبائر فصح ما قلناه .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٦٥) الحديث رواه البخارى فى الوضوء ٥٥ ، ٦٥ والأدب ٤٦ ، والجنائز ٨٩ ورواه مسلم فى الطهارة ١١١ وأبو داود فى الطهارة ١١ ، ٦٥ ، والترمذى فى الطهارة ٥٢ والنسائى فى الطهارة ٢٦ ، ولفظه إنهما يعذبان وما يعذبان من كبير ، أما هذا فكان يمشى بالنميمة ، وأما هذا فكان لا يتبرىء من البول .

(١٦٦) ما بين القوسين سقط من (خ) .

(١٦٧) الحديث رواه البخارى فى الوصيا ٢٣ ، والطب ٤٨ والحدود ٤٤ ، ورواه مسلم فى الإيمان ١٤٤ وأبو داود فى الوصايا . والنسائى فى الوصايا ولفظه عند مسلم : اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن ..؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

(١٦٨) الحديث رواه البخارى فى الأدب ٦ والشهادات ١٠ ورواه مسلم فى الإيمان ١٤٣ ، ١٤٤ والترمذى فى البر ٤ والنسائى فى التحريم ٣ والدارمى فى الديات ٩

الموافـــاة

قال أبو محمد : اختلف المتكلمون فى معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة وهم أنهم قالوا : فى إنسان مؤمن صالح مجتهد فى العبادة ثم مات مرتدًا كافرًا وآخر كافر متمرد ، أو فاسق ، ثم مات مسلمًا تائبًا .

كيف كان حكم كل واحد منهما قبل أن ينتقل إلى ما مات عليه عند الله تعالى .؟

فذهب هشام بن عمرو الفوطى[1] وجميع الأشعرية ، إلى أن الله عز وجل لم يزل راضيا عن الذى مات مسلمًا تائبًا ، ولم يزل ساخطًا على الذى مات كافرًا أو فاسقًا .

واحتجوا فى ذلك بأن الله عز وجل لا يتغير علمه ، ولا يرضى ما سخط ، ولا يسخط ما رضى .

وقالت الأشعرية[2]: الرضا من الله عز وجل والسخط منه تعالى من صفات الذات لم يزالا[3] ولا يتغيران ، وذهب سائر المسلمين إلى أن الله عز وجل كان ساخطا على الكافر والفاسق ، ثم رضى الله عنهما إذا أسلم الكافر ، وتاب الفاسق . وأنه تعالى كان راضيا عن المسلم ، وعن الصالح ثم سخط عليهما إذا كفر المسلم وفسق الصالح .

قال أبو محمد : احتجاج الأشعرية هاهنا هو احتجاج اليهود فى إبطال النسخ ولا فرق ، ونحن نبين بطلان احتجاجهم ، وبطلان قولهم ، وبالله تعالى التوفيق . فنقول وبالله عز وجل نتأيد .

أما قولهم : إن[4] علم الله عز وجل لا يتغير فصحيح ، ولكن معلوماته تتغير ، ولم نقل إن

---

(١) راجع ترجمته حـ ٣ ص ١٠٢

(٢) راجع كلمة وافية عن الأشعرية فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ١٠١

(٣) جاءت العبارة مضطربة ومحرفة من (أ) .

(٤) فى (أ) : من .

علمه يتغير ، ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحدًا يعلم كل شىء على تصرفه فى جميع حالاته .

فلم يزل يعلم أن زيدا سيكون صغيرًا ، ثم شابًا ثم كهلًا ، ثم شيخًا ، ثم ميتًا ، ثم مبعوثا ثم(٥) فى الجنة ، أو فى النار ، ولم يزل يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر ، أو أنه يكفر ثم يؤمن ، أو أنه يكفر ولا يؤمن ، أو أنه يؤمن ولا يكفر .

وكذلك القول فى الفسق والصلاح ، ومعلوماته تعالى فى كل(٦) ذلك متغيرة مختلفة ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات .

وأما قولهم : إن الله تعالى لا يسخط ما رضى ولا يرضى ما سخط فباطل وكذب بل قد أمر الله تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشحوم ، ورضى لهم ذلك وسخط منهم خلافه [ثم نسخ كل ذلك وأبطله فرضى منهم أكل الشحوم والعمل فى السبت وسخط منهم خلافه](٧) وكذلك أحل لنا الخمر ، ولم يلزمنا الصلاة ولا الصوم برهة من زمن الإسلام ، ورضى لنا شرب الخمر وأكل رمضان ، والبقاء بلا صلاة ، وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كما قال تعالى : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه(٨) » . ثم فرض علينا الصلاة والصوم ، وحرم علينا الخمر ، فسخط لنا ترك الصلاة وأكل رمضان ، وشرب الخمر ، ورضى لنا خلاف ذلك ، وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل الله تعالى عليمًا أنه سيحل ما كان أحل من ذلك مدة كذا ، وأنه سيرضى(٩) منه ثم إنه سيحرمه ويسخطه وأنه سيحرم ما حرم من ذلك ويسخطه مدة ثم إنه يحله ويرضاه كما علم عز وجل أنه سيحيى من أحياه مدة كذا ثم يميته(١٠)، وأنه يعز من أعزه مدة ثم يذله ، وهكذا جميع ما فى العالم من آثار صنعه عز وجل لا يخفى ذلك على من له أدنى حس ، وهكذا المؤمن يموت مرتدًا ، والكافر يموت مسلمًا ، فإن الله تعالى لم يزل يعلم أنه سيسخط(١١) فعل الكافر مادام كافرًا ، ثم إنه يرضى عنه إذا أسلم ، وأن الله تعالى لم يزل يعلم أنه يرضى عن أفعال المسلم ، وأفعال البر ، ثم إنه يسخط أفعاله إذا ارتد ، أو فسق ، ونص القرآن يشهد بذلك قال تعالى : ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن تشكروا يرضه لكم(١٢).

---

(٥) سقط من (أ) كلمة : ثم .
(٦) سقط من (أ) كلمة : كل .
(٧) سقط من (أ) ما بين القوسين .
(٨) سورة طه آية رقم ١١٤
(٩) فى (خ) : سيرضاه .
(١٠) سقط من (أ) ثم يميته .
(١١) فى (أ) : سيسخطه .
(١٢) سورة الزمر آية رقم ٧

فصح يقينا أن الله تعالى يرضى الشكر ، فمن شكره إذا شكره[١٣] فيما شكره ولا يرضى الكفر ممن كفر ، إذا كفر ، متى كفر ، كيف كان انتقال هذه الأحوال من الإنسان الواحد ، وقوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم[١٤]» فبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم أن لا يمكن أن يحبط عمل إلا وقد كان غير حابط ، ومن المحال أن يحبط عمل لم يكن محسوبا قط ، فصح أن عمل المؤمن الذى ارتد ثم مات كافرًا انه كان محسوبا ثم حبط إذا ارتد وكذلك قال الله تعالى : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب[١٥]» .

فصح أنه لا يمحو الا ما كان قد كتبه ومن المحال أن يمحى ما لم يكن مكتوبا وهذا بطلان قولهم يقينا ولله الحمد ، وكذلك نص قوله تعالى « فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات[١٦]» .

فهذا نص قولنا ، وبطلان قولهم ، لأن الله تعالى سمى أفعالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك ، ثم أخبر تعالى أنه أحالها وبدلها حسنات مرضية ، فمن أنكر هذا فهو مكذب لله تعالى والله تعالى مكذب له ، وكذلك قال الله تعالى أنه سخط أكل آدم من الشجرة ، وذهاب يونس مغاضبًا ، ثم أخبر عز وجل أنه تاب عليهما ، واجتبى يونس بعد أن لامه ، ولا يشك كل ذى عقل أن اللائمة غير الاجتناء .

قال أبو محمد : ثم نقول لهم أفى الكافر كفر إذا كان كافرًا قبل أن يؤمن .. ؟ وفى الفاسق فسق قبل أن يتوب ؟ وفى المؤمن إيمان قبل أن يرتد أم لا .. ؟ فإن قالوا : لا كابروا وأحالوا ، وإن قالوا : نعم . قلنا لهم : فهل يسخط الله الكفر والفسق أو يرضى عنهما ؟ فإن قالوا بل يسخطهما تركوا قولهم .

وإن قالوا : بل يرضى عن الكفر والفسق ، كفروا ونسألهم عن قتل وحشى[١٧] حمزة[١٨] رضى الله عنه أرضًا كان لله تعالى ؟ فإن قالوا : نعم . كفروا ، وإن قالوا : بل ما كان الا سخطًا ،

---

(١٣) فى (أ) : سقطت كلمة : إذا شكره .

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢١٧ وقد جاءت الآية محرفة فى (خ) : حيث قال : « ومن يرتد » .

(١٥) سورة الرعد آية رقم ٣٩

(١٦) سورة الفرقان آية رقم ٧٠ وجاءت هذه الآية محرفة ى (أ) : حيث قال : أولئك بدون الفاء .

(١٧) هو : وحش بن حرب الحبشى أبو دسمه ، مولى بنى نوفل ، صحابى من سودان مكه ، كان من أبطال الموالى فى الجاهلية ، وهو قاتل حمزة - رضى الله عنه ، وشهد اليرموك ، وشارك فى قتل مسيلمة الكذاب وكان يقول قتلت بحربتى خير الناس وشر الناس مات بحمص سنة ٢٥ هـ .

(١٨) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمارة عم النبى - ﷺ ، وأحد صناديد قريش ولد ونشأ بمكة ، هاجر إلى المدينة وحضر وقعة بدر وغيرها وقتل يوم أحد عام ٣ هـ فدفنه المسلمون بالمدينة . الروض الأنف حـ ٢ ص ١٨٥ .

سألناهم أيؤاخذه الله تعالى به إذا أسلم ؟ فمن قولهم : لا . وهكذا فى كل حسنة ، وسيئة ، فظهر فساد قولهم ، وبالله تعالى التوفيق .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

« الكلام فى من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنبه أو كفر ثم رجع فيما تاب عنه »

قال أبو محمد : قال الله عز وجل : « لأنذركم به ومن بلغ[1] » .

وقال تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[2]» .

فنص تعالى[3]: على أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته لا من لم تبلغه ، وأنه تعالى لا يعذب أحدًا حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل .

فصح بذلك أنه من لم يبلغه الإسلام أصلًا فإنه لا عذاب عليه .

وهكذا جاء النص عن رسول الله ﷺ .

أنه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف ، والأصلح الأصم ، ومن كان فى الفترة والمجنون ، فيقول المجنون : يا رب أتانى الإسلام وأنا لا أعقل ، ويقول الخرف الأصم والذى فى الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار ، ويقال لهم ادخلوها ، فمن دخلها وجدها بردًا وسلاما[4]» وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فإنه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر[5] بن أبى طالب وأصحابه رضى الله عنهم بأرض الحبشة ورسول الله ﷺ بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع ، فلا يبلغ إلى جعفر وأصحابه أصلا ، لا انقطاع الطريق جملة من المدينة إلى أرض الحبشة ، وبقوا كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك فى دينهم شيئا إذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٩

(٢) سورة الاسراء آية رقم ١٥

(٣) فى (أ) : بزيادة : دلك .

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده حـ ٤ ص ٢٤ ، ٥٠

(٥) جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم صحابى هاشمى من شجعانهم يقال له جعفر الطيار وهو أخو أمير المؤمنين على ابن أبى طالب وكان أسن من على بعشر سنين وهو من السابقين إلى الإسلام ، هاجر إلى الحبشة فى الهجرة الثانية فلم يزل هناك إلى أن هاجر النبى إلى المدينة ، حضر موقعة مؤتة بالبلقاء فسقط شهيدًا عام ٨ هـ . طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٢٢

قال أبو محمد : ورأيت قومًا يذهبون إلى أن الشرائع لا تلزم من كان جاهلا بها ولا من لم[٦] تبلغه .

قال أبو محمد : وهذا باطل بل هى لازمة له لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الإنس كلهم ، وإلى الجن كلهم ، وإلى كل من لم يولد ، إذا بلغ بعد الولادة .

قال أبو محمد : قال الله تعالى آمرًا له[٧] أن يقول : « إنى رسول الله إليكم جميعًا[٨] » . وهذا عموم لا يجوز أن يخص منه أحد .

وقال تعالى : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى[٩] » .

فأبطل سبحانه أنه يكون أحد سدى ، والسدى : هو المهمل الذى لا يؤمر ولا ينهى ، فأبطل عز وجل هذا الأمر ، ولكنه معذور بجهله ومغيبه عن المعرفة فقط ، وأما[١٠] من بلغه ذكر النبى ﷺ حيث ما كان من أقاصى الأرض ففرض عليه البحث عنه ، فإذا بلغته نذارته ففرض عليه التصديق به ، واتباعه ، وطلب الدين اللازم له ، والخروج عن وطنه لذلك ، وإلا فقد استحق الكفر ، والخلود فى النار ، والعذاب بنص القرآن ، وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج إن فى حين بعث النبى ﷺ يلزم من فى أقاصى الأرض الإيمان به ، ومعرفة شرائعه ، فإن ماتوا فى تلك الحال ماتوا كفارًا إلى النار ، ويبطل هذا قول الله عز وجل لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت[١١] » وليس فى وسع أحد علم الغيب .

فإن قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة إنه لا يلزم أحدا شىء من الشرائع حتى تبلغه ، قلنا لا حجة لهم فيها لأن كل ما كلف الناس فهو فى وسعهم ، واحتمال بنيتهم ، إلا أنهم معذورون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفوا ذلك تكليفا يعذبون به إن لم يفعلوه ، وإنما كلفوه تكليف من لا يعذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول الله ﷺ أنه له أمرًا من الحكم مجملًا أو لم يبلغه نصه ، ففرض عليه اجهاد نفسه فى طلب ذلك الأمر ، وإلا فهو عاص لله عز وجل .

قال الله تعالى : فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون[١٢] » .

---

(٦) سقط من (أ) « لم » .
(٧) سقط من (أ) « له » .
(٨) سورة الأعراف آية رقم ١٥٨
(٩) سورة القيامة آية رقم ٣٦
(١٠) فى (أ) : وأن .
(١١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦
(١٢) سورة الأنبياء آية رقم ٧

وبقوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون[١٣] » .

وأما من تاب عن ذنب ، أو كفر ، ثم رجع إلى ما تاب عنه ، فإنه إن كانت توبته تلك وهو معتقد للعودة فهو عابث ، مستهزىء ، مخادع ، لله تعالى ، قال الله تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم – إلى قوله : عذاب أليم بما كانوا يكذبون[١٤] » .

وأما من كانت توبته نصوحًا ، ثابت العزيمة ، فى أن لا يعود فهى توبة صحيحة مقبولة بلا شك مسقطة لكل ما تاب عنه بالنص .

قال عز وجل : « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا[١٥] » فإن عاد بعد ذلك إلى الذنب الذى تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد[١٦] غفره الله له أبدًا ، فإن ارتد ومات كافرًا فقد سقط عمله والتوبة عمل . فقد حبطت فهذا يعود عليه كل[١٧] ما عمل خاصة .

وأما من راجع الإسلام ومات عليه فقد سقط عنه الكفر وغيره .

قال أبو محمد : ولا تكون التوبة إلا بالندم ، والاستغفار ، وترك المعاودة ، والعزيمة على ذلك ، والخروج من مظلمة إن تاب عنها إلى صاحبها بتحلل أو انصاف ، ورأيت لأبى بكر أحمد ابن على بن بيغجور المعروف بابن الأخشيد[١٨] وهو أحد أركان المعتزلة ، وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة[١٩] من الأتراك وولى أبوه الثغور ، وكان هذا أبو بكر ابنه يتفقه للشافعى ، فرأيت له فى بعض كتبه يقول : إن التوبة هى الندم فقط وإن لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة .

قال أبو محمد : هذا أشنع ما يكون من قول المرجئة لأن كل معتقد للإسلام فبلا شك ندرى أنه نادم على كل ذنب يعمله عالما بأنه مسيىء فيه مستغفر منه ، ومن كان بخلاف هذه الصفة لكن مستحسنًا لما فعل غير نادم عليه فليس مسلما ، فكل صاحب كبيرة فهو على قول ابن الاخشيد غير مؤاخذ بها لأنه تائب منها ، وهذا خلاف الوعيد .

---

(١٣) سورة التوبة آية رقم ١٢٢

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٩ ، ١٠ وقد وقع تحريف فى (خ) حيث قال : وما يخادعون إلا أنفسهم .

(١٥) سورة طه آية رقم ٨٢

(١٦) سقط من (أ) « وقد » .

(١٧) سقط من (أ) « كل » .

(١٨) هو : احمد بن على بن بيغجور أبو بكر بن الأخشيد ، من رؤساء المعتزلة ، كان فصيحًا له معرفة بالعربية والفقه من تصانيفه نقل القرآن والاجماع ، واختصار تفسير الطبرى سنة ٣٢٦ هـ . لسان الميزان حـ ١ ص ٢٣١

(١٩) فرغانة : بالفتح ثم السكون ، وغين معجمة ، وبعد الألف نون ، مدينة واسعة متاخمة لبلاد تركستان كثيرة الخير بينها وبين سمرقند خمسون فرسخًا ، وممن ينسب إلى فرغانة حاجب بن مالك ابن اركين أبو العباس التركى الفرغانى ، وفى كتاب ابن الفقيه كان أنو شروان بناها ونقل إليها من كل أهل بيت واحدًا وسماها « أزهر خانة » أى من كل بيت . (راجع معجم البلدان حـ ٤ ص ٢٥٣) .

فإن قال قائل : فإنكم تقطعون على قبول إيمان المؤمن ، أفتقطعون على قبول توبة التائب ، وعمل العامل للخير ، إن كل ذلك مقبول .

وهل تقطعون على المكثر من السيئات إنه فى النار .. ؟

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

إن الأعمال لها شروط من توفيه النية حقها ، وتوفيه صفة[٢٠] العمل حقه فلو أيقنا أن العمل وقع كاملًا كما أمر الله تعالى لقطعنا على قبول الله عز وجل له ، وأما التوبة فإذا وقعت نصوحًا فنحن نقطع بقبولها ، وأما القطع على مظهر الخير بأنه فى الجنة ، وعلى مظهر الشر والمعاصى بأنه فى النار ، فهذا خطأ لأننا لا نعلم ما فى النفوس ولعل المظهر الخير مبطن للكفر أو مبطن على كبائر لا نعلمها فواجب أن لا نقطع من أجل ذلك عليه بشىء ، وكذلك المعلن بالكبائر فإنه يمكن أن يبطن الكفر فى باطن أمره فإذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة ، أو لعل له حسنات فى باطن أمره تفىء على سيئاته فيكون من أهل الجنة ، فلهذا وجب أن لا نقطع على أحد بعينه بجنة أو نار حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضى الله عنهم بأنهم فى الجنة ، وبأن الله علم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأهل بدر[٢١] وأهل السوابق ، فإنا نقطع على هؤلاء بالجنة لأن الله تعالى أخبرنا بذلك على لسان رسوله ﷺ ، وحاشا من مات معلنا للكفر ، فإنا نقطع عليه بالنار ، ونقف فيمن عدا هؤلاء إلا أننا نقطع على الصفات فنقول : من مات معلنًا للكفر ، أو مبطنا له فهو فى النار ، خالدًا فيها ومن أتى[٢٢] الله تعالى راجح الحسنات على السيئات والكبائر أو متساويهما فهو فى الجنة ، لا يعذب بالنار .

ومن لقى الله تعالى راجح الكبائر على الحسنات ففى النار . ويخرج منها بالشفاعة إلى الجنة — وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ورأيت بعض أصحابنا يذهب إلى شىء يسميه شاهد الحال ، وهو أن من كان مظهر الشىء من الديانات ، متحملا للأذى فيه غير مستجلب بما يلقى من ذلك حالا ، فإنه مقطوع على باطنه وظاهره قطعا لا شك فيه كعمر بن عبد العزيز[٢٣] وسعيد بن المسيب[٢٤]

---

(٢٠) سقط من (أ) كلمة : صفة .

(٢١) قال رسول الله — ﷺ : كأن الله قال : لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ورواه البخارى فى التفسير وأبو داود فى السنة ٨ والجهاد ٩٨ والترمذى فى التفسير سورة ٦٠

(٢٢) فى (أ) : « لقى » .

(٢٣) عمر بن عبد العزيز : بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، والملك العادل ، قيل له خامس الراشدين ، ولد ونشأ بالمدينة ٦١ هـ وولى الخلافة بعهد من سليمان ٩٩ هـ دس له السم فمات سنة ١٠١ هـ (تهذيب التهذيب حـ ٧ ص ٤٧٥) .

(٢٤) سعيد بن المسيب : بن حَزِنْ بن أبى وهب المخزومى القرشى ، أبو محمد سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، توفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٥ ص ٨٨) .

والحسن البصرى[٢٥] وابن سيرين[٢٦] ومن جرى مجراهم ممن قبلهم أو معهم أو بعدهم ، فإن هؤلاء رضى الله عنهم رفضوا من الدنيا مالو استعملوه لما حط من وجاهتهم شيئا ، واحتملوا من المضنى مالو خففوه عن أنفسهم لم يقدح ذلك فيهم عند أحد ، فهؤلاء مقطوع على إسلامهم عند الله عز وجل ، وعلى خيرهم وفضلهم ، وكذلك نقطع على أن عمرو[٢٧] بن عبيد كان يدين بابطال القدر بلا شك فى باطن أمره ، وأن أبا حنيفة[٢٨] والشافعى[٢٩] رضى الله عنهما كانا فى باطن أمرهما يدنيان الله تعالى بالقياس ، وأن داود[٣٠] بن على كان فى باطن الأمر يدين الله تعالى بإبطال القياس بلا شك .

وأن أحمد[٣١] بن حنبل رضى الله عنه كان يدين الله تعالى بالتدين بالحديث فى باطن أمره بلا شك ، وبأن القرآن غير مخلوق بلا شك ، وهكذا كل أمر تناصرت أحواله ، وظهر جده ، فى معتقد ما ، وترك المسامحة فيه ، واحتمل الأذى ، والمضض من أجله .

قال أبو محمد : وهذا قول صحيح لا شك فيه إذ لا يمكن البتة فى بنية الطبائع أن يحتمل أحد أذى ومشقة لغير فائدة يتعجلها أو يتأجلها ، وبالله تعالى التوفيق .

ولابد لكل ذى عقد من أن تبين عليه شاهد غيره[٣٢] بما يبدو منه من مسامحه فيه ، أو صبر عليه .

وأما من كان بغير هذه الصفة فلا نقطع على عقدة ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٥) الحسن البصرى راجع ترجمته ص ١٠٩ من هذا الجزء .

(٢٦) محمد بن سيرين ، البصرى ، الأنصارى بالولاء ، أبو بكر ، إمام وقته فى علوم الدين بالبصرة ، تابعى من أشراف الكتاب ، مولده ووفاته بالبصرة ، نشأ بزارًا فى أذنه صمم ، وتفقه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، توفى سنة ١١٠ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٤٥٣) .

(٢٧) عمرو بن عبيد : بن باب أبو عثمان البصرى ، شيخ المعتزلة فى عصره ومفتيها ، وأحد الزهاد المشهورين كان جده من سبى فارس وأبوه نساجًا ثم شرطيًا للحجاج فى البصرة ، واشتهر عمرو بعلمه وزهده من كتبه : الرد على القدرية ، والتفسير ، توفى بمران قرب مكة سنة ١٤٤ هـ . (ميزان الاعتدال حـ ٢ ص ٢٩٤) .

(٢٨) أبو حنيفة : النعمان بن ثابت . راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٢٧ .

(٢٩) الشافعى : محمد بن أدريس : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٦٤ .

(٣٠) داود بن على : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٩١ .

(٣١) أحمد بن حنبل : ت ٤٢١ هـ وهو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى : راجع ترجمة مفصلة له فى طبقا الحفاظ حـ ١ ص ٨٦ .

(٣٢) فى (أ) : (عقده) .

« الكلام فى الشفاعة والميزان والحوض والصراط وعذاب القبر والفتنة »[1]

قال أبو محمد : اختلف الناس فى الشفاعة فأنكرها قوم ، وهم المعتزلة ، والخوارج ، وكل مر منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله[2] فيها ، وذهب أهل السنة ، والأشعرية ، والكرامية ، وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة ، واحتج المانعون منها[3] بقول الله عز وجل : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين[4]» .

وبقوله عز وجل : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله[5]» .

وبقوله تعالى : « قل إنى لا أملك لكم ضرًا ولا رشدا[6]» .

وبقوله تعالى : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئًا » ولا يقبل منها شفاعة[7].

وبقوله تعالى : « من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة[8]» .

وبقوله تعالى : « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم[9]» .

وبقوله تعالى : « ولا يقبل منها عدل ولا تنفعهما شفاعة ولا هم ينصرون[10]» .

قال أبو محمد : من يؤمن بالشفاعة أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ،

---

(١) سقط من (أ) كلمة : الصراط والكتبة بدلًا من الفتنة .

(٢) فى (خ) : بعد دخولها .

(٣) سقط من (أ) منها .

(٤) سورة المدثر آية رقم ٤٨

(٥) سورة الانفطار آية رقم ١٩

(٦) سورة الجن آية رقم ٢١ وقد جاءت هذه الآية محرفة .

(٧) سورة البقرة آية رقم ٤٨

(٨) البقرة آية رقم ٢٥٤

(٩) سورة الشعراء آية رقم ١٠٠

(١٠) سورة البقرة آية رقم ١٢٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث ذكرها « ولا يؤخذ منها عدل » .

ولا على بعض السنن دون بعض ، ولا على القرآن دون بيان رسول الله ﷺ ، الذى قال له ربه عز وجل « لتبين للناس ما نزل إليهم[١١] » .

وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة فى القرآن .

فقال تعالى : « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا[١٢] » .

فأوجب عز وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهدا بالشفاعة [ونفاها عن سواه فقد اتخذ محمد - ﷺ عند الله[١٣] عهدًا بالشفاعة] وصحت بذلك الأخبار المتواترة ، المتناصرة ، بنقل الكواف لها .

قال تعالى : « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من إذن له الرحمن ورضى له قولا[١٤] » .

وقال تعالى : « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له[١٥] » .

فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ، ممن أذن له فيها ، ورضى قوله ، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ ، لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام .

وقال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه[١٦] » .

« وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى[١٧] » .

وقال تعالى : « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون[١٨] » .

وقال تعالى : ما من شفيع إلا من بعد إذنه[١٩] » .

فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقينا أن الشفاعة التى أبطلها الله عز وجل ، هى غير الشفاعة التى أثبتها عز وجل ، وإذ لا شك فى ذلك فالشفاعة التى أبطل عز وجل هى الشفاعة للكفار ، الذين هم مخلدون فى النار .

---

(١١) سورة النحل آية رقم ٤٤ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) : حيث ذكرها « ما أنزل » .
(١٢) سورة مريم آية رقم ٨٧
(١٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٤) سورة طه آية رقم ١٠٩
(١٥) سورة سبأ آية رقم ٢٣
(١٦) سورة البقرة آية رقم ٥٥
(١٧) سورة النجم آية رقم ٢٦
(١٨) سورة الزخرف آية رقم ٨٦
(١٩) سورة يونس آية رقم ٣

قال تعالى : « لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها[٢٠] » . نعوذ بالله منها ، فإذ لا شك فيه ، فقد صح يقينا أن الشفاعة التى أوجب الله عز وجل لمن أذن له ، واتخذ عنده عهدًا ، ورضى قوله .

فإنما هى لمذنبى أهل الإسلام – وهكذا جاء الخبر الثابت .

قال أبو محمد : وهما شفاعتان إحداهما عامة لكل محسن ومسىء فى تعجيل الحساب يوم القيامة ، واراحة الناس مما هم فيه من هول[٢١] الموقف وشنعة الحال وهو المقام المحمود ، الذى جاء النص فى القرآن به ، فى قوله : « عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا[٢٢] » وهكذا جاء الخبر الثابت نصا .

والشفاعة الثانية : فى إخراج أهل الكبائر من النار ، طبقة طبقة ، على ما صح فى ذلك الخبر .

وأما قول الله تعالى : « قل إنى لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا[٢٣] » « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا[٢٤] » .

فما خالفناهم فى هذا أصلا ، وليس هذا من الشفاعة فى شىء ، فنعم لا يملك أحدٌ لأحد نفعًا ، ولا ضرًا ، ولا رشدًا ، ولا هدى ، وإنما الشفاعة رغبة إلى الله تعالى ، وضراعة ، ودعاء .

وقال بعض منكرى الشفاعة : إن الشفاعة ليست إلا فى المحسنين فقط .

واحتجوا بقوله تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى[٢٥] » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن من أذن الله فى اخراجه من النار وإدخاله الجنة ، وأذن للشافع فى الشفاعة له فى ذلك ، فقد ارتضاه ، وهذا حق وفضل الله تعالى على من قد غفر له ذنوب ، بأن رجحت حسناته على كبائره ، أو بأن لم تكن له كبيرة ، أو بأن تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شافع ، فقد حصلت له الرحمة ، والفوز ، من الله تعالى وأمر به إلى الجنة ففى ماذا يشفع له ؟ وإنما الفقير إلى الشفاعة من غلبت كبائره على[٢٦] حسناته ، فأدخل النار ، ولم يأذن تعالى باخراجه منها ، إلا بالشفاعة ، وكذلك الخلق فى كونهم فى الموقف هم أيضا

---

(٢٠) سورة فاطر آية رقم ٣٦

(٢١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٢) سورة الاسراء آية رقم ٧٩

(٢٣) سورة الجن آية رقم ٢١ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت بدون (إنى) .

(٢٤) سورة الانفطار آية رقم ١٩ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت : ولا تملك .

(٢٥) سورة الأنبياء آية رقم ٢٨

(٢٦) سقط من (أ) كلمة : على .

فى مقام شنيع فهم أيضا محتاجون إلى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق ، وبما صحت به[٢٧] الأخبار من ذلك . نقول : « وأما الميزان » فقد أنكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جراءة ، وإقدامًا ، وتنطع آخرون ، فقالوا : هو ميزان بكفتين من ذهب ، وهذا إقدام آخر لا يحل ، قال الله عز وجل : « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم[٢٨] » .

قال أبو محمد : وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء فى القرآن الكريم ، أو بما جاء عن رسل الله ﷺ ، ولم يأت عنه عليه السلام شيء يصح فى صفة الميزان ، ولو صح عنه عليه السلام فى ذلك شيء لقلنا به ، فإذ لا يصح عنه عليه السلام فى ذلك شيء فلا يحل لأحد أن يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به ، لكن نقول كما قال الله عز وجل « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة – إلى قوله : « وكفى بنا حاسبين[٢٩] » .

وقال تعالى : « والوزن يومئذ الحق[٣٠] » .

وقال تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية[٣١] » .

فنقطع على أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

قال تعالى عن الكفار : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا[٣٢] » .

وليس هذا على أنه لا توزن أعمالهم ، بل توزن لكن أعمالهم شائلة وموازينهم خفاف ، قد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول : « ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون » إلى قوله : « فكنتم بها تكذبون[٣٣] » .

فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم ، والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك ، ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين الله عز وجل بها لعبادة مقادير أعمالهم من خير أو شر ، من مقدار الذرة التى لا يحس وزنها فى موازيننا أصلا ، فما زاد ، ولا ندرى كيف تلك الموازين .. ؟ إلا أننا ندرى أنها بخلاف موازين الدنيا ، وأن ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة

---

(٢٧) سقط من (أ) : به .
(٢٨) سورة النور آية رقم ١٥
(٢٩) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧
(٣٠) سورة الأعراف آية رقم ٨
(٣١) سورة القارعة آية رقم ٦ إلى ٩
(٣٢) سورة الكهف آية رقم ١٠٥
(٣٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٠٣

أثقل من ميزان[٣٤] من تصدق بدابه[٣٥] وليس هكذا وزن الدنيا[٣٦] وندرى أن إثم القاتل أعظم من إثم اللاطم ، وأن ميزان مصلى الفريضة أعظم من ميزان مصلى مثلها من[٣٧] التطوع ، بل بعض الفرائض أعظم أجرًا[٣٨] من بعض ، فقد صح عن النبى ﷺ « أَنَّ مَنْ صلى الْصُبْحَ فِى جَمَاعَةٍ كَمنْ قَامَ لَيْلَةً ، وَمْنَ صَلَّى العَتمَةَ فى جَمَاعَةٍ فكَأَنَّما قَامَ نِصْفُ لَيْلةٍ[٣٩] » وكلاهما فرض وهكذا جميع الأعمال ، فإنما يوزن عمل العبد خيره مع شره ، ولو نصح المعتزلة أنفسهم لعلموا أن هذا عين العدل ، وأما من قال بما لا يدرى من إن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قاله قياسًا على موازين الدنيا وقد أخطأ فى قياسه ، إذ فى موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون ، وأما نحن فإنما اتبعنا النصوص الواردة فى ذلك فقط ، ولا نقول إلا بما جاء به قرآن ، أو سنة صحيحة عن النبى ﷺ ، ولا ننكر إلا ما لم يأت فيهما ، ولا تكذيب إلا بما فيهما إبطاله وبالله تعالى التوفيق .

« وأما الحوض »

فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبى ﷺ ، ولمن ورد عليه من أمته ولا ندرى لمن انكره متعلقا إلا الجهل بالآثار[٤٠] ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبى ﷺ فى هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق .

« وأما الصراط »

فقد ذكرناه فى الباب الأول الذى قبل هذا ، وأنه كما قال رسول الله ﷺ « يُوضَع الُصِّراطُ بْيَنَ ظَهْرَانَىْ جَهَنَّمَ وَيمُرَ عليه الْنَّاسُ فَمَجْدوُجٌ وَنَاجٍ وَمَكْرُوُسُ فى نَارِ جَهَنَّم[٤١] » وأن الناس يجيزون عليه على قدر أعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك إلى من يقع فى النار ، وهو طريق أهل

(٣٤) سقط من (أ) (من ميزان) .
(٣٥) فى (أ) : بداية .
(٣٦) سقط من (أ) بداية .
(٣٧) سقط من (أ) مثلها من .
(٣٨) سقط من (أ) كلمة : أجرًا .
(٣٩) الحديث رواه مسلم فى المساجد ٢٦٠ والبخارى فى الآذان ٣٤ والترمذى فى الصلاة ٥١ وابن ماجه فى المساجد ١٨ والدارمى فى الصلاة ٣٨ وأحمد بن حنبل فى مسنده حـ ١ ص ٥٨ ، ٦٨ ولفظه عند مسلم : من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح جماعة فكأنما صلى الليل كله .
(٤٠) سقط [الا الجهل بالآثار] .
(٤١) الحديث رواه البخارى فى الآذان ١٢٩ والتوحيد ٢٤ ورواه مسلم فى الإيمان ٢٩٩ وابن ماجه فى الزهد ٣٣ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٣ ص ٢٩٣ ولفظه عند ابن ماجه : يوضع الصراط بين ظهرانى جهنم على حسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مُسَلَّمَ ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومكنوس فيها » .

الجنة اليها من المحشر فى الأرض إلى السماء ، وهو معنى قول الله تعالى : « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا[٤٢]« .

وأما كتاب الملائكة لأعمالنا فحق قال الله تعالى : « وإنّ عليكم لحافظين كراما كاتبين[٤٣]» .

وقال تعالى : « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون[٤٤]» .

وقال تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورا اقرأ كتابك[٤٥]» .

وقال تعالى : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد[٤٦]» .

قال أبو محمد : وكل هذا لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمى إلى الإسلام ، إلا أنه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب .

---

(٤٢) سورة مريم آية رقم ٧١
(٤٣) سورة الانفطار آية رقم ١١
(٤٤) سورة الجاثية آية رقم ٢٩
(٤٥) سورة الاسراء آية رقم ١٣
(٤٦) سورة ق آية رقم ١٧

« عـذاب القبـــر »

قال أبو محمد : ذهب ضرار بن عمرو الغطفانى[1] أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر .

وهو قول من لقينا من الخوارج .

وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر[2] والجبائى[3] وسائر المعتزلة إلى القول به .

وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وقد احتج من أنكره بقول الله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين[4]» .

وبقوله تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم[5] الآية .

قال أبو محمد : وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لأن فتنة القبر وعذابه والمساءلة إنما هى للروح فقط بعد فراقه للجسد إثر ذلك ، قبر أو لم يقبر .

برهان ذلك : قول الله تعالى : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم ، اليوم[6]... الآية .

وهذا قبل القيامة بلا شك وإثر الموت وهذا هو عذاب القبر .

---

(١) راجع ترجمته فى الجزء الثالث .

(٢) راجع ترجمته فى الجزء الثالث .

(٣) راجع ترجمته فى الجزء الثالث .

(٤) سورة غافر آية رقم ١١

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٨

(٦) الأنعام آية رقم ٩٣

وقال تعالى : « إنما توفون أجوركم يوم القيامة[٧] » .

وقال تعالى فى آل عمران « النار يعرضون عليها غدوا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب[٨] » .

فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر ، وإنما قيل عذاب القبر فأضيف إلى القبر لأن المعهود فى أكثر الموتى أنهم يقبرون .

وقد علمنا أن فيهم أكيل السبع ، والغريق تأكله دواب البحر ، والمحرق ، والمصلوب ، والمعلق ، فلو كان على ما يقدر من يظن أنه لا عذاب إلا فى القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ، ولا عذاب قبر ، ولا مساءلة ، ونعوذ[٩] بالله من هذا بل كل ميت فلابد له من فتنة ، وسؤال ، وبعد ذلك سرور أو نكد إلى يوم القيامة[١٠] فيوفون حينئذ أجورهم وينقلبون إلى الجنة أو النار .

وأيضا فإن جسد كل إنسان فلابد[١١] للعود إلى التراب يوما ما ، كما قال تعالى :« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى[١٢] » .

فكل من ذكرنا من مصلوب أو معلق أو محرق أو أكيل سبع أو دابة فإنه يعود رَمَادًا أو رجيعا ، أو يتقطع فيعود إلى الأرض ، ولابد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها إلى يوم القيامة ، وأما من ظن أن الميت يحيى فى قبره فخطأ لأن الآيات التى ذكرنا تمنع من ذلك ، ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا ، وهذا باطل ، وخلاف القرآن ، إلا من أحياه الله تعالى آية لنبى من الأنبياء . « الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم[١٣] . أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه[١٤].

وكذلك قوله تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، إلى قوله إلى أجل مسمى[١٥] » .

فصح بنص القرآن أن روح من مات لا ترجع إلى جسده إلا إلى الأجل المسمى ، وهو يوم

---

(٧) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥
(٨) سورة غافر آية رقم ٤٦
(٩) فى (خ) : « ومعاذ الله » .
(١٠) فى (أ) : القيمة .
(١١) فى (خ):: فلابد له من العود .
(١٢) سورة طه آية رقم ٥٥
(١٣) سورة البقرة آية رقم ٢٤٢
(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩
(١٥) سورة الزمر آية رقم ٤٢

القيامة ، وكذلك أخبر رسول الله ﷺ أنه رأى الأرواح ليلة أسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام ، أرواح أهل السعادة ، وعن شماله أرواح أهل الشقاء ، وأخبر عليه السلام يوم بدر إذ خاطب القتلى وأخبر أنهم وجدوا ما توعدهم به حقا قبل أن يكون لهم قبور ، فقال المسلمون يَا رَسُولَ الله أَتُخَاطِبُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا فَقَالَ عَلَيْه السَّلَام « مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَع لِمَا أَقُول مِنْهُمْ[١٦]» فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قد جَيَّفُوا وأعلمهم أنهم سامعون فصح أن ذلك لأرواحهم فقط بلا شك ، وأما الجسد فلا حس له .

قال أبو محمد : ولم يأت قط عن رسول الله ﷺ فى خبر يصح أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المساءلة ، ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به ، فإذ لا يصح فلا يحل لأحد أن يقوله ، وإنما انفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح المهنال بن عمرو[١٧] وحده ، وليس بالقوى . تركه شعبه وغيره ، وسائر الأخبار الثابتة على خلاف ذلك ، وهذا الذى قلنا هو الذى صح أيضا عن الصحابة رضى الله عنهم ، لم يصح عن أحد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا اسماعيل بن اسحاق ، حدثنا عيسى بن حبيب ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن يزيد المقرى عن جده محمد بن عبد الله ، عن سفيان بن عيينه ، عن منصور ابن صفية ، عن أمه صفية بنت شيبة ، قال : دخل بن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحًا قبل أن يصلب ، فقيل له : هذه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فمال إليها فعزاها ، وقال : إن هذه الجثث ليست بشيء ، وإن الأرواح عند الله ، فقالت أسماء : وما يمنعنى وقد أهدى رأس يحيى ابن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل ، وحدثنا محمد بن بيان ، ثنا أحمد بن عون الله حدثنا قاسم ابن إصبغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، ثنا أبو موس محمد بن المثنى الزمن ، ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، ثنا سفيان الثورى ، عن ابن اسحاق السبيعى ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود ، فى قول الله عز وجل « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين[١٨]» .

قال ابن مسعود : هى التى فى البقرة « وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم[١٩]» .

فهذا ابن مسعود : وأسماء بنت أبى بكر الصديق ، وابن عمرو رضى الله عنهم ، ولا مخالف

---

(١٦) الحديث رواه مسلم فى الجنة ٧٧ والنسائى فى الجنائز ١١٧ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ١ ص ٧٢ حـ ص ١٠٤ ولفظه عند مسلم : يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جَيَّفُوا قال : والذى نفس بيده ما أنتم با سمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر .

(١٧) المنهال بن عمرو الأسدى ، روى عن أنس ، وسويد بن غفلة ومحمد بن الحنفية وأبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهم ، قال وهب بن جرير عن شعبة اتيت منزل المهال فسمعت منه صوت الطنبور فرجعت ولم أسأله ، وقال الغلابى كان ابن معين يضع من شأن المهال . (تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٣١٩) .

(١٨) سورة غافر آية رقم ١١

(١٩) سورة البقرة آية رقم ٢٨

لهم من الصحابة رضى الله عنهم ، تقطع أسماء وابن عمر على أن الأرواح باقية عند الله ، وأن الجثث ليست بشيء ، ويقطع ابن مسعود بأن الحياة مرتان ، والوفاة كذلك ، وهذا قولنا ، وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : وقد صح عن النبى ﷺ أنه رأى موسى عليه السلام قائما فى قبره يصلى ليلة الإسراء ، وأخبر أنه رآه فى السماء السادسة ، أو السابعة ، وبلا شك إنما رأى روحه ، وأما جسده فموارى بالتراب بلا شك .

فعلى هذا أن موضع كل روح يسمى قبرًا له[٢٠] فتعذب الأرواح حينئذ ، وتسأل حيث كانت ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٠) سقط من (أ) له .

« مستقر الأرواح »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى مستقر الأرواح ، وقد ذكرنا بطلان قول أصحاب التناسخ فى صدر كتابنا هذا – والحمد لله رب العالمين .

فذهب قوم من الروافض[1] إلى أن أرواح الكفار ببرهوت ، وهو بئر بحضرموت[2] وأن أرواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية – وهذا قول فاسد ، لأنه لا دليل عليه أصلا ، وما لا دليل عليه فهو ساقط ، ولا يعجز أحد عن أن يدعى للأرواح مكانا آخر غير ما ادعاه هؤلاء ، وما كان هكذا فلا يدين به إلا مخذول ، وبالله تعالى التوفيق .

وذهب عوام أصحاب الحديث إلى أن الأرواح على أفنية قبورها – وهذا قول لا حجة له أصلا تصححه إلا خبر ضعيف لا يحتج بمثله ، لأنه فى غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث ، وما كان هكذا فهو ساقط أيضًا وذهب أبو الهذيل العلاف[3] والأشعرية إلى أن الأرواح أعراض تفنى ولا تبقى ، وقتين فإذا مات الميت فلا روح هنالك أصلا .

ومن عجائب أصحاب هذه المقالة الفاسدة ، قولهم : إن روح الإنسان الآن غير روحه قبل ذلك ، وأنه لا ينفك تحدث له روح ثم تفنى ، ثم روح ثم تفنى ، وهكذا أبدًا ، وأن الإنسان يبدل ألف ألف روح ، وأكثر فى مقدار أقل من ساعة زمانية ، وهذا يشبه تخليط من هاج به البرسام[4]

---

(١) راجع كلمة عن الروافض فى هذا الجزء

(٢) حضرموت : بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم اسمان مركبان واسمها فى التوراة حاضر ميت ، وقيل سميت بحضرموت عمرو بن قيس ابن معاوية وقيل حضرموت اسمه عامر بن قحطان وإنما سمى حضرموت لأنه كان إذا حضر حربًا أكثر فيها من القتل فلقب بذلك ، وحضرموت ناحية واسعة فى شرق عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالاحقاف وبها قبر هود عليه السلام وبقربها بئر برهوت وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخًا ، وأهلها دخلوا فى طاعة الرسول – ﷺ – وفد عليه الأشعث بن قيس فى بضعة عشر راكبًا مسلمًا فأكرمه رسول الله – ﷺ .. الخ . (راجع ترجمة وافية لها فى معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٦٩ – ٢٧١) .

(٣) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(٤) البرسام : بالكسر علة معروفة ، وفى التهذيب بالفتح . قال ابن السكيت هو الأتر يسمْ .

وزاد بعضهم فقال إن صحت الآثار فى عذاب الأرواح فإن الحياة ترد إلى أقل جزء لا يتجزأ من الجسم فهو يعذب ، وهذا أيضا حمق آخر ، ودعاوى فى غاية الفساد . وبلغنى عن بعضهم أنه يزعم أن الحياة ترد إلى عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم ، وتعلق بالحديث الثابت عن رسول الله ﷺ « كُلُ ابنِ آدَمَ يَأْكُلُه التُرَابُ ، إلَّا عَجْبُ الذَّنَبِ ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهُ يُرَكَّبُ[٥]» .

قال أبو محمد : وهذا الخبر صحيح إلا أنه لا حجة فيه لأنه ليس فيه أن عجب الذنب يحيا ، ولا أنه يركب فيه حياة ، ولا أنه يعذب ولا ينعم وهذا كله مقحم فى كلام النبى ﷺ .

وإنما فى الحديث أن عجب الذنب خاصة لا يأكله التراب ، فلا يحول ترابًا وأنه منه ابتداء خلق المرء ، ومنه يبتدأ إنشاؤه ثانية فقط ، وهذا خارج أحسن خروج على ظاهرة ، وأن عجب الذنب خاصة تتبدد أجزاؤه ، وهى عظام تحسها لا تحول ترابًا ، وأن الله تعالى يبتدىء الانشاء الثانى يجمعها ثم يركب تمام الخلق للإنسان عليه ، وأنه أول ما خلق من جسم الإنسان ، ثم ركب عليه سائره .

وإذ هذا ممكن لو لم يأت به نص فخبر رسول الله ﷺ أحق بالتصديق من كل خبر ، لأنه عن الله عز وجل .

قال تعالى : « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم[٦]» .

وقال تعالى : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم[٧]» وقال أبو بكر ابن كيسان الأصم : لا أدرى ما الروح ولم يثبت شىء غير الجسد .

قال أبو محمد : وسنبين إن شاء الله تعالى فساد هاتين المقالتين فى باب الكلام فى الروح والنفس من كتابنا هذا بحول الله وقوته .

والذى نقول به فى مستقر الأرواح ، هو ما قاله الله تعالى ، ونبيه ﷺ ، لا نتعداه فهو البرهان الواضح ، وهو أن الله تعالى قال : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين[٨]» .

---

(٥) الحديث رواه البخارى فى التفسير ٣٩ ، ورواه مسلم فى الفتن ١٤١ ، ١٤٣ وأبو داود سنة ٢٢ وابن ماجه فى الزهد ٣٢ والموطأ فى للجنائز ٤٩ وأحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٣٢٢ ، ٤٢٨

(٦) سورة النجم آية رقم ٣٢

(٧) سورة الكهف آية رقم ٥١

(٨) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

وقال تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا[٩] » .

فصح أن الله عز وجل خلق الأرواح جملة وهى الأنفس .

وكذلك أخبر عليه السلام : « أن الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدة فَمَا تَعَارَفَ مِنْها أئْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ[١٠] » .

قال أبو محمد : وهى العاقلة الحساسة ، وأخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهى مخلوقة مصورة عاقلة ، قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام ، وقبل أن يدخلها فى الأجساد ، والأجساد يومئذ تراب وماء ، ثم أقرها تعالى حيث شاء ، لأن الله تعالى ذكر ذلك بلفظة ثم التى توجب التعقيب ، والمهلة ، ثم أقرها عز وجل حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع إليه عند الموت ، لا تزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الأجساد المتولدة من المنى المنحدر من أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، كما قال تعالى : « ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى[١١] » .

وقال عز وجل : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما[١٢] الآية » .

وكذلك أخبر رسول الله ﷺ أنه يُجْمَع خَلْقُ ابْن آدَمَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيه الرُّوح[١٣] » .

وهذا نص قولنا – والحمد لله ، فيبلوهم الله عز وجل فى الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسرى به عند سماء الدنيا ، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام ، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ، وذلك عند منقطع العناصر وتعجّل أرواح الأنبياء عليهم السلام وأرواح الشهداء إلى الجنة .

---

(٩) سورة الأعراف آية رقم ١١

(١٠) الحديث رواه البخارى فى الأنبياء ٣ ورواه مسلم فى البر ١٥٩ ، ١٦٠ وأبو داود فى الأدب ١٦ وأحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٢٩٥ ، ٥٢٧

(١١) سورة القيامة آية رقم ٣٧

(١٢) سورة المؤمنون آية رقم ١٣

(١٣) الحديث رواه البخارى فى بدء الخلق ٦ ، والأنبياء ١ ، والقدر ١ والتوحيد ٢٨ ورواه مسلم فى القدر ١ وأبو داود فى السنة ٦ والترمذى فى القدر ٤ وابن ماجه فى المقدمة ١٠ ولفظه عند ابن ماجه : يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقول اكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد .. الخ .

وقد ذكر محمد بن نصر المروزى[١٤] عن اسحاق بن راهويه[١٥] أنه ذكر هذا القول الذى قلنا بعينه وقال : على هذا أجمع أهل العلم .

قال أبو محمد : وهذا قول جميع أهل الإسلام حتى خالف من ذكرنا ، وهذا هو قول الله عز وجل : وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم[١٦]» .

وقوله تعالى : « فأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ، إن هذا لهو حق اليقين[١٧]» .

ولا تزال الأرواح هنالك حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها فى أجسادها ، ثم يرجعوها إلى البرزخ المذكور فتقوم الساعة ، ويعيد الله عز وجل الأرواح ثانية إلى الأجساد ، وهى الحياة الثانية ، ويحاسب الخلق ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، مخلدين أبدًا .

قال أبو محمد : وقال الأشعرية معنى قول النبى ﷺ فى العهد المأخوذ فى قول الله عز وجل : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم[١٨]» .

أن (إذ) هاهنا بمعنى إذا فقول فى غاية السقوط ، لوجوه خمسة أولها : أنه دعوى بلا دليل ، والثانية : أن إذ بمعنى إذا لا يعرف فى اللغة ، وثالثها : أنه لو صح له تأويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاما لا يعقل ولا يفهم ، وإنما أورده عز وجل حجة ، ولا يحتج الله عز وجل إلا بما نفهم لا بما لا نفهم ، لأن الله تعالى قد تفضل[١٩] علينا بإسقاط الإصر عنا ، ولا إصر أعظم من تكليفنا فهم ما ليس فى بنيتنا فهمه ، ورابعها : أنه لو كان كما أدعى لما كان على ظهر الأرض إلا مؤمن .

والعيان يبطل هذا لأننا نشاهد كثيرًا[٢٠] من الناس لم يقولوا قط ربنا الله ممن نشأ على

---

(١٤) محمد بن نصر المروزى أبو عبد الله ، إمام فى الفقه والحديث ، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم فى الأحكام ولد ببغداد ونشأ بنيسابور ، واستوطن سمرقند وتوفى بها سنة ٢٩٤ هـ له كتب منها القسامة ، والمسند فى الحديث واختصر المقريزى ثلاثة من كتبه طبعت فى جزء واحد وهى قيام الليل ، وقيام رمضان ، والوتر . (تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٢٠١) .

(١٥) اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى أبو يعقوب ابن راهويه من سكان مرو وهو أحد كبار الحفاظ ، طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم ، كان ثقة فى الحديث له تصانيف منها المسند ، استوطن نيسابور وتوفى بها سنة ٢٣٨ هـ . (تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٢١٦) .

(١٦) سورة الواقعة آية رقم ٩

(١٧) سورة الواقعة آية رقم ٩٣

(١٨) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(١٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٠) فى (خ) : آلافًا .

الكفر ، وولد عليه إلى أن مات ، وممن يقول بأن العالم لم يزل ولا محدث له ، من الأوائل والمتأخرين .

وخامسها : أن الله عز وجل إنما أخبر بهذه الآية عما فعل ودلنا بذلك على أن الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد ، كما كان قبل حلوله فيه لأنه تعالى أخبرنا أنه اقام علينا الحجة بذلك الاشهاد دليلًا ، كراهية أن نقول يوم القيمة : إنا كنا عن هذا غافلين .

أى عن ذلك الإشهاد المذكور ، فصح أن ذلك الاشهاد كان[٢١] قبل هذه الدار التى نحن فيها التى أخبرنا الله عز وجل فيها بذلك الخبر ، وقبل يوم القيمة أيضًا فبطل بذلك قول بعض الأشعرية وغيرها ، وصح أن قولنا هو نص الآية والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وإنما أتى المخالفون منهم أنهم عقدوا على أقوال ثم راموا رد كلام الله تعالى ، وكلام رسول الله ﷺ إليها ، وهذا هو الباطل الذى لا يحل ، ونحن ولله الحمد إنما أتينا إلى ما قاله الله عز وجل وما صح عن رسوله ﷺ فقلنا به ، ولم نحكم فى ذلك بطرًا ولا هوى ، ولا رددناهما إلى قول أحد ، بل رددنا جميع الأقوال إلى نصوص القرآن والسنن .

والحمد لله رب العالمين كثيرًا ، وهذا هو الحق الذى لا يحل تعديه .

قال أبو محمد : وأما أرواح الأنبياء عليهم السلام فهم الذين ذكر الله تعالى أنهم المقربون ، فى جنات النعيم ، وأنهم غير أصحاب اليمين ، وكذلك أخبر عليه السلام أنه رآهم فى السموات ليلة أسرى به فى سماء سماء ، وكذلك الشهداء أيضا هم فى الجنة لقول الله عز وجل : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء[٢٢]» وقال : « عند ربهم يرزقون[٢٣]» . وهذا الرزق للأرواح بلا شك ولا يكون إلا فى الجنة[٢٤].

وقد بين رسول الله ﷺ بالحديث الذى روى «نَسْمَةُ الْمؤْمِنِ طَائِر يُعَلَّق مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ تَأْوِى إلى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ[٢٥]» وروينا هذا الحديث مبينا من طريق ابن مسعود رضى الله عنه وأنهم الشهداء وبهذا تتألف الأحاديث والآيات – والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : كيف تخرج الأنبياء عليهم السلام والشهداء من الجنة إلى حضور الموقف يوم القيامة .؟

(٢١) سقط من (أ) (كان) .
(٢٢) سورة البقرة آية رقم ١٥٤
(٢٣) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩
(٢٤) فى (خ) : ولا يكون فى الجنة وهو تحريف .
(٢٥) الحديث رواه النسائى فى الجنائز ١١٧ وابن ماجه فى الزهد ٢٢ ، والموطأ فى الجنائز ٤٩ ، وأحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٤٥٥ ، ٤٥٦

قيل له وبالله التوفيق : لسنا ننكر شهادة القرآن والحديث الصحيح بدخول الجنة ، والخروج عنها ، قبل يوم القيمة ، فقد خلق الله عز وجل فيها آدم عليه السلام ، وحواء ثم أخرجهما منها إلى الدنيا . والملائكة فى الجنة ، ويخرجون منها برسالات رب العالمين إلى الرسل والأنبياء إلى الدنيا ، وكل ما جاء به نص قرآن أو سنة فلا ينكره إلا جاهل ، أو مغفل ، أو ردىء الدين ، وأما الذى ينكر ولا يجوز أن يكون البتة فخروج روح من دخل الجنة إلى النار ، فالمنع من هذا إجماع من جميع الأمة ، متيقن مقطوع به ، وكذلك من دخلها يوم القيمة جزاء أو تفضلًا من الله عز وجل ، فلا سبيل إلى خروجه منها أبدًا بالنص ، وبالله تعالى التوفيق .

الكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ

قال أبو محمد : اختلف الناس فى حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين ذكورهم وإناثهم .

فقالت الأزارقة[1] من الخوارج : أما أطفال المشركين ففى النار . وذهبت طائفة : إلى أنه يوقد لهم يوم القيامة نار ويؤمرون باقتحامها فمن دخلها منهم دخل الجنة ، ومن لم يدخلها منهم أدخل النار .

وذهب آخرون إلى الوقوف فيهم .

وذهب جمهور الناس إلى أنهم فى الجنة – وبه نقول –

قال أبو محمد : فأما الأزارقة فاحتجوا بقول الله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام أنه قال : رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا[2]» .

ويقول : روى عن رسول الله ﷺ : أن خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها

قالت : يا رسول الله أَيْنَ أَطْفَالِى مِنْكَ ؟ قَالَ فِى الْجَنَّةِ .

قَالتَ : فَأَطْفَالِى مِنْ غَيْرِك ؟ قَالَ فى النَّارِ .

فأعادت عِليه فقال لها : إنْ شِئْت أَسْمَعتُكِ تَضَاغِيهِمْ »[3].

---

(١) الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق الحنفى المكنّى بأبى راشد ، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددًا ولا أشد منهم شوكة ، والذى جمعهم من الدين أشياء منها قولهم : بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ، ومنها أنها استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفالهم ، وزعموا أن الأطفال مشركون . (راجع حديثًا مفصلًا عنهم فى الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٨٢ وما بعدها) .

(٢) سورة نوح آية رقم ٢٧

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٦ ص ٢٠٨

وبحديث آخر فى : الْوَائِدَةُ وَالْموُؤدَةُ فى النَّارِ(٤).

وقالوا : إن كانوا عندكم فى الجنة فهم مؤمنون ، لأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة فإن كانوا مؤمنين فيلزمكم أن تدفنوا أطفال المشركين مع المسلمين ، وأن لا تتركوه يلتزم إذا بلغ دين أبيه فتكون ردة وخروجاً عن الإسلام إلى الكفر ، وينبغى لكم أن ترثوه وتورثوه من أقاربه من المسلمين .

قال أبو محمد : هذا كل ما احتجوا به ما يعلم لهم حجة غير هذا أصلًا ، وكله لا حجة لهم فيه البتة .

أما قول نوح عليه السلام : (فلم يقل ذلك على كل كافر ، بل قال ذلك على كفار قومه خاصة ، لأن الله تعالى قال له : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)(٥).

فأيقن نوح عليه السلام بهذا الوحى أنه لا يحدث فيهم مؤمن أبدًا وأن كل من ولدوه إن ولدوه لم يكن إلا كافرًا ولابد .

وهذا هو نص الآية لأنه تعالى حكى عنه أنه قال :

« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا »(٦).

وإنما أراد كفار وقته الذين كانوا على الأرض حينئذ فقط ، ولو كان للأزارقة أدنى علم لعلموا أن هذا من كلام نوح عليه السلام ليس على كل كافر ، لكن على قوم نوح خاصة ، لأن إبراهيم ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم كانا أبواهما كافرين مشركين ، وقد ولدا خير الإنس والجن من المؤمنين ، وأكمل الناس إيمانا ، ولكن الأزارقة كانوا أعرابًا جهالًا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا .

وهكذا صح عن النبى ﷺ من طريق الأسود بن سريع التميمى(٧) أنه عليه السلام قال : أَوَلَيسَ خِيَارُكُمْ أَوْلَادِ الْمشرِكِين(٨).

قال أبو محمد : وهل كان أفاضل الصحابة رضى الله عنهم الذين يتولاهم الأزارقة كابن قحافة وعمر بن الخطاب ، وخديجة أم المؤمنين وغيرهم رضى الله عنهم . إلا أولاد الكفار فهل ولد

---

(٤) الحديث رواه أبو داود فى السنة رقم ١٧ ولفظه : الوائدة والموؤدة فى النار ، قال يحيى بن زكريا قال أبى : فحدثنى أبو اسحاق أن عامرًا حدثه بذلك عن علقمه عن ابن مسعود عن النبى ﷺ .

(٥) سورة هود آية رقم ٣٦

(٦) سورة نوح آية رقم ٢٦

(٧) هو الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمى من بنى سعد بن زيد غزا مع النبى - ﷺ - يكنى أبا عبد الله نزل البصرة وكان قاصًا شاعرًا محسنًا وهو أول من قص فى مسجد البصرة ، روى عنه الحسن البصرى ، وعبد الرحمن بن أبى بكرة .

(٨) قال الأسود بن سريع غزوت مع رسول الله أربع غزوات فأفض بهم التقل أن قتلوا الذرية فقال بعضهم يا رسول الله : إنهم أولاد المشركين فقال رسول الله - ﷺ : أوليس خياركم أولاد المشركين ، ما من مولود يولد إلا على فطرة الإسلام حتى يُعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . (راجع الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ١ ص ٨٩ - ٩٠

آباؤهم كفارا ؟ وهل ولدوا إلا أهل الإيمان الصريح ؟ ثم آباء الأزارقة أنفسهم كوالد نافع ابن الأزرق[٩] وغيرهم من شيوخهم هل كانوا إلا أولاد المشركين ؟ ولكن من يضلل الله فلا هادى له .

وأما حديث خديجة رضى الله عنها فساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير ، وأما حديث الوائدة فإنه جاء كما نذكره .

« حدثنا يوسف بن عبد البر ، أنا عبد الوارث بن سفيان قاسم بن أصبغ ، حدثنا بكر ابن حماد حدثنا مسدد عن المعتمد بن سليمان التيمى قال :

سمعت داود بن أبى هند يحدث عن عامر الشعبى ، عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد الجعفى قال : أتيت أنا وأخى رسول ﷺ فقلنا له : إن أمنا ماتت فى الجاهلية وكانت تقرى الضيف ، وتصل الرحم ، فهل ينفعها من عملها ذلك شىء ؟ قال : لا .

قلنا : فإن أمنا وأدت أختا لنا فى الجاهلية لم تبلغ الحنث ، فقال رسول ﷺ .

الْمَؤُودَةُ والْوائِدة فى النَّارِ إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوائِدةُ الإِسْلَامَ فَتُسْلِم »[١٠].

قال أبو محمد : وهذه اللفظة يعنى لم تبلغ الحنث ليست بلا شك من كلام رسول الله ﷺ ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفى وأخيه فلما أخبر عليه السلام بأن تلك المؤودة فى النار كان ذلك انكارا وإبطالا لقولهما إنها لم تبلغ الحنث وتصحيحًا لأنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنهما لا يجوز إلا هذا القول ، لأن كلامه عليه السلام لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل ، بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضا وموافق لما أخبر به ربه[١١] عز وجل ، ومعاذ الله من غير ذلك ، وقد صح إخبار النبى ﷺ : « بأن أَطْفَالَ المشْرِكِينَ فى الجَنَّة[١٢]» .

قال الله تعالى : « وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قُتلت[١٣]» .

---

(٩) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى البكرى الحرورى أبو راشد ، رأس الازارقة كان أمير قومه وفقيهم ، من أهل البصرة ، صحب فى أول أمره عبد الله بن عباس ، كان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان ووالوا عليا إلى أن كانت قضية التحكيم فاجتمعوا فى حروراء ونادوا بالخروج على علىّ ، قاتله المهلب بن أبى صفرة ، وقتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز عام ٦٥ هـ . (لسان الميزان الذهبى حـ ٦ ص ١٤٤ وابن الأثير حـ ٦ ص ٦٥ ، ٦٦) .

(١٠) الجزء الأول من الحديث رواه أبو داود فى السنة رقم ١٧ والجزء الثانى وهو : « إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها ، رواه أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٣ ، ص ٤٧٨

(١١) سقط من (أ) ربه .

(١٢) لم نعثر على تخريج هذا الخبر .

(١٣) سورة التكوير آية رقم ٨

فنص تعالى على أنه لا ذنب للمؤودة فكان هذا مبينًا لأن اخبار النبى ﷺ بأن تلك المؤودة فى النار إخبار عن أنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن أخويها .

وقد روى هذا الحديث عن داود بن أبى هند ، محمد بن أبى عدى ، وليس هو دون المعتمر ، ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه أيضًا عن داود بن أبى هند[14] « عبدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التى ذكرها المعتمر .

فأما حديث عبيدة فحدثناه أحمد بن محمد بن الجسور قال : أنا وهب بن ميسرة ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة ، حدثنا عبيدة بن حميد ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن علقمة بن قيس ، عن سلمة بن يزيد .

قال : أتيت النبى ﷺ أنا وأخى ، فقلت : يا رسول الله إن أمنا كانت تقرى الضيف ، وتصل الرحم . فى الجاهلية ، فهل ينفعها ذلك شيئا .. ؟ قال : لا . قال : فإنها وأدت أختا لنا فى الجاهلية ، فهل ينفع ذلك أختنا شيئا ؟ قال : لا .

« الْوَائِدةُ والْموْؤُدَةُ فى النَّارِ إلَّا أَنْ تُدْرِكَ الإسْلَامَ فَيعْفُو الله عَنْهَا »[15].

وأما حديث ابن أبى عدى ، فحدثناه أحمد بن عمر بن أنس العذرى ، حدثنا أبو بدر عبد ، ابن أحمد الهروى الأنصارى ، حدثنا أبو سعيد الخليل بن أحمد السجستانى ، حدثنا عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل ، حدثنا محمد بن أبى عدى ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجعفى ، قال : انطلقت أنا وأخى إلى النبى ﷺ فقلنا : يا رسول الله إن مليكة كانت تصل الرحم ، وتقرى الضيف ، وتفعل ، وتفعل ، هلكت فى الجاهلية ، فعل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : لا . « الوَائِدةُ والْموْؤُ دةُ فى النَّارِ ، إلَّا أنْ تُدْرِكَ الإسْلَامَ فَيَعْفُو الله عَنْهَا» .

قال أبو محمد : هكذا رويناه لها بالهاء على أنها أخت الوائدة .

قال أبو محمد : وهذا حديث قد رويناه مختصرًا ، كما حدثناه عبد الله بن ربيع التميمى ، حدثنا عمر بن عبد الملك الخولانى ، حدثنا محمد بن بكر الوراق البصرى ، حدثنا أبو داود السجستانى ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنى أبى عن عامر الشعبى، قال قال رسول الله ﷺ « الوائدة والمؤودة فى النار » قال يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، قال أبى فحدثنى أبو اسحاق أن عامرًا حدثه بذلك عن علقمة ابن مسعود عن النبى ﷺ .

---

(١٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٥) الحديث رواه أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ١ ص ٢٩٨ ، حـ ٣ ، ٤٧٨ ورواه أبو داود فى السنة رقم ١٧

قال أبو محمد : وهذا مختصر وهو على ما ذكرنا من أنه عليه السلام إنما عنى بذلك التى بلغت لا يجوز غير هذا لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بقول رسول الله ﷺ « هم من آبائهم » .

فإنما قاله عليه السلام فى الحكم فى الدين ، ولله تعالى أن يفرق بين أحكام عباده ويفعل ما يشاء لامعقب لحكمه ، وأيضا فلا متعلق لهم بهذا اللفظ أصلًا ، لأنه إنما فيه أنهم من آبائهم ، وهذا لا شك فيه أنهم توالدوا من آبائهم ، ولم يقل عليه السلام إنهم على دين آبائهم .

وأما قولهم : ينبغى أن تصلوا على أطفال المشركين ، وتورثوهم وترثوهم ، وأن لا تتركونهم يلتزموا دين آبائهم إذا بلغوا ، فإنها ردة فليس لهم أن يعترضوا على الله تعالى . فليس تركنا للصلاة عليهم يوجب أنهم ليسوا مؤمنين ، فهؤلاء الشهداء وهم أفاضل المؤمنين لا يصلى عليهم ، وأما انقطاع المواريث بيننا وبينهم فلا حجة فى ذلك على أنهم ليسوا مؤمنين ، فإن العبد مؤمن فاضل لا يرث ولا يورث ، وقد يأخذ المسلم مال عبده الكافر إذا مات ، وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبد من عبيده يسلم ثم يموت قبل أن يباع عليه ، وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد إذا مات كافرًا مرتدًا أو قتل على الردة ، وهذا معاذ بن جبل[١٦] ومعاوية بن أبى سفيان[١٧] ومسروق بن الأجدع[١٨] وغيرهم من الأئمة رضى الله عنهم يورثون المسلمين من أقاربهم الكفار إذا ماتوا ، ولله تعالى أن يفرق بين أحكام من شاء من عباده ، وإنما نقف حيث أوقفنا النص ولا مزيد ، وكذلك دفنهم فى مقابر آبائهم أيضا ، وكذلك تركهم يخرجون إلى أديان آبائهم إذا بلغوا ، فإن الله تعالى أوجب علينا أن نتركهم وذلك ، ولا نعترض على أحكام الله عز وجل و « لا يسأل عما يفعل[١٩]» .

وقد قال رسول الله ﷺ : كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى المِلة حَتَى يَكُونَ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرانِه وَيُمَجسِّانِه وَيُشرِّكانِه[٢٠]» .

---

(١٦) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى ، صحابى جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبى – ﷺ ، شهد العقبة مع الأنصار وشهد بدرًا والخندق وغيرها وبعثه رسول الله قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن له ١٥٧ حديثًا توفى بناحية الأردن عام ١٨ هـ .

(١٧) معاوية بن أبى سفيان : صخر بى حرب بن أمية بى عبد شمس بن عبد مناف مؤسس الدولة الأموية ، وأحد دهاة العرب ، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ وتعلم الكتابة والحساب فجعله رسول الله فى كتابه ولما ولى أبو بكر ولاه قيادة الجيش ، ولما ولى عمر جعله واليًا على الأردن ثم ولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد أخيه وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية توفى سنة ٦٠ هـ . (راجع تاريخ الرسل والملوك للطبر حـ ٦ ص ١٨٠) ..

(١٨) مسروق بن الأجدع : بن مالك الهمدانى الوادعى تابعى ثقة من أهل اليمن قدم المدينة فى أيام أبى بكر وسكن الكوفة ، وشهد حروب على وكان أعلم بالفتيا من شريح ، وشريح أبصر منه بالقضاء توفى عام ٦٣ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ١٠ ص ١٠٩) .

(١٩) سورة الأنبياء آية رقم ٢٣

(٢٠) الحديث رواه الإمام مسلم فى القدر ٢٣ ، والترمذى فى القدر ٥ وأحمد بن حنبل جـ ٢ ص ٢٥٢ ، ٤٨١

قال أبو محمد : فبطل أن يكون لهم فى شىء مما ذكرنا متعلق ، وإنما هو تشغيب موهوا به ، لأن كل ما ذكرنا فإنما هى أحكام مجردة فقط ، وليس فى شىء من هذه الاستدلالات نص ، على أن أطفال المشركين كفار ولا على أنهم غير كفار ، وهذه النكتتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقط . وبالله تعالى التوفيق وأما من قال فيهم بالوقف فإنهم احتجوا بقول رسول الله ﷺ إذ سئل عن الأطفال يموتون فقال عليه السلام : « اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِين[٢١]» .

وبقوله ﷺ لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذا مات صبى من أبناء الأنصار فقالت .. عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الجَّنةِ .

فقال لها عليه السلام « وَمَا يُدْرِيكِ يَاعَائشةُ ..؟ إنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقًا للنَّارِ وَهُمْ فى أَصْلَابِ آبَائِهِمْ[٢٢]» .

قال أبو محمد : وهذان الخبران لا حجة لهم فى شىء منهما إلا أنهما إنما قالهما رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه أنهم فى الجنة ، وقد قال تعالى آمرا لرسوله ﷺ أن يقول : « وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم[٢٣]» .

قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكما قال رسول الله ﷺ عن عثمان بن مظعون[٢٤] رضى الله عنه « واللهِ ما أَدْرِى وأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِى[٢٥]» وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النار من شهد بدرًا أو هو عليه السلام لا يقول إلا ما جاء به الوحى ، كما أمر الله عز وجل أن يقول : « إن اتبع إلا ما يوحى إلى[٢٦]» .

فحكم كل شىء من الدين لم يأت به الوحى أن يتوقف فيه المرء ، فإذا جاء البيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص ، وقد صح الاجماع على أن ما يعمله الأطفال قبل بلوغهم من قتل أو وطأ أجنبية أو شرب خمر ، أو قذف ، أو تعطيل صلاة ، أو صوم ، فإنهم غير مؤاخذين فى الآخرة بشىء من ذلك ما لم يبلغوا ، وكذلك لا خلاف فى أنه لا يؤاخذ الله عز وجل أحدًا بما

---

(٢١) الحديث رواه أبو داود فى السنة رقم ١٧ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٦ ص ٨٤ ولفظة عند أبى داود قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ..؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين » ..

(٢٢) الحديث رواه مسلم فى القدر ٣١ وأبو داود فى السنة ١٧ والنسائى فى الجنائز ٥٨ وابن ماجه فى المقدمة ١٠ وأحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٦ ص ٤١ ، ٢٠٨

(٢٣) سورة الأحقاف آية رقم ٩

(٢٤) عثمان بن مظعون : كان أحد الذين حرموا على أنفسهم الخمر فى الجاهلية ، وكان من حكماء العرب ، أسلم مع السابقين وهاجر إلى الحبشة مرتين ، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة بدر ، ومات فى السنة الثانية ، وحزن النبى لموته ، وكان يحبه فقبله ميتًا .

(٢٥) الحديث رواه البخارى فى الجنائز ٣ والتعبير ١٣ ولفظه عند البخارى : أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إنى لأرجو له الخير ، والله ما أدرى وأنا رسول الله : ما يفعل بى » .

(٢٦) سورة الأنعام آية رقم ٥٠

لم يفعله ، بل قد صح عن رسول الله أن « من هم بسيئة فلم يعلمها لم تكتب عليه » فمن المحال المنفى أن يكون الله عز وجل يؤاخذ الأطفال بما لم يعملوا ، مما لو عاشوا بعده لعملوه ، وهو لايؤاخذوهم بما عملوا ولا يختلف إثنان فى أن إنسانًا بالغًا مات ولو عاش لزنا أنه لا يؤاخذ بالزنا الذى لم يعمله ، وقد أكذب الله عز وجل من ظن هذا بقوله الصادق « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت[٢٧]» .

وبقوله تعالى « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون[٢٨]» .

فصح أنه لا يجزى أحد بما لم يعمل ولا مما لم يسن .

فصح أن قول رسول الله ﷺ الله أعلم بما كانوا عاملين ليس فيه أنهم كفار ، ولا أنهم فى النار ، ولا أنهم مؤاخذون بما لم لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد ، وفى هذا اختلفنا لا فيما عداه ، وإنما فيه أن الله تعالى يعلم ما لم يكن وما لا يكون لو كان كيف كان يكون فقط ، ونعم هذا حق لا يشك فيه مسلم فبطل أن يكون لاهل التوقف حجة فى شىء من هذين الخبرين إذ[٢٩] صح عن رسول الله ﷺ فى هذه المسألة بيان .

وأما من قال إنهم يعذبون بعذاب آبائهم فباطل ، لأن الله تعالى يقول : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تذر وازرة وزر أخرى[٣٠]» .

وأما من قال إنه توقد لهم نار فباطل ، لأن الأثر الذى فيه هذه القصة إنما جاء فى المجانين وفى من لم يبلغه ذكر الإسلام من البالغين على ما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قال أبو محمد : فلما بطلت هذه الأقاويل كلها وجب النظر فيما صح من النصوص من حكم هذه المسألة ، ففعلنا فوجدنا الله تعالى قد قال : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم[٣١]» .

وقال عز وجل : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ، واسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط – إلى قوله : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » إلى قوله : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون[٣٢]» .

---

(٢٧) سورة غافر آية رقم ١٧ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث جاءت ما عملت .
(٢٨) سورة النمل آية رقم ٩٠
(٢٩) فى (أ) : إذا لم يصح وهذا تحريف .
(٣٠) سورة الأنعام آية رقم ١٦٤
(٣١) سورة الروم آية رقم ٣٠
(٣٢) سورة البقرة آية رقم ١٣٦ – ١٣٨

فنص عز وجل على أنه فطر الناس على الإيمان وأن الإيمان هو صبغة الله تعالى ، وقال عز وجل : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى[٣٣] » .

فصح يقينا أن كل نفس خلقها الله تعالى من بنى آدم ومن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلا مميزون ، فإذ ذلك كذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بإيمانهم ، حاشا من بدل هذا العهد ، وهذه الفطرة ، وهذه الصبغة ، وخرج عنها إلى غيرها ومات على التبديل ، وبيقين ندرى أن الأطفال لم يغيروا شيئا من ذلك فهم من أهل الجنة ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كُلُ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ[٣٤] » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « عَلَى الْمِلَّةِ فَأَبَواهُ يُهَوِدَّانِهِ وَيُنَصِّرانِهِ ويُمَجسَّانِه وَيُشرِّكَانِه كَما تُنْتجِ الْبَهِيمةُ بهيمة جَمْعَاءَ وهَلْ يَجِدوُنِ فيها من جَدْعَاءَ ؟ حَتَّى تكُونُوا أَنْتُم الَّذى تَجْدَعُونَها[٣٥] » .

وهذا تفسير الآيات المذكورات .

حدثنا عبد الله بن ربيع ، حدثنا محمد بن اسحاق السكن ، حدثنا أبو سعيد بن الأعرابى ، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ، حدثنا الحسن بن على ، حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد على الفطرة ، فقال : هذا عندنا حيث أخذ الله العهد عليهم فى أصلاب آبائهم ، حيث قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى[٣٦].

وقد صح أيضا عن رسول الله ﷺ من طريق عياض بن حمار المجاشعى قال : عن الله تعالى أنه قال : خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم[٣٧] » .

فصح يقينا أنه كل من مات قبل أن تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفا ، وهذا حديث تدخل فيه الملائكة والجن والإنس [بقوله خلقت عبادى حنفاء كلهم لأن الملائكة والجن والإنس][٣٨] عباد له عز وجل مخلوقون .

---

(٣٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(٣٤) سبق تخريج هذا الحديث ص ١٣١

(٣٥) الحديث رواه البخارى فى الجنائز ٧٩ ، ٩٢ وفى التفسير سورة ٣٠ ، والقدر ٣ ورواه مسلم فى القدر ٢٢ ، ٣٤ ، وأبو داود فى السنة ١٧ والموطأ فى الجنائز وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٢ ص ٢٢٢ ولفظه عند مسلم : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » .

(٣٦) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(٣٧) الحديث رواه الإمام مسلم فى الجنة ٦٣ وأحمد بن حنبل حـ ٤ ص ١٦٣

(٣٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

وأيضا فإن الله عز وجل أخبر بقوله إبليس له تعالى أنه يغوى الناس فقال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين[٣٩] » .

فصح يقينا أن الغواية داخلة على الإيمان ، وأن الأصل من كل واحد فهو الإيمان وكل مؤمن ففى الجنة ، وأيضا فإن الله تعالى قال : « فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى[٤٠] » وليست هذه صفة الصبيان . فصح أنهم لا يدخلون النار ، ولا دار الا الجنة أو النار ، فإذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك فى الجنة .

وقد صح عن رسول الله ﷺ فى الرؤيا الكبيرة التى رآها أنه رأى إبراهيم عليه السلام فى روضة خضراء مفتحة[٤١] فيها من كل نور نعيم ، وحواليه من أحسن صبيان وأكثرهم ، فسأل عليه السلام عنهم فأخبر أنهم من مات من أولاد الناس قبل أن يبلغوا ، فقيل له يا رسول الله وأولاد المشركين ..؟ قال : وأولاد المشركين » . فارتفع الإشكال وصح بالثابت من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففى الجنة ، ولا يحل لأحد تعدى ما صح بالقرآن والسنة . وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : إذا قلتم : إن النار دار جزاء فالجنة كذلك ، ولا جزاء للصبيان قلنا وبالله تعالى التوفيق : إنما نقف عند ما جاءت به النصوص فى الشريعة ، وقد جاء النص بأن النار دار جزاء فقط ، وأن الجنة دار جزاء وتفضل فهى لأصحاب الأعمال دار جزاء بقدر أعمالهم ، ولمن لا عمل له دار تفضل من الله تعالى مجرد ، وقد قال قوم : إن الصبيان هم خدم أهل الجنة ، وقد ذكر الله تعالى الولدان المخلدين فى غير موضع من كتابه ، وأنهم خدم أهل الجنة فلعلهم هؤلاء – والله أعلم –

قال أبو محمد : وأما المجانين الذين لا يعقلون حتى يموتوا فإنهم كما ذكرنا يولدون على الملة حنفاء ، مؤمنين ، ولم يغيروا ، ولا بدلوا ، فماتوا مؤمنين فهم فى الجنة .

حدثنا أحمد بن محمد الطلمنكى[٤٢] بالثغر قال حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن المفرح

---

(٣٩) سورة الحجر آية رقم ٤٢

(٤٠) سورة الليل آية رقم ١٥

(٤١) فى (أ) : مفتحه .

(٤٢) الطلمنكى : أبو عمر الحافظ : ولد بقرطبة سنة ٣٤٠ هـ ، رحل إلى القيروان وإلى الحجاز وهو من شيوخ ابن حزم ، وعنه أخذ ابن عبد البر صاحب الاستيعاب ، وكان رأسًا فى علم القرآن ذا عناية بالحديث ، وقصد بلده طلمنكه فى آخر عمره وتوفى بها سنة ٤٢٩ هـ. (تذكرة الحفاظ حـ ٣ : ص ٢٨٠) .

القاضى ، حدثنا محمد بن أيوب السموط البرق ، أنبأنا محمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز ، حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى الزمن ، حدثنا معاذ بن هشام الدستواى ، حدثنا ابى عن قتادة عن الأسود ابن سريع التميمى ، عن النبى ﷺ قال : يعرض على الله تعالى الأصم الذى لا يسمع شيئا ، والأحمق ، والهرم ، ورجل مات فى الفترة ، فيقول الأصم : رب جاء الإسلام ، وما أسمع شيئا ، ويقول الأحمق : جاء الإسلام ، وما أعقل شيئا ، ويقول الذى مات فى الفترة : ما أتانا لك من رسول ، قال البزار : وذهب عنى ما قال الرابع قال فيأخذ مواثيقهم ليطيعوه فيرسل الله إليهم ادخلوا النار ، فوالذى نفسى بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا[٤٣]» .

(٤٣) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده حـ ٤ ص ٢٤ ، ٥٠

« الكلام فى القيامة وبعث[1] الأجساد »

قال أبو محمد : اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث فى القيادة وعلى تكفير من أنكر ذلك ، ومعنى هذا القول أن لمكث الناس وتناسلهم فى دار الابتلاء التى هى الدنيا أمدًا يعلمه الله تعالى ، فإذا انتهى ذلك الأمد مات كل من فى الأرض ثم يحيى الله عز وجل كل من مات مذ خلق الله عز وجل الحيوان إلى انقضاء الأمد المذكور ، ورد أرواحهم التى كانت بأعيانها إلى أجسادها[2] وجمعهم فى موقف واحد وحاسبهم عن جميع أعمالهم ووفاهم جزآوءهم ففريق من الجن والإنس فى الجنة ، وفريق فى السعير ، وبهذا جاء القرآن والسنن ، قال تعالى : « من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم[3]» .

وقال تعالى : « وأن الله يبعث من فى القبور[4]» .

وقال تعالى : « عن إبراهيم عليه السلام أنه قال « رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى[5]» إلى آخر الآية .

وقال تعالى: « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم[6]» .

وقال تعالى : « فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام – إلى قوله : وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما .. الآية[7]» .

---

(١) فى (أ) : وتغيير وهو تحريف .
(٢) سقط من (أ) إلى أجسادها .
(٣) سورة يس آية رقم ٧٨
(٤) سورة الحج آية رقم ٧
(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠
(٦) سرة البقرة آية رقم ٢٤٣
(٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩

وقال تعالى عن المسيح عليه السلام : « وأحيى الموتى بإذن الله[٨] » ولا يمكن ألبتة أن يكون الاحياء المذكور فى جميع هذه الآيات إلا رد الروح إلى الجسد ، ورجوع الحس والحركة الارادية التى بعد عدمها منه لم يكن غير هذا البتة ، إلا أن أبا العاص الحكم منذر بن سعيد القاضى[٩] أخبرنى عن إسماعيل بن عبد الله الرعينى ، أنه كان ينكر بعث الاجساد ويقول إن النفس حال فراقها الجسد تصير إلى معادها فى الجنة أو النار ، ووقفت على هذا القول بعض العارفين بإسماعيل فذكر لى ثقتان[١١] منهم أنهما سمعاه يقول إن الله تعالى يأخذ من الأجساد جزء الحياة منها .

قال أبو محمد : وهذا تلبيس من القول لم يخرج به عما حكى لى عنه حكم ابن المنذر لأنه ليس فى الأجساد جزء الحياة الا النفس وحدها .

قال أبو محمد : ولم ألق اسماعيل الرعينى قط على أنى قد أدركته وكان ساكنا معى فى مدينة من مدائن الأندلس تسمى بجاية[١٢] مدة ولكنه كان مختفيا وكان له اجتهاد عظيم ونسك وعباده وصلاة وصيام والله أعلم .

وحكم بن المنذر ثقة فى قوله بعيد نقله[١٣] عن الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكانا قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة[١٤] فى القدر وتبرأ منه أيضا إبراهيم بن سهل الأريوانى ، وكان من رؤوس المرية وتبرأ منه أيضا صهره أحمد الطبيب ، وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغنى عنه أنه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول الله ﷺ إذ وقف على ميت فقال : أما هذا فقد قامت قيامته[١٥] » .

وبأنه عليه السلام كانت الأعراب تسأله عن الساعة فينظر إلى أصغرهم فيخبرهم أنه إن استوفى عمره لم يمت حتى تقوم قيامتهم أو ساعتهم .

قال أبو محمد : وإنما عنى رسول الله ﷺ بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك إلى يوم البعث كما قال عز وجل « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون[١٦] » .

(٨) سورة آل عمران آية رقم ٤٩
(٩) راجع ترجمته ص ١٤٢ .
(١٠) فى (خ) : (ساعة) .
(١١) فى (أ) : (ثقاة) .
(١٢) بجاية : بالكسر ، وتخفيف الميم ، وألف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن عِلْناس ابن حماد سنة ٤٥٧ هـ كانت قديمًا ميناء فقط ثم بنيت مدينة . (معجم البلدان حـ ١ ص ٣٣٩) .
(١٣) فى (أ) : قوله .
(١٤) محمد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله ، متصوف متفلسف أندلسى ، من دعاة الإسماعيلية ، من أهل قرطبة قال ابن الفرضى : اتهم بالزندقة ، وفى تاريخ قضاة الأندلس أن القاضى ابن زرب وضع كتابًا فى الرد على ابن مسرة توفى سنة ٣١٩ هـ . (جذوة المقتبس ص ٥٨) .
(١٥) لم نعثر على تخريج هذا الحديث .
(١٦) سورة المؤمنون آية رقم ١٦

فنص تعالى على أن البعث يوم القيامة بعد الموت بلفظة ثم التى هى للمهلة ، وهكذا أخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة .

« يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا[١٧]» .

وإنه يوم مقداره خمسون ألف سنة ، وأنه يحيى العظام ويبعث من فى القبور فى مواضع كثيرة من القرآن ، وبرهان ضرورى وهو أن الجنة والنار موضعان ومكانان وكل موضع ومكان فذو[١٨] مساحة متناهية محدودة بالبرهان الذى قدمنا على وجوب تناهى الأجسام ، وتناهى كل ما له عدد وبقول الله تعالى : « وجنة عرضها السموات والأرض[١٩]» .

فلو لم يكن لتولد الخلق نهاية لكانوا أبدًا يحدثون بلا اخر ، وقد علمنا أن مصيرهم إلى[٢٠] الجنة أو النار ، ومحال ممتنع غير ممكن أن يسع ما لا نهاية له فيما له نهاية من الأماكن فوجب ضرورة أن للخلق نهاية ، فإذ ذلك واجب فقد وجب تناهى عالم الذر والتناسل ضرورة ، وإنما كلامنا هذا مع من يؤمن[٢١] بالقرآن ، وبنبوة محمد ﷺ ، وادعى الإسلام ، وأما من أنكر الإسلام فكلامنا معه على ما رتباناه فى ديواننا هذا من النقض على أهل الالحاد حتى تثبت نبوة محمد ﷺ وصحة ما جاء به فنرجع إليه عند[٢٢] التنازع وبالله تعالى التوفيق .

وقد نص الله تعالى على أن العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة ، وأما اللحم فإنما هو كسوة كما قال :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » إلى قوله : « فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين[٢٣]» .

فأخبر عز وجل : « أن عنصر الإنسان إنما هو العظام الذى انتقلت عن سلالة الطين[٢٤] إلى النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام وأن اللحم كسوة العظام ، وهذا أمر نشاهده لأن اللحم يذهب بالمرض حتى لا يبقى منه ما لا قدر له ، ثم يكثر عليه لحم آخر إذا خصب الجسم وكذلك

---

(١٧) سورة يس اية رقم ٥٢
(١٨) سقط من (أ) (فذو) .
(١٩) سورة آل عمران آية رقم ١٣٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت بدون الواو .
(٢٠) سقط من (أ) (إلى) .
(٢١) فى (خ) : (يقر) .
(٢٢) فى (أ) : بعد .
(٢٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٣ – ١٤
(٢٤) فى (أ) : السلالة التى من طين .

أخبرنا عز وجل أنه يبدل الجلود[٢٥] فى الآخرة فقال : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب[٢٦]» .

وفى الآثار الثابتة أَنَّ جِلْد[٢٧] الْكَفَّارِ يَغْلظ حَتَى تكونَ نَيْفًا وَسَبْعِين ذِرَاعًا وأَنَّ ضِرسْهَ فِى النَّارِ كَأُحُد[٢٨]» وكذلك نجد اللحم الذى فى جسد الإنسان يتغذى به حيوان آخر فيستحيل لحما لذلك الحيوان ، أو[٢٩] ينقلب دودًا فصح بنص القرآن أن العظام هى التى تحيى يوم القيامة ، ومن أنكر ما جاء به القرآن فلاحظ له فى الإسلام .

ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(٢٥) فى (آ) : الخلق .
(٢٦) سورة النساء آية رقم ٥٦
(٢٧) فى (أ) : (جلود) .
(٢٨) الحديث رواه مسلم فى الجنة ٤٤ ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٢ ص ٢٢٨ ص ٥٢٧ ولفظه عند مسلم : ضرس الكافر ، أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث .
(٢٩) (إذ) .

« الكلامُ فى خلقِ الجنةِ والنارِ »

قال أبو محمد : ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد . وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا ، وما نعلم لمن قال إنهما لم يخلقا بعد حجة أصلًا أكثر من أن بعضهم قال : قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : وذكر أشياء من أعمال البر من عملها غرست له فى الجنة كذا وكذا شجرة[1]» ويقول الله تعالى حاكيًا عن امرأة فرعون أنها قالت : « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة[2]» .

قالوا : ولو كانت مخلوقة لم يكن فى الدعاء استئناف البناء والغرس معنى .

[قال أبو محمد : وإنما قلنا إنهما مخلوقتان على الجملة كما أن الأرض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من نبات][3].

قال أبو محمد : والبرهان على أنهما مخلوقتان بعد إخبار النبى ﷺ أنه رأى الجنة ليلة الإسراء .

وأخبر عليه السلام أنه رأى سدرة المنتهى فى السماء السادسة ، وقال تعالى « عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى[4]» .

فصح أن جنة المأوى هى السماء السادسة ، وقد أخبر الله عز وجل أنها الجنة التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة .

---

(١) الحديث لم يوجد بهذا المعنى ، وإن كان هناك حديث رواه الترمذى فى باب الدعاء بلفظ : من قال : سبحان الله العظيم ، وبحمده غرست له نخلة فى الجنة ، وقال : الترمذى : هذا حديث غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير وهناك حديث آخر : من قال سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة « رواه الترمذى أيضاً وقال : هذا حديث حسن غريب » .

(٢) سورة التحريم آية رقم ١١

(٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤) سورة النجم آية رقم ١٤

فقال تعالى : « فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون[٥] » فليس لأحد بعد هذا أن يقول إنها جنة غير جنة الخلد .

وأخبر عليه السلام أنه رأى الأنبياء عليهم السلام فى السموات سماء سماء ولا شك فى أن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى الجنة .

فصح أن الجنات هى السموات .

وكذلك أخبر عليه السلام أن الفردوس الأعلى[٦] من الجنة التى أمرنا الله تعالى أن نسأله إياها فوقها عرش الرحمن ، والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة ، وكذلك أخبر عليه السلام أن النار اشْتَكَتْ إلى رَبِهَا فَأَذِنَ لَها بِنَفَسْين وَأَنَّ ذَلِكِ أَشَدُ مَا نجَده مِنْ الْحَرِ وَالْبَرْدِ[٧]» .

وكان القاضى منذر بن سعيد[٨] يذهب إلى أن الجنة والنار مخلوقتان إلا أنه كان يقول : إنها ليست التى كان فيها آدم عليه السلام وامرأته واحتج فى ذلك بأشياء منها أنها لو كانت جنة الخلد لما أكل من الشجرة ، رجاء أن يكون من الخالدين ، واحتج أيضا بأن جنة الخلد لا كذب فيها ، وقد كذب فيها إبليس ، وقال من دخل الجنة لم يخرج منها . وآدم وامرأته عليهما السلام قد خرجا منها .

قال أبو محمد : كل هذا لا دليل له[٩] فيه . أما قوله : إن آدم عليه السلام أكل من الشجرة رجاء أن يكون من الخالدين فقد علمنا أن أكله من الشجرة لم يكن ظنه فيه صوابًا ، ولا أكله لها صوابا ، وإنما كان ظنا ولا حجة فيما كان هذه صفته ، والله عز وجل لم يخبره بأنه مخلد فى الجنة ، بل قد كان فى علم الله تعالى أنه سيخرجه منها ، فأكل عليه السلام من الشجرة رجاء الخلد الذى لم يضمن له ، ولا تيقن به لنفسه .

وأما قوله : إن الجنة لا كذب فيها وأن من دخلها لم يخرج منها وقد كذب فيها إبليس ، وقد

---

(٥) سورة السجدة آية رقم ١٩ وقد جاءت الآية محرفة حيث ذكرت بدون (الفاء) .

(٦) الحديث رواه البخارى فى الرقاق ٥١ ، والجهاد ١٤ ، والمغازى ٩ وأحمد بن حنبل حـ ٣ ، ١٢٤ ، ٢١٠

(٧) الحديث رواه البخارى فى المواقيت ٩ ، وبدء الخلق ١٠ ورواه الإمام مسلم فى المساجد ١٨٥ – ١٨٧ والترمذى جهنم ٩ ، وابن ماجه فى الزهد ٣٨ والدارمى فى الرقاق ١١٩ ولفظه عند الترمذى : اشتكت النار إلى ربها وقالت أكل بعض بعضًا فجعل لها نفسين ، نفسًا فى الشتاء ونفسًا فى الصيف فأما نفسها فى الشتاء فزمهرير ، وأما نفسها فى الصيف فسموم .

(٨) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النُّفرى القرطبى أبو الحكم البلوطى ، قاضى قضاة الأندلس فى عصره كان فقيها خطيبا شاعرًا فصيحًا ، رحل حاجًا سنة ٣٠٨ هـ فاقام فى رحلته أربعين شهرًا ، قال ابن الفرضى كان بصيرًا بالجدل ، منحرفًا إلى مذاهب أصحاب الكلام له كتب فى القرآن والسنة على أهل الأهواء منها أحكام القرآن والابانة عن حقائق أصول الديانة توفى سنة ٣٥٥ هـ . (نفح الطيب حـ ١ ص ٣٣٥) .

(٩) فى (أ) : لا دلالة .

خرج منها آدم ، وامرأته ، فهذا لا حجة له فيه وإنما تكون كذلك إذا كانت جزاء لأهلها كما أخبر عز وجل عنها حيث يقول : « لا تسمع فيها لاغية[١٠] » .

فإنما هذا على المستأنف لا على ما سلف ، ولا نص معه على ما ادعى ولا اجماع واحتج ايضا بقول الله عز وجل لآدم عليه السلام « ألا تجوع فيها ولا تعرى[١١] » .

قال : وقد عرى فيها آدم عليه السلام .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة فيه ، بل هو حجة عليه لأن الله عز وجل وصف الجنة التى أسكن فيها آدم عليه السلام بأنها لا يجاع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى ، وهذه صفة الجنة بلا شك ، وليس فى شيء مما دون السماء مكان هذه صفته بلا شك ، بل كل موضع دون السماء فإنه لابد وأن يجاع فيه ويعرى ، ويظمأ ويضحى ، ولابد من ذلك ضرورة ، فصح أنه إنما سكن المكان الذى هذه صفته ، وليس هو غير الجنة البتة ، وإنما عرى آدم حين أكل من الشجرة ، فأهبط عقوبة له .

وقال أيضا : قال الله عز وجل : « لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريراً[١٢] » وأخبر آدم أنه لا يضحى .

قال أبو محمد : وهذا أعظم حجة عليه لأنه لو كان فى المكان الذى هو فيه شمس لأضحى فيه ولابد ، فصح أن الجنة التى أسكن فيها آدم كانت لا شمس فيها ، فهى جنة الخلد بلا شك ، وأيضا فإن قوله عز وجل : « اسكن أنت وزوجك الجنة[١٣] » إشارة بالألف واللام ، ولا يكون ذلك إلا على معهود ولا تطلق الجنة هكذا إلا على جنة الخلد ، ولا يطلق هذا الاسم على غيرها إلا بالأضافة . وأيضا فلو اسكن آدم عليه السلام جنة فى الأرض لما كان فى اخراجه منها إلى غيرها من الأرض عقوبة ، بل قد بين تعالى أنها ليست فى الأرض بقوله تعالى : « اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين[١٤] » فصح يقينا بالنص أنه قد اهبط من الجنة إلى الأرض ، فصح أنها لم تكن فى الأرض البتة ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٠) سورة الغاشية آية رقم ٢١
(١١) سورة طه آية رقم ١١٨
(١٢) سورة الإنسان آية رقم ١٣
(١٣) سورة الأعراف آية رقم ١٩ – ٣٥ البقرة
(١٤) سورة البقرة آية رقم ٣٨

الكلام فى بقاء الجنة[1] والنار أبدًا ..

قال أبو محمد : اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ، ولا لنعيمها ، ولا للنار ، ولا لعذابها ، إلا جهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقوما من الروافض ، فأما جهم فقال : إن الجنة والنار يفنيان ويُفنى أهلهما ، وقال أبو الهذيل : إن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما ، إلا أن حركاتهم تفنى ، ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم فى ذلك أحياء متلذذون أو معذبون .

وقالت تلك الطائفة من الروافض : إن أهل الجنة يخرجون من الجنة ، وكذلك أهل النار من النار إلى حيث شاء الله .

قال أبو محمد : أما هذه المقالة ففى غاية الغثاثة ، والتعرى من شىء يشغب به ، فكيف من اقناع أو برهان ، وما كان هكذا فهو ساقط .

وأما قول أبى الهذيل فإنه لا حجة له إلا أنه قال : كلما أحصاه العدد فهو ذو نهاية ولابد ، فالحركات ذات عدد فهى متناهية .

قال أبو محمد : فظن أبو الهذيل لجهله بحدود الكلام وطبائع الموجودات أن ما لم يخرج إلى الفعل فإنه يقع عليه العدد ، وهذا خطأ فاحش لأن ما لم يخرج إلى الفعل فليس شيئا ، ولا يجوز أن يقع العدد إلا على شىء ، وإنما يقع العدد على ما خرج إلى الفعل من حركات أهل النار والجنة متى ما خرج فهو محدود متناه وهكذا أبدا .

وقد أحكمنا هذا المعنى فى أول هذا الكتاب فى باب إيجاب حدوث العالم ، وتناهى الموجودات ، فأغنى عن اعادته وبالله تعالى التوفيق .

---

(١) فى (أ) . بزيادة أهل .

فبطل ما موه به أبو الهذيل ولله الحمد .

ثم نقول إن قوله هذا خلاف للاجماع المتيقن .

وأيضا فإن الذى فر منه فى الحركات فإنه لازم له فى مدد سكونهم وتنعمهم وتألمهم ، لأنه مقر بأنهم يبقون ساكنين متنعمين متألمين بالعذاب ، وبالضرورة ندرى أن للسكون والنعيم والعذاب مُددا يعد كل ذلك كما تعد الحركة ومددها ولا فرق .

وأيضا فلو كان ما قاله أبو الهذيل صحيحا لصار أهل[٢] الجنة فى عذاب واصب وفى صفة المخدور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقى البنج وهذا غاية النكد ، والشقاء ، ونعوذ بالله من هذه الحال .

وأما جهم بن صفوان فإنه احتج بقول الله تعالى : « وأحصى كل شىء عددا[٣]» وبقوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه[٤]» .

وقال : كما لا يجوز أن يوجد شىء لم يزل غير الله تعالى [فكذلك لا يجوز أن يوجد شىء لا يزال غير الله تعالى][٥].

قال أبو محمد : ما نعلم له حجة غير هذا أصلا ، وكل هذا لا حجة له فيه .

أما قوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه » فإنما عنى تعالى الاستحالة من شىء إلى شىء ومن حال إلى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى ، وكذلك مدد النعيم فى الجنة ، والعذاب فى النار ، كلما فنيت مدة أحدث الله عز وجل أخرى ، وهكذا أبدًا بلا نهاية ولا آخر ، يدل على هذا ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى من الدلائل على خلود الجنة والنار وأهلهما .

وأما قوله تعالى « وأحصى كل شىء عددا[٦]» فإن اسم الشىء لا يقع إلا على موجود ، والاحصاء لا يقع على ما ذكرنا ، إلا على ما خرج إلى الفعل ، ووجد بعد ، وإذا لم يخرج من الفعل فهو لا شىء بعد ، ولا يجوز أن يعد لا شىء .

وكل ما خرج إلى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلهما فمحصى بلا شك ، ثم يحدث الله تعالى لهم مددا أخر وهكذا أبدًا بلا نهاية ولا آخر ، وقالوا : هل أحاط الله تعالى علما بجميع مدة الجنة والنار أم لا ؟

---

(٢) ى (أ) : لكان .
(٣) سورة الجن آية رقم ٢٨
(٤) سورة القصص آية رقم ٨٨
(٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٦) سورة الجن آية رقم ٢٨

فإن قلتم : لا . جهلتم الله ، وإن قلتم : نعم . جعلتم مدتها محاطًا بها وهذا هو التناهى نفسه .

قال أبو محمد : إن الله تعالى إنما يعلم بالأشياء على ما هى عليه [لا على خلاف ما هى عليه][٧] لأن من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطيء فى اعتقاده ظان للباطل ، وليس علما ولا حقًا ولا هو عالم به ، وهذا ما لا شك فيه وعلم الله عز وجل هو الحق اليقين على ما هى معلوماته عليه فكل ما كان ذا نهاية فهو فى علم الله تعالى ذو نهاية [وما كان غير ذى نهاية فهو فى علم الله تعالى غير ذى نهاية][٨] ولا سبيل إلى غير هذا ألبتة ، وليس للجنة والنار مدد غير متناهية[٩] محاط بها وإنما لهما مدد كل ما خرج منها إلى الفعل فهو محصى محاط بعدده ، وما لم يخرج إلى الفعل فليس بمحصى لكن علم الله تعالى أحاط بأنه لا نهاية لهما ، وأما قوله كما لا يجوز أن يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له ولم يزل [فلذلك لا يجوز أن يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له ولا يزال][١٠] فإن هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لا يصح والفرق بينهما أن أشياء ذوات عدد لا أول لها ، ولم تزل لا يمكن أن نتوهم البتة ولا يشكك بل هى محال فى الوجود كما ذكرنا فى الرد على من قال بأن العالم لم يزل ، فأغنى عن اعادته وليس كذلك قولنا لا يزال لأن أحداث الله تعالى شيئا بعد شيء أبدًا بلا غاية متوهم ممكن لا حوالة فيه ، فقياس الممكن المتوهم على الممتنع المستحيل الذى لا يتوهم باطل عند القائلين بالقياس ، فكيف عند من لا يقول به ..؟ فإن قال قائل : إن كل ما له أول فله آخر .

قلنا له : هذه قضية فاسدة ودعوى مجردة وما وجب هذا قط ، لا بقضية عقل ولا بخبر لأن كون أوائل[١١] الموجودات معلوم بالضرورة لأن ما وجد بعد فقد حصره عدد زمان وجوده ، وكل ما حصره عدد فلذلك العدد أول ضرورة ، وهو قولنا واحد ثم يتمادى العدد أبدا فيمكن الزيادة بلا نهاية وتمادى الموجود بخلاف المبدأ لأنه إذا بقى وقتا جاز أن يبقى وقتين ، وهكذا ابدًا بلا نهاية وكل ما خرج من مدد البقاء إلى حد الفعل فذو نهاية بلا شك ، وكذلك من العدد أيضا .

ولم نقل إن بقاء الناس فى هذه الدنيا له نهاية إلا من طريق النص ، ولو أخبر الله تعالى بذلك لأمكن وجاز أن تبقى الدنيا أبدًا بلا نهاية ولكان الله تعالى قادرًا على ذلك ولكن النص لا يحل

(٧) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٩) سقط من (خ) « غير متناهية » .
(١٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١١) سقط من (أ) كلمة (الأوائل) .

خلافه . وكذلك لولا اخبار الله تعالى بأن الآخرة لا فناء لها لأمكن فناؤها ولكن اخبار الله تعالى لا يحل اعتراضها[١٢].

وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ[١٣] » .

وقوله تعالى فى غير موضع من القرآن « خالدين فيها أبدا[١٤] » .

وقوله تعالى : « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى[١٥] » مع صحة الإجماع بذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص[١٦] لو أقام أهل النار فى النار ما شاء الله أن يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيها منها .

قال أبو محمد : وهذا إنما هو فى أهل الإسلام الداخلين فى النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خاليا ولا يحل لأحد أن يظن بالصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهم من ذلك وبالله تعالى التوفيق .

[تم كتاب الإيمان والوعيد وتوابعه بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم][١٧].

---

(١٢) سقط من ألف ما بين القوسين .

(١٣) سورة هود آية رقم ١٠٨

(١٤) سورة المائدة آية رقم ١١٩

(١٥) سورة الدخان آية رقم ٥٦

(١٦) عبد الله بن عمرو بن العاص ، من قريش ، صحابى من النساك من أهل مكة ، كان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن السريانية ، وأسلم قبل أبيه شهد الغزوات والحروب كان يضرب بسيفين ، وشهد صفين مع معاوية وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة ، عمر فى آخر حياته له ٧٠٠ حديث توفى سنة ٦٥ هـ . (الاصابة فى تمييز الصحابة ت ٤٨٣٨) .

(١٧) ما بين القوسين زيادة من (أ) .

لا إله الا الله عدة للقائه

« الكلام فى الإمامة والمفاضلة »

قال الفقيه الامام الأوحد أبو محمد على بن أحمد بن حزم رضى الله عنه : اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة[1] وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأن الأمة فرض[2] واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات[3] من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ، وهذه فرقة ما نرى بقى منها أحد ، وهم المنسوبون إلى نجدة ابن الحنفى[4] القائم باليمامة .

قال أبو محمد : وقول هذه الفرقة ساقط يكفى من الرد عليه وإبطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام . من ذلك قول الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم[5] » مع أحاديث كثيرة صحاح فى طاعة الأمة ، وإيجاب الإمامة وأيضا فإن الله عز وجل يقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها[6] » فوجب اليقين بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم ، واحتمالهم ، وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم فى الأموال ، والجنايات ، والدماء ، والنكاح ، والطلاق ،

---

(١) سقط من (أ) وجميع المعتزلة .

(٢) سقط من (أ) كلمة : فرض .

(٣) النجدات : أتباع نجدة بن عامر الحنفى ، وكان السبب فى رياسته وزعامته أن نافع بن الأزرق لما أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين واستحل قتل أطفال مخالفيه ، ذهبوا إلى اليمامة فاستقبلهم نجدة بن عامر فبايعوه ، واكفروا من قال باكفار القعدة منهم عن الهجرة .. الخ . (راجع الفرق بين الفرق ص ٨٧) .

(٤) نجدة بن عامر الحرورى الحنفى من بنى حنفية ، من بكر بن وائل : رأس الفرقة النجدية نسبة إليه من الحرورية ويعرف أصحابها بالنجدات من كبار أصحاب الثورات فى صدر الإسلام ، انفرد عن سائر الخوارج باراء ، قدم مكه وله مقالات معروفة استقل باليمامة سنة ٦٦ هـ أيام عبد الله بن الزبير واستقر بها وتسمى بأمير المؤمنين قتله أصحاب بن الزبير عام ٦٩ هـ . (لسان الميزان حـ ٦ ص ١٤٨) .

(٥) سورة النساء آية رقم ٥٩

(٦) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

وسائر الأحكام كلها ومنع الظالم ، وانصاف المظلوم ، وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم ، وشواغلهم ، واختلاف آرائهم ، وامتناع من تحرى فى كل ذلك ممتنع غير ممكن ، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان ، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم ، إما لأنها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء ، وإما خلافًا مجردًا عليهم وهذا الذى لابد منه ضرورة وهذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين فى أكثرها فلا تصح اقامة الدين الا بالاسناد إلى واحد ، أو إلى أكثر من واحد ، فإذ لابد من أحد هذين الوجهين فإن الاثنين فصاعدا بينهما أو بينهم ما ذكرنا فلا يتم أمر البتة .

فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا الإسناد إلى واحد ، فاضل ، عالم ، حسن السياسة ، قوى على الإنفاذ ، إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم ، والاهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعدا ، وإذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم ، إن قدروا على كف كله لزمهم ذلك ، وإلا فكف ما قدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك .

ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الإمامة على أنه لا يجوز كون إمامين فى وقت واحد فى العالم ، ولا يجوز إلا إمامة واحدة[٧] إلا محمد بن كرام السجستانى[٨] وأبا الصباح السمرقندى ، وأصحابهما ، فإنهم أجازوا[٩] كون إمامين فى وقت ، وأكثر فى وقت واحد .

واحتج هؤلاء بقول الأنصار ، أو من قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين : منا أمير ، ومنكم أمير .

واحتجوا أيضا بأمر على ، والحسن ، مع معاوية رضى الله عنهم .

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فيه لأن قول الأنصار رضى الله عنهم ما ذكرنا لم يكن صوابًا بل كان خطأ إذ أداهم إليه الاجتهاد ، وخالفهم فيه المهاجرون ، ولابد إذا اختلف القائلان على قولين متنافيين من أن يكون أحدهما حقا ، والآخر خطأ ، وإذ ذلك كذلك فواجب رد ما تنازعوا فيه إلى ما افترض الله عز وجل الرد إليه عند التنازع ، إذ يقول تعالى : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر[١٠] » .

فنظرنا فى ذلك فوجدنا رسول الله ﷺ قال : « إِذَا بُويِعَ لإِمَامَيْن فاقْتُلوا الْآخَرَ مِنْهُما[١١] » .

---

(٧) فى (أ) : إمام واحد .

(٨) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٧٤ .

(٩) فى (خ) : (يرون) .

(١٠) سورة النساء آية رقم ٥٩

(١١) الحديث رواه الإمام مسلم فى الامارة رقم ٦١ ولفظه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله – ﷺ : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منها .

وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا[١٢] » .

وقال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم[١٣] » .

فحرم الله عز وجل التفرق ، والتنازع ، وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم ، فوجد التنازع ، ووقعت المعصية ، لله تعالى وقلنا ما لا يحل لنا .

وأما من طريق النظر والمصلحة ، فلو جاز أن يكون فى العالم إمامان لجاز أن يكون فيه ثلاثة ، وأربعة ، وأكثر ، فإن منع من ذلك مانع كان متحكما بلا برهان ، ومدعيا بلا دليل ، وهذا الباطل الذى لا يعجز عنه أحد .

وإن جاز ذلك زاد الأمر حتى يكون فى كل عمل[١٤] إمام أو فى كل مدينة إمام ، أو فى كل قرية إمام ، ويكون كل أحد إماما وخليفة فى منزله ، وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا ، فصح أن قول الأنصار رضى الله عنهم وهلة وخطأ قد رجعوا عنه إلى الحق ، وعصمهم الله تعالى من التمادى عليه وأما أمر علىّ والحسن ومعاوية فقد صح عن النبى ﷺ أنه أنذر بخارجة تخرج من طائفتين من أمته يَقْتُلُها أُولَى الطَّائِفَتَيْن بالْحَقِّ[١٥]» فكان قاتل تلك الطائفة على رضى الله عنه فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك أنذر عليه السلام بأن عَمَّارًا تَقْتُلُه الْفِئَةُ الْبَاغِيةُ[١٦]» فصح أن عليًا هو صاحب الحق ، وكان على السابق إلى الإمامة ، فصح بعد أنه صاحبها وأن من نازعه فيها فمخطىء ، فمعاوية رحمه الله مخطىء مأجور ، مرة لأنه مجتهد ، ولا حجة فى خطأ المخطىء فبطل قول هذه الطائفة .

وأيضا فإن قول الأنصار رضى الله عنهم منا أمير ومنكم أمير ، يخرج على أنهم إنما أرادوا أن يلى وال منهم فإذا مات ولى من المهاجرين آخر وهكذا أبدًا لا على أن يكون إمامان فى وقت ، وهذا هو الأظهر من كلامهم .

وأما على ومعاوية رضى الله عنهما فما سلَّم قط أحدهما للآخر ، بل كل واحد منهما يزعم أنه المحق ، وكذلك كان الحسن رضى الله عنه إلى أن أسلم الأمر إلى معاوية ، فإذ هذا كذلك فقد صح الإجماع على بطلان قول ابن كرام وأبى الصباح ، وبطل أن يكون لهم تعلق فى شىء أصلا وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢) سورة ال عمران اية رقم ١٠٥

(١٣) سورة الأنفال آية رقم ٤٦

(١٤) فى (أ) : فى (عالم) .

(١٥) الحديث رواه الإمام مسلم فى الركاة ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ وأبو داود فى السنة ١٢ ، وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٥ ، ص ٢٥ ، ٤٢٥ ولفظه عند مسلم « قرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق .

(١٦) الحديث رواه البخارى فى الصلاة ٦٣ ومسلم فى الفتن ٧٠ والترمذى فى المناقب ٣٤ وأحمد بن حنبل حـ ٣ ص ٦١ ولفظه عند مسلم : تقتل عمار الفئة الباغية .

ثم اختلف القائلون بوجوب الإمامة على فرقتين[١٧] فذهب أهل السنة ، وجميع الشيعة ، وبعض المعتزلة ، وجمهور المرجئة إلى أن الإمامة لا تجوز إلا فى قريش خاصة من كان من ولد فِهْر ابن مالك[١٨]، وأنها لا تجوز فيمن كان أبوه من غير بنى فهر بن مالك ، وإن كانت أمه من قريش ، ولا فى حليف ولا فى مولى .

وذهبت الخوارج كلها ، وجمهور المعتزلة ، وبعض المرجئة ، إلى أنها جائزة فى كل من قام بالكتاب ، والسنة ، قرشيًا كان أو عربيًا ، أو ابن عبد ، وقال ضرار بن عمر الغطفانى : إذا اجتمع حبشى وقرشى كلاهما قائم بالكتاب والسنة ، فالواجب أن يقدم الحبشى لأنه أسهل لخلعه ، إذا حاد عن الطريقة .

قال أبو محمد : وبوجوب الإمامة فى ولد فهر بن مالك خاصة نقول بنص رسول الله ﷺ على أن « الأَئِمَةُ مِنْ قُرَيْش[١٩]» . وعلى أن الإمامة فى قريش .

وهذه رواية جاءت مجىء التواتر ، ورواها أنس بن مالك[٢٠]، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب ، ومعاوية ، وروى جابر بن عبد الله[٢١]، وجابر[٢٢] بن سمرة ، وعبادة ابن الصامت[٢٣]، معناها .

ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار رضى الله عنهم يوم السقيفة ، وهم أهل الدار والمنعة ، والعدة والعدد ، والسابقة فى الإسلام رضى الله عنهم . ومن المحال أن يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ﷺ على أن الحق لغيرهم فى ذلك .

---

(١٧) فى (أ) : قريش وهو تحريف .

(١٨) فهر بن مالك بن النضر من كنانة من عدنان ، جد جاهلى ممن يتصل بهم النسب النبوى كنيته أبو غالب ، كان رئيس الناس بمكة ، وكان قائد كنانة ومن انضم إليه من مضر فى قتالهم لحسان بن عبد كلال الحميرى حين أغار على الحجاز بجيش من اليمن يريد نقل حجر الكعبة إلى اليمن لتحويل الحج إلى بلاده فظهر فهر وهزمت حمير . (راجع تاريخ الطبرى حـ ٢ ص ١٨٦) .

(١٩) الحديث رواه أحمد بن حنبل فى مسنده حـ ٣ ص ١٢٩ ، ص ١٨٣ حـ ٤ ص ٤٢١ وذكر الإمام مسلم هذا الحديث بلفظ آخر فى كتاب الامارة : الناس تبع لقريش ، وفى رواية : لا يزال هذا الأمر فى قريش من الناس إثنان .

(٢٠) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخارى الأنصارى أبو ثمامة صاحب رسول الله - ﷺ - وخادمه ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثًا ولد فى المدينة سنة ١٠ ق . هـ ومات بالبصرة سنة ٩٣ هـ وهو آخر من مات من الصحابة . (طبقات ابن سعد حـ ٧ ص ١٠) .

(٢١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى السلمى صحابى من المكثرين فى الرواية عن النبى - ﷺ ، غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له فى آخر أيامه حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم روى له البخارى ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثًا . (الاصابة حـ ١ ص ٢١٣) .

(٢٢) جابر بن سمرة بن جنادة السوائى صحابى ، كان حليف بنى زهرة له ولأبيه صحبة ، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا وتوفى فى ولاية بشر على العراق روى له البخارى ومسلم وغيرهما ١٤٦ حديثًا . (تهذيب التهذيب حـ ٢ ص ٣٩) .

(٢٣) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى ، أبو الوليد ، صحابى من الموصوفين بالورع ، شهد العقبة ، كان أحد النقباء وبدرًا وسائر المشاهد ، حضر فتح مصر ، وولى القضاء بفلسطين ، ومات بالرحلة سنة ٣٤ هـ روى ١٨١ حديثًا . (تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١١١) .

فإن قال قائل إن قول رسول الله ﷺ : « الأئمة من قريش » يدخل فى ذلك الحليف والمولى ، وابن الأخت ، لقول رسول الله ﷺ : « مَوَلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَمِنْ أَنْفسِهِمْ وابْنِ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ[٢٤] » .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق :

إن الإجماع قد تيقن وصح على أن حكم الحليف والمولى وابن الأخت كحكم من ليس له حليف ولا مولى ولا ابن اخت ، فمن أجاز الإمامة فى غير هؤلاء جوزها فى هؤلاء . ومن منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولى ، وابن الأخت ، فإذا صح البرهان بأن لا يكون إلا فى قريش لا فيمن ليس قرشيًا صح بالاجماع أن حليف قريش ومولاهم وابن أختهم [لا حق لهم فى الخلافة لاجماع الأمة كلها على أن حكمهم][٢٥] كحكم من ليس قرشيا وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقال قوم إن اسم الامامة قد يقع على الفقيه العالم وعلى متولى الصلاة بأهل مسجد ما ، قلنا : نعم . لا يقع على هؤلاء إلا بالاضافة لا بالإطلاق ، فيقال فلان إمام فى الدين ، وإمام بنى فلان ، فلا يطلق لأحدهم اسم الإمامة بلا خلاف من أحد من الأمة إلا على المتولى لأمور أهل الإسلام .

فإن قال قائل فإن اسم الإمارة[٢٦] واقع بلا خلاف على من ولى جهة من جهات المسلمين ، وقد سمى بالإمارة كل من ولاه رسول الله ﷺ جهة من الجهات ، أو سرية ، أو جيشًا ، وهؤلاء مؤمنون ، فما المانع من أن يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق .

إن الكذب محرم بلا خلاف ، وكل من ذكرنا فإنما هو أمير لبعض المؤمنين لا لكلهم ، فلو سمى أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبًا لأن هذه اللفظة تقتضى عموم المؤمنين ، وهو ليس كذلك وإنما هو أمير بعض المؤمنين فصح أنه ليس يجوز ألبتة أن يوقع اسم الإمامة مطلقا ، ولا اسم أمير المؤمنين إلا على القرشى المتولى لجميع أمور المؤمنين كلهم ، أو الواجب له ذلك ، وإن عصاه كثير من المؤمنين ، وخرجوا عن الواجب عليهم ، من طاعته والمفترض عليهم من بيعته ، فكانوا بذلك فئة باغية ، حلالا قتالهم وحربهم ، وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز أيضا إلا لمن هذه صفته ، وبالله التوفيق .

---

(٢٤) الحديث رواه البخارى فى المناقب ١٤ ، والفرائض ٢٤ ، ورواه أبو داود فى الزكاة ٢٩ ، والترمذى فى الزكاة ٢٥ ، والنسائى ٩٧ والدارمى فى السير ٨٢ ، وأحمد بن حنبل حـ ٣ ص ٤٤٨ ، حـ ٤ ، ٢٥ ، ٣٤ ولفظه عند الترمذى موالى القوم من أنفسهم .

(٢٥) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٢٦) فى (أ) : الإمامة .

واختلف القائلون بأن الإمامة لا تجوز إلا فى صلبة قريش ، فقالت طائفة : هى جائزة فى جميع ولد فهر بن مالك . فقط ، وهذا قول أهل السنة ، وجمهور المرجئة ، وبعض المعتزلة . وقالت طائفة : لا تجوز الخلافة إلا فى ولد العَبَّاس بن عبد المطلب[٢٧] وهو قول الراوندية[٢٨]، وقالت طائفة لا تجوز الخلافة إلا فى ولد على بن أبى طالب [وقالت طائفة لا تجوز الخلافة إلا فى ولد جعفر ابن أبى طالب][٢٩] ثم قصورها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب[٣٠].

وبلغنا عن بعض بنى الحارث بن عبد المطلب أنه كان يقول : لا تجوز الخلافة إلا فى بنى عبد المطلب خاصة ويراها فى جميع ولد عبد المطلب وهم أبو طالب[٣١]، وأبو لهب[٣٢]، والحارث ، والعباس .

وبلغنا عن رجل كان بالأردن يقول : لا تجوز الخلافة إلا فى بنى أمية بن عبد شمس[٣٣]، وكان له فى ذلك تأليف مجموع ، وروينا كتابا مؤلفًا لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحتج فيه بأن الخلافة لا تجوز إلا لولد أبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما .

قال أبو محمد : فأما هذه الفرق الأربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق أن يشتغل بها إلا دعاوى كاذبة لا وجه لها .

وأما الكلام مع الذين يرون الأمر لولد العباس أو لولد على فقط لكثرة عددهم .

قال أبو محمد : احتج من ذهب إلى أن الخلافة لا تجوز إلا فى ولد العباس فقط على أن

---

(٢٧) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل ، من أكابر قريش فى الجاهلية والإسلام ، وجد الخلفاء العباسيين ، كانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد وقعة حنين ، وشهد فتح مكة كانت وفاته بالمدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث وله فى كتب الحديث ٣٥ حديثًا . (طبقات بن سعد جـ ٤ ص ٥) .

(٢٨) الراوندية . شيعة لبنى العباس من أهل خراسان ، زعموا أن أحق الناس بالخلافة هو العباس . وقالوا بالتناسخ والحلول فقاتلهم المنصور الخليفة العباسى حتى أبادهم على آخرهم ، وينسبون إلى رئيسهم ابن أبى الحسين الراوندى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى الثانى الهجرى ، وكان فى بدء أمره من المعتزلة ثم خرج عليهم وألف كتابه « فضيحة المعتزلة » .

(٢٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٣٠) عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى ، صحابى ، ولد بأرض الحبشة وهو أول من ولد بها من المسلمين ، وأتى البصرة والكوفة والشام وكان كريمًا يسمى بحر الجود وكان أجود الأمراء فى جيش على يوم صفين ، ومات بالمدينة سنة ٨٠ هـ . (الاصابة ت ٤٥٨٢) .

(٣١) أبو طالب بن عبد المطلب : يسمى عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش ، أبو طالب والد على – رضى الله عنه ، كان من أبطال بنى هاشم ورؤسائهم ، نشأ النبى – ﷺ فى بيته ، وسافر معه إلى الشام ووقف بجواره فى الدعوة إلى الإسلام ولكنه لم يسلم – وفى الحديث : ما نالت قريش منى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب – توفى سنة ٣ . ق . هـ . (طبقات بن سعد جـ ١ ص ٧٥) .

(٣٢) أبو لهب بن عبد المطلب : يسمى عبد العزى بن عبد المطلب جـ ١ ص ٧٥ عم رسول الله – ﷺ – ومن أشد الناس عداوة للمسلمين وكان أحمر الوجه فلقب فى الجاهلية بأبى لهب ، ومات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها سنة ٢ هـ . (ابن الأثير جـ ٢ ص ٢٥) .

(٣٣) أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى جد الأمويين بالشام والأندلس جاهلى ، كان من سكان مكة ، وكانت له قيادة الحرب فى قريش ، وعاش إلى ما بعد مولد النبى – ﷺ وكان هو وابن عمه عبد المطلب فيمن وفد على سيف بن ذى يزن فى قصره بصنعاء وكان له عبد يسمى ذكوان . (الاعلام جـ ٢ ص ١٣)

الخلفاء من ولده ، وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضون بهذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العباس عاصب[٣٤] رسول الله ﷺ ووارثه ، فإذا كان ذلك كذلك فقد ورث مكانه .

قال أبو محمد : وهذا ليس بشيء ، لأن ميراث العباس رضى الله عنه لو وجب له لكان ذلك فى المال خاصة ، وأما المرتبة فما جاء قط فى الديانات أنها تورث .

فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد .

ولو جاز أن تورث المراتب لكان من ولاه رسول الله ﷺ مكانا ما إذ مات وجب أن يرث تلك الولاية عاصبه ، ووارثه ، وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح باجماع جميع أهل القبلة حاشا الروافض أن رسول الله ﷺ قال « لَا نُورَثْ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ[٣٥] » ..؟

فإن اعترض معترض بقول الله عز وجل « وورث سليمان داود[٣٦] » وبقوله تعالى حاكيا عن زكريا عليه السلام أنه قال : « فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا[٣٧] » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة فيه لأن الرواة وحملة الأخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وكواف بنى إسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلًا يوجب العلم أن داود عليه السلام كان له بنون جماعة[٣٨] غير سليمان عليه السلام فصح أنه ورث النبوة .

وبرهان ذلك أنهم كلهم مجموعون على أنه عليه السلام ولى مكان أبيه عليهما السلام وليس له إلا اثنتى عشرة سنة ، ولداود أربعة وعشرون إبنًا كبارًا وصغارًا ، وهكذا القول فى ميراث يحيى ابن زكريا عليهما السلام .

وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قوله عليه السلام يرثنى ويرث من آل يعقوب وهم مئوا ألوف[٣٩] [لكل سبط من أسباطهم عصاب عظيمة فصح أنه إنما رغب ولدًا][٤٠] يرث عنه النبوة فقط .

---

(٣٤) فى (أ) : عصب .

(٣٥) الحديث رواه البحارى فى فضائل النبى – ﷺ ، وفى الفرائض ٣ ورواه مسلم فى الجهاد ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، وأبو داود فى الامارة ١٩ ، والترمذى فى السير ٤٤ ، والنسائى فى الفىء ٩ ، ١٦ والموطأ فى الكلام ٢٧ ، وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ١ ص ٤ ، ٦ ، ٩ .

(٣٦) سورة النمل آية رقم ١٦

(٣٧) سورة مريم آية رقم ٥ ، ٦

(٣٨) سقط من (أ) (جماعة) .

(٣٩) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٤٠) يقصد بذلك مئات الألوف ، عصاب عظيمة : أى عصبة

وأيضا فمن المحال أن يرغب زكريا عليه السلام فى ولد يحجب عصبته عن ميراثه إذ إنما يرغب فى هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها ، وقد نزه الله عز وجل [عن ذلك أنبياءه عليهم الصلاة والسلام وبرهان ذلك أنه عليه السلام إنما طلب الولد إذ يرى أن ما اتاه الله عز وجل][41] مريم عليها السلام التى كانت فى كفالته من المعجزات ، قال تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب – إلى قوله : إنك سميع الدعاء[42] » .

وعلى هذا المعنى دعا فقال : « هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » .

وأما من اغتر بقوله تعالى حاكيا عنه عليه السلام أنه قال « وإنى خفت الموالى من ورائى[43] » .

قيل له بطلان هذا الظن أن الله تعالى لم يعطه ولدًا يكون له عقب فيتصل الميراث لهم بل أعطاه ولدًا حصورًا لا يقرب النساء قال تعالى : « وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين[44] » .

فصح ضرورة أنه عليه السلام إنما طلب ولدًا نبيًا لا ولدًا يرث المال ، وأيضا فلم يكن العباس محيطا بميراث النبى ﷺ وإنما كان يكون له ثلاثة أثمان فقط وأما ميراث المكانة فقد كان العباس رضى الله عنه حيا قائما إذ مات النبى ﷺ فما ادعى العباس لنفسه قط فى ذلك حقا ، لا حينئذ ولا بعد ذلك ، وجاءت الشورى فما ذكر فيها ولا أنكر هو ولا غيره ترك ذكره فيها ، فصح أنه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال به ، والخلفاء من ولده والأفاضل منهم من غير الخلفاء لا يرضون[45] لأنفسهم بهذه الدعوى ترفعًا عن سقوطها ووهنها ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما القائلون بأن الإمامة لا تكون إلا فى ولد على رضى الله عنه فإنهم انقسموا قسمين .

فطائفة قالت : إن رسول الله ﷺ نص على على بن أبى طالب أنه الخليفة بعده ، وأن الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه ، وعلى كتمان نص النبى ﷺ ، وهؤلاء المسلمون: الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبى ﷺ على علىّ لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ

---

(٤١) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٤٢) سورة آل عمران آية رقم ٣٨
(٤٣) سورة مريم آية رقم ٥
(٤٤) سورة آل عمران آية رقم ٣٩
(٤٥) فى (أ) : لا يرون .

وأحقهم بالأمر ، وهؤلاء هم الزيدية[٤٦] نسبوا إلى زيد[٤٧] بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

ثم اختلفت الزيدية فرقا ، فقالت طائفة : إن الصحابة ظلموه ، وكفروا ، من خالفه من الصحابة ، وهم الجارودية[٤٨] وقالت أخرى : إن الصحابة رضى الله عنهم لم يظلموه لكنه طابت نفسه بتسليم حقه إلى أبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وإنهما إماما هدى ، ووقف بعضهم فى عثمان رضى الله عنه وتولاه بعضهم ، وذكرت طائفة : إن هذا كان مذهب الفقيه الحسن بن صالح ابن حى الهمدانى[٤٩].

قال أبو محمد : وهذا خطأ وقد رأيت لهشام بن الحكم الرافضى الكوفى[٥٠] فى كتابه المعروف بالميزان ، وقد ذكر الحسن بن حى ، وأن مذهبه كان أن الإمامة فى جميع ولد فِهْر ابن مالك .

قال أبو محمد : وهذا الذى لا يليق بالحسن بن حى غيره ، فإنه كان أحد أئمة الدين ، وهشام بن الحكم أعلم به ممن نسب إليه غير ذلك ، لأن هشاما كان جاره بالكوفة وأعرف الناس به وأدركه وشاهده ، والحسن بن حى رحمه الله يحتج بمعاوية رضى الله عنه ، وبابن الزبير رضى الله عنهما وهذا مشهور عنه فى كتبه وروايات من روى عنه وجميع الزيدية لا يختلفون فى أن الإمامة فى جميع ولد على ابن أبى طالب ، من خرج منهم يدعو إلى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه .

وقالت الروافض : الإمامة فى على وحده بالنص عليه ثم فى الحسن ثم فى الحسين ، وادعوا

---

(٤٦) الزيدية : أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وهم ثلاث فرق ، وهى الجارودية والسليمانية وقد يقال الجريرية والبُتْرية وهذه الفرق الثلاثة يجمعها القول بإمامة زيد فى أيام خروجه ، وكان ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك . (الفرق بين الفرق ص ٢٢ ، ٢٣) .

(٤٧) زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب يقال له زيد الشهيد ولد سنة ٧٩ هـ قال أبو حنيفة ما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابًا ولا أبين قولًا ، كانت اقامته بالكوفة وقرأ على واصل بن عطاء ، رحل إلى الشام فضيق عليه هشام بن عبد الملك وحبسه خمسة شهور وعاد إلى العرق والمدينة وعاد إلى الكوفة ١٢٠ هـ فبايعه أربعون ألفًا على الدعوة إلى الكتاب والسنة فقاتله الحكم بن الصلت وقتله سنة ١٢٢ هـ . (تاريخ الطبرى حـ ٨ ص ٢٦٠) .

(٤٨) الجارودية من الزيدية أتباع أبى الجارود زياد بن أبى زياد وأبو الجارود هو الذى سماه الإمام الباقر سرخوبًا ، وفسره بأنه شيطان يسكن البحر . قال عبد الله بن أحمد عن أبيه متروك الحديث ، وضعفه جدًا ، وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين كذاب عدو الله ليس يسوى فلسًا وقال أبو حاتم كان رافضيًا يضع الحديث وافترقت الجارودية فرقتين فرقة قالت : إن عليًا نص على إمامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده وزعمت الثانية منهم أن النبى – ﷺ هو الذى نص على إمامة الحسن بعد على وإمامة الحسين بعد الحسن . (الفرق بين الفرق ص ٣٠ ، ٣١) .

(٤٩) الحسن بن صالح بن حى الهمدانى الثورى الكوفى ، أبو عبد الله من زعماء الفرقة البترية من الزيدية ، كان فقهيًا مجتهدًا متكلمًا أصله من ثعور همدان وتوفى مختفاً فى الكوفة سنة ١٦٨ هـ له كتب منها « التوحيد ، وإمامة ولد على من فاطمة ، والجامع فى الفقه . (تهذيب التهذيب حـ ٢ ص ٢٨٥) .

(٥٠) هشام بن الحكم الشيبانى بالولاء الكوفى أبو محمد ، متكلم مناظرا ، كان شيخ الإمامية فى وقته ، ولد بالكوفة ، ونشأ بواسط ، وسكن بغداد وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكى . صنف كتبا منها « الامامة » و« القدر » والشيخ والغلام ، والرد على المعتزلة ، والرد على الزناقة ، والرد على من قال بامامة الفضول . توفى سنة ١٩٠ هـ . (لسان الميزان حـ ٦ ص ١٩٤) .

نصا آخر من النبى ﷺ عليهما بعد أبيهما ثم على بن الحسين لقول الله عز وجل : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله[٥١] » .

قالوا : فولد الحسين أحق من أخيه ، ثم محمد بن على بن الحسين ، ثم جعفر بن محمد ابن على بن الحسين – وهذا مذهب جميع متكلميهم كهشام بن الحكم ، وهشام الجواليقى[٥٢] وداود الحوارى ، وداود الرقى وعلى بن منصور ، وعلى بن هيثم ، وأبى على السكاك تلميذ هشام ابن الحكم ومحمد بن جعفر بن النعمان شيطان الطاق[٥٣] وأبى ملك الحضرمى وغيرهم . ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد .

فقالت طائفة : بإمامة ابنه اسماعيل بن جعفر .

وقالت طائفة : بإمامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل .

وقالت طائفة : جعفر حى لم يمت .

وقال جمهور الرافضة بإمامة ابنه موسى بن جعفر ، ثم على بن موسى ، ثم محمد بن على ابن موسى ، ثم على بن محمد بن على بن موسى ، ثم الحسن بن على ، ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على أنه ولد للحسن بن على ولد فأخفاه ، وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل وهو الأشهر ، وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس ، وقال بعضهم بل من جارية له اسمها سوسن والأظهر عندهم[٥٤] أنها اسمها صقيل ، لأن صقيل هذه ادعت الحمل بعد موت[٥٥] الحسن بن على سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ونازعها فى ذلك أخوه جعفر ابن على وتعصب لها جماعة من أرباب الدولة ، وتعصب لجعفر آخرون ، ثم انفش ذلك الحمل وبطل وأخذ الميراث جعفر أخوه ، وكان موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين ، وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها ، وقد عير عمر[٥٦] بها أنها فى منزل الحسن بن جعفر النوبختى الكاتب فوجدت فيه ، وحملت إلى قصر المعتضد فبقيت هنالك إلى أن ماتت فى القصر ، فى أيام المقتدر ، فهم إلى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عاما .

---

(٥١) سورة الأنفال آية رقم ٧٥

(٥٢) لم نعثر له على ترجمة .

(٥٣) شيطان الطاق لقب لقبوا به أبا جعفر محمد بن النعمان ، الأحول والشيعة تلقبه « مؤمن الطاق » ، وإضافته إلى سوق فى طاق المحامل فى الكوفة ، كان يجلس فيه للصرف . انظر فهرست النديم ص ٢٦٤ .

(٥٤) سقط من (أ) عندهم .

(٥٥) سقط من (أ) (موت) .

(٥٦) فى (خ) : (عمر) وهو تحريف .

وكانت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بن أبى عبيد[٥٧] وكيسان أبا عمرة[٥٨] وغيرهما يذهبون إلى أن الامام بعد الحسين ، محمد أخوه المعروف بابن الحنفية ، ومن هذه الطائفة كان السيد الحميرى[٥٩] وكثير عزة[٦٠] الشاعران وكانوا يقولون : إن محمدا ابن الحنفية حى بجبل رضوى ولهم من التخليط ما تضيق عنه الصحف .

قال أبو محمد : وعمدة هذه الطوائف كلها فى الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء .

قال أبو محمد : لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم[٦١] فنحن لا نصدقها ، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذى تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه ، لأن من صدق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضرورى فيصير حينئذ[٦٢] مكابرًا منقطعًا إن ثبت على ما كان عليه إلا أن بعض ما يشغبون به أحاديث صحاح نوافقهم على صحتها ، منها قول رسول الله ﷺ لعلى رضى الله عنه « أَنْتَ مِنِى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِى بَعْدِى[٦٣]» .

قال أبو محمد : وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام ، لأن هارون لم يل أمر بنى إسرائيل بعد موسى عليهما السلام ، وإنما ولى الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ، فتى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضر عليهما السلام ، كما ولى الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه فى الغار الذى سافر معه إلى المدينة .

وإذا لم يكن على نبيا كما كان هارون نبيا ، ولا كان هارون خليفة ، بعد موت موسى على بنى إسرائيل ، فصح أن كونه رضى الله عنه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو فى القرابة فقط ، وأيضا فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك

---

(٥٧) المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى من زعماء الثائرين على بنى أمية من أهل الطائف طالب بثأر الحسين وقتل شمر بن ذى الجوش الذى باشر قتل الحسين – شاعت أخبار أنه ادعى النبوة قتله جيش مصعب بن الزبير عام ٦٧ هـ . (الاصابة ت ٨٥٤٧) .

(٥٨) لم نعثر له على ترجمة .

(٥٩) محمد بن وهب الحميرى أبو جعفر شاعر مكثر من شعراء الدولة العباسية ، أصله من البصرة ، عاش فى بغداد وكان يتكسب بالمديح ونبت وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان واختص بالحسن ابن سهل ومدح المأمون والمعتصم توفى سنة ٢٢٥ هـ . (معاهد التنصيص حـ ١ ص ٢٢٠) .

(٦٠) كثير عزة بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعى أبو صخر شاعر ، من أهل المدينة ، اكثر إقامته فى مصر ، كان من غلاة الشيعة ، وينسبون إليه القول بالتناسخ ، أخباره مع عزة بنت جميل الضميرة كثيرة له ديوان شعر مطبوع . (الوفيات حـ ١ ص ٤٣٣) .

(٦١) سقط من (أ) (برواياتهم) .

(٦٢) فى (أ) : يومئذ .

(٦٣) الحديث رواه مسلم رقم ٢٤٠٤ فى فضائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبى طالب ، والترمذى رقم ٣٧٢٦ فى المناقب ، باب مناقب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولفظه عند الترمذى : أن النبى – ﷺ قال لعلى : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى .

فقال المنافقون : استقله فخلّفه فلحق على برسول الله ﷺ فشكى ذلك إليه فقال له رسول الله ﷺ حينئذ : أنت منى بمنزلة هارون من موسى[٦٤]» يريد عليه السلام انه استخلفه على المدينة مختارًا لاستخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام أيضا مختارا لاستخلافه ، ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة ، فى أسفاره رجالا سوى على رضى الله عنه فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلى فضلا على غيره ، ولا ولاية الأمر بعده ، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين . •

قال أبو محمد : وعمدة ما احتجت به الإمامية[٦٥] أن قالوا : لابد من أن يكون إمام معصوم ، عنده جميع علم الشريعة ، يرجع الناس إليه فى أحكام الدين ، ليكونوا مما تعبدوا به على يقين .

قال أبو محمد : هذا لا شك فيه ، وذلك معروف ببراهينه الواضحة ، وأعلامه المعجزة ، وآياته الباهرة ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ إلينا تبيان دينه الذى ألزمناه إياه ﷺ فإن كلامه وعهوده وما بلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة ، إلى من بحضرته وإلى من كان فى حياته غائبا عن حضرته ، وإلى كل من يأتى بعد موته ﷺ ، إلى يوم القيامة من جن ، وإنس .

قال الله عز وجل : « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء[٦٦]» فهذا نص ما قلنا ، وإبطال اتباع أحد دون رسول الله ﷺ وإنما الحاجة إلى فرض الإمامة لينفذ الإمام عهود الله تعالى الواردة إلينا على من عبد[٦٧] فقط لا لأن يأتى الناس بما لا يشاؤنه فى معرفته من الدين الذى أتاهم به رسول الله ﷺ ، ووجدنا عليًا رضى الله عنه إذ دعى إلى التحاكم إلى القرآن أجاب ، وأخبر بأن التحاكم إلى القرآن حق فإن كان علىٌّ أصاب فى ذلك فهو قولنا ، وإن كان أجاب إلى الباطل فهذه غير صفته رضى الله عنه ، ولو كان التحاكم إلى القرآن لا يجوز بحضرة الإمام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن ، وأنا الإمام المبلغ عن رسول الله ﷺ ؟ فإن قالوا : إذ مات رسول الله ﷺ فلابد من إمام يبلغ الدين . قلنا : هذا باطل ودعوى بلا برهان ، وقول لا دليل على صحته ، وإنما الذى يحتاج إليه أهل الأرض من رسول الله ﷺ بيانه وتبليغه فقط ، سواء فى ذلك من كان بحضرته ، ومن غاب عنه ، ومن جاء بعده إذ ليس فى شخصه ﷺ إذا لم يتكلم

---

(٦٤) سبق تخريج هذا الحديث .
(٦٥) فى (خ) : (الأماميان) .
(٦٦) سورة الأعراف آية رقم ٣
(٦٧) فى النسختين عند وهو تحريف .

بيان عن شىء من الدين فالمراد منه عليه السلام كلام[٦٨] باق أبدًا مبلغ إلى كل من فى الأرض ، وأيضا فلو كان ما قالوا من الحاجة إلى إمام موجود أبدًا لا تنقض ذلك عليهم بمن كان غائبًا عن حضرة الإمام فى أقطار الأرض ، إذ لا سبيل إلى أن يشاهد الإمام جميع أهل الأرض الذين فى المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذى يضيع ان اغفله ، فلابد من التبليغ [فإذ لابد من التبليغ][٦٩] عن الإمام فالتبليغ عن رسول الله ﷺ أولى بالاتباع من التبليغ عمن هو دونه ، وهذا ما لا انفكاك لهم منه .

قال أبو محمد : لاسيما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد على والحسن والحسين رضى الله عنهم ما أمروا قط فى غير منازل سكناهم ، ولا حكموا على قرية فما فوقها بحكم ، فما الحاجة إليهم ..؟ لاسيما مذ مائة عام وثمانين[٧٠] عاما فإنهم يدعون إمامًا ضاله لم يخلق كعنقاء مغرب[٧١]، وهم أولو فحش ، وقحة ، وبهتان ، ودعوى كاذبة لا يعجز عن مثلها أحد ، وأيضا فإن الإمام المعصوم لا يعرف أنه معصوم إلا بمعجزة ظاهرة عليه ، أو بنص ينقله من يوجب نقله العلم[٧٢] عن النبى ﷺ ، على كل إمام بعينه ، واسمه ، ونسبه ، وإلا فهى دعوى لا يعجز عن مثلها أحد لنفسه أو لمن شاء ، ولقد يلزم كل ذى عقل سليم أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل ، الغث ، البارد ، السخيف ، الذى ترتفع عقول الصبيان عنه ، وما توفيقنا إلا بالله عز وجل .

وبرهان آخر ضرورى وهو أن رسول الله ﷺ مات وجمهور الصحابة رضى الله عنهم حاشا من كان منهم فى النواحى يعلم الناس الدين ، فما منهم أحد أشار إلى على بكلمة يذكر فيها أن رسول الله ﷺ نص عليه ، ولا إدعى ذلك على قط لا فى ذلك الوقت ولا بعده ، ولا ادعاه له أحد فى ذلك الوقت ، ومن المحال الممتنع الذى لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق أكثر[٧٣] من عشرين ألف إنسان متنابذى الهمم ، والنيات ، والأنساب ، أكثرهم موتور من صاحبه ، فى الدماء من الجاهلية على طى عهد عهده رسول الله ﷺ إليهم ، وما وجدنا قط رواية عن أحد فى النص المدعى إلا رواية واهية عن مجهولين ، إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا يعرف من هو فى الخلق . ووجدنا عليًا رضى الله عنه قد توقف عن[٧٤] البيعة لأبى بكر رضى الله عنه[٧٥] ستة أشهر ،

(٦٨) سقط من (خ) (كلام) .
(٦٩) سقط من (أ) ما بين القوسين .
(٧٠) هذا التاريخ مند حياة ابن حزم .
(٧١) هذا مثل يضرب للمستحيل من الأمر .
(٧٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٧٣) فى (خ) : (أزيد) .
(٧٤) فى (أ) : قد تأخر .
(٧٥) سقط من (أ) لأبى بكر رضى الله عنه .

فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع طائعا ، مراجعا ، غير مكره ، فكيف حل لعلى رضى الله عنه عند هؤلاء النوكى أن يبايع طائعا رجلًا إما كافرا ، وإما فاسقا جاحدا ، لنص رسول الله ﷺ ويعينه على أمره ويجالسه فى مجالسه[٧٦] ويواليه إلى أن مات ..؟ ، ثم بايع بعده عمر بن الخطاب مبادرًا غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره ، بل طائعا وصحبه وأعانه على أمره وأنكحه من ابنته فاطمة[٧٧] رضى الله عنها ، ثم أقبل ادخاله فى الشورى أحد ستة رجال ، فكيف حل لعلى عند هؤلاء الجهال أن يشارك بنفسه فى شورى ضالة ، وكفر ، ويغر الأمة هذا الغرور ؟ وهذا الأمر أدى أبا كامل إلى تكفير على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لأنه فى[٧٨] زعمه أعان الكفار على كفرهم ، وأيدهم على كتمان الديانة ، وعلى ما لا يتم الدين إلا به .

قال أبو محمد : ولا يجوز أن يظن بعلى رضى الله عنه أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت ، وهو الأسد شجاعة ، قد عرض نفسه للموت بين يدى رسول الله ﷺ مرات ثم يوم الجمل ، وصفين ، فما الذى جبنه بين هاتين الحالتين ؟ وما الذى ألف بين بصائر الناس على كتمان حق على ، ومنعه ما هو أحق به مذ مات رسول الله ﷺ إلى أن قتل عثمان رضى الله عنه ؟ ثم ما الذى جلى بصائرهم فى عونه ، إذ دعا إلى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة ، وبذلوا دماءهم دونه ، ورأوه حينئذ صاحب الأمر ، والأولى بالحق ممن نازعه ؟ فما الذى منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذى يدعيه الكذابون إذ مات عمر رضى الله عنه ، وبقى الناس بلا رأس ثلاثة أيام أو يوم السقيفة ؟ وأظرف من هذا كله بقاؤه ممسكا عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه ستة أشهر ، فما سألها ولا أجبر عليها ولا كلفها ، وهو متصرف بينهم فى أموره فلولا أنه رأى الحق فيها واستدرك أمره فبايع طالبا حظ نفسه فى دينه ، راجعا إلى الحق لما بايع .

فإن قالت الروافض : إنه بعد ستة أشهر رأى الرجوع إلى الباطل فهذا هو الباطل حقًا ، لا ما فعل على رضى الله عنه ، ثم ولى على رضى الله عنه فما غير حكمًا من أحكام أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولا أبطل عهدًا من عهودهم ، ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان فى سعة من أن يمضى الباطل وينفذه ، وقد ارتفعت التقية عنه وأيضا فقد نازع الأنصار رضى الله عنهم أبا بكر رضى الله عنه ودعوا إلى بيعة سعد بن عبادة[٧٩] رضى الله عنه ، ودعا المهاجرون إلى بيعة أبى بكر

---

(٧٦) فى (خ) : مجلسه .

(٧٧) هى فاطمة الزهراء بنت رسول الله - ﷺ ، وزوج الإمام على - رضى الله عنه . وام الحسن والحسين - رضى الله عنهما . (راجع ترجمة وافية لها فى طبقات بن سعد حـ ٨) .

(٧٨) فى (خ) : عنده .

(٧٩) سعد بن عبادة : الخزرجى أبو ثابت صحابى من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف فى الجاهلية والإسلام ، وكان يلقب فى الجاهلية بالكامل لمعرفته الكتابة والرمى والسباحة ، وشهد العقبة وأحد والخدق وغيرها وكان أحد النقباء الاثنى عشر ولما توفى رسول الله طمع فى الخلافة خرج إلى الشام مهاجرًا فمات بحوران عام ١٤ هـ (الاصابة الترجمة ٣١٦٧) .

رضى الله عن جميعهم ، وقعد على رضى الله عنه فى بيته لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ليس معه أحد غير الزبير ابن العوام[٨٠] ثم استبان الحق للزبير رضى الله عنه فبايع سريعا ، وبقى على وحده لا يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع أحد من لقائه ، فلا يخلو رجوع الأنصار كلهم إلى بيعة أبى بكر من أن يكون عن غلبة أو عن ظهور حقه إليهم فأوجب ذلك الانقياد لبيعته ، أو فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى ولا سبيل إلى قسم رابع بوجه من الوجوه .

فإن قالوا بايعوه بغلبة كذبوا لأنه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقت طويل ينفع للوعيد ولا سلاح مأخوذ ، ومحال أن يترك أزيد من ألفى فارس أمجاد أبطال كلهم عشيرة واحدة ، قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه ، وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب فى أقطار بلادهم موطنين على الموت متعرضين مع ذلك لحرب قيصر والروم بمؤته[٨١] وغيرها ولكسرى والفرس تنصرهم من يخاطبهم يدعو لهم ويدعوه[٨٢] إلى اتباعه وأن يكون كأحد من بين يديه ، هذه صفة الأنصار التى لا ينكرها إلا رقيع مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنع أن يرهبوا أبا بكر ورجلين أتيا معه فقط ، لا يرجع إلى عشيرة كثيرة ، ولا إلى موال ، ولا إلى عصبة ولا مال ، فرجعوا إليه ، وهو عندهم مبطل ، وبايعوه بلا تردد ولا تطويل ، وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم ، وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم ، وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهور الحق إليهم ، فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون أنه باطل دون خوف ، يضطرهم إلى ذلك ودون طمع يتعجلونه من مال أو جاه ، بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك إلى رجل أجنبى[٨٣] لا عشيرة له ولا منعة ، ولا حاجب ولا حرس ، على بابه ، ولا قصر ممتنع فيه ، ولا موالى ولا مال ، فأين كان على وهو الذى لا نظير له فى الشجاعة ..؟ ومعه جماعة بنى هاشم ، وبنى المطلب ، من قتل هذا الشيخ لا دافع دونه ، لو كان عنده ظالما وعن منعه وزجره ، بل قد علم والله على رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه على الحق وأن من خالفه على الباطل ، فأذعن للحق بعد أن عرضت له فيه كبوة ذلك الأنصار رضى الله عنهم ، وإذ قد بطل كل هذا فلم يبق إلا أن عليًا والأنصار رضى الله عنهم إنما رجعوا إلى بيعة أبى بكر رضى الله عنه لبرهان حق صح عندهم عن النبى ﷺ ، لا لاجتهاد كاجتهادهم ، ولا لظن كظنونهم ، فإذ قد بطل أن يكون الأمر فى الأنصار . وزالت الرياسة عنهم فما الذى حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبى ﷺ على إمامة على ؟ ومن

---

(٨٠) راجع ترجمته ص ٧٩ من هذا الجزء .

(٨١) غروة مؤته كانت بالبلقاء من أرض الشام وفيها قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة – رضى الله عنهم – وأخذ القيادة خالد بن الوليد : ففتح الله عليهم وكان ذلك عام ٨ هـ .

(٨٢) سقط من (أ) (ويدعوه) .

(٨٣) فى (أ) : سقط كلمة : (أجنبى) .

المحال أن تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم . إلا أن تدعى الروافض أنهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد ، فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعى فيما شاء من المحال أنه قد كان ، وأن الناس كلهم نسوه ، وفى هذا إبطال الحقائق كلها . وأيضا فإن كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه أو اتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع إلى الروافض أمره ومن بلغه إليهم ..؟

وكل هذا هوس ومحال ، فبطل أمر النص على علىّ رضى الله عنه بيقين لا إشكال فيه ، والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : إن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان قد قتل الأقارب من[٨٤] بين يدى رسول الله ﷺ فتولد له بذلك حقد فى قلوب جماعة من الصحابة فلذلك انحرفوا عنه .

قيل لهم : هذا تمويه ضعيف كاذب ، لأنه إن ساغ لكم ذلك فى بنى عبد شمس وبنى مخزوم ، وبنى عبد الدار ، وبنى عامر ، لأنه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلًا أو رجالا ، فقتل من بنى عامر ابن لؤى رجلا واحدًا وهو عمرو بن عبد ود[٨٥]، وقتل من بنى مخزوم وبنى عبد الدار رجالا ، وقتل من بنى عبد شمس الوليد بن عتبة[٨٦] والعاص بن سعيد بن العاص[٨٧] بلا شك وشارك فى قتل عتبة بن ربيعة[٨٨]، وقيل قتل عقبة بن أبى معيط[٨٩] وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الأنصارى[٩٠] ولا مزيد فقد علم كل من له أقل علم بالأخبار أنه لم يكن لهذه القبائل ولا لأحد منها يوم السقيفة حل ولا عقد ، ولا رأى ولا أمر ، اللهم إلا أن أبا سفيان

---

(٨٤) سقط من (أ) كلمة (من) .

(٨٥) عمرو بن عبدود العامرى ، من بنى لؤى من قريش : فارس قريش وشجاعها فى الجاهلية أدرك الإسلام ولم يسلم ، وعاش إلى أن كانت واقعة الخندق فحضرها وقد تجاوز الثمانين فقتله على بن أبى طالب . عام ٥ هـ . (الروض الأنف حـ ٢ ص ١٩١) .

(٨٦) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان والده كبير قريش وأحد ساداتها فى الجاهلية ، شهد هو وأبيه عتبه وعمه شيبه بن ربيعة غزوة بدر وطلبوا المبارزة فخرج لهم عبيدة بن الحرث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة فقتل حمزة شيبه وقتل على الوليد وكر حمزة وعلى مع عبيده على عتبه فقتلوه . (راجع سيرة بن هشام حـ ٢ ص ٢٦٥) .

(٨٧) العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام عندما خرج مع كفار قريش لحرب المسلمين فى غزوة بدر فقتل فى هذه الموقعة عام ٢ هـ . (راجع سيرة ابن هشام حـ ٢ ص ٣٥٦) .

(٨٨) عتبة بن ربيعة : بن عبد شمس ، أبو الوليد كبير قريش وأحد ساداتها فى الجاهلية ، توسط للصلح فى حرب الفيجار بين هوزان وكنانة ، وقد رضى الفريقان حكمه وانقضت الحرب على يده ، أدرك الإسلام وطغى فشهد بدرًا مع المشركين وكان ضخم الجثة ، وقاتل قتالًا شديدًا فأحاط به على بن أبى طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه . (الروض الأنف حـ ١ ص ١٢١) .

(٨٩) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، من مقدمى قريش فى الجاهلية كنيته أبو الوليد ، وكنية أبيه أبو معيط كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه ، وهو أول مصلوب فى الإسلام عام ٢ هـ . (الروض الأنف حـ ٢ ص ٧٦) .

(٩٠) عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح قيس بن عصمة الأنصارى الأوس أبو سليمان ، صحابى من السابقين الأولين من الأنصار ، شهد بدرًا وأحدًا مع رسول الله – واستشهد يوم الرجيع ، ورثاه حسان بن ثابت عام ٤ هـ . (الاصابة ت ٤٣٤٠) .

ابن حرب[٩١] بن أمية كان مائلا إلى على فى ذلك الوقت عصبيا للقرابة لا تدينا ، وكان ابنه يزيد[٩٢] وخالد بن سعيد بن العاص[٩٣] والحارث بن هشام[٩٤] بن المغيرة المخزومى ، مائلين إلى الأنصار تدينا والأنصار قتلوا أبا جهل بن هشام[٩٥] أخاه وقد كان محمد بن أبى حذيفة[٩٦] بن عتبه بن ربيعة شديد الميل إلى على حين قصة عثمان وبعدها حتى قتله معاوية على ذلك . فعرفونا من قتل على من بنى تيم بن مرة أو من بنى عدى بن كعب ، حتى يظن أهل القحة أنهما حقدا عليه ؟

ثم أخبرونا من قتل من[٩٧] الأنصار ؟ أو من جرح منهم ؟ أو من أوذى منهم ؟ ألم يكونوا معه فى تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم وبعضهم مساوٍ له وبعضهم متأخر عنه ؟ فأى حقد كان له فى قلوب الأنصار حتى يتفقوا كلهم على جحد النص عليه ؟ وعلى ابطال حقه ؟ وعلى ترك ذكرا اسمه جملة ؟ وإيثار سعد بن عبادة عليه ثم على ايثار أبى بكر وعمر عليه والمسارعة إلى بيعهم[٩٨] بالخلافة دونه وهو معهم وبين أظهرهم يرونه غدوا وعشيا لا يحول بينهم وبينه أحد ، ثم أخبرونا من قتل على من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر ، وربيعة ، واليمن ، وقضاعة ، حتى يصفقوا كلهم على كراهية ولايته ، ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه .

إن هذه عجائب لا يمكن اتفاق مثلها فى العالم أصلا .

---

(٩١) أبو سفيان بن حرب : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف صحابى من سادات قريش فى الجاهلية وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية ، قاد قريشًا وكنانة يوم أحد والخندق ، اسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف ، توفى بالمدينة عام ٣١ هـ . (الاستيعاب حـ ٤ ص ١٦٧٧) .

(٩٢) يزيد بن صخر (أبى سفيان) بن حرب الأموى أبو خالد أمير صحابى من رجالات بنى أمية شجاعة وحزمًا أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبى - ﷺ على صدقات بنى فراس ، ثم استعمله أبو بكر على جيش وسيره إلى الشام ، وولاه عمر فلسطين ثم دمشق ، توفى فى دمشق بالطاعون وهو على الولاية عام ١٨ هـ . (الاصابة : ت ٩٢٦٧) .

(٩٣) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، صحابى من الولاة الغزاة قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة فاقام بضع عشرة سنة وعاد سنة ٧ هـ حضر فتح مكة ثم وقعه تبوك ، وكان يكتب للنبى - ﷺ - بمكة والمدينة ، شهد فتح أجنادين وقتل فى موقعة مرج الصفر (قرب دمشق) عام ١٤ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٤ ص ٦٧) .

(٩٤) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى أبو عبد الرحمن صحابى كان شريفًا فى الجاهلية والإسلام يضرب المثل بناته فى الحسن والشرف وعلاء المهر ، مدحه كعب بن الأشرف ، وأسلم يوم فتح مكة وخرج فى أيام عمر باهله وماله إلى الشام فلم يزل مجاهدًا إلى أن مات فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ . (الاستيعاب حـ ١ ص ٣٠١) .

(٩٥) أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى أشد الناس عداوة للنبى - ﷺ - كان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل . قتل فى موقعه بدر ٢ هـ . راجع ترجمة وافية له فى ابن الأثير حـ ١ ص ٢٣ ، ٢٥ .

(٩٦) محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابى من الأمراء ، ولد بأرض الحبشة فى عهد النبوة واستشهد أبوه يوم اليمامة فرباه عثمان بن عفان ، أقره على فى امارة مصر قبض عليه معاوية وسجنه فى دمشق ثم قتل فى السجن عام ٣٦ هـ . (الاصابة ت ٧٧٦٩) .

(٩٧) فى (أ) : سقطت (من) .

(٩٨) فى (أ) : (بيعته) .

ولقد كان لطلحة(٩٩)، والزبير ، وسعد بن أبى(١٠٠) وقاص ، من القتل فى المشركين كالذى كان لعلى ، فما الذى خصه باعتقاد الأحقاد له دونهم ؟ لو كان للروافض حياء أو عقل .

ولقد كان لأبى بكر رحمه الله ورضى عنه فى مضادة قريش فى الدعاء إلى الإسلام ما لم يكن لعلى ، فما منعهم ذلك من بيعته وهو أسوأ الناس أثرا عند كفارهم .

ولقد كان لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه من مغالبة كفار قريش واعلانه الإسلام على زعمهم ما لم يكن لعلى رضى الله عنه ، فليت شعرى ما الذى أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم ، ويعادوا عليا من بينهم كلهم ..؟ لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم ، حتى بلغ الأمر بهم إلى أن عدوا على سعد ابن أبى وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد(١٠١) مولى رسول الله ﷺ ورافع ابن خديج الأنصارى(١٠٢) ومحمد بن مسلمة(١٠٣) الأنصارى وزيد بن ثابت الأنصارى(١٠٤) وأبى هريرة(١٠٥) وأبى الدرداء(١٠٦) وجماعة غير هؤلاء(١٠٧) المهاجرين أنهم لم يبايعوا عليا إذ ولى الخلافة ثم بايعوا معاوية ، ويزيد ابنه من أدركه منهم(١٠٨) وادعوا أن تلك الأحقاد حملتهم على ذلك .

قال أبو محمد : حمق الرافضة ، وشدة ظلمة جهلهم ، وقلة حيائهم ، هورهم فى الدمار ، والبوار ، والعار ، والنار ، وقلة المبالاة بالفضائح ، وليت شعرى أى حماسة وأى كلمة حسنة كانت

---

(٩٩) راجع ترجمته ص ٢١١ من هذا الجزء . (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٥٣) .

(١٠٠) سعد بن أبى وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى أبو اسحاق ، الصحابى فاتح العراق ، ومدائن كسرى ، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، أسلم وهو ابن ١٧ سنة وشهد بدرًا وافتتح القادسية له فى كتب الحديث ٢٧١ حديثًا . (طبقات بن سعد حـ ٦ ص ٦) .

(١٠١) أسامة بن زيد حارثة ، من كنانة عوف ، أبو محمد ، صحابى جليل ولد بمكة ، ونشأ على الإسلام ، وكان رسول الله - ﷺ - يحبه حبًا جمًا وهاجر معه إلى المدينة ، ولما توفى رسول الله رحل إسامة إلى وادى القرى فسكنه ثم انتقل إلى دمشق فسكن المرة وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف فى آخر خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ له فى كتب الحديث ١٢٨ حديثًا . (طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٤٢) .

(١٠٢) رافع بن خديج الأنصارى الأوسى الحارثى ، صحابى كان عريف قومه بالمدينة ، وشهد أحدًا والخندق توفى بالمدينة متأثرًا من جراحة عام ٧٤ هـ له ٧٨ حديثًا . (تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ٢٢٩) .

(١٠٣) محمد بن مسلمة الأوسى الأنصارى الحارثى أبو عبد الرحمن ، صحابى من الأمراء من أهل المدينة ، شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك واستخلفه النبى على المدينة فى بعض غزواته وولاه عمر على صدقات جهينه واعتزل الفتنة فى أيام على فلم يشهد الجمل ولا صفين ، ومات بالمدينة عام ٤٣ هـ . (الاصابة ت ٧٨٠٨) .

(١٠٤) زيد بن ثابت الأنصارى الخزرجى أبو خارجة صحابى من أكابرهم ، كان كاتب الوحى ، ولد فى المدينة ونشأ بمكة وهاجر مع النبى وهو ابن ١١ سنة وتعلم وتفقه فى الدين فكان رأسًا بالمدينة فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا سافر ، أحد الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى - ﷺ - له فى كتب الحديث ٩٢ حديثًا توفى سنة ٤٥ هـ . (الاصابة ت ٢٨٨٠) .

(١٠٥) أبو هريرة الدوسى صاحب رسول الله - ﷺ - يقال اسمه عبد الله بن عامر ويقال سكين بن دومة وقال أحمد بن حنبل اسم أبى هريرة عبد الله بن عبد شمس وقال عن نفسه كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس فسميت فى الإسلام عبد الرحمن أسلم عام فتح خيبر ، توفى سنة ثمان وخمسين بالعقيق وصلى عليه الوليد بن عقبة . (الاستيعاب حـ ٤ ص ١٧٦٨ - ١٧٧٣)

(١٠٦) أبو الدرداء : اسمه عويمر بن مالك بن زيد ، تأخر اسلامه قليلًا وكان فقهيًا عاقلًا حكيمًا شهد ما بعد أحد من المشاهد وولى القضاء لمعاوية فى خلافة عثمان وتوفى بالشام سنة ٣٣ هـ . (الاستيعاب حـ ٤ ص ١٦٤٦ وما بعدها) .

(١٠٧) فى (أ) : بزيادة (من) .

(١٠٨) سقط من (أ) كلمة (منهم) .

بين على وبين هؤلاء ؟ أو أحد منهم ؟ وإنما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة فى فرقة فلما أصفق المسلمون على ما أصفقوا عليه كائنا من كان دخلوا فى الجماعة ، وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير(١٠٩) رضى الله عنه ومروان(١١٠) فإنهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك(١١١) ابن مروان بايعه من أدركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ، ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير لكن لما ذكرنا .

وهكذا كان أمرهم فى على ومعاوية ولا مزيد(١١٢) فلاحت نوكة هؤلاء المجانين ، والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وهذا زيد بن حارثة(١١٣) قتل يوم بدر حنظلة بن أبى سفيان(١١٤) وهذا الزبير ابن العوام قتل يوم بدر أيضا عبيدة بن سعيد بن العاص(١١٥) وهذا عمر بن الخطاب قتل يومئذ العاص بن هشام(١١٦) بن المغيرة فهلا عاداهم أهل هؤلاء المقتولين ، وما الذى خص عليا بعداوة(١١٧) أولياء من قتل دون سائر من ذكرنا(١١٨) لولا جنون الرافضة وعدم الحياء من وجوههم .

ثم لو كان ما ذكروه حقا فما الذى كان دعا عمر إلى ادخاله فى الشورى مع من أدخله فيها ، ولو أخرجه منها كما أخرج سعيد بن زيد(١١٩)، أو قصد إلى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه

---

(١٠٩) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى ، أبو بكر فارس قريش فى زمنه ، وأول مولود فى المدينة بعد الهجرة ، شهد فتح أفريقيا زمن عثمان وبويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ عقيب موت يزيد بن معاوية ، قتل بمكة عام ٧٣ هـ . (راجع ترجمة له وافية فى ابن الأثير جـ ٤ ص ١٣٥) .

(١١٠) مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف ، خليفة أموى وإليه ينسب بنو مروان ، ولد بمكة ونشأ بالطائف وسكن المدينة شهد صفين مع معاوية ، توفى بالطاعون ، وقيل قتلته زوجته أم خالد مدة حكمة تسعة أشهر و ١٨ يومًا وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها (قل هو الله أحد) . (الاصابة ت ٨٣٢٠) .

(١١١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشى أبو الوليد ، نشأ فى المدينة فقيهًا واسع العلم متعبدًا ناسكًا وشهد يوم الدار مع أبيه واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ ونقش خاتمه (آمنت بالله مخلصًا) توفى فى دمشق سنة ٨٦ هـ . (ابن الأثير جـ ٤ ص ١٩٨) .

(١١٢) سقط من (أ) كلمة (ولا مزيد) .

(١١٣) راجع ترجمة زيد بن حارثه ص ٥٦ من هذا الجزء .

(١١٤) حنظلة بن أبى سفيان صخر بن حرب الأموى القرشى : جاهلى من الشجعان الأشداء القساة ، أدرك الإسلام وكان شديد الأذى للمسلمين واشترك فى غزوة بدر ضد المسلمين فقتل فيها عام ٢ هـ . (الروض الأنف : ٢ : ٢٤١) .

(١١٥) عبيده بن سعيد بن العاص بن أميه أحد المشركين الذين وقفوا فى وجه الدعوة الإسلامية واشتركوا فى غزوة بدر وقتل فيها عام ٢ هـ . (راجع سيرة بن هشام فى غزوة بدر) .

(١١٦) العاص (أبو العاص) بن هشام بن المغيرة المخزومى : أخو أبو جهل ، كان ينادمه فى الجاهلية العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، ويقال لهما (أحمقا قريش) وقتلا يوم بدر على الشرك قتل الأول عمر بن الخطاب والثانى على بن أبى طالب عام ٢ هـ .

(١١٧) سقط من (أ) (بعداوة) .

(١١٨) فى (أ) : من قلنا .

(١١٩) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى القرشى أبو الأعور صحابى من خيارهم ، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا وكان غائبًا فى مهمة أرسله بها النبى - ﷺ - وهو أحد العشرة المبشرين ، وكان من ذوى الرأى والبسالة وشهد اليرموك وحصار دمشق توفى بالمدينة عام ٥١ هـ وله فى كتب الحديث ٤٨ حديثًا .

أحد فى ذلك بكلمة ، فصح ضرورة بكل ما ذكرنا أن القوم أنزلوه منزلته غير عالين ولا مقصرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأنهم قدموا الأحق ، فالأحق ، والأفضل ، فالأفضل وساووه بنظرائه منهم ، ثم أوضح برهان وأبين بيان فى بطلان أكاذيب الرافضة أن عليا رضى الله عنه إذ[١٢٠] دعى إلى نفسه بعد قتل عثمان رضى الله عنه سارعت طوائف من[١٢١] المهاجرين والأنصار إلى بيعته ، فهل ذكر أحد من الناس أن أحدا منهم اعتذر إليه مما سلف من بيعتهم لأبى بكر وعمر وعثمان ، أو هل تاب أحد منهم من جحدهم للنص على إمامته ، أو قال أحد منهم : لقد ذكرت هذا النص الذى كنت انسيته فى أمر هذا الرجل ان عقولا خفى عليها هذا الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يرد الله أن يهديها ثم مات عمر رضى الله عنه وترك الأمر شورى بين ستة من الصحابة ، علىّ أحدهم ولم يكن فى تلك الأيام الثلاثة سلطان يُخاف ولا رئيس يتوقى ولا مخافة من أحد ، ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلى رضى الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله ﷺ أو من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم أما كان الواجب على على أن يقول أيها الناس كم هذا الظلم لى وكم هذا الكتمان بحقى ؟ وكم هذا الجحد لنص رسول الله ﷺ ..؟ وكم هذا الإعراض عن فضلى البائن على هؤلاء المقرونين لى ؟ فإذ لم يفعل لا ندرى لماذا ..؟

أما كان فى بنى هاشم أحد له دين يقول هذا الكلام ..؟ أما العباس عمه وجميع العاملين على توقيره وتعظيمه حتى إن عمر توسل به إلى الله تعالى بحضرة الناس فى الاستسقاء .

وأما أحد بنيه ، وأما عقيل أخوه ، وأما أحد بنى جعفر أخيه ، أو غيرهم ، فإذ لم يكن فى بنى هاشم أحد يتقى الله عز وجل ، ولا يأخذه فى قول الحق مداهنة .

أما كان فى جميع أهل الإسلام من المهاجرين ، والأنصار وغيرهم واحد يقول : يا معشر المسلمين قد زالت الرقبة وهذا على له حق واجب بالنص وله بائن ظاهر لا يمترى فيه فبايعوه فأمره بين ان اصفاق جميع الأمة أولها عن آخرها من برقة[١٢٢] إلى أول[١٢٣] خراسان ، ومن الجزيرة إلى أقصى اليمن ، إذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل ، واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه ، وليس هناك شيء يخافونه لاحدى عجائب المحال الممتنع ، وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك ، إذ صار الحق حقه ، وقتلوا أنفسهم دونه ، فأين كانوا عن إظهار ما تنبهت له الروافض الإنذال ؟ ثم العجب إذ كان غيظهم عليه هذا الغيظ ، واتفاقهم على جحده حقه هذا الاتفاق ، كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ؟ أم كيف اكرموه وبروه وأدخلوه فى الشورى .؟

---

(١٢٠) فى (أ) : لما .
(١٢١) سقط من (أ) (من) .
(١٢٢) إقليم من أقاليم ليبيا الآن وعاصمتها (بنغازى) .
(١٢٣) سقط من (أ) أول .

وقال هشام بن الحكم : كيف يحسن الظن بالصحابة أن لا يكتموا النص على علىّ وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضا فهل يحسن بهم الظن فى هذا .

قال أبو محمد : لو علم الفاسق أن هذا القول منه[١٢٤] أعظم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف ، لأن على بن أبى طالب رضى الله عنه أول من قاتل حيث[١٢٥] افترق الناس ، فكل ما لحق المقتتلين منهم من حسن الظن بهم أو من سوء الظن بهم فهو لاحق بعلى فى قتاله ، ولا فرق بينه وبين سائر الصحابة فى ذلك كله – وبالله تعالى التوفيق .

فإن خصه متحكمًا كان كمن خص غيره منهم متحكما ولا فرق .

وأيضا فإن قتالهم[١٢٦] رضى الله عنهم أوكد برهان على أنهم لم يغاروا على ما رأوه باطلا ، بل قاتل كل فريق منهم على ما رآه حقا ، ورضى بالموت دون الصبر على خلاف ما عنده ، وطائفة منهم قعدت إذا لم تر الحق فى القتال فدل ذلك[١٢٧] على أنه لو كان عندهم نص على علىّ أو عند واحد منهم لأظهروه ، أو لأظهره كما أظهروا ما رأوا أن يبذلوا أنفسهم للقتال والموت دونه .

فإن قالوا : قد أقررتم أنه لابد من إمام فبأى شىء يعرف الإمام ..؟ لاسيما وأنتم خاصة معشر أهل الظاهر [الذين لا يقولون][١٢٨] الا بنص قرآن ، أو خبر صحيح ، وهذا أيضا مما سألنا عنه أصحاب القياس والرأى .

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أن رسول الله ﷺ نص على وجوب الإمامة ، وأنه لا يحل بقاء ليلة دون بيعة ، وافترض علينا بنص قوله : « الْطَّاعَةُ لِلْقُرَشِى إِمَامًا وَاحِدًا لا يُنَازَع إِذَا قَادَنَا بِكِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ[١٢٩] » .

فصح من هذه النصوص النص على صفة الإمام الواجب طاعته ، كما صح النص على صفة الشهود فى الأحكام ، وصفة المساكين والفقراء ، الواجب لهم الزكاة ، وصفة من يؤم فى الصلاة ، وصفة من يجوز نكاحها من النساء ، وكذلك سائر الشريعة كلها ، ولا يحتاج إلى ذكر الأسماء ، إذ لم يكلفنا الله عز وجل ذلك فكل قرشى بالغ عاقل بادر إثر موت الإمام الذى لم يعهد إلى أحد فبايعه واحد فصاعدا فهو الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله ﷺ ،

---

(١٢٤) سقط من (أ) (منه) .
(١٢٥) فى (أ) : حين .
(١٢٦) فى (خ) : قتالهم .
(١٢٧) سقط من (أ) كلمة ذلك .
(١٢٨) سقط من (أ) ما بين القوسين .
(١٢٩) يراجع مسلم فى الأمارة ٣٦ والنسائى فى البيعة ، وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٤ ص ٦٩ ، حـ ٥ ، ٢٨١ ، حـ ٦ ، ٤٠٢ ، ولفظه عند مسلم : ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا . ولا يوجد ذكر للقرشى .

الذى أمر الكتاب باتباعها فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك وأقيم عليه الحد ، والحق فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه خلع وولى غيره منهم .

فإن قالوا : قد اختلف الناس فى تأويل القران والسنة [قلنا نعم وقد أمرنا الله تعالى بالرجوع عند التنازع إلى ظاهر القرآن والسنة](١٣٠) ومنع من تأويلهما بغير نص آخر .

قلنا : إن التأويل الذى لم يقع عليه برهان تحريف للكلم عن مواضعه ، وقد جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة ، وإنما الحجة فى نص القرآن والسنن ، وما اقتضاه لفظهما العربى الذى خوطبنا به ، وبه ألزمتنا الشريعة .

قال أبو محمد : ثم نسألهم فنقول لهم : إن عمدة احتجاجكم فى إيجاب امامتكم التى تدعيها جميع فرقكم إنما هى وجهان فقط ، أحدهما : النص عليه بإسمه والثانى : شدة الفاقة إليه فى بيان الشريعة إذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد ، فأخبرونى بأى شيء صار محمد بن على ابن الحسين أولى بالإمامة من اخوته زيد وعمرو وعبد الله وعلى والحسين ؟ فإن ادعوا نصا من أبيهم عليه أو من النبى ﷺ أنه الباقر(١٣١) لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ، ولم يكونوا أولى بتلك الدعوى من الكيسانية . فى دعواهم النص على ابن الحنفية(١٣٢)، وإن ادعوا أنه كان أفضل من اخوته كانت أيضا دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الإنسان ، فقد يكون باطنه خلاف ظاهره ، وكذلك يسألون أيضا ما الذى جعل موسى بن جعفر إولى بالإمامة من أخيه محمد أو إسحاق أو على ؟ فلا يجدون إلى غير الدعوى سبيلا ، وكذلك أيضا يسألون ما الذى خص على بن موسى بالإمامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكرًا ! فلا يجدون شيئا غير الدعوى وكذلك يسألون ما الذى جعل محمد بن على بن موسى أولى بالإمامة من أخيه على ابن على ؟ وما الذى جعل على بن محمد أولى بالإمامة من أخيه موسى بن محمد ؟ وما الذى جعل الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى أحق بالإمامة من أخيه جعفر بن على ؟ فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة التى(١٣٣) لا حياء لصاحبها والتى لو ادعى مثلها مدع للحسن بن الحسن أو لعبد الله بن الحسن ، أو لأخيه الحسن بن الحسن ، أو لابن أخيه على بن الحسن أو لمحمد

---

(١٣٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٣١) محمد بى على زين العابدين بن الحسين الطالبى القرشى ، أبو جعفر الباقر ، خامس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية له فى العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال . ولد بالمدينة وتوفى بالحميمة عام ١١٤ هـ حلية الأولياء حـ ٣ ص ١٨٠

(١٣٢) محمد بن على بن أبى طالب أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أحد الأبطال الأشداء فى صدر الإسلام وهو أخو الحسن والحسين ، أمه خوله بنت جعفر الحنفية كانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى مولده بالمدينة توفى سنة ٨١ هـ (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ٥٧ - ٦٦) .

(١٣٣) فى (أ) : الذى .

ابن عبد الله القائم بالمدينة ، أو لأخيه ابراهيم أو لرجل من ولد العباس ، أو من بنى أميه ، أو من أى قوم من الناس كان ، لساواهم فى الحماقة ، ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل ، أو منحة من دين ، ولو قلّت : أو رقعة من الحياء ، فبطل وجه النص ، وأما وجه الحاجة إليه فى بيان الشريعة فما ظهر قط من أكثر أئمتهم بيان لشىء مما اختلف فيه الناس ، وما بأيديهم من ذلك شىء ، الا دعاوى مفتعلة قد اختلفوا أيضا فيها كما اختلف غيرهم من الفرق سواء سواء ، إلا أنهم أسوأ حالا من غيرهم لأن كل من قلد انسانا كأصحاب أبى حنيفة لأبى حنيفة ، وأصحاب مالك[١٣٤] لمالك ، وأصحاب الشافعى للشافعى ، وأصحاب أحمد لأحمد . فإن هؤلاء المذكورين أصحابًا مشاهير نقلت عنهم أقوال صاحبهم ، ونقلوها هم عنه ، ولا سبيل إلى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم إلى أن هذا قول موسى بن جعفر ، ولا أنه قول على ابن موسى ، ولا أنه قول محمد بن على بن موسى ، ولا أنه قول على بن محمد ولا أنه قول الحسن ابن على ، وأما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة ، وأما من قبل موسى ابن جعفر ، فلو جمع كل ما روى فى الفقه عن الحسن ، والحسين رضى الله عنهما [وعن على ابن الحسين وعن محمد بن على وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهم][١٣٥] لما بلغ عشر أوراق .

فما ترى المصلحة التى يدعونها فى إمامهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل ، ولا عندهم ولا عند غيرهم ، ولا ظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا أحدًا ولا أمر منهم أحد قط بمعروف معلن ، وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذيل المنتمين إلى الإمامية القائلين بأن الدين عند أئمتهم ، فما رأينا إلا دعاوى باردة ، وآراء فاسدة ، كأسخف ما يكون من الأقوال ، ولا يخلو هؤلاء الأئمة الذين يذكرون من أن يكونوا مأمورين بالسكوت ، أو مفسوحًا لهم فيه ، فإن يكونوا مأمورين بالسكوت فقد أبيح للناس البقاء فى الضلال ، وسقطت الحجة فى الديانة عن جميع الناس ، وبطل الدين ، ولم يلزم فرض الإسلام ، وهذا كفر مجرد .

وهم لا يقولون بهذا .

أو يكونوا مأمورين بالكلام والبيان ، فقد عصوا الله إذ سكتوا وبطلت إمامتهم .

وقد لجأ بعضهم إذ سئلوا عن صحة دعواهم فى الأئمة إلى أن ادعوا الالهام فى ذلك ، فإذ قد صاروا إلى هذا الشغب فإنه لا يضيق عن أحد من الناس ولا يعجز خصومهم عن أن يدعوا أنهم ألهموا بطلان دعواهم .

---

(١٣٤) مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية مولده سنة ٩٣ هـ ووفاته بالمدينة ١٧٩ هـ من مصنفاته الموطأ ، ورسالة فى الرد على القدرية . (راجع الوفيات حـ ١ ص ٤٣٩) .

(١٣٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .

قال هشام بن الحكم : لابد أن يكون فى إخوة الإمام آفات يبين بها أنهم لا يستحقون الإمامة .

قال أبو محمد : وهذه دعوى مردودة تزيد فى الحماقة ، ولا ندرى فى زيد ، وعمرو ، وعبد الله ، والحسن ، وعلى بن على بن الحسين ، آفات تمنع إلا أن الحسن أخا زيد ومحمد كان أعرج وما علمنا أن العرج عيب يمنع من الإمامة ، إنما هو عيب فى العبيد المتخذين للمشى ، وما يعجز خصومهم أن يدعوا فى محمد بن على وفى جعفر بن محمد وفى سائر أئمتهم تلك الآفات التى ادعاها هشام لاخوتهم ، ثم إن بعض أئمتهم المذكورين مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين . فنسألهم من أين علم هذا الصغير جميع علوم[١٣٦] الشريعة ؟ وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره ؟ فلم يبق إلا أن يدعوا له الوحى فهذه نبوة ، وكفر صريح ، وهم لا يبلغون إلى أن يدعوا له النبوة وأن يدعوا له معجزة تصحح قوله .

فهذه دعوى باطلة ، ما ظهر منها قط شىء ، أو يدعوا له الالهام فما يعجز أحد عن هذه الدعوى .

قال أبو محمد : ولو لم يكن من الحجة على أن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ويزين لكل أمة عملها إلا وجود من يعتقد هذه الأقوال السخيفة لكان أقوى حجة وأوضح برهان ، وإلا فما خلق الله عز وجل[١٣٧] عقلا يسع فيه مثل هذه الحماقات ، والحمد لله على عظيم منته علينا ، وهو المسئول منه دوامها بمنه آمين .

قال أبو محمد : وأيضا فلو كان الأمر فى الإمامة على ما يقول هؤلاء السخفاء لما كان الحسن رضى الله عنه فى سعة من أن يسلمها إلى[١٣٨] معاوية رضى الله عنه فيعينه على الضلال ، وعلى ابطال الحق ، وهدم الدين ، فيكون شريكه فى كل مظلمة ، ويبطل عهد رسول الله ﷺ ويوافقه على ذلك الحسين أخوه رضى الله عنهما ، فما نقض قط بيعة معاوية إلى أن مات ، فكيف استحل الحسن والحسين رضى الله عنهما إبطال عهد رسول الله ﷺ اليهما طائعين غير مكرهين ؟ فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه إذ رأى أنها بيعة ضلالة ، فلولا أنه رأى بيعة معاوية حقًا لما سلمها له ، ولفعل كما فعل بيزيد ، إذ ولى يزيد هذا ما لا يمترى فيه ذو إنصاف هذا ومع الحسن أزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه ، فتالله لولا أن الحسن رضى الله عنه علم أنه فى سعة من

---

(١٣٦) فى (أ) : علم .
(١٣٧) سقط من (أ) عز وجل .
(١٣٨) سقط من (أ) (إلى) .

اسلامها إلى معاوية ، وفى سعة من أن لا يسلمها لما جمع بين الأمرين فأمسكها ستة أشهر لنفسه وهى حقه ، وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة وذلك له مباح ، بل هو الأفضل بلا شك ، لأن جده رسول الله ﷺ قد خطب بذلك على المنبر [بحضرة المسلمين وأراهم الحسن معه على المنبر](١٣٩) وقال : « إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّد وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بين طائِفَتَيْن عَظِيمتينَ مِنْ الْمُسْلِمينَ » رويناه من طريق البخارى(١٤٠).

حدثنا صدقة ، أنبأنا ابن عينيه ، أنا الحسن ، سمع أبا بكر يقول إنه سمع ذلك وشهده من رسول الله ﷺ وهذا من إعلامه ﷺ وإنذاره بالغيوب التى لا تعلم البتة إلا بالوحى .

وقد امتنع زياد(١٤١) وهو فقعة القاع لا عشيرة ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما أطاقه معاوية إلا بالمدارة وحتى أرضاه وولاه .

فإن ادعوا أنه قد كان فى ذلك عند الحسن عهد فقد كفروا لأن رسول الله ﷺ لا يأمر أحدًا بالعون على إطفاء نور الإسلام بالكفر ، وعلى نقض عهود الله تعالى بالباطل عن غير ضرورة ولا اكراه ، وهذه صفة الحسن والحسين رضى الله عنهما ، عند الروافض .

واحتج بعض الإمامية وجميع الزيدية بأن عليا كان أحق الناس بالإمامة لبينونة فضله على جميعهم ، ولكثرة فضائله دونهم .

قال أبو محمد : وهذا يقع الكلام فيه إن شاء الله تعالى فى الكلام فى المفاضلة بين أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما الكلام هاهنا فى الإمامة فقط ، فنقول : وبالله تعالى التوفيق .

هبكم أنكم وجدتم لعلى رضى الله عنه فضائل معلومة ، كالسبق إلى الإسلام والجهاد مع رسول الله ﷺ ، وسعة العلم ، والزهد ، فهل وجدتم مثل ذلك للحسن والحسين رضى الله عنهما ؟ حتى أوجبتم لهما بذلك فضلا فى شىء مما ذكرنا على سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن العباس ؟ هذا ما لا يقدر أحد على أن يدعى لهما فيه كلمة فما فوقها يعنى مما يكونان به فوق من قد ذكرنا فى شىء من هذه الفضائل ، فلم يبق إلا دعوى النص عليهما ، وهذا ما لا يعجز عن مثله أحد ، ولو استجازت الخوارج التوقح بالكذب فى

---

(١٣٩) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .

(١٤٠) الحديث رواه البخارى فى الصلح ٩ وفى فضائل أصحاب النبى – ٢٣ والفتن ٣٠ والمناقب ٣٥ وأبو داود فى السنة ١٢ والمهدى ٨ والترمذى فى المناقب ٣٠ والنسائى ٢٧ ولفظه عند أبى داود : إن ابنى هذا سيدا وإنى أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من أمتى .

(١٤١) زياد بن أبيه أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاه ، من أهل الطائف اختلفوا فى اسم أبيه ، فقيل عبيد الثقفى وقيل أبو سفين ولدته اسمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفى . أسلم فى عهد أبى بكر الصديق وكان كاتبًا للمغيرة بن شعبة ولاه على بن أبى طالب امرة فارس ولما مات على استرضاه معاوية وألحقه بأبيه سنة ٤٤ هـ وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق مات سنة ٥٣ هـ . (تاريخ الطبرى حـ ٦ ص ١٦٢) .

دعوى النص على عبد الله بن وهب الراسبى(١٤٢)، لما كانوا إلا مثل الرافضة فى ذلك سواء بسواء ، ولو استحلت الأموية أن تجاهر بالكذب فى دعوى النص على معاوية لكان أمرهم فى ذلك أقوى من أمر الرافضة ، لقوله تعالى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا(١٤٣)» ولكن كل أمة ما عدا الرافضة والنصارى فإنها تستحى وتصون أنفسها عما لا تصون النصارى والروافض أنفسهم عنه من الكذب الفاضح(١٤٤) البارد وقلة الحياء ، فيما يأتون به . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وكذلك لا يجدون لعلى بن الحسين بسوقا فى علم ، ولا فى عمل على سعيد ابن المسيب(١٤٥)، والقاسم بن محمد(١٤٦)، وسالم بن عبد الله بن عمر(١٤٧)، وعروة بن الزبير(١٤٨)، ولا على أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام(١٤٩)، ولا على ابن عمه الحسن بن الحسن ، وكذلك لا يجدون لمحمد بن على بن الحسين بسوقا فى علم ولا فى عمل ولا ورع على عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد(١٥٠)، ولا على محمد بن عمرو بن أبى بكر بن المنكدر(١٥١)، ولا على أبى سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف(١٥٢)، ولا على أخيه زيد بن على ، ولا على عبد الله الحسن بن الحسن ابن على ولا على عمر بن عبد العزيز ، وكذلك لا يجدون لجعفر بن محمد بسوقا فى علم ولا فى دين

---

(١٤٢) عبد الله بن وهب الراسبى من الأزد من أئمة الأباضية ، كان ذا علم وارى وفصاحة وشجاعة ، أدرك النبى - ﷺ - وشهد فتح العراق مع سعد بن أبى وقاص ثم كان مع على فى حروبه ، ولما وقع التحكيم أنكره جماعة منهم الراسبى ، قتل فى موقعة النهروان عام ٣٨ هـ . (الكامل للمبرد حـ ٢ ص ١٩) .

(١٤٣) سورة الإسراء آية رقم ٣٣

(١٤٤) سقط من (خ) (الفاضح) .

(١٤٥) سعيد بن المسيب راجع ترجمته فى طبقات ابن سعد حـ ٥ ص ٨٨ .

(١٤٦) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أبو محمد أحد الفقهاء السبعة فى المدينة ، ولد فيها وتوفى بقديد (بين مكة والمدينة) عام ١٠٧ هـ حاجًا أو معتمرًا وكان صالحًا ثقة من سادات التابعين عمى فى أواخر أيامه ، قال ابن عيينه : كان القاسم أفضل أهل زمانه . (حلية الأولياء حـ ٢ ص ١٨٣) .

(١٤٧) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم دخل على سليمان بن عبد الملك فمازال سليمان يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره توفى بالمدينة سنة ١٠٦ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ٤٣٦) .

(١٤٨) عروة بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى أبو عبد الله أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالمًا بالدين ، صالحًا كريمًا لم يدخل فى شيء من الفتن وانتقل إلى البصرة ، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفى بها عام ٩٣ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٣١٦) .

(١٤٩) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى القرشى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان من سادات التابعين ويلقب براهب قريش توفى بالمدينة وكان مكفوفًا ، ولد فى خلافة عمر وتوفى ٩٤ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٩٢) .

(١٥٠) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق التيمى القرشى أبو محمد من سادات أهل المدينة فقهًا وحلمًا وأدبًا وحفظًا للحديث توفى بالشام عام ١٢٦ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٦ ص ٢٥٥) .

(١٥١) هو محمد بن عمر بن أبى بكر بن المنكدر بن عبد الله من تيم بن مرة .

(١٥٢) أبو سلمة عبد الرحمن بن عوف ، أمه تماضر بنت الاصبع بن عمرو روى عن أبيه ، وعن زيد بن ثابت وابى قتاده وجابر بن عبد الله وعائشة وأم سلمة ، وكان ثقة فقهيًا كثير الحديث وتوفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ فى خلافة الوليد بن عبد الملك وهو ابن ٧٢ سنة . (طبقات بن سعد حـ ٥ ص ١٥٥) .

ولا فى عمل على محمد بن مسلم الزهرى[١٥٣]، ولا على ابن أبى ذؤيب[١٥٤]، ولا على عبد الله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر[١٥٥]، ولا على عبيد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم ابن عمر[١٥٦]، ولا على ابنى عمه محمد بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسن، وعلى بن الحسن ابن الحسن بل كل من ذكرنا فوقه فى العلم والزهد، وكلهم أرفع محلا فى الفتيا والحديث لا يمنع أحد منهم من شىء من ذلك وهذا ابن عباس رضى الله عنه قد جمع فقهه فى عشرين كتابا، ويبلغ حديثه نحو ذلك إذا تقصى ولا تبلغ فتيا الحسن والحسين ورقتين، ويبلغ حديثهما ورقة أو ورقتين، وكذلك على بن الحسين إلا أن محمد بن على يبلغ حديثه وفتياه جزءًا صغيرا، وكذلك جعفر ابن محمد وهم يقولون إن الإمام عنده جميع علم الشريعة، فما بال من ذكرنا أظهروا بعض ذلك وهو الأقل الأنقص[١٥٧]، وكتموا سائره وهو الأكثر الأعظم، فإن كان فرضهم الكتمان فقد خالفوا الحق إذا أعلنوا ما أعلنوا، وإن كان فرضهم البيان فقد خالفوا الحق إذ كتموا ما كتموا، وأما من بعد جعفر بن محمد فما عرفنا لهم علما أصلا لا من رواية ولا من فتيا على قرب عهدهم منا، ولو كان عندهم من ذلك شىء لعرف كما عرف عن محمد بن على وابنه جعفر وعن غيره منهم ممن حدث الناس عنه فبطلت دعواهم الظاهرة الكاذبة اللائحة السخيفة، التى هى من خرافات السمر، ومضاحك السخفاء، فإن رجعوا إلى ادعاء المعجزات لهم قلنا لهم: إن المعجزات لا تثبت إلا بنقل التواتر لا بنقل الآحاد الثقات فكيف بتولد الوقحاء الكذابين الذين لا يُدرى من هم، وقد وجدنا من يروى لبشر الحافى[١٥٨] وشيبان الراعى[١٥٩] ورابعة العدوية[١٦٠] أضعاف ما يدعونه من الكذب لأئمتهم وأظهر وأفشى، وكل ذلك حماقة لا يشتغل ذو دين ولا ذو عقل بها ونحمد الله على السلامة، فإذ قد بطل كل ما يدعونه ولله تعالى الحمد فلنقل على الإمامة بعد رسول الله ﷺ بالبرهان وبالله تعالى نتأيد.

---

(١٥٣) محمد بن مسلم الزهرى من بنى زهرة بن كلاب من قريش أول من دون الحديث وأحد كبار الحفاظ والفقهاء تابعى من أهل المدينة قال عمر بن عبد العزيز عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه مات بشغب آخر حد للحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤ هـ. (تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٠٢).

(١٥٤) هو ابن أبى دؤيب الشاعر المخضرم الذى أسلم، وخرج مع عبد الله بن أبى سرح لفتح أفريقية سنة ٦٤٧ م، فى زمن عثمان.

(١٥٥) هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب روى عن النبى - ﷺ - مرسلًا قال النسائى ثقة، وذكره ابن حبان فى الثقات توفى سنة ١٨٤ هـ (تهذيب التهذيب ٣٠٢/٥ وما بعدها بتصرف).

(١٥٦) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوى المدنى، أبو عثمان أحد الفقهاء السبعة والعلماء الأثبات بالمدينة، كان من ساداتها ومن أشرف قريش توفى بالمدينة سنة ١٤٧ هـ. (تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٥١).

(١٥٧) فى (خ) : الأتفه.

(١٥٨) بشر الحافى بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى أبو نصر من كبار الصالحين له فى الزهد والورع أخبار من أهل مرو سكن بغداد وتوفى بها سنة ٢٢٧ هـ. (وفيات الأعيان جـ ١ ص ٩٠).

(١٥٩) شيبان الراعى.

(١٦٠) رابعة العدوية : رابعة بنت إسماعيل، أم الخير مولاة آل عتيك البصرية، صالحة مشهورة من أهل البصرة لها أخبار فى العبادة والنسك ولها شعر وفاتها سنة ١٣٥ هـ. (وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٨٢).

« الإمامة بعد الرسول »

قال أبو محمد : قد اختلف الناس فى هذا فقالت طائفة إن النبى ﷺ لم يستخلف أحدًا ، ثم اختلفوا . فقال بعضهم : لكن لما استخلف أبا بكر رضى الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلًا على أنه أولاهم بالإمامة ، والخلافة على الأمور ، وقال بعضهم : لا . ولكن كان أبينهم فضلا فقدموه لذلك ، وقالت طائفة : بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبى بكر بعده على أمور الناس نصا جليا .

قال أبو محمد : وبهذا نقول لبراهين أحدها : إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون[١٦١] فقد أصفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضى الله عنهم على أن سموه خليفة رسول الله ﷺ ومعنى الخليفة فى اللغة هو الذى يستخلفه المرء[١٦٢] لا الذى يخلفه دون أن يستخلفه هو ، لا يجوز غير هذا البتة فى اللغة بلا خلاف .

تقول استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفه ، ومستخلفه فإن قام مكانه دون أن يستخلفه هو لم يقل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف ، ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين أحدهما : أنه لم يستحق أبو بكر [رضى الله عنه قط][١٦٣] هذا الاسم على الإطلاق فى حياة رسول الله ﷺ ، وهو حينئذ خليفته على الصلاة ، فصح يقينا أن خلافته المسمى هو بها هى غير خلافته على الصلاة .

والثانى : أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ فى حياته كعلى فى غزوة تبوك ، وابن أم مكتوم[١٦٤] فى غزوة الخندق ، وعثمان بن عفان فى غزوة ذات الرقاع[١٦٥]، وسائر من استخلفه على

---

(١٦١) سورة الحشر آية رقم ٨

(١٦٢) سقط من (أ) كلمة : المرء .

(١٦٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٦٤) ابن أم مكتوم : اسمه عبد الله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو ، وامه عاتكة وهى ام مكتوم بنت عبد الله بن عنكشة ، اسلم بمكة قديمًا وكان ضرير البصر ، وقدم المدينة مهاجرًا بعد بدر بيسير وكان يؤذن للنبى - ﷺ - بالمدينة مع بلال ، اشترك فى معركة القادسية ومات بالمدينة . (طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٢٠٥ - ٢١٢) .

(١٦٥) غزوة ذات الرقاع ، كانت على رأس سبعة وأربعين شهرًا من مُهاجره وكان من خبرها أن قدم إلى المدينة قادم وأخبر أصحاب رسول الله ﷺ أن أنمارًا وثعلبه قد جمعوا لهم الجموع فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان وخرج فى أربعمائة أصحابه فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع فهربوا إلى رءوس الجبال وفيها صلى المسلمون صلاة الخوف ، ورجع الرسول إلى المدينة . (راجع التفاصيل لهذه الغزوة كاملة فى طبقات بن سعد حـ ٢ ص ٦١) .

البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها ، لم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف من أحد من الأمة أن يسمى خليفة رسول الله ﷺ على الإطلاق .

فصح يقينا بالضرورة التى لا محيد عنها أنها للخلافة بعده على أمته ومن الممتنع أن يجمعوا على ذلك ، وهو عليه السلام لم يستخلفه نصا ولو لم يكن هاهنا إلا استخلافه إياه على الصلاة ما كان أبو بكر أولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا ، وهذا برهان ضرورى نعارض به جميع الخصوم ، و أيضا فإن الرواية قد صحت بأن امرأة قالت : يا رسول الله أرأيت إن رجعت ولم أجدك كأنها تريد الموت قال فأت أبا بكر[١٦٦]» وهذا نص جلى على استخلاف أبى بكر .

وأيضا فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها فى مرضه الذى توفى فيه عليه السلام : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فاكتب كتابا وأعهد عهدا لكى لا يقول قائل أنا أحق أو يتمنى متمنى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر .

وروى أيضا . ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر[١٦٧].

فهذا نص جلى على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده .

قال أبو محمد : ولو أننا نستجيز التدليس والأمر الذى لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحا ، أو أبلسوا أسفا لاحتججنا فى ذلك[١٦٨] بما روى : اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر .

قال أبو محمد : ولكنه لم يصح ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح .

قال أبو محمد : واحتج من قال لم يستخلف رسول الله ﷺ بالخبر المأثور عن عبد الله ابن عمر عن أبيه أنه قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى – يعنى أبا بكر – وإن لا استخلف فلم يستخلف من هو خير منى – يعنى رسول الله ﷺ – وبما روى عن عائشة رضى الله عنها : إذ سئلت[١٦٩] من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف . فمن المحال أن يعارض اجماع الصحابة الذى ذكرنا ، والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضى الله عنهما مما لا يقوم به حجة مما له وجه ظاهر

---

(١٦٦) الحديث ذكره ابن سعد فى طبقاته حـ ٣ ص ١٧٨ قال : أخبرنا يزيد بن هارون قال أخبرنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن جبير ابن مطعم عن أبيه وذكر الحديث وقال : أخبرنا سليمان أبو داود الطيالس وعبد العزيز بن عبد الله قالا أخبرنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه أن أمرأة أتت النبى – ﷺ – فى شيء فقال لها رسول الله ارجعى إلىَّ قالت يا رسول الله فإن لم أرَك ، تعنى الموت فإلى مَنْ ..؟ قال إلى أبى بكر .

(١٦٧) الحديث رواه الإمام مسلم فى فضائل الصحابة ١١ ، وأبو داود فى السنة ١١ وأحمد بن حنبل حـ ٤ ص ٥٣ ، ٢٨٢ : ولفظه عند مسلم : اذعى لى أبا بكر ، وأخاك ، حتى اكتب كتابات ، فإنى أخاف أن يتمنى مُتمنٌ ، ويقول قائل : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر .

(١٦٨) فى (أ) : سقط (فى ذلك) .

(١٦٩) فى (أ) : سقط (إذ سئلت) .

من أن هذا الأثر خفى على عمر رضى الله عنه كما خفى عليه كثير من أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره ، أو أنه اراد استخلافا بعهد مكتوب ونحن نقر أن استخلاف أبى بكر لم يكن بكتاب مكتوب ، وأما الخبر فى ذلك عن عائشة فكذلك نصا ، وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وإنما الحجة فى روايتها لا فى قولها ، وأما من ادعى انه انما قدم قياسا على تقديمه إلى الصلاة فباطل بيقين ، لأنه ليس كل من استحق الإمامة فى الصلاة يستحق إمامة الخلافة[١٧٠]، إذ قد يستحق الإمامة فى الصلاة أقرأ القوم ، وإن كان أعجميا أو عربيا ، ولا يستحق الخلافة إلا قرشى فكيف والقياس كله باطل ؟

قال أبو محمد : فى نص القرآن دليل على صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وعلى وجوب الطاعة لهم ، وهو أن الله تعالى قال مخاطبا لنبيه ﷺ فى الأعراب .

« فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا[١٧١]» .

وكان نزول سورة براءة التى فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك التى تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم ، فى سورة براءة ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك إلى أن مات ﷺ وقال تعالى أيضا : « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل[١٧٢]» .

فبين أن العرب لا يغزون مع رسول الله ﷺ بعد تبوك ابدًا[١٧٣] ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم إثر منعه إياهم من الغزو مع رسول الله ﷺ وغلق لهم[١٧٤] باب التوبة فقال تعالى : « قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ، فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما[١٧٥]» .

فأخبر تعالى أنه سيدعوهم غير النبى ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون ، ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم ، وتوعدهم على عصيان الداعى لهم إلى ذلك العذاب الأليم .

قال أبو محمد : وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم

---

(١٧٠) فى (أ) : الإمامة فى الخلافة .
(١٧١) سورة التوبة آية رقم ٨٣
(١٧٢) سورة الفتح آية رقم ١٥
(١٧٣) فى (أ) : لهذا .
(١٧٤) سقط من (أ) لهم .
(١٧٥) سورة الفتح آية رقم ١٦

أو يسلمون الا أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، فإن أبا بكر رضى الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدى العرب بنى حنيفة[١٧٦] وأصحاب الأسود[١٧٧] وسجاح[١٧٨] وطليحة[١٧٩] والروم والفرس وغيرهم ، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك فوجبت طاعة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم بنص القرآن الذى لا يحتمل تأويلا ، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضا فقد صحت إمامتهم وخلافتهم رضى الله عنهم ، وليس هذا بموجب تقليدهم فى غير ما أمر الله تعالى بطاعتهم فيه لأن الله تعالى لم يأمر بذلك إلا فى دعائهم إلى قتال هؤلاء القوم ، وفيما يجب الطاعة فيه للأئمة جملة ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما ما أفتوا به باجتهادهم فما أوجبوا هم قط اتباع أقوالهم فيه ، فكيف أن يوجب ذلك غيرهم ؟ وبالله تعالى التوفيق .

وأيضا فإن هذا اجماع الأمة[١٨٠] كلها إذ ليس أحد من أهل العلم إلا وقد خالف بعض فتاوى هؤلاء الأئمة الثلاثة رضى الله عنهم ، فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين .

« فصـــل »

عدم جواز إمامة امرأة أو صبي

قال أبو محمد : وجميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز امامه امرأة ، ولا إمامه صبى لم يبلغ ، إلا الرافضة فإنها تجيز إمامه الصغير الذى لم يبلغ ، والحمل فى بطن أمه ، وهذا خطأ لأن من لم يبلغ فهو غير مخاطب ، والإمام مخاطب بإقامة الدين ، وبالله تعالى التوفيق .

قال الباقلانى : واجب أن يكون الإمام أفضل الأمة .

قال أبو محمد : وهذا خطأ متيقن لبرهانين ، أحدهما : أنه لا يمكن أن يعرف الأفضل إلا بالظن فى ظاهر أمره ، وقد قال تعالى إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا[١٨١]، والثانى : أن قريشا

---

(١٧٦) بنو حنيفة : الذين تنبأ فيهم مسليمة الكذاب ، وارتد بعضهم عن الإسلام وتابع مسليمة فيما دعا إليه ، وانتصر المسلمون عليهم فى معركة اليمامة .

(١٧٧) الأسود العنسى : عبهلة بن كعب راجع ترجمته فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٢١٤ .

(١٧٨) سجاح بنت الحارث راجع ترجمتها فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٢١٥ .

(١٧٩) طليحة بن خويلد الأسدى من أسد خزيمة يقال له : طليحة الكذاب ، قدم على النبى - ﷺ - فى وفد بنى أسد سنة ٩ هـ وأسلموا ولما رجعوا ارتد طليحة ، وادعى النبوة وكثر أتباعه ، وطمع فى امتلاك المدينة فأرسل إليه أبو بكر خالد بن الوليد فهزمه ففر إلى الشام ، ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان ووفد على عمر فبايعه فى المدينة واستشهد بنهاوند سنة ٢١ هـ . (الإصابة ت ٤٢٨٣) .

(١٨٠) فى (أ) : الأئمة .

(١٨١) سورة يونس آية رقم ٣٦

قد كثرت وطبقت الأرض من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، ولا سبيل أن يعرف الأفضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ، ولا يمكن ذلك أصلًا ثم يكفى من بطلان هذا القول اجماع الأمة على بطلانه ، فإن جميع من أدرك من الصحابة رضى الله عنهم من جميع المسلمين فى ذلك العصر قد أجمعوا على صحة[١٨٢] امامة الحسن ، أو معاوية ، وقد كان فى الناس أفضل منهم بلا شك كسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وابن عمر وغيرهم .

فلو كان ما قاله الباقلانى حقا لكانت إمامة الحسن ومعاوية باطلة وحاشا لله عز وجل من ذلك .

وأيضا فإن هذا القول الذى قاله هذا المذكور دعوى فاسدة لا دليل على صحتها . لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ، ولا سقيمة ، ولا من قول صاحب ، ولا من قياس ، والعجب كله أن يقول إنه جائز أن يكون فى هذه الأمة من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حيث بعث إلى أن مات ، ثم لا يجيز أن يكون أحد أفضل من الإمام .

قال أبو محمد : وهذا القول منه فى النبى ﷺ كفر مجرد لا خفاء به ، وفيه خلاف لأهل الإسلام وإنما يجب أن يكون الإمام قرشيًا بالغا ذكرًا مميزًا بريئًا من المعاصى الظاهرة ، حاكما بالقرآن والسنة فقط . ولا يجوز خلعه مادام يمكن منعه من الظلم فإن لم يمكن ذلك[١٨٣] الا بازالته ففرض أن يقام كل ما يوصل به إلى دفع الظلم ، لقول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان[١٨٤]» وبالله تعالى التوفيق .

(١٨٢) سقط من (أ) (صحة) .
(١٨٣) سقط من (أ) (ذلك) .
(١٨٤) سورة المائدة آية رقم ٢

الكلام فى وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة

قال أبو محمد : اختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام . فذهب بعض أهل السنة ، وبعض المعتزلة ، وبعض المرجئة ، وجميع الشيعة ، إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ على ابن أبى طالب – رضى الله عنه – وقد روينا هذا القول نصا عن بعض الصحابة رضى الله عنهم وعن جماعة من التابعين ، والفقهاء .

وذهبت الخوارج كلها ، وبعض أهل السنة ، وبعض المعتزلة ، وبعض المرجئة ، إلى أن أفضل الصحابة بعد رسول الله – ﷺ – أبو بكر ، ثم عمر . وروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ جعفر بن أبى طالب ، وبهذا قال أبو عاصم النبيل ، وهو الضحاك ابن مخلد[1]، وعيسى بن حاضر[2]. قال عيسى : وبعد جعفر حمزة ، رضى الله عنه .

وروينا عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول لله ﷺ على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام .

وروينا عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها مات رسول الله ﷺ وثلاثة رجال لا يعد أحد[3] عليهم بفضل سَعْد بن مُعَاذ[4] وأُسَيْد بن حُضَير[5] وعَبَّاد بن بِشْر[6].

---

(١) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيبانى البصرى المعروف بالبيل ، شيخ حفاظ الحديث فى عصره ، ولد بمكة ١٢٢ هـ وتحول إلى البصرة فسكنها وتوفى بها عام ٢١٢ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٤ ص ٤٥٠) .

(٢) لم نعثر له على ترجمة .

(٣) سقط من (أ) كلمة (أحد) .

(٤) سعد بن معاذ : بن النعمان بن امرىء القيس ، الأوسى الأنصارى ، صحابى من الأبطال من أهل المدينة ، كانت له سيادة الأوس ، وحمل لواءهم يوم بدر ، وشهد أحدًا ، فكان ممن ثبت فيها ، ورمى بسهم يوم الخندق فمات من أثر جرحه ودفن بالبقيع عام ٩ هـ وحزن النبى – ﷺ – وفى الحديث : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » . (طبقات بن سعد حـ ٣ ص ٢) .

(٥) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيل الأوسى ، أبو يحيى ، صحابى ، كان شريفًا فى الجاهلية والإسلام ، مقدمًا فى قبيلته الأوس ، من أهل المدينة يعد من عقلاء العرب وذوى الرأى فيهم وكان يسمى الكامل ، شهد العقبة الثانية ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر وشهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها وفى الحديث نعم الرجل أسيد بن الحضير ، توفى بالمدينة عام ٢٠ وله ١٨ حديثًا . (طبقات بن سعد حـ ٣ ص ١٣٥) .

(٦) عباد بن بشر بن وقش الأشهلى الخزرجى الأنصارى : صحابى ، من أبطالهم أسلم فى المدينة ، وشهد المشاهد كلها ، وكان رسول الله – ﷺ – يبعثه إلى القبايل يصدقها (يجمع الصدقات) واستعمله على حرسه بتبوك استشهد يوم اليمامة عام ١٢ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٣ ص ١٧) .

وروينا عن أُمّ سَلَمَة(٧) أم المؤمنين رضى الله عنها أنها تذكرت الفضل ومن هو خير فقالت : ومن هو خير من أبى سلمة(٨) أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ .

وروينا عن مَسْروق بن الأَجْدَع(٩) وتميم بن حزلم(١٠) وإبراهيم النَّخَعِى(١١) وغيرهم أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود ، قال تميم وهو من كبار التابعين رأيت أبا بكر وعمر فما رأيت مثل عبد الله بن مسعود .

وروينا عن بعض من أدرك النبى ﷺ : إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وأنه أفضل من أبى بكر رضى الله عنهما وبلغنى عن محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى(١٢) أنه كان يذهب إلى هذا القول . قال داود بن على الفقيه(١٣) رضى الله عنه أفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين ، ثم الأولون من الأنصار ، ثم من بعدهم منهم ولانقطع على إنسان منهم بعينه أنه أفضل من آخر من طبقته ، ولقد رأينا من متقدمى أهل العلم ممن يذهب إلى هذا القول .

وقال لى يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميرى(١٤) غير ما مرة إن هذا هو قوله ومعتقده .

---

(٧) أم سلمة : هند بنت سهيل المعروف بأبى أمية من زوجات النبى - ﷺ - تزوجها فى السنة الرابعة للهجرة ، وكانت من أكمل النساء عقلًا وخلقا وهى قديمة الإسلام هاجرت مع زوجها الأول أبى سلمة بن عبد الأسد إلى الحبشة وولدت له ابنه سلمة - تزوجها الرسول - ﷺ - بعد وفاة زوجها لها ٣٧٨ حديثا وتوفيت عام ٦٢ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٨ ص ٦٧) .

(٨) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم المخزومى أحد السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة مع زوجته أم مسلمة وعاد إلى المدينة فاصيب بجراح ومات رحمه الله . (الاصابة ت ٥٥٩ حـ ٤ ص ٩٣) .

(٩) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى الوادعى أبو عائشة ، تابعى ثقة من أهل اليمن قدم المدينة فى أيام أبى بكر وسكن الكوفة ، وشهد حروب على وكان أعلم بالفتيا من شريح ، وشريح أبصر منه بالقضاء توفى سنة ٦٣ هـ . (الاصابة ت ٨٤٠٨) .

(١٠) تميم بن حذلم الصبى أبو سلمة الكوفى من أصحاب ابن مسعود وادرك أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، روى عنه ابراهيم النخعى وسماك ابن سلمة الصبى وغيرهم قال تميم بن حذلم قرأت القرآن على عبد الله بن مسعود وانا غلام فمررت بسجدة فقال عبد الله انت امامنا فيها قال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث وذكره ابن حبان فى الثقات . (تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٥١٢) .

(١١) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعى من مذحج من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية وحفظا للحديث من أهل الكوفة مات مختفيًا من الحجاج . قال فيه الصلاح الصفدى . فقيه العراق : كان إمامًا مجتهدًا له مذهب مات سنة ٩٦ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٦ ص ١٨٨ - ١٩٩) .

(١٢) داود بن على الفقيه بن خلف الأصبهانى الملقب بالظاهرى أحد الأئمة المجتهدين فى الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية وهو أصبهانى الأصل من أهل قاشان ، ولد فى الكوفة عام ٢٠١ هـ وسكن بغداد وله تصانيف كثيرة توفى فى بغداد عام ٢٧٠ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ١٧٥) .

(١٣) وهذا الرأى الذى ارتآه داود بن على هو ما عليه الجمهور ، ولعله قد نظر فى هذا إلى قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم) (التوبة : ١٠٠) .

(١٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أبو عمر من كبار حفاظ الحديث ، يقال له حافظ المغرب ، ولد بقرطبة عام ٣٦٨ هـ وولى قضاء لشبونة وتوفى بشاطبه عام ٤٦٣ هـ .

قال الفقيه[١٥] أبو محمد رحمه الله : والذى نقول به وندين الله تعالى عليه ، ونقطع على أنه الحق عند الله عز وجل أن أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام نساء رسول الله ﷺ ثم أبو بكر رضى الله عنه ، ولا خلاف بين أحد من المسلمين فى أن أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، لقول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس[١٦] » ..

وأن هذه قاضية على قوله تعالى لبنى إسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين[١٧]» وأنها مبينة لأن مراد الله تعالى من ذلك عالم الأمم حاشا هذه الأمة .

قال أبو محمد : ثم نقول وبالله تعالى التوفيق : إن الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد بذلك الكلام فإنه طمس للمعانى ، وصد عن ادراك الصواب ، وتعريج عن الحق ، وإبعاد عن الفهم [وتخليط وعمى][١٨] فلنبدأ بعون الله تعالى وتأييده بتقسيم وجوه الفضل التى بها يستحق التفاضل وتفسيرها[١٩] فإذا استبان معنى الفضل وعلى ماذا تقع هذه اللفظة ، فبالضرورة نعلم حينئذ أن من وجدت فيه هذه الصفات أكثر فهو أفضل بلا شك ، فنقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

إن الفضل ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما : فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل ، وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل .

فأما فضل الاختصاص دون عمل فإنه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان[٢٠] غير الناطق والجمادات والأعراض كفضل الملائكة فى ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضل الأنبياء فى ابتداء خلقهم على سائر الجن والإنس ، وكفضل إبراهيم ابن النبى[٢١] ﷺ على سائر الأطفال ، وكفضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق .

وكفضل ذبيحة[٢٢] إبراهيم عليه السلام على سائر الذبائح .

(وكفضل مكة على سائر البلاد ، وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع ، وكفضل الحجر الأسود على سائر الحجارة ، وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور ، وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الأيام

---

(١٥) فى (أ) : سقطت كلمة (الفقيه) .
(١٦) سورة آل عمران آية رقم ١١٠
(١٧) سورة البقرة آية رقم ٤٧ ، و ١٢٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكر « وفضلناكم » .
(١٨) سقط من (خ) (وتخليط وعمى) .
(١٩) سقط من (أ) (وتفسيرها) .
(٢٠) سقط من (أ) (والحيوان) .
(٢١) فى (خ) : ابن رسول الله .
(٢٢) فى (خ) : ذبح .

وكفضل ليلة القدر على سائر الليالى ، وكفضل صلاة الفرض على النافلة ، وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات ، وكفضل السجود على القعود ، وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلا عمل .

فأما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة إلا للحى الناطق من الملائكة ، والإنس ، والجن فقط ، وهذا هو القسم الذى تنازع الناس فيه فى هذا الباب الذى نتكلم فيه الآن من أحق به فوجب أن ننظر أيضا فى أقسام هذا القسم التى بها يستحق الفضل فيه والتقدم فنحصرها ونذكرها بحول الله تعالى وقوته ، ثم ننظر حينئذ من هو أحق به وأسعد[٢٣] بالبسوق فيه ، فيكون بلا شك أفضل ممن هو أقل حظا فيها بلا شك . وبالله تعالى التوفيق .

فنقول وبالله تعالى نستعين :

إن العامل يفضل العامل فى عملهما بسبعة أوجه لا ثامن لها :

وهى المائية : وهى عين العمل وذاته ، والكمية : وهى العرض فى العمل والكيفية[٢٤]، والكم ، والزمان ، والمكان ، والإضافة ، فأما المائية فهى أن تكون الفروض من أعمال أحدهما موفاة كلها ويكون الآخر يضيع بعض فروضه[٢٥] وله نوافل ، أو يكون كلاهما يوفّى جميع فرضه ، ويعملان نوافل زائدة إلا أن نوافل أحدهما أفضل من نوافل الآخر ، كأن يكون أحدهما يكثر الذكر فى الصلاة ، والآخر يكثر الذكر فى حال جلوسه ، وما أشبه هذا ، وكإنسانين قاتل أحدهما فى المعركة ، والموضع المخوف ، وقاتل الآخر فى الرد . أو جاهد أحدهما واشتغل الآخر بصيام ، وصلاة تطوع . أو يجتهدان فيصادف أحدهما الحق[٢٦] ويحرمه الآخر فيفضل أحدهما الآخر فى هذه الوجوه بنفس عمله ، أو بأن ذات عمله أفضل من ذات عمل الآخر ، فهذا هو التفاضل فى المائية من العمل[٢٧].

وأما الكمية : وهى العرض فأن يكون أحدهما يقصد بعمله وجه الله تعالى لا يمزج به شيئا البتة ، ويكون الآخر يساويه فى جميع عمله ، إلا أنه ربما مزج بعمله شيئا من حب البر فى الدنيا ، وأن يستدفع بذلك الأذى عن نفسه ، وربما مزجه بشىء من الرياء ففضله الأول بعرضه فى عمله ، وأما الكيفية فأن يكون أحدهما يوفى عمله جميع حقوقه . ورتبه لا منتقصًا ولا متزايدًا ويكون الآخر

---

(٢٣) فى (ح) : (من هو احظى به) .
(٢٤) فى (خ) : (الكيف) .
(٢٥) فى (ح) : (الفرض) .
(٢٦) سقط من (أ) (الحق) .
(٢٧) فى (خ) : (فى العمل) .

ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه ، وإن لم يعطل منه فرضًا أو يكون أحدهما يصفى عمله من الكبائر ، وربما أتى الآخر ببعض الكبائر ففضله الآخر بكيفية عمله .

وأما الكم : فأن يستويا فى أداء الفرض ، ويكون أحدهما أكثر نوافل ففضله هذا بكثرة عدد نوافله ، كما روى فى رجلين أسلما وهاجرا أيام رسول الله ﷺ ثم استشهد أحدهما وعاش الآخر بعده سنة ثم مات على فراشه فرأى بعض أصحاب النبى ﷺ أحدهما فى النوم وهو آخرهما موتًا فى أفضل من حال الشهيد فسأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال عليه السلام « كلاما معناه فأين صلاته وصيامه بعده[٢٨]» .

ففضل أحدهما الآخر بالزيادة التى زادها عليه فى عدد أعماله . وأما الزمان فكمن عمل فى صدر الإسلام أو فى عام المجاعة ، أو فى وقت نازلة بالمسلمين وعمل غيره بعد قوة الإسلام ، وفى زمن رخاء وأمن ، فإن الكلمة فى أول الإسلام والتمرة والصبر حينئذ وركعة فى ذلك الوقت تعدل اجتهاد الأزمان الطوال ، وجهادها ، وبذل الأموال الجسام بعد ذلك ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « دَعُوا لِيَ أَصْحَابِى فَلَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ مثل أُحُدٍ ذَهَبًا ، فَأَنْفَقَهُ مَا بَلَغَ مُدّ أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَهُ[٢٩]» .

فكان نصف مد شعير أو تمر فى ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهبا ننفقه نحن فى سبيل الله عز وجل بعد ذلك ، قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى[٣٠]» .

قال أبو محمد : هذا فى الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضى الله عنهم أجمعين .

قال أبو محمد : وهذا يكذب قول أبى هاشم محمد بن على الجبائى ، وقول محمد بن الطيب الباقلانى ، فإن الجبائى قال : جائز إن طال عمر امرىء أن يعمل ما يوازى عمل نبى من الأنبياء .

وقال الباقلانى : جائز أن يكون فى الناس من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حين[٣١] بعث بالنبوة إلى أن مات .

---

(٢٨) لم نعثر على هذا الحديث .

(٢٩) الحديث رواه البخارى ٧ ، ٢٧ ، ٢٨ فى فضائل الصحابة ، ومسلم رقم ٢٥٤١ فى فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة – رضى الله عنهم ، وأبو داود رقم ٤٦٥٨ ، فى السنة باب النهى عن سب أصحاب النبى – ﷺ – والترمذى رقم ٣٨٦٠ فى المناقب ، ولفظه عند مسلم : لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه .

(٣٠) سورة الحديد آية رقم ١٠

(٣١) فى (أ) : (حيث) .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرد وردة صحيحة[٣٢] وخروج عن دين الإسلام بلا مرية وتكذيب لرسول الله ﷺ فى إخباره ، إنا لا ندرك أحدًا من أصحابه وفى إخباره عليه السلام عن أصحابه رضى الله عنهم بأنه ليس مثلهم ، وأنه أتقاهم لله وأعلمهم بما يأتى وما يذر ، وكذلك أيضا[٣٣] قالت الخوارج والشيعة فإن الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل على أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة وجميع الصحابة رضى الله عنهم حاشا عليًا ، والحسن ، والحسين ، وعمار بن ياسر[٣٤]، والخوارج يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل وكلاب النار على عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وكذلك القليل من الجهاد والصدقة فى زمان الشدائد أفضل من كثيرهما فى وقت القوة والسعة ، وكذلك صدقة المرء بدرهم فى زمان فقره وصحته يرجو الحياة ويخاف الفقر أفضل من الكبير يتصدق به فى عرض غناه ، وفى وصيته بعد موته ، وقد صح عن رسول الله ﷺ سبق درهم مائة ألف ، وهو إنسان كان له درهمان تصدق بأحدهما ، والآخر عمد إلى عرض ماله فتصدق منه بمائة ألف ، وكذلك صبر المرء على أداء الفرائض فى حال خوفه ، ومرضه ، وقليل تنفله فى زمان مرضه وخوفه أفضل من عمله وكثير تنفله فى زمان صحته وأمنه ، ففضل من ذكرنا غيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير فى زمان آخر أجله هو أفضل ممن خلط فى زمان آخر أجله ، وأما المكان فكصلاة فى المسجد الحرام [ومسجد المدينة فهما أفضل من ألف صلاة فيما عداهما ، وتفضل الصلاة فى المسجد الحرام][٣٥] على صلاة فى مسجد رسول الله ﷺ بمائة درجة ، وكصيام فى بلد العدو ، وفى الجهاد على صيام فى غير الجهاد ففضل من عمل فى المكان الفاضل غيره ممن عمل فى غير ذلك المكان بمكان عمله ، وإن تساوى العملان .

وأما الإضافة فركعة من نبى أو ركعة مع نبى أو صدقة من نبى أو صدقة معه أو ذكر منه أو ذكر معه وسائر أعمال البر منه أو معه فقليل ذلك معه[٣٦] أفضل من كثير الأعمال بعده ، ويبين ذلك ما قد ذكرنا آنفا من قول الله عز وجل : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل[٣٧]» .

---

(٣٢) سقط من (أ) كلمة : (صحيحه) .

(٣٣) فى (أ) : سقطت كلمة (أيضا) .

(٣٤) عمار بن ياسر بن عامر الكنانى صحابى وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به ، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأحدًا والخندق ، وبيعه الرضوان ولاه عمر الكوفة ، وشهد الجمل وصفين مع على وقتل فى الثانية سنة ٣٧ هـ له ٦٢ حديثًا . (الاصابة ت ٥٧٠٦) .

(٣٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٣٦) سقط من (أ) كلمة (معه) .

(٣٧) سورة الحديد آية رقم ١٠

وأخباره عليه السلام أن أحدنا لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ نصف مد من أحد من الصحابة رضى الله عنهم [فبهذا فضل الصحابة][٣٨] رضى الله عنهم من جاء بعدهم

قال أبو محمد : وبهذا قطعنا على أن كل عمل عمله الصحابة[٣٩] أنفسهم بعد موت النبى ﷺ لا يوازى شيئا من البر عمله ذلك الصاحب بنفسه مع النبى ﷺ ، ولا ما عمله غير ذلك الصاحب بعد النبى ﷺ ، ولو كان غير ما نقول لجاز أن يكون أنس ، وأبو أمامة الباهلى[٤٠]، وعبد الله بن أبى أوفى[٤١]، وعبد الله بن بسر[٤٢]، وعبد الله بن الحارث بن جزء[٤٣]، وسهل بن سعد الساعدى[٤٤]، رضى الله عنهم أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى[٤٥] وأبى عبيدة وزيد ابن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش ، وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون ، وسائر السابقين ، من المهاجرين ، والأنصار المتقدمين ، رضى الله عنهم أجمعين ، لأن بعض أولئك عبدوا الله عز وجل بعد موت أولئك ، بعضهم بعد موت بعض بتسعين عاما فما بين ذلك إلى خمسين عاما وهذا ما لا يقوله أحد يعتد به .

قال أبو محمد : وبهذا قطعنا على[٤٦] أن من كان من الصحابة حين موت رسول الله ﷺ أفضل من آخر منهم فإن ذلك المفضول لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ أبدا .

وإن طال عمر المفضول وتعجل موت الفاضل .

وبهذا أيضا لم نقطع على فضل أحد منهم رضى الله عنهم حاشا من ورد فيه النص من النبى ﷺ على[٤٧] من مات منهم فى حياة النبى ﷺ بل نقف فى هؤلاء على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

---

(٣٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٣٩) سقط من (أ) كلمة (الصحابة) .

(٤٠) أبو إمامة الباهلى : هو : صدى بن عجلان بن وهب الباهلى صحابى كان مع على فى معركة « صفين » وسكن الشام فتوفى فى حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، له فى الصحيحين ٢٥٠ حديثًا . (تهذيب التهذيب حـ ٤ ص ٤٢٠) .

(٤١) عبد الله بن أبى أوفى علقمة بن خالد بن الحارث بن أبى اسيد بن رفاعة بن ثعلبة ، شهد بيعة الرضوان ، وروى عن النبى - ﷺ - وعنه إبراهيم بن عبد الرحمن ، وإبراهيم بن مسلم الهجرى وإسماعيل بن أبى خالد وغيرهم ، قال يحيى بن بكير وغيره مات سنة ٨٦ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١٥٢) .

(٤٢) عبد الله بن بسر المازنى ، أبو صفوان ويقال أبو بسر ، من بنى مازن بن منصور ، صحابى ، كان ممن صلى القبلتين ، توفى بحمص عن ٩٥ عامًا وهو آخر الصحابة موتًا بالشام له ٥٠ حديثًا . (الاصابة ت ٤٥٥٥) .

(٤٣) عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب بن عمرو أبو الحارث نزيل مصر له صحبة ، روى عن النبى - ﷺ - وعنه عبيد الله بن المغيرة ، وسليمان بن زياد الحضرمى وغيرهم قال ابن يونس توفى سنة ٨٦ هـ وكان قد عمى وقال غيره سنة خمس وثمانين . وهو آخر من مات بمصر من الصحابة . (تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١٧٨) .

(٤٤) سهل بن سعد الخزرجى الأنصارى من بنى ساعدة ، صحابى من مشاهيرهم ، من أهل المدينة ، عاش نحو مائة سنة له فى كتب الأحاديث ١٨٨ حديثًا توفى سنة ٩١ هـ . (الاصابة ت ٣٥٢٦) .

(٤٥) سقط من (أ) كلمة (وعلى) .

(٤٦) سقط من (أ) (على) .

(٤٧) ى (أ) : سقط (على) .

قال أبو محمد : فهذه وجوه الفضائل بالأعمال[٤٨] التى لا يفضل ذو عمل ذا عمل فيما سواها البتة ، ثم نتيجة هذه الوجوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمل أيضا لا ثالث لهما البتة .

أحدهما : إيجاب الله تعالى تعظيم الفاضل فى الدنيا على المفضول ، فهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل أو باختصاص مجرد بلا عمل من عرض أو جماد ، أو حى ناطق أو غير ناطق ، قد أمرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ، ويوم الجمعة والأشهر الحرم[٤٩]، وشهر رمضان ، وناقة صالح ، وإبراهيم ابن رسول الله ﷺ وذكر الله تعالى والملائكة والنبيين على جميعهم صلوات الله وسلامه ، والصحابة أكثر من تعظيمنا وتوقيرنا غير ما ذكرنا ، ومن ذكرنا من المواضع والأيام والنوق والأطفال والكلام والناس ، هذا ما لا شك فيه وهذه خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل أصلا ولا يكون البتة إلا الفاضل .

والوجه الثانى هو إيجاب الله تعالى للفاضل درجة فى الجنة أعلى من درجة المفضول ، إذ لا يجوز عند أحد من خلق الله تعالى كلهم أن يأمر بإجلال المفضول أكثر من اجلال الفاضل ، ولا أن يكون المفضول أعلى درجة فى[٥٠] الجنة من الفاضل ، ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ، ولكان لفظا لا حقيقة له ولا معنى تحته ، وهذا الوجه الثانى الذى هو علو الدرجة فى الجنة هو خاصة كل فاضل بعمل فقط من الملائكة ، والإنس ، والجن . وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فكل مأمور بتعظيمه فاضل ، وكل فاضل فمأمور بتعظيمه وليس الاحسان والبر والتوقير والتذلل المفترض فى الأبوين الكافرين من التعظيم فى شىء ، فقد يحسن المرء إلى من لا يعظم ولا يهين كإحسان المرء إلى جاره ، وغلامه ، وأجيره ، ولا يكون ذلك تعظيما ، وقد يبر الإنسان جاره والشيخ من أسرته ولا يسمى ذلك تعظيما ، وقد يوقر الإنسان من يخاف ضره ، ولا يسمى ذلك تعظيما ، وقد يتذلل المرء[٥١] للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيما ، وفرض على كل مسلم البراءة من أبويه الكافرين ، وعداوتهما فى الله عز وجل . قال الله عز وجل : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه[٥٢]» .

وقال عز وجل : « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء

---

(٤٨) فى (أ) : سقطت كلمة (الأعمال) .
(٤٩) فى (أ) : (الشهر الحرام) .
(٥٠) فى (خ) : سقطت (فى) .
(٥١) فى (أ) : الإنسان .
(٥٢) سورة المجادلة آية رقم ٢٢

منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده[٥٣]» .

وقال عز وجل : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم[٥٤]» .

فقد صح بيقين[٥٥] أن ما وجب للأبوين الكافرين من بر وإحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل [لأن التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل][٥٦] هو مودة فى الله ومحبة فيه وولاية له ، وأما البر الواجب للأبوين الكافرين ، والتذلل لهما ، والاحسان إليهما ، فكل ذلك مرتبط بالعداوة لله تعالى وللبراءة منه ، واسقاط المودة كما قال الله تعالى فى نص القرآن وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقد يكون دخول الجنة اختصاصًا مجردًا دون عمل وذلك للأطفال كما ذكرنا قبل فإذا قد صح ما ذكرنا قبل يقينا بلا خلاف من أحد فى شيء منه فبيقين ندرى أنه لا تعظيم يستحقه أحد من الناس فى الدنيا بايجاب الله تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للأنبياء عليهم السلام أوجب ولا أوكد مما ألزمناه الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنساء النبى ﷺ بقول الله تعالى : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم[٥٧]» فأوجب الله لهن حكم الأمومة على كل مسلم هذا سوى حق إعظامهن بالصحبة لرسول[٥٨] الله ﷺ فلهن رضى الله تعالى عنهن مع ذلك[٥٩] حق الصحبة له كسائر الصحابة ، إلا أن لهن من الاختصاص فى الصحبة ووكيد الملازمة له عليه السلام ، ولطيف المنزلة عنده عليه السلام ، والقرب منه والحظوة لديه ، ما ليس لأحد من الصحابة رضى الله عنهم ، فهن أعلى درجة فى الصحبة من جميع الصحابة ، ثم فضل سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الأمومة الواجبة لهن كلهن بنص القرآن ، فوجدنا الحق الذى به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم فيه وفضلنهم فيه أيضا ، ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الأمومية ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة رضى الله عنهم إلا [ولهن فى ذلك مثل ما لغيرهم من الصحابة][٦٠] فقد

---

(٥٣) سورة الممتحنة آية رقم ٤
(٥٤) سورة التوبة آية رقم ١١٤
(٥٥) فى (خ) : (يقينا) .
(٥٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٥٧) سورة الأحزاب آية رقم ٦
(٥٨) فى (أ) : مع رسول الله .
(٥٩) فى (خ) : سقطت (مع ذلك) .
(٦٠) سقط من (أ) [ولهن فى ذلك مثل ما لغيرهم من الصحابة] .

كن يجهدن أنفسن فى ضيق عيشهن على الكد فى العمل بالصدقة والعتق ، ويشهدن الجهاد معه عليه السلام ، وفى هذا كفاية بينة فى أنهن أفضل من كل صاحب ، ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة نص القرآن إذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الآخرة والله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسوله ﷺ والدار الآخرة ، فهن أزواجه فى الآخرة بيقين فإذ[٦١] هن كذلك فهن معه ﷺ بلا شك فى درجة واحدة فى الجنة فى قصوره وعلى سرره ، إذ لا يمكن البتة أن يحال بينه وبينهن فى الجنة ولا أن ينحط عليه السلام إلى درجة يسفل فيها عن أحد من الصحابة ، هذا ما لا يظنه مسلم ، فإذ لا شك فى حصولهن على هذه المنزلة فبالنص والإجماع علمنا أنهن لم يؤتين ذلك اختصاصا مجردًا دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله ، والدار الآخرة ، إذ أمره الله عز وجل أن يخيرهن [فقد حصل لهن أفضل الاختصاص أولًا بأن يخيرهن][٦٢] الله عز وجل لنبيه ﷺ وهو أفضل الناس ثم قد حصل لهن أفضل الأعمال من جميع الوجوه السبعة التى قدمنا آنفا والتى[٦٣] لا يكون التفاضل إلا بها فى الأعمال خاصة ، ثم قد حصل لهن على ذلك أوكد التعظيم فى الدنيا ثم قد حصل لهن أرفع الدرجات فى الآخرة فلا وجه من وجوه الفضل إلا ولهن فيه أعلى[٦٤] الحظوظ كلها بلا شك ، ومارية أم إبراهيم داخلة معهن فى ذلك لأنها معه عليه السلام فى الجنة ، ومع ابنها منه بلا شك ، فإذ قد ثبت كل ذلك على رغم الآبى فقد وجب ضرورة أن يشهد لهن كلهن بأنهن أفضل من جميع الخلق كله بعد الملائكة ، والنبيين عليهم السلام .

فكيف ومعنا نص من النبى ﷺ كما حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى ، ثنا محمد بن أحمد بن مفرح ، ثنا محمد بن أيوب الرقى الصموت ، ثنا أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزاز ، ثنا أحمد بن عمر ، وحدثنا المعتمر بن سليمان اليتمى ، ثنا حميد الطويل ، عن أنس ابن مالك قال : قيل يا رسول الله : مَنْ أَحَبُّ النّاسِ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ . قَالَ مِنْ الرِّجَالِ ؟ قَالَ : فأَبُوهَا إذن[٦٥].

حدثنا عبد الله بن يوسف بن نامى ، قال : حدثنا أحمد بن فتح ، حدثنا عبد الوهاب ابن قيس ، حدثنا أحمد بن محمد الأشقر ، حدثنا أحمد بن على القلانسى ، ثنا مسلم ابن الحجاج ، ثنا يحيى بن يحيى بن خالد بن عبد الله هو الطحان ، عن خالد الْحّذاءُ ، عن

---

(٦١) فى (خ) : فما ومن ذلك .
(٦٢) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٦٣) فى (أ) : (أنه) .
(٦٤) فى (أ) : (أولى) .
(٦٥) الحديث أخرجه الترمذى فى المناقب ، باب مناقب عائشة – رضى الله عنها – وهو حديث صحيح ولفظه عند الترمذى : قيل يا رسول الله من أحب الناس إليك ..؟ قال عائشة ، قيل من الرجال ..؟ قال : أبوها .

أبى عُثْمانَ النَّهْدىَّ ، قال أخبرنى عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه إلى جيش ذَاتِ السَّلاسَلِ قال فأتيته فقلت : أى الناس أحب اليك ؟ فقال : عائشة قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت : ثم من ؟ قال : عمر . فعد رجالا .

فهذان عدلان أنس ، وعمرو ، يشهدان أن رسول الله ﷺ أخبر بأن عائشة أحب الناس إليه ثم أبوها ، وقد قال الله عز وجل عنه عليه السلام « وما ينطق عن الهوى » إن هو إلا وحى يوحى[٦٦]» .

فصح أن كلامه عليه السلام بأنها أحب الناس إليه وحى أوحاه الله تعالى إليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوى له ، ومن ظن ذلك فقد كذب الله تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل فى الدين والتقدم فيه على جميع الناس الموجب لأن يحبها رسول الله ﷺ أكثر من محبته لجميع الناس فقد فضلها رسول الله ﷺ على أبيها ، وعلى عمر ، وعلى على وفاطمة ، رضى الله عن جميعهم تفضيلا ظاهرا بلا شك .

فإن قال قائل : نقل أن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أفضل من أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، رضى الله عنهم أجمعين لكونه مع أبيه عليه السلام فى الجنة فى درجة واحدة ، قلنا له : وبالله تعالى التوفيق

إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، لم يستحق تلك المنزلة بعمل كان منه ، وإنما هو اختصاص مجرد ، وإنما تقع المفاضلة بين الفاضلين إذا كان فضلهما واحدا من وجه واحد فتفاضلا فيه ، وأما إذا كان الفضل من وجهين إثنين فلا سبيل إلى المفاضلة بينهما لأن معنى قول القائل : أى هذين أفضل ؟ إنما هو أى هذين أكثر أوصافا فى الباب الذى اشتركا فيه ؟ ألا ترى أنه لا يقال : أيهما أفضل : رمضان ، أو ناقة صالح ؟ ولا أيهما أفضل : الكعبة أو الصلاة ؟ بل نقول أيهما أفضل مكة أو المدينة ؟ وأيهما أفضل رمضان أو ذو الحجة ؟ وأيهما أفضل الزكاة أم الصلاة ؟ وأيهما أفضل ناقة صالح أو ناقة غيره من الأنبياء ؟ فقد صح أن التفاضل إنما يكون فى وجه اشترك فيه المسئول عنهما فسبق أحدهما فيه ، فاستحق أن يكون أفضل ، وفضل إبراهيم ليس على عمل أصلًا ، وإنما هو اختصاص مجرد واكرام لأبيه ﷺ ، وأما نساؤه عليه السلام [فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام][٦٧] فى الجنة إنما هو جزاء لهن ولهم على أعمالهن وأعمالهم ، قال الله تعالى : « جزاءً بما كانوا يعملون[٦٨]» .

---

(٦٦) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤

(٦٧) سقط من (خ) ما بين القوسين .

(٦٨) سورة الأحقاف آية رقم ١٤

وقال بعد ذكر الصحابة : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما[٦٩]» .

وقال تعالى مخاطبا لنسائه عليه السلام : « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين[٧٠]» وهذا نص قولنا ولله الحمد .

وقال تعالى : « وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون[٧١]» .

وقال تعالى : « غرف من فوقها غرف مبنية[٧٢]» .

وقال تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى[٧٣]» .

فإن قال قائل : فكيف تقولون فى قوله عليه السلام : ؟ « لَنْ يَدْخَلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمِلِه قِيلَ : وَلَا أَنْتَ يا رَسُولَ الله . قَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَدَنِى الله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفِضْلٍ[٧٤]» قلنا : نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة .

وهكذا نقول إنه لو عمل الإنسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئا لأنه لا يجب على الله تعالى شىء إذ لا موجب للأشياء الواجبة غيره تعالى لأنه المبتدى لكل ما فى العالم والخالق له فلولا أن الله تعالى رحم عباده فحكم بأن طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب ذلك عليه فصح أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله مجردًا دون رحمة الله تعالى لكن يدخلها برحمة الله تعالى التى جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التى أطاعوه بها ، فاتفقت الآيات مع هذا الحديث والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فإذ لا شك فى هذا كله فقد امتنع يقينًا أن يجازى بالأفضل من كان أنقصَ فضلًا ، وأن يجازى بالأنقص من كان أتم فضلا ، وصح ضرورة أنه لا يجزى أحد من أهل الأعمال فى الجنة إلا بما استحقه برحمة الله تعالى جزاء على أعماله [وأما من لم تكن الجنة له جزاء

---

(٦٩) سورة الفتح آية رقم ٢٩
(٧٠) سورة الأحزاب آية رقم ٣١
(٧١) سورة الزخرف آية رقم ٧٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : وفى (خ) : فى لم يذكر (الواو) وفى (أ) : لم يذكر (التى) .
(٧٢) سورة الزمر آية رقم ٢٠
(٧٣) سورة النجم آية رقم ٤١
(٧٤) الحديث رواه البخارى فى الرقاق ١٨ ، والمرض ١٩ ، ورواه مسلم فى المنافقين ٧١ – ٧٣ – ٧٥ – ٧٦ – ٧٨ وابن ماجه فى الزهد ٢٠ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٢ ص ٢٣٥ ولفظه عند ابن ماجه : قال رسول الله – ﷺ – قاربوا وسددوا ، فإنه ليس أحدُ منكم بمنجيه عملُه قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا نا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل .

على عمله][٧٥] فلله تعالى أن يتفضل على من شاء بما شاء وجائز أن يقدم على ذوى الأعمال المرفيعة .

قال تعالى : « يختص برحمته من يشاء[٧٦] » .

وقال تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٧٧] » .

فلا يجوز خلاف هذه النصوص لأحد ، من خالفها كذب القرآن ، ولولا هذه النصوص لما أبعدنا أن يعذب الله تعالى على الطاعة له ، وأن ينعم على معصيته ، وأن يجازى الأفضل بالأنقص ، والأنقص بالأفضل ، لأن كل شيء ملكه وخلقه ، لا مالك لشيء سواه ولا معقب لحكمه ، ولا حق لأحد عليه ، لكن قد أمنا ذلك كله بأخبار الله تعالى أنه لا يجازى ذا عمل إلا بعمله ، وأنه يتفضل على من يشاء فلزم الاقرار بكل ذلك . وبالله تعالى التوفيق .

فلو قال قائل أيما أفضل فى الجنة وأعلى قدرًا مكان إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أو مكان أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ؟ قلنا : مكان إبراهيم أعلى بلا شك ، ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لإبراهيم المذكور ، لم يستحقه بعمل ولا استحق أيضا أن يقصر به عنه ، ومواضيع هؤلاء المذكورين جزاء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه ﷺ مكانهن جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن ، فلا يقال إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أفضل من أبى بكر أو عمر ، ولا يقال أيضا إن أبا بكر وعمر أفضل من إبراهيم ، والمفاضلة واقعة بين الصحابة ، وبين نساء رسول الله ﷺ لأن أعمالهم وسوابقهم لها مراتب متناسبة بلا شك .

فإن قال قائل : إنهن لولا رسول الله ﷺ ما حصلن تلك الدرجة ، وإنما تلك الدرجة له عليه السلام .

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

نعم ولا شك أيضا فى أن جميع الصحابة لولا رسول الله ﷺ ما حصلوا أيضا على الدرج التى لهم فيها ، فإنما هى إذا على قولكم لرسول الله ﷺ كما قلتم ولا فرق ، وبقى الفضل والتقدم لهن كما كان فى كل ذلك ولا فرق .

قال أبو محمد : وأما فضلهن على بنات النبى ﷺ فبين بنص القرآن لا شك[٧٨] فيه . قال الله عز وجل : يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول[٧٩] » فهذا بيان

(٧٥) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٧٦) سورة البقرة آية رقم ١٠٥ وآل عمران آية رقم ٧٤
(٧٧) سورة الحديد آية رقم ٢١
(٧٨) فى (خ) : (لا إشكال) .
(٧٩) سورة الأحزاب آية رقم ٣٢

قاطع لا يسع أحدا جهله فإن عارضنا معارض بقول رسول الله ﷺ : « خَيْرُ نِسَائِهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمْدٍ[٨٠] » .

قلنا له وبالله تعالى التوفيق : فى هذا الحديث بيان جلى لما قلنا وهو أنه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة ، وإنما قال : خير نسائها فخص ولم يعم ، وتفضيل الله عز وجل لنساء النبى ﷺ على النساء عموم لا خصوص ، لا يجوز أن يستثنى منه أحد إلا من استثناه نص آخر ، فصح أنه عليه السلام إنما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه ﷺ فاتفقت الآية مع الحديث .

وقال رسول الله ﷺ : « فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ[٨١] » فهذا أيضا عموم موافق الآية ، ووجب أن يستثنى ما خصه ﷺ بقوله : نسائها من هذا العموم فصح أن نساءه عليه السلام أفضل النساء جملة حاشا اللواتى خصهن الله تعالى بالنبوة كأم اسحاق ، وأم موسى ، وأم عيسى ، عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله الصادق : « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين[٨٢] » ولا خلاف بين المسلمين فى أن جميع الأنبياء كل نبى منهم أفضل ممن ليس بنبى من سائر الناس ، ومن خالف هذا فقد كفر كذلك أخبر عليه السلام فاطمة أنها سيدة نساء المؤمنين ، ولم يدخل نفسه ﷺ فى هذه الجملة بل أخبر عمن سواه ، وبرهان آخر وهو قول الله تعالى مخاطبا لهن : « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين[٨٣] » .

قال أبو محمد : فهذا فضل ظاهر وبيان لائح فى إنهن أفضل من جميع الصحابة رضى الله عنهم ، وصح[٨٤] بهذه الآية صحة متيقنة لا يمترى فيها مسلم أن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وفاطمة ، وسائر الصحابة رضى الله عنهم إذا عمل الواحد منهم عملا يستحق عليه مقدارًا ما من الأجر ، وعملت امرأة من نساء النبى ﷺ مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من الأجر ، فإذا كان نصيب[٨٥] الصحابى وفاطمة رضى الله عنهم يفى بأكثر من مثل جبل أحد

---

(٨٠) الحديث رواه الترمذى رقم ٣٨٨٨ فى المناقب باب مناقب خديجة أم المؤمنين – رضى الله عنها ورواه أيضًا أحمد فى المسند وابن حبان رقم ٢٢٢٢ والحاكم ١٥٧/٣ وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب ولفظه عند الترمذى : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد – ﷺ ، وآسية امرأة فرعون .

(٨١) الحديث أخرجه البخارى ٧٣/٧ فى فضائل أصحاب النبى – ﷺ : باب فضل عائشة ، ومسلم رقم ٢٤٤٦ فى فضائل الصحابة باب فضل عائشة ، والترمذى رقم ٣٨٨١ فى المناقب باب مناقب عائشة رضى الله عنها ولفظه عند البخارى : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

(٨٢) سورة آل عمران آية رقم ٤٢ ، ٤٣

(٨٣) سورة الأحزاب آية رقم ٣١

(٨٤) سقط من (أ) كلمة (وصح) .

(٨٥) فى (أ) : و (ح) نصيف وهو تحريف .

ذهبا ممن بعدهم كان للمرأة من نسائه عليه السلام فى نصيفها أكثر من مثلى جبلين إثنين ، مثل جبل أحد ذهبًا ، وهذه فضيلة ليست لأحد بعد الأنبياء عليهم السلام إلا لهن ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه يُوعَكُ كَوَعْكِ رَجُلَيْن مِنْ أصْحَابه لِأَنَّ لَهُ عَلى ذَلِكَ كِفْلَيْنِ مِنْ الأَجْرِ[٨٦]» .

[قال أبو محمد : وليس بعد هذا فى بيان فضلهن على كل أحد من الصحابة ، منكر[٨٧] إلا من أعمى الله قلبه عن الحق ، ونعوذ بالله من الخذلان][٨٨].

قال أبو محمد : وقد اعترض علينا بعض أصحابنا فى هذا المكان بقول الله تعالى عن أهل الكتاب إذ آمنوا : أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا[٨٩]» قال فيلزم أنهم أفضل منا فقلت له إن هذه الآية والخبر الذى فيه ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . فذكر مؤمن أهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق أمته[٩٠] ثم يتزوجها » .

فيهما بيان الوجه الذى أجروا به مرتين وهو الإيمان بالنبى ﷺ وبالنبى الأول المبعوث بالكتاب الأول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شركاء ذلك المؤمن منهم فى ذينك الإيمانين ، وكذلك العبد الناصح يؤجر لطاعة سيده أجرًا ولطاعة الله أجرًا ثانيًا[٩١]، وكذلك معتق أمته ثم يتزوجها يؤجر على عتقه أجرا ثم على نكاحه إذا أراد به وجه الله تعالى أجرا ثانيًا ، فصح بالنص يقينا أن هؤلاء إنما يؤتون أجرهم مرتين فى خاص من أعمالهم لا فى جميع أعمالهم وليس فى هذا ما يمنع من أن يؤجر غيرهم فى غير هذه الأعمال أكثر من أجور هؤلاء ، وأيضا فإنما يضاعف لهؤلاء على ما عمله أهل طبقتهم وليست المضاعفة لأجور نساء النبى ﷺ مرتين من هذا فى ورد ولا صدر لأن المضاعفة لهن إنما هى فى كل عمل عملته بنص القرآن إذ يقول تعالى « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين[٩٢]» فكل عمل عمله صاحب من الصحابة له فيه أجر ، فلكل امرأة منهن فى مثل ذلك العمل أجران ، والمضاعفة لهن إنما تكون على ما عمله طبقتهن من الصحابة ، وقد علمنا أن بين عمل الصاحب وعمل غيره أعظم مما بين أحد ذهبا ونصف مد شعير فيقع لكل واحدة منهن مثل ذلك مرتين ، وهذا لا يخفى على ذى حس سليم ، فبطلت المعارضة التى ذكرناها والحمد لله رب العالمين .

---

(٨٦) الحديث رواه البخارى فى المرض ٣ ، ١٣ ، ١٦ ورواه مسلم فى البر ٤٥ والدارمى فى الرقاق ٥٧ وأحمد بن حنبل جـ ١ ص ٣٨١ ولفظه عند مسلم عن عبد الله قال : دخلت على رسول الله - ﷺ وهو يُوعك فمسسته بيدى فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكًا شديدًا فقال رسول الله - ﷺ أجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم » .

(٨٧) فى (خ) : مؤمن ولا يستقيم المعنى بوجودها ولعل الأنسب « منكر » .

(٨٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٨٩) سورة القصص آية رقم ٥٤

(٩٠) فى (خ) : (أمة) .

(٩١) سقط من (أ) (ثانيًا) .

(٩٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣١

قال أبو محمد : واعترض علينا أيضا بعض الناس فى الحديث الذى فيه أن عائشة أحب الناس إليه ، ومن الرجال أبوها بأن قال قد صح عن النبى ﷺ أنه قال لأسامة بن زيد : « إِنَّ أَبَاهَ كَانَ أَحَبَّ النَاسِ إِلَىَّ وإِنَّ هَذَا أَحَبُ النَّاسِ إِلَّى بَعْدَهُ(٩٣) وصح أنه عليه السلام قال للأنصار إِنَّكُمْ أَحَبُ النَاسِ إِلىَّ(٩٤)» .

قال أبو محمد : وأما هذا اللفظ الذى فى حديث أسامة بن زيد إنه أحب الناس إليه عليه السلام ، فقد روى من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة ، عن سالم عن أبيه ، وأما الذى فيه ذكر أسامة وزيد رضى الله عنهما فإنما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله عن أبيه وعمر ابن حمزة هذا ضعيف ، والصحيح من هذا الخبر هو ما رواه عَبْدِ الله بِنْ دِينَارٍ ، عن ابْنَ عُمَرَ عن النبى ﷺ باسناد لا مغمز فيه فذكر فيه أنه عليه السلام قال يعنى زيد بن حارثة وَأَيْمُ الله إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا للإِمْرَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَىَّ وإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَىَّ بَعْدَهُ(٩٥)» .

وهذا يقضى على حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه لأنه مختصر من حديث عبد الله ابن دينار ، وبهذا ينتفى التعارض بين الروايتين عن ابن عمر وعن أنس ، وعمرو ، وإلا فليس أحدهما أولى من الآخر .

وأما حديث الأنصار فرووه كما ذكره هشام بن زيد ، عن أنس ورواه عبد العزيز ابن صهيب ، عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال أَنْتُمْ مِنْ أَحبِّ النَّاسَ إِلَىَّ(٩٦)» .

وهو حديث واحد ، وزيادة العدل مقبولة ، فصح بزيادة من فى الحديث من طريق العدول أن الأنصار وزيدًا وأسامة رضى الله عنهم من جملة قوم هم أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وهذا حق لا يشك فيه ، لأنهم من أصحابه ، وأصحابه أحب الناس إليه بلا شك ، وليس هكذا جوابه فى عائشة رضى الله عنها إذ سئل من أحب الناس إليك ؟ فقال : عائشة . فقيل من الرجال ؟ قال : أبوها ، لأن هذا قطع على بيان ما سأل عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عن الناس بمحبته عليه السلام .

واعترض أيضًا علينا بعض الأشعرية بأن قال : إن الله تعالى يقول : « إنك لا تهدى من

---

(٩٣) حديث أسامة رواه البخارى ومسلم .

(٩٤) الحديث رواه البخارى ٧/٨٧ فى فضائل أصحاب النبى - ﷺ - باب قول النبى - ﷺ للأنصار : أنتم أحب الناس إلى ، وفى النكاح ورواه مسلم رقم ٢٥٠٨ فى فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار - رضى الله عنهم ولفظه عند البخارى : والذى نفسى بيده : إنكم لأحب الناس إلىَّ مرتين وفى رواية ثلاث مرات .

(٩٥) الحديث رواه البخارى ٧/٦٩ فى فضائل أصحاب النبى - ﷺ - باب مناقب زيد بن حارثه ، وفى المغازى باب غزوة زيد بن حارثة ومسلم رقم ٢٤٢٦ فى فضائل الصحابة باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد - رضى الله عنهما والترمذى رقم ٣٨١٩ فى المناقب باب مناقب أسامة بن زيد ولفظه عند البخارى إن تطعنوا فى امارته فقد كنتم تطعنون فى امارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقا للامارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىَّ بعده » .

(٩٦) سبق تخريج هذا الحديث ص ٣٣٠ .

أحببت ولكن الله يهدى من يشاء[٩٧]» فصح أن محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلا ، لأنه قد أحب عمه وهو كافر !

قال أبو محمد : فقلنا إن هذه الآية ليست على ما ظن وإنما مراد الله تعالى : « إنك لا تهدى من أحببت أى أحببت هداه .

برهان ذلك قوله تعالى : « ولكن الله يهدى من يشاء » .

أى من يشاء هداه وفرض على النبى ﷺ وعلينا أن نحب الهدى لكل كافر ، لا أن نحب الكافر ، وأيضا : فلو صح أن معنى الآية من أحببته كما ظن هذا المعترض لما كان علينا بذلك حجة لأن هذه آية مكية نزلت فى أبى طالب ثم أنزل الله تعالى فى المدنية : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[٩٨]» وأنزل الله تعالى فى المدنية « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده[٩٩]» .

وإن كان رسول الله ﷺ أحب أبا طالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته ، وافترض عليه عداوته ، وبالضرورى يدرى كل ذى حس سليم أن العداوة والمحبة لا يجتمعان أصلا .

والمودة : هى المحبة فى اللغة التى بها نزل القرآن ، بلا خلاف من أحد من أهل اللغة . فقد بطل أن يحب النبى ﷺ أحدا غير مؤمن وقد صحت النصوص والاجماع على أن محبة الرسول ﷺ لمن احب فضيلة وكذلك كقوله عليه السلام لعلى : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُ اللهَ وَرَسُولَه وَيُحبُّه اللهُ وَرَسُولُه[١٠٠]» فإذ لا شك ولا خلاف فى أن محبة رسول الله ﷺ بخلاف ما قال أهل الجهل والكذب . فقد صح يقينا أن كل من كان أتم حظا فى الفضيلة فهو أفضل ممن هو أقل فى تلك الفضيلة هذا شىء يعلم ضرورة .

فإذا كانت عائشة أتم حظا فى المحبة التى هى أتم فضيلة فهى أفضل ممن حظه فى ذلك أقل من حظها ، وكذلك لما قيل له عليه السلام من الرجال قال أبوها ، ثم عمر ، فكان ذلك موجبا

---

(٩٧) سورة القصص آية رقم ٥٦

(٩٨) سورة المجادلة آية رقم ٢٢

(٩٩) سورة الممتحنة آية رقم ٤ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (خ) حيث قال (كان) وفى (أ) محرفة بزيادة (لـ) فى قد وفى (ح) أيضًا .

(١٠٠) الحديث رواه البخارى ٥٧/٧ و ٥٨ فى فضائل أصحاب النبى - ﷺ باب مناقب على بن أبى طالب - رضى الله عنه ، وفى الجهاد باب دعاء النبى - ﷺ إلى الإسلام والنبوة ومسلم رقم ٢٤٠٦ فى فضائل الصحابة باب من فضائل على بن أبى طالب - رضى الله عنه .

لفضل أبى بكر ثم عمر على سائر الصحابة رضى الله عنهم ، فالحكم بالباطل لا يجوز فى أن يكون يقدم أبو بكر ، ثم عمر فى الفضل من أجل تقدمهما فى المحبة عليهما ، وما نعلم نصا فى وجوب القول بتقديم أبى بكر ثم عمر على سائر الصحابة إلا هذا الخبر وحده .

قال أبو محمد : وقد نص النبى ﷺ على ما ينكح له النساء فذكر الحسب والمال والجمال والدين(١٠١) ونهى ﷺ عن كل ذلك بقوله « فَعَلَيْكَ بذاَتِ الدِّين تَرِبَتْ يَدَاكَ(١٠٢)» .

فمن المحال الممتنع أن يكون عليه السلام يحض على نكاح النساء واختيارهن للدين فقط ثم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الدين وكذلك قوله عليه السلام : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام(١٠٣)» .

لا يحل لمسلم أن يظن فى ذلك شيئا غير الفضل عند الله تعالى فى الدين ، فوصف الرجل امرأته للرجال(١٠٤) لا يرضى به إلا خسيس نذل ساقط ولا يحل لمن له أدنى مسكة من عقل أن يمر هذا بباله عن فاضل من الناس فكيف عن المقدس ، المطهر ، البائن فضله على جميع الناس ، ﷺ .

قال أبو محمد : ولولا أنه بلغنا عن بعض من تصدر لنشر العلم من أهل(١٠٥) زماننا وهو المهلب بن أبى صفرة(١٠٦) التميمى ، صاحب عبد الله بن إبراهيم الأصيل ، أنه أشار إلى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالايماء إليه لسان ، ولكن المنكر إذا ظهر وجب على المسلمين تغييره فرضا على حسب طاقتهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال أبو محمد : وكذلك عَرْضُ الملك لها رضى الله عنها على رسول الله ﷺ قبل ولادتها فى سرقة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السلام : إن يكن من عند الله يمضه(١٠٧) فهل بعد هذا فى الفضل غاية .

---

(١٠١) سقط من (خ) (الدين) .

(١٠٢) الحديث رواه البخارى فى النكاح ١٥ ، ومسلم فى الرضاع ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٥٣ ، ٥٤ والفتس ٨٦ ، ورواه أبو داود فى النكاح ٣ والترمذى فى النكاح ٤ وابن ماجه فى النكاح ٦ ، ٣٨

(١٠٣) سبق تخريج هذا الحديث .

(١٠٤) سقط من (أ) كلمة (الرجال) .

(١٠٥) سقط مں (أ) كلمة (أهل) .

(١٠٦) المهلب بن أبى صفرة ظالم بن سراق الأزدى ، أمير بطاش قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق ، نشأ بالبصرة وقدم المدينة مع أبيه فى أيام عمر ، وولى امارة البصرة لمصعب بن الزبير ، وولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، ومات فيها سة ٨٣ هـ . (الاصابة : ت ٨٦٣٥) .

(١٠٧) الحديث رواه الترمذى فى أبواب المناقب من فضل عائشة – رضى الله عنها رقم ٩٦٧ ورواه الإمام مسلم فى كتاب فضائل الصحابة – باب فى فضل عائشة – رضى الله عنها ولفظه عند مسلم : قال رسول الله – ﷺ – أرايتك فى المنام ثلاث ليال جاءنى بك الملك فى سَرَقَة « الشقق البيضاء من الحرير » من حرير فيقول هذه امرأتك ، فاكشف عن وجهك فإذا أنت هى ، فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه .

قال أبو محمد : واعترض علينا مكى بن أبى طالب المقرى[١٠٨]، بأن قال : يلزم على هذا أن تكون امرأة أبى بكر أفضل من على ، لأن امرأة أبى بكر مع أبى بكر فى الجنة فى درجة واحدة ، وهى أعلى من درجة على ، فمنزلة امرأة أبى بكر أعلى من منزلة على ، فهى أفضل من على .

قال أبو محمد : فأجبناه بأن قلنا له وبالله تعالى نتأيد ان هذا الاعتراض ليس بشىء لوجوه : أحدها : أن ما بين درجة أبى بكر ودرجة على فى الفضل الموجب لعلو درجته فى الجنة على درجة على ، ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبى ﷺ وبين درجة أبى بكر فى الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضى الله عنهم ، بل قد أيقنا أن درجة أقل منا فى الفضل أقرب نسبة من أعلى درجة لأعلى رجل من الصحابة من نسبة درجة أفضل الصحابة إلى درجة النبى ﷺ ، وأيضا فليس بين أبى بكر وعلى فى المباينة فى الفضل ما يوجب أن تكون امرأة أبى بكر التابعة له أفضل من على بل منازل المهاجرين الأولين الذين أوذوا فى سبيل الله عز وجل متقاربة وإن تفاضلت ، ثم كذلك أهل السوابق مشهدا مشهدا ، درجهم فى الفضل متقاربة ، وإن تفاضلت ثم منازل الأنصار الأولين متقاربة وإن تفاضلت ثم كذلك أهل السوابق[١٠٩] بعد الهجرة مشهدًا مشهدًا درجهم متقاربة فى الفضل ثم كذلك من أسلم بعد الفتح أيضا ويزداد الأفضل فالأفضل من المشركين فى المشاهد جزاء على ذلك فنقول : إن امرأة أبى بكر المستحقة بعملها الكون معه فى درجته مثل أم رومان ، لسنا ندرى أهى أفضل أم على ..؟ لأنه لا نص معنا فى ذلك والتفضيل لا يعرف إلا بنص .

وقد قال عليه السلام : « خَيْرُكُمْ الْقَرْن الَّذِى بُعِثْتُ فِيه ثُمَّ الذِّين يَلُونَهمْ ثُمَّ الْذِيَن يَلُونَهم – أو كما قال عليه السلام[١١٠] فجعلهم طبقات فى الخير والفضل فلا شك هم كذلك فى الجزاء فى الجنة وإلا فكان يكون الفضل لا معنى له .

وقال عز وجل : هل تجزون إلا ما كنتم تعملون[١١١]» .

وأيضا فلسنا نشك أن المهاجرات الأوليات من نساء الصحابة رضى الله عنهم يشاركن الصحابة فى الفضل ، ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ، ففيهن من يفضل كثيرًا من الرجال ،

---

(١٠٨) مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلس القيسى أبو محمد مقرىء عالم بالتفسير والعربية ، من أهل القيروان ولد فيها ، وطاف فى بعض بلاد المشرق وسكن قرطبة ٣٩٣ هـ وتوفى فيها سنة ٤٢٧ هـ من كتبه « الهداية إلى بلوغ النهاية » و« التبصرة فى القرآت السبع » . (وفيات الأعيان حـ ٢ ص ١٢٠) .

(١٠٩) فى (أ) : السابق .

(١١٠) الحديث رواه البخارى فى الشهادات ٩ ، وفصائل أصحاب النبى ١ ورواه الترمذى فى الفتن ٤٥ والشهادات ٤ ومناقب ٥٦ ورواه ابن ماجه فى الأحكام ٢٧ واحمد بن حنبل فى المسند حـ ١ ص ٣٧٨ ، ٤١٧ ، ٤٣٤ ولفظه عند ابن ماجه : سئل رسول الله – ﷺ – أى الناس حير : قال قرنى ثم الذين يلونهم ثم الدين يلوبهم ثم يجىء قوم تبدر شهادة أحدهم يميه ، ويمينه شهادته .

(١١١) سورة النمل آية رقم ٩٠

وفى الرجال من يفضل كثيرا منهن ، وما ذكر الله تعالى منزلة من الفضل الا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى « إن المسلمين والمسلمات[١١٢]» الآية حاشا الجهاد فإنه فرض على الرجال دون النساء ، ولسنا ننكر أن يكون لأبى بكر رضى الله عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ، ثم يكون لمن لم تستأهل من نسائه تلك المنزلة منازل فى الجنة دون منازل من هو أفضل منهن من الصحابة ، فقد نكح الصحابة رضى الله عنهم التابعيات ، بعد الصحابيات وعليهن فتكون تلك المنازل زائدة فى فضل أزواجهن من الصحابة فينزلون إليهن ثم ينصرفون إلى منازلهن العالية .

بل قد صح هذا عن النبى ﷺ وأنه قال كلاما معناه وأكثر نصه أنه عليه السلام : « زَعِيمُ بَيْتٍ فِى رَبَضِ الجَّنةِ وَفِى وَسَطِ الجَنَّةِ وَفِى أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ فَعَلَ كَذَا[١١٣]» أمرًا وصفه رسول الله ﷺ .

فصح نص ما قلنا من أن لمن دونه عليه السلام منازل عالية وأُخر سفلة عن تلك المنازل ينزلون إليها ثم يصعدون إلى الأعالى وهذا مبعد عن النبى ﷺ لوجهين أحدهما : أن جميع نسائه عليه السلام لهن حق الصحبة التى شركن[١١٤] فيها جميع الصحابة وتفضيلنهم فيها بقرب الخاصة فليس فى نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التى هى فضيلتهم التى بها بانوا عمن سواهم فقط وقد كفينا هذا[١١٥] الباب .

والوجه الثانى : أن تأخر بعض الصحابة عن بعضهم فى بعض الأماكن[١١٦] موجود وإن كان ذلك المتأخر[١١٧] فى بعض الأماكن متقدما فى مكان آخر فقد علمنا أن بلالا عذب فى الله عز وجل ما لم يعذب على ، وأن عليا قاتل ما لم يقاتل بلال ، وأن عثمان أنفق ما لم ينفق بلال ، ولا على فيكون المفضول منهم فى الجملة متقدمًا للذى فضله فى بعض فضائله ، ولا سبيل إلى[١١٨] أن يوجد هذا فيما بينهم وبين النبى ﷺ ، ولا يجوز أن يتقدمه أحد من ولد آدم فى شىء من الفضائل أولها عن آخرها ، ولا إلى أن يلحقه لا حق فى شىء من الفضائل من بنى آدم فلا سبيل إلى أن ينزل[١١٩] النبى ﷺ إلى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف أن يعلو عليه

---

(١١٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٥

(١١٣) الحديث رواه أبو داود فى الأدب ٧ ، والترمذى فى البر ٥٨ والنسائى فى الجهاد ١٩ وابن ماجه فى المقدمة ٧ ولفظه عند ابن ماجة : قال رسول الله – ﷺ : « من ترك الكذب وهو باطل : بنى له قصر فى رَبَضِ الجنة ، ومن ترك المِراء وهو محق بُنى له فى وسطها . ومن حسن خلقه بُنى له فى أعلاها »

(١١٤) فى (أ) : يشتركن .

(١١٥) سقط من (أ) (هذا) .

(١١٦) سقط من (خ) الأماكن .

(١١٧) فى (خ) : التأخر .

(١١٨) سقط من (أ) إلى .

(١١٩) فى النسختين (أ) (و خ) ينسمل .

الصاحب ..؟ هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين ، وقد استعظم أبو أيوب الأنصارى[١٢٠] رضى الله عنه أن يسكن فى غرفة على بيت يسكنه النبى ﷺ فكيف يظن بأن هذا يكون فى دار الجزاء فإذا كان العالى من الصحابة فى أكثر منازله ينسفل أيضا فى بعضها عن صاحب آخر قد علاه فى منازل أخر على قدر تفاضلهم فى أعمالهم كما ذكرنا آنفا فقد أخبر النبى ﷺ : « أَنَّ الْصَائِمِينَ يُدْعَوْنَ مِنَ بَابَ الريَّانَ ، وَأَنَّ الْمجُاهِدينَ يُدْعَوْنَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ ، وَأَنَّ المُتَصَدِقين يُدْعَونَ مِنْ بَابِ الْصَدَقَةَ وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَرْجُو لَهُ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يُدْعَى مِنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْأَبْوَابِ[١٢١]» وقد يجوز أن يفضل أبا بكر رضى الله عنه غيره من الصحابة فى بعض تلك الوجوه ممن انفرد بباب منها ولا يجوز أن يفضل أحد رسول الله ﷺ فى شىء من أبواب البر ، فبطل هذا الاعتراض جملة والحمد لله رب العالمين .

واعترض أيضا علينا مكى بن أبى طالب بأن قال إذا كان رسول الله ﷺ أفضل من موسى عليه السلام ، ومن كل واحد من الأنبياء عليهم السلام ، وكان عليه السلام أعلى درجة فى الجنة من جميع الأنبياء عليهم السلام ، وكان نساؤه عليه السلام معه فى درجته فى الجنة فدرجتهن فيها أعلى من درجة موسى عليه السلام ، ومن درج سائر الأنبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم أفضل من موسى وسائر الأنبياء . عليهم السلام .

قال أبو محمد : فأجبناه بأن هذا الاعتراض أيضًا لا يلزمنا ولله الحمد لأن الجنة دار ملك وطاعة وعلو منزلة ورياسة واتباع من التابع للمتبوع ، كما قال عز وجل . « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكًا كبيرًا[١٢٢] » .

وقال تعالى عن موسى عليه السلام : « وكان عند الله وجيها[١٢٣]» .

وأخبر عز وجل عن جبريل ﷺ فقال : « ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثمَّ أمين[١٢٤]» .

فقد علمنا أن ملك الدنيا غرور ، وأن ملك الآخرة هو الحقيقة ، وقد أخبر عليه السلام أنه

---

(١٢٠) أبو أيوب الأنصارى : هو خالد بن زيد بن كليب من بنى البخار ، صحابى شهد العقبة وبدرًا وأحدًا وسائر المشاهد ، وكان شجاعًا وصابرًا تقيًا محبًا للغزو والجهاد ، عاش إلى أيام بنى أمية ، وكان يسكن المدينة فرحل إلى الشام ، وسار مع يزيد إلى غزو القسطينطينية فقتل عام ٥٢ هـ ودفن فى أصل حصن القسطنطينية كوصيته ، له ١٥٥ حديثًا . (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ٤٩) .

(١٢١) الحديث رواه البخارى فى الصوم ٤ ورواه الترمذى فى الصوم ٥٥ وفى المناقب ٦٠ والنسائى فى الزكاة (١) والصيام ٤٣ والموطأ فى الجهاد ٤٩ ولفظه عند الترمذى : « من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الريان فقال أبو بكر : بأبى أنت وأمى ما على من دعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ..؟ قال : نعم وأرجوا أن تكون منهم .

(١٢٢) سورة الإنسان آية رقم ٢٠

(١٢٣) سورة الأحزاب آية رقم ٦٩

(١٢٤) سورة التكوير آية رقم ٢١

رأى الأنبياء عليهم السلام مع أتباعهم ، فالنبى معه الواحد والإثنان[١٢٥] والثلاثة ، والنفر والجماعة فأخبر عز وجل أن هنالك الملك الكبير ، والطاعة والوجاهة ، والأتباع والاستئمار ، وإنما عرض الله تعالى علينا فى الدنيا من الملك طرفا لنعلم به مقدار الملك الذى فى دار الجزاء ، كما عرض علينا من اللذات ، والحرير ، والديباج ، والخمر والذهب والفضة والمسك ، والجوارى ، والحلى ، وأعلمنا أن هذه كلها خالصة لنا هنالك ، وكما صح عن النبى ﷺ : أن آخر من يدخل الجنة يزكو على أعظم ملك عرفه فى الدنيا فيتمنى مثل ملكه فيعطيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات[١٢٦]» .

قال أبو محمد : فلما صح ما ذكرنا وكانت الملائكة طبقة واحدة إلا إنهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين النبيين طبقة واحدة ومنازلهم فى درجات متقاربة إلا أنهم أيضا يتفاضلون فيها ، وهم كلهم طبقة واحدة[١٢٧] والنبيون غير المرسلين طبقة واحدة إلا أنهم أيضا يتفاضلون فيها وكل[١٢٨] الصحابة طبقة واحدة إلا أنهم يتفاضلون فيها ، فوجب بلا شك أن لا يكون أتباع الرسل من النساء والأصحاب كالمتبوعين الذين هم الرسل لأن بالضرورة نعلم أن تابع الأعلى ليس لاحقا نظير متبوعه فكيف أن يكون أعلى منه . كما أن التابعيات من نساء الصحابة رضى الله عنهم لا يلحقن نظراء أزواجهن من الصحابة إذ لسن معهم فى طبقة ، وإنما ننظر بين أهل كل طبقة ومن هو فى طبقته ، ونساء النبى — ﷺ طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحدة منهن ولا منهم مع الأنبياء فى طبقة فلم يجز أن ينظر بينهم وقد أخبر عليه السلام أنه رأى ليلة الإسراء الأنبياء عليهم السلام فى السموات سماء سماء .

وبالضرورة نعلم أن منزلة النبى الذى هو متبوع فى سماء الدنيا أمره هناك مطاع أعلى من منزلة التابع فى السماء السابعة للنبى الذى هناك وإذ قد صح عن النبى ﷺ : أن كل نبى يأتى مع أمته فنحن مع نبينا ﷺ .

فإن كان ما ألزمناه مكى لازما لنا ، فيلزمه مثل ذلك فينا أيضا أن نكون أفضل من الأنبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من أنه لا ينظر فى الفضل إلا بين من كان من أهل طبقة واحدة فمن كان منهم أعلى منزلة من الآخر كان أفضل منه بلا شك ، وليس ذلك فى الطباق المختلفة ألا ترى أن كون مالك خازن النار فى مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من فى الجنة من الناس الذين الملائكة جملة أفضل منهم لأن مالكا متبوع فى النار[١٢٩] ومقدم

(١٢٥) سقط من (خ) الإثنان .
(١٢٦) لم نعثر على تخريج هذا الحديث .
(١٢٧) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(١٢٨) فى (خ) : (وكانت) .
(١٢٩) فى (أ) : (للنار) .

مطاع مفضل بذلك على التابعين والخدمة فى الجنة بلا شك فبطل هذا الشغب ، ويجمع هذا الجواب باختصار وهو أن الرؤساء والمتبوعين من(١٣٠) كل طبقة فى الجنة أعلى من التابعين لهم ، ونساء النبى ﷺ وأصحابه كلهم أتباع له عليه السلام ، وجميع الأنبياء متبوعون ، فإنما ينظر بين المتبوعين أيهم أفضل وينظر بين الأتباع أيهم أفضل ، ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل من دونه فى الفضل ، ولا يجوز أن ينظر بين الأتباع والمتبوعين لأن المتبوعين لا يكونون البتة أحط درجة من التابعين ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل فكيف يقولون فى الحور العين أهن أفضل من الناس ومن الأنبياء كما قلتم فى الملائكة ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق . إن الفضل لا يعرف إلا ببرهان مسموع من الله تعالى فى القرآن ، أو من كلام الرسول ﷺ ، ولم نجد الله تعالى نص على فضل الحور العين كما نص على فضل الملائكة ، وإنما نص على أنهن مطهرات حسان عرب أتراب ، يجامعن ويشاركن أزواجهن فى اللذات كلها ، وأنهن خلقن ليلتذ بهن المؤمنون فإذ الأمر هكذا فإنما محل الحور العين محل من هن له فقط إن ذلك اختصاص لهن بلا عمل(١٣١)، وتكليف فهن خلاف الملائكة فى ذلك وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ومما يؤكد قولنا قول الله تعالى : إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون(١٣٢).

وهذا نص إذ قد صح فقد وجب الإقرار به ، فلو عجزنا عن تفضيل بعض أقسام هذه الاعتراضات لما لزمنا فى ذلك نقصا إذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص ، وكلما صح بيقين فلا يجوز أن يعارض بيقين آخر ، والبرهان لا يبطله برهان ، وقد أوضحنا أن الجنة دار جزاء على أعمال المكلفين فأعلاهم درجة أعلاهم فضلا ، ونساء النبى ﷺ أعلا درجة فى الجنة من جميع الصحابة فهن أفضل منهن ، فمن أبى هذا فليخبرنا ما معنى الفضل عنده ؟ إذ لابد أن يكون لهذه الكلمة معنى ، فإن قال : لا معنى لها فقد كفانا مؤنته ، وإن قال : إن لها معنى سألناه ما هو ؟ فإنه لا يجد غير ما قلناه ، وبالله تعالى التوفيق .

فكيف وقد أبنَّا بتأييد الله عز وجل لنا على كل ما اعترض علينا به فى هذا الباب ؟ ولاح الوجه فى ذلك بينا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : واستدركنا بيانا زائدًا فى قول النبى ﷺ فى أن فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو

---

(١٣٠) ى (أ) : ف .
(١٣١) فى (خ) : (لا يعمل) .
(١٣٢) سورة يس آية رقم ٥٥

نساء هذه الأمة فنقول وبالله تعالى التوفيق إن الواجب مراعاة ألفاظ الحديث وإنما ذكر عليه السلام فى هذا الحديث السادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام فى حديثه عائشة الفضل نصًا بقول عليه السلام : « وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ(١٣٣) » .

قال أبو محمد : والسيادة غير الفضل ، ولا شك أن فاطمة رضى الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبى ﷺ لها فالسيادة من باب الشرف ، لا من باب الفضل ، فلا تعارض بين الحديثين البتة ، والحمد لله رب العالمين .

وقد قال ابن عمر رضى الله عنهما وهو حجة فى اللغة العربية ، كان أبو بكر خيرًا وأفضل من معاوية ، وكان معاوية أسود من أبى بكر ، ففرق ابن عمر كما ترى بين السيادة والفضل والخير .

وقد علمنا أن الفضل هو الخير نفسه لأن الشيء إذا كان خيرًا من شيء آخر فهو أفضل منه بلا شك .

قال أبو محمد : وقد قال قائل من يخالفنا فى هذا . قال الله عز وجل : « وليس الذكر كالأنثى(١٣٤) » .

فقلنا وبالله تعالى التوفيق : فأنت إذا عند نفسك أفضل من مريم ، وعائشة ، وفاطمة ، لأنك ذكر وهؤلاء إناث .

فإن قال هذا الحق بالنوكى وكفر فإن سأل عن معنى الآية قيل له الآية على ظاهرها ولا شك فى أن الذكر ليس كالأنثى ، لأنه لو كان كالأنثى لكان أنثى ، والأنثى أيضا ليست كالذكر ، لأن هذه أنثى ، وهذا ذكر وليس هذا من الفضل فى شيء البتة ، وكذلك الحمرة غير الخضرة ، والخضرة ليست كالحمرة ، وليس هذا من باب الفضل ، فإن اعترض معترض بقول الله تعالى « وللرجال عليهن درجة(١٣٥) » قيل له إنما هذا فى حقوق الأزواج على الزوجات ، ومن أراد حمل هذه الآية على ظاهرها لزمه أن يكون كل يهودى وكل مجوسى ، وكل فاسق ، من الرجال أفضل من أم موسى ، وأم عيسى ، وأم اسحاق ، عليهم السلام ، ومن نساء النبى ﷺ وبناته ، وهذا كفر ممن قاله باجماع الأمة ، وكذلك قوله تعالى « أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين(١٣٦) » إنما ذلك فى تقصيرهن فى الأغلب عن المحاجة لقلة دُرْبَتِهن وليس فى هذا ما يحط(١٣٧) الفضل عن

---

(١٣٣) راجع تخريج هذا الحديث فى ص ١٩٨ من هذا الجزء .
(١٣٤) سورة آل عمران آية رقم ٣٦
(١٣٥) سورة البقرة آية رقم ٢٢٨
(١٣٦) سورة الزخرف آية رقم ١٨
(١٣٧) فى (أ) : بزيادة (من) .

ذوات الفضل منهن ، فإن اعترض معترض فقال الذى أمرنا بطاعتهم من خلفاء الصحابة رضى الله عنهم ، أفضل من نساء النبى ﷺ بقوله تعالى : « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم[١٣٨]» فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أن هذا خطأ من جهات .

إحداها : أن نساء النبى ﷺ من جملة أولى الأمر منا الذين أمرنا بطاعتهم فيما بلّغن إلينا عن النبى ﷺ كالأئمة من الصحابة سواء سواء ولا فرق[١٣٩].

والوجه الثانى : أن الخلافة ليست من قبل فضل الواحد فى دينه ، فقط ، وجبت لمن وجبت له ، وكذلك الإمارة لأن الإمارة قد تجوز لمن غيره أفضل منه ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مأمورًا بطاعة عمرو بن العاص إذ أمره رسول الله ﷺ فى غزوة ذات السلاسل[١٤٠]، فبطل أن تكون الطاعة إنما تجب للأفضل فالأفضل ، وقد أمّر النبى ﷺ عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد[١٤١] كثيرا ولم يُأمِّر أبا ذر ، وأبو ذر[١٤٢] أفضل خير[١٤٣] منهما بلا شك وأيضا : فإنما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم فى أوامرهم مذ ولوا لا قبل ذلك ، ولا خلاف فى أن الولاية لم تزدهم فضلا على ما كانوا عليه ، وإنما زادهم فضلا عدلهم فى الولاية لا الولاية نفسها ، وعدلهم داخل فى جملة أعمالهم التى يستحقون الفضل بها ، ألا ترى أن معاوية والحسن إذ وليا كانت طاعتهما واجبة على سعد بن أبى وقاص ، وسعد أفضل منهما ببون بعيد جدا ، وهو حى معهما مأمور بطاعتهما وكذلك القول فى جابر وأنس بن مالك ، وابن عمر رضى الله عنهم ، فى وجوب طاعة [ابن الزبير ثم فى وجوب طاعة][١٤٤] عبد الملك بن مروان والذى بين جابر وأنس ، وابن عمر وبين عبد الملك فى الفضل كالذى بين النور ، والظلمة ، فليس فى وجوب طاعة الولاة ما يوجب لهم فضلا فى الجنة .

---

(١٣٨) سورة النساء آية رقم ٥٩

(١٣٩) سقط من (أ) كلمة : (سواء) الثانية .

(١٤٠) ذات السلاسل : وهى وراء وادى القرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت الغزوة فى جمادى الآخرة سنة ثمان من مهاجر رسول الله – ﷺ ، وكان من خبرها أن جماعة من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله فدعا رسول الله – عمرو بن العاص فعقد له لواء وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار . راجع تفاصيلها فى طبقات ابن سعد حـ ٢ ص ١٣١ وما بعدها .

(١٤١) خالد بن الوليد : بن المغيرة المخزومى القرشى ، سيف الله الفاتح الكبير ، الصحابى ، شهد مع المشركين غزوة أحد ، وأسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ٧ هـ ، وجهه أبو بكر لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد ثم سيره إلى العراق سنة ١٢ هـ ففتح الحيرة ثم اتجه إلى الشام واشترك فى معركة اليرموك وانتصر المسلمون بقيادته . توفى سنة ٢١ هـ . الاصابة حـ ١ ص ١٤٣ .

(١٤٢) أبو ذر الغفارى : جندب من جُنادة بن سفيان بن عبيد من بنى غِفار أبو ذر صحابى من كبارهم قديم الإسلام أول من حيا رسول الله بتحية الإسلام هاجر بعد وفاة الرسول – ﷺ إلى بادية الشام ، فشكاه معاوية فاستقدمه معاوية إلى المدينة ثم أمره بالرحلة إلى الربذة له فى البخارى ومسلم ٢٨١ حديثًا توفى عام ٣٢ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٤ ص ١٦١) .

(١٤٣) فى (خ) : سقطت (وخير) .

(١٤٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل أمرىء بما كسب رهين[١٤٥]» .

فبيان اعتراضه ظاهر فى آخر الآية وهو أن إلحاق الذرية بالآباء لا يقتضى كونهم معهم فى درجة ، ولا هذا مفهوم من نص الآية ، بل إنما فيها إلحاقهم بهم فيما ساووهم فيه بنص الآية ، ثم بين تعالى ذلك ولم يدعنا فى شك بقوله « كل امرىء بما كسب رهين » .

فصح أن كل واحد من الآباء والأبناء يجازى حسب ما كسب فقط ، وليس حكم الأزواج كذلك ، بل أزواج النبى ﷺ معه فى قصوره وعلى سرره ملتذ بهن ومعهن جزاء لهن بما عملن من الخير ، وبصبرهن ، واختيارهن الله تعالى ورسوله ﷺ والدار الآخرة ، وهذه منزلة لا يحلها أحد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فهن أفضل من كل واحد دون الأنبياء عليهم السلام ، فإن شغب مشغب بقول رسول الله ﷺ : « وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْل وَدِينٍ أَسْلَبَ لِلُبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ[١٤٦]» .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : إن حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك أن تقول إنك أتم عقلًا ودينًا من مريم ، وأم موسى ، وأم إسحاق ومن عائشة ، وفاطمة ، فإن تمادى على ذلك سقط الكلام معه ولم يبعد عن الكفر .

وإن قال : لا . سقط اعتراضه واعترف بأن من الرجال من هو أنقص دينًا وعقلًا ، من كثير من النساء .

فإن سأل عن معنى هذا الحديث . قيل له قد بين رسول الله ﷺ وجه ذلك النقص ، وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، وكونها إذا حاضت لا تصلى ولا تصوم ، وليس هذا بموجب نقصان الفضل ، ولا نقصان الدين ، والعقل فى غير هذين الوجهين فقط إذ بالضرورة ندرى[١٤٨] أن فى النساء من هن أفضل من كثير من الرجال وأتم ديناً وعقلًا غير الوجوه التى ذكر النبى ﷺ وهو عليه السلام لا يقول إلا حقا ، فصح يقينا أنه إنما عنى[١٤٩] عليه السلام

---

(١٤٥) سورة الطور آية رقم ٢١

(١٤٦) الحديث رواه البخارى فى الحيض ١٦ ، والزكاة ٤٤ ورواه الإمام مسلم فى الإيمان ١٣٢ ، وأبو داود فى السنة ١٥ ، والترمذى فى الإيمان ٦ وابن ماجه فى الفتن ولفظه عند مسلم : وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لُبٍّ منكن قالت : يا رسول الله وما نقصان العقل والدين قال : أما نقصان العقل فشهادة إمرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالى ما تصلى وتفطر فى رمضان فهذا نقصان الدين .

(١٤٧) فى (أ) : (هذا) .

(١٤٨) فى (ح) : سقطت كلمة (ندرى) .

(١٤٩) فى (أ) : (عبَّر) .

ما قد بينه فى الحديث نفسه من الشهادة والحيض فقط ، وليس ذلك مما ينقص الفضل . فقد علمنا أن أبا بكر وعمر وعليا لو شهدوا فى زنا لم يحكم بشهادتهم ، ولو شهد به أربعة منا عدول فى الظاهر حكم بشهادتهم ، وليس ذلك بموجب أننا أفضل من هؤلاء المذكورين ، وكذلك القول فى شهادة النساء فليست الشهادة من باب التفاضل ، فى ورد ولا صدر ، لكن يوقف فيها عند ما حده النص فقط ، ولا شك عند كل مسلم فى أن صواحبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة(١٥٠)، وعائشة(١٥١)، وفاطمة(١٥٢)، وأم سلمة(١٥٣) أفضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع أتى بعهدهن ومن كل رجل يأتى فى هذه الأمة إلى يوم القيامة ، فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح أنه على ما فسرناه يقينًا(١٥٤) والحمد لله رب العالمين وأيضا فقول الله تعالى « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء(١٥٥)» مخرج لهن عن سائر النساء فى كل ما اعترض به معترض مما ذكرناه وشبهه .

قال أبو محمد : فإن اعترض معترض بقول النبى ﷺ « كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، وامْرَأةِ فِرْعَوْنَ(١٥٦)» .

فإن هذا الكمال إنما هو الرسالة ، والنبوة ، التى انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء فى النبوة ، وقد يتفاضلون أيضا فيها فيكون بعض الأنبياء أكمل من بعض ، ويكون بعض الرسل أكمل من بعض .

قال الله عز وجل : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات(١٥٧)» .

فإنما ذكر فى هذا الخبر من بلغ غاية الكمال فى طبقته ولم يتقدمه منهم أحد ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٥٠) راجع ترجمة خديجة فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٤

(١٥١) راجع ترجمة عائشة فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٤ .

(١٥٢) راجع ترجمة أم سلمة فى طبقات ابن سعد جـ ٨ .

(١٥٣) راجع ترجمة فاطمة الزهراء فى هذا الجزء ص ١٦٢ .

(١٥٤) فى (أ) : (وبيناه) .

(١٥٥) سورة الأحزاب آية رقم ٣٢

(١٥٦) هذه الرواية هى من حديث أبى موسى الأشعرى ، وهى عند البخارى ٣٤٠/٦ فى الأنبياء باب قول الله تعالى : وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله أصطفاك وطهرك » ومسلم رقم ٢٤٣١ فى فضائل الصحابة ، باب فضل خديجة أم المؤمنين ، والترمذى رقم ١٨٣٥ فى الأطعمة باب ما جاء فى فضل الثريد . ولفظة . كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

(١٥٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣

فأن اعترض معترض بقوله عليه السلام : « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ اسْنَدُوا أَمْرَهَمْ إِلى امْرَأة[١٥٨]» .

فلا حجة له فى هذا[١٥٩] لأنه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل ، فقد علمنا أن أبن مسعود ، وبلالا[١٦٠]، وزيد بن الحارثة ، رضى الله عنهم لم يكن لهم حظ فى الخلافة وليس بموجب أن يكون الحسن ، وابن الزبير ، ومعاوية ، أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لأولئك وبينهم فى الفضل ما لا يجهله مسلم .

قال أبو محمد : وأما أفضل نسائه عليه السلام فعائشة ، وخديجة ، رضى الله عنهما لعظيم فضلهما واخباره عليه السلام أن عائشة أحب الناس إليه ، وأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلد ، فقال : أفضل نسائها مريم بنت عمران ، وأفضل نسائها خديجة بنت خويلد مع سابقة خديجة فى الإسلام ، وثباتها رضى الله عنها ولأم سلمة وسودة[١٦١] وزينب بنت جحش ، وزينب بنت خزيمة[١٦٢]، وحفصة[١٦٣] سوابق فى الإسلام عظيمة ، واحتمال للمشقات فى الله عز وجل ورسوله ﷺ والهجرة ، والغربة عن الوطن ، والدعاء إلى الإسلام والبلاء فى الله عز وجل ورسوله – ﷺ ولكلهن بعد ذلك الفضل المبين رضوان الله عليهن أجمعين .

قال أبو محمد : وهذه مسألة نقطع فيها على أننا المحقون[١٦٤] عند الله عز وجل ، وأن من خالفنا فيها مخطىء عند الله عز وجل بلا شك وليست مما يسع الشك فيه أصلا .

---

(١٥٨) الحديث رواه البخارى فى المغازى ٨٢ والفتن ١٨ والترمذى فى الفتن ٧٥ والنسائى فى القضاء ٨ ، وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ٥ ص ٤٣ ، ٥١

(١٥٩) فى (أ) : (ذلك) .

(١٦٠) بلال بن رباح الحبشى ، أبو عبد الله مؤذن رسول الله – ﷺ وخازنه على بيت ماله ، أحد السابقين إلى الإسلام ، وفى الحديث بلال سابق الحبشة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، ولما توفى رسول الله أذن بلال ولم يؤذن بعدها توفى فى دمشق سنة ٢٠ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٦٩) .

(١٦١) سودة بنت زمعة : بن قيس بن عبد شمس ، من لؤى من قريش إحدى أرواح النبى – ﷺ – كانت فى الجاهلية زوجة السكران ابن عمرو بن عبد شمس ، وأسلمت ثم أسلم زوجها وهاجرا إلى الحبشة ثم عادا إلى مكة فتوفى السكران فتزوجها النبى – ﷺ بعد خديجة – وتوفيت بالمدينة ٥٤ هـ . (طبقات ابن سعد حـ ٥ ص ٢٥) .

(١٦٢) زينب بنت خديجة بن الحارث الهلالية من أرواح النبى – ﷺ ، كانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين ، تزوجها عبيدة بن الحارث وقتل عنها ببدر فتزوجها النبى – ﷺ سنة ٣ هـ ولبثت عنده ثمانية أشهر وماتت بالمدينة ٤ هـ وعمرها نحو ثلاثين سنة . (طبقات بن سعد حـ ٨ ص ٨٢) .

(١٦٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضى الله عنهما صحابية جليلة من أرواح رسول الله – ﷺ ولدت بمكة وتزوجها خنيس ابن حذافة السهمى فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها فتزوجها رسول الله سنة ثلاث من الهجرة ، توفيت بالمدينة سنة ٤٥ هـ روى لها البخارى ومسلم ٦٠ حديثا . (طبقات ابن سعد حـ ٨ ص ٥٦) .

(١٦٤) فى (أ) : المحققون .

قال أبو محمد : فإن قال قائل هل قال هذا أحد قبلكم ..؟ قلنا له ، وبالله تعالى التوفيق .

وهل قال غير هذا أحد قبل من يخالفنا الآن ؟ وقد علمنا ضرورة أن لنساء النبى ﷺ منزلة من الفضل بلا شك فلابد من البحث عنها فليقل مخالفنا فى أى منزلة نضعهن أبعد جميع الصحابة كلهم ؟ فهذا ما لا يقوله أحد .

أم بعد طائفة منهم ؟ فعليه الدليل وهذا ما لا سبيل له إلى وجوده ، وإذ قد بطل هذان القولان أحدهما بالإجماع على أنه باطل ، والثانى لأنه دعوى لا دليل عليها ولا برهان فلم يبق إلا قولنا .

والحمد لله رب العالمين الموفق للصواب بفضله ثم نقول وبالله تعالى نستعين : قد صح أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه خطب الناس حين ولى بعد موت رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس إنى وليتكم ولست بخيركم » فقد صح عنه[١٦٥] رضى الله عنه أنه أعلن بحضرة جميع الصحابة رضى الله عنهم أنه ليس بخيرهم ، ولم ينكر هذا القول منهم أحد ، فدل على متابعتهم له ولا خلاف فى[١٦٦] أنه ليس فى أحد من الحاضرين لخطبة إنسان يقول فيه أحد من الناس إنه خير من أبى بكر ، إلا على ، وابن مسعود ، وعمر ، وأما جمهور الحاضرين من مخالفينا فى هذه المسألة من أهل السنة ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والخوارج ، فإنهم لا يختلفون فى أن أبا بكر أفضل من على ، وعمر ، وابن مسعود ، وخير منهم فصح أنه لم يبق إلا أزواج النبى ﷺ فإن قال قائل إنما قال أبو بكر هذا تواضعا قلنا : له هذا هو الباطل المتيقن لأن الصديق الذى سماه رسول الله ﷺ بهذا الاسم لا يجوز أن يكذب ، وحاشا له من ذلك ، ولا يقول إلا الحق والصدق ، فصح أن الصحابة متفقون فى الأغلب على تصديقه فى ذلك ، فإذ ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضح أن يكون أحد من الصحابة رضى الله عنهم خيرا من أبى بكر إلا أزواج النبى ﷺ ونساؤه ووضح أننا لو قلنا : إنه اجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق .

قال أبو محمد : وأيضا فإن يوسف بن عبد الله النمرى حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ، ثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن على الكندى ، حدثنا محمد بن العباس البغدادى ، ثنا إبراهيم ابن محمد البصرى ، ثنا أبو أيوب سليمان بن داود الشاذكونى ، قال : كان عمار بن ياسر والحسن ابن على يفضلان على بن أبى طالب على أبى بكر الصديق وعمر .

حدثنا أحمد بن محمد الخوزى ، ثنا أحمد بن الفضل الدينورى ، ثنا محمد بن جرير الطبرى ، أن على بن أبى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على إلى الكوفة إذ خرجت

(١٦٥) سقط من (ح) عنه .
(١٦٦) سقط من (أ) (ف)

أم المؤمنين إلى البصرة ، فلما أتياها اجتمعا إليهما الناس فى المسجد ، فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين إلى البصرة ثم قال لهم : إنى أقول لكم ووالله إنى لأعلم أنها زوجة رسول الله ﷺ فى الجنة ، كما هى زوجته فى الدنيا ، ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه ، فقال له مسروق ابن الأسود[١٦٧] يا أبا اليقظان فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له ، فسكت عمار وقال له الحسن اعن نفسك عنا . فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين ، والكوفة يومئذ مملوءة منهم ، يسمعون تفضيل عائشة على على ، وهو عند عمار والحسن أفضل من أبى بكر ، وعمر ، فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه وهم أحوج ما كانوا إلى إنكاره فصح أنهم متفقون على أنها وأزواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، ومما تبين أن أبا بكر رضى الله عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم إلا محقا ، صادقا ، لا تواضعا يقول فيه الباطل ، وحاشا له من ذلك ما حدثناه أحمد بن محمد الطلمنكى[١٦٨] .

قال حدثنا أحمد بن محمد بن مفرح ، ثنا محمد بن أيوب الصموت الرقى ، أنا أحمد ابن عمر بن عبد الخالق البزار ، ثنا عبد الملك بن سعد ، ثنا عقبة بن خالد ، ثنا شعبة ابن الحجاج ، ثنا الجريرى عن أبى بصرة عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ألست أحق الناس بها أو لست أول من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ..؟

قال أبو محمد : فهذا أبو بكر رضى الله عنه يذكر فضائل نفسه ، إذ كان صادقا فيها ، فلو كان أفضلهم لصرح بذلك[١٦٩] وما كتمه وقد نزهه الله تعالى عن الكذب ، فصح قولنا نصا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : ثم وجب القول فيمن هو أفضل الصحابة بعد نساء النبى ﷺ فلم نجد لمن فضل ابن مسعود ، أو عمر ، أو جعفر ابن أبى طالب ، أو أبا سلمة ، أو الثلاثة الأسهليين[١٧٠] على جميع الصحابة حجة يعتمد عليها ، ووجدنا من يوقف لم يزد على أنه لم يلح له بالبرهان أنهم أفضل ولو لاح له لقال به ، ووجدنا العدد والمعارضة فى القائلين بأن عليا أفضل أكثر[١٧١]، فوجب أن يأتى بما شغبوا به ليلوح الحق فى ذلك وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٦٧) لم نعثر له على ترجمة .

(١٦٨) راجع ترجمته ص ١٣٥ .

(١٦٩) فى (أ) : (به) .

(١٧٠) الأسهليون الثلاثة : سهل بن عمرو بن عدى الأنصارى ، كان ممن بايع تحت الشجرة ، وسهل بن حنيف بن واهب يكنى أبا سعيد شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ وثبت يوم أحد وحعل ينصح بالنبل فقال عليه السلام : نبِّلوا سهلًا فإنه سهل وسهل ابن أبى حَثْمَه ، كان ممن بايع تحت الشجرة وكان دليل النبى - ﷺ ليلة أحد وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا .

(١٧١) سقط من (خ) (أكثر) .

قال أبو محمد : وجدناهم يحتجون بأن عليا كان أكثر الصحابة جهادًا ، وطعناً . فى الكفار ، وضربا ، والجهاد أفضل الأعمال .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن الجهاد ينقسم أقساما ثلاثة :

أحدها : الدعاء إلى الله عز وجل باللسان .

والثانى : الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير .

والثالث : الجهاد بانيد فى الطعن والضرب .

فوجدنا الجهاد باللسان لا يلحق فيه أحد بعد رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر ، أما أبو بكر فإن أكابر الصحابة رضى الله عنهم أسلموا على يديه ، فهذا أفضل عمل وليس لعلى من هذا كبير حظ ، وأما عمر فإنه من يوم أسلم عز الإسلام وعبد الله تعالى بمكة جهرًا وجاهد المشركين بمكة بيديه ، فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية ، وهذا أعظم الجهاد ، فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولا حظ لعلى فى هذا أصلا وبقى القسم الثانى : وهو الرأى والمشورة فوجدناه خالصا لأبى بكر ثم لعمر ، وبقى القسم الثالث : وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه أقل مراتب الجهاد ببرهان ضرورى وهو أن رسول الله ﷺ لا شك عند كل مسلم أنه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام إنما كان فى أكثر أعماله وأحواله القسمين الأولين من الدعاء إلى الله عز وجل والتدبير والإدارة .

وكان أقل عمله ﷺ الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام أشجع أهل الأرض قاطبة نفسا ويدا وأتمهم نجدة ، ولكنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل من الأفعال ، قدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان أبو بكر رضى الله عنه معه لا يفارقه ايثارا من رسول الله ﷺ له بذلك واستظهاراً برأيه فى الحرب ، وأنسًا بمكانة ، ثم كان عمر ربما شورك فى ذلك أيضا ، وقد انفرد بهذا المحل دون على ودون سائر الصحابة إلا فى الندرة ، ثم نظرنا مع ذلك فى هذا القسم من الجهاد الذى هو الطعن ، والضرب ، والمبارزة ، فوجدنا عليا رضى الله عنه لم ينفرد بالبسوق فيه بل قد شاركه فى ذلك غيره شركة العنان ، كطلحة ، والزبير ، وسعد ، وممن قتل فى صدر الإسلام كحمزة ، وعُبَيْدة بن الحَارِثِ بن المطلب[١٧٢]، ومصعب بن عمير ، ومن الأنصار سعد بن معاذ ، وسِمَاك بن خَرَشَة[١٧٣] وغيرهما ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه فى

---

(١٧٢) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف أبو الحارث من أبطال قريش فى الجاهلية والإسلام ، ولد بمكة وأسلم مبكرًا وبعثه النبى فى ستين راكبا من المهاجرين فالتقى بالمشركين وعليهم أبو سفيان بن حرب فى موضع يقال له « ثنية المرة » شهد بدرًا وقتل فيها ٢ هـ . (الأصابة ت ٥٣٧٧) .

(١٧٣) سِمال بن خَرشه الخزرجى المعروف بأبى دجانه ، صحابى كان شجاعًا بطلًا شهد بدرًا وثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة واستشهد باليمامة ١١ هـ . (الاصابة - باب الكلنى ت ٣٧١) .

ذلك بحظ حسن وإن لم يلحقا(١٧٤) بحظوظ هؤلاء ، وإنما ذلك لشغلهما بالأفضل من ملازمة رسول الله ﷺ ، وموازرته فى حين الحرب وقد بعثهما رسول الله ﷺ على البعوث ، أكثر مما بعث عليا وقد بعث أبا بكر إلى بنى فزارة وغيرهم ، وبعث عمر إلى بنى فلان ، وما نعلم لعلى بعثا إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحه ، وقد بعث إليه(١٧٥) قبله أبا بكر وعمر فلم يفتحاه ، فحصل أرفع(١٧٦) أنواع الجهاد خالصا(١٧٧) لأبى بكر ، وعمر ، وقد شاركا عليا فى أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم .

قال أبو محمد : واحتج أيضا بأن قال : إن عليا كان أكثرهم علما .

قال أبو محمد : كذب هذا القائل ، وإنما يعرف علم الصحابى لأحد وجهين لا ثالث لهما ، أحدهما : كثرة روايته وفتاويه والثانى : كثرة استعمال النبى ﷺ له ، فمن المحال الباطل أن يستعمل النبى ﷺ من لا علم له ، وهذه أكبر الشهادات على العلم وسعته ، فنظرنا فى ذلك فوجدنا النبى ﷺ قد ولى أبا بكر الصلاة بحضرته طول علته ، وجميع أكابر الصحابة حضور ، كعلى ، وعمر ، وابن مسعود وأبى(١٧٨)، وغيرهم فآثره بذلك على جميعهم ، وهذا خلاف استخلافه عليه السلام إذا غزا لأن المستخلف فى الغزوة لم يستخلف إلا على النساء ، وذو الأعذار فقط ، فوجب ضرورة أن نعلم أن أبا بكر أعلم الناس بالصلاة ، وشرايعها ، وأعلم المذكورين بها وهى عمود الدين ، ووجدناه ﷺ قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة أن عنده من علم الصدقات كالذى عند غيره من علماء الصحابة ، لا أقل وربما كان(١٧٩) أكثر ، أو لا أكثر(١٨٠) إذ قد استعمل عليه السلام أيضا عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل إلا عالما بما استعمله عليه ، والزكاة ركن من أركان الدين بعد الصلاة .

وبرهان ما قلنا من تمام علم أبى بكر رضى الله عنه بالصدقات أن الأخبار الواردة فى الزكاة أصحها ، والذى يلزم العمل به ولا يجوز خلافه فهو حديث أبى بكر الذى من طريق عمر ، وأما من طريق على فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة ، وهو أن فى خمس وعشرين من الإبل خمس

---

(١٧٤) فى (أ) : يلحقنا وهو تحريف .
(١٧٥) سقط من (أ) (إليه) .
(١٧٦) فى (أ) : أربع وهو تحريف .
(١٧٧) سقط من (أ) (خالصا) .
(١٧٨) أبى بن كعب بن قيس بن عبيد من بنى النجار من الخزرج أبو المنذر صحابى أنصارى ، كان قبل الإسلام حبرًا من أحبار اليهود ، مطلعا على الكتب القديمة يكتب ويقرأ ، ولما أسلم كان من كتاب الوحى ، وشهدًا بدرًا واحدًا والخندق وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية ، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس له فى الصحيحين ١٦٤ حديثًا توفى سنة ٢١ هـ .
(١٧٩) سقط من (خ) (كان) .
(١٨٠) سقط من (أ) (أو لا أكثر) .

شياه ، فوجدناه عليه السلام قد استعمل أبا بكر على الحج ، فصح ضرورة أنه أعلم من جميع الصحابة بالحج ، وهذه دعائم الإسلام ، ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح أن عنده من أحكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله ﷺ على البعوث فى الجهاد ، إذ لا يستعمل عليه السلام على العمل إلا عالمًا به ، فعند أبى بكر من الجهاد من العلم به كالذى عند على ، وسائر أمراء البعوث ، لا أكثر ولا أقل ، فإذ قد صح التقدم لأبى بكر على علىّ وغيره فى علم الصلاة ، والزكاة ، والحج ، وساواه فى علم الجهاد ، فهذه عمدة العلم ، ثم وجدناه عليه السلام قد ألزم نفسه فى جلوسه ، ومسامرته ، وظعنه ، وإقامته أبا بكر فشاهد أحكامه عليه السلام ، وفتاويه أكثر من مشاهدة على لها ، فصح ضرورة أنه أعلم بها فهل بقيت من العلم بقية إلا وأبو بكر هو(١٨١) المتقدم فيها الذى لا يلحق ؟ أو المشارك الذى لا يسبق ؟ فبطلت دعواهم فى العلم ، والحمد لله رب العالمين .

وأما الرواية ، والفتوى ، فإن أبا بكر رضى الله عنه لم يعش بعد رسول الله ﷺ إلا سنتين ، وستة أشهر ، ولم يفارق المدينة إلا حاجا أو معتمرًا ولم يحتج الناس إلى ما عنده من الرواية عن رسول الله ﷺ ، لأن كل من حواليه أدركوا النبى ﷺ ، وعلى ذلك كله فقد روى عنه عن النبى ﷺ مائة حديث وإثنان وأربعون حديثا مسندة ، ولم يرد عن على إلا خمس مائة وست وثمانون حديثا مسندة ، يصح منها نحو خمسين ، وقد عاش بعد رسول الله ﷺ أزيد من ثلاثين سنة ، فكثر لقاء الناس إياه ، وحاجتهم إلى ما عنده ، لذهاب جمهور الصحابة رضى الله عنهم ، وكثر سماع أهل الأفاق منه مرة بصفين وأعواما بالكوفة ومرة بالبصرة ، والمدينة ، فإذا نسبنا مدة أبى بكر من حياته وأضفنا تقرى علىٍّ البلاد بلدا بلدا وكثرة سماع الناس منه إلى لزوم أبى بكر موطنه وأنه لم تكثر حاجة من حواليه إلى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث ، وفتاوى من فتاوى ، علم كل ذى حظ من العلم أن الذى كان عند أبى بكر من العلم أضعاف ما كان عند على منه ، وبرهان ذلك أن من عمرٍّ من أصحاب رسول الله ﷺ عمرا قليل قل النقل عنهم ، ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم ، إلا اليسير من اكتفى بنيابة غيره عنه فى تعليم الناس ، وقد عاش على بعد عمر ابن الخطاب سبعة عشر عاما غير شهر ، ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا ، يصح منها نحو خمسين كالذى عن على سواء بسواء ، فكلما زاد حديث علىٍّ على حديث عمر تسعة وأربعين حديثا فى هذه المدة الطويلة ، ولم يزد عليه فى الصحيح الا حديثا أو حديثين .

وفتاوى عمر موازنة لفتاوى على فى أبواب الفقه ، فإذا نسبنا مدة من مدة وضربنا فى البلاد من ضرب فيها وأضفنا حديثا إلى حديث ، وفتاوى إلى فتاوى ، علم كل ذى حس علما ضروريا أن

---

(١٨١) سقط من (أ) (هو) .

الذى كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند على من العلم ، ثم وجدنا الأمر كل ما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضى الله عنها ألفى مسند ومائتى مسند وعشرة مسانيد ، وحديث أبى هريرة خمسة آلاف مسند وثلثمائة مسند وأربع وسبعين مسندا ووجدنا مسند ابن عمر وأنس قريبا من مسند عائشة لكل واحد منهما ، ووجدنا مسند جابر ابن عبد الله ، وعبد الله ابن عباس ، لكل واحد منهما أزيد من ألف وخمسمائة ، ووجدنا لأبن مسعود ثمان مائة مسند ونيف ، ولكل من ذكرنا حاشا أبا هريرة وأنس بن مالك من الفتاوى أكثر من فتاوى على أو نحوها ، فبطل هذه الوقاح الجهال ، فإن عاندنا معاند فى هذا الباب جاهل أو قليل الحياء لاح كذبه وجهله ، فإنا غير متهمين[١٨٢] على حط أحد من الصحابة رضى الله عنهم عن مرتبته ولا على رفعه فوق مرتبته ، لأننا لو انحرفنا عن على رضى الله عنه ونعوذ بالله من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج ، وقد نزهنا الله عز وجل عن هذا الضلال فى التعصب ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة ، وقد أعاذنا الله تعالى من هذا الإفك فى التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنه أو الغالين فيه هم المتهمون فيه إما له وإما عليه ، وبعد هذا كله فليس يقدر من ينتمى إلى الإسلام أن يعاند فى الاستدلال على كثرة العلم باستعمال النبى ﷺ بمن استعمله منهم على ما استعمله وعليه من أمور الدين .

فإن قالوا : إن رسول الله ﷺ قد استعمل عليا على الأخماس وعلى القضاء باليمن ؟ قلنا لهم : نعم ولكن مشاهدة أبى بكر لأقضية رسول الله ﷺ أقوى فى العلم وأثبت مما عند على وهو باليمن ، وقد استعمل رسول الله ﷺ أبا بكر على بعوث فيها الأخماس ، فقد ساوى علمه علم على فى حكمها بلا شك ، إذ لا يستعمل عليه السلام إلا عالما بما يستعمله عليه ، وقد صح أن أبا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول الله ﷺ وهو عليه السلام يعلم ذلك ، ومحال أن يبيح لهما ذلك إلا وهما أعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضا على القضاء باليمن مع على معاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعرى[١٨٣] فلعلى فى هذا شركاء كثير ، منهم أبو بكر ، وعمر ، ثم قد انفرد أبو بكر بالجمهور الأغلب من العلم على ما ذكرنا . وقال هذا القائل : إن عليًا كان اقرأ الصحابة .

قال أبو محمد : وهذه القحة المجردة والبهتان لوجوه أولها إنه رد على رسول الله ﷺ لأنه عليه

---

(١٨٢) فى (خ) : فاما غير المتهمين .

(١٨٣) أبو موسى الأشعرى : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، من بنى الأشعر من قحطان صحابى من الشجعان الولاة الفاتحين وأحد الحكمين بعد حرب صفين ولد فى ربيد باليمن وقدم مكة عند ظهور الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة استعمله رسول الله على زبيد وعدن ، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ له ٣٥٥ حديثًا مات سنة ٤٤ هـ . (طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٧٩) .

السلام قال : يؤم(١٨٤) القوم أقرؤهم ، فإن استووا فأفقهم ، فإن استووا فأقدمهم هجرة ، ثم وجدناه عليه السلام قد قدم أبا بكر على الصلاة مدة الأيام التى مرض فيها وعلى بالحضرة يراه النبى ﷺ غدوة وعشية فما رأى لها عليه السلام أحدا أحق من أبى بكر بها ، فصح أنه كان أقرؤهم وافقههم واقدمهم هجرة ، وقد يكون من لم يجمع حفظ القرآن كله على ظهر قلب اقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به وأحسنهم ترتيلا .

هذا على أن أبا بكر وعمر وعلى لم يستكمل أحد منهم حفظ سواد(١٨٥) القرآن كله ظاهرا إلا أنه قد وجب يقينا بتقديم النبى ﷺ لأبى بكر على الصلاة وعلىٌّ حاضر أن أبا بكر أقرأ من على ، وما كان النبى ﷺ ليقدم إلى الإمامة الأقل علما بالقراءة على الأقرأ أو الأقل فقها على الأفقه فبطل أيضا شغبهم فى هذا الباب – والحمد لله رب العالمين .

[وقال هذا الجاهلُ كان على أتقاهم لله](١٨٦).

قال أبو محمد : كذب هذا الأفاك ، ولقد كان على رضى الله عنه تقيا إلا أن الفضائل يتفاضل فيها أهلها وما كان أتقاهم لله إلا أبا بكر . والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط أبو بكر رسول الله ﷺ فى كلمة ولا خالف ارادته عليه السلام فى شىء قط ، ولا تأخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية إذ تردد من تردد وقد تكلم رسول الله ﷺ على المنبر إذا أراد على نكاح ابنه أبى جهل بما قد عرف(١٨٧) وما وجدنا قط لأبى بكر توقفا عن شىء أمره به رسول الله ﷺ إلا مرة واحدة عذرة فيها رسول الله ﷺ وأجاز له فعله ، وهى إذ أتى رسول الله ﷺ من قباء فوجده يصلى بالناس فلما رآه أبو بكر تأخر فأشار إليه النبى ﷺ أن أقم مكانك فحمد الله تعالى أبو بكر على ذلك ثم تأخر فصار فى الصف ، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس فلما سلم قال له رسول الله ﷺ ما منعك أن تثبت حين أمرتك ، فقال أبو بكر ، ما كان لابن أبى قحافة أن يتقدم بين يدى رسول الله ﷺ(١٨٨).

قال أبو محمد : فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله ﷺ وما أنكر عليه السلام ذلك عليه ، وإذ قد صح بالبرهان الضرورى الذى ذكرنا أن أبا بكر أعلم أصحاب رسول

---

(١٨٤) فى (أ) : (يوم) وهو تحريف .

(١٨٥) فى (أ) : سور .

(١٨٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٨٧) قال رسول الله – ﷺ : فإنى أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثنى فصدقنى ، وإن فاطمة بضعة منى وأنا أكره أن يفتنوها ، والله لا تجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا . رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى باب أصهار النبى ومسلم رقم ٢٤٤٩ باب فضائل فاطمة بنت النبى – ﷺ .

(١٨٨) ونحن نوافق ابن حزم فى أن هذا التوقف من أبى بكر كان أدبا عاليا مع رسول الله ﷺ

الله ﷺ فقد وجب أنه أخشاهم لله عز وجل ، قال الله عز وجل « إنما يخشى الله من عباده العلماء[١٨٩] » والتقى هو الخشية لله عز وجل .

وقال قائلون على كان أزهدهم .

قال أبو محمد : كذب هذا الجاهل ، وبرهان ذلك أن الزهد إنما هو غروب النفس عن حب الصوت ، وعن المال ، وعن اللذات ، وعن الميل إلى الولد والحاشية ليس الزهد معنى يقع عليه اسم الزهد إلا هذا المعنى ، فأما غروب النفس عن المال فقد علم كل من له أدنى بصر بشيء من الأخبار الخالية أن أبا بكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين ألف درهم ، فأنفقها كلها فى ذات الله تعالى ، وعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين فى ذات الله عز وجل ، ولم يعتق عبيدا جلدا يمنعونه لكن كل معذب ومعذبة فى الله عز وجل .

حتى هاجر مع رسول الله ﷺ ولم يبق لأبى بكر من جميع ماله إلا ستة آلاف درهم حملها كلها مع رسول الله ﷺ ولم يُبق لبنيه منها درهمًا ، ثم أنفقها كلها فى سبيل الله عز وجل حتى لم يبق[١٩٠] له شيء إلا عباءة له قد خللها بعود إذا نزل افترشها وإذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضى الله عن جميعهم واقتنوا الرباع الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحقها ، إلا أن من أثر بذلك سبيل الله عز وجل أزهد ممن انفق وأمسك ، ثم ولى الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع فى مال ، وعد عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذى لم يستوف منه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذى حصل له من سهامه فى المغازى والمقاسم مع رسول الله ﷺ فهذا هو الزهد فى اللذات والمال الذى لا يدانيه فيه أحد من الصحابة لا على ولا غيره ، إلا أن يكون أبا ذر وأبا عبيدة من المهاجرين الأولين فإنهما جريا على هذه الطريقة التى فارقا عليها رسول الله ﷺ وتوسع من سواهم من الصحابة رضى الله عنهم فى المباح الذى أحله الله عز وجل لهم ، إلا أن من أثر على نفسه أفضل ، ولولا أن أبا ذر لم يكن له سابقة غيره لما تقدمه إلا من كان مثله ، فهذا هو الزهد فى المال واللذات ، ولقد تلا أبا بكر عمر رضى الله عنهما فى هذا الزهد فكان فوق على فى ذلك يعنى فى اعراضه عن المال واللذات ، وأما على رضى الله عنه فتوسع فى هذا الباب من حله ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد ، سوى الخدم والعبيد وتوفى عن أربعة وعشرين ولدًا من ذكر وأنثى ، وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من أغنياء قومهم ومياسيرهم هذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار والآثار ، ومن جملة عقاره التى تصدق بها كانت تغل ألف وَسْقٍ تمرا سوى زرعها فأين هذا من هذا ..؟؟؟

(١٨٩) سورة فاطر آية رقم ٢٨

(١٩٠) فى (خ) : حتى بقى لا شيء له .

وأما حب الولد والميل إليهم وإلى الحاشية فالأمر فى هذا أبين من أن يخفى على أحد له أقل علم بالأخبار ، فقد كان لأبى بكر رضى الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الأولين والسابقين من ذوى الفضائل العظيمة فى كل باب من أبواب الفضل[١٩١] فى الإسلام ، ومثل ابنه عبد الرحمن بن أبى بكر[١٩٢] وله مع النبى ﷺ صحبةٌ قديمة وهجرة سابقة ، وفضل ظاهر ، فما استعمل أبو بكر رضى الله عنه منهم أحدا على شىء من الجهات ، وهى بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة أعمالها ، وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر ، وسائر أعمال الحجاز ، ولو استعملهم لكانوا لذلك أهلا . ولكن خشى المحاباة وتوقع أن يميله إليهم شىء من الهوى ، ثم جرى عمر على مجراه فى ذلك فلم يستعمل من بنى عدى بن كعب أحدا على سعة البلاد وكثرتها ، وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس إلى خراسان ، إلا النعمان ابن عدى[١٩٣] وحده على ميسان[١٩٤]، ثم أسرع عزله وفيهم من الهجرة ما ليس فى شىء من افخاذ قريش لأن بنى عدى لم يبق منهم أحد بمكة إلا هاجر ، وكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد المهاجرين الأولين ذوى السوابق وأبى الجهم بن حذيفة[١٩٥] وخارجه بن حذافة[١٩٦] ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر ، ثم لم يستخلف أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ، ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضى به الناس وكان لذلك أهلا ، ولو استخلفه لما اختلف عليه أحد فما فعل ، ووجدنا عليا رضى الله عنه إذ ولى قد استعمل أقاربه عبد الملك بن عباس على البصرة ، وعبيد الله بن العباس على اليمن ، وختعم ومعبدا بنى العباس على مكة والمدينة وجعدة بن نميره وهو ابن اخته أم هانى بنت أبى طالب على خراسان ، ومحمد بن أبى بكر وهو ابن امرأته وأخو ولده على مصر ، ورضى ببيعة الناس للحسن

---

(١٩١) فى (ح) : (الفضائل) .

(١٩٢) عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، يكنى أبا عبد الله ، أمه أم رمان بنت الحارث بن غنم ، فهو شقيق عائشة رضى الله عنها . وشهد عبد الرحمن بدرًا وأحدًا مع قومه كافرًا ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهو الذى قتل محكم اليمامة وشهد الجمل مع اخته عائشة ، توفى سنة ٥٣ هـ بمكة . (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٢ ص ٨٢٥ وما بعدها) .

(١٩٣) النعمان بن عدى بن نضلة العدوى ، شاعر ، صحابى من الولاة ، هاجر مع أبيه إلى الحبشة ، ومات أبوه فيها ، ولاه عمر ابن الخطاب على ميسان وهى كورة واسعة بين البصرة وواسط ، ولم يول عمر أحدًا من قومه بنى عدى غيره ، لما كان فى نفسه من صلاحة ثم عزله لشعر قاله . فرحل إلى البصرة ولم يغزو مع المسلمين حتى مات سنة ٣٠ هـ . (الاصابة ت ٨٧٤٠) .

(١٩٤) ميسان بالفتح ثم السكون ، وسين مهملة وآخره نون اسم كورة كثيرة واسعة القرى بين البصرة وواسط ويقال فيها قرية بها قبر عزيمة النبى عليه السلام ، ولما فتحت ميسان فى عهد عمر ولاه النعمان بن عدى بن فصله وكان بميسان مسكين الدارمى . (معجم البلدان حـ ٥ ص ٢٤٢) .

(١٩٥) أبو جهم : هو عامر بن حذيفة بن غانم من قريش من بنى عدى بن كعب ، أحد المعمرين ، أسلم يوم فتح مكة ، واشترك فى بناء الكعبة مرتين الأولى فى الجاهلية ، والثانية حين بناها ابن الزبير سنة ٦٤ هـ وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان توفى سنة ٧ هـ . (الأصابة فى الكنى ت ٢٠٦) .

(١٩٦) خارجة بن حذافة بن عامر من بنى كعب ابن لؤى . صحابى من الشجعان كان يعد بألف فارس ، شهد فتح مصر وولى شرطته لعمرو بن العاص استخلفه عمرو ليصلى بالناس فقتله عمرو بن بكر الذى انتدب لقتل عمرو بن العاص ، وقال قاتله لم علم خطأه – أردت عمرًا ، وأراد الله خارجه – وكان ذلك سنة ٤٠ هـ . (الاصابة حـ ١ ص ٣٩٩) .

ابنه بالخلافة ، ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة ، فكيف امارة البصرة لكنا نقول إن من زهد فى الخلافة لولد مثل عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن ابن أبى بكر والناس متفقون عليه ، وفى تأمير مثل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، فلا شك فى أنه أتم زهدًا أو أعزب عن جميع معانى الدنيا يقينا ممن أخذ منها [مما] أبيح له أخذه ، فصح بالبرهان الضرورى أن أبا بكر رضى الله عنه أزهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده ، وقال هذا القائل وكان على أكثرهم صدقة .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة بالباطل لأنه لم يحفظ لعلى مشاركة ظاهرة بالمال وأما أمر أبى بكر رضى الله عنه فى انفاق ماله فى سبيل الله عز وجل فأشهر من أن يخفى على اليهود والنصارى فكيف على المسلمين ؟ ثم لعثمان بن عفان رضى الله عنه فى هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ما ليس لغيره ، فصح أن أبا بكر أعظم صدقه وأكثر مشاركة وغنى فى الإسلام ، بماله من على رضى الله عنه .

وقالوا على هو السابق إلى الإسلام ولم يعبد قط وثنا .

قال أبو محمد : أما السابقة فلم يقل قط أحد يعتد به أن عليًا مات وله أكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلا شك سنة أربعين من الهجرة ، فصح أنه كان حين هاجر[١٩٧] النبى ﷺ ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت مدة النبى ﷺ بمكة فى النبوة ثلاث عشرة سنة فَبعث عليه السلام ولعلى عشرة أعوام ، فإسلام ابن عشرة أعوام ودعاؤه إليه إنما هو كتدريب المرء ولده الصغير على الدين لا أن عنده غناء ، ولا أن عليه إثما إن أبى ، فإن أخذ الأمر على قول من قال إن عليا مات وله ثمان وخمسون سنة ، فإنه كان إذ بعث النبى ﷺ ابن خمسة أعوام ، وكان إسلام أبى بكر ابن ثمان وثلاثين سنة ، وهو الإسلام المأمور به من عند الله عز وجل ، وأما من لم يبلغ الحلم فغير مكلف ولا مخاطب فسابقة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما بلا شك أسبق من سابقة على ، وأما عمر فإن كان إسلامه تأخر بعد البعث بستة أعوام فإن غناءه كان أكثر من عناء أكثر من أسلم قبله ولم يبلغ على حد التكليف إلا بعد أعوام من مبعث النبى ﷺ ، وبعد أن أسلم كثير من الصحابة رجال ونساء بعد أن عذبوا فى الله تعالى ولقوا فيه الألاقى وأما كونه لم يعبد قط[١٩٨] وثنا فنحن وكل مولود فى الإسلام لم نعبد قط وثنًا ، وعمار والمقداد[١٩٩] وسلمان[٢٠٠] وأبو ذر ، وحمزة ،

---

(١٩٧) ق (خ) : (هجرة) .

(١٩٨) سقط من (أ) (قط) .

(١٩٩) المقداد بن عمرو ، يعرف بابن الأسود ، الكندى الحضرمى أبو معبد ، صحابى من الأبطال . أول من قاتل على فرس فى سبيل الله ، وكان فى الجاهلية من سكان حضرموت ، شهد بدرًا وغيرها وسكن المدينة وتوفى على مقربة منها سنة ٣٣ هـ . (الاصابة ت ٨١٨٥) .

(٢٠٠) سلمان الفارسى ، صحابى ، كان يسمى نفسه سليمان الإسلام ، أصله من مجوس أصبهان ، عاش عمراً طويلًا ، قرأ كتب الفرس —

وجعفر ، رضى الله عنهم قد عبدوا الأوثان أفترانا أفضل منهم من أجل ذلك ؟ معاذ الله من هذا ، فإنه لا يقوله مسلم ، فبطل أن يكون هذا يوجب لعلى فضلا [على أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، ولو كان ذلك يوجب له فضلًا][٢٠١] زائدا لكانت عائشة سابقة لعلى رضى الله عنهما فى هذا الفضل ، لأنها كانت إذ هاجر النبى ﷺ بنت ثمانى سنين وأشهر ، ولم تولد إلا بعد إسلام أبيها[٢٠٢] بسنين ، وعلى ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبى ﷺ بسنين ، وعبد الله بن عمر أيضا أسلم أبوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثنا ، فهو شريك لعلى فى هذه الفضيلة .

وقال بعضهم على كان أسوسهم .

قال أبو محمد : وهذا باطل لا خفاء به على مؤمن ولا كافر ، فقد درى البعيد والقريب والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من ساس[٢٠٣] الإسلام إذ كفر من كفر من أهل الأرض بعد موت النبى وأذعن الجميع للتقيه[٢٠٤] وقبول ما دعت إليه العرب حاشا أبا بكر ، فهل ثبت أحد ثبات أبى بكر على كَلَب العدو وشدة الخوف .. ؟ حتى دخلوا فى الإسلام أفواجا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تَهُلْه جموعهم ولا تضافرهم ولا قله أهل الإسلام حتى أنار الله الإسلام وأظهره ، ثم هل ناطح كسرى وقيصر على أسرة ملكهما حتى أخضع حدود فارس والروم ، وصرع جلودهم[٢٠٥] ونكس راياتهم وأظهر الإسلام فى أقطار الأرض وَذَلّ الكفر وأهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم ، واستغنى فقيرهم ، وصاروا اخوة لا اختلاف بينهم وقرأوا القرآن ، وتفقهوا فى الدين إلا أبو بكر[٢٠٦].. ؟ ثم ثنى عمر ثم ثلث عثمان ثم قد رأى الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين ، وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسيوف ، وشك بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الألوف ، وشغلهم بذلك عن أن يفتح من بلاد الكفر قرية أو يذعر لهم سرب ، أو يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيرا مما صار بأيدى المسلمين من بلادهم ، فلم يجتمع المسلمون إلى اليوم[٢٠٧] فأين سياسة من سياسة ؟

قال أبو محمد : فإذ قد بطل كلما ادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا إلا على دعاوى ظاهرة الكذب لا دليل على صحة شىء منها وصح بالبرهان كما أوردنا أن أبا بكر هو الذى فاز بالقدح

← واليهود ، وقصد بلاد العرب وقابل الرسول - ﷺ وأسلم ، وجعل أميرًا على المدائن فاقام بها إلى أن توفى عام ٣٦ هـ له فى كتب الحديث ٦٠ حديثًا . (طبقات ابن سعد جـ ٤ ص ٥٣) .

(٢٠١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٠٢) فى (خ) : أبويها .

(٢٠٣) فى (أ) : (سائر) وهو تحريف .

(٢٠٤) فى (أ) : (للبقية) .

(٢٠٥) جلودهم : جمع جَلْد وهو القوى - وفى الأصل : جدودهم بدالين .

(٢٠٦) كان ينبغى أن يأتى بالاستثناء (إلا أبو بكر) بعد قوله : واستغنى فقيرهم حتى يستقيم الأسلوب .

(٢٠٧) فى (أ) : (القيامة) وهو تحريف .

المعلى ، والسبق المبرز ، والحظ الأسنى ، فى العلم والقرآن والجهاد ، والزهد والتقوى والخشية ، والصدقة والعتق والمشاركة ، والطاعة والسياسة . فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبى ﷺ .

قال أبو محمد : ولم نحتج عليهم بالأحاديث لأنهم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق أحاديثهم وإنما اقتصرنا على البراهين الضرورية بنقل الكواف ، فإن كانت الإمامة تُستَحق بالتقدم فى الفضل فأبو بكر أحق الناس بها بعد موت رسول الله ﷺ يقينا ، فكيف والنص على خلافته صحيح .. ؟ وإذ قد صحت إمامة أبى بكر رضى الله عنه فطاعته فرض فى استخلافه عمر رضى الله عنه فوجبت إمامة عمر فرضا بما ذكرنا ، وباجماع أهل الإسلام عليهما دون خلاف من أحد قطعا ، ثم أجمعت الأمة كلها أيضا بلا خلاف من أحد منهم على صحة إمامة عثمان والدينونة بها ، وأما خلافة على فحق لا بنص ولا بإجماع لكن ببرهان سنذكره إن شاء الله فى الكلام فى حروبه .

قال أبو محمد : ومن فضائل أبى بكر المشهورة قوله عز وجل « إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا(٢٠٨)» .

فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد فى أنه أبو بكر ، فأوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة فى اخراجه مع رسول الله ﷺ فى أنه خصه باسم الصحبة له ، وبأنه ثانيه فى الغار ، وأعظم من ذلك كله أن الله معهما ، وهذا ما لا يلحقه فيه أحد .

قال أبو محمد : فاعترض فى هذا بعض أهل القحة فقال : قد قال الله عز وجل : فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا(٢٠٩)» .

قال : وقد حزن أبو بكر فنهاه رسول الله ﷺ عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى فى الآية لصاحبه وهو يحاوره قد أخبر الله تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر ، وبأنهما مختلفان ، فإنما سماه صاحبه فى المحاورة والمجالسة فقط .

كما قال تعالى : « وإلى مدين أخاهم شعيبا(٢١٠)» .

فلم يجعله أخاهم فى الدين لكن فى الدار والنسب ، فليس هكذا قوله تعالى — إذ يقول

---

(٢٠٨) سورة التوبة آية رقم ٤٠

(٢٠٩) سورة الكهف آية رقم ٣٤ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) بقوله : إذ .

(٢١٠) سورة الأعراف آية رقم ٨٥

لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، بل جعله صاحبه فى الدين والهجرة ، وفى الاخراج وفى الغار ، وفى نصرة الله تعالى لهما وإخافة الكفار لهما ، وفى كونه تعالى معهما ، فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غاية النقص بنص القرآن ، وأما حزن أبى بكر رضى الله عنه فإنه قبل أن ينهاه عنه[٢١١] رسول الله ﷺ كان غاية الرضا لله ، لأنه كان اشفاقا على رسول الله ﷺ ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم ، وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله ﷺ عن الحزن ولو كان لهؤلاء الأرذال حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا إذ لو كان حزن أبى بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله ﷺ عيبا ، لأن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام « سنشد عَضُدَكَ بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون[٢١٢] » .

ثم قال تعالى عن السحرة إنهم قالوا لموسى « إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى[٢١٣] » فهذا رسول الله ﷺ وكليمه قد كان أخبره الله عز وجل بأن فرعون وملأه لا يصلون إليه ، وأن موسى ومن اتبعه هو الغالب ، ثم أوجس فى نفسه خيفة بعد ذلك إذ رأى أمر السحرة حتى أوحى الله عز وجل إليه لا تخف ، فهذا أمر أشد من أمر أبى بكر وإذا لزم ما يقول هؤلاء الفساق أبا بكر وحاشا لله أن يلزمه من أن حزنه لو كان رضا لما نهاه رسول الله ﷺ لزم أشد منه لموسى عليه السلام وأن إيجاسه الخيفة فى نفسه لو كان رضا لله تعالى ما نهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا ، بل إيجاس موسى الخيفة فى نفسه لم يكن إلا نسيان الوعد المتقدم ، وحزن أبى بكر رضى الله عنه رضا لله تعالى قبل أن ينهى عنه ، ولم يكن تقدم إليه نهى عن الحزن ، وأما محمد ﷺ فإن الله عز وجل قال « ومن كفر فلا يحزنك كفره[٢١٤] » .

وقال تعالى : « ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون[٢١٥] » .

وقال تعالى : « فلا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا[٢١٦] » .

وقال تعالى : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات[٢١٧] » .

وقال تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا[٢١٨] » .

---

(٢١١) سقط من (أ) (عنه) .
(٢١٢) سورة القصص آية رقم ٣٥
(٢١٣) سورة طه آية رقم ٦٦
(٢١٤) سورة لقمان آية رقم ٢٣
(٢١٥) سورة النحل آية رقم ١٢٧
(٢١٦) سورة يونس آية رقم ٦٥
(٢١٧) سورة فاطر آية رقم ٨
(٢١٨) سورة الكهف آية رقم ٦

ووجدناه عز وجل قد قال : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون[٢١٩] » .

وقاله أيضا فى الأنعام فهذا الله تعالى أخبرنا أنه يعلم أن رسول الله ﷺ يحزنه الذى يقولون ، ونهاه عز وجل عن ذلك نصا ، فيلزمهم فى حزن رسول الله ﷺ الذى نهاه الله تعالى عنه كالذى أرادوا فى حزن أبى بكر سوآء سواء . ونعم إن حزن رسول الله ﷺ بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل أن ينهاه الله عز وجل [وما حزن عليه السلام بعد أن نهاه ربه تعالى عن الحزن ، كما كان حزن أبى بكر طاعة لله عز وجل قبل أن ينهاه الله عز وجل عن الحزن][٢٢٠] وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه عليه السلام عن الحزن ، فكيف وقد يمكن أن يكون أبو بكر لم يحزن يومئذ .. ؟ !! لكن نهاه عليه السلام عن أن يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام « ولا تطع منهم آثما أو كفورا[٢٢١] » .

فنهاه عن أن يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم ، وهذا إنما يعترض به أهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال .

قال أبو محمد : واعترض علينا بعض الجهال ببعثة رسول الله ﷺ على بن أبى طالب خلف أبى بكر رضى الله عنهما فى الحجة التى حجها أبو بكر ، وأخذ برآءة من أبى بكر ، وتولى على تبليغها إلى أهل الموسم وقراءتها عليهم .

قال أبو محمد : وهذا من أعظم فضائل أبى بكر لأنه كان أميرًا على على بن أبى طالب وغيره من أهل الموسم ، لا يدفعون إلا بدفعة ولا يقفون إلا بوقوفه ولا يصلون إلا بصلاته ، وينصتون إذا خطب وعلى فى الجملة كذلك ، وسورة براءة وقع فيها فضل أبى بكر رضى الله عنه وذكره فى أمر الغار وخروجه مع النبى ﷺ وكون الله تعالى معهما فقراءة على لها أبلغ فى إعلان فضل أبى بكر على على ، وعلى سواه ، وحجة لأبى بكر قاطعة وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : إلا أن ترجع الروافض إلى إنكار القرآن والنقص منه والزيادة فيه ، فهذا أمر يظهر فيه قحتهم وجهلهم وسخفهم ، إلى كل عالم وجاهل ، فإنه لا يمترى كافر ولا مؤمن فى أن هذا الذى بين اللوحين من الكتاب هو الذى أتى به محمد ﷺ وأخبرنا بأنه أوحاه الله تعالى إليه فمن تعرض [إلى][٢٢٢] هذا فقد أقر بعين عدوه .

قال أبو محمد : وما يعترض إمامة أبى بكر إلا زارٍ على رسول الله ﷺ ، رادٍ لأمره فى

---

(٢١٩) سورة الأنعام آية رقم ٣٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .
(٢٢٠) ما بين القوسين سقط من (خ) .
(٢٢١) سورة الإنسان آية رقم ٢٤ .
(٢٢٢) سقط من (أ) إلى .

تقديمه أبا بكر إلى الصلاة بأهل الإسلام ، مريدٍ لازالته عن مقام أقامة فيه رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : ولسنا من كذبهم فى تأويلهم « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً[٢٢٣] » .

وأن المراد بذلك على رضى الله عنه بل هذا لا يصح بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك .

قال أبو محمد : فصح بما ذكرنا فضل أبى بكر على جميع الصحابة رضى الله عنهم بعد نساء النبى ﷺ بالبراهين المذكورة ، وأما الأحاديث فى ذلك فكثيرة كقول رسول الله ﷺ فى أبى بكر « دَعُوا لِى صَاحِبى فَإِنَّ النَّاسَ قَالُوا كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْر صَدَقْتَ[٢٢٤] » .

وقوله ﷺ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخذًا خَليلًا لاتخذتُ أَبا بَكْرٍ خَليلًا ولكنَّه أَخِى وَصَاحِبى[٢٢٥] » .

وهذا الذى لا يصح غيره ، وأما إخوة على فلا تصح إلا مع سهل بن حنيف ، ومنها أمره ﷺ بسد كل باب وخوخه فى المسجد حاشا خوخة أبى بكر . وهذا هو الذى لا يصح غيره .

ومنها غضبه ﷺ على من خارج أبا بكر وعلى من أشار عليه بغير أبى بكر للصلاة ومنها قوله ﷺ : « إن من أمنَّ الناسِ علىَّ فى ماله أبا بكر[٢٢٦] » وعمدتنا فى تفضيل أبى بكر ثم عمر على جميع الصحابة بعد نساء النبى ﷺ هو قول رسول الله ﷺ إذ سئل من أحب الناس إليك يا رسول الله . قال : عائشة . قيل فمن الرجال ؟ قال : أبوها . قيل ثم من يا رسول الله ؟ قال : عمر » .

قال أبو محمد : فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولو زادنا رسول الله ﷺ بيانا لزدنا لكنا لا نقول فى شىء من الدين إلا بما جاء به النص .

قال أبو محمد : واختلف الناس فيمن أفضل أعثمان أم على رضى الله عنهما ؟

---

(٢٢٣) سورة الإنسان آية رقم ٨

(٢٢٤) الحديث رواه البخارى ١٧ و ١٨ فى فضائل أصحاب النبى - ﷺ باب قول النبى - ﷺ . لو كنت متخذًا خليلًا وفى تفسير سورة الأعراف باب : قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا . ولفظه : هل أنتم تاركون لى صاحبى ؟ هل أنتم تاركون لى صاحبى ..؟ إنى قلت : يا أيها الناس إنى رسول الله عليكم جميعًا ، فقلتم كذبت وقال أبو بكر : صدقت .

(٢٢٥) الحديث رواه مسلم رقم ٢٣٨٣ فى فضائل الصحابة : باب مناقب أبى بكر الصديق - رضى الله عنه ، والترمذى رقم ٣٦٥٦ فى المناقب باب مناقب أبى بكر الصديق - رضى الله عنه ولفظه : لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكنه أخي وصاحبى .

(٢٢٦) لفظ الحديث : قال رسول الله - ﷺ : « مِنْ أمن الناس على فى ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذًا خليلًا ، لاتخذت أبا بكر حليلًا ولكن أخوة الإسلام ، لا تبقين فى المسجد خوخه إلا خوخة أبى بكر » رواه البحارى ومسلم رقم ٢٣٨٢ فى فضائل أبى بكر والترمذى رقم ٣٦٦١ باب مناقب أبى بكر - رضى الله عنه .

قال أبو محمد : والذى يقع فى نفوسنا دون أن نقطع به ولا نخطىء من خالفنا فى ذلك فهو أن عثمان أفضل من على ، والله أعلم ، لأن فضائلهما تتقاوم فى الأكثر فكان عثمان أقرأ وكان على أكثر فتيا ورواية .

ولعلى أيضا حظ قوى فى القراءة ، ولعثمان أيضا حظ قوى فى الفتيا والرواية ، ولعلى مقامات عظيمة فى الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ، ثم انفرد عثمان بأن رسول الله ﷺ بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان فى بيعة الرضوان ، وله هجرتان وسابقة قديمة وصهر مكرم[٢٢٧] محمود ولم يحضر بدرًا فألحقه الله عز وجل فيهم بأجره التام وسهمه ، فألحقه بمن حضرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات فى الإسلام عظيمة لم تكن لعلى ، وسيرة فى الإسلام هادية ، ولم يتسبب بسفك دم مسلم ، وجاءت فيه آثار صحاح ، وأن الملائكة تستحى منه[٢٢٨] وأنه ومن اتبعه على الحق والذى صح من فضائل على فهو قول النبى ﷺ : « أَنْتَ مِنِى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِى . » وقوله عليه السلام : « لَأُعْطِيَّنَ الرَّايَةَ غِدًا رَجُلًا يُحِبُ اللهَ وَرَسُولَه وَيُحِبُه اللهُ وَرَسُولُه[٢٣٠] » وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام : أَنَّ عَلِيًا لا يُحِبُه إِلَّا مُؤْمِنْ وَلَا يَبْغَضُه إِلَّا مُنَافِق[٢٣١] » وقد صح مثل هذه فى الأنصار رضى الله عنهم أنه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الآخر » وأما من كنت مولاه فعلى مولاه » فلا يصح من طريق الثقات أصلا . وأما سائر الأحاديث التى تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها .

قال أبو محمد : ونقول ففضل[٢٣٢] المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب قطعا إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه كعثمان بن عفان ، وعثمان بن مظعون ، وعلىّ وجعفر ، وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وسعد وزيد بن حارثة ، وأبى عبيدة وبلال ، وسعيد بن زيد وعمار بن ياسر ، وأبى سلمة وعبد الله

---

(٢٢٧) ى (خ) : (مكرر) .

(٢٢٨) الحديث أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان رضى الله عنه ولفظه : ألا أستحى ممّن تستحى منه الملائكة .

(٢٢٩) الحديث رواه البخارى فى المغازى باب غزوة تبوك ، وفى فضائل أصحاب النبى ﷺ باب مناقب على ومسلم رقم ٢٤٠٤ فى فضائل أصحاب النبى والترمذى رقم ٣٧٣١ فى المناقب ، باب مناقب على - رضى الله عنه - ولفظه : أنت منى بمنزلة هارون من موسى .

(٢٣٠) الحديث رواه مسلم رقم ٢٤٠٤ فى فضائل الصحابة باب من فضائل على بن أبى طالب - رضى الله عنه والترمذى رقم ٣٧٢٦ فى المناقب ، باب مناقب على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ولفظه : لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله قال : فتطاولنا ، فقال : ادعو لى عليًا فأتى به أرمد فبصق فى عيبيه ، ودفع الراية إليه ففتح الله عليه .

(٢٣١) الحديث أخرجه الترمذى رقم ٢٧١٩ فى المناقب باب مناقب على بن أبى طالب - رضى الله عنه - واسناده ضعيف ولكن يشهد له حديث والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى إلىّ أنه لا يحبنى إلا مؤمن ، ولا يبغضنى إلا منافق . أخرجه مسلم والترمذى والنسائى .

(٢٣٢) ى (أ) : تفضل - وهو تحريف .

ابن جحش وغيرهم من نظرائهم . ثم بعد هؤلاء أهل العقبة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل المشاهد كلها مشهدًا مشهدًا . فأهل كل مشهد أفضل من أهل المشهد الذى بعده حتى يبلغ الأمر إلى أهل[٢٣٣] الحديبية ، فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا كلهم[٢٣٤] على الإيمان والهدى والبر ، كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار ألبتة ، لقول الله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم[٢٣٥] » . وكقوله عز وجل : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم[٢٣٦] » .

قال أبو محمد : فمن أخبرنا أن الله عز وجل أنه علم ما فى قلوبهم رضى الله عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، فلا يحل لأحد التوقف فى أمرهم ، ولا الشك فيهم ألبتة ، ولقول رسول الله ﷺ « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر[٢٣٧] » ولإخباره عليه السلام .. أنه لا يدخل النار أحد شهد بدرًا . ثم نقطع على أن كل من صحب رسول الله ﷺ بنية صادقة ولو ساعة فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب إلا أنهم لا يلحقون بمن أسلم قبل الفتح وذلك لقول الله عز وجل .. لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى[٢٣٨] » .

وقال تعالى : « وعد الله لا يخلف الله وعده[٢٣٩] » .

وقال تعالى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون[٢٤٠] » فصح بالضرورة أن كل من انفق من قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبة[٢٤١] لتفضيل الله تعالى إياهم ، والله تعالى لا يفضل إلا مؤمنا فاضلا ، وأما من أنفق بعد الفتح وقاتل فقد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول الله ﷺ فكيف نحن .

---

(٢٣٣) فى (أ) : سقطت كلمة (أهل) .

(٢٣٤) سقط من (أ) كلهم .

(٢٣٥) سورة الواقعة آية رقم ١٠

(٢٣٦) سورة الفتح آية رقم ١٨

(٢٣٧) الحديث رواه مسلم فى المنافقين ١٢ ورواه الترمذى فى المناقب ٥٨ ، والدارمى فى الصلاة ٢٢٢ ولفظه عند مسلم : وكلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر ، فأتيناه فقلنا له تعالى يستغفر لك رسول الله - ﷺ - إلخ .. وصاحب الجمل الأحمر : هو : الجد ابن قيس .

(٢٣٨) سورة الحديد آية رقم ١٠

(٢٣٩) سورة الروم آية رقم ٦

(٢٤٠) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٣

(٢٤١) فى (أ) : عينه .

قال الله تعالى « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم[٢٤٢].

قال أبو محمد : فلهذا لم نقطع على كل امرىء منهم بعينه لكن نقول : كل من لم يكن منهم من المنافقين فهو من أهل الجنة يقينا ، لأنه قد وعدهم الله تعالى الحسنى كلهم ، وأخبر أنه لا يخلف وعده . وأن من سبقت له الحسنى فهو مبعد من النار لا يسمع حسيسها ، ولا يحزنه الفزع الأكبر ، وهو فيما اشتهى خالد . وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل أنه رضى عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليًا ، وطلحة ، والزبير ، وعمار ، والمغيرة بن شعبة ، رضى الله عنهم من أهل هذه الصفة ، والخوارج ، والروافض ، قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البراءة منهم ، خلافا لله عز وجل ، وعنادًا له . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : فهذا قولنا فى الصحابة رضى الله عنهم فأما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على عينهم واحدا واحدًا إلا من بان منه احتمال المشقة فى الصبر للدين ، ورفض الدنيا لغير عرض[٢٤٣] استعجله ، إلا اننا لا ندرى على ماذا مات ، وإن بلغنا الغاية فى تعظيمهم ، وتوقيرهم ، والدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم ، لكن نتولاهم جملة قطعًا ، ونتولى كل إنسان منهم بظاهره ، ولا نقطع على أحد منهم بجنة ، ولا نار . لكن نرجو لهم ، ونخاف عليهم إذ لا نص فى إنسان منهم بعينه ولا يحل الاخبار عن الله عز وجل إلا بنص من عنده . لكن نقول : كما قال رسول الله ﷺ : خيركم القرن الذى بعثت فيه ثم الذى يلونهم ثم الذى يلونهم[٢٤٤].. » ومعنى هذا الحديث إنما هو أن[٢٤٥] كل قرن من هذه القرون التى ذكر عليه السلام أكثر فضلا بالجملة من القرن الذى بعده . لا يجوز غير هذا ألبتة .

وبرهان ذلك أنه قد كان فى عصر التابعين من هو أفسق الفاسقين كمسلم بن عقبة المرى وحبيش بن دكخة القينى ، والحجاج بن يوسف الثقفى وقتلة عثمان ، وقتلة الزبير وقتلة الحسين رضى الله عنهم ، ولعن قتلتهم ومن بعثهم فمن خالف قولنا[٢٤٦] فى هذا الخبر لزمه أن يقول : ان هؤلاء

(٢٤٢) سورة التوبة آية رقم ١٠١

(٢٤٣) فى (أ) : غرض .

(٢٤٤) الحديث رواه البخارى فى الشهادات ٩ وفضائل الصحابة ١ وأيمان ١٠ ورواه الترمذى فى الفتن ٤٥ والشهادات ٤ والمناقب ٥٦ وابن ماجه فى الأحكام ٢٧ وأحمد بن حنبل فى المسند حـ ١ ص ٢٧٨ ولفظه عند ابن ماجه « سئل رسول الله – ﷺ – أى الناس خير .. ؟ قال : قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يجىء قوم تبدو شهادةُ أحدهم يمينه ويمينه شهادته » .

(٢٤٥) سقط من (أ) أن .

(٢٤٦) فى (خ) : بزيادة (معنى) .

الفساق الأخابث أفضل من كل فاضل فى القرن الثالث ومن بعده ، كسفيان الثورى[٢٤٧] والفضيل ابن عياض[٢٤٨] ومسعر بن كدام[٢٤٩] وشعبة[٢٥٠] ومنصور بن المعتمر[٢٥١] ومالك[٢٥٢] والأوزاعى[٢٥٣] والليث[٢٥٤] وسفيان بن عيينه[٢٥٥] ووكيع[٢٥٦] وابن المبارك[٢٥٧] والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه ، وداود بن على رضى الله عنهم ، وهذا ما لا يقوله أحد وما يبعد أن يكون فى زماننا وفيمن يأتى بعدنا من هو أفضل من أفضل[٢٥٨] رجل من التابعين عند الله عز وجل ، إذ لم يأت فى المنع من ذلك نص ولا دليل أصلا ، والحديث المأثور فى أويس القرنى لا يصح لأن مداره على أسيد ابن جابر وليس بالقوى ، وقد ذكر شعبة أنه سأل عمرو بن مرة وهو كوفى قرنى مرادى من أشرف

---

(٢٤٧) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من بنى ثور من مضر أبو عبد الله ، أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيّد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ولد سنة ٩٧ هـ بالكوفة ، ورواه المنصور العباسى على أن يلى الحكم فأبى وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة مات بالبصرة مختفيًا من المهدى سنة ١٦١ هـ له من الكتب « الجامع الكبير والجامع الصغير وكتاب فى الفرائض » . طبقات ابن سعد حـ ٦ ، ص ٢٥٧ .

(٢٤٨) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على . شيخ الحرم المكى ، من أكابر العلماء الصالحين ، كان ثقة فى الحديث ، أخذ عنه الإمام الشافعى ، ولد فى سمرقند سنة ١٠٥ هـ ودخل الكوفة وأصله منها ثم سكن مكة وتوفى بها عام ١٨٧ هـ : شذرات الذهب حـ ٨ ص ٢٢٣

(٢٤٩) مسعر بن كدام بن ظهير الهلالى العامرى الرواس ، أبو سلمة من ثقات أهل الحديث ، كوفى ، كان يقال له « المصحف » لعظمة الثقة بما يرويه وكان مرجئا وعنده نحو ألف حديث وخرج له الستة توفى بمكة سنة ١٥٢ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ١٠ ص ١١٣) .

(٢٥٠) شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدى أبو بسطام من أئمة رجال الحديث ، ولد بواسط عام ٨٢ هـ قال الإمام أحمد ، هو أمة وحده فى هذا الشأن وقال الشافعى : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، له كتاب الغرائب فى الحديث . (تهذيب التهذيب حـ ٤ ص ٣٣٨) .

(٢٥١) منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمى أبو عتاب من أعلام رجال الحديث من أهل الكوفة . لم يكن فيها أحفظ للحديث منه وكان ثقة ثبتا توفى سنة ١٣٢ هـ . (التهذيب حـ ١ ص ٣١٢) .

(٢٥٢) مالك بن أنس بن مالك أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكيه ولد سنة ٩٣ هـ بالمدينة سأله المنصور أن يضع كتابًا للناس يحملهم على العمل به فصنف الموطأ وله رسالة فى الرد على القدرية . توفى سنة ١٧٩ هـ . (الوفيات حـ ١ ص ٤٣٩) .

(٢٥٣) الأوزاعى : عبد الرحمن بن عمرو من قبيلة الأوزاع أبو عمرو إمام الديار الشامية فى الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين ولد فى بعلبك ونشأ فى البقاع وسكن بيروت ، وعرض عليه القضاء فامتنع له كتاب السنن فى الفقه والمسائل توفى سنة ١٥٧ هـ . (الوفيات حـ ١ ص ٢٧٥) .

(٢٥٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، إمام أهل مصر فى عصره حديثًا وفقهًا ، أصله من خراسان ومولده فى قلقشنده سنة ٩٤ هـ وكان من الكرماء الأجواد ، قال الشافعى : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به . لابن حجر كتاب : الرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية . توفى بالقاهرة عام ١٧٥ هـ . (وفيات الأعيان حـ ١ ص ٤٣٨) .

(٢٥٥) سفيان بن عيينه بن ميمون الهلالى الكوفى أبو محمد . محدث الحرم المكى من الموالى ، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ وسكن مكة . كان حافظًا ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، حج سبعين مرة له كتاب فى التفسير ، وآخر فى الحديث توفى سنة ١٩٨ هـ . (تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ٢٤٢) .

(٢٥٦) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسبى ، أبو سفيان . حافظ للحديث ، ثبت كان محدث العراق فى عصره ، ولد بالكوفة سنة ١٢٩ هـ ، وأراد أن يوليه الرشيد قضاء الكوفة فامتنع ورعًا وكان يصوم الدهر له كتب منها تفسير القرآن والسنن ، والمعرفة ، والتاريخ توفى سنة ١٩٧ هـ . (تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ٢٨٢) .

(٢٥٧) ابن المبارك : هو عبد الله بن المبارك بن واضح التميمى أبو عبد الرحمن الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات أفنى عمره فى الأسفار حاجًا ، ومجاهدًا وتاجرًا ، وجمع الحديث والفقه والعربية ، كان من سكان خراسان ومات بهيت على الفرات منصرفًا من غزو الروم عام ١٨١ هـ له كتاب فى الجهاد ، والرقائق . (تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ٢٥٣) .

(٢٥٨) سقط من (أ) (من أفضل) .

مراد وأعلمهم بهم عن أويس القرنى فلم يعرفه فى قومه ، وأما الصحابة رضى الله عنهم فخلاف هذا ولا سبيل إلى أن يلحق أقلهم درجة أحد من أهل الأرض ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وذهب بعض الروافض إلى أن لذوى قرابة رسول الله ﷺ فضلا بالقرابة فقط ، واحتج بقول الله تعالى : إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض[٢٥٩]» .

وبقوله عز وجل « قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى[٢٦٠]» وبقوله تعالى « وابعث فيهم رسولا منهم[٢٦١]» .

قال أبو محمد : وهذا كله لا حجة فيه ، أما اخباره تعالى بأنه اصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين . فإنه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما ان يعنى كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء أو يعنى مؤمنى أهل بيت إبراهيم وعمران[٢٦٢] لا يجوز غير هذا لأن آذر والد إبراهيم عليه السلام كان كافرا عدوا لله لم يصطفه الله تعالى الا لدخول النار ، فإن أراد الوجه الذى ذكرنا لم نمانعه ولا ننازعه فى أن موسى وهارون من آل عمران ، وان اسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف من آل إبراهيم مصطفون على العالمين ، فأى حجة هاهنا لبنى هاشم .؟

فإن ذكروا الدعاء المأمور به وهو ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد .

فالقول فى هذا كما قلنا ولا فرق ، وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلى عليهم إن صلاتك سكن لهم[٢٦٣]» .

وقال رسول الله ﷺ : اللهم صل على آل أبى أوفى[٢٦٤] فهذا هو الدعاء لهم بالصلاة على كل مؤمن ومؤمنة بلا خلاف ، وكذلك الدعاء فى التشهد المفترض فى كل صلاة من قول المصلى[٢٦٥]: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهذا السلام على كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنوا هاشم وغيرهم فى اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم وبالسلام عليهم ولا فرق ، وقال تعالى : « وبشر

(٢٥٩) سورة آل عمران آية رقم ٣٣
(٢٦٠) سورة الشورى آية رقم ٢٣
(٢٦١) سورة البقرة آية رقم ١٢٩
(٢٦٢) فى (أ) : وعمر ، أن : وهو تحريف .
(٢٦٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣
(٢٦٤) الحديث رواه البخارى فى الدعوات ٣٢ وأبو داود فى الزكاة ٧ والنسائى فى الزكاة ١٣ وابن ماجه فى الزكاة ٨ وأحمد بن حنبل ٣٥٣/٤ ، ٣٥٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٣
(٢٦٥) فى (أ) : المصطفى

الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون[٢٦٦] فوجبت صلوات الله تعالى على كل مؤمن صابر واستوى فى هذا كله بنو هاشم وقريش والعرب والعجم من كان جميعهم بهذه الصفة ، وأيضا فيلزم من احتج بقوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين[٢٦٧]» أن يقول : إن من أسلم من الهارونيين من اليهود أفضل من بنى هاشم ، وأشرف وأولى بالتقديم ، لأنه من آل عمران ومن آل إبراهيم وفيهم ورد النص .

قال أبو محمد : فصح يقينا أن الله عز وجل إنما أراد بذلك الأنبياء عليهم السلام فقط وبيَّن هذا بيانا جليا قول الله عز وجل حاكيا عن ابراهيم عليه السلام أنه قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين . « فسوى الله تعالى بين الظالمين[٢٦٨]» من ذرية إبراهيم عليه السلام وبين[٢٦٩] الظالمين من ذرية غيره وقال عز وجل : إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا[٢٧٠]» [النبى عليه السلام][٢٧١] فخص الله تعالى بولاية إبراهيم عليه السلام ومن اتبع إبراهيم كائنا من كان فدخل فى هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فضل .

وأما قول الله عز وجل « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى[٢٧٢]» . فهذا حق على ظاهره ، وإنما أراد عليه السلام من قريش أن يودوه لقرابته[٢٧٣] منهم ولا يختلف أحد من الأمة فى أنه عليه السلام لم يرد قط من المسلمين أن يودوا أبا لهب وهو عمه ولا شك فى أنه عليه السلام أراد من المسلمين مودة بلال ، وعمار ، وصهيب[٢٧٤]، وسلمان ، وسالم ، مولى أبى حذيفة[٢٧٥]، وأما قوله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام « وابعث فيهم رسولًا منهم[٢٧٦]» فقد قال عز وجل « وإن من أمة

---

(٢٦٦) سورة البقرة آية رقم ١٥٥
(٢٦٧) سورة آل عمران آية رقم ٣٣
(٢٦٨) ما بين القوسين من (أ) .
(٢٦٩) فى (أ) : سقط « وبين » .
(٢٧٠) سورة آل عمران آية رقم ٦٨
(٢٧١) ما بين القوسين سقط من (أ) .
(٢٧٢) سورة الشورى آية رقم ٢٣
(٢٧٣) فى (أ) : بزيادة « واو » وهو تحريف .
(٢٧٤) صهيب بن سنان بن مالك من بنى النمر من قاسط : صحابى ومن أرمى العرب سهمًا أحد السابقين إلى الإسلام ، كانت منازل قومه فى أرض الموصل اختطف وبيع فى مكة ، احترف التجارة ، أسلم وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها له ٣٠٧ حديثًا وتوفى بالمدينة سنة ٣٨ هـ . (طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٦١) .
(٢٧٥) سالم مولى أبى حذيفة : هو سالم بن معقل ، أبو عبد الله ، مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . صحابى من كبارهم فارس الأصل ، اعتقته ثبيتة زوج أبى حذيفة صغيرًا وتبناه أبو حذيفة وزوجه ابنة أخ له وهو من السابقين إلى الإسلام وفى الحديث خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، شهد بدرًا وكان معه لواء المهاجرين يوم اليمامة وقتل فيها سنة ١٢ هـ . (الاصابة ت ٣٠٥٢) .
(٢٧٦) سورة البقرة آية رقم ١٢٩

إلا خلا فيها نذير[٢٧٧]» وقال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم[٢٧٨]» فاستوت الأمم كلها فى هذه الدعوة بأن يبعث فيهم رسولا منهم ممن هم قومه ، فإن احتج محتج بالحديث الثابت الذى فيه : إن الله اصطفى كنانه من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانه ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم[٢٧٩]» (فمعناه ظاهر وهو أنه تعالى اختار كونه عليه الصلاة والسلام من بنى هاشم وكون بنى هاشم من قريش ، وكون قريش من كنانه وكون كنانة من بنى إسماعيل كما اصطفى أن يكون موسى من بنى لاوى ، وأن يكون بنو لاوى من بنى إسحاق عليه السلام ، وكل نبى من عشيرته التى هو منها ، ولا يجوز غير هذا ألبتة ، ونسأل من أراد هذا الحديث على غير هذا المعنى أيدخل أحد من بنى هاشم أو من قريش أو من كنانة أو من بنى[٢٨٠] إسماعيل النار أم لا ؟ فإن انكروا هذا كفروا ، وخالفوا الإجماع والقرآن والسنن ، وقد قال عليه السلام ، أبى وأبوك فى النار ، وأن أبا طالب فى النار[٢٨١]» .

وجاء القرآن بأن أبا لهب فى النار ، وسائر كفار قريش فى النار ، كذلك قال الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ما له وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب[٢٨٢]» .

فإذا أقر بأنه قد يدخل النار منهم من يستحق أن يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس .

قال أبو محمد : ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسول الله ﷺ : يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا[٢٨٣]» .

---

(٢٧٧) سورة فاطر آية رقم ٢٤

(٢٧٨) سورة ابراهيم آية رقم ٤

(٢٧٩) الحديث رواه مسلم فى الفضائل رقم ١ والترمذى فى المناقب رقم ١ ورواه احمد بن حنبل حـ ٤ ص ١٠٧ ولفظه عند مسلم : إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بن هاشم واصطفانى من بنى هاشم .

(٢٨٠) فى (أ) : سقط (بنى) .

(٢٨١) الحديث رواه أبو داود فى كتاب السنة فى باب ذرارى المشركين رقم ٤٧١٨ ولفظه عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول الله ، أين أبى ؟ قال « أبوك فى النار » فلما قفى قال : إن أبى وأباك فى النار » .

(٢٨٢) سورة المسد آيات من ١ - ٣

(٢٨٣) الحديث رواه البخارى فى الوصايا ١١ » وتفسير سورة ٣٦ ، والمناقب ١٣ ورواه مسلم فى الإيمان ٣٥١ والنسائى فى الوصايا ٦ والدارمى فى الرقاق ٢٣ ولفظه عند البخارى : يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب ... الخ .

وأبين من هذا كله قول الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم[٢٨٤]» .

وقوله تعالى : لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم[٢٨٥]» .

وقوله تعالى : « واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئا[٢٨٦]» .

وقال تعالى : « وذكر عادًا وثمودًا وقوم نوح وقوم لوط » .

ثم قال : أكفاركم خير أم أولئكم أم لكم براءة فى الزبر[٢٨٧]» .

فصح ضرورة انه لا ينتفع أحد بقرابته من رسول الله ﷺ ، ولا من نبى من الأنبياء والرسل ، عليهم السلام . ولو أن النبى ابنه أو أبوه أو أمه بنية .

وقد نص الله تعالى : فى ابن نوح ووالد ابراهيم وعم محمد – على رسل الله الصلاة والسلام – ما فيه الكفاية .

وقد نص الله تعالى على أن من انفق من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، فصح ضرورة أن بلالًا ، وصهيبًا ، والمقداد ، وعمارًا وسالمًا ، وسلمان ، أفضل من العباس ، وبنيه عبد الله ، والفضل[٢٨٨]، وقثم[٢٨٩] ومعبد[٢٩٠]، وعبيد الله[٢٩١]، وعقيل بن أبى طالب[٢٩٢]، والحسن والحسين ، رضى الله عن جميعهم . بشهادة الله تعالى ، فإذ هذا لا شك فيه

---

(٢٨٤) سورة الحجرات آية رقم ١٣

(٢٨٥) سورة الممتحنة آية رقم ٣

(٢٨٦) سورة لقمان آية رقم ٣٣

(٢٨٧) سورة القمر آية رقم ٤٣

(٢٨٨) الفضل بن العباس ، وكان اكبر ولده وبه كان يكنى ، وكان جميلًا وأردفه رسول الله ﷺ فى حجته ومات فى الشام فى طاعون عمواس وليس له عقب . طبقات ابن سعد حـ ٤ ص ٦ .

(٢٨٩) قُثَم بن العباس كان يشبه النبى – ﷺ – وكان خرج إلى خراسان مجاهدًا فمات بسمرقند وليس له عقب . طبقات ابن سعد حـ ٤ ص ٦ .

(٢٩٠) ومَعْبَد قتل بافريقيا شهيدًا وله عقب وأمه : أم الفضل وهى لبابة الكبرى بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر وفيها وفى أولادها يقول الشاعر : ما ولدت نجيبة من فحل بجبل تعلمه أو سهل كستة من بطن أم الفضل اكرم بها من كهلة وكهل . طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٦ .

(٢٩١) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو محمد والى كان أصغر من أخيه عبد الله نسبه رأى النبى – ﷺ – ولم يرو عنه شيئا واستعمله على على اليمن فحج بالناس سنة ٣٦ هـ وسنة ٣٧ هـ أورد له البغدادى أخبارًا حسانًا فى الجود توفى سنة ٨٧ هـ . خزانة البغدادى حـ ٣ ص ٢٥٦ .

(٢٩٢) عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب كنيته أبو يزيد ، أعلم قريش بأيامها وأنسابها ، صحابى فصيح اللسان ، شديد الجواب – وهو أخو على وجعفر لأبيهما ، بقى على الشرك إلى أن كانت غزوة بدر فأحرجته قريش للقتال كرهًا فشهدها معهم وأسره المسلمون ففداه العباس فرجع إلى مكة ثم أسلم بعد الحديبيه وهاجر إلى المدينة سنة ٨ هـ وشهد غزوة مؤته توفى سنة ٦٠ هـ . الاصابة ت ٥٦٣٠ .

ولا جزاء فى الآخرة إلا على عمل ولا ينتفع عند الله تعالى بالارحام ، ولا بالولادات وليست الدنيا دار فضل[٢٩٣] ولا جزاء فلا فرق بين هاشمى وقرشى ، وعربى وعجمى ، وحبشى وابن زنجية لغير[٢٩٤] الكرم والفوز لمن اتقى الله عز وجل .

حدثنا محمد بن سعيد بن بيان ، أنبأنا أحمد بن عبد الله البصير ، حدثنا قاسم بن اصبغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا سفيان الثورى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، عن حسان بن فايد العبسى قال قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « كرم الرجل دينه ، وحسبه خلقه ، وإن كان فارسيًا أو نبطيًا » .

---

(٢٩٣) سقط من (أ) كلمة فضل .
(٢٩٤) سقط من (أ) لغير .

الكلام فى حرب على
ومن حاربه من الصحابة رضى الله عنهم .

قال أبو محمد : اختلف الناس فى تلك الحرب على ثلاث فرق ، فقال جميع الشيعة وبعض المرجئة ، وجمهور المعتزلة ، وبعض أهل السنة ، أن عليا كان المصيب فى حربه ، وكل من خالفه على خطأ .

وقال واصل بن عطاء[1]، وعمرو بن عبيد ، وأبو الهذيل ، وطوائف من المعتزلة أن عليا مصيب فى قتاله معاوية ، وأهل النهر ، ووقفوا فى قتاله مع أهل الجمل ، وقالوا : إحدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف أيهما هى . وقالت الخوارج : على المصيب فى قتاله أهل الجمل ، وأهل صفين ، وهو مخطىء فى قتاله أهل النهر .

وذهب سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وجمهور الصحابة إلى الوقوف[2] فى على ، وأهل الجمل ، وأهل صفين ، وبه يقول جمهور أهل السنة ، وأبو بكر بن كيسان .

وذهب جماعة من الصحابة ، وخيار التابعين ، وطوائف ممن بعدهم ، إلى تصويب محاربى على من أصحاب الجمل ، وأصحاب صفين ، وهم الحاضرون لقتاله فى اليومين المذكورين ، وقد أشار إلى هذا أيضا أبو بكر بن كيسان .

قال أبو محمد : أما الخوارج ، فقد أوضحنا خطأهم ، وخطأ أسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بإنكار تحكيم على الحكمين ، فسنتكلم فى ذلك إن شاء الله تعالى كما تكلمنا فى سائر أحكامهم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) هو واصل بن عطاء الغزال ، أبو حذيفه من موالى بنى ضبه أو بنى مخزوم رأس المعتزله ، ومنهم طائفه تنسب إليه تسمى « الواصليه » ، وهو الذى نشر مذهب الاعتزال وله سنة ٨٠ هـ ومن كتبه « أصناف المرجئه » « والمنزلة بين المنزلتين » وطبقات أهل العلم توفى عام ١٣١ هـ وفيات الأعيان ٢ : ١٧٠ .

(٢) فى (ب) : التوقف .

وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق ، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه ، وذكروا أيضا أحاديث فى ترك القتال فى الاختلاف سنذكر لكم جملتها إن شاء الله تعالى فلم يبق إلا الطائفة المصوبة لعلى فى جميع حروبه ، والطائفة المصوبة ، لمن حاربه من أهل الجمل وأهل صفين .

قال أبو محمد : احتج من ذهب إلى تصويب محاربى على يوم الجمل ويوم صفين بأن قال : إن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما فالطلب بأخذ القَوَد من قاتليه فرض . قال عز وجل : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا[٣] » .

وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان[٤] » .

قالوا : ومن آوى الظالمين فهو إما مشارك لهم ، وإما ضعيف عن أخذ الحق منهم ، وقالوا : وكلا الأمرين حجة فى اسقاط إمامة[٥] من فعل ذلك ووجوب حربه .

قالوا : وما أنكروا على عثمان إلا أقل من هذا ، من جواز انفاذ أشياء بغير علمه ، فقد ينفذ مثلها سرًا ولا يعلمها أحد إلا بعد ظهورها .

قالوا : وحتى لو أن كل ما أنكر على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من أحد ، من أهل الإسلام لأنهم إنما أنكروا عليه استيثارًا بشىء يسير من فَضَلات الأموال ، لم تجب لأحد بعينه فمنعها ، وتولية أقاربه فلما شكوا إليه عز لهم وأقام الحد على من استحقه ، وأنه صرف الحَكَم ابن أبى العاص[٦] إلى المدينة ، ونفى رسول الله ﷺ للحكم لم يكن حدًا واجبًا ، ولا شريعة على التأبيد ، وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى ، والتوبة مبسوطة ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام ، وصارت الأرض كلها له[٧] مباحة ، وأنه ضرب عمارا خمسة أسواط ، ونفى أبا ذر إلى الربذة . وهذا كله لا يبيح الدم .

قالوا : وايوآء على المحدثين أعظم الأحداث من سفك الدم الحرام فى حرم رسول الله ﷺ ، لاسيما دم الإمام ، وصاحب رسول الله ﷺ أعظم ، والمنع من إنقاذ الحق عليهم أشد ، من كل ما ذكرنا بلا شك .

---

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٣٣

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢

(٥) فى (أ) : إمامته على .

(٦) هو الحكم بن أبى العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف عم عثمان بن عفان وأبو مروان بن الحكم ، كان من مسلمة الفتح وأخرجه رسول الله من المدينة وطردة عنها فنزل الطائف ، وخرج معه ابنه مروان فلم يزل الحكم بالطائف إلى أن ولى عثمان فرده إلى المدينة توفى فى آخر خلافة عثمان .

(٧) سقط من (أ) (له) .

قالوا : وامتناع معاوية من بيعة على ، كامتناع على من بيعة أبى بكر ، فما حاربه أبو بكر ، ولا أكرهه ، وأبو بكر أقدر على علىّ من علىّ على معاوية ، ومعاوية فى تأخره عن بيعة على أعذر ، وأفسح مقالا من على فى تأخره عن بيعة أبى بكر ، لأن عليًا لم يمتنع من بيعة أبى بكر أحد من المسلمين غيره ، بعد أن بايعه الأنصار ، والزبير ، وأما بيعة على فإن جمهور الصحابة تأخروا عنها ، إما عليه وإما لا لله ولا عليه ، وما تابعه منهم[٨] إلا الأقل سوى أزيد من مائة ألف مسلم بالشام ، والعراق ، والحجاز كلهم امتنع من بيعته فهل معاوية إلا كواحد من هؤلاء فى ذلك .؟

وأيضًا فإن بيعة على لم تكن على عهد من النبى ﷺ كما كانت بيعة أبى بكر ، ولا عن اجماع من الأمة كما كانت بيعة عثمان . ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمر ، ولا بسوق[٩] بائن فى الفضل على غيره لا يختلف فيه[١٠] ولا عن شورى ، فالقاعدون عنها بلا شك ومعاوية من جملتهم – أعذر من على ، فى قعوده عن بيعة أبى بكر ستة أشهر حتى رآى البصيرة ، وراجع الحق عليه فى ذلك .

قالوا : فإن قلتم خفى على علىّ نص رسول الله ﷺ على أبى بكر : قلنا : لكم لم يخف عليه بلا شك تقديم رسول الله ﷺ أبا بكر إلى الصلاة ، وأمره عليًا بأن يصلى وراه فى جماعة المسلمين ، فتأخره عن بيعة أبى بكر سعى منه فى حطه عن مكان جعله رسول الله ﷺ حقا لأبى بكر ، وسعى منه فى فسخ نص رسول الله ﷺ على تقديمه إلى الصلاة ، وهذا أشد من رد إنسان نفاه رسول الله ﷺ لذنب ثم تاب منه ، وأيضا فإن عليا قد تاب ، واعترف بالخطأ لأنه إذ بايع أبا بكر بعد ستة أشهر تأخر فيها عن بيعته لا يخلو ضرورة من أحد وجهين : إما أن يكون مصيبا فى تأخره فقد أخطأ إذ بايع ، أو يكون مصيبا فى بيعته فقد أخطأ إذ تأخر عنها قالوا : « والممتنعون من بيعة على لم يعترفوا قط بالخطأ على أنفسهم فى تأخرهم عن بيعته قالوا :[١١] فإن كان فعلهم خطأ فهو أخف[١٢] من الخطأ فى تأخر على عن بيعة أبى بكر ، وإن كان فعلهم صوابا فقد برئوا من الخطأ جملة ، قالوا : والبون بين طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وعلى ، خفى جدا ، فقد كانوا فى الشورى معه لا يبدو له فضل تفوق عليهم[١٣]، ولا على واحد منهم ، وأما البون بين على وأبى بكر أبين وأظهر ، فهم من امتناعهم عن بيعته أعذر لخفاء التفاضل . قالوا : وهلا

---

(٨) فى (أ) : فيهم .

(٩) بسق النخل طال ، وبابه دخل ، ومنه قوله تعالى : « والنخل باسقات » .

(١٠) سقط من (أ) فيه .

(١١) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .

(١٢) فى (ح) : (أخفى) .

(١٣) فى (أ) : (شفوق) وهو تحريف .

فعل على فى قتلة عثمان كما فعل بقتلة[١٤] عبد الله بن خبَّاب بن الأرت[١٥] فإن القضيتين استويا فى التحريم ، فالمصيبة فى قتل عثمان فى الإسلام وعند الله عز وجل وعلى المسلمين أعظم جرمًا وأوسع خرقا ، وأشنع إثما ، وأهول فيقا[١٦] من المصيبة ، فى قتل عبد الله بن خبَّاب ، قالوا وفعله فى طلب دم[١٧] عبد الله بن خباب يقطع حجة من تأول على علىّ أنه يمكن أن يكون لا يرى قتل الجماعة بالواحد .

قال أبو محمد : هذا كل ما يمكن أن تحتج به هذه الطائفة قد تقصيناه ، ونحن إن شاء الله تعالى متكلمون على ما ذهبت إليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق فى ذلك بعون الله تعالى وتأييده .

قال أبو محمد : نبدأ بعون الله عز وجل بإنكار الخوارج التحكيم .

قال أبو محمد : قالوا حكم علىٌّ الرجالّ فى دين الله تعالى ، والله عز وجل قد حرم ذلك بقوله .. إن الحكم إلا لله[١٨]» .

وبقوله تعالى : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله[١٩]» .

قال أبو محمد : ما حكم على رضى الله عنه قط رجلا فى دين الله ، وحاشاه من ذلك وإنما حكَّم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه ، وإنما اتفق القوم كلهم إذ رفعت المصاحف على الرماح ، وتداعوا إلى ما فيها على الحكم بما أنزل الله عز وجل فى القرآن ، وهذا هو الحق الذى لا يحل لأحد غيره لأن الله تعالى يقول : فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر[٢٠]» .

فإنما حكم على رضى الله عنه أبا موسى وعَمْرًا رضى الله عنهما ليكون كل واحد منهما مدليا بحجة من قدمه ، وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن أوجب القرآن الحكم له ، وإذ من المحال الممتنع الذى لا يمكن أن يفهم ، لغط العسْكَرين أو أن يتكلم جميع أهل العسكر بحجتهم ، فصح يقينا لا محيد عنه صواب على فى تحكيم الحكمين والرجوع إلى ما أوجبه القرآن ،

---

(١٤) فى (خ) : فى قتله .

(١٥) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمى أبو يحيى أبو عبد الله ، صحابى من السابقين إلى الإسلام قيل أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر اسلامه كان فى الجاهلية يعمل السيوف شهد المشاهد كلها ونزل بالكوفه فمات بها عام ٣٧ هـ وله ٧٣ سنة . الاصابة ١ : ٤١٦ .

(١٦) فيقًا : شدة .

(١٧) سقط من (خ) (دم) .

(١٨) سورة الأنعام آية رقم ٥٧

(١٩) سورة الشورى آية رقم ١٠

(٢٠) سورة النساء آية رقم ٥٩

وهذا الذى لا يجوز غيره ، ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعرابًا قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا فى السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ، لا من أصحاب ابن مسعود ، ولا أصحاب عمر ، ولا أصحاب على ، ولا أصحاب عائشة ، ولا أصحاب أبى موسى ، ولا أصحاب معاذ بن حنبل ، ولا أصحاب أبى الدرداء ، ولا أصحاب سلمان ، ولا أصحاب زيد ، وابن عباس ، وابن عمر ، ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها ، فظهر ضعف القوم ، وقوة جهلهم ، وأنهم أنكروا ما قام البرهان الذى أوردنا بأنه حق ، ولو لم يكن من جهلهم إلا قرب[٢١] عهدهم بخبر الأنصار يوم السقيفة ، وإذ عانهم رضى الله عنهم مع جميع المهاجرين ، لوجوب[٢٢] الأمر فى قريش دون الأنصار ، وغيرهم وأن عهدهم بذلك قريب منذ خمسةٍ وعشرين عاما وأشهر ، وجمهوروهم أدرك ذلك بِسُنَّة ، وثبت عند جميعهم كثبات أمر النبى ﷺ ولا فرق ، لأن الذين نقلوا إليهم أمر رسول الله ﷺ ونقلوا إليهم القرآن ، والشرائع ، فدانوا بكل ذلك هم بأعيانهم لا زيادة فيهم ولا نقص ، نقلوا إليهم خبر السقيفة ، ورجوع الأنصار إلى أن الأمر لا يكون إلا فى قريش ، وهم يقرون ويقرأون قوله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى[٢٣]» .

وقوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا[٢٤]» الآية .

وقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا[٢٥]» .

ثم أعماهم الشيطان وأضلهم الله تعالى على علم ، فحلوا بيعة مثل على ، وأعرضوا عن مثل سعيد بن زيد ، وسعد ، وابن عمر ، وغيرهم ممن انفق من قبل الفتح وقاتل ، وأعرضوا عن سائر الصحابة الدين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، ووعدهم الله الحسنى ، وتركوا من يقرون بأن الله تعالى عز وجل علم ما فى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، ورضى عنهم ، وبايعوا الله وتركوا جميع الصحابة ، وهم الأشداء على الكفار ، الرحماء بينهم ، الركع السجد المبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، المثنى عليهم فى التوراة ، والإنجيل ، من عند الله

---

(٢١) ف (أ) : لأقرب وهو تحريف .
(٢٢) ف (أ) : (لوجب) .
(٢٣) سورة الحديد آية رقم ١٠
(٢٤) سورة الفتح آية رقم ٢٩
(٢٥) سورة الفتح آية رقم ١٨

عز وجل الذين غاظ الله بهم الكفار المقطوع على أن باطنهم فى الخير كظاهرهم ، لأن الله عز وجل شهد بذلك فلم يبايعوا أحدًا منهم ، وبايعوا شيث بن ربعى مؤذن سجاح أيام ادعت النبوة بعد موت النبى ﷺ ، حتى تداركه الله عز وجل ففر عنهم ، وتبين له ضلالهم فلم يقع اختيارهم إلا على عبد الله بن وهب الراسبى اعرابى بوال على عقبيه لا سابقة له ولا صحبة ، ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط ، فمن أضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان أحد أئمته ذو الخويصرة الذى بلغه ضعف عقله ، وقلة دينه إلى تجويره رسول الله ﷺ فى حكمه ، والاستدراك عليه ورأى نفسه أورع من رسول الله ﷺ هذا وهو يُقِرُّ أنه رسول الله ﷺ إليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ، ولولاه لكان حمارًا أو أضل ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأما الطائفة المصوبة للقاعدين فإن من لم يلح له الحق منهم فإنما يكلم حتى يبين له الحق ، فيلزمه المصير إليه ، فنقول وبالله تعالى التوفيق : إنه قد صح ووجب فرض الإمامة بما ذكرنا قبل فى إيجاب الإمامة وإذ هى فرض فلا يجوز تضييع الفرض ، وإذ ذلك كذلك فالمبادرة إلى تقديم إمام عند موت الإمام فرض واجب ، وقد ذكرنا وجوب الائتام بالامام فإذ هذا كله كما ذكرنا ، فإذ مات عثمان رضى الله عنه وهو الإمام ففرض إقامة إمام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا إمام . فإذ بادر على فبايعه واحد من المسلمين فصاعدا فهو إمام قائم ففرض طاعته لاسيما ولم تتقدم بيعته بيعةٌ ، ولم ينازعه الإمامة أحد جملة[٢٦]، فهذا أوضح وأوجب فى وجوب إمامته وصحة بيعته ، ولزوم إمرته للمؤمنين ، فهو الإمام بحقه ، وما ظهر منه قط إلى أن مات رضى الله عنه شىء يوجب نقض بيعته ، وما ظهر منه قط إلا العدل ، والجد ، والبر ، والتقوى ، والخير[٢٧] كما لو سبقت بيعة طلحة ، أو الزبير ، أو سعد ، أو سعيد ، أو من يستحق الإمامة لكانت أيضا بيعة حق لازمة لعلى ولغيره ، ولا فرق ، فعلى مصيب فى الدعاء إلى نفسه وإلى الدخول تحت إمامته وهذا برهان لا محيد عنه ، وأما أم المؤمنين ، والزبير ، وطلحة ، رضى الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة على ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحه تحطه عن الإمامة ، ولا أحدثوا إمامةً أخرى ولا جددوا بيعة لغيره — هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه ، بل يقطع كل ذى علم على أن كل ذلك لم يكن ، فإذ لا شك فى كل هذا فقد صح صِحَةً ضرورية لا أشكال فيها ، أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب على ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته — هذا ما لا يشك فيه أحد ، ولا ينكره أحد ، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث فى الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ظلما ، ولم يكن نهوض علىٍّ إلى البصرة

---

(٢٦) فى (أ) : (أحد ما) .
(٢٧) سقط من (أ) (الخير) .

لقتالهم لكن موافقا لهم على ذلك ليقوى بهم وتجتمع الكلمة على قتلة عثمان رضى الله عنه[٢٨]، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغه[٢٩] والتدبير عليهم ، فبيتوا[٣٠] عسكر طلحة والزبير ، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم ، فَرَدِعُوا حتى خالطوا عسكر على ، فدفع أهله عن أنفسهم ، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها[٣١] بالقتال فاختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان — لعنهم الله[٣٢] — لا يَفْتُرون من شب[٣٣] الحرب ، واضرامها فكلتا الطائفتين مصيبة فى غرضها ، ومقصدها ، مدافعة عن نفسها ، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها وأتى طلحة سهم غائر ، وهو قائم لا يدرى حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحًا فى ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدى رسول الله ﷺ فانصرف ومات من وقته رضى الله عنه ، وقتل الزبير رضى الله عنه بوادى السباع ، على أقل من يوم من البصرة ، فهكذا كان الأمر .

وكذلك كان قتل عثمان رضى الله عنه إنما حاصره المصريون ، ومن لف لفهم يريدونه على إسلام مروان إليهم ، وهو رضى الله عنه يأبى من ذلك ، ويعلم أنه إن أسلمه قتل دون تثبت فهم على ذلك ، وجماعات من الصحابة فيهم الحسن ، والحسين ، أبناء على ، وعبد الله بن الزبير ، ومحمد ابن طلحة ، وأبو هريرة وعبد الله بن عمر ، فى نحو سبعمائة من الصحابة وغيرهم معه فى الدار يحمونه ، وينفلتون إلى القتال فيردعهم تثبتا إلى أن تسوروا عليه من خوخة ، فى دار ابن حزم الأنصارى جاره غيلة فقتلوه ، ولا خبر من ذلك عند أحد .

لعن الله من قتله ، والراضين بقتله ، فما رضى أحد منهم قط بقتله ، ولا علموا أنه يراد قتله ، لأنه لم يأت منه شىء يبيح الدم الحرام ، وأما قول : من قال إنه رضى الله عنه أقام مطروحًا على مزبلة ثلاثة أيام فكذب بحت ، وإفك موضوع ، وتوليد من لا حياء فى وجهه ، بل قتل عشية ودفن من ليلته رضى الله عنه .

شهد دفنه طائفة من الصحابة وهم جبير بن مطعم[٣٤] وأبو الجهم بن حذيفة[٣٥] وعبد الله ابن الزبير ومكرم بن سياد وجماعة غيرهم ، هذا ما لا يتمارى فيه أحد ممن له علم بالأخبار ، ولقد

---

(٢٨) سقط من (أ) ما بين القوسين .
(٢٩) فى (أ) : الاراغه بالعين المعجمه وهو تحريف إذ أنها من أراعه .
(٣٠) فى (أ) : (فبينوا) بالنون وهو تحريف .
(٣١) فى (أ) : (بدأ بها) وهو تحريف .
(٣٢) سقط من (أ) (لعنهم الله) .
(٣٣) فى (أ) : شن .
(٣٤) جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى . أبو عدى : صحابى كان من علماء قريش وساداتهم توفى بالمدينة . وعده الجاحظ من كبار النسابين له ٦٠ حديثًا وكانت وفاته عام ٥٩ هـ . الاصابة ١ : ٢٣٥
(٣٥) وما رواه ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى يقرر أن أبا جهم بن حذيفة هذا قد أسلم يوم فتح مكة ، ومات بعد قتل عمر ابن الخطاب ، ومفهوم هذا القول أنه لم يشهد مقتل عثمان رضى الله عنه . (راجع الطبقات الكبرى : ٥ ص ٣٣٣ ط دار الشعب) بالقاهرة .

أمر رسول الله ﷺ برمى أجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر فى القليب ، وألقى التراب عليهم وهم شر خلق الله تعالى ، وأمر عليه السلام أن يحفر أخاديد لقتلى يهود قريظة ، وهم شر من وارته الأرض ، فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين ، فكيف يجوز لذى حياء فى وجهه أن ينسب إلى على وهو الامام ومن بالمدينة من الصحابة أنهم تركوا رجلا ميتا ملقى بين أظهرهم على مزبلة ثلاثة أيام(٣٦) لا يوارونه ..؟ ولا يبالى مؤمنا كان أو كافرا أو فاسقًا(٣٧) ولكن الله يأبى إلا أن يفضح الكذابين بألسنتهم ، ولو فعل هذا على لكانت جرحة فيه(٣٨) لأنه لا يخلو أن يكون عثمان كافرًا ، أو فاسقًا ، أو مؤمنا ، فإن كان كافرًا أو فاسقا عنده ، فقد كان فرضا على على أن يفسخ أحكامه فى المسلمين ، فإذ لم يفعل فقد صح أنه كان مؤمنا عنده ، فكيف يجوز أن ينسب ذو حياء إلى على أنه ترك مؤمنًا مطروحًا ميتا على مزبلة لا يأمر بمواراته ؟ أم كيف يجوز أن يظن به أنه أنفذ أحكام كافر أو فاسق على أهل الإسلام ؟ ما أحد أسوأ ثناء على على من هؤلاء الكذبة الفجرة .

قال أبو محمد : ومن البرهان على صحة ما قلناه إن من الجهل الفاضح أن يظن ظان أن عليا رضى الله عنه بلغ من التناقض فى أحكامه واتباع الهوى فى دينه والجهل أن يترك سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، ورافع بن خديج ، ومحمد بن مسلمة ، وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فلا يَجْبُرهم عليها وهم معه فى المدينة وغيرها ، نعم والخوارج وهم يصيحون فى نواحى المسجد بأعلا أصواتهم بحضرته ، وهو على المنبر فى مسجد الكوفة ، لا حكم إلا الله ، لا حكم إلا الله ، فيقول لهم رضى الله عنه : لكم علينا ثلاث لا نمنعكم المساجد ، ولا نمنعكم حقكم من الفىء ، ولا نبدءوكم بقتال ولم يبدء هم بحرب حتى قتلوا عبد الله بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك(٣٩) حتى دعاهم إلى أن يسلموا إليه قتلة عبد الله بن خباب فلما قالوا كلنا قتله ، قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كله أنه يقاتل أهل الجمل لامتناعهم من بيعته ، هذا إفك ظاهر ، وجنون مختلف وكذب بحت بلا شك .

قال أبو محمد : وأما أمر معاوية رضى الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله على رضى الله عنه لامتناعه من بيعته لأنه كان يسعه فى ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره فى جميع أرض الشام ، وهو الإمام الواجبة طاعته فعلى المصيب فى هذا ، ولم ينكر معاوية قط فضل على واستحقاقه الخلافة لكن اجتهادُه أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القَوَدِ من قتلة عثمان رضى

(٣٦) فى (أ) : سقط (ثلاثة أيام) .
(٣٧) سقط من (أ) (أو فاسقًا) .
(٣٨) سقط من (أ) (فيه) .
(٣٩) فى (خ) : بزيادة « أبدًا » .

الله عنه على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان ، والكلام فيه من ولد عثمان ، وولد الحكم ابن أبى العاص لسنة ولقوته على الطلب بذلك ، كما أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت ، وهو أخو المقتول وقال له : كبر كبر[٤٠]، وروى الكِبرَ الكِبر ، فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصه وحويصة إبنى مسعود ، وهما ابنا عم المقتول لأنهما كانا أسن من أخيه ، فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه ، وأضاف[٤١] فى ذلك الأثر الذى ذكرنا وإنما أخطأ فى تقديمه ذلك على البيعة فقط ، فله أجر الاجتهاد فى ذلك ولا إثم عليه فما حرم من الإصابة كسائر المخطئين فى اجتهادهم الذين أخبر رسول الله ﷺ أن لهم أجرا واحدا وللمصيب أجرين . ولا عجب أعجب ممن يجيز الاجتهاد فى الدماء وفى الفروج ، والأبشار[٤٢]، والأموال ، والشرائع التى يدان الله بها من تحريم وتحليل ، وإيجاب ويَعْذِر المخطئين فى ذلك ويرى ذلك مباحا لليث[٤٣] وأبى حنيفة ، والثورى ، ومالك والشافعى ، وأحمد وداود واسحاق وأبى ثور وغيرهم كزفر وأبى يوسف ، ومحمد وابن الحسن ، والحسن بن زياد ، وابن القاسم واشهب ، وابن الماجشون ، والمزنى وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الإنسان ، وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتل ، أو عمل عمل قوم لوط وغير هذا كثير ، وواحد منهم يبيح هذا الفرج وآخر منهم يحرمه كبكر أنكحها أبوها وهى بالغة عاقلة بغير إذنها ولا رضاها ، وغير هذا كثير ، وكذلك فى الشرائع والأموال والأبشار ، وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم ، وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل ، والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضى الله عنهم ، وإنما اجتهدوا فى مسائل دماء كالتى اجتهد فيها المفتون ، وفى المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم[٤٤] من لا يراه ، وفيهم من يرى قتل الحر بالعبد ، وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر ، وفيهم من لا يراه .

فأى فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما ، لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم .

وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فإنه يجب على الإمام أن يقاتله ، وإن كان متأولًا[٤٥] وليس ذلك بموثر فى عدالته وفضله ، ولا بموجب له فسقا بل هو

(٤٠) كبر كبر : أى اترك الأمر لمن هو اكبر منك سنًا .
(٤١) فى (أ) : واضاف عن ذلك .
(٤٢) فى (أ) : الأنساب .
(٤٣) الأوامر والأنساب من (أ) .
(٤٤) فى (خ) : (ومنهم) .
(٤٥) فى (أ) : متا وهو تحريف .

مأجور لاجتهاده ونيته فى طلب الخير ، فبهذا قطعنا على صواب على رضى الله عنه وصحة امامته ، وأنه صاحب الحق وأن له أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وقطعنا أن معاوية رضى الله عنه ومن معه مخطئون مأجورون أجرا واحدا . وأيضا فالحديث الشريف الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه أخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من أمته يقتلها أولى الطائفتين بالحق ، فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج ، بين أصحاب على وأصحاب معاوية فقتلهم على وأصحابه فصح أنهم أولى الطائفتين بالحق ، وأيضا الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ : تقتل عمارا الفئة الباغية .

قال أبو محمد : المجتهد المخطىء إذا قاتل على ما يرى أنه الحق قاصدا إلى الله تعالى بنيته غير عالم بأنه مخطىء فهو فئة باغية ، وإن كان مأجورا ولا حد عليه إذا ترك القتال ولا قود ، وأما إذا قاتل وهو يدرى أنه مخطىء فهذا محارب تلزمه حدود[٤٦] المحاربة والقود ، وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطىء ، وبيان ذلك قول الله تعالى : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله — إلى قوله : إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم[٤٧]» .

فهذا نص قولنا دون تكلف تأويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية ، وقد سماهم الله عز وجل مؤمنين باغين بعضهم إخوة بعض فى حين تقاتلهم ، وأهل العدل المبغى عليهم والمأمورين بالإصلاح بينهم ، وبينهم ، ولم يصفهم الله عز وجل بفسق من أجل ذلك التقاتل ولا بنقص إيمان ، وإنما هم مخطئون فقط باغون ولا يريد واحد منهم قتل الآخر ، وعمار رضى الله عنه قتله أبو العادية يسار ابن سبع السلمى[٤٨]، شهد بيعة الرضوان ، فهو من شهداء الله له بأنه علم ما فى قلبه ، وأنزل السكينة عليه ورضى عنه ، فأبو العادية رضى الله عنه متأول مجتهد مخطىء فيه باغ عليه مأجور أجرا واحدا ، وليس هذا كقتلة عثمان رضى الله عنه لأنهم لا مجال للاجتهاد فى قتله لأنه لم يقتل أحدا و لا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنا بعد احصان ولا ارتد فيسوغ لمحاربه[٤٩] تأويل ، بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون .

قال أبو محمد : فإذ قد بطل هذا الأمر وصح أن عليا هو صاحب الحق ، فالأحاديث التى فيها التزام البيوت وترك القتال إنما هى بلا شك فيمن لم يلح له يقين الحق أين هو ، وهكذا نقول

---

(٤٦) سقط من (أ) كلمة (حدود) .

(٤٧) سورة الحجرات آية رقم ١٠

(٤٨) يسار بن سبع ، أبو غاديه الجهنى ويقال المزنى قال العقيلى وهو أصح قال أبو عمر : وهو مشهور بكنينه واختلف فى اسمه واسم أبيه قيل اسمه مسلم وقيل اسمه يسار بن سبع وقيل : يسار بن أزهير يقال إنه قاتل عمار سكن واسط وكان يفرط فى حب عثمان . الاستيعاب حـ ٤ ص ١٥٨٢ .

(٤٩) فى (أ) فيسوغ المحاربة تأويل .

فإذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن ، وكذلك إن كانتا معا باغيتين . فقتالهما واجب لأن كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه ﷺ لأنه كله من عند الله عز وجل . قال الله عز وجل : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى[٥٠] » .

وقال عز وجل : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا[٥١] » فصح يقينا أن كل ما قاله رسول الله ﷺ فهو وحى من عند الله عز وجل ، وإذ هو كذلك فليس شىء مما عند الله تعالى مختلفا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فلم يبق إلا الكلام على الوجوه التى اعترض بها من رأى قتال على رضى الله عنه .

قال أبو محمد : فنقول وبالله تعالى التوفيق .

أما قولهم إن أخذ القود واجب من قتلة عثمان رضى الله عنه والمحاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ الساعين فى الأرض بالفساد ، والهاتكين حرمة الإسلام ، والحرم والإمامة والهجرة ، والخلافة والصحبة والسابقة فنعم .

وما خالفهم قط على فى ذلك ولا فى البراءة منهم ، ولكنهم كانوا عددا ضخما جمًّا لا طاقة له عليهم ، فقد سقط عن على رضى الله عنه ما لا يستطيع عليه ، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق ، قال الله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها[٥٢] » وقال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » . ولو أن معاوية بايع عليا لقوى به على أخذ الحق من قتلة عثمان ، فصح أن الاختلاف هو الذى أضعف يد على عن انفاذ الحق عليهم ، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذوه على قتلة عبد الله بن خباب إذ قدر على مطالبة قتلته .

وأما تأسى معاوية فى امتناعه من بيعة على بتأخر على عن بيعة أبى بكر فليس فى الخطأ أسوة ، وعلى قد استقال ورجع وبايع بعد يسير فلو فعل معاوية مثل ذلك لأصاب ولبايع حينئذ بلا شك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من أجل الفرقة ، وأما تقارب ما بين على وطلحة والزبير وسعد فنعم ، ولكن من سبقت بيعته وهو من أهل الاستحقاق للخلافة فهو الإمام الواجبة طاعته فيما أمر به من طاعة الله عز وجل ، سواء كان هنالك من هو مثله أو أفضل منه أو لم

---

(٥٠) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤

(٥١) سورة النساء آية رقم ٨٢

(٥٢) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

يكن[٥٣] كما سبقت بيعة عثمان قبله[٥٤] فوجبت طاعته وإمامته على على[٥٥] وغيره .

ولو بويع هنالك حينئذ وقت الشورى على أو طلحة أو الزبير ، أو عبد الرحمن أو سعد لكان الإمام ، وولزمت عثمان طاعته ، وكذلك إذ قتل عثمان رضى الله عنه ، فلو بدر طلحة أو الزبير أو سعد أو ابن عمر فبويع لكان هو الإمام ولوجبت طاعته على على ، فصح أن عليا هو صاحب الحق والإمام المفترضة طاعته وغيره ، كما اذ بدر على وجبت طاعته ولا فرق ومعاوية مخطىء مأجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو أبين وأوضح من هذا الأمر من أحكام الدين فربما رجع إذا استبان له ، وربما لم يستبن له حتى يموت عليه ، وماتوفيقنا إلا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا إله إلا هو .

قال أبو محمد : فطلب على حقه فقاتل عليه وقد كان له[٥٦] تركه ليجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضى الله عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم به إنذار رسول الله ﷺ إذ قال : « ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من أمتى[٥٧] » .

فغبطه رسول الله ﷺ بذلك .

ومن ترك حقه رغبة فى حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء بعده[٥٨] ومن قاتل عليه ولو أنه فلس فحقه طلب ، ولا لوم عليه ، بل هو مصيب فى ذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥٣) سقطط من (أ) أو لم يكن .
(٥٤) سقط من (أ) قبله .
(٥٥) سقط من (أ) علىٌ .
(٥٦) سقط من (أ) له .
(٥٧) راجع تخريج هذا الحديث ص ١٧٣ من هذا الجزء .
(٥٨) فى (أ) : فيما لا وراء بعده .

فهـرس الآيـات القرآنيـة

رقم مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١	وعصى آدم ربه فغوى .	طه	١٢١	٩
٢	ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .	البقرة	٣٥	٩
٣	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه .	البقرة	٣٧	٩
٤	فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو .	البقرة	٣٦	٩
٥	فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء .	الأعراف	١٩٠	٩
٦	ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .	البقرة	٣٥	١٠
٧	ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين .	الأعراف	٢١	١٠
٨	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما .	طه	١١٥	١٠
٩	لئن آتيتنا صالحًا لنكونن من الشاكرين .	الأعراف	١٨٩	١١
١٠	يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقه وما أغنى عنكم من الله من شيء .	يوسف	٦٧	١١
١١	إن نحن إلا بشر مثلكم .	ابراهيم	١١	١١
١٢	فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين .	هود	٤٦	١٣
١٣	إنى سقيم .	الصافات	٨٩	١٥
١٤	هذا ربى .	الأنعام	٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨	١٥
١٥	بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون .	الأنبياء	٦٣	١٥
١٦	قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .	البقرة	٢٦	١٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٧	إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم .	الحجرات	١٠	١٦
١٨	وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .	الأعراف	٨٥	١٦
١٩	فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم فتولوا عنه مدبرين .	الصافات	٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠	١٦
٢٠	ذق إنك أنت العزيز الكريم .	الدخان	٤٩	١٦
٢١	ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين .	الأنبياء	٥١	١٧
٢٢	فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون .	المطففين	٣٤	١٧
٢٣	وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء .	الأنعام	٨٣	١٧
٢٤	رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .	البقرة	٢٦٠	١٨
٢٥	فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .	التوبة	١١٤	١٨
٢٦	لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد .	هود	٧٨	١٩
٢٧	هؤلاء بناتى هن أطهر لكم .	هود	٧٨	١٩
٢٨	ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .	البقرة	٢٥١	٢٠
٢٩	ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به .	غافر	٣٤	٢١
٣٠	أنتم شر مكانًا .	يوسف	٧٧	٢١
٣١	ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك .	النساء	١٦٤	٢٣
٣٢	أيتها العير إنكم لسارقون .	يوسف	٧٠	٢٥
٣٣	ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه .	يوسف	٢٤	٢٥
٣٤	اذكرنى عند ربك .	يوسف	٤٢	٢٥
٣٥	إنكم لسارقون .	يوسف	١٥	٢٦
٣٦	لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا .	المائدة	٤٨	٢٧
٣٧	فأنساه الشيطان ذكر ربه .	يوسف	٤٢	٢٧
٣٨	وادكر بعد أمة .	يوسف	٤٥	٢٧
٣٩	همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه .	يوسف	٣٤	٢٧
٤٠	وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه .	غافر	٥	٢٨
٤١	ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب .	يوسف	٥٢	٢٨
٤٢	وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء .	يوسف	٥٣	٢٨
٤٣	كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء .	يوسف	٢٤	٢٩

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٤	ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا .	يوسف	٢٥	٢٩
٤٥	وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن .	يوسف	٣٣ ، ٣٤	٢٩
٤٦	وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنًا على قلبها .	القصص	١٠	٣١
٤٧	إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .	القصص	٧	٣١
٤٨	وأخذ برأس أخيه يجره إليه .	الأعراف	١٥٠	٣١
٤٩	قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى .	طه	٩٤	٣١
٥٠	والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين .	الشعراء	٨٢	٣٢
٥١	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .	الفتح	٢	٣٢
٥٢	اقتلت نفسًا ذكية بغير نفس .	الكهف	٧٤	٣٢
٥٣	لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرًا .	الكهف	٧٣	٣٢
٥٤	فعلتها إذًا وأنا من الضالين .	الشعراء	٣٠	٣٣
٥٥	ووجدك ضالاً فهدى .	الضحى	٧	٣٣
٥٦	فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم .	النساء	١٥٣	٣٣
٥٧	رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى .	الأعراف	١٤٣	٣٣
٥٨	وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .	الأنبياء	٨٧	٣٥
٥٩	فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون .	الصافات	١٤٣	٣٥
٦٠	فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم .	القلم	٤٨ ، ٤٩	٣٥
٦١	فالتقمه الحوت وهو مليم .	الصافات	١٤٢	٣٥
٦٢	فظن أن لن نقدر عليه .	الأنبياء	٨٧	٣٦
٦٣	وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه .	الفجر	١٦	٣٦
٦٤	هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان ... إلى قوله : فغفرنا له ذلك .	ص	٢١ — ٢٥	٣٩
٦٥	ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم .	غافر	٧	٤٠
٦٦	وظن داود أنما فتناه .	ص	٢٤	٤٠

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٦٧	مغرفنا له ذلك .	ص	٢٥	٤٠
٦٨	ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب .	ص	٣٤	٤١
٦٩	إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء .	الأعراف	١٥٥	٤١
٧٠	آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .	العنكبوت	١ ، ٢ ، ٣	٤١
٧١	إنى احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها علىَّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق .	ص	٢٢ ، ٢٣	٤٢
٧٢	واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .	الأعراف	١٧٥	٤٣
٧٣	لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .	الأنفال	٦٨	٤٥
٧٤	عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى فأنت عنه تلهى .	عبس	١ - ١٠	٤٥
٧٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا إذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته .	الحج	٥٢	٤٥
٧٦	ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله .	الكهف	٢٣ - ٢٤	٤٥
٧٧	وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .	الأحزاب	٣٧	٤٥
٧٨	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .	الفتح	٢	٤٦
٧٩	لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .			٤٧
٨٠	يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم .	الانفال	١	٤٧
٨١	يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون .	الأنفال	٦	٤٧
٨٢	تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة .	الأنفال	٦٧	٤٧
٨٣	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان .	الحج	٥٢	٤٨
٨٤	ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت .	الكهف	٢٣ - ٢٤	٤٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٠٧	لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم .	يس	٦	٥٨
١٠٨	إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا .	الأحزاب	٥٧	٥٨
١٠٩	ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذًا منظرين .	الحجر	٨	٦١
١١٠	ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا .	الأنعام	٩	٦٢
١١١	ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون .	الأنعام	٨	٦٢
١١٢	وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين .	الفرقان	٢١ ، ٢٢	٦٢
١١٣	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم – إلى قوله .. إنى أخاف الله والله شديد العقاب .	الأنفال	٤٨	٦٣
١١٤	كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين .	الحشر	١٦	٦٣
١١٥	إن هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء .	الأعراف	١٥٥	٦٤
١١٦	آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .	العنكبوت	١	٦٤
١١٧	ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل .	البقرة	١٠٢	٦٤
١١٨	إلا ابليس كان من الجن .	الكهف	٥٠	٦٤
١١٩	افتتخذونه وذريته أولياء من دونى .	الكهف	٥٠	٦٤
١٢٠	إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم .	الأعراف	٢٧	٦٤
١٢١	أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .	البقرة	٣٠	٦٤
١٢٢	فلا تزكوا أنفسكم .	النجم	٣٢	٦٥
١٢٣	اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم .	يوسف	٥٥	٦٥
١٢٤	إنى أعلم ما لا تعلمون .	البقرة	٣٠	٦٥
١٢٥	إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون .	الزخرف	٢٤	٦٧
١٢٦	قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم .	الزخرف	٣٤	٦٧
١٢٧	أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .	البقرة	١٧٠	٦٧
١٢٨	وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا .	الأحزاب	٦٧	٦٨
١٢٩	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٦٨
١٣٠	اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء .	الأعراف	٣	٦٩
١٣١	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٦٩

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٣٢	قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة .	التحريم	٦	٧٠
١٣٣	ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم .	الحجرات	٧ ، ٨	٧٠
١٣٤	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء .	الأنعام	١٢٥	٧٠
١٣٥	بل الله يمن عليكم إن هداكم للإيمان .	الحجرات	١٧	٧٧
١٣٦	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	يونس	٦٢	٨١
١٣٧	من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار .	النمل	٩٠	٨١
١٣٨	والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .	يونس	٢٧	٨١
١٣٩	ومن يعص الله ورسوله ، ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها .	النساء	١٤	٨١
١٤٠	ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما .	النساء	٩٣	٨٢
١٤١	ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا الا من تاب وآمن .	الفرقان	٦٨	٨٢
١٤٢	إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .	النساء	١٠	٨٢
١٤٣	إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة .	النور	٢٣	٨٢
١٤٤	ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .	الأنفال	١٦	٨٢
١٤٥	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا إلى قوله تعالى .. ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .	المائدة	٣٣	٨٢
١٤٦	الذين يأكلون الربا .	البقرة	٢٧٥	٨٢
١٤٧	ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها .	النساء	٩٣	٨٣
١٤٨	لا يصلاها إلا الأشقى ، الذى كذب وتولى .	الليل	١٥	٨٣
١٤٩	إنّ رحمة الله قريب من المحسنين .	الأعراف	٥٦	٨٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٥٠	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٨٣
١٥١	يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .	آل عمران	١٢٩	٨٣
١٥٢	يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا .	الكهف	٤٩	٨٤
١٥٣	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل .	الأنبياء	٤٧	٨٤
١٥٤	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .	الزلزلة	٧ ، ٨	٨٤
١٥٥	وما كان الله ليضيع إيمانكم .	البقرة	١٤٣	٨٤
١٥٦	فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا .	يس	٥٣ ، ٥٤	٨٤
١٥٧	ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب .	إبراهيم	٥١	٨٤
١٥٨	ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .	البقرة	٢٨١	٨٤
١٥٩	لتجزى كل نفس بما تسعى .	طه	١٥	٨٥
١٦٠	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى إلى قوله – الجزاء الأوفى .	النجم	٣٩ : ٤١	٨٥
١٦١	وأن للذين ظلموا عذابا دون ذلك .	الطور	٤٧	٨٥
١٦٢	ليجزى الذين أساءوا بما عملوا .	النجم	٣١	٨٥
١٦٣	هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت .	يونس	٣٠	٨٥
١٦٤	وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم .	هود	١١١	٨٥
١٦٥	وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله .	المزمل	٢٠	٨٥
١٦٦	ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا .	النساء	١٢٣	٨٥
١٦٧	وما يفعلوا من خير فلن يكفروه .	آل عمران	١١٥	٨٥
١٦٨	إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .	النساء	٤٠	٨٥
١٦٩	إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .	آل عمران	١٩٥	٨٥
١٧٠	وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد إلى قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته .	ق	٢١	٨٥
١٧١	ولكن كان فى ضلال بعيد . إلى قوله تعالى .. وما أنا بظلام للعبيد .	ق	٢٢ – ٢٩	٨٥
١٧٢	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه إلى آخر السورة .	القارعة	٦ – ١١	٨٦
١٧٣	إنّ الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٨٦
١٧٤	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٨٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٧٥	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها .	الأنعام	١٦٠	٨٦
١٧٦	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم .	غافر	١٧	٨٦
١٧٧	إنّ الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٨٦
١٧٨	ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها .	الأنعام	١٦٠	٨٧
١٧٩	ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	البقرة	٦٢	٨٧
١٨٠	ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار .	النمل	٩٠	٨٧
١٨١	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم .	النساء	٣١	٨٧
١٨٢	وجزاء سيئة سيئة مثلها .	الشورى	٤٠	٨٧
١٨٣	ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .	الزلزلة	٨	٨٧
١٨٤	لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى .	الليل	١٥	٨٧
١٨٥	ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .	مريم	٧١	٨٨
١٨٦	وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين .	آل عمران	١٤١	٨٨
١٨٧	ومن يولهم يومئذ دبره .	الأنفال	١٦	٨٨
١٨٨	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٨٩
١٨٩	يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله – إن الله يغفر الذنوب جميعا .	الزمر	٥٣	٨٩
١٩٠	بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .	المائدة	١٨	٨٩
١٩١	يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى النفس ولا أعلم ما فى نفسك .	المائدة	١١٦	٨٩
١٩٢	قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة .	الأعراف	١٥٦	٨٩
١٩٣	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارعة	٦ ، ٧	٩٠
١٩٤	هل تجزون إلا ما كنتم تعلمون .	النمل	٩٠	٩٠
١٩٥	اليوم تجزى كل نفس ما كسبت .	غافر	١٧	٩٠
١٩٦	الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم .	النجم	٣٢	٩٠
١٩٧	ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .	آل عمران	١٣٥	٩١
١٩٨	ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٩١
١٩٩	ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما .	النساء	٣١	٩١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٠٠	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية .	القارعة	٦ ، ٧	٩٢
٢٠١	ان الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٩٢
٢٠٢	وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارعة	٦	٩٣
٢٠٣	لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد .	ق	٢٨	٩٣
٢٠٤	وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص .	هود	١٠٩	٩٣
٢٠٥	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٩٤
٢٠٦	أدخلوا آل فرعون أشد العذاب .	غافر	٤٦	٩٤
٢٠٧	إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار .	النساء	١٤٥	٩٤
٢٠٨	ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر .	السجدة	٢١	٩٤
٢٠٩	ما سكلكم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين .	المدثر	٤٠ – ٤٧	٩٤
٢١٠	هل تجزون إلا ما كنتم تعملون .	النمل	٩٠	٩٥
٢١١	لئن أشركت ليحبطن عملك .	الزمر	٦٥	٩٥
٢١٢	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٩٦
٢١٣	قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف .	الأنفال	٣٨	٩٦
٢١٤	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .	النجم	٤	٩٧
٢١٥	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .	النساء	٨٣	٩٧
٢١٦	لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .	آل عمران	١٥٣	٩٨
٢١٧	من يعمل سوء يجز به .	النساء	١٢٣	٩٨
٢١٨	وما كان الله ليضيع إيمانكم .	البقرة	١٤٣	٩٨
٢١٩	وما تفعلوا من خير فلن تكفروه .	آل عمران	١١٥	٩٨
٢٢٠	يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها .	المائدة	١٣٧	٩٨
٢٢١	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما .	النساء	٣١	٩٨
٢٢٢	ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم .	الزمر	٧	١٠٢
٢٢٣	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	١٠٣
٢٢٤	يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .	الرعد	٣٩	١٠٣
٢٢٥	فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات .	الفرقان	٧٠	١٠٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٢٦	لأنذركم به ومن بلغ .	الأنعام	١٩	١٠٥
٢٢٧	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .	الاسراء	١٥	١٠٥
٢٢٨	إنى رسول الله إليكم جميعا .	الاعراف	١٥٨	١٠٦
٢٢٩	أيحسب الإنسان أن يترك سدى .	القيامة	٣٦	١٠٦
٢٣٠	لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .	البقرة	٢٨٦	١٠٦
٢٣١	فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .	الأنبياء	٧	١٠٦
٢٣٢	فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .	التوبة	١٢٢	١٠٧
٢٣٣	يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم – إلى قوله عذاب أليم بما كانوا يكذبون .	البقرة	٩ ، ١٠	١٠٧
٢٣٤	وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا .	طه	٨٢	١٠٧
٢٣٥	فما تنفعهم شفاعة الشافعين .	المدثر	٤٨	١١١
٢٣٦	يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله .	الانفطار	١٩	١١١
٢٣٧	قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا .	الجن	٢١	١١١
٢٣٨	واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة .	البقرة	٤٨	١١١
٢٣٩	من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة .	البقرة	٢٥٤	١١١
٢٤٠	فما لنا من شافعين ولا صديق حميم .	الشعراء	١٠٠	١١١
٢٤١	ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون .	البقرة	١٢٣	١١١
٢٤٢	لتبين للناس ما نزل إليهم .	النحل	٤٤	١١٢
٢٤٣	لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا .	مريم	٨٧	١١٢
٢٤٤	يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا .	طه	١٠٩	١١٢
٢٤٥	ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له .	سبأ	٢٣	١١٢
٢٤٦	من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه .	البقرة	٥٥	١١٢
٢٤٧	وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .	النجم	٢٦	١١٢
٢٤٨	ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون .	الزخرف	٨٦	١١٢
٢٤٩	ما من شفيع إلا من بعد إذنه .	يونس	٣	١١٢
٢٥٠	لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخف عنهم من عذابها .	فاطر	٣٦	١١٣
٢٥١	عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا .	الاسراء	٧٩	١١٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٥٢	قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا .	الجن	٣١	١١٣
٢٥٣	يوم لا تملك نفس لنفس شيئا .	الانفطار	١٩	١١٣
٢٥٤	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى .	الأنبياء	٢٨	١١٣
٢٥٥	وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .	النور	١٥	١١٤
٢٥٦	وكفى بنا حاسبين .	الأنبياء	٤٧	١١٤
٢٥٧	والوزن يومئذ الحق .	الأعراف	٨	١١٤
٢٥٨	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارعة	٦ – ٩	١١٤
٢٥٩	فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا .	الكهف	١٠٥	١١٤
٢٦٠	ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون .	المؤمنون	١٠٣	١١٤
٢٦١	وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .	مريم	٧١	١١٦
٢٦٢	وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين .	الانفطار	١١	١١٦
٢٦٣	إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون .	الجاثية	٢٩	١١٦
٢٦٤	وكل إنسان ألزمناه طائرة فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك .	الاكراء	١٣	١١٦
٢٦٥	إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .	ق	١٧	١١٦
٢٦٦	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .	غافر	١١	١١٧
٢٦٧	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم .	البقرة	٢٨	١١٧
٢٦٨	ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا أنفسكم اليوم .	الأنعام	٩٣	١١٧
٢٦٩	إنما توفون أجوركم يوم القيامة .	آل عمران	١٨٥	١١٨
٢٧٠	النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب .	غافر	٤٦	١١٨
٢٧١	الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم .	البقرة	٢٤٢	١١٨
٢٧٢	منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .	طه	٥٥	١١٨
٢٧٣	أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه .	البقرة	٢٥٩	١١٨
٢٧٤	الله يتوفى الأنفس حين موتها .	الزمر	٤٢	١١٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٧٥	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .	غافر	١١	١١٩
٢٧٦	وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم .	البقرة	٢٨	١١٩
٢٧٧	هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم .	النجم	٣٢	١٢٢
٢٧٨	ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم .	الكهف	٥١	١٢٢
٢٧٩	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .	الأعراف	١٧٢	١٢٢
٢٨٠	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا .	الأعراف	١١	١٢٣
٢٨١	ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى .	القيامة	٣٧	١٢٣
٢٨٢	ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما .	المؤمنون	١٣	١٢٣
٢٨٣	وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم .	الواقعة	٩	١٢٤
٢٨٤	فأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم إن هذا لهو حق اليقين .	الواقعة	٩٣	١٢٤
٢٨٥	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم .	الأعراف	١٧٢	١٢٤
٢٨٦	ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء .	البقرة	١٥٤	١٢٥
٢٨٧	عند ربهم يرزقون .	آل عمران	١٦٩	١٢٥
٢٨٨	رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا .	نوح	٢٧	١٢٧
٢٨٩	انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن .	هود	٣٦	١٢٨
٢٩٠	رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا .	نوح	٢٦	١٢٨
٢٩١	وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت .	التكوير	٨	١٢٩
٢٩٢	لا يسئل عما يفعل .	الأنبياء	٢٣	١٣١
٢٩٣	وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم .	الأحقاف	٩	١٣٢
٢٩٤	إن اتبع إلا ما يوحى إلى .	الأنعام	٥٠	١٣٢
٢٩٥	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت .	غافر	١٧	١٣٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٩٦	هل تجزون إلا ما كنتم تعملون .	النمل	٩٠	١٣٣
٢٩٧	ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تذر وازرة وزر أخرى .	الأنعام	١٦٤	١٣٣
٢٩٨	فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .	الروم	٢٠	١٣٣
٢٩٩	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون .	البقرة	١٣٦ – ١٣٨	١٣٣
٣٠٠	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ، قالوا .. بلى .	الأعراف	١٧٢	١٣٤
٣٠١	إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين .	الحجر	٤٢	١٣٥
٣٠٢	فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى .	الليل	١٥	١٣٥
٣٠٣	من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم .	يس	٧٨	١٣٧
٣٠٤	وأن الله يبعث من فى القبور .	الحج	٧	١٣٧
٣٠٥	رب أرنى كيف تحيى الموتى قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .	البقرة	٢٦٠	١٣٧
٣٠٦	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم .	البقرة	٢٤٣	١٣٧
٣٠٧	فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبث يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام إلى قوله : وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما .	البقرة	٢٥٩	١٣٧
٣٠٨	وأحيى الموتى باذن الله .	آل عمران	٤٩	١٣٨
٣٠٩	ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون .	المؤمنون	١٦	١٣٨
٣١٠	يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا .	يس	٥٢	١٣٩
٣١١	وجنة عرضها السموات والأرض .	آل عمران	١٣٣	١٣٩
٣١٢	فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .	المؤمنون	١٣ ، ١٤	١٣٩
٣١٣	كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب .	النساء	٥٦	١٤٠
٣١٤	رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة .	التحريم	١١	١٤١
٣١٥	عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى .	النجم	١٤	١٤١
٣١٦	فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون .	السجدة	١٩	١٤٢
٣١٧	لا تسمع فيها لاغية .	الفاشية	٢١	١٤٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣١٨	ألا تجوع فيها ولا تعرى .	طه	١١٨	١٤٣
٣١٩	لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرا .	الإنسان	١٣	١٤٣
٣٢٠	اسكن أنت وزوجك الجنة .	الأعراف	١٩ – ٣٥	٢٤٣
٣٢١	وأحصى كل شيء عددا .	الجن	٢٨	١٤٦
٣٢٢	كل شيء هالك إلا وجهه .	القصص	٨٨	١٤٦
٣٢٣	خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ .	هود	١٠٨	١٤٨
٣٢٤	خالدين فيها ابدا .	المائدة	١١٩	١٤٨
٣٢٥	لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى .	الدخان	٥٦	١٤٨
٣٢٦	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .	النساء	٥٩	١٤٩
٣٢٧	لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها .	البقرة	٢٨٦	١٤٩
٣٢٨	فان تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .	النساء	٥٩	١٥٠
٣٢٩	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا .	آل عمران	١٠٥	١٥١
٣٣٠	ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .	الأنفال	٤٦	١٥١
٣٣١	وورث سليمان داود .	النمل	١٦	١٥٥
٣٣٢	فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا .	مريم	٥ ، ٦	١٥٥
٣٣٣	إنك سميع الدعاء .	آل عمران	٣٨	١٥٦
٣٣٤	وإنى خفت الموالى من ورائى .	مريم	٥	١٥٦
٣٣٥	وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين .	آل عمران	٣٩	١٥٦
٣٣٦	وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله .	الأنفال	٧٥	١٥٨
٣٣٧	اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء .	الأعراف	٣	١٦٠
٣٣٨	ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانه فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا .	الاسراء	٣٣	١٧٤
٣٣٩	للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون .	الحشر	٨	١٧٦
٣٤٠	فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا .	التوبة	٨٣	١٧٨
٣٤١	سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل .	الفتح	١٥	١٧٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٤٢	قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وإن توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما .	الفتح	١٦	١٧٩
٣٤٣	إنّ الظن لا يغنى عن الحق شيئا .	يونس	٣٦	١٧٩
٣٤٤	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .	المائدة	٢	١٨٠
٣٤٥	كنتم خير أمة أخرجت للناس .	آل عمران	١١٠	١٨٣
٣٤٦	وأنى فضلتكم على العالمين .	البقرة	٤٧	١٨٣
٣٤٧	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .	الحديد	١٠	١٨٥
٣٤٨	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل .	الحديد	١٠	١٨٦
٣٤٩	لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه .	المجادلة	٢٢	١٨٨
٣٥٠	قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده .	الممتحنة	٤	١٨٩
٣٥١	وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم .	التوبة	١١٤	١٨٩
٣٥٢	النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم .	الأحزاب	٦	١٨٩
٣٥٣	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .	النجم	٣ ، ٤	١٩١
٣٥٤	جزاءً بما كانوا يعملون .	الاحقاف	١٤	١٩١
٣٥٥	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما .	الفتح	٢٩	١٩٢
٣٥٦	ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين .	الأحزاب	٣١	١٩٢
٣٥٧	وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون .	الزخرف	٧٢	١٩٢
٣٥٨	غرف من فوقها غرف مبنية .	الزمر	٢٠	١٩٢
٣٥٩	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى .	النجم	٤١	١٩٢
٣٦٠	يختص برحمته من يشاء .	البقرة	١٠٥	١٩٣
٣٦١	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .	الحديد	٢١	١٩٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٦٢	يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول .	الأحزاب	٣٢	١٩٣
٣٦٣	يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين .	آل عمران	٤٢ ، ٤٣	١٩٤
٣٦٤	ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين .	الأحزاب	٣١	١٩٤
٣٦٥	اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا .	القصص	٥٤	١٩٥
٣٦٦	إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .	القصص	٥٦	١٩٦
٣٦٧	لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم .	المجادلة	٢٢	١٩٧
٣٦٨	قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه :ذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده .	الممتحنة	٤	١٩٧
٣٦٩	هل تجزون إلا بما كنتم تعملون .	النمل	٩٠	١٩٩
٣٧٠	إن المسلمين والمسلمات .	الأحزاب	٣٥	٢٠٠
٣٧١	وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا .	الإنسان	٢٠	٢٠١
٣٧٢	وكان عند الله وجيها .	الأحزاب	٦٩	٢٠١
٣٧٣	ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين .	التكوير	٢١	٢٠١
٣٧٤	إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون .	يس	٥٥	٢٠٣
٣٧٥	وليس الذكر كالأنثى .	آل عمران	٣٦	٢٠٤
٣٧٦	وللرجال عليهن درجة .	البقرة	٢٢٨	٢٠٤
٣٧٧	أو من ينشأ فى الحلبة وهو فى الخصوم غير مليم .	الزخرف	١٨	٢٠٤
٣٧٨	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .	النساء	٥٩	٢٠٥
٣٧٩	والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتاهم من عملهم من شىء كل أمر بما كسب رهين .	الطور	٢١	٢٠٦
٣٨٠	يا نساء النبى لسئن كأحد مں النساء .	الأحزاب	٣٢	٢٠٧
٣٨١	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات .	البقرة	٢٥٣	٢٠٧
٣٨٢	إنما يخشى الله من عباده العلماء .	فاطر	٢٨	٢١٦
٣٨٣	إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إد هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .	التوبة	٤٠	٢٢٠

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٨٤	فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا .	الكهف	٣٤	٢٢٠
٣٨٥	وإلى مدين أخاهم شعيبا .	الأعراف	٨٥	٢٢٠
٣٨٦	سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون .	القصص	٣٥	٢٢١
٣٨٧	لا تخف إنك أنت الأعلى .	طه	٦٦	٢٢١
٣٨٨	ومن كفر فلا يحزنك كفره .	لقمان	٢٣	٢٢١
٣٨٩	ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون .	النحل	١٢٧	٢٢١
٣٩٠	فلا يحزنك قولهم . إن العزة لله جميعا .	يونس	٦٥	٢٢١
٣٩١	فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .	فاطر	٨	٢٢١
٣٩٢	فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا .	الكهف	٦	٢٢١
٣٩٣	قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون .	الأنعام	٣٣	٢٢٢
٣٩٤	ولا تطع منهم آثما أو كفروا .	الإنسان	٢٤	٢٢٢
٣٩٥	ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا .	الإنسان	٨	٢٢٣
٣٩٦	والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم .	الواقعة	١٠	٢٢٥
٣٩٧	لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم .	الفتح	١٨	٢٢٥
٣٩٨	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .	الحديد	١٠	٢٢٥
٣٩٩	وعد الله لا يخلف الله وعده .	الروم	٦	٢٢٥
٤٠٠	إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون .	الأنبياء	١٠٣	٢٢٥
٤٠١	وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاث لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم .	التوبة	١٠١	٢٢٦
٤٠٢	إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض.	آل عمران	٣٣	٢٢٨
٤٠٣	قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى .	الشورى	٢٣	٢٢٨
٤٠٤	وابعث فيهم رسولا منهم .	البقرة	١٢٩	٢٢٨
٤٠٥	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم .	التوبة	١٠٣	٢٢٨

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس البلدان والأماكن

فهرس الفرق

فهرس الأعلام

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

حرف الكنية

الفصل

في

الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦هـ

الجزء الخامس

تحقيق

الدكتور محمد إبراهيم نصر

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة

عميد كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - فرع أسيوط

دار الجيل

بيروت

الطبعة الثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

فهرس الموضوعات

« الكلام فى إمامة المفضول »

قال أبو محمد : ذهبت طوائف من الخوارج ، وطوائف من المعتزلة ، وطوائف من المرجئة ، منهم محمد بن الطيّب الباقلانى[1]، ومن اتبعه ، وجميع الرافضة من الشيعة إلى أنه لا يجوز إمامة من يوجد فى الناس أفضل منه . وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة ، وطائفة من المرجئة ، وجميع الزيدية من الشيعة ، وجميع أهل السنة إلى أن الإمامة جائزة لمن غيرُه أفضل منه .

قال أبو محمد : وأمّا الرافضة فقالوا إن الإمام واحد معروف بعينه فى العالم على ما ذكرنا من أقوالهم التى[2] تقدّم إفسادنا لها ، والحمد لله رب العالمين .

وما نعلم لمن قال إنَّ الإمامة لا تجوز إلّا لأفضل من يوجد حجةً أصلًا لا من قرآنٍ ولا من سنة ، ولا من إجماع ، ولا من صحة عقلٍ ولا من قياس ، ولا قولِ صاحب ، وما كان هكذا فهو أحق قولٍ بالاطراح . وقد قال أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعنى أبا عبيدة وعمر ، وأبو بكر أفضل منهما بلا شك ، فما قال أحد من المسلمين إنه قال : من ذلك بما لا يحل فى الدين ، ودعت الأنصار إلى بيعة سعد[3] بن عبادة ، وفى المسلمين عدد كثير كلهم أفضل منه بلا شك – فصحّ بما ذكرنا إجماع جميع الصحابة رضى الله عنهم على جواز إمامة المفضول ، ثم عَهِدَ[4] عمر رضى الله عنه إلى ستة

---

(١) هو : محمد بن الطيب بن محمد محمد أبو جعفر ، قاضٍ من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرياسة فى مذهب الأشاعرة ، ولد فى البصرة عام ٣٣٨ هـ ، وسكن بغداد وتوفى فيها عام ٤٠٣ هـ وجهه المعتضد سفيرًا إلى ملك الروم ، فجرت له فى القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدى مليكها ، من كتبه : إعجاز القرآن ، والملل والنحل ، وكشف أسرار الباطنية (الأعلام ٤٦/٧) .

(٢) فى (أ) : الذى قد .

(٣) هو : سعد بن عبادة بن دُلَيْم ، بن حارثة الخزرجى ، صحابى من أهل المدينة ، كان سيّد الخزرج ، وأحد الأمراء الأشراف فى الجاهلية والإسلام ، كان يلقب فى الجاهلية بالكامل لمعرفته الكتابة والرمى والسباحة ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر وشهد أحدًا والخندق وغيرهما ، خرج فى أخريات أيامه إلى الشام مهاجرًا فمات بحوران عام ١٤ هـ (الأعلام) .

(٤) فى (أ) : (عهدهم)

رجال ولابدَّ أن لبعضهم على بعض فضلا . وقد أجمع أهل الإسلام حينئذ على أنه إن بويع أحدهم فهو الإمام الواجبة طاعته ، وفى هذا إطباق منهم على جواز إمامة المفضول . ثم مات على رضى الله عنه فبويع الحسن[٥] ثم سلم الأمر إلى معاوية ، وفى بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بلا خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل فكلهم أوَّلُهم عن آخرهم بايع معاوية ، ورأى إمامته ، وهذا إجماع متيقن بعد إجماعٍ على جوازِ إمامة مَنْ غَيْرُه أفضلُ منه[٦] بيقين لا شك فيه ، إلى أن حدث من لا وزن له عند الله تعالى فخرقوا الإجماع بآرائهم الفاسدة بلا دليل ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : والعجب كله كيف يجتمع قول الباقلانى أنه لا تجوز الإمامة لمن غيرهُ من الناس أفضل منه ، وهو قد جوَّز النبوة والرسالة لمن غيره من الناس أفضل منه ، فإنه صرّح فيما ذكره عنه صاحبه أبو جعفر[٧] السمنانى الأعمى قاضى الموصل بأنه جائز أن يكون فى الأمة من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حين بعث إلى أن مات .

قال أبو محمد : ما فى خذلان الله عز وجل أحمق[٨] من هاتين القضيتين[٩] لاسيما إذا اقترنتا ، والحمد لله على السلامة[١٠].

فإن قال قائل : كيف تحتجون هنا بقول الأنصار رضى الله عنهم فى دعائهم إلى سعد ابن عبادة وهو عندكم خطأ وخلاف للنص من رسول الله ﷺ ، وكيف تحتجون فى هذا أيضًا بقول أبى بكر : رضيت لكم أحد هذين ، وخلافة أبى بكر رضى الله عنه عندكم نص من رسول الله ﷺ فمن أين له أن يترك ما نصَّ عليه رسول الله ﷺ ؟

قلنا وبالله تعالى التوفيق : إن فعل الأنصار رضى الله عنهم انتظم حكمين ، أحدهما : تقديم من ليس قرشيًا ، وهذا خطأ قد[١١] خالفهم فيه المهاجرون فسقطت هذه القضية .

---

(٥) هو : الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى ، القرشى ، أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم ، وثانى الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية ، ولد فى المدينة المنورة ، وأمه فاطمه الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، وهو أكبر أولادها وأولهم ، حج عشرين حجة ماشيا ، بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ ، ورفض محاربة معاوية ، وخلع نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية فى بيت المقدس سنة ٤١ هـ . وسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين فيه ، وانصرف إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفى مسموما سنة ٥٠ هـ (الأعلام : ٢/٢١٤) .

(٦) فى (أ) : سقطت (منه) .

(٧) هو : محمد بن أحمد بن محمد السمنانى ، أبو جعفر ، قاض حنفى أصله من سمنان العراق ، نشأ ببغداد ، وولى القضاء بالموصل إلى أن توفى بها عام ٤٤٤ هـ ، وكان مقدّم الأشعرية فى وقته ، وشنع عليه ابن حزم ، له تصانيف فى الفقه ، منها : تبيين كذب المفترى ، والجواهر المضيئة ، ونكت الهميان . (الأعلام : ٦/٢٠٦) .

(٨) فى (أ) : (أحق) وهو تحريف .

(٩) (القضيتين) هكذا فى الأصل وعليه فربما كان المقصود أصحاب هاتين القضيتين لأنهم آثاروا ما أثاروه حول قضية المفضول – وقضية من هو أفضل من الرسول ، ويحتمل أن تكون الكلمة (العصبتين) .

(١٠) فى (أ) : (الإسلام) .

(١١) فى (أ) : (وقد) .

والثانى : جواز تقديم من غيره أفضل منه ، وهذا صواب وافقهم عليه أبو بكر وغيره ، فصار إجماعًا فقامت به الحجة ، وليس خطأ من أخطأ فى قول وخالفه فيه من أصاب الحق بموجب ألَّا يُحتَجَّ بصوابه الذى وافقه فيه أهل الحق ، وهذا ما لا خلاف فيه وبالله تعالى التوفيق .

وأمّا أمر أبى بكر فإن الحق كان له بالنص ، وللمرء أن يترك حقّه إذا رأى فى تركه إصلاح ذات بين المسلمين ، ولا فرق بين عطية أعطاها رسول الله ﷺ إنسانًا من المسلمين فكان للمعطى أن يعطىَ غيره ما أعطاه رسول الله ﷺ[١٢]، وبين منزلة صيَّرها[١٣] رسول الله ﷺ لإنسان فكان له أن يتجافى عنها لغيره إذ لم يمنعه من ذلك نصٌّ ولا إجماع وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وبرهان صحة قول من قال بأن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه وبطلان قول من خالف ذلك : أنه لا سبيل إلى أن يعرف الأفضل إلَّا بنص أو إجماع أو معجزة تظهر ، فالمعجزة ممتنعة هاهنا بلا خلاف ، وكذلك الإجماع وكذلك النص .

وبرهان آخر : وهو أن الذى كلفوا به من معرفة جهة[١٤] الأفضل ممتنع محال لأن قريشا مفترقون فى البلاد من أقصى السند إلى أقصى الأندلس ، إلى أقصى اليمن ، وصحارى البربر إلى أقصى أرمينية[١٥] وأذربيجان[١٦]، وخراسان[١٧] فما بين ذلك من البلاد ، فمعرفة أسمائهم ممتنع ، فكيف معرفة أحوالهم ؟ فكيف معرفة أفضلهم ؟ .

---

(١٢) فى (أ) : سقط الكلام من قوله [إنسانا من المسلمين إلى وسلم] .

(١٣) فى (أ) : (صبرها) بالباء المفردة وهو تحريف .

(١٤) فى (أ) : سقطت كلمة (جهة) .

(١٥) أرمينية : إسم لصقع عظيم واسع ، سمى باسم « أرْمينا بن لَنْطابن أومر بن يافت بن نوح عليه السلام . وقد ترجمنا لها فى الجزء الأول (معجم البلدان ١/١٦٠) .

(١٦) أذربيجان : قالَ ابن المقفع سميت باسم : باذر بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام . وقيل : أذرباذ بن بيوراسف . وقيل « أذرا » : اسم النار بالفهلوية . و« بايكان » : معناه الحافظ والخازن فكأن معناه : بيت النار ، أو خازن النار . وأذربيجان : إقليم واسع من مدنها « خوى » و« سلماس » و« تبريز » وهى أكبر مدنها . وقد فتحت أولًا فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان قد أنفذ المغيرة بن شعبة الثقفى واليا على الكوفه ، ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية أذربيجان ، فذهب إليها حذيفة بجيش كثيف فالتقى بجيش مرزبانها واقتتلوا قتالا شديدًا ، وفتحت عنوة سنة ٢٢ هـ وقيل : إن فتحها كان سنة ٢٠ هـ .. وفى معجم البلدان تفاصيل وافيه عنها (معجم البلدان ١/١٢٨) طبع دار بيروت للطباعة والنشر .

(١٧) خراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلى العراق (أزاءْوار) ، وآخر حدودها مما يلى الهند (طخارستان) و« غزنه وسجستان ، وكرمان » (معجم البلدان) .

وبرهان آخر : وهو أنا بالحسّ والمشاهدة ندرى أنه لا يدرى أحد فضل إنسان على غيره ممن بعد الصحابة رضى الله عنهم إلّا بالظنّ ، والحكم بالظن لا يحل . قال الله تعالى ذامًّا لقوم : « إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين[١٨] » .

وقال تعالى : « ما لهم بذلك من علم إن هم الا يخرصون[١٩] » .

وقال تعالى : « قتل الخراصون[٢٠] » .

وقال تعالى : « إن يتبعون الا الظن ، وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، أم للانسان ما تمنى[٢١] » .

وقال تعالى : « إن يتبعون الا الظن ، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا[٢٢] » .

وقال رسول الله ﷺ : « إيّاكم والظّن فإنّ الظّنّ أكذبُ الحديث[٢٣] » .

وأيضا : فإننا وجدنا الناس يتباينون فى الفضائل ، فيكون الواحد أزهد ، ويكون الآخر أورع[٢٤] ، ويكون الآخر أسوس ، ويكون الرابع أشجع ، ويكون الخامس أعلم ، وقد يكونون متقاربين فى التفاضل لا يبين التفاوت بينهم ، فبطل معرفة الأفضل ، وصحّ أنّ هذا القول فاسد ، وتكليف ما لا يطاق ، وإلزام ما لا يستطاع ، وهذا باطل لا يحل ، والحمد لله رب العالمين .

ثم قد وجدنا أنّ رسول الله ﷺ قد قلّد النواحى ، وصيّر[٢٥] فيها تنفيذ جميع الأحكام التى تنفذها الأئمة إلى قوم كان غيرهم بلا شك أفضل منهم ، فاستعمل على أعمال اليمن معاذ[٢٦] ابن جبل ، وأبا موسى ، وخالد بن سعيد[٢٧] ، وعلى عمان : عمرو بن العاص ، وعلى نجران

---

(١٨) الجاثية : ٣٢

(١٩) الزخرف : ٢٠

(٢٠) الذاريات : ١٠

(٢١) النجم : ٢٣

(٢٢) النجم : ٢٨ . وقد جاءت الآية محرفة فى (خ) فكتبها (تتبعون) .

(٢٣) رواه البخارى فى الوصايا : ٨ ، والنكاح : ٤٥ ، والفرائض : ٣ . ورواه مسلم فى البر : ٣٨ . والترمذى فى البر : ٥٦ ، والموطأ فى حسن الخلق : ١٥ ، وأحمد بن حنبل فى المسند : حـ ٣ ص ٢٤٥) .

(٢٤) فى (أ) : ويكون الواحد « أروع » بتقديم الراء على الواو . وهو تحريف . ويؤخذ على أبى محمد أنه استعمل كلمة الآخر مكان الثانى والثالث ، والأفصح فى استعمالها أنها تستعمل مقابلة للعدد الذى قبلها ، ولا يكون عدد بعدها .

(٢٥) فى (أ) : (وصرّف تنفيذ) .

(٢٦) لما جاءت رسل ملوك اليمن إلى رسول الله ﷺ تعلن إسلامها ، وتسأله أن يبعث معها من أصحابه من يعلمهم أمور دينهم انتدب لهذه المهمة خمسة رجال من أصحابه هم : خالد بن سعيد ولاه على صنعاء ، و« المهاجر بن أمية » ولاه على كندة ، و« زياد بن لبيد » ولّاه على حضرموت ، و« معاذ بن جبل » على الجند وعلى جمع الصدقات من العمال ، و« أبو موسى الأشعرى » على زبيد وعون والساحل (سيرة ابن هشام) .

(٢٧) فى الأصل : (خالد بن الوليد) ، وهو خطأ ، فلم يكن خالد بن الوليد من بين هؤلاء الولاة ، وإنما هو خالد بن سعيد .

أبا سفيان[٢٨]، وعلى مكة عتّاب[٢٩] بن أسيد وعلى الطائف : عثمان بن أبى العاص[٣٠]، وعلى البحرين : العلاء بن الحضرمى[٣١]. ولا خلاف فى أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعمّار بن ياسر وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبا عبيدة ، وابن مسعود وبلالًا ، وأبا ذر أفضل ممن ذكرنا - فصح يقينا أنَّ الصفات التى تُستَحقُّ بها الإمامةُ والخلافة ليس منها التقدّم فى الفضل .

وأيضًا : فإنَّ الفضائل كثيرة جدًّا ، منها الورع ، والزهد ، والعلم ، والشجاعة ، والسخاء ، والحلم ، والعفة ، والصَّبر ، والصّرامة ، وغير ذلك ولا يوجد أحدٌ يبين فى جميعها ، بل يكون بائنا فى بعضها ومتأخرًا فى بعضها ، ففى أيِّها يراعِى الفضلَ من لا يجيز إمامة المفضول ؟!

فإن اقتصر على بعضها كان مدَّعيًا بلا دليل ، وإن عم جميعها كلف ما لا سبيل إلى وجوده أبدًا فى أحد بعد رسول الله ﷺ ، فإذ لا شك فى ذلك ، فقد صح القول فى إمامة المفضول ، وبطل قول من قال غير ذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(٢٨) أبو سفيان : هو عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصارى ، أبو الضّحاك ، والٍ من الصحابة ، شهد الخندق وما بعدها - وهو الذى استعمله النبى ﷺ على نجران ، وكتب له عهدًا مطولًا فيه توجيه وتشريع . ترجمته فى الإصابة ، وفى مجموعة الوثائق السياسية ١٠٤ - ١٠٩ ، وفيها نصّ عهد النبى ﷺ له ، وفى فتوح البلدان للبلاذرى ٧٧ ، والكامل لابن الأثير ١٩٦/٣ . (الأعلام/٥ : ٢٤٤) وكنيته أبو الضحاك .

(٢٩) عتاب بن أسيد : هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس - أبو عبد الرحمن وال أموى قرشى مكى ، من الصحابة ، كان شجاعا عاقلا ، من أشراف العرب فى صدر الإسلام أسلم يوم فتح مكة ، واستعمله النبى ﷺ عند مخرجه إلى حنين سنة ٨ هـ ، وكان عمره ٢١ سنة ، وأقره أبو بكر ، وفى المؤرخين من يذكر أنه عاش واليا على مكة إلى أواخر أيام عمر فتكون وفاته فى أوائل سنة ٢٣ هـ (الأعلام : ٣٥٨/٤) .

(٣٠) هو : عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد بن دهمان ، من ثقيف ، صحابى ، من أهل الطائف ، أسلم فى وفد ثقيف ، فاستعمله النبى ﷺ على الطائف ، فبقى فى عمله إلى أيام عمر ، ثم ولّاه عمر (عمان) و« البحرين » سنة ١٥ هـ ، وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحب فاستخلف أخاه الحكم ، واستمر فى البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان ، فعز له ، فسكن البصرة إلى أن توفى . وهو الذى منع ثقيفا عن الرِّدة ، وخطبهم فقال : كنتم آخر الناس إسلاما ، فلا تكونوا أولهم ارتدادًا . ترجمته فى الاصابة وابن سعد ، وجمهرة الأنساب . (الأعلام : ٣٦٨/٤) .

(٣١) هو : العلاء بن عبد الله الحضرمى ، صحابى من رجال الفتوح فى صدر الإسلام ، أصله من حضرموت ، سكن أبوه مكة ، فولد بها العلاء ونشأ . ولاه رسول الله ﷺ البحرين سنة ٨ هـ ، وجعل له جباية الصدقة وأعطاه كتابا فيه فرائض الصدقة فى الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال ، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم ويردّها على فقرائهم ، وبعد وفاة النبى ﷺ أقرّه أبو بكر ، ثم عمر ، ووجهّه عمر إلى البصر فمات فى الطريق فى قرية من أرض تميم اسمها « لياس » وقيل مات فى البحرين ، وهو الذى سيَّر عرفجة بن هرثمة إلى شواطىء فارس سنة ١٤ هـ بالسفن ، فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس فى الإسلام ، ويقال إن العلاء أول مسلم ركب البحر للغزو . توفى سنة ٢١ هـ . (الأعلام : ٤٤/٥) .

قال أبو محمد : وذكر الباقِلَّانى فى شروط الإمامة أنها أحد عشر شرطا وهذا أيضًا دعوى بلا برهان ، وما كان هكذا فهو باطل ، فوجب أن يُنظر فى شروط الإمامة التى لا تجوز الإمامة لغير من هى[٣٢] فيه . فوجدناها أن يكون صليبه من قريش لإخبار رسول الله ﷺ : أن الإمامة فيهم .

وأن يكون بالغًا مميزًا لقول رسول الله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة[٣٣] » ، فذكر الصبى حتى يحتلم ، والمجنون حتى يفيق ، وأن يكون رجلًا : لقول رسول الله ﷺ : « لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة[٣٤] » .

وأن يكون مسلما : لأن الله تعالى يقول : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا[٣٥] » .

والخلافة أعظم السبل[٣٦] ، ولأمره تعالى بإصغار أهل الكتاب ، وأخذهم بأداء الجزية ، وقتل من لم يؤمن[٣٧] من أهل الكتاب حتى يسلموا .

وأن يكون منفذًا[٣٨] لأمره ، عالما بما يلزمه من فرائض الدين ، متَّقيا لله تعالى بالجملة ، غير معلن بالفساد فى الأرض لقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان[٣٩] » .

لأنّ من قدَّم من لا يتَّقى الله عزَّ وجل ، ولا فى شىْءٍ من الأشياء ، أو معلنًا بالفسادِ فى الأرض غير مأمون ، أو من لا ينفّذ أمرًا ، أو من لا يدرى شيئًا من دينه ، فقد أعان على الإثم والعدوان ، ولم يُعن على البرِّ والتقوى وقد قال رسول الله ﷺ : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ[٤٠] » .

---

(٣٢) فى (أ) : (من هن) .

(٣٣) جاء هذا الحديث فى سنن ابن ماجه ، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم رقم ٢٠٤١ ، ولفظه من طريق أبى بكر بن شيبة مسندًا إلى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « رفع القلم عن ثلاثةٍ : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق » ، قال أبو بكر فى حديثه : « وعن المبتلى حتى يبرأ » .

(٣٤) رواه البخارى ولفظه : عن أبى بكرة قال : لقد نفعنى الله بكلمة أيام الجمل ، لما بلغ النبىَّ ﷺ أن فارسًا ملَّكوا ابنة كسرى قال : لن يُفْلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة . (البخارى : كتاب الفتن) .

(٣٥) سورة النساء : ١٤١

(٣٦) فى (أ) : (أعظم السبيل) .

(٣٧) فى (أ) : (من لم يكن) .

(٣٨) فى (أ) : (متقدما) وهو تحريف ظاهر .

(٣٩) المائدة : ٢

(٤٠) رواه مسلم ، وهذا الحديث من مرويات عائشة ، فى كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور .

وقال عليه السلام : « يا أبا ذر إنَّك ضعيف فلا تؤمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تولِّين مالَ يتيم[٤١] » . وقال تعالى : « فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا [٤٢] » .

فصحَّ أنَّ السفيه والضعيف ، ومن لا يقدر على شىء فلا بدَّ له من ولى ، ومَن لا بدَّ له من ولى – فلا يجوز أن يكون وليا للمسلمين . فصح أن ولاية من لا[٤٣] يستكمل هذه الشروط الثمانية باطل لا يجوز ، ولا ينعقد أصلًا .

ثم يستحبُ أن يكون عالما بما يخصه من أمور الدين ، من العبادات والسياسة والأحكام ، مؤدِّيا للفرائض كلها لا يخل بشىءٍ منها ، مجتنبًا لجميع الكبائر سرًّا وجهرًا ، مستترًا بالصغائر إن كانت منه .

فهذه أربع صفات يكره أن يلى الأمر[٤٤] من لم ينتظمها ، فإنْ وَلى فولايته صحيحة ونكرهها ، وطاعته فيما أطاع الله فيه واجبة ، ومنعه مما[٤٥] لم يطع الله فيه واجب والغاية المأمولة فيه : أن يكون رفيقًا بالنّاس غير[٤٦] ضعيف ، شديدًا فى إنكار المنكر من غير عنف ، ولا يجاوز للواجب ، متيقظا[٤٧] غير غافل ، شجاع النفس غير مانع للمال فى حقه ، ولا مبذرًا له فى غير حقه .

ويجمع هذا كله : أن يكون الإمام قائمًا بأحكام القرآن ، وسنن رسول الله ﷺ . فهذا يجمع كل فضيلة .

قال أبو محمد : ولا يضر الإمام أن يكون فى خلقه عيب ، كالأعمى والأصم والأجدع ، والأجذم ، والأحدب ، والذى لا يدان له ، ولا رجلان ، ومن بلغ الهرم مادام يعقل ، ولو أنه ابن مائة عام ، ومن يعرض له الصَّرع ثم يفيق ، ومن بويع إثر بلوغه الحلم وهو مستوف لشروط الإمامة ، فكل هؤلاء إمامتهم جائزة إذ لم يمنع منها نص قرآن ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا نظر ، ولا دليل أصلًا .

---

(٤١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة بلفظ : يا أبا ذر إنى أراك ضعيفًا ، وإنى أحب لك ما أحب لنفسى ، لا تأمَّرن على اثنين ، ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم .

(٤٢) البقرة : ٢٨٢

(٤٣) فى (أ) : (من لم) .

(٤٤) فى (أ) : (الأمة) .

(٤٥) فى (أ) : (وبمَا) وهو تحريف ظاهر .

(٤٦) فى (أ) : (فى غير ضعف) .

(٤٧) فى (أ) : مستيقظا .

فلا يجوز التوارث فى الإمامة لأنه لم يوجب ذلك أيضًا نص قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا دليل[٤٨]، بل قال تعالى : « كُونُوا قَوَّامِينَ بالقِسْطِ[٤٩] » .

فمن قام بالقسط فقد أدّى ما أُمر به ، ولا خلاف بين أحدٍ من أهل الإسلام فى أنه لا يجوز التوارث فيها ، ولا فى أنها لا تجوز لمن لم يبلغ حاش الروافض فإنهم أجازوا كلا الأمرين ، ولا خلاف بين أحد فى أنها لا تجوز لامرأة ، وبالله تعالى نتأيّد .

* * *

(٤٨) فى (أ) : سقط الكلام من أول (فلا يجوز التوارث إلى دليل) .
(٤٩) النساء : ١٣٥

« الكلام فى عقد الإمامة بماذا يصح[1] »

قال أبو محمد : ذهب قوم إلى أن الإمامة لا تصح إلّا بإجماع فضلاء الأمة فى أقطار البلاد .

وذهب آخرون إلى أن الإمامة إنما تصح بعقد أهل حضرة الإمام والموضع الذى فيه قرار الأئمة .

وذهب أبو على محمد بن عبد الوهاب[2] الجبائى إلى أن الإمامة لا تصح بأقل من عقد خمسة رجال ، ولم يختلفوا فى أن عقد الإمامة يصح بعهد من الإمام الميت إذا قصد فيه حسن الاختيار للأمة عند موته ولم يحاب[3] بذلك بهوى ، وقد ذكرنا[4] فساد قول الروافض وقول الكيسانية ، ومن ادّعى إمامة رجل بعينه ، وأنبأ أن كل ذلك دعاوى لا يعجز عنها ذو لسان ، إذا لم يتق الله ، ولا استحيا[5] من الناس إذ لا دليل على شيء منها .

قال أبو محمد : أمّا من قال إنَّ الإمامة لا تصحُّ إلا بعقد فضلاء الأمة فى أقطار البلاد فباطل لأنه تكليف ما لا يطاق وما ليس فى الوسع ، وما هو أعظم الحرج ، والله تعالى لا يكلف نفسا إلّا وسعها . وقال تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج[6] » .

---

(١) فى (أ) : (تصح) .

(٢) هو : أبو على محمد بن عبد الوهاب ، له نحو أربعين ورقة فى الكلام ، كان إمامًا فى علم الكلام أخذه عن أبى يوسف يعقوب بن عبد الله الشحّام رئيس معتزلة البصرة فى عصره وعنه أخذ أبو الحسن الأشعرى شيخ السنة ، كانت ولادته سنة ٢٣٥ هـ وتوفى سنة ٣٠٣ هـ (وفيات الأعيان : ٣٩٨/٣) وأقرأ عنه فى فرق وطبقات المعتزلة من ٨٥ - ٩٠) .

(٣) فى (أ) : (ولم يقصد) .

(٤) فى (أ) : (ذكر فى) .

(٥) فى (أ) : ولا استحياء) .

(٦) الحج : ٧٨ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث حذف (عليكم) .

قال أبو محمد : ولا حرج ولا تعجيز أكثر من تعرف إجماع فضلاء من فى **المولتان والمنصورة**[٧] إلى **بلاد مِهْرَة**[٨] إلى **عدن** إلى أقاصى **بلاد المصَامِدة**[١٠] إلى **طنجة**[١١] إلى **الأشبُونة**[١٢] إلى جزائر البحر إلى سواحل الشام إلى **أرمينية وجبل الفتح**[١٣] إلى **أسمار**[١٤]، **وفرعانه**[١٥] **وأسْرُوشنه**[١٦] إلى **أقاصى خراسان**[١٧] إلى **الجورجان**[١٨] إلى **كابل**[١٩] إلى **المولتان** فما بين ذلك من المدن والقرى ، ولا بدَّ من ضياع أمور المسلمين قبل أن يجمع جزء من مائة جزء من فضلاء أهل هذه البلاد فبطل هذا القول الفاسد مع أنه لو كان ممكنا لما لزم لأنه دعوى بلا برهان ، وإنما قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى[٢٠]» « كونوا قوامين بالقسط[٢١]» .

فهذان الأمران متوجهان أحدهما : إلى كل إنسان فى ذاته ، ولا يسقط عنه وجوب القيام بالقسط انتظار غيره فى ذلك .

---

(٧) المنصورة : بأرض السند ، وهى مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ، قال المسعودى سميت بذلك نسبة إلى منصور بن جمهور عامل بنى أمية ، وقال الحسن بن أحمد المهلبى : سميت بذلك لأن عمر بن حفص الهزار بناها فى أيام المنصور من بنى العباس ، وهناك (المنصورة) مدينة كانت بالبطيحة عمرها مهذب الدولة فى أيام بهاء الدولة بن عضد الدولة ، ومنها : المنصورة : مدينة خوارزم القديمة ، وهناك مدينة قرب القيروّان تسمى بهذا الاسم . (معجم البلدان : ٣١١/٥) .

(٨) مهرة : بكسر الميم وسكون الهاء ، والمهر بالفارس له معنيان أحدهما الشمس ، وثانيهما : المحبة والشفقة وهى قرية من قرى « مرو » وتنسب إلى مِهْران » وهو موضع لنهر السند يصب فى بحر فارس ، وهو نهر عظيم بقدر دجله تجرى فيه السفن ، ويسقى بلادًا كثيرة ، قال الاصطخرى : بلغنى أن مخرج مِهْران من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون فيظهر مهران بناحية الملتان . (معجم البلدان : بتصرف) .

(٩) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، قال أبو محمد الحسن بن أحمد الهمذانى اليمنى ، « عدن » جنوبية تهامية ، وهى أقدم أسواق العرب ، وبين عدن وصنعاء ثمانية وستون فرسخا ، وهى أول موضع ظهرت فيه دعوة العلوية باليمن بعد مصر . (معجم البلدان : ٨٩/٤) بتصرف .

(١٠) المصامدة : نسبة إلى مصمودة ، وهى قبيلة بالمغرب ، فيه موضع يعرف بهم ، ونشأ من بينهم محمد بن تومرت صاحب دعوة بنى عبد المؤمن ، الذى تم له بالمغرب ما تم من الاستيلاء على البدو ، والعلية . (معجم البلدان : ١٣٦/٥) .

(١١) طنجة : بلد على ساحل بحر المغرب ، مقابل الجزيرة الخضراء وبلاد البربر ، قال ابن حوفل : « طنجة مدينة أزلية ، آثارها ظاهرة ، بناؤها بالحجارة ، قائمة على البحر ، آخر حدود أفريقية » (المرجع السابق) .

(١٢) لشبونة : مدينة بالأندلس ، قريبة من البحر ، غرب قرطبة ، فى جبالها تبر خالص ، ولعسلها فضل على كل عسل الأندلس بحيث يلف فى خرقة فلا يلوثها ، وبساحلها العنبر الفائق . (معجم البلدان ١٦/٥) .

(١٣) فى (أ) : (القبج) .

(١٤) فى (أ) : (أسبنجاب) .

(١٥) فى (أ) : (فرغانة) .

(١٦) أُسْرُوشَنه : بالفتح ثم السكون ، وضم الراء ، وفتح السين المعجمة والنون المهملة ، وهى مدينة مما وراء النهر (كتاب البلدان لأبى الحسن على بن جعفر الشيذرلى) .

(١٧) خراسان : بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق ، وتشتمل على أمهات من البلاد منها : نيسابور وهراه ، ومرو ، وبلخ وغيرها ، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا فى سنة ٣٠ هـ فى أيام عثمان رضى الله عنه بإمارة عبد الله بن عامر . (معجم البلدان : ٣٥٠/٢) .

(١٨) جورجان : بالضم ، وهى مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان ، قيل أن أول من بناها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، وقد خرج منها مجموعة من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمى . (معجم البلدان) .

(١٩) كابُل : بضم الباء الموحدة ، قال الاصطخرى : الخلْج : صنف من الأتراك وقعوا فى قديم الزمان على أرض كابُل التى بين الهند ونواحى سجستان ، وهم أصحاب نعم على الأتراك فى زيهم ولسانهم . وكابل : ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وغزنه .. (معجم البلدان) وهى الآن عاصمة (أفغانستان) .

(٢٠) المائدة : ٢

(٢١) النساء : ١٣٥ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث كتبت (وكونوا) .

وأمّا التعاون على البرّ والتقوى فمتوجه إلى كل اثنين فصاعدًا لأن التعاون فعل من فاعلين ، وليس فعل واحد ، ولا يسقط عن الاثنين فرض تعاونهما على البرّ والتقوى انتظار ثالث ، إذ لو كان ذلك لما لزم أحدًا قيامٌ بقسط ، ولا تعاون على برٍّ وتقوى ، إذ لا سبيل إلى اجتماع أهل الأرض على ذلك أبدًا لتباعد أقطارهم ولتخلف من تخلف عن ذلك لعذر أو على وجه المعصية ، ولو كان هذا لكان أمر الله تعالى بالقيام بالقسط ، وبالتعاون على البرّ والتقوى باطلًا فارغًا ، وهذا خروج عن الإسلام ، فسقط القول المذكور وبالله تعالى التوفيق .

وأما قول من قال إن عقد الإمام[٢٢] لا يصح إلَّا بعقد أهل حضرة الإمام وأهل الموضع الذى فيه قرار الأئمة ، فإنَّ أهل الشام كانوا قد ادّعوا ذلك لأنفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان[٢٣] وابنه عبد الملك ، واستحلوا بذلك دماء أهل الإسلام .

قال أبو محمد : وهو قول فاسد لا حجة لأهله ، وكل قول فى الدِّين عرى عن دليل[٢٤] من القرآن أو من سنة رسول الله ﷺ أو من إجماع الأمة المتيقن فهو باطل بيقين . قال الله تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٢٥] » . فصح أن من لا برهان له على صحّة قوله فليس صادقا فيه فسقط هذا القول أيضًا .

وأمّا قول الجبّائى : فإنه تعلق فيه بفعل عمر رضى الله عنه فى الشورى ، إذ قلدها ستة رجال ، وأمرهم أن يختاروا واحدًا منهم ، فصار الاختيار منهم بخمسة فقط .

قال أبو محمد : وهذا ليس شيئًا لوجوه :

أولها : أن عمر لم يقل إن تقليد الاختيار أقل من خمسة لا يجوز بل قد جاء عنه أنه قال : إن مال ثلاثة منهم إلى واحد وثلاثة إلى واحد ، فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن[٢٦] بن عوف فقد أجاز عقد ثلاثة .

ووجه ثان : وهو أن فعل عمر رضى الله عنه لا يلزم الأمة حتى يوافق نص قرآن

---

(٢٢) فى (أ) : (الإمامة) .

(٢٣) هو : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى ، أبو عبد الملك ، ويعرف بالجعدى نسبة إلى مؤدبه « الجعد بن درهم » كما يعرف بالحمار لجرأته فى الحروب . آخر ملوك بنى أمية فى الشام . لما قتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ ، وظهر ضعف الدولة فى الشام دعا الناس وهو بأرمينية إلى البيعة له فبايعوه فيها ، وزحف بجيش كثيف فى أيام إبراهيم بن الوليد قاصدًا الشام ، فخلع إبراهيم واستولى على عرش بنى مروان سنة ١٢٧ هـ . وهو آخر خلفاء بنى أمية ، قتل سنة ١٣٢ هـ وهو فار إلى مصر فى بلدة تسمى (بوصير) . (الكامل : لابن الأثير : جـ ٥ /١١٩ بتصرف) .

(٢٤) فى (أ) : (ذلك) وهو تحريف .

(٢٥) البقرة : ١١١

(٢٦) راجع ترجمته فى الجزء الرابع من هذا الكتاب ص .

أو سنة ، وعمر كسائر الصحابة رضى الله عنهم لا يجوز أن يخصه بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة رضى الله عنهم .

والثالث : أن أولئك الخمسة رضى الله عنهم قد تبرءوا من الاختيار وجعلوه إلى واحدٍ منهم يختار لهم وللمسلمين من رآه أهلًا للإمامة وهو عبد الرحمن بن عوف ، وما أنكر ذلك أحدٌ من الصحابة الحاضرين ولا الغائبين إذ بلغهم ذلك ، فقد صحّ إجماعهم على أن الإمامة تنعقد بعقد[٢٧] واحد .

فإن قال قائل : إنما جاز ذلك لأن خمسة من فضلاء المسلمين قلّدوه ، قيل له : إن كان هذا عندك اعتراضا فالتزم مثله سواء سواء ممن قال لك إنما صح عقد أولئك الخمسة لأن الإمام الميت قلّدهم ذلك ، ولولا ذلك لم يجز عقدهم ، وبرهان ذلك أنه إنما عقد لهم الاختيار منهم لا من غيرهم ، فلو اختاروا من غيرهم لما لزم الانقياد لهم ، فلا يجوز عقد خمسة أو أكثر إلَّا إذا قلدهم الإمام ذلك أو ممن قال لك إنما صحَّ عقد أولئك الخمسة لإجماع فضلاء أهل ذلك العصر على الرضا ممن اختاروه ، ولو لم يجمعوا على الرضا به لما جاز عقدهم ، وهذا مما لا مخلص منه أصلا فبطل هذا القول بيقين لا إشكال فيه ، والحمد لله رب العالمين . وإذ[٢٨] قد بطلت هذه الأقوال كلها فالواجب النظر فى ذلك على ما أوجبه الله تعالى فى القرآن والسنة وإجماع المسلمين كما افترض علينا عزّ وجل إذ يقول : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر[٢٩]» .

فوجدنا عقد الإمامة يصح بوجوه :

أولها وأفضلها وأصحها أن يعهد الإمام الميت إلى إنسان يختاره إمامًا بعد موته وسواء فعل ذلك فى صحته أو فى مرضه أو[٣٠] عند موته إذ لا نص ولا إجماع على المنع من أحد هذه الوجوه كما فعل رسول الله ﷺ بأبى بكر ، وكما فعل أبو بكر بعمر ، وكما فعل سليمان[٣١] ابن عبد الملك بعمر بن[٣٢] عبد العزيز ، وهذا هو الوجه الذى نختاره ونكره غيره ، لما فى هذا الوجه من اتصال الإمامة ، وانتظام أمر الإسلام وأهله ، ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع فى غيره من بقاء الأمة فوضى ومن انتشار الأمر ، وارتفاع النفوس وحدوث الأطماع .

---

(٢٧) فى (أ) : لم يذكر كلمة (بعقد) .

(٢٨) فى (أ) : (فإذ) .

(٢٩) النساء : ٥٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى الأصل حيث ذكرت (وأطيعوا الله) .

(٣٠) فى (أ) : (وعند) بواو العطف .

(٣١) هو : سليمان بن عبد الملك : خليفة أموى ، أسس مدينة الرملة بفلسطين ، اشتبك فى معارك كثيرة مع البيزانطيين ، وحاصرت جيوشه عمورية دون جدوى ، وفى عهده فتحت جرجان ، وطبرستان وكانت فى أيدى الترك ، وتوفى فى دابق من أرض قنسرين بين حلب ، ومعرة النعمان ، ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر . توفى سنة ٩٩ هـ . (الطبرى : ١٢٦/٨ بتصرف) .

(٣٢) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى ، أبو حفص ، الخليفة الصالح وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين . ولد ونشأ بالمدينة . وولى الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ . دَسّ له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرّة فتوفى به سنة ١٠١ هـ . ولعبد العزيز سيد الأهل : الخليفة الزاهد . (راجع تهذيب التهذيب : ٤٧٥/٧ بتصرف) .

قال أبو محمد : إنما أنكر من أنكر من الصحابة رضى الله عنهم ومن التابعين بيعة يزيد ابن معاوية[٣٣]، والوليد[٣٤] وسليمان لأنهم كانوا غير مرضيين ، لا لأن الإمام عهد إليهم فى حياته .

والوجه الثانى : إن مات الإمام ولم يعهد إلى أحد أن يبادر رجل مستحق للإمامة فيدعو إلى نفسه ولا منازع له ففرض على أتباعه[٣٥] الانقياد لبيعته ، والتزام إمامته وطاعته كما فعل عَلِيٌّ إذ قُتل عثمان[٣٦] رضى الله عنهما ، وكما فعل ابن الزبير[٣٧] رضى الله عنهما وقد فعل ذلك خالد ابن الوليد[٣٨] إذ قُتل الأمراء زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة فأخذ خالد الراية عن غير أمره ، وصوّب ذلك رسول الله ﷺ إذ بلغه فعله ، وساعد خالدًا فى ذلك[٣٩] جميع المسلمين رضى الله عنهم[٤٠]، أو أن يقوم كذلك عند ظهور منكر يراه فتلزم معاونته على البر والتقوى ، ولا يجوز التأخر عنه ، لأن ذلك معاونة على الإثم والعدوان ، وقد قال عزّ وجل : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان[٤١]» .

كما فعل زيد بن الوليد ، ومحمد بن هارون[٤٢] المهدى رحمهما الله .

والوجه الثالث : أن يُصَيِّرَ الإمام عند وفاته اختيار خليفة للمسلمين إلى رجل ثقة أو إلى

---

(٣٣) هو : يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى ، ثانى ملوك الدولة الأموية فى الشام ، ولد بالماطرون ونشأ بدمشق ، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ ، وفى زمنه فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع ، وفتحّ « سَلْم بن زياد » بُخارى وخوارزم . توفى بحوارين من أرض حمص سنة ٦٤ هـ . (راجع تاريخ الطبرى : ٣٠٠/٢ بتصرف) .

(٣٤) هو : الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو العباس من ملوك الدولة الأموية فى الشام ، ولى بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ ، اتسعت الدولة الإسلامية فى عهده ، وكان من رجاله موسى بن نصير ، وطارق بن زياد عمل على توسعه المسجد النبوى بالمدينة ، وبنى المسجد الأقصى فى القدس ، كانت وفاته بدمشق عام ٩٦ هـ . (الطبرى : ٨ /٩٧) .

(٣٥) فى الأصل : (ففرض اتباعه والانقياد لبيعته) .

(٣٦) عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ، ثالث الخلفاء الراشدين ، قتل سنة ٣٥ هـ (راجع حوادث سنة ٣٥ فى ابن الأثير) .

(٣٧) هو : عبد الله بن الزبير بن العوّام ، بويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ ، وقتل سنة ٧٣ هـ (راجع حوادث سنة ٧٣ هـ فى الكامل لابن الأثير) .

(٣٨) هو : خالد بن الوليد بن المغيرة ، سيف الله . مات سنة ٢١ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب بحمص . (راجع ترجمة وافية له فى الإصابة : ٤١٣/١) .

(٣٩) فى (أ) : لم تذكر كلمة (فى ذلك) .

(٤٠) فى غزوة مؤتة ، أوصى النبى ﷺ أن يحمل الراية ، ويقود الجيش زيد بن حارثة فإن قتل جعفر بن أبى طالب ، فإن قتل فعبد الله ابن رواحة ، ولقب جعفر بذى الجناحين لأن الرسول ﷺ حين سمع باستشهاده وقطع ذراعيه قال : إن الله أبدله بذراعيه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء . روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . (راجع صحيح البخارى : غزوة مؤتة) .

(٤١) المائدة : ٢

(٤٢) هو : محمد بن هارون الرشيد بن المهدى ، بن المنصور ، يكنى .أبا عبد الله ، ويقال : أبا موسى ولد فى رصافة بغداد ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣ هـ بعهد منه ، فولّى أخاه المأمون خراسان وأطرافها ، وكان المأمون ولى العهد من بعده ، فلما كانت سنة ١٩٥ هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، فنادى المأمون بخلع الأمين فى خراسان ، وتسمّى بأمير المؤمنين وجهّز الأمين وزيره « ابن ماهان » لحربه . وجهّز المأمون طاهر بن الحسين ، فالتقى الجيشان فقتل ابن « ماهان » وانهزم جيش الأمين ، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارًا طويلًا انتهى بقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ . (الوافى بالوفيات ، الجزء الخامس ص ١٣٥ ط ببيروت سنة ١٩٧٠) .

أكثر من واحد كما فعل عمر رضى الله عنه عند موته ، وليس عندنا فى هذا الوجه إلّا التسليم لما أجمع عليه المسلمون حينئذ ، ولا يجوز التردّد فى الاختيار أكثر من ثلاث ليالٍ للثابت عن رسول الله ﷺ من قوله : « مَنْ بات ليلة ليس فى عنقة بيعة[٤٣]» .

ولأن المسلمين لم يجمعوا[٤٤] على ذلك أكثر من ثلاث والزيادة على ذلك باطل لا يحل ، على أن المسلمين يومئذ من حين موت عمر رضى الله عنه قد اعتقدوا بيعة لازمة فى أعناقهم لأحد أولئك الستة بلا شك ، فهم وإن لم يعرفوه بعينه فهو بلا شك واحد من أولئك الستة ، فبأحد هذه الوجوه تصح الإمامة ، ولا تصح بغير هذه الوجوه ألبتة .

قال أبو محمد : فإن مات الإمام ولم يعهد إلى إنسانٍ بعينه فوثب رجل يصلح للإمامة فبايعه واحد فأكثر ، ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده ، فالحق حق الأول وسواء كان الثانى أفضل منه أو مثله أو دونه ، لقول رسول الله ﷺ : « فوا ببيعة الأول فالأول فمن جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائنًا من كان[٤٥]» .

فلو قام اثنان فصاعدًا معا فى وقت واحد أو يئس من معرفة أيهما سبقت بيعته نظر أفضلهما وأسوسهما فالحق له ، ووجب نزع الآخر لقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »[٤٦].

ومن البر تقليد الأسوس ، وليس هذا بيعة متقدمة يجب الوفاء بها ومحاربة من نازع صاحبها ، فإن استويا فى الفضل قدّم الأسوس ، نعم وإن كان أقل فضلًا إذا كان مؤديًا للفرائض والسنن مجتنبا للكبائر ، مستترا بالصغائر لأن الغرض من الإمامة حسن السياسة ، والقوة على القيام بالأمور ، فإن استويا فى الفضل والسياسة أقرع بينهما ، أو نظر فى غيرهما ، والله عزَّ وجل لا يُضَيِّق على عباده هذا الضيق ، ولا يوقفهم على هذا الحرج لقوله تعالى : « ومَا جَعَل عَلَيْكُم فى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »[٤٧].

وهذا أعظم الحرج وبالله تعالى التوفيق .

* * *

---

(٤٣) الذى رواه مسلم فى باب الامارة لفظه : « حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى ، حدثنا أبى ، حدّثنا عاصم عن زيد بن محمد عن نافع قال : جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع ، حين كان من أمر الحرَّة ما كان ، زمن زيد بن معاوية ، فقال : اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة فقال : إنى لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله : « من خلع يدًا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . (صحيح مسلم – كتاب الامارة – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين) .

(٤٤) فى (أ) : (لم يجتمعوا) .

(٤٥) رواه مسلم عن أبى هريرة بلفظ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبىٌّ خلفه بنى ، وإنه لا نبى بعدى ، وستكون خلفاء فتكثر قالوا فما تأمُرنا ؟ قال : فُوا بِبَيْعةِ الأول فالأوّل ، وأعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم » . (مسلم . كتاب الإمارة : باب الأمر بالوفاء ببيعة الخليفة الأول) .

(٤٦) المائدة : ٢

(٤٧) الحج : ٧٨

« الأمْرُ بالمعروف والنَّهى عن المنكر »

قال أبو محمد : اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خلاف من أحد منها[1] لقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[2].

ثم اختلفوا فى كيفيته ، فذهب أهل السنة من القدماء من الصحابة رضى الله عنهم فمن بعدهم ، وهو قول أحمد بن حنبل[3] وغيره ، وهو قول سعد[4] بن أبى وقاص وأسامة[5] ابن زيد ، وابن عمر[6]، ومحمد بن[7] مسلمة وغيرهم – إلى أن الغرض من ذلك إنما هو بالقلب فقط ، ولابدّ أو باللسان إن قدر على ذلك ، ولا يكون باليد ولا بسلّ السيوف ، ووضع السلاح أصلا ، وهو قول أبى بكر بن كيسان[8] الأصم . وبه[9] قالت الروافض كلهم ، ولو قتلوا كلهم إلّا أنها لم تر ذلك الإمام يُخْرِجُ الناطق فإذا خرج وجب سل السيوف ولابد حينئذ معه ، وإلا فلا .

---

(١) فى (أ) : (منهم)

(٢) آل عمران : ١٠٤

(٣) هو : أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى ، أحد الأئمة الأربعة . توفى سنة ٢٤١ هـ . (راجع ترجمة كاملة له فى وفيات الأعيان : ١ /١٧) .

(٤) هو : سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى ، فاتح العراق ، أحد الستة الذين عيّنهم عمر للخلافة . توفى سنة ٥٥ هـ . (راجع ترجمة وافيه له فى الإصابة : ٣١٨٧) .

(٥) هو : أسامة بن زيد بن حارثة أبو محمد صحابى جليل ، له فى كتب الحديث ١٢٨ حديثا . توفى سنة ٥٤ هـ . (راجع طبقات ابن سعد : ٤/٤٣) .

(٦) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، أبو عبد الرحمن ، صحابى ، نشأ فى الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة ، له فى كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا . توفى سنة ٧٣ هـ . (راجع الإصابة – رقم ترجمته ٤٨٢٥) .

(٧) هو : محمد بن مسلمة الأوس ، الأنصارى ، صحابى من أهل المدينة شهد بدرًا وما بعدها إلّا غزوة تبوك . توفى بالمدينة سنة ٤٣ هـ . (راجع الإصابة – ترجمة ٧٨٠٨) .

(٨) راجع ترجمته فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٣٧ .

(٩) الضمير فى (به) يعود على سل السيوف ووضع السلاح ، أى أن الروافض ترى سلّ السيف فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

واقتدى أهل السنة فى هذا بعثمان رضى الله عنه ، وبمن[١٠] ذكرنا من الصحابة رضى الله عنهم ، وبمن رأى القعود منهم .

إلّا أنّ جميع القائلين بهذه المقالة من أهل السنة إنما رأوا ذلك ما لم يكن عدلًا فإن كان عدلًا وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سلّ السيوف مع الإمام العدل ، وقد روينا عن ابن عمر أنه قال : لا أدرى من هى الفئة الباغية ؟ ولو علمتها[١١] ما سبقتنى أنت ولا غيرك إلى قتالها .

قال أبو محمد : وهذا الذى لا يظن بأولئك الصحابة رضى الله عنهم غيره . وذهبت طوائف من أهل السنة ، وجميع المعتزلة ، وجميع الخوارج والزيدية ، إلى أنّ سلّ السيوف فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب إذا لم يمكن دفع المنكر إلا بذلك . قالوا : فإذا كان أهل الحق فى عصابة يمكنهم الدفع ، ولم[١٢] ييأسوا من الظفر ، ففرض عليهم ذلك . وإن كانوا فى عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا فى سعة من ترك التغيير باليد ، وهذا قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكل من معه من الصحابة ، وقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وطلحة[١٣]، والزبير[١٤]، وكل من كان معهم من الصحابة . وقول معاوية[١٥] وعمرو[١٦]، والنعمان[١٧] بن بشير ، وغيرهم ممن معهم من الصحابة ، رضى الله عنهم أجمعين ، وهو قول عبد الله بن الزبير ، ومحمد[١٨] والحسن بن على ، وبقية الصحابة من المهاجرين ، والأنصار القائمين يوم الحرة[١٩]، رضى الله عنهم أجمعين ، وقول كل

---

(١٠) فى (أ) : (وممن) .

(١١) فى (أ) : (ولو علمنا) .

(١٢) فى (أ) : (ولا ييأسون) .

(١٣) راجع ترجمته : طلحة بن عبيد الله بن عثمان فى طبقات ابن سعد حـ ٣ ص ١٥٢ . وقد ترجمنا له فى الجزء الرابع من هذا الكتاب ص

(١٤) هو : الزبير بن العوّام بن خويلد الأسدى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة . توفى سنة ٣٦ هـ له ترجمة وافية فى وفيات الأعيان : ١٨٩/١ ، وقد ترجمنا له فى الجزء الرابع ص

(١٥) هو : معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب ، مؤسس الدولة الأموية فى الشام ، ومن كتاب الوحى لرسول الله ﷺ . راجع ترجمته وافيه فى تاريخ الطبرى : ١٨٠/٦ . وقد ترجمنا له فى الجزء الرابع ص

(١٦) هو : عمرو بن العاص بن وائل ، القرشى أبو عبد الله ، فاتح مصر ، ولاه النبى ﷺ إمرة جيش ذات السلاسل ، وأمده بأبى بكر وعمر . توفى سنة ٤٣ هـ . (راجع ترجمة وافية له فى الإصابة رقم ٥٨٨٤) وقد ترجمنا له فى الجزء الرابع ص

(١٧) هو : النعمان بن بشير بن سعد ، الخزرجى ، الأنصارى ، أبو عبد الله من أجلاء الصحابة له ١٢٤ حديثا . ولى اليمن لمعاوية بعد أن اشترك معه فى حرب صفين ، وهو الذى تنسب إليه « معرّة النعمان » بلد أبى العلاء المعرى . (راجع أسد الغابة : ٢٢/٥) .

(١٨) هو : محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفيفة – راجع ترجمته فى الجزء الرابع من هذا الكتاب ص . وله ترجمة وافية فى طبقات ابن سعد حـ ٦٦/٥) .

(١٩) يوم الحرّة : سببه سخط جماعة عظيمة من المسلمين على سيرة يزيد بن معاوية ، وقد اشترك فى هذا السخط فريق من الأنصار وعلى رأسهم عبد الله بن حنظلة الأنصارى ، وفريق من القرشيين وعلى رأسهم عبد الله بن مطيع بن الأسود القرشى العدوى ، وكان قائد جيش يزيد مسلم ابن عقبة وقد أرهق أهل المدينة ، إذ أتاهم من قبل الحرّة واستباح المدينة ثلاثة أيام ، ولم يميزين قرشى وأنصارى ، وأمر هذه الوقعة تفصيلًا فى (أيام العرب فى الإسلام : ٤٠٩ تأليف : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى – دار إحياء الكتب العربية) .

من أقام على الفاسق الحجاج ، ومن والاه من الصحابة رضى الله عن جميعهم كأنس[٢٠] بن مالك ، وكل من كان مع من ذكرنا من أفاضل التابعين ، كعبد الرحمن[٢١] بن أبى ليلى ، وسعيد[٢٢] بن جبير ، وأبى البُخْترُى[٢٣] الطائى ، وعطاء السلمى الأزدى ، والحسن[٢٤]. البصرى ، ومالك[٢٥] بن دينار ، ومسلم[٢٦] بن يسار ، وأبى الجوزاء[٢٧]، والشعبى[٢٨]، وعبد الله بن غالب ، وعقبة بن وشاج[٢٩]، وعقبة[٣٠] بن عبد الغافر ، وعقبة[٣١] بن مهان ، وماهان والمطرف بن المغيرة بن شعبة ، وأبى المعدل[٣٢] حنظلة بن عبد الله ، وأبى شيخ[٣٣] الهَنَّائى وطَلْق بن[٣٤] حبيب ، والمطرِّف بن عبد

(٢٠) أنس بن مالك : ترجم لى فى الجزء الرابع ص

(٢١) عبد الرحمن بن أبى ليلى : تابعى مشهور ، أدرك النبى ﷺ – هكذا قال عنه ابن البرق فى رجال الموطأ – وكأنه اشتبه عليه بأبيه ، وإلا فقد صرح غيره بأنه ولد فى عهد عمر رضى الله عنه – واختلف فى صحة سماعه منه . وله مراسيل ، ومات فى الحمام سنة ثلاث وثمانين من الهجرة . (الإصابة : ٨١/٤ طبع كلكتا سنة ٨٥٣) .

(٢٢) سعيد بن جبير : ترجم له فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ص

(٢٣) هو : سعيد بن فيروز ابن عمران أبو البُخترى الطائى ، مولاهم الكوفى . روى عن أبيه وعن كثير غيره . قال عبد الله بن شعيب عن ابن معين : أبو البخترى الطائى : اسمه سعيد وهو ثبت . وقال ابن أبى خثيمة عن ابن معين : ثقة . وقال هلال بن خباب : كان من أفاضل أهل الكوفة . قال أبو نعيم : مات فى الجماجم سنة ٨٣ هـ . (تهذيب التهذيب جزء ١٢ – الكنى ص ١٧ ، ٧٣/٤) بتصرف .

(٢٤) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص .

(٢٥) هو مالك بن دينار البصرى ، الزاهد ، أبو يحيى ، من رواه الحديث كان ورعًا يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة . توفى فى البصرة قيل سنة ١٣١ هـ وفى تهذيب التهذيب خلاف فى تاريخ وفاته (تهذيب التهذيب : ١٤/١٠ ، ١٥ وتقريب التهذيب ٢٢٢/٢) . طبع دار المعرفة ببيروت .

(٢٦) هو : مسلم بن يسار ، الأموى بالولاء ، أبو عبد الله ، فقيه ناسك من رجال الحديث ، أصله من مكة ، سكن البصرة ، فكان فقيها ، وتوفى فيها سنة ١٠٨ هـ (راجع تهذيب التهذيب : ١٤٠/١٠) .

(٢٧) هو : أوس بن عبد الله أبو الجوزاء الرَّبعى البصرى . وثَّقوه ، وقال البخارى قال يحيى بن سعيد : قتل فى الجماجم . فى إسناده نظر ، ويختلفون فيه . وذكره صاحب ميزان الاعتدال فى الكنى تحت عنوان (أبو الجوزاء) وقال : تابعى مشهور (ميزان الاعتدال : ٢٧٨/١ – الترجمة رقم ١٠٤٥ ، وحـ ٥١٢/٤) . وجاء فى (أ) : (أبو الحوراء) .

(٢٨) الشعبى : انظر ترجمته ص ٨٩ من هذا الجزء .

(٢٩) هو : عقبة بن وشاج الأزدى ، بصرى نزل بالشام . ثقة من الثالثة قتل بعد ثمانين بالراية أو الجماجم . (تقريب التهذيب : ٢ /٢٨ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف) وقد سقط من (أ) .

(٣٠) هو : عقبة بن عبد الغافر الأزدى أبو نهار البصرى . مات سنة ٨٣ هـ (تقريب التهذيب ٢٨/٢ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف) .

(٣١) وفى (أ) : (عقبة بن صَهْبان) .

(٣٢) أبو المعدل : حنظلة . وفى (أ) : « أبو المعدّ وحنظلة » .

(٣٣) أبو شيخ الهَنَّائى الهَمْدَلى : بصرى ، قرأ على أبى موسى ، وروى عن معاوية ، وعنه بيهن بن فهدان ، وقيادة ومطر الوراق . ثقة (الكاشف : للذهبى حـ ٣ طبع ببيروت) قال عنه ابن سعد ، كان ثقة وله أحاديث ، مات قبل الحسن . (تهذيب التهذيب : ١٢٩/١٢) . وفى (أ) : « سح » .

(٣٤) هو : طلْق (بسكون اللام) ابن حبيب العنَزى بفتح المهملة والنون ، بصرى صدوق ، عابد ، رُمى بالإرجاء ، من الثالثة – مات بعد التسعين للهجرة (تقريب التهذيب : ٣٨٠/١ طبع بيروت) .

الله ابن الشِّخِّير[٣٥]، والنَّضْر[٣٦] بن أنس ، وعطاء بن السائب[٣٧]، وإبراهيم بن[٣٨] يزيد التيمى ، وابن الجوساء[٣٩]، وجَبَلة بن زَحْر[٤٠] وغيرهم ، ثم بعد هؤلاء من تابعى التابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عبد[٤١] العزيز بن عبد الله بن عمر ، وكعبيد الله بن عمر ، ومحمد بن[٤٢] عجلان ، ومن خرج مع محمد بن عبد[٤٣] الله بن الحسن وهُشَيم[٤٤] بن بَشير ، ومطر[٤٥] الوراق ، ومن خرج

---

(٣٥) هو : مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير العامرى ، أبو عبد الله البصرى ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من أهل البصرة . وقال : روى عن أبى بن كعب ، وكان ثقة ذا فضل وورع وأدب . وقال العجلى : كان ثقة ، ولم ينج بالبصرة من حسد بن الأشعث إلا مطرف – من كبار التابعين ، رجل صالح . وقال ابن سعد : توفى فى أول ولاية الحجاج – وقال عمرو بن على والترمذى : مات سنة خمس وتسعين . وقال ابن حبان فى الثقات : ولد فى حياة النبى ﷺ ، ومات فى طاعون الجارف سنة سبع وثمانين (تهذيب التهذيب : ١٠/١٧٣ ، ١٧٤ بتصرف) . وقد ذكر محرفا فى (أ) .

(٣٦) هو : النَّضْر بن أنس مالك الأنصارى ، أبو مالك البصرى . قال النسائى : ثقة وذكره ابن حبان فى الثقات . وقال الأجرى عن أبى داود : كان فيمن خرج إلى الجماجم يقال : مات قبل أخيه موسى . وذكر الطبرى : أنه كان فيمن خرج مع زيد بن المهلب أيام خروجه على يزيد ابن عبد الملك . وقال ابن سعد : كان ثقة له أحاديث . ومات قبل الحسن . وقال سليمان حرب ثنا الأسود – يعنى ابن شيبان – كان الحسن فى جنازة النضر . قال : وصلى موسى بن أنس يومئذ فى قبر النضر ، وكان واسعا مطروحًا . وقال العجلى : بصرى تابعى ثقة . (تهذيب التهذيب : ١٠/٤٣٥ ، ٤٣٦ بتصرف) . وجاء فى (أ) (والنّصر) بالصاد المهملة .

(٣٧) هو : عَطَّاء بن السائب بن مالك ، ويقال : زيد ، ويقال : يزيد أبو السائب ، ويقال : أبو زيد ، ويقال : أبو محمد الكوفى . روى عن أبيه وأنس قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة ، رجل صالح . وقال أبو طالب عن أحمد من سمع منه قديما فسماعه صحيح ، ومن سمع منه حديثا لم يكن بشىء . سمع منه قديما سفيان وشعبة ، وسمع منه حديثا جرير وخالد ، واسماعيل وعلى بن عاصم . وكان يرفع عن سعيد بن جبير أشياء لم يكن يرفعها . قال ابن سعد وغيره مات سنة ١٣٧ هـ أو نحوها . (تهذيب التهذيب : ٧/٢٠٣ ، ٢٠٤ – ٢٠٦ بتصرف) .

(٣٨) هو : إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى ، تيم الرباب الكوفى العالم العامل روى عن أبيه والحارث بن سويد ، وعمرو بن ميمون وطائفة ، وعنه : بيان بن بشر ويونس بن عبيد والأعمش وجماعة . وكان من الثقات . قتله الحجاج ، وقيل مات فى حبسه ولم يبلغ الأربعين . قال الأعمش : سمعته يقول : ربما أتى على شهران لا أطعم فيهما – لا يسمعنَّ هذا منك أحد . يكنى : أبا أسماء . مات قبل أنس بن مالك فى سنة اثنتين وتسعين رحمه الله تعالى . (تذكرة الحفاظ للذهبى : ١/٧٣) .

(٣٩) فى (أ) : (أبو الحوساء) بالحاء المهملة .

(٤٠) هو : جَبَلَة بن زَحْر بن قيس الجعفى : قائد من الأشراف الشجعان المقدمين فى العصر المروانى . ثار على الحجاج الثقفى ، ونادى بخلع عبد الملك بن مروان ، وقاد كتيبة القرّاء فى جيش بن الأشعث ، فشهد معه الوقائع ، وقتل فى وقعة دير الجماجم عام ٨٣ هجرية (ابن الأثير : ٤/١٨٢ وما بعدها بتصرف) .

(٤١) هو : عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى العمرانى الزاهد المدنى . روى عن النبى ﷺ مرسلا . قال النسائى : ثقة . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : كان من أزهد أهل زمانه ، وأشدّهم تخليا للعبادة توفى سنة ١٨٤ هـ . وكان فضل ابن عياض يقول : ما أحبُّ أن يستأذن علىَّ أحد إلَّا العمرى » . (تهذيب التهذيب ٥/٣٠٢ وما بعدها بتصرف) .

(٤٢) هو : محمد بن عجلان ، إمام صدوق مشهور ، روى عن أبيه والمقبرى وطائفة وعنه : مالك وشعبة ويحيى القطان . وثّقه أحمد وابن يعيش . قال الحاكم أخرج له مسلم فى كتابه ثلاثة عشر حديثا كلها شواهد . توفى ابن عجلان سنة ١٤٨ هـ (ميزان الاعتدال : حـ ٣ باب الميم) بتصرف .

(٤٣) هو : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو عبيد الله الملقب بالأرقط ، وبالمهدى ، وبالنفس الزكية ، أحد الأمراء الأشراف من الطالبيين ، ولد ونشأ بالمدينة (الأعلام : ٤/٩٠) .

(٤٤) هو : هُشَيم بن بَشير بن أبى خازم قاسم بن دينار السّلمى ، أبو معاوية أحد الأعلام ، سمع الزهرى وحصين بن عبد الرحمن ، وعنه يحيى القطان وأحمد ويعقوب الدورقى وخلق كثير . قال أحمد : لم يسمع من يزيد بن أبى زياد ولا من عاصم بن كليب ، ولا من الحسن ابن عبد الله ، ولا من أبى خلدة .. وسمّى جماعة قال وقد حدَّث عنهم . قلت : كان مذهبه جواز التدليس . توفى سنة ١٨٣ هـ (ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : ٤/٣٠٦ بتصرف) .

(٤٥) هو : قطر – بفتحتين بن طهمان الورّاق ، أبو رجاء السُّلَمى ، ومولاهم الخرسانى سكن البصرة ، صدوق ، كثير الخطأ ، وحديثه عن عطاء ضعيف . (تقريب التهذيب : ٢/٢٥٢ طبع بيروت) بتصرف .

مع إبراهيم بن[٤٦] عبد الله ، وهو الذى تدل عليه أقوال الفقهاء كأبى حنيفة ، والحسن بن[٤٧] حى ، وشريك[٤٨]، ومالك ، والشافعى وداود ، وأصحابهم .

فأن كل من ذكرنا من قديم وحديث ، إمَّا ناطق بذلك فى فتاواه وإما فاعل لذلك ، بسلِّ سيفه فى إنكار ما رأوه منكرًا .

قال أبو محمد : احتجت الطائفة المذكورة أولًا بأحاديث فمنها : « أنقاتلهم يا رسول الله ؟ قال : لا . ما صلوا[٤٩]» . وفى بعضها : « إلَّا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان[٥٠]» .

وفى بعضها وجوب الصبر وإن ضرب ظهر أحدنا وأخذ ماله[٥١].

وفى بعضها : فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فاطرح ثوبك على وجهك وقل : إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار[٥٢]» .

---

(٤٦) هو : إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى المدنى . روى عن أبيه ، وعن عمّ أبيه عبد الله بن عباس . روى عن ميمونه . روى عنه نافع وأخوه عباس بن عبد الله ، وابن جريج . قلت ذكره ابن حبان فى الثقات فى طبقة أتباع التابعين . وقال : قيل إنه سمع من ميمونة وليس ذلك بصحيح عندنا (تهذيب التهذيب : ١٣٧/١ بتصرف) . ط دار صادر .

(٤٧) هو : الحسن بن صالح بن حى الهمدانى الثورى الكوفى . أبو عبد الله . من زعماء الفرقة « البُتْرِيَّة » من الزيدية . كان فقيها مجتهدًا متكلما ، أصله من ثغور همذان . وتوفى متخفيا فى الكوفة . قال الطبرى : كان اختفاؤه مع عيسى بن زيد فى موضع واحد سبع سنين والمهدى جاد فى طلبهما . له كتب منها (التوحيد) و (إمامة ولد على من فاطمة) و (الجامع) فى الفقه – وهو من أقران سفيان الثورى . ومن رجال الحديث الثقات . توفى سنة ١٦٨ هـ (تهذيب التهذيب : ٢٨٥/٢ ، الفرق بين الفرق : ٣٣) بتصرف .

(٤٨) هو : شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى أبو عبد الله ، الكوفى ، القاضى . روى عن زياد ، وأبى إسحاق السبيعى ، وعبد الملك ابن عمير ، والعباس بن ذريح وإبراهيم بن جرير العجلى وغيرهم . وعنه : ابن مهدى ، ووكيع ، ويحيى بن آدم ، ويونس بن محمد المؤدب وغيرهم وقال يزيد بن الهيثم عن ابن معين : شريك ثقة وهو أحبّ إلىّ من أبى الأحوص وجرير توفى سنة ١٧٧ هـ (تهذيب التهذيب : ٣٣٣/٤) بتصرف .

(٤٩) وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث ، الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة ، أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى .

(٥٠) الحديث رواه البخارى فى كتاب الفتن رقم ٣ ، ورواه مسلم فى الإمارة ، ولفظه كما جاء فى البخارى عن عبادة بن الصامت : قال دعانا النبى ﷺ فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أنْ بايَعَنَا على السَّمْع والطاعة فى مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا ، وعُسْرِنا ويُسْرِنا وأثْرَةٍ عَلَيْنا ، وأن لا نُنَازِع الأمْر أهْلَه إلَّا أنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عندكم من الله فيه بُرهانٌ » .

(٥١) هذا الحديث رواه مسلم ، ولفظه عنده : « قال حُذيفةُ بن اليمان : قلت يا رسول الله إنّا كنَّا بشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراءِ هذا الخير شرٌّ ؟ قال : نعم . قلت : هل وراء ذلك الشرّ خير ؟ قال : نعم . قلت : فهل وراء ذلك الخير شرٌّ ؟ قال : نعم . قلت : كيف ؟ قال : يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ، ولا يستنّون بسنّتى . وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس – قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضربَ ظهرك ، وأخذ مالك . فاسمع وأطع . (كتاب الإمارة : حديث رقم ٥٢٠ – تحقيق محمد فؤاد عبد الباق – دار إحياء التراث العربى) وجاء هذا الحديث محرفا فى (أ) .

(٥٢) الحديث رواه أبو داود فى كتاب الفتن والملاحم رقم ٥٢٦١ ، وأخرجه أيضًا ابن ماجه فى الفتن رقم ٣٩٥٨ باب التثبت فى الفتنة ، ولفظة عند أبى داود عن أبى ذر قال لى رسول الله ﷺ : « يا أبا ذرٍّ كيفَ أنْت إذا أصاب الناسَ مَوْتٌ يكونُ البيت فيه بالوصَيف – يعنى « القبر » – قلتُ : الله ورسوله أعلم . قال : عليك بالصَّبر . ثم قال لى : يا أبا ذرٍّ . قلت : لبيك وسعديك قال : كيف أنت إذا رأيت أحجار الزّيت قد غرقت بالدَّم . قلت : ما خار الله لى ورسوله . قال : عليك بِمَنْ أنْتَ منه . قلت : يا رسول الله أفلا آخذ سيفى وأضعه على عاتقى ؟. قال : شاركت القوم اذن قلت : فما تأمرنى قال : تلزم بيتك قلت : فإن دُخِلَ عَلَيَّ بيتى قال : فإن خشيتَ أنْ يَبْهَرك شُعَاع السَّيف ، فألق ثوبك على وجهك ، يبوءُ بإثمك وإثمه » .

وفى بعضها : كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل[٥٣]. وبقول الله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر[٥٤]» الآية .

قال أبو محمد : كل هذا لا حجة لهم فيه لما قد تقصيناه غاية التقصى خبرًا خبرًا بأسانيدها ومعانيها فى كتابنا الموسوم بالإيصال إلى فهم معرفة[٥٥] الخصال ، ونذكر منه إن شاء الله هاهنا جملا كافية وبالله تعالى نتأيّد .

أمّا أمره عليه السلام بالصّبر على أخذ المال ، وضرب الظهر فإنما ذلك بلا شك إذا تولى الإمامُ ذلك بحق ، وهذا ما لا شك فيه أنه فرض علينا الصبر له . فإن[٥٦] امتنع من ذلك – بل من ضرب رقبته إن وجب عليه – فهو فاسق عاص لله عزَّ وجل وأمّا إن كان ذلك بباطل فمعاذ الله أن يأمر رسولُ الله ﷺ بالصّبر على ذلك ، برهان هذا قول الله عزَّ وجل : « وتَعاونُوا عَلى البِرِّ والتَّقْوى ، ولَا تَعَاونُوا على الْإِثْمِ والعُدْوان[٥٧]» .

وقد علمنا أن كلام رسول الله ﷺ لا يخالف كلام ربه تعالى قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى[٥٨]» .

وقال تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا[٥٩]» .

فصح أن كل ما قاله رسول الله ﷺ فإنه[٦٠] وحى من عند الله عزَّ وجل لا اختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض ، فإذ[٦١] هو كذلك فبيقين لا شك فيه يدرى كل مسلم أن أخذ مال مسلم أوذمى بغير حق ، وضرب ظهره بغير حق إثم وعدون وحرام ، قال رسول الله ﷺ : « إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم ، وأبشاركم حرام عليكم[٦٢]» .

---

(٥٣) جاء هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد ولفظه عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال : دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب ذعرًا يجر رداءه فقالوا : لِمَ ترع ، قال : والله لقد رعتمونى . قالوا : أأنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ قال : نعم . قال : فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه ..؟ قال نعم : سمعته يحدث عن رسول الله – ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى . قال : فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول . قال أيوب الذى حدث عن حميد – ولا أعلمه إلا قال : ولا تكن عبد الله القائل . قال فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ، وبقروا أم ولده عما فى بطنها (٥/١١٠ دار صادر بيروت) .

(٥٤) سورة المائدة : ٢٧

(٥٥) سبق الحديث عن هذا الكتاب بين آثار ابن حزم ومؤلفاته .

(٥٦) فى الأصل (وإن) .

(٥٧) المائدة : ٢

(٥٨) النجم : ٢ ، ٣

(٥٩) النساء : ٨٢

(٦٠) فى (أ) : (فهو) .

(٦١) فى (أ) : (فإذا كان هذا) .

(٦٢) هذا الحديث رواه البخارى فى كتاب الفتن – (راجع فتح البارى : ٣ /٢٦٠ ، وهو جزء من حديث طويل .

فإذ لا شك فى هذا ، ولا اختلاف من أحد من المسلمين فالْمُسَلِّمُ ماله للأخذ ظلما ، وظهره للضرب ظلما ، وهو يقدر على الامتناع من ذلك بأىِّ وجهٍ أمكنه معاون لظالمه على الإثم والعدوان ، وهذا حرام بنصّ القرآن .

وأما سائر الأحاديث التى ذكرنا ، وقصة ابنى آدم فلا حجة فى شىء منها ، أمّا قصّة ابنى آدم فتلك شريعة أخرى غير شريعتنا ، قال الله عزّ وجل : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا[٦٣]» .

وأما الأحاديث : فقد صحّ عن رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده إن استطاع ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ، ليس وراء ذلك من الإيمان شىء[٦٤]» .

وصحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا طاعة فى معصية إنما الطاعة فى الطاعة ، وعلى أحدكم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة[٦٥]» ، وأنه عليه السلام قال : « مَنْ قتل دونَ ماله فهو شهيد ، والمقتول دون دينه شهيد ، والمقتول دون مظلمة شهيد[٦٦]» .

وقال عليه السلام : « لَتَأْمُرُنَّ بالمعْرُوف ، ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ أو لَيَعُمَّنكم الله بعذابٍ مِنْ عِنْدِه[٦٧]» .

فكان ظاهر هذه الأخبار معارضا للآخر ، فصحَّ أن إحدى هاتين الجملتين ناسخة للأخرى ، لا يمكن غير ذلك ، فوجب النظر فى أيهما هو الناسخ ، فوجدنا تلك الأحاديث التى فيها[٦٨] النهى عن القتال موافقة لمعهود الأصل ، ولِماَ كانت الحال عليه فى أول الإسلام بلا شك ، وكانت هذه الأحاديث الأخر واردة بشريعة زائدة وهى القتال ، هذا ما لا يُشَكّ[٦٩] فيه ، فقد صحّ

---

(٦٣) المائدة : ٤٨

(٦٤) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان - باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان .

(٦٥) رواه البخارى فى باب الأحكام ، ورواه الترمذى فى الجهاد : ٢٩ ، وابن ماجه فى الجهاد : ولفظه عند البخارى : عن نافع عن عبد الله عن النبى ﷺ : قال : السَّمْع والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

(٦٦) رواه مسلم فى الإيمان : ٢٢٦ ، وأبو داود فى السنة رقم ٤٧٧٢ باب فى قتال اللصوص ولفظه عند أبى داود : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله أو دون دمه ، أو دون دينه فهو شهيد » .

(٦٧) رواه أبو داود فى كتاب الملاحم رقم ١٧ ، باب الأمر والنهى ، ورواه الترمذى فى الفتن رقم ٩ وأحمد بن حنبل : ٣٨٨/٥ ، ولفظه عند أبى داود : « كلا والله لتأمُرن بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، ولتأخذُنّ على أيدى الظالم ، ولتأطرنَّه على الحق أطرًا ، ولتقصرنَّه على الحقّ قصرًا » .

(٦٨) فى (أ) : (منها) .

(٦٩) فى (أ) : (ما لا شك) .

نسخ معنى تلك الأحاديث ورفع حكمها حين نطقه عليه السلام بهذه الأخر بلا شك ، فمن المحال المحرم أن يؤخذ بالمنسوخ ويترك الناسخ ، وأن يؤخذ الشك ويترك اليقين . ومن ادَّعى أن هذه الأخبار بعد أن كانت هى الناسخة فعادت منسوخة فقد ادَّعى الباطل . وقَفَا ما لا علم له به وقال[٧٠] على الله عزّ وجل ما لم يعلم ، وهذا لا يحل . ولو كان هذا لما أخلى الله عزّ وجل هذا الحكم عن دليل وبرهان يبيّن به رجوع المنسوخ ناسخًا ، لقوله تعالى فى القرآن : « تبيانا لكل شىء[٧١] » .

وبرهان آخر : وهو أن الله عزّ وجل قال : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله[٧٢] » .

ولم يختلف مسلمان فى أن هذه الآية التى فيها فرض قتال الفئة الباغية محكمة غير منسوخة ، فصحَّ أنها الحاكمة فى تلك الأحاديث ، فما كان موافقا لهذه الآية فهو الناسخ الثابت ، وما كان مخالفا لها فهو المنسوخ المرفوع .

وقد ادّعى قوم أنَّ هذه الآية وهذه الأحاديث فى اللصوص دون[٧٣] السلطان .

قال أبو محمد : وهذا باطل متيقن ، لأنه قول بلا برهان ، وما يعجز مدّع عن أن يدعى فى تلك الأحاديث أنها فى قوم دون قوم ، وفى زمان دون زمان ، والدَّعوى دون برهان لا تصح ، وتخصيص اللصوص[٧٤] بالدَّعوى لا يجوز ، لأنه قول على الله تعالى بلا علم ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ أن سائلًا سأله عمن طلب ماله بغير حق فقال عليه السلام : لا تعطه ، قال : فإن قاتلنى ؟ قال : قاتله ، قال : فإن قتلته . قال : إلى النار ، قال : فإن قتلنى ؟ قال : فأنت فى الجنة[٧٥] » .

أو كلامًا هذا معناه .

وصحّ عنه عليه السلام أنه قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يسلمه ، ولا يظلمه[٧٦] » .

---

(٧٠) فى (أ) : (فقال) .
(٧١) النحل : ٨٩
(٧٢) الحجرات : ٩
(٧٣) فى (خ) : (دون) سقطت .
(٧٤) فى (أ) : (النصوص) وهو تحريف .
(٧٥) هذا الحديث رواه مسلم فى كتاب الإيمان عن أبى هريرة ولفظه : « قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : « يا رسول الله : أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى قال : فلا تعطه مالك ، قال : أرأيت إن قاتلنى . قال : قاتله . قال : أرأيت إنْ قَتَلنى . قال : فأنت شهيد . قال : أرأيت إنْ قتلتُه ؟ قال : هو فى النار » .
(٧٦) رواه البخارى باب : لا يظلم المسلمُ ولا يسلمه : ولفظه : « المسلم أخو المسلم لا يَظْلمه ، ولا يُسْلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ... الخ » .

وقد صح أنه عليه السلام قال فى الزكاة : « من سئلها على وجهها فليعطها ، ومن سئلها على غير وجهها فلا يعطها[٧٧] » . وهذا خبر ثابت رويناه عن طريق الثقات عن أنس بن مالك ، عن أبى بكر الصديق ، عن رسول الله ﷺ . وهذا يبطل تأويل من تأوّل أحاديث القتال عن المال على اللصوص ، لأن اللصوص[٧٨] لا يطلبون الزكاة . وإنما يطلبها السلطان ، فافترض[٧٩] عليه السلام منعها إذا سئلها على غير ما أمر به عليه السلام ، ولو اجتمع أهل الحق ما قاومهم[٨٠] أهل الباطل ، نسأل الله المغفرة والتوفيق .

قال أبو محمد : وأمّا[٨١] ما اعترضوا به من فعل عثمان فما علم قط أنه يقتل ، وإنما كان يراهم يحاصرونه فقط ، وهم لا يرون هذا اليوم للإمام العدل ، بل يرون القتال معه ودونه فرضا ، فلا حجة لهم فى أمر عثمان رضى الله عنه .

وقال بعضهم : إنّ فى القتال إباحة الحريم وسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وهتك الأستار ، وانتشار الأمر .

فقال لهم الآخرون : كلّا لأنه لا يحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يهتك حريما ، ولا أن يأخذ مالًا بغير حق ، ولا أن يتعرض لمن[٨٢] لا يقاتله ، فإن فعل شيئًا من هذا فهو الذى فعل ما ينبغى أن يغير عليه ، وأمّا قتله أهل المنكر قلُّوا أو كثُروا فهذا فرض عليه .

وأمّا قتل أهل المنكر للناس ، وأخذهم أموالهم ، وهتكهم حريمهم فهذا كلُّه من المنكر الذى يلزم الناسَ تغييرُه .

وأيضًا : فلو كان خوف ما ذكروا مانعًا من تغيير المنكر ، ومن الأمر بالمعروف لكان[٨٣] هذا بعينه مانعًا من جهاد أهل الحرب ، وهذا ما لا يقوله مسلم ، وإن أدّى[٨٤] ذلك إلى سبى النّصارى نساءَ المسلمين وأولادهم ، وأخذ أموالهم ، وسفك دمائهم ، وهتك حريمهم .

ولا خلاف بين المسلمين فى أنّ الجهاد واجب مع وجود هذا كله ، ولا فرق بين الأمرين . كل ذلك جهاد ودعاء إلى القرآن والسنة .

---

(٧٧) رواه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب زكاة الغنم ، ولفظه : « هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله ﷺ على المسلمين ، والتى أمر بها رسوله ، فمن سُئِلَها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعطها » .

(٧٨) فى (أ) : سقطت كلمة (لأن اللصوص) .

(٧٩) فى (أ) : جاءت العبارة محرفة هكذا (فاقتصر عليه السلام معها إذا سألها) .

(٨٠) فى (أ) : (ما قواهم) وهو تحريف يخل بالمعنى .

(٨١) فى (أ) : (وما) .

(٨٢) فى الأصل (مَنْ لا) .

(٨٣) فى (خ) : لكل .

(٨٤) فى (أ) : (ادّعى) .

قال أبو محمد : ويقال لهم ما تقولون فى سلطانٍ جعل اليهود أصحاب أمره ، والنصارى جنده ، وألزم المسلمين الجزية ، وحمل السيف على أطفال المسلمين ، وأباح المسلمات للزنا ، وحمل السيف على كل من وُجد من المسلمين ، وملك نساءهم وأطفالهم ، وأعلن العبث بهم ، وهو فى كل ذلك مقرٌّ بالإسلام ، معلن به ، لا يدع الصلاة ؟

فإن قالوا : لا يجوز القيامُ عليه . قيل لهم : إنه لا يدع مسلما إلا قتله جملة وهذا إن ترك أوجب ضرورة ألا يبقى إلّا هو وحده ، وأهل الكفر معه .

فإن أجازوا الصّبر على هذا خالفوا الإسلام جملة ، وانسلخوا منه .

وإن قالوا : بل يقام عليه ويُقاتَل وهو قولهم . قلنا لهم : فإن قتل تسعة أعشار المسلمين أو جميعهم إلّا واحدًا ، وسبى من نسائهم كذلك ، وأخذ من أموالهم كذلك ، فإن منعوا من القيام عليه تناقضوا . وإن أوجبوا سألناهم عن أقل من ذلك ، ولا نزال نحطهم إلى أن نقف بهم على قتل مسلم واحد ، أو على الغلبة[٨٥] على امرأة واحدة ، أو على أخذ مال أو على انتهاك نسوة[٨٦] بظلم ، فإن فرقوا بين شىءٍ من ذلك تناقضوا ، وتحكّموا بلا دليل ، وهذا ما لا يجوز وإن أوجبوا إنكار كل ذلك رجعوا إلى الحق .

ونسألهم عمن قصد[٨٧] سلطانُه الجائرُ الفاجرُ زوجته ، وابنته ، وابنه ، ليفسق بهم ، أو ليفسق به بنفسه ، أهو فى سعة من إسلام نفسه ، وامرأته ، وولده ، وابنته ، للفاحشة ، أم فرض عليه أن يدفع من أراد ذلك منهم ؟

فإن قالوا : فَرْضٌ عليه إسلام نفسه وأهله ، أتوا بعظيمة لا يقولها مسلم .

وإن قالوا : بل فرض عليه أن يمتنع من ذلك ويقاتل رجعوا إلى الحق ، ولزم ذلك كل مسلم فى كل مسلم وفى المال كذلك .

قال أبو محمد : والواجب إن وقع شىء من الجور ، وإن قلَّ أن يكلَّمَ الإمامُ فى ذلك ويمنع منه ، فإن امتنع وراجع الحق ، وأذعن للقود من البشرة ، أو من الأعضاء ، ولإقامة حدّ الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل إلى خلعه وهو إمام كما كان لا يحل خلعه .

فإن امتنع من إنفاذ شىء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه وإقامة غيره ، ممن يقوم بالحق لقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان[٨٨] » .

ولا يجوز تضييع شىءٍ من واجبات الشرائع . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٨٥) فى (أ) : سقطت كلمة (الغلبة) .
(٨٦) فى (أ) : (بشرة) .
(٨٧) فى (أ) : (غصب) .
(٨٨) المائدة : ٢

الكلام فى الصَّلاة خلف الفاسق
والجهاد معه ، والحج معه[1]، ودفع الزكاة إليه ، ونفاذ أحكامه
من الأقضية والحدود وغير ذلك

قال أبو محمد : ذهبت طائفة إلى أنه لا تجوز الصلاة إلَّا خلف الفاضل ، وهو قول الخوارج والزيدية ، والروافض ، وجمهور المعتزلة ، وبعض أهل السنة . وقال آخرون : إلا الجمعة والعيدين وهو قول بعض أهل السنة .

وذهبت[2] الصحابة كلهم دون خلاف من أحد منهم ، وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من أحد منهم ، وأكثر مَنْ بعدهم ، وجمهور أصحاب الحديث ، وهو قول أحمد ، والشافعى ، وأبى حنيفة ، وداود ، وغيرهم إلى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها . وبهذا نقول . وخلاف هذا القول بدعة محدثة ، فما تأخر قط أحد من الصحابة الذين أدركوا المختار ابن[3] عبيد ، والحجاج[4]، وعبيد الله[5] بن زياد وحُبَيْش[6] بن دَلَجَة وغيرهم – عن الصلاة خلفهم ، وهؤلاء أفسق الفساق . وأمّا المختار فكان متَّهمًا فى دينه ، مظنونا به الكفر .

قال أبو محمد : احتجّ من يقول بمنع الصلاة خلفهم بقول الله تعالى : « إنما يتقبل الله من المتقين[7]» .

---

(١) فى (أ) : سقطت : (معه) .

(٢) فى (أ) : (طائفة الصحابة) .

(٣) هو : المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، من زعماء الثائرين على بنى أمية ، لما قتل الحسين سنة ٦١ هـ طالب المختار بثأره ، ودعا إلى إمامة محمد بن الحنفية فبايعه سبعة عشر ألف رجل سرًّا ، وتتبع قتلة الحسين فقتل منهم : شمر بن الجوشن ، وقوى أمره ، وشاع فى الناس أخبار عنه بادعائه النبوة التقى مع جيش « مصعب بن الزبير » فقتل المختار عام ٦٧ هـ (الإصابة ترجمة ٨٥٤٧ بتصرف) .

(٤) سبقت ترجمته فى الجزء الثالث ص

(٥) هو : عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ولّاه معاوية خراسان سنة ٥٣ هـ ، فتح « راميثند » ونصف « بيكند » ثم ولّاه على البصرة سنة ٥٥ هـ ، فقاتل الخوارج واشتد عليهم ، قتله ابن الأشتر فى (خازر) من أرض الموصل سنة ٦٧ هـ (الطبرى : ١٦٦/٦) .

(٦) هو : حُبَيْشٌ بن دَلَجة القينى ، من قادة الجيوش الأمويين ، وهو من أهل الأردن ولّاه القيادة مروان بن الحكم ، فاستولى على المدينة ، وجدّد البيعة فيها لمروان ، ثم تقدّم إلى البصرة لحرب الحارث بن أبى ربيعة ، والتقى معه فى « الرَّبَذَة » ، فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله عام ٦٥ هـ . (راجع الكامل لابن الأثير : ٧٤/٣ وما بعدها) .

(٧) المائدة : ٢٧

قال أبو محمد : فيقال لهم : كل فاسق إذا نوى بصلاته وجه[٨] الله عزَّ وجل فهو فى ذلك من المتقين ، فصلاته متقبلة . ولو لم يكن من المتقين إلَّا من لا ذنب له ما استحق أحد هذا الاسم بعد رسول الله ﷺ . قال الله عزَّ وجل : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة[٩] » .

ولا يجوز القطع على الفاسق بأنه لم يرد بصلاته وجه الله تعالى ، ومن قطع بهذا فقد قفا ما لا علم له به ، وقال ما لا يعلم ، وهذا حرام . وقال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم[١٠] » .

وقال عزّ وجل : « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم[١١] » .

وقال بعضهم : إنّ صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الإمام .

قال أبو محمد : وهذا غاية الفساد ، لأنه قول بلا دليل ، بل البرهان يبطله لقول الله عزَّ وجل : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها[١٢] » .

وقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى[١٣] » .

ودعوى الارتباط هاهنا قول بلا برهان ، لا من قرآن ، ولا من سنة ، ولا من إجماع ، ولا من معقول ، وهم قد أجمعوا على أنَّ طهارة الإمام لا تنوب عن طهارة المأموم ، ولا قيامة عن قيامة ، ولا قعوده عن قعوده ، ولا سجوده عن سجوده ، ولا ركوعه عن ركوعه ، ولا نيّته عن نيته ، فما معنى هذا الارتباط الذى تدَّعونه إذن ؟

وأيضًا : فإن القطع على[١٤] سريرة الذى ظاهره الفضل لا يجوز ، وإنما هو ظن فاستوى الأمر فى ذلك فى الفاضل والفاسق . وصحَّ أنه لا يصلّى أحد عن أحد ، وأن كل أحدٍ يصلى عن نفسه . وقال تعالى : « أجيبوا داعى الله[١٥] » . فوجب بذلك ضرورة أن كل داعٍ دعى إلى خير من

(٨) فى (أ) : (رحمه الله) .
(٩) النحل : ٦١
(١٠) الإسراء : ٣٦
(١١) النور : ١٥
(١٢) الأنعام : ١٦٤
(١٣) الأنعام : ١٦٤
(١٤) فى (أ) : (عن)
(١٥) الأحقاف : ٣١

صلاة أو حج أو جهاد أو تعاونٍ على بر وتقوى ففرضٌ إجابته وعمل ذلك الخير معه ، لقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان[١٦]» .

ومن دعا إلى منكر لم يحل لأحد إجابته إلى الإثم والعدوان[١٧]، بل فرض دفاعه ومنعه . وبالله تعالى نتأيد .

* * *

قال أبو محمد : وأيضًا فإن الفسق منزلة نقص عمن هو أفضل منه ، والذى لا شكّ فيه أن النسبة بين أفجر فاجر من المسلمين ، وبين أفضل الصحابة رضى الله عنهم أقرب من النسبة بين أفضل الصحابة رضى الله عنهم ، وبين رسول الله ﷺ وما عرى أحدٌ من تعمُّد ذنب وتقصير بعد رسول الله ﷺ ، وإنّما يتفاضل[١٨] المسلمون فى كثرة الذنوب وقلتها ، وفى اجتناب الكبائر ومواقعتها . وأما الصغائر فما نجا منها أحد بعد الأنبياء عليهم السلام ، وقد صلى رسول الله ﷺ خلف أبى بكر وعبد الرحمن بن عوف ، وبهذا صحّ أن أمر رسول الله ﷺ أن يؤمَّ القومَ أقرأُهُمْ فإن استوَوْا فَأَفْقَهُهُمْ[١٩]» ندب لا فرض ، فليس لفاضل بعد هذا أن يمتنع من الصلاة خلف من هو دونه فى القصوى من الغايات .

* * *

قال أبو محمد : وأما دفع الزكاة إلى الإمام ، فإن كان الإمام القرشى الفاضل ، أو الفاسق ، لم ينازعه فاضل فهى جائزة[٢٠]، لقول رسول الله ﷺ : « أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ[٢١]» .

---

(١٦) المائدة : ٢

(١٧) فى (أ) : جاءت هذه العبارة كالتالى : « وأن كل داع دعى إلى شر فلا يجوز إجابته بل فرض الخ » .

(١٨) فى (أ) : (تفاضل) .

(١٩) روى هذا الحديث مسلم فى كتاب الصلاة ، باب : « من أحق بالإمامة » ولفظه « عن أبى مسعود الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ : « يؤمُّ القومَ أقرؤُهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواءً فأعلمُهم بالسُّنّة ، فإن كانوا فى السُّنّة سواءً فأقدمُهم هجرةً ، فإن كانوا فى الهجرة سواءً فأقدمُهم سِلْمًا ، ولا يَؤُمنَّ الرَّجُلُ الرَّجلَ فى سُلْطانِه ، ولا يقعدْ فى بيته على تَكْرِمَتِه إلّا بإذنه » قال الأشج فى روايته مكان (سِلْمًا) : (سِنًّا) .

(٢٠) فى (أ) : (فهى جارية) .

(٢١) هذا الحديث رواه النسائى – باب « إذا جاوز فى الصدقة » ولفظه : قال جرير : أتى النبىَّ ﷺ ناسٌ من الأعراب فقالوا : يا رسول الله يأتينا ناسٌ مِنْ مصدِّقيك يظلمون . قال : أَرْضُوا مصدِّقيكم ، قالوا : وإن ظَلَم . قال : أرضوا مصدّقيكم ، ثم قالوا وإن ظَلَم ، قال : أَرْضُوا مُصدِّقيكم » . قال جرير : فما صدر عنّى مصدِّق منذ سمعتُ من رسول الله ﷺ إلّا وهو راض » . (مسند النسائى : ٥/٣١) .

ولا يكون مصدقًا كل من سمى نفسه مصدقًا ، لكن من قام البرهان بأنه مصدق بإرسال الإمام الواجبة طاعته له . وأما من سألها من هو غير الإمام المذكور ، أو غير مصدقه فهو عابر سبيل لا حق له فى قبضها ، ولا يجزى[٢٢] دفعها إليه ، لأنه دفعها إلى غير من أمر بدفعها إليه ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من عَمِل عَمَلا ليس عليه أمْرُنا فهو رَد[٢٣]» .

وهكذا القول فى الأحكام كلها عن الحدود وغيرها إن أقامها الإمام الواجبة طاعته والذى لابدّ منه فإن وافقت القرآن والسنة نفذت ، وإلّا فهى مردودة لما ذكرنا .

وإن أقامها غير الإمام أو واليه فهى كلها مردودة ، ولا تحتسب بها لأنه أقامها من لم يؤمر بإقامتها ، فإن لم يقدر عليها الإمام فكل من قام بشىء من الحق حينئذ نفذ لأمر الله تعالى لنا بأن نكون قوّامين بالقسط ، ولا خلاف بين أحد من الأئمة[٢٤] إذا كان الإمام حاضرًا متمكنا[٢٥]، أو أميره أو واليه ، فإنَّ من بادر إلى تنفيذ حكم هو إلى الإمام فإنه إما مظلمة تردّ ، وإما لغو[٢٦] لا ينفذ . على هذا جرى عمل رسول الله ﷺ وجميع عمّاله فى البلاد بنقل جميع المسلمين عصرًا بعد عصر ، ثم عمل جميع الصحابة رضى الله عنهم .

وأما الجهاد : فهو واجب مع كل إمام ، وكل متغلب ، وكل باغ ، وكل محارب من المسلمين ، لأنه تعاون على البر والتقوى ، وفرض على كل أحد الدعاء[٢٧] إلى الله تعالى وإلى دين الإسلام ، ومنع المسلمين ممن أرادهم . قال تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجد تموهم ، وخذوهم واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد[٢٨]» الآية .

فهذا عموم لكل مسلم بنص الآية فى كل مكان ، وكل زمان ، وبالله تعالى التوفيق تم كتاب الإمامة والمفاضلة بحمد الله تعالى وشكره .

* * *

(٢٢) فى (أ) : (فلا يجزى) .
(٢٣) سبق تخريجه ص .
(٢٤) فى (أ) : (الأمة) .
(٢٥) فى (خ) : (مُتمكّنًا) .
(٢٦) فى (أ) : (عزل) .
(٢٧) فى (خ) : (دعا) .
(٢٨) التوبة : ٥

ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر
أو إلى المحال من أقوال أهل البدع ، المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيع

قال أبو محمد : قد كتبنا فى ديواننا هذا من فضائح الملل المخالفة لدين الإسلام الذى فى كتبهم من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، ما لا بقية لهم بعدها ، ولا يمترى أحد وقف عليها ، أنهم فى ضلال وباطل ، ونكتب إن شاء الله على هذه الفرق الأربع من فواحش أقوالهم ، ما لا يخفى على أحدٍ قرأه أنهم فى ضلال وباطل ، ليكون ذلك زاجرًا لمن أراد الله توفيقه عن مضامنهم ، والتمادى فيهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لا نستحل ما يستحله من لا خير فيه من تقويل أحدٍ ما لم يقله نصًّا ، وإن آل قوله إليه ، إذ قد لا يلزم ما ينتجه قوله فيتناقض . فاعلموا أن تقويل القائل كافرًا كان أو مبتدعا ، أو مخطئا ما لا يقوله نصًّا كذب عليه ، ولا يحلّ الكذب على أحد ، لكن ربما دلّسوا المعنى الفاحش بلفظ ملتبس ، ليسهلوه على أهل الجهل ، ويحسن الظن[1] بهم من أتباعهم ، وليبعد فهم تلك العظيمة على العامة من مخالفتهم كقول طوائف من أهل البدعة والضلالة : لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال ولا على الظلم ، ولا على الكذب ، ولا على غير ما علم أنه[2] يكون ، فأخفوا عظيم[3] الكفر فى هذه القضية لما ذكرنا من تلبيس[4] الأغمار من أتباعهم ، وتسكين الدهماء من مخالفتهم[5] فرارًا عن كشف معتقدهم صراحًا الذى هو أنه تعالى لا يقدر على الظلم ولا قوة له على الكذب ، ولا به طاقة على المحال ، فلابدَّ لنا من أيضاح ما موهوه هكذا ، وإيراده بأظهر عباراته كشفا لتمويههم ، وتقربا إلى الله بهتك أستارهم ، وكشف أسرارهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) فى (أ) : (النظر) .
(٢) فى (أ) : (أن يكون) .
(٣) فى (أ) : (أعظم) .
(٤) فى (أ) : (تأنيس) .
(٥) فى (أ) : (مخالفيهم) .

« ذكر شنع الشيعة »

قال أبو محمد : أهل الشنع من هذه الفرقة ثلاث طوائف :

أولها : الجاروديَّة من الزيدية ، ثم الإمامية من الرافضة ، ثم الغالية .

فأمّا الجارودية : فإن طائفة منهم قالت : إن محمد بن عبد الله ، بن الحسن ، بن الحسين ابن على بن أبى طالب ، القائم بالمدينة على أبى جعفر المنصور ، فوجّه إليه المنصور عيسى ابن موسى ، بن محمد ، بن على ، بن عبد الله بن العباس ، فقتل محمد بن عبد الله بن الحسن رحمه الله ، فقالت هذه الطائفة : إن محمدًا المذكور حى لم يقتل ، ولا مات ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا .

وقالت طائفة أخرى منهم : إن[1] يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على ابن الحسن[2] بن على بن أبى طالب القائم بالكوفة أيام المستعين ، فوجه إليه محمد بن عبد الله ، ابن طاهر بن الحسين ، بأمر المستعين ابن عمه الحسن بن اسماعيل ، بن الحسين وهو ابن أخى طاهر بن الحسين ، فقتل يحيى بن عمر رحمه الله . فقالت الطائفة المذكورة : إن يحيى بن عمر هذا حى لم يقتل ، ولا مات ، ولا يموت ، حتى يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا .

وقالت طائفة منهم : إن محمدَ بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، القائم بالطالقان ، أيام المعتصم حيٌّ لم يمت ، ولا قتل ، ولا يموت ، حتى يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا .

وقالت الكيسانية : وهم أصحاب المختار بن أبى عبيد ، وهم عندنا شعبة من الزيدية وفى

---

(١) فى (أ) : (إنه) وهو تحريف) .
(٢) فى (أ) : (الحسين) .

سبيلهم : أن محمد بن على بن أبى طالب ، وهو ابن الحنفية حىٌّ بجبل[٣] رضوى عن يمينه أسد ، وعن يساره نمر تحدثه الملائكة ، يأتيه رزقه غدوًّا وعشيا لم يمت ، ولا يموت ، حتى يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا .

وقال بعض الروافض الإمامية : وهى الفرقة التى تدعى الممطورة : إنَّ موسى بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حىٌّ لم يمت ، ولا يموت ، حتى يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا .

وقالت طائفة منهم : وهم الناووسية[٤] أصحاب بن ناووس المصرى ، مثل ذلك فى أبيه جعفر بن محمد .

وقالت طائفة منهم : مثل ذلك فى أخيه إسماعيل بن جعفر .

وقالت السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى ، اليهودى ، مثل ذلك فى على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وزادوا : أنه فى السحاب .

فليت شعرى !! فى أى سحابة هو من السحاب ؟ والسحاب كثير فى أقطار الهواء مسخريين السماء والأرض ، كما قال الله عزَّ وجل .

وقال عبد الله بن سبأ إذ بلغه قتل على رضى الله عنه : لو أتيتمونا بدماغه فى سبعين[٥] صرَّة ما صدَّقنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا .

وقال بعض الكيسانية : بأن أبا مسلم السرّاج حىٌّ لم يمت ، وسيظهر ولابدَّ .

وقال بعض الكيسانية : بأن عبد الله بن[٦] معاوية ، بن عبد الله ، بن جعفر بن أبى طالب ، حىٌّ بجبال أصبهان إلى اليوم ، ولابدَّ له من أن يظهر ، وعبد الله هذا هو القائم بفارس أيام

---

(٣) فى (أ) : (جبال) .

(٤) ذكرهم الأشعرى فى كتابه مقالات الإسلاميين ، وعنده أنهم الصنف السادس عشر من الرافضة ، يسوقون الإمامة إلى أبى جعفر محمد ابن على ، وأن أبا جعفر نصّ على إمامة جعفر بن محمد وأن جعفر بن محمد حىٌّ لم يمت . وذكر أنهم أتباع رجل يقال له (ناوُس) ، وقيل نسبوا إلى قرية (ناووسا) . وفى ياقوت (ناووس) : الظبية موضع قرب همذان . ذكره ابن الفقيه وفيه (المناووسة) من قرى « هيث » لما ذكر فى الفتوح . (راجع مقالات الإسلاميين : ١/١٠٠) .

(٥) فى (أ) : (سبعين مرة) .

(٦) هو : عبد الله بن معاوية بن جعفر الطيار بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، كان قد خرج على الأمويين بالكوفة فى عهد مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، واجتمع حوله خلائق ، فبرز إليهم يومئذ أمير الكوفة ، فقاتلهم ، ثم طلبوا الأمان لأنفسهم ولعبد الله فأعطاهم الأمان ، فتوجه عبد الله إلى المدائن ، وعبر دجلة ، وغلب على حلوان وما يقاربها ، ثم توجه إلى بلاد العجم فغلب على همذان والرى وأصبهان ، وبقى على ذلك مدة ، وكان أبو مسلم الخراسانى داعية العباسيين قد قويت شوكته ، وظهر أمره ، فسار إلى عبد الله بن معاوية وشيعته ، فقتله ، ثم أظهر الدعوة العباسية . (الفرق بين الفرق : ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

مروان[٧] بن محمد ، وقتله أبو مسلم[٨] بعد أن سجنه دهرًا . وكان عبد الله هذا ردىَّ الدين معطِّلا ، مستصحبًا للدّهرية .

* * *

قال أبو محمد : فصار هؤلاء فى سبيل اليهود القائلين بأن ملكيصيدق[٩] بن عامر ابن أرفخشذى، بن سام بن نوح ، والعبد الذى وجه إبراهيم عليه السلام ليخطب ريقا بنت نتوال ابن ناحور ، بن تارح ، على إسحاق[١٠] ابنه عليه السلام ، وإلياس[١١] عليه السلام وفنحاس ابن العازار بن هارون عليه السلام ، أحياء إلى اليوم ، وسلك هذا السبيل بعض نوكى الصوفية فزعموا أن الخضر[١٢]، وإلياس ، عليهما السلام حيَّان إلى اليوم .

وادّعى بعضهم أنه يلقى إلياس فى الفلوات ، والخِضْر فى المروج والرياض ، وأنه متى ذكر خطر[١٣] على ذاكره .

* * *

قال أبو محمد : فإن ذكر فى شرق الأرض وغربها ، وشمالها وجنوبها ، وفى ألف موضع فى دقيقة واحدة كيف يصنع ؟

وقد لقينا من يذهب إلى هذا خلقًا ، وكلمناهم ، منهم المعروف بابن نفق[١٤] الليل المحدث « بطلبيرة[١٥]» وهو مع ذلك من أهل العناية وسعة الرواية .

---

(٧) سبقت ترجمته ص

(٨) هو : عبد الرحمن بن مسلم ، وقيل : عثمان الخراسانى ، القائم بالدعوة إلى العباسيين ويقال هو : إبراهيم بن يسار بن سدوس ، من ولد بزرجمر بن البختكان ، الفارسى يقال : إن إبراهيم الإمام قال له : غيِّر اسمك فما يتم لنا هذا الأمر حتى تغيِّر اسمك ، فسمّى نفسه عبد الرحمن ، وقد بذل الجهد فى إقامة دولة بنى العباس فلما توطدت أركانها ، وأقيمت دعائمها قتله أبو جعفر المنصور فى شعبان من سنة ١٣٧ هـ ويقال سنة ١٣٦ هـ ، ويقال من سنة ١٤٠ هـ . (وفيات الأعيان – الترجمة ٣٤٥) .

(٩) ورد ذكره فى سفر التكوين ، وفيه أنه خرج لاستقبال إبراهيم عليه السلام بعد أن رجع من كَسْرِ « كَدَرْ لَعَومر » حين اعتدى على « لوط » ابن أخيه عليه السلام ، واستولى على أمواله ، وفيه أن « مَلِكى صَادِق ملك شاليم أخرج خبزًا وخمرًا لإبراهيم ، وكان كاهنا لله العلى وباركه ، وقال : مبارك أبرام من الله العلى ، مالك السماوات والأرض (سفر التكوين : ١٤ – فقره ١٩ ، ٢٠) ، والتوراة حافلة بمثل هذه النقائص للأنبياء مما يدل على وضاعة واضعيها .

(١٠) اسمها : « رِفْقة بنت بَتُوئيل بن مِلْكَة الذى ولدته لنَاحُور » هكذا أورد فى سفر التكوين – الاصحاح ٢٤ الفقرة : ٢٥) .

(١١) الياس : (ترجمنا له فى الجزء الأول ص ١٠٠) .

(١٢) الخضر : (ترجمنا له فى الجزء الثالث ص ٥٧) .

(١٣) فى (أ) : (حضر) .

(١٤) فى (أ) : (شق) .

(١٥) ترجمنا له فى الجزء الأول ص ٢١٨ .

ومنهم : محمد بن عبد الله[١٦] الكاتب ، وأخبرنى أنه جالس الخضر وكلمه مرارًا ، وغيره كثير هذا مع سماعهم قول الله تعالى : « ولكن رسول الله وخاتم النبيين[١٧] » .

وقول رسول الله ﷺ : « لا نبىَّ بعدى[١٨] » .

فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده عليه السلام نبيًا فى الأرض حاشا ما استثناه رسول الله ﷺ فى الآثار المسندة الثابتة من[١٩] نزول عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان ، وكفار بُرْغواطه إلى اليوم ينتظرون صالح بن طريف[٢٠]، الذى شرع لهم دينهم .

وقالت القطيعية[٢١] من الإمامية من الرَّافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون ، والنظارون ، والعدد العظيم ، بأن محمد بن الحسن بن على ، بن محمد بن على ، بن موسى ابن جعفر ، بن محمد[٢٢] بن على ، بن الحسين بن على ، بن أبى طالب ، حىٌّ لم يمت ، ولا يموت حتى يخرج ويملأ[٢٣] الأرض عدلًا كما ملئت جورًا ، وهو عندهم المهدى المنتظر .

وتقول[٢٤] طائفة منهم : إن مولد هذا الذى لم تخلق قط فى سنة ستين ومائتين سنة موت أبيه .

وقالت طائفة منهم : بل بعد موت أبيه بمدة .

وقالت طائفة منهم : بل فى حياة أبيه ، ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن على ابن موسى ، وأنها شهدت ولادته ، وسمعته يتكلم حين سقط من بطن أمه ، ويقرأ القرآن وأن أمه نرجس ، وأنها هى كانت القابلة .

وقالت جمهورهم : بل أمه « صقيل » .

وقالت طائفة : بل أمه سوسن . وكل هذا هوس . ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكرًا ولا أنثى . فهذا أول نوك الشيعة ، ومفتاح عظيماتهم وأخفها[٢٥] إن كانت مهلكة .

---

(١٦) لم نعثر له على ترجمة وافية .
(١٧) الأحزاب : ٤٠
(١٨)
(١٩) فى (أ) : (فى) .
(٢٠) هو : صالح بن طَرِيف البُراغُواطى ، من قبيلة بُرغواطة من المصامدة بالمغرب الأقصى ، كان أبوه من قادة الصُّفرية فى المغرب ، وقد انتحل صالح دينًا وشرَّع للناس صلاة وصيامًا وزعم أنه أوحى إليه ومات نحو سنة ١٧٥ هـ (الأعلام : ٢٧٦/٣) .
(٢١) فى الفرق بين الفرق : (القَطْعِيَّة) . وهم فى مقالات الإسلاميين أيضا (القطعية) لأنهم قطعوا على موت « موسى بن جعفر ابن محمد بن على » . (الفرق بين الفرق : ٦٤ ، ومقالات الإسلاميين : ٩٠) .
(٢٢) فى (أ) : (جعفر بن على) وسقطت كلمة (ابن محمد) .
(٢٣) فى (أ) : (فيملأ) .
(٢٤) فى (أ) : (ويقول) وهو تحريف .
(٢٥) فى (خ) : (وحقها) .

ثم قالوا كلهم إذ سئلوا عن الحجة فيما يقولون : حجتنا الإلهام ، وأن من خالفنا ليس لرشده ، فكان هذا طريفا[٢٦] جدًّا .

وليت شعرى !! ما الفرق بينهم وبين عيّار مثلهم ، يدعى فى إبطال قولهم الإلهام ؟ وإن الشيعة ليسوا رشدةً ، أو أنهم نوكى[٢٧]، أو أنهم جملة ذوو شعبة من جنون[٢٨] فى رءوسهم وما قولهم فيمن كان منهم ثم صار فى غيرهم ؟ أو من كان فى غيرهم ثم صار[٢٩] منهم ؟ أتراه ينتقل من ولادة الغيّة إلى ولادة الرشدة ، ومن ولادة الرشدة إلى ولادة الغيَّة ؟

فإن قالوا : حكمه لِماَ يَمُوتُ عليه . قيل لهم : فلعلكم أولاد غية إذ لا يؤمن رجوع الواحد فالواحد منكم إلى خلاف ما هو عليه اليوم .

والقوم بالجملة ذووا أديان فاسدة ، وعقول مدخولة ، وعديمو حياء ونعوذ بالله من الضلال .

وذكر عمرو بن[٣٠] بحر الجاحظ ، وهو إن كان أحد المجان ، ومن غلب عليه الهزل وأحد الضلّال المضلين . قال الله تعالى : « ولا تمش فى الأرض مرحا[٣١] » – فإننا ما رأينا له فى كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتا لها ، وإن كان كثير الإيراد لكذب[٣٢] غيره .

قال أخبرنى أبو إسحاق[٣٣] إبراهيم النظام ، وبشر بن خالد أنهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضى المعروف بشيطان[٣٤] الطاق : ويحك أما استحييت ؟ أما[٣٥] اتقيت الله أن تقول فى كتابك فى الإمامة إن الله تعالى لم يقل قط فى القرآن « ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا[٣٦] » .

قالا : فضحك والله شيطان الطاق ، ضحكًا طويلًا ، حتى كأن نحن الذين أذنبنا .

قال النظّام : وكنا نكلم على بن متيّم الصابونى ، وكان[٣٧] من شيوخ الرافضة ومتكلميهم

---

(٢٦) فى (أ) : (طريقا) بالقاف المثناة وهو تحريف .
(٢٧) فى (خ) : (ينكحون) .
(٢٨) فى (خ) : (ذو شغب) .
(٢٩) فى (أ) : (فصار فيهم) .
(٣٠) ترجم له فى الجزء الثالث ص ٨٧ .
(٣١) سقطت الآية من (أ) . والآية رقم ٣٧ من سورة الإسراء .
(٣٢) فى (أ) : (كذب) .
(٣٣) ترجم له فى الجزء الثانى .
(٣٤) ترجمنا له فى الجزء الثانى .
(٣٥) فى (أ) : سقطت (أما اتقيت) .
(٣٦) سورة التوبة : ٤٠
(٣٧) فى (أ) : (وكل) .

فنسأله : أرأى أم سماع عن الأئمة فينكر أن يقوله برأى ، فنخبره بقوله فيها قبل ذلك . قال فوالله ما رأيته خجل من ذلك ، ولا استحيا لفعله هذا قط .

ومن قول الإمامية كلها قديمًا وحديثًا أن القرآن مبدّل زيد فيه ما ليس منه ، ونقص منه كثير ، وبدّل منه كثير حاشا على بن الحسن بن موسى ، بن محمد ، بن ابراهيم بن موسى ابن جعفر ، ابن محمد بن على بن الحسن ، بن على بن أبى طالب ، وكان إماميا فيهم[٣٨] يظاهر بالاعتزال ، ومع[٣٩] ذلك كان ينكر هذا القول ، ويكفر من قاله ، وكذلك صاحباه أبو يعلى ميلاد الطوسى ، وأبو القاسم الرازى .

قال أبو محمد : القول بأن بين اللوحين تبديلًا كفر صحيح ، وتكذيب لرسول الله ﷺ .

وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الأرواح ، وبهذا كان يقول السيد الحميرى[٤٠] الشاعر لعنه الله ، ويبلغ الأمر . بمن ذهب إلى هذا أن يأخذ أحدهم البغل ، والحمار ، فيعذبه ، ويضربه ، ويعطشه ويجيعه ، على أن روح أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فيه ، فاعجبوا لهذا الحمق الذى لا نظير له . وما الذى خص هذا البغل الشقىَّ والحمار المسكين بنقله الروح إليه دون سائر البغال والحمير ، وكذلك يفعلون بالعنز على أنَّ روح أم المؤمنين رضى الله عنها فيها .

وجمهور متكلميهم كهشام بن[٤١] الحكم الكوفى ، وتلميذه أبى على الصّكاك[٤٢]، وغيرهما يقول بأن علم الله تعالى محدث ، وأنه لم يكن يعلم شيئًا حتى أحدث لنفسه علما ، وهذا كفر صريح[٤٣]، وقد قال هشام هذا فى حين مناظرته لأبى الهذيل[٤٤] العلاف : إنّ ربه سبعة أشبار بشبر نفسه ، وهذا كفر صحيح .

وكان داود الجواربى[٤٥] من كبار متكلميهم ، يزعم أن ربه لحم ودم ، على صورة الإنسان .

ولا يختلفون فى أن الشمس ردّت على علىّ بن أبى طالب مرتين .، أفيكون فى صفاقة الوجه ، وصلابة الخدّ ، وعدم الحياء ، والجرأة على الكذب أكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق .

وطائفة منهم تقول : إنّ الله تعالى يريد الشىء ويعزم عليه ، ثم يبدو له فلا يفعله ، وهذا

---

(٣٨) فى (أ) : لم تذكر كلمة (فيهم) .
(٣٩) فى الأصل (مع) بغير (واو العطف) .
(٤٠) ترجم له فى الجزء الثانى ص
(٤١) راجع ترجمته فى الجزء الثانى ص
(٤٢) لم نعثر له على ترجمة .
(٤٣) فى (أ) : (صحيح) .
(٤٤) راجع ترجمته فى الجزء الثانى ص
(٤٥) فى (أ) : (الجوازى) وهو تحريف . وقد ترجمنا له فى الجزء الثانى ص

مشهور للكيسانية ، ومن الإمامية من يجيز نكاح تسع نسوة . ومنهم من يحرّم الكرنب ، لأنه إنما نبت على دم الحسين ، ولم يكن قبل ذلك ، وهذا فى قلة الحياء قريب مما قبله ، وكما يزعم كثير منهم أنّ عليا لم يكن له سميٌّ قبله ، وهذا جهل عظيم ، بل كان فى العرب كثير يسمون هذا الاسم ، كعلى[٤٦] بن بكر بن وائل إليه يرجع كل بكرى فى العالم فى نسبه ، وفى الأزد عَليٌّ ، وفى بُجَيْلة علىٌّ ، وغيرها ، كل ذلك فى الجاهلية مشهور . وأقرب من ذلك عامر بن الطفيل[٤٧] يكنى أبا على ، ومجاهراتهم أكثر مما ذكرنا .

ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار .

وفى الكيسانية من يقول : إن الدنيا لا تفنى أبدًا . ومنهم طائفة تسمَّى النحلية[٤٨] نسبوا إلى الحسن بن على بن ورصند النحلى ، كان من أهل نَفْطة[٤٩] من عمل قَفْصَة[٥٠] وقسطيلية من كور إفريقية ثم نهض هذا الكافر إلى السوس فى أقاصى بلاد المصامدة[٥١]، فأضلهم وأضل أمير السوس أحمد بن إدريس ، بن يحيى بن إدريس ، بن إدريس[٥٢] بن عبد الله ، بن الحسين ابن الحسن ، ابن على بن أبى طالب ، فهم هنالك كثير سكان فى ربض مدينة السوس ، معلنون بكفرهم ، وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين ، لا يأكلون شيئًا من الثمار ذبل أصله ، ويقولون إن الإمامة فى ولد الحسن دون ولد الحسين .

ومنهم أصحاب أبى كامل : ومن قولهم : إن جميع الصحابة رضى الله عنهم كفروا بعد موت النبى ﷺ ، إذ جحدوا إمامة على ، وأن عليا كفر إذ أسلم الأمر إلى أبى بكر ، ثم عمر ، ثم

---

(٤٦) هو : على بن بكر بن وائل من العدنانية جدٌّ جاهلى ، كان له من الولد : صَعب ، ومنه نسله ، وهو قبائل وبطون . (جمهرة الأنساب : ٢٩١) .

(٤٧) هو : عامر بن الطفيل بن مالك من بنى عامر بن صعصعة ، أحد فتاك العرب وشعرائهم كنيته : أبو على . ولد وتشأ بنجد ، أراد الغدر بالرسول ﷺ وهدّده بقوله : لأملأنها عليك خيلًا جردًا ، ورجالًا مُردًا ، ولأربطن بكل نخلة فرسًا ، فمات فى طريقه قبل أن يبلغ قومه . (راجع الشعر والشعراء : ٣٣٤ تحقيق أحمد شاكر والبيان والتبيين ٣٢/١) .

(٤٨) لم يرد لهذه الطائفة ذكر فى مقالات الإسلاميين ، فقد عدَّ الأشعرى إحدى عشرة فرقة من فرق الكيسانية سمى بعضها ، ولم يسمِّ بعضها الآخر ، كما لم يرد لها ذكر فى الفرق بين الفرق للبغدادى . (راجع مقالات الإسلاميين من ٩١ - ٩٧ ، والفرق بين الفرق ٣٨ وما بعدها) .

(٤٩) نفطه : بالفتح ثم السكون والطاء : مدينة بإفريقية من أعمال الزاب الكبير ، أهلها شراة إباضية متمردون ، وبين نقطة وقفصه مرحلتان ، ومن نفطه : عبد الرحمن بن محمد بن أحمد أبو القاسم النفطى يعرف بابن الصائغ . (معجم البلدان : ٢٩٦/٥ دار صادر بيروت) .

(٥٠) قَفْصة : بالفتح ثم السكون ، والصاد المهملة . وهى بلد صغير فى طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير ، مختطة فى أرض سبخة لا تنبت إلّا الشيخ ، ومع ذلك ففيها عدة عيون ينبت حولها الفستق الذى يحمل إلى جميع نواحى افريقية . وقال ابن حوقل : قفصة : مدينة حسنة ذات سور ونهر أطيب من ماء قسطيليه ، وأهلها وأهل قسطيله ، والحمه ، ونفطة وسماطه شراة متمردون . وينسب إلى قفصه جميل ابن طارق الأفريقى . تلك حال هذه البلدة فى عصر الشيخ الإمام شهاب الدين الحموى الرومى البغدادى . (راجع معجم البلدان : ٣٨٢/٥) . وهى الآن تابعة لتونس .

(٥١) المصامدة : مثل المهالبة نسبة إلى مصمودة . سبق التعريف بها ص ٢٢ .

(٥٢) فى (أ) : لم يذكر (ابن إدريس) .

عثمان . ثم قال جمهورهم : إن عليا ومن اتبعه رجعوا إلى الإسلام إذ دعا إلى نفسه بعد قتل عثمان ، وإذ كشف وجهه وسل سيفه وإنّه وإيّاهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الإسلام ، كفارًا مشركين .

ومنهم من يردّ الذنب فى ذلك إلى النبى ﷺ إذ لم يبين الأمر بيانًا رافعًا للإشكال .

قال أبو محمد : وكل هذا كفر صريح لا خفاء به فهذه مذاهب الإمامية ، وهى المتوسطة فى الغلوّ من فرق الشيعة .

وأمّا الغالية من الشيعة فهم قسمان :

قسم أوجبت النبوة بعد رسول الله ﷺ لغيره .

والقسم الثانى : أوجبوا الإلاهية لغير الله عزّ وجل فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا أشنع الكفر .

فالطائفة التى أوجبت النبوة بعد النبى ﷺ فرق ، فمنهم الغرابية[٥٣] وقولهم إن محمدًا ﷺ كان أشبه بعلى من الغراب بالغراب ، وأن الله عزّ وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحى إلى على ، فغلط جبريل عليه السلام بمحمد ، ولا لوم على جبريل فى ذلك لأنه غلط .

وقالت طائفة منهم : بل تعمّد ذلك جبريل ، وكفرّوه ولعنوه لعنهم الله .

قال أبو محمد : فهل سمع بأضعف عقولًا ، وأتمّ رقاعة من قومٍ يقولون إنَّ محمدًا ﷺ كان يشبه علىَّ بن أبى طالب فياللناس !! أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبىٍّ ابن إحدى عشرة سنة ، حتى يغلط به جبريل عليه السلام ، ثم محمد عليه السلام فوق الرَّبعة إلى الطول ، قويم القناة ، كثّ اللحية ، أدعج[٥٤] العينين ، ممتلىء السّاقين ، قليل شعر الجسد ، أفرع ، وعلىٌّ دون الرَّبعة إلى القصر ، مُنكبٌّ شديد الانكباب كأنه كسر ثم جبر ، عظيم اللحية ، قد ملئت صدره من مَنْكِبٍ إلى مَنْكِب إذا التحى ثقيل العينين ، دقيق السَّاقين ، أصلع ، عظيم الصلع ، ليس فى رأسه شعر إلَّا فى مؤخره ، يسير كثير شعر اللحية ، فاعجبوا لحمق هذه الطبقة .

ثم لو جاز أن يغلط جبريل – وحاشا لروح القدس الأمين – كيف غفل الله عزَّ وجل عن تقويمه وتنبيهه فتركه[٥٥] على غلطه ثلاثا وعشرين سنة ، ثم أظرف من هذا كله : من أخبرهم بهذا الخبر ؟ ومن خرفهم بهذه الخرافة ؟ وهذا لا يعرفه إلَّا من شاهد أمر الله تعالى لجبريل عليه السلام ثم

---

(٥٣) راجع تفاصيل عن هذه الفرقة فى (الفرق بين الفرق : ٢٥٠) .
(٥٤) فى (أ) : (أدلج) .
(٥٥) فى (أ) : (وتركه) .

شاهد خلافه ، فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ، والملائكة[٥٦] والناس أجمعين ، مادام لله فى عالمه خلق .

وفرقة قالت بأن[٥٧] علىّ بن أبى طالب والحسن والحسين رضى الله عنهم وعلى بن الحسين ، ومحمد بن على ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلى بن موسى ، ومحمد بن على ، والحسن ابن محمد ، والمنتظر بن الحسن — أنبياء كلهم .

وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر[٥٨] فقط ، وهم طائفة من القرامطة[٥٩].

وفرقة قالت بنبوة على وبنيه الثلاثة ، الحسن والحسين ، ومحمد بن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية .

وقد حوّم[٦٠] المختار حول أن يدّعى النبوة لنفسه ، وسجع أسجاعًا وأنذر بالغيوب عن الله عزَّ وجل ، واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة ، وقال بإمامة محمد بن الحنفية .

وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد[٦١] مولى بجيلة بالكوفة ، وهو الذى أحرقه خالد ابن عبد الله[٦٢] القَسْرِىّ بالنّار ، وكان لعنه الله يقول : إنَّ معبوده صورة رجل على رأسه تاج ، وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء ، الألف للسّاقين ونحو ذلك مما لا ينطلق لسانُ ذى شُعْبةٍ من دين به ، تعالى الله عمّا يقول الكافرون علوًّا كبيرا ، وكان لعنه الله يقول : إنَّ معبوده لما أراد أن يخلق الخلق تكلم باسمه الأكبر فطار[٦٣] فوقع على تاجه ، ثم كتب بإصبعه أعمال العباد من المعاصى والطاعات فلما رأى المعاصى ارفضّ[٦٤] عرقا ، فاجتمع من عرقه بحران ، أحدهما ملح مظلم ، والثانى نيّر عذب ، ثم اطلع فى البحر فرأى ظله[٦٥] فذهب ليأخده فطار فأخذه فقلع عينى ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وشمسًا أخرى ، وخلق الكفار من البحر المالح ، وخلق المؤمنين[٦٦] من البحر العذب فى تخليط لهم كثير .

---

(٥٦) فى (أ) : سقطت كلمة (الملائكة) .

(٥٧) فى (خ) : (بنبوة) .

(٥٨) هو : محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق إمام عند القرامطة ترى الاسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد أبيه سنة ١٣٨ هـ ، وأنه كان يكنى عنه بالمكتوم حذرًا عليه من بطش العباسيين توفى سنة ١٩٨ هـ . (اتعاظ الحنفا : ١٦ ، ١٨ بتصرف) .

(٥٩) راجع ترجمة لها فى ص الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٦٠) فى (أ) : (حام) .

(٦١) راجع ترجمته فى الجزء الأول ص ، وتفاصيل عنه فى هامش ٦٩ من مقالات الإسلاميين .

(٦٢) هو : خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القَسْرى من بجيلة ، أمير العراقيين ، يمنى الأصل من أهل دمشق . ولى مكه سنة ٨٩ للوليد ابن عبد الملك ، ثم ولّاه هشام الكوفة والبصرة سنة ١٠٥ هـ وعزله سنة ١٢٠ هـ . قتل سنة ١٢٩ هـ أيام الوليد بن يزيد (الوفيات ١٦٩/١) .

(٦٣) فى (أ) : كلمة (فطار) غير مذكورة .

(٦٤) فى (أ) : زاد كلمة (به) .

(٦٥) فى (أ) : (ظلمة) .

(٦٦) فى الفرق بين الفرق ص ٢٤٠ (وخلق الشيعة من البحر العذب النير فهم المؤمنون) .

وكان ما[٦٧] يقول : إن الأنبياء لم يختلفوا قط فى شىء من الشرائع .

وقد قيل إن جابر بن يزيد[٦٨] الجُعْفِى الذى يروى عن الشعبى[٦٩] كان خليفة المغيرة ابن سعيد إذ أحرقه خالد بن عبد الله القَسْرِىّ ، فلما مات جابر خلفه بكر الأعور الهَجَرى[٧٠]، فلما مات فوضوا أمرهم إلى عبد الله بن المغيرة رئيسهم المذكور ، وكان لهم عدد ضخم بالكوفة ، وآخر ما وقف عليه المغيرة بن سعيد القول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وتحريم ماء الفرات ، وكل ماء نهر أو عين أو بئر ، وقعت فيه نجاسة فبرئت منه عند ذلك القائلون بالإمامة فى ولد الحسين .

وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان[٧١] التيمى ، صلبه وأحرقه خالد بن عبد الله القسرى مع المغيرة بن سعيد فى يوم واحد ، وجبن المغيرة بن سعيد عن اعتناق حزمة الحطب[٧٢] جبنا شديدًا حتى ضم إليها قهرًا ، وبادر بيان بن سمعان إلى الحزمة فاحتضنها[٧٣] من غير إكراه ، ولم يظهر منه جزع ، فقال خالد لأصحابهما فى كل شىءٍ أنتم مجانين ، هذا كان ينبغى أن يكون رئيسكم لا هذا الفسل . وكان بيان لعنه الله يقول : إن الله تعالى يفنى كله حاشا وجهه فقط ، وظن المجنون أنه تعلق فى كفره هذا بقول الله تعالى : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك[٧٤]» .

ولو كان له أدنى عقل أو فهم لعلم أن الله تعالى إنما أخبر بالفناء عمّا على الأرض فقط بنص قوله الصادق : كل من عليها فان » .

ولم يصف عزَّ وجلَّ بالفناء غير ما على الأرض ، ووجه الله تعالى هو الله ، وليس هو شيئًا غيره ، وحاشا لله من أن يوصف بالتبعيض والتجزىء ، هذه صفة المخلوقين المحدودين ، لا صفة من لا يحدُّ ولا له مثل ، وكان لعنه الله يقول : إنه المعنىُّ بقول الله تعالى : « هذا بيان للناس[٧٥]» .

---

(٦٧) فى (أ) : (مما) .

(٦٨) هو : جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى ، أبو عبد الله تابعى من فقهاء الشيعة من أهل الكوفة ، أثنى عليه بعض رجال الحديث ، واتهمه آخرون بالقول بالرَّجعة ، وكان واسع الرواية ، غزير العلم بالدين ، مات بالكوفة سنة ١٢٨ هـ (تهذيب التهذيب ٢/٤٦) .

(٦٩) هو : عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار الشّعبى الحميرى ، راوية من التابعين ، ولد بالكوفة سنة ١٩ هـ . اتصل بعبد الملك ابن مروان فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم ، استقضاه عمر بن عبد العزيز ، مات فجأة بالكوفة سنة ١٠٣ هـ (تهذيب التهذيب : ٥/٦٥ بتصرف) .

(٧٠) راجع ترجمته فى الجزء الأول ص

(٧١) بيان بن سمعان التيمى : ترجمنا له فى ص من الجزء الأول والجزء الثانى .

(٧٢) فى (خ) : القصب .

(٧٣) فى (أ) : (فاعتنقها) .

(٧٤) الرحمن : ٢٧

(٧٥) آل عمران : ١٣٨

وكان يذهب إلى أن الإمام هو « أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[٧٦] ثم هى فى سائر ولد علىٍّ كلهم .

وقالت فرقة منهم بنبوة أبى منصور المستنير العجلى[٧٧] وهو الملقب بالكِسْف ، وكان يقال إنه المراد بقول الله عزَّ وجل : « وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا من السَّمَاءِ ساقِطًا[٧٨]» .

وصلبه يوسف بن عمر[٧٩] بالكوفة ، وكان لعنه الله يقول : إنه عرج به إلى السماوات ، وأن الله تعالى مسح رأسه بيده ، وقال له أى بنى[٨٠]، اذهب فبلّغ عنى ، وكان يَمينُ أصحابِه « لا والكلمة[٨١]» ، وكان لعنة الله يقول : بأن أول من خلق الله تعالى فعيسى ابن مريم ثم على بن أبى طالب ، وكان يقول بتواتر الرسل ، وأباح المحرّمات من الزنا ، والخمر ، والميتة ، والخنزير ، والدّم ، وقال إنما هم أسماء رجال ، وجمهور الرّافضة اليوم على هذا ، وأسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وأصحابه كلهم خناقون رضّاخون ، وكذلك أصحاب المغيرة بن سعيد ومعناهم فى ذلك أنهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذى ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة والخشبية[٨١] بالخشب فقط . وذكر هشام بن الحكم الرافضى فى كتابه المعروف بالميزان ، وهو أعلم الناس بهم لأنه جارهم بالكوفة ، وجارهم فى المذهب : أن الكِسْفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ، ويقولون نعجل المؤمن إلى الجنة ، والكافر إلى النار ، وكانوا بعد موت أبى منصور يؤدون الخمس مما يأخذون ممن خنقوه إلى الحسن بن[٨٢] أبى المنصور . وأصحابه فرقتان فرقة قالت : إنَّ الإمامة[٨٣] بعد محمد بن على بن الحسن ، صارت إلى محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين .

وفرقة قالت : بل إلى أبى منصور الكِسْف ، ولا تعود فى ولد علىٍّ أبدًا .

---

(٧٦) هو : أبو هاشم ، عبد الله بن على بن أبى طالب ، أبوه : محمد بن الحنفية ، قال الزبير : كان أبو هاشم صاحب الشيعة فأوصى إلى محمد بن على بن عبد الوهاب بن العباس ، وصرف الشيعة إليه ، ودفع إليه كتبه ومات عنده ، ومات فى أيام سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ ، وقيل فى سنة ٩٩ (تهذيب التهذيب ١٦/٦ ، ومشاهير علماء الأمصار : ١٩٤ ، العبر : ١٦٦/١) .

(٧٧) (راجع ترجمته فى الجزء الثانى) وقد ورد ذكره فى مقالات الإسلاميين : ٧٤/١ ، ٧٥ ، وفى (الفرق بين الفرق : ٢٤٣) .

(٧٨) الطور : ٤٤

(٧٩) هو : يوسف بن عمر بن الحكم أبو يعقوب الثقفى ، أمير من جبابرة الولاة فى العهد الأموى . ولى اليمن لهشام بن عبد الملك ، ثم نقل إلى ولاية العراق وأضاف إليه هشام إمرة « خراسان » ، واستمر فى الولاية إلى أيام يزيد بن الوليد فقبض عليه وحبسه فى دمشق ، وأرسل إليه من قتله عام سنة ١٢٧ هـ . (وفيات الأعيان : ٣٦٠/٢ بتصرف) .

(٨٠) فى (أ) : (ابنى) .

(٨١) فى (أ) : (والكلة) وهو تحريف . والمعنى : أن أصحابه إذا حلفوا كانوا يقولون (لا ،والكلمة) .

(٨٢) فى (خ) : (والخشبة) .

(٨٣) هو : ابن أبى منصور العجلى من عبد القيس ، كان يسكن الكوفة مع أبيه ، وقد ادعى النبوة بعد مقتل أبيه ، ودفع له أتباعه الخمس ، فأخذوا ما أتى به إلى المهدى العباسى فأقر أمامه بما نسب إليه فقتله وصلبه ، وأخذ منه مالاً عظيما ، وطلب أصحابه فقتل منهم جماعة وصلبهم . (اقرأ عن نحل هذه الفرقة فى الفرق بين الفرق : ٢٤٣ وما بعدها) .

وقالت فرقة بنبوة بُزَيغ الحائك بالكوفة[٨٤] وإن وقوع[٨٥] هذه الدعوى[٨٦] لهم فى حائك لطريفه[٨٧].

وفرقة قالت بنبوة معمر[٨٨] بائع الحنطة بالكوفة .

وقالت فرقة بنبوة عمير التّبان[٨٩] بالكوفة ، وكان لعنة الله يقول لأصحابه لو شئت أن أعيد هذا التبن تبرًا لفعلت ، وقدم إلى خالد بن عبد الله القَسْرِىّ بالكوفة فتجلّد وسبّ خالدًا ، فأمر خالد بضرب عنقه فقتل إلى لعنة الله .

وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية[٩٠].

وقالت فرقة من أوائل[٩١] شيعة بنى العباس بنبوّة عمار[٩٢] الملقب بخداش فظفر به أسد ابن عبد[٩٣] الله أخو خالد بن عبد الله القسرى فقتله إلى لعنة الله .

والقسم الثانى من فرق الغالية الذين يقولون بالإلاهية لغير الله عزَّ وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى لعنه الله : أتوا إلى علىّ بن أبى طالب فقالوا مشافهة : أنت هو . فقال لهم : ومن هو ؟ قالوا : أنت الله . فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأججت فأحرقهم

---

(٨٤) بُزيغ الحائك : (راجع ترجمته فى الجزء الأول ص ١٩٦) .

(٨٥) فى (أ) : (وقع) .

(٨٦) فى (أ) : (الدعوة) .

(٨٧) فى (أ) : (لظريفة) بالظاء .

(٨٨) ذكر الأشعرى هذه الفرقة تحت اسم (المعمرية) وقال إنها الفرقة الثانية من الخطابية ، وهى الفرقة السابعة من الغالية ، يزعمون أن الإمام بعد أبى الخطاب رجل يقال له « معمر » وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب ، واستحلواسائر المحرّمات وهم يسمّون « المعمرية » ويقال إنهم يسمّون « اليعمرية » (مقالات الإسلاميين : ٧٨/١) .

(٨٩) ذكر الأشعرى هذه الفرقة تحت اسم (العُمَيْرِيّة) : وهى الفرقة الرابعة من الخطابية ، والتاسعة من الغالية ، وهم منسوبون إلى (عُمَير ابن بَيَان العجلى) ، ولم يذكر وصفه بالتّبان ، وكان هؤلاء قد ضربوا خيمة فى كُنَاسة الكوفة ثم اجتمعوا إلى عبادة جعفر ، فأخذ يزيد بن عمرو ابن هبيرة « عمير بن البيان » فقتله فى الكناسة . (مقالات الإسلاميين : ٧٩/١) .

(٩٠) تنسب هذه الفرقة إلى أبى الخطاب الأسدى « محمد بن أبى زينب المكنى أبا اسماعيل ، وأبا الظبيان وكان مولى لبنى أسد ، وقد ظل على ضلالته حتى قتله عيسى بن موسى والى الكوفة من قبل العباسيين سنة ١٤٣ هـ . واقرأ عن هذه الفرقة فى (الفرق بين الفرق : ٢٤٧ ، ومقالات الإسلاميين : ٧٦/١ ، والتبصير ٧٣) .

(٩١) فى (أ) : (أولئك) .

(٩٢) ذكر الأشعرى أصحاب هذه الفرقة تحت اسم (العمّارية) ونسبهم إلى رئيسهم (عمّار) ويدعون (الفُطْحِيَّة) لأنّ عبد الله ابن جعفر « الإمام فى نظرهم كان أفطح الرجلين . وذكرهم فى الفرق بين الفرق (الأَفْطَحِيَّة) (راجع مقالات الإسلاميين : ١٠٢/١ ، والفرق بين الفرق : ٦٢) .

(٩٣) هو : أسد بن عبد الله القَسْرِى البجلى ، أمير من الأجواد الشجعان . ولد ونشأ فى دمشق ولّاه أخوه (خالد بن عبد الله) خراسان سنة ١٠٨ هـ فأقام فيها زمنا ، وجدّد بناء بلخ وأنزل بها جيشه ، ثم اختارها لإقامته ، وكان دهاقنة الفرس راضين عن حكمه ، وأسلم على يديه « سامان » جد السامانيين ، وسمّى ابنه أسدًا على اسمه ، وفى أيامه جاشت الترك بخراسان سنة ١١٧ هـ ، وأغاروا حتى أتوا مرو الروذ ، فسار إليهم أسد فكانت له معهم وقائع ، انتهت بهزيمتهم ، توفى فى بلخ سنة ١٢٠ هـ . (الأعلام : ٢٩٠/١) .

بالنار ، فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار : الآن صح عندنا أنك[٩٤] الله لأنه لا يعذِّب بالنار إلَّا الله ، وفى ذلك يقول علىّ رضى الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكرًا   أججت نارًا ودعوت قنبرا

يريد قنبرًا[٩٥] مولاه ، وهو الذى تولّى طرحهم فى النار ، نعوذ بالله من أن نفتتن بمخلوق ، أو يفتتن بنا مخلوق فيما جلَّ أو دقَّ ، فإنَّ محنة أبى الحسن رضى الله عنه من بين أصحابه رضى الله عنهم كمحنة عيسى ﷺ بين أصحابه من الرسل عليهم السلام ، وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمُّون العَلْيانية[٩٦]، منهم كان اسحاق بن[٩٧] محمد النخعى الأحمر الكوفى ، وكان من متكلميهم ، وله فى ذلك كتاب سماه « الصراط » نقضه[٩٨] عليه البهنكى والفياض بما ذكرنا ، ويقولون : إن محمدًا رسول على .

وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمّدية : إنَّ محمدًا عليه السلام هو الله . تعالى الله عن كفرهم ، ومن هؤلاء كان البهنكىُّ والفياض بن على وله فى هذا المعنى كتاب سمّاه « القسطاس » . وأبوه الكاتب المشهور الذى كتب لإسحاق بن كنداج أيام ولايته ، ثم لأمير المؤمنين المعتضد[٩٩]، وفيه يقول البحترى القصيدة المشهورة التى أولها :

شط من ساكن الغوير مزاره   وطوته البلاد والله جارُه[١٠٠]

---

(٩٤) فى (أ) : (أنه) .

(٩٥) هو : قنبر مولى على رضى الله عنه ، لم يثبت حديثه . قال الأزدى : يقال كبر حتى كان لا يدرى ما يقول أو يروى . والأزدى لم يقل ذلك من قبله وإنما رواه من طريق القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر ، وأخرج الخطيب فى المؤتلف من طريق عثمان بن واقد بن قرة الأعين قالت : كنت عند عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فجاء قنبر فسلم عليه فقال له : لا سلّم الله عليك فقلت له : تقول هذا المولى عمك قال : إن هذا يأتى الكوفة يتنقص عثمان ، وأنا سمعت عليا رضى الله عنه يقول : قاتل الله هؤلاء إنى أرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم : « إخوانا على سرر متقابلين » . (لسان الميزان : ٤٧٥/٤ ترجمة رقم ١٤٩٧) .

(٩٦) ذكر الأشعرى هذه الفرقة فى الصنف الثانى عشر من أصناف الغالية ولم يطلق عليهم هذه التسمية . (مقالات الإسلاميين : ٨٣/١) .

(٩٧) هو : إسحاق بن محمد النخعى الأحمر ، كذاب مارق من الغلاة ، قال الخطيب : سمعت عبد الواحد بن على الأسدى يقول : اسحاق بن محمد النخعى كان خبيث المذهب ، يقول إن عليا هو الله ، وكان يطلى برصه بما يغيره فسمى الأحمر . قال وبالمدائن جماعة ينسبون إليه يعرفون بالاسحافية ، وهو من أهل الكوفة مات سنة ٢٨٦ هـ (لسان الميزان ٣٧٠/١ الترجمة رقم ١١٥٦ بتصرف) .

(٩٨) فى (أ) : (نقض) .

(٩٩) المعتضد : هو أحمد بن طلحة بن جعفر أبو العباس المعتضد بالله ابن الموفق بالله ابن المتوكل ، خليفة عباسى ، ولد ونشأ ومات فى بغداد ، كان عون أبيه فى حياته أيام خلافة المعتمد ، وأظهر بسالة ودراية فى حروب الزنج والأعراب وهو فى سنّ الشباب ، بويع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد سنة ٢٧٩ هـ . قال عنه ابن دحية : هو أحد رجال بنى العباس الخمسة ، أقام العدل ، وبذل المال ، وأصلح الحال وحج ، وغزا ، وجالس المحدثين ، وأهل الفضل والدين ، كان عارفا بالأدب ، موصوفا بالحلم إلا فى مواضع الشدة توفى سنة ٢٨٩ هـ . (فوات الوفيات : ٤٥/١) . بتصرف .

(١٠٠) هذا البيت من قصيدة قالها البحترى فى مدح على بن محمد بن الفياض ، والبيت كما ورد فى الديوان :

شط من ساكن الغوير مزاره   وطوته البلاد ، فالله جاره

(ديوان البحترى : ٢/٣٦٣ ط دار المعارف ببيروت) .

والفياض هذا لعنه الله قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن[١٠١] وهب ، لكونه من جملة من سعى به أيام المعتضد ، والقصة مشهورة .

وفرقة ثالثة بالإلهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيا نبيا إلى محمد عليه السلام ثم بالإلهية[١٠٢] علىّ ثم بالإلهية الحسن ثم الحسين ، ثم محمد بن على ، ثم جعفر بن[١٠٣] محمد ، ووقفوا هاهنا ، وأعلنت الخطابية بذلك نهارًا بالكوفة ، فى ولاية عيسى بن موسى ، بن محمد بن على ابن عبد الله[١٠٤] بن العباس ، فخرجوا صدر النهار فى جموع عظيمة فى أزرٍ وأردية محرمين ينادون بأعلى أصواتهم : لبيك جعفر لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كأننى أنظر إليهم يومئذ فخرج إليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم ، واصطلمهم ، ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالوا بالإلهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد ، وهم القرامطة[١٠٥]. وفيهم من قال بالإلهية أبى سعيد الحسن ابن بَهْرام الجَنَّابِى[١٠٦] وأبنائه بعده .

ومنهم من قال بالإلهية أبى القاسم النجار القائم باليمن ، فى بلاد همدان المسمى بالمنصور .

وقالت طائفة منهم : بالإلهية عبيد الله ثم الولاة من ولده إلى يومنا هذا .

وقالت طائفة بالإلهية أبى الخطاب محمد بن أبى زينب[١٠٧] مولى بنى أسد بالكوفة ، وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الألوف ، وقالوا هو إله ، وجعفر بن محمد إله ، إلا أن أبا الخطاب أكبر منه ، وكانوا يقولون : جميع أولاد الحسن أبناء الله وأحباؤه وكانوا يقولون : إنهم لا يموتون ، ولكنهم يرفعون إلى السماء ، وأشبه على الناس بهذا الشيخ الذى ترون[١٠٨].

---

(١٠١) هو : القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثى ، وزير من الكتاب الشعراء ، له غزل رقيق ، استوزره المعتضد العباسى بعد أبيه عبيد الله سنة ٢٨٨ هـ ، ولما مات المعتضد سنة ٢٨٩ هـ قام القاسم بأعباء الخلافة ، وعقد البيعة للمكتفى فى غيبته بالرقة ، وزرله . توفى سنة ٢٩١ هـ (الأعلام : ١١/٦) .

(١٠٢) فى (أ) : لم تذكر (ثم بالإلهية على) .

(١٠٣) هو : أبو عبد الله جعفر الصادق بن أبى جعفر محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان سيد بنى هاشم فى زمانه توفى فى آخر سنة ١٤٨ هـ عن ثمان وستين سنة (العبر : ٢٠٨/١) .

(١٠٤) هو : عيسى بن موسى بن محمد العباسى ، أبو موسى ابن أخى السفاح ، كان يقال له « شيخ الدولة » ولد ونشأ فى الحميمة ، ولّاة عمه الكوفة وسوادها سنة ١٣٢ هـ ، وجعله ولى عهد المنصور ، فاستنزله المنصور عن ولاية عهده سنة ١٤٧ هـ وعزله عن الكوفة ، وجعل له ولاية عهد ابنه المهدى ، فلما ولى المهدى خلعه سنة ١٦٠ هـ ، فأقام بالكوفة إلى أن توفى سنة ١٦٧ هـ (الكامل لابن الأثير : ٢٥/٦) بتصرف .

(١٠٥) ذكرهم الأشعرى فى مقالات الإسلاميين ١٠٠/١) ، وذكرهم البغدادى فى الفرق بين الفرق حين تحدث عن الاسماعيلية : ٦٢) . وكان محمد بن اسماعيل هذا يكنى بالمكتوم حذرًا عليه من بطش العباسيين ، وهو عندهم أول الأئمة المكتومين ، ويليه ابنه جعفر المصدّق . ثم محمد الحبيب ، ويقول الفاطميون إن محمدًا الحبيب هو والد عبيد الله القائم بالمغرب الملقب بالمهدى ، ولد المكتوم بالمدينة ، وتوفى ببغداد سنة ١٩٨ هـ . (اتعاظ الحنفا : ١٦ - ١٨ بتصرف) .

(١٠٦) هو : الحسن بنى بهرام الجنابى ، أبو سعيد ، كبير القرامطة ، كان دقاقا من أهل (جنابة) بفارس ، ونفى منها ، فأقام فى البحرين تاجرًا ، وجعل يدعو إلى نحلته فعظم أمره ، وكان أصحابه يسمّونه (السيد) استولى على « هجر » والأحساء والقطيف ، وسائر بلاد البحرين ، قتله خادم له صقلبى فى الحمام بهجر سنة٣٠١ هـ (الكامل لابن الأثير : ٢٧/٨ بتصرف) .

(١٠٧) هو : أبو الخطاب الأسدى الذى تنسب إليه فرقة الخطابيه واسمه محمد ابن أبى زينب ، ويكنى أيضًا أبا إسماعيل ، وأبا الظُّبْيان ، وكان مولى لبنى أسد ، وقد كان يقول : إن لكل شىء من العبادات باطنا ، وقد ظل على ضلالته ومخرقته حتى قتله عيسى بن موسى والى الكوفة من قبل العباسيين سنة ١٤٣ هـ . (الفرق بين الفرق : ٢٤٧) .

(١٠٨) راجعنا مقالات الإسلاميين فوجدنا العبارة كالآتى : .. ولكن يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت ، وتوضع للناس أجساد شبه أجسادهم » وذكر صاحب الفرق بين الفرق « وزعموا أيضا أنهم لا يموتون ، وأن الواحد منهم إذا بلغ النهاية فى دينه رفع إلى الملكوت وزعموا أنهم يرون المرفوعين =

ثم قالت طائفة منهم بالإلهية معمر بائع الحنطة بالكوفة ، وعبدوه ، وكان من أصحاب أبى الخطاب ، لعنهم الله أجمعين .

وقالت طائفة بالإلهية الحسين(١٠٩) بن منصور حلّاج القطن ، المصلوب ببغداد ، بسْعى الوزير بن حامد بن العباس رحمه الله أيام المقتدر .

وقالت طائفة بالإلهية محمد بن على الشَّلْمَغَانىّ(١١٠) الكاتب المقتول ببغداد أيام الراضى(١١١)، وكان أمر أصحابه بأن يفسق الأرفع قدرًا منهم به ليولج فيه النور .

وكل هذه الفرق ترى الاشتراك فى النساء .

وقالت طائفة بالإلهية شباس المقيم فى وقتنا هذا حيًّا بالبصرة .

وقالت طائفة منهم بالإلهية أبى مسلم السرّاج(١١٢).

ثم قالت طائفة من هؤلاء بالإلهية المقنَّع الأعور القَصَّار(١١٣) القائم بثأر أبى مسلم ، واسم هذا القصار هاشم ، وقتل لعنه الله أيام المنصور .

وقالت الراوندية(١١٤) بالإلهية أبى جعفر المنصور(١١٥)، وأعلنوا بذلك فخرج إليهم المنصور فقتلهم وأفناهم إلى لعنة الله .

= منهم غدوة وعشية » . وعلى ذلك تكون العبارة التى ذكرها أبو محمد وهى [وأشبه على الناس بهذا الشيخ الذى ترون] ناقصة أو محرفة ، وحقيقتها يدور حول المعنى الذى ذكرناه (راجع الفرق بين الفرق : ٢٤٩ ، ومقالات الإسلاميين : ٧٨/١) .

(١٠٩) فى (أ) : (الحسن) . وقد ترجمنا له فى الجزء الأول ص ، وفى الجزء الثانى :

(١١٠) هو : محمد بن على الشَّلْمَغَانى ، ظهر أمره ببغداد سنة ٣٢٢ هـ ، وشاع أنه يدعى الإلاهية ، وكثر أتباعه فأحضره الوزير ابن مقلة عند الراضى بالله فسمع كلامه وقال له : أنت زعمت أنك لا تدعى الربوبية فلماذا يناديك ابن أبى عون بإلهى وسيدى ورازق . فقال : وما علىَّ من قول ابن أبى عون ؟ ثم أحضره غير مرة وأحضر الفقهاء والقضاة فأفتى الأئمة بإباحة دمه فأحرق فى ذى القعدة ، وضربت رقبة بن أبى عون . والسَّلْمغانى هذا هو المعروف بابن أبى العَذَافر ، وقد بسط القول فيه ابن الأثير . (الكامل : ٢٤١/٦) . وذكره فى الأصل (السَّلْعان) وهو تحريف .

(١١١) الراضى : هو أبو إسحاق ، أحمد ويقال : محمد بن المقتدر بالله جعفر ، ولد فى سنة ٢٩٧ هـ ، وأمه جارية رومية إسمها (ظلوم) . كان سمحا كريما محبا للعلماء والأدباء مات فى شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩ هـ ، وله إحدى وثلاثون سنة ونصف سنة .

(١١٢) بحثنا فى كثير من المراجع عن أبى مسلم السرّاج فلم نجد من نسبت إليه الألوهيه إلا أبو مسلم الخراسانى ، وقد ذكره البغدادى حين تحدث عن فرقة الرِّزامية ، ص ٢٥٦ ، وذكره الأشعرى فى مقالات الإسلاميين تحت الرزاميه والأبو مسلميه : ٩٦/١) وهو : عبد الرحمن ابن مسلم ، وقيل عثمان الخراسانى ، والقائم بالدعوة العباسية ، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ هـ وقيل سنة ١٣٦ هـ وقيل سنة ١٤٠ هـ (ترجمته رقم ٣٤٥ من وفيات الأعيان) .

(١١٣) قال الذهبى فى حوادث سنة ١٦١ هـ : كان ظهور عطاء المقنَّع الساحر الملعون الذى ادّعى الربوبية بناحية « مرو » ، واستغوى خلائق لا يحصون ، وأرى الناس قمرًا ثانيا فى السماء كان يرى إلى مسيرة شهرين » ويقول فى حوادث سنة ١٦٣ هـ ، وفيها قتل المهدى جماعة من الزنادقة ، وصرف همته إلى تتبعهم ، وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بحضرته بحلب ، وفيها بالغ سعيد الجرشى فى حصار عطاء المقنع ، فلما أحسَّ الملعون بالغلبة استعمل سما ، وسقى نساءه فأهلكهم الله ، ودخل المسلمون الحصن فقطعوا رأسه ووجهوا به إلى المهدى ، فوافاه بحلب ، وكان قد اتخذوجهها من ذهب ، واستغوى الناس بالسحر . وترجمته رقم ٣٩٣ من وفيات الأعيان .

(١١٤) فى (أ) : تقديم وتأخير يخّل بالمعنى .

(١١٥) هو : أبو جعفر : عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، الهاشمى العباسى ، ثانى خلفاء بنى العباس ، ولقبه المنصور ، توفى فى مكة فى شهر ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ عن ثلاث وستين سنة ، وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة (العبر : ٢٣٠/١) .

وقالت طائفة منهم بالإلهية عبد الله ابن الحرب الكندى[116] الكوفى ، وعبدوه وكان يقول بتناسخ الأرواح ، وفرض عليهم تسع عشرة صلاة فى اليوم ، والليلة ، فى كل صلاة خمس عشرة ركعة ، إلى أن ناظره رجل من متكلمى الصُّفْرية ، وأوضح له براهين الدين فأسلم وصحّ إسلامه ، وتبرأ من كل ما كان عليه ، وأعلم أصحابه بذلك ، وأظهر التوبة فتبرأ منه جميع أصحابه الذين كانوا يعبدونه ، ويقولون بالإهيته ولعنوه وفارقوه ، ورجعوا كلهم إلى القول بإمامة عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وبقى عبد الله بن الحرب من السبئية النصيرية على الإسلام ، وعلى مذهب الصُّفْرية إلى أن مات ، وطائفته إلى اليوم تعرف بالحربية[117] ومن السبئية القائلين بالإهية على طائفة[118] تدعى النُّصيرية ، وقد غَلبوا فى وقتنا هذا على جند الأردن بالشام ، وعلى مدينة الطبرية خاصة ، ومن قولهم : لعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولعن الحسن والحسين ابنى على رضى الله عنهم ، وسبّهم بأقذع السب ، وقذفهم بكل بلية ، والقطع بأنها وابنيها رضى الله عنهم شياطين تصوروا فى صورة الإنسان . وقولهم فى عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل على رضى الله[119] عن على ولعنة الله على ابن مُلْجَم ، فيقول هؤلاء إن عبد الرحمن بن ملجم المرادى أفضل أهل الأرض وأكرمهم فى الآخرة لأنه خلّص روح اللاهوت مما كان يتشبّث فيه من ظلمة الجسد وكدره ، فاعجبوا لهذا الجنون ، واسألوا الله العافية من بلاء الدنيا والآخرة ، فهى بيده لا بيد أحد سواه ، جعل الله حظنا منها الأوفى ، واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى إلى الإسلام فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فإن من الصوفية من يقول : إنَّ من عرف الله تعالى سقطت عنه الأعمال الشرعية[121]. وزاد بعضهم ، واتصل بالله تعالى .

وبلغنا أن بنيسابور اليوم فى عصرنا هذا رجلًا يكنى أبا سعيد أبى الخير هكذا معا من الصوفية مرة يلبس الصوف ، ومرّة يلبس الحرير المحرّم على الرجال ، ومرة يصلى فى اليوم ألف ركعة ، ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ، ونعوذ بالله من الضلال .

---

(١١٦) هو : عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى ، كان أول أمره على مذهب البيانية أتباع بيان بن سمعان النهدى فى الحلول ، ثم زعم أنّ روح الإله انتقلت من أبى هاشم بن محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن حرب هذا ، لعنه الله . (انظر الحديث عنه فى الفرق بين الفرق ص ٢٤٣) .

(١١٧) فى (أ) : (الحزبية) .

(١١٨) فى (أ) : (وطائفة) وهذه الواو الزائدة تفسد المعنى .

(١١٩) فى (أ) : بزيادة (عنه) .

(١٢٠) عن سكين بن عبد العزّى العبدى أنه سمع أباه يقول : جاء عبد الرحمن بن مُلْجَم يستحمل عليا فحمله ثم قال : هذا قاتلى . قال فما يمنعك منه ؟ قال : إنه لم يقتلنى بعد . وقيل له إن ابن ملجم سمّ سيفه ويقول : إنه سيقتلك به قتلة يتحدّث بها العرب ، فبعث إليه لِمَ تسمُّ سيفك . قال : لعدوّى وعدوّك فخلى عنه وقال : ما قتلنى بعد . أخرجه أبو عمرو . وقيل فى سبب حماسه لقتل على أنه رأى امرأة من بنى تيم الرباب فخطبها ، فقالت له : آليت ألا أتزوج إلّا على مهر لا أريد سواه ، قال : ما هو ؟ قالت : قتل علىّ بن أبى طالب ، وكان على قتل أباها وأخاها بالنهروان ، فمضى لقتله (تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس : تأليف حسين بن محمد بن الحسن الديار : ١/٢٨٠) .

(١٢١) فى (أ) : (سقطت عنه الشرائع) .

« ذكر شنع الخوارج »

ذكر بعض من جمع مقالات المنتمين إلى الإسلام ، أن فرقة من الأباضية رئيسهم رجل يدعى زيد ابن أبى أُنَيْسه[1]– وهو غير المحدث المشهور ، كان يقول : إنَّ فى هذه الأمة شاهدين عليها هو أحدهما ، والآخر لا يدرى من هو ؟ ولا متى هو ؟ ولا يدرى لعله قد كان قبله ، وإنَّ من كان من اليهود والنصارى يقول : لا إله إلَّا الله محمد رسول الله إلى العرب لا إلينا ، كما تقول العيسوية من اليهود ، قال : فإنهم مؤمنون ، أولياء الله تعالى ، وإن ماتوا على هذا العقد وعلى التزام شرائع اليهود والنصارى ، وأن دين الإسلام سينسخ بنبى من العجم يأتى بدين الصابئين ، وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة .

قال أبو محمد : إلَّا أن جميع الأباضية يكفرون من قال بشىء من هذه المقالات ويبرءون منه ، ويستحلون دمه وماله .

وقالت طائفة من أصحاب[2] الحارث الأباضى : إن من زنى أو سرق أو قذف فإنه يقام عليه الحد ثم يستتاب مما فعل ، فإن تاب ترك ، وإن أبى التوبة قتل على الرِّدة .

قال أبو محمد : وشاهدنا الأباضية عندنا بالأندلس يحرمون طعام أهل الكتاب ، ويحرمون أكل قضيب التيس ، والثور والكبش ، ويوجبون القضاء على من نام نهارًا فى رمضان فاحتلم ، ويتيممون وهم على الآبار التى يشربون منها إلا قليلًا منهم .

وقال أبو إسماعيل البطيحى وأصحابه ، وهم من الخوارج : أن لا صلاة واجبة إلا ركعة

---

(١) ورد ذكره فى الفرق بين الفرق : « يزيدُ بن أبى أُنَيْسه » ، وكان من البصرة ثم انتقل إلى جور من أرض فارس ، وكان على رأى الإباضية من الخوارج ، ثم خرج على قول جميع الأمة (الفرق بين الفرق : ٢٧٩) . وفى مقالات الإسلاميين : « يزيد بن أُنيسْه » (مقالات الإسلاميين : ١٨٤) .

(٢) فى الفرق بين الفرق : (حارث بن يزيد الإباضى) بغير تعريف (بأل) (راجع ص ١٠٥) وفى التبصير « الحارث بن مزيد الإباضى » ص ٣٥ .

واحدة بالغداة ، وركعة أخرى بالعشى فقط ، ويرون الحج فى جميع شهور السنة ، ويحرمون أكل السمك[٣] حتى يذبح ، ولا يرون أخذ الجزية من المجوس ويكفرون من خطب فى الفطر والأضحى ، ويقولون : إن أهل النار فى النار فى لذّة ونعيم ، وأهل الجنة كذلك .

قال أبو محمد : وأصل أبى إسماعيل هذا من الأزارقة إلّا أنه غلا[٤] عن سائر الأزارقة ، وزاد عليهم .

وقالت سائر الأزارقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزرق بإبطال رجم من زنى وهو محصن وقطعوا يد السارق من المنكب ، وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام فى حيضها .

وقال بعضهم : لا ولكن تقضى الصلاة إذا طهرت كما تقتضى الصيام ، وأباحوا دم الأطفال ممن لم يكن فى عسكرهم ، وقتل النساء أيضًا ممن ليس فى عسكرهم وبرئت الأزارقة ممن قعد عن الخروج لضعف أو غيره ، وكفروا من خالف هذا القول بعد موت أول من قال به منهم ، ولم يكفروا من خالفه فيه فى حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ويقتلونه إذا قال أنا مسلم ، ويحرمون قتل من انتمى إلى اليهود أو إلى النصارى أو إلى المجوس ، وبهذا شهد عليهم[٥] رسول الله ﷺ بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية إذ قال عليه السلام : « إنهم يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان[٦] » وهذا من إعلام نبوته ﷺ إذ أنذر بذلك ، وهو من جزئيات الغيب فخرج نصا كما قال .

قال أبو محمد : وقد بادت الأزارقة – إنما كانوا[٧] أهل عسكر واحد أولهم نافع ابن الأزرق[٨]، وآخرهم عُبَيْدَةُ بن[٩] هلال اليشكرى ، واتصل أمرهم بضعا وعشرين سنة إلّا أنى

---

(٣) فى (خ) : بزيادة (إلّا) .

(٤) فى (أ) : (علا) بالعين المهملة وهو تحريف .

(٥) فى (أ) : سقطت كلمة (عليهم) .

(٦) الحديث رواه البخارى فى كتاب التوحيد ، ولفظه مسندًا إلى أبى سعيد الخدرى قال : « بعث علىٌّ وهو باليمن إلى النبى ﷺ بذهيبة فى تربتها فقسمها بين الأقرع بن حابس الحنظلى ، ثم أحد مجاشع وبين عيينه بن بدر الفزارى وبين علقمه بن علاثه العامرى ثم أحد بنى كلاب ، وبين زيد الخيل الطائى ثم أحد بنى نبهان ، فتغضبت قريش والأنصار فقالوا : يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا قال : إنما تألفهم ، فأقبل رجل غائر العينين ، ناتئ الجبين ، كث اللحية ، مشرق الوجنتين ، محلوق الرأس فقال : يا محمد اتق الله . فقال النبى ﷺ فمن يطبع الله إذا عصيته ، فيأمننى على أهل الأرض ولا تأمنونى ، فسأل رجلٌ من القوم قتله – أراه خالد ابن الوليد – فمنعه النبى ﷺ فلما ولى قال النبى ﷺ : إن من ضئضئى هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرميّة ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد (البخارى – كتاب التوحيد رقم ٦٩٨١ ط مصر سنة ١٣٥٦ هـ) .

(٧) فى (خ) : بزيادة كلمة (دفعة) .

(٨) نافع بن الأزرق : هو أبو راشد نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار ، أحد بنى الدول بن حنيفة ، كان أول خروجه بالبصرة فى عهد عبد الله ابن الزبير ، وفى سنة ٦٥ هـ اشتدت شكونه وكثرت جموعه ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبس بن كريز بن ربيعة على رأس جيش كثيف ، فاشتد بينهم القتال حتى قتل مسلم أمير الجيش ، وقتل نافع أمير الخوارج فى جمادى الآخرة . (خطط المقريزى : ٣٥٤/٢ وما بعدها ، والكامل لابن الأثير ٨١/٤ بتصرف) .

(٩) هو : عُبيدة بن هلال اليَشْكُرى : من رؤساء الأزارقه وشعرائهم وخطبائهم ، كان فى أول خروجه من المقدّمين فيهم ، وأرادوا مبايعته=

أشك فى صبيح مولى سوار بن الأشعر المازنى مازن تميم أَخَرَج برأى الأزارقة أيام هشام ابن عبد الملك ، أم برأى الصُّفْرية[١٠]؟ لأن أمره لم يطل [فقد] أسر إثر خروجه وقتل .

وقالت النجدات : وهم أصحاب نَجْدَة بن عويمر[١١] الحنفى : ليس على الناس أن يتخذوا إمامًا إنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم .

وقالوا : من ضعف عن الهجرة إلى عسكرهم فهو منافق ، واستحلوا دماء[١٢] القعدة وأموالهم ، وقالوا من كذب كذبة صغيرة أو عمل ذنبا[١٣] صغيرًا فأصرَّ على ذلك فهو كافر مشرك ، وكذلك أيضًا فى الكبائر ، وأن من عمل الكبائر[١٤] غير مُصرٍّ عليها فهو مسلم ، وقالوا : جائز أن يعذّب الله المؤمنين بذنوبهم لكن فى غير النار وأما النار فلا .

وقالوا : أصحاب الكبائر منهم ليسوا كفارًا ، وأصحاب الكبائر من غيرهم كفار . وقد بادت النجدات .

وقالت طائفة من الصُّفْرِيَّة بوجوب قتل كل من أمكن قتله من وُمن عندهم أو كافر ، وكانوا يئوِّلون الحق بالباطل ، وقد بادت هذه الطائفة .

وقالت الميمونية[١٥]– وهم فرقة من العجاردة ، والعجاردة فرقة من الصُّفْرية بإجازة نكاح بنات البنات ، وبنات البنين ، وبنات بنى الإخوة والأخوات . وذكر ذلك عنهم الحسين بن على الكرابيسى[١٦]، وهو[١٧] أحد الأئمة فى الدين والحديث ، ولم يبق اليوم من فرق الخوارج إلا الأباضية والصفرية فقط .

=فقال : أدلكم على من هو خير لكم منى ، قطرى بن فجاءة المازنى فبايعوا قطريا ، وظل عبيدة إلى جانبه زمنا ، ووقع الخلاف بين الأزارقة ففارقه وانحاز إلى حصن قَوْمَس (فى ذيل جبال طبرستان) وسيّر الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبى فقتل قطريًّا ، وحاصر حصن قومس إلى أن قتل عبيدة ، وقتل من معه عام ٧٧ هـ (الكامل : لابن الأثير حوادث سنة ٧٧ هـ) .

(١٠) انظر فى شأن هذه الفرقة ، الفرق بين الفرق : ٩٠ ، ومقالات الإسلاميين : ١٨٢/١ ، ويقال لهم (الصُّفْرية) جمع صُفْرى بضم الصاد وسكون الفاء إما لنسبتهم إلى الصفرة إشارة إلى صفرة وجوههم من أثر ما تكلفوه من السهر والعبادة ، وإما لنسبتهم إلى زياد بن الأصفر رئيسهم ، وجاز النسب إلى الجمع لأنه أشبه المفرد بسبب كونه قد جعل علما (الفرق بين الفرق : ٩٠) .

(١١) اقرأ عن النجدات فى الفرق بين الفرق : ٨٧ ، ومقالات الإسلاميين : ١٧٤/١ ، وهم أتباع « نَجْدَة بن عامر الحنفى » هكذا ورد فى الفرق بين الفرق ، وفى مقالات الإسلاميين (عامر) لا عويمر . وقد عظم أمر نجدة « واستولى على اليمامة والبحرين فى سنة ٦٦ هـ وفى سنة ٦٩ هـ قتله أصحابه ، (العبر : ٧٤/١ وما بعدها) بتصرف .

(١٢) فى (أ) : (دم) .

(١٣) فى (أ) : (عملا) .

(١٤) فى (أ) : (من الكبائر) .

(١٥) وتزعم فرقة الميمونة أن الله سبحانة وتعالى فوّض الأعمال إلى العباد ، وجعل لهم الاستطاعة إلى كل ما كلفوا ، فهم يستطيعون الكفر والإيمان جميعا ، فيوافقون المعتزلة فى رأيهم (اقرأ تفاصيل عنهم فى مقالات الإسلاميين : ١٧٧/١) .

(١٦) هو : الحسين بن على بن يزيد : أبو على الكرابيسى ، فقيه من أصحاب الإمام الشافعى ، له تصانيف كثيرة فى أصول الفقه وفروعه ، والجرح والتعديل ، وكان متكلما ، عارفا بالحديث من أهل بغداد ، نسبته إلى الكرابيسى . (وهى الثياب الغليظة) كان يبيعها . (وفيات الأعيان : ١٤٥/١ بتصرف) .

(١٧) فى (خ) : (وهذا) .

وقالت طائفة من أصحاب البَيْهَسِيَّة وهم أصحاب أبى بَيْهَس[١٨]، وهم من فرق الصُّفْرِيَّة : إن كل[١٩] صاحب كبيرة فيها حد فإنه لا يكفر ، حتى يرفع إلى الإمام فإذا أقام عليه الحد فحينئذ يكفر .

وقالت الرشيدية – وهم من فرق الثعالبة ، والثعالبة من فرق الصفرية : إن الواجب فى الزكاة نصف العشر مما سقى بالأنهار والعيون .

وقالت العُوفِية[٢٠]: وهم طائفة من البيهسية التى ذكرنا آنفا أن الإمام إذا قضى قضية جور وهو بخراسان أو بغيرها حيث كان من البلاد ففى ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الأرض وغربها ، ولو بالأندلس واليمن فما بين ذلك من البلاد .

وقالوا أيضًا لو وقعت قطرة خمر فى جُبٍّ ماء بفلاة من الأرض ، فإن كل من حضر[٢١] على ذلك الجب فشرب منه وهو لا يدرى بما وقع فيه فهو[٢٢] كافر بالله تعالى . قالوا : إلّا أن الله تعالى يوفق المؤمن لاجتنابه .

وقالت الفضيلية من الصُّفْرية من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه ، بل اعتقد الكفر أو الدهرية ، أو اليهودية ، أو النصرانية ، فهو مسلم عند الله ، مؤمن ، ولا يضره إذا قال الحق بلسانه ما اعتقد بقلبه .

وقالت طائفة من الصفرية إن النبى ﷺ إذا بعث ففى حين بعثه فى ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع أهل المشرق والمغرب الإيمان به ، وأن[٢٣] يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع ، فمن مات منهم قبل أن يبلغه شىء من ذلك مات كافرًا .

وقالت العجاردة – أصحاب عبد الكريم بن عَجْرَد[٢٤] من الصُّفْرِيّة إنَّ من بلغ الحلم من أولادهم ، وبناتهم ، فهم برآء منه ومن دينه ، حتى يقر بالإسلام فيتولوه حينئذ .

---

(١٨) هو : هَيْصَم بن جابر من بنى سعد بن ضُبيعَة بن قيس ، أبو بَيْهس ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى قد طلب أبا بيهس أيام الوليد فهرب إلى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المرى فظفر به وحبسه ، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ويقتله ، ففعل به ذلك . (الفرق بين الفرق : ١٠٨) .

(١٩) فى (أ) : (كان) .

(٢٠) فى (أ) : (العَوْنية) وهو تحريف وقد ورد ذكر هذه الفرقة فى الفرق بين الفرق : ١٠٩ ، وفى مقالات الإسلاميين : ١/١٩٦) .

(٢١) فى (أ) : (خطر) .

(٢٢) فى (أ) : لم تذكر كلمة (فهو) .

(٢٣) فى (أ) : (وإن لم يرفعوا) .

(٢٤) جاء فى لسان العرب : وعَجْرد اسم رجل من الحروريّه ، والعجردية من الحرورية : ضرب ينسبون إليه . وكان عبد الكريم من أتباع عطية ابن الأسود والحنفى ، وافترقت العجاردة إلى عشر فرق والكلام عليهم تفصيلا فى (الفرق بين الفرق : ٩٣ ، وفى مقالات الإسلاميين : ١٧٧) .

قال أبو محمد : فعلى هذا إن قتلة قاتل قبل أن يلفظ بالإسلام فلا قود[٢٥] عليه ولادية ، وإن مات لم يرث ولم يورث .

وقالت طائفة من العجاردة : لا نتولى أطفالنا[٢٦] قبل البلوغ ولا نبرأ منهم لكن نقف منهم[٢٧] حتى يلفظوا بالإسلام بعد البلوغ .

قال أبو محمد : والعجاردة هم الغالبون على خوارج خراسان ، كما أنَّ النكار من الأباضية هم الغالبون على خوارج الأندلس .

وقالت المُكْرَمِيَّة : وهم أصحاب أبى مُكْرِم[٢٨] وهم من الثعالبة أصحاب ثَعْلبة[٢٩] وهو من الصُّفْرية ، وإلى قول الثعالبة رجع عبد الله بن إباض[٣٠] فبرىء منه أصحابه ، فهم لا يعرفونه اليوم ، ولقد سألنا من هو مقدمهم فى علمهم ومذهبهم عنه[٣١] فما عرفه أحد منهم .

وكان من قول المكرمية هؤلاء : أن من أتى كبيرة فقد جهل الله تعالى ، فهو كافر ليس من أجل الكبيرة كفر ، لكن لأنه جهل الله عزَّ وجل ، فهو كافر بجهله بالله تعالى .

وقالت طائفة من الخوارج : ما كان من المعاصى فيه حدٌّ كالزنى والسرقة والقذف فليس فاعله كافرًا ، ولا مؤمنا ، ولا منافقا . وأمّا ما كان من المعاصى لا حدَّ فيه فهو كفر وفاعله كافر .

وقالت الحفصية — وهم أصحاب حفص بن أبى المقدام[٣٢] من الإباضية — من عرف الله تعالى وكفر بالنبى ﷺ — فهو كافر وليس بمشرك ، فإن[٣٣] جهل الله تعالى أو جحده فهو حينئذ مشرك .

---

(٢٥) فى (خ) : (فالقود) .

(٢٦) فى (أ) : الأطفال .

(٢٧) فى (أ) : (فيهم) .

(٢٨) هكذا ورد اسم صاحب هذه الفرقة فى الفرق بين الفرق ، وفى مقالات الإسلاميين : ١٨٢/١) وسماه الشهرستانى (مُكْرِم ابن عبد الله العجلى) وقد زعم المكرمية أن تارك الصلاة كافر لا لأجل ترك الصلاة لكن لجهله بالله عزّ وجل (الفرق بين الفرق : ١٠٣) .

(٢٩) سماه صاحب الفرق بين الفرق : (ثَعْلَبة بن مِشْكان) ، والثعالبة تدَّعى إمامته بعد عبد الكريم بن عجرد ، وتزعم أن عبد الكريم كان إماما قبل أن يخالفه ثعلبة فى حكم الأطفال فلما اختلفا فى ذلك كفر ابن عجرد ، وصار ثعلبة إماما . وقد سمى فى الملل والنحل (ثعلبة ابن عامر) ، ولم يزد الأشعرى عن تسميته بـ (ثعلبة) (الفرق بين الفرق : ١٠٠ ، ومقالات الإسلاميين : ١٧٩/١ وما بعدها) .

(٣٠) هو : عبد الله بن إباض أحد بنى مرة ابن عبيد من بنى تميم رهط الأحنف ابن قيس وفى لسان العرب وأباض : اسم رجل ، والإباضية : قوم من الحرورية لهم هوى ينسبون إليه . وقيل الإباضية : فرقة من الخوارج أصحاب عبد الله بن إباض التميمى . وقد افترقت الإباضية فيما بينها فرقا يجمعها القول بكفر مخالفيهم . (الفرق بين الفرق : ١٠٣ ، ومقالات الإسلاميين : ١٨٣/١) .

(٣١) فى (أ) : (عنهم) .

(٣٢) جاء ذكره فى لسان الميزان : ٣٣٠/٢ ، وفى خطط المقريزى (حفص بن المقدام) (٣٥٥/٢) وتحدث البغدادى عن الحفصية وقال : هؤلاء قالوا بإمامة حفص بن أبى المقدام » ، والحفصية هى الفرقة الأولى من الخوارج الإباضية عند الأشعرى (مقالات الإسلاميين : ١٨٣/١) .

(٣٣) فى (أ) : (وإن) .

وقال بعض أصحاب الحارث الإباضى ، المنافقون على عهد رسول الله ﷺ إنما كانوا موحدين لله تعالى أصحاب كبائر ، ومن حماقاتهم قول بكر بن أخت عبد الواحد بن[٣٤] زيد ، فإنه كان يقول : كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهى شرك بالله ، وفاعلها كافر مشرك مخلد فى النار ، إلَّا أن يكون من أهل بدر فهو كافر مشرك من أهل الجنة ، وهذا حكم طلحة والزبير رضى الله عنهما عندهم .

ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسى ، تلميذ بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد ، المذكور ، فإنه كان يقول : إن المجانين والبهائم والأطفال ما لم يبلغوا الحلم فإنهم لا يألمون ألبتة ، لشيء مما ينزل بهم من العلل ، وحجته فى ذلك أن الله تعالى لا يظلم أحدًا ، وهو اللطيف الرحمن الرحيم فلو آلمهم بغير ذنب لكان ظالما لهم[٣٥] .

* * *

قال أبو محمد : لعمرى لقد طرد أهل[٣٦] المعتزلة ، وإن من خالفه فى هذا لمتلوث[٣٧] فى الحماقة ، متسكع[٣٨] فى التناقض[٣٩].

* * *

(٣٤) ترجمنا له فى الجزء الثالث : ٢٦١ .
(٣٥) فى (أ) : سقط الكلام من أول (وهو اللطيف إلى كان ظالما لهم) .
(٣٦) فى (أ) : (أصل) .
(٣٧) فى (أ) : (المتلوث) .
(٣٨) فى (أ) : (متكسع) .
(٣٩) فى (خ) : (فى الحماقة) .

« ذكر شنع المعتزلة »

قال أبو محمد : قالت المعتزلة بأسرها حاشا ضِرار بن عبد الله[1] الغِطْفَانِيَ الكوفى ومن وافقه كحفص[2] الفرد ، وكلثوم وأصحابه : إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم فى أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عزَّ وجل ، ثم اختلفوا :

فقالت طائفة : يخلقها[3] فاعلوها دون الله تعالى .

وقالت طائفة : هى أفعال موجودة لا خالق لها أصلا .

وقالت طائفة : هى أفعال الطبيعة ، وهذا قول أهل الدّهر بلا تكلف .

وقالت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور ، وحاشا أبا سهل بشر ابن المعتمر البغدادى[4] النخاس بالرقيق : إنَّ الله عزَّ وجل لا يقدر ألبتة على لطف يلطف به للكافر حتى يؤمن إيمانًا يستحق به الجنة ، والله عزَّ وجل ليس فى قوته أحسن مما فعل بنا ، وأنَّ هذا الذى فعل هو منتهى طاقته ، وآخر قدرته التى لا يمكنه ولا يقدر على أكثر .

قال أبو محمد : هذا تعجيز مجرد للبارى تعالى ، ووصف له بالنقص ، وكلهم لا نُحاشى أحدًا يقول : إنه لا يقدر على المحال ، ولا على أن يجعل الجسم ساكنا متحركا معًا فى حالٍ واحدة ، ولا على أن يجعل إنسانا واحدًا فى مكانين معا .



---

(١) هو : ضرار بن عمرو القاضى ، وذكره صاحب الفهرست قال : يكنى أبا عمرو ، وذكره صاحب لسان الميزان فى الترجمة رقم ٩١٢ حـ ٣ وقال عنه : له مقالات خبيثة ، وقال المروزى : قال أحمد بن حنبل شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى فأمر بضرب عنقه فهرب . (لسان الميزان ٢٠٣/٣) .

(٢) إليه تنسب فرقة الحفصية ، وهو حَفْص بن أبى المِقْدَام ، ذكره الأشعرى فى مقالات الإسلاميين : ١٨٣/١ ، وذكره البغدادى فى الفرق بين الفرق : ١٠٤) .

(٣) فى (أ) : (خلقها) .

(٤) ترجمنا له فى الجزء الثانى ٤٦٨ والثالث : ٨٧ .

قال أبو محمد : وهذا تعجيز مجرد لله تعالى ، وإيجاب النهاية والانقضاء لقدرته تعالى الله عن ذلك .

وقال أبو الهذيل بن مكحول العلّاف مولى عبد القيس بصرى أحد رؤساء المعتزلة ومتقدميهم : إنّ لما يقدر الله تعالى عليه آخرًا ، ولقدرته نهاية لو خرج إلى الفعل – ولن[٥] يخرج – لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلًا ، ولا على خلق ذرّة فما فوقها ، ولا على إحياء بعوضة ميتة ، ولا على تحريك ورقة فما فوقها ، ولا على أن يفعل شيئًا أصلا .

قال أبو محمد : وهذه حالة من الضعف والمهانة والعجز قد ارتفعت البق والبراغيث والدود مدة حياتها عنها ، وعن أن توصف بها ، وهذا كفر مجرد لا خفاء به .

وزعم أبو الهذيل أيضًا : أن أهل الجنة وأهل النار تفنى حركاتهم حتى يصيروا جمادًا لا يقدرون على تحريك شيءٍ من أعضائهم ، ولا على البراح من مواضعهم وهم فى تلك الحال متلذذون ومتألمون إلّا أنهم لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يطئون بعد هذا أبدًا ، وكان يزعم أيضًا أن لما يعلمه الله عزّ وجل آخرًا ونهاية ، وكلًّا لا يعلم الله شيئًا سواه .

وادّعى قوم من المعتزلة أنه تاب عن هذه الطوّام الثلاث .

قال أبو محمد : وهذا لا يصح ، وإنما ادّعوا ذلك حياء من هذه الكفرات الصلع لإمامهم إمام الضلالة .

وذكر عن أبى الهذيل أيضًا أنه قال : إنّ الله تعالى ليس خلافًا لخلقه ، وكان يكفّر من قال إن الله تعالى خلاف لخلقه[٦]. والعجب أنه مع هذا الإقدام العظيم ينكر التشبيه ، وهذا عين التشبيه لأنه ليس ألّا خلاف أو مثل أو ضدٌّ ، فإذا بطل أن يكون خلافًا أو[٧] ضدًّا فهو مثل ولابدّ تعالى الله عن هذا علوًّا كبيرًا .

وكان أبو الهذيل يقول : إنّ الله لم يزل عليمًا ، وكان ينكر أن يقال : إن الله عزّ وجل لم يزل سميعًا بصيرًا .

قال أبو محمد : وهذا خلاف القرآن لأن الله تعالى قال : « وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بصيرًا[٨]» .

---

(٥) فى (أ) : لم يذكر (ولن يخرج) .
(٦) فى (أ) : سقط قوله (وكان يكفر من قال إن الله تعالى خلاف لخلقه) .
(٧) فى (أ) : (وضدًّا) .
(٨) النساء : ١٣٤

كما قال : « وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا[٩] » .

وكلهم قال إنَّ الله تعالى لم يزل يعلم أنَّ من مات كافرًا فإنه لا يؤمن أبدًا وأنه تعالى حكم وقال : إنَّ أبا لهب وامرأته سيصليان النار كافرين ، ثم قطعوا كلهم بأنَّ أبا لهب وامرأته كانا قادرين على الإيمان وعلى ألَّا تمسّهما النار ، وأنهما كان ممكنا لهما تكذيب الله عزَّ وجل ، وأنهما كانا قادرين على إبطال علم الله عزَّ وجل ، وعلى أن يجعلاه كاذبًا فى قوله ، هذا نصُّ قولهم بلا تطويل[١٠].

قال : وكان إبراهيم بن سيَّار النظام أبو[١١] إسحاق البصرى مولى بنى بجير بن الحارث ابن عباد الضبعى أكبر شيوخ المعتزلة ، ومقدمة علمائهم يقول : إن الله تعالى لا يقدر على ظلم أحدٍ أصلًا ، ولا على شيءٍ من الشر ، وأن النَّاس يقدرون على كل ذلك ، وأنه تعالى لو كان قادرًا على ذلك لكنا لا نأمن أن يفعله ، أو أنه قد فعله فكان الناس عنده أتم قدرة من الله تعالى ، وكان يصرّح بأن الله تعالى لا يقدر على إخراج أحدٍ من جهنم ، ولا إخراج أحدٍ من أهل الجنة عنها ، ولا على طرح طفل فى جهنم ، وأنَّ الناس وكل واحد من الجنِّ والملائكة يقدرون على ذلك ، فكان الله عزَّ وجل عنده أعجز من كل ضعيف من خلقه ، وكان كل أحدٍ من الخلق أتم قدرة من الله تعالى وهذا الكفر المجرد الذى نعوذ بالله منه .

ومن العجب اتفاق النظام والعلَّاف شيخى المعتزلة على أنه ليس يقدر الله تعالى من الخير على أصلح ممّا عمل ، فاتفقا على أنَّ قدرته على الخير متناهية .

ثم قال النظام : إنه تعالى لا يقدر على الشَّر جملة ، فجعله عديم قدرة على الشر جملة[١٢]، عاجزًا عنه .

وقال العلَّاف : بل هو قادر على الشر جملة فجعل ربه متناهى القدرة على الخير و غير متناهى القدرة على الشر . فهل سمع بأخبث صفة من الصفة التى وصف بها العلَّاف ربه !!؟ وهل فى الموصوفين أخبث طبيعة من الموصوف الذى ادَّعى العلَّاف أنه ربّه ، ونعوذ بالله مما ابتلاهم به .

وأمَّا أبو المعتمر معمّر بن عمرو[١٣] العطار البصرى مولى بنى سليم أحد شيوخهم وأئمتهم

(٩) النساء : ١٠٤

(١٠) فى (أ) : (بلا تأويل) .

(١١) راجع ترجمته فى ٨٧/٣ من هذا المؤلف .

(١٢) فى (أ) : (لا توجد كلمة جملة) .

(١٣) لعله هو معمّر بن عبَّاد السُّلَمى ، ذكره البغدادى فى الفرق بين الفرق صاحب فرقة المعمرية ، وبهذا الاسم ذكر فى طبقات المعتزلة ص ٦٣ ، وقال عنه يكنى أبا عمرو . وكان عالما عدلا ، وتفرَّد بمذاهب ، وكان بشر بن المعتمر وهشام بن عمر ، وأبو الحسين المدايني من تلامذته وما نسبه إليه ابن حزم من أقوال وآراء ينطبق على ما ذكره البغدادى ، وما جاء فى فرق وطبقات المعتزلة (راجع الفرق بين الفرق : ١٥١ ، وطبقات المعتزلة : ٦٣) وعليه فكنيته أبو عمرو لا أبو المعتمر .

فكان يقول بأن فى العالم أشياء موجودة لا نهاية لها ، ولا يحصيها البارى تعالى ولا أحد أيضًا غيره ، ولا لها عنده تعالى مقدار ولا عدد ، وذلك أنه كان يقول : إن الأشياء تختلف بمعانٍ فيها ، وأن تلك المعانى تختلف بمعان أخر فيها ، وتلك المعانى أيضًا تختلف بمعانٍ أخر فيها ، وهكذا أبدًا[١٤] بلا نهاية ، وهذا تكذيب واضح لله تعالى فى قوله : « وكل شىء عنده بمقدار[١٥] » .

وفى قوله تعالى : « وأحصى كل شىء عددا[١٦] » .

وتوافقه الدّهرية فى قولهم بوجود أشياء لا نهاية لها ، وعلى هذا طلبته المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فرَّ إلى بغداد ومات بها مختفيًا عند إبراهيم بن السندى[١٧] بن شاهط ، وكان معمر أيضًا يزعم أن الله عزَّ وجل لم يخلق شيئًا من الألوان ولا طولًا ولا عرضًا ولا طعما ، ولا رائحة ولا خشونة ولاأملاسًا ، ولا حسنًا ، ولا قبحًا ، ولا صوتًا ، ولا قوة ولا ضعفًا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ، ولا مرضًا ولا صحة ولا عافية ولا سقمًا ، ولا عمًى ولا بكمًا ولا بصرًا ولا سمعًا ولا فصاحّة ولا فسادًا للثمار ولا صلاحها ، وأنَّ كل ذلك فعل الأجسام التى وجدت فيها هذه الأعراض بطباعها .

فاعلموا أنَّ هذا الفاسق قد أخرج نصف العالم عن خلق الله تعالى لأنه ليس العالم[١٨] شيئا إلّا الجواهر الحاملة والأعراض المحمولة فقط ، فالنصف الواحد عنده غير مخلوق ، لعنه الله من مكذّب لله تعالى فى نصّ قوله تعالى : « خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا[١٩] » .

وقد عورض معمر بهذه الآية فقال : إنما أراد أنه خلق الإماتة والإحياء وذكر عنه أنه كان ينكر أن يكون الله عزَّ وجل عالمًا بنفسه ، وذلك لأنَّ العالم إنما يعلم غيره ، ولا يعلم نفسه ، وكان يزعم أنَّ النفس ليست جسما ولا عرضًا ، ولا هى فى مكان أصلًا ، ولا تماسُّ شيئا ولا تباينه ولا تتحرك ولا تسكن .

---

(١٤) فى (أ) : سقطت كلمة (أبدًا) .
(١٥) الرعد : ٨
(١٦) الجن : ٢٨
(١٧) فى (أ) : (السيد بن شاهك) . وقصتّه ليست على ما ذكرها ابن حزم ، وقد جاءت فى كتاب فرق وطبقات المعتزلة مفصلة واضحة ص ٦٣ وخلاصتها : « أن ملك السند أرسل إلى هارون الرشيد يطلب إليه أن يرسل له أحد علمائه ليجادلوه فى الدين فإن أقنعهم تبعوه ، وإن أقنعوه تبعهم هو والرشيد وأصحابه ، وكان ذلك الطلب بإيعاز من رجل من « السّمنية » فأرسل هارون الرشيد إلى ملك السند قاضيًا من قضاته فحاجّه السّمنى وانتصر عليه ، فاختار الرشيد معمّر بن عباد السلمى هذا ، فلما قرب من السند بلغ خبره ملك السند ، فخاف السمنى أن يفتضح على يديه ، وكان يعرف مقدرته من قبل ، فدسَّ من سمه فى الطريق فقتله (فرق وطبقات المعتزلة : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ بتصرف) .
(١٨) فى (أ) : (للعالم) .
(١٩) الملك : ٢

قال أبو محمد : وهذا قول أهل الإلحاد محضًا بلا تأويل يعنى القائلين منهم بقدم النفس وأنها الخالقة للأشياء[٢٠]، نعوذ بالله من الضلال .

وكان يقول : إن الله تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها ، لأنّ العالم غير المعلوم ومحال أن يقدر على الموجودات أو أن يعلمها أو أن يجهلها .

وقال أبو العباس عبد الله بن محمد الأنبارى المعروف بالناشى ولقبه شرشير[٢١] فى كتابه فى المقالات : إن الله تعالى لا يقدر على أن يسوِّى بنان الإنسان بعد أن سبق فى علمه أنه لا يسويها .

قال أبو محمد : وهذا تكذيب محضٌ لله تعالى فى قوله : « أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه[٢٢]» .

ورأيت للجاحظ[٢٣] فى كتابه « البرهان » لو أن سائلًا سأله وقال : أيقدر الله تعالى على أن يخلق قبل الدنيا دنيا أخرى فجوابه نعم ، بمعنى أنه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه .

قال أبو محمد : هذا تعجيز منه للبارى تعالى كما قدمنا إذ لم تحصل له تعالى قدرة على خلق دنيا قبل هذه إلَّا على الوجه الذى ذكره ، وأمَّا على غيره فلا فإن قيل كيف تجيبون ؟ قلنا : جوابنا : نعم . على الإطلاق .

فإن قيل لنا : كيف يصحّ هذا السؤال وأنتم تقولون إنه لا يجوز أن يقال إنَّ قبل العالم شيئًا لأن قبلُ وبعدُ من الزمان ولا زمان هنالك .

قلنا : معنى قولنا نعم . أى أنّه تعالى لم يزل قادرًا على أن يخلق عالما لو خلقه لكان له زمان قبل زمان هذا العالم . وهكذا أبدًا . وبالله تعالى التوفيق .

وأمَّا ضِرَار بن عمرو : فإنه كان يقول : إنَّ ممكنا أن يكون جميع من فى الأرض ممَّن يظهر الإسلام كفارًا كلهم فى باطن أمرهم لأن كل ذلك جائز على كل واحدٍ منهم فى ذاته .

ومن حماقات ضرار أنه كان يقول : إنَّ الأجسام إنما هى أعراض مجتمعة ، وأن النَّار ليس فيها حر ، ولا فى الثلج برد ، ولا فى العسل حلاوة ، ولا فى الصبر مرارة ، ولا فى العنب عصير ، ولا فى

---

(٢٠) فى (أ) : (للإنسان) .

(٢١) فى (أ) : (شرسير) بالسين المهملة . وقد ترجمنا له فى الجزء الثالث : ٣٧

(٢٢) القيامة : ٣

(٢٣) راجع ترجمته فى الجزء الثالث : ٨٧

(٢٤) فى (أ) : (القصرى) وهو تحريف .

الزّيتون زيت ، ولا فى العروق دم ، وأنّ كل ذلك إنما يخلقه الله عزّ وجل عند القطع والذّوق والعصر واللمس فقط .

وأمّا أبو عثمان عمرو بن الجاحظ البصرى الكنانى صليبة وقيل بل مولى ، وهو تلميذ النظام ، وأحد شيوخ المعتزلة – فإنه كان يقول : إنّ الله تعالى لا يقدر على إفناء الأجسام ألبتة إلّا أن يرققها ويفرق أجزاءها فقط ، وأمّا إعدامها فلا يقدر على ذلك أصلًا .

وأمّا أبو معن[٢٥] ثمامة بن أشرس النميرى صليبة بصرى أحد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فذكر عنه أنه كان يقول : إن العالم فعل الله عزّ وجل بطباعه تعالى الله عن هذا الكفر الشنيع علوًّا كبيرا ، وكان يزعم أنّ المقلدين من اليهود والنّصارى والمجوس ، وعبّاد الأوثان لا يدخلون النّار يوم القيامة لكن يصيرون ترابًا . وأنّ كلّ من مات من أهل الإسلام والإيمان المحض والاجتهاد فى العبادة مصرًّا على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها ، وإن كان لم يواقع ذلك إلّا مرة فى الدّهر فإنه مخلّد بين أطباق النيران أبدًا مع فرعون وأبى لهب وأبى جهل .

قال أبو محمد : فأىُّ كفر أعجب من قول من يقول إنّ كثيرًا من الكفار لا يدخلون النار ، وأن كثيرًا من المسلمين لا يدخلون الجنة .

وكان ثمامة يقول : إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وجميع أولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم وجميع مجانين الإسلام لا يدخلون الجنة أبدًا ، ولكن يصيرون ترابًا .

وأمّا هشام بن عمرو الفوطى[٢٦] أحد شيوخ المعتزلة : فكان يقول إذا خلق الله تعالى شيئًا فإنه لا يقدر على أن يخلق مثل ذلك الشىء أبدًا لكن يقدر على أن يخلق غيره ، والغيران عنده لا يكونان مثلين ، وكان لا يجيز لأحد أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا أنّ الله يعذب الكفار بالنار ، ولا أنه يحيى الأرض بالمطر ، ويرى هذا القول ، والقول بأن الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء ضلالًا وإلحادًا .

قال أبو محمد : وهذا ردٌّ على الله تعالى جهارًا ، وكان يقول لا يحل القول بشىء من هذا إلّا عند قراءة القرآن فقط ، وكان يقول : قولوًا حسبنا الله ونعم المتوكل عليه ، وكان يقول : قولوا إن الله يعذّب الكفار فى النار ، ويحيى الأرض عند نزول المطر ، وكان لا يجيز القول بأن الله ألّف بين قلوب المؤمنين ولا أن القرآن عمًّى على الكافرين ، وكان يقول : إنّ من هو الآن مؤمن عابد إلّا أن

---

(٢٥) فى (أ) : (وثمامة ، والأرجح أن يكون الاسم (أبو مَعن ، ثمامة بن أشرس) إذ أن هذه كنيته (راجع ١٧٢ الفرق بين الفرق) . وقد ترجمنا له فى الجزء الثالث ص ٨٧) .

(٢٦) راجع ترجمته فى ١٠٢/٣ .

فى علم الله أنه يموت كافرًا فإنه الآن عند الله كافر ، وأنَّ من كان الآن كافرًا مجوسيًا أو نصرانيًا أو دهريًا أو زنديقًا إلَّا أن فى علم الله عزَّ وجل أنه يموت مؤمنًا فإنه الآن عند الله تعالى مؤمن .

وأمّا عبّاد بن سليمان تلميذ هشام[٢٧] الفوطى المذكور فكان يزعم أن الله تعالى لا يقدر على غير ما فعل من الصلاح ، ولا يجوز أن يقال إنَّ الله خلق المؤمنين ، ولا أنه خلق الكافرين ، ولكن يقال خلق الناس ، وذلك زعم لأن المؤمن عنده إنسان وإيمان ، والكافر إنسان وكفر ، وأن الله تعالى إنما خلق عنده الإنسان فقط ولم يخلق الإيمان ولا الكفر .

وكان يقول : إنَّ الله تعالى لا يقدر على أن يخلق غير ما خلق ، وأنه تعالى لم يخلق المجاعة ولا القحط ، وكلهم يزعم أن الله تعالى لم يأمر الكفار قط بأن يؤمنوا فى حال كفرهم ، ولا نهى المؤمنين قط عن الكفر فى حال إيمانهم لأنه لا يقدر أحدٌ قط على الجمع بين الفعلين المتضادّين .

قال أبو محمد : وهم يقرون[٢٨] أن الله تعالى لم يزل يعلم أن من يؤمن بعد كفره فإنه لا يزال فى كفره إلى أن يؤمن ، وأن من يكفر بعد إيمانه فإنه لا يزال فى إيمانه حتى يكفر ، وأنَّ من لا يؤمن من الكفار أبدًا فإنه لا يزال فى كفره إلى أن يموت ، وأنَّ من لا يكفر من المؤمنين فإنه لا يزال فى إيمانه إلى أن يموت ، وليس أحد من المأمورين يخرج عن أحد هذه الوجوه الأربعة ضرورة ، فإذا كان عندهم لم يؤمر قط كافر بالإيمان فى حال كفره ، ولا نُهِى مؤمن عن الكفر فى حال إيمانه ، فإن من لم يزل مؤمنا إلى أن مات لم ينهه الله عزَّ وجل عن الكفر قط ، وأن من لم يزل كافرًا إلى أن مات فإنَّ الله لم يأمره قط بالإيمان ، وأن الله تعالى لم يأمر قط بالإيمان من آمن بعد كفره إلَّا[٢٩] حين آمن ، ولا نهى قط عن الكفر من كفر بعد إيمانه إلا حين كفر ، وهذا تكذيب مجرد لله تعالى فى أمره الكفار وأهل الكتاب بالإيمان ، ونهيه المؤمنين عن الكفر .

وكان بشر بن المعتمر أيضًا يقول : إن الله تعالى لم يخلق قط لونًا ولا طعمًا ولا رائحة ، ولا مجسَّة ، ولا شدة ولا ضعفًا ، ولا عمى ولا بصرًا ، ولا سمعًا ولا صممًا ولا جبنًا ولا شجاعةً ، ولا كيسًا[٣٠] ولا عجزًا ، ولا صحةً ولا مرضًا ، وأنَّ الناس يفعلون كل ذلك فقط .

وأمّا جعفر القصبى بائع القصب ، والأشج[٣١] وهما من رؤسائهم فكانا يقولان إن القرآن

---

(٢٧) راجع ترجمته فى ٣/١٠٢ ، والفرق بين الفرق : ١٦١ .
(٢٨) فى (أ) : (مقرون) .
(٢٩) فى (أ) : (إلى) .
(٣٠) فى (أ) : (كشفا) .
(٣١) لعلهما : جعفر بن حرب ، وجعفر بن مُبَشِّر ، اللذان تنسب إليهما فرقة الجعفريّة إحدى فرق المعتزلة ، وقد ذكرهما البغدادى فى الفرق بين الفرق : ١٦٧ ، وذكرهما صاحب فرق وطبقات المعتزلة : ٧٨ ، ولم يشيرا إلى أن الأول كان بائع قصب ولا إلى أن الثانى كان أشج . وأسَاوِيهما صاحب فرق وطبقات المعتزلة . وقال عنهما البغدادى : « كلاهما للضلالة رأس ، وللجهالة أساس » .

ليس هو الذى فى المصاحف ، إنما فى المصاحف شيء آخر وهو حكاية القرآن .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرد ، وخلاف جميع أهل الإسلام قديمًا وحديثًا .

وكان عليٌّ الأسوارى[٣٢] البصرى أحد شيوخ المعتزلة يقول : إن الله عزَّ وجل لا يقدر على غير ما فعل ، وأنَّ مَنْ علم الله تعالى أنه يموت ابن ثمانين سنة فإن الله تعالى لا يقدر على أن يميته قبل ذلك ، ولا أن يبقيه بعد ذلك طرفة عين ، وأنَّ من علم الله تعالى أنه يبرأ[٣٣] من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فإنَّ الله تعالى لا يقدر أن يبرئه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعد ، ولا على أن يزيد فى مرضه طرفة عين فما فوقها ، وأن الناس يقدرون كل حين على إماتة من علم الله أنه لا يموت إلى[٣٤] إلى وقت كذا ، وأن الله لا يقدر على ذلك وهذا كفر ما سمع قط بأفظع منه .

وأمَّا أبو غفار أحد شيوخ المعتزلة : فكان يزعم أن شحم الخنزير ودماغه حلال .

قال أبو محمد : وهذا كفر صريح لا خفاء به ، وكان يزعم أن تفخيذ الرجال الذكور حلال ، وقد ذكر هذا عن ثمامة أيضًا ، وهذا[٣٥] كفر محض .

وأما أحمد بن خابط[٣٦]، والفضل الحُدَثى[٣٧] البصريان ، وكانا تليمذين لإبراهيم[٣٨] النظام فكانا يزعمان أن للعالم خالقين ، أحدهما قديم وهو الله تعالى . والآخر محدث[٣٩] وهو كلمة الله عزَّ وجل المسيح عيسى بن مريم التى بها خلق العالم وكانا لعنهما الله يطعنان على رسول الله ﷺ بالتزويج .

وأن أبا ذر[٤٠] كان أزهد منه ، وكان أحمد بن خابط يزعم أن الذى يجيء[٤١] يوم القيامة مع الملائكة صفًا صفًا فى ظلل من الغمام إنما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وأن الذى خلق آدم على صورته إنما هو المسيح عيسى بن مريم وأن المسيح هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة .

---

(٣٢) راجع ترجمته فى : ٣٧/٣ .
(٣٣) فى (أ) : لم يذكر (أنه يبرأ) .
(٣٤) فى (أ) : (إلَّا) .
(٣٥) فى (أ) : (وكل هذا) .
(٣٦) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٦٢ .
(٣٧) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٦٢ .
(٣٨) راجع ترجمته فى ٨٧/٣ .
(٣٩) فى (أ) : (حادث) .
(٤٠) هو : جندب بن جنادة على الصحيح أحد السابقين الأولين أسلم فى أول المبعث ، خامس خمسة ثم رجع إلى بلاد قومه ، ثم بعد حين هاجر إلى المدينة ، وكان له شأن عظيم فى العلم والزهد والجهاد وصدق اللهجة والإخلاص . توفى سنة ٣٢ هـ (تذكرة الحفاظ للذهبى : ١٧/١ نشر محمد أمين ببيروت) .
(٤١) فى (أ) : (يجيء به) .

وكان أحمد بن خابط لعنه الله يقول : إن فى كل نوع من أنواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير ، والدود والوزع[٤٢] والجعلان أنبياء لله تعالى رسالة إلى أنواعهم مما ذكرنا ، ومن سائر الأنواع .

وكان لعنه الله يقول بالتناسخ والكرور ، وأن الله تعالى ابتدأ جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ، ثم أمرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه فى جسد بهيمة ، فالقتال[٤٣] يبتلى بالذبح[٤٤] كالغنم والإبل والبقر والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل ما يقتل فى الأغلب .

وأن من كان منهم مع[٤٥] فسقه وقتله للناس عفيفًا كوفىء بالقوة على السفاد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك .

ومن كان زانيا أو زانية كوفئا بالمنع من الجماع كالبغال والبغلات .

ومن كان جبارًا كوفىء بالمهانة كالدود والقمل ، ولا يزالون كذلك حتى يُقتص منهم ثم يردون فمن عصى منهم كرر أيضًا كذلك هكذا أبدًا حتى يطيع طاعة لا معصية معها فينتقل إلى الجنة من وقته أو يعصى معصية لا طاعة معها فينتقل إلى جهنم من وقته ، وإنما حمله على القول بكل هذا لزومه أصل المعتزلة فى العدل وطرده إيّاه ، ومشيه معه .

واعلموا أن كل من لم يقل من المعتزلة بهذا القول فإنه متناقض تارك لأصلهم فى العدل .
وكان لعنة الله يقول : إن للثواب دارين أحدهما لا أكل فيها ولا شرب ، وهى أرفع قدرًا من الثانية .
والثانية فيها أكل وشرب وهى أنقص قدرًا .

قال أبو محمد : هذا كله كفر محض ، وكان لهذا الكافر أحمد بن خابط تلميذ على مذهبه يقال له أحمد بن باسوس[٤٦] كان يقول بقول معلمه فى التناسخ ثم ادَّعى النبوة وقال : إنه المراد بقول الله عزَّ وجل : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد[٤٧] » .

وكان محمد بن عبد الله بن مسرة[٤٨] بن نجيح الأندلس يوافق المعتزلة فى القدر ، وكان يقول : إن علم الله تعالى وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وأن لله تعالى علمين أحدهما أحدثه جملة وهو علم

---

(٤٢) الوزع : جمع الوازع : وهو الكلب (القاموس المحيط) .
(٤٣) فى (أ) : (فالعتال) وهو تحريف .
(٤٤) فى (أ) : (بالريح) وهو تحريف .
(٤٥) فى (أ) : (فى فسقه) .
(٤٦) راجع ترجمته فى ٢٥٨/٢ .
(٤٧) سورة الصف : ٦
(٤٨) فى (أ) : (مرة) . وقد ترجمنا له فى ٢٩٣/٢ .

الكليات[٤٩] فهو علم الغيب كعلمه أنه سيكون كفار ومؤمنون ، والقيامة والجزاء ونحو ذلك . والثانى علم الجزئيات : وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وإيمان عمرو ونحو ذلك فإنه لا يعلم الله تعالى من ذلك شيئا حتى يكون . وذكر قول الله عزَّ وجل « عالم الغيب والشهادة[٥٠]» .

قال أبو محمد : وهذا ليس كما ظنَّ بل على ظاهره أنه يعلم ما تفعلون وإن أخفيتم ، ويعلم ما غاب عنكم مما كان أو يكون ، أو هو كائن .

قال أبو محمد : وإنما حمله على هذا القول طرده لأصول المعتزلة حقا فإن من قال منهم إن الله تعالى لم يزل يعلم أن فلانًا لا يؤمن أبدًا ، وأن فلانًا لا يكفر أبدًا ، ثم جعل الناس قادرين على خلاف علم الله تعالى فيهم فقد قطع بأنهم قادرون[٥١] على تكذيب كلام ربهم ، وعلى إبطال ما لم يزل ، وهذا تناقض فاحش لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان .

وكان من أصحابه الأكابر[٥٢] جماعة يكفرون من قال إنه عزَّ وجل لم يزل يعلم كل ما يكون قبل أن يكون .

وكان من أصحاب مذهبه رجل يقال له إسماعيل بن عبد الله الرعينى متأخر الوقت ، وكان من المجتهدين فى العبادة المنقطعين فى الزهد وأدركته إلَّا أنى لم ألقه ، ثم أحدث أقوالًا شنيعة[٥٣] فبرىء منه سائر المسريه وكفَّروه إلَّا من اتبعه منهم ممن أحدث قوله إن الأجساد لا تبعث أبدًا ، وإنما تبعث الأرواح صحَّ هذا عندنا عنه . وذكر عنه أنه كان يقول إنه حين موت الإنسان وفراق روحه لجسده تلقى روحه الحساب ويصير إمّا[٥٤] إلى الجنة أو إلى النار ، وأنه كان لا يقر بالبعث إلَّا على هذا الوجه ، وأنه كان يقول إنَّ العالم لا يفنى أبدًا بل هكذا يكون الأمر بلا نهاية .

وحدثنى الفقيه أبو أحمد المعافرى الطليطلى[٥٥] صاحبنا أحسن الله ذكره قال أخبرنى يحيى ابن أحمد الطبيب وهو ابن ابنة إسماعيل الرعينى المذكور قال إنَّ جدى كان يقول : إن العرش هو المدبِّر للعالم ، وأن الله تعالى أجل من أن يوصف بفعل شيءٍ أصلًا ، وكان ينسب هذا القول إلى محمد بن عبد الله بن مسرة ويحتج بألفاظ فى كتبه ليس فيها لعمرى دليل على هذا القول . وكان يقول لسائر المسرية : إنكم لم[٥٦] تفهموا عن الشيخ ، فبرئت منه المسرية أيضًا على هذا القول .

---

(٤٩) فى (أ) : (الكتاب) .
(٥٠) التوبة : ٩٤
(٥١) فى (أ) : سقط الكلام من قوله (على خلاف .. إلى قادرون) مما أفسد المعنى .
(٥٢) فى (أ) : سقطت (الأكابر) .
(٥٣) فى (أ) : (سبعة) .
(٥٤) فى (خ) : سقطت (إما) .
(٥٥) ترجمنا له فى ص ١٦٣ من هذا الجزء .
(٥٦) فى (أ) : (لن) .

وكان أحمد الطبيب صهره ممن برىء منه وثبتت ابنته على هذه الأقوال متبعة لأبيها مخالفة لزوجها وابنها ، وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة ، ووافقت أبا هارون بن سماعيل الرّعينى على هذا القول فأنكره وبرىء من قائله ، وكذّب ابن أخيه فيما ذكر عن أبيه ، وكان مخالفوه من المسرية وكثير من موافقيه ينسبون إليه القول باكتساب النبوة ، وأن من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس أدرك النبوة وأنها ليست اختصاصا أصلًا ، وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول إلى ابن مسرة ويستدل على ذلك بألفاظ كثيرة فى كتبه لعمرى أنها لتشير إلى ذلك ، ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله أعلم ، ورأيت أنا من أصحاب إسماعيل الرعينى المذكور من يصفه بفهم منطق الطير ، وبأنه كان ينذر بأشياء قبل أن تكون فتكون .

وأمّا الذى لا شك فيه فإنه كان عند فرقته إمامًا واجبة طاعته يؤدون إليه زكاة أموالهم ، وكان يذهب إلى أنَّ الحرام قد عمَّ الأرض ، وأنه لا فرق بين ما يكسبه المرء من صناعة أو تجارة أو ميراث أو بين ما يسلبه(٥٧) من الرفاق ، وأن الذى يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيفما أخذه .

هذا أمر صحيح عندنا عنه يقينًا ، وأخبرنا عنه بعض من عرف باطن أمورهم أنه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم وأموالهم إلّا أصحابه فقط .

وصح عندنا عنه : أنه كان يقول بنكاح المتعة ، وهذا لا يقدح فى إيمانه ولا فى عدالته لو قاله مجتهدًا ، ولم تقم عليه الحجة بنسخه لو سلم من الكفرات الصلع التى ذكرنا ، وإنما ذكرنا ذلك(٥٨) عندما جرى لنا من ذكره ، ولغرابة هذا القول اليوم وقلة القائلين به من الناس .

ورأيت لأبى هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائى كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بأن لله(٥٩) تعالى أحوالًا مختصة به ، وهذه عظيمة جدًّا إذ جعله حاملًا للأعراض – تعالى الله عن هذا الإفك .

ورأيت له القطع فى كتبه كثيرًا يردّد القول بأنه يجب على الله أن يزيح علل العباد فى كل ما أمرهم به ، ولا يزال يقول فى كتبه إن أمرَ كذا لم يزل واجبًا على الله تعالى .

قال أبو محمد : وهذا كلام تقشعر منه جلود(٦٠) المؤمنين ، ليت شعرى مَن الموجب ذلك على الله تعالى ، والحاكم عليه بذلك والملزم له ما ذكر هذا النذل لزومه للبارى تعالى ووجوبه عليه ؟ فيالله لمن قال إن الفعل أوجب ذلك على الله تعالى أو ذكر شيئًا دونه تعالى ليصرحنَّ بأن الله تعالى

---

(٥٧) فى (أ) : (يكتسبه) .
(٥٨) فى (أ) : (ذكرنا عنه ما جرى) .
(٥٩) فى (أ) : (بأن الله) .
(٦٠) (ذوائب المؤمن) .

متعبد للذى أوجب عليه ما أوجب محكوم عليه مدبر ، وأنه للكفر الصراح ، ولئن قال إنه تعالى هو الذى أوجب ذلك على نفسه فالإيجاب فعل فاعل لا شك ، فإن كان الله لم يزل موجبا ذلك على نفسه فلم يزل فاعلًا فالأفعال قديمة ولابدَّ لم تزل ، وهذه دهرية محضة وإن كان تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يكن موجبًا له فقد بطل انتفاعه[٦١] بهذا القول فى أصله الفاسد لأنه قد كان تعالى غير واجب عليه ما ذكر .

ورأيت لبعض المعتزلة سؤالًا سأل عنه أبا هاشم المذكور يقول فيه : ما بال كل من بعثه النبى ﷺ داعيًا إلى الإسلام إلى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد ، وكل من يدعو إلى مثل ذلك إلى يوم البعث لا يسمّى رسول الله كما سمّى محمد عليه الصلاة والسلام ، إذ أمره الملك عن الله عزَّ وجل بالدعاء إلى الإسلام والأمر واحد ، والعمل سواء ؟

قال أبو محمد : فاعجبوا لتلاعب إبليس بهذه الفرقة الملعونة ، واسألوا الله العافية من أن يكلكم إلى أنفسكم ، فحُقَّ لمن دينه أن ربّه لا يقدر على أن يهديه ، ولا على أن يُضله أن يتمكن الشيطان منه هذا التمكن .

ولعمرى : إن هذا التشكيل[٦٢] لقد لزم أصل المعتزلة المضلّ لهم ، ولمن التزمه ، والمورد لجميعهم نار جهنم ، وهو قولهم : إنَّ التسمية موكولة إلينا لا إلى الله عزَّ وجل .

ورأيت لهذا الكافر أبى هاشم كلامًا ردَّ فيه بزعمه على من يقول : إنه ليس لأحد أن يسمى الله عزَّ وجل إلا بما سمَّى به نفسه ، فقال هذا النذل : لو كان هذا ولم يجز لأحد أن يسمّى الله تعالى إلَّا بما سمَّى به نفسه[٦٣] لكان غير جائز لله أن يسمى نفسه باسم حتى يسميه به غيره .

قال أبو محمد : فهل يأتى الممرور بأقبح من هذا الاستدلال ؟ وهل فى التسمية أكثر من هذا ؟ ولكن من يضلل الله فلا هادى له .

ونعوذ بالله من أن يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين فنهلك ، وكان أبو هاشم أيضًا يقول : إنه لو طال عمر المسلم المحسن لجاز أن يعمل من الحسنات والخير أكثر مما عمل النبى ﷺ .

قال أبو محمد : لا والله ولا كرامة ، ولو عمَّر أحدنا الدهر كلَّه فى طاعات متصلة ما وازى عملَ امرىء صحب رسول الله ﷺ من غير المنافقين والكفار المجاهرين ساعة واحدة فما فوقها ،

---

(٦١) فى (أ) : (انتفاعه سؤالا) فزادت كلمة (سؤالًا) ولا معنى لهذه الزيادة .
(٦٢) فى (أ) : (السؤال) .
(٦٣) فى (خ) : (سماه به غيره) .

مع قوله ﷺ : إنه لو كان لأحدنا مثل أُحُدٍ ذَهَبًا فأنفقه ما بلغ مُد أحدّهم ولا نصيفه[٦٤]. فمتى يطمع ذو عقل أن يدرك أحدًا من الصحابة مع هذا البون الممتنع ادراكه قطعًا .. ؟ وكان أبو هاشم المذكور يقول : إنه لا يقبل توبة أحد من ذنب عمله أى ذنب كان ، حتى يتوب من جميع الذنوب .

قال أبو محمد : وحقا أقول لقد طرد أصل المعتزلة الذى أصفقوا[٦٥] عليه من إخراج المرء عن الإسلام جملة بذنب واحد عمله يصر عليه ، وإيجابهم الخلود فى النار عليه بذلك الذنب وحده ، فلو كان هذا لكان أبو هاشم صادقًا إذ لا منفعة له عندهم فى تركه كل ذنب ، وهو بذنب واحد يصر عليه خارج عن الإيمان مخلد بين أطباق النيران ، وما ينكر هذا عليه من المعتزلة إلَّا جاهل بأصولهم أو عامد للتناقض ، وكان يقول : إن تارك الصلاة وتارك الزكاة عامدًا لكل ذلك لم يفعل شيئًا ولا أذنب ولا عصى ، وأنه مخلد بين أطباق النيران أبدًا على غير فعل فعله ولا على شىء ارتكبه .

قال أبو محمد : فهل فى التجوير لله على أصولهم وهل فى مخالفة الإسلام جهارًا أكثر من هذا القول السخيف ، وكان الذى حمله على قوله هذا أن ترك الفعل ليس فعلا ، وجميع المعتزلة إلا هشام ابن عمرو الفوطى ، يزعمون أن المعدومات أشياء على الحقيقة ، وأنها لم تزل وأنها لا نهاية لها .

قال أبو محمد : وهذه دهرية بلا مطل ، وأشياء لا نهاية لها لم تزل غير مخلوقة ، وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط[٦٦] من أكابر المعتزلة ببغداد ممن يقول : إن الأجسام المعدومة لم تزل أجسامًا بلا نهاية لها ، لا فى عدد ولا فى زمان غير مخلوقة وقال محمد بن عبد الله الإسكافى[٦٧] أحد رؤساء المعتزلة ، إن الله تعالى لم يخلق الظنابير ولا المزامير ولا المعازف .

قال أبو محمد : كان تمام هذا الكفر أن يقول : إن الله لم يخلق الخمر ولا الخنازير ولا مردة الشياطين . وقالت المعتزلة بأسرها حاشى بشر بن المعتمر ، وضرار بن عمر إنه لا يحل لأحد تمنى الشهادة ولا أن يريدها ولا أن يرضاها لأنها تغلب كافر على مسلم ، وإنما يجب على المسلم أن يُحبَّ الصبر على ألم الجراح فقط إذا أصابته .

---

(٦٤) رواه البخارى فى فضائل الصحابة : (باب قول النبى ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا .. الخ ، ومسلم فى فضائل الصحابة ، والترمذى فى المناقب ، وأبو داود فى السنة ، باب فى النَّهى عن سبِّ أصحاب رسول الله ﷺ ولفظه عنده : عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبُّوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنْفَق أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِكم ولا نصيفه » .

(٦٥) فى (أ) : (أطبقوا) .

(٦٦) هو : أبو الحسين : عبد الرحمن بن محمد بن عثمان الخياط ، وهو أستاذ أبى القاسم عبد الله بن أحمد البلخى ، وكانوا يفضلون البلخى عليه ، قالوا : كان الخياط عالمًا فاضلًا وله كتب كثيرة ينقض بها مؤلفات ابن الراوندى الزنديق ، منها كتاب « الانتصار » نقض به كتابا تضمن « فضائح المعتزلة » لابن الراوندى (الفرق بين الفرق : ١٢٣) .

(٦٧) سبق أن ترجمنا له فى ١١٠/٣

قال أبو محمد : وهذا خلاف دين الإسلام والقرآن والسنن والإجماع المتيقن ، وقالوا كلهم حاشى ضرار ، وبشر إن الله لم يمت رسولًا ولا نبيًا ولا صاحب ، ولا أمهات المؤمنين وهو يدرى أنهم لو عاشوا فعلوا خيرًا ، لكن أمات كل من أمات منهم إذ علم أنه لو أبقاه طرفة عين لكفر ، أو فسق ولابد .

هذا قولهم فى أبى بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم ، وفاطمة بنت النبى ﷺ ، وعائشة ، وخديجة لعم وفى رسول الله ﷺ وموسى وعيسى ، وإبراهيم عليهم السلام : فاعجبوا لهذه الضّلالات الوحشية . وكان الجعد وهو من شيوخهم يقول : إذا كان الجماع يتولد منه الولد فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله ، ولا فاعل له غيرى ، وإنما يقال إن الله خلقه مجازًا لا حقيقة ، فأخذ أبو على محمد ابن عبد الوهاب الجبائى[٦٨] الطرف الثانى من الكفر ، فقال : إن الله تعالى خالق الحبل والولد فكل من فعل شيئًا فهو منسوب إليه ، فالله تعالى هو مُحْبِل ، وهو أحبل مريم بنت عمران .

قال أبو محمد : يلزمه ولابد إذا كان أولادنا خلقًا لله تعالى أن نضيفهم إليه ، فيقول : هم أبناء الله ، والمسيح ابن الله ، ولابدّ وقال أبو عمرو أحمد بن موسى بن حدير[٦٩] صاحب السكه وهو من شيوخ المعتزلة فى بعض رسائله التى جرت بينه وبين القاضى ، منذر بن سعيد[٧٠] رحمه الله : إن الله عاقل وأطلق عليه الإسم ، وقال بعض شيوخ المعتزلة : إن العبد إذا عصى الله عز وجل طبع على قلبه فيصير غير مأمور ولا منهى .

وأما حماقاتهم فإن أبا الهذيل العلاف قال : من سرق خمسة دراهم غير حبة أو قيمتها فهو مؤمن ، وليس فاسقًا ولا يعذب على ذلك ، فإن سرق خمسة دراهم أو قيمتها فهو فاسق منسلخ من الإسلام ، مخلد أبدًا فى النيران إلا أن يتوب . وقال بشر بن المعتمر : إن سرق عشرة دراهم غير حبة فلا إثم عليه ولا وعيد ، فإن سرق عشرة دراهم خرج عن الإسلام ، ووجب عليه الخلود إلا أن يتوب .

وقال النظام : إن سرق مائتى درهم غير حبة فلا إثم عليه ولا وعيد وإن سرق مائتى درهم خرج عن الإسلام ولزمه الخلود ، إلا أن يتوب .وقال أبو بكر أحمد بن على بن فيجور ابن الإخشيد[٧١] وهو من رؤسائهم الثلاثة الذين انتهت رياستهم إليهم وافترقت المعتزلة على

---

(٦٨) سبقت ترجمته راجع (٣/٣) .
(٦٩) هو : أبو عمرو بن موسى بن حدير .
(٧٠) راجع ترجمته فى (٢٢٨/٢) .
(٧١) هو : أبو بكر أحمد بن على الإخشيد . ذكره صاحب فرق وطبقات المعتزلة فى الطبقة التاسعة ، ونقل عن المرزبانى قوله : « أبو بكر وأبو الحسن بن المنجم كان هذان الشيخان آخر من شاهدنا من رؤساء من بقى من المتكلمين ، وعليهما فى مجالسهما كان اعتماد المتكلمين ببغداد ، وانتفع بهما خلق كثير ، إلّا أن أبا بكر زاد على غيره بما صنفه من الكتب وأودعه إياها ، ولم يطل عمره ، ولو طال أظهر علومًا كثيرة ،

مذاهبهم ، والثانى منهم أبو هاشم الجبائى[٧٢] والثالث عبد الله بن محمد بن محمود البلخى المعروف بالكعبى[٧٣]. وكان والد أحمد بن على المذكور أحد قواد الفراعنة ، وولى الثغور للمعتضد وللمكتفى فكان من قول أحمد المذكور : من ارتكب كل ذنب فى الدنيا[٧٤] من القتل فما دونه إلا أنه ندم إثر فعله له فقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب[٧٥]، وهكذا أبدًا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره .

قال أبو محمد : هذا قول لم تبلغه جماهير المرجئة ، وهو مع ذلك يدعى القول بإنقاذ الوعد الوعيد ، وما على أديم الأرض مسلم لا يندم على ذنبه .

وقال أبو عبد الرحمن[٧٦] تلميذ أبى الهذيل : إن الحجة لا تقوم فى الأخبار إلا بنقل خمسة يكون فيهم ولى الله ، لا أعرفه بعينه وعن كل واحد من أولئك الخمسة خمسة مثلهم ، وهكذا أبدًا .

وقال صالح[٧٧] قبة تلميذ النظام : إن من رأى رؤيا أنه بالهند أو أنه قتل أو أى شىء رأى فإنه حق يقين ، كما رأى كما لو كان ذلك فى اليقظة . وقال عبّاد بن سليمان : الحواس سبع . وقال النظام الألوان جسم ، وقد يكون جسمان فى مكان واحد ، وكان النظام يقول لا تعرف الأجسام بالأخبار أصلًا لكن كل من رأى جسمًا سواء كان المرئىّ إنسانًا أو غير إنسان فإن الناظر إليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسم الرائى ، ثم كل من أخبره ذلك الرأى عن ذلك الجسم المخبر أيضًا ، أخذ من تلك الجسم قطعة وهكذا أبدًا .

قال أبو محمد : وهذه قصة لولا أنا وجدناها عنه من طريق تلاميذه المعظمين له ذكروها فى كتبهم عنه ، ما صدقناها على ذى مسكة من عقل ، فألزمه خصومه على هذا أن قِطعًا من جبريل وميكائل ومن النبى ﷺ ومن موسى وعيسى ، وإبراهيم عليهم السلام فى نار جهنم ، وأن قطعًا من فرعون وإبليس وأبى لهب وأبى جهل فى الجنة ، وكان يزعم أنه لا سكون فى شىء من العالم أصلًا وأن كل « سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلا شك . وكان معمر يزعم أنه لا حركة فى شىء من

لكنه توفى سنة ٣٢٠ هـ وكان عمره حينئذ ستا وخمسين سنة . (راجع فرق وطبقات المعتزلة : ١٠٦ ، وذكره البغدادى فى الفرق بين الفرق : ١٩٣) .

(٧٢) أبو هاشم الجبائى : راجع ترجمته (فى : ٣/٣) .

(٧٣) راجع ترجمته فى (٢٣٢/٣) .

(٧٤) فى (أ) : زاد (وهكذا أبدًا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره) .

(٧٥) فى (أ) : زاد (أبدًا) .

(٧٦) فى (أ) : (عبد الرحمن) . وقد ترجمنا لأبى الهذيل فى الجزء الثانى ص ٢٥٧ .

(٧٧) هو : أبو جعفر بن محمد بن قبه : من متكلمى الشيعة ، وهو من الطبقة السابعة عند المعتزلة وله كتب كثيرة ، خالف الجمهور فى أمور منها : كون المتولدات فعل الله ابتداء ، وكون الإدراك معنى — هكذا ذكر عنه صاحب فرق وطبقات المعتزلة : ٧٨ .

العالم ، وأن كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون ، وكان عباد بن سليمان يقول : إن الأمة إذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ إلى إمام يسرسها ويدبرها ، فإن عصت وفرجت وظلمت استغنت عن الإمام ، وكان أبو الهذيل يقول إن الإنسان لا يفعل شيئا فى حال استطاعته وإننا إنما نفعل الاستطاعة بعد ذهابها فألزمه خصومه أن الإنسان إنما يفعل إذا لم يكن مستطيعًا ، وأما إذا كان مستطيعًا فلا ، وألزموه أن الميت يفعل كلّ فعل فى العالم .

قال أبو محمد : وحماقاتهم أكثر من ذلك ونعوذ بالله من الخذلان .

« شِـنَعُ المرجئـة »

قال أبو محمد : غلاة المرجئة طائفتان إحداهما : الطائفة القائلة : بأن الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله تعالى ، وليٌّ لله عزَّ وجل ، من أهل الجنة ، وهذا قول محمد ابن كِرام السجستانى[1] وأصحابه وهم[2] « بخراسان » « وبيت المقدس » والثانية : الطائفة القائلة إن الإيمان عقد بالقلب ، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية فى دار الإسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث فى دار الإسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن ، كامل الإيمان عند الله عز وجل ، وليٌّ لله تعالى ، من أهل الجنة ، وهذا قول « أبى محرز جهم[3] ابن صفوان السمرقندى » مولى بنى راسب كاتب الحارث بن سريج[4] التميمى ، أيام قيامه على نصر ابن[5] سيار بخراسان ، وقول أبى الحسن على بن إسماعيل بن أبى البشر الأشعرى[6] البصرى وأصحابهما . فأما الجهمّية فبخراسان ، وأما الأشعرية فكانوا ببغداد والبصرة ، ثم قامت لهم سُوق بصقلية والقيروان وبالأندلس ، ثم رق أمرهم . والحمد لله رب العالمين .

فمن فضائح الجهمية وشنعهم قولهم : بأن علمَ الله محدث مخلوق ، وأنه تعالى لم يكن يعلم شيئًا حتى أحدث لنفسه علمًا علم به ، وكذلك قولهم فى القدرة ، وقالوا أيضًا إن الجنةَ والنارَ تفنيان ، ويفنى كل من فيهما ، وهذا خلاف القرآن والثابت عن رسول الله ﷺ وخلاف إجماع أهل الإسلام المتيقن .

---

(١) راجع ترجمته فى (٤٢٥/٣) .
(٢) فى (أ) : (وهو) .
(٣) راجع ترجمته فى (٤٢٥/٣) .
(٤) راجع ترجمته فى (٣٠٠/٢) .
(٥) ترجمته فى (٣٠٠/٢) .
(٦) ترجمته فى (٤٢٥/٣) .

وقال بعض الكرّامية : المنافقون : مؤمنون من أهل الجنة ، وقد أطلق ذلك بالمريّة[٧] محمد ابن عيسى[٨] الصوفى الألبيرى ، وكانت ألفاظه تدل عَلى أنّه يذهب مذهبهم فى التجسيم وغيره ، وكان ناسكًا متقللًا من الدنيا واعظًا مفوّهًا مهذارًا قليل الصواب كثير الخطأ ، رأيته مرة وسمعته يقول : إن النبى ﷺ كان لا يلزمه زكاة مال ، لأنه اختار أن يكون نبيًا عبدًا ، والعبد لا زكاة عليه ، ولذلك لم يُورث ولا ورث ، فأمسكت عن معارضته لعامة كانت بحضرته ، فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل ، ولم يكن معى أحد إلا يحيى بن عبد الكبير بن واقد ، كنت أبيت أنا وهو معى متنكرين لنسمع كلامه ، وبلغنى عنه شنع منها : القول بحلول الله فيما شاء من خلقه ، أخبرنى عنه بهذا أبو أحمد الفقيه المعافرى[٩] عن أبى على المقّرى[١٠] وكان على بنت محمد بن عيسى المذكور ، وغير هذا أيضًا ، ونعوذ بالله من الضلال .

وقالت طائفة من الكرامية : المنافقون مؤمنون مشركون من أهل النار ، وقالت طائفة منهم أيضًا : من آمن بالله تعالى وكفر بالنبى ﷺ فهو مؤمن كافر معًا ، ليس مؤمنا على الإطلاق ولا كافرًا على الإطلاق . وقال « مقاتل بن سليمان[١١]» وكان من كبار المرجئة لا يضر مع الإيمان سيئة جلّت أو قلت أصلًا ، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلًا ، وكان مقاتل هذا مع جهم بخراسان فى وقت واحد ، وكان يخالفه فى التجسيم ، كان جهم يقول ليس الله تعالى شيئا ، ولا هو أيضًا لا شىء ، لأنه تعالى خالق كل شىء فلا شىء إلا مخلوق . وكان مقاتل يقول : إن الله جسم لحم ودم على صورة الإنسان .

وقالت الكرّامية : إن الأنبياء يجوز منهم الكبائر[١٢] والمعاصى كلها حاشى الكذب فى البلاغ فقط فإنهم معصومون منه . وذكر لى « سليمان بن[١٣] خلف الباجى » وهو من روءس الأشعرية ، أن منهم[١٤] من يقول أيضًا : إن الكذب فى البلاغ أيضًا جائز من الأنبياء والرسل عليهم السلام .

---

(٧) المرّية : مرفأ فى أسبانيا على البحر المتوسط ، عظم شأنها أيام عبد الرحمن الناصر .

(٨) لم نعثر له على ترجمة .

(٩) هو : أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى عيسى المعافرى الأندلسى الطَّلَمنْكى ، أبو عمر ، أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس . ولد فى سنة ٣٤٠ هـ ، كان عالما بالتفسير والحديث ، أصله من طلمنكه من ثغر الأندلس الشرق ، سكن قرطبه ورحل إلى المشرق . من كتبه : الدليل إلى معرفة الجليل مائة جزء ، و« تفسير القرآن » نحو مائة جزء ، و« الوصول إلى معرفة الأصول » و« البيان فى إعراب القرآن » وفضائل مالك ، و« رجال الموطأ » و« الرَّوضة » : توفى فى طلمنكة فى سنة ٤٢٩ هـ . (الأعلام : ٢٠٦/١) .

(١٠) أبو على المقرى : لم نعثر له على الترجمة .

(١١) مقاتل بن سليمان : ترجمنا له فى حـ ٢ .

(١٢) فى (أ) : كبائر المعاصى .

(١٣) هو : سليمان بن خلف بن سعد التجيبى القرطبى ، أبو الوليد الباجى ، فقيه مالكى كبير ، من رجال الحديث ، أصله من بطليوس ، ومولده فى باجه بالأندلس ، رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦ هـ فمكث ثلاثة أعوام ، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام ، وبالموصل عاما ، وفى دمشق وحلب مدة وعاد إلى الأندلس فولى القضاء فى بعض أنحائها ، وتوفى بالمرية . من كتبه : السِّراج فى علم الحجاج ، وأحكام الأصول ، والتسديد إلى معرفة التوحيد . توفى سنة ٤٧٤ هـ . (الأعلام : ١٨٦/٣) .

(١٤) فى (أ) : (فيهم) .

قال أبو محمد : وكل هذا كفر محض وذكر عنهم « محمد بن الحسن[١٥] بن فورك الأشعرى » أنهم يقولون : إن الله تعالى يفعل كل ما يفعل فى ذاته ، وأنه لا يقدر على إفناء خلقه كلّهم حتى يبقى وحده ، كما كان قبل أن يَخْلُق ، وقالوا أيضًا : إن كلام الله تعالى أصوات وحروف هجاء مجتمعة كلها أبدًا لم تزل ولا تزال ، وقالوا أيضًا : لا يقدر الله تعالى على غير ما فعل ، وقالوا أيضًا إنه متحرك أبيض اللون . وذُكِر عنهم أنهم يقولون : إنه تعالى لا يقدر على إعادة الأجسام بعد بلائها لكن يقدر على أن يخلق مثلها . ومن حماقاتهم أنهم يجيزون كون إمامين وأكثر فى وقت واحد . وأما الأشعرية فقالوا : إن شتم من أظهر الإسلام لله تعالى ولرسوله بأفحش ما يكون من الشتم ، وإعلان التكذيب بهما باللسان بلا تقية ولا حكاية ، والإقرار بأنه يدين بذلك ليس شىء من ذلك كفرًا ، ثم خشوا مبادرة جميع أهل الإسلام لهم فقالوا : لكنه دليل على أن فى قلبه كفرًا . فقلنا لهم وتقطعون بصحة ما دلّ عليه هذا الدليل فقالوا : لا . وقالت الأشعرية : إن إبليس قد كفر ثم أعلن ذلك بعصيان الله تعالى فى السجود لآدم عليه السلام ، فإن إبليس من حينئذ لم يعرف قط أن الله تعالى حق ، ولا أنه خلقه من نار ، ولا أنه خلق آدم من تراب وطين ، ولا عرف أن الله أمره بالسجود لآدم بعدها قط ولا عرف بعد هذا قط أن الله كرم آدم . ومن قولهم بأجمعهم : إن إبليس لم يسأل الله قط أن يُنظِره إلى يوم البعث ، فقلنا لهم ويلكم إن هذا تكذيب لله عز وجل ، ولرسوله ﷺ ، ورد القرآن قالوا لنا : إن إبليس إنما قال كل ذلك هازلًا[١٦] مستهزئًا بلا معرفة ولا اعتقاد ، فكان هذا أشنع كفر وأبرده بعد كفر الغالية من الرافضة ، وقالوا : إن إبليس لم يكفر بمعصيته الله تعالى فى ترك السجود لآدم ولا بقوله عن آدم أنا خير منه وإنما كفر بجحدٍ لله تعالى كان فى قلبه .

قال أبو محمد : هذا خلاف للقرآن ، وتكهن لا يعرف صحته إلا من حدثه به إبليس عن نفسه ، على أن الشيخ غير ثقة فيما يُحدث به . وقالت الأشعرية أيضًا : إن فرعون لم يَعْرِف قط أن موسى إنما جاء بتلك الآيات من عند الله حقًا ، وأن اليهود والنصارى الذين كانوا فى عصر النبى ﷺ لم يعرفوا قط أن محمدًا رسول الله ﷺ حقًا ، ولا عرفوا أنه مكتوب فى التوراة والإنجيل ، وأن من عرف ذلك منهم وكتمه تمادى على إعلان الكفر ، ومحاربة النبى ﷺ لخيبر ومن بنى قريْظه ، وغيرهم فإنهم كانوا مؤمنين عند الله عز وجل ، أولياء لله من أهل الجنة .

فقلنا لهم : ويلكم هذا تكذيب لله عز وجل إذ يقول « يَجِدُونَه مكتوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّوراةِ

---

(١٥) راجع ترجمته فى ٢ من هذا الكتاب .

(١٦) فى (أ) : هازئًا .

والإنْجيل[١٧]» « يَعْرِفُونَه كَما يعرفُونَ أبناءَهم[١٨]» ، فإنَّهُمْ لا يُكَذِّبونَك[١٩]» . فقالوا لنا معنى هذا[٢٠] أنهم وجدوا خطًّا مكتوبًا عندهم لم يفهموا معناه ، ولا دروا ما هو ، ونعم عرفوا صورته فقط ، ودروا أنه « محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب » كما يعرف الإنسان جاره فقط فكان هذا كفرًا باردا وتحريفًا[٢١] لكلام الله تعالى عن موضعه ، ومكابرة سمجة ، وحماقة ودفعا للضرورة ، وقد تقصَّينا الردّ على أهل هذه المقالة الملعونة فى كتاب لنا رسمه كتاب « اليقين فى النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين » تقصَّينا فيه كلام رجل من كبارهم من أهل القيروان ، اسمه عطاف[٢٢] بن دوناس فى كتاب ألفه فى نصر هذه المقالة ، وكان لشيخهم الأشعرى فى إعجاز القرآن قولان أحدهما : كما يقول المسلمون : إنه معجز النظم ، والآخر إنما هو المعجز الذى لم يفارق الله عز وجل قط والذى لم يزل غير مخلوق ، ولا أنزل إلينا ولا سمعناه قط ، ولا سمعه جبريل ولا محمد عليهما السلام قط ، وأما الذى يُقرأ فى المصاحف ، ونسمعه من القرآن ، فليس معجزًا بل مقدور على مثله ، وهذا كفر صحيح وخلاف لله تعالى ولجميع أهل الإسلام ، وقال كبيرهم وهو محمد بن الطيب الباقلانى[٢٣]: إن لله تعالى خمس عشرة صفة ، كلها قديمة لم تزل مع الله تعالى ، وكلها غير الله وخلاف الله تعالى ، وكل واحدة منهن غير الأخرى منها ، وخلاف لسائرها وأن الله تعالى غيرهن وخلافهن .

قال أبو محمد : هذا والله أعظم من قول النصارى ، وأدخل فى الكفر والشرك ، لأن النصارى لم يجعلوا مع الله تعالى إلا اثنين هو ثالثهما ، وهؤلاء جعلوا معه تعالى خمسة عشر هو السادس عشر لهم . وقد صرح الأشعرى فى كتابه المعروف بالمجالس بأن مع الله تعالى أشياء سواه ، لم تزل كما لم يزل .

قال أبو محمد : وهذا إبطال التوحيد علانية ، وإنما حملهم على هذا الضلال العظيم[٢٤] ظنهم أن إثبات علم الله وقدرته وعزته وكلامه لا يثبت إلا بهذه الطريقة الملعونة ، ومعاذ الله من هذا ، بل كل ذلك حق لم يزل غير مخلوق ، وليس شىء من ذلك غير الله تعالى ، ولا يقال فى شىء من ذلك

---

(١٧) الأعراف : ١٥٧
(١٨) البقرة : ١٤٦
(١٩) الأنعام : ٣٣
(٢٠) سقطت كلمة (هذا) من (أ) .
(٢١) فى (أ) : (أو تحريفا) .
(٢٢) لم نعثر له على ترجمة .
(٢٣) راجع ترجمته فى (٢) .
(٢٤) فى (أ) : سقطت كلمة (العظيم) .

هو الله تعالى ، لأن هذه تسمية له عز وجل ، وتسميته لا تجوز إلا بنصّ وقد تقصينا الكلام فى هذا ، فى صدر ديواننا هذا والحمد لله رب العالمين .

وإنما جعلنا هاهنا شنع أهل البدع تنفيرًا عنهم وإيحاشًا للأغمار من المسلمين من الأنس بهم ، ومن حسن الظن بكلامهم الفاسد . ولقد قلت لبعضهم إذا قلتم إن مع الله تعالى خمسْ عشرة صفة كلها غيره ، وكلها لم تزل ، فما الذى أنكرتم على النصارى إذ قالوا إن الله ثالث ثلاثة ؟ فقالوا لى : إنما أنكرنا عليهم إذ جعلوا معه شيئين فقط ولم يجعلوا معه أكثر ، ولقد قال لى بعضهم اسم الله تعالى وهو قولنا « الله » عبارة تقع على ذات البارى بجميع صفاته ، لا على ذاته دون صفاته فقلت له أتعبد الله تعالى أم لا ؟ فقال لى : نعم فقلت له : فإنما تعبد إذن بإقرارك الخالق وغيره معه فيكفيك فنفر نفرة ، وقال : معاذ الله من هذا ما أعبد إلا الخالق وحده . فقلت له : إنما تعبد إذن بإقرارك بعض ما يسمى به الله فنفر أخرى ، وقال معاذ الله من هذا ، وأنا واقف فى هذه المسألة . وقال شيخ لهم قديم وهو : « عبد الله بن سعيد بن كلاب البصرى » إن صفات الله تعالى ليست باقية ولا فانية ولا قديمة ، ولا حديثة ، لكنها لم تزل غير مخلوقة ، هذا مع تصريحه بأن الله تعالى قديم باق .

ومن حماقات الأشعرية قولهم : إن للناس أحوالا ومعانى لا معدومة ، ولا موجودة ، ولا معلومة ولا مجهولة ، ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ، ولا أزلية ولا محدثة ، ولا حق ولا باطل ، وهى علم العالم بأن له علما ، ووجود الواجد لوجوده كل ما يجد . هذا الذى[٢٥] سمعناه منهم نصًا ، ورأيناه فى كتبهم ، فهل فى الرعونة أكثر من هذا ..؟ وهل يمكن الموسوس والمُبرسَم أن يأتى بأكثر من هذا .. ؟ ولقد حاورنى « سليمان بن خلف الباجى كبيرهم فى هذه المسئلة فى مجلس حافل فقلت له : هذا كما يقول العّامة عندنا عشب لا من كرم ولا من دالية ، ومن هوسهم قولهم : إن الحق غير الحقيقة ولا ندرى فى أى لغة وجدوا هذا ، أم فى أى شرع وارد لقوه[٢٧] أم فى أى طبيعة ظفروا به فقالوا : إن الكفر حقيقة وليس بحق ، وقلت كلًّا بل وجوده حق[٢٨] حقيقة ، ومعناه باطل ، لا حق ولا حقيقة . وقالوا كلهم ؛ إن الله حامل لصفاته فى ذاته ، وهذا نص قول « أبى جعفر السمنانى[٢٩] المكفوف وقاضى الموصل » وهو أكبر أصحاب الباقلانى مقدم الأشعرية فى وقتنا هذا وقال : هذا السّمنانى إن من سمَّى الله تعالى جسما من أجل أنه حامل لصفاته فى ذاته فقد

(٢٥) فى (أ) : (أمر) بدلًا من (الذى) .

(٢٦) المبرسم : بفتح السين المصاب بعلة يهذى فيها . والفعل (بُرسم) (محيط) .

(٢٧) فى (أ) : سقطت كلمة (لقوه) .

(٢٨) فى (أ) : (عن حقيقة) .

(٢٩) راجع ترجمته فى (٣١٤/٢) من هذا المؤلف .

أصاب المعنى وأخطأ فى التسمية فقط ، وقال هذا السّمنانى : إن الله تعالى مشارك العالم فى الوجود ، وفى قيامه بنفسه كقيام الجواهر والأجسام ، وفى أنه ذو صفات قائمة به موجودة بذاته ، كما ثبت ذلك فيما هو موصوف بهذه الصفات ، من جملة أجسام العالم وجواهره وهذا نص كلام السمنانى حرفًا حرفًا .

قال أبو محمد : ما أعلم أحدًا من غلاة المشبهة أقدم على أن يطلق ما أطلق هذا المبتدع الجاهل ، الملحد المتهور ؛ من أن الله تعالى مشارك للعالم ، حاشى لله من هذا .

وقال السّمنانى عن شيوخه من الأشعرية : إن معنى قول النبى ﷺ إن الله خلق آدم على صورته إنما هو على صفة الرحمن ، من الحياة والعلم ، والاقتدار واجتماع صفات الكمال فيه ، وأسجد له ملائكته ، كما أسجدهم لنفسه ، وجعل له الأمر والنهى على ذريته ، كما كان لله تعالى كل ذلك .

قال أبو محمد : هذا نص كلامه حرفًا حرفًا ، وهذا كفر صريح ، وشرك بواح ، إذ صرح بأن آدم على صفة الرحمن من اجتماع صفات الكمال فيهما ، فالله تعالى وآدم عنده مثلان مشتبهان فى اجتماع صفات الكمال فيهما ، ثم لم يقنع بهذه السوءة حتى صرح بأن سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله عز وجل ، وحاشى لله من هذا لأن سجود الملائكة لله تعالى سجود عبادة وديانة لخالقهم ، وسجودهم لآدم سجود سلام وتحية وتشريف منهم لآدم ، وإكرام له بذلك كسجود يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام فقط . ثم زاد اللَّعين كفرًا على كفر بنصه أن الله تعالى جعل له الأمر والنهى على ذريته ، كما كان لله تعالى ذلك ، وهذا شرك لا خفاء به ، كشرك النصارى فى المسيح ولا فرق . ونسأل الله العافية ، وقال هذا السّمنانى : إن مذهب شيوخه أنهم لا يقولون إن الأمر بالشيء دالّ على كونه مرادًا للآمر قديمًا كان أو محدثًا ، ولا يدل النهى على كونه مكروهًا ، هذا نص كلامه ، وهذا خلاف للإسلام وللإجماع والمعقول ، وتصريح بأن الله تعالى إذا أمرنا[٣٠] بالصَّلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد وشهادة الإسلام ، فليس فى ذاك دليل على أنه يريد شيئًا من ذلك ، وإذ نهى عن الكفر والزنا والبغاء[٣١] والسرقة ، وقتل النفس ظلمًا ، فليس ذلك دليلا على أنه يكره شيئًا من ذلك ، وما فى الأقوال أنتن من هذا القول .

وقال هذا السمنانى إنه لا يصح القول بأن علم الله تعالى مخالف للعلوم كلها ولا أن قدرته مخالفة للقدرة كلها ، لأنها كلها داخلة تحت قولنا ووصفنا للقدرة والعلوم . هذا نص كلامه وهذا

(٣٠) فى (أ) : ([٣ أمر) .
(٣١) فى (أ) : (والبغى) .

بيان بأن دينهم أن علم الله تعالى وقدرته من نوع علمنا وقدرتنا ، وإذا الأمر كذلك عنده فعلمنا وقدرتنا عرضان فينا مخلوقان ، فوجب ضرورة أن علم الله تعالى وقدرته عرضان فى الله مخلوقان ؛ إذ من الممتنع وقوع ما لم يزل مع المحدث المخلوق ، تحت حدٍّ واحد ونوع واحد . ونص هذا السِّمنانى ، ومحمد بن فورك فى صدر كلامه فى كتاب أظنه « الأصول » : أن الحدود لا تختلف فى قديم ولا محدث ، قالوا ذلك فى كلامهم فى علم الله تعالى فى تحديدهم لمعنى العلم بصفة يقع تحتها علم الله تعالى وعلوم الناس ، وهذا نص منهم على أن الله تعالى محدود واقع معنا تحت الحدود هو[٣٢] وعلمه وقدرته ، وهو شر من قول جَهم شيخهم فى الحقيقة ، وأبين من قول كل مشبه فى الأرض . ونص هذا السّمنانى على أن العالم والقادر والمريد من الله تعالى وخلقه ، إنما كان محتاجًا إلى هذه الصّفات ، لكونه موصوفًا بها لا لجوازها عليه . هذا نص كلامه ، وهذا تصريح منهم بلا تكلف ولا تأويل ، بأن الله تعالى عن كفر هذا الأرْعن محتاج إلى الصفات ، وهذا كفر ما ندرى أن أحدًا بلغه ، ونص هذا السّمنانى أيضًا على أن الله تعالى لما كان حيًا عالمًا ، كان موصُوفًا بالحياة والعلم والقدرة والإرادة ، حتى لا يختلف الحال فى ذلك فى الشَّاهد والغائِب ، هذا نص كلامه وهذا تصريح منه على أن لله تعالى حالا لا يخالفه فيها خلقه ، بل هو وهم فيها سواء ، ونص هذا السّمنانى على أنه إذا كانت الصفات الواجبة لله تعالى فى كونه عالما قادرا لا يغنى وجوبها له عن ما هو مصحح لها من الحياة فيه ، كالا يوجب غناه عما يوجب كونه عالمًا قادرًا ، عن المقدرة والعلم .

قال أبو محمد : هذا نص جلى على أن الله تعالى غير غنى عن شىء هو غيره ، لأن الصفات عندهم هى غيره تعالى ، والله تعالى عندهم غير غنى عنها تعالى الله ، وإذا لم يكن غنيا عنها فهو فقير إليها – هكذا قالت اليهود إن الله فقير ، تعالى الله عن هذا بل هو الغنى جملة عن ما سواه ، وكل من دونه فقير إليه تعالى . وقال السِّمنانى إن قال قائِل لم أنكرتم أن يكون الله مريدًا لنفسه حسب ما قاله النَّجار والجاحظ ؟ قيل له أنكرنا ذلك لما قدمنا ذكره ، من أن الواحد من الخلق مريد بإرادة ، ولا يخلو أن يكون حقيقة المريد من له الإرادة أو كونه مريدًا وجود الإرادة له ، وأى الأمرين كان وجبت مساواة الغائب الشاهد فى هذا الباب .

قال أبو محمد : وهذا نص جلى على مساواة الله تعالى لخلقه عند هذا الجاهل . وهذا أعظم فى الكفر من قول كلِّ مجسم لأن جميع المجسمين لم يقدم أحد منهم قط على القول بأن الله تعالى مساوٍ لخلقه ، قبل هذه الفرقة الملعونة ، ثم العجب قطعهم بأن الله عزّ وجلّ غائب غير شاهد

---

(٣٢) فى (أ) : (وهو) .

وحاشى لله عن هذا ، بل هو معنا وأقرب إلينا من حبل الوريد ، كما قال عز وجل إنه حاضر فى العقول غير غائب . وقال الباقلانى : ما وجد فى الله تعالى من التسميات فإنه يجوز إطلاقها عليه وإن لم يسمِّ بذلك نفسه ما لم يرد شرع بمنع من ذلك .

قال أبو محمد : هذا نصٌّ منه على أن هاهنا معانى توجد فى الله عز وجل مع الإلحاد فى أسمائِه ، إذ جاز تسميته بما لم يسم به عز وجل نفسه ، تعالى الله عن هذا علوًّا كبيرًا ، وقالوا كلهم : إن الله تعالى ليس له إلا كلام واحد ، وليس له كلمات كثيرة .

قال أبو محمد : هذا كفر مجرد لخلافه القرآن ، وتكذيب لله تعالى فى قوله : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا[٣٣] » .

وإذ يقول تعالى : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله[٣٤] » . مع أن قولهم ليس لله إلا كلامٌ واحد ، قول أحمق لا يعقل ولا يقوم به برهان تشريعى ، ولا يتشكل فى هاجس ولا يوجبه عقل ، إنما هو هذيان محض ويقال لهم لا يخلو القرآن عندهم من أنه كلام الله تعالى أو ليس هو كلام الله تعالى ، فإن قالوا : ليس هو كلام الله تعالى كفروا من قرب وكفى الله تعالى مؤنتهم . وإن قالوا هو كلام الله فالقرآن مائة سورة وأربع عشرة سورة ، فيها ستة آلاف آية ونيف ، كل سورة منها عند أهل الإسلام غير الأخرى ، وكل آية غير الأخرى ، فكيف يقول هؤلاء النوكى أنه ليس لله تعالى إلَّا كلام واحد .. ؟ أما هذا من الكفر البارد والقحة السمجة . ونعوذ بالله من الضلال ، وقالوا كلهم إن القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام ، إنما نزل عليه بشىء آخر هو العبارة عن كلام الله وأن القرآن ليس عندنا ألبتة إلا على هذا المجاز ، وأن الذى نرى فى المصاحف ونسمع من القرآن ونقرأ فى الصلوات ، ونحفظ فى الصدور ليس هو القرآن ألبتة ، ولا شىء منه كلام الله تعالى ألبتة بل شىء آخر ، وأن كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله تعالى .

قال أبو محمد : وهذا من أعظم الكفر لأن الله تعالى قال : « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ[٣٥] » وقال تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك[٣٦] » وقال تعالى : « فأجره حتى يسمع كلام الله[٣٧] » وقال تعالى : « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتو العلم[٣٨] ».

---

(٣٣) الكهف : ١٠٩
(٣٤) لقمان : ٢٧
(٣٥) البروج : ٢٢
(٣٦) الشعراء : ٩٣
(٣٧) التوبة : ٦
(٣٨) العنكبوت : ٤٩

وقال رسول الله ﷺ : « إنى أحِبُّ أن أسْمَعه مِنْ غَيْرِى[٣٩]» يعنى القرآن . وقال عليه السلام : « الذى يَقْرَأُ القُرآن مع السَّفَرَةِ الكِرَام البَرَرَة[٤٠]». ونهيه ﷺ أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو[٤١]، إلى إجماع عامة المسلمين وخاصتهم وجاهلهم وعالمهم على القول : حفظ فلان القرآن ، وقرأ فلان القرآن ، وكتب فلان القرآن فى المصحف ، وسمعنا القرآن من فلان وهذا كلام الله تعالى ما فى المصحف من أول أم القرآن إلى آخر قل أعوذ برب الناس . وقال السّمنانى نصًا إن الباقلانى وشيوخه قالوا إن النبى ﷺ إنما أطلق القول بأن ما أنزل الله عليه هو القرآن ، وهو كلام الله تعالى إنما هو على معنى أنه عبارة عن كلام الله تعالى ، وأنه يفهم منه أمره ونهيه فقط .

قال أبو محمد : ويقال لهم أخبرونا عن قولكم إن الكتاب فى المصحف والقراءة المسموعة فى المحراب كل ذلك عبارة عن القرآن ماذا تعنون بذلك ؟ وهل هذا منكم إلا تمويه ضعيف وهل كلّ ما فى المصحف إلا عبارة عن معانيه التى أرادها الله تعالى فى شرع دينه من الصلاة والصيام والإيمان وغير ذلك ، وأخبار الأمم السالفة وصفة الجنة والنار والبعث وغير ذلك مما لا يَختلف من أهل الإسلام أحد فى أن المعبر عنه بذلك الكلام ليس هو كلام الله أصلا لأن ذات الجنة وذات النار وحركات المصلى وعمل الحاج وعمل الصائم ، وأجسام عاد وأشخاص ثمود ، ليس شىء من ذلك كلام الله عز وجل ولا قرآنا فمثبت أن ليس هو القرآن ولا هو كلام الله إلا العبارة المسموعة فقط ، والكلام المقروء والخط المكتوب فى المصحف بلا شك ، إذ لم يبق غير ذلك أو الكفر وتكذيب الله تعالى ، وتكذيب رسول الله ﷺ فى أن القرآن أنزل عليه ، وأننا نسمع كلام الله فأوهمتم الضعفاء أن الذى هو كلام الله والقرآن عند جميع أهل الإسلام ليس هو القرآن ولا هو كلام الله ، ثم أوهمتموهم باستخفافكم أن حركات المتحركين وذات الجنة وذات النار ، هى كلام الله تعالى ، وهى القرآن ، فهل فى الضلال والسخرية بضعفة المسلمين والهزء بآيات الله تعالى أكثر من هذا ؟ ولقد أخبرنى « علىّ بن حمزة المرادى الصقلى » الصوفى أنه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله قال فأكبرت ذلك وقلت له : ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى ؟ فقال لى ويلك والله ما فيه إلا السخام والسواد ، وأما كلام الله فلا ، ونحو هذا من القول الذى هذا معناه وكتب إلىّ « أبو المرحى بن ندما المصرى » أن بعض ثقات أهل مصر أخبره من

---

(٣٩) هذا الحديث رواه البخارى فى تفسير سورة المائدة ، وفى فضائل القرآن ، ورواه مسلم فى المسافرين : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ولفظه كما رواه ابن مسعود قال : قال النبى ﷺ : « اقرأ علىّ القرآن » فقلت يا رسول الله ، أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إنى أحبُّ أن أسمعه من غيرى » فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : « فكيف إذا جئنا مِنْ كُلّ أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا » قال : حسبك الآن » فالتفتّ إليه فإذا عيناه تذرفان » متفق عليه .

(٤٠) الحديث : رواه مسلم فى باب المسافرين : ٣٤٤ ، وابن ماجه فى الأدب : ٥٢ ولفظه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال : رسول الله ﷺ : (الذى يقرأ القرآن ، وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاقّ ، له أجران » متفق عليه .

(٤١) لفظ الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو » متفق عليه .

طلاب السنن أن رجلا من الأشعرية قال له مشافهة على من يقول إن الله تعالى قال : قل هو الله أحد الله الصمد ، ألف لعنة .

قال أبو محمد : بل على من يقول إن الله عز وجل لم يقلها ألف ألف لعنة تترى ، وعلى من ينكر أننا نسمع كلام الله ونقرأ كلام الله ونحفظ كلام الله ، ونكتب كلام الله ألف ألف لعنة تترى من الله عز وجل ، فإن قول هذه الفرقة فى هذه المسألة نهاية الكفر بالله تعالى ، ومخالفة للقرآن والنبى ﷺ ، ومخالفة جميع أهل الإسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة .

قال أبو محمد : وقالت الأشعرية كلها إن الله تعالى لم يزل قائلا لكل ما خلق أو يخلق فى المستأنف كُنْ ، إلا أن الأشياء لم تكن إلا حين كونها ، وهذا تكذيب منهم مكشوف لله عز وجل إذ يقول « إنما أمره أراد شيئا أن يقول له كن فيكون[٤٢]» فبين الله تعالى أنه لا يقول للشىء كن إلا إذا أراد تكوينه ، وأنه إذا قال له « كُنْ » كان الشىء فى الوقت بلا مُهلة ، لأن هذا هو مقتضى الفاء فى لغة العرب التى بها نزل القرآن ، فجمعوا إلى تكذيب الله عز وجل فى خبريه جميعًا إيجاب أزلية العالم ، لأن الله تعالى إذا كان لم يزل قائلًا لما يكون « كن » فإن التكوين لم يزل وهذه دهرية محضة ، ثم قال السّمنانى بعد أسطر : لأنه لو وجب وجود ما وجد فى الوقت الذى وجد فيه لأجل قول الله تعالى « كن » لوجب أن يوجد لأجل قول غيره له « كن » لأن صفة الاقتضاء لا تختلف فى ذلك بين القديم والمحدث .

قال أبو محمد : هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد حرفًا حرفًا ، وهذا كفر محض ، وحماقة لا خفاء بها ، أما الكفر فإبطاله أن وجود الأشياء فى الأوقات التى وجدت فيها ، إنما وجدت لأجل قول الله تعالى لها كن ، وإيجابه أن الأشياء لم توجد فى أحيان وجودها لقول الله تعالى لها كن . وهذا تكذيب لله تعالى صرف ، وخروج عن إجماع أهل الإسلام ، وكلِّ من يصلى إلى القبلة قبلهم ، ومن الكفر الصريح أيضًا فى هذا الكلام الملعون قوله : إن صفة الاقتضاء لا تختلف فى ذلك بين القديم والمحدث ، فسوَّى بين الله تعالى وخلقه ، وأما الحماقة فقوله : لو وجدت الأشياء من أجل قول الله تعالى لها « كن » لوجب أن يوجد لأجل قول غيره لها « كن » فياللمسلمين هل سمع فى الحمق والرعونة وقلة الحياء أكثر من قول مَنْ سوَّى بين قول الله عز وجل (كن) إذا أراد تكوينه وبين قول غيره من الناس (كن) .. ؟؟؟ وهذا أخبث من قول الدّهرية ونعوذ بالله من الضّلال ، فلولا الخذلان ما انطلق بهذا النوك لسان من يقذف بالحجارة فى الشوارع ، وما شبهت هذا الكلام

(٤٢) يس : ٨٢

إلا كلام النذل « أبى هاشم الجبائى » لو لم يجر لنا أن نُسمِّىَ الله عز وجل باسم حتى يأذن الله لنا فى ذلك لوجب أن لا يجوز الله أن يسمى نفسه حتى يأذن له غيره فى ذلك .

قال أبو محمد : وهذه أقوال لو قالها صبيان يسيل مخاطهم ليئس من فلاحهم ، وتالله لقد لعب الشيطان بهم كما شاء فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقالت الأشعرية كلها : إن الله لا يقدر على ظلم أحد ألبتة ، ولا يقدر على الكذب ، ولا على أن يقول المسيح بن الله ، حتى يقول قبل ذلك . وقالت النصارى : وأنه لا يقدر على أن يقول عزيز ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت اليهود ، وأنه لا يقدر على أن يتخذ لهوا ، وأنه لا يقدر على أن يتخذ ولدا ، وأنه لا يقدر ألبتة على إظهار معجزة على يدى كذاب يدّعى النبوة ، فإن ادعى الإلاهية كان الله تعالى حينئذ قادرًا على إظهار المعجزات على يديه ، وأنه تعالى لا يقدر على شيء من المحال ولا على إحالة الأمور عن حقائقها ، ولا على قلب الأجناس عن ماهيتها[٤٣] وأنه تعالى لا يقدر ألبتة على أن يقسم الجزء الذى لا يتجزأ ، ولا على أن يدعو أحدًا إلى غير التوحيد ، هذا نص كلامهم وحقيقة معتقدهم ، فجعلوه تعالى عاجزًا متناهى القوة محدود القدرة ، يقدر مرة ولا يقدر أخرى ، ويقدر على شيء ولا يقدر على آخر ، وهذه صفة النقص ، وهم مع هذا يقولون : إن الساحر يقدر على قلب الأعيان ، وعلى أن يمسخ إنسانًا فيجعله حمارًا على الحقيقة ، وعلى المشى فى الهواء ، وعلى الماء فكان الساحر عندهم أقوى من الله تعالى .

قال أبو محمد : وخشوا مبادرة أهل الإسلام لهم بالاصطلام فجبنوا[٤٤] أن يصرحوا بأن الله تعالى لا يقدر فقالوا لا يوصف بالقدرة على شيء مما ذكرنا .

قال أبو محمد : ولا راحة لهم فى هذا لأننا نقول لهم : ولِمَ لا نصفه بالقدرة على ذلك ؟ ألأنه يقدر على كلِّ ذلك ولأن له قدرة على ذلك ؟ أم لأنه لا يقدر على كل ذلك ، ولا له قدرة على شيء من ذلك ؟ ولابد من أحدهما بضرورة العقل وهنا ضلت حيلهم[٤٥] الضعيفة . ولابد لهم من القطع بأنه لا يقدر ، وبأنه لا قدرة له على ذلك وإذ قد صرحوا بذلك فبالضرورة بأول العقل ومسموع اللغة كلاهما يوجب أن من لا يقدر على شيء فهو عاجز عنه ، وأن من لا قدرة له على شيء فصفة العجز والضعف لاحقة به ، فلابد لهم ضرورة من إطلاق اسم العجز على الله تعالى ووصفه بأنه عاجز ، وهذا حقيقة مذهبهم يقينا إلا أنهم يخافون البوار إن أظهروه .

---

(٤٣) فى (خ) : (غايتها) .
(٤٤) فى (أ) : (غخنسوا) .
(٤٥) فى (أ) : (جبلتهم) .

وقال هذا الباقلانى : لا فرق بين النبى والسَّاحر الكذاب المتنبىء فيما يأتيان به إلا التحدى فقط ، وهو قول النبى لمن بحضرته : هات من يعمل كعملى ، وهذا إبطال للنبوة مجرد . وقال الباقلانى وابن فورك واتباعهما[٤٦] من أهل الضلالة والجهالة ليس لله تعالى أسماء ألبتة وإنما له تعالى إسم واحد فقط ليس له إسم غيره ، وأن قول الله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه[٤٧]» .

إنما أراد أن يقول : لله التسميات الحسنى فذروا الذين يلحدون فى تسمياته قالوا : وكذلك قول رسول الله ﷺ « إن لله تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسمًا مائةً غير واحد[٤٨]» . وإنما أراد أن يقول تسعة وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسمًا مائةً غير واحد ، وإنما أراد أن يقول تسعة وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسمًا .

قال أبو محمد : ما فى البرهان على قلة الحياء وفساد الدين واستسهال الكذب أكثر من هذا « وليت شعرى من أخبرهم عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ بهذا الإفك ، ثم ليت شعرى إذ زعموا أن الله تعالى أراد أن يقول له التسميات الحسنى فقال له الأسماء الحسنى ، لأى شىء فعل ذلك اللكنةٍ أم غفلةٍ أم تعمد لإضلال عباده » ؟! ولا سبيل والله إلى رابع ، فاعجبوا لعظيم ما حل بهؤلاء القوم من الدعار والتبار والكذب على الله عز وجل جهارًا وعلى رسول الله ﷺ بلا رقبة[٤٩]، ونعوذ بالله من الضلال ، مع أن هذا قولٌ ما سبقهم إليه أحد . وقالوا كلهم : إن محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، ليس هو رسول الله ﷺ اليوم لكنه كان رسول الله .

قال أبو محمد : فكذبوا القرآن فى قول الله عز وجل « محمد رسول الله » وكذبوا الأذان وكذبوا الإقامة التى افترضها الله تعالى خمس مرات كل يوم وليلة على كل جماعة من المسلمين ، وكذبوا دعوة جميع المسلمين التى اتفقوا على دعاء الكفار إليها ، وعلى أنه لا نجاة من النار إلا بها ، وأكذبوا جميع أعصار المسلمين من الصحابة فمن بعدهم فى إطباق جميعهم ، بِّرهم وفاجرهم على الإعلان بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، ووجب على قولهم هذا الملعون أنه يكذب المؤذنون والمقيمون ودعاة الإسلام فى قولهم : محمد رسول الله ، وأن الواجب أن يقولوا : محمد كان رسول الله ، وعلى هذه المسألة قتل الأمير محمود بن سيكتكين[٥٠] مولى أمير المؤمنين وصاحب خراسان رحمه الله ابن فورك شيخ الأشعرية ، فأحسن الله جزاء محمود على ذلك ولعن ابن فورك وأشياعه وأتباعه .

---

(٤٦) فى (أ) : (وأشياعهما) .
(٤٧) الأعراف : ١٨٠
(٤٨) رواه البخارى فى الدعوات : ٦٩ ، ومسلم فى الذكر : ٥ ، ٦ ، وابن ماجه فى الدعاء : ١٠
(٤٩) فى (أ) : (رهبة) .
(٥٠) راجع ترجمته فى الجزء الثانى .

قال أبو محمد : إنما حملهم على هذا الكفر الفاحش قولٌ لهم آخر فى نهاية الضلال والانسلاخ من الإسلام ، وهو قولهم إن الأرواح أعراض تفنى ، ولا تبقى وقتين ، لأن[٥١] روح كل واحد منا الآن هو غير روحه الذى كان له قبل ذلك بطرفة عين ، وأن كل واحد منا يبدل أزيد من ألف ألف روح فى كل ساعة زمانية ، وأن النفس إنما هو هذا الهواء الخارج بالتنفس حارًا بعد دخوله باردًا ، وأن الإنسان إذا مات فنى روحه وبطل ، وأنه ليس لمحمد ولا لأحد من الأنبياء عند الله تعالى روح ثابتة تنعم ، ولا نفس قائمة تكرّم ، وهذا خروج عن إجماع أهل[٥٢] الإسلام ، فما قال بهذا أحد ممن ينتمى إلى الإسلام قبل أبى الهذيل العلاف ، ثم تلاه هؤلاء ، وهذا خلاف مجرد للقرآن وتكذيب لله عز وجل إذ يقول « أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون[٥٣] » وإذ يقول عز وجل فى آل فرعون : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة[٥٤] » الآية .

وإذ يقول عز وجل « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون[٥٥] » وقال عز وجل : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوف عليهم ولا هم يحزنون[٥٦] » ولقوله تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى[٥٧] » .

وخلاف للسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ المنقولة نقل التواتر من رؤيته ﷺ الأنبياء عليهم السلام ليلة أسرى به فى السماء ، وما جرى له مع موسى عليه السلام فى عدد الصلوات المفروضات وأن أرواح الشهداء نسمة تعلق فى ثمار الجنة ، وما يلقى الروح عند خروجه من الفتنة والمساء له إخباره عليه السلام أنه رأى عن يمين آدم نسم بنيه من أهل الجنة وعن يساره نسم بنيه من أهل النار وسائر السنن المأثورة .

قال أبو محمد : ثم خجلوا من هذه العظيمة وتبرأ منهم إبليس الذى أورطهم[٥٨] فيها ، فشكوا[٥٩] فقالوا فى كتبهم فإن لم يكن هذا فإن الروح تنتقل عند خروجه من الجسم إلى جسم آخر . هكذا نص الباقلانى فى أحد كتبه وأظنه الرسالة المعروفة « بالحرة » وهذا مذهب التناسخ

---

(٥١) فى (أ) : (وأن) .
(٥٢) فى (أ).: سقطت كلمة (أهل) .
(٥٣) الأنعام : ٩٣
(٥٤) غافر : ٤٦ . وقد سقطت هذه الآية من (أ) .
(٥٥) البقرة : ١٥٤
(٥٦) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠
(٥٧) الزمر : ٤٢
(٥٨) فى (أ) : (ورّطهم) .

بلا كلفة . وقال السِّمنانى فى كتابه : إن الباقلانى وأصحابه قالوا ، إن كل ما جاء فى الخبر من نقل أرواح الشهداء إلى حواصل طير خضر وأن روح الميت ترد إليه فى قبره ، وما جرى مجرى ذلك من وصف الروح بالقرب والبعد والحركة والانتقال والسكون والعذاب ، فكل ذلك محمول على أقل جزء من أجزاء الميت أو الشهيد أو الكافر ، وإعادة الحياة فى ذلك الجزء .

قال أبو محمد : وهذا طريق من الهوس جدا ، وتطايب بالدين ، ولقد أخبرنى ثقة من أصحابى أنه سمع بعض مقدميهم يقول إن الروح إنما تبقى فى عجب الذنب لقول رسول الله ﷺ : كُلُّ ابْن آدمَ يَأْكُلُه التُّرابُ إلّا عَجْبَ الذَّنبِ مِنْه خُلِقَ وفيه يُرَكَّبُ(٦٠).

قال أبو محمد : وهذا التأويل أقرب إلى الهزل منه إلى أقوال أهل الإسلام ، ونعوذ بالله من الخذلان ، فإنما هذه ستائر دون مذهبهم الخبيث الذى ذكرنا آنفًا . وقالوا كلهم إن النظر فى دلائل الإسلام فرض وأنه لا يكون مسلمًا حتى ينظر فيها وأن من شروط الناظر فيها أن يكون ولابد شاكا فى الله عز وجل وفى صحة النبوة ، ولايصح النظر فى دلائل النبوة ودلائل التوحيد لمن يعتقد صحتها .

قال أبو محمد : والله ما سمع قط ، بأقبح فى الكفر من قول من أوجب الشك فى الله تعالى ، وفى صحة النبوة فرضا على كل متعلم ، ولا نجاة له إلا به ولا دين لأحد دونه ، وأن اعتقاد صحة التوحيد لله تعالى ، وصحة النبوة باطل لا يحل ، فحصل من كلامهم أن من لم يشك فى الله تعالى ولا فى صحة النبوة فهو كافر ، ومن شك فيهما فهو محسن مؤدٍّ ما وجب عليه ، وهذه فضيحة وحماقة اللهم إنا نبرأ إليك من هذا القول ومن كل قائل به ، ثم لم يجدوا فى أمد الاستدلال حدًا فليت شعرى على هذا القول الملعون هو معتقده والدَّاعى إليه كيف يكون حال من قَبِل وصيتهم هذه التى هى وصية الشيطان الرجيم فيدين(٦١) بالشك فى الله تعالى وفى النبوة ، وامتد به أمد الاستدلال أياما وأشهرا أو(٦٢) ساعات مات فيها أين مستقره ؟ ومصيره إلى النار والله خالدًا مخلدًا أبدا ، وبيقين ندرى أن قائل هذه الأقوال **مطالب** للإسلام كما يُدَّله مرصد لأهله داعية إلى الكفر ، ونعوذ بالله من الضلال .

وقالوا كلهم : إن إطعام رسول الله ﷺ المئين والعشرات من صاع الشعير ، مرة بعد مرة ، وسقيه الألف والألوف من ماءٍ يسير ينبع من بين أصابعه ، وحنين الجذع ، ومجىء الشجرة ، وتكلم الذراع ، وشكوى البعير ، ومجىء الذئب(٦٣)، ليس فى شىء من ذلك دلالة على صدق رسول

---

(٥٩) فى (أ) : (فشلّوا) .

(٦٠) رواه البخارى فى التفسير ، ورواه مسلم فى الفتن : ١٤١ ، ١٤٣ ورواه ابن ماجه فى الزهد : ٣٢

(٦١) فى (أ) : (فتبيّن) .

(٦٢) فى (أ) : (وساعات) .

(٦٣) تحدثنا عن هذه المعجزات تفصيلا فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

الله ﷺ فى نبوته لأنه عليه السلام لم يتحدَّ الناس بذلك ولا يكون عندهم آية إلا ما تحدّى به الكفار فقط ، وهذا تكذيب منهم للنبى ﷺ فى قوله إذ فعل ذلك أشهد أنى رسول الله ، وهذا أيضًا قول افتروه ، خالفوا فيه جميع أهل الإسلام .

وقالوا كلهم : ليس لشىء من الأشياء نصفٌ ، ولا ثلث ، ولا ربع ، ولا سُدُس ، ولا ثمن ، ولا عُشْر ولا بعضٌ ، وأنه لا يجوز أن يقال الفرد عُشْر العشرة ولا أنه بعض الخمسة ، وحجتهم فى ذلك أنه لو جاز أن يقال ذلك لكان عشرًا لنفسه وبعض نفسه .

قال أبو محمد : وهذا جهل شديد لأنه إنما هو بعض من جملة يكون سائرها غيره ، وعُشْر جملة يكون سائرها غيره ، ونسوا أنفسهم فقالوا بالجزء الذى لا يتجزأ ، ونسوا إلزام أنفسهم أن يكون جزء لنفسه ، وكل[٦٤] هذا تكذيب لله عز وجل إذ يقول فى القرآن « فلها النصف » « فلأمه الثلث » « فلأمه السدس » « فلكم الربع » « فلهن الثمن[٦٥] » « بعضهم أولياء بعض[٦٦] »، وهذا عن النبى ﷺ كبير مع مخالفتهم فى ذلك جميع أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم ، ومخالفة كل لغة والمعقول والطبائع .

وقالوا كلهم : من قال إن النار تحرق أو تلفح ، أو أن الأرض تهتز أو تنبت شيئا ، أو أن الخمر تسكر ، أو أن الخبز يشبع ، أو أن الماء يروى أو أن الله تعالى ينبت الزرع والشجر بالماء ، فقد ألحد وافترى . وقال الباقلانى فى آخر السفر الرابع من كتابه المعروف « بالانتصار فى القرآن » : نحن ننكر فعل النار للتسخين والإحراق ، وننكر فعل الثلج للتبريد ، وفعل الطعام والشراب للشبع والرى ، والخمر للاسكار ، كل هذا عندنا باطل محال ننكره أشد الإنكار ، وكذلك فعل الحجر لجذب شىء أو رده أو حبسه أو إطلاقه من حديد أو غيره هذا نص كلامه .

قال أبو محمد : وهذا تكذيب منهم لله عز وجل إذ يقول « تلفح وجوههم النار[٦٧] » ولقوله تعالى : « ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد[٦٨] » وقوله تعالى : « أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم[٦٩] » الآية . وقوله تعالى : « فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج[٧٠] » .

---

(٦٤) فى (أ) : سقطت كلمة (كل) .
(٦٥) سورة النساء : (١١ ، ١٢) .
(٦٦) التوبة : ٧١
(٦٧) المؤمنون : ١٠٤
(٦٨) ق : ٩
(٦٩) السجدة : ٢٧
(٧٠) الحج : ٥

وقد صككت بهذا وجه بعض مقدميهم فى المناظرة فدهش وبلد ، وهو أيضًا تكذيب لقول رسول الله ﷺ إذ يقول : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » « وَكُلُّ شرابٍ أَسْكَرَ حَرَامٌ[٧١] » مع مخالفتهم لكل لغة ولكل ذى حس من مسلم وكافر ومكابرة العيان ، وإبطال المشاهدة ، ثم أطرف شىء إحتجاجهم فى هذه الطامة بأن الله عز وجل هو الذى خلق ذلك كله فقلنا لهم : أو ليس فعل كل حى مختار واختياره خلقًا لله تعالى ؟ فلابدَّ من قولهم نعم . فيقال لهم فمن أين نسبتم الفعل إلى الأحياء وهى خلق الله تعالى ، ومنعتم من نسبة الفعل إلى الجمادات لأنه خلق الله تعالى ولا فرق .. ؟ ولكنهم قوم لا يعقلون .

قال أبو محمد : وسمعت بعض مقدميهم يقول : إن من كان على معاصى خمسة من زنى وسرقة وترك صلاة وتضييع زكاة وغير ذلك ثم تاب عن بعضها دون بعض فإن توبته تلك لا تقبل ، وقد نص السِّمْنانى على أن هذا قول الباقلانى وهو قول أبى هاشم الجُبَّائى ، ثم قال السِّمنانى : هذا قول خارق للإجماع جملة ، وخلاف لدين الأمَّة . هذا نص قول السِّمْنانى فى شيخه وشهدوا على أنفسهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون .

قال أبو محمد : هذا قول مخالف للقرآن والسنن ، لأن الله تعالى يقول « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره[٧٢] » .

وقال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا[٧٣] » الآية وقال تعالى : « أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى[٧٤] » . وبالضرورة يدرى كل ذى مسكة من عقل أن التوبة من الزنا خير كبير ، فهذا الجاهل يقول إنه لا يراه صاحبه ، وأنه عمل ضائع عند الله عزَّ وجل من مسلم مؤمن ، ومعاذ الله من هذا ، وسر هذا القول الملعون وحقيقته التى لابد لقابله منه أنه لا معنى لمن أصرَّ على الزنا أو شرب الخمر ، فى أن يصلىَ ولا فى أن يزكىَ فقد صار يأمر بترك الصلوات الخمس ، والزكاة ، وصوم رمضان والحج ، فعلى هذا القول وقائله لعائن الله تترى ما دار الليل والنَّهار . ونصَّ السِّمنانى عن الباقلانى شيخه أنه كان يقول : إن الله لا يغفر الصغائر باجتناب الكبائر .

قال أبو محمد : وأنا سمعت بعض مقدميهم ينكر أن يكون فى الذنوب صغائر ، وناظرته بقول

---

(٧١) رواه مسلم فى الأشربة : ٧٣ ، ٧٥ ، ورواه البخارى فى الأدب : ٨٠ ، ورواه أبو داود فى الأشربة : ٥ ، ولفظه عند أبى داود : كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام . وفى حديث آخر له : كل شراب أسكر فهو حرام .

(٧٢) الزلزلة : ٧ ، ٨

(٧٣) الأنبياء : ٤٧

(٧٤) آل عمران : ١٩٥

الله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم[٧٥] » وقلت بالضرورة يدرى كل ذى فهم أنه لا كبائر إلا بالإضافة إلى ما هو أصغر منها ، وهى السيئات المغفورة باجتناب الكبائر بنص كلام الله تعالى فقولك هذا خلاف للقرآن مجرد فخلط ولجأ إلى الحرد . وهذا منهم تكذيب لله تعالى ورد لحكمه بلا كلفة .

ومن شنعهم الممزوجة بالهوس وصفاقة الوجوه قولهم : إنه لا حرٌّ فى النار ، ولا فى الثّلج برد ، ولا فى العسل حلاوة ، ولا فى الصبر مرارة وإنما خلق الله تعالى كلَّ ذلك عند اللمس والذوق ، وهذا حمق عظيم[٧٦] قادهم إليه إنكارهم الطبائع وقد ناظرناهم على ذلك . هذا مع قول شيخهم الباقلانى إن لقشور العنب رائحة ، وللزجاج والحصى طعما ورائحة ، وزادوا حتى بلغوا إلى أن قالوا إن للفلك طعما ورائحة ، فليت شعرى متى ذاقوه أو شموه أو من أخبرهم بهذا .. ؟ وهذا لا يعرفه إلا الله ثم الملائكة الذين هنالك ، ولكن من ذاق طعم الزجاج وشم رائحته فغير منكر أن يدعى مشاهدة الفلك ، ولمسه وشمه وذوقه .

ومن شنعهم قولهم إن من كان الآن على دين الإسلام مخلصا بقلبه ولسانه مجتهدًا فى العبادة إلا أن الله عز وجل يعلم أنه لا يموت إلا كافرا فهو الآن عند الله كافر ، وأنَّ من كان الآن كافرا يسجد للنار وللصليب ، أو يهوديا أو زنديقا ، مصرحين بتكذيب رسول الله ﷺ إلا أن فى علم الله تعالى أنه لا يموت إلا مسلمًا ، فإنه الآن عند الله مسلم .

قال أبو محمد : ما قال هذا مسلم قط قبل هشام الفوطى ، وهذه مكابرة للعيان وتكذيب لله عز وجل مجرد ، كأنهم ما سمعوا قط قول الله تعالى « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا[٧٧] » .

فسماهم مؤمنين ثم أخبر تعالى بأنهم كفروا وقوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر[٧٨] » .

فجعل الإسلام دينًا لمن كان عليه إذ كان عليه ، وإن ارتد معه ومات كافرًا ، وقوله تعالى مخاطبًا للمسلمين من أصحاب النبى ﷺ : « ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فمنَّ الله عَلَيْكُمْ[٧٩] » ويلزمهم أن الذى يسلم أبوه ولا يسلم هو لأنه كان بالغًا ثم مات أبوه فلم يرثه لكفره ، ثم أسلم لأن

---

(٧٥) النساء : ٣١
(٧٦) فى (أ) : (عتيق) .
(٧٧) المنافقون : ٢
(٧٨) البقرة : ٢١٧
(٧٩) النساء : ٩٤

يفسخوا حكمهم ويورثوه من أبيه ، لأنه عندهم كان إذ مات أبوه مؤمنا عند الله تعالى ، ويلزمهم أن من كان صبيًا ثم عاش حتى شاخ أنه لم يكن عند الله قط إلا شيخا ، ولو جمع ما يدخل علمهم لقام منه سفر ضخم ، وقالوا كلهم إنه ليس على ظهر الأرض يهودى ولا نصرانى يقر بقلبه أن الله تعالى حق .

قال أبو محمد : هذا تكذيب للقرآن على ما بينا قبل ومكابرة للعيان لأنا لا نحصى كم دخل فى الإسلام منهم ، وصلح إيمانه وصار عدلا ، وكلهم لا يختلف فى أنه كان قبل إسلامه مقرًا بالله عز وجل عالمًا به ، كما هو بعد إسلامه لم يزد فى توحيده شىء ، فكابروا العيان وكذبوا الكواف بحمق وقلة حياء ، لا نظير له .

وقال الباقلانى فى كتابه المعروف « بالانتصار فى القرآن » : معنى قول الله تعالى : « ولا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفر[٨٠]» وقوله تعالى : « لا يُحِبُّ الفَسَادَ[٨١]» إنّما معناه لا يحب الفساد لأهل الصلاح ، ولا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا ، ولم يرد أنه لا يرضاه لأحد من خلقه ولا يحبه لأحد منهم ثم قال وإن كان قد أحب ذلك ورضيه لأهل الكفر والفساد .

قال أبو محمد : وهذا تكذيب لله تعالى مجرد ، ثم أيضًا أخبر بأن الكفار فعلوا من الكفر أمرًا رضيه الله تعالى منهم ، وأحبه منهم فكيف يدخل هذا فى عقل مسلم مع قوله تعالى : « اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم[٨٢]» .. ؟ واعجبوا لظلمه جهله إذ لم يفرق بين إرادة الكفر والمشيئة والخلق له وبين الرضى والمحبة . وقال أيضًا فيه إن أقل من سورة من القرآن ليس معجزًا أصلًا ، بل هو مقدور على مثله . وقال أيضًا فى السفر الخامس من الديوان المذكور إن قيل كيف تقولون أكان يجوز من الله تعالى أن يؤلف القرآن تأليفا آخر غير هذا يعجز الخلق عن مقابلته ؟ قلنا : نعم هو تعالى قادر على ذلك ، وعلى ما لا غاية له من هذا الباب وعلى أقدار كثيرة وأعداد لا يحصيها غيره ، إلا إن كان تأليف الكلام ونظم الألفاظ لابد أن يبلغ إلى غاية وحد لا يحتمل الكلام أكثر منه ، ولا أوسع ولا يبقى وراء تلك الأعداد والأوزان شىء تتناوله القدرة . قال ولنا فى هذه المسئلة نظر فى تأليف الكلام ونظم الأجسام ، وتصوير الأشخاص ، هل يجب أن يكون لا غاية لها[٨٣] أو ذات نهاية لا يحتمل المؤلف والمنظوم فوقها ولا ما هو أكثر منها أم لا .. ؟

---

(٨٠) الزمر : ٧

(٨١) البقرة : ٢٠٥

(٨٢) محمد : ٢٨

(٨٣) فى (أ) : سقط قوله (لا غاية لها أو ذات) وهذا السقط يخل بالمعنى .

قال أبو محمد : هنا صرح بالشك فى قدرة الله تعالى ألها نهاية كما يقول أبو الهذيل أخوه فى الضلالة والكفر أم لا نهاية كما يقول أهل الإسلام .. ؟ ونعوذ بالله من الضلال .

قال أبو محمد : ولقد أخبرنى بعض من كان يداخلهم ، وكان له فيهم سبب قوى ، وكان من أهل الفهم والذكاء ، وكان يرى فى باطن أمره عليهم ، أنهم يقولون إن الله تعالى مذ خلق الأرض فإنه خلق جسما عظيما ، يمسكها عن أن تهوى هابطة ، فلما خلق ذلك الجسم أفناه فى الوقت بلا زمان ، وخلق آخر مثله يمسكها أيضًا ، فلما خلقه أفناه إثر خلقه بلا زمان أيضًا ، وخلق آخر وهكذا أبدا بلا نهاية .

قال لى وحجتهم فى هذا الوسواس والكذب على الله تعالى ، فيه مما لم يقله أحد قبلهم مما يكذبه الحس والمشاهدة ، أنه لابد للأرض من جسم ممسك وإلا هوت ، فلو كان ذلك الممسك فى[٨٤] وقتين أو مقدار طرفة عين لسقط هو أيضًا معها ، فهو إذًا خلق ثم أفنى إثر خلقه ، ولم يقع لأن الجسم عندهم فى ابتداء خلقه لا ساكن ولا متحرك .

قال أبو محمد : وهذا احتجاج للحمق بالحمق ، وما عقل أحد قط جسمًا لا ساكنًا ولا متحركًا ، بل الجسم فى ابتداء خلق الله تعالى له فى مكان محيط به من جهاته ولا شك ، ساكن فى مكانه ثم تحرك ، وكأنهم لم يسمعوا لقول الله تعالى : « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا[٨٥] » فأخبر تعالى أنه ممسكها كما يشاء دون تكلف [خلق آخر إذ] لم يخبرنا الله تعالى به ولا جعل فى العقول دليلا عليه ، ولو أن قائل هذا الحمق وقف على الحق وطالع شيئا من براهين الهيئة ، لخجل مما أتى به من الهوس . ومن شنعهم قول هذا الباقلانى فى كتابه المعروف « بالانتصار فى القرآن » إن تقسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره شىء فعله الناس وليس هو من عند الله تعالى ، ولا من أمور رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : قد كذب هذا الجاهل وأفك ، أتراه ما سمع قول الله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها[٨٦] » وقول رسول الله ﷺ فى آية الكرسى[٨٧] وآية الكلالة والخبر أنه عليه السلام كان يأمر إذا نزلت الآية أن تجعل فى سورة كذا فى موضع كذا ، ولو أن الناس رتبوا سورة لما تعدَّو أحد وجوه ثلاثة ، إما : ان يرتبوها على الأول فالأول نزولًا ، أو الأطول

---

(٨٤) فى (أ) : (يبقى) .

(٨٥) فاطر : ٤١

(٨٦) البقرة : ١٠٦

(٨٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لكل شىء سنام ، وأن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى (أخرجه الترمذى ورقمه ٢٨٨١ فى ثواب القرآن ، وإسناده ضعيف ، ولكن شواهد بمعناه يقوى بها .

فما دونه ، أو الأقصر فما فوقه ، فإذ ليس ذلك كذلك فقد صح أنه أَمْرُ رسول الله ﷺ الذى لا يُعَارَضْ عن الله تعالى ، لا يجوز غير ذلك أصلًا . ومن شنعهم قول الباقلانى فى كتابه فى مذاهب القرامطة قرب آخر الكتاب فى بابٍ ترجمته « ذكر جمل مقالات الدهرية والفلاسفة والثنوية » قال الباقلانى : فأما ما يستحيل بقاؤه من أجناس الحوادث وهى الأعراض ، فإنما يجب عدمها فى الثانى من حال حدوثها من غير مُعَدِم ولا شيء يفنيها . هذا نص كلامه . وقال متصلًا بهذا الفصل : وأما نحن فنقول إنها تفنى الجواهر ، تفنى بقطع الأكوان عنها من حيث لا يصح لها وجود لا فى مكان ولا فيما يقدَّر تقدير المكان ، فإذا لم يلحق فيها شيء من الأكوان فعدم ما كان يخلق فيها منها أوجب عدمها . هذا نص كلامه وهذا قول الدهرية نصًّا ، إذ قالت بأفعال لا فاعل لها ، وهو يقول بأن[88] فناء الجواهر والأعراض هو فناء وإعدام لا فاعل لهما ، وأن الله تعالى لم يفن الفانى ونعوذ بالله من هذا الضلال والإلحاد المحض . وقالوا بأجمعهم : ليس لله تعالى على الكفار نعمة دينية أصلًا . وقال الأشعرى شيخهم : ولا له عز وجل على الكفار نعمة دينوية أصلًا ، وهذا تكذيب منه ومن أتباعه الضلال لله عز وجل إذ يقول : « بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار[89] » وإذ يقول عز وجل : « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين[90] » . وإنما خاطب تعالى بهذا كفارا جحدوا نعمة الله تعالى تبكيتا لهم وأما الدنيوية فكثير قال تعالى : « قتل الإنسان ما أكفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره إلى قوله فلينظر الإنسان إلى طعامه[91] » الآية ومثله فى القرآن كثير . وقال الباقلانى فى كتابه المعروف بالانتصار فى القرآن فى باب مترجم « باب الدلالة على أن القرآن معجزة للنبى ﷺ » وذكر سؤال الملحدين عن الدليل على صحة ما ادعاه المسلمون من أن القرآن معجز ، فقال الباقلانى : يقال لهم : أما معنى وصف القرآن وغيره من آيات الرسول ﷺ بأنه معجز فإنما معناه أنه مما لا يقدر العباد عليه ، وإن لم يكونوا عاجزين على الحقيقة ، وإنما صار وصف القرآن وغيره من آيات الرسل عليهم السلام كعصى موسى ، وخروج الناقة من الصخرة ، وإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى ، بأنه معجز وإن لم يتعلق به عجز عاجز – على وجه التشبيه[92] بما يعجز عنه العاجز من الأمور التى يصح عجزهم عنها ، وقدرتهم عليها ، لأنهم لما لم يقدروا على معارضات آيات الرسل عبر عن عدم قدرتهم على ذلك بالعجز عنه تشبيهها بالمعجوز

---

(٨٨) سقط الكلام فى (أ) : من قوله (الدهرية إلى بأن فناء الجواهر) .

(٨٩) إبراهيم : ٢٨

(٩٠) البقرة : ٤٧

(٩١) عبس : ١٧ – ٢٤

(٩٢) فى (أ) : (التسمية) وهو تحريف .

عنه . قال الباقلانى ومما يدل على أن العرب لا يجوز أن تعجز عن مثل القرآن أنه قد صح وثبت أن العجز لا يكون عجزا إلا عن موجود ، فلو كانوا على هذا الأصل عاجزين عن مثل القرآن وعصا موسى ، وإحياء الموتى ، وخلق الأجسام والأسماع والأبصار ، وكشف البؤس[٩٣] والعاهات لوجب أن يكون ذلك المثل موجودًا فيهم ومنهم كما أنهم لو كانوا قادرين على ذلك لوجب أن يكون ذلك منهم ولمّا لم يكن ذلك. كذلك ثبت أنه لا يجوز عجز العباد على الحقيقة عن مثل القرآن مع عدمه ، منهم ، وكونه غير موجود لهم ، ولا عن قلب عصا موسى حية ، ولا عن مثل ذلك .

قال أبو محمد : أينتظر كفرٌ بعد هذا الكفر فى تصريحه أن العباد والعرب لا يجوز أن يعجوزا عن مثل القرآن ، ولا عن قلب العصا حية ؟! ولا يغتر ضعيف بقوله إنهم غير قادرين على ذلك فإنما هو على قوله المعروف من أن الله لا يقدر على غير ما فعل ، وظهر منه فقط ، ومن عظيم المحال قوله فى هذا الفصل : إنه لا يجوز أن يعجز العاجز إلا عن ما يقدر عليه مع أن هذا الكلام منه موجب أنهم إن عجزوا عن مثل القرآن قدروا عليه ، وما يمترى فى أنه كان كايدًا للإسلام ملحدًا لا شك فيه فهذه الأقوال لا ينطلق بها لسان مسلم . ومن أعظم البراهين على كفر الباقلانى وكيده للدين قوله فى فصل آخر من الباب المذكور ، فى الكتاب المذكور ، إنه لا يجب على من سمع القرآن من محمد بن عبد المطلب أن يبادر إلى القطع على أنه له آية ، وأنه على يده ظهر ، ومن قِبَلِه نجم حتى يسأل أهل النواحى والأطراف ، ونقلة الأخبار ويتعرف حال المتكلمين بذلك اللسان فى الآفاق ، فإذا علم بعد التثبت والنظر ، أنه لم يسبقه إلى ذلك أحد لزمه حينئذ اعتقاد نبوته .

قال أبو محمد : وهذا إنسان خاف معاجلة الأمثلة بالرجم ، كما يرجم الكلب إن صرح بأن نبوة محمد ﷺ باطل ، فصرح لهم بما يؤدى إلى ذلك من قرب ، إذ أوجب بأن لا يُقرّ أحد بنبوة محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب ولا بأنه أتى بالقرآن ، ولا بأنه آية من آياته تدل على صحة نبوته ، إلا حتى يسأل أهل النواحى والأطراف ، وينتظر الأخبار ويتعرف حال المتكلمين بالعربية فى الآفاق .

قال أبو محمد : فأحال والله على عمل لا نهاية له ولو عمر الإنسان عمر نوح عليه السلام ، لأن سؤال أهل النواحى والأطراف لا ينقضى فى ألف عام ، وانتظار الأخبار ليس له حدّ ، وليت شعرى متى يصل المحدود وطالب المعاش إلى طرف من هذا المجال .. ؟ لأن أهل النواحى هم من بين صدر الصين إلى آخر الأندلس ، إلى بلاد الزنج ، إلى بلاد الصقالبة فما بين ذلك ، فلاح كفر هذا الجاهل الملحد وكيده للإسلام لكل من له أدنى حس .

---

(٩٣) ف (أ) : (البلوى) .

قال أبو محمد : مع ضعف كيده فى ذلك قال الله تعالى : « إن كيد الشيطان كان ضعيفا[٩٤]» ويكفى من كل هذر أتى به فى هذا الفصل الملعون قائله أن من له علم قوى بالعربية والأخبار يكفيه تيقن عجز العرب عن معارضته ، فمن بعدهم إلى اليوم وأنه من عنده ضرورة لأنه لم ينزل القرآن جملة ، فيمكن فيه الدعوى من أحد وإنما نزل مقطعًا فى كل قصة تنزل يتنزل فيها قرآن ، وهذه ضرورة موجبة أنه من عنده عليه السلام ظهر بوحى الله تعالى إليه ، وبما فيه من الغيوب التى قد ظهر إنذاره بها ، وأما من لا علم له باللغة والأخبار فيكفيه إخبار من يقع له العلم بخبره ، بأن العرب عجزت عن مثله ، وأنه أتى به مفصلًا عند حلول القصص التى أنزل الله تعالى فيها الآية والآيتين ، والكلمة والكلمتين ، من القرآن والسورة ، حتى تَّم كما هو ، فهذا هو الحق ولا ذلك الإلحاد المحض ، والكلام الغثُّ السخيف .

ومن كفرانهم الصُّلع قول السّمنانى إذ نصَّ على أن الباقلانى كان يقول : إن جميع المعاصى كلها لا نجد شيئا منها مما يجب أن يستغفر الله منه جائز وقوعها من النبى ﷺ حاشى الكذب فى البلاغ فقط . وقال الباقلانى : إذا نهى النبى ﷺ عن شىء ثم فعله فليس ذلك دليلا على أنه منسوخ ، إذ قد يفعله عاصيًا لله عز وجل . قال الباقلانى وليس على أصحابه فرضًا أن ينكروا ذلك عليه . قال السّمنانى فى كتاب الإمامة : لولا دلالة العقل على وجوب كون النبى ﷺ معصومًا فى البلاغ عن الله عز وجل لما وجب كونه معصوما فى البلاغ ، كما لا يجب فيما سواه من أفعاله وأقواله . وقال أيضًا فى مكان آخر منه وكذلك يجوز أن يكفر النبى بعد أداء الرسالة .

قال أبو محمد : بالله الذى لا إله إلا هو ما قال هذا القول ناصرًا له ، وداعيا إليه مسلم قط ، وما كان قائله إلا كافرًا ملحدًا ، فاعلموا أيها الناس أنه قد جوّز على النبى ﷺ الكفر والزنا ، واللياطة ، والبغاء ، والسرقة ، وجميع المعاصى فأى كيد للإسلام يا للناس أعظم من هذا .. ؟؟ وأما صاحبه بن فورك فإنه منع من هذا وأنكره ، وأجاز على النبى ﷺ صغار المعاصى كقُبلِ النساء والتعريض لهن[٩٥]، وتفخيذ الصبيان ، ونحو ذلك ، وأما شيخهما بن مجاهد البصرى ليس بالمقّرى فإنه منع من كل ذلك وحاشى لله من أن يُجَوّز من النبى ﷺ ذنبا يعمد لا صغيرًا ولا كبيرًا ، لقول الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة[٩٦]» ومن المحال أن يأمرنا لله تعالى أن نتأسّى بعاصى فى معصية صغرت أو كبرت ، واعجبوا لاستخفاف هذا الملحد بالدين وبالمسلمين ، إذ يقول هاهنا إنه ليس فرضًا على أصحاب النبى ﷺ أن ينكروا عليه عصيان ربه ،

---

(٩٤) النساء : ٧٦

(٩٥) أى إبداء الرغبة فى الزواج منهن لقوله تعالى : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء : ٢٢٥ البقرة » .

(٩٦) الأحزاب : ٢١

ومخالفة أمره الذى أمرهم به ، وهو يقول فى نصره للقياس إن قياس من قاس من الصحابة وسكوت من سكت منهم عن إنكاره دليل على وجوب الحكم بالقياس ، لأنهم لا يقرون على منكر فما وجب إقرارهم على المنكر من النبى ﷺ حاشى لله من هذا ، وأنكر إقرارهم على القياس لو كان منكرا ، فجمع فى هذا[٩٧] المناقضة والكذب فى دعوى القياس على الصحابة ، ودعوى معرفة جميعهم بقياس من قاس منهم ودعوى أنهم لم ينكروه ، وهذه صفات الكذّابين المتلاعبين بالدِّين . ومن طوامِّهم ما حكاه السِّمنانى عن الباقلانى أنه قال : واختلفوا فى وجوب كون النبى ﷺ أفضل أهل وقته فى حال الرسالة . وما بعدها ، إلى حيِّز[٩٨] موته فأوجب ذلك قائلون وأسقطه آخرون . قال الباقلانى وهذا هو الصحيح وبه نقول .

قال أبو محمد : هذا والله الكفر الذى لا خفاء به إذ جوز أن يكون أحد ممن فى عصر النبى ﷺ فما بعده أفضل من رسول الله ﷺ وما أنكرنا على أحمد بن خابط إلّا دون هذا ، إذا قال : إن أبا ذر كان أزهد من النبى ﷺ ؟ هذا مع قول هذا المستخف الباقلانى الذى ذكره عنه السِّمنانى فى كتابه الكبير فى كتاب الإمامة ، منه أن من شرط الإمام أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه .

قال أبو محمد : يا للعيارة بالدين يجوز عند هذا الكافر أن يكون فى الناس غير الرسل أفضل من رسول الله ﷺ ولا يجوز عنده أن يلى الإمامة أحد يوجد فى الناس أحد أفضل منه ؟! ثم حمقه أيضا فى هذا حمق عتيق ، لأنه تكليف ما لا يطاق ، ولا سبيل إلى القطع بفضل أحد على أحد الا بنص من الله تعالى ، فكيف يحاط بالأفضل من قريش وهم مبثوثون من أقصى السند وكابل ومكران إلى الأشبونة ، إلى سلا فسواحل البحر المحيط ومن سواحل بحر اليمن ، إلى ثغور أرمينية وأذربيجان فما بين ذلك ، اللهم العن من لا يستحى ومن العجب أن هذا النذل الباقلانى قطع بخلاف الإجماع وقد أجاز ما لك من قرأ عند أبى حنيفة فى إجازته القراءة بالفارسية ، وصرح بأن ترتيب الآيات فى القرآن إجماع ، وقد أجاز مالك لمن قرأ عند غروب الشمس وطلوعها فجاته آية سجدة أن يصل التى قبلها بالتى بعدها ، فمالك عنده مخالف للإجماع ، وقطع بأن الشافعى خالف الإجماع فى قوله بإبطال القياس ، أفلا يستحى هذا الجاهل من أن يصف فى قوله بأن بسم الله الرحمن الرحيم آية من أم القرآن ، وأن داود خالف الإجماع فى قوله بإبطال القياس . أفلا يستحى هذا الجاهل من أن يصف العلماء بصفته مع عظيم جهله بأن عاصمًا وابن كثير

---

(٩٧) فى (أ) : (بين هذه) .
(٩٨) فى (أ) : (جين) .

وغيرهما من القراء وطائفة من الصحابة تقول بقول الشافعى الذى جعله خلافا للإجماع ، وأنه لم يأت قط عن أحد من الصحابة إيجاب الحكم بالقياس ، من طريق تثبت ، وأنه قد قال بإنكاره ابن مسعود ومسروق والشعبى وغيرهم . ولكن من يضلل الله فلا هادى له ، ومن عجائبه قوله : إن العامى إذا نزلت به النازلة ففرضه أن يسأل أفقه أهل بلده ، فإذا أفتاه فهو فرضه فإن نزلت به تلك النازلة ثانية لم يجز له أن يعمل بتلك الفتيا . لكن يسأل ثانية . إما ذلك الفقيه وإما غيره ، ففرضه أن يعمل بالفتيا الثانية ، وهكذا أبدا .

قال أبو محمد : هذا تكليف ما لا يطاق إذ أوجب على كل واحد من العامة أن يسأل أبدًا عن كل ما ينوبه فى صلاته وصيامه وزكاته ونكاحه وبيوعه ، وتكرار السؤال عن كل ذلك كل يوم بل كل ساعة فهل فى الحماقة أكثر من هذا ؟ ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

« ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم »

قال أبو محمد : ادعت طائفة من الصوفية أن فى أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل ، وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها ، من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك ، وحلت له المحرمات كلها ، من الزّنا والخمر وغير ذلك ، واستباحوا بهذا نساء غيرهم ، وقالوا : إننا نرى الله ونكلمه ، وكل ما قذف فى نفوسنا فهو حق . ورأيت لرجل منهم يعرف « بابن شمعون » كلاما نصه أن لله تعالى مائة اسم ، وان الموفى مائة هو ستة وثلاثون حرفا ، ليس منها فى حروف الهجاء شىء إلا واحد فقط ، وبذلك الواحد يصل أهل المقامات إلى الحق . وقال أيضًا أخبرنى بعض من رسم لمجالسة الحق أنه مدَّ رجله يومًا فنودى ما هكذا يجالس الملوك ، فلم يمدّ رجله بعدها ، يعنى أنه كان مديمًا لمجالسة الله تعالى .

وقال أبو حاضر النُّصيبى من أهل نصيبين ، وأبو الصَّباح السمرقندى وأصحابهما : إن الخلق لم يزالوا مع الله ، وقال أبو الصَّباح لا تحل ذبائِح أهل الكتاب ، وخَطّأ فعل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى قتال أهل الردّة ، وصوَّب قول الصحابة الذين رجعوا عنه فى ترك[1] حربهم . وقال أبو شعيب القلال : إن ربه جسم فى صورة إنسان لحم ودم ، ويفرح ويحزن ويمرض ويفيق . وقال بعض الصوفية : إن ربَّه يمشى فى الأزقة حتى إنه يمشى فى صورة مجنون يتبعه الصبيان بالحجارة ، حتى يدموا عقيبه ، فاعلموا رحمكم الله أن هذه كلها كفرات صلع ، وأقوال أقوام يكيدون الإسلام وصدق القائل :

شهدت بأن ابن المعلم هازل بأصحابه والباقلانى أهزل
وما الجعل الملعون فى ذاك دونه وكلهم فى الإفك والكفر منزل

والله ما هم مع المغرورين بهم فى قولهم عنهم وحسن الظن بهم ، إلا كما قال الآخر :

وساع مع السلطان يبغى عليهم ومحترس من مثله وهو حارس

* * *

فاعلموا رحكمكم الله أن جميع فرق الضلالة لم يجر الله تعالى قط على أيديهم خيرًا ، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ولا رفع للإسلام راية ، ومازالوا يسعون فى قلب نظام المسلمين ، ويفرقون كلمة المؤمنين ، ويسلّون السيف على أهل الدين ، ويسعون فى الأرض مفسدين . أما الخوارج والشيعة : فأمرهم فى هذا أشهر من أن يتكلف ذكره ، وما توصلت الباطنية إلى كيد الإسلام وإخراج الضعفاء عنه[٢] إلى الكفر إلا على ألسنة الشيعة ، وأما المرجئة فكذلك إلا أن الحارث بن سريج خرج بزعمه منكرًا للجور ، ثم لحق بالترك فقادهم إلى أرض الإسلام فأنهب الديار ، وهتك الأستار ، والمعتزلة فى سبيل ذلك إلا أنه ابتلى بتقليد بعضهم المعتصم والواثق جهلًا ، وظنا أنهم على شىء ، وكان للمعتصم فتوح محمودة كبابل[٣] والمازيار وغيرهم فالله الله أيها المسلمون تحفظوا بدينكم ، ونحن نجمع لكم بعون الله الكلام فى ذلك ، الزموا القرآن وسنن رسول الله ﷺ ، وما مضى عليه الصّحابة رضى الله عنهم والتابعون وأصحاب الحديث عصرًا عصرًا ، الذين طلبوا الأثر ، فلزموا الأثر ودعوا كل محدثة فكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، وبالله تعالى التوفيق .

تم الكلام فى شنع المبدعين من أهل الأهواء والنحل المضلة والحمد لله رب العالمين[٤] .

---

(١) فى (أ) : سقطت كلمة (ترك) .

(٢) فى (أ) : (منه) .

(٣) بابل : بكسر الباء : اسم ناحية منها الكوفة والحِلَّة ، ينسب إليها السِّحر ، والخمر ، قال المفسرون فى قوله تعالى : « وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » قيل : بابل العراق ، وقيل بابل دُنْباوَنْد ، وقال أبو الحسن : بابل الكوفة . وقال أبو معشر : الكلدانيون : هم الذين كانوا ينزلون بابل فى الزمن الأول ، ويقال : إن أول من سكنها : نوح عليه السلام ، وهو أول من عمرها ، وكان قد نزلها عقب الطوفان ، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدف ، فأقاموا بها وتناسلوا فيها ، وابتنوا بها المدائن ، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كَسْكر ، ومن الفرات إلى ما وراء الكوفة . (معجم البلدان : الجزء الأول بيروت ١٣٨٨ هـ : ص ٣٠٩) .

(٤) فى (أ) : سقط الكلام من قوله : (تم الكلام إلى رب العالمين) .

« المعانى التى يسمّيها أهل الكلام اللطائف والكلام فى السحر ، وفى المعجزات التى فيها إحالة الطبائع أيجوز وجودها[1] لغير الأنبياء ﷺ أم لا »

قال أبو محمد : ذهب قوم إلى أن السحر قلب للأعيان ، وإحالة للطبائع وأنهم يُرون أعين الناس ما لا يُرى ، وأجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عزَّ وجل لهم اختراع الأجسام وقلب الأعيان ، وجميع إحالة الطبائع ، وكل معجز للأنبياء عليهم السلام ، ورأيت لمحمد بن الطيب الباقلانى : أن الساحر يمشى على الماء على الحقيقة ، وفى الهواء ، ويقلب الإنسان حمارًا على الحقيقة ، وأن كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة ، وأنه لا فرق بين آيات الأنبياء وبين ما يظهر من الإنسان الفاضل ومن الساحر أصلًا إلا بالتحدى ، فإن النبى يتحدى الناس بأن يأتوا بمثل ما جاء هو به ، فلا يقدر أحد على ذلك فقط ، وأن كل ما لم يَتَحدّ به النبى الناس فليست آية له ، وقطع بأن الله تعالى لا يقدر على إظهار آية على لسان متنبىء كاذب . وذهب أهل الحق إلى أنه لا يقلب أحد عينا ، ولا يحيل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه فقط سواء تحدُّوا بذلك أو لم يتحدوا ، وكلّ ذلك آيات لهم عليهم السلام تحدَّوا بذلك أم لا . والتَّحدى لا معنى له وأنه لا يمكن وجود شىء من ذلك لا لصالح ، ولا لساحر ، ولا لأحد غير الأنبياء عليهم السلام ، والله تعالى قادر على إظهار الآيات على أيدى الكذابين المدعين للنبوة ، ولكنه تعالى لا يفعل ذلك كما لا يفعل ما لا يفعل ما لا يريد أن يفعله من سائر ما هو قادر عليه .

* * *

قال أبو محمد : وهذا هو الحق الذى لا يجوز غيره ، برهان ذلك قول الله عز وجل :

---

(١) فى (أ) : (واحدها) .

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته[٢] » . وقال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها[٣] » . وقال تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون[٤] » .

فصح أن كل ما فى العالم وبما قد رتبه الله عز وجل الرتب[٥] التى لا تتبدل ، وصح أن الله عز وجل أوقع كل اسم على مسماه فلا يجوز أن يوقع اسم من تلك الأسماء على غير مسماه الذى أوقعه الله تعالى عليه ، لأنه كان يكون تبديلًا لكلمات الله تعالى التى أبطل عزَّ وجل أن تبدل ، ومنع من أن يكون لها مبد ، ولو جاز أن تحال صفات مسمًّى منها التى بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الإسم عليه لوجب أن يسقط عنه ذلك الإسم الذى أوقعه الله تعالى عليه ، فإذ ذلك كذلك فقد وجب أن كل ما فى العالم مما قد رتبه الله تعالى على ما هو عليه من فصُوله الذاتية وأنواعه وأجناسه ، فلا يتبدل منه شيء قطعا إلا حيث قام البرهان على تبدله ، وليس ذلك إلا على أحد وجهين إما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة ، وعلى ما بنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المنى حيوانًا ، والنوى والبذور شجرة ونباتًا وسائر الاستحالات المعهودات ، وإما استحالة لم تعهد قط ولا بنى الله تعالى العالم عليها ، وذلك[٦] قد صح للأنبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم ، وجد[٧] ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم ، ونقل إلى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضرورى ، فوجب الإقرار بذلك وبقى ما عدا أمر الأنبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز ألبتة وجود ذلك لا من ساحر ولا من صالح بوجه من الوجوه ، لأنه لم يقم برهان بوجود ذلك ولا صح قط به نقل ، وهو ممتنع فى العقل كما قدمنا ولو كان ذلك ممكنًا لاستوى الممتنع والممكن والواجب ، وبطلت الحقائق كلها ، وأمكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة . ونسأل من جوَّز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل أحد غير هذين أم لا يجوز إلا لهذين فقط ؟ فإن قال إن ذلك لا يجوز[٨] إلا للساحر وللفاضل فقط ، وهذا هو قولهم ، سألناهم عن الفرق بين هذين ، وبين سائر الناس ، ولا سبيل لهم إلى الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم إلا بالدعوى التى لا يعجز عنها أحد ، وإن قالوا : إن ذلك جائز أيضًا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يثبتوا حقيقة ، وجاز تصديق من يدعى أنه يصعد إلى السماء ، ويرى الملائكة ، وأنه يكلم الطير ويجتنى من شجر الخروب التمر والعناب ، وأن رجالًا حملوا وولدوا وسائر

---

(٢) الأنعام : ١١٥
(٣) البقرة : ٣١
(٤) يس : ٨٢
(٥) فى (أ) : (الترتيب) .
(٦) فى (أ) : (ولذلك) .
(٧) فى (أ) : (وجود) .
(٨) فى (أ) : سقطت كلمة (لا يجوز) .

التخليط الذى من صار إليه وجب أن يعامل بما هو أهله إن أمكن أو أن يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه .

قال أبو محمد : لا فرق بين من ادعى شيئًا مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة ، ردّ الشمس على علىّ بن أبى طالب مرتين حتى ادَّعى بعضهم أن حبيب ابن أوس قال :

فَرُدَّتَ عَلَيْنَا الشَّمْسُ واللَّيْلُ رَاغِمٌ ... بِشَمْسٍ لَهُم مِنْ جَانِبِ الْخِدْرَ تَطْلُع

فَضَاضوءهُا صِبْغِ الدُّجُنَّةِ فانطوى ... لِبَهْجَتِهِا ثَوبُ السَّمَاءِ المُجَزَّعُ

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ... ألمت بنا أم كان فى الركب يُوشَعُ ؟[9]

وكذلك دعوى النصارى لرهبانهم وقدمائهم فإنهم يدعون لهم من قلب الأعيان أضعاف ما يدعيه هؤلاء ، وكذلك دعوى اليهود لأحبارهم ، ورؤوس المثايب عندهم أن رجلًا منهم رحل من بغداد إلى قرطبة فى يوم واحد ، وأنه أنبت[10] قرنين فى رأس رجل مسلم من بنى الاسكندرانى ، كان يسكن بقرطبة عند باب اليهود . وهذا كله باطل موضوع وبنو الاسكندرانى كانوا أقوامًا أشرافًا معروفين لم يعرف لأحد منهم شىء من هذا ، والحماقة لا حَدَّ لها ، وهذا برهان كاف لمن نصح نفسه .

* * *

قال أبو محمد : وأما السحر فإنه ضروب منه ما هو من قبل الكواكب ، كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب ، فى وقت كون القمر فى العقرب فينتفع إمساكه من لدغة العقرب ، ومن هذا الباب كانت الطلسمات ، وليست إحالة طبيعة ولا قلب عين ، ولكنها قوى ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى أخرى كدفع الحر للبرد ، ودفع البرد للحر ، وكقتل القمر للدابة الدابرة الدبرة ، إذا

---

(٩) جاءت هذه الأبيات ضمن قصيدة مدح بها أبو تمام أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ومطلعها :

أمَا إنَّه لولا الخليط المودِّع ... ورَبْعٌ عفا منه مَصيف ومَرْبَع

لرُدَّت على أعقابها أرْيَحيَّة ... من الشّوق واديها من الهَمّ مُترعُ

وقد جاءت الأبيات محرفة فى الأصول وفى (أ) .

نضا : أى نزع . الدُّجنّة : ظلمة الليل ، أرد أن الشمس إذا طلعت غاب لون السماء الذى يظهر بالليل ، وجعله مجزّعا لأجل النجوم ، والتجزيع فى الشىء أن يكون فيه لونان مختلفان .

والبيت الثالث محمول على ما يحكيه أهل الكتاب أن الشمس ردَّت ليوشع بن نون ، وقد روى أن أبا تمام غيّر هذا البيت لما سمع أن الشيعة تزعم أن على بن أبى طالب ردَّت له الشمس فقال :

« فوالله ما أدْرِى عَلِىٌّ بدالنا » ... يريد أعُلِىٌّ فحذف همزة الاستفهام

(راجع ديوان أبى تمامن بشرح الخطيب التبريزى : ٣١٩/٢ ط دار المعارف مصر – الثانية) .

(١٠) فى (أ) : (أثبت) .

لاقى الدبرة ضوءه إذا كانت دبرتها مكشوفة للقمر ، ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا قد شاهدنا آنفًا[١١] آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها جرادة ولا يقع فيها برد وكَسَرُقسطه التى لا يدخلها جَيْش إلا أن يدخلها كرها ، وغير ذلك كثير جدًّا لا ينكره إلا معاند ، وهى أعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة ، وانقطع من العالم ، ولم يبق إلا آثار صناعاتهم فقط ، ومن هذا الباب كان ما تذكره الأوائل فى كتبهم فى الموسيقا ، وأنه كان يؤلف به بين الطبائع ، وينافر به أيضًا بينها ، ونوع آخر من السحر يكون بالرُّقَى وهو كلام مجمع من حروف مقطعة فى طوالع معروفة أيضا ، فيحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخرى وقد شاهدنا واختبرنا[١٢] من كان يرقى الدمل الحاد القوى الظهور فى أول ظهوره فييبس بدًأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يُبسه فى اليوم الثالث ، ويقلع كما تُقلع قشرة القرحة ، إذا تم يُبسها ، جربنا من ذلك ما لا نحصيه ، وكانت هذه المرأة ترق أحد دميلين قد دفعا على إنسان واحد ولا ترقى الثانى فييبس الذى رقت ويتم ظهور الذى لم ترق ، ويلقى حامله منه الأذى الشديد ، وشاهدنا من كان يرقى الورم المعروف بالخنازير فيندمل ما يفتح منها ويذبل ما لم ينفتح ويبرأ كل ذلك البرء التام ، كان لا يزال يفعل ذلك فى الناس والدواب ، ومثل هذا كثير جدًّا ، وقد أخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقته وتجربتنا لصدقه وفضله ، أنه شاهد ما لا يحصى ، نساء يتكلمن على الذين يمخضون الزبد من اللبن ، بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملاقاة فضلة الصفراء بالسقمونيا ، وملاقاة ضعف القلب بالكندر ، وكل هذه المعانى جارية على رتبة واحدة ، من طلب علم كل ذلك أدركه ، ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد ، وما أشبه ذلك ومنه ما يكون لطف يد كحيل أبى العجائِب ، التى شاهدها الناس ، وهى أعمال لطيفة لا تحيل طبعًا أصلا .

* * *

قال أبو محمد : وكل هذه الوجوه التى ذكرنا ليست من باب معجزات الأنبياء عليهم السلام ، ولا من باب ما يدعيه أهل الكذب للسحرة وللصالحين لأن معجزات الأنبياء خارجة عن الرتب ، وعن طبائع كل ما فى العالم ، وعن بنية العالم ، لا يجرى شىء من ذلك على قانون ، ولا على سنن معلوم ، لكن قلب عين وإحالة صفات ذاتية كشق القمر ، وفلق البحر ، واختراع

---

(١١) فى (أ) : (أنفسنا) .

(١٢) فى (أ) : (وجربنا) .

طعام وماء ، وقلب العصا حية ، وإحياء ميت قد أرم ، وإخراج ناقة من صخرة ، ومنع الناس من أن يتكلموا بكلام مذكور ومن أن يأتوا بمثله ، وما أشبه هذا من إحالة الصفات الذاتية ، التى بوجودها تستحق الأسماء ، ومنها تقوم الحدود وهذا بعينه هو الذى يدعيه المبطلون للساحر وللفاضل .

قال أبو محمد : وإنما يلوح الفرق جدا بين هذين السبيلين[١٣] لأهل العلم بحدود الأسماء والمسميات ، وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من أجناس أجناسه إلى أنواعه إلى أشخاصه وما هو من أعراضه ذاتى ، وما هو منها غيرى وما تسرع الاستحالة والزوال من الغيرى منها وما يبطىء زواله منها ، وما يثبت منها ثبات الذاتى ، وإن لم يكن ذاتيًا والفرق بين البرهان وبين ما يظن أنه برهان وليس برهانًا . والحمد لله على ما وهب وأنعم به علينا لا إله إلا هو .

حدثنا محمد بن سعيد بن نبات ، حدثنا أحمد بن عبد البصير ، قال ، ثنا قاسم بن أصبغ ، ثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، ثنا محمد ابن المثنى ، ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، ثنا سفيان الثورى عن أبى إسحق الشيبانى ، عن بشير بن عمرو قال : ذكر الغيلان عند عمر بن الخطاب فقالوا إنهم يتحولون فقال عمر : إنه ليس أحد يتحول عن خلقه الذى خلق له لكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا خشيتم شيئا من ذلك فأذِّنوا . فهذا عمر رضى الله عنه يبطل إحالة الطبائع ، ويقول : إن السحر ليس فيه إحالة طبع[١٤]، وهذا نص قولنا . والحمد لله رب العالمين كثيرا . وقد نص الله عز وجل على ما قلنا فقال تعالى : « فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى[١٥]» .

فأخبر تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخيلًا لا حقيقة له . وقال تعالى : « إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى[١٦]» .

فأخبر تعالى أنه كيد لا حقيقة له ، فإن قيل قد قال عز وجل : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم[١٧]» .

قلنا نعم إنها حيل عظيمة وإثم عظيم ، إذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله ﷺ وأنهم كادوا عيون الناس إذ أوهموهم أن تلك الحبال والعصى تسعى ، واتفقت الآيات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذى قدر من لا يدرى حيلهم من أنها تسعى ظنا أصله اليقين وذلك لأنهم

(١٣) فى (أ) : (السببين) .
(١٤) فى (أ) : سقط الكلام من قوله (ويقول إلى طبع) .
(١٥) طه : ٦٦
(١٦) طه : ٦٩
(١٧) الأعراف : ١١٦

رأوا صفات حيَّات رُقْط طوال تضطرب ، فسارعوا إلى الظن ، وقدروا أنها ذات حيات ، ولو أنعموا النظر وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها ، وأنها ملئت زئبقًا ولد فيها تلك الحركات ، كما يفعل العجائبى الذى يضرب بسكينه فى جسم إنسان ، فيظن من رآه ممن لا يدرى حيله أن السكين غاصت فى جسم المضروب ، وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط ، فغاصت السكين فى النصاب ، وكإدخاله خيطًا فى حلقة خاتم ، ثم يمسك إنسان غير متهم طرفى الخيط بيديه ، ثم يأخذ العجائبى الخاتم الذى فيه الخيط بفيه ، وفى ذلك المقام أدخله تحت يده وكان فى فيه خاتم آخر يرى من حضر حلقة الخاتم الذى فى فيه يوهمهم أنه قد أخرجه من الخيط ، ثم يرد فمه إلىٰ الخيط ويرفع يديه وفيه فينظر الخاتم الذى كان فيه الخيط ، وكذلك سائر حيلهم . وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » .

أى أنهم أوهموا الناس فيما رأوه ظنونا متوهمة لا حقيقة لها ، ولو فتشوها للاح لهم الحق وكذلك قول الله عز وجل : « فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجة[١٨] » فهذا أمره ممكن يفعله النَّمام وكذلك ما روى عن أن رسول الله ﷺ سحره لبيد بن الأعصم ، فولَّد ذلك عليه مرضًا حتى كان يظن أنه فعل الشىء وهو لم يفعله ، فليس فى هذا أيضا إحالة طبيعة ، ولا قلب عين ، وإنما هو تأثير بقوة لتلك الصناعة ، كما قلنا فى الطلسمات والرقى ، ولا فرق ونحن نجد الإنسان يُسُبُّ أو يقابل بحركة يغضب منها ، فيستحيل من الحلم إلى الطيش وعن السكون إلى الحركة والنزق حتى يقارب حال المجانين ، وربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام : « إنَّ مِنَ الْبيَانِ لِسِحْرًا[١٩] » لأن من البيان ما يؤثر فى النفس فيثيرها أو يسكنها عن ثوراتها ، ويُحيلها عن عزماتها ، وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر العيون ، لاستمالتها للنفوس فقط .

* * *

قال أبو محمد : ويقال لمن قال إن السحر يحيل الأعيان ويقلب الطبائع أخبرونا إذا جاز هذا فأى فرق بين النبى والساحر ؟ ولعل جميع الأنبياء كانوا سحرة ، كما قال فرعون عن موسى عليه السلام « إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِى عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ[٢٠] » « وإنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوه فى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا[٢١] » . وإذا جاز أن يقلب سحرة موسى عليه السلام عصيهم وحبالهم حيات ،

(١٨) البقرة : ١٠٢

(١٩) هذا حديث حسن صحيح ولفظه عن ابن عمر أن رجلين قد ما فى زمان رسول الله ﷺ فخطبا فعجب الناس من كلامهما فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال : « إن من البيان سحرًا أو إن بعض البيان سحرًا » (سنن الترمذى - كتاب البر والصلة : ٦/ ٢٣٠) .

(٢٠) طه : ٧١

(٢١) الأعراف : ١٢٣

وقلب موسى عليه السلام عصاه حيَّة ، وكان كلا الأمرين حقيقة ، فقد صدق فرعون بلا شك ، فى أنه ساحر مثلهم ، إلا أنه أعلم به منهم فقط ، وحاشا لله من هذا بل ما كان فعل السحرة إلا من حيل أبى العجائِب فقط . فإن لجئوا إلى ما ذكره الباقلانى من التحدّى قيل لهم : هذا باطل من وجوه : أحدها أن اشتراط التحدّى فى كون آية النبى آية دعوى كاذبة سخيفة لا دليل على صحتها ، لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ، ولا من إجماع ولا من قول صاحب ، ولا من حجة عقل ولا قال بهذا أحد قط ، قول هذه الفرقة الضعيفة ، وما كان هكذا فهو فى غاية السقوط والهجنة . قال الله عز وجل : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٢٢]» .

فوجب ضرورة أن من لا برهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق . وثانيها : أنه لو كان ما قالوا : لسقطت أكثر آيات رسول الله ﷺ : كنبعان الماء من بين أصابعه ، وإطعامه المئين والعشرات من صاع شعير ، وعناق ، ومرة أخرى من كسر ملفوفة فى خمار ، وكتفله فى العين فجاشت بماء غزير إلى اليوم ، وحنين الجذع ، وتكلم الذراع وشكوى البعير والذئب ، والإخبار بالغيوب ، وتمر جابر ، وسائِر معجزاته العظام لأنه عليه السلام لم يتحدّ بذلك كله أحدًا ولا عمله إلا بحضرة أهل اليقين من أصحابه ، رضى الله عنهم ، ولم يبق له آية حاشى القرآن ، ودعاء اليهود إلى تمنى الموت ، وشق القمر فقط ، وكفى نحسًا بقول أدى إلى مثل هذا ، فإن ادَّعوا أنه عليه السلام تحدّى بها من حضر وغاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى لأنه لم يأت فى شىء من تلك الأخبار أنه تحدَّى بها أحدًا ، وإن تمادوا على أن كل هذه ليست معجزات ولا آيات أكذبهم رسول الله ﷺ بقوله إذ فعل بعض[٢٣] ذلك أشهد أنى رسول الله .

والثالث وهو البرهان الدامغ قول الله تعالى : وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون[٢٤]» . وقوله : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون[٢٥]» .

فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الأنبياء عليهم السلام آيات ، ولم يشترط عز وجل فى ذلك تحديا من غيره ، فصح أن اشتراط التَّحدِّى باطل محض ، وصح أنها إذا ظهرت فهى آية كان هنالك تحدٍّ أو لم يكن ، وقد صح إجماع الأمة المتيقن على أن الآيات لا يأتى بها ساحر ، ولا غير نبى ، فصح أن المعجزات إذ هى آيات لا تكون لساحر ولا لأحد ليس نبيا .

---

(٢٢) النمل : ٦٤
(٢٣) فى (أ) : سقطت (بعض) .
(٢٤) الأنعام : ١٠٩
(٢٥) الإسراء : ٥٩

والرابع أنه لو صح حكم التحدى لكان حجة عليه ، لأن التحدى عندهم يوجب أن لا يقدر على شيء مثل ذلك أحد ، إذ لو أمكن أن يوجد مثل ذلك من أحد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجد من يعمل مثل عملك ، هذا ، إما صالح وإما ساحر .

والخامس : أنه لو كان ما قالوا ، وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها ، أو فاضل لا يتحدى بها ، لأمكن أن يتحدى لهما بها بعد موتهما ، من ضل فيهما كما فعلت الغلاة بعلىٍّ رضى الله عنه فعلى كل حال قولهم ساقط والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وأما من ادعى أنه يشبه الساحر على العيون فيريهم ما لا ترى فإن هذه الطائفة لم تكتف بالكفر بإبطال النبوات ، إذ لعل ما أتى به النبى كان تشبيها على العيون لا حقيقة له حتى رامت إبطال الحقائق كلّها ، أوّ لها عن آخرها ، ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحا بلا تكلف ، ويقال لهم إذا جاز أن يشبَّه على العيون حتى يريها[٢٦] المشبه عليها ما لا حقيقة له وما لا تراه ، فما يدريكم لعلكم كلكم الآن مشبَّه عليكم[٢٧]، ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فأراكم أنكم تتوضؤون وتصلون ، وأنتم لا تفعلون شيئا من ذلك ، ولعلكم تظنون أنكم تزوجتم وإنما فى بيوتكم ضأن ومعز وبقر ، ولعلكم الآن على ظهر البحر ، ولعل ما تعتقدون من الدين تشبيه عليكم ، وهذا كلّه لا مخلص لهم منه ، وقد عاب الله عز وجل من ذهب إلى هذا فقال : « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون[٢٨]» فلو جاز أن يكون للسحر حقيقة تشبه ما يأتى به الأنبياء عليهم السلام ، وأمكن أن يشبه على البصر ما ذمَّهم الله تعالى إن قالوا شيئًا يمكن كونه ، لكنهم لما قالوا ما لا يمكن ألبتة وتعلقوا بذلك فى دفع الحقائق ، عابهم الله تعالى بذلك وأنكر عليهم .

قال أبو محمد : وليس غلط الحواس فى بعض الأوقات من باب التشبيه عليها فى شيء ، لأن أحدنا قد يرى شخصًا على بعد لا يشك فيه إلا أنه تنازع[٢٩] فقطع أنه إنسان ، أو أنه فلان فقطع بظنه ولو أنه لم يعمل ظنه ولا قطع به لكان باقيًا على ما أدرك من الحقيقة ، وهكذا فى كل ما حكم فيه المرء بظنه ، وأما ذو الآفة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لا حقيقة لها ، فهو أيضًا كما ذكرنا دائما[٣٠] وإنما الماء المطل على حدقته يوهمه أنه رأى شيئًا وقطع بذلك ، فإذا ثبت فى كل ذلك لاح له الحق من الظن ، وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه ، فإن نفسه تظن

(٢٦) فى (أ) : (يرى) .
(٢٧) فى (أ) : (على عيونكم) .
(٢٨) الحجر : ١٥
(٢٩) فى (أ) : (شارع) .
(٣٠) فى (أ) : سقطت : (دائما) .

ما تتوهمه فتقطع به ، ولو قوى تمييزها لفرقت بين الحق والباطل ، وهكذا القول فى إدراك السمع والذوق وهذا كله يجرى على رتب مختلفة ممن[٣١] أعمل ظنه ، وعلى رتبٍ غير مختلفة فى حمل هذه الآفات ، بل هى ثابتة عند أهل التحقيق والمعرفة ، معروفة العلاج حتى يعود منها إلى صلاحه ما لم يستحكم فساده ، فلا[٣٢] يظن ظان أنه يمكن أن نكون فى مثل حال هؤلاء إذ لو كان هذا لم نعرف شيئًا من العلوم على رتبه وأحكامه الجارية على سنن واحد . وبالله تعالى التوفيق . ثم نسألهم بأى شىء تعرفون أنه لم يُشبه على عيونكم ؟ فقد عرفناكم نحن بماذا نعرف أن حواسنا سليمة مادامت سليمة ، وأن عقولنا سالمة مادامت سالمة ، وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة ، وغير المدخولة ؟ وهو جرى[٣٣] ما أدرك بالحواس السليمة والعقول السليمة ، على رتب محدودة معلومة لا تتبدل عن حدودها أبدًا ، وجرى ما أدرك بالحواس الفاسدة والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فإنهم لا يقدرون على فرق أصلًا ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وكذلك ما ذكر عمن ليس نبيًا من قلب عَين أو إحالة طبيعة فهو كذب إلا ما وجد من ذلك فى عصر نبى فإنه آية لذلك النبى ، وذلك الذى ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذى ظهر فيه الحنين ، والذراع الذى ظهر فيه النطق ، والعصا التى ظهرت فيها الحياة ، وسواء كان الذى ظهرت فيه الآية صالحًا أو فاسقًا ، وذلك كنحو النور الذى ظهر فى سوط عمرو[٣٤] ابن حمَمَة الدوسى وبرهان ذلك أنه لم يظهر بعد موت النبى ﷺ .

قال أبو محمد : فإن قيل إذا أجزتم أن تظهر المعجزة فى غير نبى لكن فى عصر نبى لتكون آية لذلك النبى ، فهلا أجزتموه كذلك بعد موت النبى ﷺ لتكون آية له أيضًا ، ولا فرق بين الأمرين ؟ قلنا : إنما أجزنا ذلك فى الجماد وسائِر الحيوان ، وفيمن شاء الله إظهار ذلك فيه من الناس لا يخصّ بذلك فاضل لفضله ، ولا يمنع ذلك فى فاسق لفسقه ، أو كافر ، وإنما ننكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له ، فلو جاز ذلك بعد موت النبى ﷺ لأشكل الأمر ، ولم نكن فى أمن من دعوى من ادَّعى أنها آية لذلك الفاضل أو لذلك الفاسق ، أو لإنسان من الناس يدعيها آية له ، ولو كان ذلك لكان إشكالا فى الدّين وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده ، أو لهم عن آخرهم ، وهذا خلاف وعد الله تعالى لنا وإخباره بأنه قد بين علينا الرشد من الغىى ، وليس كذلك ما كان فى عصر النبى ﷺ لأنه لا يكون إلا من قبل النبى ﷺ وبإخباره وإنذاره ، فبدت بذلك أنها له لا للذى ظهرت منه ، وهذا فى غاية البيان والحمد لله رب العالمين .

---

(٣١) فى (أ) : (بمن) .
(٣٢) فى (أ) : (ولا) .
(٣٣) فى (أ) : (وإجراء) .
(٣٤) راجع ص ٢٠٠ من الجزء الثانى .

قال أبو محمد : وأما الذى روى فى الثلاثة أصحاب الغار ، وانفراج الصَّخرة ثلثا ثلثا عندما ذكروا من أعمالهم فلا تعلق لهم به ، لأن تكسير الصخرة ممكن فى كل وقت ، ولكل أحد بلا إعجاز وما كان هكذا فجائِز وجوده[٣٥] بالدعاء وبغير الدُّعاء ، لكن وقع وفاقا لتنميه كمن دعا فى موت عدوه ، أو تفريج غمّه أو بلوغ أمنيته فى دنياه ، ولقد حدثنى « حكم بن منذر بن سعيد ، أن أباه رحمه الله كان فى جماعة فى سفر فى صحراء فعطشوا وأيقنوا بالهلكة ، ونزلوا فى ظل جبل ينتظرون الموت . قال فأسندت رأسى إلى حجر ناتىء فتأذيت به فقعلته فاندفع الماء العذب من تحته ، فشربنا وتزودنا ، ومثل هذا كثير مما يفرج ، وحتى لو كانت معجزة لوجب بلا شك أن يكونوا أنبياء أو لنبى ممن فى زمن نبى ، ولابد مما قدمناه .

قال أبو محمد : ولا عجب أعجب من قول من يجيز قلب الأعيان للساحر ، وهو عندهم فاسق أو كافر ، ويجيز مثل ذلك للصالح وللنبى ، فقد جاز عندهم قلب الأعيان للنبى ، وللصالح ، وللفاسق ، وللكافر ، فوجب أن قلب الأعيان جائِز من كل أحد وتبًا لقول أدى إلى مثل هذا ، وهم يجيزون للمغيرة بن سعيد ، وبيان ومنصور الكِسْف قلب الأعيان ، على سبيل السحر ، وقد جاء بعدهم من يدعى لهم النبوة بها ، فاستوى عند هؤلاء المخذولين النبى والساحر ، نعوذ بالله من الضلال المبين .

* * *

قال أبو محمد : فإن اعترضوا بقول الله تعالى : « ادعونى أستجب لكم[٣٦]» وبقوله تعالى : « أجيب دعوة الداعى إذا دعان[٣٧]» . فهذا حق وإنما هو بلا شك فى الممكنات التى علم الله تعالى أنها تكون لا فيما علم الله تعالى أنه لا يكون ، ولا فى المحال ونسألهم عمن دعا إلى الله تعالى فى أن يجعله نبيا أو فى أن ينسخ دين الإسلام ، أو بأن يعجل[٣٨] القيامة قبل وقتها ، أو أن يمسخ الناس كلهم قردة أو بأن يجعل له عينا ثالثة ، أو بأن يدخل الكفار الجنة والمؤمنين النار ، أو ما أشبه هذا ، فإن أجازوا كل هذا كفروا ، ولحقوا مع كفرهم بالمجانين ، وإن منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالآيات المذكورة ، وصَحَّ أن الإجابة إنما تكون فى خاصٍّ من الدعاء لا فى العموم وبالله تعالى التوفيق .

---

(٣٥) فى (أ) : (وقوعه) .
(٣٦) غافر : ٦٠
(٣٧) البقرة : ١٨٦
(٣٨) فى (أ) : (يجعل) .

قال أبو محمد : وصَح أن رسول الله ﷺ قال لأسامة وخالد : هلَّا شققت على قلبه لتعلم أقالها متعوذًا أم لا[٣٩].

قال أبو محمد : فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبى على سبيل الكرامة ، لوجب القطع على ما فى قلبه وأنه ولى الله تعالى ، وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضى الله عنهم الذين ورد فيهم النص .

وأما قول الباقلانى إن الله تعالى لا يقدر على إظهار آية على يد كذاب ، فهو داخل فى جملة تعجيزه البارى تعالى ، وهو أيضًا تعجيز سخيف داخل فى جملة المحال ، ذلك أنه جعل الله تعالى قادرًا على إظهار الآيات على كل ساحر ، فإن علم أنه يقول إنه نبى لم يقدر على أن يظهرها عليه ، وهذا قول فى غاية الفساد ، لأن من قدر على شيء لم يجز أن يبطل قوته عليه ، علمه بأن ذلك الذى يظهر فيه الفعل يقول أنا نبى ، ولا يتوهم هذا ولا يتشكل فى العقل ولا يمكن ألبتة ، وإنما هم قوم أهملوا حكم الله تعالى عليهم ، وأطلقوا حكمهم عليه تعالى ، وما فى الكفر أقبح من هذا ولا أطم ولا أبرد .

قال أبو محمد : ورأيت للباقلانى فى فصل من كلامه أن الناس ليسوا عاجزين عن مثل القرآن ولا قادرين عليه ، ولا هم عاجزون عن الصعود إلى السماء ، ولا عن إحياء الموتى ، ولا عن خلق الأجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك . هذا نص كلامه دون تأويل منا عليه ثم قال إن القدرة لا تقع إلا حيث يقع العجز .

قال أبو محمد : وكل هذا هوس لا يأتى به إلا[٤٠] الممرور ، وأطم من ذلك احتجاجه بأن العجز لا يقع إلا حيث تقع القدرة ، ولا ندرى فى أن لغة وجدوا هذا الكذب أم فى أى عقل وجدوا هذا السخف ، وما شك ذو علم باللغة من العامة والخاصة فى بطلان قوله ، وفى أن العجز ضد القدرة ، وأن ما قدر الإنسان عليه ، فلم يعجز عنه فى حين قدرته عليه وأن ما عجز عنه فلم يقدر عليه فى حين عجزه عنه ، وأنّ نفى القدرة إثبات للعجز وأنّ نفى العجز إثبات للقدرة ، ما يجهل هذا عامىٌّ أصلا ، وهو أيضًا معروف بأول العقل . والعجب أن يأتى بمثل هذه الدعاوى

---

(٣٩) رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه ، ولفظه عند مسلم عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى سريّة فصبحنا الحُرُقات من جهينة ، فأدركت رجلا فقال : لا إله إلا الله فطعنته فوقع فى نفسي من ذلك فذكرته للنبى - ﷺ فقام رسول الله ﷺ قال : لا إله إلا الله . وقتلته ؟ قال : قلت يا رسول الله : إنما قالها خوفًا من السلاح ! قال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ فمازال يكرّرها علىّ حتّى تمنيت أنى أسلمت يومئذ ، قال فقال سعد : وأنا والله لا أقتل مسلما حتى يقتله ذو البُطَين - يعنى - أسامة ، قال : قال رجل : ألم يقل الله تعالى : (وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله) ؟ فقال سعد : قد قاتلنا حتّى لا تكون فتنة ، وأنت وأصحابُك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة . (كتاب الإيمان - ١/٧) .

(٤٠) فى (أ) : سقطت (إلا) .

السخيفة دون دليل أصلا ، لكن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل ، وأمثاله من الفسّاق فى دين الله تعالى فيتلقفها عنهم من أضله الله تعالى ، ونعوذ بالله من الخذلان . وقد قال الله تعالى : « واعلموا أنكم غير معجزى الله[٤١] » .

فاقتضى هذا أنَّهم مقدور عليهم لله تعالى . وقال تعالى : « فليس بمعجز فى الأرض[٤٢] » .

فوجب أنه مقدور عليه . وقال تعالى : « والله على كل شىء قدير[٤٣] » فصح أنه غير عاجز وبالله تعالى التوفيق .

* * *

---

(٤١) التوبة : ٢
(٤٢) الأحقاف : ٣٢
(٤٣) البقرة : ٢٨٤

« الكلام فى الجن ووسوسة الشيطان وفعله فى المصروع »

قال أبو محمد : لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم فى العالم أيضًا بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل إمكان كونهم ، لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ، ولا فرق بين أن يخلق خلقًا عنصرهم التراب والماء ، فيسكنهم الأرض والهواء والماء ، وبين أن يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء ، فيسكنهم الهواء والنار والأرض ، بل كل ذلك سواء ممكن فى قدرته ، لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحلية للطبائع – بنص الله عز وجل على وجود الجن فى العالم ، وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم ، وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة ، موعودة متوعدة متناسلة يموتون ، وأجمع المسلمون كلهم على ذلك ، نعم والنصارى والمجوس والصّابئون وأكثر اليهود حاشى السامرة فقط ، فمن أنكر الجن أوتأوّل فيهم تأويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، قال الله تعالى : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى[1] » .

قال أبو محمد : وهم يروننا ولا نراهم . قال الله تعالى : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم[2] » .

فصح أن الجن قبيل إبليس قال تعالى : « إلا إبليس كان من الجن[3] » .

قال أبو محمد : وإذ أخبرنا الله عز وجل أننا لا نراهم فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب ، إلا أن يكون من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله ﷺ أنه تفلّت عليه شيطان ليقطع عليه صلاته ، قال فأخذته فذكرت دعوة أخى سليمان ولولا

---

(١) الكهف : ٥٠
(٢) الأعراف : ٢٧
(٣) الكهف : ٥٠

ذلك لأصبح موثقا يراه أهل المدينة أو كما قال عليه السلام[٤]، وكذلك فى رواية عن أبى هريرة للذى رأى إنها هى معجزة لرسول الله ﷺ ولا سبيل إلى وجود خبر يصح برؤية حتى بعد موت النبى ﷺ وإنما هى منقطعات أو عمن لا خير فيه .

قال أبو محمد : وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم وعنصرهم النار ، كما أن عنصرنا التراب ، بذلك جاء القرآن قال عز وجل : « والجان خلقناه من قبل من نار السموم[٥]» . والنار والهواء عنصران لا لون لهما ، وإنَّما حدث اللون فى النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب ، والكتان والأدهان وغير ذلك ، ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر ، ولو لم يكونوا أجسامًا صافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللَّمس . وصح النص بأنهم يوسوسون فى صدور الناس ، وأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فوجب التَّصديق بكل ذلك حقيقة ، وعلمنا أنَّ الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها إلى قذف ما يوسوسون به فى النفوس ، برهان ذلك قول الله تعالى : « من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس[٦]» .

وأخبر عز وجل أن الجن والناس يوسوسون فى صدور الناس[٧] ونحن نشاهد الإنسان يرى من له عنده ثأر فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته وأخلاقه وتثور ناريته ، ويرى من يحب فيحدث[٨] له حال أخرى ويبتهج وينشط[٩]، ويرى من يخاف فتحدث له حال أخرى ، من صُفْرة ورعشة وضعف نفس ، ويُبشر إلى إنسان آخر بإشارات يُحيل بها طبائِعه فيغضبه مرة ، ويخجله أخرى ، ويفزعه ثالثة ، ويرضيه رابعة ، وكذلك يحيله أيضا بالكلام إلى جميع هذه الأحوال ، فعلمنا أن الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها إلى تغيير النفوس ، والقذف فيها بما يستدعونها إليه ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ، ومن شرار الناس وعلى هذا جريه من ابن آدم مجرى الدم . كما قال الشاعر :

وقد كنت أجرى فى حشاهن مرة كجرى معين الماء فى قصب الآس

(٤) الحديث رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ ولفظه : « قال رسول الله ﷺ إنَّ عفريتا من الجن تفلَّت علىَّ البارحة ليقطع علىَّ الصلاة ، فأمكننى الله منه ، وأردت أن أربطه إلى جنب سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا فتنظروا إليه كلكم أجمعون » قال : فذكرت دعوة أخى سليمان : « ربِّ هَبْ لى ملكا لا ينبغى لأحدٍ مِنْ بَعْدِى » . قال : فردَّه خاسئًا . (وروى بروايات متفاوتة) (مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩٨/٢) .

(٥) الحجر : ٢٧

(٦) الناس : ٤

(٧) سقط الكلام فى (أ) من أول (وأخبر عزّ وجل إلى الناس) .

(٨) فى (أ) : (فيثور) .

(٩) ف (أ) : (وينبسط) .

قال أبو محمد : وأما الصرع فإن الله عز وجل قال : كالذى يتخبطه الشيطان من المس[١٠]» فذكر عز وجل تأثير الشيطان فى المصروع إنما هو بالمماسة . فلا يجوز لأحد أن يزيد على ذلك شيئًا ومن زاد على هذا شيئًا فقد قفا[١١] ما لا علم له به ، وهو حرام لا يحل قال عزَّ وجل : « ولا تقف ما ليس لك به علم[١٢]» .

وهذه أمور لا يمكن أن تعرف ألبتة إلا بخبر صحيح عن رسول الله ﷺ ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق . فصح أن الشيطان يمس الإنسان الذى يسلطه الله عز وجل عليه مسًّا ، كما جاء فى القرآن يثيريه من طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف ، فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده ، وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة ، وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزَّامين والكذابين وبالله تعالى نتأيد .

وأما قول رسول الله ﷺ : « إن الشَمْس تَطْلُعُ ومَعَها قَرْنُ الشَّيْطانِ ، فإذا ارتفعت فَارقها ، فإذا اسْتَوَتْ قَارَنَها ، فإِذَا زَالَتْ فَارَقَهَا وإذا جَنَحَتْ لِلغُروبِ قَارَنَهَا فإِذَا غربت فارقها ونهى عن الصلاة فى هذْه الأوْقات[١٣]» .

أو كما قال عليه السلام مما هذا معناه بلا شك . فقد قلنا إنه عليه السلام لا يقول إلا الحق وأن كلامه كله على ظاهره ، إلا أن يأتى نص بأن هذا النص ليس على ظاهره فنسمع ونطيع ، أو يقوم بذلك برهان من ضرورة حِسٍّ ، أو أول عقل ، فنعلم أنه عليه السلام إنما أراد ما قد قام بصحته البرهان لا يجوز غير ذلك . وقد علمنا يقينا أن الشمس فى كل دقيقة طالعة على أفق من الآفاق ، مرتفعة على آخر ، مستوية على ثالث ، زائِلة عن رابع ، جانحة للغروب على خامس ، غاربة على سادس .

هذا ما لا شك فيه عند كل ذى علم بالهيئة ، فإذ ذلك كذلك فقد صح يقينا أنه عليه السلام إنما عنى بذلك أفقًا مًّا دون سائِر الآفاق لا يجوز غير ذلك ، إذ لو أراد كل أفق لكان الإخبار بأنه يفارقها كذبا ، وحاشى له من ذلك ، فإذ لا شك فى هذا كله فلا مرية فى أنه عليه

---

(١٠) البقرة : ٢٧٥

(١١) فى (أ) : (قال) .

(١٢) الإسراء : ٣٦

(١٣) روى هذا الحديث براويات مختلفة ، ولفظه كما أورده الإمام أحمد فى مسنده « قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الشَمس تطلع بين قرنى شيطان ، فإذا ارتفعت فارقها ، فإذا كانت فى وسط السماء قارنها ، فإذا دلكت أو قال – زالت – فارقها ، فإذا دنت للغروب قارنها ، فإذا غربت فارقها ، فلا تصلّوا هذه الثلاث ساعات . (مسند الإمام أحمد : ٣٤٨/٤) .

السلام إنما عنى به أفق المدينة ، وهو الأفق الذى أخبر أهله بهذا الخبر ، فأنبأهم بما يقارن الشمس فى تلك الأحوال وما يفارقها من الشيطان ، والله عز وجل أعلم بذلك القرن ما هو ؟ لا نزيد على هذا إذ لا بيان عندنا فيما بينه إلا أنه ليس شيء من ذلك بممتنع أصلا ، فصح بما ذكرنا أن أول الخبر خاص كما وصفنا ، وأن نهيه عليه السلام عن الصلاة فى تلك الأوقات قضية(١٤) أخرى وقضية ثانية وحكم غير الأول ، فهو على عمومه فى كل زمان وكل مكان ، إلا ما قام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا فى غير هذا الكتاب فى كتب الصلاة من تواليفنا والحمد لله رب العالمين كثيرًا .

---

(١٤) فى (أ) : (قصة) .

« الكلام فى الطبائع »

قال أبو محمد : ذهبت الأشعرية إلى إنكار الطبائِع جملة ، وقالوا : ليس فى النار حرٌّ ولا فى الثلج برد ، ولا فى العالم طبيعة أصلًا ، وقالوا : إنما حدث حرّ النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة . قالوا ولا فى الخمر طبيعة إسكار ، ولا فى المَنِيِّ قوة يحدث بها ما يحدث[1] منه ، ولكن الله تعالى يخلق منه ما شاء ، وقد كان ممكنا أن يحدث من منى الرجل جمل ، ومن منى الحمار إنسان ، ومن زريعة الكرم[2] نخل .

قال أبو محمد : ما نعلم لهم حجة شغبوا بها فى هذا الهوس أصلا ، وقد ناظرت بعضهم فى ذلك فقلت له : إن اللغة التى نزل بها القرآن تُبطل قولكم لأن من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة ، والنحيزة[3]، والغريزة والسجية والشيمة ، والجبلة ، ولا يشك ذو علم فى أن هذه الألفاظ استعملت فى الجاهلية ، وسمعها النبى ﷺ فلم ينكرها قط ، ولا أنكرها أحد من الصحابة رضى الله عنهم ولا أحد ممن بعدهم ، حتى حدَّث من لا يعتد به .

وقد قال أمرؤ القيس :

وإنْ كنتِ قد ساءتك منّى خليقة
فَسُلّى ثِيـــابى مِنْ ثِيـــابِك تَنْسُلِ[4]

---

(١) فى (أ) : سقط (ما يحدث منه) .

(٢) فى (أ) : « الكزبر » .

(٣) فى (أ) : (البحيرة) وهو تحريف .

(٤) جاء هذا البيت ضمن قصيدة امرىء القيس المشهورة التى مطلعها :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل

(راجع : ديوان امرىء القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ثالثة دار المعارف بمصر : ١٣) .

وقال حميد بن ثور الهلالى الكندى :

لكل امرىء يا أم عمرو طبيعة
وتفرق ما بين الرجال الطبائع[٥]

وقال النابغة :

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم
من الجود والأحلامُ غير عوازب[٦]

وقال رسول الله ﷺ للجارود إذ أخبره أن فيه الحلم والأناه ، فقال له الجارود الله جبلنى عليهما يا رسول الله ؟ أم هما كسب فقال له رسول الله ﷺ ، بل الله جبلك عليهما .

ومثل هذا كثير ، وكل هذه الألفاظ أسماء مترادفة لمعنى واحد عندهم ، وهو قوة فى الشّىء يوجد بها على ما هو عليه ، فاضطرب ولجأ إلى أن قال أقول بهذا فى الناس خاصة ، فقلت له : وأنّى لك بالتخصيص .. ؟ وهذا موجود بالحس وببديهة العقل فى كل مخلوق فى العالم . فلم يكن عنده تمويه .

قال أبو محمد : وهذا المذهب الفاسد حداهم على أن سمّوا ما يأتى به الأنبياء عليهم السلام من الآيات المعجزات خرق عادة ، لأنهم جعلوا امتناع شق القمر ، وشق البحر ، وامتناع إحياء الموتى ، وإخراج ناقة من صخرة وسائِر معجزاتهم إنما هى عادات فقط .

قال أبو محمد : معاذ الله من هذا ولو كان ذلك عادة لما كان فيها إعجاز أصلا ؛ لأن العادة فى لغة العرب : الدأب والديدن والديدان ألفاظ مترادفة على معنى واحد ، وهى ما كثر استعمال الإنسان له مما لا يؤمن من تركه إياه ، ولا ينكر زواله عنه بل هو ممكن وجود غيره ومثله ، بخلاف الطبيعة التى الخروج عنها ممتنع ، فالعادة هى استعمال العرب للعمامة والتّلحى ، وحمل القناة ، وكحمل بعض الناس القلنسوة ، وكاستعمال بعضهم حلق الشعر ، وبعضهم توفيره . قال الشاعر :

---

(٥) هو : حُمَيْد بن ثور بن عبد الله بن عامر الهلالى ، يكنى كثيرًا أبا المثنى ، وقد يُكنى أبا الأخضر أو أبا خالد ، أو أبا لاحق ، وقد أدرك زمن عمر بن الخطاب وتوفى على الأرجح فى أيام عثمان . حقق ديوانه الأستاذ عبد العزيز الميمنى – رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكره بالهند ، وعلق عليه الأستاذ عبد السلام هارون ، وطبعته الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة .

ولم أعثر على هذا البيت ضمن قصائد الديوان ، واتضح لى من استعراض الديوان أن ثمة كثير من شعر الشاعر لم يجمع ، وأن المحقق جمع منه ما وقع عليه متفرقا فى بعض كتب الأدب .

(٦) هذا البيت ورد ضمن قصيدته التى يمدح فيها عمرو بن الحارث المعروف بابن أبى شمر لما بلغه أنَّ مُرَّة بن قُرَيْع وشى به إلى النعمان فى أمر المتجردة . ومطلع القصيدة :

كِلينى لِهَمٍّ يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطىء الكواكب

(ديوان النابغة الذبيانى – تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – نشر الشركة التونسية : ص ٤٩) .

تَقُول وقد دَرَأْتُ لها وَضِينى أَهَـذا دِينُـه أبـدًا ودِينـى[٧]

وقال آخر : « ومن عاداته الخلق الكريم » .

وقال آخر :

قد عوَّد الطير عادات وثقن بها فهُنَّ يصحبنه فى كُلِّ مُرْتحل

وقال آخر : عوَّدت نفسك عادة فاصبر لها .

وقال آخر : وشديدٌ عادة مُنتزعة .

فذكر أن انتزاع العادة يشتد ، إلَّا أنه ممكن غير ممتنع ، بخلاف إزالة الطبيعة التى لا سبيل إليها . وربما وضعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالى :

سل الرَّبع أنَّى يمَّمَتْ أمُّ سالم وهـل عادةٌ للرَّبـع أن يتكلَّمـا[٨]

* * *

قال أبو محمد : وكل هذه الطبائع والعادات مخلوقة ، خلقها الله عزَّ وجل فرتَّب الطبيعة على أنها لا تستحيل أبدًا ، ولا يمكن تبدّلها عند كلِّ ذى عقل كطبيعة الإنسان بأن يكون له التصرف فى العلوم والصناعات إن لم تعترضه آفة ، وطبيعة الحمر والبغال ، بأن ذلك غير ممكن منها ، وكطبيعة البُرّ ألَّا ينبت شعيرًا ، ولا جوزًا ، وهكذا كل ما فى العالم ، والقوم مقرون بالصفات وهى الطبيعة نفسها ، لأن من الصفات المحوّلة فى الموصوف ما هو ذاتى لا يُتوهم زواله إلَّا بفساد حامله ، وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التى إن زالت عنها صارت خلًّا وبطل اسم الخمر عنها ، وكصفات الخبز واللحم التى إذا زالت عنهما صارت زبلا ، وسقط اسم الخبز واللحم عنهما ، وهكذا كل شىء له صفة ذاتية ، فهذه هى الطبيعة .

---

(٧) جاء هذا البيت محرفا فى (أ) .

(٨) راجع ديوان حميد بن ثور الهلالى تحقيق عبد العزيز الميمنى – ط الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة .

ومن الصفات المحمولة فى الموصوف ما لو تُوهم زواله عنه لم يبطل حامله ، ولا فارقه اسمه ، وهذا القسم ينقسم أقسامًا ثلاثة ، فأحدهما ممتنع الزوال كالعطس ، والقصر ، والزّرق وسواد الزنجى ونحو ذلك ، إلا أنه لوتوهم زائلا لبقى الإنسان إنسانًا بحاله . وثانيها بطيء الزوال كالمردة وسواد الشعر ، وما أشبه ذلك ، وثالثها : سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل ، وكمدة الهم ونحو ذلك . فهذه هى حقيقة الكلام فى الصفات ، وما عدَا ذلك فطريق السوفَسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونعوذ بالله من الخذلان .

« نبـوة النسـاء »

قال أبو محمد : هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة[1] فى زماننا ، فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة فى النساء جملة وبدّعت من قال ذلك .

وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت فى النساء نبوة ، وذهبت طائفة إلى التوقف فى ذلك .

قالت أبو محمد : ما نعلم للمانعين من ذلك حجة أصلًا ، إلا أن بعضهم نزع فى ذلك بقول الله تعالى : « وما أرسلنا من قلبك إلا رجالًا نوحى إليهم[2] » .

قال أبو محمد : وهذا أمر لا ينازعون فيه ولم يدَّع أحد أن الله أرسل امرأة ، وإنما الكلام فى النبوة دون الرسالة ، فوجب طلب الحق فى ذلك بأن ننظر[3] فى معنى لفظة النبوة فى اللغة التى خاطبنا الله بها عز وجل ، فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام ، فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئًا له بأمر مَّا فهو نبى بلا شك ، وليس هذا من باب الإلهام الذى هو طبيعة لقول الله تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل[4] » .

ولا من باب الظن والتوهم الذى لا يقطع بحقيقته إلا مجنون ، ولا من باب الكهانة التى هى من استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب ، وفيه يقول الله تعالى : « شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا[5] » .

---

(١) فى (أ) : (وفى) .
(٢) النحل : ٤٣
(٣) فى (أ) : (ينظر) .
(٤) النحل : ٦٨
(٥) الأنعام : ١١٢

وقد انقطعت الكهانة بمجيء رسول الله ﷺ ، ولا من باب النجوم التى هى تجارب تُتعلم ، ولا من باب الرؤيا التى لا يدرى أصدقت أم كذبت ، بل الوحى الذى هو النبوة قصد من الله تعالى إلى إعلام من يُوحى إليه بما يُعلمه به ، ويكون عند الموحى به إليه حقيقة خارجه عن الوجوه المذكورة ، يُحدث الله عز وجل لمن أوحى به إليه علما ضروريا ، بصحة ما أوحى به كعلمه بما أدرك بحواسه وبديهة عقله سواء سواء ، لا مجال للشك فى شيء منه إما بمجيء الملك إليه به ، وإما بخطاب يخاطب به فى نفسه وهو تعليم من الله تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلم ، فإن أنكروا أن يكون هذا هو معنى النبوة فليعروفونا ما معناها ، فإنهم لا يأتون بشيء أصلًا فإذ ذلك كذلك فقد جاء القرآن بأن الله تعالى عزَّ وجل أرسل ملائكة إلى نساء فأخبروهن بوحى حق ، من الله تعالى ، فبشروا أم إسحاق باسحاق عن الله تعالى قال عز وجل : « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالتِ يا وليتا أألدوأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت[٦] » .

فهذا خطاب الملائكة لأم إسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها بإسحاق ، ثم يعقوب ، ثم بقولهم لها : أتعجبين من أمر الله .. ؟ ولا يمكن ألبتة أن يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبى بوجه من الوجوه ، ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى مريم أم عيسى عليهما السلام فخاطبها[٧] وقال لها : « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا[٨] » .

فهذه نبوة صحيحة بوحى صحيح ورسالة من الله تعالى إليها . وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله رزقا واردًا تمنى من أجله ولدًا فاضلا ، وَوجدنا أم موسى عليهما السلام قد أوحى الله إليها بإلقاء ولدها فى اليمِّ ، وأعلمها بأنه سيرده إليها ويجعله نبيا مرسلا ، فهذه نبوة صحيحة[٩] لا شك فيها . وبضرورة العقل يدرى كل ذى تمييز صحيح أنها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بإلقائها ولدها فى اليم برؤيا تَراها أو بما يَقع فى نفسها أو قام فى هاجسها فى غاية الجُنون والمراد الهائج ، ولو فعل ذلك أحدنا لكان فى غاية الفسق ، أو فى غاية الجنون مستحقًا لمعافاه دماغه فى المارستان لا يشك فى هذا أحد ، فصح يقينًا أن الوحى الذى ورد لها فى إلقاء ولدها فى اليم كالوحى الوارد على إبراهيم فى الرؤيا فى ذبح ولده ، فإن إبراهيم عليه السلام لو لم يكن نبيًا واثقًا بصحة الوحى والنبوة الواردة عليه فى[١٠] ذبح ولده ، لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها أو ظن وقع فى

---

(٦) هود : ٧١ - ٧٣

(٧) فى (أ) : (بخطابها) .

(٨) مريم : ١٩

(٩) فى (أ) : سقطت (صحيحة) .

(١٠) فى (أ) : (من) .

نفسه ، لكان بلا شك فاعل ذلك من غير الأنبياء فاسقا فى نهاية الفسق ، أو مجنونًا فى غاية الجنون ، هذا ما لا يشك فيه أحد منَ الناس ، فصحَّت نبوتهن بيقين ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الأنبياء عليهم السلام فى سورة كهيعص ، وذكر مريم فى جملتهم ثم قال عز وجل : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وَممن حملنا مع نوح[١١] » .

وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل : « وأمه صديقة[١٢] » بمانع من أن تكون نبية فقد قال تعالى : « يوسف أيها الصديق[١٣] » وهو مع ذلك نبى رسول الله وهذا ظاهر وبالله التوفيق ويلحق بهن عليهن السلام فى ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله ﷺ : « كَمُلَ مِن الرِّجَالِ كَثِيرٌ ولَمْ يَكْمُل مِنَ النِّسَاءِ إلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عمران وآسيةَ بِنْتَ مُزاحِم امرأة فرعون[١٤] » . أو كما قال عليه السلام . والكمال فى الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم السلام لأن من دونهم ناقص عنهم بلا شك ، وكان تخصيصه ﷺ بالكمال[١٥] مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من أوتيت النبوة من النسّاء بلا شك إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة لم يكمل ، فصح بهذا الخبر أن هاتين المرأتين كملتا كمالًا لم يلحقهما معه امرأة غيرهن أصلًا ، وإن كن بنصوص القرآن نَبيَّات وقد قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض[١٦] » .

فالكامل فى نوعه هو الذى لا يلحقه أحد من أهل نوعه ، فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل ، ومنهم نبينا محمَّدٌ ، وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام بلا شك للنصوص الواردة فيهما بذلك فى فضلهما على غيرهما ، وكل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام .

---

(١١) مريم : ٥٨

(١٢) المائدة : ٧٥

(١٣) يوسف : ٤٦

(١٤) رواه مسلم فى الجزء الرابع فى كتاب فضائل الصحابة رقم ٧٠ ولفظه عنده عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام .

(١٥) فى (أ) : سقط (بالكمال) .

(١٦) البقرة : ٢٥٣

« الكلام في الرؤيا »

قال أبو محمد : ذهب صالح قبة تلميذ النظام ، إلى أن الذى يرى أحدنا فى الرؤيا حق كما هو ، وأنه من رأى أنه بالصين وهو بالأندلس ، فإن الله عز وجل اخترعه فى ذلك الوقت بالصَين .

قال أبو محمد : وهذا القول فى غاية الفساد ، لأن العيان والعقل يضطران إلى كذب هذا القول وبطلانه ، أما العيان فإننا نشاهد حينئذ هذا النائِم عندنا وهو يرى نفسه فى ذلك الوقت بالصين ، وأما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يرى الحالم من المحلات من كونه مقطوع الرأس حيا وما أشبه ذلك ، وقد صح عن رسول الله ﷺ : أنَّ رَجُلًا قَصَّ عليه رؤيا فقال لا تخبر بتلاعب الشيطان بك[1] .

قال أبو محمد : والقول الصحيح فى الرؤيا هو أنها أنواع ، فمنها : ما يكون من قبل الشيطان وهو ما كان من الأضغاث والتخليط الذى لا ينضبط ، ومنها ما يكون من حديث النفس ، وهو ما يشتغل به المرء فى اليقظة فيراه فى النوم من خوف عَدُوٍّ أو لقاء حبيب ، أو خلاص من خوف أو نحو ذلك ، ومنها ما يكون من قبل[2] الطبع كرؤية من غلب عليه الدم للأنوار ، والزهور ، والحمرة والسرور ، ورؤية من غلبت عليه الصَّفراء للنيران ، ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه ، وكرؤية من غلبت عليه السوداء للكهوف وللظلم ، والمخاوف ومنها ما يريه الله عز وجل نفس الحالم ، إذا صفت من أكدار الجسد[3] وخلصت من الأفكار الفاسدة ، فيشرف الله عز وجل به على كثير

(١) رواه مسلم بروايات مختلفة ، ورواية جابر قال : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : رأيت فى المنام كأن رأسى ضرب فتدحرج فاشتددْت على أثره فقال رسول الله ﷺ للأعرابى : لا تحدّث الناس بتلعب الشيطان بك فى منامك » وقال : سمعت النبى ﷺ بعد يخطب فقال : « لا يحدِّثن أحدكم بتلاعب الشيطان به فى منامه . (مسلم : ١٥/٤ كتاب الرؤيا) .

(٢) فى (أ) : (غلبة) .

(٣) فى (أ) : (الحسد) .

من المغيبات التى لم تأت بعد ، وعلى قدر تفاضل النفس فى النقاء والصفاء يكون تفاضل ما تراه فى الصدق ، وقد جاء عن النبى ﷺ أنه لَمْ يَبْقَ بَعْدَه مِنَ النُّبُوَّة إلا المُبَشِّرات ، وَهِىَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَراها الرَّجُل أَوْ تُرى له ، وأَنَّها جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَعشْرِينَ مِنَ النُّبُوةِ ، إلى جُزْء مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ من النُّبُوَّة إلى جُزْءٍ مِنْ سَبْعَين جُزءًا من النُّبوة[٤]. وهذا نص جلى على ما ذكرنا من تفاضلها فى الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط ، وقد تُخَرَّج هذه النسب والأقسام ، على أنه عليه السلام إنما أراد بذلك رؤيا الأنبياء عليهم السلام ، فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزءًا ، من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ، ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزءًا من نبوته وخصائصه وفضائله ، وهذا هو الأظهر والله أعلم ، ويكون خارجًا على مقتضى ألفاظ الحديث بلا تأويل يتكلف . وأما رؤيا غير الأنبياء فقد تكذب وقد تصدق ، إلا أنه لا يقطع على صحة شىء منه إلا بعد ظهور صحته ، حاشى رؤيا الأنبياء فإنها كلها وحى مقطوع على صحته ، كرؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولو رأى ذلك غير نبى فى الرؤيا فأنفذه فى اليقظة لكان فاسقا عابثا ، أو مجنونا ذاهب التميز بلا شك ، وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزءًا من النبوة ، ولا مبشرات ولكن إنذارا له أو لغيره ووعظًا وبالله تعالى التوفيق .

---

(٤) رواه البخارى ، وأبو داود ، ولفظه عن عطاء بن يسار رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال : لم يبق بعدى من النبوة إلا المبشرات ، قالوا وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو تُرى له ، جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة » . أخرجه الموطأ (جامع الأصول لابن الأثير الجزرى جـ ٢ ص ٥٢٥) .

« أيُّ الخلق أفضل »

قال أبو محمد : ذهب قوم إلى أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة ، وذهبت طائفة تنتسب إلى الإسلام أن الصالحين غير النبيين أفضل من الملائكة . وذهب بعضهم إلى أن الوليّ أفضل من النبى ، وأنه يكون فى هذه الأمة من هو أفضل من عيسى بن مريم ، ورأيت الباقلانى يقول : جائز أن يكون فى هذه الأمة من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حين بعث إلى أن مات ، ورأيت لأبى هَاشِمٍ الجبائى : أنه لو طال عمر إنسان من المسلمين فى الأعمال الصالحة لأمكن أن يوازى عمل النبى ﷺ .

قال أبو محمد : ولولا أنه استحيا قليلا مما لم يستح منه نظيره الباقلانى لقال : ما يوجبه هذا القول من أنه كان يزيد فضلًا على رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وهذه الأقوال كفر مجرد لا تردد فيه وحاشى لله تعالى من أن يكون أحد ولو عمر عمر الدهر يلحق فضل صاحب ، فكيف فضل رسول الله ﷺ أو نبى من الأنبياء عليهم السلام .. ؟ فكيف يكون أفضل من رسول الله ﷺ ؟ هذا ما لا تقبله نفس مسلم ، كأنهم ما سمعوا قول الله عز وجل : « لا يِسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا[1]» .

وقول النبى ﷺ : دَعُوا لى أَصْحَابِى فَلَوْ كَانَ لأَحَدِكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَه ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه[2].

---

(١) الحديد : ١٠

(٢) رواه البخارى وسلم ولفظه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « لا تسبُّوا أصحابى ، لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه » (حـ ١٨٨/٧) باب النهى عن سب أصحاب النبى .

قال أبو محمد : فكيف يلحق أبدًا من إن تصدق هو بمثل جبل أحد من ذهب ، وتصدق الصاحب بنصف مُدٍّ من شعير كان نصف مد الشعير لا يلحقه فى الفضل جبل الذهب ، فكيف برسول الله ﷺ .. ؟

وقال أهل الحق : إن الملائكة أفضل من كل خلق خلقه الله تعالى ، ثم بعدهم الرسل من النبيين عليهم السلام ، ثم بعدهم الأنبياء غير الرسل عليهم السلام ، ثم أصحاب رسول الله ﷺ على ما رتبنا قبل .

قال أبو محمد : ومن صحب رسول الله ﷺ من الجن له من الفضل ما لسائِر الصحابة بعموم قوله عليه السلام دعوا لى أصحابى ، وأفضل الرسل محمد ﷺ ، أما فضل الملائكة على الرسل من غير الملائكة ، فلبراهين منها قول الله عز وجل لرسول الله ﷺ إذ يقول : « قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ الله وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقولُ لكم إنِّى مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ[٣] » .

فلو كان الرسول أرفع من الملك أو مثله ما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم هذا القول الذى إنما قاله منحطا عن الترفع ، بأن يظن أن عنده خزائِن الله أو أنه يعلم الغيب ، أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة فى مرتبته التى هى دون هذه المراتب بلا شك ، إذ لا يمكن ألبتة أن يقول هذا عن مراتب هو أرفع منها ، وأيضًا فإن الله عز وجل ذكر محمدًا الذى هو أفضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل عليهما السلام فكان التباين فى ثناء[٤] الله عز وجل عليهما تباينًا بعيدًا وهو أن الله عز وجل قال : إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أمين[٥]» .

فهذه صفة جبريل عليه السلام ، ثم ذكر محمدًا عليه الصلاة والسلام فقال : « وَمَا صَاحُبكُمْ بمَجْنون[٦]» ثم زاد تعالى بيانا رافِعا للإشكال فقال : « وَلَقَدْ رَآه بالأُفُقِ المُبين[٧]» فعظم الله تعالى من شأن أكرم الأنبياء والرسل بأن رأى جبريل عليه الصلاة والسلام ثم قال تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى[٨]» .

فامتن الله تعالى كما ترى على محمد المنّة[٩] العظمى بأن أراه جبريل مرتين ، وإنما يتفاضل

---

(٣) الأنعام : ٥٠ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .
(٤) فى (أ) : سقط (فى ثناء الله) .
(٥) التكوير : ٢٠
(٦) التكوير : ٢٢
(٧) التكوير : ٢٣
(٨) النجم : ١٣ – ١٨
(٩) فى (أ) : سقطت (المنة العظمى) .

الناس كما قدمنا بوجهين فقط ، أحدهما : الاختصاص المجرد ، وأعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم ، فقد حصل ذلك للملائكة . قال تعالى : « جاعل الملائكة رسلا[١٠] » فهم كلهم رسل الله تعالى ثم اختصهم تعالى بأن ابتداهم فى الجنة وحوالى عرشه ، فى المكان الذى وعد رسله ومن اتبعهم بأن نهاية كرامتهم تُصَيِّرهم إليه ، وهو موضع خلق الملائكة ومحلهم بلا نهاية مذ خلقوا . وذكرهم عز وجل فى غير موضع من كتابه فأثنى على جميعهم ، ووصَفهم بأنهم لا يفترون ، ولا يسأمون ، ولا يَعْصُون الله ، فنفى عنهم الزلل والفترة والسآمة والسهو ، وهذا أمر لم ينفه عز وجل عن الرسل صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم ، وبالضرورة نعلم من عُصِم من السهو أفضل ممن لم يعصم منه ، وأن من عصم من العمد كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل ممن لم يعصم منه ممن سواهم ، فإن اعترض معترض بقول الله عز وجل « الله يَصْطَفِى من الملائكة رُسُلًا ومِنَ النَّاسِ[١١] » .

قيل له ليس هذا معارضا لقوله تعالى « جاعل الملائكة رسلا » لأن كلَّ آية فإنما تحمل على مقتضاها ، وموجب لفظها ففى هذه الآية أن بعض الملائكة رسل وهذا حق لا شك فيه ، وليس إخبارا عن سائِرهم بشىء لا بأنهم رسل ولا بأنهم ليسوا رسلًا ، فلا يحل لأحد أن يزيد فى الآية ما ليس فيها ، ثم فى الآية الأخرى زيادة على ما فى هذه الآية ، وإخبار بأن جميع الملائكة رسل ففى تلك الآية بعض ما فى هذه الآية ، وفى هذه الآية كل ما فى تلك وزيادة ففرض قبول كل ذلك كما أن الله عز وجل إذ ذكر فى كهيعص من ذكر من النبيين فقال : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين[١٢] » وقد قال تعالى : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك[١٣] » .

أفترى الرسل الذين لم يقصصهم تعالى عليه جملة ، أو فى هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم . معاذ الله من هذا فما يقوله مسلم .

والوجه الثانى من أوجه الفضل : هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم فى أعمال الطاعة والعصمة من المعاصى والدنيات وقد نص الله تعالى على أن الملائكة لا يفترون من الطاعة ولا يسأمون منها ، ولا يعصون ألبتة فى شىء أُمِروا به ، فقد صح أن الله عز وجل عصمهم من الطبائِع الناقصة الداعية إلى الفتور والكسل ، كالطعام والتغوط وشهوة الجماع ، والنوم فصح يقينا أنهم أفضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيهما .

---

(١٠) فاطر : ١
(١١) الحج : ٧٥
(١٢) مريم : ٥٨
(١٣) النساء : ١٦٤

قال أبو محمد : واحتج بعض المخالفين بأن قال : قال الله عز وجل : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين[١٤] » . قالوا فدخل فى العالمين الملائكة . وغيرهم .

قال أبو محمد : هذه الآية قد صح البرهان بأنها ليست على عمومها ، لأنه تعالى لم يذكر فيها آل[١٥] محمد ﷺ ولا خلاف فى أنهم أفضل الناس قال الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس[١٦] » .

فإن قال : إن آل إبراهيم هم آل محمد قيل له فنحن إذن أفضل من جميع الأنبياء حاشى آل عمران وآدم ونوحًا فقط ، وهذا لا يقوله مسلم ، فصح يقينًا أن هذه الآية ليست على عمومها فإذ لا شك فى ذلك فقد صح أن الله عز وجل إنما أراد بها عالمى زمانهم من الناس لا من الرسل ولا من النبيين ، نعم ولا من عالمى غير زمانهم ، لأننا بلا شك أفضل من آل عمران فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة وبالله تعالى التوفيق . وصح أنها مثل قوله تعالى : « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين[١٧] » .

ولا شك فى أنهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيين ، ولا على أمتنا ولا على الصالحين ، من غيرهم ، فكيف على الملائكة ؟ ونحن لا ننكر إزالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر ، أو من إجماع متيقن ، أو ضرورة حس وإنما ننكر ونمنع من إزالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى ، فهذا هو الباطل الذى لا يحلُّ فى دين ولا يصح فى إمكان العقل وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وذكر بعضهم قول الله عز وجل : « الذين امنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية[١٨] » .

قال أبو محمد : وهذا مما لا حجة لهم فيه أصلًا ، لأن هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من الإنس ومن الجن ، وتعم جميع الملائكة عموما مستويا ، فإنما هذه الآية تفضل الملائكة والصالحين من الإنس والجن ، على سائر البرية وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٤) آل عمران : ٣٤
(١٥) فى (أ) : سقطت (آل)
(١٦) آل عمران : ١١٠
(١٧) البقرة : ٤٧
(١٨) البينة : ٧

قال أبو محمد : واحتجوا بأمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام .

قال أبو محمد : وهذه أعظم حجة عليهم لأن السجود المأمور به لا يخلو من أن يكون سجود عبادة ، وهذا كفر ممن قاله لأنه يجيز أن يكون الله عز وجل يأمر أحدًا من خلقه بعبادة غيره ، وإما أن يكون سجود تحيَّة وكرامة ، وهو كذلك بلا خلاف من أحد من الناس فإذ هو كذلك فلا دليل أدل على فضل الملائكة على آدم من أن يكون الله تعالى بلغ الغاية فى إعظامه وكرامته ، بأن تحييه الملائكة لأنهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية فى تحيتهم له ، وقد أخبر الله عز وجل عن يوسف عليه السلام قال : « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا[١٩] » .

وكانت رؤياه التى ذكر الله عز وجل عنه إذ يقول : « إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين[٢٠] » .

قال أبو محمد : وليس فى سجود يعقوب ليوسف ما يوجب أن يوسف أفضل من يعقوب عليه السلام . واحتجوا أيضًا بأن الملائكة لم يعلموا أسماء الأشياء حتى أنبأهم بها آدم ، على جميعهم السلام بتعليم الله عز وجل آدم إياها .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله تعالى يُعَلِّم من هو أنقص فضلا وعلما فى الجملة ، أشياء لا يعلمها من هو أفضل منه وأعلم منه بما عدا تلك الأشياء ، فعلم الملائكة ما لا يعلمه آدم ، وعلم آدم أسماء الأشياء ثم أمره بأن يعلمها الملائكة ، كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام ، حتى اتبعه موسى ليتعلم منه ، وعلَّم أيضًا موسى عليه السلام علومًا لم يعلمها الخضر ، وهكذا صح عن النبى ﷺ أن الخضر قال لموسى عليه السلام إنى على عِلْمٍ من علْم الله لا تَعْلَمُه أَنْتَ ، وأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلِم الله لا أَعْلَمُه أنا[٢١] » .

---

(١٩) يوسف : ١٠٠

(٢٠) يوسف : ٤

(٢١) هذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الفضائل ، باب فضائل خضر عليه السلام ، رقم ١٧٠ ، وجاء فيه : حدثنا عمرو ابن دينار عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس إن نَوْفًا البِكالىّ يزعم أن موسى عليه السلام صاحب بنى إسرائيل ليس هو صاحب الخضر عليه السلام ، فقال : كذب عدو الله ، سمعت أبىَّ بن كعب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قام موسى خطيبا فى بنى إسرائيل ، فسئل : أىُّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، قال فعتب الله عليه إذْ لم يردَّ العلم إليه ، فأوحى الله إليه إنَّ عبدًا من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى : أى ربّى كيف لى به ؟ فقيل له : احمل حوتا فى مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثمَّ ، فانطلق وانطلق معه فتاه ، وهو يوشع بن نون ، فحمل موسى عليه السلام حوتا فى مكتل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة ، فرقد موسى وفتاه ، فاضطرب الحوت فى المكتل حتى خرج من المكتل فسقط فى البحر ، قال : وأمسك الله عنه جرية الماء .... فانطلق بقية يومهما وليلتهما ، ونسى صاحب موسى أن يخبره ، فلما أصبح موسى عليه السلام قال لفتاه : (آتنا غداءَنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قال ... (أرأيت إذْ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله فى البحر عجبا . قال موسى : ذلك ما كنا نبغ فارتدًّا على آثارهما قصصا) .. فرأى رجلًا نائما مسجًّى عليه بثوب ، فسلم عليه موسى فقال له الخضر أنى بأرضك السلام قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ..؟ قال : نعم قال : إنك على علم من-

قال أبو محمد : وليس فى هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام .

قال أبو محمد : وقد قال بعض الجهال : إن الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة يأتونهم بالتحف من عند ربهم عز وجل . قال تعالى : « تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون[٢٢] » . وقال تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم[٢٣] » .

قال أبو محمد : أما خدمة الملائكة لأهل الجنة وإقبالهم إليهم بالتحف فشىء ما علمناه قط ولا سمعناه إلا من القصاص بالخرافات والتكاذيب ، وإنما الحق من ذلك ما ذكره الله عز وجل فى النص الذى أوردنا ، وهو ولله الحمد من أقوى الحجج فى فضل الملائكة على من سواهم ، ويلزم هذا المحتج إذا كان إقبال الملائكة بالبشارات إلى أهل الجنة دليلا على فضل أهل الجنة عليهم ، أن يكون إقبال الرسل إلينا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليلا على أننا أفضل منهم ، وهذا كفر مجرد ، ولكن الحقيقة هى أن الفضل إذا كان للأنبياء عليهم السلام على الناس بأنهم رسل الله إليهم ، ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة على الأنبياء والرسل ، لكونهم رسل الله تعالى إليهم ووسائِط بينهم وبين ربهم تعالى ، وأما تفضل الله تعالى على أهل الجنة بالأكل والشرب والجماع واللباس والآلات والقصور ، فإنما فضلهم الله عز وجل من ذلك بما يوافق طباعهم ، وقد نزه الله تعالى الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات ، بل أبانهم ، وفضلهم بأن جعل طبائعهم لا تتلذ بشىء من ذلك إلا بذكر الله تعالى وعبادته وطاعته فى تنفيذ أوامره تعالى ، فلا منزلة له أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذى جعل تعالى غاية إكرامنا الوصول إليه ، بعد لقاء الأمَرّين فى التعب فى عمارة هذه الدنيا النكدة ، وفى كلف الأعمال .

ففى ذلك المكان خلق عز وجل الملائكة منذ ابتدأهم ، وفيه خلدهم وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقال بعض السخفاء إن الملائكة بمنزلة الهواء والرياح .

قال أبو محمد : وهذا كذب وقحة ، وجنون لأن الملائكة بنص القرآن والسنن وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة عقلًا متعبدون مأمورون منهيون ، وليس كذلك الهواء

= علم الله علّمكه الله لا أعلمه ، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه ، قال له موسى عليه السلام : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علّمت رشدًا ... » الحديث .

(٢٢) الأنبياء : ١٠٣

(٢٣) الرعد : ٢٣

والرياح لكنها لا تعقل ولا هى مكلفة متعبدة ، بل هى مسخرة مصرَّفة لا اختيار لها قال تعالى : « والسحاب المسخر بين السماء والأرض[٢٤] » .

وقال تعالى : « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام[٢٥] » .

وذكر تعالى الملائكة فقال : « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون[٢٦] » .

وقال تعالى : « ويستغفرون لمن فى الأرض[٢٧] » .

وقال تعالى : « وقال الذين لا يرجون لقانا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين[٢٨] » .

فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى إتيانه بإتيان الملائكة فقال عز وجل : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة[٢٩] » .

وأعلم أن اعراب الملائكة هاهنا بالرفع عطفًا على الله عز وجل لا على الغمام .

ونص تعالى على أن آدم عليه السلام إنما أكل من الشجرة ليكون ملكا أو ليخلد ، كما نص تعالى علينا إذ يقول عزَّ وجل : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين[٣٠] » .

قال أبو محمد : فبيقين ندرى أن آدم عليه السلام لولا تيقنه بأن الملائكة أفضل منه وطمعه بأن يصير ملكًا لما قبل من إبليس ما غره به من أكل الشجرة ، التى نهاه الله عز وجل عنها ، ولو علم آدم أن الملك مثله أو دونه لما حمل نفسه على مخالفة أمر الله تعالى لينحط عن منزلته الرفيعة ، إلى الدون ، هذا ما لا يظنه ذو عقل أصلًا .

قال أبو محمد : وقال الله عز وجل : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون[٣١] » .

فقوله عز وجل بعد ذكر المسيح ولا الملائكة المقربون بلوغ للغاية فى علو درجتهم على المسيح

---

(٢٤) البقرة : ١٦٤
(٢٥) الحاقة : ٧
(٢٦) الأنبياء : ٢٧
(٢٧) الشورى : ٥
(٢٨) الفرقان : ٢٢
(٢٩) البقرة : ٢١٠
(٣٠) الأعراف : ٢٠
(٣١) النساء : ١٧٢

عليه السلام لأن بنية الكلام ورتبته إنما هى إذا أراد القائل نفى صفةٍ ما عن متواضع عنه أن يبدأ بالأدنى ثم بالأعلا وإذا أراد نفى صفة مّا عن مترفع عنها أن يبدأ بالأعلى ثم بالأدنى ، فنقول فى القسم الأول : ما يطمع فى الجلوس بين يدى الخليفة خازنه ولا وزيره ولا أخوه ، ونقول فى القسم الثانى : ما ينحط إلى الأكل فى السوق والٍ ولا ذو مرتبة ، ولا متصاون من التجار أو الصناع ، لا يجوز ألبتة غير هذا . وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وأيضًا فإن رسول الله تعالى ﷺ أخبر بأن الله تعالى خلق الملائكة من نور وخلق الإنسان من طين وخلق الجن من نار .

قال أبو محمد : ولا يجهل فضل النور على الطين وعلى النار أحد ، إلا من لم يجعل الله له نورًا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُور . وقد صح أن رسول الله ﷺ دعا ربه فى أن يجعل فى قلبه نورا[٣٢] . فالملائكة من جوهرٍ دعا أفضل البشر ربَّه تعالى فى أن يجعل فى قلبه منه ، وبالله تعالى التوفيق وفى هذا كفاية لمن عقل .

قال أبو محمد : وقال عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر » إلى قوله : « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا[٣٣] » فإنما فضل الله تعالى بنص كلامه عز وجل بنى آدم على كثير ممن خلق لا على كل من خلق ، وبلا شك أن بنى آدم مفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ما ليس حيوانا ، فلم يبق خلق يستثنى من تفضيل الله تعالى بنى آدم الا الملائكة فقط .

قال أبو محمد : وأما فضل رسول الله ﷺ على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام أن قال : فضلت على الأنبياء بست ، وروى بخمس ، وروى باربع وروى بثلاث رواه جابر بن عبد الله وأنس[٣٤] بن مالك ، وحذيفه بن اليمان ، وأبو هريرة وبقوله ﷺ : أنا سيد ولد آدم ولا فخر وإنه عليه السلام بعث إلى الأحمر والأسود ، وانه عليه السلام أكثر الأنبياء اتباعا ، وانه ذو الشفاعة التى يحتاج إليه يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم[٣٥]، أماتنا الله على ملّته ولا خالف بنا عنه ، وهو أيضًا عليه السلام خليل الله وكليمه .

---

(٣٢) الحديث رواه ابن عباس قال : « بت عند خالتى ميمونة ، فقام رسول الله ﷺ من الليل فأتى حاجته ، ثم غسل وجهه ويديه ثم قال ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها ثم توضأ ... ثم قام فصلّى فقمت فتمطأت كراهية أن يرى أنى كنت أرتقبه ، فتوضأت فقام يصلى فقمت عن يساره ، فأخذنى بأذنى ، فأدارنى عن يمينه ، فتتامت صلاة رسول الله ﷺ من الليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم اضطجع فنام حتى نفخ ، وكان إذا نام نفخ ، فأتى بلال فأذن بالصلاة ، فقام فصلى بتوضوه ، وكان يقول فى دعائه : « اللهم اجعل فى قلبى نورًا ، وفى بصرى نورًا ، وفى سمعى نورًا ، وعن يمينى نورًا ، وعن يسارى نورًا ، ومن فوق نورًا ، ومن تحتى نورًا ، ومن أمامى نورًا ، ومن خلفى نورًا ، وأعظم لى نورًا » . (مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣٤٣/١) .

(٣٣) الإسراء : ٧٠

(٣٤) الحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه بشرح النووى حـ ٥ ص ٥ ولفظه : « فضلت على الأنبياء بست ؛ أعطيت جوا مع الكلم ، ونصرت بالرّعب ، وأحلّت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهورًا ومسجدًا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون » . (راجع أيضًا جامع الأصول حـ ٨ ص ٥٣١ وصحيح البخارى : ٢١١/٣) .

(٣٥) لحديث رواه ابن ماجة فى سننه : ١٤٤٠/٢ فى كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة . ولفظه : « قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفّع ولا فخر ، ولواء الحمد بيدى يوم القيامة ولا فخر » . (راجع أيضا جامع الأصول : ٨ مناقب الرسول ﷺ » .

« الكلام فى الفقر والغنى »

قال أبو محمد : اختلف قوم فى أى الأمرين أفضل الفقر أم الغنى ؟

قال أبو محمد : وهذا سؤال فاسد لأن تفاضل العمل والجزاء فى الجنة إنما هو للعامل لا لحالة محمولة فيه ، إلا أن يأتى نص بتفضيل الله تعالى حالًا على حال ، وليس هاهنا نص فى فضل إحدى هاتين الحالتين على الأخرى .

قال أبو محمد : وإنما الصواب أن يقال أيهما أفضل الغنى أم الفقر ..؟ والجواب هاهنا هو ما قال الله تعالى إذ يقول : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون[1] » .

فإن كان الغَنِىُّ أفضل عملًا من الفقير فالغنى أفضل ، وإن كان الفقير أفضل عملًا من الغنىِّ فالفقير أفضل ، وإن كان عملهما متساويًا فهما سواء قال عز وجل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره[2] » .

وقد استعاذ النبى ﷺ من فتنة الفقر وفتنة الغنى ، وجعل الله عز وجل الشكر بإزاء الغنى ، والصَّبر بإزاء الفقر فمن اتقى الله عز وجل فهو الفاضل غنيا كان أو فقيرا ، وقد اعترض بعضهم هاهنا بالحديث الوارد : بأن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بكذا وكذا خريفا ونزع الآخرون بقول الله عز وجل : « ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى[3] » .

---

(١) النمل : ٩٠

(٢) الزلزلة : ٧ ، ٨ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) .

(٣) الضحى : ٧ ، ٨

قال أبو محمد : والغنى نعمة إذا قام حاملها بالواجب عليه فيها ، وأما فقراء المهاجرين فهم كانوا أكثر وكان الغنى فيهم قليلًا والأمر كله فيهم وفى غيرهم راجع إلى العمل بالنص ، وبالإجماع على أنه تعالى لا يجزى بالجنة على فقر ليس معه عمل خير ، ولا على غِنًى ليس معه عمل خير ، وبالله تعالى التوفيق .

« الكلام فى الاسم والمسمى »

قال أبو محمد : ذهب قوم إلى أن الإسم هو المسمى . وقال آخرون الإسم غير المسمى واحتج من قال إن الإسم هو المسمى بقول الله تعالى : « تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام[1] » .

قال : ولا يجوز أن يقال تبارك غير الله فلو كان الإسم غير المسمى ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك ، وبقوله تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى[2] » .

قالوا ومن الممتنع أن يأمر الله عز وجل بأن يُسبَّح غيره وبقوله عز وجل : « ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم واباءكم[3] » .

وقالوا الاسم مشتق من السُّمو ، وأنكروا على من قال إنه مشتق من الوسم ، وهو العلامة . وذكروا قول لبيد :

إلى الحول ثُمَّ اسْمُ السَّلام عَلَيْكُمَا   وَمَنْ يَبْك حَوْلًا كَامِلًا فَقَد اعْتَذَر

وقالوا : قال سيبويه الأفعال أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء قالوا : إنما أراد المسمين ،

---

(١) الرحمن : ٧٨

(٢) الأعلى : ١

(٣) يوسف : ٤٠

(٤) لبيد بن ربيعة : هو أبو عُقَيل لبيد بن ربيعة العامرى ، أحد أشراف الشعراء المجيدين من بنى عامر بن صعصعة أحد بطون هوازن مضر – لما ظهر الإسلام وأقبلت وقود العرب على النبى ﷺ جاء لبيد فى وفد بنى عامر وأسلمز وحفظ القرآن ، وترك الشعر حتى لم يروَ له فى الإسلام غير بيت واحد ، وجاء هذا البيت سابع الأبيات فى قصيدته التى يخاطب فيها ابنتيه حين حضرته الوفاة ومطلعها :

تمَنّى ابْنَتَاى أن يعيش أبوهما   وهل أنا إلَّا من ربيعة أو مضر

وقيل أن ابنتيه كانتا تلبسان ثيابهما فى كل يوم وتأتيان مجلس جعفر بن كلاب فترثيانه ولا تُعولان فأقامتا على ذلك حولًا كاملًا ثم انصرفتا ، ويحتج النحاة بهذا البيت على إقحام لفظه (اسم) (شرح ديوان لبيد بن ربيعة ص ٢١٤ ط الكويت) .

هذا كل ما احتجوا به فقد تقصيناه لهم ولا حجة لهم فى شىء منه ، أما قول الله عز وجل : « تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام[٥] » .

وذو الجلال فحق ، ومعنى تبارك تفاعل من البركة ، والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذى هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ، ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونُجلّه ونكرمه فله منا التبارك ، وله الإجلال منا ومن الله تعالى ، وله الإكرام من الله تعالى ومنا حيث ما كان من قرطاس أو فى شىء منقوش فيه أو مذكور بالألسنة ، ومن لم يُجل اسم الله عز وجل كذلك ولا أكرمه فهو كافر بلا شك . فالآية على ظاهرها دون تأويل فبطل تعلقهم بها جملة ولله تعالى الحمد ، وكل شىء نص الله تعالى عليه أنه تبارك فذلك حق له ، ولو نص تعالى بذلك على أى شىء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشىء . وأما قوله تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى » فهو أيضًا على ظاهره دون تأويل لأن التسبيح فى اللغة التى بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل إنما هو تنزيه الشىء عن السوء ، وبلا شك أن الله تعالى أمرنا أن ننزه اسمه الذى هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء ، حيث كان ، من كتاب أو منطوقا به ، ووجه آخر أن معنى قوله تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى » .

ومعنى قوله تعالى : « إن هذا لهو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم[٦] » .

ومعنى واحد وهو أن يسبح الله تعالى باسمه إذ[٧] لا سبيل إلى تسبيحه تعالى ولا إلى دعائه ولا إلى ذكره إلا بتوسط اسمه ، فكلا الوجهين صحيح حق وتسبيح الله تعالى وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص ، ولا فرق بين قوله تعالى : فسبح باسم ربك العظيم » وبين قوله : « وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه ، وإدبار النجوم[٨] » .

والحمد ، بلا شك غير الله تعالى وهو تعالى يسبح بحمده ، كما يسبح باسمه ولا فرق ، فبطل تعلقهم بهذه الآية والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : أما قوله تعالى : « ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم واباؤكم » .

فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الآية وجهان كلاهما صحيح ، أحدهما : أن معنى قوله عز وجل : « ما تعبدون من دونه إلا أسماء » . أى إلا أصحاب أسماء ، برهان هذا قوله تعالى

---

(٥) الرحمن : ٧٨.
(٦) الواقعة : ٧٤
(٧) فى (أ) : (ولا سبيل) .
(٨) الطور : ٤٨ ، ٤٩ ، وقد جاءت محرفة فى (أ) .

إثر ذلك متصلًا بها : « سميتموها أنتم وآباؤكم » فصح يقينًا أنه تعالى لم يعن بالأسماء هاهنا ذوات المعبودين لأن العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين ، بل الله تعالى توحَّد بإحداثها . هذا ما لا شك فيه . والوجه الثانى : أن أولئك الكفار إنما كانوا يعبدون أوثانا من حجارة أو بعض المعادن أو من خشب ، وبيقين ندرى أنهم قبل أن يسموا تلك الجمل من الحجارة ومن المعادن ومن الخشب باسم اللّات والعُزَّى ومناة ، وهُبَل ، وَوُدّ وسُوَاع ويَغُوث ويَعُوق ونَسْرًا وبَعْل[٩]، قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة فلما أوقعوا عليها هذه الأسماء عبدوها حينئذ ، فصح يقينا أنهم لم يقصدوا بالعبادة إلا الأسماء ، كما قال الله عز وجل لا الذوات المسميات .

فعادت الآية حجة عليهم ، وبرهانا على أن الاسم غير المسمى بلا شك ، وبالله التوفيق .

وأما قولهم : إن الإسم مشتق من السمو ، وقول بعض من خالفهم مشتق من الوسم فقولان فاسدان كلاهما باطل ، افتعله أهل النحو ، لم يصح قط عن العرب شيء منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء ، بل هو اسم موضوع مثل حجر ، ورمل ، وخشبه وسائِر الأسماء لا اشتقاق لها ، وأول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة أن يقال لهم : قال الله عز وجل : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[١٠]» .

فصح أن من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقًا فى قوله ، فهاتوا برهانكم على أن الاسم مشتق من السمو أو من الوسم ، وإلا فهى كذبة كَذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم أو على الله تعالى الواضع للغات كلها ، وقَوِلٌ عليه تعالى أو على العرب بغير علم ، وإلَّا فمن أين لكم أن العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السمو أو من الوسم .. ؟ والكذب لا يستحله مسلم ، ولا يستسهله فاضل ، ولا سبيل لهم إلى برهانٍ أصلًا بذلك ، وأيضًا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كما تزعمون فتسمية العَذِرَة ، والكلب ، والجيفة ، والقذر ، والشرك والخنزير والخساسة رفعة لها ، وسموٌّ لهذه المسميات وتبًّا لكل قول أدى إلى هذا الهوس البارد ، وأيضًا فهبك أنه قد سُلِّم لهم قولُهم أن الاسم مشتق من السمو ، أىُّ حجة فى ذلك على أن الإسم هو المسمى .. ؟ بل هو حجة عليهم لأن ذات المسمى ليست مشتقة أصلًا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا من غيره فصح بلا شك أن ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقًا ، والإسم بإقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة .

---

(٩) بعل : اسم صنم كان يعبده قوم إلياس عليه السلام (القاموس المحيط) .
(١٠) البقرة : ١١١

فالاسم غير الذات المسماة ، وهذا يلوح لكل من نصح نفسه أن المحتج بمثل هذا السفه عيَّار مستهزىء بالناس ، متلاعب بكلامه ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وهذا قول يؤدى من اتبعه وطرده إلى الكفر المجرد ، لأنهم قطعوا أن الإسم مشتق من السموّ ، وقطعوا أن الإسم هو الله نفسه ، فعلى قولهم المهلك الخبيث أن الله مشتق وأن ذاته نفسها مشتقة ، وهذا ما لا ندرى كافرا بلغه ، والحمد لله على ما منَّ به من الهدى . وأيضًا فإن الله تعالى يقول : « وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » إلى قوله تعالى قال : « يا آدم أنبئهم بأسمائهم[١١] » .

قال أبو محمد : فلا يخلو أن يكون الله عز وجل علم آدم الأسماء كلهّا ، كما قال عزّ وجل ، إما بالعربية ، وإما بلغة أخرى ، أو بكل لغة فإن كان عز وجل علمه الأسماء بالعربية ، فإن لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالى الأسماء كلها ، ولأمره تعالى آدم بأن يقول للملائكة : أنبئونى بأسماء هؤلاء .

فلا يجوز أن يخصّ من هذا العموم شىء أصلًا ، بل هو لفظ موقف عليه كسائر الأسماء ولا فرق ، وهو من جملة ما علمه الله تعالى آدم عليه السلام إلا أن يدّعوا أن الله تعالى اشتقه فالقوم كثيرًا ما يستسهلون الكذب على الله تعالى والإخبار عنه بما لا علم لهم به ، فصح يقينًا أن لفظة الإسم لا اشتقاق لها ، وإنما هى اسم مبتدأ كسائر أسماء[١٢] الأنواع والأجناس ، وإن كان الله تعالى علم آدم الأسماء كلها بغير العربية فإن اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة يدل كل إسم من تلك اللغة على إسم من العربية ، موضوع للعبادة عن تلك الألفاظ ، وإذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق فى شىء من الأسماء أصلا لا لفظة إسم ولا غيرها . وإن كان تعالى علمه الأسماء بالعَربية وبغيرها من اللغات غير[١٣] العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل أن يكون مشتقًا أصلًا ، والحمد لله رب العالمين ، فبطل قولهم فى اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم وبالله تعالى التوفيق .

وأما بيت لبيد : فإنه يخرج على وجهين : أحدهما أن السلام اسم من أسماء الله عز وجل ، قال تعالى : « الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن » .

ولبيد رحمه الله مسلم صحيح الصحبة للنبى ﷺ فمعناه : « ثم اسم الله عليكما حافظ

---

(١١) البقرة : ٣١ - ٣٣
(١٢) فى (أ) : (الأسماء والأنواع) .
(١٣) كلمة (غير) ليست مذكورة فى الأصل .
(١٤) الحشر : ٢٣

لكما ، والوجه الثانى ، أنه أراد بالسلام التحية ، ولبيد لا يقدر هو ولا غيره على إيقاع معنى التحية عليهما ، وإنما يقدر على ذلك الله تعالى بلا خلاف من أحد[١٥]، وإنما يقدر لبيد وغيره على إيقاع اسم التحية والدعاء بها فقط ، فأى الأمرين كان فاسم السلام فى بيت لبيد هو غير معنى السلام ، فالإسم فى ذلك البيت غير المسمى ولابد . ثم لو صح ما يدعونه على لبيد ولا يصح[١٦] لكان قول عائشة رحمها الله إنما أَهْجُر اسمك بيانًا أن الاسم غير المسمى وأن اسمه عليه السلام غيره لأنها أخبرت أنها لا تهجره وإنما تهجر اسمه وهى رضوان الله عليها ليست فى الفصاحة دون لبيد ، وهى أولى بأن تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لا لهم .. ؟ والحمد لله رب العالمين . وقد قال رؤبة[١٧] باسْمِ الَّذِى فِى كُلِّ سورة اسْمُه » ورؤبة ليس دون لبيد فى الفصاحة ، وذات البارى تعالى ليست فى كل سورة ، وإنما فى السورة اسم الله تعالى فلا شك فى أن الذى فى السورة غير الذى ليس فيها .

وقال أبو ساسان حُضَيْن بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى لابنه غيَّاظ .

وسُمّيتَ غَيَّاظًا ولَسْتَ بِغَائِظٍ عَدُوًّا ولكن الصَّديق تغيظ

فصرح بأن الإسم غير المسمى تصريحًا لا يحتمل التأويل ، بخلاف ما ادعوه على لبيد ، وأما قول سيبوية : إن الأفعال أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء فلا حجة لهم فيه ، فبيقين ندرى أنه أراد أحداث أصحاب الأسماء ، برهان ذلك قوله فى غير موضع من كتابه أمثلة الأسماء من الثلاثى ، والرباعى ، والخماسى ، والسداسى ، والسباعى ، وقطعه بأن السداسىَّ والسُّباعىَّ من الأسماء مزيدان ولابدَّ ، وأنَّ الثلاثىَّ من الأسماء أصلى ولابدَّ ، وأنَّ الرباعى والخماسى من الأسماء يكونان أصليين ، كجعفر وسفرجل ، ويكونان مزيدين ، وأن الثنائىَّ من الأسماء منقوص مثل يد ، ودم ، ولو تتبعنا قطعه على أن الأسماء هى الأبنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ أزيد من ثلاثمائة موضع .

أفلا يستحى من يدرى هذا من كلام سيبويه إطلاقًا لعلمه بأن مراده لا يخفى على أحدٍ قرأ من كتابه ورقتين . ونعوذ بالله من قلة الحياء .

---

(١٥) فى (أ) : سقط الكلام من قوله : (وإنما يقدر على ذلك الله تعالى) .

(١٦) فى (أ) : (ولو صح) .

(١٧) هو : رُؤْبَةُ بن عبد الله العَجَّاج بن رؤبة ، من بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، أبو الجُحاف راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه فى البصرة ، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ، ويقولون بإمامته فى اللغة ، مات فى البادية وقد أسنَّ ، وفى الوفيات : لما مات رؤبة قال الخليل : « دفنَّا الشعر واللغة والفصاحة » وهذا الجزء من البيت ليس موجودًا فى ديوانه . (ترجمته فى اللالىء ، والأغانى ، وتهذيب التهذيب – وديوانه مطبوع فى مجموع أشعار العرب – اعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد البروسى » . (راجع الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر : ٥٩٤ الترجمة رقم ١٠٨) .

وأول سطر من كتاب « سيبويه » بعد البسملة : هذا باب علم ما الكلم من العربية ، فالكلم : اسم ، وفعل ، وحرف ، جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، فالاسم : رجل وفرس . فهذا بيان جلى من « سيبويه » ، ومن كل من تكلم فى النحو قبله وبعده ، على أن الأسماء هى بعض الكلام ، وأن الاسم هو كلمة من الكلم ، ولا خلاف بين أحد له حس سليم فى أن المسمَّى ليس كلمة ، ثم قال بعد أسطر يسيرة : والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الإعراب ، وحروف الإعراب الأسماء المتمكنة ، والأفعال المضارعة ، وأسماء الفاعلين ، وهذا منه بيان لا إشكال فيه ، أن الأسماء غير الفاعلين وهى التى تضارعها الأفعال التى فى أوائلها الزوائد الأربع ، وما قال قط من يرمى بالحجارة : أن الأفعال تضارع المسمين ، ثم قال : والنصب فى الأسماء ؛ رأيت زيدًا ، والجر : مررت بزيد ، والرفع : هذا زيد . وليس فى الأسماء جزم لتمكنها ، وإلحاق التنوين ، وهذا كله بيان أن الأسماء : هى الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة ، لا المسمّون بها ، ولو تتبع هذا فى أبواب الجمع وأبواب التصغير ، والنداء والترخيم ، وغيرها لكثر جدًّا ، وكاد يفوت التحصيل .

* * *

قال أبو محمد : فسقط كل ما شغب به القائلون بأن الاسم هو المسمّى ، وكل قول سقط احتجاج أهله ، وعُرِّى عن برهان فهو باطل .

ثم نظرنا فيما احتج به القائلون : أن الاسم غير المسمَّى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه[19] » .

قالوا والله عزّ وجلَّ واحد ، والأسماء كثيرة ، وقد تعالى الله عن أن يكون اثنين ، أو أكثر ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن لله تسعةً وتسعين اسْمًا ، مائةً غيرَ واحِدٍ ، مَنْ أحصاها دخل الجنة[20] » .

قالوا : ومن قال : إن خالقه أو معبوده تسعةٌ وتسعون فهو شرٌّ من النصارى الذين لم يجعلوه إلَّا ثلاثة .

---

(١٨) هو : حُضَين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلى الشيبانى أبو ساسان تابعى من سادات ربيعة وشجعانهم ، كان صاحب راية على ابن أبى طالب يوم« صفين » ، وفيه يقول الشاعر :

لمن رايَـــةٌ سَوداء يخفـــق ظلهـــا إذا قلت قدِّمهـــا حُضَين تقدَّمـــا

ولّاه على « اصطخر » ، ولما استتب الأمر لمعاوية وفد عليه فأكرمه . توفى سنة ٩٧ هـ (راجع : تهذيب ابن عساكر : ٣٧٤/٤) بتصرف

(١٩) الأعراف : ١٨٠

(٢٠) سبق تخريج هذا الحديث .

قال أبو محمد : وهذا برهان ضرورى لازم ، ورأيت لمحمد بن الطيب الباقلانى ، ولمحمد ابن الحسن بن فورك[٢١] الأصبهانى : أنه ليس لله تعالى إلا اسم واحد فقط .

قال أبو محمد : وهذا معارضة وتكذيب لله عزَّ وجل ، وللقرآن ، ولرسول الله ﷺ ، ولجميع العالمين ، ثم عطفا فقالا : معنى قول الله عزَّ وجلَّ : « ولله الأسماء الحسنى » .

وقول رسول الله ﷺ : « إن لله تِسْعَةً وتِسعين اسْمًا » إنما هو التسمية لا الأسماء .

قال أبو محمد : وكان هذا التقسيم أدخل فى الضلال من ذلك الإجمال ، ويقال لهم : فعلى قولكم هذا ، أراد الله تعالى أن يقول : لله التسميات الحسنى ، فقال : « الأسماء الحسنى » ، وأراد رسوله ﷺ أن يقول إن لله تسعة وتسعين تسمية ، فقال : « إن لله تسعةً وتسعين اسما » أعَنْ غلطٍ وخطأ قال الله تعالى ذلك ، ورسوله ﷺ ، أم عن عمدٍ ، ليضل بذلك أهل الإسلام ؟ أم عن جهل باللغة التى تنبهتما لها أنتما ؟

ولابدَّ من أحد هذه الوجود ضرورة ، لا محيد عنها وكلها كفر مجرد ، ولابدَّ لهم من أحدها ، أو ترك ما قالوه من الكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ .

هذا ودعواهم فى ذلك ظاهرة الكذب بلا دليل ، ولا يرضى بهذا لنفسه عاقل .

قال أبو محمد : الاسم غير المسمَّى ، فهو شىء ثالث غير الاسم ، وغير المسمى ، فذات الخالق تعالى هى الله المسمَّى ، والتسمية : هى تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف ، وهى غير الحروف ، لأن الحروف هى الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرَّك بفتح الراء ، والإنسان هو المحرِّك بكسر الرَّاء ، والحركة هى فعل المحرِّك فى دفع المحرَّك ، وهذا أمر معلوم بالحس ، مشاهد بالضرورة ، متفق عليه فى جميع اللغات .

واحتجوا أيضًا بقول الله تعالى : « إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا[٢٢]» .

وهذا نص لا يحتمل تأويلًا ، فى أن الإسم هو (الياء والحاء والياء والألف) ولو كان الإسم هو المسمى لما عقل أحد معنى قوله تعالى : « لم نجعل له من قبل سميا » ولا فهم ، ولكان فارغا حاشا لله من هذا . ولا خلاف فى أن معناه لم يعلق هذا الاسم على أحد قبله .

وذكروا أيضًا قول الله عزَّ وجل عن نفسه : « هل تعلم له سميا[٢٣]» وهذا نص جلى على أن

---

(٢١) راجع ترجمتهما فى الجزء الرابع : ٢ ، ٣

(٢٢) مريم : ٧ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .

(٢٣) مريم : ٦٥

أسماء الله تعالى التى اختص بها لا تقع على غيره ، ولو كان ما يدعونه لما عقل هذا اللفظ أحد أيضًا ، حاشا لله من هذا .

واحتجوا أيضًا بقول الله تعالى : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد[٢٤] » وهذا نص على أن الإسم هو (الألف ، والحاء ، والميم ، والدال) إذا اجتمعت . واحتجوا أيضًا بقول الله عزّ وجل : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، إلى قوله : « قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال : ألم أقل لكم » الآية .

وهذا نصٌّ جلى على أن الأسماء كلها غير المسمَّيات ، لأن المسميات كانت أعيانا قائمة ، وذوات ثابتة ، تراها الملائكة ، وإنما جهلت الأسماء فقط التى علمها الله آدم ، وعلمها آدم الملائكة ، وذكروا قول الله تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى[٢٥] » .

وهذا ما لا حيلة لهم فيه ، لأن لفظة (الله) هى غير لفظة (الرحمن) بلا شك وهى بنص القرآن أسماء الله تعالى . والمسمَّى واحد لا يتغاير بلا شك .

وذكروا قول الله عزَّ وجل : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه[٢٦] » . وهذا بيان أيضًا جلى مجمع عليه من أهل الإسلام أن الذى عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة ، مثل (الله الرحمن الرحيم) وسائر أسمائه عزَّ وجل .

واحتجوا من الإجماع بأن جميع أهل الإسلام لا نحاشى منهم أحدًا قد أجمعوا على القول بأن من حلف باسم من أسماء الله عزَّ وجل فحنث فعليه الكفارة ، ولا خلاف فى أن ذلك لازم فيمن قال والله ، أو والرحمن أو الصَّمد ، أو أى اسم من أسماء الله عزَّ وجل حلف بها ، وسبحان من خلق عقولًا لا يدخل فيها تخطئة ما جاء به الله عز وجل فى القرآن ، وما قاله رسول الله ﷺ وما أجمع عليه أهل الإسلام وما أصفق عليه أهل الأرض قاطبة من أن الإسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة ، وتصويب الباقلانى ، وابن فورك ، فى أن ذلك ليس هو الإسم وإنما هو التسمية والحمد لله الذى لم يجعلنا من أهل هذه الصفة المرذولة ولا من هذه العصابة المخذولة .

---

(٢٤) الصف : ٦ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .
(٢٥) الإسراء : ١١٠
(٢٦) الأنعام : ١٢١

واحتجوا أيضًا بقول رسول الله ﷺ : « إذا أرسلت كلبك فذكرت اسم الله فكل[٢٧] » فصح أن اللفظ المذكور هو اسم الله تعالى . وقول رسول الله ﷺ إن له أسماء هى أحمد ، ومحمد ، والعاقب ، والحاشر ، والماحى[٢٨].

فيالله وياللمسلمين أيجوز أن يظن ذو مسكة عقل أن رسول الله ﷺ خمس ذوات ، تبارك الذى يخلق ما لا نعلم . وذكروا قول رسول الله ﷺ « تسمُّوا باسْمِى ولا تكنوا بكنيتى[٢٩] » .

فصح أن الإسم هو الميم والحاء والميم والدال بيقين لا شك فيه واحتجوا بقول عائشة رضى الله عنها بحضرة رسول الله ﷺ وقد قال لها عليه السلام : « إذا كُنْتِ رَاضِيَةً عَنِّى قُلْتِ لَا ورَبِّ مُحَمَّد ، وإذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ لَا وَرَبِّ إبْرَاهِيم ، قالت أَجَلْ يا رسول الله ما أَهْجُرُ إلَّا اسمك[٣٠] » فلم ينكر رسول الله ﷺ عليها هذا القول ، فصح أن اسمه غيره بلا شك لأنها لم تهجر ذاته وإنما هجرت اسمه ، احتجوا أيضًا بقول رسول الله ﷺ أحب الأسماء إلى الله عزَّ وجل عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدق الأسماء همام والحارث[٣١].

وروى أكذبها خالد ، ومالك ، وهذا كله سبق أن الإسم غير المسمى ، فقد يسمى عبد الله وعبد الرحمن ، من يبغضه الله عز وجل ، وقد يمسى من يكون كذَّابًا الحارث وهمامًا ، ويسمى الصادق خالدًا ومالكا ، فهم بخلاف أسمائهم . واحتجوا أيضًا بأن قالوا قد أجمعت الأمم كلها على أنه إذا سئل المرء ما اسمك ؟ قال : فلان فإذا قيل له كيف سميت ابنك وعبدك ؟ قال : سميته فلانا ، فصح أن تسميته هى اختياره وإيقاعه ذلك الإسم على المسمى فصح يقينًا أن التسمية غير الإسم وغير المسمى ، وأن الإسم غير المسمى ، واحتجوا من طريق النظر بأن قالوا

---

(٢٧) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب الصيد والذبائح ، باب : الصيد بالسهام والتسمية عند الرمى ولفظه عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : لى رسول الله ﷺ : إذا أرسلتَ كلبك فاذكر اسم الله ، فإن أمسك عليك فأدركته حيا فاذبحه ، وإن أدركته قد قَتَل ولم يأكل منه فكله ، وإن وجدت مع كلبك كلبا غيره ، وقد قتل ، فلا تأكل فإنك لا تدرى أيهما قتله ، وإن رميت بسهمك فاذكر اسم الله ، فإن غاب عنك يومًا فلم تجد فيه إلَّا أثر سهمك ، فكل إن شئت ، وإن وجدته غريقًا فى الماء فلا تأكل » (٦/٥٨) .

(٢٨) الحديث رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، باب فى عدد أسماء النبى ﷺ ولفظه عن جُبَيْر بن مطعم رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : إنَّ لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد ، وأنا الماحى ، الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يُحْشَرُ النَّاسُ على قدَمىَّ ، وأنا العاقبُ الذى ليس بعده أحد » وقد سمَّاه الله رءوفًا رحيما » » . (٧/٨٩) .

(٢٩) رواه مسلم فى كتاب الأدب ، عن أنس رضى الله عنه قال : نادى رجل رجلًا بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنّى لم أعْنِكَ إنما دعَوْت فلانا ، فقال رسول الله ﷺ : تَسَمَّوْا باسمى ، ولا تَكْتَنُوا بكنيتى » (٦/١٦٩ باب قول النبى ﷺ تَسمَّوا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى) .

(٣٠) الحديث رواه مسلم فى كتاب الفضائل ولفظه عن عائشة قال : قال لى رسول الله ﷺ إنى لأعلم إذا كنت عنّى راضية ، وإذا كنت علىَّ غضبى » قالت فقلت : ومن أين تعرف ذلك ؟ قال : « أمّا إذا كنت عنّى راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ! ، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم ، قالت قلت : أجل والله يا رسول الله ؛ ما أهجر إلا اسمك » (٤/٨٩٠) تحقيق محمد فؤاد عبد الباق .

(٣١) جاء هذا الحديث فى صحيح مسلم فى كتاب الأدب ولفظه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله « إنَّ أحبَّ أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » .

إنهم يقولون إن اسم الله تعالى هو الله نفسه ، ثم لا يسألون بأن يقولوا أسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فعليم مشتق من علم ، وقدير من قدرة ، وحيٌّ من حياة ، فإذًا اسم الله هو الله ، واسم الله مشتق ، فالله تعالى على قولكم مشتق وهذا كفر بارد ، وكلام سخيف لا مخلص لهم منه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنن ، والإجماع والعقل ، واللغة والنحو ، على أن الإسم غير المسمى بلا شك ولقد أحسنٌ أحمد ابن حداد ما شاء أن يحسن إذ يقول :

هيهات يا أخت آل بما غلطت ... فـــى الإســـم والمســـمى
لو كان ذاك وقيل ســـم ... مات إذن مـن يقـول ســـما

قال أبو محمد : وبلغنى وأخبرنى أبو عبد الله القطان السايح من شاهد بعضهم قد كتب الله فى سحّاه وجعل يصلى إليها قال فقلت له : ما هذا .. ؟ قال معبودى قال فنفخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربنى .

قال أبو محمد : وموهوا فقالوا فأسماء الله عز وجل إذن مخلوقة إذ هى كثيرة ، وإذ هى غير الله تعالى ؟ قلت لهم وبالله تعالى التوفيق : إن كنتم تعنون الأصوات التى هى حروف الهجاء والمخطوط به فى القرطاس فما يختلف مسلمان فى أن كل ذلك مخلوق ، وإن كنتم تريدون الإيهام والتمويه بإطلاق الخلق على الله تعالى فمن أطلق ذلك فهو كافر ، بل إن أشار مشير إلى كتاب مكتبوب فيه « الله أو بعض أسماء الله تعالى أو إلى كلامه إذ قال يا الله أو قال بعض أسمائه عز وجل فقال أهذا مخلوق أو أهذا ليس ربكم .. ؟ أو تكفرون بهذا لما حل لمسلم إلا أن يقول حاشى لله من أن يكون مخلوقًا بل هو ربِّى وخالقى ، أو من به ولا أكفر به ، ولو قال غير هذا لكان كافرًا حلال الدم لأنه لا يمكن أن يسأل عن ذات البارىء تعالى ولا عن الذى هو ربنا عز وجل وخالقنا ، والذى هو المسمى بهذه الأسماء ولا إلى الذى يخبر عنه ولا إلى الذى يذكر ألا يذكر اسمه ولابد ، فلما كان الجواب فى هذه المسألة يموهه أهل الجهل بإيصال ما لا يجوز إلى ذات الله عز وجل لم يجز أن يطلق الجواب فى ذلك ألبتة إلا بتقسيم ، كما ذكرنا وكذلك لو كتب إنسان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم أو نطق بذلك ثم قال لنا هذا رسول الله ﷺ أم ليس رسول الله وأتؤمنون بهذا أو تكفرون به ..؟ لكان من قال ليس رسول الله وأنا أكفر به كافرًا حلال الدم باجماع أهل الإسلام ، لكن يقول بل هو رسول الله ، ونحن نؤمن به ولا يختلف اثنان فى أن الصوت المسموع والخط المكتوب ، ليس هو الله ولا رسول الله ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قالوا : إن أحمد بن[٣٢] حنبل ، وأبا زرعة عبيد[٣٣] الله بن عبد الكريم ، وأبا حاتم محمد

---

(٣٢) أحمد بن حنبل : راجع ترجمته فى (٢٨٠/٢ ، ٥٤٢/٣) من هذا المؤلف .

(٣٣) أبو زرعة : هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومى بالولاء ، أبو زرعة الرازى من حفاظ الحديث الأئمة ، من أهل ـــ

ابن إدريس[٣٤] الحنظلى ، الراويين رحمهم الله يقولون إن الإسم هو المسمى . قلنا لهم : إن هؤلاء رضى الله عنهم وإن كانوا من أهل السنة ، ومن أئمتنا فليسوا معصومين من الخطأ ، ولا أمرنا الله تعالى عز وجل بتقليدهم واتباعهم فى كل ما قالوه ، وهؤلاء رحمهم الله أراهم اختيار هذا القول قولهم الصحيح أن القرآن هو المسموع من القراء ، والمخطوط فى المصاحف نفسه ، وهذا قول صحيح ولا يوجب أن يكون الإسم هو المسمى على ما قدمنا فى هذا الباب ، وفى باب الكلام فى القرآن ، والحمد لله رب العالمين ، وإنما العجب كله ممن قلب الحق وفارق هؤلاء المذكورين حيث أصابوا وحيث لا يحل خلافهم وتعلق بهم حيث وهموا ، من هؤلاء المنتمين إلى الأشعرى ، القائلين بأن القرآن لم ينزل قط إلينا ولا سمعناه قط ، ولا نزل به جبريل قط على قلب رسول الله ﷺ ، وأن الذى فى المصاحف هو شىء آخر غير القرآن ، ثم اتبعوا هذه الكفرة الصلعاء بأن قالوا : إن اسم الله هو الله وأنه ليس لله إلا اسم واحد ، وكذَّبوا الله تعالى ورسوله فى أن لله أسماء كثيرة تسعة وتسعين ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : ولو أن إنسانًا يشير إلى كتاب مكتوب فيه الله ، فقال هذا ليس ربى وأنا كافر بهذا لكان كافرًا ، ولو قال هذا المداد ليس ربى وأنا كافر بربوبية هذا الصوت لكان صادقا ، وهذا لا ينكر وإنما نقف حيث وقفنا ولو أن إنسانا قال محمد رسول الله رحمه الله لم يبعد من الاستخفاف ، فلو قال اللهم ارحم محمد وآل محمد لكان محسنًا ، ولو أن إنسانًا يذكر من أبويه العضو المستور باسمه عَاقًا أتى كبيرة وإن كان صادقًا ، وبالله تعالى التوفيق .

— الرى ، زار بغداد وحدَّث بها وجالس أحمد بن حنبل ، كان يحفظ مائة ألف حديث ، ويقال : كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل . توفى بالرى سنة ٢٦٤ هـ ، وله مسند . (الأعلام : ٤/٣٥٠) .

(٣٤) هو : أبو حاتم : محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلى ، حافظ للحديث ، من أقران البخارى ومسلم ، ولد فى الرى ، وإليها نسبته ، وتنقل فى العراق والشام ومصر ، وبلاد الروم . توفى ببغداد سنة ٢٧٧ هـ ، له (طبقات التابعين) وكتاب (الزينه) (الأعلام : ٦/٢٥٠) .

« الكلام فى قضايا النجوم والكلام فى هل يعقل الفلك والنجوم أم لا »

قال أبو محمد : زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها ترى ، وتسمع ، ولا تذوق ، ولا تشم ، وهذه دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل ، مردود عند كل طائفة بأول العقل ، إذ ليست أصح من دعوى أخرى تضادها وتعارضها ، وبرهان صحة الحكم بأن الفلك والنجوم لا تعقل أصلا : هو أن حركتها أبدًا على رتبة واحدة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبَّر الذى لا اختيار له ، فقالوا الدليل على هذا : أن الأفضل لا يختار إلا أفضل العمل . فقلنا لهم ومن أين لكم بأن الحركة أفضل من السكون الاختيارى ؟ لأننا وجدنا الحركة حركتين ، حركة اختيارية واضطرارية ، ووجدنا السكون سكونين اختياريًا واضطراريًا ، فلا دليل على أن الحركة الاختيارية أفضل من السكون الاختيارى ، ثم من لكم بأن الحركة الدورية أفضل من سائر الحركات يمينا أو يسارًا أو أمام أو وراء ؟ ثم من لكم بأن الحركة من شرق إلى غرب كما يتحرك الفلك الأكبر أفضل من الحركة من غرب إلى شرق ، كما تتحرك سائر الأفلاك وجميع الكواكب فلاح أن قولهم مخرفة فاسدة ، ودعوى كاذبة ، مموهة .

وقال بعضهم : لمَّا كُنَّا نحن نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت أولى بالعقل والحياة منَّا . فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان فى نسق ، إحداهما القول بأنها تدبرنا فهى دعوى كاذبة بلا برهان على ما نذكره بعد هذا إن شاء الله ، والثانية الحكم بأن من يدبرنا أحق بالعقل والحياة منا ، فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيًا ويكون اختياريًا ، فلو صح أنها تدبرنا لكان تدبيرًا طبيعيًا كتدبير الغذاء لنا ، وكتدبير الهواء والماء لنا ، وكل ذلك ليس حيًّا ولا عاقلًا بالمشاهدة . وقد أبطلنا الآن أن يكون تدبير النجوم[1] اختياريًا بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة ، لا تنتقل عنها أصلًا . وأما القول بقضايا النجوم فإنا نقول فى ذلك قولا لائحًا ظاهرًا إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى (أ) : (الكواكب) .

قال أبو محمد : أما معرفة قطعها فى أفلاكها وآحاد[٢] ذلك ومطالعها ، وأبعادها ، وارتفاعاتها واختلاف مراكز أفلاكها ، فعلم حسن صحيح رفيع يُشرف به الناظر فيه على عظيم قدرة الله عز وجل ، وعلى يقين تأثيره وصنعته واختراعه تعالى للعالم وما[٣] فيه ، وفيه الذى يضطر كل ذلك إلى الإقرار بالخالق ولا يستغنى عن ذلك فى معرفة القبلة وأوقات الصلوات ، وينتج من هذا معرفة رؤية الأهلة لفرض الصوم والفطر ومعرفة الكسوفين ، برهان ذلك قول الله عز وجل : « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق[٤]» وقال تعالى : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون[٥]» وقال تعالى : « والسماء ذات البروج[٦]» . وقال تعالى : « لتعلموا عدد السنين والحساب[٧]» .

وهذا هو نفس ما قلناه وبالله تعالى التوفيق .

وأما القضاء[٨] بها : فالقطع به خطأ لما نذكره إن شاء الله تعالى وأهل القضاء ينقسمون قسمين أحدهما : القائلون بأنها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون الله تعالى ، أو معه وأنها لم تزل فهذه الطائفة كفار مشركون حلال دماؤهم وأموالهم بإجماع الأمة ، وهؤلاء عنى رسولُ الله ﷺ إذ يقول ان الله عز وجل : قال « أصبح من عبادى كافر بى مؤمن بالكوكب[٩]» .

وفسره رسول الله ﷺ بأنه القائل مُطِرْنا بنوء كذا وكذا . وأما من قال بأنها مخلوقة وأنّها غير عاقلة لكن الله عزَّ وجل خلقها وجعلها دلائل على الكوائن فهذا ليس كافرا ولا مبتدعا ، وهذا هو الذى قلنا فيه إنه خطأ ، لأن قائل هذا إنما يحيل على التجارب فما كان من تلك التجارب ظاهرا إلى الحسِّ كالمد والجزر الحادثين عند طلوع القمر واستوائه وأفوله وامتلائه ونقصانه ، وكتأثير القمر فى قتل الدَّابة الدبرة إذا لاقى الدبرة ضوؤه وكتأثير فى القرع والقثاء المسموع لنموها مع القمر صوتٌ قوى ، وكتأثيره فى الدماغ والدم والشعر ، وكتأثير الشمس فى عطش[١٠] الحر وتصعيد الرطوبات ،

---

(٢) فى (أ) : (وآناء) .

(٣) فى (أ) : (بما) .

(٤) المؤمنون : ١٧

(٥) يس : ٣٩ ، ٤٠

(٦) البروج : ١

(٧) يونس : ٥

(٨) فى (أ) : (الفقهاء) وهو تحريف .

(٩) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، ورواه البخارى فى كتاب الاستسقاء ، ورواه مالك فى كتاب الاستسقاء أيضًا ، والعبارات متفاوتة ، ولفظه عند مسلم : عن زيد بن خالد الجُهَنى : قال : صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى إثر السماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مُطِرْنا نبوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » . (مسلم : كتاب الإيمان ص ٥٩ الجزء الأول) .

(١٠) فى (أ) : (عكس) .

وكتأثيرها فى أعين السنانير بين غدوة ونصف النهار وبالعيش ونصف الليل وسائر ما يوجد حسًّا فهو حق لا يدفعه ذو حسٍّ سليم ، فكل ذلك خلق الله عز وجل فهو خلق القوى وما يتولد منها وما يوجد بها كما قال تعالى : « فأحيينا به الأرض بعد موتها[١١] » « فأخرجنا به من كل الثمرات[١٢] » « فأنبتنا به جنات وحب الحصيد[١٣] » .

وأما ما كان من تلك التجارب خارجًا عما ذكرنا فهى دعاوى لا تصح لوجوه أحدها أن التجربة لا تصح إلا بتكرُّرٍ كثير موثوق بدوامة تضطر النفوس إلى الإقرار به ، كاضطرارنا إلى الإقرار بأن الإنسان إن بقى ثلاث ساعات تحت الماء مات ، وإن أدخل يده فى النار احترق ، ولا يمكن هذا فى القضاء بالنجوم لأن النصب الدالة عندهم على الكائنات لا تعود إلا فى عشرات الآلاف من السنين لا سبيل إلى أن تصح فيها[١٤] تجربة ولا إلى أن تبقى دورة تراعى تكرار تلك الأدوار ، وهذا برهان مقطوع به على بطلان دعواهم فى صحة القضاء[١٥] بدلائل النجوم .

وبرهان آخر : وهو أن شروطهم فى القضاء لا يمكنهم الإحاطة بها أصلا من معرفة مواقع السهام ، ومطارح الشعاعات ، وتحقيق الدرج النيرة والضيمة والمظلمة والآثار ، والكواكب السارية[١٦] وسائر شروطهم التى يقرون أنه لا يصح القضاء إلا بتحقيقها .

وبرهان ثالث : وهو أنه مادام يشتغل المعدِّل فى تعديل كوكب زلَّ عنه سائِر الكواكب ولو دقيقة ولابد ، وفى هذا فساد القضاء بإقرارهم .

وبرهان رباع : وهو ظهور يقين الباطل فى دعواهم إذ جعلوا طبع زحل البرد واليبس ، وطبع المريخ الحر واليبس ، وطبع القمر البرد والرطوبة ، وهذا الصفات إنما هى للعناصر التى دون فلك القمر ، وليس شىء منها فى الأجرام العلوية لأنها خارجة عن محل حوامل هذه الصفات والأعراض لا تتعدى حواملها ، والحوامل لا تتعدى مواضعها التى رتبها الله فيها .

وبرهان خامس : وهو ظهور كذبهم فى قسمتهم الأرض على البروج والدرارى ، ولسنا نقول فى المدن التى يمكنهم فيها دعوى أن بناءها كان فى طالع كذا ، ونصبه[١٧] كذا ، لكن فى الأقاليم والقطع من الأرض التى لم يتقدم كون بعضها كون بعض فظهر[١٨] كذبهم فيما عليه بنوا قضاياهم فى النجوم ، وكذلك قسمتهم أعضاء الجسم والفلزات على الدرارى أيضًا .

---

(١١) فاطر : ٩
(١٢) الأعراف : ٥٧
(١٣) سورة (ق) : ٩
(١٤) فى (أ) : (منها) .
(١٥) فى (أ) : (القضايا بالنجوم) .
(١٦) فى (أ) : (البنيانية) .
(١٧) فى (أ) : (ونصه) .
(١٨) فى (أ) : سقطت كلمة (فظهر) .

وبرهان سادس : أننا نرى نوعًا وأنواعًا من أنواع الحيوان قد فشا فيها الذبح ، فلا يكاد يموت شيء منها إلا مذبوحًا كالدجاج ، والحمام ، والضأن والمعز والبقر التى لا يموت منها حتف أنفه إلا فى غاية الشذوذ ، ونوعًا وأنواعًا لا تكاد تموت إلا حتف أنوفها كالحُمر ، والبغال ، وكثير من السباع ، وبالضرورة يدرى كل أحد أنها قد تستوى أوقات ولاداتها فبطل قضاؤهم بما يوجب الموت الطبيعى ، وبما يوجب الموت(١٩) الكرهى ، لاستواء جميعها فى الولادات واختلافها فى أنواع المنايا .

وبرهان سابع : وهو أننا نرى الخصا فاشيًا فى سكان الإقليم الأول ، وسكان الإقليم السابع ولا سبيل إلى وجوده ألبتة فى سكان سائر الأقاليم ، ولا شك ولا مرية فى استوائهم فى أوقات الولادة فبطل يقينا قضاؤهم بما يوجب الخصا وبما لا يوجبه بما ذكرنا من تساو فى أوقات التكون والولادة واختلافهم فى الحكم ، ويكفى من هذا أن كلامهم فى كل ذلك دعوى بلا برهان ، وما كان هكذا فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندهم ، والحق لا يكون فى قولين مختلفين . وأيضًا : فإن المشاهدة توجب أننا قادرون على مخالفة أحكامهم متى أخبرونا بها فلو كانت حقًا وحتمًا ما قدر أحد على خلافها وإذا أمكن خلافها فليست حقًا ، فصح أنها تخرُّص كالطرق بالحصا والضرب بالحب ، والنظر فى الكف والزجر والطيرة وسائر ما يدعى أهله فيه تقديم المعرفة بلا شك ، وما يحصى(٢٠) ما شاهدناه وما صح عندنا مما حققه حذاقهم من التعديل فى المواليد ، والمناخات(٢١)، وتحاول السنين ثم قضوا به فأخطئوا وما تقع إصابتهم من خطأهم إلا فى جزء يسير ، فصح أنه تخرصٌ لا حقيقة فيه لاسيما دعواهم فى إخراج الضمير(٢٢) فهو كله كذب لمن تأمله ، وبالله تعالى التوفيق .

وكذلك قولهم فى الغيبيات(٢٣) أيضا ولو أمكنٍ تحقيق تلك التجارب فى كل ما ذكرنا لصدقناها وما يبدو منها ولم يكن ذلك علم غيَّب لأن كلَّ ما قام عليه دليل من خط ، أو كف(٢٤) أو زجر أو تطير فليس غيبا لو صح وجه كل ذلك ، وإنما الغيب وعلمه : فهو أن يخبر المرء بكائنة من الكائِنات دون صناعة أصلًا من شيء مما ذكرنا ، ولا من غيره فيصيب الجزئى والكلى ، وهذا لا يكون إلا لنبى وهى معجزة حينئذ . وأما الكهانة فقد بطلت بمجيء رسول الله ﷺ وكان هذا من إعلامه وآياته وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٩) فى (أ) : سقطت كلمة (الموت) .
(٢٠) فى (أ) : (وما يخص) وهو تحريف .
(٢١) فى (أ) : (والمناجاة) .
(٢٢) أى معرفة ما فى داخل النفس من أسرار .
(٢٣) فى (أ) : (القرانات) .
(٢٤) فى (أ) : (كتف) وهو تحريف .

الكلام فى خلق الله تعالى للشيء أهو المخلوق نفسه أم غيره ..؟ وهل فعل من دون الله تعالى هو المفعول أم غيره ..؟

قال أبو محمد : ذهب قوم إلى أن خلق الشيء هو غير الشيء المخلوق ، واحتج هؤلاء بقول الله عز وجل : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم[1] » .

قال أبو محمد : ولا حجة فى هذه الآية لأن الإشهاد هاهنا هو الإحضار بالمعرفة ، وهذا حق لأن الله تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السماوات والأرض وابتداء أنفسنا ، ووجدنا من قال : إن خلق الشيء هو الشيء نفسه يحتج بقول الله عز وجل : « هذا خلق الله[2] » الآية .

وهذه إشارة إلى جميع المخلوقات فقد سمى الله تعالى جميع المخلوقات كلها خلقًا له ، وهذا برهان لا يعارض .

قال أبو محمد : ثم نسأل من قال إن خلق الشيء غير الشيء ؟ فنقول له أخبرنا عن خلقه الله تعالى لما خلق أمخلوق هو أيضًا أم غير مخلوق ؟ ولابد من أحد الأمرين فإن قالوا : هو غير مخلوق أوجبوا بإزاء كل مخلوق شيئًا موجودًا غير مخلوق ، وهذا مضاهاة لقول الدَّهرية ، والبرهان قد قام بخلاف هذا . وقال عزَّ وجل : « وخلق كل شيء فقدره تقديرا[3] » .

وإن قالوا : بل خلق الله تعالى لما خلق مخلوق ، قلنا خلقه تعالى لذلك الخلق أبخلق أم بغير خلق ؟ فإن قالوا بغير خلق قيل لهم من أين قلتم إن خلقه الأشياء بخلق هو غير المخلوق وقلتم فى خلقه لذلك الخلق إنه بغير خلق ؟ وهذا تخليط وإن قالوا بل خلقه بخلق . سألناهم أبخلق[4] هو هو أو بخلق هو غيره ؟ وهكذا أبدًا فإن وقفوا فى شيء من ذلك فقالوا : خلقه هو هو سألناهم عن

---

(١) الكهف : ٥١
(٢) لقمان : ١١
(٣) الفرقان : ٢
(٤) فى (أ) : (المخلوق هو) .

الفرق بين ما قالوا إن خلقه هو غيره وبين ما قالوا إن خلقه هو هو . فإن تمادوا وأخرجوا إلى الوجود أشياء لا نهاية لها فهذا محال ممتنع . وقد قطع بهذا معمّر بن عمرو[٥] العطار ، أحد رؤساء المعتزلة ، وسنذكر كلامه بعد هذا إن شاء الله تعالى متصلًا بهذا الباب وبالله تعالى نتأيد . وأيضًا فإن الجميع يطبقون على أن الله عز وجل خلق ما خلق بلا معاناة[٦]، فإذ لا شك فى ذلك فقد صح يقينًا أنه لا واسطة بين الله وبين ما خلق ، ولا ثالث فى الوجود غير الخالق والمخلوق ، وخلق الله تعالى ما خلق حق موجود ، وهذا بلا شك مخلوق وهو بلا شك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه ، بيقين لا شك فيه ، إذ لا ثالث هاهنا أصلًا وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وكل مَنْ دون الله تعالى يفعله[٧] هو مفعوله نفسه لا غير لأنه لا يفعل أحد دون الله تعالى إلا حركة أو سكونًا أو تأثيرًا أو معرفة أو فكرة إو إرادة ، ولا مفعول لشىء دون الله تعالى إلا ما ذكرنا فهى مفعولات الفاعلين وهى أفعال الفاعلين ، ولا فرق وماعدا هذا فإنما هو مفعول فيه كالمضروب والمقتول ، أو مفعول به كالسوط والإبرة وما أشبه ذلك ، أو مفعول له كالمطاع والمخدوم ، أو مفعول من أجله كالمكسوب والمحبوب فهذه أوجه المفعولات .

قال أبو محمد : وأما سائر أفعال الله تعالى فبخلاف ما قلنا فى الخلق ، بل هى غير المفعول فيه ، أو له ، أو به ، أو من أجله وذلك كالإحياء فهو غير المُحْيَا بلا شك ، وكلاهما مخلوق لله تعالى وخلقه تعالى لكل ذلك هو المخلوق نفسه كما قلنا ، وكالإماته فهى غير الممات ولو كان غير هذا أو كان الإحياء هو المحيا ، والإماته هى الممات وبيقين ندرى لو أن المحيا هو الممات نفسه لوجب أن يكون الإحياء هو الإماتة ، وهذا محال . وكالإبقاء هو غير المُبْقَى للبرهان الذى ذكرنا ، وبيقين ندرى أن الشىء غير أعراضه التى هى قائمة به وقتا ، وفانية عنه تارة ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥) راجع ترجمته فى ص ٥٩ من هذا الجزء .
(٦) فى (أ) : (معاياة) .
(٧) فى (أ) : (فعله) .

« الكلام فى البقاء والفناء »

والمعانى التى يدَّعيها معمَّر والأحوال التى تدَّعيها الأشعرية ، وهل المعدوم شىء أم ليس شيئا ..؟ ومسألة الأجزاء وهل يتجدد خلق الله تعالى للأشياء أم لا يتجدد ..؟

قال أبو محمد : ذهب قوم إلى أن البقاء والفناء صفتان للباقى والفانى ، لا هما الباق ولا الفانى ولا هما غير الباقى والفانى .

قال أبو محمد : وهذا قول فى غاية الفساد لأن القضية الثانية ، تنقض الأولى ، والأولى تنقض الثانية لأنه إذا قال : ليست هى هو[1] فقد أوجب أنها غيره ، وإذا قال ليست غيره فقد أوجب أنه هو ، وهذا تناقض ظاهر ، وأيضًا فإنه لا فرق بين قول القائل : ليس هو هو ، ولا غيره وبين قوله هو هو ، وهو غيره ، والمعنى فى كلتا القضيتين سواء . وأيضًا فلو كان البقاء ليس هو الباقى ، ولا هو غيره ، والفناء ليس هو الفانى ، ولا هو غيره ، والباقى هو الفانى نفسه ، والباقى ليس هو الباقى ، ولا هو غيره وهذا يزيد من الجنون ومن التناقض . وذهب معمّر إلى أن الفناء صفة قائمة بغير الفانى .

قال أبو محمد : وهذا تخليط لا يعقل ولا يتوهم ولا يقوم عليه دليل أصلًا ، وما كان هكذا فهو باطل . والحقيقة فى ذلك ظاهرة وهى أن البقاء هو وجود الشىء وكونه ثابتًا قائمًا مدة زمان مًا فإذ هو قائم كذلك فهو صفة موجودة فى الباقى ، محمولة فيه ، قائمة به موجودة بوجوده فانيه بفنائه ، وأما الفناء فهو عدم الشىء وبطلانه جملة وليس هو شيئًا أصلا والفناء المذكور ليس موجودًا فى شىء ألبتة من الجواهر وإنما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل إذا ذهبت ، عُبِّر عن المعنى المراد بالإخبار عن ذهابها بلفظة الفناء . وكالغضب يفنى ويعقبه رضى وما أشبه ذلك ، ولو شاء الله أن يعدم الجواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجد ذلك إلى الآن ولا جاء به نص فنقف عنده فالفناء عدم كما قلنا .

---

(١) فى (أ) : سقطت (هو) .

« الكلام فى المعدوم أهو شىء أم لا »

قال أبو محمد : رضى الله عنه وقد اختلف الناس فى المعدوم أهو شىء أم لا ؟ فقال أهل السنة وطوائف من المرجئة كالأشعرية وغيرهم ليس شيئًا ، وبه يقول هشام بن عمرو الفوطى ، أحد شيوخ المعتزلة ، وقال سائر المعتزلة المعدوم شىء . وقال عبد الرحيم[1] بن محمد بن عثمان الخياط أحد شيوخ المعتزلة إن المعدوم جسم فى حال عدمه ، إلا أنه ليس متحركا ولا ساكنًا ولا مخلوقًا ولا محدثًا فى حال عدمه .

قال أبو محمد : واحتج من قال إن المعدوم شىء بأن قالوا قال الله عز وجل « إن زلزلة الساعة شىء عظيم[2] » .

فقالوا : فقد أخبر الله عز وجل بأنها شىء وهى معدومة ، ومن الدليل على أن المعدوم شىء أنه يخبر عنه ، ويوصف ، ويتمنى ، ومن المحال أن يكون ما هذه صفته ليس شيئًا .

قال أبو محمد : أما قول الله عز وجل : « إن زلزلة الساعة شىء عظيم » فإن هذه القضية[3] موصولة بقوله تعالى : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى » .

فإنما تم الكلام عند قوله يوم ترونها ، فصح أن زلزلة الساعة يوم ترونها شىء عظيم ، وهذا هو قولنا . ولم يقل تعالى قط إنها الآن شىء عظيم ثم أخبر تعالى بما يكون يومئذ من ذهول[4]

---

(١) هو : عبد الرحيم بن محمد بن عثمان ، أبو الحسن ابن الخياط شيخ المعتزلة ببغداد ، تنسب إليه فرقة منهم تدعى الخياطية ، ذكره الذهبى فى الطبقة السابعة عشرة وقال : لا أعرف وفاته ، وفى اللباب هو أستاذ الكعبى المتوفى سنة ٣١٧ هـ له كتب منها (الانتصار فى الرد على ابن الراوندى ، والاستدلال ونقض الحكمة (الأعلام : ١٣٣/٣) .

(٢) الحج : ١

(٣) فى (أ) : (القصة) .

(٤) فى (أ) : (هول) .

المرضعات ، ووضع الأحمال وكون الناس سكارى من غير خمر ، فبطل تعلقهم بالآية . وما نعلم أنهم شغبوا بشيء غيرها . وأما قولهم إن المعدوم يخبر عنه ، ويوصف ويتمنى ويسمَّى به فجهل شديد وظن فاسد ، وذلك أن قولنا فى شيء نذكر أنه معدوم ونخبر عنه أنه معدوم ، ويتمنى به إنما هو أن يذكر اسم مَّا فذلك الإسم موجود وبلا شك يعرف ذلك بالحس كقولنا العنقاء ، وابن آوى ، وحبير[٥] وابن عرس ونبوة مسليمة ، وما أشبه ذلك . ثم كل إسم ينطق به ويوجد ملفوظًا أو مكتوبًا فإنه ضرورة لابد له من أحد وجهين إما أن يكون له مسمى وإما أن يكون ليس له مسمى ، فإن كان له مسمى فهو موجود وهم شيء حينئذ وإن كان ليس له مسمى فإخبارنا بالمعدوم ، وتمنينا للمريض الصحة إنما هو إخبار عن ذلك الإسم الموجود وإنه ليس له مسمى ولا تحته شيء ، وتمنٍّ منَّا لأن يكون تحته مسمى فهكذا هو الأمر لا كما ظنه أهل الجهل ، فصح أن المعدوم لا يَخبر عنه ولا يَتمنى . ونسألهم عمن قال ليت لى ثوبًا أحمر ، وغلامًا أسود . أخبرونا هل الثَّوب المتمننَّى به عندكم أحمر أم لا ؟ فإن أثبتوا معنى وهو الثوب أثبتوا عرضًا محمولا فيه وهو الحمرة ، فوجب أن المعدوم يحمل الأعراض وإن قالوا لم يتمن شيئًا أصلًا ، صدقوا وصح أن المعدوم لا يتمنى لأنه ليس شيئًا . ولا فرق بين قول القائل تمنيت لا شيء وبين قوله لم أتمن شيئًا بل هما متلائمان بمعنى واحد وهذا أيضًا يخرَّج على وجه آخر ، وهو أن يتمنى شيئًا موجودًا فى العالم كثوب موجود أو غلام موجود ، وأما من أخرج لفظة التمنّى لما ليس فى العالم فلم يتمن شيئًا . وأما قولهم يوصف فطريق عجب جدًّا لأن معنى قول القائل يوصف إخبار بأن له صفة محمولة فيه ، موجودة به فليت شعرى كيف يَحمل المعدوم الصفات من الحمرة والخضرة ، والقوة والطول ، والعرض ، إن هذا لعجب جدا فظهر فساد ما موَّهوا به والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فإذ قد عرى قولهم من الدليل فقد صح أنه دعوى كاذبة ثم نقول وبالله تعالى التوفيق من البرهان على أن المعدوم إسم لا يقع على شيء أصلا قول الله عز وجل : « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا[٦]» وقوله تعالى : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا[٧]» وقوله تعالى : « وخلق كل شيء فقدره تقديرا[٨]» وقال عز وجل : « إنا كل شيء خلقناه بقدر[٩]» .

فيلزمهم ولابد : إن كان المعدوم شيئًا أن يكون مخلوقًا بَعْدُ ، وهم لا يختلفون فى أن المخلوق

---

(٥) حبير : الثوب الناعم الموشى (المعجم الوسيط ١٥٢/١) .
(٦) مريم : ٩
(٧) الدهر : ١
(٨) الفرقان : ٢
(٩) القمر : ٤٩

موجود ، وقد وجد وقتًا من الدهر فالمعدوم على هذا موجود وقد كان موجودًا وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان ، فى أن المعدوم ليس شيئًا .

قال أبو محمد : ونسألهم ما معنى قولنا شىء ؟ فلا يجدون بُدًّا من أن يقولوا : إنه الموجود وأن يقولوا : هو كل ما يخبر عنه ، فإن قالوا هو الموجود صاروا إلى الحق ، وإن قالوا هو كل ما يُخبر عنه قلنا لهم : إن المشركين يخبرون عن شريك لله عز وجل قال تعالى : « اين شركائى[١٠] » .

قال أبو محمد : وهذا معدوم لا مدخل له فى الحقيقة ، واسم لا مسمى تحته ، فإن قالوا : إن شركاء الله تعالى أشياء كانوا قد أفحشوا ، وأيضًا فإنه قد اتفقت جميع الأمم لا تحاشى أمة على القول : أن المعدوم ليس شيئا أو لا شىء . أو ما يعبر به فى كل لغة عن شىء وعن لا شىء إلا أن المعنى واحد ، فلو كان المعدوم شيئا لكان ما اجتمعوا عليه بلا شىء وليس شيئًا ولم يكن شيئًا باطلًا ، وهذا رد على جميع عقول أهل الأرض مذ كانوا إلى أن يفنى العالم ، فصح أن الموجود هو الشىء فإذ هو الشىء فبضرورة العقل ندرى أن اللا شىء هو المعدوم ثم نسألهم أيقولون : إن المعدوم عظيم أو صغير أو حسن أو قبيح أو طويل أو قصير أو ذو لون فى حال عدمه ؟ فإن أبوا من هذا تناقض قولهم وسئلوا عن الفرق بين قولهم إنه شىء وبين قولهم إنه حسن أو قبيح أو صغير أو كبير ، وكيف قالوا إنه شىء ثم قالوا : أنه ليس حسنًا ولا قبيحًا ولا صغيرًا ولا كبيرًا ؟ فإن قالوا : نعم أوجبوا أن المعدوم يَحمل الأعراض والصفات ، وهذا تخليط ناهيك به . وسئلوا فى ماذا يحمل الصفات أفى ذاته أو فى ماذا ..؟ فإن قالوا فى ذاته أوجبوا أن له ذاتًا وهذه صفة الموجود ضرورة . وإن قالوا بل يحمل الصفات فى غيره ، كان ذلك أيضًا عجبًا زائدًا ومحالًا لا خفاء به .

قال أبو محمد : ونسألهم هل الإيمان موجود من أبى جهل أو معدوم ؟ فإنَّ قولهم بلا شك إنه معدوم منهم ، فنسألهم عن إيمان أبى جهل المعدوم أحسن هو أم قبيح ؟ فإن قالوا : لا حَسن ولا قبيح قلنا لهم : أيكون يعقل إيمان ليس حسنا ؟ هذا عظيم جدًّا وإن قالوا بل هو حسن أوجبوا أنه حامل للحسن . وكذلك نسألهم عن الكفر المعدوم من الأنبياء عليهم السلام أقبيح هو أم لا ؟ فإن قالوا : لا أوجبوا كفرا ليس قبيحا ، وإن قالوا : بل هو قبيح أوجبوا أن المعدوم يحمل الصفات ونسألهم عن ولد العقيم المعدوم منه أصغير هو أم كبير أم عاقل أم أحمق ؟ فإن منعوا من وجود شىء من هذه الصفات له كانِ عجبا أن يكون ولد لا صغير ولا كبير ولا حى ولا ميت ، وإن وصفوه بشىء من هذه الصفات أتوا بالزيادة من المحال . ونسألهم عن الأشياء المعدومة ألها عدد أم لا عدد لها ؟ فإن قالوا : لا عدد لها كانوا قد أتوا بالمحال إذ أقروا بأشياء لا عدد لها ، وإن قالوا بل لها عدد

---

(١٠) النحل : ٢٧

كان ذلك عجبًا جدًا ومحالًا لا خفاء به . وسألناهم عن الأولاد المعدومين من العاقر والعقيم كم عددهم ؟ ونسألهم عن الأشياء المعدومة أهى فى العالم ومن العالم أم ليست فى العالم ولا من العالم ؟ فإن قالوا : هى فى العالم ومن العالم ، سألناهم عن مكانها فإن حددوا لها مكانًا سخفوا ما شاءوا وإن قالوا لا مكان لها ، قيل وكيف يكون شىء فى العالم لا مكان له فيه ولا حامل .

قال أبو محمد : ويلزمهم أن المعدومات إذا كانت أشياء لا عدد لها ولا نهاية ولا مبدأ فإنها لم تزل . وهذه دهرية محققة وكفر مجرد أن تكون أشياء لا تحصى كثرة لم تزل مع الله تعالى . ونعوذ بالله من مثل هذا الهوس .

قال أبو محمد : وقد ادَّعوا أن المعدوم يُعلم وهذا جهل منهم بحدود الكلام لاسيما ممن أقر بأن المعدوم لا شىء ، وادّعى مع ذلك أنه يعلم ، فألزمناهم على ذلك أنهم يعلمون لا شىء ، وأن الله تعالى يعلم لا شىء فجسر بعضهم على ذلك . فقلنا له : إن قولك علمت لا شىء ، وعلم الله تعالى لا شىء ، ملائم لقولك لم أعلم شيئا ، ولقولك لم يعلم الله تعالى شيئًا ، لا فرق بين معنى القضيتين ألبتة بل هما واحد وإن اختلفت العبارتان ، وإذ هو كذلك فقد صح أن المعدوم لا يعلم فإن ألزمنا على هذا وسألنا هل يعلم الله تعالى الأشياء قبل كونها أم لا ؟ قلنا لهم : لم يزل الله تعالى يعلم أن ما يخلقه أبدا إلى ما لا نهاية له فإنه سيخلقه ويرتبه على الصفات التى يخلقها فيها إذا خلقه ، وأنه سيكون شيئًا إذا كوَّنه ، ولم يزل عز وجل يعلم أن ما لم يُخْلَق بعد فليس هو شيئًا حتى يخلقه ، ولم يزل تعالى يعلم أنه لا شىء معه وأنَّه سيُكوِّن الأشياء أشياءَ إذا خلقها ، لأنه تعالى إنما يعلم الأشياء على ما هى عليه لا على خلاف ما هى عليه لأن من علمها على خلاف ما هى عليه فلم يعلمها ، بل جهلها وليس هذا علما بل هو ظن كاذب وجهل . وبرهان هذا قول الله عز وجل : « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم[11]» .

« ولو » فى لغة العرب التى خاطبنا الله تعالى بها : حرفٌ يدل على امتناع الشىء لامتناع غيره فصح أنه تعالى لم يسمعهم لأنه لم يعلم فيهم خيرًا إذ لا خير فيهم ، فصح أن المعدوم لا يعلم أصلًا ولو عُلم لكان موجودًا ، وإنما يعلم الله تعالى أن لفظة المعدوم لا مسمًّى لها ، ولا شىء تحتها ، ويعلمْ عز وجل الآن أن الساعة غير قائمة ، وهو الآن تعالى لا يعلمها قائمة ، بل يعلم أنه سيقيمها فتقوم فتكون قيامة وساعة ، ويوم جزاء ، ويوم بعث ، وشيئًا عظيمًا ، حين يخلق كل ذلك لا قبل أن يخلقه ، فأما علمه تعالى أنه سيقيمها فتقوم فهو موجود حق فهذا معنى إطلاق العلم على ما لم يكن بعد من المعدومات كما أننا لا نعلم الشمس الآن طالعة طلوعها فى غدٍ ، بل

(١١) الأنفال : ٢٣

نعلم أنها ستطلع غدا وكذلك لا نعلم موت الأحياء الآن ، بل نعلم أن الله تعالى سيخلق موتهم فيعلمه موتا لهم إذا خلقه لا قبل ذلك . وبالله تعالى التوفيق . وقال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين[١٢] » .

فهذا نص جلى على أن المعدوم لا يُعلم لأن الله تعالى أخبر أنه لا يُدخل الجنة من لا يعلمه الله تعالى مُجاهدا ، ولا صابرا ، فصح أن من لم يجاهد ولا صبر فلم يعلمه تعالى قط مجاهدًا ولا صابرًا ولا علم له جهادًا ، ولا صبرًا وإنما علمه غيرَ مجاهد وغير صابر ، ولم يزل تعالى يعلم أن من كان منهم سيجاهد وسيصبر فإنه لم يزل يعلم أنه سيجاهد وسيصبر فإذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابرًا مجاهدًا والعلم لا يستحيل لأنه ليس شيئًا غير البارى تعالى ، وإنما استحال المعلوم فقط ثم نسألهم هل يعلم الله تعالى لحية الأطلس[١٣]، وقَنَا الأفطس أم لا يعلم ذلك ؟ وهل يعلم الله تعالى أولاد العقيم ، وإيمان الكافر ، وكفر المؤمن ، وكذب الصادق ، وصدق الكاذب ، أم لا يعلم شيئًا من ذلك ؟ فإن قالوا : إن الله تعالى لا يعلم للعقيم أولادا ، وإنما يعلمه لا ولد له ، ولا يعلم لحية الأطلس بل يعلمه غير ذى لحية ، صدقوا وعادوا إلى الحق وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢) آل عمران : ١٤٢

(١٣) الأطلس : الذئب الأمعط فى لونه غبرة إلى السود . والرجل إذا رمى بقبيح ، والأسود كالحبشى ونحوه والمقصود أن الذئب لا تنبت له لحية فهى من قبيل المستحيل عند الناس .

« الكلام فى المعانى على قول معمّر »

قال أبو محمد : وأما معمّر ومن اتبعه فقالوا : إنا وجدنا المتحرك والساكن فأيقنا أن معنًى حدث فى المتحرك به فارق الساكن فى صفته ، وأن معنًى حدث فى الساكن به أيضًا فارق المتحرك فى صفته ، وكذلك علمنا أن فى الحركة معنًى به فارقت السكون ، وأن فى السكون معنًى به فارق الحركة .

وكذلك علمنا أن فى ذلك المعنى الذى خالفت به الحركة السكون ، معنى به فارق المعنى الذى به فارقه السكون ، وهكذا أبدًا أوجبوا أن فى كل شىء فى هذا العالم من جوهر أو عرض أى شىء كان معانى فارق بكل معنًى منها كل ما عداه فى العالم ، وكذلك أيضًا فى تلك المعانى لأنها أشياء موجودة متغايرة ، وأوجبوا بهذا وجود أشياء فى زمان محدود فى العالم لا نهاية لعددها .

قال أبو محمد : هذه جملة كل ما شغبوا به إلا أنهم فصّلوها ومدوها فى الكفر والكافر ، والإيمان والمؤمن ، وفى غير ذلك مما هو المعنى الذى أوردناه بعينه ، ولا زيادة فيه أصلًا .

قال أبو محمد : وهذا ليس شيئًا لأننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق : العالم كله قسمان جوهر حامل ، وعرض محمول ولا مزيد ، ولا ثالث فى العالم غير هذين القسمين ، هذا أمر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس ، فالجواهر مغايرة بعضها لبعض بذواتها التى هى أشخاصها يعنى بالغيريَّة فيها ، وتختلف أيضًا بجنسها ، وهى أيضًا مفترق بعضها من بعض بالعرض المحمول[1] فى كل حامل من الجواهر . وأما الأعراض : فمغايرة للجواهر بذواتها بالغيرية فيها ، وكذلك هى[2] أيضًا بعضها مغاير لبعض بذواتها ، وبعضها مفارق لبعض بذواتها ، وإن كان بعض الأعراض أيضًا قد تَحْمِل الأعراض كقولنا حمرة مشرقة ، وحمرة كدرة ، وعمل سىء ، وعمل صالح ، وقوة شديدة ،

---

(١) فى (أ) : المحوّل .
(٢) فى (أ) : هذه .

وقوة دونها فى الشدة ، ومثل هذا كثير إلا أن كل هذا يقف فى عدد متناهٍ لا يزيد . هذا أمر يعلم بالحس والعقل ؛ فالمتحرك يفارق الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها ، ويفارقها السكون بذاته وبالنوعية والغيرية ، والحركة إلى الشرق تفارق الحركة إلى الغرب بكون هذه إلى الشرق وكون هذه إلى الغرب بذاته وبالغيريَّة فقط وهكذا فى كل شىء .

فكل شيئين وقعًا تحت نوع واحد مما يلى الأشخاص فإنهما يختلفان بغيريتهما ، فإن كانا وقعًا تحت نوعين فإنهما يختلفان بالغيريَّة فى الشخص وبالغيرية فى النوع أيضًا ، والغيريَّة أيضًا لها نوع جامع لجميع أشخاصها إلا أن كل ذلك واقف عند حدٍّ من العدد لا يزيد ولابد . ثم نسألهم خبرِّونا عن المعانى التى تدَّعونها فى حركة واحدة أيما أكثر أهى أم المعانى التى تدعونها فى حركتين ؟ فإن أثبتوا قلة وكثرة تركوا مذهبهم وأوجبوا النهاية فى المعانى التى نَفَوْا النهاية عنها ، وإن قالوا : لا قلة ولا كثرة هاهنا كابروا وأتوا بالمحال الناقض أيضًا لأقوالهم ، لأنهم إذا أوجبوا للحركة معنى أوجبوا للحركتين معنيين وهكذا أبدا ، فوجبت الكثرة والقلة ضرورة لا محيد عنها .

قال أبو محمد : فلم يكن لهم جواب أصلًا إلا أن بعضهم قال أخبرونا أليس الله تعالى قادرًا على أن يخلق فى جسم واحد حركات لا نهاية لها ؟

قال أبو محمد : فجواب أهل الإسلام فى هذا السؤال : نعم . وأما من عجَّز ربه فأجابوا بلا . وسقط هذا السؤال عنهم وكان سقوط الإسلام عنهم بهذا الجواب أشد من سقوط سؤال أصحاب معمّر .

قال أبو محمد : فتمادى سؤالهم لأهل الحق فقالوا فأخبرونا أيما أكثر ما يقدر الله تعالى عليه من خلقِ لحركات فى جسمين أو ما يقدر عليه من خلق الحركات فى جسم واحد ؟ فكان جواب أهل الحق فى ذلك أنه لا يقع عدد على معدوم ، ولا يقع العدد إلا على موجود معروف ، والذى يقدر الله تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئًا ، ولا له عدد ولا هو معدود ولا نهاية لقدرة الله تعالى وأما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا يقال فيه إن له نهاية ولا أنه لا نهاية له ، وأما كل ما خلق تعالى فله نهاية بعد ، وكذلك كل ما يخلق فإذا خلقه حدثت له نهاية حينئذ لا قبل ذلك . وأما المعانى التى تدَّعونها فإنكم تزعمون[٣] أنها موجودة قائمة فوجب أن تكون لها نهاية ، فإن نفيتم النهاية عنها لحقتم بأهل الدهر وكلمناكم بما كلمناهم به مما قد ذكرنا قبل وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(٣) فى (أ) : (تدَّعون) .

ثم لو تثبت لكم هذه العبارة من قول القائل إنَّ ما يقدر الله تعالى عليه لا نهاية لعدده ، وهذا لا يصح ، بل الحق فى هذا أن يقول : إن الله تعالى قادر على أن يخلق ما لا نهاية له فى وقت ذى نهاية ومكان ذى نهاية ، ولو شاء أن يخلق ذلك فى وقت غير ذى نهاية ، ومكان غير ذى نهاية لكان قادرًا على ذلك لما وجب من ذلك إثبات ما ادعيتم من وجود معان فى وقت واحد لا نهاية لها ، إذ ليس هاهنا عقل يوجب ذلك ، ولا قرآن[٤] يوجب ذلك ، ولا خبر يوجب ذلك ، وإنما هو قياس منكم ، إذ قلتم لمَّا كان قادرًا على أن يخلق ما لا نهاية له قلنا : إنه قد خلق ما لا نهاية له ، فهذا قياس والقياس كله باطل ، ثم لو كان القياس حقًّا لكان هذا منه باطلا ، لأنه بزعمكم قياسُ موجودٍ على معدوم وقياسٌ وتشبيه لما قد خلقه بزعمكم على ما لم يخلقه ، وهذا فى غاية الفساد ، ولا فرق بينكم فى هذا القياس الفاسد وبين من يقول : إن فى بلد كذا قومًا يشمُّون من عيونهم ، ويسمعون من أنوفهم ، ويذوقون من آذانهم ، ويبصرون من ألسنتهم ، فإذا كُذِّب فى ذلك وسئل برهانًا على دعواه قال أتقرون أن الله تعالى قادر على خلق ذلك فقلنا له نعم ، قال هذا دليل على صحة دعواى بل أنتم أسوأ حالًا لأن هذا أخبر عن متوهم ، لو كان ، كيف كان يكون ؟ وأنتم تخبرون عن غير متوهم فى النفس ولا متشكل فى العقل وهو إقراركم بوجود معانٍ لا نهاية لعددها فى وقت واحد . »

قال أبو محمد : فبطل هذا القول الفاسد والحمد لله رب العالمين . وكان يكفى من بطلانها أنها دعوى لا برهان على صحتها وهى دعوى فاسدة غير ممكنة بل هى محال لا يتوهم ولا يُتشكل وبالله تعالى التوفيق .

---

(٤) فى (أ) : سقط (ولا قرآن يوجب ذلك)

« الكلام فى الأحوال مع الأشعرية ومن وافقهم »

قال أبو محمد : وأما الأحوال التى ادعتها الأشعرية فإنهم قالوا : إن هاهنا أحوالًا ليست حقًّا ولا باطلًا ، ولا هى مخلوقة ولا هى غير مخلوقة ، ولا هى موجودة ولا هى معدومة ، ولا هى معلومة ولا هى مجهولة ولا هى أشياء ، ولا هى لا أشياء .

وقالوا : من هذا علم العالم بأن له علما ، ووجوده لوجوده قالوا : فإن قلتم : إن لكم علمًا بأن لكم علمًا بالبارى تعالى وبما تعلمونه ، وأن لكم وجودًا لوجودكم ما تجدونه ؟ سألناكم ألكم علم بعلمكم بأن لكم علمًا ؟ وهل لكم وجود لوجودكم ما تجدونه ، فإن أقررتم بذلك لزمكم أن تسلسلوا هذا أبدا إلى ما لا نهاية له ودخلتم فى قول أصحاب معمّر والدهرية ، وإن منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الدليل على صحة منعكم ما منعتم من ذلك ، وصحة إيجابكم ما أوجبتم من ذلك ، وكذلك قالوا فى قدم القديم وحدث المحدث ، وبقاء الباقى ، وفناء الفانى ، وظهور الظاهر ، وخفاء الخافى ، وقصد القاصد ، ونية الناوى ، وزمان الزمان ، وما أشبه ذلك ، وقالوا : لو كان للباقى بقاء ولبقاء الباقى بقاء ، وهكذا أبدًا إلى ما لا نهاية له .

قالوا : أفهذا يوجب وجود أشياء لا نهاية لها ؟ وهذا محال وهكذا قالوا فى قدم القديم ، وقدم قدمه ، وقدم قديم قدمه إلى ما لا نهاية له ، وفى حدوث المحدث ، وحدوث حدثه ، وحدوث حدث حدثه ، إلى ما لا نهاية له ، وهكذا قالوا فى زمان الزمان ، وزمان زمان الزمان إلى ما لا نهاية له ، وفى فناء الفانى وفناء فنائه وفناء فناء فنائه إلى ما لا نهاية له ، وكذلك ظهور الظاهر ، وظهور ظهوره ، وظهور ظهور ظهوره ، إلى ما لا نهاية له ، وكذلك القصد ، والقصد إلى القصد ، والقصد إلى القصد إلى القصد ، وهكذا إلى ما لا نهاية له ، وكذلك النية ، والنية للنية ، والنية للنية للنية ، إلى ما لا نهاية له ، وكذلك تحقيق الحق ، وتحقيق تحقيق الحق ، إلى ما لا نهاية له .

قال أبو محمد : رضى الله عنه أفكار السوء إذا ظن صاحبها أنه يدقق فيها فهى أضرّ عليه

لأنها تخرجه إلى التخليط[١] الذى ينسبونه إلى السوفسطائية وإلى الهذيان المحض وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

قال أبو محمد : والكلام فى هذا أبين من أن يشكل على عامى فكيف على فَهِم فكيف على عالم ؟ والحمد لله . ونحن نتكلم على هذا إن شاء الله عز وجل كلامًا ظاهرًا لائحًا لا يخفى على ذى حس سليم وبالله تعالى نتأيد .

فنقول وبالله تعالى التوفيق : أما القدم[٢] فإنه من صفات الزمن ومن فيه تقول ملك أقدم من ملك ، وزمان أقدم من زمان ، وشيخ أقدم من شيخ ، أى أنه متقدم بزمانه عليه ، والزمان متقدم بذاته على الزمان ليس فى العالم قديم قدم[٣] الأزمان . هذا هو حكم اللغة التى لا يوجد فيها غيره أصلًا ، فالقدم هو المتقدم ، والتقدم متقدم بنفسه على غيره فقط ، لأن القدم موجود معلوم وهى صفة المتقدم فلا يجوز إنكاره وأما قدم القديم فباطل لأنه لم يأت به نص ولا قام بوجوده دليل ، وما كان هكذا فهو باطل . وأما وجود الموجود فبضرورة الحسن أن الموجود حق ، وأنه يقتضى واجدا وأن الواجد يقتضى وجودًا لما وجد ، هو فعل الواجد وصفته فهو حق لما ذكرنا . ووجود الواجد يوجد بذاته لا بوجودٍ هو غيره لأن وجود الوجود لم يأت به نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل .

وأما البارىء عز وجل فإنه يجد نفسه ويعلمها ويجد ما دونه ويعلمه بذاته لا بوجود هو غيره ، ولا بعلم هو غيره فقط ، وكذلك العالم منا يقتضى علمًا ، ولابدّ هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضًا بيقين ، ويزيد ويذهب ويثبت أطوارا . هذا ما لا شك فيه ، والعالم منا يعلم أنه يحمل علمًا ، بعلمه ذلك لا بعلمٍ هو غير علمه ، لأن العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل ، وكذلك الباقى مثاله بلا شك بقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة ، وهذا معنى صحيح لا يجوز أن ينكره عاقل ، فأما بقاء البقاء فلم يأت بإيجاب وجوده نص ولا قام به برهان ، وما كان هكذا فهو باطل ، ولا يجوز أن يوصف الله بالبقاء ولا بأنه باق ، كما لا يوصف بالخلد ولا بأنه خالد ، ولا بالدَّوام ولا بأنه دائم ، ولا بالثَّبات ولا بأنه ثابت ، ولا بطول العمر ، ولا بطول المدة ، لأن الله عزَّ وجل لم يسمِّ نفسه بشىء من ذلك ، لا فى القرآن ولا على لسان نبيه ﷺ ، ولا قاله قط أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، ولا قام به برهان بل

(١) فى (أ) : (التخطيط) وهو تحريف .
(٢) فى (أ) : (العدم) وهو تحريف .
(٣) فى (أ) : (قدم قديم إلا زمنى) .

البرهان قام ببطلان ذلك لأن كل ما ذكرنا من صفات المخلوقين ، ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين إلا أن يأتى نص بأن يسمى باسمٍ ما فيوقف عنده .

ولأن كل ما ذكرنا أعراض فيما هى فيه ، والله تعالى لا يحمل الأعراض ، وأيضًا فإنه عز وجل لا فى زمان ، ولا يمر عليه زمان ، ولا هو متحرك ، ولا ساكن ، لكن يقال لم يزل الله تعالى ولا يزال ، وأما الفناء فإنه مدة للعدم بعدِّها أجزاء الحركات والسكون ولا يجوز أن يكون للمدة مدة لكنها مدة فى نفسها ولنفسها فالقول بالزمان حق لأنه محسوس معلوم وأما القول بزمان الزمان فهو شيء لم يأت به نص ولا قام بصحته برهان ، وما كان هكذا فهو باطل . وأما ظهور الظاهر فهو متيقن معلوم ، والظهور صفة الظاهر وفعله ، تقول ظهر يظهر ظهورًا ، والظهور معلوم ظاهر بنفسه ، ولا يجوز أن يقال إن للظهور ظهورًا لأنه لم يأت به نص ولا قام بصحته برهان ، وما كان هكذا فهو باطل ، وأما خفاء الخافى فهو عدم ظهوره ، والعدم ليس شيئًا كما قدمنا وأما القصد إلى الشيء والنية له فإنما هما فعل القاصد والناوى وإرادتهما الشيء ، والقول بهما واجب لأنهما موجودان بالضرورة يجدهما كل أحد من نفسه ويعلمها من غيره علمًا ضروريًا . وأما القصد إلى القصد ، والنية للنية فباطل لأنه لم يأت بهما نص ولا أوجبهما دليل ، وما كان هكذا فهو باطل والقول به لا يجوز فهذا وجه البيان فيما خفى عليهم ، حتى أتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : ثم نقول لهم أخبرونا إذا قلتم هذه الأحوال[٤] أهى معان ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض ؟ أم ليست معانى أصلًا ، ولا لها مسمَّيات ، ولا هى مضبوطة ، ولا محدودة ، ولا متميّز بعضها من بعض ؟ فإن قالوا ليست معانى أصلا ، ولا لها مسميات ، ولا هى مضبوطة ولا محدودة ، ولا متميز بعضها من بعض ولا لتلك الأسماء مسميات أصلا ؟ قيل لهم فهذا هو معنى العدم حقًا فلِمَ قلتم إنها ليست معدومة ؟ ثم لِمَ سميتموها أحوالًا وهى معدومة ؟ ولا تكون التسمية إلا شرعية أو لغوية وتسميتكم هذه المعانى أحوالا ليست تسمية شرعية ، ولا لغوية ولا مصطلحًا عليها لبيان ما يقع عليه ، فهى باطل محض بيقين . فإن قالوا هى معان مضبوطة ولها مسميات محدودة متميزة بعضها من بعض قيل لهم : هذه صفة الموجود ولابدَّ فلِمَ قلتم إنها ليست موجودة ؟ وهذا ما لا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ويقال لهم أيضًا هذه الأحوال التى تقولون أمعقولة هى أم غير معقولة ؟ فإن قالوا : هى معقولة كانوا قد أثبتوا لها معانى وحقائق من أجلها عقلت فهى موجودة ولابدَّ . والعدم ليس معقولا لا كُنْهَ[٥] ولا مَعْنَى لهذه اللفظة أصلًا وبالله تعالى التوفيق .

---

(٤) فى (أ) : (أحوال) .

(٥) فى (أ) : (لكنه لا معنى) وهو تحريف .

ويقال لهم أيضًا : هل الأحوال فى اللغة وفى المعقول إلا صفات لذى حال ، وهل الحال فى اللغة إلا بمعنى التحول من صفة إلى أخرى ؟ يقال هذه حال فلان اليوم . وكيف كانت حالك أمس ؟ وكيف يكون الحال غدا ؟ فإذ الأمر هكذا ولابد فهذه الأحوال موجودة حقًّا مخلوقة ولابد ، فظهر فساد قولهم وإنه من أسخف الهذيان والمحال الممتنع الذى لا يرضى به عاقل .

ويقال لهم أيضًا قبل كل شيء وبعده : فمن أين سميتم هذا الإسم يعنى الأحوال ؟ ومن أين قلتم لا هى معلومة ، ولا هى مجهولة ، ولا حق ، ولا باطل ، ولا مخلوقة ، ولا غير مخلوقة ، ولا معدومة ، ولا موجودة ولا هى أشياء ولا غير أشياء ؟ أى دليل حدابكم إلى هذا الحكم أقرآن أم سنة أم إجماع أم قول مقدَّم[٦] أم لغة ، أم ضرورة عقل ، أم دليل إقناعى أم قياس ؟ فهاتوه ولا سبيل إليه فلم يبق إلا الهذر والهوس وقلة المبالاة بما يكتبه الملكان ويسأل عنه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل العقول لمن قال بهذا الجنون ولا مزيد ، ونعوذ بالله من الخذلان . وما ينبغى لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتى بما لا يُعقل ككون الجسم فى مكانين ، والجسمين فى مكان واحد ، وكون شيء قائمًا قاعدًا وكون أشياء غير متناهية فى وقت واحد ، فإن قالوا : هذا كفر ، قيل لهم بل الكفر بما جئتم به لأنه إبطال الحقائق كلِّها ، والعجب كل العجب أنهم لا يجوّزون قدرة الله تعالى على ما هو محال عندهم ، وقد أتوا فى هذا الفصل بعين[٧] المحال . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وكلامهم فى هذه المسألة كلام ما سمع بأسخف منه ، ولا قول السوفسطائية ، ولا قول النصارى ، ولا قول الغالية ، على أن هذه الفرق أحمق الفرق أقوالا . أما السوفسطائية فإنهم قطعوا على أن الأشياء باطل لا حق ، أو أنها حق عند من هى عنده حق ، وباطل عند من هى عنده باطل ، وأيها لا ندرى[٨]. وأما النصارى والغالية فقد[٩] كانت هاتان الفرقتان قد أتتا بالعظائم فإنهم قطعوا بأنها حق .

وأما هؤلاء المخاذيل فإنهم أتوا بقول حققوه وأبطلوه ، ولم يحققوه ولا أبطلوه فكل ذلك مَعًا فى وقت واحد من وجه واحد وهذا لا يأتى به إلا مُبَرْسِم ، أو مخبول ، أو ماجن يريد أن يُضحك من معه .

قال أبو محمد : ونحن نتكلف بيان هذا التخليط الذى أتوا به وإن كان مكتفيًا بسماعه ،

---

(٦) فى (أ) : (متقدم) .
(٧) فى (أ) (بين) .
(٨) فى (أ) : سقط (وأيها لا ندرى) .
(٩) فى (أ) : (فإن) .

ولكن التزيد من إبطال الباطل ما أمكن حسن فنقول وبالله التوفيق : إن قولهم : لا هى حق ولا هى باطل ، فإنَّ كل ذى حس سليم يدرى أن كل ما يكون حقًّا فهو باطل ، وما لم يكن باطلًا فهو حق ، هذا لا يعقل غيره ، فكيف وقد قال الله عز وجل : « فماذا بعد الحق إلا الضلال[١٠] » . وقال تعالى : « ليحق الحق ويبطل الباطل[١١] » وقال تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون[١٢] » وقال تعالى : « وخلق كل شىء[١٣] » وقال تعالى : « أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا » وقال تعالى : « فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم[١٤] » .

قال أبو محمد : وهؤلاء قوم ينتمون إلى الإسلام ويصدقون القرآن ، ولولا ذلك ما احتججنا عليهم به[١٥] فقد قطع الله تعالى أنه ليس إلا حق أو باطل ، وليس إلا علم أو جهل ، وهو عدم العلم ، وليس إلا وجود أو عدم ، وليس إلا شىء مخلوق أو الخالق أو لفظة العدم التى لا تقع على شىء ولا على مخلوق فقد أكذبهم الله عز وجل فى دعواهم . ولا شك ذو حس سليم أن ما لم يكن باطلًا فهو حق ، وما لم يكن حقا فهو باطل ، وما لم يكن معلوما فهو مجهول ، وما لم يكن مجهول فهو معلوم ، وما لم يكن شيئًا فهو لا شىء ، وما لم يكن لا شىء فهو شىء ، وما لم يكن موجودًا فهو معدوم ، وما لم يكن معدومًا فهو موجود ، وما لم يكن مخلوقًا فهو غير مخلوق ، وما لم يكن غير مخلوق فهو مخلوق ، هذا كله معلوم ضرورة لا يعقل غيره ، فإذ هذا كذلك فلا فرق بين ما قالوه فى هذه القضية وبين القول اللازم لهم ضرورة وهو أن تلك الأحوال معدومة موجودة معا ، حق باطل معًا ، معلومة مجهولة معًا ، مخلوقة غير مخلوقة معًا ، شى لا شىء معًا ، وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه لأنهم إذا قالوا ليست حقا فقد أوجبوا أنها باطل ، وإذ قالوا ولا هى باطل فقد أوجبوا أنها حق ، وهكذا فى سائر ما قالوه فاعجبوا لعقول رسخ هذا فيها وسخموا به ورقهم ، وعجب آخر وهو قولهم إن هاهنا أحوالا ولفظة « هاهنا » معناها الإثبات بلا شك فهى موجودة ثابتة بلا شك .

قال أبو محمد : ولم يتخلصوا بهذا من قول معمّر فى وجوب وجود أشياء لا نهاية لها ، أو أن يصيروا إلى قولنا فى إبطال هذه التى يسمونها أحوالا وإعدامها جملة ، وما نعلم هوسًا إلا وقد انتظمته هذه المقالة ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(١٠) يونس : ٣٢
(١١) الأنفال : ٨
(١٢) الزمر : ٩
(١٣) الفرقان : ٢
(١٤) الأعراف : ٤٤ ، ٤٥
(١٥) فى (أ) : سقطت (به) .

مسألة أخرى :

قال أبو محمد : قالت الأشعرية ليس فى العالم شيء له بعضٌ أصلا ، ولا شيء له نصف ، ولا ثلث ، ولا ربع ، ولا خُمس ، ولا سدس ، ولا سبع ، ولا ثمن ، ولا تسع ، ولا عشر ، ولا جزء أصلا ، واحتجوا فى هذا بأن قالوا : يلزم من قال إن الواحد عشر العشرة ، وجزء من العشرة ، وبعض العشرة أن يقول ولابد : إن الواحد عشر من نفسه ، وجزء من نفسه ، وبعض نفسه ، وهو جزء لغيره ، وبعض لغيره وعشر لغيره ، لأن العشرة تسعة وواحد ، فلو كان الواحد عشر العشرة وبعضا للعشرة ، وجزءًا للعشرة لكان عُشرا لنفسه وللتسعة التى هى غيره ولكان بعضًا لنفسه وللتسعة التى هى غيره .

قال أبو محمد : وهذا خبط شديد أول ذلك أنه رد على الله تعالى مجرد ، وتكذيب للقرآن ، وخلاف للُّغة بل لجميع اللغات ، ومكابرة للعقول وللحواس قال تعالى : « وإذا خلا بعضهم إلى بعض[١٦] » وقال تعالى : « يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا[١٧] » وقال تعالى : « فلأمه الثلث فلأمة السدس » « فلها النصف ولهن الربع فلهن الثمن[١٨] » .

فقد كذبوا القرآن نصًّا ثم هذا موجود فى كل طبيعة ، فى كل لغة ، ومحسوس بالحواس ثم يقال لهم : لا فرق بينكم وبين من صحح ولم ينكر كون الشيء بعض نفسه ، وبعض غيره ، وجزءًا لنفسه وجزءًا لغيره وعشرَ نفسه وعشرًا لغيره ، واحتج فى تصحيح ذلك بالحجة التى رمتم بها إبطال ذلك ولا مزيد وكلاكما منكسع[١٩] فى ظلمة الخطأ . ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ليس الأمر كما ظننتم بل الأسماء موضوعة للتفاهم ولتمييز بعض المسميات من بعض ، فالعشرة اسم للعشرة أفراد مجتمعات فى العدد ، وكذلك لتسعة وواحد ، ولثمانية واثنين ، ولسبعة وثلاثة ، ولستة وأربعة ، ولخمسة وخمسة ، قال تعالى : « ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة[٢٠] » .

وهكذا جميع الأعداد لا ينكر ذلك إلا مخذول منكر للمشاهدة فبالضرورة ندرى أن كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها ، وعشر لها ، ومسمًّى منها بتسمية[٢١] مّا ، ولا يقال هو جزء لنفسه

---

(١٦) البقرة : ٧٦ .
(١٧) الأنعام : ١١٢
(١٨) النساء : ١١ وهى أجزاء . متفرقة من هذه الآية ، وقد جاءت محرفة فى (أ) .
(١٩) كسع : كمنع : ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه ، والمقصود متردٌ فى ظلمة الخطأ (محيط) .
(٢٠) البقرة : ١٩٦
(٢١) فى (أ) : (التشبه) وهو خطأ .

ولا جزء لغيره ولا أنه بعضٌ لنفسه ، ولا أنه بعض لغيره ، ولا عُشر لنفسه ولا عشر لغيره ، ومثل هذا « البلق » الذى هو اسم لاجتماع السَّواد والبياض مَعًا ، فالبياض بلا شك بعض البلق ، والسواد بعضُ البلق ، وليس البياض جزءًا لنفسه وللسواد ، ولا بعضًا لنفسه وللسواد ، وكل واحد منهما جزءٌ للبلق وكذلك الإنسان اسم للجملة المجتمعة من أعضائه ولا شك فى أن العين بعض الإنسان ، وجزء من الإنسان ، ولا يُحتمل أن يقال العين بعض نفسها ، وبعض الأذن واليد ، ولا أن يقال الأذن جزء لنفسها وللعين وللأنف ، وهكذا فى سائِر الأعضاء ، فعلى قول هؤلاء النوكى يلزمهم ألا تكون العين بعض الإنسان ، أو أن يقولوا إن العين بعض نفسها وبعض الأذن ، ومن أبطل الأبعاض والأجزاء فقد أبطل الجمل ، لأن الجُمَل ليست شيئًا ألبتة غير أبعاضها ، ومن أبطل الجُمل فقد أبطل الكل والجزء وأبطل العالم بكل ما فيه ، وإذا بطل العالم بطل الدين والعقل وهذه حقيقة السفسطة ، وما نعلم فى الأقوال أحمق من هذه المسألة ومن التى قبلها نعوذ بالله من الخذلان .

* * *

« خلق الله عز وجل العالم فى كل وقت وزيادته فى كل دقيقة »

قال أبو محمد : وذكر عن النظام أنه قال : إن الله تعالى يخلق كل ما خلق فى وقت واحد دون أن يعدمه وأنكر عليه هذا القول بعض أهل الكلام .

قال أبو محمد : وقول النظام هاهنا صحيح لأننا إذا أثبتنا أن خلق الشىء هو الشىء نفسه فخلق الله تعالى قائم فى كل موجود أبدا مادام ذلك الموجود موجودا[1]. وأيضًا فإنا نسألهم ما معنى قولكم خلق الله تعالى أمر كذا ؟ فجوابهم أن معنى خلقه أنه تعالى خرَّجه من العدم إلى الوجود . فنقول لهم أليس معنى هذا القول منكم أنه أوجده ولم يكن موجودا ؟ فَمَنْ قولهم نعم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق .

فالخلق هو الإيجاد عندكم بلا شك ، فأخبرونا أليس الله تعالى موجدا لكل موجود أبدا مدة وجودة ؟ فإن أنكروا ذلك أحالوا وأوجبوا أن الأشياء موجودة وليس الله تعالى موجدا لها الآن ، وهذا تناقض . وإن قالوا : نعم فإن الله موجد لكل شىء[2] موجود أبدًا قلنا لهم هذا هو الذى أنكرتم بعينه قد أقررتم به ، لأن الإيجاد هو الخلق نفسه والله تعالى موجد لكل ما يوجد فى كل وقت أبدا ، وإن لم يُفنه قبل ذلك والله تعالى خالق لكل مخلوق فى كل وقت وإن لم يُفنه قبل ذلك وهذا لا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق .

وبرهان آخر وهو قول الله تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم[3]» .

---

(١) فى (أ) : (وجودا) .
(٢) فى (أ) : لم يذكر كلمة (شىء) .
(٣) الأعراف : ١١

وصح البرهان بأن الله تعالى خلق التراب والماء اللّذين[٤] يتغذّى آدم وبنوه بما استحال عنهما ، وصارت فيهم دمًا وأحاله الله تعالى منيًّا فثبت بهذا يقينًا أن جميع أجساد الحيوان والنوامى كلها متفرقة ، ثم جمعها الله تعالى فقام منها الحيوان والنوامى وقال عز وجل : « ثم أنشأناه خلقا آخر[٥]» وقال تعالى : « خلقا من بعد خلق[٦]» .

فصح أن فى كل حين يحيل الله أحوال مخلوقاته فهو خلق جديد ، فالله تعالى يخلق فى كل حين جميع العالم خلقًا مستأنفًا دون أن يفُنيه وبالله تعالى نتأيد .

---

(٤) فى (أ) (الذى) .
(٥) المؤمنون : ١٤
(٦) الزمر : ٦

« الكلام فى الحركات والسكون »

قال أبو محمد : ذهبت طائفة إلى أنه لا حركة فى العالم ، وأن كل ذلك سكون ، واحتجوا بأن قالوا : وجدنا الشيء ساكنًا فى المكان الأول ساكنًا فى المكان الثانى ، وهكذا أبدًا فعلمنا أن كل ذلك سكون وهذا قول منسوب إلى معمّر بن عمرو العطار ، مولى بنى سليم أحد رؤساء المعتزلة . وذهبت طائفة إلى أن لا سكون أصلًا ، وإنما هى حركة اعتماد وهذا قول منتسب إلى إبراهيم بن سيار النظام . واحتج غير النظام من أهل هذه المقالة بأن قال : السكون إنما هو عدم الحركة ، والعدم ليس شيئًا . وقال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلًا ولا هو معنى . وذهبت طائفة إلى إبطال الحركة والسكون معًا .

وقالوا : إنما يوجد متحرك وساكن فقط وهو قول أبى بكر بن كيسان[2] الأصم . وذهبت طائفة إلى أن الجسم فى أول خلق الله تعالى له ليس ساكنًا ولا متحركًا . وذهبت طائفة إلى إثبات الحركة والسكون إلا أنها قالت : إن الحركات أجسام ، وهو قول هشام بن الحكم شيخ الإمامية ، وجهم بن صفوان السمرقندى ، وذهبت طائفة إلى إثبات الحركة والسكون وأن كل ذلك أعراض وهذا هو الحق .

فأما من قال بنفى الحركة وأن كل ذلك سكون فقولهم يبطل بأننا قد علمنا أن السكون إنما هو إقامة فى المكان ، وأن الحركة نقلة عن ذلك المكان وزوال عنه ، ولا شك فى أن الزوال عن الشيء هو غير الإقامة فيه ، فإذ الأمر كذلك فواجب أن يكون لهذين المعنيين المتغايرين لكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كما هما متغايران ، فاتفق فى اللغة أن يسمى أحدهما حركة ، ويسمى الآخر سكونا . وأما قولهم إن كلّ حركة فهى سكون فى المكان الثانى فليس كذلك ، لأن السكون

---

(١) فى (أ) : (ينسب) .
(٢) ترجمنا له فى (٣/٣٧) .

إقامة لا نقلة فيها فإذا وجدت نقلة متصلة لا إقامة فيها فهى غير الإقامة التى لا نقلة فيها ، ونوع آخر له أيضًا أشخاصه غير أشخاص النوع الآخر ، وبيقين ندرى أن الشىء المتحرك من مكان إلى مكان فإنه وإن جاوز كلَّ مكان يمر عليه فإنه غير واقف ولا مقيم . هذا ما لا شك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس ، فصح أن الحركة معنى وأن السكون معنى آخر .

وأما من قال إن السكون حركة اعتمادٍ فاحتجاج لا يعقل فلا وجه للاشتغال به .

وأما حجة من احتج بأن السكون عدم الحركة ، والعدم ليس شيئًا فليس كما قال لأنه عقب الحركة إقامة موجودة ظاهرة ، فهى وإن كان معها وبوجودها[٣] عدمت الحركة ، فليست هى عدما كما أن القيام معنى صحيح موجود وإن كان قد عدمت معه سائِر الحركات والأعمال من القعود والاتكاء والاضطجاع . ويقال لهم : وما الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معنى لأنها عدم السكون ؟ فهذا ما لا انفكاك عنه ، وكذلك من قال أيضًا إن المرض ليس معنى لأنه عدم الصحة ، والصحة ليست معنًى لأنها عدم المرض ، ومثل هذا كثير جدا . وفى هذا إبطال الحقائق كلّها . وأما من قال إن التَّرْك ليس معنى فخطأ ، لأن كلَّ مَنْ دون الله تعالى فإنه إن ترك معنى مّا وفعلًا مّا فلابد له ضرورة من فعل آخر ومعنى آخر ، هذا أمر يوجد بالمشاهدة والحس لا يمكن غير ذلك ، فصح أن ترك مَنْ دُونَ الله تعالى لفعل مّا هو أيضًا فعل صحيح بوجوده منذ[٤] سمى تاركًا لما ترك ، وليس الله تعالى كذلك ، بل لم يزل غير فاعل ولم يمكن بذلك فاعلًا للترك لأن ترك الإنسان للفعل كما بينت عرض موجود فيه وهو حامل له ، ولو كان لترك الله تعالى للفعل معنى لكان قائمًا به تعالى ، ومعاذ الله من هذا ومن[٥] أن يكون عز وجل حاملًا لعرض .

فلو كان أيضًا قائمًا بنفسه لكان جوهرًا ، أو الترك ليس جوهرًا ، ولو كان قائمًا بغيره عز وجل لكان تعالى فاعلًا له غير تارك ، فصح الفرق وبالله تعالى التوفيق .

وأما من أبطل الحركة والسكون معًا : فقول فاسد أيضًا لأنه أثبت المتحرك والساكن مع ذلك وبيقين يدرى كل ذى حسٍّ سليم أن من تحرّك سكن ، فإن تلك العين المتحركة ثم الساكنة هى عين واحدة وذات واحدة لم تتبدل ذاتها ، وإنما يتبدل عرضها المحمول فيها ، فبالضرورة ندرى أنه حدث فيه ، أو له ، أو منه معنى من أجله استحق أن يسمى متحركًا ، وأنه حدث فيه أوله ، أو منه أيضًا معنى من أجله استحق أن يسمى ساكنًا ، لولا ذلك لم يكن بأن يسمى متحركًا

---

(٣) فى (أ) : (بوجودها) بغير (واو) .
(٤) فى (أ) : (منه) .
(٥) فى (أ) : (من) بغير (واو) .

حق[٦] منه بأن يسمى ساكنًا ، هذا أمر محسوس مشاهد ، فذلك المعنى هو الحركة أو السكون ، نصح وجودهما ضرورة ، ولا فرق بين من أثبت الساكن والمتحرك ، ونفى الحركة والسكون ، فلا فرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم ، والآكل ، وأبطل الضرب والأكل والقيام ، وهذه سفسطة سقيمة[٧] وبالله تعالى التوفيق .

وأما من قال إن الجسم فى أول خلق الله عزَّ وجلَّ له ليس ساكنًا ولا متحركًا فكلام فاسد أيضًا ؛ لأنه لا يُتوهم ولا يعقل معنى ثالث ليس حركة ولا سكونًا ، هذا شيء لا يتشكل فى النفس ولا يثبته عقل ولا سَمْع . وأيضًا فإنه قول لا دليل عليه فهو باطل . ولا شك فى أن الله تعالى إذا خلق الجسم فإنما يخلقه فى زمان ومكان وإذ لا شك فى ذلك فالجسم فى أول حدوثه ساكن فى المكان الذى خلقه الله تعالى فيه ولو طرفه عين ، ثم إما يتصل سكونه فيه فتطول إقامته فيه ، وإما أن ينتقل عنه فيكون متحركًا عنه فإن قال قائل بل هو متحرك لأنه خارج عن العدم إلى الوجود . قيل له : هذا منك تسمية فاسدة لأن الحركة فى اللغة وهى التى يُتكلم عليها إنما هى نقلة من مكان إلى مكان ، والعدم ليس مكانًا ، ولم يكن المخلوق شيئًا قبل أن يخلقه الله تعالى . فحالُ خلقه هى أول أحواله التى لم يكن هو قبلها فكيف أن يكون له حال قبلها فلم ينتقل أصلًا بل ابتدأه الله تعالى الآن .

وأما الجسم الكلى الذى هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلى فكل جزء منه مقدر مفروض فإن أجزاءه المحيطة به من أربع جهات ، والجزء الذى يليه فى جهة عمق الفلك هو مكانه ، ولا مكان له من[٨] الصفحة التى لا تلى الأجزاء التى ذكرنا والله تعالى يمسكه بقوته كما شاء ولا يلاقيه من صفحته العليا شيء أصلا ، ولا هنالك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملاء .

قال أبو محمد : ورأيت لبعض النوكى ممن ينتمى إلى الكلام قولا طريفا وهو أنه قال : إن الله تعالى إذ خلق الأرض خلق جرما عظيما يمسكها لئلا تنحدر سفلا ، فحين خلق ذلك الجرم أعدمه وخلق آخر وهكذا أبدا بلا نهاية ، لأنه زعم لو أبقاه وقتين لاحتاج إلى ممسك[٩] وهكذا أبدا إلى ما لا نهاية له ، كأن هذا الأنوك لم يسمع قول الله تعالى : « إنَّ الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده[١٠]» .

---

(٦) فى (أ) : (أحق به) .
(٧) فى الأصل (صحيحة) .
(٨) فى (أ) : (فى) .
(٩) فى (أ) : (مسك) .
(١٠) فاطر : ٤١

فصح أن الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عُمد ، ولا زيادة ولا جرم آخر ولو أن هؤلاء المخاذيل إذ عدموا العلم تمسكوا باتِّباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله تعالى بما لا علم لهم به — لكان أسلم لهم فى الدين والدنيا ، ولكن من يُضْلِلِ الله فَلَا هَادِىَ لَه ونعوذ بالله من الضلال .

وأما من قال : إن الحركات أجسام فخطأ لأن الجسم فى اللغة اسم موضوع للطويل العريض العميق ذى المساحة وليست الحركة كذلك فليست جسمًا ، ولا يجوز أن يوقع عليها اسم جسم إذ لم يأت ذلك فى اللغة ولا فى الشريعة ولا أوجبه دليل ، وإذ صح[١١] أنها ليست جسما فهى بلا شك عرض .

وأما من قال إن الحركة تُرى فقول فاسد لأنه قد صح أن البصر لا يقع فى هذا العالم إلّا على لون فى ملون فقط ، وبيقين ندرى أن الحركة لا لون لها فإذ لا لون لها فلا سبيل إلى أن تُرى وإنما علمنا كون الحركة لأننا رأينا لون المتحرك فى مكان مّا ثم رأيناه فى مكان آخر علمنا أن ذلك الملون قد انتقل عن مكان إلى مكان بلا شك ، وهذا المعنى هو الحركة أو بأن يحس الجسم منتقلا[١٢] من مكان إلى مكان فيدرى حينئذ من لامسه وإن كان أعمى أو مطبق العينين أنه تحرك ، وبرهان ما قلناه أن الهواء لمّا لم يكن له لون لم يره أحد ، وإنما يُعلم من تموجه وتحرُّكه وملاقاته بأنه متنقل وهو هبوب الرياح . وكذلك أيضًا علمنا حركة الصوت بإحساسنا الصوت يأتى من مكان مّا إلى مكان مّا ، وكذلك القول فى حركة[١٣] المشموم من الطيب والنتن ، وحركة المذوق فبطل قول من قال إن الحركات تُرى وصح أن الحركة ليست لونًا ولا لها لون ، ولو كان هذا لأمكن لآخر أن يدعىَ أنه يسمع الحركة وهذا خطأ لأنه لا يسمع إلا الصوت ، ولأمكن لآخر أن يدَّعىَ أن الحركة تُلمس وهذا خطأ وإنما نلمس المحسة[١٤] من الخشونة والأملاس أو غير ذلك من المحسات[١٥]، والحق من هذا إنما هو أن الحركة تُعرف وتوجد بتوسط كل ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : والحركات النقلية المكانية تنقسم قسمين لا ثالث لهما ، إما حركة ضرورية وإما ختيارية .

---

(١١) فى (أ) : (وأوضح) وهو تحريف .
(١٢) فى (أ) : (قد انتقل) .
(١٣) فى (أ) : (الحركة) .
(١٤) فى (أ) : (المجسمة) .
(١٥) فى (أ) : (المجسات) .

فالاختيارية هى فعل النفوس الحية من الملائكة والإنس والجن وسائِر الحيوان كله ، وهى التى تكون إلى جهات شتّى على غير رتبة معلومة الأوقات وكذلك السكون الاختيارى .

والحركة الضرورية تنقسم قسمين لا ثالث لهما إما طبيعية وإما قسرية . والاضطرارية : هى الحركة الكائنة ممن ظهرت منه عن غير قصد منه إلينا .

وأمّا الطبيعية فهى حركة كل شيء غير حيٍّ بما[١٦] بناه الله عليه كحركة الماء إلى وسط المركز ، وكحركة الأرض كذلك وكحركة الهواء والنار إلى مواضعهما ، وكحركة الأفلاك والكواكب دورا ، وكحركة عروق الجسد النوابض ، والسكون الطبيعى هو سكون كل ما ذكرنا فى عنصره .

وأما القسرية فهى حركة كل شيء دخل عليه ما يحيل حركته عن طبيعته أو عن اختياره إلى غيرها ، كتحريك المرء قهرا ، وتحريكك الماء عُلُوًّا ، والحجر كذلك وكتحريك النّار سفلًا ، والهواء كذلك وكتصعيد الهواء الماء ، وكعكس الشمس الشمس بحر النار . والسكون القسرى هو توقيف الشيء فى غير عنصره أو توقيف المختار كرهًا وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٦) فى (أ) : (بما) .

« الكلام فى التولد »

قال أبو محمد : تنازع المتكلمون فى معنًى عبروا عنه بالتولد ، وهو أنهم اختلفوا فى من رمى سهمًا فجرح به إنسانًا أو غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائِر الآثار الظاهرة من الجمادات فقالت طائفة : ما تولد من ذلك عن فعل إنسان أو حيٍّ فهو فعل الإنسان والحى واختلفوا فيما تولد من غير حى . فقالت طائفة : هو فعل الله وقالت طائفة ما تولد من غير حى فهو فعل الطبيعة . وقال آخرون كل ذلك فعل الله عز وجل .

قال أبو محمد : فهؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عن موجبات العقول .

قال أبو محمد : والأمر أبين من أن يطول فيه الخطاب والحمد لله رب العالمين . والصّواب فى ذلك أن كلَّ ما فى العالم من جسم أو عرض فى جسم أو أثر من جسم فهو خلق الله عز وجل فكل ذلك فعل الله تعالى بمعنى أنه خلقه ، وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة إلى ما ظهر منه من حى أو جماد . قال تعالى : « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج[١] » .

فنسب عز وجل الاهتزاز والإنبات والربو إلى الأرض . وقال تعالى : « تلفح وجوههم النار[٢] » فأخبر تعالى أن النَّارَ تلفح .

وقال تعالى : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه[٣] » فأخبر عز وجل : أنَّ المَاءَ يشوى الوجوه .

---

(١) الحج : ٥
(٢) المؤمنون : ١٠٤
(٣) الكهف : ٢٩

وقال تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة[٤]» فسمى تعالى المخطىء قاتلًا وأوجب عليه حكمًا ، وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله .

وقال تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه[٥]» فأخبر تعالى أن الكلم يصعد ، وأن العمل يرفع الكلم والعمل عرض من الأعراض .

وقال تعالى : « أفئن مات أو قتل انقلبتم[٦]» وقال تعالى : « على شفا جرف هار فانهار به[٧]» .

ولم تختلف أمة ولا لغة فى صحة قول القائل مات فلان ، وسقط الحائط ، فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت إلى الميت ، والسقوط إلى الحائط ، والانهيار إلى الجرف ، لظهور كل ذلك منها ليس فى القرآن ولا فى السنن ولا فى اللغات[٨] ولا فى العقول شيء غير هذا الحكم ، ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى جميع الأمم ، وعلى جميع عقولهم وهذه صفة من عظمت مصيبته بنفسه ، ومن لا دين له ، ولا عقل ولا حياء ، ولا علم ، وصح بكل ما ذكرنا أن إضافة كل أمر[٩] فى العالم إلى الله تعالى هى على غير إضافته إلى من ظهر منه ، وإنما إضافته إلى الله تعالى لأنه خلقه ، وأما إضافته إلى من ظهر منه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعًا للقرآن ، ولجميع اللغات ، ولسنن رسول الله ﷺ ، وكل هذه الإخبارات ، وكلتا هاتين الإضافتين حقٌّ لا مجاز فى شيء من ذلك ، لأنه لا فرق بين ما ظهر من حيٍّ مختار ، أو من غير حَيٍّ ولا مختار فى أن كل ذلك ظاهر مما ظهر منه ، وأنه مخلوق لله تعالى إلا أن الله تعالى خلق فى الحى اختيارا لما ظهر منه ، ولم يخلق اختيارًا فى ما ليس حيًّا ، ولا مريدًا . فما تولد عن فعل فاعل فهو فعل الله تعالى بمعنى أنه خلقه ، وهو فعل ما ظهر منه بمعنى أنه ظهر منه . قال الله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى[١٠]» . وقال تعالى : « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون[١١]» .

وهذا نص قولنا وبالله تعالى التوفيق .

---

(٤) النساء : ٩٢
(٥) فاطر : ١٠
(٦) آل عمران : ١٤٤
(٧) التوبة : ١٠٩
(٨) فى (أ) : سقطت (ولا فى اللغات) .
(٩) فى (أ) (أثر) .
(١٠) الأنفال : ١٧
(١١) الواقعة : ٦٣

« الكلام فى المداخلة والمجاورة والكمون »

قال أبو محمد : ذهب القائلون بأن الألوان أجسام إلى المداخلة ومعنى هذه اللفظة أن الجسمين يتداخلان فيكونان جميعًا فى مكان واحد .

قال أبو محمد : وهذا كلام فاسد لما سنبينه إن شاء الله تعالى فى باب الكلام فى الأجسام والأعراض من ديواننا هذا وبالله نتأيد .

من ذلك أن كل جسم فله مساحة وإذا كان كذلك فله مكان ولابدَّ[1]، وإذ له مكان بقدر مساحته ولابدَّ فإن كل جسم زيد عليه جسم آخر ، فإن ذلك الجسم الزائِد يحتاج إلى مكان زائِد من أجل مساحته الزائِدة ، هذا أمر يعلم بالمشاهدة فإن اختلاط الأمر على من لم يتمرَّن فى معرفة حدود الكلام من أجل ما يرى فى الأجسام المتخلخلة من تخلل الأجسام المائعة لها فإنما هذا لأن فى خلال أجزاء تلك الأجسام المتخلخلة خروقًا صغارًا مملوءة هواء فإذا صُبَّ عليها الماء أو مائع مَّا ملأ تلك الخروق ، وخرج عنها الهواء الذى كان فيها ، وهذا ظاهر للعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات ، وصوت من كل ما يخرج عنه الهواء مسرعًا والذى ذكرنا فإنه إذا تم خروج الهواء عنه وزيد فى عدد المائع ربَّا واحتاج إلى مكان زائِد . وأما الذى ذكرنا قبل فإنه فى الأجسام المكتنزة كماء صُبَّ على ماءٍ ، أو دهن على دهن ، أو دهن على ماء وهكذا فى كل شىء من هذه الأنواع وغيرها .

فصح يقينا أن الجسم إنما يكون فى الجسم على سبيل المجاورة ، كل واحد فى حيز غير حيز الآخر وإنما تكون المداخلة بين الأعراض والأجسام وبين الأعراض والأعراض ، لأن العرض لا يشغل مكانا فنجد اللون والطعم والمحسة والرائحة والحر والبرد والسكون ، كل ذلك مداخل للجسم ،

---

(١) فى (أ) : (زائد) .

ومداخل بعضه بعضا ، ولا يمكن أن يكون جسم واحد فى مكانين ، ولا جسمان فى مكان واحد ، ثم إن المجاورة بين الجسمين تنقسم ثلاثة أقسام إحداها : أن يخلع أحد الجسمين كيفياته ويلبس كيفية الآخر ، كنقطة رميتها فى دن خل أو دن مرتٍ أو فى لبن أو فى مِدَاد أو شىء يسير من بعض هذه فى بعض أو من غيرها كذلك ، فإن الغالب منها يسلب المغلوب كيفياته الذاتية والغيرية ويذهبها عنه ويلبسه كيفيات نفسه الذاتية والغيرية والثانى أن يخلع كل واحد منهما كيفياته . الذاتية والغيرية ويلبسا معا كيفيات أخر كماء الزاج إذا جاور ماء العفص ، وكجسم الجير إذا جاور جسم الزرنيخ وكسائر المعاجن كلها ، والدقيق والماء وغير ذلك .

والثالث : أن لا يخلع واحد منهما عن نفسه كيفية من كيفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت أضيف إلى ماء ، وكحجر إلى آخر[٢]، وثوب إلى ثوب ، فهذا حقيقة الكلام فى المداخلة والمجاورة .

* * *

وأما الكمون : فإن طائفة ذهبت إلى أن النار كامنة فى الحجر ، وذهبت طائفة إلى إبطال هذا ، وقالت إنه لا نار فى الحجر أصلًا ، وهو قول ضرار بن عمرو .

قال أبو محمد : وكل طائفة منهما فإنها تفرط على الأخرى فيما تدَّعى عليها ، فضرار ينسب إلى مخالفيه أنهم يقولون إن النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة فى النواة ، وأن الإنسان بطوله وعرضه وعمقه وعظمه كامن فى المنى . وخصومه ينسبون إليه أنه يقول : إنه ليس فى النار حر ، ولا فى العنب عصير ، ولا فى الزيتون زيت ولا فى الإنسان دم .

قال أبو محمد : وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والعقول ، والحق من ذلك أن فى الأشياء ما هو كامن كالدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، والزيت فى الزيتون ، والماء فى كل ما يعتصر منه ، وبرهان ذلك أن كل ما ذكرنا إذا خرج[٣] ما كان كامنًا فيه ضمر الباقى لخروج ما خرج منه وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذى خرج منه[٤].

ومن الأشياء ما ليس كامنا كالنار فى الحجر والحديد ، لكن فى حجر الزناد والحديد الذكر

---

(٢) فى (أ) : (إلى حجر) .
(٣) فى (أ) : (مما) .
(٤) فى (أ) : سقطت (منه) .

قوة إذًا تضاغطًا احتدم ما بينهما من الهواء فاستحال نارًا وهكذا يعرض لكل شىء متحرق فإن رطوباته تستحيل نارًا ثم دخانًا ، ثم هواء ، إذا فى طبع النار استخراج ناريات الأجسام ، وتصعيد رطوباتها حتى يفنى كل ما فى الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ثم لو نفخت دهرك على ما بقى من الأرضية المحضة وهو الرماد لم يحترق ولا اشتعل إذ ليس فيه نار فتخرج ، ولا ماء فيصعد .

وكذلك دهن السراج فإنه كثير الناريات بطبعه فيستحيل بما فيه من المائية اليسيرة دخانًا هوائيًا ، وتخرج ناريته حتى يذهب كلّه . وأما القول فى النوى والبذور والنطف ، فإن فى النواة وفى البذر وفى النطفة طبيعة خلقها فى كل ذلك الله تعالى ، وهى قوة تجتذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزبل ، ولطيف التراب الوارد كل ذلك على النواة والبذر ، فيحيل كل ذلك إلى ما فى طبعها إحالته إليه فيصير عُودًا ولِحَاءً وورقا وزهرًا وثمرًا وخوصًا وكرمًا ، ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيعته التى خلقها الله فيه لحما ، ودمًا وعظمًا ، وعصبًا وعروقًا وشرايين وغضلا وغضاريف وجلدًا وظفرًا وشعرًا وكل ذلك خلق الله تعالى ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

قال أبو محمد : وذهب الباقلانى وسائر الأشعرية إلى أنه ليس فى النار حر ، ولا فى الثلج برد ، ولا فى الزيتون زيت ، ولا فى العنب عصير ، ولا فى الإنسان دم ، هذا أمر ناظرنا عليه من لقيناه منهم .

والعجب كل العجب قولهم هذا التخليط وإنكارهم ما يعرف بالحواس وضرورة العقل ، ثم هم يقولون مع هذا إن للزجاج والحصى طعمًا ورائحة وإن لقشور العنب رائحة ، وإن للفلك طعمًا ورائحة ، وهذه إحدى عجائب الدنيا .

قال أبو محمد : وما وجدنا لهم فى ذلك من حجة غير دعواهم أن الله تعالى خلق كل حر نجده فى النار عند مسنا إياها ، وكذلك خلق البرد فى الثلج عند مسنا إياه ، وكذلك خلق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب ، والدم عند القطع والشرط .

قال أبو محمد : فإذا تعلقوا من هذا بحواسهم فمن أين قالوا ، إن للزجاج طعمًا ورائحة ، وللفلك طعمًا ورائحة ..؟ وهذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم فى أحدهما ولا تدرك الحواس الآخر ويقال لهم : لعل الناس ليس فى الأرض منهم أحد ، وإنما خلقهم الله عند رؤيتكم لهم ، ولعل بطونكم لا مصارين فيها ، ورءوسكم لا أدمغة فيها ، لكن الله خلق كل ذلك عند الشدخ والشق .

قال أبو محمد : وقول الله تعالى يكذبهم إذ قال تعالى : « يا نار كونى برداً وسلاما على إبراهيم[٥] » .

فلولا أن النار تحرق بحرها ما كان يقول الله تعالى هذا .

وإذ يقول عز وجل : « قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون[٦] » فصح أن النار موجودة .

وكذلك أخبر رسول الله ﷺ أن نار جهنم أشد حرًّا من نارنا هذه تسعين درجة[٧]. وقال تعالى : « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين[٨] » .

فأخبر أن الشجرة تنبت بها وقال تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقًا حسنا[٩] » .

فصح أن السكر ، والعصير الحلال مأخوذ من الثمر والأعناب ولو لم يكونا فيهما ما أخذ منها وقد أطبقت الأمم كلها على إنكار هذا الجنون ، وعلى القول : هذا أحلى من العسل ، وأمر من الصَّبر ، وأحرّ من النار ، ونحمد الله على السلامة .

---

(٥) الأنبياء : ٦٩

(٦) التوبة : ٨١

(٧) لم نعثر على هذا الحديث فى كتب الصحاح ، وقد ورد فى إحياء العلوم للغزالى ما يؤكد صحته من حيث المعنى فقد جاء فى الحديث (أن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا) وقد رواه ابن عبد البر عن ابن عباس .

(٨) المؤمنون : ٢٠

(٩) النحل : ٦٧

« الكلام فى الاستحالة »

قال أبو محمد : احتج الحنيفيون ومن وافقهم فى قولهم إن النقطة من البول والخمر تقع فى الماء ، فلا يظهر لها فيه أثر إنها فيه باقية بجسمها إلا أن أجزاءها دقت وخفيت عن أن تُحس ، وكذلك الحبر يرمى فى اللبن فلا يظهر له فيه أثر ، وكذلك الفضة اليسيرة تذاب فى الذهب فلا يظهر لها فيه أثر ، وهكذا كل شى فقالوا ؛ لو أن ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الخمر تقع فيه لكان أكثر من ذلك المقدار أقوى على الإحالة بلا شك ، ونحن نجد كلما زدنا نقط الخمر وقلتم أنتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث أن تظهر الخمر ، وهكذا فى كل شيء قالوا فظهرت صحة قولنا ولزمكم أن كلما كثر الماء ضعفت إحالته وهكذا فى كل شيء .

قال أبو محمد : فقلنا لهم : إن الأمور إنما هى على ما رتبها الله عزَّ وجلَّ ، وعلى ما توجد عليه لا على قضاياكم المخالفة للحس ، ولا ننكر أن يكون مقدارٌ مًّا يفعل فعلًا مًّا ، فإذا كثر لم يفعل ذلك الفعل كالمقدار من الدواء ينفع ، فإذا زيد فيه أو نقص منه لم ينفع ، ونحن نقرُّ معكم بما ذكرتم ولا ننكره فنقول : إن مقدارًا مًّا من الماء يُحيل مقدارًا مًّا مما يلقى فيه ، من الخل أو الخمر أو العسل ، ولا يحيل أكثر منه ما يكون فيه ، ونحن نجد الهواء يحيل الماء هواء حتى إذا كثر الهواء المُحيل من الماء لم يستحل[1] بل أحال الهواء ماء ، وهكذا كل ما ذكرتم . وإنما العمدة هاهنا على ما شهدت به أوائل العقول والحواس ، من أن الأشياء إنما تختلف باختلاف طبائِعها وصفاتها التى منها تقوم حدودها وبها تختلف فى اللغات أسماؤها ، فللماء صفات وطبائِع إذا وجدت فى جرم مًّا سمى ماء وكان ماء[2] فإذا عدمت منه لم يُسم ماء ولم يكن ماء ، وهكذا كل ما فى العالم ولا نُحاشى شيئًا أصلًا ، ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبعه فى العسل أو فى الخمر

---

(١) فى (أ) : بزيادة (من الماء) .
(٢) فى (أ) : سقط (وكان ماء) .

وهكذا كل شيء فى العالم فأكثره يستحيل بعضه إلى بعض ، فأى شيء وجدت فيه حدود شيءٍ مًّا سمى باسم ما فيه تلك الحدود إذا استوفاها كلها ، فإن لم يستوف إلا بعضها وفارق أيضًا شيئًا من صفاته الذاتية فهو حينئذ شيء غير الذى كان ، وغير الذى مازج كالعسل الملقى فى الأبارج[3]، ونقطة مداد فى لبن وما أشبه ذلك وهذه رتبة العالم فى مقتضى العقول ، وفيما يشاهد بالحواس بالبصر والذوق والشم واللمس ، ومن دفع هذا خرج عن المعقول ، ويلزم الحنيفيين من هذا اجتناب ماء البحر ، لأن فيه على قولهم[4] عذرة وبولا ورطوبات ميتة ، وكذلك مياه جميع الأنهار أولها عن آخرها نعم ، وماء المطر أيضًا ونحن نجد الدجاج يتغذى بالميتة والدم والعذرة ، والكبش يُسقى خمرًا إن ذلك كله قد استحال عن صفات كل ذلك وطبعه إلى لحم الدجاج ، والكبش فحل عندنا وعندهم ، ولو كثر تغذيها به حتى تضعف طبيعتها عن إحالته فيوجد فى حواصلها وفيه صفة العذرة ، والميتة حرم أكله وهذا هو الذى أنكروه نفسه وهم مقرون معنا فى أن الثمار والبقول تتغذى بالعذرة ، وتستحيل فيها ثمرة[5]، أنها قد حلت ، وهذا هو الذى أنكروه نفسه وبالله تعالى التوفيق .

---

(٣) الأبارج : جمع أبريج وهو الممخضة يمخض بها اللبن لاستخراج السمن منه قال الشاعر

لقـــد تمخّض فى قلبـــى مودّتها كما يمخّض فى إبـــريجه اللبـــن

لسان العرب ١٨٥

(٤) فى (أ) : (عقولهم) .

(٥) فى (أ) : (مدة) وهو تحريف .

« الكلام فى الطفرة »

قال أبو محمد : نسب قوم من المتكلمين إلى إبراهيم النظَّام أنه قال : إن المارَّ على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها المار ولا مرَّ عليها ، ولا حاذها ولا حلَّ فيها .

قال أبو محمد : وهذا عين المحال والتخليط .

قال أبو محمد : إلا إن كان هذا على قوله فى أنه ليس فى العالم إلا جسم حاشا الحركة فقط ، فإنه وإن كان قد أخطأ فى هذه القضية[1] فكلامه الذى ذكرنا خارج عليه خروجًا صحيحًا ، لأن هذا الذى ذكرنا ليس موجودًا البتة إلا فى حاسة البصر فقط ، وكذلك إذا أطبقت بصرك ثم فتحته لاقى نظرك خضرة السماء والكواكب ، التى فى الافلاك البعيدة بلا زمان ، كما يقع على أقرب ما يلاصقه من الألوان ، ولا تفاضل بين الإدراكين فى المدة أصلًا .

فصح ضرورة أن خط[2] البصر لو قطع المسافة التى بين الناظر وبين الكواكب ومرَّ عليها لكان ضرورة بلوغه إليها فى مدة أطول ، من مدة مروره على المسافة التى ليس بينه وبين من يراه فيها إلا يسيرًا أو أقل ، فصح يقينًا أن البصر يخرج من الناظر ويقع على كل مرىء قرب أو بعد دون أن يمر فى شىء من المسافة التى بينهما ، ولا يَحُلَّها ، ولا يحاذيها ، ولا يقطعها ، وأما فى سائِر الأجسام فهذا محال ألا ترى أنك تنظر إلى الهدم وإلى ضرب القصَّار بالثوب فى الحجر من بُعدٍ ، فتراه ثم يقيم سويعة ، وحينئذ تسمع صوت ذاك الهدم وذلك الضرب فصح يقينًا أن الصوت يقطع الأماكن وينتقل فيها ، وأن البصر لا يقطعها ولا ينتقل فيها ، فإذا صح البرهان بشىء مًّا لم يعترض عليه إلا عديم عقل ، أو عديم حياء ، أو عديم علم أو عديم دين .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(١) فى (أ) : (القصة) .

(٢) فى (أ) : (إن خلا) .

« الكلام فى الإنسان »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى هذا الإسم علام يقع ؟ فذهبت طائفة إلى أنه إنما يقع على الجسد دون النفس ، وهو قول أبى الهذيل العلاف . وذهبت طائفة إلى أنه إنما يقع على النفس دون الجسد ، وهو قول إبراهيم النظام ، وذهبت طائفة إلى أنه إنما يقع عليهما معا ، كالبلق الذى لا يقع على السَّواد والبياض معا .

قال أبو محمد : واحتجت الطائفة التى ذكرنا بقول الله عز وجل : « خلق الإنسان من صلصال كالفخار[١] » . وبقوله تعالى : « فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب[٢] » . وقال تعالى : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى[٣] » .

وبآيات أخر غير هذه ، وهذه بلا شك صفة الجسد لا صفة النفس لأن الروح إنما نفخ[٤] بعد تمام خلق الإنسان الذى هو الجسد . واحتجت الطائفة الأخرى بقول الله عز وجل : « إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا[٥] » . وهذا بلا خلاف صفة النفس لا صفة الجسد ، لأن الجسد موات والفعَّالة هى النفس وهى المميزة الحية ، حاملةٌ لهذه الأخلاق وغيرها .

قال أبو محمد : وكلا هذين الاحتجاجين حق وليس أحد منهما أولى بالقبول[٦] من الآخر ، ولا يجوز أن يعارَض أحدهما بالآخر ، لأن كليهما من عند الله عزَّ وجل ، وما كان من عند الله

---

(١) الرحمن : ١٤
(٢) الطارق : ٥ - ٧
(٣) القيامة : ٣٦ - ٣٨
(٤) فى (أ) : (تنفخ) .
(٥) سورة المعارج : ١٩ ، ٢٠ ، وقد جاءت محرفة فى (خ) .
(٦) فى (أ) : (بالقول) وهو تحريف .

فليس بمختلف ، قال تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا[٧] » .

فإذ كلُّ هذه الآيات حق فقد ثبت أنّ للإنسان إسم يقع على النفس دون الجسد ، ويقع أيضًا على الجسد دون النفس ، ويقع أيضًا على كليهما معا مجتمعين ، فنقول فى الحىّ : هذا إنسان ، وهو مشتمل على جسد وروح ، ونقول للميت : هذا إنسان وهو جسدٌ لا نفس فيه ، ونقول : إنَّ الإنسان يعَّذب قبل يوم القيامة ، ويُنَعمَّ يعنى النفس دون الجسد ، وأمَّا من قال : إنه لا يقع إلَّا على النفس والجسد معًا فخطأ يبطله الذى ذكرنا من النصوص التى فيها وقوع اسم الإنسان على الجسد دون النفس ، وعلى النفس دون الجسد ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٧) النساء : ٨٢

« الكلام فى الجواهر والأعراض وما الجسم ؟ وما النفس ؟ »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى هذا الباب ، فذهب هشام بن الحكم : إلى أنه ليس فى العالم إلَّا جسم ، وأن الألوان والحركاتِ أجسام ، واحتج أيضا بأن الجسم إذا كان طويلًا عريضا عميقا فمن حيث وجدتّه وجدت اللّون فيه ، فوجب الطول ، والعرض ، والعمق للّون أيضا ، فإذا وجب ذلك للّون فاللّون أيضا طويل عريض عميق ، وكل طويل عريض عميق جسم ، فاللّون جسم . وذهب إبراهيم بن سيَّار النّظام : إلى مثل هذا سواء سواء إلَّا الحركات فإنه قال : هى خاصة أعراض .

وذهب ضرار بن عمرو : إلى أن الأجسام مركبة من الأعراض . وذهب سائر الناس إلى أنَّ الأجسام هى كل ما كان طويلًا عريضًا عميقًا شاغلًا لمكان ، وأن كل ماعداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو محبة فعرض . وذهب بعض الملحدين إلى نفى الأعراض ، ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة .

قال أبو محمد : أما الجسم فمتفق على وجوده ، وأما الأعراض فإثباتها بيّن واضح بعون الله تعالى ، وهو أننا لم نجد فى العالم إلَّا قائما بنفسه حاملًا لغيره ، أو قائما بغيره لا بنفسه ، محمولًا فى غيره ، ووجدنا القائم بنفسه شاغلًا لمكان يملؤه ، ووجدنا الذى لا يقوم بنفسه لكنه محمول فى غيره لا يشغل مكانًا بل يكون الكثير منها فى مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لا يمكن وجود شيءٍ فى العالم بخلافها ، ولا وجود قسم زائد على ما ذكرنا ، فإذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا أنّ القائم بنفسه ، الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذى لا يشغل مكانًا فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسين اسم يعبَّر عنه ليقع التفاهمُ بيننا فاتفقنا على أن سمَّينا القائم بنفسه ، الشاغل لمكانه – جسمًا ، واتفاقنا على أن سمّينا ما لا يقوم بنفسه عَرَضًا ، وهذا بيان برهانى مشاهد . ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الألوان ، والجسم قائم بنفسه فبيمنا تراه أبيض صار أخضر ، ثم أحمر ، ثم أصفر ، كالذى نشاهده فى الثمار والأصباغ ، فبالضرورة نعلم أنّ الذى عُدِم

وفنى من البياض والخضرة وسائر الألوان هو غير الذى بقى موجودًا لم يفن ، وأنهما جميعًا غير الشيء الحامل لهما ، لأنه لو كان شيء من ذلك هو الآخر لعدم بعدمه ، فدل بقاؤه بعده على أنه غيره ولابدَّ ، إذ من المحال الممتنع أن يكون الشيء معدومًا موجودًا فى حالة واحدة ، فى مكانٍ واحدٍ ، فى زمانٍ واحدٍ .

وأيضا فإن الأعراض هى الأفعال من الأكل والشرب ، والنوم ، والجماع ، والمشى ، والضرب ، وغير ذلك ، فمن أنكر الأعراض فقد أثبت الفاعلين وأبطل الأفعال ، وهذا محال لا خفاء به ، ولا فرق بين من أثبت الفاعلين ونفى الأفعال ، وبين من أثبت الأفعال ونفى الفاعلين . وكلا الطائفتين مبطلة لما يُشاهد بالحواسِّ ، ويدرك بالعقل[1]، سوفسطائيون حقًّا ، لأن من الأعراض ما يدرك بالبصر وهو اللون إذ ما لا لون له لا يدرك بالبصر ، وقد يدرك بالشمّ كالنتن والطيب ومنها : ما يدرك بالذَّوق كالحلاوة والمرارة ، والحموضة والملوحة ، ومنها ما يدرك بالحس[2] كالحر والبرد ، ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصوت وقبحه ، وجهارته وجفوته ، ومنها ما يدرك بالعقل كالحركة ، والحمق والعقل ، والعدل والجور ، والعلم والجهل ، فظهر فساد قول مبطلى الأعراض يقينًا والحمد لله رب العالمين ، فإذ قد صح كل ما ذكرنا فإنما الأسماء عبارات وتمييز للمسمّيات ليتوصل بها المخاطبون إلى تفاهم مراداتهم من الوقوف على المعانى ، وفصل بعضها من بعض ، ليس للأسماء فائدة غير هذه ، فوجب ضرورة أن يوقع على القائم بنفسه ، الشاغل لمكانه ، الحامل لغيره أسماء تكون عبارة عنه ، وأن يوقع أيضًا على القائم بغيره لا بنفسه المحمول الذى لا يشغل مكانًا — اسمًا آخر يكون أيضا عبارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذينك المسمَّيين عن الآخر ، وإن لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان ، واصطلحنا على أن سمينا القائم بنفسه ، الشاغل للمكان جسمًا . واتفقنا على أن سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضًا ، لأنه عرض فى الجسم ، وحدث فيه . هذا هو الحق المشاهد بالحسِّ ، المعروف بالعقل ، وماعدا هذا فهذيان وتخليط ، لا يعقله قائله ، فكيف غيره ؟ فصحَّ بهذا كلّه وجود الأعراض وبطلان قول من أنكرها ، وصحَّ أيضًا بما ذكرنا أنَّ حدَّ اللون والحركة ، وكلَّ ما لا يقوم بنفسه هو غير حدّ القائم بنفسه ، فإذ ذلك كذلك فلا جسمَ إلَّا القائم بنفسه وكل ما عداه فعرض ، فلاحَ بهذا صحة قول من قال بذلك ، وبطل قول هشام والنظام . وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاج هشام بوجود الطول والعرض والعمق التى توهّمها فى اللون ، فإنما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط ، وليس للّون طول ولا عرض ولا عمق ، وكذلك الطعم والمجسَّة ،

---

(١) فى (أ) : (بالفعل) .

(٢) فى (أ) : (باللمس) .

والرائحة ، وبرهان ذلك أنه : لو كان للجسم طول وعرض وعمق ، وكان للون طول غير طول الملون الحامل له ، وعرض آخر غير عرض الحامل له ، وعمق آخر غير عمق الملّون الحامل له ، لاحتاج كل واحدٍ منهما إلى مكان آخر ، غير مكان الآخر ، إذ من أعظم المحال الممتنع أن يكون شيئان طول كل واحدٍ منهما ذراع ، وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسعان جميعًا فى واحد ليس هو إلّا ذراع فى ذراع فقط ، ويلزمه مثل هذا فى الطعم والرائحة والمجسة ، لأن كل هذه الصفات توجدمن كل جهة من جهات الجسم الذى هى فيه ، كما يوجد اللون ولا فرق . وقد يذهب الطعم حتى يكون الشيء لا طعم له ، وتذهب الرائحة حتى يصير الشيء لا رائحة له ، ومساحته باقية بحسبها ، فصح يقينًا أن المساحة للملون والذى له الرائحة والطعم والمجسة ، لا للّون ولا للطعم[٣] ولا للرائحة ولا للمجسة . وقد نجد جسمًا طويلًا عريضًا عميقًا لا لون له وهو الهواء ساكنة ومتحركة ، وبالضرورة ندرى أنه لو كان له لون لم يزد ذلك فى مساحته شيئًا .

قال أبو محمد : فإن بلغ الجهل بصاحبه إلى أن يقول ليس الهواء جسمًا سألناه عما فى داخل الزّق المنفوخ ما هو ؟ وعما يَلْقى الذى يُجْرِى فرسًا جوادًا بوجهه وجسمه ؟ فإنه لا شك فى أنه جسم قوى متكسر محسوس .

وبرهان آخر : وهو أن كل أحد يدرى أن الطول والعرض والعمق لو كان لكل واحد منهما طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منهما أيضًا إلى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا مسلسلًا إلى ما لا نهاية له ، وهذا باطل فبطل قول إبراهيم وهشام وبالله تعالى التوفيق .

وأما قول ضرار : إن الأجسام مركبة من الأعراض ، فقول فاسد جدًا لأن الأعراض قد صحّ كما ذكرنا أنها لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسها ، وصح أن الأجسام ذات أطوال وعروض وأعماق وقائمة بأنفسها ، ومن المحال أن يجتمع ما لا طول له ولا عرض ولا عمق مع مثله فيقوم[٤] منها ما له طول وعرض وعمق ، وإنما غلط فيها من توهم أن الأجسام مركبة من السطوح وأن السطوح مركبة من الخطوط ، والخطوط مركبة من النقط .

قال أبو محمد : وهذا خطأ على كل حال لأن السطوح المطلقة إنما هى تناهى الجسم وانقطاع تماديه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط وأما الخطوط المطلقة فإنما هى تناهى جهة السطح وانقطاع تماديها ، وأما النقط فهى تناهى جهات الجسم من أحد نهاياته كطرف السكين ونحوه فكل هذه الأبعاد إنما هى عدم التمادى ومن المحال أن يجتمع عدم فيقوم منه موجود . وأما[٥]

---

(٣) فى (آ) : بزيادة (مكان) ولا معنى لها .
(٤) فى (أ) : (فيتقوم) .
(٥) فى (أ) : (وإنما) .

السطوح المجسمة والخطوط المجسمة والنقط المجسمة فإنما هى أبعاض الجسم وأجزاؤه ، ولا تكون الأجزاء أجزاء إلا بعد القسمة فقط على ما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قال أبو محمد : وذهب قوم من المتكلمين إلى إثبات شيء سموه جوهرا ليس جسما ولا عرضا ، وقد ينسب هذا القول إلى بعض الأوائل . وحَدُّ هذا الجوهر عند من أثبته أنه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لا يتحرك ، ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزأ .

وحدَّه بعض من ينتمى إلى الكلام : بأنه واحد بذاته لا طول له ولا عرض ولا عمق[٦] ولا يتجزأ . وقالوا إنه يتحرك[٧] وله مكان وأنه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضا واحدا فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسة .

قال أبو محمد : وكلا هذين القولين والقول الذى اجتمعا عليه فى غاية الفساد والبطلان ، أول[٨] ذلك أنها كلها دعاوى مجردة لا يقوم على صحة شيء منها دليل أصلًا لا برهانى ولا إقناعى بل البرهان العقلى والحس يشهدان ببطلان كل ذلك وليس يعجز أحد أن يدعى ما شاء ومما كان هكذا فهو باطل محض وبالله تعالى نتأيد .

وأما نحن فنقول إنه ليس فى الوجود إلا الخالق وخلقه وأنه ليس الخلق إلا جوهرا حاملا لأعراضه ، وأعراضا محمولة فى الجوهر لا سبيل إلى تعرِّى[٩] أحدهما عن الآخر ، فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ونجمع إن شاء الله تعالى كل شى أوقعت عليه هاتان الطائفتان اسم جوهر لا جسم ولا عرض ونبين إن شاء الله تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضرورية كما فعلنا فى سائر كلامنا وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : حققنا ما أوقع عليه بعض الأوائل ومن قلدهم اسم جوهر ، وقالوا إنه ليس جسمًا ولا عرضًا فوجدناهم يذكرون البارى تعالى والنفس والهيولى والعقل والصورة وعبر بعضهم عن

---

(٦) فى (أ) : سقط : (ولا عمق) .
(٧) فى (أ) : (لا يتحرك) .
(٨) فى (أ) : (أول من قال ذلك) .
(٩) فى (أ) : (تعدى) بالدال وهو تحريف .

الهيولى بالطينة وبعضهم بالخميرة والمعنى فى كل ذلك واحد إلا أن بعضهم قال : المراد بذلك الجسم متعريا من جميع أعراضه وأبعاده . وبعضهم قال المراد[١٠] بذلك الشيء الذى منه كون هذا العالم ومنه يكون على حسب اختلافهم فى الخالق أو فى إنكاره وزاد بعضهم فى الجوهر الخلاء والمدة اللذين لم يزالا عندهم يعنى بالخلاء المكان المطلق لا المكان المعهود ويعنى بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعهود .

قال أبو محمد : وهذه أقوال ليس شيء منها لمن ينتمى إلى الإسلام وإنما هى للمجوس والصابئين وللدهرية وللنصارى فى تسميتهم البارى تعالى جوهرا فإنهم سموه فى أمانيهم[١١] التى لا يصح عندهم دين لملكى ولا لنسطورى ولا ليعقوبى ولا هارونى إلا باعتقادها ، وإلا فهو كافر بالنصرانية قطعا ، حاشا تسميته البارى تعالى جوهرًا ، فإنه للمجسمة أيضا وحاشى القول بأن النفس جوهر لا جسم ، فإنه قد قال به معمّر العطار أحد رؤساء المعتزلة ، وأما المنتمون إلى الإسلام فأن الجوهر الذى ليس جسمًا ولا عرضًا ليس هو عندهم شيئًا إلا الأجزاء الصغار التى لا تتجزأ وإليها[١٢] تنحل الأجسام عندهم بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الأوائل أيضا فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحدًا سمى جوهرا ليس جسمًا ولا عرضًا ولا غيرها إلا قومًا جُهّالا يظنون فى القوى الذاتية أنها جواهر وهذا جهل منهم لأنها بلا خلاف محمولة فيما هى فيه[١٣] غير قائمة حتما وهذا صفة العرض لا صفة الجواهر بلا خلاف .

قال أبو محمد : فأما الخلاء والمدة فقد تقدم إفسادنا لهذا القول فى صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفى كتابنا الموسوم بالتحقيق فى نقض كتاب العلم الإلهى لمحمد بن زكريا الطبيب فحلَّلنا كلّ دعوى أوردها هو وغيره فى هذا المعنى بأبين شرح والحمد لله رب العالمين كثيرًا .

وأثبتنا فى صدر كتابنا هذا وهنالك أنه ليس فى العالم خلاء ألبتة وأنه كلُّه كرة مصمته لا تخلخل فيها وأنه ليس وراء هذا[١٤] خلاء ولا ملاءٌ ولا شيء ألبتة وأن المدة ليست إلا مدة[١٥] أحدث الله [فيها] الفلك بما فيه من الأجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها ، وبينا فى كتاب التقريب لحدود الكلام أن الآلة المسماة الزرَّافة وسارقة الماء والآله التى تدخل فى إحليل من به أثر البول براهين ضرورية فى[١٦] تحقيق أن لا خلاء فى العالم أصلًا وأن[١٧] الخلاء عند القائلين به إنما هو

(١٠) فى (أ) : سقط (المراد) .
(١١) فى (أ) : (أمانتهم) .
(١٢) فى (أ) : سقطت (الواو) .
(١٣) فى (أ) : سقطت (فيه) .
(١٤) فى (أ) : (وراءها) .
(١٥) فى (أ) : (للأمد) .
(١٦) فى (أ) : (بتحقيق) .
(١٧) فى (خ) : (فإن) .

مكان لا تمكن فيه وهذا محال بما ذكرنا لأنه لو خرج الماء من الثقب الذى فى أسفل سارقة الماء وقد سُدَّ أعلاها لبقى مكانه خاليًا بلا متمكن فيه فإذا لم يكن ذلك أصلًا ولا كان فى(١٨) بنية العالم وجوده وقف الماء باقيا لا ينهرق حتى إذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلًا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء ، وكذلك الزرّافة والآلة المتخذة لمن به أسر البول فإنه إذا حصلت تلك فى داخل الإحليل وأول المثانة ثم جبذ الزر المغلق لبقها إلى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج إذ [لو] لم يخرج لبقى ثقب الآلة خاليًا لا شىء فيه ، وهذا باطل ممتنع وقد بينا فى صدر كتابنا كلَّ ما اعترض به الملحدون المخالفون لنا فى هذا المكان فأغنى عن إعادته .

فإن قال قائل فالماء الذى اخترعه الله عز وجل من بين أصابع رسول الله ﷺ ، والتمر الذى اخترع له ، والثريد الذى اخترع له من أين اخترعه وهى أجسام محدثة والعالم عندكم ملاء لا خلاء فيه ، ولا تخلخل ولا يكون الجسمان فى مكان واحد ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق لا يخلو هذا من أحد وجهين لا ثالث لهما .

إما أن يكون الله عز وجل أعدم من الهواء مقدار ما اخترع منه من التمر والماء والثريد ، وإما أن يكون الله عز وجل أحال أجزاء من الهواء ماء وتمرًا وثريدًا فالله أعلم أى ذينك كان والله على كل شىء قدير فسقط قولهم فى الخلاء والمدة والحمد لله رب العالمين .

* * *

قال أبو محمد : وأما الصّورة فكيفية بلا شك وهى تخليط الجواهر وتشكلها إلا أنها قسمان أحدهما ملازم كالصورة الكلية لا تفارق الجواهر ألبتة ولا توجد دونها ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب أنواعه وأشخاصه على الجواهر كانتقال الشىء عن تثليث إلى تربيع ونحو ذلك فصح أنها أعراض بلا شك وبالله تعالى التوفيق .

* * *

وأما العقل فلا خلاف بين أحد له حس(١٩) سليم فى أنه عرض محمول فى النفس ، وكيفية برهان ذلك أنه يقبل الأشد والأضعف فنقول عقل أقوى من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو

---

(١٨) فى (أ) : (فيه) .
(١٩) فى (أ) : (عقل) .

الحمق ، ولا خلاف فى الجواهر أنها لا ضدّ لها ، وإنما التضاد فى بعض الكيفيات فقط وقد اعترض فى هذا بعض من صح[٢٠] له علم الفلسفة فقال : ليس للعقل[٢١] ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت للذى ذكر لى هذا القول[٢٢] إن هذه سفسطة وجهل ، ولو جاز له هذا التخليط لجاز لغيره أن يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ، ولا لشىء من الكيفيات ضد ، ولكن لوجودها ضد وهو عدمها ، فيبطل التضاد من جميع الكيفيات ، وهذا كلام يُعلم فساده بضرورة العقل ، ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهى باب واحد كله وإنما هى صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحمق ، وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل ، وكما أن النجدة موجودة ويعقبها الجبن ، وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييز ، وكذلك الجواهر لا تقبل الأشد والأضعف فى ذواتها ، وهذا أيضًا قول كل من له أدنى فهم من الأوائل . والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والتزام ما تحسن به المغبَّة فى دار البقاء وعالم الجزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء فى دار الدنيا .

وبهذا أيضًا جاءت الرسل عليهم السلام قال الله عز وجل : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها[٢٣]» .

وقال تعالى : « كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون[٢٤]» .

وقال تعالى : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا[٢٥]» .

وقال تعالى : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون[٢٦]» .

وقال تعالى : « وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون[٢٧]» .

وقال تعالى : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون[٢٨]» .

---

(٢٠) فى (أ) : (يدعىٰ) .
(٢١) فى (أ) : (فى العقل) .
(٢٢) فى (أ) : (البحث) .
(٢٣) الحج : ٤٦
(٢٤) النور : ٦١
(٢٥) الفرقان : ٤٤
(٢٦) يونس : ١٠٠
(٢٧) المائدة : ٥٨
(٢٨) الأنفال : ٥٥

فصح أن العقل هو الإيمان وجميع الطاعات وقال تعالى عن الكفار : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير[٢٩]» .

ومثل هذا فى القرآن كثير فصح أن العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها فهو عرض كيفية بلا شك وإنما غلط من غلط فى هذا لأنه رأى لبعض الجهال المخلطين من الأوائل أن العقل جوهر وأن له فلكا فعوَّل على ذلك من لا علم له وهذا خطأ كما أوردنا . وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا فإن لفظة العقل غريبة أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخرى يُعبَّر بها فى اليونانية أو فى غيرها من اللغات عما يعبر بلفظة العقل عنه فى اللغة العربية هذا ما لا خفاء به عند أحد ولفظة العقل فى لغة العرب إنما هى موضوعة لتمييز الأشياء واستعمال الفضائل فصح ضرورة أنها معبَّرٌ[٣٠] بها عن عرض وكلٌّ[٣١] مُدَّعٍ خلاف ذلك ردىء العقل عديم الحياء مباهتٌ بلا شك . ولقد قال بعض النوكى والجهال لو كان العقل عرضا لكانت الأجسام أشرف منه فقلت للذى أتانى بهذا وهل للجوهر شرف إلا بأعراضه ؟ وهل شرف جوهر قط على جوهر إلا بصفاته لا بذاته ؟ وهل يخفى هذا على أحد ؟ ثم قلنا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف فى العلم والفضائل إذ[٣٢] لا يخالفون فى أنها أعراض فعلى مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الأجسام كلها أشرف منها وهذا كما ترى .

وأما الهيولى : فهو الجسم نفسه الحامل لأعراضه كلها وإنما أفردته الأوائل بهذا الاسم إذ تكلموا عليه مفردا فى الكلام عليه عن سائِر أعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولا فى الكلام عليه خاصة ، عن أعراضه وإن كان لا سبيل إلى أن يوجد خاليا عن أعراضه ولا متعريا منها أصلا ولا يتوهم وجوده كذلك ولا يتشكل فى النفس ، ولا يتمثل ذلك أصلا ، بل هو محال ممتنع جملة ، كما أن الإنسان الكلى وجميع الأجناس والأنواع ليس شىء منها غير أشخاصه فقط فهى الأجسام بأعيانها إن كان النوع نوعَ أجسام وهى أشخاص الأعراض إن كان النوعُ نوع أعراض ولا مزيد . لأن قولنا الإنسان الكلىّ يزيد النوع إنما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء أخر وقولنا الحمرة الكلية إنما معناه أشخاص الحمرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظن من أهل الجهل أن الجنس والنوع والفصل جواهر لا أجسام وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٩) الملك : ١٠
(٣٠) فى (أ) : (معبرة) .
(٣١) فى (أ) : (وكان) .
(٣٢) فى (أ) : (أن) .

ولكن الأوائل سَّمتها وسمّت الصفات الأوليات الذاتيات جوهريات لا جواهر وهذا صحيح لأنها منسوبة إلى الجواهر لملازمتها لها لا تفارقها ألبتة ولا يتوهم مفارقتها لها وبالله تعالى التوفيق .

فبطل قولهم فى الخلاء والمدة والصورة والعقل والهيولى والحمد لله رب العالمين .

* * *

وأما البارى تعالى فقد أخطأ من سمَّاه جوهرًا من المجسمة ومن النصارى لأن لفظة الجوهر لفظة عربية ومن أثبت الله عز وجل فَفَرْضٌ عليه إذا أقرأنَّه خالقه والإهه ومالك أمره أن لا يقدم عليه فى شيء إلا بعهد منه تعالى ، ولا يخبر عنه إلا بعلم متيقن ، ولا علم هاهنا إلا بما أخبر به عزَّ وجل فقط فصح يقينًا أن تسمية الله عز وجل جوهرا والإخبار عنه بأنه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه وإخبار عنه عز وجل بالكذب الذى لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمى به نفسه وهذا إقدام لم يأتنا قط به برهان بإباحته . وأيضًا فإن الجوهر حامل لأعراض مًا ولو كان البارى تعالى حاملا لعرض لكان مُركَّبا من ذاته وأعراضه وهذا باطل .

وأما النصارى فليس لهم أن يتسوروا على اللغة العربية فيصرفوها عن موضوعها فبطل أن يكون تعالى جوهرا لبراءته عن حد الجوهر وبطل أن يسمى جوهرًا لأنه تعالى لم يسم نفسه به وبالله تعالى التوفيق .

فبطل قول من سمى الله تعالى جوهرًا أو أخبر أنه تعالى جوهر . ولله تعالى الحمد ، فلم يبق إلا النفس والجزء الذى لا يتجزأ ونحن إن شاء الله عز وجل نتكلم فيهما كلامًا متيقنا[٣٣] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

قال أبو محمد : اختلف الناس فى النفس فذكر عن أبى بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم إنكار النفس جملة . وقال لا أعرف إلا ما شاهدته بحواسّى ، وقال جالنيوس وأبو الهذيل محمد ابن الهذيل العلاف النفس عرض من الأعراض ثم اختلفا فقال جالنيوس هى مزاج مجتمع يتولد من تركيب أخلاط الجسد . وقال أبو الهذيل هى عرض كسائر أعراض الجسم وقالت طائفة : النفس

---

(٣٣) فى (أ) : (مبينا) .

هى النسيم الداخل الخارج بالتنفس فهى النفس ، قالوا والروح عرض وهو الحياة فقط فهو غير النفس وهذا قول الباقلانى ومن اتبعه من الأشعرية .

وقالت طائفة : النفس جوهر ليست جسمًا ولا عرضًا ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا هى فى مكان ولا تتجزأ وأنها هى الفعَّالة المدبرة وهى الإنسان وهو قول بعض الأوائل وبه يقول معمّر بن عمر العطار أحد شيوخ المعتزلة وذهب سائِر أهل الإسلام والملل المقرَّة بالمَعَادِ إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد .

قال أبو محمد : وبهذا نقول والنفس والروح اسمان مترادفان لمسمًّى واحد ومعناهما واحد .

قال أبو محمد : وأما قول أبى بكر بن كيسان فإنه يبطله النص وبرهان العقل ، أما النص فقول الله عز وجل : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا انفسكم[٣٤] » الآية .

فصح أن النفس موجودة وأنها غير الجسد وأنها الخارجة عند الموت .

قال أبو محمد : وأما البرهان العقلى فإنا نرى المرء إذا أراد تصفيّة عقلة وتصحيح رأيه أو فك مسألة عويصَة عكس ذهنه وأفرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال الجسد فقط جملة وتبرأ منه حتى إنه لا يرى من بحضرته ولا يسمع ما يقال أمامه فحينئذ يكون رأيه وفكره أصفى ما كان .

فصحَّ أن الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منه عند إرادتهما وأيضًا فالذى يراه النائِم مما يخرج حقًا على وجهه وليس ذلك إلا اذا تخلّت النفس عن الجسد فبقى الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى فى الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدى وعمل أذنيه الجسدية ، وعمل ذوقه الجسدى وكلام لسانه الجسدى .

فصحَّ يقينا أن العقل المبصر السامع المتكلم الحساس الذائق هو شىء غير الجسد .

فصح أنه المسمى نفسًا إذ لا شىء غير ذلك وكذلك ما تتخيلة نفس الأعمى والغائِب عن الشىء مما قد رآه قبل ذلك فيتمثله ويراه فى نفسه كما هو .

فصح يقينا أن هاهنا متمثلًا مدركًا غير الجسد إذ لا أثر للجسد ولا للحواس فى شىء مما ذكرنا ألبتة . ومنها أنك ترى المريد يريد بعض الأمور بنشاط فإذا اعترضه عارض مًّا كسل ، والجسم بحسبه كما كان لم يتغير منه شىء فعلمنا أن هاهنا مريدًا للأشياء غير الجسد ومنها أخلاق

---

(٣٤) الأنعام : ٩٣

النفس من الحلم والصبر والحسد والعقل والطيش والخرق والنَّزق والعلم والبلادة وكل هذا ليس لشيء من أعضاء الجسد فإذ لا شك فى ذلك فإنما هو كله للنفس المدبرة للجسد . ومنها ما يرى من بعض المحتضرين ممن قد ضعف جسده وفسدت بنيته وتراه حينئذ أحدَّ ما كان ذهنا وأصحَّ ما كان تمييزا ، وأفضل طبيعة وأبعد عن كل لغوٍ وأنطق بكل حكمة ، وأصحَّهم نظرًا وجسده حينئذ فى غاية الفساد وبطلان القوى .

فصح أن المدرك للأمور المدبر للجسد الفعَّال المميز الحىّ هو شىء غير الجسد وهو الذى يسمى نفسًا وصح أن الجسد مؤذ للنفس وأنها مذ حلت فى الجسد فكأنها وقعت فى طين غمر(٣٥) فأنساها شغلها بها كل ما سلف لها .

وأيضًا فلو كان الفعل للجسد لكان فعله متماديا وحياته متصلة فى حال نومه وموته ، ونحن نرى الجسد حينئذ صحيحًا سالمًا لم ينتقص منه شىء من أعضائه قد بطلت أفعاله كلها جملة .

فصح أن الفعل والتمييز إنما كان لغير الجسد وهو النفس المفارقة له(٣٦) وأن الفعَّال الذاكر فرَّا منه(٣٧) وتبرأ منه . وأيضًا فإننا نرى أعضاء الجسد تذهب عضوًا عضوًا بالقطع أو الفساد والقوى باقية بحسبها والأعضاء قد ذهبت وفسدت بالجذام وبالجدرى وبالقطع والجسد قد نقص وفسد باقيه(٣٨) ونجد الذهن والتدبير والعقل وقوى النفس باقية أوفر ما كانت .

فصح ضرورة أن الفعّال العالم الذاكر المدبر المريد هو غير الجسد كما ذكرنا وأن الجسد موات فبطل قول ابن كيسان والحمد لله رب العالمين .

وأما قول من قال إنها مزاج كما قال جَالنيوس فإن كل ما ذكرنا مما أبطلنا به قول أبى بكر ابن كيسان ، فإنه يبطل أيضًا قول جالنيوس .

وأيضًا فإن العناصر الأربعة التى منها تُرَكبُ الجسد وهى التراب ، والماء ، والهواء ، والنار ، فإنها كلها موات بطبعها ، ومن الباطل الممتنع والمحال ، الذى لا يجوز ألبتة أن يجمع موات وموات ، وموات وموات فيقوم منها حى .

وكذلك محال أن تَجتمع فيقوم منها حارٌّ أوْ حوَارٌّ فيجتمع منها بارد ، أو حى وحى وحى فيقوم منها موات ، فبطل أن تكون النفس مزاجًا ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٣٥) فى (أ) : (مخمر) .
(٣٦) فى (أ) : سقطت (له) .
(٣٧) فى (أ) : (باينه) .
(٣٨) فى (أ) : سقط الكلام من قوله (بالجذام إلى باقية) .

وأما قول من قال إنها عرض فقط ، وقول من قال : إنما النفس النسيم الداخل والخارج من الهواء ، وأن الروح هو عرض وهو الحياة ، فإن كل هذين القولين يبطلان بكل ما ذكرنا فى[٣٩] إبطال قول الأصم بن كيسان ، وأيضا فإن أهل هذين القولين ينتمون إلى الإسلام ، والقرآن يبطل قولهم نصا قال الله تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى[٤٠] » .

فصح ضرورة أن الأنفس غير الأجساد ، وأن الأنفس هى المتوفاة فى النوم والموت ، ثم ترد عند اليقظة ، وتمسك عند الموت ، وليس هذا التوفى للأجساد أصلًا ، وبيقين يَدرى كل ذى حس سليم أن العرض لا يمكن أن يتوفى فيفارق الجسم الحامل له ، ويبقى كذلك ثم يُرَدُّ بعضه ويمسك بعضه ، هذا ما لا يكون ولا يجوز لأن العرض يبطل بمزايلته الحامل له كذلك لا يمكن أن يَظُنَّ ذو مسكة من عقل أن الهواء الداخل والخارج هو المتوفى عند النوم وكيف ذلك وهو باق فى حال النوم كما كان فى حال اليقظة ولا فرق ..؟ وكذلك قوله عز وجل : « والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون[٤١] » .

فإنه لا يمكن أن يعذب العرض ولا الهواء . وأيضًا فإن الله عز وجل يقول : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى[٤٢] » .

قال أبو محمد : هذه آية ترفع الإشكال جملة ، وتبين أن النفس غير الجسد ، وإنما هى العَاقلة المخاطبة المكلفة ، لأنه لا يشك ذو حس سليم فى أن الأجساد حين أخذ الله عليها هذا العهد كانت مبددة فى التراب والماء والهواء والنار ، ونص الآية يقتضى ما قلنا فكيف وفيها نص أن الإشهاد إنما وقع على النفوس ..؟ وما أدرى كيف ينشرح نفس مسلم بخلاف هذه النصوص ..؟ وكذلك إخبار رسول الله ﷺ أنه رأى عند سماء الدنيا ليلة أسرى به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنيه فأهل السعادة عن يمينه ، وأهل الشقاء عن يساره عليه السلام » . ومن الباطل أن تَكون الأعراض باقية هنالك أو أن يكون النسيم هنالك ، وهو هواء متردد فى الهواء .

قال أبو محمد : ولو كان ما قاله أبو الهذيل والباقلانى ، ومن قلدهما حقًا ، لكان الإنسان يبدل فى كل ساعة ألف ألف روح وأزيد من ثلثمائة ألف نفس ، لأن العرض عندهم لا يبقى وقتين بل يفنى ويتجدد عندهم أبدا ، فروح كل حىّ على قولهم فى كل وقت غير روحه التى كانت قبل

---

(٣٩) فى (أ) : سقطت (فى) .
(٤٠) الزمر : ٤٢
(٤١) الأنعام : ٩٣
(٤٢) الأعراف : ١٧٢

ذلك ، وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم بالخطاب ، وكذلك بيقين يشاهد كل أحد أن الهواء الداخل بالتنفس ثم يخرج هو غير الهواء الداخل بالتنفس الثانى . فالإنسان يبدل على قول الأشعرية أنفسًا كثيرة فى كل وقت ونفسه الآن غير نفسه آنفًا ، وهذا حمق لا خفاء به فبطل قول الفريقين بنص القرآن والسنة ، والإجماع والمشاهدة والمعقول ، والحمد لله رب العالمين .

هذا مع تعريهما من الدليل جملة ، وأنها دعوى فقط وما كان هكذا فهو باطل . وقد صرح الباقلانى عند ذكره لما يعترض فى أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون فقال : هذا يخرج على أحد وجهين بأن يوضع عرض الحياة فى أقل جزء من أجزاء الجسم ، وقال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة فى عجب الذنب واحتج بالخبر عن النبى ﷺ « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب[٤٣]» .

قال أبو محمد : وهذا تمويه من المحتج بهذا الخبر ، لأنه ليس فى الحديث لا نص ولا دليل ولا إشارة ، يمكن أن يتأول على أن عجب الذنب يحيا ، وإنما فى الحديث أن عجب الذنب لا يأكله التراب ، وأنه منه خلق الجسد وفيه يُركب فقط ، فظهر تمويه هذا القائل وضعفه ، والحمد لله رب العالمين .

قال الباقلانى : وأما أن يخلق لتلك الحياة جسد آخر ، فلا .

قال أبو محمد : وهذا مذهب أهل التناسخ بلا مؤنة ، واحتج لذلك بالحديث المأثور .

أن نسمة المؤمن طير يعلق من ثمار الجنة ، ويأوى إلى قناديل تحت العرش وفى بعضها أنها فى حواصل طير خضر .

قال أبو محمد : ولا حجة له فى هذا الخبر ، لأن معنى قوله عليه السلام طائر يعلق هو على ظاهره لا على ظن أهل الجهل ، وإنما أخبر عليه السلام أن نسمة المؤمن طائر بمعنى أنها تطير فى الجنة فقط ، لا أنها تنسخ فى صور الطير ، فإن قيل إن النسمة مؤنثة قلنا قد صح عن عربى فصيح أنه قال أتتك كتابى فاستخففت بها ، فقيل له أتونث الكتاب ؟ فقال أو ليس صحيفة ؟ وكذلك النسمة روح فتذكّر لذلك ، وأما الزيادة التى فيها أنها فى حواصل طير خضر ، فإنها صفة تلك القناديل التى نأوى إليها ، والحديثان معا حديث واحد وخبر واحد .

قال أبو محمد : ولم يحصل من هذين الوجهين الفاسدين إلا على دعوى كاذبة بلا دليل

---

(٤٣) سبق تخريج هذا الحديث ص ١٨١ .

يشبه الهزل أو على كفر مجرد فى المصير ، إلى قول أصحاب التناسخ وعلى تحريف الحديث عن وجهه ونعوذ بالله من الخذلان .

فبطل هذان القولان والحمد لله رب العالمين . وأما قول من قال إن النفس جوهر لا جسم من الأوائل ، ومعمّر وأصحابه ، فإنهم مؤهوا بأشياء إقناعيات فوجب إيرادها ، ونقضها ليظهر البرهان على وجه الإنصاف للخصم وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد رحمه الله : قالوا : لو كان النفس جسمًا لكان بين تحريك المحرّك رجله وبين إرادته تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وتنقله ، إذ النفس هى المحركة للجسد والمريدة لحركته قالوا فلو كان المحرك للرجل جسمًا لكان لا يخلو إمّا أن يكون حاصلًا فى هذه الأعضاء ، وإما جائيًا إليها فإن كان جائيا إليها احتاج إلى مدة ولابد ، وإن كان حاصلًا فيها فنحن إذًا قطعنا تلك العصبة التى بها تكون الحركة لم يَبق منها فى العضو الذى كان يتحرك شيء أصلًا ، فلو كان المحرك حاصلًا فيه لبقى منه شيء فى ذلك العضو .

قال أبو محمد : وهذا لا معنى له لأن النفس لا تخلو من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها ، إما أن تكون متخللة لجميع الجسد من خارج كالثوب وإما أن تكون متخللة لجميعه من داخل كالماء فى المدره . وإما أن تكون فى مكان واحد من الجسد وهو القلب والدماغ ، وتكون قواها منبثة فى جميع الجسد فأى هذه الوجوه كان فتحريكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع إرادتها لذلك متلازمان كإدراك البصر لما يلاقى الجسد فى البعد بلا زمان ، وإذا قطعت العصبة لم ينقطع ما كان من جسم النفس متخللا لذلك العضو إن كانت متخللة لجميع الجسد من داخل ، أو متخللة له من خارج ، بل تفارق العضو الذى يبطل حسه فى الوقت وينفصل عنه بلا زمان ، وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للإناء الذى ملىء ماء ، وأماإن كانت النفس ساكنة فى موضع واحد من الجسد فلا يلزم على هذا القسم أن يسلب من العضو المقطوع ، بل يكون فعلها حينئذ فى تحريكها الأعضاء كفعل حجر المغناطيس فى الحديد وإن لم يلصق به يتلازمان فبطل هذا الإلزام الفاسد . والحمد لله رب العالمين .

وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب أن نعلم ببعضها أو بكلها .

قال أبو محمد : وهذا سؤال فاسد بعينه والجواب وبالله تعالى التوفيق أنها لا تُعلم إلا بكلها أو ببعضها ، لأن كل بسيط غير مركب من طبائع شتى ، فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة

فقوته فى جميع أبعاضه ، وفى بعض أبعاضه سواء كالنار تحرق بكلها وببعضها ، ثم لا ندرى ما وجه هذا الاعتراض علينا بهذا السؤال ، ولا ما وجه استدلالهم منه على أنها غير جسم ولو عكس عليهم فى إبطال دعواهم أنها جوهر لا جسم لما كان بينهم وبين السائل لهم بذلك فرق أصلًا .

وقالوا : إن من شأن الجسم أنك إذا زدت عليه جسمًا آخر زاد فى كميته وثقله قالوا فلو كانت النفس جسما ثم داخلت الجسم الظاهر لوجب أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد إذا فارقته النفس أثقل منه ، إذا كانت النفس فيه .

قال أبو محمد : هذا شغب فاسد ومقدمة باطلة كاذبة ، لأنه ليس كل جسم كما ذكروه ، من أنه إذا زيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده ، وإنما يعرض من هذا فى الأجسام الثقال التى تطلب المركز والوسط فقط ، يعنى التى فى طبعها أن تتحرك سفلا ، وترسب من المائيات والأرضيات ، وأما التى تتحرك بطبعها علوًا فلا يعرض ذلك لها ، بل الأمر بالضد وإذ أضيف جسم منها إلى جسم ثقيل خففه فإنك ترى أنك لو نفخت زقا من جلد ثورٍ أو جلد بعير لو أمكن حتى يمتلىء هواء ثم وزنته فإنك لا تجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كانه فارغًا أصلًا .

وكذلك ما صعد من الزقاقة ولو أنه ورقة سوسنة منفوخة ، ونحن نجد الجسم العظيم الذى إذا أضفته إلى جسم الثقيل خففه جدا ، فإنك لو رميت الزق غير المنفوخ فى الماء لرسب فإذا نفخته ورميت به خف وعام ، ولم يرسب ولذلك يستعمله العَائمون لأنه يرفعهم عن الماء ويمنعهم من الرسوب ، وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كله ، لأن النفس جسم علوى فلكى أخف من الهواء ، وأطلب للعلو فهى تخفف الجسد إذا كانت فيه ، فبطل تمويهم والحمد لله رب العالمين .

وقالوا أيضًا لو كانت النفس جسما لكانت ذات خاصة ، إما خفيفة وإما ثقيلة ، وإما حارة وإما باردة ، وإما لينة وإما خشنة .

قال أبو محمد : نعم هى خفيفة فى غاية الخفة ذاكرة عاقلة مميزة حية ، هذه خواصها وحدودها التى بانت بها عن سائِر الأجسام المركبات ، مع سائِر أعراضها المحمولة فيها من الفضائِل والرذائِل ، وأما الحر واليبس والبرد والرطوبة واللين والخشونة فإنما هى من أعراض عناصر الأجرام التى دون الفلك خاصة ، ولكن هذه الأعراض المذكورة مؤثرة فى النفس اللذة أو الألم ، فهى منفعلة لكل ما ذكرنا ، وهذا يثبت أنها جسم يحمل الأعراض .

وقالوا أيضًا : إن كل جسم[٤٤] كيفياته محسوسة ، وما لم تكن كيفياته محسوسة فليس

(٤٤) فى (أ) : (قالوا : إنما من كان الأجسام فكيفياته) وهذا تحريف مخل بالمعنى .

جسما ، وكيفيات النفس إنما هى الفضائل والرذائِل ، وهذان الجنسان من الكيفيات ليسا محسوسين فالنفس ليست جسمًا .

قال أبو محمد : وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبة ، لأن قولهم ما لا تحسُّ كيفياته فليس جسما دعوى كاذبة بلا برهان أصلًا ، لا عقلى ولا حسى ، وما كان هكذا فهو قول ساقط مطرح لا يعجز عن مثله أحد ، ولكننا لا نقنع بهذا دون أن نُبطل الدعوى ببرهان حسى ضرورى بعون الله تعالى ، وهو أن الفلك جسم ، وكيفياته غير محسوسة ، وأما اللون اللازوردى الظاهر فإنما يتولد فيما دونه من امتزاج بعض العناصر ووقوع خط البصر عليها ، وبرهان ذلك تبدُّل ذلك اللون بحسب العوارض المولدة له ، فمرة تراه أبيض صافى البياض ، ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة ، فصح أن قولهم دعوى مجردة كاذبة وبالله تعالى التوفيق .

وأيضا فإن الجسم تتفاضل أنواعه فى وقوع الحواس عليه ، فمنه ما يدرك لونه وطعمه وريحه ومنه ما لا يدرك منه إلا المحسة فقط ، كالهواء ومنها النار فى عنصرها لا تقع عليها شىء من الحواس أصلا بوجه من الوجوه ، وهى جسم عظيم المساحة محيط بالهواء كله ، فوجب من هذا أن الجسم كلما زاد لطافة وصفاء لم تقع عليه الحواس ، وهذا حكم النفس وما دون النفس فأكثره محسوس للنفس لا حِسَّ ألبتة إلا للنفس ولا حساس إلا هى ، فهى حساسة لا محسوسة ، ولم يجب قط لا بعقل ولا بحس أن يكون كل حساس محسوسًا ، فسقط قولهم جملة والحمد لله رب العالمين .

وقالوا : إن كل جسم فإنه لا يخلو من أن يقع تحت جميع الحواس أو تحت بعضها والنفس لا تقع تحت كل الحواس ولا تحت بعضها فالنفس ليست جسمًا .

قال أبو محمد : وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آنفًا لأن ما عدم اللون من الأجسام لم يدرك بالبصر[٤٥] كالهواء وكالنار فى عنصرها وأن ما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالهواء والنار والحصى والزجاج وغير ذلك ، وما عدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والحصى والزجاج ، وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن ، والنفس عادمة اللون والطعم والمجسة والرائحة . فلا تُدرك بشىء من الحواس بل هى المدركة لكل هذه المدركات ، وهى الحساسة لكل هذه المحسوسات ، فهى حساسة لا محسوسة ، وإنما تعرف بآثارها ، وبراهين عقلية ، وسائِر الأجسام والأعراض محسوسة لا حساسة ولابد من حسَّاس لهذه المحسوسات ولا حساس لها غير النفس ، وهى المعاملة التى تعلم نفسها وغيرها وهى القابلة لأعراضها التى تتعاقب عليها من الفضائِل والرذائِل المعلومة بالعقل كقبول سائِر الأجرام لما يتعاقب عليها من الأعراض المعروفة[٤٦] بالعقل ، والنفس هى المتحركة

---

(٤٥) فى (أ) : (بالبر) وهو تحريف .

(٤٦) فى (أ) : سقطت (المعروفة) .

باختيارها المحركة لسائِر الأجسام ، وهى مؤثرة مؤثَّر[٤٧] فيها ، تألم وتلتذ وتفرح وتحزن ، وتغضب وترضى ، وتعلم وتجهل ، وتحب وتكره ، وتذكر وتنسى ، وتنتقل وتحل ، فبطل قول هؤلاء ان كل جسم فلا بد من أن يقع تحت الحواس أو تحت بعضها لأنها دعوى لا دليل عليها ، وكل دعوى عريت من دليل فهى باطلة ، وقالوا : كل جسم فإنه لا محالة يلزمه الطول والعرض ، والعمق والسطح ، والشكل والكم ، والكيف ، فإن كانت النفس جسمًا فلابد من أن تكون هذه الكيفيات فيها أو يكون بعضها فيها ، فأى الوجهين كان فهى إذن محاط بها ، وهى مدركة بالحواس أو من بعضها ، ولا نرى الحواس تدركها فليست جسمًا .

قال أبو محمد : هذا كله صحيح وقضايا صادقة ، حاشا قضية واحدة ، ليست فيها وهى قولهم وهى مدركة من الحواس أو من بعضها ، فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل ، وسائِر ذلك صحيح ، وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقدم أيضًا إفسادنا لها آنفًا مع تعرّيها عن دليل يصححها ، ونعم فالنفس جسم طويل عريض عميق ، ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية ، يحاط بها ، ذات مكان وزمان ، لأن هذه خواص الجسم ولابد ، والعجب من قلة حياء من أقحم مع هذا « فهى إذا مدركة بالحواس « وهذا عين الباطل لأنّ حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم ، وحاسة اللمس ، لا يقع شيء منها لا على الطول ولا على العرض ولا على العمق ، ولا على السطح ولا على الشكل ، ولا على المساحة ، ولا على الكيفية ، ولا على الخط إنما تقع حاسة البصر على اللون فقط ، فإن كان فى شيء مما ذكرنا لون وقعت عليه حينئذ[٤٨] حاسة البصر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون والإفلا . وإنما تقع حاسة السمع على الصوت فإن حدث فى شيء مما ذكرنا صوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ ، وعلمت ذلك المصوت يتوسط الصوت والإفلا .

وإنما تقع حاسة الشم على الرائِحة ، فإن كان فى شيء مما ذكرنا رائِحة وقعت عليها حينئذ حاسّة الشم ، وعلمت حامل الرائِحة حينئذ[٤٩] بتوسط الرائحة والإفلا ، وإن كان لشيء مما ذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسّة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم والإفلا ، وإن كان فى شيء مما ذكرنا مجسة وقعت عليها حاسة اللّمس حينئذ وعلمت الملموس حينئذ بتوسط المجسة والإفلا .

وقالوا إن من خاصة الجسم أن يقبل التجز ، وإذا جزىء خرج منه الجزء الصغير والكبير ، ولم يكن الجزء الصغير كالجزء الكبير ، فلا يخلو حينئذ من أحد أمرين ، إما أن يكون كل جزء منها

(٤٧) فى (أ) : سقطت (مُؤثّر) .
(٤٨) فى (أ) : سقطت (حينئذ) .
(٤٩) فى (أ) : سقطت (حينئذ) .

نفسًا فيلزم من ذلك ألا تكون النفس نفسًا واحدة ، بل تكون حينئذ أنفسًا كثيرة مركبة من أنفس وإما أن لا يكون كل جزء منها نفسًا فيلزم أن لا يكون كلها نفسًا .

قال أبو محمد : أما قولهم إن خاصة الجسم احتمال التجزؤ فهو صدق ، والنفس محتملة للتجزؤ لأنها جسم من الأجسام . وأما قولهم إن الجزء الصغير ليس كالكبير فإن كانوا يريدون فى المساحة فنعم ، وأما فى غير ذلك فلا ، وأما قولهم : إنها ان تجزأت فإما أن يكون كل جزء منها نفسًا وإلزامهم من ذلك أنها مركبة من أنفس فإن القول الصحيح فى هذا أن النفس محتملة للتجزىء بالقوة ، وإن كان التجزؤ بانفسامها غير موجود بالفعل . وهكذا القول فى الفلك والكواكب ، كل ذلك محتمل للتجزؤ بالقوة ، وليس التجزؤ موجودًا فى شىء منها بالفعل . وأما قولهم إنها مركبة من أنفس فشغب فاسد ، لأننا قد قدمنا فى غير موضع أن المعانى المختلفة والمسمَّيات المتغايرة يجب أن يوقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غير ، وإلا فقد وقع الإشكال وبطل التفاهم ، وصرنا إلى قول السوفسطائية المبطلة لجميع الحقائق ، ووجدنا العالم ينقسم قسمين .

أحدهما : مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على أن سمينا هذا القسم مركبا والثانى : مؤلف من طبيعة واحدة ، فاصطلحنا على أن سمينا هذا القسم بسيطا ليقع التفاهم فى الفرق بين هذين القسمين ، ووجدنا القسم الأول لا يقع على كل جزء من أجزائه اسمُ كلّه كالإنسان الجزئىّ فإنه متألف من أعضاء لا يسمى شىء منها إنسانًا كالعين والأنف واليد وسائِر أعضائه التى لا يسمى عضو منها على انفراده إنسانًا ، فإذا تألفت سمّى المتألف منها إنسانًا . ووجدنا القسم الثانى يقع على كل جزء من أجزائه اسمُ كلّه كالأرض والماء وكالهواء وكالنار وكالفلك ، فكل جزء من النار نار ، وكل جزء من الماء ماء ، وكل جزء من الهواء هواء وكل جزء من الفلك فلك ، وكل جزء من النفس نفس ، وليس ذلك موجبًا أن تكون الأرض مؤلفة من أرضين ولا أن يكون الهواء مؤلفًا من أهوية ، ولا أن يكون الفلك مؤلفًا من أفلاك ، ولا أن تكون النفس مؤلفة من أنفس ، وحتى لو قيل ذلك بمعنى أن كل بعض منها يسمى نَفسًا وكل بعض من الفلك يسمى فلكًا ، فما كان يكون فى ذلك ما يعترض به على أنها جسم كسائِر الأجسام التى ذكرنا ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

وقالوا أيضا طبع ذات الجسم أن يكون غير متحرك والنفس متحركة ، فإن كانت هذه الحركة التى فيها من قبل البارى تعالى فقد وجدنا لها حركات فاسدة ، فكيف يضاف ذلك إلى البارى تعالى ؟

قال أبو محمد : وهذا كلام فى غاية الفساد والهجنة ، ولقد كان ينبغى لمن ينتسب إلى العلم إن كان يدرى مقدار سقوط هذه الاعتراضات وسخفها أن يصون نفسه عن الاعتراض بها لرذالتها وإن كان لا يدرى لأذالتها فكان الأولى به أن يتعلم قبل أن يتكلم ، فأما قوله إن طبع ذات الجسم أن تكون غير متحركة ، فقول ظاهر الكذب والمجاهرة ، لأن الأفلاك[٥٠] والكواكب أجسام وطبعها الحركة الدائمة المتصلة أبدا ، إلى أن يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة .

وأن للعناصر دون الفلك أجسامًا وطبعها الحركة إلى مقرها ، والسكون فى مقرها ، وأما النفس فلأنها حية كان طبعها السكون الاختيارى والحركة الاختيارية حينًا وحينًا ، هذا كله لا يجهله أحد به ذوق .

وأما قولهم : إن لها حركات ردية فكيف تضاف إلى البارى تعالى ..؟ فإنما كان بعض حركات النفس رديا لمخالفة النفس أمر باريها فى تلك الحركات ، وإنما أضيفت إلى البارى تعالى لأنه خلقها فقط على قولنا أو لأنه تعالى خلق تلك القوى التى بها كانت تلك الحركات ، فسقط إلزامهم الفاسد والحمد لله رب العالمين .

وقالوا أيضًا : إن الأجسام فى طبعها الاستحالة والتغير واحتمال الانقسام أبدا بلا غاية ليس شىء منها إلا هكذا أبدًا ، فهى محتاجة إلى من يربطها ويشدها ويحفظها ويكون به تماسكها . قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس جسمًا لكانت محتاجة إلى من يربطها ويحلها ، فيلزم من ذلك أن تحتاج النفس إلى نفس أخرى ، والأخرى إلى أخرى والأخرى كذلك إلى ما لا نهاية له ، وما لا نهاية له باطل .

قال أبو محمد : هذا أفسد من كل قول سلف من تشغياتهم لأن مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة . أما قولهم : إن الأجسام فى طبعها الاستحالة والتغيير على الإطلاق كذب ، لأن الفلك جسم لا يقبل الاستحالة ، وإنما تجب الاستحالة والتغيير فى الأجسام المركبة من طبائع شتى بخلعها كيفياتها ولباسها كيفيات أخرى وبانحلالها إلى عناصرها هكذا مدة ما أيضًا ثم تبقى غير منحلة ولا مستحيلة .

وأما النفس فإنها تقبل الاستحالة والتغيير فى أعراضها فتتغير وتستحيل من علم إلى جهل ، ومن جهل إلى علم ، ومن حرص إلى قناعة ، ومن بخل إلى جود[٥١]، ومن رحمة إلى قسوة ، ومن لذة إلى ألم ، هذا كله موجود محسوس . وأما أن تستحيل فى ذاتها فتصير ليست نفسًا فلا ، وهذا

---

(٥٠) فى (أ) : (للأفلاك) .
(٥١) فى (أ) : (وجود) .

الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكب ، والفلك لا يصير غير فلك ، وأما قوله إن الأجسام محتاجة إلى ما يشدّها ويربطها ويمسكها فصحيح ، وأما قوله : إن النفس هى الفاعلة لذلك فكذب ودعوى بلا دليل عليها إقناعى ولا برهانى ، بل هو تمويه مدلس ليجوز باطلة على أهل الغفلة ، وهكذا قول الدهرية ، وليس كذلك بل النفس من جملة الأجسام المحتاجة إلى ما يمسكها ويشدها ويقيمها وحاجتها إلى ذلك كحاجة سائر الأجسام التى فى العالم ولا فرق ، والفاعل لكل ذلك فى النفس وفى سائر الأجسام والممسك لها ، والحافظ لجميعها والمحيل لما استحال منها فهو المبتدىء[٥٢] للنفس ولكل ما فى العالم من جسم أو عرض ، والمتمم لكل ذلك هو الله الخالق البارىء المصور عز وجل .

فبعضٌ أمسكها بطبائعها التى خلقها فيها ، وصرفها فضبطها لما هى فيه وبعضٌ أمسكها برباطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لا فاعل لشىء من ذلك دون الله تعالى ، وقد قدمنا البراهين على كل ذلك فى صدر كتابنا هذا فأغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين .

وقالوا أيضًا : كل جسم فهو إما ذو نفس ، وإما لا ذو نفس فإن كانت النفس جسمًا فهى متنفسة أى ذات نفس وإما لا متنفسة أى لا ذات نفس ، فإن كانت لا متنفسة فهذا خطأ لأنه يجب من ذلك أن تكون النفس لا نفسًا وإن كانت متنفسة أى ذات نفس فهى محتاجة إلى نفس وتلك النفس إلى أخرى والأخرى إلى أخرى ، وهذا يوجب ما لا نهاية له وما لا نهاية له باطل .

قال أبو محمد : هذه مقدمة صحيحة ركبوا عليها نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة . أما قولهم إن كل جسم فهو إما ذو نفس وإما لا ذو نفس فصحيح ، وأما قولهم إن النفس إن كانت غير متنفسة وجب من ذلك أن تكون النفس لا نفسًا فشغب فاسد بارد ، لا يلزم لأن معنى القول بأن الجسم ذو نفس إنما هو أن بعض الأجسام أضيفت إليه نفس حية حساسة متحركة بإرادة ، مدبرة لذلك الجسم الذى استضافت إليه ، ومعنى القول بأن هذا الجسم غير ذى نفس إنما هو أنه لم تستضف إليه نفس فالنفس هى الحية المحركة المدبرة ، وهى غير محتاجة إلى جسم مدبّر لها ، ولا محرِّك لها فلم يجب أن يحتاج إلى نفس ولا أن تكون ليست نفسًا ، ولا فرق بينهم فى قولهم هذا وبين من قال إن الجسم يحتاج إلى جسم ، كما قالوا إنه يجب أن تحتاج النفس إلى نفس أو قال يجب أن يكون الجسم لا جسمًا كما قالوا يجب أن تكون النفس لا نفسًا ، وهذا كله هوس وجهل والحمد لله رب العالمين .

وقالوا لو كانت النفس جسمًا لكان الجسم نفسًا .

---

(٥٢) فى (أ) : (المبدى) .

قال أبو محمد : وهذا من الجهل المفرط المظلم ، ولو كان لقائل هذا الجنون أقل علم بحدود الكلام لم يأت بهذه الغثاثة ، لأن الموجبة الكلية لا تنعكس ألبتة انعكاسًا مطردًا إلا موجبة جزئية لا كلية ، وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كان الإنسان جسمًا وجب أن يكون الجسم إنسانًا ، ولما كان الكلب جسمًا وجب أن يكون الجسم كلبًا ، وهذا غاية الحمق والقحة ، لكن صواب القول فى هذا أن نقول : لما كانت النفس جسمًا كان بعض الأجسام نفسًا ، ولما كان الكلب جسمًا وجب أن يكون بعض الأجسام كلبًا ، وهذا هو العكس الصحيح المطرد اطرادًا صحيحًا أبدا ، وبالله تعالى التوفيق .

وقالوا أيضًا : إن كانت النفس جسمًا فهى بعض الأجسام ، وإذا كانت كذلك فكلية الأجسام أعظم مساحة منها ، فيجب أن تكون أشرف منها .

قال أبو محمد : مَنْ عُدِم الحياء والعقل لم يبال بما نطق لسانه ، وهذه قضية فى غاية الحمق لأنها توجب أن الشرف إنما هو بعظم الأجسام وكثرة المساحة ، ولو كان ذلك لكانت الهضبة[٥٣] والباسة[٥٤] والحمار والبغل وكدش[٥٥] العذرة أشرف من الإنسان المنبأ والفيلسوف لأن كل ذلك أعظم مساحة منه ولكانت العزلة أشرف من ناظر العين والإلية أشرف من القلب والكبد والدماغ ، والصخرة أشرف من اللؤلؤة ، وأُفٍّ لكل علم أدّى إلى مثل هذا .

ونعم فإن كثيرًا من الأجسام أعظم مساحة من النفس ، وليس ذلك موجبا أنها أشرف منها مع أن النفس الرذلة المضربة عما أوجبه التمييز وعن طاعة ربها إلى الكفر ، به فكل شىء فى العالم أشرف منها ونعوذ بالله من الخذلان .

وقالوا : إن كانت النفس جسمًا آخر مع الجسم فالجسم نفس وشىء آخر ، وإذا كان ذلك فالجسم أتم وإذا كان أتم فهو أشرف .

قال أبو محمد : وهذا جنون مردد لأنه ليس بكثرة العدد يجب الفضل والشرف ، ولا بعموم اللفظ يجب الشرف ، بل قد يكون الأقل والأخص أشرف ، ولو كان ما قالوه لوجب أن تكون الأخلاق جملةً أشرف من الفضائِلِ خاصة ، لأن الأخلاق فضائِل وشىء آخر فهى أتم فهى على حكمهم[٥٦] السخيف أشرف ، وهذا ما لا يقوله ذو عقل ، وهم يقرون أن النفس جوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس ، لأنه نفس وشىء آخر ، وقد قالوا إن الحىَّ يقع تحت

(٥٣) فى (أ) : (القضية) .
(٥٤) مفهوم قوله أنها شىء كبير الحجم ، ولم نعثر لها على معنى فى القواميس فلعلها محرفة عن (الملس) : وهى الناقة السريعة .
(٥٥) يقصد المكان الذى تتجمع فيه القاذورات أكواما .
(٥٦) فى (أ) : (حملهم) .

النامى فيلزمهم أن النامى أشرف من الحىِّ لأنه حىٌّ وشىء آخر ، وهذا تخليط وحماقة ونعوذ بالله من الوسواس .

وقالوا أيضًا : كل جسم يتغذَّى والنفس لا تتغذى فهى غير جسم .

قال أبو محمد : إن كان هؤلاء السخفاء إذ اشتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى ،بل سكر الجهل والسخف أعظم من سكر الخمر ، لأن سكر الخمر سريع الإفاقة ، وسكر الجهل والسخف بطىء الإفاقة أتراهم إذ قالوا كل جسم فهو متغذ ألم يروا الماء والأرض والهواء والكواكب والفلك وأن كل هذه أجسام عظام لا تتغذى ، وإنما يتغذى من الأجسام النوامى فقط ، وهى أجساد الحيوان الساكن فى الماء والأرض والشجر والنبات فقط ، فإذا كان عند هؤلاء النوكى ما لا يتغذى ليس جسمًا فالأرض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة ليس كلُّ ذلك جسمًا ، وكفى بهذا جنونًا وخطأً ونحمد الله على السلامة .

وقالوا : لو كانت النفس جسمًا لكانت لها حركة ، لأن لكل جسم حركة ونحن لا نرى للنفس حركة فبطل أن تكون جسمًا .

قال أبو محمد : هذه دعوى كاذبة ، وقد تناقضوا أيضًا فيها لأنهم قد قالوا قبل هذا بِنَحْو ورقة فى بعض حججهم إن الأجسام غير متحركة ، والنفس متحركة ، وهنا قلبوا الأمر فظهر جهلهم وضعف عقلهم[٥٧]، وأما قولهم لا نرى لها حركة فمخرقة فليس كل ما لا يرى يجب أن ينكر إذا قام على صحته دليل ، ويلزمهم إذا أبطلوا حركة النفس لأنهم لا يرونها أن يبطلها النفس جملة لأنهم أيضًا لا يرونها ولا يشمونها ، ولا يلمسونها ولا يذوقونها ، وحركة النفس معلومة بالبرهان وهو أن الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيار ، فحركة الاضطرار هى حركة كل جسم غير النفس هذا ما لا يُشك فيه فبقيت حركة الإختيار وهى موجودة يقينا وليس فى العالم شىء متحرك بها حاشا النفس فقط فصح أن النفس هى المتحركة بها فصح ضرورة أن للنفس حركة اختيارية معلومة بلا شك فإذ لا شك فى أن كل متحرك فهو جسم وقد صح أن النفس متحركة فالنفس جسم ، فهذا هو البرهان الضرورى التام الصحيح ، لا تلك الوساوس وإلا هذا ونحمد الله على نعمه عز وجل .

وقالوا : لو كانت النفس جسمًا لوجب أن يكون اتصالها بالجسم إما على سبيل المجاورة وإما على سبيل المداخلة وهى الممازجة .

قال أبو محمد : فبعد هذا ماذا ؟ ونعم فإن النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة

---

(٥٧) فى (أ) : (عقولهم) .

ولا يجوز سوى ذلك ، إذ لا يمكن أن يكون اتصال الجسمين إلا بالمجاورة ، وأما اتصال المداخلة فإنما هي بين العرض والعرض والجسم والعرض على ما بينا قبل . وقالوا أيضًا إن كانت النفس جسمًا فكيف يعرف الجسم ؟ أبمماسة أم بغير مماسة ؟

قال أبو محمد : الأجسام كلها حاشا النفس موات لا علم لها ولا حس ، ولا تعلم شيئًا وإنما العلم والحس للنفس فقط ، فهى تعلم الأجسام والأعراض وخالق الأجسام والأعراض الذى هو خالقها أيضًا بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التمييز وقوة العلم التى وضعها فيها خالقها عز وجل ، وسؤالهم بارد . وقالوا أيضًا : إن كل جسم بدأ فى نشوة وغاية ينتهى إليها ، وأجود ما يكون الجسم إذا انتهى إلى غايته فإذا أخذ فى النقص ضعف ، وليست الأنفس كذلك ، لأننا نرى أنفس المكتهلين أكثر ضياء وأنفذ فعلًا ، ونجد أبدانهم أضعف من أبدان الأحداث فلو كانت النفس جسمًا لنقص فعلها بنقصان البدن ، فإذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسمًا .

قال أبو محمد : هذه مقدمة فاسدة الترتيب ، أما قولهم : إن الجسم أجود ما يكون إذا انتهى إلى غايته فخطأ . إذا قيل على العموم ، وإنما ذلك فى النوامى فقط وفى الأشياء التى تستحيل استحالة ذبوليَّة فقط ، كالشجر وأصناف أجساد الحيوان والنبات .

وأما الجبال والحجارة والأرض والبحار والهواء والماء والأفلاك والكواكب فليس لها[٥٨] غاية إذا بلغتها أخذت فى الانحطاط ، وإنما يستحيل بعض ما يستحيل من ذلك على سبيل التفتت ، كحجر كسرته فانكسر ولو ترك لبقى ، ولم يذبل ذبول الشجر والنبات وأجسام الحيوان ، وكذلك النفس لا تستحيل استحالة ذبول ولا استحالة تفتت وإنما تستحيل أعراضها كما ذكرنا فقط ، ولا نماء لها وكذلك الملائكة والفلك والكواكب والعناصر الأربعة لا نماء لها ، وكل ذلك باق على هيئته التى[٥٩] خلقه الله تعالى عليها إذ خلق كل ذلك ، والنفس كذلك منتقلة من عالم الابتداء إلى عالم الابتلاء[٦٠] إلى البرزخ ، إلى عالم الحساب ، إلى عالم الجزاء فتخلد فيه أبدا بلا نهاية ، وهى إذا تخلصت من رطوبات الجسد ، وكدره كانت أصفى نظرًا وحسًا[٦١] وأصح علما كما كانت قبل حلولها فى الجسد نسأل الله خير ذلك المنقلب بمنه آمين .

قال أبو محمد : هذا كل ما موَّهوا به من كل نطيحة ومتردية ، قد تقصيناه لهم وبينا أنه كله فساد وحماقات ، ونقضناه[٦٢] بالبراهين الضرورية والحمد لله رب العالمين .

---

(٥٨) فى (أ) : (لهم) .
(٥٩) فى (أ) : (متى) .
(٦٠) فى (أ) : (الانتهاء) .
(٦١) فى (أ) : سقطت (حسا) .
(٦٢) فى (أ) : (وتقصيناه) .

قال أبو محمد : فإذ قد بطل كل ما شغب به من يقول إن النفس ليست جسما ، وسقط هذا القول لتعرّية عن الأدلة جملة ، فنحن إن شاء الله عز وجل نوضح بعون الله عز وجل وقوته البراهين الضرورية على أنها جسم وبالله تعالى نتأيد . وذلك بعد أن نبين بتأييد الله عز وجل شغبين يمكن أن يُعترض بهما إن قال قائل أتنمّو النفس ..؟ فإن قلتم لا . قلنا لكم[٦٣] نحن نجدها تنشأ من صغر إلى كبر ، وترتبط بالجسد بالغذاء ، وإذا انقطع الغذاء انحلت عن الجسد ونجدها تسوء أخلاقها ويقل صبرها ، بعدم الغذاء فإذا أتغذت اعتدلت أخلاقها وصلحت .

قال أبو محمد : النفس لا تتغذّى ولا تُنمّى . أما عدم غذائها فالبرهان القائم بأنها ليست مركبة من الطبائع الأربع ، وأنها بخلاف الجسد ، هذا هو البرهان على أنها لا تتغذى وهو أن ما تركب من العناصر الأربعة فلابدّ له من الغذاء ليستخلف ذلك الجسد ، أو تلك الشجرة أو ذلك النبات من رطوبات ذلك الغذاء أو أرضياته ، مثل ما تحلل من رطوباته بالهواء والحَرّ وليست هذه صفة النفس إذ لو كانت لها هذه الصفة لكانت من الجسد أو مثله ، ولو كانت من الجسد أو مثله لكانت مواتا كالجسد غير حساسة ، فإذ قد بطل أن تكون مركبة من طبائع العناصر بطل أن تكون متغذيّة ناميةً وأما ارتباطها بالجسد من أجل الغذاء فهو أمر لا يَعرف كيفيتَه إلا خالقُها عزّ وجل الذى هو مدبرها ، إلا أنه معلوم أنه كذلك فقط وهو كطحن المعدة للغذاء لا يُدرى كيف هو وغير ذلك مما يوجده الله تعالى ويعلمه .

ومن البرهان على أن النفس لا تتغذى ولا تُنَمّى : أن البرهان قد قام على أنها كانت قبل تركيب الجسد على آباد الدهور ، وأنها باقية بعد انحلاله ، وليس هنالك فى ذينك العالمين غذاء يولد نماء أصلا ، وأمّا ما ظنوه من نشأتها من صغر إلى كبر فخطأ ، وإنما هو عودة من النفس إلى ذكرها الذى سقط عنها بأول ارتباطها بالجسد ، فإن سأل سائل أتموت النفس ؟ قلنا : نعم ، لأن الله تعالى نصّ على ذلك فقال : « كل نفس ذائقة الموت[٦٤]» .

وهذا الموت إنما هو فراقها للجسد فقط ، برهان ذلك قول الله تعالى : « أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون[٦٥] » . وقوله تعالى : « وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم[٦٦] » .

فصح أن الحياة المذكورة إنما هى ضم الجسد إلى النفس ، وهو نفخ الروح فيه وأن الموت المذكور إنما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط ، وليس موت النفس مما يظنه أهل الجهل وأهل

---

(٦٣) فى (ا) : سقطت (لكم) .
(٦٤) آل عمران : ١٨٥
(٦٥) الأنعام : ٩٣
(٦٦) البقرة : ٢٨ وقد ذكرت محرفة فى (خ ، أ) .

الإلحاد من أنها تعدم جملة بل هى موجودة قائمة ، كما كانت قبل الموت وقبل الحياة الأوْلى ، ولا أنها يَذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصح ما كان ، وعلمها أتم ما كان ، وحياتها التى هى الحس والحركة الإراديَّة باقية بِحَسْبِهَا أكمل ما كانت قط ، قال عز وجل : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون[٦٧] » .

وهى راجعة إلى البرزخ حيث رآها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، عن الميمنه من آدم عليه السلام ومشملته إلى أن تحيا ثانية بالجمع بينها وبين جسدها يوم القيامة . وأما أنفس الجن وسائِر الحيوان فحيث شاء الله تعالى ، ولا علم لنا إلا ما علمنا ولا يحل لأحد أن يقول بغير علم ، وبالله تعالىٰ التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : فلنذكر الآن إن شاء الله تعالى البراهين الضرورية على أن النفس جسم من الأجسام ، فمن الدليل على أن النفس جسم من الأجسام انقسامها على الأشخاص ، فنفس زيد غير نفس عمرو فلو كانت النفس واحدة لا تنقسم على ما يزعم الجاهلون القائلون أنها جوهر لا جسم لوجب ضرورة أن يكون نفس المحب هى نفس المبغض ، وهى نفس المحبوب وأن يكون نفس الفاسق الجاهل هى نفس الفاضل الحكيم العالم ، ولكانت نفس الخائِف هى نفس المخوف منه ، ونفس القاتل هى نفس المقتول وهذا حمق لا خفاء به .

فصح أنها نفوس كثيرة متغايرة الأماكن مختلفة الصفات ، حاملة لأعراضا فصح أنها جسم بيقين لا شك فيه . وبرهان آخر وهو أن العلم لا خلاف فى أنه من صفات النفس وخواصها لا مدخل للجسد فيه أصلا ولا حظ للنفس[٦٨] فلو كان النفس جوهرًا واحدًا لا يتجزأ نفوسًا لوجب ضرورة أن يكون علم كل أحد مستويًا لا تفاضل فيه ، لأن النفس على قولهم واحدة ، وهى العالمة فكان يجب أن يكون كل ما علمه زيد يعلمه عمرو ، لأن نفسهما واحدة عندهم غير منقسمة ولا متجزئة ، فكان يلزم ولابدَّ أن يعلم جميع أهل الأرض ما يعلمه كلُّ عالم فى الدنيا ، لأن نفسهم واحدة لا تنقسم وهى العالمة ، وهذا ما لا انفكاك منه ألبتة فقد صحَّ بما ذكرنا ضرورة أن نفس كل أحد غير نفس غيره ، وأن أنفس النَّاس أشخاص متغايرة تحته نوع نفس الإنسان ، وأن نفس الإنسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية ، التى يقع تحتها أنفس جميع الحيوان .

---

(٦٧) العنكبوت : ٦٤

(٦٨) فى (أ) : سقط (للنفس) .

وإذ هى أشخاص متغايرة ذات أمكنة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهى أجسام ، لا يمكن غير ذلك ألبتة وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا : فإن العالم كله محدود معروف أجسام وأعراض ولا مزيد ، فمن ادَّعى أن هاهنا جوهرا ليس جسما ولا عرضًا فقد ادَّعى ما لا دليل عليه ألبتة ، ولا يتشكل فى العقل ولا يمكن توهمه ، وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه . وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا فإن النفس لا تخلو من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك ، فإن كانت خارج الفلك فهذا باطل إذ قام البرهان على تناهى جرم العالم ، وإذا تناهى جرم[٦٩] العالم فليس وراء النهاية شىء ولو كان وراءها شىء لم تكن نهاية ، فوجب ضرورية أنه ليس خارج الفلك الذى هو نهاية العالم شىء لا خلاء ولا ملاء ، وإن كانت فى الفلك فهى ضرورة ، إما ذاتُ مكان وإمَّا محمولة فى ذى مكان ، لأنه ليس فى العالم شىء غير هذين أصلًا .

ومن ادّعى أن للعالم[٧٠] شيئًا ثالثًا فقد ادّعى المحال والباطل ، وما لا دليل له عليه ، وهذا لا يعجز عنه أحد ، وما كان هكذا فهو باطل بيّقين . وقد قام الدليل على أن النفس ليست عرضًا لأنها عالمة حساسة ، والعرض ليس عالمًا ولا حساسًا ، فصح أنها حاملة لصفاتها لا محمولة فإذ هى حاملة متمكنة فهى جسم لا شك فيه ، إذ ليس إلا جسم حامل أو عرض محمول ، وقد بطل أن تكون عرضًا محمولًا فهى جسم تحت حسٍّ[٧١] حامل وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا : فلا تخلو النفس من أن تكون واقعة تحت جنس ، أو لا واقعة تحت جنس فإن كانت لا واقعة تحت جنس فهى خارجة عن المقولات ، وليس فى العالم شىء خارج عنها ، ولا فى الوجود شىء خارج عنها إلا خالقها وحده لا شريك له ، وهم لا يقولون بهذا بل يوقعونها تحت جنس الجوهر ، فإذ هى واقعة تحت جنس الجوهر الجامع للنفس وغيرها أله طبيعة أم لا ؟ فإن قالوا : لا وجب أن كلَّ ما تحت الجوهر لا طبيعة له ، وهذا باطل وهم لا يقولون بهذا ، فإن قالوا لا ندرى ما الطبيعة ؟ قلنا لهم : أله صفة محمولة فيه لا يوجد دونها أم لا ؟ فلابد من نعم وهذا هو معنى الطبيعة ، وإن قالوا بل له طبيعة ؛ وجب ضرورة أن يعطى كل ما تحته طبيعة ، لأن الأ على يُعْطِى كُلَّ ما تحته اسمه وحدود عطاءً صحيحًا ، والنَّفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك ، وإذ صح أن لها طبيعة فكل ما له طبيعة فقد حصرته طبيعته ، وما حصرته[٧٢] الطبيعة

---

(٦٩) فى (أ) : سقط (وإذا تناهى جرم العالم) .
(٧٠) فى (أ) : (فى العالم) .
(٧١) فى (أ) : سقط (تحت حس) .
(٧٢) فى (أ) : سقط (وما حصرته) .

فهو ذو نهاية محدودة ، وكل ذى نهاية فهو إما حامل وإما محمول ، والنفس بلا شك حاملة لأعراضها من الأضداد ، كالعلم ، والجهل ، والذكاء والبلادة والنجدة ، والجبن ، والعدل ، والجود والقسوة ، والرحمة ، وغير ذلك ، وكل حامل فذو مكان ، وكل ذى مكان فهو جسم ، فالنفس جسم ضرورة . وأيضًا : فكل ما كان واقعًا تحت جنس فهو نوع من أنواع ذلك الجنس ، وكلّ نوع فهو مركب من جنسه الأ على العام له من أنواعه ، ومركب أيضًا مع ذلك من فصله الخاص له ، المميّز له من سائِر الأنواع الواقعة معه تحت جنس واحد ، فإنه موضوع وهو جنسه القابل لصورته وصورة غيره وله محمول وهو صورته التى خصته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول ، فهو مركب والنفس نوع للجوهر فهى مركبة من موضوع ومحمول وهى قائمة بنفسها فهى جسم ولابد .

* * *

قال أبو محمد : وهذه براهين ضرورية حسية عقلية لا محيد عنها ، وبالله تعالى التوفيق .

وهذا قول جماعة من الأوائل ، ولم يقل أرسطاطاليس إن النفس ليست جسمًا على ما ظنه أهل الجهل ، وإنما نفى أن تكون جسمًا كدرا وهو الذى لا يليق بكل ذى علم سواه ، ثم لو صح أنه قالها لكانت وهلة ودعوى بلا برهان عليها ، وخطأ لا يجب اتباعه عليه ، وهو يقول فى مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحق وكلاهما إلينا حبيب غير أن الحق أحب إلينا ، وإذا جاز أن يختلف أفلاطون والحق فغير نكير ولابُدَّ أن[٧٣] يختلف أرسطاطاليس والحق ، وما عصم إنسان من الخطأ فكيف وما صح قط أنه قاله ..؟

قال أبو محمد : وإنما قال إن النفس جوهر لا جسم من ذهب ، إلا أنها هى الخالقة لما دون الله تعالى على ما ذهب إليه بعض الصائبين ، ومن كنى بها عن الله تعالى .

قال أبو محمد : وكلا القولين سخيف وباطل ، لأن النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضوعتان فيها لمعنيين مختلفين ، فإحالتهما عن موضوعهما فى اللغة سفسطة وجهل ، وقلة حياء وتلبيس وتدليس .

قال أبو محمد : وأما من ذهب إلى أن النفس ليست جسمًا ممن ينتمى إلى الإسلام بزعمه فقوله يبطل بالقرآن والسنة وإجماع الأمة ، فأما القرآن فإن الله عزّ وجل قال : « هنالك تبلو كل

---

(٧٣) فى (أ) : (ولا بديع) .

نفس ما أسلفت[٧٤]» وقال تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم[٧٥]» وقال تعالى : « كل امرىء بما كسب رهين[٧٦]» .

فصح أن النفس الفعَّالة الكاسبة المجزيَّة المخاطبة وقال تعالى : « إن النفس لأمارة بالسوء[٧٧]» .

وقال تعالى : « ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب[٧٨]» وقال تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون[٧٩]» وقال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله[٨٠]» .

فصح أن النفس منها ما يُعرض على النار قبل يوم القيامة فتعذب ، ومنها ما يُرزق وينعم فرحا ويكون مسرورا قبل يوم القيامة ، ولا شك أن أجساد آل فرعون وأجساد المقتولين فى سبيل الله قد تقطعت أوصالها ، وأكلتها السباع والطير وحيوان الماء .

فصح أن الأنفس منقولة من مكان إلى مكان ، ولا شك فى أن العرض لا يلقى العذاب ولا يحس فليست عرضًا ، وصح أنها تشغل[٨١] الأماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لا صفة الجوهر عند القائلين به . فصح ضرورة أنها جسم .

وأما من السنن فقول رسول الله ﷺ « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر فى الجنة[٨٢] »وقوله ﷺ « إنه رأى نَسمَ بنى آدمَ عِنْد سَماءِ الدُّنْيا عَنَ يمين آدم ويَساره[٨٣]» .

فصح أن الأنفس مرئية فى أماكنها ، وقوله عليه السلام إن نفس المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى سماء الدنيا ، وفعل بها كذا ، ونفس الكافر إذا قبضت فُعل بها كذا . فصح أنها معذبة ومنعمة ومنقولة فى الأماكن ، وهذه صفة الأجسام ضرورة . وأما من الإجماع فلا خلاف بين أحد من أهل

---

(٧٤) يونس : ٣٠

(٧٥) غافر : ١٧ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) .

(٧٦) الطور : ٢١

(٧٧) يوسف : ٥٣

(٧٨) غافر : ٤٦

(٧٩) البقرة : ١٥٤

(٨٠) آل عمران : ١٦٩

(٨١) فى (أ) : (تنتقل فى) .

(٨٢) حديث صحيح رواه ابن مسعود ولفظه (إن أرواح المؤمنين فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاضطلع إليهم ربهم اطلاعه فقال : هل تشتهون شيئا ، قالوا أى شىء نشتهى ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا) إلى آخر الحديث .

(٨٣) وهذا الحديث غير وارد فى كتب الصحاح بهذا اللفظ ، ولكن وردت أحاديث كثيرة حول معناه ، وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الأعراف : ١٧٢ .

الإسلام فى أن نفس العباد منقولة بعد خروجها عن الأجساد إلى نعيم أو إلى ضيق[٨٤] وتعذيب ، وهذه صفة الأجسام ، ومن خالف هذا فزعم أن الأنفس تُعدم أو أنها تنتقل إلى أجسام أخرى فهو كافر مشرك حلال الدَّم والمال ، لخرقه الإجماع ومخالفته القرآن والسنن ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وقد ذكرنا فى باب عذاب القبر أن الروح والنفس شيء واحد ، ومعنى قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى[٨٥] » إنما هو لأن الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم عظمًا ثم لحمًا ، ثم أمشاجًا ، وليس الروح كذلك ، وإنما قال الله تعالى : آمرا له بالكون « كُن » فكان فصح أن النفس والروح والنسمة أسماء مترادفة لمعنى واحد . وقد تقع الروح أيضًا على غير هذا ، فجبريل عليه السلام الرُّوح الأمين ، والقرآن روح من عند الله تعالى ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٨٤) فى (ا) : بزيادة (صنوف) .

(٨٥) الإسراء : ٨٥

« الكلام فى الجزء الذى ادَّعوا أنه لا يتجزأ »

فقد بطل قولهم فى النفس وصح أنها جسم ، ولم يبق إلا الكلام فى الجزء الذى ادَّعوا أنَّه لا يتجزأ .

قال أبو محمد : ذهب جمهور المتكلمين إلى أن الأجسام تَنحل إلى أجزاء صغار ، ولا يمكن ألبتة أن يكون لها تجزؤ ، وأن تلك الأجسام جواهر لا أجسام . وذهب النظّام وكل من يحسن القول من الأوائل إلى أنه جزء وإن دق ، إلا وهو يحتمل التجزؤ أبدا بلا نهاية وأنه ليس فى العالم جزء لا يتجزأ وأن كل جزء يقسم الجسم إليه فهو جسم أيضًا ، وإن دق أبدًا .

قال أبو محمد : وعمدة القائلين بوجود الجزء الذى لا يتجزأ خمس مشاغب ، وكلها راجع بحول الله تعالى وقوته عليهم ، ونحن إن شاء الله عزّ وجل نذكرها كلها ، ونتقصى لهم كل ما موّهوا به ونرى بعون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ، ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بأن كل جزء فهو يتجزأ أبدا ، وأنه ليس فى العالم جزء لا يتجزأ أصلا ، كما فعلنا بسائر الأقوال والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فأول مشاغبهم أن قالوا : أخبرونا إذا قطع الماشى المسافة التى مشى فيها فهل قطع ذا نهاية أو غير ذى نهاية ؟ فإن قلتم قطع غير ذى نهاية فهذا محال . وإن قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا .

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق . أن القوم أتوا من أحد وجهين ، إما أنهم لم يفهموا قولنا فتكلموا بجهل وهذا لا يرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولا ذو حياء . وإما أنهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا إلى الكذب والمباهتة وهذه شر من الأولى ، وفى أحد هذين القسمين وجدنا كلّ من ناظرناه منهم فى هذه المسألة ، وهكذا عرض لنا سواء سواء مع المخالفين لنا فى القياس المدعين لتصحيحه ، فإنهم أيضًا أحد رجلين ؛ إما جاهل بقولنا فهو يقولنا ما لا نقوله ،

ويتكلم فى غير ما اختلفنا فيه ، وإنّما مكابر ينسب إلينا ما لا نقوله مباهتة وجرأة على الكذب ، وعجزًا عن معارضة الحق من أننا ننكر اشتباه الأشياء ، وأننا ننكر قضايا العقول ، وأننا ننكر استواء حكم الشيئين فيما أوجبه لهما ما اشتبها فيه ، وهذا كله كذب علينا بل نحن نقرُّ بذلك كله ونقول به ، وإنما ننكر أن نحكم فى الدّين لشيئين بتحريم أو إيجاب أو تحليل من أجل أنهما اشتبها فى صفة من صفاتهما ، فهذا هو الباطل البحت والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه .

ونقول على هذا السؤال الذى سألونا عنه : إننا لم ندفع النهاية عن الأجسام كلها من طريق المساحة بل نبينها[1] ونعرفها ، ونقطع على أن كل جسم فله مساحة أبدًا محدودة ولله الحمد . وإنما نفينا النهاية عن قدرة الله تعالى على قسمة كل جزء وإن دَقّ ، وأثبتنا قدرة الله تعالى على ذلك وهذا هو شيء غير المساحة .

ولم يتكلف القاطع بالمشى أو بالذرع أو بالعمل قسمة ما قطع ولا تجزئته ، وإنما تكلف عملًا أو مشيًا فى مساحة معدودة بالميل أو بالذراع أو الشبر أو الإصبع أو ما أشبه ذلك ، وكل هذه له نهاية ظاهرة ، وهذا غير الذى نفينا وجود النهاية فيه فبطل إلزامهم والحمد لله كثيرًا . ثم نعكس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق : نحن القائلون بأن كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزؤ ، وهذا هو إثبات النهاية لكل جسمٌ انقسم الجسم إليه من طريق المساحة ضرورة ، وأنتم تقولون إن الجسم ينقسم إلى أجزاء ليس لشيء منها عرض ولا طول ولا عمق ولا مساحة ولا يتجزأ ، وليست أجسامًا ، وأن الجسم هو تلك الأجزاء نفسها ليس هو شيئًا غيرها أصلًا ، وأن تلك الأجزاء ليست لشيء منها مساحة فلزمكم ضرورة أن[2] الجسم هو تلك الأجزاء نفسها ليس هو غيرها ، وكل جزء من تلك الأجزاء لا مساحة له فالجسم لا مساحة له وهذا أمر يبطله العَيان ، وإذا لم تكن له مساحة والمساحة هى النهاية فى ذرع الأجسام فلا نهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل .

والاعتراض الثانى : أن قالوا لابدَّ أن يلى الجِرْم من الجِرْم الذى يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه . قالوا وهذا إقرار بجزء لا يتجزأ .

قال أبو محمد : وهذا تمويه فاسد لأننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة ، بل نقول إن لكل جرم نهايةً وسطحًا ينقطع تماديه عنده ، وأن الذى ينقطع به الجرْم إذا جزىء فهو متناه محدود ، ولكنه محتمل للتجزىء أيضًا ، وكل ما جزىء فذلك الجزء هو الذى يلى الجرم الملاصق له بنهايته من جهته التى لاقاه منها ، لا ما ظنّوا من أن حدَّ الجرم جزء منه هو ، وحَدُّه الملاصق للجرم الذى

---

(١) فى (أ) : (نثبتها) .
(٢) فى (أ) : (إذ ... أو ليست أجساما) .

يلاصقه ، بل هو باطل بما ذكرنا لكن الجزء هو الملاصق للجرم بسطحه ، فإذا تجزأ كان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصق له حينئذ بسطحه ، لا الذى ميز عن ملاصقته .

وهكذا أبدا والكلام فى هذا كالكلام فى الذى قبله ولا فرق .

والاعتراض الثالث أن قالوا : هل ألَّف أجزاء الجسم إلا الله ؟ فلابد من نعم . قالوا : فهل يقدر الله تعالى على تفريق أجزائه حتى لا يكون فيها شىء من التأليف ولا تحتمل تلك الأجزاء التجزؤ أم لا يقدر على ذلك ؟. قالوا : فإن قلتم لا يقدر عجَّزتم ربكم . وإن قلتم يقدر فهذا إقرار منكم بالجزء الذى لا يتجزأ .

قال أبو محمد : هذا من أقوى شبههم التى شغبوا بها وهو حجة لنا عليهم ، والجواب أننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق إن سؤالكم سؤال فاسد ، وكلام فاسد ولم تكن قط أجزاء العالم متفرقة ثم جمعها الله عزّ وجل ، ولا كان له أجزاء مجتمعة ثم فرقها الله عز وجل ، لكن الله تعالى خلق العالم بكل ما فيه بأن قال له « كن » فكان أو بأن قال لكل جرم منه إذا أراد خلقه « كن » فكان ذلك الجرم ، ثم إن الله تعالى خلق جميع ما أراد جمعه من الأجرام التى خلقها مفرقة ثم جمعها ، وخلق تفريق كلّ جرم من الأجرام التى خلقها مجتمعًا ثم فرَّقها ، فهذا هو الحق لا ذلك السؤال الفاسد الذى أجملتموه وأوهمتم به أهل الغفلة أن الله تعالى ألف العالم من أجزاء خلقها متفرقة ، وهذا باطل لأنه دعوى لا برهان عليها . ولا فرق بين من قال إن الله تعالى ألف أجزاء العالم وكانت متفرقة وبين من قال بل الله تعالى فرق العالم أجزاء وإنما كان جزءا واحدا وكلاهما دعوى ساقطة لا برهان عليها لا من نص ولا من عقل ، بل القرآن جاء بما قلناه نصا قال تعالى : « إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون[٣] » .

ولفظة شىء تقع على الجسم وعلى العرض ، فصح أن كل جسم صغر أو كبر ، وكل عرض فى جرم فإن الله تعالى إذا أراد خلقه قال له « كن » فكان ، ولم يقل عزّ وجل قط ألف كل جرم من أجزاء متفرقة فهذا هو الكذب على الله عز وجل حقا ، فبطل ما ظنوا أنهم يلزموننا به ، ثم نقول لهم إن الله تعالى قادر على أن يخلق جسما لا ينقسم ، ولكنه لم يخلقه فى بنية هذا العالم ولا يخلقه ، كما أنه تعالى قادر على أن يخلق عرضًا قائمًا بنفسه ولكنه تعالى لم يخلقه فى بنيته العالم ولا يخلقه ، لأنهما مما رتبه الله عز وجل محالا فى العقول ، والله تعالى قادر على كل ما يُسأل عنه ، لا نحاشى شيئًا منها إلا أنه تعالى لا يفعل كلّ ما يقدر عليه وإنما يفعل ما يشاء ، وما سبق فى علمه أنه يفعله فقط وبالله تعالى التوفيق .

---

(٣) النحل : ٤٠

ثم نعطف هذا السؤال نفسه عليهم فنقول لهم : هل يقدر الله عز وجل على أن يقسم كل جزؤ ويقسم كل قسم من أقسام الجسم أبدا بلا نهاية أم لا ؟ فإن قالوا : لا يقدر على ذلك عجّزوا ربهم حقًا . وكفروا . وهو قولهم دون تأويل ولا إلزام ، ولكنهم يخافون من أهل الإسلام فيملحون ضلالتهم بإثبات الجزء الذى لا يتجزأ جملة ، وإن قالوا إنه تعالى قادر على ذلك صدقوا ورجعوا إلى الحق الذى هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة .

ونحن لم نخالفهم قط فى أن أجزاء طحين الدقيق لا يقدر مخلوق فى العالم على تجزئة تلك الأجزاء ، وإنما خالفناهم فى أن قلنا نحن إن الله تعالى قادر على ما لا نقدر نحن عليه من ذلك ، وقالوا هم بل هو غير قادر على ذلك ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

وقولهم فى تناهى القدرة على قسمة الله تعالى الأجزاء هو القول بأن الله تعالى يبغ من الخلق إلى مقدار ، مًّا ثم لا يقدر على الزيادة عليه ويبقى حينئذ[٤] عاجزًا ، تعالى الله عن هذا الكفر ، ولعمرى أن أبا الهذيل شيخ المثبتين للجزء الذى لا يتجزأ ليحن إلى هذا المذهب حنينًا شديدًا وقد صرّح بأن لما يقدر الله عليه كلًّا وآخرا لو خرج إلى الفعل لم يكن الله تعالى قادرًا بعد على تحريك ساكن ، ولا تسكين متحرك ، ولا على فعل شىء أصلًا ثم تدارك كفره فقال : ولا يخرج ذلك الآخر أبدًا إلى حد الفعل .

قال أبو محمد : فيقال له ما المانع من خروجه والنهاية حاصرةٍ له والفعل قائم ؟ فلا بد مع طول الزمان من البلوغ إلى ذلك الآخر .

قال أبو محمد : نعوذ بالله من الضلال .

والاعتراض الرابع : هو أن قالوا أيما أكبر أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلة أو أجزاء الخردلتين ؟ قالوا : فإن قلتم بل أجزاء الخردلتين وأجزاء الجبل صدقتم وأقررتم بتناهى التجزىء ، وهو القول بالجزء الذى لا يتجزأ ، وإن قلتم ليس أجزاء الجبل أكبر من أجزاء الخردلة ولا أجزاء الخردلتين أكبر من أجزاء الخردلة كابرتم العيان ، لأنه لا يحدث فى الخردلة جزء إلا ويحدث فى الخردلتين جزآن ، وفى الجبل أجزاء وادّعوا علينا أننا نقول إن فى كل جسم أجزاء لا نهاية لعددها ولا آخر لها ، وأن من قطع بالمشى مكانا مًّا أو قطع بالجملتين شيئًا فإنما قطع ما لا نهاية لعدده ، وقالوا إن عمدة حجتكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه فى إلزامكم إياهم وجوب القله والكثرة فى أعداد الأشخاص وأوقات الزمان ، وإيجابكم أن كل ما حصره العدد فذو نهاية ، وإنكاركم على الدّهرية وجود أشخاص وأزمان لا نهاية لعددها ، قالوا ثم نقضتم كل ذلك فى هذا المكان .

---

(٤) فى (أ) : (حسيرًا) .

قال أبو محمد : هو الذى قلنا : إنهم إما لم يفهموا كلامنا فى هذه المسألة فقوّلونا ما لا نقوله بظنونهم الكاذبة ، وإما أنهم عرفوا قولنا فحرّفوه قلة حياء واستحلالا للكذب ، وجرأة على عاجل[٥] الفضيحة لهم فى كذبهم ، وعجزا منهم عن كسر الحق ونصر الباطل ، فاعلموا أن كل ما نسبوه إلينا من قولنا إن من قطع مكانًا أو شيئًا بالمشى أو بالجملتين فإنما قطع ما لا نهاية له فباطل ما قلناه قط ، بل ما قطع إلا ذا نهاية بمساحته وبزمانه ، وأما احتجاجنا على الدهرية بما ذكروا فصحيح هو حجتنا على الدهرية .

وأما ادعاؤهم أننا نقضنا ذلك فى هذا المكان فباطل ، والفرق بين ما قلناه من أن كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلا نهاية ، وبين ما احتججنا به على الدّهرية من إيجاب النهاية بوجود القلة والكثرة فى أعداد الأشخاص والأزمان ، وإنكارنا عليهم وجود أشخاص وأزمان لا نهاية لها ، بل هو حكم واحدٌ وباب واحد ، وقول واحد ومعنى واحد ، وذلك أن الدهريّة أثبتت وجود أشخاص قد خرجت إلى الفعل لا نهاية لعددها ، ووجود أزمان قد خرجت إلى الفعل لا نهاية لها وهذا محال ممتنع .

وهكذا قلنا فى كل جزء يخرج إلى حدّ الفعل فإنها متناهية العدد بلا شك ، ولم نقل قط إن أجزاءه موجودة منقسمة لا نهاية لعددها ، بل هذا باطل محال ثم إن الله تعالى قادر على الزيادة فى الأشخاص وفى الأزمان ، وفى قسمة الجزء أبدا بلا نهاية ، لكن كل ما يخرج إلى الفعل أو يخرج من الأشخاص أو الأزمان أو تجزئة الأجزاء فكل ذلك متناهٍ بعدده ، إذا خرج وهكذا أبدا وأمّاما لم يخرج إلى حد الفعل بعدُ من شخص أو زمان أو تجزىء فليس شيئًا ، ولا هو عددًا ، ولا معدودًا ، ولا يقع عليه عدد ، ولا هو شخص بعد ولا زمان ولا جزء بعد ، وكل ذلك عدم ، وإنما يكون الجزء إذا جزىء بقطع أو برسم مميز لا قبل أن يجزأ ، وبهذا يتبين غثاثة سؤالهم فى أيما أكثر أجزاءً الخردلة أو أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلتين ، لأن الجبل إذا لم يجزأ والخردلة إذا لم تجزأ والخردلتان إذا لم تجزأ فلا أجزاء لها أصلًا . بعدُ ، بل الخردلة جزء واحد ، والجبل جزء واحِدٌ ، والخردلتان كلٌّ واحدةٍ منهما جزء ، فإذا قسمت الخردلة على سبعة أجزاء ، وقسّم الجبل جزءين وقسمت الخردلتان جزئين ، فالخردلة الواحدة بيقين أكثر أجزاءً من أجزاء الجبل والخردلتين ، لأنها صارت سبعة أجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان إلا ستة أجزاء فقط ، فلو قسمت الخردلة ستة أجزاء لكانت أجزاؤها وأجزاء الجبل والخردلتين سواء ، ولو قسمت الخردلة خمسة أجزاء كانت أجزاء الجبل والخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة .

وهكذا فى كل شىء فصح أنه لا يقع التجزؤ ، فى شىء إلا إذا قُسّم لا قبل ذلك ، فإن كانوا يريدون فى أيهما يمكننا التجزئة أكثر فى الجبل والخردلتين أم فى الخردلة الواحدة ؟ فهذا

---

(٥) فى (أ) : (عمل) .

ما لا شك فيه أن التجزؤ أمكن لنا فى الجبل وفى الخردلتين منه والخردلة الواحدة ، لأن الخردلة الواحدة عن قريب تصغر أجزاؤها حتى لا نقدر نحن على قسمتها ويتمادى لنا الأمر فى الجبل كثيرا حتى إنه يفنى عمر أحدنا قبل أن يبلغ بتجزئه إلى أجزاء تدق عن قسمتنا .

وأما قدرة الله عز وجل على قسمة ما عجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية ، وكل ذلك عليه تعالى هيّن ، سواء ليس بعضه أسهل عليه من بعض بل هو قادر على قسمة الخردلة أبدا بلا نهاية ، وعلى قسمة الفلك كذلك ولا فرق وبالله تعالى التوفيق . ونزيد بيانا فنقول إن الشيء قبل أن يجزأ فليس متجزئًا فإذا جزىء بمنصفين أو جزءين فهو جزئان فقط ، فإذا جزء على ثلاثة أجزاء فهو ثلاثة أجزاء فقط وهكذا أبدًا .

وأما من قال أو ظن أن الشيء قبل أن ينقسم وقبل أن يتجزأ أنه منقسم بعدُ ومتجزىء بعدُ فهو وساوس وظن كاذب ، لكنه يحتمل للانقسام والتجزىء ، وكل ما قسم وجزىء فكل جزء ظهر منه فهو معدود متناه وكذلك كل جسم ، فطوله وعرضه متناهيان بلا شك والله تعالى قادر على الزيادة فيهما أبدًا بلا نهاية ، إلا أن كل ما زاده تعالى فى ذلك وأخرجه إلى حد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود . وهكذا أبدا ، وكذلك الزيادة فى أشخاص العالم وفى العدد ، فإن كل ما خرج إلى حد الفعل من الأشخاص ومن الأعداد فذو نهاية ، والله تعالى قادر على الزيادة فى الأشخاص أبدًا بلا نهاية .

والزّيادة فى العدد ممكنة أبدًا بلا نهاية ، إلا أن كلَّ ما خرج من الأشخاص والأعداد إلى الفعل صحبته النهاية ولا بد ، ثم نعكس هذا السؤال عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق .

أتفضل عندكم قدرة الله عز وجل على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة ؟ وهل يأتى حال يكون الله تعالى فيها قادرًا على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة أجزاء الخردلة أم لا ؟ فإن قالوا : بل قدرة الله تعالى على قسمة الجبل أتم من قدرته على قسمة الخردلة ، وأقروا بأنه تأتى حال يكون الله تعالى فيها قادرًا على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة أجزاء الخردلة كفروا ، وعجّزوا ربهم ، وجعلوا قدرته محدثة متفاضلة متناهية ، وهذا كفر مجرد ، وإن أبوا من هذا وقالوا إن قدرة الله تعالى على قسمة الجبل والخردلة سواء وأنه لا سبيل إلى وجود حال يقدر الله تعالى فيها على تجزئة أجزاء الجبل ولا يقدر على تجزئة أجزاء الخردلة صدقوا ، ورجعوا إلى قولنا الذى هو الحق وماعداه ضلال وباطل والحمد لله رب العالمين .

والاعتراض الخامس : هو أن قالوا هل لأجزاء الخردلة كلٌّ أم ليس لها كل ؟ وهل يعلم الله تعالى عدد أجزائها أم لا يعلمه ؟ فإن قلتم : لا كلَّ لها ، نفيتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر .

وإن قلتم : إن الله تعالى لا يعلم عدد أجزائها كفرتم . وإن قلتم إن لها كلًّا والله تعالى يعلم عدد أجزائها أقررتم بالجزء الذى لا يتجزأ .

قال أبو محمد : وهذا تمويه لائح ينبغى التنبيه عليه لئلا يجوز على أهل الغفلة ، وهو أنهم أقحموا لفظة « كلّ » حيث لا يوجد « كلّ » وسألوا هل يعلم الله عدد ما لا عدد له ..؟ وهم فى ذلك كمن سأل هل يعلم الله تعالى عدد شعر لحية الأطلس أم لا ؟ وهل يعلم جميع أولاد العقيم أم لا ؟ وهل لحركات أهل الجنة والنار كلٌّ أم لا ؟ فهذه السؤالات كسؤالهم ولا فرق . وجوابنا فى ذلك كلّه أن الله عز وجل إنما يعلم الأشياء على ما هى عليه ، لا على خلاف ما هى عليه لأن من علم الشىء على ما هو عليه فقد علمه حقًّا . وأمّا من علم الشىء على خلاف ما هو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشى لله من هذه الصفة فما لا كُلَّ له ، ولا عدد له ، فإنما يعلمه الله عز وجل لا عد له ولا كُلّ . وما علم الله عز وجل قط عددًا ولا كلًّا إلا لما له عدد وكل ، لا لما لا عدد له ولا كل ، وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الأطلس ، ولا علم قط ولد العقيم ، فكيف أن يعرف لهم كلا ، وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل أن تجزأ لأنهما لا جزء لهما قبل التجزئة ، وإنما علمهما غير متجزئين ، وعلمهما محتملين للتجزؤ فإذا جزئا علمهما حينئذ متجزئين ، وعلم حينئذ عدد أجزائهما ، ولم يزل تعالى يعلم أنه سيجزىء كلَّ ما لا يتجزأ ولم يزل يعلم عدد الأجزاء التى تخرج[٦] فى المستأنف إلى حد الفعل ، ولم يزل يعلم عدد ما يخرج من الأشخاص بخلقه فى الأبد إلى حدّ الفعل ، ولم[٧] يزل يعلم أنه لا أشخاص زائدة على ذلك ، ولا أجزاء لما لم ينقسم بعد ، وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبل التجزؤ أجزاء أصلًا . ولا أجزاء ، وإذ ذلك كذلك فلا كلّ هاهنا ، ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد لله رب العالمين .

ثم نعكس عليهم هذا السؤال فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق : أخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة ، أو وبرة ، أو شعرة أو غير ذلك إذا جزأنا كل ذلك جزأين أو أكثر متى حدثت لها[٨] الأجزاء ؟ أحين جزئت أم قبل أن تجزأ ؟ فإن قالوا قبل أن تجزأ تناقضوا أسمج مناقضة لأنهم أقروا بحدوث أجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف . وإن قالوا إنما حدثت لها الأجزاء حين جزئت لا قبل ذلك ، سألناهم متى علمها الله تعالى متجزئة ؟ أحين حدث فيها التجزؤ أم قبل أن يحدث فيها التجزؤ ؟. فإن قالوا بل حين حدث فيها التجزؤا صدقوا وأبطلوا قولهم فى أجزاء الخردلة . وإن

---

(٦) فى (أ) : (لا تخرج) .
(٧) فى (أ) : (أو لم) .
(٨) فى (أ) : سقطت (لها) .

قالوا بل علم أنها متجزئة وأن لها أجزاء قبل حدوث التجزؤ فيها جهَّلوا ربهم تعالى إذا أخبروا أنه يعلم الشيء بخلاف ما هو عليه ، ويعلم أجزاء لما لا أجزاء له ، وهذا ضلال وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : هذا كل ما موَّهوا به لم ندع لهم منه شيئًا إلا وقد أوردناه وبيَّنا أنه كله لا حجة لهم فى شيء منه ، وأنه كله عائِد عليهم وحجة لنا والحمد لله رب العالمين .

ثم نبتدىء بحول الله تعالى وقوته بإيراد البراهين الضرورية على أن كل جسم فى العالم فإنه يتجزأ ومحتمل للتجزئِة ، وكل جزء من جسم فهو أيضًا جسم محتمل للتجزؤ ، وهكذا أبدًا وبالله تعالى نتأيد :

قال أبو محمد : يقال لهم وبالله تعالى نستعين أخبرونا عن هذا الجزء الذى قلتم إنه لا يتجزأ أهو فى العالم أم ليس فى العالم ؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث ، فإن قالوا : ليس هو فى العالم صدقوا وأبطلوه إلا أنهم يلزمهم قول فاحش ، وهو أنهم يقولون إن جميع العالم مركب من أجزاء لا تتجزأ ، والكل ليس هو شيئًا غير تلك الأجزاء ، فإن كانت تلك الأجزاء ليست فى العالم فالعالم عدم ليس فى العالم وهذا تخليط كما ترى . وإن قالوا بل هو فى العالم قلنا لهم : لا يخلو إن كان فى كرة العالم من أن يكون إما قائمًا بنفسه حاملًا وإما أن يكون محمولًا غير قائم بنفسه ، لابد ضرورة من أحد الأمرين ، إذ ليس العالم كله إلا على هذين القسمين فإن كان محمولًا غير قائم بنفسه فهو عرض من الأعراض ، وإن كان حاملًا قائمًا بنفسه فله ولابد مكان فى العالم ، وما كان حاملًا قائمًا بنفسه[٩] ذا مكان فهو جسم ، ثم يقال لهم أخبرونا عن الجزء الذى ذكرتم إنه لا يتجزأ وهو على قولكم فى مكان لأنه بعض من أبعاض الجسم : هل الملاقى منه للمشرق هو الملاقى للمغرب أم غيره ؟ وهل الحازى[١٠] منه للسماء هو المحازى منه للأرض أم هو غيره ؟ فإن قالوا كل ذلك واحد والملاقى منه للمشرق هو الملاقى منه للمغرب ، والمحازى منه للسماء هو المحازى منه للأرض أتوا بإحدى العظائم وجعلوا جهة المشرق منه هى جهة المغرب وجعلوا السماء والأرض منه فى جهة واحدة ، وهذا حمق لا يبلغه إلا الموسوس ومكابرة للعيان لا يرضاها لنفسه سالم البنية ، وإن قالوا بل الملاقى منه للمشرق هو غير الملاقى منه للمغرب وأن السماء والأرض منه فى جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا ، وهكذا جهة الجنوب والشمال ، فإذ ذلك كذلك بلاشك فقد صح أنه ذو جهات ست

(٩) فى (أ) : سقط الكلام من قوله (فله ولابدّ مكان فى العالم) .
(١٠) فى (أ) :) المحازى) .

متغايرة ، وهذا إقرار منهم بأنه ذو أجزاء إذ قطعوا بأن الملاق منه للمغرب غير الملاق منه للمشرق ، ومن للتبعيض ، وبطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فإن أرادوا إلزامنا مثل هذا فى العرض قلنا ليس للعرض جهة ، ولا له مكان ، ولا يقوم بنفسه ، ولا يحاذى شيئا ، وإنما يحاذى الأشياء حامل العرض لا العرض ، إذ لو ارتفع العرض لبقى حامله مالئًا لمكانه كما كان محاذيًا من جميع جهاته ، ما كان يحاذى حين حمله للعرض سواء سواء ، ولو ارتفع فى قولكم الجزء الذى لا يتجزأ لبقى مكانه خاليًا منه ، وقد أوضحنا أن عرضين وأعراضًا تكون فى جسم واحد ، فى جهة منه واحدة وهم لا يختلفون فى أن جزءين كل واحد منهما لا يتجزأ فلا يمكن ألبتة أن يكونا جميعًا فى مكان واحد منهما ، بل لكل واحد منهما عندهم مكانا غير مكان الآخر .

وبرهان آخر :

وهو أنهم يقولون : إن الجزء الذى لا يتجزأ لا طول له ولا عرض ولا عمق ، نقول لهم وبالله تعالى التوفيق : إذا أضفتم إلى الجزء الذى لا يتجزأ عندكم جزءًا آخر مثله لا يتجزأ أليس قد حدث لهما طول ؟ فلابدّ من قولهم : نعم . لا يختلفون فى ذلك ، ولو أنهم قالوا لا يحدث لهما طول للزمهم مثل ذلك فى إضافة جزء ثالث ورابع وأكثر حتى يقولوا إن الأجسام العظام لا طول لها ويحصلوا فى مكابرة العيان ، نقول لهم إذا قلتم إن جزءًا لا يتجزأ لا طول له إذا ضُمَّ إليه جزء آخر لا يتجزأ ، ولا طول له فأيهما حدث له طول ؟ فقولوا لنا هل يخلو هذا الطول الحادث عندكم من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها ، إما أن يكون هذا الطول لأحدهما دون الآخر ، أو لا لواحد منهما ، أو لكليهما ، فإن قلتم ليس هذا الطول لهما ، ولا لواحد منهما ، فقد أوجبتم طولًا لا لطويل ، وطولا قائمًا بنفسه ، والطول عَرَض والعرض لا يقوم بنفسه ، وصفة الصفة لا يمكن أن تُوجد إلا فى موصوف بها ووجود طول لا لطويل مكابرة ومحال .

وإن قلتم إن ذلك الطول هو لأحد الجزءين دون الآخر ، فقد أحلتم ، وأتيتم بما لا شك بالحس وضرورة العقل فى بطلانه ، ولزمكم أن الجزء الذى لا يتجزأ له طول ، وإذا كان له طول فهو بلا شك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم ، مع أنه أيضًا محال لأنه يجب من هذا أنه يتجزأ ولا يتجزأ . وإن قلتم إن ذلك الطول للجزأين معا صدقتم وأقررتم بالحق فى أن كل جزء منهما فله حصته من الطول والحِصَّة من الطول طول بلا شك ، وإذا كان كل واحد منهما له طول ، فكل واحد منهما يتجزأ ، وهذا خلاف قولكم إنه لا يتجزأ ، وهذا برهان ضرورى أيضًا واضح لا محيد عنه ، وبالله تعالى التوفيق .

وبرهان آخر :

قال أبو محمد : ونقول لهم أيما أطول جزآن لا يتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما إلى الآخر ، أم أحدهما غير مضموم إلى الآخر ؟ فلا يجوز أن يقول أحد ، إلا أن الجزأين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم إلى الآخر ، فإذ ذلك كذلك فمن المحال الممتنع الباطل أن يقال فى شىء هذا أطول من هذا إلا وفى الآخر طول دون طول ما هو أطول منه ، فقد صح ضرورة أن الطول موجود لكل جزء قالوا فيه إنه لا يتجزأ ، وإذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد منا ، ومنهم ، وهكذا القول فى عرضهما إن ضُم أحدها إلى الآخر وفى عمقهما كذلك ، ولابد من أن يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق ، فإذ ذلك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه إنه لا يتجزأ فلابد من أن يكون له طول وعرض وعمق ، فإذ ذلك كذلك فهو جسم يتجزأ ولابد ، وهذا أيضًا برهان ضرورى لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق .

وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الإلزام فَبعُد ذلك عليه ، لأنه رام محالا فقال : إن الطول الحادث للجزئين عند اجتماعهما إنما هو كالاجتماع الحادث لهما ، ولم يكن لهما ولا لأحدهما إذا كانا منفردين .

قال أبو محمد : وهذا تمويه ظاهر لأن الاجتماع هو ضم أحدهما إلى الآخر نفسه ليس هو شيئًا آخر ، ولم يكونا قبل هذا الضم والجمع مضمومين ولا مجتمعين وليس معنى الطول والعرض والعمق كذلك بل هو شىء آخر غير الضم والجمع وإنما هو صفة للطويل مضمومًا كان إلى غيره أو غير مضموم ، ولا يوجب الجمع والضم طولًا لم يكن واجبًا قبل الضم والجمع ، فلم يزد أبو الهذيل على أن قال : لما اجتمعا صارا مجتمعين ، وصارًا طويلين وهذه دعوى فاسدة وتنظير منحل ، لأن قوله لما اجتمعا صارا مجتمعين صحيح لا شك فيه ، وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل جملة وما كان هكذا فهو باطل . وأيضًا فإن الاجتماع لما حدث بينهما بطل معنى آخر كان موجودا فيهما ، وهو الافتراق الذى هو ضد الاجتماع .

فأخبرونا إذا حدث الطول بزعمكم فأى شىء هو المعنى الذى ذهب بوجود الطول وبما فيه(١١) الطول ؟ ولا سبيل لهم إلى وجوده ، فصح أن الطُّول كان موجودا فى كل جزء على انفراده وكذلك العرض والعمق ، ثم لما اجتمعا زاد الطول والعرض والعمق ، وهكذا أبدًا وبالله تعالى التوفيق .

---

(١١) فى (أ) : (وعاقبة) .

وهذا هو الذى تشهد له الحواس والمشاهدة والعقل والحمد لله رب العالمين .

وبرهان آخر : وهو أن الجرم لو[١٢] كان أحمر فكل جزء من أجزائه أحمر بلا شك ، فإن قالوا ليس أحمر قلنا لهم فلعله أخضر أو أصفر أو غير ذى لون وهذا عين المحال ، لأن الكل قد بينا أنه ليس هو شيئًا غير أجزائه ، فلو كان لون أجزائه غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال . فإذ لا شك فيما ذكرنا فالجزء الذى يدعون أنه لا يتجزأ هو ذو لون بلا شك ، وإذ هو ذو لون فهو جسم لا يعقل غير ذلك فهو يتجزأ .

قال أبو محمد : وقالت الأشعرية هاهنا كلامًا طريفًا وهو أنهم قالوا : هو ذو لون واحد .

قال أبو محمد : كل ملون فهو ذو لون واحد لا ذو ألوان كثيرة ، إلا أن يكون أبلق أو موشًّى .

وبرهان آخر : أن وجود شيء فى العالم قائم بنفسه ليس جسمًا ولا عرضًا ولا قابلًا للتجزؤ ولا طول له ولا عرض ولا عمق فهو محال ممتنع إذ هذا المذكور ليس هو شيئًا غير البارى ، تعالى وجلَّ تعالى عن أن يكون له فى العالم شبيه ، وبهذا بان عز وجل عن مخلوقاته ، ولم يكن له كفوا أحد ، وليس كمثله شيء .

برهان آخر :

قال أبو محمد : كل شيء يحتمل أن يكون له أجزاء كثيرة فبالضرورة ندرى أنه يحتمل أن يجزأ إلى أقل منها ، هذا ما لا تختلف العقول والإحساس فيه ، كشيء احتمل أن يقسم على أربعة أقسام فلا شك أنه يحتمل أن ينقسم على ثلاثة وعلى اثنتين ، وهكذا فى كل عدد ، ومن دافع هذا فإنما يدافع الضرورة ويكابر العقل ، فلو أقمت خطًّا من ثلاثة أجزاء كل جزء منها لا يتجزأ على قولهم ، أو يَعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء كذلك ومن ألف جزء كذلك ، أو مما زاد فإنه لا يختلف أحد فى أن الخط الذى هو من ثلاثة أجزاء فإنه ينقسم أثلاثًا فى موضعين ، وأن الذى هو من أربعة أجزاء فإنه ينقسم أرباعًا فى ثلاثة مواضع ، وأن الذى من ألف جزء فإنه ينقسم أعشارًا أو بنصفين ، فإذ لا شك فى هذا فبيقين لا محيد عنه يدرى كلُّ ذى حس سليم ولو أنه عالم أو جاهل أن ما انقسم أثلاثًا فإنه ينقسم بنصفين مستويين ، وما انقسم أرباعًا فإنه ينقسم أثلاثا مستوية ، وأما ما كان من الخطوط له أعشار وأخماس ونصف وأثلاث وأسداس وأسباع متساوية ، فإذ لا شك فى هذا فإن القسمة لابدّ من أن تقع فى نصف جزء منها أو فى أقل من نصفه ، فصح

(١٢) فى (أ) : (إن) .

أن كل جسم فهو يتجزأ ضرورة وأن الجزء الذى لا يتجزأ باطل معدوم من العالم ، وهذا ما لا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق .

برهان آخر :

قال أبو محمد : بلا شك نعلم أن الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان أبدا ولو مُدًّا عمر العالم أبدا بلا نهاية وإذ لا شك فى[١٣] هذا فإنك إن مددت من الخط الأعلى إلى الخط المقابل له خطين مستقيمين متوازيين قام منهما مربع بلا شك فإذا أخرجت من زاوية ذلك المربع خطًا منحدًرا من هنالك إلى الخط الأسفل فإن تلك الخطوط المخرجة من الضلع الذى ذكرنا وتلك الخطوط المخرجة من الزاوية لا تمر مع الخط الأعلى أبدًا لأنها غير متوازية له وإذ ذلك كذلك فذلك الضلع منقسم أبدا لابد ما أخرجت الخطوط بلا نهاية .

برهان آخر :

قال أبو محمد : وبالضرورة نعلم أن كل مربع متساوى الأضلاع ، فإن الخط القاطع من الزاوية العليا إلى الزاوية السفلى التى لا يوازيها يقوم منه فى المربع مثلثان متساويان فإنه لا شك أطول من كل ضلع من أضلاع ذلك المربع على انفراده ، ونسألهم عن مائة جزء لا تتجزأ رتبت متلاصقة ، عشرة عشرة ، فبالضرورة نجد فيها ما ذكرنا فبيقين نعلم حينئذ أن كل جزء من الأجزاء المذكورة لولا أن له طولًا وعرضًا لما كان الخط المارُّ بها القاطع للمربع القائم منها على مثلثين متساويين أطول من الخط المارّ بكل جهة من جهات ذلك المربع على استواء وموازاة للخطوط الأربعة المحيطة بذلك المربع ، وهو أطول منه بلا شك .

فصح ضرورة أن لكل جزء منها طولًا وعرضًا ، وأن ما له طول وعرض فهو متجزىء بلا شك فصح أيضًا بما ذكرنا أن كل جزء مر عليه الخيط المذكور فقد انقسم .

برهان آخر : وأيضًا فإننا لو أقمنا خطًا من أجزاء لا تتجزأ على قولهم مستقيما ثم أدرناه حتى يلتقى طرفاه ويصير دائرة فبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم أن الخط إذا أدير حتى يلتقى طرفاه فإن ما قابل من أجزائه مركز الدائرة أضيق[١٤] مما قابل منها خارج الدائرة ، فإذ ذلك كذلك فهذا لازم فى هذا الخط المدار بلا شك ، إذ لا شك فى هذا فقد فضل من أحد طرفى الجزء الذى لا يتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزء من تلك الأجزاء بلا شك ، فصح ضرورة أنه منقسم محتمل للانقسام ولابد وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٣) فى (أ) : سقط (وإذ لا شك فى هذا) .
(١٤) فى (أ) : (أضعف) .

برهان آخر : نسألهم عن دائرة قطرها أحد عشر جزءًا ، لا يتجزأ كل واحد منها عندهم أو أى عدد شئت على الحساب ، فأردنا أن نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف فى أن هذا ممكن فبالضرورة ندرى أن الخط القاطع على قطر الدائرة من المحيط إلى ما قابله من المحيط مارًّا على مركزها لا يقع ألبتَّه إلا فى أنصاف تلك الأجزاء ، فصح ضرورة أنها تتجزأ ولو لم يمر ذلك الخط على أنصافها لما قسم الدائرة بنصفين وبالله تعالى التوفيق .

وبرهان آخر : وهو أن نسألهم عن الجزء الذى لا يتجزأ الذى يُحققونه إذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية ، هل له حجم زائد على سطحها أم لا حجم له زائد على سطحها ؟ فإن قالوا لا حجم له زائد على سطحها أعدموه ولم يجعلوا له مكانا ولا جعلوه متمكنًا أصلًا . ونسألهم عن جزأين جعلا كذلك فلابد من قولهم إن له حجمًا . فنسألهم عن ذلك الحجم ألهما معًا أم لأحدهما ؟ فأى ذلك قالوا أثبتوا ولابد الحجم لهما وللجزء الذى هو أحدهما ، وإذا كان للجزء الذى لا يتجزأ حجم زائد فالذى لا شك فيه أن له ظلا ولذا صح يقينا أن له ظلا فلا شك فى أن الظل يزيد وينقص ، ويمتد ويتقلص ويذهب جملة[١٥] إذا سامتته الشمس ، فإذ ذلك كذلك فبيقين ندرى أن ظله ينقص حتى يكون أقل من قدره وإذ ذلك كذلك فقد ظهر ووجب أن له تجزءا ومقدارًا متبعضًا .

وبرهان آخر : وهو أننا نسألهم عن جزء لا يتجزأ من الحديد أو من الذهب ، وجزء لا يتجزأ من خيط قطن هل ثقلهما ووزنهما سواء ، أم الذى من الذهب والحديد أثقل من الذى من القطن ؟ فإن قالوا ثقلهما ووزنهما سواء كابروا ولزمهم هذا فى ألف جزء كذلك من الذهب ، أنها ليست أثقل من ألف جزء من القطن مجتمعة كانت الأجزاء أو متفرقة ، وهذا جنون ومكابرة ، وإن قالوا بل الذى من الذهب أوزن وأثقل صدقوا وأوجبوا أن له تجزءا بتفاضل الوزن ضرورة ولابد .

قال أبو محمد : فهذه براهين ضرورية قاطعة بأن كل جزء فهو يتجزأ أبدًا بلا نهاية وأن جزءًا لا يتجزأ ليس فى العالم أصلًا ، ولا يمكن وجوده بل هو من المحال الممتنع وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : أما أبو الهذيل فخلط فى هذا الباب ، وحق لمن رام نصر الباطل أن يخلط فقال : إن الجزء الذى لا يتجزأ ذو حركة وسكون يتعاقبان عليه ، وأنه يشغل مكانًا لا يسع فيه معه غيره ، وأنه أقرب إلى السماء من مكانه الذى هو عليه من الأرض ، وهذا غاية التناقض إذ ما كان هكذا فله مساحة بلا شك ، وهو ذو وجهات ست فلمساحته[١٦] أجزاء من نصف وثلث وأقل وأكثر ، وما كان ذا جهات فالذى منه فى كل جهة غير الذى منه فى الجهة الأخرى

(١٥) فى (أ) : سقطت (جملة) .
(١٦) فى (أ) : (فللمساحة) .

بلا شك ، وما كان هكذا فهو جسم[١٧] محتمل للتجزؤ ، بلا شك وما عدا هذا فوسواس نعوذ بالله منه .

قال أبو محمد : اختلفوا[١٨] فى تخليطهم هذا اختلافًا طريفًا أيضًا ، فأجمعوا أنه إذا ضم جزء لا يتجزأ إلى جزء لا يتجزأ فصار اثنين فقد حدث لهما طول ، ثم اختلفوا متى يصير جسمًا له طول وعرض وعمق .

فقال بعضهم : إذا صار جزأين صار جسما وهو قول الأشعرية وقال بعضهم إذا صار له أربعة أجزاء وقال بعضهم بل إذا صار ستة أجزاء ، واتفقوا على أنه إذا صار ثمانية أجزاء فقد صار جسمًا له طويل وعرض وعمق ، وكل هذا تخليط ناهيك به ، وجهل شديد كان الأولى بأهله أن يتعلموا قبل أن يتكلموا بهذه الحماقات . برهان ذلك أنهم لم يختلفوا أنهم إذا صَفُّوا[١٩] أربعة أجزاء لا تتجزأ ، وتحتها أربعة أجزاء لا تتجزأ ، فإنه قد صار عندهم مجتمع[٢٠] من هذه الأجزاء جسمًا طويلًا عريضًا عميقًا .

قال أبو محمد : وهذا الذى طابت نفوسهم عليه وأنِسَت عقولهم إليه فى الثمانية ، وسهل على بعضهم دون بعض فى ثلاثة أجزاء تحتها ثلاثة أجزاء ، وفى جزءين تحتهما جزآن ، ومنعوا كلهم من ذلك فى جزء على جزء حاشا الأشعرية ، وأنه[٢١] بعينه موجود على أصولهم المخذولة وأقوالهم المرذولة فى جزء على جزء سواء سواء بعينه ، وذلك أن أربعة أجزاء على أربعة أجزاء فإنما الحاصل منها جزء على جزء فقط من كل جهة ، فإذا جعلوا للأربعة على الأربعة طولًا فإنما جعلوه فى جزء إلى جنب جزء وكذلك فعلوا فى العرض ، وكذلك فعلوا فى العمق ، فإذ هو كذلك والطول عندهم يوجد فى جزء إلى جنب جزء والعرض يوجد جنب الطول ، لأن العرض لا يكون أكثر من الطول أصلًا والعمق موجود فيهما أيضًا فظهر أيضًا لكل جزء منها طولًا وعرضًا وعمقًا ومكانًا وجهات ، ووجب ضرورة بهذا أنه يتجزأ ولاح جهلهم وخبطهم وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فإذ قد بطل قولهم فى الجزء الذى لا يتجزأ وفى كل ما أوجبوا أنه جوهر لا جسم ولا عرض ، فقد صح أن العالم كله حامل قائم بنفسه ، ومحمول لا يقوم بنفسه ولا يمكن وجود أحدها متخليًا ، فالمحمول هو العرض ، والحامل هو الجوهر ، وهو الجسم سمِّه كيف شئت ولا يمكن فى الوجود غيرهما ، وغير الخالق لهما تعالى وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٧) فى (أ) : سقط (جسم) .
(١٨) فى (أ) : سقط (اختلفوا) .
(١٩) فى (أ) : (سفوا) بالسين وهو تحريف .
(٢٠) فى (أ) : (الجميع) .
(٢١) فى (أ) : (فإنه) .

« الكلام فى أن العرض لا يبقى وقتين »

قال أبو محمد : وقال هؤلاء الجهال : إن العرض لا يبقى وقتين وأنه لا يحمل عرضًا .

قال أبو محمد : وقد كلمناهم فى هذا وتقرينًا كتبهم فما وجدنا لهم حجة فى هذا أصلًا ، أكثر من أن بعضهم قال لو بقى وقتين لشغل مكانًا .

قال أبو محمد : وهذه حجة فقيرة إلى حجة ، ودعوى كاذبة ، نصرتها دعوى كاذبة ولا عجب أكثر من هذا ، ثم لو صحت لهم للزمهم هذا بعينه فيما جوَّزوه من بقاء العرض وقتًا واحدًا ، ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقى العرض وقتًا واحدًا لشغل مكانًا ؟ ويبقين يَدرى كل ذى حس سليم أنه لا فرق فى اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد وبين بقاء وقتين فصاعدًا ، فإن أبطلوا بقاءه وقتا لزمهم أنه ليس باقيًا أصلا ، وإذا لم يكن باقيًا فليس موجودًا أصلا وإذا لم يكن موجودًا فهو معدوم ، فحصلوا من هذا التخليط على نفى الأعراض ومكابرة العيان .

ويقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات إذ لو بقى ثلاثة أوقات لشغل مكانًا ..؟ وكل هذا هوس وليس من أجل البقاء وجب اقتضاء الباق المكان ، لكن من أجل أنه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد .

وقد قال بعضهم إن الشىء فى حين خلق الله تعالى له ليس باقيًا ولا فانيًا ، وهذه دعوى فى الحمق كما سلف لهم ولا فرق ، وهى مع ذلك لا تُعقل ، ولا يَتمثل فى الوهم أن يكون فى الزمان أو فى العالم شئ موجود ليس باقيًا ولا فانيًا .

قال أبو محمد : ولا عجب أعجب من حماقة من قال إن بياض الثلج ، وسواد القار ، وخضرة البقل ، ليس شىء منها الذى كان آنفا بل يفنى فى كل حين ويستعيض ألف ألف بياض وأكثر ، وألف ألف خضرة وأكثر ، هذه دعوى عارية من الدليل إلا أنها جمعت السخف مع المكابرة .

قال أبو محمد : والصحيح من هذا هو ما قلناه ونقوله ، من أن الأعراض تنقسم أقساما فمنها ما لا يزول ولا يُتوهم زواله إلا بفساد ما هو فيه لو أمكن ذلك كالصورة الكلية ، أو كالطول والعرض والعمق . ومنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله إلا بفساد حامله كالإسكار فى الخمر ونحو ذلك فإنها إن لم تكن مسكرة لم تكن خمرا وهكذا كل صفة تجد[1] بها ما هى عليه ، ومنها ما لا يزول إلا بفساد حامله ، إلا أنه لو توهم زائلا لم يفسد حامله كزرق الأزرق وفطس الأفطس فلو زالا لبقى الإنسان إنسانا بحسبه ، ومنها ما يبقى مُددًا طوالًا وقصارًا وربما زايل ما هو فيه كسواد الشعر وبعض الطعوم والخشونة والأملاس فى بعض الأشياء ، والطيب والنتن فى بعضها والسكون والعلم ، وكبعض الألوان التى تستحيل ، ومنها ما يسرع [إليه] الزوال كحمرة الخجل ، وكمدة الهم ، وليس من الأعراض شىء يفنى بسرعة حتى لا يمكن أن يضبط مدة بقائه إلا الحركة فقط ، على أنها بضرورة العقل والحس ندرى أن حركة الجزء من الفلك التى تقطع الفلك بنصفين من مشرق إلى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذى حوالى القطبين ، لأن كل هذين الجزءين يرجع إلى مكانه الذى بدأ منه فى أربعة وعشرين ساعة ، وبين دائريهما فى الكبر ما لا يكون مساحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه فى العالم ، وبيقين ندرى أن حركة المذعورة فى طيرانها أسرع من حركة السلحفاة فى مشيها ، وأن حركة الماء المنساب فى الحدود أسرع من حركة الماء الجارى فى ميل النهر ، وأن حركة المحصَر[2] فى الجرى أسرع من حركة الماشى .

فصح يقينا أن فى خلال ذلك الحركات أيضًا بقاء إقامة تتفاضل فى مدته لأن الحركات كلها إنما هى نُقلة من مكان إلى مكان فللمتحرك مقابله ، ولابد لكل جرم مر عليه ، ففى تلك المقابلات يكون التفاضل فى السرعة أو فى البطء ، إلا أنه لا تحس أجزاؤه ولا تضبط دقائقه إلا بالعقل فقط الذى به تعرف زيادة الظل والشمس ، ولا يدرك ذلك بالحس ، إلا إذا اجتمعت فيه جملة مًا فإنه يعرف حينئذ بحس البصر كما لا يدرك بالحواس نماء النامى إلا إذا اجتمعت منه جملة مًا ، وكما يعرف بالعقل لا بالحس أن لكل خردلة جزءًا من الأثقال ، ولا[3] تحس إلا إذا اجتمعت منه جملة مًا ، وكذلك الشبع والرى وكثير من أعراض العالم فتبارك خالق كل[4] ذلك هو الله أحسن الخالقين .

وأما قولهم : إن العرض لا يحمل العرض فكلام فاسد مخالف للشريعة وللطبيعة وللعقل

---

(١) فى (أ) : (يجدها) .
(٢) فى (أ) : (العصر) .
(٣) فى (أ) : (فلا) .
(٤) فى (أ) : سقطت (كل) .

وللحواس ، ولإجماع جميع ولد آدم لأننا لا نختلف فى أن نقول حركة سريعة ، وحركة بطيئة ، وحمرة مشرقة ، وخضرة أشد من خضرة ، وخلق حسن وخلق سيء ، وقال تعالى : « إن كيدكن عظيم[٥] » وقال تعالى : « فصبر جميل[٦] » .

وحسبك فسادًا بقول أدى إلى هذا ، ومن أحال على العيان والحس والمعقول ، وكلام الله تعالى فقد فاز مدحه[٧] وخسرت صفقة من خالفه .

قال أبو محمد : ولسنا نقول إن كل عرض يحمل عرضًا إلى ما لا نهاية له ، بل هذا باطل لكن كما وجد وكما خلق البارى تعالى ما خلق ولا مزيد وما عدا هذا فرقة دين ، وضعف عقل ، وقلة حياء ، ونعوذ بالله من هذه الثلاث وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(٥) يوسف : ٢٨ وقد جاءت محرفة فى (أ) .
(٦) يوسف : ١٨
(٧) فى (أ) : (قدحه) وهو تحريف .

« الكلام فى المعارف »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى المعارف فقال قائلون : المعارف كلها باضطرار إليها ، وقال آخرون المعارف كلها باكتساب لها ، وقال آخرون بعضها باكتساب وبعضها باضطرار .

قال أبو محمد : والصحيح فى هذا الباب أن الإنسان يخرج إلى الدنيا غفلًا[1] لا معرفة له بشىء كما قال عز وجل : « أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا[2]» .

قال أبو محمد : فحركاته كلها طبيعية كأخذه الثدى حين ولادته ، وتصرفه تصرف البهائم على حسب[3] تألمها وطربها ، حتى إذا كبر وعقل وتقوت نفسه الناطقة ، وأنست بما صارت فيه وسكنت إليه ، وبدأت رطوباته تجف بدأت بتمييز الأمور فى الدار التى صارت فيها فيحدث الله تعالى لها قوة على التفكير ، واستعمال الحواس فى الاستدلال ، وأحدث الله تعالى لها الفهم بمّا تشاهد وما تخبر به فطريقه إلى بعض المعارف اكتساب فى أول توصله إليها لأنه بأول فهمه ومعرفته عرف أن الكل أكثر من الجزء ، وأن جسمًا واحدًا لا يكون فى مكانين ، وأنه لا يكون قاعدًا قائمًا معا ، وهو إن لم يحسن العبارة عن ذلك فإن أحواله كلها تقتضى تيقنه لكل ما ذكرنا وعرف أولًا صحة ما أدرك بحواسه ، ثم أنتجت له بعد ذلك سائر المعارف بمقدمات راجعة إلى ما ذكرنا من قرب أو من بعد ، فكل ما ثبت عندنا ببرهان وإن كان بعيد الرجوع إلى ما ذكرنا فمعرفة النفس به اضطرارية لأنه لو رام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنده هذا الثبات لم يقدر ، فإذ هذا لا شك فيه فالمعارف كلها باضطرار ، إذ ما لم يعرف بيقين فإنما عرف بظن ، وما عرف ظنا فليس علما ولا معرفة ، هذا ما لا شك فيه إلا أن يتطرق إلى طلب البرهان بطلب

---

(١) فى (أ) (ليس عاقلا) .
(٢) النحل : ٧٨
(٣) فى (أ) : (على حسبها) .

هذا الطلب هو الاستدلال ولو شاء ألّا يستدل لقدر على ذلك ، فهذا الطلب وحده هو الاكتساب فقط ، وأما ما كان مدركا بأول العقل وبالحواس فليس عليه استدلال أصلًا ، بل من قبل هذه الجهات يبتدىء كل أحد بالاستدلال وبالرد إلى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل ، وحدّ العلم بالشيء هو المعرفة به أن نقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد ، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه ، ويكون ذلك إما بشهادة الحواس وأول العقل وإما ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواس وأول العقل ، وإما باتفاق وقع له فى مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض الله عز وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال .

وأما علم الله تعالى فليس محدودًا أصلًا ، ولا يجمعه مع علم الخلق حدٌّ ولا جِنْس[٤] ولا شيء أصلا ، وذهب الأشعرية إلى أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حدٌّ واحد .

قال أبو محمد : وهذا خطأ فاحش إذ من الباطل أن يقع ما لم يزل (مع ما لم يكن تحت حدٌّ ، وما لم يزل فلا نهاية له وما لا نهاية له فلا حدّ له لأن الحدّ هو حصر النهايات[٥]) وعلم الله تعالى ليس هو غير الله تعالى على ما بيَّنا قبلُ وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : قالت طوائف منهم الأشعرية وغيرهم ، إن من اتفق له اعتقاد شيء على ما هو به عَن غير دليل لكن بتقليد أو بميل بإرادته فليس عالما به ولا عارفا به ، ولكنه معتقد له . وقالوا كل علم ومعرفة اعتقادٌ ، وليس كلّ اعتقادٍ علمًا ولا معرفةً ، لأن العلم والمعرفة بالشيء إنما يعبر بهما عن تيقن صحته ، قالوا : وتيقن الصحة لا يكون إلا ببرهان . قالوا وما كان بخلاف ذلك فإنما هو ظن ودعوى لا يقين بها إذ لو جاز أن يصدق قول بلا دليل لما كان قول أولى من قول ، ولكانت الأقوال كلها صحيحة على تضادها ، ولو كان ذلك لبطلت الأقوال ولبطلت الحقائق كلها ، لأن كل قول يبطل كل قول سواه ، فلو صحت الأقوال كلها لبطلت كلُّها لأنه[٦] كان يكون كلّ قول صادقا فى إبطاله ما عداه .

قال أبو محمد : فنقول وبالله تعالى التوفيق : إن التسمية والحكم ليس إلينا وإنما هما إلى خالق اللغات ، وخالق الناطقين بها ، وخالق الأشياء ومرتبها كما شاء لا إله إلا هو قال عز وجل منكرًا على من سمى من قبل نفسه : « إن هى إلا اسماء سميتموها أنتم واباءكم ما أنزل الله بها من سلطان[٧]» .

---

(٤) فى (أ) : (ولا حس) .
(٥) فى (أ) : سقط الكلام الذى بين القوسين .
(٦) فى (أ) : بزيادة (لو) .
(٧) النجم : ٢٣

فوجداه عز وجل يقول فى غير موضع من القرآن : « يا أيها الذين آمنوا » وقال تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا[٨] » وقال تعالى : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين[٩] » .

فخاطب الله تعالى بهذه النصوص وبغيرها ، وكذلك رسول الله ﷺ كلّ مؤمن فى العالم إلى يوم القيامة ، وبيقن ندرى أنه كان فى المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعده عصرا عصرا إلى يوم القيامة المستدل وهم الأقل ، وغير المستدل ، كمن أسلم من الزنج ومن الروم ، والفرس والإماء وضعفه النساء ، والرعاةِ ومن نشأ على الإسلام بتعليم أبيه أو سيدة إياه ، وهم الأكثر والجمهور فسماهم عز وجل مؤمنين وحكم لهم بحكم الإسلام ، وهذا كله معروف بالمشاهدة والضرورة وقال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم[١٠] » .

فنهى الله عز وجل كل أحد عن أن يقول ما ليس له به علم ، وقال تعالى : « آمنوا بالله ورسوله[١١] » .

وقال رسول الله ﷺ : « أمرت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأَنِّى رَسُولُ الله ، وَيُؤْمِنُوا بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ » .

فصح يقينا أنهم كلهم مأمورون بالقول بجميع ما جاء به النبى ﷺ ، وأن كل من صدَّ عنه فهو كافر حلالٌ دمه وماله ، فلو لم يؤمن بالقول بالإيمان إلا مَن عرفه من طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنا منهيا عن اتباع الرسول ﷺ ، وعن القول بتصديقه لأنه عند هؤلاء القوم ليسوا عالمين بذلك ، وهذا خلاف القرآن وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة المتيقن .

أما القرآن والسنة فقد ذكرناهما ، وأما إجماع الأمة فمن الباطل المتيقن أن يكون الاستدلال فرضًا لا يصح أن يكون أحد مسلمًا إلا به ، ثم يغفل الله عز وجل أن يقول : لا تقبلوا من أحدٍ أنه مسلم حتى يستدل أتراه نسى تعالى ذلك أو تعمد عزّ وجل ترك ذكر ذلك إضلالًا لعباده ..؟؟؟

ويترك ذلك رسول الله ﷺ إما عمدًا أو قصدًا إلى الضلال والإضلال ، أو نسيانًا لما اهتدى له هؤلاء وتنبهوا إليه وهم من هم بلادة وجهلًا وسقوطًا ، هذا لا يظنه إلا كافر ولا يحققه

---

(٨) الحجرات : ٩

(٩) التوبة : ١١

(١٠) الإسراء : ٣٦ وهذه الآية لم تذكر فى (أ) كما سقط كل ما بين القوسين .

(١١) النساء : ١٣٦

إلا مشرك ، فما قال قط رسول الله ﷺ لأهل قرية أو حلة أو حى ولا لراع ولا لراعية ولا للزنج ولا للنساء لا أقبل إسلامكم حتى أعلم المستدل من غيره .

فإذا لم يقل عليه السلام ذلك فالقول به واعتقاده إفك وضلال ، وكذلك أجمع جميع الصحابة رضى الله عنهم على الدعاء إلى الإسلام وقبوله من كل أحد دون ذكر استدلال ، ثم هكذا جيلًا فجيلًا حتى حدّث من لا وزن له[١٢].

فإن قالوا قد قال الله عز وجل : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[١٣]. قلنا نعم هذا حق ، وإنما قاله الله عز وجل لمن خالف الحق الذى أمر عز وجل الجن والإنس باتباعه .

وهكذا القول أن كل من قال قولا خالف فيه ما أمر الله عز وجل باتباعه ، فسواء استدل بزعمه أو لم يستدل هذا مبطل غير معذور إلا من عذره الله عز وجل فيما عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين بخطأ قاصدٍ إلى الحق فقط ما لم يقم عليه حجة فيعاند وأما من اتبع الحق فما كلفه الله عز وجل قطُّ برهانا .

والبرهان قد ثبت بصحة كل ما أمر الله تعالى به ، فسواء علمه فتبع الرسول ﷺ أو لم يعلمه حسبه أنه عالم بالحق معتقد له ، موقن به ، وإن جهل برهانه الذى قد علمه غيره ، وهذا خَلَقَ الله عز وجل الإيمان والعلم فى نفسه كما خلقه فى نفس المستدل ولا فرق ، قال الله عز وجل : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا[١٤]» .

فسماهم داخلين فى دينه وإن كانوا أفواجا ، وما شرط الله عزّ وجل قط ولا رسوله ﷺ أن يكون ذلك باستدلال ، بل هذا شرط من شرط ذلك ممن قذفه إبليس فى قلبه وعلى لسانه ، ليخرجه إلى تكفير الأمة ، ولا عجب أعجب من إصفاق هذه الطائفة الضالة المخذولة على أنه لا يصح لأحد إيمان حتى يستدل على ذلك ، ولا يصح لأحد استدلال إلا حتى يكون شاكًا فى نبوة محمد ﷺ غير مصدق بها ، فإذا كان ذلك كذلك صح له الاستدلال ، وإلا فليس مؤمنا فهل سمع بأحمق أو أدخل فى الحمق والكفر من قول من قال لا يؤمن أحد إلا حتى يكفر بالله تعالى وبالرسول ﷺ ، وأن من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك ، نبرأ إلى الله تعالى من كل من قال بهذا .

قال أبو محمد : فهذان طريقان لا ثالث لهما ، وكل طريق منهما تنقسم قسمين أحدهما من

---

(١٢) فى (أ) : (من لا قدر له) .
(١٣) البقرة : ١١١
(١٤) سورة النصر : ١ ، ٢

اتبع الذى أمره الله تعالى باتباعه وهو رسول الله ﷺ فهذا مؤمن عالم حقًا ، سواء استدل أو لم يستدل ، لأنه فعل ما أمر الله تعالى به ، ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما من لم يتبع قط غيره عليه السلام ووافق الحق بتوفيق الله عز وجل .

فهذا له فى كل عقد اعتقده أجران ، وإما أن يكون حُرِم موافقة الحق وهو يريد[١٥] فى أمره ذلك اتباع رسول الله ﷺ فهذا معذور ومأجور أجرًا واحدًا ، ما لم تقم عليه الحجة فيعاندها وهذا نص قوله عليه السلام فى الحاكم المجتهد والمخطىء .

والطريقة الثانية من اتبع غير الذى أمره الله باتباعه ، فهذا سواء استدل أو لم يستدل هو مخطىء ظالم عاصٍ لله تعالى أو كافر على حسب ما جاءت به الديانة فى أمره ، ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ما جاء به رسول الله ﷺ وهو غير قاصد إلى اتباعه عليه السلام فيه والآخر لم يصبه ، وكلاهما لا خير فيه وكلاهما آثم غير مأجور ، وكلاهما عَاص لله عز وجل أو كافر على حسب ما جاءت به الديانة فى أموره ، لأنهما جميعًا تعديا حدود الله عزَّ وجل فيما أمرهم به من اتّباع رسول الله ﷺ وقال تعالى : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه[١٦]» .

ولا ينتفع بإصابته الحق إذ لم يصبه من الطريق التى لم يجعل الله تعالى له طلب الحق وأخذه إلا من قبلها . وقد علمنا أن اليهود والنصارى يوافقون الحق فى كثير كإقرارهم بنبوة موسى عليه السلام ، وكتوحيد بعضهم لله تعالى ، فما انتفعوا بذلك إذْ لم يعتقدوه اتباعا لرسول الله ﷺ ، وكذلك من قلد فقيها فاضلا دون رسول الله ﷺ وكان عقده أنه لا يتبع رسول الله ﷺ إلا إن وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق بلا شك ، وإن فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك ، إن اعتقده بقلبه أو نطق به بلسانه لمخالفته قول الله تبارك وتعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما[١٧]» .

فنفى الله عز وجل عن أهل هذه الصفة الإيمان ، وأقسم على ذلك ونحن ننفى ما نفى الله عز وجل عمن نفاه عنه ، ونقسم على ذلك ونُوقنُ أننا على الحق فى ذلك ، وأما من قلد فقيها فاضلًا وقال إنما أتبعه لأنه اتَّبع رسول الله ﷺ فهذا مخطىء للطريق ، لأنه فعل من ذلك ما لم يأمره الله تعالى به ، ولا يكفر لأنه قاصد إلى اتباع رسول الله ﷺ مخطىء للطريق فى ذلك ، ولعله مأجور بنيته أجرًا واحدا ما لم تقُم الحجة عليه بخطأ فعله فإن ذكروا قول رسول الله ﷺ فى حديث فتنة القبر .

---

(١٥) فى (أ) : (مريد) .
(١٦) الطلاق : ١
(١٧) النساء : ٦٥

« وأما المنافق أو المرتاب فإنه يقال له ما قولك فى هذا الرجل يعنى رسول الله ﷺ فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته » .

قال أبو محمد : هذا حق على ظاهره ، كما أخبر رسول الله ﷺ أنه لا يقول هذا إلا المنافق أو المرتاب ، لا المؤمن الموقن ، بل المؤمن الموقن ذكر فى هذا الحديث أنه يقول : هو عبد الله ورسوله أتانا بالهدى والنور ، أو كلامًا هذا معناه ، فإنما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لا عن مستدل وغير مستدل ، وكذلك نقول إن من قال فى نفسه أو بلسانه لولا أنى نشأت بين المسلمين لم أكن مسلمًا وإنما اتبعت من نشأت بينهم ، فهذا ليس مؤمنًا ولا موقنًا ، ولا متبعًا لمن أمره الله باتباعه ، بل هو كافر .

قال أبو محمد : وإذا كان قد يستدل دَهره كله من لا يوفقه الله تعالى للحق ، وقد يوفق من لا يستدل يقينًا لو علم أن أباه أو أمه أو ابنه أو امرأته وأهل الأرض يخالفونه فيه لاستحل دماءهم كلهم ، ولو خير بين أن يلقى فى النار وبين أن يفارق الإسلام لاختار أن يحرق بالنار ، على أن يقول مثل هذا ، قلنا فإذا هذا موجود فقد صح أن الاستدلال لا معنى له ، وإنما المدار على اليقين والعقد ، فقط وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وإنما يضطر إلى الاستدلال من نازعته نفسه إليه ، ولم يسكن قلبه إلى اعتقاده ما لم يعرف برهانه ، فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقى نفسه نارًا وقودها الناس والحجارة ، فإن مات شاكًا قبل أن يصح عنده البرهان مات كافرًا مخلدًا فى النار أبدًا .

قال أبو محمد : ثم نرجع إلى ما كنا فيه هل المعارف باضطرار أم باكتساب ..؟ فنقول وبالله تعالى التوفيق : إن المعلومات قسم واحد وهو ما عقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق فى ذاته قد قام البرهان على صحته ، والثانى لم يقم على صحته برهان . وأما ما لم يتيقن المرء صحته فى ذاته فليس عالما به ولا له به علم ، وإنما هو ظان له وأما كلُّ ما علمه المرء[18] ببرهان صحيح فهو مضطر إلى علمه به لأنه لا مجال للشك فيه عنده ، وهذه صفة الضرورة . وأما الاختيار فهو الذى إن شاء المرء فعله وإن شاء تركه .

قال أبو محمد : فعلمنا بحدوث العالم وأن له بكل ما فيه خالقًا واحدًا لم يزل يشبهه شىء من خلقه فى شىء من الأشياء ، والعلم بصحة نبوة محمد ﷺ وصحة كل مما أتى به ما نقله إلينا الصحابة رضى الله عنهم ، ونقله عنهم الكواف كافة بعد كافة ، حتى بلغ [الأمر إلينا وكان نقله

---

(١٨) فى (أ) : سقطت كلمة (المرء) .

تواترا حتى بلغ إلينا[١٩]] ونقله المتفق على عدالته عن مثله ، وهكذا حتى بلغ إلى رسول الله ﷺ ، فهو كله علم حق متيقن مقطوع على صحته عند الله تعالى ، لأن الأخذ بالظن فى شيء من الدّين لا يحلّ قال تعالى : « إن الظن لا يغنى من الحق شيئا[٢٠] » .

وقال رسول الله ﷺ « إيَّاكُمْ والظَّنَّ فإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث[٢١] » .

وقال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٢٢] » .

فصح أن الدين محفوظ لما ضمن الله عز وجل حفظه ، فنحن على يقين من أنه لا يجوز أن يكون فيه شك ، وقد أمر الله تعالى بقبول خبر الواحد العدل ، ومن المحال أن يأمر عز وجل بأن نقول عليه ما لم يقل وهو قد حرَّم ذلك ، أو أن نقول عليه ما لا نعلم لأنه تعالى قد حرَّم ذلك بقوله : « وأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله ما لا تَعْلَمُون[٢٣] » .

فكل ما أمرنا الله عز وجل بالقول به فنحن على يقين من أنه من الدّين وأن الله تعالى قد حماه من كل دَخيل ، وكذلك أخذنا بالزائِد من الاثنين المتعارضين ، ومن الخبرين الثابتين المتعارضين ، وقد علمنا صحة الحق فى فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن .

ولا عجب أعجب ممن يقول إن خبر الواحد لا يوجب العلم ، وإنما هو غالب ظن ثم نقطع به ونقول إنه قد دخلت فى الدين دواخل لا تتميز من الحق ، وأنه لا سبيل إلى تمييز ما أمر الله تعالى به فى الدين مما شرعه الكذابون ، هذا أمر نعوذ بالله منه ومن الرضًا به .

قال أبو محمد : وأما ما أجمعت[٢٤] عليه الجماعات العظيمة من آرائهم مما لم يأت به نص عن الله عز وجل ولا عن رسوله ﷺ فهو باطل عند الله بيقين ، لأنه شرع فى الدين ما لم يأذن به الله تعالى وقال على الله تعالى ما لم يقله .

وبرهان ذلك : أنه قد يعارض ذلك قول آخر قالته جمَاعات مثل هذه ، والحق لا يعارض والبرهان لا يناقضه برهان آخر ، وقد تقصَّينا هذا فى كتابنا « المرسوم بكتاب الإحكمام فى أصول الأحكام » فأغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فكل من كان من أهل الملل المخالفة فبلغته معجزات النبى ﷺ وقامت

(١٩) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٢٠) يونس : ٣٦
(٢١) سبق تخريجه ص ١١ .
(٢٢) الحجر : ٩
(٢٣) البقرة : ١٦٩
(٢٤) فى (أ) : (اجتمعت) .

عليه البراهين فى التوحيد فهو مضطر إلى الإقرار بالله تعالى وبنبوة محمد ﷺ ، وكذلك كل من قام على شيء مّا ، أى شيء كان عنده برهان ضرورى صحيح وفهمه فهو مضطر إلى التصديق به سواء كان من الملل أو من النحل أو من الفتيا[٢٥] أو غير ذلك ، وإنما أنكر الحق فى ذلك أحد ثلاثة : إما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنه بطلب معاشه ، أو بالتزيد فى مال أو جاه أو صوت أو لذة ، أو عمل يظنه صلاحًا أو كسلًا[٢٦] أو إيثارًا للشغل مما يتبين له من ذلك عجزًا ، وضعف عقل وقلّة تمييز ، لفضل الإقرار بالحق أو مُسَوِّف نفسه بالنظر ، كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهدهم فى كل مكان وكل زمان ، وإما مقلد لأسلافه أو لمن نشأ بينهم قد شغله حسن الظن بمن قلد أو استحسانه لما قلد فيه ، وغمر الهوى عقله عن التفكير فيما فهم من البرهان ، قد حال ما ذكرنا بينه وبين الرجوع إلى الحق وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكر فيما بُيِّن له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو إذا سمع برهانًا ظاهرًا لا مدفع فيه عنده ظنه من الشيطان وغالب نفسه حتى يعرض عنه ، وقالته له نفسه لابُدّ أن هاهنا برهانًا يبطل به هذا البرهان الذى أسمع ، وإن كنت أنا لا أدريه وهل خفى هذا على جميع أهل ملتى وأهل نحلتى أو مذهبى أو على فلان وعلى فلان وفلان وفلان ولابد أنه قد كان عندهم ما يبطلون به هذا .

قال أبو محمد : وهذا عام فى أكثر من يظن أنه عالم ، وفى كل ملة وكل نحلة وكل مذهب وليس واحد من هاتين الطائفتين إلا والحجة قد لزمته وبهرته ، ولكنه غلب وساوس نفسه وحماقاتها على الحقائق اللائِحة له ونصر ظنه الفاسد على يقين قلبه الثابت ، وتلاعب الشيطان به وسخر منه فأوهمه لشهوته لما هو فيه أن هاهنا دليلًا يبطل به هذا البرهان وأنه لو كان فلان حيًّا أو حاضرًا لأبطل هذا البرهان .

وهذا أعظم ما يكون من السخافة لأنه تصديق[٢٧] لما لا يدرى ولا سمع به وتكذيب لما صح عنده ، وظهر إليه ونعوذ بالله من الخذلان .

والثالث منكر بلسانه ما قد تيقن صحته بقلبه إما استدامة لرياسة استدرار مكسبٍ أو طعما فى أحدهما ، مما لعله يتم له أو لا يتم ، ولو تم له لكان خاسرًا الصفقة فى ذلك ، أو آثر غُرُورا ذاهبا عن قريب على فوز الأبد ، أو يفعل ذلك خوف أذَىَ أو عصبية لمن خالف ما قد قام البرهان عنده أو عداوة لقائِل ذلك القول الذى قام به عنده البرهان . وهذا كلّه موجود فى جمهور الناس من

---

(٢٥) فى (أ) : سقط (أو من الفتيا)
(٢٦) فى (أ) : سقطت (كسلا) .
(٢٧) فى (أ) : سقط (لأنه تصديق) .

أهل كلِّ ملة وكل نحلة ، وأهل كلِّ رأى بل هو الغالب عليهم وهذا أمر يجدونه فى[٢٨] أنفسهم فهم يغالبونها .

قال أبو محمد : ويقال لمن قال ممن ينتمى إلى الإسلام إن المعارف ليست باضطرار وأن الكفار ليسوا مضطرين إلى معرفة الحق فى الربوبيه والنبوة ، أخبرونا عن معجزات الأنبياء عليهم السلام ، هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها ، وحسمت عللها وفصّلت بين الحق والباطل فَصْلًا تامًا أم لا ؟.

فإن قالوا : نعم أقروا بأن كلِّ من شاهدها مضطر إلى المعرفة بأنها من عند الله تعالى حقٌّ شاهدٌ يُصدِّق من أتى بها ، ورجعوا إلى الحق الذى هو قولنا ولله الحمد .

وإن قالوا : لا . بل الشك باق فيها ويمكن أن تكون غير شاهد بأنهم محقون ، قطع بأن الأنبياء عليهم السلام لم يأتوا ببرهان ، وأن الشك فى أمرهم ، وأن حجة الله تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمتهم قط له تعالى حجة ، وأن الأنبياء عليهم السلام إنما أتوا بشىء ربما قام فى الظن أنّه حق وربما لم يقم . وهذا كفر مجرد من كل[٢٩] من دان به أو قاله .

وهكذا نسألهم فى البراهين العقلية على إثبات[٣٠] التوحيد وفى الكواف الناقلة أعلام الأنبياء عليهم السلام ، حتى يقروا بالحق بأن حجج الله تعالى بكل ما ظهرت وبهرت ، واضطرت الكفار كلهم إلى تصديقها والمعرفة بأنها حق ، أو يقولوا إنه لم تقم لله حجة على أحد ولا تبين قط لأحد تعين صحة نبوة محمد ﷺ ، وإنما نحن فى الإقرار بذلك على ظن إلا أنه من الظنون أقوى وقد يمكن أن يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لا خفاء به ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : ومن أنكر أن يكون الكفار وكل مبطل مضطرين إلى تصديق كل ما قام به برهان بعد بلوغه إليهم ، وقال إنما اضطر المرء إلى معرفته فلا سبيل له إلى إنكاره أريناه كذب قوله فى تكوين الأرض والأفلاك ، ومدار الشمس والقمر والنجوم ، وتناهى مسافة كل ذلك وأكثر الناس على إنكار هذا أو دفعه الحق فى ذلك ، وكذلك من دان بالقياس أو الرأى أو دليل الخطاب ، وسمع البراهين فى إبطالها فهو مضطر إلى معرفة بطلان ما هو عليه ، مكابر لعقله فى ذلك ، مغالط لنفسه ، مغالب ليقينه ، مغلب لظنونه .

---

(٢٨) فى (أ) : (من) .
(٢٩) سقطت (كل) فى (أ) .
(٣٠) فى (أ) : آيات .

قال أبو محمد : وعلم الملائكة عليهم السلام ، وعلم النبيين عليهم السلام بصحة ما جاءتهم به الملائِكة ، وأوحى إليهم به ورأوه فى منامهم علم ضرورى كسائِر ما أدركوه بحواسهم وأوائل عقولهم ، وكعلمهم بأن أربعة أكثر من اثنين ، وأن النار حارة ، والبقل أخضر وصوت الرعد ، وحلاوة العسل ، ولبن[٣١] الحليب ، وخشونة القنفذ ، وغير ذلك .

ولو لم يكن الأمر كذلك لكان الملائكة والنبيون شكاكًا فى أمرهم ، وهذا كفر ممن أجازه إلا أن الملائِكة لا علم لهم بشىء إلا هكذا ، ولا ظن لهم أصلاً لأنهم لا يخطئون ، ولا ركبوا من طبائِع متخالفة كما ركب الإنسان . فإن قال قائل فإذًا العلم كلّه باضطرار ، والاضطرار فعل الله تعالى فى النفوس ، فكيف يؤجر الإنسان أو يعذب على فعل الله تعالى فيه ؟ قلنا : نعم . لا شىء فى العالم إلا خلق الله تعالى .

وقد صح البرهان بذلك على ماأوردنا فى كلامنا فى خلق الأفعال فى ديواننا هذا والحمد لله وما جاء قط نص ولا برهان عقل بالمنع من أن يعذبنا الله تعالى ويأجرنا على ما خلق فينا ، والله تعالى يفعل ما يشاء لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .

قال أبو محمد : وكيف ينكر أهل الغفلة أن يكون قوم يخالفون ما هم إلى المعرفة به مضطرون وهم يشاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقائق جملة ، وكما يعتقد النصارى وهم أمم لا يحصى عددهم إلا خالقهم ورازقهم ومضلهم ، لا إله إلا هو ، وفيهم علماء بعلوم كثيرة وملوك لهم التدابير الصائبة والسياسات المعجبة ، والآراء المحكمة والفطنة فى دقائق الأمور ، وبصر بغوامضها وهم مع ذلك يقولون إن واحدا ثلاثة وثلاثة واحد ، وإن أحد الثلاثة أب ، والثانى ابن ، والثالث روح ، وأن الأب هو الإبن وليس هو الابن والإنسان هو الإله وهو غير الإله ، وأن المسيح إلاه تام وإنسان تام وهو هو[٣٢] لا غيره ، وأن الأول الذى لم يزل هو المحدث الذى لم يكن ولا هو هو .

قال أبو محمد : وليس فى الجنون أكثر من هذا ، واليعقوبية منهم وهم مئات ألوف يعتقدون أن البارى تعالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطام ، وصلب ونُجِرَ ومات وسقى الحنظل ، وبقى العالم ثلاثة أيام بلا مدبر ، وكأصحاب الحُلول وغالية الرافضة الذين يعتقدون فى رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبى العز أنه الله ، والإله عندهم قد يبول ويَسلح ، ويجوع فيأكل ، ويعطش فيشرب ، ويمرض فيسوقون إليه الطبيب ، ويقلع ضرسه إذا ضرب عليه ، ويتضرَّر إذا أصابه دُمّل ويُجَامع ويحتجم ، ويقتصد وإنه الله الذى لم يزل ولا يزال خالق هذا العالم كله ورازقه ومحصيه ومدبره ومدبر الافلاك المميت المحيى العالم بما فى الصدور ويصبرون فى حسب هذا الاعتقاد على السجون والمطابق وضرب السياط ، وقطع الأيدى والأرجل ، والقتل والصلب وهتك الحريم ، وفيهم قضاة وكتاب وتجار

(٣١) فى (أ) : (ونتن الحلتيت) .
(٣٢) فى (أ) : وهو غيره .

وهم اليوم ألوف الألوف ، وكما تدعى طوائف من اليهود وطوائف من المسلمين أن ربهم تعالى جسد فى صورة الإنسان ، لحم ودم يمشى ويقعد .

وكالأشعرية الذين يقولون إن هاهنا أحوالًا لا مخلوقة ولا غير مخلوقة ، ولا معلومة ولا مجهولة ولا حق ولا باطل ولا معروفة ولا مجهولة[٣٣]، وأن النار ليست حارة والثلج ليس باردًا .

وكما يقول بعض الفقهاء وأتباعهم أن رجلًا واحدًا يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحدة منهما أمه ، وهو ابنها بالولادة .

قال أبو محمد : أترى كل من ذكرنا لا تِشهد نفسه وحسه ولا يُقر عقله بأن كل هذا باطل ؟ بلى والذى خلقهم ولكن العوارض التى ذكرنا قبلُ سهلت عليهم هذا الاختلاط ، وكرهت عليهم الرجوع إلى الحق والإذعان له .

قال أبو محمد : وأما العناد فقد شاهدنا كل من رأيناه فى المناظرة فى الدين ، وفى المعاملات فى الدنيا ، أكثر من أن يحصى ممن يعلم الحق يقينا ويكابر على خلافه ، ونعوذ بالله من الخذلان ونسأله الهدى والعصمة .

قال أبو محمد : لا يُدرك الحقَّ من طريق البرهان إلا من صفا عقله ونفسه من الشواغل التى قدمنا ، ونظر من الأقوال كلها نظرًا واحدًا ، واستوت عنده جميع الأقوال ، ثم نظر فيها طالبًا لما شهدت بها البراهين الراجعة رجوعا صحيحا غير مموه ، لكن ضروريًا إلى مقدمات مأخوذة من أوائل العقل والحواس ، غير متسامح فى شىء من ذلك ، فهذا مضمون له بعون الله عز وجل الوقوف على الحقائق والخلاص من ظلمة الجهل ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما ما نقله اثنان فصاعدًا نوقن أنهما لم يجتمعا ولا تسارًا فأخبرا بخبر واحِد راجع إلى ما أدرك بالحواس من أى شىء كان ، فهو حق بلا شك ، مقطوع على عينه[٣٤] والنفس مضطرة إلى تصديقه ، وهذا حدُّ أقل الكافة وأولها من أى شىء[٣٥] كان ، فهو إذ لا يمكن ألبتة إيقاف اثنين فى توليد حديث واحد ، لا يختلفان فيه عن غير تواطؤ ، وأما إذا تواطأت الجماعة العظيمة فقد تجتمع على الكذب وقد شاهدنا جماعات يشكرون ولَاتهم وهم كاذبون إلا أن هذا لا يمكن أن يتفقوا على ظنّه أبدًا ، ومن أنكر ما تنقله الكافة لزمه أن لا يصدق أنه كان فى الدنيا أحد قبله لأنه لا يعرف كون الناس إلا بالخبر .

قال أبو محمد : وقد يضطر خبر الواحد فى بعض الأوقات إلى التصديق ، يعرف ذلك من تدبَّر أمور نفسه ، كمنذر بموت إنسان لدفنه ، وكرسالة من عند السلطان يأتى بها بريد ،

---

(٣٣) فى (أ) : سقطت (لا معروفة ولا مجهولة) .
(٣٤) فى (أ) : (على حينه) .
(٣٥) فى (أ) : سقط (من أى شىء كان فهو) .

وككتاب وارد من صديق بهدية وكمخبر يخبرك أن هذا ولد فلان ، وكمنذر لعرس عند فلان ، وكرسول من عند القاضى والحاكم ، وسائر ذلك من أخبار بأن هذا فلان بن فلان ، ومثل هذا كثير جدًا ، وهذا لا ينضبط بأكثر مما نسمع ، ومن راعى هذا المعنى لم يمض له يوم واحد قطعًا حتى نشاهد فى منزله وخارج منزله من خبر واحد ما نضطر إلى تصديقه ولابد كثيرًا جدًا .

وأما فى الشريعة فخبر الواحد الثقة موجب للعلم ، وبرهان تشريعى قد ذكرناه فى كتابنا فى الإحكام لأصول الأحكام ، وقد ادعى المخالفون أن ما اتفقت عليه أمتنا بآرائها فهى معصومة بخلاف سائر الأمم ، ولا برهان على هذا .

وقال النظام : إن خبر التواتر لا يضطر لأن كل واحدٍ منهم يجوز عليه الغلط والكذب ، وكذلك يجوز على جميعهم ، ومن المحال أن يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكذب ومن لا يجوز عليه الكذب ، ونظير ذلك بأعمى وأعمى وأعمى ، فلا يجوز أن يجتمع منهم مبصورن .

قال أبو محمد : وهذا تنظير فاسد ، لأن الأعمى ليس فيه شيء من صحة البصر ، وليس كذلك المخبرُون ، لأن كل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب فكذلك يجوز عليه الصدق ، ويقع منه ، وقد علم بضرورة العقل أن اثنين فصاعدًا إذا فرق بينهما لم يمكن ألبتة منهما ان يتفقا على توليد خبر كاذب يتفقان فى لفظه ومعناه .

فصح أنهما إذا أخبرا بخبر فاتفقا فيه أنهما أخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ، ومن أنكر هذا لزمه أن لا يصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ، ولا بالملوك السالفين ، ولا بالأنبياء وهذا خروج إلى الجنون بلا شك ، إلى مكابرة الحسّ ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل كيف اجزتم[٣٦] هاهنا إطلاق اسم الضرورة والاضطرار ، ومنعتم من ذلك فى أفعال الفاعلين عند ذكركم الاستطاعة ، وخلق الله تعالى أفعال العباد ، وكل ذلك عندكم خلق الله عز وجل فى عباده ؟

قلنا : إن الفرق بين الأمرين فى ذلك لائح ، وهو أن الفاعل متوهم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك ، وليس ممكنا منه اعتقاد خلاف ما تيقنه ، بأن يرفع عن نفسه تحقيق ما عرف أنه حق فلهذا أوقعنا هاهنا اسم الاضطرار ، ومنعنا من هنالك وبالله تعالى نتأيد .

---

(٣٦) فى (ح) : (أخبرتم) .

« الكلام على من قال بتكافؤ الأدلة »

قال أبو محمد : ذهب قوم إلى القول بتكافؤ الأدلة ، ومعنى هذا أنه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ، ولا تغليب مقالة على مقالة ، حتى يلوح الحق من الباطل ظاهرًا بيّنا لا إشكال فيه ، بل دلائل كل مقالة فهى مكافئة لدلائل سائر المقالات . وقالوا : كل ما ثبت بالجدل فإنه بالجدل ينقض .

وانقسم هؤلاء أقسامًا ثلاثة فيما أنتجه لهم هذا الأصل ؛ فطائفة قالت بتكافؤ الأدلة جملة فى كل ما اختلف فيه فلم تحقق البارى تعالى ولا أبطلته ، ولا أثبتت أزلية العالم ولا[1] حدوثه ولا أثبتت النبوة ولا أبطلتها ، وهكذا فى جميع الأديان والأهواء لم تثبت شيئًا من ذلك ولا أبطلته ، إلا أنهم قالوا : إننا نوقن أن الحق فى أحد هذه الأقوال بلا شك ، إلا أنه غير بين إلى أحد ألبتة ولا ظاهر ولا متميز أصلا .

قال أبو محمد : وكان إسماعيل بن يونس الأعور الطبيب اليهودى ، تدل أقواله ومناظراته دلالة صحيحة على أنه كان يذهب إلى هذا القول ، لاجتهاده فى نص هذه المقالة ، وإن كان غير مصرح بأنه يعتقدها .

وقالت طائفة أخرى بتكافؤ الأدلة فيما دون البارى عز وجل ، فأثبتت الخالق تعالى وقطعت بأنه حق خالق لكل ما دونه بيقين لا شك فيه ، ثم لم تُحقق النبوة ولا أبطلتها ، ولا حققت ملة[2] دون ملة ولا أبطلتها ، لكن قالت : إن فى هذه الأقوال قولا صحيحا بلا شك ، إلا أنه غير ظاهر إلى أحد ولا بيِّن ، ولا كلفه الله تعالى أحدًا ، وكان إسماعيل بن القداد الطبيب اليهودى يذهب إلى

---

(١) فى (أ) : سقطت (ولا أثبتت أزلية العالم ولا حدوثه) .
(٢) فى (أ) : (دين ملة) .

هذا القول يقينا ، وقد ناظرنا عليه مصرحا به وكان يقول إذا دعوناه إلى الإسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علله « الانتقال فى الملل تلاعب » .

قال أبو محمد : وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظر والرياسة فى العلم هذا القول ، إلا أننا لم يثبت ذلك عندنا عنهم .

وطائفة قالت بتكافؤ الأدلة فيما دون البارى عز وجل ودون النبوة فقطعت أن الله عز وجل حق ، وأنه خالق الخلق ، وأن النبوة حق ، وأن محمدا رسول الله عليه الصلاة والسلام حق ، ثم لم تُغَلِّب قولًا من أقوال أهل القبلة على قول ، بل قالوا إن منها قولًا هو الحق بلا شك ، إلا أنه غير بين إلى أحد ، ولا ظاهر . وأما الأقوال التى صاروا إليها فيما ثبتوا عليها منها فطائفة لزمت الحيرة ، وقالت لا ندرى ما نعتقد ، ولا يمكننا أخذ مقالة لم تصح عندنا دون غيرها ، فنكون مغالطين لأنفسنا مكابرين لعقولنا ، لكنا لا ننكر شيئا من ذلك ولا نثبته ، وجمهور هذه الطائفة مالت إلى اللذات وإمراح النفوس فى الشهوات كيف مالت إليه بطائعها .

وطائفة قالت على المرء فرض بموجب العقل ألا يكون سُدًى بل يلزمه ولابد أن يكون له دين يزجر به عن الظلم والقبائح ، وقالوا من لا دين له فهو غير مأمون(٣) فى هذا العالم على الإفساد وقتل النفوس غيلة وجهرا ، وأخذ الأموال خيانة وغصبا ، والتعدى على الفروج تحيلا وعلانية وفى هذا هلاك العالم بأسره ، وفساد البنية ، وانحلال النظام ، وبطلان العلوم ، والفضائل كلها التى تقتضى العلوم بلزومها ، وهذا هو الفساد الذى تُوجب العقول التحرر منه واجتنابه .

قالوا فمن لا دين له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع إلى قتله وإراحة العالم منه وتعجيل استكفاف ضرره لأنه كالأفعى والعقرب ، أو أضر منهما ثم انقسم هؤلاء قسمين .

فطائفة قالت : فإذا الأمر كذلك فالواجب على الإنسان لزوم الدين الذى نشأ عليه أو ولد عليه ، لأنه هو الدين الذى تخيره الله له فى مبدأ خلقه ، ومبدأ نشأته بيقين ، وهو الذى أثبته الله عليه فلا يحل له الخروج عن ما رتبه الله تعالى فيه وابتدأه عليه ، أى دين كان ، وهذا كان قول إسماعيل ابن القداد ، وكان يقول : من يخرج من دين إلى دين فهو وقاح متلاعب بالأديان عاص لله عز وجل ، المتعبد له بذلك الدين ، وكان يقول بالملة(٤) الكلية ، ومعنى ذلك ألا يبقى أحد دون دين يعتقده على ما ذكرنا آنفًا .

---

(٣) فى (أ) : (مأمور) .
(٤) فى (أ) : (المسألة) .

وقالت طائفة : لا عذر للمرء فى لزوم دين أبيه وجده أو سيده وجاره ، ولا حجة له فيه لكن الواجب على كل أحد ان يلزمه ما اجتمعت الديانات بأسرها والعقول بكليتها على صحته وتفضيله فلا يقتل أحد ولا يزنى ولا بلط ولا يبغى ولا يبغى به ، ولا يسعى فى إفساد حرمة أحد ، ولا يسرق ، ولا يغضب ، ولا يظلم ، ولا يجور ولا يجنى ولا يغش ولا ينم ، ولا يسفه ولا يضرب أحدا ولا يستطيل عليه ، ولكن يرحم الناس ، ويتصدق ، ويؤدى الامانة ، ويؤمن الناس شره ، ويعين المظلوم ويمنع منه .

فهذا هو الحق بلا شك لأنه المتفق عليه من الديانات كلها ، ويوقف عما اختلفوا فيه ليس علينا غير هذا لأنه لم يلح لنا الحق فى شىء منه دون غيره .

قال أبو محمد : فهذه أصولهم ومعاقدهم ، وأما احتجاجهم فى ذلك فهو أنهم قالوا وجدنا الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تدعى أنها إنما اعتقدت ما اعتقدته عن دلائل[٥] وبراهين باهرة وكل طائفة منها تناظر الأخرى فتنتصف منها ، وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الأخرى فى مجلس آخر ، على حسب قوة نظر المناظر وقدرته على التبيان والتخيل ، والشغب ، فهم فى ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم .

قالوا فصح أنه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان لما أشكل على أحد ، ولم يختلف الناس فى ذلك كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وبداهة عقولهم ، وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل شىء عليه برهان لائح .

قالوا : ومن المحال أن يبدو الحق إلى الناس فيعاندوه بلا معنى ، ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والآخرة بلا سبب .

قالوا : فلما بطل هذا صح أن كل طائفة فإنما تتبع ما[٦] نشأت عليه ، وأما ما يخيل لأحدهم أنه الحق دون تثبت ولا يقين قالوا : هذا مشاهد من أهل كل ملة وإن كان فيها ما لا شك فى سخافته وبطلانه .

وقالوا أيضًا : إنا نرى الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتبحروا فيها ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق وبالخروج عن جملة العامة ، وبأنهم قد أشرفوا على الصحيح بالبراهين وميزوه من الشغب والإقناع ، ونجد آخرين قد تمهروا فى علم الكلام وأفنوا فيه دهرهم ، ورسخوا فيه ، وفخروا بأنهم قد وقفوا على الدلائل الصحاح وميزوها من الفاسدة ، وأنهم قد لاح لهم الفرق بين الحق

---

(٥) فى (أ) : (الأوائل) .
(٦) فى (أ) : (إماما) .

والباطل بالحجج والإنصاف ثم نجدهم كلهم يعنى جميع هاتين الطائفتين فلسفيهم وكلاميهم فى أديانهم التى يقرون أنها نجاتهم أو هلكتهم مختلفين كاختلاف العامة وأهل الجهل بل أشد اختلافًا .

فمن يهودى يموت على يهوديته ، ونصرانى يتهالك على نصرانيته وتثليثه ، ومجوسى يستميت على مجوسيته ، ومسلم يستقتل فى إسلامه ، ومنانى يستهلك فى مانويته ، ودهرى ينقطع فى دهريته ، فلو[٧] استوى العامى المقلد من كل طائفة فى ذلك مع المتكلم الماهر المستدل بزعمه ثم نجد أهل هذه الأديان فى فرقهم أيضًا كذلك سواء سواء ، فإن كان يهوديا فإما ربانى يتقد غيظا على سائر فرق دينه ، وإما صابئى يلعن سائر فرق دينه ، وإما عيسوى يسخر من سائر فرق دينه . وإما سامرى يبرأ من سائر فرق دينه .

وإن كان نصرانيا فإما ملكى يتهالك غيظا على سائر فرق دينه ، وإما نسطورى يتقد أسفا على سائر فرق دينه ، وإما يعقوبى يسخط على سائر فرق دينه .

وإن كان مسلمًا فإما خارجى يستحل دماء سائر أهل ملته وإما معتزلى يكفر سائر فرق ملته ، وإما شيعى لا يتولى سائر فرق ملته ، وإما مرجئى لا يرضى عن سائر فرق ملته ، وإما سُنّى ينافر سائر فرق ملته ، قد استوى فى ذلك العامى المقلد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل .

وكل امرىء من متكلمى الفرق التى ذكرنا يدّعى أنه إنما أخذ ما أخذ وترك ما ترك ببرهان واضح ، ثم هكذا نجدهم حتى فى الفتياء ، إما حنفى يجادل عن حنيفيته ، وإما مالكى يقاتل عن مالكيته ، وإما شافعى يناضل عن شافعيته ، وإما حنبلى يضارب عن حنبليته ، وإما ظاهرى يحارب عن ظاهريته ، وإما متحير يستدل ، فهنالك جاء التجاذب والتجاذب حتى لا يتفق اثنان منهم على مائة مسألة ، إلا فى الندرة وكل امرىء ممن ذكرنا يزرى على الآخرين ، وكلهم يدعى أنه قد أشرف على الحقيقة .

وهكذا القائلون بالدهر أيضًا متباينون متنابذون ، مختلفون فيما بينهم فمن موجب أن العالم لم يزل وأن لا فاعل له ، ومن مكذب له موجب أن العالم لم يزل وأن له فاعلا لم يزل ، ومن موجب أزلية الفاعل وأشياء أخر معه ، وأن سائر العالم محدث ، ومن موجب أزلية الفاعل ، وحدوث العالم ، ومبطل النبوات كلها ، كما اختلف سائر أهل النحل ولا فرق ، قالوا : فصح أن جميعهم

(٧) فى (أ) : (قد) .

إما متبع للذى نشأ عليه ، والنحلة التى درب[٨] عليها ، وإما متبع لهواه قد يخيل له أنه الحق فهم على ما ذكرنا دون تحقيق .

قالوا : فلو كان البرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ، ولبان على طول الأيام وكرور الأزمان ، ومرور الدهور ، وتداول الأجيال له ، وشدة البحث وكثرة ملاقاة الخصوم ومناظراتهم ، وإفنائهم الأوقات وتسويدهم القراطيس ، واستنفاد وسعهم وجهدهم أين الحق ، فيرتفع الإشكال بل الأمر واقف بحسبه أو متزيد فى الاختلاف ، وحدوث التجاذب والفِرَق .

قالوا وأيضًا : فإنا نرى المرء الفهم العالم النبيل ، المتفنن فى علوم الفلسفة والكلام والحجاج ، المستنفذ لعمره فى طلب الحقائق ، المؤثر للبحث عن البرهان على كل ما سواه من لذة أو مال أو جاه ، المستفرغ لقوته فى ذلك ، النافر عن التقليد يعتقد مقالة ما ويناظر عنها ، ويحاجى دونها ، ويدفع أمامها ، ويعادى من خالفها ، مجدًّا فى ذلك موقنًا نصرته وخطأ من خالفه منافر له مضللا أو مكفرًا .

فيبقى كذلك الدهر الطويل والأعوام الجمة ، ثم تبدو له بادية عنها فيَرجع أشد ما كان عداوة لما كان ينصر ، ولأهل تلك المقالة التى كان يدين بصحتها وينصرف يقاتل فى إبطالها ، ويناظر فى إفسادها ، ويعتقد من ضلالها وضلال أهلها ؛ كالذى كان يعتقد من صحتها ويعجب الآن من نفسه ، وربما عاد إلى ما كان عليه أو خرج إلى قول ثالث .

قالوا : فدل هذا على إفساد الأدلة وعلى تكافؤها جملة ، وأن كل دليل فهو هادم للآخر كلاهما يهدم صاحبه ، وقالوا أيضًا : لا يخلو من حقق شيئًا من هذه الديانات والمقالات من أن يكون صح له أو لم يصح له ، ولا سبيل إلى قسم ثالث . قالوا فإن كان لم يصح له بأكثر من دعواه أو من تقليده مدعيا فليس هو أولى من غيره بالصواب ، وإن كان صح له فلا يخلو من أن يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة النفس وبديهته ، أو صح له بدليل مّا غير هذين ، ولا سبيل إلى قسم رابع فإن كان صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديهته .

فيجب أن لا يختلف فى ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبداهة العقل ، من أن ثلاثة أكثر من اثنتين ، وأنه لا يكون المرء قاعدًا قائمًا معًا بالعقل ، فلم يبق إلا أن يقولوا إنه صح لنا بدليل غير الحواس ، فنسألهم عن ذلك الدليل بماذا صح عندكم ؟ أبالدعوى فلستم أولى من غيركم فى دعواه ، أم بالحواس وبديهة العقل فكيف خولفتم فيه وهذا لا يختلف فى مدركاته أحد ، أم بدليل غير ذلك .

---

(٨) فى (أ) : (ترك) .

وهكذا أبدا إلى ما لا نهاية له . قالوا وهذا لا مخلص لهم منه ، وقالوا : ونسألهم أيضًا عن علمهم بصحة ما هم عليه ، أيعلمون أنهم يعلمون ذلك أم لا ؟ فإن قالوا لا نعلم ذلك أحالوا وسقط قولهم ، وكفونا مؤنتهم لأنهم يقرون أنهم لا يعلمون أنهم يعلمون ما علموا وهذا هوس وإفساد لما يعتقدونه . وإن قالوا بل نعلم ذلك سألناهم أبعلم علموا ذلك أم بغير علم ؟

وهكذا أبدا وهذا يقتضى أن يكون للعلم علم ، ولعلم العلم علم إلى ما لا نهاية له وهذا عندهم محال .

قال أبو محمد : هذا كل ما موَّهوا به ما نعلم لهم شغبا غير ما ذكرنا ، ولا لهم متعلق بسواه أصلًا ، بل قد زدنا لهم فيها رأينا لهم ، وتقصيناه لهم بغاية الجهد كما فعلنا بأهل كل مقالة .

قال أبو محمد : وكل هذا الذى موَّهوا به منحل بيقين ومنقض بأبين برهان ، بلا كبير[٩] كلفة ولم نجد أحدًا من المتكلمين السالفين أورد بابًا خالصا فى النقض على هذه المقالة ، ونحن إن شاء الله ننقض كلَّ ما موَّهوا به بالبراهين الواضحة وبالله تعالى التوفيق . وذلك بعد أن نبين فساد معاقد هذه الطوائف المذكورة إن شاء الله عزَّ وجل .

قال أبو محمد : فنقول وبالله تعالى نتأيد : أما الطائفة المتحيرة فقد شهدت على أنفسها بالجهل وكفت خصومها مئونتها فى ذلك ، وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ، ولا من لم يتبين له الشىء غبارًا على من تبين له ، بل من علم فهو الحجة على من جهل ، هذا هو الذى لا يشك أحد فيه فى جميع العلوم والصناعات ، وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قوم ، ويعلمه آخرون ولا أحمق ممن يقول لما جهلت أنا أمر كذا ولم أعرفه علمت أن كل أحد جاهل به كجهلى وهذه صفة هؤلاء القوم نفسها ، ولو ساغ هذا لأحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف ، وجميع الصناعات إذ لكل شىء منها من يجهله من الناس ، نعم ومن لا ينجح فيه ولا يفهمه ، وإن طلبه ، هذا أمر مشاهد بالحواس فهم قد أقروا بالجهل وندّعى نحن العلم بحقيقة ما اعترفوا بجهلهم به .

فالواجب عليهم أن ينظروا فى براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصيًا بغير هوًى ، فلابد يقينًا من أن يلوح حقيقة قول المحقق[١٠] والمحق ، وبطلان قول المبطل ، فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين والحمد لله رب العالمين .

وأما من قطع بأنه ليس هاهنا مذهب صحيح أصلًا فإن قوله لها هو[١١] الفساد بيقين

---

(٩) فى (أ) : (كثير) .
(١٠) فى (أ) : سقطت (المحقق) .
(١١) فى (أ) : (ظاهر الفساد) .

لا إشكال فيه لأنهم إذا أثبتوا حقيقة هذا[١٢] العالم بما فيه ، وحقيقة ما يدرك بالحواس وبأول العقل وبديهته ، ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ، ولا أبطلوا حدوثه وأزليته معا ، ولم يصححوا أن له خالقًا ولا أنه لا خالق له ، وأبطلوا كلا الأمرين ، وأبطلوا النبوة وأبطلوا إبطالها فقد خرجوا يقينا إلى المحال ، وإلى قبح قول السوفسطائية ، وفارقوا بدهية العقل وضرورته ، التى قد حققوها وصدقوا موجبها إذ لا خلاف بين أحد له مسكة عقل فى أن كلَّ ما لم يكن حقا فهو باطل ، وما لم يكن باطلا فإنه حق ، وإن اثنين قال أحدهما فى قضية واحدة فى حكم واحد نعم وقال الآخر لا ، فأحدهما صادق بلا شك والآخر كاذب بلا شك هذا يعلم بضرورة العقل وبديهته .

وأما قول قائل هذا حق باطل معًا من وجه واحد فى وقت واحد ، أو قول من قال لا حق ولا باطل فهو بيِّن باطل[١٣] معلوم بضرورة العقل وبديهته ، فواجب بإقرارهم أن من قال : إن العالم لم يزل وقال الآخر بل هو محدث أن أحدهما صادق بلا شك ، وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل[١٤] فساد هذه المقالة ، إلا أن يبطلوا الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية ، مما قد ذكرنا قبل وبالله تعالى التوفيق .

وأما من مال إلى اللذات جملة فإنه إن كان من إحدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقينا أنه على ضلالة وخطأ ، وباطل وفساد ، فى أصل معتقده الذى أداه إلى الإهمال[١٥] وإذا بطل أصل[١٦] شىء بيقين فبيقين قد بطل ما تولد منه ، وإن مال إلى أحد الأقوال الأخر فكلها مبطل للزوم اللذات وللإهمال ، فصح ضرورة بطلان هذه الطريقة وإن صار إلى تحقيق الدهرية ، كُلِّم بما يتكلم به الدهرية مما قد أوضحناه والحمد لله .

وأما من قال بالتزام المرء دين سلفه والدين الذى نشأ عليه فخطأ ، لا خفاء به ، لأننا نقول : لمن قال بوجوب ذلك ولزومه أخبرنا من أوجبه ومن ألزمه فالإيجاب والإلزام يقتضى فاعلا ضرورة ولابد منها فمن ألزم ما ذكرتم من أن يلزم المرء دين سلفه أو الدّين الذى نشأ عليه ، الله ألزم ذلك جميع عباده أم غير الله تعالى أوجب ذلك ؟ إما إنسان وإما عقل وإما دليل ؟ فإن قال قائل ما ألزمنا ذلك إلا مَنْ دون الله تعالى ، قيل له : إن مَنْ دون الله تعالى معصىٌّ مخالف مرفوض لا حق له ولا طاعة إلا من أوجب الله تعالى له طاعة[١٧] فيلزم طاعته لأن الله تعالى أوجبها لا لأنها واجبة

---

(١٢) فى (أ) : (وجود هذا العالم) .
(١٣) فى (أ) : سقطت (فهو بين باطل) .
(١٤) فى (أ) : (إلى الانهماك) .
(١٥) فى (أ) : بزيادة (يقينا) .
(١٦) فى (أ) : سقطت (أصل) .
(١٧) فى (أ) : سقطت (طاعة) .

بذاتها وليس من أوجب شيئًا دون الله تعالى بأولى من آخر أبطل ما أوجب هذا وأوجب بطلانه ، وفى هذا كفاية لمن عقل ، ولا ينقاد للزوم من دون الله تعالى إلا جاهل مغرور كالبهيمة تقاد فتنقاد ، ولا فرق ، وإن قال : إن العقل ألزم ذلك . قيل له إنك تدعى الباطل على العقل إذْ ادعيت عليه ما ليس فى بنيته ، لأن العقل لا يوجب شيئا ، وإنما العقل قوة تميز النفس بها الأشياء على ما هى عليه فقط ، ويعرف ما صح وجوبه مما أوجبة من تلزم طاعتبه ، مما لم يصح وجوبه مما لم يوجبه من تجب طاعته ، ليس فى العقل المراد به التمييز[١٨] شيء غير هذا أصلا .

وأيضًا : فإن قائل هذا مجاهر بالباطل ، لأنه لا يخلو أن يكون يزعم أن العقل أوجب ذلك ببديهته أو ببرهان راجع إلى البديهة من قرب أو من بعد ، فإن ادّعى أن العقل يوجب ذلك ببديهته كابر الحس لم ينتفع بهذا أيضًا ؛ لأنه لا يعجز عن التوقح بمثل هذه الدعوى أحد فى أى شيء شاء وإن ادّعى أنه أوجب ذلك ببرهان راجع إلى العقل كلف المجيء به ولا سبيل إليه أبدا ، فإن قال قائل[١٩] إن الله عز وجل أوجب ذلك سئل الدليل على صحة هذه الدعوى ، التى أضافها إلى البارى عز وجل .

وهذا لا سبيل له إليه لأن ما عند الله عز وجل من إلزام لا يعرف ألبتة إلا بوحى من عنده تعالى ، إلى رسول من خلقه يشهد له تعالى بالمعجزات ، وإما بما يضعه الله عز وجل فى العقول وليس فى شيء من هذين دليل على صحة دعوى هذا المدعى ، وأما احتجاجه بأنه هو الدين الذى اختاره الله عز وجل لكل أحد وأنشأه عليه فلا حجة له فى هذا ، لأننا لم نخالفه فى أن هذا دُرِّب على هذا الدين ، وخلقه الله تعالى مع من درَّبه عليه ، بل نقرّ بهذا كما نقرّ بأن الله خلقه فى مكان مّا فى صناعة[٢٠] مّا وعلى معاش مّا ، وعلى خَلْقٍ مّا ، وليس فى ذلك دليل عند أحد من العالم على أنه لا يجوز له فراق ذلك الخلق إلى ما هو خير منه ، ولا على أنه يلزمه لزوم المكان الذى خلق فيه والصناعة التى نشأ عليها والقوت الذى كبر عليه ، بل لا يختلف اثنان فى أن له مفارقه ذلك المكان وتلك الصناعة وذلك المعاش إلى غيره ، وإن فرضًا عليه الزوال عن كل ذلك إذا كان مذمومًا إلى المحمود من كل ذلك .

وأيضًا فإن جميع الأديان التى أوجبها كلها هذا القائل وحقق جميعها فكل دين منها فيه إنكار غيره منها ، وأهل كل دين منها يكفر سائر أهل تلك الأديان وكلهم يُكذب بعضهم بعضا ، وفى كل دين منها تحريم التزام غيره على كل أحد ، فلو كان كل دين منها لازما أن يعتقده من نشأ

---

(١٨) فى (أ) : (المتميز) .
(١٩) فى (أ) سقطت (قائل) .
(٢٠) فى (خ) : (فى ساعة) .

عليه لكان كل دين منها حقا ، وإذا كان كلّ دين منها حقًا وكل دين[٢١] منها يبطل سائِرها وكل ما أبطله الحق فهو باطل بلا شك ، فكل دين منها باطل بلا شك .

فوجب ضرورة على قول هذا الجاهل[٢٢] أن جميع الأديان باطل ، وأن جميعها حق فجميعها حق باطل معا ، فبطل هذا القول بيقين لا شك فيه والحمد لله رب العالمين .

وأما من قال إنى ألزم فعل الخير الذى اتّفقت الديانات والعقول على أنه فضل ، وأجتنب ما اتفقت الديانات والعقول على أنه قبيح ، فقول فاسد مموّه مضحك[٢٣].

أول ذلك أنه كذب وما اتّفقت الديانات ولا العقول على شيء من ذلك بل جميع الديانات إلا الأقل منها مجمعون على قتل من خالفهم وأخذ أموالهم ، وكل دين منها لا نحاشى دينا قائلٌ بأحكام هى عند سائِرها ظلم ، وأما المنَّانية : فإنها وإن لم تقل بالقتل فإنها تَقول بترك النكاح الذى هو مباح عند سائِر الديانات ويقولون بإباحة اللياطة ، والسحاق وسائِر الديانات محرّمة لذلك ، فما اتفقت الديانات على شيء أصلا ولا على التوحيد ولا على إبطاله ، لكن اتفقت الديانات على تخطئته وتكفيره والبراءة منه ، إذا لم يعتقد دينا مما بيناه ، فبطلب موافقة جميع الديانات حصل على مخالفة جميعها .

وهكذا فليكن السعى المضلّل ، وكذلك طبائع جميع الناس موثِرة لِلَّذَّاتِ كارهة لما يلتزمه أهل الشرائع والفلاسفة ، فبطل تعلقهم بشيء مجمع عليه ، ولم يحصل إلا على طمع خائب مخالفا لجميع الديانات ، غير متعلق بدليل لا عقليٍّ ولا سمعى . وقد قلنا إن العقول لا توجب شيئا ولا تقبحه ولا تحسنه ، وبرهان ذلك أن جميع أهل العقول إلا يسيرا فإنهم أصحاب شرائع وقد جاءت الشرائع بالقتل وأخذ المال ، وضرب الإنسان وذبح الحيوان ، فما قال قط أصحاب العقول إنما جاءت بخلاف ما فى العقول ولا ادّعى ذلك إلا أقل الناس ومن ليس عقله عيارًا على عقل غيره ، ولو كان ذلك واجبا فى العقول لوجده سائِر أهل العقول ، كما قالوا هم سواء سواء ، فصح أن دعواهم على العقول كاذبة فى باب التقبيح والتحسين جملة ، وهذا كسر[٢٤] عام لنفس أقوالهم والحمد لله رب العالمين .

ثم نذكر إن شاء الله عز وجل البراهين على إبطال حججهم الشغبية المموهة وبالله تعالى نتأيد .

---

(٢١) فى (أ) : سقط (وكل دين) .
(٢٢) فى (أ) : (القائل) .
(٢٣) فى (أ) : (مضمحل) .
(٢٤) فى (أ) : (أكسر) .

قال أبو محمد : أما احتجاجهم بأن قالوا وجدنا أهل الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تناظر الأخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الأخرى فى مجلس آخر على حسب قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب ، فهم فى ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم .

فصح أنه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ، ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ، ولا اختلفت الناس فيه كما لم يختلفوا فى ما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم ، كما لم يختلفوا فى الحساب ولا فى شيء عليه برهان لائِح ، واللائح الحق على مرور الأزمان وكثرة البحث وطول المناظرات .

قالوا : ومن المحال أن يبدو الحق إلى الناس ظاهرا فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والآخرة بلا سبب ، قالوا : فلما بطل هذا صح أن كل طائفة تتبع إمامًا نشأت عليه وإمامًا تخيل لأحدهم أنه الحق دون تثبت ولا يقين ، قالوا وهذا مشاهد من كل أمة ونحلة وإن كان فيها ما لا يشك فى بطلانه وسخافته .

قال أبو محمد : هذه جمل نحن نبين كل عقدة منها ونوفيها حقها من البيان بتصحيح أو إفساد بما لا يخفى على أحد صحته وبالله تعالى التوفيق .

أما قولهم : إن كل طائفة من أهل الديانات والمقالات والآراء تناظر فتنتصف وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الأخرى فى مجلس آخر ، على قدر قوة المناظر وقدرته على البيان والتحَيل والشغب والتمويه ، فقول صحيح إلا أنه لا حجة لهم فيه على ما ادَّعوه من تكافؤ الأدلة أصلا ، لأن غلبة الوقت ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقق ، وإن كانت له ولا يلتفت إليها وإن كانت عليه ، وإنما يحتج بها ويغضب منها أهل المحرفة والجُهَّال ، وأهل الصياح والتهويل ، والتشنيع ، القانعون بأن يقال غلب فلان فلانا ، وإن فلانا لنظار جدَّال ، ولا يُبالون بتحقيق حقيقة ولا بإبطال باطل .

فصح أن تغالب المتناظرين لا معنى له ولا يجب أن يعتد به ، لاسيما تجادل أهل زماننا الذين آمالهم إرب معدودة لا يتجاوزنها بكلمة ، وأما أن يغلب الصليب الرأس بكثرة الصياح والتوقح والتشنيع والجفاء ، وأما كثير الهذر قوى على أن يملأ المجلس كلامًا لا يتحصل منه معنى ، وأما الذى يعتقد أهل التحقيق الطالبون معرفة الأمور على ما هى عليه فهو أن يبحثوا فيما يطلبون معرفته عن كلِّ حجة احتج بها أهل فرقة فى ذلك الباب ، فإذا تقصَّوها[٢٥] ولم يبقوا منها شيئا تأموها كلها حجة حجة فميزوها الشغبى منها والإقناعى فاطرحوهما ، وفتشوا البراهين على حسب

(٢٥) فى (أ) : (نقضوها) بالضاد .

المقدمات التى بيناها فى كتابنا الموسوم : بالتقريب فى ماهية البرهان ، وتمييزه مما يظن أنه برهان. وليس ببرهان » وفى كتابنا هذا وفى كتابنا الموسوم « بالإحكام فى أصول الأحكام » فإن من سلك تلك الطريق التى ذكرنا وميز فى المبدأ ما يعرف بأول التمييز والحواس ثم ميَّز ما هو البرهان مما ليس برهانًا ، ثم لم يقبل إلا ما كان برهانًا راجعًا رجوعًا صحيحًا ضروريا ، إلى ما أدرك بالحواس أو ببديهة التمييز وضرورته ، فى كل مطلوب يطلبه ، فإن شارع الحق يلوح له واضحًا ممتازًا من كل باطل دون إشكال ، والحمد لله رب العالمين .

وأما من لم يفعل ما ذكرنا ولم يكن وكده إلا نصر المسألة الحاضرة فقط ، أو نصر مذهب قد ألفه قبل أن يقوده إلى اعتقاده برهان فلم يجعل غرضه إلا طلب أدلة ذلك المذهب فقط ، فبعيدٌ عن معرفة الحق من الباطل ، ومثل هؤلاء غرورًا هؤلاء المخاذيل فظنوا أن كل بحث ونظر فمجراهما المجرى الذى عهدوه ممن ذكرنا فضلُّوا ضلالًا بعيدا .

وأما قولهم : فصح أنه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ، ولما اختلف الناس فيه ، كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وبداية عقولهم ، وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل ما عليه برهان لائح ، فقول أيضا مموه ، لأنه كله دعوى فاسدة بلا دليل ، وقد قلنا قبل فى إبطال هذه الأقوال كلها بالبرهان بمَا فيه كفاية ، وهذا لا يمكن فيه تفصيل كل برهان على كل مطلوب لكن نقول جملة إن من عرف البرهان وميَّزه وطلب الحقيقة غير مائِل بهوى ولا إلف ولا نفار ولا كسل ، فمضمون له تمييز الحق ، وهذا كمن سأل عن البرهان على إشكال أقليدس فإنه لا سبيل[٢٦] إلى جوابه عن جميعها بقول مجمل ، لكن يقال له سل عن شكلٍ شكلٍ تُخبر ببرهانه ، أو كمن سأل ما النحو ؟ وأراد أن يوقف على قوانينه جملة فإن هذا لا يمكن بأكثر من أن يقال له هو بيان حركات وحروف يتوصل[٢٧] باختلافها إلى معرفة مراد المخاطب باللغة العربية ، ثم لا يمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا إلى إثباته جملة إلا بالأخذ معه فى مسألة مسألة .

وهكذا فى هذا المكان الذى نحن فيه ، لا يمكن أن نبين جميع البرهان على كل مختلفٍ فيه بأكثر من أن يقال له سل عن مسألة مسألة نبين لك برهانها بحول الله تعالى وقوته .

ثم نقول لمن قال من هؤلاء إن هاهنا قولًا صحيحًا واحدًا لا شك فيه : أخبرونا من أين عرفت ذلك ؟ ولعل الأمر كما يقول من قال إن جميع الأقوال كلها باطل ، أو كما قال من قال إن جميع الأقوال كلها حق ، فإن قال : لا[٢٨]، لأنها لو كانت حقًا كلها لكان محالًا ممتنعًا ، لأن فيها

(٢٦) فى (أ) : لا إشكال فيه .
(٢٧) فى (أ) : (يتصل) .
(٢٨) فى (أ) : سقط الكلام من أول قوله (باطل إلى .. فإن قال : لا) .

إثبات الشيء وإبطاله معًا ، ولو كان جميعها باطلًا لكان كذلك أيضًا سواء سواء ، وهذا محال ممتنع لأن فيه أيضًا إثبات الشيء وإبطاله معًا ، وإذا ثبت إثبات الشيء بطل إبطاله بلا شك ، إذا بطل إثباته ثبت إبطاله بلا شك ، فإذ قد أبطل هذان القولان بيقين لم يبق بلا شك إلا أن فيه حقًا بعينه وباطلا بعينه ، قلنا له صدقت وإذ الأمر كما قلت فإن هذا العقل الذى عرفت به أن فى تلك الأقوال قولًا صحيحا بلا شك ، فيه تميز ذلك القول الصحيح بعينه ، مما ليس بصحيح ، لأن الصحيح من الأقوال يشهد له العقل والحواس ببراهين ترده إلى العقل والحواس ردًّا صحيحا ، وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ إلى العقل والحواس ، وهذا بيّن والحمد لله رب العالمين .

وأما من أبطل أن يكون فى الأقوال كلها قول صحيح فقد أخبرنا أنه مبطل للحقائق كلها متناقض ، لأنه يبطل الحق والباطل معا ، وبالله تعالى التوفيق .

أما قولهم : لو كان هاهنا قول صحيح لما أشكل على أحد ، ولا اختلف فيه ، كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم ، ولا فى الحساب ، فإن هذا قول فاسد لأن إشكال الشيء على من أشكل عليه إنما معناه أنه يجهل حقيقة ذلك الشيء فقط ، وليس جهل من جهل حجة على من علم ، برهان هذا أنه ليس فى العالم شيء إلا ويجهله بعض الناس كالمجانين والأطفال ، ومن غمره الجهل والبلدة ثم يتزيد الناس فى الفهم فتفهم طائفة شيئًا لا تفهمه المجانين ، وتفهم طائفة أخرى ما لا يفهمه هؤلاء .

وهكذا إلى أرفع مراتب العلم فكل ما اختلف فيه فقد وقف على الحقيقة فيه من فهمه ، وإن كان خفى على غيره ، وهذا أمر مشاهد محسوس فى جميع العلوم وآفة ذلك ما قد ذكرنا قبل ، وهو إما قصور الفهم والبلادة وإما كسل عن تقصى البرهان ، وإما لإلف أو نفار بَعُدَ بصاحبهما عن الغاية المطلوبة ، أو تعدياها وهذه دواعى الاختلاف فى كل ما اختلف فيه ، فإذا ارتفعت الموانع لاح البرهان بيقين ، فبطل ما شغبوا به والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وفى الحساب وفيما أدركوه ببداية عقولهم فقول غير مطرد ، والسبب فى انقطاع اطراده هو أنه ليس فى أكثر ما يدرك بالحواس وبداية العقول شيء يدعو إلى التنازع ، ولا إلى تقليد يتهالك فى نصره أو إبطاله ، وكذلك فى الحساب حتى إذا صرنا إلى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أو بأوائل التمييز وجد فيه من التنازع والمكابرة والمدافعة وجحد الضرورات كالذى يوجد فيما سواه كمكابرة النصارى واستهلاكهم فى أن المسيح له طبيعتان ناسوتيَّة ولا هوتيَّة ، ثم منهم من يقول إن تلك الطبيعَتين صارتا شيئًا واحدًا ، وصار اللّاهوت ناسوتًا تامًّا محدثًا مخلوقًا ، وصار الناسوت إلاهًا تامًّا خالقًا غير مخلوق .

ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج العرض بالجوهر ، ومنهم من يقول امتزاجا كامتزاج البطانة

والضهارة ، وهذا حمق ومحال يدرك فساده بأول العقل وضرورته ، وكما تهالكت المنانية على أن الفلك فى كل أفق من العالم لا يدور إلا كما يدور الرَّحى ، وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان ، كما تهالكت اليهود على أن النيل الذى يُحيط بأرض مصر وزويله ومعادن الذهب ، وأن الفرات المحيط بأرض الموصل مخرجهما جميعًا من عين واحدة فى المشرق ، وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالكت المجوس على أن الولادة من إنسان ونهر وأن مدينة واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والأرض ، وكتهالك جميع العامة على أن السماء مستوية كالصحيفة لا مقبية مكوّرة ، وأن الأرض كذلك أيضًا ، وأن الشمس تطلع على جميع الناس فى جميع الأرض فى ساعة واحدة وتغربُ عنهم كذلك وهذا معلوم كذبه بالعَيان ، وكتهالك الأشعرية وغيرهم ممّن يدعى العلم والتوفيق فيه إلى أن النار لا حر فيها ، وأن الثلج لا برد فيه ، وأن الزجاج والحصا لها طعم ورائحة ، ولأن الخمر لا يسكر ، وأن هاهنا أحوالًا لا معدومة ولا موجودة ، ولا هى حق ولا هى باطل ، ولا هى مخلوقة ولا غير مخلوقة ، ولا هى معلومة ولا هى مجهولة ، وهذا كله معلوم كذبه وبطلانه بالحواس وبأول العقل وضرورته ، وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل فى وهم أحد ، ولولا أننا شهدهنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا أن من له مسكة عقل ينطق لسانه بهذا الجنون .

وكتهالك طوائف على أن اسمين يقعان على مسميين كل واحد من ذانك المسميين ، لا هو الآخر ولا هو غيره ، وكالسوفسطائية المنكرة للحقائق ، وأما الحساب فقد اختلف أهله فى أشياء من التعديل ، ومن قطع الكواكب ، وهل الحركة لها أو لأفلاكها ، وأما الذى لا يخلو وقت من وجوده فخطأ كبير من أهل الحساب فى جميع الأعداد الكثيرة حتى يختلفوا اختلافًا ظاهرًا حتى إذا حقق النظر يظهر الحق من الباطل ، وهذا نفس ما يعرض فى كل ما يدرك بالحواس فظهر بطلان تمويههم وتشبيههم جملة ، والحمد لله رب العالمين .

وصح ما أنكروه من أن كثيرا من الناس يغيبون عن اعتقاد ما شهدت له الحواس ، وينكرون أوائل العقول ، ويكابرون الضرورات إما بأنهم كسلوا عن طلب البراهين فقطعوا بظنونهم ، وإما لأنهم زلوا عن طريق البرهان وظنوا أنهم عليه ، وإما لأنهم ألفوا ما مَالت إليه أهواؤهم لإلفهم شيئًا ونفارهم عن آخر .

وأما قولهم : وللاح الحق على مرور الأزمان وكثرة البحث وطول المناظرات ، فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق : نعم قد لاح الحق وبان[٢٩] الباطل وأن كُلّ طائفة تدعيه ، فإن من يظهر على الطريق التى وصفنا صح عنده المحق[٣٠] من المبطل ، وبالله تعالى التوفيق .

(٢٩) فى (أ) : (ظن الباطل) .
(٣٠) فى (أ) : (المحق المدّعى) .

وأما قولهم : ومن المحال أن يبدو الحق إلى الناس فيعاندوه بلا معنى ، ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والآخرة بلا معنى فقول فاسد ، لأننا قد رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها إلى الناس فعانده كثير منهم ، وبذلوا مهجهم فيه ، وكأنهم ما شاهدوا الأمر الذى ملأ الأرض من المقاتلين الذين يعرفون بقلوبهم ويقرون بألسنتهم أنهم على باطل ، يقتلون ويعترفون بأنهم يتلفون[٣١] مهجهم ودماءهم ، وأموالهم وأديانهم ويوتمون أولادهم ويرمّلون نساءهم فى قتال عن سلطان غائِب عن ذلك القتال ، لا يرجون زيادة درهم ، ولا يخاف كلُّ امرىء منهم فى ذاته تقصيرًا به لو لم يقاتل . أوَ لَمْ يروا كثيرًا من الناس يأكلون أشياء يوقنون بأنهم يستضرون بها ، ويكثرون شرب الخمر وهم يقرون أنها قد أفسدت أمزجتهم ، وأنها تؤديهم إلى التلف ، وهم يقرون مع ذلك أنهم عاصّون لله تعالى ، وكم رأينا من الموقنين بخلود العاصى فى النار المحققين لذلك يقرُّ على نفسه أنه يفعل ما يخلّد به فى النار ، فإن قالوا : إن هؤلاء يستلذون ما يفعلون من ذلك قلنا لهم : إن استلذاذ من يدين بشىء مّا يُبَصِّره لما يدين به ، وتَعَصُّبه له أشد من استلذاذ الأكل والشرب لما يدرى أنه يتلفه من ذلك ، ثم نقول لهم : أخبرونا عن قولكم هذا إنه ليس هاهنا قول سطعت حجته ولو كان لما اختلف الناس فيه أحقٌّ هى هذه القضية قطعتم بها ، وهل قولكم هذا ظاهر الحجة متيقن الحقيقة أم لا ؟.

فإن قالوا : لا . أقرُّوا بأن قولهم لم تصح حجته ، ولا لاح برهانه وأنه ليس حقًّا ما قالوه . وإن قالوا بل هو حق قد لاحت حجته ، قلنا لهم فكيف خولفتم فى شىء لاحت حجته حتى صار أكثر أهل الأرض يعمون عمّا لا شك فيه عندكم وعن ما لاح الحق فيه ، حتى اعتقدوا فيكم الضّلال والكفر وإباحة الدم ، وهذا هو نفس ما أنكروا قد صرحوا أنه حق والحمد لله رب العالمين .

وأما احتجاجهم بانتقال من ينتقل من مذهب ، إلى مذهب وتهالكه فى إثباته ثم تهالكه فى إبطاله ورومهم أن ينشدوا بهذا جميع البراهين فليس كما ظنوا لأن كل منتقل من مذهب إلى مذهب فلا يخلوا ضرورة من أحد ثلاثة أوجه ، إما أن يكون انتقل من خطأ إلى خطأ ، أو من خطأ إلى صواب ، أو من صواب إلى خطأ ، وأى ذلك كان فإنما أتى فى الانتقالين الاثنين اللذين هما إلى الخطأ من أنه لم يطلب البرهان طلبًا صحيحًا ، بل عاجزا عنه بأحد الوجوه ، التى قدمنا قبل . وأما الانتقال إلى الصواب فإنه وقع عليه بجدٍّ صحيح وطلبٍ صحيح أو بجدٍّ وبحث .

وهذا يَعْرض فيما يدرك بالحواس كثيرا فيرى الإنسان شخصا من بعيد فيظنه فلانًا ، ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له أنه ليس هو الذى ظن ، وقد يشم الإنسان رائحة يظنها من بعض

---

(٣١) فى (أ) : (بلغوا) .

الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه مُجِدًّا ثم يتبين أنه ليس هو الذى ظن ، وهكذا فى الذوق أيضًا ، وقد يعرض هذا فى الحساب فقد يختلف[٣٢] الحاسبون فى جميع الأعداد الكثيرة فيقول أحدهم ان للمجتمع من هذه الأعداد كذا وكذا ، ويخالفه غيره فى ذلك حتى إذا بحثوا بحثًا صحيحًا صحَّ الأمر عندهم .

وقد يعرض هذا للإنسان فيما بين يديه ، يطلب الشىء من متاعه طلب تردد المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه ، وهو بين يديه ونصب عينيه ، ثم يجده فى أقرب مكان من بصره[٣٣]، وقد يكتب الإنسان مستمليًا أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب ألَّا يصح شىء بإدراك الحواس أبدًا ، ولا ألَّا يصح وجود الإنسان شيئًا افتقده أبدًا ، ولا ألَّا يصح جميع الأعداد أبدًا ولا ألَّا يصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا ، لإمكان وجود الخطأ فى بعض ذلك لكن التثبت الصحيح يليح الحق من الباطل .

وهكذا لكل شىء أخطأ فيه أحد من الناس .

لابد من برهان يليح الحقَّ فيه من الباطل ، ولا يظن جاهل أن هذه المعانى كلها حجة لمبطلى الحقائق بل هى برهان عليهم ، لائح قاطع لأن كلَّ ما ذكرنا لا يختلف حس أحد فى أن كل ذلك إذا فتش تفتيشا صحيحًا فإنه يقع اليقين والضرورة بأن الوهم بها غير صحيح ، وأن الحق فيها ولابد ، فبطل تعلقهم بمن رجع عن[٣٤] مذهب إلى مذهب ، ولم يحصلوا إلا على أن قالوا : إنا نرى قوما يخطئون فقلنا لهم نعم ويُصيب آخرون .

فإقرارهم بوجود الخطأ موجب ضرورة أن ثَمَّ صوابًا لأن الخطأ هو مخالفة الصواب ، فلو لم يكن صوابٌ لم يكن خطأ ، ولو لم يكن برهان لم يكن شغب مخالف للبرهان .

ثم نعكس استدلالهم عليهم فنقول لهم وبالله تعالى نتأيد : فإذ قد وجدتم من يعتقد ما أنتم عليه ثم يرجع عنه فهلّا قلتم إن مذهبكم هكذا ، كالأقوال الأخر التى أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد فى الحقيقة ، وهو فى ظنكم صحيح فهو لكم لأزم لأنكم صححتموه ولا يلزمنا لأننا لم[٣٥] لم نصححه ولا صححه برهان .

قال أبو محمد : وبهذا الذى قلنا يبطل ما اعترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة

---

(٣٢) فى (أ) : (يغلط) .
(٣٣) فى (أ) : (منه) .
(٣٤) فى (أ) : (من) .
(٣٥) فى (أ) : (لا) بدلًا من (لم) .

والمنتحلين للكلام فى مذاهبهم ، وما ذكروه من اختلاف المختارين أيضًا فى اختيارهم ، لأننا لم ندَّع أن طبائع الناس سليمة من الفساد ، لكنا نقول : إن الغالب على طبائِع الناس الفساد ، وإن المنصف لنفسه أولًا ثم لخصمه ثانيا ، الطالب للبرهان على حقيقة العارف به قليل[٣٦]، برهاننا على هذا ما وجدناه من اختلاف الناس ، واختلافُهم[٣٧] دليل على كثرة الخطأ منهم ، وقد أوضحنا أن وجود الخطأ يقتضى ضرورة وجود الصواب منهم ولابد ، وليس اختلافهم دليلا على أن لا حقيقة فى شيء من أقوالهم ، ولا على امتناع وجود السبيل إلى معرفة الحق . وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بأن لا يخلو من حقَّق شيئًا من الديانات والمقالات والآراء من أن يكون صحَّ له بالحواس أو ببعضها ، أو ببديهة العقل وضرورته ، أو بدليل من الأدلة غير هذين ، وأنه لو صح بالحواس أو بالعقل لم يختلف فيه وإلزامهم فى الدليل مثل ذلك إلى آخر كلامهم ، فهٰذا كلّه مكرر قد مضى الكلام فيه ، وقد أريناهم أنه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وببديهة العقل كاختلافهم فى الشخص يرونه ويختلفون فيه ما هو ؟ وفى الصوت يسمعونه بينهم فيمَ هو ؟ ويختلفون فيه ، وكأقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده .

ثم نقول لهم : إن أول المعارف هو ما أدرك بالحواس وببديهة العقل وضرورته ، ثم ينتج براهين راجعة من قرب أو من بعد إلى أول العقل أو إلى الحواس ، فما صححته هذه البراهين فهو حقٌّ ، وما لم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ، ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق : قولكم هذا بأى شيء علمتموه ؟ أبالعقل أو بالحواس أو بدليل عنهما ؟ فإن علمتموه بالحواس أو العقل فكيف خولفتم فيه ؟ وإن كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بم عرفتموه ؟ أبالحواس أم بالعقول أم بدليل آخر ؟.

وهكذا أبدا ، وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو فاسد ، وعلى أن هذا لهم لازم لأنهم صححوه ، ومن صحح شيئا لزمه ، ونحن لم نصحح هذا السؤال . فلا يلزمنا ، وقد أجبنا عنه بما دفعه عنَّا ، وأما هُمْ فلا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم : نسألهم عن علمهم بم يدعون صحته أتعلمونه أم لا ؟ فإن قالوا : لا نعلمه بطل قولهم إذ أقروا أنهم لا يعلمونه ، وإن قالوا بل نعلمه سألناهم : أبعلم علمتم علمكم بذلك أم بغير علم ؟ وهكذا أبدًا فهذا أمر قد أحكمنا بيان فساده فى باب أفردناه فى ديواننا هذا على أصحاب معمّر ، فى قولهم بالمعانى وعلى الأشعرية ، ومن وافقهم من المعتزلة ، فى قولهم بالأحوال ، وإنما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الأدلة .

---

(٣٦) فى (أ) : (فدليل) .

(٣٧) فى (أ) : بزيادة (كثيرًا) .

قال أبو محمد : وهذا السؤال نفسه مردود عليهم كما هو ونسألهم أتعلمون صحة مذهبكم هذا أم لا ؟ فإن قالوا لا . أقروا بأنهم لا يعلمون صحته ، وفى هذا إبطاله وأنه إنما هو ظن لا حقيقة ، وإن قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم تعلمونه أم بغير علم ؟

وهكذا أبدا إلا أن هذا السؤال لازم لهم لأنهم صححوه ، ومن صحَّحَ شيئا لزمه وأما نحن فلم نصححه فلا يلزمنا وقد أجبنا عنه فى بابه بأننا نعلم صحة علمنا ، بعلمنا ذلك بعينه لا بعلمٍ آخر ، ونعقل أن لنا عقلًا بعقلنا ذلك نفسه ، وإنما هو سؤال من يبطل الحقائق كلّها لا من يقول بتكافؤ الأدلة ، فبطل كل ما موَّهوا به . والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : ثم نقول لهم أنتم قد أثبتم الحقائق وفى الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمتم أنهم مخطئون فى ذلك ببراهين صحاح ، فببراهين صحاح أيضًا صح ما أبطلتموه أو شككتم فيه ، من أن فى مذاهب الناس مذهبًا صحيحًا ظاهر الصحة ، فإذ سأل عنها أجيب بها فى مسألة مسألة .

قال أبو محمد : ويقال لمن قال لكل ذى ملة أو نحلة أو مذهب ، لعلك مخطىء وأنت تظن أنك مصيب ، لأن هذا ممكن فى كثير من الأقوال بلا شك ، أخبرنا أفى الناس من فسد دماغه ..؟ وهو يظن أنه صحيح الدماغ فإن أنكر ذلك كابر ، ودفع المشاهدات ، وإن قال هذا ممكن قيل له لعلك أنت الآن كذلك ، وأنت تظن أنك سالم الدماغ ، فإن قال : لا . لأن هاهنا براهين تصحح أنى سالم الذهن ، قيل له : هاهنا براهين تصحح الصحيح من الأقوال وتبينه من الفاسد ، فإن سأل عنها أجيب[٣٨] بها فى مسألة مسألة .

قال أبو محمد : فإذ قد بطل بيقين أن تكون جميع أقوال الناس صحيحة لأن فى هذا أن يكون الشىء باطلًا حقًا معًا ، لأن الأقوال كلها إنما هى نفى شىءٍ يُثبته آخر من الناس ، فلو كان كلا الأمرين باطلا لبطل النفى فى الشىء وإثباته معًا ، وإذا بطل إثباته صح نفيه ، وإذا بطل نفيه صح إثباته . فكان يلزم من هذا أيضًا أن يكون الشىء حقًا باطلا معا فثبت بيقين أن فى الأقوال حقًا وباطلًا وإذ هذا لا شك فيه فبالضرورة يعرف أن بين الحق والباطل فرقًا موجودًا وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عرف الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : فإنكم تحيلون على براهين تقولون إن ذكرها جملة لا يمكن ، وتأمرون بالجدِّ فى طلبها ، فما الفرق بينكم وبين دعاة الإسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا ؟ قلنا لهم : الفرق بيننا وبينهم برهانان واضحان أحدهما : أن القوم يأمرون باعتقاد أقوالهم وتصديقهم قبل أن

---

(٣٨) فى (أ) : (أجبت) .

تعرفوا براهينهم ، ونحن لا نفعل هذا ، بل ندعو إلى معرفة البراهين وتصحيحها قبل أن نُصدِّق فيما نقول ، والثانى أن القوم يكتمون أقوالهم وبراهينهم معا ولا يبيحون بها للسَّبر والنظر ، ونحن نهتف بأقوالنا وبراهيننا لكل واحد وندعو إلى سبرها وتفتيشها(٣٩) وأخذها إن صحت ، ورفضها إن لم تصح ، والحمد لله رب العالمين .

ولسنا نقول إننا لا نقدر أن نُحدَّ براهيننا بحد جامع مبيِّن لها بل نقدر على ذلك وهو البرهان المفرق بين الحق والباطل فى كل ما اختلف فيه أن نرجع رجوعًا صحيحًا متيقنا إلى الحواس أو إلى العقل من قرب أو من بعد ، رجوعًا صحيحًا لا يحتمل ، ولا يمكن فيه إلا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقّن وإن لم يرجع كما ذكرنا إلى الحواس أو إلى أول العقل فليس برهانا ولا ينبغى أن نستدل(٤٠) به ، وإنما هو دعوى كاذبة وبالله تعالى التوفيق .

وبهذا سقط القياس والتقليد لأنه لا يقدر القائلون بهما على برهان فى تصحيحهما ، يرجع إلى الحواس أو إلى أول العقل رجوعًا متيقنًا .

قال أبو محمد : ونحن نقول قولًا كافيًا بعون الله تعالى وقوته : وهو أن كل ما اختلف فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وأن له مُحدِثا واحدا لم يزل ، ومن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد ﷺ ، فإن براهين كل ذلك راجعة رجوعًا صحيحًا ضروريًا إلى الحواس ، وضرورة العقل ، فما لم يكن هكذا فليس بشىء ، ولا هو برهانًا ، وإن كان ما اختلف فيه من الشريعة بعد صحة حملها فإن براهين كل ذلك راجعة إلى ما أخبر به رسول الله ﷺ عن الله(٤١) تعالى إذ هو المبعوث إلينا بالشريعة فما لم يكن هكذا فليس برهانًا ولا هو شيئًا وفى أول ديواننا هذا باب فى ماهية البراهين الموصلة إلى معرفة الحقيقة فى كل ما اختلف الناس فيه ، فإذا أضيف إلى هذا ارتفع الإشكال والحمد لله رب العالمين .

---

(٣٩) فى (أ) : وتقييسها .
(٤٠) فى (أ) : تشتغل .
(٤١) فى (أ) : سقط (عن الله تعالى) .

« الكلام فى الألوان »

قال أبو محمد : الأرض غبراء ، وفيها حمراء وفيها بيضاء وصفراء وخضراء وسوداء ، وموشاة والماء أبيض إلا أن يكتسب لونا بما استضافه إليه لفرط صفاته ، فيكتسب[1] لون إنائِه أو ما هو فيه ، وإنما قلنا إنهُ أبيض لبزاهين ، أحدها : أنه إذا صب فى الهواء بهر[2] وظهر أبيض صافى البياض ، والثانى أنه إذا جمد فصار ثلجا أو بردًا ظهر أبيض شديد البياض ، وأما الهواء فلا لون له أصلا ، ولذلك لا يُرى لأنه لا يُرى إلا اللّون ، وقد زعم قوم أنه إنما لا يرى لا نطباقه على البصر وهذا فاسد جدًّا ، وبرهان ذلك أن المرء يغوص فى الماء الصافى ويفتح عينيه فيه فيرى الماء وهو منطبق على بصره لا حائل بينهما ، ولا يرى الهواء فى تلك الحال ، وإن استلقى على ظهره فى الماء وهذا أمر مشاهد ، وأما الذى يُرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فإنما هو أن الأجسام تنحل منها أبدًا أجزاء صغار وهى التى تسمى الهباء فإذا انحصر خط ضياء الشمس وقع البصر على تلك الأجزاء الصغار وهى متكاثفه جدا ولونها الغبرة فهى التى تُرى لا ما سواها ، ومن تأمل هذا عرفه يقينا ، وأن البيوت مملوءة من ذلك الهباء[3] المنحل من الأرض والثياب والأبدان وسائِر الأجرام ، ولكن لدقتها لا ترى إلا إن انحصر خط الشمس فيُرى ما فى ذلك الانحصار منها فقط ، وأما النار فلا ترى أيضًا لأنه لا لون لها فى فلكها ، وأما المرئية عندنا فى الحطب والفتيلة وسائِر ما يحترق فإنما هى رطوبات ذلك المحترق تستحيل هواء فيه نارية فتكتسب ألوانا بمقدار ما تعطيها طبيعتها فتراها خضراء ولا زوردية وحمراء وبيضاء وصفراء وبالله تعالى التوفيق . وهذا يعرض للرطوبات المتولد منها دائِرة قوس قزح .

---

(١) فى (أ) : فيكتسى .
(٢) فى (أ) : (بهرق) .
(٣) فى (أ) : (الضياء) .

قال أبو محمد : أجمع جميع المتقدمين بعد التحقيق بالبرهان أنه لا ترى إلّا الألوان ، وأن كل ما يرى فليس إلا لونا ، وحدُّوا بعد ذلك البياض بأنه لون يفرِّق البصر ، وحدُّوا السواد بأنه لون يجمع البصر .

قال أبو محمد : وهذا حدٌّ وقعت فيه مسامحة وإنما خرّجوه على قول العامة فى لون السواد ، ومعنى يجمع البصر أنه يقبضه فى داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومن تشكل المرئيات ، وإذ هذا معنى القبض بلا شك فهو معنى منع البصر والإدراك وكفه ، ومن هذا سمِّى المكفوف مكفوفا فإذا السواد يمنع البصر من الانتشار ويقبضه عن الانبساط ، ويكفه عن الإدراك ، وهذا كله معنى واحد ، وإن اختلفت العبارات فى بيانه فالسواد بلا شك غير مرئى ، ولابد إذ لو رئى لم يقبض خط البصر إذ لا رؤية إلا بامتداد البصر ، فإذ هو غير مرئىٌّ فالسَّواد ليس لونًا إذ اللون مرئى ولابدّ ، وما لم ير فليس لونًا وهذا برهان عقلى ضرورى . وبرهان آخر حسىٌّ وهو أن الظلمة إذا أطبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين ، السالم الناظرين ، وبين الأعمى المنطبق والمسدود العينين سدا كثيفا[٤] فإذ ذلك كذلك فالظلمة لا تُرى ، ومن الباطل الممتنع أن تكون ترى الظلمة ، وبالحس نعلم أن المنطبق العينين فيها بمنزلة واحدة من عدم الرؤية مع[٥] المفتوح العينين فيها ، والظلمة هى السواد نفيه فمن ادعى أنهما متغايران فقد كابر العيان وادعى ما لا يأتى عليه بدليل أبدًا .

ونحن نجد أنه لو فتح فى حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على إحداهما ستر أسود وتركت الأخرى مكشوفة لما فرّق الناظر من بُعَدٍ بينهما أصلًا ، ولو جعل على إحداهما سترًا أحمر أو أصفر أو أبيض لتبين ذلك للناظر يقينا من بعد أو قرب ، وهذا بيان أن السواد والظلمة سواء . وبرهان آخر هسى وهو أن خطوط البصر إذا استوت فلا بد من أن تقع على شىء ما لم يقف عليه مانع من تماديها ، ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيها لا يقع بصره على حائط إن كان فى الظلمة وسواء كان فيها حائط مانع من تمادى خط البصر ، أو لم يكن فصح يقينًا أن الظلمة لا ترى بل هى مانعة من الرؤية ، والظلمة هى السواد والسواد هو الظلمة لم يختلف قط فى هذا اثنان لا بطبيعة ولا بشريعة ولا فى معنى اللغة ولا بالمشاهدة ، فقد صح أن السواد لا يرى أصلًا وأنه ليس لونًا .

قال أبو محمد : وإنما وقع الغلط على من ظن أن السواد يرى لأنه أحس بوقوع خطوط البصر على ما حوالى الشىء الأسود من سائِر الألوان فعلم بتوسط إدراكه ما حوالى الأسود أن بين تلك النهايات شيئًا خارجًا على تلك الألوان فقدَّر أنه يراه ، ومن هاهنا عظم غلط جماعة ادعوا

---

(٤) فى (أ) : (أو كفًا) .
(٥) فى (أ) : (ومع) .

بظنونهم من الجهة التى ذكرنا أنهم يرون الحركات والسكون فى الأجرام ، والأمر فى كل ذلك وفى الأسود واحد ولا فرق ، فإن قال قائل : إنه إن كان فى جسم الأسود زيادة ناتئة سوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم تر لم نعلم بنتوء تلك الهيئة الناتئة له على سطح جسده . قيل له وبالله التوفيق : هذا أيضا وهم لأنه لما لم يمتد خط البصر عند قبض تلك الهيئة الناتئة له وامتدت سائر الخطوط إلى أبعد من تلك المسافة وعلمت النفس بذلك توهم من لم يحقق أن هذه رؤية ، وليست كذلك ، وتوهموا أيضًا أنهم يرون السواد إذا كان السواد ممازجًا لحمرة أو لغبرة أو لخضرة أو لصفرة أو لزرقه فإذا كان هذا هكذا فإن البصر لا يرى ما فى ذلك السطح من هذه الألوان على حسب قوتها وضعفها فقط فيتوهمون من ذلك أنهم رأوا السواد ، ويتوهمون أيضًا أنهم يرونه لأنهم قالوا : نحن نميز الأسود البراق البصيص واللمعان من الأسود الأكدر الغليظ .

قال أبو محمد : وهذا مكان ينبغى أن نتثبت فيه فنقول وبالله تعالى التوفيق : إن الأملاس هى استواء أجزاء السطح ، والخشونة هى تباين أجزاء السطح ، وقد نجد أملس لمَّاعا وأملس كِدرا فإذ ذلك كذلك فالبصيص واللمعان شىء آخر غير استواء أجزاء السطح وإذ هو كذلك وهو مرئىٌّ فالبصيص بلا شك لون آخر محمول فى الملون بالحمرة أو الصفرة أو سائر الألوان ، وفيما عرى من جميع الألوان سواء فإذا قلنا أسود لماع فإنما نريد أنه ليس فيه من الألوان إلا اللمعان فقط وهو لون صحيح ، وقد عرى من الحمرة ومن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة ومما تولد من امتزاج هذه الألوان .

ولعل الكدرة أيضًا لون آخر مرئىٌّ كاللمعان ، وهى أيضًا غير سائر الألوان ، فهذا ما لا يوجد ما يمنع منه ، بل الدليل يثبت أن الكدرة أيضا لون وهو وقوع البصر عليها ، وهو لا يقع إلا على لون ومن أبى من هذا كلفناه أن يُحِدَّ لنا اللمعان والكدرة فإنه لا يقدر على شىء أصلًا غير ما قلنا . وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : بل فإنا نرى الثوب الأسود ونستبين نسيج خيوطه ونتوء ما نتأ منها وانخفاض ما انخفض فلولا أنه يرى ما علم ذلك كله . فالجواب وبالله تعالى التوفيق : إننا قد علمنا أن خطوط البصر تخرج من الناظر ولها مساحة مّا وبعضها أطول من بعض بلا شك لأن الخطوط الخارجة من البر إلى السماء أطول من الخطوط الخارجة من البصر إلى الجليس لك بلا شك فلما خرجت خطوط البصر إلى الثوب المذكور انقطع تمادى بعضها فيما سامته وتمادى بعضها إلى أن انقطع فيما انخفض منه[٦] علمنا أن خطوط بصرنا تمادى بعضها أكثر من تمادى البعض فبالحس علمنا

(٦) فى (أ) : سقط الكلام من قوله (فيما سامته .. إلى انخفض منه) .

هذا لأن بصرنا وقع على لون أصلًا ، وأيضًا فإن النور هو اللون الذى طبعه بسط قوة الناظر واستخراج قوى البصر حتى إنه إذا وافق ناظرا ضعيف البنية بطبعه أو بعرض اجتلب جميعه واستلبه كله ، أو اقتطفه ، فعلى قدر قوة النور فى اللون المرئىّ وضعفه فيه يكون وقوع البصر عليه ، هذا أمر مشاهد بالعيان فكلما قل النور فى اللون كان وقوع البصر عليه أضعف وكانت الرؤية له أقل حتى إذا عدم النور جملة ولم يبق منه شىء فقد بطل بالضرورة أن يمتد خطوط البصر إليه ، أو أن يقع الناظر عليه ، إذا لا نور فيه ، ولا يختلف ذو حس فى العالم فى أن السواد المحض الخالص ليس فيه شىء من النور فإذ لا شك فى هذا أنه لا يُرى وبالله تعالى التوفيق .

وأيضًا فإن جبلا ذا لون مَّا أو أرضا ذات لون مَّا وفيهما غاران مظلمان لما شك كل ناظر إليهما فى أنه لا يرى إلا ما حول الغارين فقط وأنه لا يرى ما ضمه خط الغارين فإذ هذه كلها براهين ضرورية مشاهدة حسية عقلية ، فالبرهان لا يعارضه برهان أصلًا ، والبرهان لا يعارَض بالدعوى ولا بالظنون . والحمد لله رب العالمين .

وأما من كلام الله عز وجل فإنه تعالى يقول : « ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها[٧] » . وقوله تعالى : « يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا[٨] » .

فصح يقينا أن الظلمة مانعة من النظر ، والرؤية جملةً ، وهو السواد بلا شك فهو لا يرى . ولا خلاف فى أن البصر العليل يداوى بالثوب الأسود وبالقعود فى الظلمة وليس ذلك إلا لمنعه من امتداد بصره فيكل بامتداده . وبالله تعالى التوفيق .

فإن قيل : السواد غير الظلمة ، قلنا إننا نجد الأرمد الشديد الرمد حتى صار فى بيت مظلم شديد الظلمة والانطباق لا يدخله شىء من الضوء أمكنه فتح عينيه بحسب طاقاته ولم يألم النظر إليه ، ومتى جعلناه فى بيت مضىء وعلى وجهه وعينيه ثوب كثيف جدًا أسود أمكنه فتح عينيه حسب طاقته ، ولم يألم بالنظر إليه ، وكانت حاله من تغطية وجهه بذلك الثوب كحاله فى الظلمة التامة سواء سواء . وكذلك يعرض للصحيح البصر فى الحالتين المذكورتين ولا فرق .

ومتى جعلنا على بصر الأمرد ثوبًا أبيض ألم ألمًا شديدًا كألمه إذا نظر فى الضوء ولا فرق ، فإن جعلنا على وجهه ثوبًا أصفر ألم دون ذلك وإن كان أحمر ألم دون ذلك ، فإن كان أخضر ألم

---

(٧) النور : ٤٠
(٨) البقرة : ٢٠

دون ذلك ، على قدر[٩] ما فى اللون من مُمَازجة البياض له . فصح أن السواد والظلام شىء واحد .

وقال بعض أصحابنا : السواد غير الظلمة وهو لا يُرى ، لأن الزنجى والغراب والثوب ليس شىء من ذلك أسود ، وكل ذلك يُرى ، ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد إلا أنه سمى باسم السواد مجازًا .

وقال بعضهم : السواد اسم مشترك يقع على الظلمة ويقع على لون الزنجى ، والغراب والثوب فكل ظلام سواد وليس كل سواد ظلاما ، فإن عنيت بالسواد لون الزنجى والغراب والثوب فهو يرى وهو غير الظلمة وإن عنيت بالسواد الظلمة فهو لا يرى .

وقال بعضهم : الظلمة لا تُرى وليست سوادًا أصلًا ، والسواد شىء آخر غير الظلمة وهو لون يرى .

وقال بعضهم : الظلمة والسواد شىء واحد ، وكلاهما يُرى ، وأقروا بأن الأعمى والأكمه والمفقوء العينين والمطبق العينين يرى الظلمة .

---

(٩) فى (أ) : (قدرها) .

« الكلام فى المتوالد والمتولد »

قال أبو محمد : الحيوان كله ينقسم أقسامًا ثلاثة ؛ متوالد ولابد ، ولا يتولد ولابد ، ومتولد ولابد ، لا يتوالد ، وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضًا ، فالمتولد المتوالد فكبنات وردان فإنها تتولد ، وقد رأيناها تتسافد ، وكالجُعلان فإنها تتولد وقد رأيناها تتسافد ، وكثير من الحيوان المتولد فى النبات ورأيناه يتسافد ، ومثل القمل فإنا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد عيانًا ويحدث فى الرؤوس وقد يتوالد ، ونحن نجد بعضه إذا قطع مملوءًا بيضا .

وأما المتولد الذى لا يتوالد فالحيوان المتولد فى أصول أشفار العينين ، وأصول شعر الشارب واللحية ، والصدر والعانة وهو ذو أرجل كثيرة لا يفارق موضعه ، وما علمناه يتوالد أصلًا ، ومثل الصفار المتولد فى البطن وشحمة الأرض ، وكل هذا لا نعلمه يَتوالد ألبتة . وقد شاهدنا ضفادع صغارًا تتولد من ليلتها فتصبح مناقع المياه منها مملوءة ، ومنها السلماندرية وهو حيوان كبير يشبه الجَراذين الصغار بطيئة الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفرط الصغر يكاد لصغره لا يَتجزأ مثلما رأيناه كثيرًا فى الدوى والدفاتر ، وهو سريع المشى جدًا ، ومنها السوس المتولد فى الباقلاء ، والدود المتولد فى الجراحات ، وفى الحمص والبلوط ، وفى التفاح وبين الحشيش وبين الصنوبر ، وفى الكنف وهى ذوات الأذناب ، والحبَاحِب المتولد فى الخضر وهو فى غاية الحسن ومنه ، ما يضىء بالليل كأنه شرارة نار ، والدود ذوات الأرجل الكثيرة ، والذرازيح ، وهذا كثير لا يحصيه إلا خالقه عز وجل .

ومنها الضفادع والحجاذب ، فقد صح عندنا يقينًا لا مجال للشك فيه أنها تتولد فى مناقع المياه دويبات صَغارًا ملسا شديدة السوادَ ذوات أذناب تسمى عندنا الرتنشات ، ثم صح عندنا كذلك أنها تكبر فتنقطع أذنابها وتتبدل ألوانها ، وتستحيل أشكالها ، وتعظم فتصير ضفادع ثم تزيد كبرًا واستحالة ألوان فتصير حجادب .

قال أبو محمد : قد رأيتها فى جميع تنقلها كما وصفنا ، وقد عرض علينا فى مناقع المياه خطوط ظاهرة ، قيل لنا : إنها بيض الضفادع ، وأما الذباب فقد شاهدناها عيانًا تتناكح ، والأنثى منها هى الكبار والذكور هى الصغار ، وشاهدنا البراغيث تتناكح أيضًا ، والكبار هى الإناث والذكور هى الصغار نشاهد ذلك بأن الأعلى هو الصغير أبدًا ، ونجد الأنثى مملوءة بيضًا إذا وضعت فتلقى بيضها فى الغبار وفى خلال أجزاء الثياب ثم يخرج .

قال أبو محمد : وقد رأينا ذبابًا صغارًا جدًا وذبابًا كبارًا مفرط الكبر وشاهدنا بأبصارنا الدود الطويل الذنب المتولد فى الكتف وذيول البقر والغنم يَستحيل فيصير فراشًا طيارًا مختلف الألوان بديع الخلقة من أبيض وأصفر فاقع وأخضر ولا زوردى منقط ، ولا ندرى كيف الحال فى العقارب والعناكب والرتيلات والبقوقات والدبر ، إلا أننا نرى أن دود الحرير متوالد يتسافد الذكور منها والإناث وتبيض ثم تموت ثم يحضن بيضها ، هذا ما لا خلاف فيه ، وما رأى أحد قط دود حرير يتوالد من غير بيضة ، وكذلك النمل فإنه يتوالد ، وقد رأينا بيضه ، والعرب تسميه المازن ، وكذلك النحل يتوالد ويوجد فى مواضع من بنائِه فى تضاعيف القبر الذى فيه العسل ، وكذلك الجراد والعرب تسمى بيضه الصُّرد .

قال أبو محمد : وما رأى أحد قط نحلا يتولد ولا نملا يتولد ولا جرادا يتولد إلا فى أكذوبات لا تصح .

وأما سائر الحيوان فمتولد ولابد من منى أو بيض فكل ذى أذن بارزة يَلد طائرا كان كالحيات أو غير طائر كالخفاش وغيره وكل ما ليس له أذن بارزة فهو يبيض طائرًا كان أو غير طائر . كالحيات والجراذين والوزغ وغير ذلك .

قال أبو محمد : فطلبنا أن نحد حدًا يجمع ما يتولد دون ما يتوالد ، أو ما يتوالد دون ما يتولد ، فلم نجد إلا اننا رأينا كلّ ذى عظم وفقارات لا سبيل ألبتة إلى أن يوجد من غير تناكح كحيوان البحر الذى له العظم والفقارات ، ورأينا ما لا عظم له ولا فقار فمنه ما يتولد ولا يتوالد ، ومنه ما يتولد ويتوالد معا .

وكل ذلك خلق الله عز وجل ، يخلق ما شاء كما شاء لا إله إلا هو ، وليست القدرة فى الخلق فى خلق ما خلقه الله عز وجل حيوانًا ذا أربع أو ذا ريش من بيضة أو من منى بأعظم من القدرة فى خلقها من تراب دون توسط بيضة أو منى ، ولا البرهان على الصنعة والابتداء فى أحدها بأوضح منه فى الآخر ، بل كل ذلك برهان على ابتداء الخلقة ، وعلى عظيم القدرة من البارى لا إله إلا هو .

قال أبو محمد : وقد ادّعى قوم أنه يتولد فى الثلج حيوان ، ويتولد فى النار حيوان وهذا كذب وباطل ، وإنما قاسوه على تولد حيوان ما فى الأرض والماء ، والقياس باطل لأنه دعوى بلا برهان وما لا برهان له فليس بشيء ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وإذا حصل الأمر فالحيوان لا يتولد من الماء وحده ، ولا من الأرض وحدها ولكن مما يجتمع من الأرض والمَاء معا ، فتبارك الله أحسن الخالقين . لا معقب لحكمه ، لا إله غيره عزّ وجل .

* * *

تم السفر الخامس بتمام جميع الديوان من الفصل فى الملل والآراء والنحل بحمد الله وعونه وشكره على حسن تأييده وعونه وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين . على يد العبد الفقير ، إلى رحمة ربه القدير . أحمد بن محمد بن سليمان غفر الله له لوالديه ولجميع المسلمين فى تاسع عشر شوال سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . أحسن الله خاتمتها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٣	« إنّما يتقبّلُ اللهُ من المتقين »	المائدة	٢٧	٢٩
٢٤	« ولو يؤاخِذُ اللهُ الناسَ بظلمهم ما ترك عليها من دابة »	النحل	٦١	٣٠
٢٥	« ولا تقف ما ليس لك به علم »	الإسراء	٣٦	٣٠
٢٦	« وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هيِّنًا وهُوَ عند الله عظيم »	النور	١٥	٣٠
٢٧	« ولا تكسبُ كلُّ نفسٍ إلاّ عليها »	الأنعام	١٦٤	٣٠
٢٨	« ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى »	الأنعام	١٦٤	٣٠
٢٩	« أجيبوا داعى الله »	الأحقاف	٣١	٣٠
٣٠	« فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم ، واقعدوا لهم كلَّ مَرْصَد »	التوبة	٥	٣٢
٣١	« ولكن رسولَ الله وخاتم النبيين »	الأحزاب	٤٠	٣٨
٣٢	« ولا تمش فى الأرضِ مرحًا »	الإسراء	٣٧	٣٩
٣٣	« .. ثانى اثنين إذْ هُما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن »	التوبة	٤٠	٣٩
٣٤	« كلُّ من عليها فانٍ ويبقى وجهُ ربّك »	الرحمن	٢٧	٤٤
٣٥	« هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاس »	آل عمران	١٣٨	٤٤
٣٦	« وإنْ يَرَوْا كِسفًا مِنَ السَّماء ساقطًا »	الطور	٤٤	٤٥
٣٧	« وكان الله سميعًا بصيرًا »	النساء	١٣٤	٥٨
٣٨	« وكان الله عليمًا حَكيما »	النساء	١٠٤	٥٨
٣٩	« وكُلُّ شىء عنده بمقدار »	الرعد	٨	٦٠
٤٠	« وأحصى كلَّ شىءٍ عددًا »	الجن	٢٨	٦٠
٤١	« خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا »	الملك	٢	٦٠
٤٢	« أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه »	القيامة	٣	٦١
٤٣	« ومُبشرًا برسولٍ يأتى من بعدى اسمه أحمد »	الصف	٦	٦٥
٤٤	« عالم الغيب والشهادة »	التوبة	٩٤	٦٦
٤٥	« يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل »	الأعراف	١٥٧	٧٥
٤٦	« يعرفونه كما يعرفون أبناءهم »	البقرة	١٤٦	٧٦
٤٧	« فإنّهم لا يكذّبونك »	الأنعام	٣٣	٧٦
٤٨	« قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددًا »	الكهف	١٠٩	٨٠
٤٩	« ولو أنَّ ما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »	لقمان	٢٧	٨٠

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٠	« بل هو قرآن مجيدٌ فى لوح محفوظ »	البروج	٢٢	٨٠
٥١	« نزل به الروح الأمين على قلبك »	الشعراء	٩٣	٨٠
٥٢	« فأَجِرْه حَتَّى يسمع كلام الله »	التوبة	٦	٨٠
٥٣	« بل هو آياتٌ بيناتٌ فى صدور الذين أوتوا العلم »	العنكبوت	٤٩	٨٠
٥٤	« إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون »	يس	٨٢	٨٢
٥٥	« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه »	الأعراف	١٨٠	٨٤
٥٦	« أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون »	الأنعام	٩٣	٨٥
٥٧	« النَّار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ، ويوم تقوم الساعة »	غافر	٤٦	٨٥
٥٨	« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون »	البقرة	١٥٤	٨٥
٥٩	« ولا تحسبَّن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألَّا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون »	آل عمران	١٦٩ ، ١٧٠	٨٥
٦٠	« الله يتوفَّى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمًّى »	الزمر	٤٢	٨٥
٦١	« فلها النصف » ، « فلأُمه الثلث » ، « فلأُمه السدس » « فلكم الربع » ، « فلهنَّ الثمن »	النساء	١١ ، ١٢	٨٧
٦٢	« بعضهم أولياء بعض »	التوبة	٧١	٨٧
٦٣	« تلفح وجوههم النار »	المؤمنون	١٠٤	٨٧
٦٤	« ونزلنا من السَّماء ماء مباركًا فأنبتنا به جنَّاتٍ وحبَّ الحصيد »	ق	٩	٨٧
٦٥	« أنَّا نسوقُ الماء إلى الأرض الجرز ، فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامُهم وأنفسهم »	السجدة	٢٧	٨٧
٦٦	« فإذا أنزلنا عليها الماء اهتَّزت وربَتْ ، وأنبتت من كلِّ زوج بهيج »	الحج	٥	٨٧
٦٧	« فمن يعمل مثقال ذرَّةٍ خيرًا يره ، ومن يعمل مثقال ذرَّةٍ شرًّا يره »	الزلزلة	٧ ، ٨	٨٨
٦٨	« ونضع الموازينَ القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا »	الأنبياء	٤٧	٨٨
٦٩	« أنى لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكر أو أنثى »	آل عمران	١٩٥	٨٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٧٠	« إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم »	النساء	٣١	٨٩
٧١	« ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا »	المنافقون	٢	٨٩
٧٢	« ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر »	البقرة	٢١٧	٨٩
٧٣	« ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم »	النساء	٩٤	٨٩
٧٤	« ولا يرضى لعباده الكفر »	الزمر	٧	٩٠
٧٥	« لا يحب الفساد »	البقرة	٢٠٥	٩٠
٧٦	« اتَّبعُوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم »	محمد	٢٨	٩٠
٧٧	« إنَّ الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا »	فاطر	٤١	٩١
٧٨	« ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها »	البقرة	١٠٦	٩١
٧٩	« بدّلوا نعمة الله كفرًا ، وأحلّوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار »	إبراهيم	٢٨	٩٢
٨٠	« يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأنى فضلتكم على العالمين »	البقرة	٤٧	٩٢
٨١	« قتل الإنسان ما أكفره ، من أى شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدّره ثم السبيل يسره . »	عبس	١٧ – ٢٤	٩٣
٨٢	« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »	الأحزاب	٢١	٩٤
٨٣	« إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفا »	النساء	٧٦	٩٤
٨٤	« ولا جناح عليكم فيما عرَّضتم به من خطبة النساء »	البقرة	٢٢٥	٩٤
٨٥	« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »	الأحزاب	٢١	٩٥
٨٦	« وتمَّت كلمة ربك صدقا وعدلاً لا مبدّل لكلماته »	الأنعام	١١٥	١٠٠
٨٧	« وعلّم آدم الأسماء كلّها »	البقرة	٣١	١٠٠
٨٨	« إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون »	يس	٨٢	١٠٠
٨٩	« فإذا حبالهم وعصيُّهم يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى »	طه	٦٦	١٠٣
٩٠	« إنّما صنعوا كيد ساحرٍ ، ولا يفلح الساحر حيث أتى »	طه	٦٩	١٠٣
٩١	« سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وجاءوا بسحر عظيم »	الأعراف	١١٦	١٠٤
٩٢	« فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه »	البقرة	١٠٢	١٠٤
٩٣	« إنه لكبيركم الذى علمكم السحر »	طه	٧١	١٠٤
٩٤	« إنَّ هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها »	الأعراف	١٢٣	١٠٤
٩٥	« قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »	النمل	٦٤	١٠٥
٩٦	« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننَّ بها ، قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون »	الأنعام	١٠٩	١٠٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٩٧	« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلاَّ أن كذَّب بها الأوَّلون »	الإسراء	٥٩	١٠٥
٩٨	« ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكّرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون »	الحجر	١٥	١٠٦
٩٩	« ادعونى أستجب لكم »	غافر	٦٠	١٠٨
١٠٠	« أجيب دعوة الداع إذا دعان »	البقرة	١٨٦	١٠٨
١٠١	« واعلموا أنكم غير معجزى الله »	التوبة	٢	١١٠
١٠٢	« فليس بمعجز فى الأرض »	الأحقاف	٣٢	١١٠
١٠٣	« والله على كل شىء قدير »	البقرة	٢٨٤	١١٠
١٠٤	« أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى »	الكهف	٥٠	١١١
١٠٥	« إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم »	الأعراف	٢٧	١١١
١٠٦	« إلا إبليس كان من الجن »	الكهف	٥٠	١١١
١٠٧	« والجانَّ خلقناه من قبل من نار السَّموم »	الحجر	٢٧	١١٢
١٠٨	« من شر الوسواس ، الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس »	الناس	٤	١١٢
١٠٩	« كالذى يتخبطه الشيطان من المس »	البقرة	٢٧٥	١١٣
١١٠	« ولا تقف ما ليس لك به علم »	الإسراء	٣٦	١١٣
١١١	« وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالاً نوحى إليهم »	النحل	٤٣	١١٩
١١٢	« وأوحى ربك إلى النحل »	النحل	٦٨	١١٩
١١٣	« شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا »	الأنعام	١١٢	١١٩
١١٤	« وامرأته قائمة فضحكت ، فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، قالت : يا ويلتا أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت »	هود	٧١ – ٧٣	١٢٠
١١٥	« إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيا »	مريم	١٩	١٢٠
١١٦	« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح »	مريم	٥٨	١٢١
١١٧	« وأمه صدِّيقة »	المائدة	٧٥	١٢١
١١٨	« يوسف أيها الصّديق »	يوسف	٤٦	١٢١
١١٩	« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض »	البقرة	٢٥٣	١٢١
١٢٠	« لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا »	الحديد	١٠	١٢٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٢١	« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك إنْ أتبع إلا ما يوحى إلىَّ »	الأنعام	٥٠	١٢٦
١٢٢	« إنه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثَمَّ أمين »	التكوير	٢٠	١٢٦
١٢٣	« وما صاحبكم بمجنون »	التكوير	٢٢	١٢٦
١٢٤	« ولقد رآه بالأفق المبين »	التكوير	٢٣	١٢٦
١٢٥	« ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى إذ يغشى السِّدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى »	النجم	١٣ – ١٨	١٢٦
١٢٦	« جاعل الملائكة رسلاً »	فاطر	١	١٢٧
١٢٧	« الله يصطفى من الملائكة رسلاً ، ومن الناس »	الحج	٧٥	١٢٧
١٢٨	« أولئك الذين أنعم الله عليهم »			١٢٧
١٢٩	« ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك »	النساء	١٦٤	١٢٧
١٣٠	« إن الله اصطفى آدم ونوحًا ، وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين »	آل عمران	٣٤	١٢٨
١٣١	« كنتم خير أمة أخرجت للناس »	آل عمران	٥	١٢٨
١٣٢	« يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأنى فضلتكم على العالمين »	البقرة	٤٧	١٢٨
١٣٣	« الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البرية »	البينة	٧	١٢٨
١٣٤	« ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل »	يوسف	١٠٠	١٢٩
١٣٥	« إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »	يوسف	٤	١٢٩
١٣٦	« تتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون »	الأنبياء	١٠٣	١٣٠
١٣٧	« والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم »	الرعد	٢٣	١٣٠
١٣٨	« والسَّحاب المسخَّر بين السماء والأرض »	البقرة	١٦٤	١٣١
١٣٩	« سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »	الحاقه	٧	١٣١
١٤٠	« بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون »	الأنبياء	٢٧	١٣١
١٤١	« ويستغفرون لمن فى الأرض »	الشورى	٥	١٣١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٤٢	« وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم ، وعتوا عتوًّا كبيرًا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين »	الفرقان	٥	١٣١
١٤٣	« هل ينظرون إلاَّ أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة »	البقرة	٢١٠	١٣١
١٤٤	« ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين »	الأعراف	٧	١٣١
١٤٥	« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ، ولا الملائكة المقربون »	النساء	١٧٢	١٣١
١٤٦	« ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا »	الإسراء	٧٠	١٣٢
١٤٧	« هل تجزون إلا ما كنتم تعملون »	النمل	٩٠	١٣٣
١٤٨	« فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره »	الزلزلة	٧ ، ٨	١٣٣
١٤٩	« ووجدك ضالًّا فهدى ، ووجدك عائلًا فأغنى »	الضحى	٧ ، ٨	١٣٣
١٥٠	« تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام »	الرحمن	٧٨	١٣٥
١٥١	« سبح اسم ربك الأعلى »	الأعلى	١	١٣٥
١٥٢	« ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم »	يوسف	٤٠	١٣٥
١٥٣	« إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم »	الواقعه	٧٤	١٣٦
١٥٤	« وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم	الطور	٤٨ ، ٤٩	١٣٦
١٥٥	« ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم »	يوسف	٤٠	١٣٦
١٥٦	« قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »	البقرة	١١١	١٣٧
١٥٧	« وعلّم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ... إلى قوله « قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم »	البقرة	٣١ – ٣٣	١٣٨
١٥٨	« الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن »	الحشر	٢٣	١٣٨
١٥٩	« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه »	الأعراف	١٨٠	١٤٠
١٦٠	« إنا نبشّرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا »	مريم	٧	١٤١
١٦١	« هل تعلم له سميًّا »	مريم	٦٥	١٤١
١٦٢	« ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »	الصف	٦	١٤٢

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٦٣	« قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّامًا تدعو فله الأسماء الحسنى »	الإسراء	١١٠	١٤٢
١٦٤	« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه »	الأنعام	١٢١	١٤٢
١٦٥	« ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق »	المؤمنون	١٧	١٤٨
١٦٦	« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون »	يس	٣٩ ، ٤٠	١٤٨
١٦٧	« والسماء ذات البروج »	البروج	١	١٤٨
١٦٨	« لتعلموا عدد السنين والحساب »	يونس	٥	١٤٨
١٦٩	« فأحيينا به الأرض بعد موتها »	فاطر	٩	١٤٩
١٧٠	« فأخرجنا به من كل الثمرات »	الأعراف	٥٧	١٤٩
١٧١	« فأنبتنا به جنَّاتٍ وحبَّ الحصيد »	ق	٩	١٤٩
١٧٢	« ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم »	الكهف	٥١	١٥١
١٧٣	« هذا خلق الله »	لقمان	١١	١٥١
١٧٤	« وخلق كلَّ شيءٍ فقدره تقديرًا »	الفرقان	٢	١٥١
١٧٥	« إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى »	الحج	١	١٥٥
١٧٦	« وقد خلقتك من قبلُ ولم تك شيئًا »	مريم	٩	١٥٦
١٧٧	« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا »	الدهر	١	١٥٦
١٧٨	« إنَّا كلَّ شيءٍ خلقناه بقدر »	القمر	٤٩	١٥٦
١٧٩	« أين شركائى »	النحل	٥٧	١٥٧
١٨٠	« ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم »	الأنفال	٢٣	١٥٨
١٨١	« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »	آل عمران	١٤٢	١٦٣
١٨٢	« فماذا بعد الحق إلَّا الضلال »	يونس	٣٢	١٦٩
١٨٣	« ليُحق الحقَّ ويبطل الباطل »	الأنفال	٨	١٦٩
١٨٤	« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »	الزمر	٩	١٦٩
١٨٥	« وخلق كل شيء »	الفرقان	٢	١٦٩
١٨٦	« إنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا . قالوا نعم »	الأعراف	٤٤ ، ٤٥	١٦٩

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٨٧	« وإذا خلا بعضهم إلى بعض »	البقرة	٧٦	١٧٠
١٨٨	« يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا »	الأنعام	١١٢	١٧٠
١٨٩	« فلأمه الثلث » « فلأمه السدس » « فلها النصف » « ولهن الربع » « فلهن الثمن » .	النساء	١١	١٧٠
١٩٠	« ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عَشَرة كاملة »	البقرة	١٩٦	١٧٠
١٩١	« ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »	الأعراف	١١	١٧٣
١٩٢	« ثم أنشأناه خلقا آخر »	المؤمنون	١٤	١٧٤
١٩٣	« خلقا من بعد خلق »	الزمر	٦	١٧٤
١٩٤	« إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده »	فاطر	٤١	١٧٧
١٩٥	« فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج »	الحج	٥	١٨١
١٩٦	« تلفح وجوههم النار »	المؤمنون	١٠٤	١٨١
١٩٧	« وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوى الوجوه »	الكهف	٢٩	١٨١
١٩٨	« ومن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة »	النساء	٩٢	١٨٢
١٩٩	« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »	فاطر	١٠	١٨٢
٢٠٠	« أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم »	آل عمران	١٤٤	١٨٢
٢٠١	« على شفا جرف هارٍ فانهار به »	التوبة	١٠٩	١٨٢
٢٠٢	« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »	الأنفال	١٧	١٨٢
٢٠٣	« أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »	الواقعه	٦٣	١٨٢
٢٠٤	« يا نار كونى بردًا وسلاما على إبراهيم »	الأنبياء	٦٩	١٨٦
٢٠٥	« قل نار جهنّم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون »	التوبة	٨١	١٨٦
٢٠٦	« وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين »	المؤمنون	٢٠	١٨٦
٢٠٧	« ومن ثمرات النخيل تتخذون منه سكرًا ورزقا حسنا »	النحل	٦٧	١٩١
٢٠٨	« خلق الإنسان من صَلصال كالفخّار »	الرحمن	١٤	١٩١
٢٠٩	« فلينظر الإنسان ممَّ خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب »	الطارق	٥ – ٧	١٩١
٢١٠	« أيحسب الإنسان أن يترك سُدًى ، ألم يك نطفة من منىٍّ يمنى ثم كان علقة فخلق فسوَّى »	القيامة	٣٦ – ٣٨	١٩١

رقم مسلسل	الآيــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢١١	« إنَّ الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسَّه الشرُّ جزوعًا ، وإذا مسَّه الخير منوعا »	المعارج	١٩ ، ٢٠	١٩١
٢١٢	« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا »	النساء	٨٢	١٩٢
٢١٣	« أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها »	الحج	٤٦	١٩٩
٢١٤	« كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون »	النور	٦١	١٩٩
٢١٥	« أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلَّا كالأنعام بل هم أضل سبيلا »	الفرقان	٤٤	١٩٩
٢١٦	« ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون »	يونس	١٠٠	١٩٩
٢١٧	« وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبا ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »	المائدة	٥٨	١٩٩
٢١٨	« إن شرَّ الدوابِّ عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون »	الأنفال	٥٥	١٩٩
٢١٩	« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير »	الملك	١٠	٢٠٠
٢٢٠	« ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكةُ باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون »	الأنعام	٩٣	٢٠٢
٢٢١	« الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى »	الزمر	٤٢	٢٠٤
٢٢٢	« والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون »			٢٠٤
٢٢٣	« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ؟ قالوا : بلى »	الأعراف	١٧٢	٢٠٤
٢٢٤	« كل نفس ذائقة الموت »	آل عمران	١٨٥	٢١٦
٢٢٥	« أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهوان »	الأنعام	٩٣	٢١٦
٢٢٦	« وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم »	البقرة	٢٨	٢١٦
٢٢٧	« وإنَّ الدَّار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »	العنكبوت	٦٤	٢١٦
٢٢٨	« هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت »	يونس	٣٠	٢٢٠
٢٢٩	« اليوم تجزى كلُّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم »	غافر	١٧	٢٢٠
٢٣٠	« كلُّ امرىءٍ بما كسب رهين »	الطور	٢١	٢٢٠
٢٣١	« إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء »	يوسف	٥٣	٢٢٠
٢٣٢	« ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب »	غافر	٤٦	٢٢٠
٢٣٣	« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى »	الإسراء	٨٥	٢٢١
٢٣٤	« إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون »	النحل	٤٠	٢٢٥

فهرس الأحاديث النبوية

مسلسل	الأحاديـــث	رقم الصفحة
١٦	« لتأمرن بالمعروف ، ولتنهوُن عن المنكر ، أو ليعمنكم الله بعذاب من عنده »	٢٥
١٧	« جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ، قال : فلا تعطه مالك ، قال : أرأيت إن قاتلنى . قال : قاتله . قال : أرأيت إن قتلنى . قال : فأنت شهيد قال : أرأيت إن قتلته : قال : هو فى النار »	٢٦
١٨	« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته »	٢٦
١٩	« هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله ﷺ على المسلمين ، والتى أمر بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعطها »	٢٧
٢٠	« يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسّنة ، فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا فى الهجرة سواءً فأقدمهم سِلْما ، ولا يؤمّنّ الرّجلُ الرجلَ فى سلطانه ولا يقعد فى بيته على تكرمته إلّا بإذنه »	٣١
٢١	« أرْضُوا مُصَدِّقيكم »	٣١
٢٢	« من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »	٣٢
٢٣	« لا نبى بعدى »	٣٢
٢٤	« إنّ من ضئضئى هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرَّمية ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد »	٣٤
٢٥	« لا تسبُّوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكُمْ مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه »	٦٩
٢٦	قال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « اقرأ علىَّ القرآن فقلت يا رسول الله : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى »	٨١
٢٧	« الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌ له أجران »	٨١
٢٨	« نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو »	٨٢
٢٩	« إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً غير واحد »	٨٤
٣٠	« كل ابن آدم يأكله التراب إلّا عجْب الذنب ، منه خلق وفيه يركب »	٨٦
٣١	« كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » « كل شراب أسكر فهو حرام »	٨٨
٣٢	« لكل شىء سنام ، وأن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى »	٨٨
٣٣	إنَّ من البيان سحرًا ، أو إنَّ بعض البيان سحرًا »	١٠٤
٣٤	« أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا »	١٠٩

فهرس الأماكن والبلدان

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الخاء

حرف السين والشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين والغين

حرف الفاء والقاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

فهرس الفرق والملل والنحل

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاء

حرف السين والشين

حرف الصاد

حرف العين والغين

حرف القاف والكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

فهــرس الاعــلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الكنـــى

الأبناء

فهرس الأشعار

صفحة

٨ وقال النابغة :

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم
من الجود والأحلام غير عوازب ١١٦

٩ وقال النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطىء الكواكب ١١٦

١٠ قال الشاعر :

تقول وقد درأت لها وضينى
أهذا دينه أبدًا ودينى ١١٧

١١ وقال الشاعر :

قد عود الطير عادات وثقن بها
فهن يصحبنه فى كل مرتحل ١١٧

١٢ وقال حميد بن ثور الهلالى :

سل الربع أنّى يمّمت أم سالم
وهل عادة للربع أن يتكلما ١١٧

١٣ قال لبيد :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر ١٣٥

١٤ وقال أحمد بن حداد :

هيهات يا أخت آل بما غلطت
فى الأسم والمسمى
لو كان ذاك وقيل سم
مات إذن من يقول سما ١٤٤

١٥ قال أبو ساسان حصين بن المنذر :

وسميت غياظاً ولست بغائظ
عدواً ولكن الصديق تغيظ ١٣٩

١٦ قال الشاعر :

لقد تمخض فى قلبى مودتها
كما يمخض فى إبريجه اللبن ١٨٨